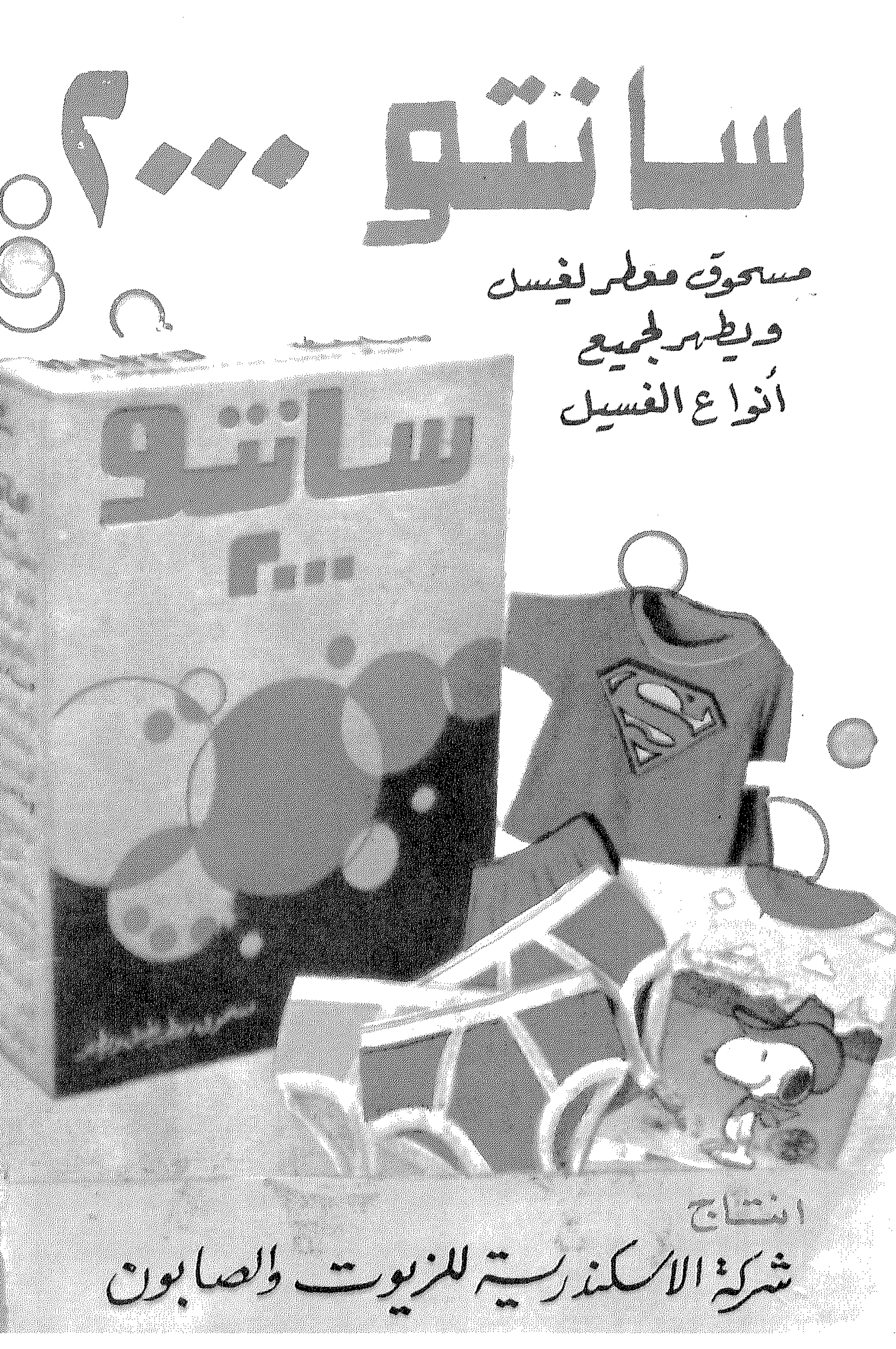
يناير ١٩٩١ • الثمن ١٠٠ قرش

الهلال

عدد خاص



سانتو ٢٠٠٠
مسحوق معطر لغسل
ويطهر لجميع
أنواع الغسيل
انتاج
شركة الاسكندرية للزيوت والصابون

الهلال

مجلة ثقافية شهرية تصدرها دار الهلال
أسسها جرجى زيدان عام ١٨٩٢

الإدارة : القاهرة ـ ١٦ شارع محمد
عز العرب بك (المبتديان سابقا)
ت : ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط)
المكاتبات : ص. ب : ٦١٠ العتبة ـ
الرقم البريدى : ١١٥١١ ـ تلغرافيا :
المصور ـ القاهرة ج . م . ع .
مجلة الهلال ت : ٣٦٢٥٤٨١
التلكس : 92703 Hilal un
FAX : 3625469

السنة الثامنة والتسعون • يناير ١٩٩١ – جمادى الآخرة ١٤١١هـ

والهلال على أعتاب قرن جديد ، بعد أن مر على صدوره ٩٩ عاما يحرص على أن يقدم للقارىء لمحة بين الماضى والمستقبل . ذلك الماضى الذى أصَّل فيه الهلال اللفظ العربى والكلمة العربية ، لتظل لغة الضاد فتية قوية ، تبرز أصالة الثقافة العربية ، وتنشر الفكر المستنير شرقا وغربا

كثيرون من الكتاب حمل الهلال آراءهم وأفكارهم ، بل إن معارك أدبية دارت على صفحات الهلال ، كانت زادا للمثقفين فى جوانب عديدة من المعارف .

ويضم هذا العدد مقالات وبحوثا تلقى الضوء على هذه المرحلة الهامة فى حياة مصر ، حمل "الهلال" أفكارها وبلورها ، لتظل نبراسا متجددا للفكر ، وزادا ينهل منه عشاق المعرفة ومحبوها .

وإذا كان الحديث عن الماضى لغة يعشقها الكثيرون ، فإن الهلال حرصت فى هذا العدد التذكارى أن تشير إلى المستقبل الـذى نرجـو أن يكـون مبشرا بالخير لأبناء مصر فى كل المجالات ، ولكن بشرط أن يتحرر العقل والوجدان من المعوقات التى تحول دون انطلاقتنا لتحقيق كل ما نصبو إليه من تقدم وازدهار .

فى هذا العدد

« عدد خاص »

صحافة مصر عام ١٨٩٢ يوم صدور الهلال

ص



الغلاف تصميم الفنان : محمد ابو طالب



قيمة الاشتراك السنوى تسعة جنيهات فى ج . م . ع . تدفع مقدما نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية ، وعشرة دولارات فى البلاد العربية ، وعشرون دولارا لباقى دول العالم ، والقيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ، ويرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد .

فنون

● مستقبل مصر « جزء خاص ●

● القفز على الأشواك ●

الأبواب الثابتة

ثمن النسخة

لبنان ١٧٥٠ ليرة ، الأردن ١٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، السودان ١٥ جنيها سودانيا ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ٢٠ درهما ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر ٧ ريالات ، الامارات العربية ٧ دراهم ، سلطنة عمان ٧٠٠ بيسة ، غزة والضفة ١٠٠ سنت ، لندن ١٥٠ بنسا ، إيطاليا ٣٠٠٠ ليرة .

كل سنة وانت طيب

كل سنة وانت طيب ، ياعزيزى القارىء ..

بل كل مائة سنة وانت بخير وسعادة ، فنحن نلتقى بك اليوم على مشارف العيد المئوى للهلال ..

فى سنة ١٨٩٢ صدر العدد الأول من "الهلال" وفى العام القادم - ١٩٩٢ - يبلغ الهلال المائة من عمره المديد الذى عاشه مناضلا منتصرا ، حتى بقى وحده وتخلى عنه رفاق الطريق الطويل فلم يبق منهم احد ، فلا توجد اليوم - مع الأسف - اية صحيفة شهرية ولا اسبوعية ولا يومية مما كان يصدر من الصحف سنة ١٨٩٢ إلا الهلال والأهرام والوقائع المصرية ! ..

وخلال هذا العام الجديد للهلال - عام ١٩٩١ - سنحاول ان نمهد للاحتفال بعيده الماسى القادم سنة ١٩٩٢ بادئين منذ اليوم بما تطالعه في عدد "الهلال" الذى بين يديك من مواد وذكريات وبحوث عن المرحلة التاريخية التى ولد فيها الهلال ، مرحلة العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، عندما فقد الوطن استقلاله الوطنى ، لكنه لم يفقد الرغبة فى التقدم ، ولا القدرة على مواصلة السير الى الامام بعد فشل الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ .

لقد كانت الصحافة العربية مظهر التحدى للاحتلال والامتيازات الاجنبية ومحاولات وأد الهوية الوطنية والقومية ، وكانت الصحافة الأدبية والثقافية بوجه خاص وعاء الفكر الوطنى والقومى الذى تلوذ به الطلائع المثقفة للأمة فى تصديها للخصوم المتالبين عليها فى عصر صعود الاستعمار الاوربى إلى أعلى مراحله فى نهايات القرن التاسع عشر ..

والآن تغيرت الدنيا ! .. لقد مرت قرابة مائة سنة على صدور ""الهلال" ولكن رسالته فى الحفاظ على الهوية القومية والوطنية لم تتغير ، لأن الدنيا وإن كانت قد تغيرت وتطورت ، إلا أن التحديات التى تهدد أمتنا باقية على حالها ، بل زاد عليها الاستعمار الاستيطانى الصهيونى الذى اقتطع ارضا عربية صميمة متاخمة لمصر ، ثم زاد على ذلك النزاع بين الأشقاء العرب بعد استقلالهم الرسمى وقيام دولهم العظيمة من المحيط الى الخليج ، وهو نزاع استحدثته ظروف جديدة خطيرة لم تكن قائمة فى عهد ماقبل الاستقلال ..

لقد كان "الهلال" مرآة العصر الذى نشأ فيه قبل مائة عام ، وهو الآن مرآة عصره الممتد إلى آفاق القرن الواحد والعشرين .. ولم يعد "الهلال" منذ عهد طويل مجرد مجلة شهرية .. لقد أعلن صاحبه جرجى زيدان فى السنة الأولى لصدوره أنه سيصدره مرتين كل شهر بدلا من مرة واحدة ، ولكن هذا الاعلان كان امنية تحققت بعد ذلك على أيدى ابنى زيدان وهما : إميل وشكرى ، فبدلا من إصدار "الهلال" اسبوعيا ، أصدرا عددا كبيرا من المجلات الأسبوعية ، على رأسها مجلة "المصور" التى لبثت منذ صدورها سنة ١٩٢٨ كبرى مجلات البلاد العربية الأسبوعية ..

وخلال عشرين عاما ، منذ وفاة جرجى زيدان ١٩١٤ إلى الثلاثينات تحول "الهلال" إلى دار صحفية كبرى تحمل اسمه ، ومازالت تحمل اسمه ، فهو علم على حشد من الإصدارات الصحفية الأسبوعية ، ولا نظير له فى الشرق الأوسط كله ..

وهكذا يصبح الاحتفال بمرور مائة سنة على صدور "الهلال" احتفالا بقيام دار صحفية كبرى تحمل هذا الاسم الكبير ، ويتسع المعنى الصحفى والثقافى والسياسى والوطنى لمجلة "الهلال" التى كانت كالغرسة الواحدة ، انسرحت منها حديقة واسعة من الأشجار والأزهار .

وكل سنة - ياعزيزى القارىء - وانت طيب .

بل كل مائة سنة وانت بخير وسعادة ، فنحن معك اليوم على مشارف العيد المئوى للهلال ! ..

"المحرر"

خواطر

مؤتمر الشعراء والسياسة

شهدت القاهرة فى الشهر الماضى (٢ ـ ٥ ديسمبر) حدثا ادبيا مهما : المؤتمر العالمى للشعراء ، وحملت كراسة الدعوة اسمين : وزارة الثقافة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) والاكاديمية العالمية للفنون والثقافة (بالولايات المتحدة الامريكية ـ كاليفورنيا) .

تقتضينى الأمانة ان أصارح القارىء بأنى لم أتابع أعمال هذا المؤتمر سوى الجلسة الثالثة والختامية . وحتى هذه المعلومات التى قدمتها لم أحصل عليها إلا متأخرا ، حين قررت أن أكتب لك هذا المقال . وأضيف إليها أن هذا المؤتمر وإن كان الأول بالنسبة لوزارة الثقافة وهيئة الكتاب فهو الحادى عشر بالنسبة للأكاديمية العالمية للفنون والثقافة ، كما سمعت فى أثناء الجلسة ، وبما أنه يعقد كل سنتين فقد أتم الآن العقد الثانى من عمره المبارك ، وبما أن المؤتمر العاشر عقد فى الهند والثانى عشر سوف يعقد فى تركيا ، فقد يصح الاستنتاج أنه يعقد عادة فى بلد من بلدان العالم الثالث .

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . لايزال يوسوس فى أذنى بأسوأ الأفكار . حسبها الملعون : عشرون سنة ، إذن فقد كان ميلاد المؤتمر العالمى للشعراء سنة ١٩٧٠ أو قبلها بقليل . اعذرونى إذا لم استطع أن افكر إلا بمصريتى . سنة ١٩٧٠ كان عهد عبد الناصر إلى زوال . كانت مصر مطحونة ، فاقدة الوعى بعد هزيمة ٦٧ . وكانت أمريكا ـ بالمقابل ـ قد وعت الدرس جيدا من حرب فيتنام ، وبدأت سياسة "الاحتواء" تتغلب على سياسة المواجهة ، بعد سنتين فقط سيذهب نكسون إلى الصين وبعد بضع سنوات أخرى سيصبح رئيس أمريكا ذلك المزارع ذو الوجه الطفولى الذى تبنى قضية حقوق الإنسان فى جميع اقطار العالم ، والذى أصبح "عرّاب كامب ديفيد" قبل أن يغادر البيت الأبيض بقليل ، أعتقد أن الشعب الأمريكى لم يقدر "جيمى كارتر" حق قدره ، فقد أسهم أكثر من أى رئيس آخر فى تحويل صورة الأمريكى خارج أمريكا

بقلم : د. شكرى محمد عياد



احمد عبدالمعطى حجازي



عبدالقادر القط



محمود درويش





فاروق شوشة

من أمريكى قبيح الى أمريكى ظريف أو مقبول أو على الأقل محتمل ، ولو أن الصورة مازالت محتاجة الى تبييض كثير فى المنطقة العربية بالذات .

أليس من الجائز أن نتصور علاقة ما بين المؤتمر الحادى عشر للشعراء ، الذى عقد فى القاهرة فى الشهر الماضى ، وبين المزاج الأمريكى بعد حرب فيتنام ؟ الانتشار الثقافى الأمريكى حقيقة معروفة وقديمة ، ولكن الذى جد هو مزيد من الاهتمام بمن يسمونهم ذوى الجباه العالية ، ولاسيما فى العالم الثالث ، لأن هؤلاء ـ والشعراء فى مقدمتهم ـ يبدون ميلا خطرا إلى الانحراف بالثقافة الرفيعة والفن الجميل نحو إفساد عقول الجماهير ، وإذا كانت الشيوعية قد سقطت فى الحلبة بالضربة القاضية ، فمن يضمن الا تعود إلى التحدى بعد أن تصلح شأنها ، أو الا يظهر من تحت الأرض منازل جديد ،الاسلامية الاصولية مثلا ؟

● **أكره السياسة !**

قاتل الله الشيطان وحديث الشيطان ، فهو يريد أن يقحمنى فى السياسة وأنا أكره السياسة وأكره أيضا أن تقتحم علىّ بابى . وأنا لا أريد أن أصنف معاديا لأمريكا . وما أمريكا ؟ أنا أعرفها أولا بقعة على الخارطة تمتد بين المحيطين الأطلسى والهادى ، وأعرفها ثانيا فى الواقع أمكنة قليلة وطئتها قدماى من هذه البقعة ، أو قطعتها بالسيارة مع رفيق كريم ، أمريكى فى كثير من الأحيان وفيها مع ناطحات السحاب وغابات المداخن والسهول الشاسعة دورُ كتب حافلة ومتاحف عظيمة ، وهذا

القفز على الاشواك

هو ما يهمنى قبل كل شىء . والامريكان الذين قابلتهم ، فى الحياة العادية أو لأغراض رسمية ، هم أشبه الشعوب بالمصريين فى انطلاقهم وبساطتهم وميلهم الى الدعابة وتقديرهم لكل ماهو كبير ، إلا أنهم يعملون لتكبير الاشياء ونحن نكتفى بتكبير الكلام . لذلك أرحب بالصداقة المصرية الامريكية ، أو - لأكون محددا أكثر - بين دولة مصر ودولة الولايات المتحدة الامريكية ، وأتفاءل خيرا لمستقبل البشرية بهذه الصداقة بين أقدم أمة وأحدث أمة على وجه الأرض ، وإن كنت ارجو أن يستمع الأمريكى الشاب أحيانا الى نصائح زميله المصرى العجوز .

فليبتعد الشيطان إذن وأنا أقلب بين يدى كراسة الدعوة (لم أحصل عليها إلا فى بدء الجلسة) وأستعرض أسماء الباحثين فى الجلسات ، وأسماء الشعراء فى الندوات . فيهم ، والحق يقال ، من كل الألوان : من اليمين واليسار والوسط ، من شمال العالم وجنوبه وشرقه وغربه ، من الاكاديميين وغير الأكاديميين ، من معظم الأقطار العربية إلى جانب مصر .

ولا أدرى هل هو إيثارى للعزلة الذى جعل لهذه الظنون السيئة سبيلا الى نفسى ، أم أننى ما آثرت العزلة إلا لأنى ميال بطبعى الى سوء الظن . أم أن كليهما - العزلة وسوء الظن - يتناوبان الفعل والانفعال ؟ ولعلى لو عرفت من أول الأمر بقصة هذا المؤتمر لأمكننى أن أستسيغها ، كما استساغها كل أولئك الأفاضل ، ولكن الواقع هو أن هذه الجلسة الثالثة والختامية كانت بالنسبة الىّ ، حتى قبل أن تبدأ سلسلة من المفاجآت . أتصل بى الزميل الصديق الدكتور سمير سرحان قبلها بأيام ليكلفنى بإدارة هذه الجلسة ، اشار إلى "مؤتمر الشعر" مفترضا فيما يبدو أنى أعرف كل شىء عنه ، وأنا لا أعرف عنه شيئا ، وذكر موضوع الجلسة وهو ترجمة الشعر ، وأسماء المتحدثين وهم من خيرة الاساتذة والنقاد . (ربما كان الانسب - وأنا أدرى بنفسى - أن أعتذر) وقال لى إن الجلسة تبدأ عند تمام الساعة العاشرة فى قاعة نفرتيتى بفندق شبرد ، وإنهم يتوقعون أن أكون هناك قبل الموعد بربع ساعة" . ذهبت كما حدد ، فكانت المفاجأة الاولى انى لم أجد من يرشدنى ، ولم يكن هناك إلا قلة من الرواد ، قال لى أحدهم أن الجلسة تبدأ عادة متأخرة عن موعدها ، وإن ذلك التأخير يجنى على الوقت المخصص للمداخلات (اى المناقشات) قلت لا بأس : تأخير المواعيد شىء معروف عنا نحن المصريين ، ولايفضل أن نغير عاداتنا التى أصبحت كالطقوس المرعية ، من أجل ثلاث جلسات .

وكنت ، منذ سمعت أسم المؤتمر ، اتساءل بين السرور والانكار : وللشعر مؤتمر ؟ ولم لا ؟ فالمؤتمرات فى بلادنا كادت تصبح خبزا يوميا ؟ وهو أتجاه طيب ، حتى لو

أسرفنا فيه بعض الشيء ، فنحن نحضر العالم الى بلادنا بدلا من أن نذهب نحن الى العالم ، والمهتمون منا بعضهم أو أكثرهم لايملك أجرة السفر ، وبالنسبة للمدعوين الذين يحضر أكثرهم على حسابهم ، هى أجازة من عملهم ، وسياحة فى مصر بلد السياحة ، والسياحة الآن فى أزمة ، ومصاريف إقامتهم أيام المؤتمر ليست بالعبء الكبير ، وهى على كل حال "منا فينا" ، والمصاريف الادارية شيء هين ، وكثيرا ما تتحملها معنا أو عنا منظمات دولية .. الخ الخ . الخ .

لا أنكر من هذه المؤتمرات الدولية شيئا إلا أنها دولية جدا . هناك مشكلات عالمية مثل أمراض القلب والجهاز الهضمى ، وهناك مشكلات محلية أو إقليمية وأخرى ، تكاد تكون خاصة بالعالم الثالث . ومعظم مؤتمراتنا من النوع الأول . فمشكلات التعليم والتصنيع وزراعة الصحراء ـ مثلا ـ لا تبحث بحثا كافيا فى مؤتمرات محلية أو إقليمية أو عالمية ، توظف الخبرات الوطنية والأجنبية للمساعدة فى حل مشكلاتنا المستعصية .

● الثقافة فى عالمنا

ولكن الثقافة ـ ومنها الشعر ـ وطنية وعالمية فى الوقت نفسه . الثقافة العالمية تغنى بالمساهمات الوطنية ، كما تغنى الثقافة الوطنية وتعمق باتصالها بالثقافة العالمية . المسألة ـ إذن ـ بالنسبة لنا محلولة ، وتبقى القضية منحصرة فى تنظيم هذا الاتصال .

وهل من الضرورى تنظيم هذا الاتصال ؟ أسأل نفسى . الثقافة العالمية كلأ مباح ، وموارد كثيرة ليس عليها حراس . إذا طاب لك شيء منها ووافق معدتك فهو مايصح به جسمك ويذكو ، وإذا لم تستسغ بعضها فلا حاجة لك به . هكذا تعرفنا إلى الثقافة العالمية فى عالمنا العربى ، وهكذا الحال ـ كما أحسب ـ فى سائر أقطار العالم الثالث .

إذا كنا بلادا نامية حقا كما يصفوننا . فنحن نبنى حضارة أو حضارات جديدة ، يمكن أن تكون مختلفة عن حضارة الغرب أو حضاراته . ولذلك يجب علينا أن نتخير من الثقافة الغربية بملء رغبتنا وإرادتنا . الموقف بالنسبة الى الثقافة ـ أو الثقافات ـ الغربية مختلط . هم أصحاب ثقافات متطورة ـ أو فوق المتطورة ـ فهم يفيضون علينا بما عندهم ، كما يفيض البحر على السهول الواطئة من حوله حتى تتحول الى بحيرات ضحلة ، وهم من جهة أخرى يعتصرون طفولتنا ليجددوا شبابهم بدمائنا . ليست هذه مبالغة بيانية . هذا ما تصنعه الثقافة الغربية بأدب أمريكا اللاتينية وبالأدب الافريقى فى هذه الأيام . ولا أقول هذا عن كراهية أو تعصب ، ولكننى أتساءل فقط : هل هذا هو الاصلح لمستقبل البشرية ، أم أن تبنى الأمم التى يسمونها "نامية" حضارة جديدة

القفز على الاشواك

أو حضارات جديدة ، لعالم جديد حقا ، يمكن أن يشمل أوربا جديدة وأمريكا جديدة ؟
كلام غريب ؟ ولكنه منطق التاريخ !
إنما الصعوبة ، فى هذا العصر بالذات ، أن الغرب قوى جدا ، والعالم النامى ، كما يسمونه ، ضعيف جدا . ولذلك فامتصاص الأول لدماء الثانى يجرى بسرعة اكبر من ترعرع الثانى على كلا الأول وموارد الأول . ولا بد أن تنعكس هذه النسبة ، فلا يكفى أن تعتدل .

هناك صلة عميقة بين مؤتمر الشعراء الذى تنظمه هيئة ما فى كاليفورنيا وبين صراع الدول الغربية المتقدمة حول استغلال ـ بل استنزاف موارد القارة القطبية الجنوبية . احتواء ثم امتصاص : هذا يمتص طاقة العالم المادية المذخورة ، وذاك يمتص طاقته الروحية المتجددة .

بدأت الجلسة بعد موعدها المقرر بأكثر من نصف ساعة . الموضوع لعلك تذكر ـ ترجمة الشعر ، والمتحدثون ـ كما ورد فى البرنامج : الدكتور عبد القادر القط ، والدكتورة هدى وصفى ، والدكتور محمد عنانى ، والناقد السعودى عابد الخازندار . ما اجدرهم جميعا ـ بعلمهم وخبرتهم ـ أن يقولوا كلاما مفيدا عن ترجمة الشعر ، وقد قالوا بالفعل كلاما مفيدا وجديدا . فإلى جانب الدفاع عن "مشروعية" ترجمة الشعر وعرض بعض مشكلاتها ، وإلى جانب الاعتراف بأن ترجمة الشعر لاتعد "ترجمة" بالمعنى الصحيح إلا إذا عنيت بالصياغة اللغوية فى الاصل وحاولت ان تقدم مقابلا أو بديلا لها أو على الاقل ان تقترب منها ـ وهذه قضايا يسهل الاتفاق عليها ـ فقد نبهت كلماتهم الى حقائق مهمة قد نميل إلى تجاهلها ومن ثم إلى تناسي المشكلات التى تنطوى عليها . فى مقدمة هذه الحقائق ارتباط حركة الشعر الحر بترجمة الشعر ، فقالب القصيدة التقليدية كان يجر الشاعر الى انماط لغوية محفوظة تشوه فردية التعبير وخصوصيته . وهذه ملاحظة مهمة تثبت ان حركة الشعر الحر كانت ضرورة تاريخية لازمة لتطور الشعر العربى ، وان كان من الجائز ان تنقضى بانقضاء وظيفتها . على أنها تسلم إلى ملاحظة اخرى لاتقل اهمية ، وهى ان الشاعر الذى يفكر بلغة غير اللغة التى ينظم بها يكون أقل تعرضا للوقوع فى أسر القوالب اللغوية الجاهزة ، وإن كان من الجائز ايضا ان تقتحم لغته تعبيرات تفوح منها رائحة العجمة .

هاتان الملاحظتان أعادتانى بسرعة الى المشكلة التى شغلتنى منذ اللحظة التى عرفت فيها ماعرفت عن مؤتمر الشعراء هذا . أعنى مشكلة العلاقة غير المتوازنة بين

ثقافتنا وثقافة الغرب . بل كانت المفاجأة هنا أقوى من كل مفاجأة سابقة أو لاحقة . فقد تبين لى أن الشعر بالذات يلخص هذه العلاقة ـ ولا أقول يرمز لها ـ أكثر من أى شىء آخر . بل إن دلالته تتجاوز الثقافة بمعناها الخاص الذى ينحصر عادة فى المعارف والفنون الى المعنى الأعم الذى يشمل أسلوب الحياة فى جميع وجوهها ، والذى نعبر عنه عادة بكلمة الحضارة . فما هى مشكلتنا الحضارية بالضبط ؟ مشكلتنا هى أننا لم نعرف بعد كيف نوفق بين الأهداف والوسائل ، بين الأغراض والادوات . هل كل الأجهزة التى نستوردها من الغرب ـ والديون التى نستدينها ـ تحقق لنا غرضا حقيقيا ؟ هل ثمة أغراض مكبوتة فى نفوسنا ، أو فى مجتمعاتنا ، لأننا لم نهتد بعد الى الأدوات الكفيلة بتحقيقها ؟ أليست هذه هى مشكلتنا الأساسية ؟ أليست مشكلة الشاعر الأساسية أيضا هى أن يجعل لغته موافقة تماما لما تجيش به نفسه ؟

يمكننى أن استنتج من هذا ان مشكلتنا الحضارية سوف تحل عندما يظهر بيننا الشاعر الحقيقى ، بل لن تحل إلا بظهور هذا الشاعر !

ومن يدرى ؟ لعله موجود بالفعل . لعل شعره مطبوع ومعروف ولكنه غارق فى سيل من الغثاء ! أنا لا أريد أن أعقد لواء الزعامة لأحد ، ظاهر أو مستتر فى ضمير الغيب ، إنما أريد أن أعقد لواء الزعامة فى المجتمع كله ، لا فى الشعر فحسب ، للشعر الصحيح .



كنت منتشيا بهذه الفكرة عندما فتحت الباب للأسئلة والمداخلات . وإذا بورقة مكتوبة بالانجليزية بخط سريع قد وضعت أمامى . وكانت الورقة تقول أن هناك متحدثين آخرين : الدكتور نيل هنرى لورنس من اليابان ، والدكتور وامو سوترامن من الهند . والتوقيع : روزمارى وتحت التوقيع سطر آخر وتحت السطر خط . بعد ذلك أدعى أنا لأكون آخر المتكلمين . ملت على الدكتور عبد القادر القط ، وكان من حسن حظى أنه جالس بجوارى ، وسألته : من تكون روزمارى ، فإنى لم أتبين من الحروف التى ذيلت بها توقيعها إلا أنها سكرتيرة شىء ما . قال : هى سكرتيرة الأكاديمية المنظمة لهذا المؤتمر . قلت مستوضحا : يعنى أصحاب الشغل ؟ قال : نعم . قلت . يحق لها . وقلت فى نفسى : على كل حال قد فتحنا الباب للمداخلات ، فلنقدمهما كمتحدثين . ولكن لابد أن أشرك الجمهور معى فى هذه المفاجأة . فأعلنت : علمت الآن أن هنا متحدثين قدما متأخرين فيما يبدو ، فلم يتيسر إدراج اسميهما فى البرنامج ، أرجو أن نستمع لهما ، تبينت بعد ذلك أن الدكتور لورنس قد أدرج اسمه فى الأمسية الشعرية الأولى على انه شاعر من أمريكا . أما حين تكلم الآن فإننا لم نستطع أن نتبين من إلقائه إن كان أمريكيا أو يابانيا أو غير ذلك ، لأن صوته لم يكن مسموعا رغم المكروفون . وتلاه الدكتور سوترامن وكانت معه نسخ مطبوعة من كلمته

التفز على الاشواك

التى كانت تعريفا بالشعر التاميلى ، وبدلا من أن يقرأ النماذج الشعرية المترجمة راح ينشد الشعر التاميلى إنشادا يشبه الغناء ، فكان بعد زميله الأمريكى اليابانى كما الليل والنهار ، أو كما الماء والنار شكرته باسم الجمهور الذى أصبحت واحدا منه ، فقد أنتقلت إدارة الجلسة الى الجناح الأيمن حيث جلست السيدة روزمارى . مال على الدكتور عبد القادر القط وقال : أبطلت الجلسة . قلت سأظل اتحدث باسم الجمهور ، ألقت السيدة روزمارى الخطبة المعهودة فى الثناء على كرم الضيافة وعلى الجهود التى بذلت لانجاح المؤتمر ثم أعلنت أن الدكتور سمير سرحان أصبح منذ الآن عضوا فى اللجنة الدائمة للمؤتمر ، ثم رفعت بين يديها علبة مكسوة بالقطيفة وفيها شىء يلمع . وتقدم شخص طويل القامة خمنت انه ينوب عن الدكتور سمير سرحان فى استلام العلبة فإذا به يقبل هذا الشىء اللامع ثم لايعود من حيث أتى - ولا أدرى من أين أتى - بل يتجه الى الركن الايسر ويشرع فى إنشاد قصيدة طويلة ويبث فيها أشجانه لأن الناس فى بلده لايقدرون شعره كما ينبغى .

كنت قد رايته ، قبل أن يقف هذا الموقف ، يحيى الدكتور عبد القادر القط باعتباره استاذه ، فسألت الدكتور عبد القادر : من هذا ؟ .

قال : هو الملحق الثقافى الذى اقترح فى ختام المؤتمر الهندى السابق أن يعقد مؤتمرنا هذا . فرايت من المناسب أن أعلق على قصيدته بكلمة اواسيه فيها ، ثم رجوت الجمهور ألا يدهش لشىء من المفاجآت التى نراها ، فنحن فى الجلسة الختامية ، وللجلسة الختامية جانبها الاحتفالى .

ولم أكد انتهى حتى ارتفع صوت من أقصى اليسار ، فهمت بعد لأى أنه يمثل الحكومة التركية فى هذا العرض الثقافى ، وأنه يستضيف المؤتمر القادم فى اسطنبول .

وعلى هذا انتهت الجلسة . ولكن الغريب أن المؤتمر لم ينته ، فقد شاهدت الدكتور سمير سرحان على شاشة التليفزيون ، مساء ذلك اليوم نفسه ، يختم الأمسية الشعرية الاخيرة معلنا بيان الشعراء المؤتمرين .

فيا معشر الشعراء العرب ، كل مؤتمر من مؤتمراتكم وانتم بخير ، لن تغيبوا عنا طويلا ، سنراكم إن شاء الله فى معرض القاهرة الدولى للكتاب ، انتم الناس أيها الشعراء ، فما سميتم شعراء إلا لأنكم تشعرون بما لايشعر به غيركم ، وتقولون مالا يستطيع غيركم أن يقوله .

اقــــوال

كانت معاصرة


نجيب محفوظ


نوبار باشا


الشيخ محمد عبده


اوسكار وايلد

"وافة حارتنا النسيان"

نجيب محفوظ

● ابواب مصر فتحت للرخاء الاوروبى بفضل محمد على الكبير

● **نوبار باشا رئيس وزراء مصر**

● لاسبيل الى تربية امة فشا فيها تعدد الزوجات .

● **الشيخ محمد عبده**

● استطيع ان اقاوم اى شىء فيما عدا الاغراء .

● **اوسكار وايلد**

● الخطيئة الكبرى هى اللامبالاة ، انها جوهر اللاانسانية

● **چورج برنارد شو**

● الاقلية دائما على حق

● **هنريك ابسن**

● أود لو استطيع ايقاف عقارب الساعة

● **انطون تشيخوف**

● لست مع المؤسسات ولا ضدها

● **الشاعر الامريكى والت ويتمان**

● ازمنة البطولة ذهبت دون رجعة

● **السياسى الفرنسى ليون جامبيتا**

● الكلاسيك شىء ما ، لا احد الا ويريد ان يكون قد قرأه. ولا احد يريد قراءته"

● **مارك توين**

● العلم لايعدو ان يكون بديهيات مدربة ومنظمة

● **العالم الانجليزى ت . هـ . هكسلى**

● الدموع تتساقط فى قلبى كما تتساقط الامطار على المدينة

● **الشاعر الفرنسى بول فيرلين**

١٨٩٢ يوم صدر الهلال

العرب والعالم عند صدور « الهلال »

بقلم : د. رءوف عباس

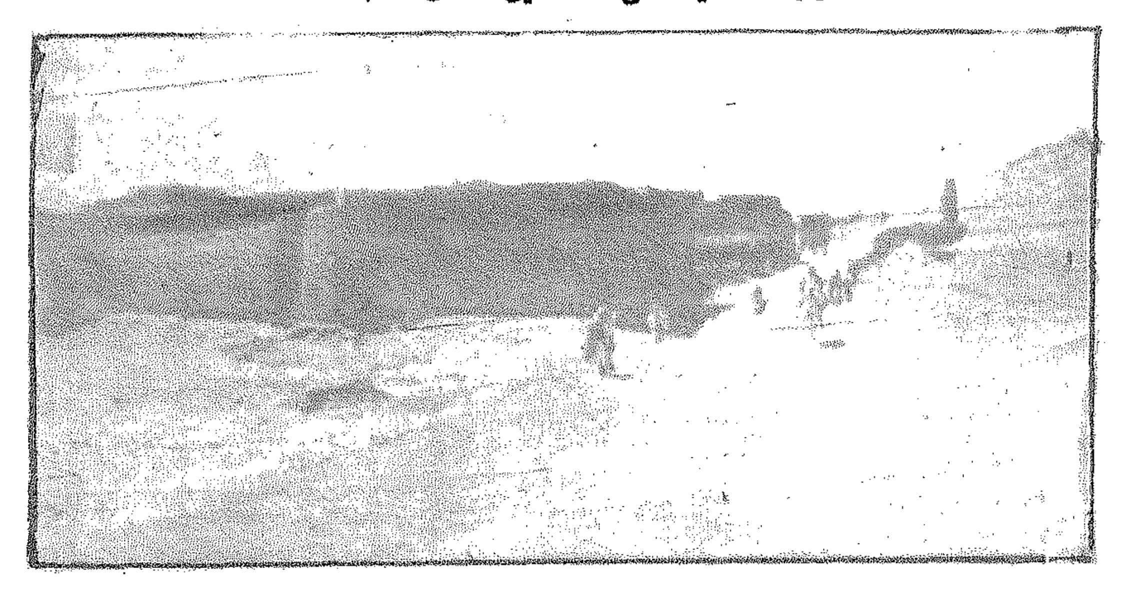
عندما صدرت الهلال عام ١٨٩٢ ، كان العالم العربي ـ من الخليج إلى المحيط ـ يسكنه نحو ٣٦ مليونا من البشر ، وهو رقم توصل إليه الباحثون من حاصل جمع أرقام احصائية على درجات متفاوتة من الدقة تتعلق بمصر ، وسوريا (الطبيعية) والعراق ، وفلسطين ، وتونس ، والجزائر ، وارقام اخرى تقديرية تتعلق بالمغرب (مراكش) وليبيا ، والجزيرة العربية ، والسودان .

وبين هذه الملايين الستة والثلاثين من سكان العالم العربي ، كان هناك نحو المليون من الأجانب الاوربيين وغير الأوربيين الذين وفدوا إلى العالم العربي للاستيطان (مثلما كانت عليه الحال فى فلسطين والجزائر) أو للعمل والتجارة كحالة مصر وسوريا والمغرب . ولعل من الطريف ان نصحبك ـ عزيزى القارىء ـ فى رحلة الى الماضى لنتعرف معا على أحوال أجدادنا الذين كان من بينهم القراء الأوائل « للهلال » عند صدورها ، ولنقف على احوال المجتمع العربى الاقتصادية والاجتماعية فى مطلع العقد الاخير من القرن الماضى ، ونحاول تحديد مكانه فى العالم عندئذ .

والعقد الأخير من القرن التاسع عشر يمثل ذروة الهيمنة الاوربية على العالم العربى ، ففى المشرق ، كانت بريطانيا قد وطدت اقدامها فى الخليج العربى لأهميته الاستراتيجية ـ عندئذ ـ كخط دفاع عن امبراطوريتها فى الهند وذلك قبل أن يكتشف البترول بزمن بعيد ، وراحت تؤمن وجودها فى الخليج بالتدخل فى ايران والعراق من خلال الاستثمارات المالية ذات الطابع الاستراتيجى مثل شركة لنج



وجه الحياة فى فلسطين خلال عام ١٨٩٢



الشارع الرئيسى فى مدينة الرياض قبل البترول

للملاحة النهرية فى العراق ، بينما راحت فرنسا تبنى مصالحها الاقتصادية الاستراتيجية فى سوريا الطبيعية عامة ولبنان خاصة ، وبدأ أخطبوط الصهيونية يمد أذرعه لتطويق فلسطين ، ووقعت مصر تحت الاحتلال البريطانى منذ عام ١٨٨٢ . أما فى المغرب العربى ، فكانت الجزائر أولى ضحايا الاستعمار الفرنسى (١٨٣٠) تلتها تونس التى فرضت عليها الحماية الفرنسية (١٨٨١) بينما كانت



ايطاليا لاتزال فى مرحلة التربص بليبيا ، وبدأت الاستثمارات الأجنبية تمهد للسيطرة الأوربية فى مراكش (المغرب) . فنحن ـ اذن ـ أمام مجتمع عربى يعانى من التمزق والسيطرة الأجنبية مما ينعكس سلبيا على أحواله الاقتصادية والاجتماعية .

● استقرار الملكية الفردية

وفيما يتعلق بالواقع الاقتصادى للمجتمع العربى شهد العقد الأخير من القرن الماضى استقرار الملكية الفردية للأراضى الزراعية ـ أداة الأنتاج فى مجتمع يغلب على نشاطه الاقتصادى الزراعة ـ بعد أن كانت فى العقود الأولى من القرن ملكا للدولة أو مشاعا للقبيلة أو القرية حسب تفاوت الظروف السائدة ـ عندئذ ـ فى المجتمع العربى هنا وهناك .

وقد تم هذا التطور القانونى الهام فى إطار رغبة الدولة فى التمهيد لتطور رأسمالى ـ كما فى حالة مصر والهلال الخصيب وتونس والجزائر ـ إلى جانب ضغوط الدول الأوربية على الحكام لإحداث هذا التطور حرصا من تلك القوى الأجنبية على كف يد الدولة عن ادارة وتوجيه الاقتصاد ، وترويجا لفكرة الحرية الاقتصادية التي كانت كلمة حق قصد بها باطل ، إذ رمت من ورائها القوى الأجنبية

ـ شط الجزيرة العربية في اواخر القرن ١٩

إلى احكام قبضتها على السوق الوطنية العربية وتحويلها إلى سوق تابعة من خلال آليات التمويل والتسويق والائتمان .

وترتب على استقرار الملكية الفردية للأراضى الزراعية تفكك مجتمع القرية والقبيلة - تدريجيا - وغياب روح التضامن التى كانت سائدة بين السكان . وساهم فى هذه الظاهرة بشكل خاص تركز الملكيات الزراعية فى أيدى النخبة الاجتماعية الحاكمة وأعيان الريف وشيوخ القبائل ، وتحول بقية أفراد مجتمع القرية أو القبيلة إلى مزارعين أجراء عند المالك الكبير ، إن شاء أبقى عليهمَ فى أرضه وان أراد استغنى عن خدمات بعضهم ليجدوا أنفسهم ملفوظين خارج الريف يحومون حول المدن طلبا للقمة العيش . وحتى الملاك الصغار والمتوسطون عجزوا - فى أغلب الأحوال - عن مواجهة تقلبات السوق التى أصبحوا ضحايا لها ، وكذلك ندرة التمويل ففقدوا أراضيهم لصالح المرابين الذين كانوا - غالبا - من الأجانب أو أبناء بعض طوائف الأقليات . كذلك أدت الزيادة المطردة للسكان إلى تناقص شرائح الملاك الصغار والمتوسطين على وجه العموم وتضخم شريحة كبار الملاك ، وهى ظاهرة انتشرت - عندئذ - فى مصر والجزائر وتونس والعراق وسوريا .

● التغيرات الاقتصادية

ومع تحول الوضع القانونى للأراضى الزراعية إلى الملكية الفردية وغياب مصادر الائتمان الوطنية ، أعتمد الملاك

- الشيخ المبارك الكويتى (في الوسط) واسرته - صورة من مطلع القرن





على المموِّلين الأجانب والمرابين الأجانب والمحليين على حد سواء لتغطية تكاليف الانتاج ، ولما كان هؤلاء تجارا فقد تركز الاهتمام على انتاج المحاصيل النقدية لخدمة سوق التصدير : كالقطن (مصر وسوريا) والدخان والأفيون (سوريا ولبنان) والكروم والفواكه المجففة (سوريا ولبنان والجزائر) والغلال والموالح (فلسطين) والحرير (لبنان) ومع التوسع فى انتاج هذه المحاصيل النقدية وغيرها من المحاصيل الأخرى التى يزداد الطلب عليها فى الأسواق الخارجية ، أخذت تقل تدريجيا مساحة انتاج المحاصيل الغذائية ، وبدأت تتدفق واردات الغلال على العالم العربى من روسيا ورومانيا وغيرهما من البلاد الاوربية .

واتجهت الاستثمارات الحكومية فى قطاع الزراعة إلى تحسين نظام الرى وتطويره بشق القنوات واقامة القناطر والخزانات لتحقيق الرى الدائم وزيادة الانتاج الزراعى . فكانت مشروعات الرى تتم على نطاق واسع فى مصر ونطاق

خريطة تصور الامبراطورية العثمانية فى نهاية القرن التاسع عشر



ـ اشعال مصابيح الاضاءة صورة عرفها الناس في مصر والعالم في اوائل القرن

مجدود فى العراق ، فضلا عن مشروعات الرى بشمال افريقيا .

وهكذا شهد الانتاج الزراعى توسعا راسيا وافقيا فى مصر والجزائر استجابة للطلب المتزايد فى الأسواق الخارجية ، وكذلك كان هناك توسع فى انتاج الحرير فى لبنان والغلال فى



اول صورة فوتوغرافية التقطت لاهرام سقارة

فلسطين ، وكان التوسع فى انتاج القطن فى مصر على حساب انتاج القمح .

وجاءت رءوس الأموال التى استثمرت فى مشروعات البنية الأساسية والتوسع فى الانتاج الزراعى من الدول الأوربية الكبرى : بريطانيا ، وفرنسا ، والمانيا ، وغيرها من بلاد أوربا الرأسمالية واتخذت صورة الديون الحكومية ، حيث كان نحو نصف الاستثمارات الأوربية فى العالم العربى ديونا حكومية على مصر وتونس ، الى جانب الاستثمارات المباشرة فى الشركات التجارية والزراعية والبنوك ومشروعات المرافق العامة فى المدن الكبرى (الغاز والمياه ثم الكهرباء فيما بعد) ومشروعات النقل (السكك الحديدية فى سوريا ، والنقل البحرى بالسفن التجارية) .

ومع حلول التسعينات من القرن الماضى زادت الاستثمارات الأوربية فى قطاع تجارة الصادرات والواردات وجاء

العرب والعالم

توزيعها حسب مناطق الهيمنة الأوربية ، فانفردت الشركات البريطانية بمصر والعراق ، والفرنسية بسوريا وشمال إفريقيا على سبيل المثال . وتركزت الشركات التجارية الأوربية بالموانىء والمدن الرئيسية مثل الاسكندرية والقاهرة وبيروت وتونس والجزائر والبصرة وبغداد ودمشق . أما فى المغرب العربى (تونس والجزائر) فكانت لتلك الشركات فروع تعمل داخل البلاد . وإلى جانب موظفيها من الأوربيين كانت تلك الشركات تستخدم أبناء الأقليات العرقية والدينية لاتقانهم للغات الأجنبية كالأرمن واليونانيين واليهود ومسيحيي سوريا ولبنان . ولعب بعض تجار هذه الأقليات دور الوساطة والوكالة التجارية للشركات الأوربية داخل بلادهم قانعين بهذا الدور المحدود . أما التجار المحليون العرب فاقتصر دورهم على التجارة الداخلية على نطاق محدود .

ووفرت البنوك الأجنبية التى أخذت فى الانتشار بالعالم العربى مع حلول عقد التسعينات من القرن الماضى مصادر الائتمان لهذه الشركات فى مصر والجزائر وتونس ولبنان والعراق ، فضلا عن بنوك



- الحائكة مهنة جديدة للمرأة في نهاية القرن ١٩



ممثلة الهوى . مهنة قديمة للمرأة [illegible] في نهاية القرن ١٩

الرهن العقارى التى لعبت دورا هاما فى تركيز الملكيات الزراعية بأيدى كبار الملاك فى كل من مصر والجزائر وفلسطين .

ووجد رأس المال الأجنبى المستثمر فى الشركات والبنوك والقروض الحكومية وعلى النطاق الفردى الحماية التامة تحت مظلة الامتيازات الأجنبية التى غطت الامبراطورية العثمانية بما فى ذلك العالم العربى باستثناء مراكش (المغرب) التى أعطى حكامها هذه الامتيازات لرأس المال الأجنبى فى وقت متأخر نسبيا . وبذلك تمتعت رؤوس الأموال الأجنبية بحماية قوانين بلادها عند الاحتكام فى الخصومات التي تنشأ عن معاملاتها فى الأقطار العربية أو للهيئات القضائية الدولية التى نشأت عن هذه الامتيازات (كالمحاكم المختلطة فى مصر) كما كانت تلك المؤسسات التجارية والمالية الأوربية التى اعتصرت عائد الأنتاج القومى العربى وصبته فى خزائن بنوك بلادها وحرمت الوطن العربى من فوائضه المالية التى لاتخضع للضرائب المحلية .

ومع ازدياد تبعية الاقتصاد العربى للسوق الأوربية الخارجية شهد قطاع النقل تطورا كبيرا وخاصة النقل البحرى بالسفن التجارية بين موانىء مصر وسوريا والعراق والمغرب العربى والموانى الأوربية عامة والبريطانية والفرنسية

— مكة وجه المديد فى عام ١٨٨٦



خاصة ، وانتعشت وتطورت الموانى القديمة وانشئت موانى جديدة مثل بورسعيد والسويس وتونس وبينزرت وعدن وسوسة وبورسودان وتوسعت موانى بيروت والاسكندرية .

كذلك برز الاهتمام بالملاحة النهرية التجارية فى النيل وأنهار العراق .

وكانت السكك الحديدية فى مصر قد سبقت الكثير من اقطار أوربا من حيث النشأة وامتداد الخطوط لربط البلاد بالمراكز التجارية وموانى التصدير كما مدت الخطوط الحديدية فى الجزائر وتونس بعد مصر بعقدين من الزمان وتأخرت مشروعات السكك الحديدية في سوريا إلى

شلطان عمان .. والد السلطان قابوس



عام ١٨٩٤ وتلاه مشروع سكك حديد بغداد . وتم بناء شبكة طرق فى الجزائر لأسباب استراتيجية واقتصادية ، وفى لبنان لأسباب اقتصادية وكذلك فى مصر (شبكة الطرق الزراعية) مع حلول التسعينات . وكانت خدمة البرق (التلغراف) أسبق مشروعات المواصلات تغطية للعالم العربى كله منذ الستينات من القرن الماضى .

وعند مطلع التسعينات من القرن التاسع عشر كان هناك مئات الآلاف من الفرنسيين والايطاليين والأسبان الذين وفدوا على الجزائر وتونس للعمل فى المشروعات التى أوجدها التوسع المالى والسياسى الفرنسى هناك . كذلك وفد إلى مصر عشرات الألوف من الايطاليين واليونانيين والفرنسيين والانجليز والأرمن للعمل بمختلف الشركات التى اقامتها رءوس الاموال الاجنبية فى مصر ، واشتغل بعضهم بخدمة الحكومة والمؤسسات الأوربية (المحاكم المختلطة ، وصندوق الدين) فضلا عن تدفق الهجرات الأولى من اليهود إلى فلسطين والتى بدأت مع مطلع الثمانينات ، وبلغ عدد المهاجرين اليهود نحو خمسين ألفا عند مطلع التسعينات .

وإضافة إلى التاثيرات السلبية لهذه العمالة الاوربية المهاجرة والمستوطنة على سوق العمل فى البلاد العربية ـ عندئذ ـ عانى ابناء البلاد من الارتفاع المطرد للأسعار وتكاليف المعيشة فى وقت شهدت فيه البلاد العربية كسادا اقتصاديا مع حلول التسعينات انعكاسا لأزمة النظام الرأسمالى العالمى عندئذ ، فضلا عن ظاهرة انخفاض مؤشرات أسعار الصادرات التى تحكمت فيها وحددتها

الشركات التجارية الأوربية ، وازدياد مؤشرات اسعار الواردات رغم أنها لاتخضع إلا لضرائب جمركية هزيلة . وكان لتلك الظاهرة نتيجتان سلبيتان : احداهما ، تغطية العجز عن طريق تصدير الذهب ، وثانيتهما ، معاناة الفقراء من أصحاب الدخول الثابتة - وهم أغلبية سكان العالم العربى - من ارتفاع تكاليف المعيشة . أضف إلى ذلك اضمحلال الصناعات الحرفية فى مواجهة تدفق المصنوعات الأوربية الأجود على الأسواق العربية وتغير الطلب على المصنوعات الحرفية الوطنية بسبب تغير أذواق المستهلكين واقبالهم على السلع الأوربية ، وهى ظاهرة شاعت فى مصر وسوريا والعراق والجزائر وتونس ، ومراكش (المغرب)

واستتبع ذلك هبوط نصيب الفرد من الدخل القومى ، فاذا أضفنا لذلك سوء توزيع فائض الأنتاج بين المواطنين واستئثار النخبة المحدودة (دون الواحد بالمائة على مستوى الأقطار العربية كلها) بالقسط الأكبر من الفائض ، وكانت نخبة أجنبية (تونس ، الجزائر ، فلسطين) ومحلية فى باقى الأقطار العربية ، لاستطعنا أن ندرك مدى بشاعة الفقر وانتشاره فى عالمنا العربى عند مطلع تسعينات القرن الماضى ، فكانت هناك شريحة قليلة العدد وافرة الثراء من المحظوظين الذين ملكوا أداة الأنتاج (كبار الملاك) وقاعدة عريضة من الفلاحين أو البدو الفقراء ، وإلى جانب هؤلاء وأولئك نفر من المشتغلين بالوساطة التجارية وأعمال الوكالة للشركات الاجنبية ينتمون - فى الغالب - إلى الأقليات الدينية والعرقية .



- رقصة الشارلستون . اشهر الرقصات الاوربية في نهاية القرن ١٩

ومع ادخال التشريعات الحديثة التى صيغت على نمط التشريعات الأوربية واستلهمت - فى الغالب - القوانين الفرنسية (قانون نابليون على وجه الخصوص) واقامة المحاكم الحديثة ، وانشاء نظم التعليم الحديث ، خلقت ازدواجية أثمرت انقسام الرأى العام المثقف (فى مجتمع زادت فيه الأمية عن ٩٠ ٪ عندئذ) فقد أبقيت المحاكم الشرعية لتقضى فى المسائل الخاصة بالأحوال الشخصية والمعاملات ، كما



ابقيت نظم التعليم التقليدية الاسلامية ، وإلى جانب ماترتب على ذلك من تنافر بين الثقافتين التقليدية والحديثة بدلا من (تحديث) الثقافة الاسلامية العربية ، تأثرت المكانة التقليدية للعلماء وظهرت شريحة اجتماعية جديدة من الموظفين وأصحاب المهن الحرة كالأطباء والمهندسين والمحامين .. الخ كان لها اثرها في تبني الاتجاهات والتيارات الاصلاحية التي كانت « الهلال » من منابرها الأساسية .

● التسعينات والسباق العلمي

كان هذا شأن عالمنا العربي عند مطلع تسعينات القرن الماضي : نهبا للقوى الأوربية تتناهشه من كل جانب ، وهدفا للهيمنة الأجنبية تستشري فيه كالطاعون المهلك ، تنزح فائض الانتاج القومي وتصدره لبلادها وتحرم أبناء الأمة العربية منه إلا حفنة من أصحاب المصالح الذين ارتضوا لأنفسهم دور الشريك الصغير .

غير أن ذلك لايعني أن العالم العربي استسلم لمصيره دون مقاومة ، فقد قامت مع حلول التسعينات الارهاصات الأولى للعمل الوطني المتصدي للسيطرة الأجنبية في مصر وتونس والجزائر ، والمقاوم للاستبداد العثماني في المشرق العربي فكانت خميرة العمل القومي العربي الذي يبرز بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في عدد من الثورات الوطنية في مختلف الأقطار العربية .

أما عن العالم من حولنا عند صدور « الهلال » فكانت أوربا قد حققت تقدما كبيرا بعد استكمال نموها الرأسمالي ، ولايعني ذلك أوربا كلها وانما غرب أوربا تحديدا ، أما شرقها فقد بدأ مع مطلع التسعينات يسعى للحاق بالغرب ، وخاصة بلاد البلقان التي تخلصت من السيطرة العثمانية ، وكذلك روسيا . وبلغت نسب التعليم في غرب وجنوب أوربا مستوى أعلى كثيرا من أي منطقة أخرى في العالم ، وانعكس ذلك على التقدم العلمي والتقني ، واتجهت إلى التوسع الخارجي على حساب شعوب آسيا وافريقيا حتى طرقت أبواب العالم العربي وأقحمت نفسها عليه وفرضت سيطرتها على نحو ما رأينا .

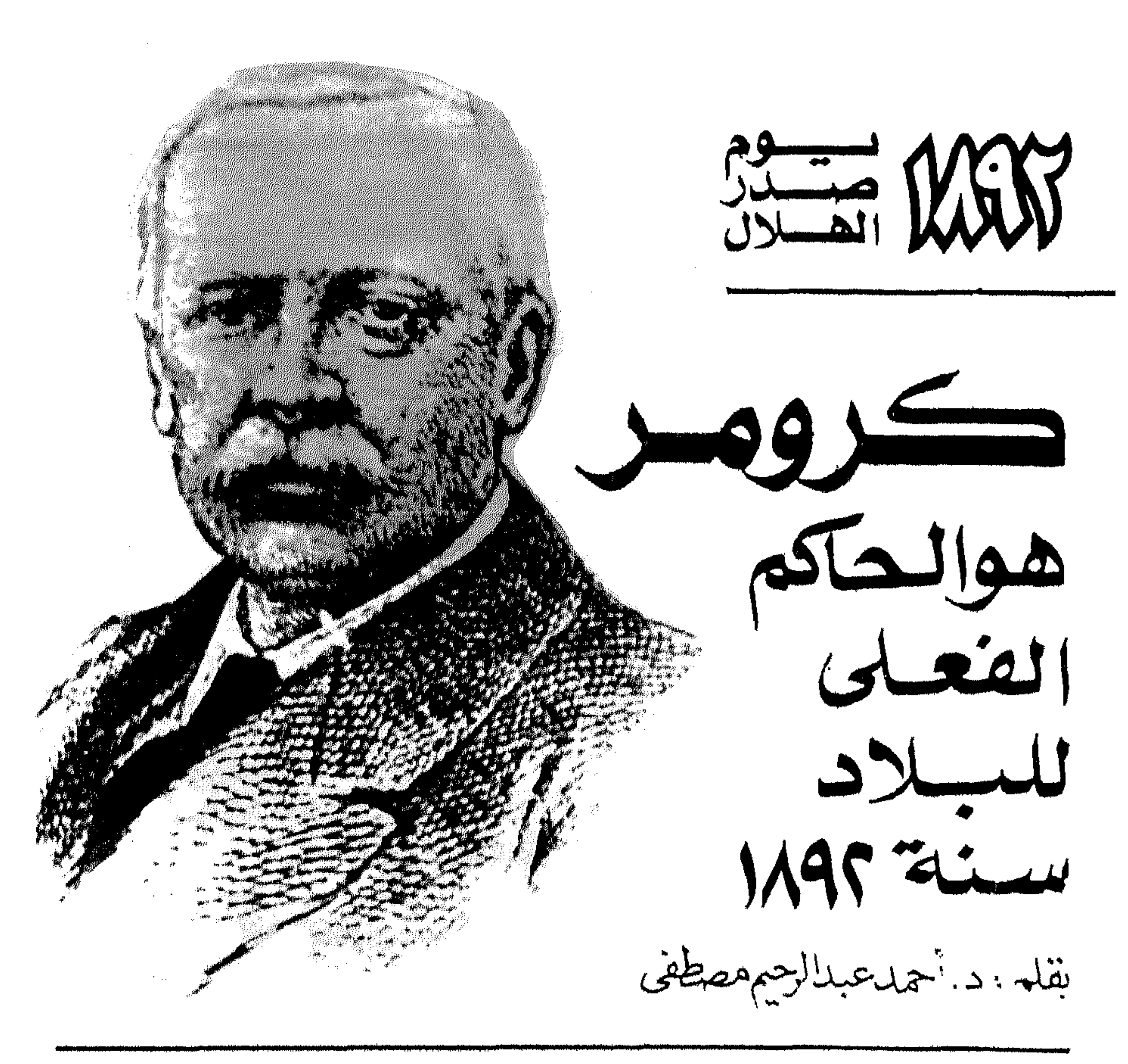
أما اليابان فكانت عند مطلع التسعينات قد استوعبت تماما ماتعلمته من الغرب فبنت قاعدة اقتصادية وطنية مستقلة ، واستطاعت أن تتخلص من قيود المعاهدات غير المتكافئة التي فرضت عليها في الخمسينات ودعم اقتصادها الوطني الاحتفاظ بالعادات الاستهلاكية التقليدية مما أدى إلى نمو الصناعات التقليدية وتطويرها بما يخدم حركة الطلب في السوق الوطنية ، وبذلك تجنب اليابانيون الوقوع في المأزق الذي وقع فيه العرب عندما تعاملوا مع الغرب كزبائن يشترون سلعة بينما تعامل معه اليابانيون كتلاميذ يقفون على أصول الصفة ويقتبسون منها مايفيدهم ويهملون مالا ينفعهم دون أن يغيروا كثيرا من انماط حياتهم وعاداتهم الاستهلاكية فضلا عن تمتع اليابان ـ عندئذ ـ بنسبة عالية من المتعلمين حيث بلغت نسبتهم في مطلع التسعينات نحو ٦٥ ٪ فساعدها ذلك على استيعاب التكنولوجيا الحديثة على حين كانت الأمية تقف سدا منيعا أمام العرب


- ميدان الشيخ الكويتي . كما التقطتها الكاميــرا في اوائـل القــرن العشرين

ولاتزال تشكل عقبة كئودا تعوق التقدم والتنمية .

أما الولايات المتحدة الامريكية فكانت عند تسعينات القرن الماضى - بعيدة عن التورط فى مشاكل العالم القديم ، سعيدة بمبدأ مونرو الذى جعل من أمريكا اللاتينية مجالا حيويا لمصالح الولايات المتحدة التى نصبت نفسها شرطيا يحمى أمريكا من الاوربيين ، وفى ظل هذه العزلة بنت الولايات المتحدة قاعدة اقتصادية ضخمة واستكملت بناء الاتحاد الفيدرالى بالتوسع غربا ، وتجاوزت ذكريات الحرب الأهلية ومشكلات « إعادة التنظيم » وتم نهوض الجنوب الجديد واكتمال الخطوط الحديدية العابرة للقارة والتوسع الصناعى الكبير وكذلك التوسع فى منطقتى الكاريبى والمحيط الهادى ، واعتراف الحكومة الفيدرالية بمسئوليتها الكاملة عن الاقتصاد القومى . وكان مقدرا للمشكلات التى برزت فى التسعينات ، وللآراء والنظريات الجديدة التى تبلورت لتفسيرها والتصدى لها ، أن تسيطر على المشهد الأمريكى لمدة نصف قرن آخر ، ونقصد بذلك مشكلات العزلة الدولية ، والتقلص الزراعى والنمو الحضرى ، ومشكلات صيانة الموارد الطبيعية ، ومشكلات « الترستات » والاحتكارات وخطر قيام صراع طبقى نتيجة التناقضات بين التقدم والفقر .

وبعد « عزيزى القارىء » دعنا نلقى عصا الترحال بعد أن وقفنا على واقع المجتمع العربى وابرز قوى عالمنا المعاصر عند مطلع التسعينات عندما صدرت « الهلال » ولعبت دور المنبر للفكر الاصلاحى ، ودور المجدد للفكر العربى . ولكن ترى وقد مضى على هذه الصورة التى رأيناها معا مايقرب من القرن .. هل تغير موقعنا تغيرا جذريا بين القوى العالمية الرئيسية . وهل أصبحنا نعد من مراكز التاثير فى عالمنا ؟ أم لازلنا نفتقر إلى المبادرة ونحاول اللحاق بركب التقدم الذى عجزنا عن اللحاق به منذ قرن مضى ؟!!



١٨٩٢ يوم صدر الهلال

كرومر هو الحاكم الفعلى للبلاد سنة ١٨٩٢

بقلم : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

ظهرت مجلة الهلال فى عام ١٨٩٢ وظلت تؤدى رسالتها فى خدمة الثقافة العربية حتى الوقت الحاضر وبذلك تكون أطول المجلات العربية الدورية عمراً، وقد صدرت « الهلال » بعد ان كانت مصر قد رزحت تحت الاحتلال البريطانى عقدا من الزمن ، وقد جاء هذا الاحتلال فى اعقاب الثورة العرابية التى اخمد انفاسها معلنا انه مؤقت وان يكن قد استمر اكثر من خمسين عاما ، وكان وضع مصر فى ظل الاحتلال معقدا : فكانت من الناحية القانونية تابعة للدولة العثمانية التى كانت تعتبر دولة الخلافة ، اما من الناحية الواقعية فكانت تحت حكم اقوى دولة استعمارية فى العالم لم تشا ان تضمها الى امبراطوريتها وذلك تحاشيا منها لاثارة الدول الكبرى الاخرى التى تعهدت لها انجلترا بانها ستجلو عن مصر بعد تثبيت سلطة الخديو واعادة الاستقرار الى البلاد .

ولما كان الاحتلال قد ابقى اسرة محمد على على رأس حكومة البلاد فقد قيد صلاحياتها بالمستشارين الذين اقحمهم على الوزارات وشلوا سلطة الوزراء . اما المعتمد البريطانى الذى لم يزد عن كونه ـ قانونا ـ قنصلا عاما لبلاده فى القاهرة فقد أصبح بالاستناد الى جيش الاحتلال الحاكم الفعلى للبلاد فتمتع بسلطة مطلقة بحيث لم تفلت من يديه شاردة ولا واردة من شئون مصر باستثناء الاوربيين الذين احتموا وراء الامتيازات الاجنبية .

● دكتاتورية كرومر

وكان اول معتمد بريطانى فى مصر هو السير افلن بيرنج (لورد كرومر فيما بعد) الذى حكم مصر لمدة ربع قرن بارح مصر بعدها تاركا سجلا حافلا اتخذه الانجليز دليلا على انسانية حكمهم وصوره كرومر فى كتابه « مصر الحديثة » بصورة رومانتيكية موهما قارئه بانه هو الذى خلق مصر بما فى ذلك من تجاهل لكل ما جد على البلاد منذ عصر محمد على واستمرت دكتاتورية كرومر كاملة فى عهد توفيق الذى كيل له المديح (لتعاونه) مع العهد الجديد وان كان هذا التعاون سلبيا بمعنى عدم محاولته اقامة العراقيل فى وجه ماسمى بسياسة الاصلاح وفى نفس العام الذى صدرت فيه مجلة الهلال تعدل الموقف الداخلى تماما بعد ان اعتلى عباس الثانى كرسى الخديوية عقب وفاة ابيه . وكان عباس لم يزل شابا غضا ليست له الخبرة الكافية بمجريات الامور وما ان تسلم مقاليد السلطة حتى سعى الى التمتع بها كاملة وتخطى ارادة المعتمد البريطانى . ولكن كرومر افهمه فى بداية حكمه من اين تهب رياح السلطة . وبالتالى استفحل العداء بين الطرفين وامتد الى فروع الادارة خاصة وان عباسا حظى بعطف الرأى العام عليه فى الوقت الذى حاول فيه الاحتماء بالدولة العثمانية من الانجليز ، مما كان له اثره فى توجيه الحركة الوطنية المصرية صوب حركة الجامعة الاسلامية التى تبناها السلطان عبد الحميد الثانى وكذلك فى سعى الخديو الى الاتصال ببقايا العرابيين والتحالف مع المد الوطنى الصاعد الذى شد فى ازره الاصطدام بين عباس والانجليز ـ وبالتالى فقد اتجهت الحركة الوطنية المصرية منذ تولية عباس الى اطراح موجة اليأس والتبلد التى خيمت على المصريين فى اعقاب موقعة التل الكبير .

● فصل العرب عن الاتراك

والوقت حينئذ وقت اشتعال القوميات فى اوربا وآسيا ، فعلى حين

كرومر هو الحاكم الفعلى للبلاد

ان الدول الغربية المتقدمة وجدت متنفسا عن قواها الوطنية المتزايدة فى حركة التوسع الاستعمارى شهدت اواخر القرن التاسع عشر اعظم توفيقات النزعة القومية فى المانيا وايطاليا اللتين توحدتا تحت بيتى هوهنزلرن وسافوى ، هذا الى جانب حركات الجامعات الجرمانية والسلافية والطورانية والاسلامية وانتفاضة اليابان واخذها باساليب التقدم الغربى ثم ظهورها طفرة واحدة فى عداد الدول العظمى وتفكير لفيف من الشباب الاتراك فى تقوية دولتهم بتحريرها من العناصر والمؤثرات غير التركية وربطها فى الوقت نفسه بالعنصر التركى خارج الدولة (مما عرف باسم حركة الجامعة الطورانية) وعلي حين

السلطان عبد الحميد



كان الاتحاديون (رجال جمعية الاتحاد والترقى) يتحدثون عن العصبة التركية التى نشأت فى الشام بوجه خاص وفى العراق جماعات تدعو الى الوحدة العربية وقد ساندت التيار القومى العربى فى لبنان فى البداية بعض المسيحيين المتصلين بالمبشرين الامريكان الذين وفدوا على لبنان منذ العشرينات من القرن التاسع عشر بهدف تنصير المسلمين والدروز واغراء المسيحيين المحليين بالانخراط فى صفوف الكنيسة المشيخية (البرسبتيرية) ولما ووجه المبشرون بمقاومة المسلمين والمسيحيين المحليين لنشاطاتهم التى لقيت مقاومة من جانب السلطات العثمانية انتقلوا الى بعث اللغة العربية وادابها والتغنى بامجاد العرب بهدف فصل العرب عن الترك واغرائهم بالاخذ بالاتجاه القومى العربى وهكذا تشكلت فى بيروت وغيرها جمعيات سرية اصدرت منشورات تندد بالحكم التركى وتدعو الى استقلال العرب .. وحين تطرق هذا الاتجاه الى سوريا واتسع نطاقه اصطنعت السلطات العثمانية الشدة مع القوميين مما ادى الى هجرة الكثيرين منهم الى اوربا وامريكا ومصر حيث واصلوا التنديد بحكم السلطان عبد الحميد واستبداده وحضوا على انسلاخ العرب عن الحكم العثمانى .. وكان رد السلطان عبد

الحميد على ذلك هو تقوية الدعاية للجامعة الاسلامية وادعاؤه بانه خليفة المسلمين وظل الله على الأرض وارساله مبعوثين الى شتى ارجاء العالم الاسلامى لتوطيد علاقاته مع سكانها واستعدائهم على الاوربيين الطامعين فى دار الاسلام وعلى الميشرين الذين مافتئوا يهاجمون الاسلام ويسعون الى تنصير المسلمين .

● الشوام في مصر

وفتح كرومر ابواب مصر امام الشوام الفارين من بطش السلطان عبد الحميد ومنهم عبد الرحمن الكواكبى الذى ندد بالاستبداد فى كتابه « طبائع الاستبداد » وروج لوحدة عربية ـ اسلامية فى كتابه « ام القرى » كما وفد على مصر كثير من المسيحيين الشوام الذين كان بعضهم قد تلقوا تعليمهم فى مدارس الارساليات الاجنبية حيث اتقنوا اللغتين الانجليزية والفرنسية مما اتاح لهم الاطلاع على النظريات والاداب التى ازدهرت فى الغرب وجعلت اوربا مثارا للاعجاب بدساتيرهم وافكارها ونظمها السياسية والتعليمية وبالحريات التى تمتع بها سكانها . وهكذا لعب الشوام المهاجرون الى مصر دورهم فى ازدهار الثقافة المصرية التى عرفت تشارلز



عباس حلمى الثانى

داروين ونيتشه واوجست كونت والقصاصين الروس والفابيين البريطانيين ودعاة المذهب النفعى وذلك بالاضافة الى الكتاب الفرنسيين فى عصر الاستنارة من امثال فولتير وروسو وكونديلك ومونتسكيو بالاضافة الى سيجموند فرويد وجوستاف لبون وغيرهم . ولما كان كرومر اميل الى حزب الاحرار فى بريطانيا فانه شجع عملية الالتقاء بالفكر الغربى على امل ان يخفف حدة عداء المصريين للاحتلال ، ومن ثم سماحه بقدر من حرية النشر وافساحه المجال لظهور الصحف والمجلات من كل لون ، خاصة وان ذلك كان يوفر متنفسا للتعبير ويطلعه على اتجاهات الرأى

العام . ونتيجة لكل هذا شهدت البلاد اتساعا فى قاعدة الحركة الفكرية واضطراد التأليف والترجمة عن المؤلفات الاوربية التى وجدت هوى لدى القلة المثقفة المعجبة بالغرب ، **واخذ المصريون من تلامذة محمد عبده والمسيحيون الشوام الذين تلقوا تعليما امريكيا او فرنسيا ينادون بان تطبيق العلم والثقافة الاوربية الحديثة على مجتمعهم بهدف اصلاحه شرط اساسى لاى تقدم سياسى ، وبالتالى اعتناقهم** المفهوم الاوربى العلمانى الخاص بالدولة القومية واحلالهم اياه محل الفكرة الدينية الخاصة بالجماعة ـ او الامة ـ فى الاسلام واخذهم عن الغرب التنظيمات الحزبية الحديثة وقضايا مناقشة السياسة العامة وضرورة قيام هيئة منتخبة ومسئولة واسس المسئولية السياسية وحقوق المواطن وواجباته فى دولة علمانية . ولما كان الاساس الثقافى الذى استند اليه هذا الاتجاه اللبرالى اوربيا فمن الطبيعى ان يكون زعماء هذا التطور السياسى فى مصر اقل عداء لبريطانيا من سابقيهم ـ ومعنى هذا ان الحركة الوطنية المصرية قد قبلت عن طيب خاطر تفوق الحضارة الغربية التى كان ثمة اعتراف عام بانها اكثر حضارات العالم تفوقا . لهذا صيغت قضية الاستقلال طبقا للافكار الاوربية ، فقيل ان مصر لن تتحول الى امة ذات طابع غربى بمعنى الكلمة الا اذا تحررت من السيطرة الاجنبية وحكمت نفسها فى ظل نظام سياسى لبرالى ، ديمقراطى ورضيت بالاخذ بقيم الحضارة الغربية التى تواضعت أغلبية المثقفين على تعريف معين لها : فاصبحت اوربا تعنى القيم التى خلعتها على نفسها او بالاحرى القيم التى خلعها عليها المفكرون الاحرار الغربيون فى القرن التاسع عشر ، ومن ثم قبول اسس الحضارة الغربية وسر تفوقها على الوجه التالى :

وجود الجماعة القومية التى تحكم نفسها بنفسها على ضوء مصالحها وفصل الدين عن السياسة ونظام الحكم الديمقرطى بمعنى سيادة الارادة العامة التى يجرى التعبير عنها فى البرلمانات وقوة الفضائل السياسية والاخلاص للمجموع والاستعداد لبذل التضحيات فى سبيله وتنظيم الصناعة الحديثة واقتباس الروح العلمى الكامن وراءها .

وموقف المصريين من الغرب ومن المؤثرات الغربية بوجه عام ومن الاحتلال بوجه خاص ، بالاضافة الى الدور الذى لعبه الخديو عباس الثانى

فى تاريخ الحركة الوطنية المصرية واتجاه بعض المصريين صوب الدولة العثمانية ، كل ذلك قد مهد لظهور الاحزاب السياسية وكل له نظرته الى الاحتلال وموقفه منه واتجاهه من الخديو وصلته به ونظرته الى اسلوب حل مشكلات البلاد الداخلية وفى طى كل هذا كان التصادم بين الفكر التقليدى والفكر المتأثر بالغرب مهما كان له انعكاسه فى برامج الاحزاب ونشاطها .



الشيخ محمد عبده

وهكذا وفر الاحتلال مجالا واسعا لانخراط مصر فى تيار الفكر العالمى فى الوقت الذى وفر فيه تحديا للمجتمع المصرى وقيمه وعاداته ـ فكانت ثمة جماعات تناهض الاحتلال وجماعات اخرى تهاجمه علنا وتناصر التمسك بالاستقلال والتراث

وموقف مجلة الهلال من هذه التيارات يقوم على تطوير التراث العربى ودعمه والانفتاح على الثقافة العالمية وترجمة المتميز منها . وقد اشرف على كل ذلك جورجى زيدان ومن بعده اميل اللذان اسسا المجلة وكانا من الوافدين الى مصر من بلاد الشام حيث اشربا جوانب هامة من الفكرين الغربي والعربى معا ظلت مجلتهما طيلة قرن من الزمان وحتى اليوم مصدر اشعاع لها . فتحية لهذه المجلة ونحن على مشارف عيدها المئوى راجين ان تمضى قدما فى استكمال الرسالة التى وقعت على عاتق المشرفين عليها منذ عام ١٨٩٢ .



اميل زيدان

سنة ١٨٩٢

فى مخطوط مؤرخ مصرى غير مجهول !

بقلم : د. يونان لبيب رزق

ميخائيل بك شاروبيم احد اعمدة المؤرخين المصريين فى القرن التاسع عشر يشتهر بكتابه المعروف "الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث" الذى قام على تاليفه في الفترة بين عامي ١٨٨٨ و ١٨٩٠ ، وهو الكتاب الذى صدر فى أربعة أجزاء بالاضافة الى جزء خامس لم ينشر حتى هذه اللحظة !

ويصنف النقاد ميخائيل شاروبيم بين من اطلق عليهم "الحوليون الجدد" وهو نوع من المؤرخين يختلف عن "الحوليين القدامى" الذين ينتمون الى العصور الوسطى من أصحاب الحوليات المشهورين ..

● ويوضع فى هذا التصنيف عديد من المؤرخين الذين ظهروا فى القرن التاسع عشر ، محمود الفلكى ، على بهجت ، أحمد كمال ، وان كان هؤلاء لم يقتربوا من الفترة التى عاشوها ،أما أولئك الذين ارخوا للقرن التاسع عشر المحسوبون عليه ، وخاصة فى الحقبة التى عاشوها فهما اثنان : إسماعيل سرهنك صاحب الكتاب المعروف "حقائق الاخبار عن دول البحار" ومؤرخنا الذى نعرض له اليوم "ميخائيل شاروبيم" .

ووضع سرهنك وشاروبيم فى هذا التصنيف له أسباب . فهما قد اتبعا نفس مناهج الحوليين القدامى ، سواء من جهة بدء اعمالهم التاريخية منذ بدء الخليقة ، أو من ناحية التقسيم الحولى للتاريخ ، عاما وراء عام وشهرا وراء شهر ويوما بعد يوم !

بيد أنه على الجانب الآخر اختلف

هؤلاء الحوليون الجدد عن زملائهم القدامى فى أكثر من جانب .

فهم من ناحية قد تجنبوا تعمد السجع الذى كان احد لوازم الكتابة التاريخية للحوليات القديمة ، وهم من ناحية أخرى أعتمدوا أسلوبا عصريا مباشرا ، غير ذلك الأسلوب الملىء بالمحسنات اللفظية التى كانت سمة أساسية للكتابات الحولية القديمة ، اضافة الى ذلك فإن كتابات شاروبيم وزميله كانت تتسم بدرجة من التحليل وقدر من النقد مما كانت تفقده كتابات المؤرخين الحوليين المنتمين الى العصور الوسطى .

ويمكن القول أن هؤلاء الحوليين الجدد كانوا الممثلين الأمناء للعصر الذى عاشوه .. القرن التاسع عشر . فهذا القرن بالنسبة لمصر كان قرن دخول العصور الحديثة بكل أدواته وافكاره ، وكان من الطبيعى أن ينعكس هذا الدخول على الدراسات التاريخية شأنه فى ذلك شأن بقية وجوه الفكر المصرى .

ولما كانت مثل هذه التحولات لاتحدث فى التاريخ بشكل فجائى وانما تستغرق بعض الوقت تقترن فيه جنبا الى جنب سمات الماضى الراحل مع تقاطيع القادم . فأن ما مثله شاروبيم انما كان يعبر عن روح العصر ، وكان يمثل مرحلة فى الكتابة التاريخية لابد من اجتيازها !

أنكب شاروبيم على عمله الشهير. "الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث" الذى صدرت منه اربعة اجزاء .

بينما تناول فى الجزء الأول تاريخ مصر القديم منذ نوح حتى الفتح العربى فقد خصص الجزء الثانى عن عصر ماقبل الاسلام فالخلافة



سنة ١٨٩٢ فى مخطوط مؤرخ مصرى

فالفاطميين فالأيوبيين فالمماليك حتى الغزو العثمانى لمصر .

القسم الثالث عن مصر فى العصر العثمانى حتى قيام حكم محمد على عام ١٨٠٥ تبعه بالقسم الرابع الذى تتبع فيه التاريخ المصرى حتى نهاية عصر توفيق عام ١٨٩٢ .

ومع أنه من المعلوم أن جميع تلك الأجزاء ، قد تم نشرها فإن هناك جزءا خامسا قد عكف على كتابته فى أخريات حياته يتضمن تاريخ عباس حلمى حتى اعلان الحماية الذى انتهى بخلعه وتولية السلطان حسين كامل ، وهو الجزء الذى لم ينشر حتى اليوم .

وفى تقديرنا أن هذا الجزء من "الكافى" من أهم أجزاء الكتاب بحكم أنه يتناول فترة عاشها ميخائيل شاروبيم وعرف خفاياها ، ومثل تلك الفترات التى يعيشها كتاب الحوليات تكون فى العادة أهم ما يكتبونه ، ويقدم الجزءان الثالث والرابع من كتاب "عجائب الآثار فى التراجم وأخبار" للمؤرخ المصرى المشهور "عبد الرحمن الجبرتى" نموذجا على ذلك .

وفى تقديرنا أيضا أن الدواعى التى دفعت صاحب الكافى الى عدم نشر هذا الجزء فى حياته ، بحكم ماكان يمكن أن يسببه له من حرج مع بعض الشخصيات التى تناولها والتى كانت ولاتزال على قيد الحياة أن هذا الحرج قد زال الآن وانه قد جاء وقت نشره بعد مضى أكثر من ثلاث أرباع القرن على الفترة التى يعالجها !

ومن هذا المخطوط الذى بين ايدينا ، والذى بداه ميخائيل بك شاروبيم ، المؤرخ المصرى غير المجهول . بعام ١٨٩٢ نقرأ بعض ما جاء فى ذلك العام الحافل بعين معاصر مدقق .

نظن أن صاحب "الكافى" قد بدأ جزءه الخامس بعام ١٨٩٢ بحكم ما ارتآه من أهمية بالغة لهذا العام فى التاريخ المصرى ، واذا كان هذا الظن صحيحا ، فلابد أنه كان للرجل أسبابه لهذا الاختيار ، وهى أسباب أفصحت عن نفسها فيما اورده عن ذلك العام .. عام ١٨٩٢ .

كان ما جرى فى مطلع ذلك العام من الوفاة المفاجئة للخديو توفيق واعتلاء ابنه الشاب الذى لم يكن قد اكمل الثمانية عشر عاما بعد ، عباس حلمى الثانى ، وما جرى مع هذا الحدث من تطورات اثرت فى المستقبل المصرى ايما تأثير سببا من اسباب هذه الاهمية .

أيضا أضفى ما جرى من مشكلة حول حدود مصر الشرقية ، ومحاولة الباب العالى فى فرمانه الذى أصدره بتولية الحاكم الجديد زحزحة هذه الحدود الى خط يمتد بين العريش

والسويس ، أهمية خاصة على هذه السنة ، وهى أهمية تفجرت خلال أزمة طابا الشهيرة عام ١٩٠٦ وانعكست على الخلافات المصرية ـ الاسرائيلية حول طابا بعد ذلك بثمانين عاما .

زد على ذلك ما رصده مؤرخنا من بعض أحداث محلية تنم عن دقة ملاحظة لايستطيعها سوى معاصر احترف التاريخ !

● لباس الجند

تولية الخديو عباس حلمى الثانى عرش مصر كانت تمثل حقبة جديدة فى التاريخ المصرى بحكم أن ما أصطلح المؤرخون على تسميته بعهد "الاستسلام" التى ميزت السنوات العشر الأخيرة من حكم أبيه (١٨٨٢ ـ ١٨٩٢) ، والمقصود بها الاستسلام الكامل من جانب الخديو لسلطات الاحتلال .. هذا العهد قد أنتهى بولاية الخديو الجديد ، وبدأ عهد جديد وصفه المعاصرون "بعصر الشقاق" .. العصر الذى أحتدمت فيه الخلافات بين الخديو الجديد والمعتمد البريطانى .

رصد ميخائيل شاروبيم اختلاف نوعية عباس عن أبيه منذ وقت مبكر ، ومنذ السطور الأولى من مخطوطه التى يسجل فيها نجاح المعتمد البريطانى فى القاهرة فى سلب توفيق كل سلطاته .. قال : "لقد كان السير بارنج يظهر التجافى عن انتزاع السلطة من الخديو والاستبداد بها علنا ، وكان يجهد نفسه فى ابعاد هذه التهمة عنه ولكنه والحق يقال قد انتزع ثمرتها من الأمر والنهى ، والحل والعقد ، والأبرام والنقد ، واستبد بهذا كله سرا ، وكان يوهم فيها المعارضين من أصحاب سياسات الدول أنه انما هو مشير للأمير آخذ بأمره ، منفذ لأحكامه . وليس من صبغة الرئاسة والتصرف فى حكومة البلاد شىء . وعندى أن التصرف والاستبداد بالأمر قد بلغ يومئذ ما وراء الغاية ، فقد بات طوع أمره جباية الأموال ، وتقدير الخراج . وفرض الفرض وانشاء الترع والجسور وحماية الثغور ، وارهاب الحكام والتصرف فى سائر الاحكام ، وقلب كل دستور ، لا يد فوق يده ، ولا كلمة تعلو كلمته ، وهذا هو معنى الغلبة والتسلط " ..

على الجانب الآخر ابدى صاحب الكافى فى كتاباته التالية مباشرة لما أبداه من رأى فى توفيق بأن الخديو الصغير يقدم نموذجا مختلفا ، فقد لاحظ أنه مع قدومه ، وحتى قبل أن يصل فرمان التولية ، قد حرص على التأكيد على مكانته ، فلم تكن قد مضت أيام قليلة على هذا الوصول الا وكان قد جمع "سائر كبار الجند" لحلف يمين الطاعة لعرش الإمارة ، ويعلق شاروبيم على ذلك بقوله : "وتفشى الخبر فى ذلك اليوم بأن قد أخذ الأمير لنفسه قيادة الجيوش ، وأنه لايلبس من يومه فى المباهاة والولائم الكبرى الا لباس الجند ، فتحدث الناس فى ذلك كثيرا ، وترامت ظنونهم الى ابعد المرامى ، وتطيروا من حشد الجنود فى ذلك" .

سنة ١٨٩٢ فى مخطوط مؤرخ مصرى

● أزمة الفرمان

يدلف بعد ذلك ميخائيل بك فى تسجيله لأحداث عام ١٨٩٢ ليروى لنا القصة المعروفة بأزمة الفرمان .. والقصة باختصار شديد أنه لما كان عباس الثانى أول الخديويين الذين يتولون عرش مصر فى عهد الاحتلال ، فقد أراد الباب العالى أن ينتهز الفرصة ويؤكد من خلال فرمان توليته أنه لازال يمارس لونا من السلطة على مصر ، وأن يحرج فى نفس الوقت الوجود الاحتلالى فى البلاد . من ثم فقد سعى الى أن يكون فرمان تولية عباس مختلفا عن فرمان تولية أبيه بحرمان مصر فى الفرمان الجديد من ادارة أغلب شبه جزيرة سيناء واكتفى بهذا القسم الممتد من العريش الى السويس .

وقد وردت هذه القصة فى مصادر مختلفة .. أحمد شفيق فى مذكراته لورد كرومر فى كتابه « مصر الحديثة » بالاضافة الى الوثائق البريطانية والعثمانية ، الا أن مايقدمه شاروبيم يروى لأول مرة القصة من وجهة نظر مصرى معاصر .

رصد الرجل أولا أن الاخبار قد جاءت من لندن بأن السفير العثمانى فى العاصمة البريطانية ، رستم باشا ينشط من أجل المطالبة بتحديد أجل لجلاء بريطانيا عن مصر ، وأنه لم يجد أذنا صاغية .

اشار بعد ذلك الى أن المندوب السامى التركى فى مصر ، مختار باشا كان يلح على الخديو للتوجه الى استنبول لتسلم الفرمان بنفسه لولا أن حذره السير ايفلين بارنج من هذا .

وسجل فى هذه المناسبة قصة المحاولة الصهيونية المبكرة للتوطن فى المويلح ، وهى نقطة تقع على الساحل الشرقى من خليج العقبة وكانت تحت الادارة المصرية حتى ذلك الوقت ، وهى المحاولة التى قام بها يهودى المانى يدعى بول فريدمان ، وأن كان صاحب الكافى قد اسماه فريدون ، وأكد أن هذه المحاولة قد تمت برعاية ممثل بريطانيا فى مصر ، السير بارنج ، ولأول مرة يشير مصدر لهذه القصة أن نزاعا مسلحا حدث فى المويلح وان قوة مصرية طردت قوة عثمانية كانت قد احتلت هذا المركز وطردت منه فريدمان وأتباعه !

ويتتبع المراقب المصرى ، ميخائيل شاروبيم ، ماجرى ، فيشير الى أنه فى أعقاب تلك الحادثة جاءت كتب الصدر الاعظم الى الغازى مختار باشا بأن طور سينا وخطها فى المدينة السويس هى الامارة المصرية وتخم لها ، وأما المويلح والعقبة وضبا وشرمه وخطهم فهى من أملاك السلطنة .

وقامت الدنيا ولم تقعد من جانب سلطات الاحتلال فيما سجله المؤرخ

المصرى المعاصر بأسلوب ممتع ، فيقول فى موقع من كتابه : « وزادوا فى الارجاف بطلب المدد للعساكر المرابطة بالاسكندرية وعلى التخوم من أقرب المرابط فى الأملاك الانجليزية كمالطا أو قبرص أو جبل طارق ، كأن الفتنة قد قامت من أقصى البلاد الى أقصاها .. فأكبر صاحب سياسة الانجليز ذلك وأنحى على السلطان باللائه ، وقلب له ظهر المجن ، وقال ان احتلال جيوشنا لمصر جعل لنا حقوقا لا يضارعها حقوق ، وخصنا بالاشراف على سائر شئونها ، وتقويم المعوج منها رضى الخديو وسلطانه أو لم يرضيا » .

وتنتهى الأزمة بحل وسط ، بأن يخرج المصريون من المراكز الواقعة على الساحل الشرقى من خليج العقبة ، المويلح وضبا والعقبة نفسها التى كانت محل أخذ ورد الطرفين ، ويتقرر الخط الفاصل بين الامارة المصرية وبين أملاك الدولة العثمانية شرقيها ، بنقطة تبدأ شمالا عند شرق العريش (رفح) وتنتهى جنوبا على رأس خليج العقبة عند نقطة ثلاثة أميال على. الأقل غرب قلعة هذا الميناء .

وبعد هذه التسوية جاء الفرمان ..

ولانظن أن أحدا من المعاصرين وصف مسألة الاحتفال بوصول فرمان تولية عباس الثانى بالدقة والتفصيل اللذين وصفهما به مؤرخنا المصرى المعاصر للأحداث .

يقول أن الباخرة التركية « عز الدين » ظهرت أمام الاسكندرية فجر ٨ من رمضان ١٣٠٩ هجرية وانها دخلت الميناء بين السفن المصرية التى رفعت لها الأعلام وأطلقت لها المدافع وكان قد اجتمع على رصيف قصر الامارة برأس التين العلماء والرؤساء الروحيون ومشايخ الطرق وأصحاب العكاكيز وقاضى البلد والمفتى وأصحاب الوظائف وكل أعيان البلد .. وكان الطريق من قصر رأس التين الى محطة الباب الحديد مزينا بالأعلام والرايات وأصحاب الشرطة مصطفين ذات اليمين وذات الشمال ، والناس محتشدين على جانبى الطريق ..

ويمضى صاحب الكافى فى وصف الرحلة الكاملة للمشير أحمد أيوب باشا حامل الفرمان ، حتى تمت قراءته يوم ١٤ أبريل من عامنا هذا .. عام ١٨٩٢ ، فى احتفال مهيب يصفه ميخائيل بك فيقول :

فلما كان يوم الخميس السابع عشر من رمضان من السنة ، أى سنة تسعة وثلثمائة والف للهجرة ، الرابع عشر من أبريل سنة اثنين وتسعين وثمانمائة والف للميلاد فى نحو الساعة التاسعة اصطفت الجنود المصرية والانجليزية من مشاة وركبان فى رحبة قصر الامارة على شكل مربع وكانوا قد أعدوا للمدعوين شوادر ثلاثة ، على يمين ويسار مدخل القصر للواجهة البحرية ، وكلها مفروشة بالطنافس وفوقها الرايات والاعلام العثمانية ،

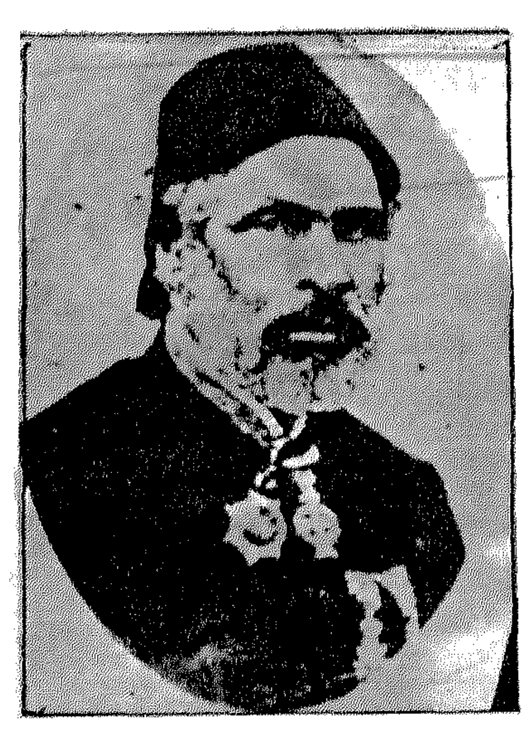
سنة ١٨٩٢ فى مخطوط مؤرخ مصرى

فأقبل المدعون من كل رتبة وصنف ، فجلس القناصل ووكلاء الدواوين وأصحاب الخطط ومديرو الادارات وموظفو المجالس الأهلية والمختلطة فى الشادر الذى على يمين سلاملك القصر ، وجلس العلماء والرؤساء الروحانيون ورجال شورى البلاد وأعيان المدن فى الشادر الذى على يساره ، وجلس أصحاب الصحف والأعيان الأجانب والتجار الوطنيون وموظفو الدواوين فى الشادر الثالث أمام جناح القصر الأيسر وكلهم بملابس الزينة والتشريف ، فلما صارت الساعة العاشرة صباحا وقد انتظم عقد هذا الاحتفال ، اقبل الامير من قصر الامارة الى مظلة اقيمت له وحوله الأمراء ، ثم أقبل أيضا المشير أحمد أيوب باشا حامل الفرمان على رأس السلم وحياه ، فسلم اليه المشير فرمان الولاية ، فأخذه وقبله وناوله الى المهردار محمود شكرى بك ، ففض أختامه وقرأه على الناس كافة .. ولما تمت القراءة صدحت الموسيقى العسكرية بالنشيد السلطانى ، ونادى سردار الجيوش المصرية بالدعاء للسلطان ثلاثا ، فنادت الجنود كذلك وأطلقت قلعة الجبل مائة مدفع ومدفع ، ثم هتف سردار العساكر بالدعاء للخديو ثلاثا ، فأجابه كذلك جمهم العسكر وصدحت الموسيقى بالنشيد الخديوى .

وانتهى الاحتفال ولكن لم تنته قصة الفرمان كما يرويها ميخائيل شاروبيم ، فقد حدثت أزمة صغيرة بعد ذلك لانظن أن أحدا سجلها غير صاحب الكافى .

فقد جرت العادة كما يقول الرجل « ان من يحضر من كبار الدولة بفرمان الولاية للأمير يعطى من الخزينة قدرا من المال لايقل عن عشرة الاف ذهبا ، وقد وقع ذلك لمن جاء بفرمان الولاية للخديو توفيق غير أن المستشار المالى للحكومة المصرية وقتذاك السير بالمر رفض ان يدفع شيئا للمشير أحمد أيوب باشا مما دعا الأخير الى أن يقول للخديو أنه لايقبل مالا ولاهبة ولاتحفة ولاشيئا من حطام الدنيا قط ! وقد استهجن صاحب الكافى هذا العمل من

المؤرخ محمود الفلكى



جانب السير بالمر وهجاه هجاء شديدا لما فعله من قطع عادة مرعية ! ووصفه بأنه مختال فخور ، نازع الى كسب المال وتخليد الأثر وبعد الصيت على خسة فى الحسب وضعة فى الأصل !

● كوبرى امبابة

الحدث الكبير الثالث عام ١٨٩٢ الذى سجله صاحب الكافى ليس حدثا سياسيا .. هذا الحدث كان افتتاح الجسر الجديد الذى أنشىء بين بولاق القاهرة وامبابة لاتصال خطوط السكك الحديدية القبلية والبحرية معا .. وسارت عليه قطارات الحديد من الأقصر الى القاهرة فالاسكندرية فدمياط فرشيد فالسويس فبورسعيد ، فكان نفعه عظيما للغاية !

ويؤكد الحس الحضارى عند هذا المؤرخ المصرى المعاصر تلك العناية التى اولاها لهذا الحدث فذهب يسأل من أسماهم « أصحاب الهندسة » عن الجسر وحصل منهم على معلومات ساقها للقارىء « ست قناطر طول كل منها ٦٢ مترا وقنطرتان كل منها ٦٤ مترا .. وهو فى عرض ثلاثة عشر مترا وفى وسطه سكة حديدية الى جانبها طريقان للراجل . وله فتحة من وسطه تدور بآلة سبهلة للغاية ، وكله من الحديد والصلب والفولاذ وفيه من المعدن ما يبلغ وزنه ١٣٠ الف كيلو جرام ، بحيث تمر عليه اثقل مركبات وقاطرات السكة الحديد وأعظم احمالها الى ٨٠٠ الف كيلو جرام كما ثبت ذلك بالتجربة .

ويسجل ميخائيل بك قصة الاحتفال بفتح « كوبرى امبابة » فيذكر أنه فى يوم ٤ ابريل عام ١٨٩٢احتفلوا بفتحه احتفالا عظيما حضره الأمير وحاشيته وسائر الأمراء والكبراء والوزراء ومقدمو الجند وقناصل الدول فوقف الأمير على رأس الجسر وحوله سائر المدعوين ، وتقدم أحد أصحاب الهندسة وجعل يفتح صينية الجسر ، وطولها ثمانية وخمسون مترا ووزنها ١٥٠ الف كيلو جرام وحده بواسطة دولاب صغير معد لذلك ، فأعجبنا منظره جدا . ثم اشار الأمير فسيروا يخته « نسيم النيل » وما معه من البواخر ، فسارت تشق البحر مارة من فتحة الجسر . ثم أمر فاقفلوه وتقدم نحو المدعوين وصافحهم وانصرف عائدا الى قصر القبة .

ولايترك صاحب « الكافى » عام ١٨٩٢ المشهود ، على حد تعبيره دون أن يذكر القارىء ان السير ايفلين بارنج قد حصل على لقب اللوردية فى ذلك العام وأصبح اللورد كرومر ، الذى عرف له التاريخ المصرى بعد ذلك جولات وجولات حتى عام ١٩٠٧ عندما ترك منصبه .

وعموما ودون أن يقولها ميخائيل شاربيم فأن من يقرأ مخطوطته التى تضمن حوليات مصر السياسية بين عامى ١٨٩٢ و١٩١٤ .. عام اعلان الحماية البريطانية على مصر . يعلم أن الرجل عندما اختار هذين المعلمين لم يأت اختياره من فراغ !

١٨٩٢ يوم صدر الهلال

الحياة الاجتماعية في مصر في نهاية القرن الماضى

بقلم : محمد سيد كيلانى

توفى الخديو محمد توفيق فى مدينة حلوان الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين من مساء الخميس السابع من يناير سنة ١٨٩٢ ، وكان قد اصيب بالحمى الوافدة ، وحدث عنده احتباس فى البول ، نتج عنه تسمم . وكان حينما توفى قد بلغ الاربعين من عمره (١٨٥٢ - ١٨٩٢)

وكان عباس حين وفاة والده متغيبا فى النمسا ، يطلب العلم فى مدرسة تريز بانوم ، حيث امضى بها ستة اعوام ، وذلك بعد ان تلقى تعليمه الابتدائى فى مدرسة « شاتو دى لانسى » بسويسرا .

قال كرومر[١] لم نجد احدا يعرف تاريخ ولادة الأمير عباس بالتمام ، الى ان عثرنا على شيخ تركى خدم توفيق باشا سنين طويلة ، فعلمنا منه انه ولد يوم ١٤ يوليه عام ١٨٧٤ ، فهو إذن لايزال صغيرا ، ولايبلغ سن الرشد إلا فى يوم ١٤ يوليه ١٨٩٢ ، فيجب بمقتضى الفرمان - مادام الخديو دون سن الرشد بان يعين مجلس للوصاية ، غير انا راينا انه ليس من الصواب إبقاء فترة ليظل العرش فيها خاليا بين وفاة الخديو ، وجلوس الأمير ، فإن ذلك قد يؤدى إلى دسائس وصعوبات متنوعة . غير انى سمعت احدهم يقول همسا : إن سن الامير المسلم يجب ان يحسب بالسنين الهجرية التى يبلغ عدد أيامها ٣٥٤ يوما . فتمسكت بأهداف هذا الاقتراح . وحسبنا سن الأمير بالسنين الهجرية ، فاتضح انه بلغ سن الرشد قبل وفاة ابيه باربعة عشر يوما .

فتم الاتفاق على أن يستدعى الأمير



محطة مصر عام ١٨٥٦

عباس للحضور إلى مصر من فيينا حال وفاة توفيق باشا ، وأن يعلن السلطان بذلك ، ويصدر منشور عام يعلن فيه أن النظار يستمرون فى أعمالهم فى إدارة الحكومة لحين وصول عباس ، واستلامه زمام حكم البلاد .

« واتباعا لهذه الخطة صار صعبا ، ان لم يكن مستحيلا ، تداخل تركيا الذى كنا نحاذره ، والذى كان - بلاشك - مضرا » .

وقد أبحر عباس من تريستا يوم السبت التاسع من يناير ١٨٩٢ فى الساعة الواحدة بعد الظهر ، على الباخرة « فرديناند مكسيمليان » وبعد أن ابتعدت الباخرة عن الميناء المذكور ، عصفت الرياح عصفا شديدا ، وهاج البحر ، وعلت الأمواج ، فاضطر ربان الباخرة ان يسير بها سيرا بطيئا ، لا يتجاوز ثلاثة أميال فى الساعة ، وذلك فى الأيام الأولى للرحلة . وقد ترتب على ذلك أن تأخر وصول الباخرة إلى ميناء الاسكندرية عن الموعد الذى كان محددا لها .

وقد بادر السلطان عبدالحميد الثانى إلى اسناد منصب الخديوية الى عباس ، فأبلغ السفير العثمانى فى لندن يوم ٨ يناير اللورد سالسبرى وزير خارجية بريطانيا - اذ ذاك - بأنه نظرا لوفاة توفيق باشا ، فقد تعطفت الحضرة السلطانية وعينت البرنس عباس خديو على مصر ، وعهدت فوق ذلك للوزارة المصرية بالقيام بإدارة شئون البلاد مؤقتا لحين وصول الخديو الجديد .

وكان مصطفى باشا فهمى رئيسا للنظار ، فأرسل صورة البرقية السلطانية إلى عباس - وكان لايزال فى تريستا - فأبرق شاكرا السلطان ، فرد عليه باشكاتب بين الهمايونى بالبرقية الآتية :

« ان عريضة فخامتكم التلغرافية المتضمنة عبارات الشكر ، وإخلاص العبودية ، على أثر توجيه سند الخديوية إليكم والحاوية للدعوات الصالحة الخيرية



بإطالة عمر الحضرة الشاهانية الشريفة ، وزيادة الاقبال والشوكة الملوكانية قد رفعت إلى الأعتاب السلطانية ، وخظيت بألحاظ الفيوضات الشاهانية ، واستوجبت محظوظية جلالة ولى النعم الاعظم »

« ونظرا لخصائص فخامتكم الممتازة ، وحسن إخلاصكم ، فمن المؤكد دوام التوجيهات العالية الشاهانية لمقامكم السامى .

وإنى امتثالا لأمر جلالة الخليفة الأعظم ، ابادر بتبليغ هذه العناية إلى سموكم .

● وصول عباس إلى الاسكندرية

وفى مساء ١٣ يناير ١٨٩٢ وصلت إلى ميناء الاسكندرية ست سفن حربية بريطانية لتكون فى استقبال الخديو ، وقد وقفت بعيدا عن الشاطىء . قالت صحيفة المؤيد فى تلخيصها لحوادث سنة ١٨٩٢ مانصه « ثم ورد اسطول انجليزى إلى مياه الاسكندرية ، فأرجفت إحدى الجرائد المحاربة للانجليز بأن خبر هذا الأسطول مجهول ، ولم تعلم به الدوائر العالية . فهاج الناس وماجوا ، واضطربت الأفكار ، وباتوا فى حيص بيص ، يذهبون بالظنون كل مذهب .

واخيرا وصلت الباخرة التى تقل الخديو الساعة الحادية عشرة من ليلة السبت وأطلقت سهما ناريا ، دليلا على وصولها . وظلت خارج الميناء .

وفى صباح السبت دخلت الميناء ، فحيتها البوارج الانجليزية والفرنسية الراسية على الشاطىء باطلاق المدافع ، وكذلك اطلقت المدافع من قلاع الاسكندرية . ونزعت شارات الحداد ، ورفعت الأعلام المنكسة .

وعندما استقرت الباخرة تماما ،

تعداد مصر عام ١٨٩٢

الواقع ان شعبا تعداده كان تسعة ملايين نسمة منهم سبعة ملايين ونصف من العمال والفلاحين والصناع ومليون ونصف من الملاك شبه المعدمين الذين لا يملك الفرد منهم اكثر من فدان واحد ، بينما يملك ١٢٫٥٠٠ فرد اكثر من ٢٠٠ فدان للفرد ، ويبلغ اجر العامل أو الفلاح في اليوم ما بين قرشين او ثلاثة .

قصدها الأمير حسين كامل (السلطان فيما بعد) والنظار ، وفى مقدمتهم رئيسهم ، وصعدوا إلى الباخرة وحيوا الخديو ، ثم نزلوا جميعا فى الزورق المعد لركوب الخديو ، ولما رسا عند قصر رأس التين فى الساعة الثامنة والنصف صباحا كان فى استقبال الخديو على الرصيف العلماء الأعلام ، والاباء الروحانيون وكبار الموظفين وقناصل الدول والتجار ورجال القضاء وأعيان الثغر من الوطنيين والأجانب ، وارطه من عساكر الجيش المصرى ، وفرقة من عساكر جيش الاحتلال .

فسار الخديو بين هتاف هذه الصفوف محييا وشاكرا ، والناس يرفعون أكف الضراعة بأن يحفظه الله ، ويؤيده ، وهكذا حتى دخل السراى ، وجرت التشريفات . فحظى أولا رجال الدين ثم قناصل الدول ، ثم ضباط السفن الحربية الراسية فى الميناء ، فرجال المحاكم الأهلية والمختلطة ، واعضاء المجلس البلدى فرؤساء المصالح الحكومية .

وبعد أن أمضى الخديو فى قصر رأس التين مدة وجيزة توجه إلى محطة السكة الحديدية ، واستقل قطارا خاصا فى طريقه الى القاهرة فوصلها الساعة الثانية بعد الظهر . وكان مرتديا ملابس ضابط أركان حرب . وقد أخذ الناس يجرون أمام عربته وخلفها صائحين « نصر الله افندينا » وكان هو يحييهم بوجه طلق وثغر باسم وكان ميدان عابدين مزينا بالاعلام المصرية ذات النجوم الثلاثة وعلى عمدها الشعار العباسى الحلمى ، وعليه حرف A وحرف H والأعلام العثمانية منتشرة حول كل شعار منها ، والجنود المصرية المشاة والفرسان مصطفة إلى الجهتين الجنوبية والغربية ، كما اصطفت الجنود الانجليزية فى الجهتين الشرقية والشمالية . وفرقة الموسيقى الانجليزية فى وسط الميدان ، وفى مواجهتها فرقة الموسيقى المصرية .

وحينما وصل الخديو إلى قصر عابدين ، ترجل ووقف على باب التشريفات المطل على الميدان ، وتقدم رئيس النظار مصطفى فهمى باشا وتلا البرقية الواردة من الصدر الأعظم بإسناد خديوية مصر إلى عباس ، فصدحت الموسيقى الانجليزية على أثر ذلك بالسلام الشاهانى العثمانى فرفع الخديو والنظار أيديهم ردا على السلام .

ثم صدحت الموسيقى المصرية بالسلام الخديوى ثلاث مرات متوالية والجنود المصريون يهتفون خلال ذلك بالدعاء للخديو .

وبعد أن صافح عباس وكلاء الدول صعد إلى قاعة الاستقبال حيث استقبل رجال الدين ، ثم خرج إلى سراى القبة لزيارة والدته .

* * *

وفى صباح الاثنين ١٨ يناير جرت التشريفات واستمرت من الساعة الثامنة صباحا إلى مابعد الظهر ، وقد حضرتها جميع الطبقات ومن بينها تلاميذ المدارس الأميرية وأساتذتها .

وكان أول عمل رسمى باشره الخديو أن أصدر أمرا بإبقاء نظارة مصطفى فهمى باشا كما هى . وكانت هذه النظارة قد تألفت فى ١٥ مايو سنة ١٨٩١ وأعضاؤها هم : مصطفى باشا فهمى للرياسة والداخلية . وعبدالرحمن باشا رشدى للمالية ، ومحمد زكى باشا للمعارف



العمومية والاشغال العمومية ، وتكران باشا للخارجية ، ويوسف شهدى باشا للحربية ، وحسين فخرى باشا للحقانية .

وقد أبرقت نظارة الداخلية إلى الاقاليم بنبأ وصول الخديو الجديد . ذكرت صحيفة المقطم مانصه « وردت رسالة برقية أمس بعد الظهر على حضرة مصطفى أفندى عياد المعاون الأول لقسم قوص بوصول سمو أميرنا المعظم عباس باشا إلى العاصمة فوزع جنابه أوراق الدعوى على الأعيان والعمد والمشايخ وقناصل الدول ورؤساء الطوائف فاجتمعوا الساعة الثامنة من صباح اليوم (١٨ يناير) وقد تليت دلائل الخيرات والأذكار ، وأديرت المرطبات .

● الجيش يؤدى يمين الطاعة

فى منتصف الساعة العاشرة من صباح الثلاثاء (١٦ - ١ - ١٨٩٢) اجتمع فى ميدان عابدين الجيش المصرى الذى كان موجوديا بالقاهرة ووقف الضباط على هيئة دائرة امام اسلحتهم ، كما وقف الضباط الانجليز وحلف الضباط المصريون أمام الشيخ الانبابى ، شيخ الاسلام ، وحلف الضباط الانجليز أمام السردار ، وكان السردار قد حلف أمام ناظر الحربية .

وبعد ذلك ظهر الخديو ممتطيا جوادا فى حلة فريق عسكرى فى موكب من الياوران ، وبجانبه كل من ناظر الحربية ، والسير غرانفيل باشا سردار الجيش المصرى . وجرى عرض عسكرى وحين تم العرض ، ركض الخديو بجواده سلم السراى ، وكان ذلك إيذانا بانتهاء الحركات العسكرية .

● العفو عن المشتركين فى الثورة العرابية

ثم طلب الخديو كشفا باسماء جميع الملكيين والعسكريين الذين اشتركوا فى الثورة العرابية ، ولايزالون تحت طائلة العقاب . فرفع اليه كشف مفصل وفى يوم ٣٠ يناير سنة ١٨٩٢ صدر امر الخديو بالعفو عن العرابيين المنفيين ، والتصريح لهم بالعودة الى مصر ، ماعدا المنفيين منهم فى سيلان . وأبيح لمن فصلوا من وظائفهم من هؤلاء المنفيين حق التوظف فى الحكومة متى وجدت وظائف خالية .

وكان ممن عفى عنهم عبدالله نديم المحكوم عليه بالنفى ، وحسن موسى العقاد المحكوم عليه بالتجريد والنفى مدة عشرين عاما فى مصوع تحت الملاحظة . وقد اشتغل بالتجارة هناك وجمع ثروة طائلة . وعلى قبودان راغب من مستخدمى الباخرة الدقهلية والمحكوم عليه بالنفى إلى مصوع ، ومحمد عبيد من الضباط المحكوم عليهم بالنفى المؤبد والتجريد .

● دسائس روسيا وفرنسا

كان الخصام على أشده بين روسيا وفرنسا من جهة ، وبين انجلترا من جهة

ـ فندق شبرد كان مسكنا يملكه البكرى وسكن فيه نابليون بونابرت

مقياس النيل بالروضة



أخرى . فأرادت كل من الدولتين أن تخلق المشاكل لانجلترا فى مصر . ففى أوائل فبراير سنة ١٨٩٢ وصلت إلى الاسكندرية بعض قطع الأسطول الروسى ، وفى ٦ منه توجه قنصل روسيا العام إلى قصر عابدين وقابل الخديو ، ومعه أميرال البحرية الروسية ، بصحبة خمسة عشر ضابطا ، حاملين واجب التهنئة والسلام من قبل القيصر .

وأهدى رئيس جمهورية فرنسا الخديو نيشان (الجران كوردون لوجيون دونير) حمله إلى مصر قائد الأسطول الفرنسى فى البحر الأبيض ، الذى جاء إلى الاسكندرية ، ومعه بعض قطع الأسطول .

وقد توجه القنصل الفرنسى العام فى القاهرة إلى قصر عابدين صباح أول فبراير ، فى موكب رسمى حافل ، حاملا النيشان وبصحبته القائد المذكور ، وعدد من الضباط .

ووقف الخديو فى وسط قاعة العرش وبصحبته القائد المذكور وعدد من الضباط . ووقف الخديو يحيط به النظار وكبار رجال الحاشية وكلهم بالملابس الرسمية .

والقى قنصل فرنسا كلمة جاء فيها : « إن إهداء هذا النيشان لسموه لأعظم دليل على مالسموه من علو المنزلة والاعتبار من حكومة فرنسا . وإنه سيوجه عنايته إلى زيادة تأييد روابط المودة والمحبة بين فرنسا ومصر » .

فاغتر الخديو بسياسة فرنسا وروسيا نحوه ، وبدأ يظهر سخطه على الانجليز ، وأخذت الشائعات فى الانتشار بين طبقات الشعب شمالا وجنوبا عن حوادث وقعت بين عباس وبين رجال الاحتلال .

فاشتدت على الانجليز حرب الأعصاب بفعل الفرنسيين ودعاتهم . فقيل ان الخديو اعترض على علامات الرتب فى الجيش بكونها مخالفة للأصول ، وعلى السلام العسكرى بأنه غير مقبول . وأنه ارتدى ملابس سردار ، ودعا إليه السير فرنسيس جرانفيل سردار الجيش المصرى وعنفه بكلام شديد اللهجة ، وأن السردار قدم استقالته . وقد كذبت « المقطم » هذه الشائعة وقالت « إن الخديو لما اطلع على أحوال الجيش المصرى ونظامه قال للقائد العام : إنى راض عن الجيش ونظامه كل الرضا » .

وفى مذكرات عباس المنشورة فى صحيفة المصرى (مايو ١٩٥١) ما يؤيد كلام المقطم . قال عباس فى هذه المذكرات « كنت مصمما على أن أفعل كل شىء فى سبيل مصر ، وأن أوقظها وأهبها الاحساس بعزة شخصيتها . وقد اتجه اهتمامى لهذا السبب إلى تنظيم الجيش وشجعنى على السير فى ذلك الطريق ولاء السير فرنسيس جرنفيل ، وكان ينتمى إلى عائلة بريطانية عريقة ، ولكنه كان ذا إحساس دقيق بمركزه تجاه وطنى ، وأمام الأمير الذى يخدمه . وقد دفعه إحساسه بالولاء إلى أن يجعل الضباط المصريين والانجليز يقسمون يمين الولاء فى جميع معسكرات مصر . وقد تلقى ذلك القسم

بنفسه فى القاهرة من الضباط الانجليز الملحقين بالجيش المصرى ، بينما كان شيخ الأزهر - أكبر شخصية دينية فى البلاد - يتلقى يمين الضباط المصريين .



ولما علمت انجلترا بمساعى فرنسا وروسيا ، وأنهما تحرضان الخديو على مقاومة المحتلين وتثيران الخواطر من حيث الجلاء والاحتلال ، حتى تأتى من ذلك ماشاع من الشائعات الكثيرة ، وقام دعاة فرنسا يعلقون آمال الأهالى باتحاد فرنسا وروسيا ، ويستشهدون بمجىء الأساطيل الفرنسية والروسية ، إلى غير ذلك مما أهاج الخواطر مدة من الزمن ، اعتقدت الحكومة الانجليزية أن هذه الأمور يمكن أن تلقى المصاعب أمام رجالها المحتلين . فأرسلت إلى بارنج (لورد كرومر) نقول له إن فرقة من الجنود راجعة من الصين ، وستمر فى قناة السويس ، فإن كان يرى حاجة إليها فليبقها فى مصر حتى يعلم الذين يسعون فى إخراجهم من مصر كرها أن الانجليز احتلوها بإرادتهم ولا يخرجون منها إلا بإرادتهم متى اتموا عملهم فيها .

فأجاب بارنج « إنه لايرى لزوما لزيادة جيش الاحتلال فإن الأمور جارية على مايرام ، والخديو رافع راية الاصلاح ، وعقلاء الأهالى راضون عن تقدم البلاد» .



شهد عصر عباس حلمى الثانى تطورا عظيما فى الحياة الاجتماعية فقد ارتبطت مدن القطر بالسكك الحديدية والطرق الزراعية ، واصبح للحكومة وجود فعلى فى جميع الجهات، واخذ الاجانب يفدون على مصر ، وكانت اعدادهم تتضخم يوما بعد يوم ، ففى سنة ١٩١٤ كان عدد الجالية اليونانية (٦٢,٩٧٤) والانجليزية (٣٢,٦٥٣) والفرنسية (١٤,٨٩١) والايطالية (٢٠,٦٥٣) والنمساوية (٧,٧٠٥) والروسية (٢٤١٠) والألمانية (١,٨١٧) ودول أخرى (١,٩٥٨) .

وكانت مساحة الاطيان التى يمتكلها هؤلاء الاجانب سنة ١٩٠٣ (٥٥٤,٤٠٩) فدان ، ثم زادت بعد ذلك كثيرا ، وكانوا يتمتعون بنفوذ وامتيازات جعلتهم اصحاب سطوة وغلبة ، فسعى وطنيون كثيرون للحصول على الحماية الاجنبية ليحفظوا اموالهم وانفسهم من ظلم الحكام وتعديهم فكثر الانتساب الى الجزائر ثم الى تونس ، قال الأمير محمد على توفيق « كان الطربوش فيما مضى معتبرا ، فاصبحت البرنيطة فى مقام التعظيم والاحترام .

★ ★ ★

وامتد التطور الى الحياة السياسية فظهرت الاحزاب ، ومنها الحزب الوطنى الحر ، او حزب الأحرار ، انشأه محمد وحيد بك الأيوبى ، معارضا للحزب الوطنى ، حزب مصطفى كامل . وكان يرى ان انشاء المجلس النيابى فى مصر سابق لاوانه وقد ارسل رئيسه محمد وحيد كتابا الى السير ادوارد جراى ونشرته المقطم فى (٢٣ - ٩ - ١٩٠٧) ومما جاء فيه (ارفع لجنابكم اننا راضون تمام الرضا عن الاحتلال ، ومعترفون بفوائده التى نقابلها بالشكر ، وبصفتنا وطنيين نحب



مـن اليميـن : الخديو عباس فالأميرة خديجة فالأمير محمد علـى فـى شـرفـة القصـر .

وطننا ، نرى أن من مصلحة الوطن والامة ان نعتمد فى شئوننا المادية والأدبية على الدولة المحتلة العادلة التى تعمل دائما لخير القطر وبنيه .

وفى هذا الحزب يقول احد الادباء :

احفظ لنا ياربنا
وحيدنا خصم الوطن
وادم عليه شوامه
متملقين مدى الزمن
واطل له طربوشه
وامطط له انفوشه
واحفظ له جاويشه
سامى العزيز المؤتمن
انزل عليه الشيخ رشيد
بالوحى من عند العميد
يبرد باذنك كالجليد
(الصيف ضيعت اللبن)



وظهرت جماعة دينية متطرفة هى جماعة السبكية ويسمون انفسهم اهل السنة ، يطلقون لحاهم ، ويقولون ان قراءة سورة الكهف قبيل صلاة الجمعة حرام ، والصلاة والسلام على رسول الله عقب الاذان ضلالة ، ومن الضلالات فى رأيهم الذكر جهرا فى المساجد وتلحين القرآن وغير ذلك من الدعاوى ، وشرعوا يهجمون على المساجد ويعتدون على الدين يقراون سورة الكهف ، فاضطرت الشرطة الى دخول المساجد للفصل بين المتشاجرين حسما للنزاع واطفاء لنيران الثورة الجدلية المحدثة للشغب واللغط .

وقال بعضهم انهم ـ اى السبكية ـ يفرقون كلمة المسلمين ، وينفثون روح الشقاق فيهم فينقسمون على انفسهم شيعا واحزابا ، وانهم خرجوا فى تطبيق العمل على العلم عن طريق المحجة والصواب ، وانهم يفسرون احاديث رسول الله بما يخالف المأثور والمنقول ، ولايرون فى ذلك غضاضة .

كتب احد العقلاء لقد شق على نفوسنا ان تثور ثائرة المسلمين عندما يطأ السبكيون الدعاة المساجـد ، ويشتد النزاع وتتهيج الاعصاب ، ويبلغ الغضب من نفوس القوم الى ان يتواثبوا للتضارب والتلاكم ، ويخرج المجتمعون بدعوى السبكية متنافرة بعد ان كانوا متحابين ، ومنقسمين بعد ان كانوا متفقين .

ظل المرأة منذ ١٠٠ عام

نجوى صالح

ظهر الهلال قبل أن تطل المرأة على الساحة المصرية. لم تكن في تلك الأيام من عام ١٨٩٢ إلا ظلا خافتا .. يلوح أحيانا وسط ظلمة الأزقة أو الحوارى الضيقة .. متعثراً .. يكاد يلتصق بالجدران .. أو راكبا حماراً يجرى خلفه عبد صغير .. غائبة تحت أستار الليل العثمانى الطويل .. متوجسة من جنود الاحتلال البريطانى .. لا تعرف فى أغلب الأحيان من المدينة الكبيرة البائسة التى تسكنها إلا شوارع محددة من بيت أبيها الى بيت زوجها .. ومن بيت زوجها الى قبرها .. كانت تعيش حياتها كلها الى الداخل .. لا تخرج منها إلا إذا فسقت .. وتحدث الجميع وأخذت طريقا آخر مختلفا فى الحياة - غير طريق ربات الخدور .. كانت تكتفى لساعات طوال بالجلوس خلف المشربية حيث ترى الجميع ولا يراها أحد .. ولكن ذلك لم يمنعها من أن تمارس حياة المرأة كاملة ولكن فى سرية تامة وفى ذكاء فطرى نادر لا يمكن أن يتوفر إلا لدى النساء.

قبل أن تخلع المرأة الحجاب فى ثورة سنة ١٩١٩



الهلال والمرأة

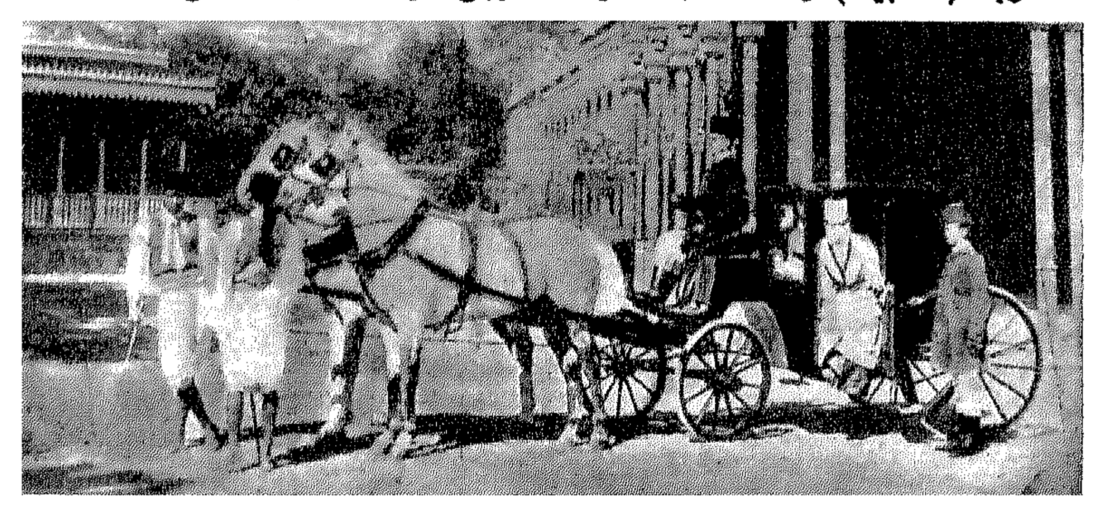
إن حياة الحريم فى مصر فى ذلك الوقت ، كانت غارقة فى الرتابة ، حيث إن الواحدة منهن تقضى يومها راقدة فوق فراشها ، أو مضطجعة فوق وسائد رخوة ، تحيط بها جمهرة من الإماء والخدم .. شديدات الانتباه - لأى إشارة تبدو من سيدة المنزل ، لذلك تكتسب هذه السيدة فى وقت قصير سمنة غير مستحبة ، ولكن الأتراك يعتبرون هذه السمنة شرطا جماليا هاما جدا .

ومسكن الحريم مكان له حرمته .. والأزواج وحدهم هم الذين يستطيعون التردد عليه بحرية ، ولا يمكن لأبواب هذا المكان المحرم أن تفتح مطلقا لرجل آخر بخلاف الطبيب او الكاتب أى ذلك النوع من موظفى السكرتارية الذين تستخدمهم عادة نساء الطبقة العليا . ولا يُستدعى الأطباء إلا فى الحالات العاجلة والملحة ، وفضلا عن ذلك ، فليس فى إمكانهم ان يروا المريضة إلا فى حضور الأماء



العالمة قمة فى التبذل والجسارة .

العربة (الكبيل) وتستخدمها المراة للخروج مرات معدودات فى حياتها .



والأغوات ، وحتى فى هذه الحالة لا يخلعن النقاب .

أما الكاتب ، فلا يسمح له مطلقا بالدخول .. ولكنه يجلس فى حجرة مجاورة يتلقى الأوامر من ربة البيت من وراء الباب سواء فى إملاء خطاب أو أوامر مختلفة ، وفى كثير من البيوت يكون للكاتب حجرة تقع أسفل الحريم ، وتملى عليه المباشرة (الوكيلة) ـ وهى سيدة تعمل فى خدمة ربة البيت ولكنها ليست من الأماء ـ أوامر سيدة البيت .

وتراعى هذه التقاليد بشدة عند الأسر المتميزة ، فالرجل على سبيل المثال لا يسمح لنفسه بأن يسأل رجلا آخر عن أخبار زوجته ، مالم تكن ثمة روابط حميمة ، ويستخدم تعبيرا مثل : كيف حال العائلة ؟ أو كيف حال (الناس اللى فوق) ؟ ثم أنه لا تسمح آداب اللياقة إدخال العوالم فى البيت إلا فى المناسبات الكبرى .

ويضيف . ج دى شابرول فى كتابه "المصريون المحدثون" والذى قام بترجمته د . زهير الشايب ! ومع ذلك فينبغى القول بأنه ليست كل العائلات على هذه الدرجة من التعنت . بل هناك كثيرون ممن تسمح تقاليدهم المتراضية لزوجاتهم بأن يحكن المكائد الغرامية فى داخل الحريم أو خارجه بمعونة من إمائهن ، فيتظاهرن على سبيل المثال بأنهن ذاهبات إلى زيارة ويذهبن الى لقاء غرام ، ، ولابد أن نستنتج أن البطالة وكذا حرارة الطقس الملتهبة هى التى تهيج شهواتهن وتحملهن بلا إنقطاع على الاستجابة لملذات الحواس ، ولكن الذى يضع حدا من خوف المرأة من أن يطلقها زوجها بل وأن يسوق الصوت على يديه . ونادرا ما تخرج المصريات خارج بيوتهن ، وإذا حدث ذلك فانهن يفضلن ساعة قدوم الليل ، أما عند سفرهن فيوضعن داخل هودج عرضه قدمان ، وعمقه ثلاثة اقدام . وتعلوه قبة صغيرة على هيئة قوس .

أما نساء الطبقات الشعبية فهن على العكس متهمكات فى العمل خارج بيوتهن لكنهن طيلة الوقت متحجبات بالبرقع وخاصة إذا لمحن رجلا ، وأكثر ما يشغلهن هو إحضار طعام أزواجهن ، والذهاب لجلب المياه فى جرار يحملنها على رأسهن بمهارة ورشاقة .

● لا رأى للصغار فى الزواج

وإذا تتبعنا قصة زواج فى ذلك العصر أى منذ مائة وخمسين عاما على وجه التقريب نجد أن سن الزواج لا يتقيد بالبلوغ ولكن المهم موافقة الأهل ولا أهمية لرأى الصغار ، ولكن لا يقربها زوجها إلا فى سن البلوغ حيث تصبح قادرة على الانجاب . ويحدث كثير الا يكون الزوج الشاب قد رأى من قبل المرأة التى تزوجها ، ولم تكن لديه بالتالى فكرة عن جمالها وكفاءتها إلا عن طريق واحدة من قريباته أو صديقات الأسرة ، لذلك فان الليلة الاولى للزفاف لا يكون لها من نتيجة إلا القطيعة التامة لتذهب الزوجة غاضبة إلى بيت أبيها ، ومع ذلك ، فانه إذا ما الح رجل فى أن يرى العروس فالشريعة تبيح له أن يرى وجهها ويديها ـ ولكنه فى العادة يخجل من هذا الطلب ومن بين الأسباب التى تؤدى الى سرعة إتمام زواج الصغار هو خوف الأهل على بناتهن من الانحراف غير المشروع !

الهلال والمرأة

● ياطالعة من باب الحمام

من أهم الاحتفالات التى تسبق يوم الزفاف (الحمام) حين تتوجه العروس وأقاربها للحمام العمومى ـ حتى عندما يكون لديهم فى منازلهم حماماتهم ـ فى أثناء التوجه إلى الحمام تتحجب كل السيدات فى الموكب وكذا العروس، وتحمل العروس فى بعض الأحيان على رأسها وعاء مغطى بشال من الكشمير يتدلى من كل الجهات ويغطى الوجه تماما ويكون الشال مزدانا بالكثير من المجوهرات والأحجار الكريمة التى استعارتها الزوجة إن لم يكن تملكها هى نفسها، وحتى يكون الشال أكثر بريقا فإنه يغطى من الأمام بورقة طويلة من الذهب، وبرغم أنه يتدلى حتى القدمين تقريبا، فاننا نلحظ خلال الفتحات التى يكشف عنها ملابس الزوجة البالغة البذخ والمطرزة بخيوط الذهب والفضة، وترتدى خفين من جلد الماعز، وهى لا تكشف مطلقا عن يديها . ولكن يمكن أن تخمن درجة سمنتها من تحت الملابس وهى تسير تحت هودج تغطيه ناموسية من الكريشة من اللونين الأخضر والاحمر ويحمله الأقارب والأصدقاء من أركانه الأربعة .

وتسبقها فرقة موسيقية حتى باب الحمام وسط الزغاريد تقابلها صاحبة الحمام وتصحبها الى الداخل .. وتبدأ العروس تستعرض على صاحباتها حليها، فتملأ المباخر بالبخور الطيب الرائحة، وتراق العطور الغالية بسخاء وبذخ وتكشف صاحبات العروس عن أجمل زينتهن وسط الورود التى تزين الحمام وينقضى اليوم فى مرح بهيج وتقدم الأماء وخادمات الحمام القهوة والشربات والفطائر والحلوى ثم يعود موكب العروس الى بيت أبيها بنفس الطريقة التى ذهب بها الى الحمام .

ولا يفوت الزوج بدوره أن يذهب الى الحمام، ويخطر صاحب الحمام بحضوره، هو ونفر من أصدقائه يتزين الحمام، ويطلق البخور وهم غالبا يحضرون معهم بياضاتهم وفوطهم، كما يجلبون معهم عازفين للترفيه عنهم، ويحصل مدير الحمام على ٦٠٠ ـ ١٠٠٠، وأحيانا الفين من (البارات) حسب درجة ثرائه . ويؤدى الأثرياء حفلة الحمام هذه مرتين .

● الزفاف وشهود الليلة الأولى

وأخيرا يحل اليوم الكبير وتقام حفلة باذخة تضم الأقارب والأصدقاء وتسير العروس تحت هودج يحمل الأماء والخدم ثيابها وحليها فى سلال مزدانة، لكنها لا تتوجه مباشرة الى منزل زوجها، بل تقوم بجولة طويلة ولخيرا تدخل منزل الزوجية .. يقدم الطعام والقهوة والشربات . ثم يدخل الزوج الحجرة التى تنتظر فيها العروس وتبقى فيها القابلة والبلانة، ويقترب الزوج من زوجته . المغطاة بنقابها ويسمى باسم الله، وبينما قلبه يدق خوفا وأملا وعندئذ تنسحب السيدتان، وعندما تصبح الزوجة بمفردها مع زوجها فإنها تقدم له العسل والفطائر والمأكولات رمزا للعاطفة والمودة التى هى حق لكل منهما على الاخر .

وتتلقى الزوجة مهرها حين تصل الى منزل زوجها وهى حرة التصرف فيه كما يحلو لها .

● العوالم والغناء

إن الترفيه الوحيد فى حياة الزوجة .. حينما يقيم زوجها الحفلات الغنائية . وتمكث هى في الحريم ـ لتختلس النظر من بين اخشاب المشربية .. وتحضر العوالم والمغنيات .. ويوجد مجلد من بين مجلدات (وصف مصر) عن الموسيقى والغناء .. ويصف المؤلف فيه العوالم ، ويقول : إنهن مغنيات وراقصات محترفات ، وهناك فيما يبدو صنفان منهن : الأول من اللاتى يسلكن سلوكا محترما يتسم بالحشمة ، ويحظين بتقدير أفاضل الناس ، أما الثانى فيشمل أولئك اللاتى يركلن بالأقدام كل لياقة ويوحين بالأزدراء .. ويمتدح القوم أغانى الأوليات وإن كنا لا نستطيع رؤيتهن أو السمع اليهن . بمجرد أن سيطر على مصر الفرنسيون لم يعدن الى العاصمة إلا فى الأيام الأخيرة من إقامتنا هنا كذلك فقد يتغنين مختفيات عن الأنظار وخاصة نفورهن من الغناء أمام الرجال اما الصنف الثانى فهن العوالم ، ويضم راقصات عموميات لا تقاليد ولا عفة لهن .. ويطلق القوم على مثل هذا الصنف الغوازى .. وهؤلاء يظهرن فى الأماكن المطروقة .. والميادين . ونجد أن المراة المصرية شغوفة بسماعهن ورؤيتهن .

● اللبس حسب المقام

لا تتأثر ملابس المراة المصرية على الاطلاق بالموضة ولكنها ترتبط داخل البيت بالأنوثة والتبذل لارضاء الرجل وفى الخارج بالحشمة المطلقة .

ويستدل على ثراء المرأة من زينتها .. بالرغم من أنها مقصورة على الاقارب والزوج والأصدقاء ، وهى تغطى جسدها بأغلى الملابس التى تنثر فوقها ببذخ وبدون اى إختيار أو تناسق ، فهى تحلى جيديها بالسلاسل الكثيرة من الذهب .. ويتدلى منهما صندوقان من الذهب واحد يحتوى على آية قرآنية للوقاية من الحسد والآخر قنينة للعطور . بالاضافة إلى الأساور ، وترى فى قدمها أساور ـ ولكنها ليست عادة عامة عند الطبقة الثرية ـ برغم إنتشارها فى طبقة الزينات مثل الفلاحات وتكون عادة من الفضة عند تلك الطبقة .

● ثم ظهر جيل الرائدات

استمرت المرأة المصرية فى نفس طريقة الحياة ونفس طريقة الأزياء .. ماعدا طبقة الحكام اى زوجات موظفى الحكومة الكبار والوزراء والوجهاء .. فإنهم إتخذن طريقة جديدة فى الحياة بدأت فى حوالى سنة ١٨٨٦ وهى السنة التى ولدت فيها نبوية موسى ، فقد بدأ بعض سيدات المجتمع فى الاتصال بزوجات المستعمر الجديد الانجليزى وبدأت السيدات يتشبهن بالأجنبيات فى طريقة تقديم الطعام واصنافه .. وكانت السيدة الأجنبية بمثابة أستاذة للمرأة المصرية تعلمها ـ بعد أن يصبحن صديقات نتيجة لصداقة الأزواج ـ جميع الفنون المختلفة من طهو وطريقة تقديم الطعام وأزياء وخلافه ولكن المرأة المصرية قد فاقت بأناقتها وبالاشغال اليدوية التى اتقنتها وطريقة ادارة البيت كل أترابها الأجنبيات . وبدأن يتجهن الى تعليم أبنائهن ، وتوصيلهم الى أرقى درجات التعلم خاصة الفتيات مثل نبوية موسى التى وصلت إلى أرقى الدرجات العلمية .. وقد تصادف أن مولد ملك حفنى ناصف باحثة البادية ، ومى زيادة ونبوية موسى فى نفس العام ١٨٨٦ .

قاسم أمين

يهاجم تحرر المرأة !

بقلم : جمال سلطان



- الزى العربى فى عام ١٨٩٢ المرأة الواقفة ترتدى زى الخروج والجالسة ترتدى زى البيت

كانت الفترة التاريخية التى عاشها مفكرنا الكبير قاسم أمين (١٨٦٣ ـ ١٩٠٨) تعتبر أكثر فترات تاريخنا الحديث خطورة ، وقلقا ، واضطرابا ، إذ هى المرحلة التى شهدت تبلور الأفكار الحديثة فى حنايا المجتمع المصرى ونخبته المثقفة عندما بدأت فى الظهور آثار النفوذ الاجنبى الفرنسى ، الانجليزى ، فى السياسة والاقتصاد والقانون وغير ذلك مما فتحه عهد الخديوى اسماعيل (١٨٦٤/ ١٨٧٩) ونما فى أحشاء المجتمع المصرى جنين الشعور الوطنى الحاد الذى بدأ مع تجربة محمد على باشا التحديثية (١٨٠٥ ـ ١٨٤٨) وفى هذه الفترة ايضا حدثت أول انتفاضة للجيش المصرى بزعامة احمد عرابى سنة ١٨٨١ ، والتهاب الشعور الوطنى معها ، ثم انتكاستها ، وبداية حقبة طويلة من الاحتلال البريطانى لمصر ، وماتميز به هذا الوجود الأجنبى من تغلغل فى موازنات الحركة الاجتماعية والثقافية والسياسية فى مصر ، ولاسيما فى ظل « اللورد كرومر » عميد الاحتلال البريطانى ، الذى لايكاد شبحه يغيب عن نشاط تلك الفترة اجتماعيا أو سياسيا أو ثقافيا ، سلبا وايجابا ، مما ولد مناخا جديدا فى حركة المجتمع المصرى لم يألفه المصريون من قبل .

حاصل القول ، أن هذه الفترة التى عاشها « قاسم أمين » كانت تموج بالقلق والاضطراب السياسى والثقافى والاقتصادى ، مما عكس نفسه ـ بالضرورة ـ على « الظاهرة الفكرية والثقافية » فى مصر ، واتجاهات رواد النشاط الفكرى والثقافى ، ذلك النشاط الذى بدأ يعرف « الازدواجية » الثقافية والثنائية الفكرية التى استقطبت عقول ذلك الجيل ، بين الأصيل الموروث بقداسته وعمق تجذره فى الضمير وفى الواقع الاجتماعى ، وبين الجديد الوافد ، بطرافته وجاذبيته الجارفة ، وقوة الاحساس بحاجة الأمة إليه .

هذه الثنائية وان كانت شواهدها مستفيضة فى رموز ذلك الجيل الرائد ، فانه مما يجذب الانتباه ، ويفيدنا فى



قاسم امين

تتبع « نبض اللحظة التاريخية » فى البناء النفسى والفكرى للمفكر حينها أن نضع أيدينا على معالم هذه الازدواجية لابين مفكر وغيره ، بل بين المفكر ونفسه ، مما يجعلنا نضع أيدينا على حقيقة الصراع الذاتى

من أوراق النهضة

العنيف الذى كان يتنازع ضمائر أبناء ذلك الجيل ، تلك الحقيقة التى من شأنها أن تجعلنا ـ نحن المعاصرين ـ أكثر اقترابا من « ذاتية » جيل النهضة وأكثر قدرة على تفهم نوازعهم الفكرية ، برشدها وزللها على حد سواء .

وقاسم امين ، لحد هذه النماذج التى عاشت هذا القلق وعاش القلق بداخلها أيضا ، وقد انعكس ذلك على أفكاره وعطائه النهضوى ، حيث وصلت بعض آثاره إلى حد التناقض الكامل بين بعضها البعض ، بما يستحيل معه التوفيق بين الوجهتين ، مهما تكلفنا وتمحلنا الاعذار .

واذا كانت آراء « قاسم أمين » فى كتابيه « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » هى الأكثر شهرة بين الناس ، والأشد التصاقا بذكره ، إلا أننا نؤكد انها إنما تمثل جانبا من جوانب « تراثه » ووجها من وجوه منحاه النهضوى ، وموجة من موجات القلق الفكرى والحضارى الذى عاشه هو كما عاشه الكثيرون من أبناء جيله .

لقد ارتبط ذكر « قاسم أمين » بفضل هذين الكتابين ـ بالدعوة إلى السفور ، وتأسيس الحركة الاجتماعية على أساس الاختلاط ، ومنع التفريق بين الجنسين ، ورفض قاعدة « تعدد الزوجات » وتقييد مسألة « الطلاق » ومساواة المرأة بالرجل فى الحقوق السياسية والوضع الاجتماعى العام ، وهى الأركان الفكرية التى دار حولها فكر « قاسم أمين » فى كتابيه المذكورين والتى نشطت على إثرهما الدعوة إلى « تحرير المرأة »

ولكن الكثيرين منا لايعلمون أن « لقاسم أمين » أفكارا أخرى ، ووجهة نظر متباينة ، وآراء حادة فى موضوع « المرأة » لانغالى إذا قلنا بأنها هجوم صريح ومحكم على دعوة « تحرر المرأة » !

ففى العام ١٨٩٤ م ، أى قبل صدر كتابه « تحرير المرأة » بخمس سنوات ، أصدر كاتب فرنسى كتابا يحكى فيه أوضاع المجتمع المصرى ، ونظامه الاجتماعى بما فيه نظام الأسرة ، ووضع المرأة ، والقيم الاجتماعية المرتبطة بذلك كله على صيغة الاستهجان والتشويه والهجوم الشديد ، فكان أن انتصب للرد على « دوق داركور » مؤلف ذلك الكتاب « قاسم أمين » فأنشأ كتابه الذى أسماه « المصريون » ووضعه بالفرنسية ، وهو مانتقل عنه فى مقالنا هذا ، بعد أن ترجم ونشر فى الأعمال الكاملة لقاسم أمين .

وقبل أن نعرض لأفكار « قاسم أمين » فى كتابه « المصريون » نود أن نلفت النظر إلى أن هذا الكتاب الهام ، ظل طوال اكثر من « ثمانين عاما » فى طوايا النسيان ، ورغم تعدد

الاشارة إليه فى كلمات عابرة ببعض الأبحاث ، فانه ظل هذه الحقبة المديدة منسيا ، لايعرض له الباحثون ، ولايهتم بترجمته أية جهة أو مؤسسة أو حتى « مترجم فرد » رغم أهميته الكبيرة فى فهم المكونات الفكرية لقاسم أمين ، ورغم قلة نتاج « قاسم أمين » أصلا وهذا مايجعلنا نميل إلى اتهام نشاطنا البحثى فى حقبة النهضة الحديثة ، بأنه مازال بعيدا عن الجدية والتكامل ، ومازال فى حاجة إلى الموضوعية والاحاطة لتحقيق دقة الرؤية فى تلك المرحلة التاريخية الهامة .

فى بداية كتابه يؤكد « قاسم أمين » أن الوضع الصحيح هو أن تأخذ أوربا من نظام الاسلام الاجتماعى وليس العكس ، يقول : « لماذا لاتأخذ أوربا من الاسلام الدواء الذى يذهب مرضها ، والاسلام هو الذى أنقذ الغرب من بربريته ؟ إننى أعتقد أن علماء الغرب وسياسييه يستفيدون أعظم فائدة لو أنهم درسوا هذا التنظيم الاجتماعى وحاولوا المواءمة بينه وبين ظروف بلادهم .

ويأسف « قاسم » على أن العكس هو الذى حدث ، يقول : « حقا ان النظرة الأوربية المرتابة قد غزت منذ فترة عقول المسلمين ، وجعلتهم للأسف يهجرون تقاليد الاسلام القويمة .

ومن شواهد هذه « النظرة المرتابة » مايدعيه الأوربيون من أن المرأة عندنا « حبيسة الدار » ليختلقوا معركة وهمية للمرأة فى حين أن لاوجود لها بالمرة ، يقول : « على أن الخطأ المطلق أن يقال ان المرأة فى مصر حبيسة الدار ، فجميع النساء يخرجن فى جميع ساعات النهار والليل مثل الرجال ، ويتنزهن وحيدات أو فى رفقة صديقاتهن ، يقمن بزيارات ويستقبلن زيارات بانتظام ، يدخلن المحال لشراء حاجاتهن ، ويتجولن فى الأسواق ، ويترددن على أماكن التنزه ..

وهذا التصوير الدقيق والأمين لواقع المرأة المصرية جعله يتشكك فى نوايا الغربيين من إثارة مثل هذه القضايا يقول : « وإننى أكرر من وجهة النظر هذه أن وضع الرجال هنا مشابه لوضع المرأة تماما ، ورغم ذلك فإن احدا من الأوربيين لم تحركه طيبة قلبه إلى أن يرثى لحالنا نحن الرجال ولهذه الحياة التعيسة التى نعيشها ..

ثم يقف « قاسم أمين » عند « الشبهة » التى يثيرها هؤلاء « الزائغون » كثيرا لتشويه مكانة المرأة فى المجتمع المسلم ، وهى أنها لاتمارس بعض أعمال الرجال ، ولاتضطلع بشئون سياسية ، فيرى ذلك من قبيل « لزوم مالايلزم » يقول : « حقا إنه ليست لدينا سيدات بلاط ، ولانساء سياسيات ، ولامتحذلقات دعيات تأليف أدبى ، ولكن هل يعد هذا شيئا سيئا ؟ إننى أجيب على استحياء : كلا » .

من أوراق النهضة

● كائنات لا لون لها

وهو يرى أن تشبه المرأة بالرجال فى هذه الحرف وغيرها يسىء إليها هى ، ويجعلها تخسر ماتمتاز به ، تأمل قوله : « فإننى لا أرى الفائدة التى يمكن أن يجنيها النساء بممارسة حرف الرجال ، بينما أرى كل ماسوف يفقدنه ، فإن هذه الحرف سوف تجرفهن عن المهام التى تبدو انهن خلقن من أجلها ، كما أن هذه الأعمال لن تجعلهن اكثر فائدة للمجتمع .

ويوغل « قاسم أمين » فى التفكير على هؤلاء النساء المتحررات ، ويرى أنهن مجرد « كائنات » لا لون لها ولامعنى ، ولاتنتمى إلى جنس « النساء » .

ويشدد « قاسم أمين » النكير على محاولات « المرأة » التشبه بالرجال ومضاهاتهم ، وفى عبارة حادة يقول : « إننى أحتقر ادعاء النساء وتحذلقهن »

يستنكر « قاسم أمين » هجوم « الغرب » على الاسلام وتشريعه بالنسبة للمرأة ، وهو إذ يقارن فى كتابه بين وضع المرأة فى الاسلام ووضعها فى « أوربا » يؤكد أنه يفخر بالتشريع الاسلامى ويؤكد - أيضا - « أن الوضع الذى أعطاه الاسلام للمرأة هو اكثر تميزا مما تتمناه » .

ويدافع « قاسم أمين » عن التشريع الاسلامى وتقنينه « تعدد الزواج » ومنحه الحق للزوج أو الزوجة - حسب شرط الزواج - لانهاء الزواج « بالطلاق » إذا قدر أن استمرارية الحياة بينهما مستحيلة ، ويرى أن الاسلام دين واقعى ، يتعامل مع الطبيعة الانسانية الحقيقية ولايهوم فى الخيال والشعارات ، ويقول : « إننى كلما تأملت تشريعنا زاد حبى حقيقة له ، فإنه وحده الذى وضع النظم العادلة بأفضل مما فعل غيره ، وهو وحده الذى استطاع عمليا حماية الضعفاء ، وهو وحده أيضا الذى عرف التلاؤم مع حركة الطبيعة ، كما عرف كذلك صيانة الزواج من السقوط فى التفاهة ..

هذه الحيوية والواقعية التى يتميز بها التشريع الاسلامى ، هى التى حصنت مجتمع المسلمين من الكثير من المخاطر ومظاهر الكبت والاضطراب الجنسى ، ومن ثم نرى قاسم امين بعد أن يوضح الزواج فى الاسلام ، يوجه تساؤله الجاد : « هل ندهش بعد كل هذا حين نلحظ أن لكل امرأة فى الشرق زوجا ، بينما تزحم العوانس الدور فى أوربا ، لقد كان من بين الأشياء التى صدمتنى فى أوائل وصولى إلى فرنسا ، أنى التقيت بنساء بلغن سن الخمسين ويناديـن بالآنسات ، فلم أر هذه الظاهرة فى مصر »

ثم يقف مفكرنا الكبير عند مسألة

تعدد الزوجات ، بشيء من التفصيل ، مدافعا عن مصداقية التشريع الاسلامى وفطريته فى ذلك الأمر ، وهو يقرر ـ فى البداية ـ أن الهجوم الأعمى على « إباحة تعدد الزوجات » يمثل نوعا من « الجمود الفكرى » و « مقصور الرؤية » الذى لايفلح فى علاجه المنطق والدليل ، حيث يقول : « من المسلم به عند جميع الأوربيين أن تعدد الزوجات نظام مفض إلى الفساد ، وتلك هى إحدى الأفكار المسبقة ، التى تفشل جميع التحليلات المنطقية ، والوقائع المادية فى التصدى لها » .

والمثير فى هذا السياق ، أن « قاسم أمين » لايأخذ موقف الدفاع ضد هذه الأفكار الوافدة من الغرب ، وإنما هو يبادر بالهجوم ويرى أن « أوربا » هى التى ينبغى أن تقف موقف « المتهم » وهو ـ فى هذا السياق ـ يتهم المشرع الفرنسى بالجهل عندما حرم تعدد الزوجات .

يقول « قاسم أمين » متهكما : « لقد ترددت كثيرا على المجتمع الأوربى فى فرنسا وفى مصر منذ عشرة أعوام ، وقد لاحظت أنه إذا أعطى أحد فى الحياة يده اليمنى يوما ، فهذا لايعنى أنه يفعل ذلك بيده اليسرى ، بل إنه يمد هذه من الصباح إلى المساء ، وبخاصة من المساء إلى الصباح ، وهى لاتعانى الرفض فى أغلب الأحيان ، وهكذا تمارس فى حياة الأوربيين الزوجية ، وفى هذه القسمة كما تدركون جيدا ، ليست الزوجة الشرعية هى التى تظفر بنصيب الأسد ! »

بيد أن « قاسم أمين » لايقف بالمقارنة عند هذا الحد ، إذ أنه يبقى للأسلام أنه يتقي ـ بتنظيمه تعدد الزوجات ـ مشكلتين اجتماعيتين مدمرتين ، وهما : مشكلة « أطفال الزنا » حيث أن أولاد المرأة الأخرى ، هم أولاد شرعيون ، يتربون فى حضانة أب وأم وأسرة ، مما يمتنع معه الاعوجاج النفسى « السيكولوجى » الخطير الذى يصيب « أولاد الزنى » ومن ثم ، يؤكد « قاسم أمين » أن الطفل الطبيعى (غير الشرعى) هو نتاج غربى خالص ، لم يستطع التأقلم فى بيئتنا » .

أما المشكلة الأخرى التى احتواها التشريع الاسلامى ، فهى مشكلة المرأة بلا زوج ، ويدخل فى ذلك الأرامل ، والمطلقات ، والعوانس ، ونحوهن ، حيث يرى « قاسم أمين » أن فى نجاح التشريع الاسلامى فى معالجة هذه المشكلة وسابقتها قدوة على « أوربا » أن تعتبر بها ، تأمل قوله : « أولا ترى أوربا فى اختفاء هاتين المشكلتين الاجتماعيتين فى العالم الاسلامى ، بفضل تعدد الزوجات ، مشهدا مليئا حقا بالدروس النافعة ؟ »

وفى تقديرى أن هذا الموقف « المنهجى » من قاسم أمين فى مواجهة « الهجوم الأوربى الاستعلائى » يمثل سبقا كبيرا فى الفكر الاسلامى الحديث ، بغض النظر

من أوراق النهضة

عن مواقف المؤلف الأخرى والتى تخالف ماقرره هنا ، كناتج لحالة القلق والاضطراب الثقافى والحضارى العام ، التى شاعت ـ كما قدمنا ـ فى اللحظة التاريخية التى عاشها جيل قاسم أمين ، فلقد نقل « قاسم أمين » الفكر الاسلامى من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم ، وحول المشكلة من مبدأ « لا أستورد الفكر » إلى مرتبة « أن أصدر الأفكار إلى أوربا »

● المصريون واصالة المنهج

من القضايا الهامة التى وقف عندها « قاسم أمين » فى كتابه « المصريون » مشكلة « الاختلاط » بين الجنسين ، والموازنة والمقارنة بين المجتمع المختلط والمجتمع غير المختلط ، وهو يرد « ادعاء » « دوق داركور » ممثل النظرة الأوربية بأن محافظة المجتمع الاسلامى ، ورفضه اختلاط الجنسين يمثل مغلما على تخلفه وانحطاطه ، وعائقا له عن التقدم ، فيرى « قاسم أمين » أن ذلك ادعاء غير مستند إلى واقع أو منطق ، ثم يستشهد على مضار الاختلاط بما يحدث فى المجتمع الأوربى ذاته وعلى مدار اربع صفحات كاملة من القطع الكبير ، يتتبع المؤلف بدقة عالية خفايا المجتمع الفرنسى وما أحدثه فيه الاختلاط من مباذل ومهازل ، وخيانات ، وحوادث عنف ، وتهتك فى البناء الأسرى وتبلد فى مشاعر المروءة والشرف ، وينقد ـ فى نفس السياق ـ الحجج التى يتذرعون بها من أن الاساس هو التربية ، وأن الاختلاط يرقق المشاعر ويهذب الشهوة وغير ذلك من « أوهام » حسب راى المؤلف .

ثم يتساءل قاسم أمين : هل هذا الاختلاط بين الجنسين هو مايجوز فى الاسلام ؟ ويبادر هو بالاجابة : « إن ديننا يجيب على ذلك السؤال : بلا ، وقد أوصى بأن يكون للرجال مجتمعهم الذى لاتدخله امراة واحدة ، وأن يجتمع النساء دون أن يقبل بينهن رجل واحد ، لقد أراد بذلك حماية الرجل والمرأة مما ينطوى عليه صدرهما من ضعف ، والقضاء الجذرى على مصدر الشر ، وإذا كانوا يقولون ان الظروف هى التى تصنع اللص ، فأن الظروف أيضا هى التى تخلق الزانى »

وهنا ـ أيضا ـ يشير « قاسم أمين » إلى ما احدثه هذا « الفصل » بين الجنسين فى المجتمع الاسلامى من تعميق للألفة بين الزوجين ، وتحصين البيت المسلم من مضار الاغواء الخارجى ويؤكد على أن فى ذلك عبرة لأوربا ، ولابد من أن يعترفوا بذلك .

يقول : « إننا نحس جميعا أن لنا نظاما يرسخ من الاتحاد بين الزوجين ، فلا نعرف نساء غير نسائنا ، كما لاتعرف زوجاتنا رجالا غيرنا ، وهذا

مايجعلنا أزواجا متفاهمين ، مادمنا نملك أقل قدر من حسن الطباع ، لاشيء يعكر هدوء حياتنا الزوجية ، وإذا حدث توافق بقى إلى الأبد أما الاغواء أو الاغراء الخارجي فإنه لايصل إلينا ، وتلك الحقيقة يجب أن ينتهى الأمر بالأوربيين إلى الاعتراف بها »

ويختم « قاسم أمين » ذلك الدفاع القوى والرصين عن القيم الاسلامية ، في مواجهة هجوم القيم الغربية ، بتأكيده على أن القيم الاسلامية - بوجه عام - هى المناخ الانسانى النموذجي لتربية رجال طاهرين ، ونساء شريفات ، حيث يقول : « إن الاخلاق الاسلامية تخلق رجالا طاهرى الذيل ، قادرين على تخطى ،أقسى التجارب دون تخاذل ، كما أنه يمنحنا زوجات فضليات ، يضعن شرفهم كله فى دعم بيت الزوجية وحسن إدارته »

هكذا تكلم « قاسم أمين » فى كتابه « المصريون » هكذا دافع عن الاسلام وشريعته ، وهكذا هاجم دعوات « تحرير المرأة » ورأى أنها دعوات غربية غير منطقية ولا واقعية نفذت - مع أسفه - إلى بعض عقول المسلمين .

يبقى أن نشير إلى أن أسلوب هذا الكتاب ، وتماسكه المنهجى ، وأصالته ومنطقيته لاتدع مجالا للشك فى أن صاحبه كان يكتب عن وعى وتمكن ، وبصيرة ورشد ، لا عن عاطفية أو تشنج ، كما أنه كان يستشهد بالواقع الاجتماعى الذى رآه رأى العين ، سواء فى مصر حيث اطلع على جذور المجتمع المصرى من خلال عمله فى « النيابة » فى القاهرة وفى صعيد مصر وفى الدلتا ، وكذلك المجتمع الفرنسى حيث درس فى جامعة « مونبيلييه » سنوات عدة ، مما يجعلنا نستبعد المهاترة والكذب عنه فى ذلك المؤلف ، أضف إلى ذلك أن « قاسم أمين » نفسه ، حرص فى ختام كتابه على أن يؤكد هذه المعانى ، وأنه إنما صدر فى كتابه عن موضوعية صارمة ، ولم يكتب كمصرى مسلم ، وإنما ككاتب يبحث عن الحقيقة .

فهو يصور حالته بعد ان قرأ الكتاب الفرنسى الذى هاجم الاسلام وشريعته حيث يقول « شرعت أطيل التفكير فى كل ماكتبه عنا ، وتأملت جميع المشاكل التى وضعها وحلها ، وخلعت عنى صفتى المزدوجة كمصرى مسلم ، لأحلل الموقف فى حياد تام ، ودون انفعال أو تحيز ، ولم أسترشد بغير الرغبة فى معرفة الحقيقة »

وهذا التوكيد هو ما يكشف لنا عن مصداقية المؤلف حين كتب ما كتب ، وهو ما يكشف لنا - أيضا - ما أوضحناه فى مقدمة هذا البحث من عمق الخلل والقلق والاضطراب والازدواجية ، التى سيطرت على الاتجاهات الفكرية فى حقبة نهضتنا الحديثة .

١٨٩٢ يوم صدر الهلال

كما جاء في المذكرات والسير الذاتية

تقديم : مصطفى نبيل

تقدم بعض المذكرات معلومات تمثل المادة الخام للمؤرخ ، وكثيرا ماتجعل القارىء يلمس طبيعة العصر ، واحيانا تقدم طعم ولون ورائحة مرحلة تاريخية بذاتها ، والمرحلة التاريخية التى نعالجها ، والذى يعتبر عام ١٨٩٢ مركزها ، يوم كانت مصر تبحث عن طريق بعد عشر سنوات من الاحتلال البريطانى ، نجدها موزعة فى مئات الصفحات التى كتبها الأدباء والسياسيون والقادة ، وهى ليست مجرد قصص من الماضى ، إنما هي تسجيل شهادات حية لشخصيات كان لها اثرها فى حياة البلاد . وسنقتصر هنا على ثلاث هم الاميرة جويدان زوجة الخديو عباس ، والكاتب احمد امين ، وقلينى فهمى باشا .

١ | مذكرات زوجة الخديو عباس وثيقة تنقل مصرا بأكمله ..

يمكن اعتبار مذكرات زوجة الخديو عباس (١٨٧٤ ـ ١٩٤٤) الأميرة جويدان ، صورا متلاحقة وأراء متباينة وخواطر ذكية ، كتبت فى اوقات مختلفة ، فى لقطات سريعة متتابعة على طريقة فن السينما ..

تبدا مذكراتها بوصف شيق لحفل زفاف ، وسريعا مانجدها وإلى جانبها الخديو تستقبل ، وترعى فى قصر المنتزه بالاسكندرية الفارين من لهيب الحرب ـ البلغارية التركية ، وتصل المذكرات إلى نهايتها وهى تغوص فى عالم الحريم فى مصر والشرق بسحره وغموضه .

وهى مذكرات غنية بالأسرار والمغامرات ، ونلحظ فيها شقاوة إمراة تفيض أنوثة وحيوية ..



جويدان هانم
زوجة عباس باشا



زوجة الخديو عباس تبحث عن عمل فى دار القنصلية البريطانية بباريس

الخديو توفيق .. صورة زفاف



جنان بارهانم احدى
زوجات الخديو اسماعيل



١٨٩٢ يوم صدر الهلال

ولعله يعيب هذه المذكرات عدم ترابطها ، فليس لها بداية أو نهاية ، وتفتقد إلى المغزى السياسى ، وتقتصر على ماتقدمه كوثيقة تعبر عن عصر بعاداته وتقاليده .

وهو العصر الذى تولى فيه الخديو عباس حكم مصر فى الأيام الأولى لصدور مجلة الهلال .

وهذه المذكرات ليس لها سابقة فى التراث العربى ، فنادرا ما تكتب سيدة عربية مذكراتها وخواطرها بصراحة ، والأكثر ندرة أن تكون الكاتبة أميرة شرقية ، ولعل السابقة الوحيدة هى ماكتبته الأميرة العمانية سالمة بنت السلطان سعيد ، ولكن حدث ذلك بعد أن تنكرت لدينها وغيرت إسمها وهجرت بلادها ، وحصلت على الجنسية الألمانية ، واشتركت أميرتنا المصرية معها فى كتابة مذكراتها باللغة الألمانية ثم ترجمت بعدها إلى اللغة العربية .

مصر بلد العجائب ، كل شىء فيها جائز ، تعلق بهذا القول على ما واجهته لأول مرة فى حياتها ، العرس الذى دعيت إليه بوصفها زوجة الخديو ، ووقعت أمامه فى حيرة شديدة ولم تعرف كيف تتصرف ..

« انحنت أمامى زوجة أحد الوزراء .. قالت .. ياصاحبة السمو ، لقد عجزت عن إختيار هدية تناسب مقامكم ، ولم أجد لدى أعز من إبنى لأقدمه هدية لك ، وذهبت الهانم وعادت تصحب فى يدها طفلها الصغير الذى يبلغ من العمر خمس سنوات ، وقدمته لى ، ولأول مرة لا أعرف ماذا أفعل ، فمن يتصور أن الأطفال تهدى ، وامتعض الخديو عندما عرف القصة ، وأصبح الطفل عبئا ثقيلا ، ولم أعرف كيف أتخلص من هذا الموقف حتى قدم الطفل بنفسه الحل ، عندما امتنع لمدة ثلاثة أيام عن الطعام وأكثر من البكاء ، فأعدته إلى أمه ومعه عربتان محملتان بالهدايا ... !!

● جمال الخديو

إن أجزاء كبيرة من مذكراتها تعبير ملتهب عن حبها لزوجها وتغزلها فى جماله ومهارته ، مثلا تخاطبه وهى تصحبه فى القطار قائلة .. « وددت أن يصغر هذا القطار ويتناقص حجمه حتى يصبح عربة واحدة ، ليس فيها سوى أنا وأنت ، ولا أحد سوانا ، ويتلاشى حتى ماضىّ وماضيك قبل أن نلتقى ، ولايبقى معنا إلا ماقمنا به بأيدينا »

ولم تخبرنا فى مذكراتها عن عزل الخديو وحرمانه من العودة إلى البلاد ، وحياتهما فى أوروبا ، كما لم تخبرنا عن مشاعرها يوم تعرض لطلقات الرصاص فى محاولة لاغتياله فى أحد شوارع الأستانة ، وإن كانت ذكرت أن خادم الخديو هو فريدريك البريطانى الجنسية ، وأن جميع وصيفاتها من الأجانب ، حتى أستاذها للغة العربية كان أحد الأجانب وهو المستشرق البروفسير هس .

كما ذكرت أنه كان يطلق عليها « هانم أفندى » وأنها كانت تعيش فى قصر مستطرد وكان زوجها الخديو يعيش بعيدا عنها فى قصر عابدين ، وأنها لاتعترف بعظمة إلا بعظمة المساواة .

● الخديو واللورد

إذا كان اللورد كرومر قد نجح فى سلب





الملكة الفرنسية اوجينى

والده الخديو توفيق كل سلطاته فى الفترة مابين ١٨٨٢ و١٨٩٢ ، فقد قاوم عباس هذه السيطرة ، وحرص على أن يرتدى لباس الجند وأن يسمع بنفسه قسم يمين الطاعة لعرشه .

وورد فى مذكرات الأميرة بعض ملامح هذا الصراع .. تقول :

« جلس الخديو على العرش وعمره ثمانية عشر عاما ، ولم تكن الظروف مناسبة ، فقد خلف توفيق باشا وهو الحاكم الضعيف ، وقبله جده اسماعيل باشا الذى كان حاكما قويا كبيـر المطامح ..

ولما تولى عباس عرش مصر لم يجد فى بداية حكمه تأييدا كافيا ، فلم يكلف اللورد كرومر نفسه عناء الاتصال بالخديو الصغير ، فالسياسة البـاردة لاتعرف للعواطف معنى ، فكان اللورد لاينظر إلى عباس إلا كحاكم غير عنيد ، وربيب غير محبوب ، وهو مضطر لمخاطبته بلقب « ياصاحب السمو » وهو يعلم أن الخديو لايملك فى الحقيقة سوى هذا اللقب ، فى حين يشعر اللورد أنه الحاكم الفعلى ، وهذا كاف لكى ينظر اللورد إلى الخديو كدمية عليها الطاعة والامتثال ، وكانت الطاعة غريبة على طبع الخديو ، فقد كان قوى العزيمة محبا للكفاح ، واشتد لديه هذا الشعور عندما شعر بالمسئولية الملقاة على عاتقه والتى كان يمكن القيام بها دون أن يقف موقف الدفاع أمام اللورد العدو القوى الذى كان يذله كحاكم وكإنسان .

وليس معقولا او مقبولا ان حاكما ، حتى لو لم يكن وطنيا ، أن يقبل صداقة ديكتاتور أرغم على قبوله من قوة معادية ، وكلما شاهد الخديو اللورد تذكر ضعف بلاده وهزيمة اسلافه ، وكان اقسى وقت مر على الخديو هو عندما وجد كرومر فى مصر

ولكن عندما إستبدل اللورد بالسير الدون جورست تغير الحال ، وتنفس الخديو الصعداء ، فكان السير رجلا لطيفا لينا ، وإذا كان السير فى مصر حين جلس

عباس على أريكة الحكم لتغير الحال وكان أصلح لتطور أخلاق الخديو فإنى أتهم اللورد بأنه السبب فى بعض خبث الخديو !!!

وكان جورست هو الشخص الانجليزى الوحيد الذى أخلص له الخديو ، وعندما اشتد المرض على جورست ، وخلال زيارتنا للندن ، أسرع عباس إلى زيارته وعاد وهو حزين وتجلت الرابطة الانسانية بين السياسى البريطانى والحاكم المصرى ..

هذا ماقالته الأميرة أما مايقوله التاريخ ، فانه بعد أن خلف السير الدون جورست اللورد كرومر ، تغيرت سياسة قصر الدوبارة تجاه قصر عابدين ، وانتقلت العلاقة بينهما من الخلاف إلى الوفاق .

● المال والفن

تذكر الأميرة .. كان الخديو يحب بلاده حبا كبيرا ، ويتعلق بأرض مصر ، ويظهر هذا الحب على ماتتعهده يداه من أعمال ، وأخذ عليه البعض انه يستغل منصبه ويعمل بالتجارة ، ولكنه لم يكنز ثروته فى صناديق ، كشأن غيره من أمراء الشرق ، ولكنه دفع بثروته إلى السوق ، وعجبى فما يعتبر لسائر التجار ميزات وحسنات يعتبر بالنسبة للخديو كسيئة ونقيصة !! فالحقيقة أن الخديو كان تاجرا أشطر من التجار ، وعندما أجر ميناء المنتزه' لأحد الصيادين كان يمد القصر بصيده ، ومايلزم القصر من الفاكهة كنا نحصل عليه من متعهد كان يبيع الزهور والرياحين خلال سفرنا ، وكانت ملابسه عندما تبلى بطانتها تغير البطانة ، والغريب أن التوفير مذموم من الملوك وممدوح لدى العامة !

وكما ان الخديو مولع بجمع المال فهى مولعة بالفن وخاصة الموسيقى ، وتعشق ايضا المغامرة وكثيرا ماتنكرت فى شخصية اخرى لكى تكون قريبة من زوجها ، مرة فى زى شاب وسيم لتكون فى معية زوجها ، حتى اعجب به او بها فتاة نمساوية إبنة احد ضيوف الخديو ، وتنكرت مرة اخرى فى ملابس ممرضة ، ونقلت إلى الخديو مايتناقله الرعية عنه .

● تفرد الخديو وعزلته

وتتغزل فى الخديو قائلة «لم يكن لعباس اصدقاء بالمعنى الصحيح ، فرفاق الصبا اصبحوا ياورانات او تشريفاتية ، أما صداقات الماضى فلا ذكر ولا وجود لها ، فالتاج يفصل بين الملوك وبين الماضى ، والحكام دائما يعيشون فى عزلة باردة ، فلاهم قادرون على النزول إلى العامة ، ولا أفراد الشعب قادرون على النظر اليهم فى ابراجهم كحكام .

ومنذ عرفت عباسا وددت ان اكون رجلا 'لكى اقدم له صداقتى'، واخلص له باعتباره صديقا لاسيدا ، ولكن إذا كنت رجلا ما استطعت التعرف به !!

ثم تروى كيف سعى السلطان عبدالحميد / خلال زيارتها للأستانة ، إلى منع الخديو من اصطحاب زوجته الأميرة فى رحلة إلى البلدان الأوربية ، شعر السلطان بصفته ظل الله فى الارض بانه

مكلف بأن ينصح الخديو بأن سفرى معه إلى أوربا أمر لايليق ، وأخذ يردد لايليق بالمرأة المسلمة أن تتبع العادات الأفرنجية ، ويستحسن الا تسافر المرأة المسلمة إلى أوربا ، وظن السلطان أن الخديو يستمع إلى نصائحه ، ونسى أن لى كلمة فى الموضوع ، قلت لزوجى .. مال السلطان ومالى ؟! ولماذا يتعرض لحياتى ورحلاتى وأعمالى .. ؟ إنى لن افكر لحظة واحدة فى التنازل عن هذه الرحلة .. وأجاب الخديو عباس .. « إفعلى ماتريدين ياعزيزتى .. »

وعندما حان وقت الرحيل ، ذهب الخديو مع حاشيته إلى محطة جالاطه ليستقل قطار الشرق السريع ، أما أنا فقبل السفر بساعتين غادرت القصر فى زورق بخارى . ولم يكد الزورق يتحرك حتى ظهرت سفينة جواسيس يلدر ترقبنا من بعد ، ولكن علم مصر الذى يخفق على الزورق جعل لاحول لهم ولا قوة ، ثم أسدلت الستائر فى الغرفة الداخلية ، ونزعت ملابس الهوانم التى خرجت بها وارتديت ملابس سيدة أوربية وأسرعت إلى قطار الشرق السريع ، لكى نبدأ رحلتنا معا .

● الحفيد والجد

وكان اسماعيل باشا شغوفا بحفيده عباس حلمى ، يهتم به ويعطف عليه بصورة خاصة ، ويوجد فى قصر القبة دولاب مغلق يحتوى على الهدايا التى قدمها إسماعيل للخديو وعندما اخذنى زوجى لكى أشاهد هدايا جده . أعطانى علبة كبريت ذهبية وقال بصوت هامس .. « إنها أحد هدايا الامبراطور أوجينى إلى جدى »

وهذه الهدايا امامى وأنا اكتب ، تدل على أن ذلك الحاكم الكبير كان يعرف معنى الحب !

يقول التاريخ .. كانت العلاقة الحميمة بين الفتى وجده أحد أسباب أزمة حادة نشبت سنة ١٨٩٥ بين الخديو عباس ونوبار باشا رئيس وزرائه ، عندما استجاب الخديو لطلب اسماعيل باشا فى العودة إلى مصر ليقضى فيها أيامه الأخيرة ، ورفض نوبار ذلك لما يؤدى إليه من ازمات مع الدول التى خلعت اسماعيل ، وتوفى اسماعيل فى ٢ مارس ١٨٩٥ ولم ير أرض بلاده !!

وفى مدينة فيشى التقت ـ الأميرة جويدان ـ بأرملتى إسماعيل باشا جالستين سويا فى شرفة أحد الفنادق ، ويغطى وجهيهما النقاب الأبيض ، تدخنان وتنصتان إلى أنغام الموسيقى ، وعلى عكس المألوف كان لاسماعيل أربع زوجات ، وكانت الزوجات صديقات لاشحناء ولابغضاء بينهم ، وقد ألف بين قلوبهن حبهن لاسماعيل ، فقد عرف بقوة شخصيته وقوة عزمه ، واستطاع أن يجعل من أربع ضرائر أربع صديقات ، بل ونجح فى أن يضم إليهن صديقة خامسة ، وهى فاتنة تدله اسماعيل فى حبها ، وكان إذا احب لم يترك لمحب آخر بعده مجالا ، وإذا أغدق أغرق ، وإذا بنى هدم حيا بأكمله ليشيد محله مايريد ، ويستعمل الاف الأيدى ـ التى تعمل فى ضوء الشمس نهارا وتضىء لها المشاعل ليلا ـ فى هذا البناء ، وعلى هذا المنوال قامت سراى الجزيرة ـ فندق ماريوت ـ التى اقيمت للامبراطورة أوجينى لتكون مقاما خلال زيارتها لمصر ، وإذا استطاع لأحال مصر كلها إلى روضة غناء تخطر فيها هذه الملكة الجميلة !

١٨٩٢ يوم صدر الهلال

وعندما أبدت أوچينى • رغبتها فى الطواف بالقاهرة على ظهر حمار ، رافقها الخديو وعند عودتهما إستقبلتهما حريم اسماعيل ، ولم تشعر احداهن بغيرة أو حسد .

وبعد وفاة اسماعيل وتوفيق وخلال حكم عباس ، كانت هناك امرأة كهلة مكللة بالسواد تزور مصر سنويا وتبدأ إقامتها فى القاهرة بزيارة أرامل اسماعيل ولم تكن تلك العجوز سوى « أوچينى » إمبراطورة فرنسا السابقة .

ولاحظت فى فيشى أن أرامل إسماعيل يحتفظن بعاداتهن فى أوروبا ، فكن دائما منقبات ويأخذن معهن الجوارى والأغوات ، فإذا ركبن عربة جلس الأغا دائما إلى جانب السائق .

● عالم الحريم ..

ويتناول الفصل الاخير من المذكرات أسرار الحريم وعالمهم فى القاهرة فى نهاية القرن التاسع عشر .. ولنتابع ماسجلته فى مذكراتها ..

لايكاد الرجال فى الغرب يسمعون كلمة الحريم ، حتى يقفز إلى خيالهم صور من الرقص والغناء ، أو عين ماء معطرة تتواثب حولها العذارى ويسبح فيها الفتيات عرايا أو تحت غلالة تكشف أكثر ماتخفى ، والحقيقة فى مصر بعيدة عن هذا الخيال ، فالجوارى يلبسن ملابس بسيطة نظيفة ، ولسن اداة للمتعة أو اللهو ، وهن خادمات لايحصلن على أجر ، ولا يقدرن على مغادرة البيت ، وتقضى التقاليد فى الحريم المصرى بألا تقوم السيدة بعمل ما ، ويترك للجوارى تقديم القهوة بنظام دقيق ، وحمل الملابس وتقديم الماء ، كل بطقوسه الخاصة ، وتعتقد نساء الحريم بالخرافات والسحر ، فمنهن من تأتى بعظام الحيوان ، فتقرأ عليها التعاويذ ، وتضعها تحت رأس رجلها لكى تطرد من قلبه حب أية واحدة أخرى ، وغير مسموح حتى للطبيب بدخول الحريم ، وعند الضرورة يتولى الأغوات الترجمة بين العليلة والطبيب ، ومع الأيام سمح للطبيب بعيادة المريضة بشرط الا يرى وجهها وتحجب وتنقب ولاتكشف إلا عن موضع الالم .

ولاعجب لذلك إذا كان أولاد الحريم لايميلون للعلم ، حتى ان الخديو عباس لايدرك شغفى الشديد بالمطالعة ، وعندما شاهد مرة كتابا فى يدى قال . ماهذا ؟ ونظام الحريم هو الذى جعل من خديو مصر رجلا من كبار المموليين وجعل زوجته اديبة وكاتبة !

فأى منا كان على حق ، وعباس كان اميرا وشاعرا ، وكان يركب عربته وتطوف به الساعات وفى يده كتاب يقرأ فيه !!

لقد تغلغل الفساد فى الحريم ، وهو وسط لايساعد على تربية الأطفال لما يعيش فيه من مفاسد وجرائم ، بعد ان مسخ الحب الجوارى ، وأصبح اداة لتحقيق أطماعهن ، بينما أصبحت الامومة واسطة لوقاية الذات من شر الضرائر .

وكثيرا ما افكر لو كنت باشا لتركت جميع الجوارى فى قصرى عذارى ، ولا افهم كيف يستطيع رجل يملك القدرة على الاختيار ورقة الذوق الاعتداء على هذه المخلوقات الذليلة المسكينة ، وإذا فرضنا ان الشهوة الحسية لاتتطلب الشوق ، إلا

أن المحبوب أفضل من آخر لايرضى سوى الحواس ، ولو كنت باشا - تقول الأميرة - لاتبعت ذوق أسلافى ، ولما قبلت الاستمتاع بأشباه النساء اللاتى يتوارثنه واللاتى ينظر إليهن كمتاع جامد لاحياة فيه !

ويستحيل أن أرضى بأن ينشأ نسلى وتشب ذريتى بين أحضان ساقتها إلى الصدف ، فالغرس القوى يجب أن يزرع فى أرض حرة ، وكثيرا ما أفكر فيما عسى أن يحدث لو أن الرجال عرفوا ماتعرفه المرأة عن بنات جنسها ؟!

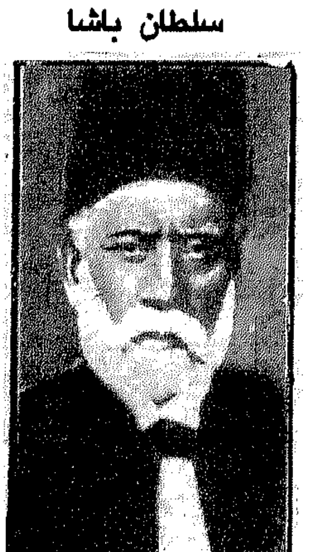
٢ | السيرة الذاتية للكاتب أحمد أمين

فى أهم سيرة ذاتية حديثة ، « حياتى » قصة حياة الكاتب أحمد أمين ، الذى عرف بكتاباته فى الحياة العقلية العربية ، ينقل للقارىء خلالها صورة صادقة للحياة الاجتماعية فى أواخر القرن التاسع عشر ، وهو فيها أقرب إلى ذوق المؤرخ الذى يسجل أحداث عصر منه إلى ذوق الأديب ، يصف هجرة أسرته من الريف إلى المدينة وأسبابها ، وتلمس فى قصة حياته الآلام التى عانى منها الأهالى ، ووصف مايتعرضون له من متاعب .



الكاتب احمد امين

سلطان باشا





احمد شوقى بك

كانت السخرة أشكالا والوانا ، فسخرة للمصالح العامة كالمحافظة على جسور النيل أيام الفيضان ، فعمدة البلدة يسخر الفلاحين ليحافظوا على الجسور حتى لا يطغى النيل فيغرق البلد ، فإذا تخلف أحد ممن عين لهذه الحراسة عذب وضرب ، وهو يعمل هذا العمل من غير أجر ، وسخرة للمصالح الخاصة ، فالغنى الكبير والعمده ونحوهما لهما الحق فى أن يحشدوا من شاءوا من الفلاحين المساكين ليعملوا فى ارضهم الأيام والليالى من غير أجر ، ولما أبطل رياض السخرة والضرب بالكرباج نقم عليه الوجوه والاعيان ، وعدّوا ذلك من عيوبه ، وقالوا أنه افسد علينا الفلاحين ..

أما الضرائب فلم تكن منظمة ولا عادلة ، فأحيانا يستطيع أن يهرب الغنى الكبير من دفعها او يدفع منها القليل مما يجب ويتخلص من الباقى بالرشوة أو التقرب إلى الحكام ، ثم يطالب الفقراء المساكين باكثر مما يحتملون ، فإن لم يدفعوا بيعت بهائمهم الهزيلة ، وأثاث بيوتهم الحقيرة ، ثم ضربوا بالكرباج وعذبوا عذابا اليما .

فكان كثير منهم إذا أحس أنه سيقع فى مثل هذا المأزق حمل اثاث منزله على بهائمه ، وخرج هو واسرته هائمين على وجوههم فى ظلمة الليل ، وتركوا أراضيهم ونزلوا على بعض اقربائهم او على البدو فى الخيام او حيثما إتفق ، فعلت ذلك أسرة على باشا مبارك وفعلته اسرتى واسر كثير من الناس .

وهكذا الاعيب القدر ، ظلم صراف البلده اخرج أبى من سمخراط وأسكنه القاهرة حيث ولدت وتعلمت .

ونصاحبه ونرى القاهرة التى حل فى احد ضواحيها ، يقول : « ولم تكن المدينة قد غزت البيوت ، وخاصة بيوت الطبقة الوسطى امثالنا ، فلا ماء يجرى فى البيوت وإنما هو سقاء يحمل القربة على ظهره ويقذف ماءها فى زير البيت ، تملأ منه القلل وتغسل منه المواعين ، وكلما فرغت قربة أحضر قربة ، والسقاء دائم المناداة على الماء فى الحارة ، ثم رأيت وانا فتى الحارة تحفر والأنابيب تمد والمواسير والحنفيات تركب فى البيوت وإذا الماء فى متناولنا وتحت أمرنا ، ويختفى صوت السقاء من الحارة .

وطبيعى فى مثل هذه الحال ألا يكون فى البيت كهرباء فكنا نستضىء بالمصابيح تضاء بالبترول . وطعامنا يطهى على الخشب ، ثم تقدمنا فطهونا على رجيع الفحم ، ثم تقدمنا اخيرا فطهونا على وابور بريموس .

وكان ابى يتقاضى نحو إثنى عشر جنيها ذهبا ، فلم نكن نعرف جنيهات الورق واذكر وانا فى المدرسة الأبتدائية أن ظهرت عملة الورق فخافها الناس ولم يؤمنوا بها وتندرت الجرائد الهزلية عليها ، وكانت لاتقع فى يد الناس حتى يسرعوا إلى الصيارف فيغيروها ذهبا وكانت الاثنا عشر جنيها تكفينا وتزيد .. فعشر بيضات بقرش . ورطل اللحم بثلاثة قروش او اربعة ورطل السمن كذلك وهكذا .

والتسلية الوحيدة لحارتنا هى أن تنصب ـ بين حين وآخر ـ خيمة على باب حارتنا يلعب فيها « قره جوز » ادخل إليها



رؤساء الوزراء فى مصر بين عامى ١٨٩١ و ١٩٤١

بنصف قرش ويكون ذلك مرة فى السنة أو مرتين .

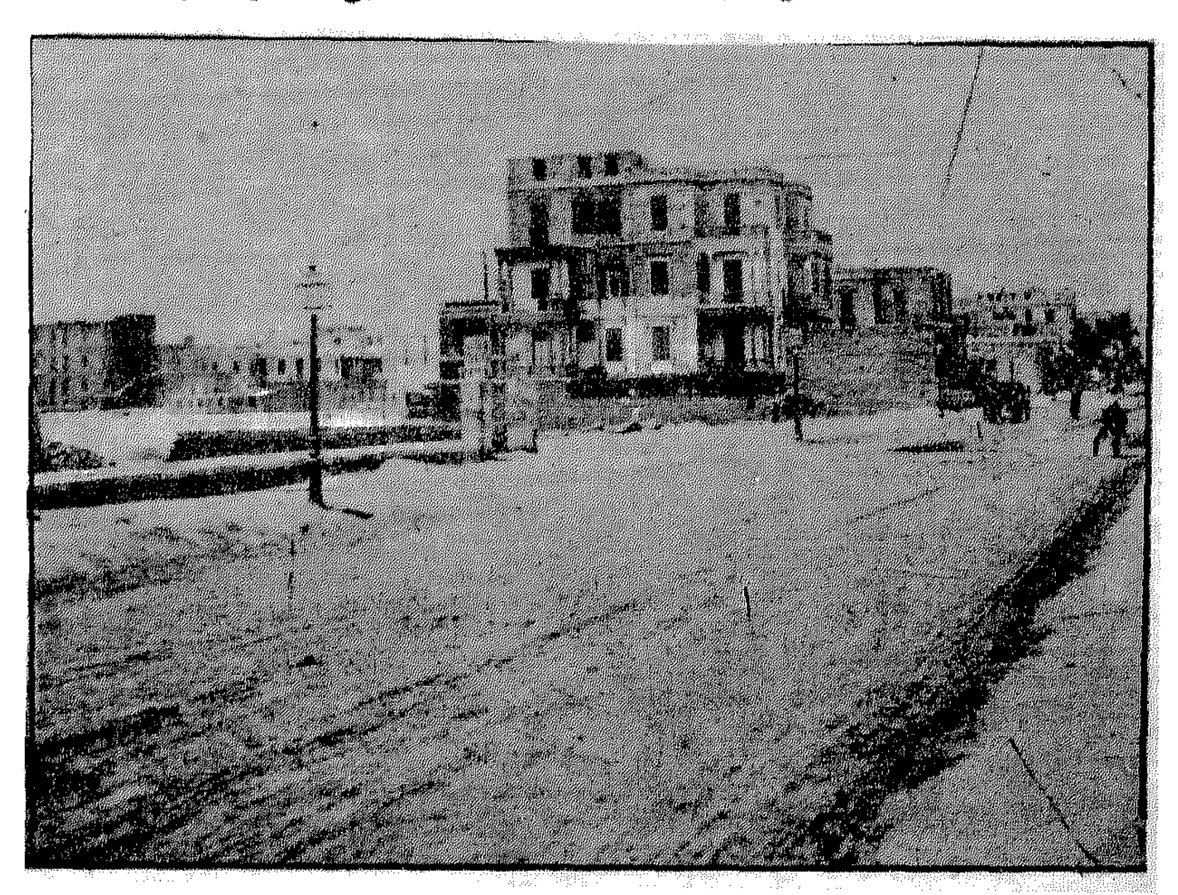
ويمضى قائلا .. إنه مما أخذ على الشيخ محمد عبده أن أبطل ميضأة الأزهر وأحل محلها الحنفيات ، وهكذا يألف الناس القديم الضار ويكرهون الجديد النافع ويدخلون فى الدين ماليس من الدين .

● ● ●

لقد كانت حارتنا نموذجا للأسر فى القرون الوسطى ، قبل أن تغزوها المدنية فقد ولدت عقب الاحتلال الانجليزى بنحو اربع سنوات ، ولم يكن الفرنج قد بثوا مدنيتهم إلا فى أوساط قليله من الشعب ، فحارتنا ليس فيها من يتكلم كلمة أجنبية ، بل ليس فيها من يلبس البذلة والطربوش إلا قليلا من الموظفين ، وليس فى بيوتها أثر من وسائل الترف ، وليس فيها من يقرأ حديثا مترجما أو مكتوبا بالأسلوب الحديث ، ومن يقرأ يقرأ القرآن والحديث وقصصا قديمة كألف ليلة وعنتره ، أو الكتب الأدبية الخفيفة ، ككليلة ودمنة ، والمستطرف فى كل فن مستظرف .

وكان يسود أهل حارتنا نزعة عربية تعد الجار ذا شأن كبير فى الحياة ، يعرف كل منهم شئون جيرانه ، وأسماءهم

شارع الملكة نازلى ، وكان اسمه عام ١٩٠٠ شارع الخديو عباس



وأعمالهم ، وتشمل حارتنا نحو ثلاثين بيتا ، يغلق عليها فى الليل باب ضخم كبير فى وسطه باب صغير وراءه بواب ، وهذا الباب بقية من العهد القديم ، يحميها من اللصوص ومن ثورات الرعاع وهياج الجنود ، فإذا حدث شىء من ذاك أغلق الباب وحرسه البواب ، فلما استقر الأمن وسادت الطمأنينة استمر فتح الباب واستغنى عن البواب .

وكان فى القاهرة أسواق وبيوت لبيع الجوارى البيض والسود ، يذهب من أراد الشراء فيقلب العبد أو الجارية ويكشف عن جسدها إن كان هناك عيب ، ثم يساوم فى ثمن من أعجبه فيشتريه ويكون ملكا له .ورغم معاهدة إلغاء الرقيق بقى كثير من العبيد والجوارى فى بيوت أسيادهم .

ومن أعجب الشخصيات فى حارتنا « الشيخ أحمد الشاعر » رجل بذقن طويل أسود ، يلبس جلبابا أبيض وعمامة ، ويتأبط دائما كتابا لف فى منديل أحمر ، له صوت أجش ، وظيفته التى يعيش منها أنه بعد صلاة العشاء يذهب إلى مقهى قريب من الحارة ويصعد فوق كرسى عال يجلس عليه ويتحلق حوله الناس ، ثم يفك المنديل ويخرج الكتاب وهو قصة عنتره أو الزير سالم أو الظاهر بيبرس ويقرأ فيه بصوته العالى . وله أجر من صاحب المقهى لأنه سبب الازدحام .

وعلى رأس كل مجموعة من الحارات سوق ، فيها كل ماتحتاجه البيوت ، وهو

بطرس غالى باشا



السقا .. علامة بارزة فى شوارع القاهرة القديمة



١٨٩٢ يوم صدر الهلال

يمثل الوحدة الاقتصادية للأمة ، وبجانب السوق كل مرافق الحياة الاجتماعية : مكتب لتعليم الأطفال ، ومسجد لصلاة اهل الحى ، وحمام للرجال أياما ، وللنساء أياما ومقهى يقضون فيه أوقات فراغهم ويتناولون فيه كيوفهم ، من قهوة وشاى وتنباك ونحو ذلك ، وفى الحى مقاهٍ متعددة ، منها مايناسب الطبقة الدنيا ، ومنها مايناسب الطبقة الوسطى وهكذا ..

وقل أن يحتاج أهل الحى إلى شىء أبعد من حيهم .

هذه هى الحياة الاجتماعية كما عاشها الكاتب الكبير احمد أمين .

٣ | مذكرات قلينى فهمى باشا

وننتقل من « حياتى » تلك السيرة الذاتية التى كتبها احد كبار الكتاب ، إلى مذكرات قلينى فهمى باشا احد الفعاليات الاقتصادية الهامة ، والذى بدا حياته موظفا فى الدائرة السنية التى يملكها الخديو ثم عمل فى الحكومة ووصل إلى اعلى مناصبها ، والذى يعتبر احد التكنوقراط الذين يضعون خبرتهم فى خدمة الحكام ، وهو هنا يقدم وصفا وافيا للحياة الاجتماعية من ايام الثورة العرابية ، وعند دخول الاحتلال البريطانى .

ويسجل فى مذكراته وصفا كاملا للحياة الاجتماعية فى مصر على توالى الايام يقول : « فى عهد الخديو اسماعيل كانت أخلاق الشعب المصرى افضل من أخلاقه اليوم (١٩٣٤) فالأمانة كانت سائدة بين الجميع ، والمعاملات يكتفى فيها بالوعود ، والصغير يحترم الكبير ، وكان للبيوتات العامرة هيبة ووقار ، وكان الأهالى من أقباط ومسلمين متضامنين تضامنا قويا متينا ، ولعل الفضل يعود إلى سياسة الخديو ، فأين بالله اليوم هذه الأخلاق الشريفة من ذلك الرياء والنفاق المنتشر » !

ويضيف .. « عندما أريد فتح شارع كلوت بك ، احد اهم شوارع القاهرة ، كان يقضى النظام الجديد بجعل الشارع مستقيما ، ويمر بكنيسة الأقباط الكبرى ، فعرض الأمر على البطريرك الأنبا ديمتريوس أن تُبنى له كنيسة افخر ودار للبطريركية افخر على نفقة الحكومة فى نظير مرور الشارع ، فرد البطريرك .. إنى أتشاءم من هدم الكنيسة ، وعندما عرض



قلينى فهمى باشا



الملك جورج والخديو عباس وكتشنر

الأمر على الخديو قال : لتكن إرادة البطريرك وليبق المعبد قائما كما هو ولا بأس من التواء الشارع .

● الجوارى البيض

ويمضى قائلا .. « بعد الاحتلال الانجليزى قضى على المساوىء ، فقد كان شائعا فى عهد توفيق زواج الجوارى البيض ، وكان من حظ الذين يتزوجون بهؤلاء الجوارى الالتفاف السامى والانعام عليهم بالعطايا والهدايا ، وكان المقرر ان كل جارية تتزوج تتكفل السراى بجهازها وملابسها وحليها ، وينعم عليها « بابعادية » خمسمائة فدان تعيش من ريعها علاوة على مسكن فخم وعربة يجرها جوادان من الجياد الصافنات ، ويفضل زوجها على من سواه فى وظائف الحكومة ، فأدى ذلك الحال إلى إقبال القوم على الزواج منهن ، وكان الأزواج يعدون « محاسيب » السراى المقربين »

● عيد جلوس الخديو

لم يكن مألوفا الاحتفال بعيد جلوس

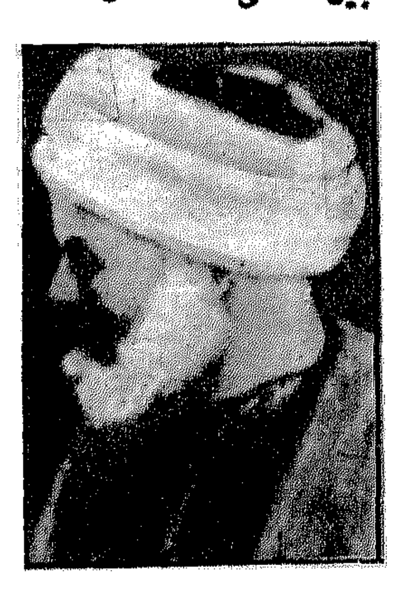
الخديو ، وجاءت سنة ١٨٩٥ فاقترح إقامة عيد جلوس الخديو عباس الثانى ، وقدم هذا الاقتراح لوزير الداخلية عبدالقادر حلمي باشا ، وشكل لجنة للاشراف علي الاحتفال ، وجمعنا الاكتتاب لهذا الاحتفال الذى أقيم فى حديقة الأزبكية ..

وأقمنا معالم الزينات فى أرجاء المدينة ومصالح الحكومة والدور المجاورة لها ، وكانت الموسيقى تصدح بالنغمات الشجية ، وأقيمت حفلات غنائية فى المسارح تبارى فيها مشاهير اهل الفن من المغنين والمطربين ، ومثلت فرق التمثيل .

● صالون الاميرة

ويصف قلينى فهمى صالون الاميرة نازلى فاضل التى كانت تحب ركوب الخيل ، « وهى جميلة الطلعة حلوة الحديث لايشبع من مجلسها أحد ، وهى تحب كبار القوم وأدباءهم والعلماء ورجال السياسة وكان اللورد كرومر يحب زيارتها ويعتز بعلاقته بها .. فهى الأميرة الوحيدة التى كان لها صالون تقابل فيه رجال السياسة والوزراء ، والادباء ، وكبار القوم ، وكانت ذكية ومثقفة ، وملمة بالسياسة فى العالم ، وغيورة وحريصة على مصالح مصر وتركيا ، وترجمت الأميرة كتابا كتبه والدها مصطفى فاضل ضد مظالم السلطان عبدالحميد ، وعندما صدر غضب السلطان وطلب جمع الكتاب من التوزيع ..

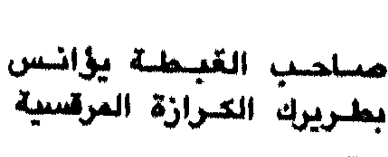
وكانت الاميرة تنفذ أعمال الخديو ، وعندما دعاها السلطان عبدالحميد إلى إستانبول لبت الدعوة ، وعند وصولها ذهبت مباشرة لدار السفير البريطانى ونزلت عليه ضيفة كريمة ، وفى اليوم



الشيخ حسونة النواوى شيخ الازهر بين عامى ١٨٩١ و١٩٠٠



الشيخ محمد توفيق البكرى



صاحب الغبطة يؤانس بطريرك الكرازة المرقسية





نوبار باشا



مصطفى رياض باشا

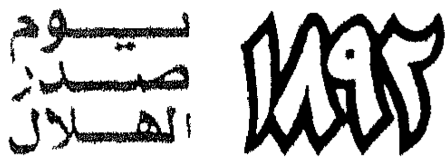




شريف باشا

- تجمع هذه الصورة مستشارى محكمة استئناف مصر الاهلية سنة ١٨٩٥ وهم : الجالسون من اليمين صالح ثابت باشا ، باسيلى تادرس عريان بك ، احمد بليغ باشا رئيس المحكمة ، اسماعيل صبرى باشا ، زلزل بك ، والواقفون فى الصف اليمين : سعد زغلول باشا ، حنا نصرالله بك ، امين سيد أحمد بك ، مستر ولمر ، مسيو مينار ، أحمد عفيفى باشا ، دتوهلتس بك ، امين فكرى باشا ، فى الصف الثالث من اليمين : مسيو فيليكس ، يحيى ابراهيم باشا ، المستر بوند ، قاسم امين بك ، زكريا بك ، حامد محمود بك .





التالى توجهت للسراى السلطانية وبصحبتها مندوب من السفارة البريطانية ، وانعم عليها السلطان بالكثير من العطايا والهدايا ..

وكنت - قلينى فهمى باشا - أحد المترددين على صالونها ، ولما عادت وجدت تغيير موقفها من السلطان وسالتها . فأمرت أحد توابعها أن يحضر صندوقا من حجرتها وفيه مايبهر الأبصار من جواهر كريمة ولآلىء ثمينة واحجار من الماس والذهب وقالت .. ياعزيزى هذا ، ما أوجب تبدل موقفى نحو جلالة مولانا الخليفة !

وبعد أن رفضت الزواج من أحد الأمراء ومن فخرى باشا رئيس الوزراء ، تزوجت أثناء رحلة إلى تونس من شاب تونسى اعجبها ، هو نجل قاضى المحكمة الشرعية » .

● الغاء الكرباج والسخرة

على خلاف ماجاء فى التاريخ من إلغاء السخرة والكرباج فى عهد رياض ، يزعم قلينى فهمى ، أنه قام بالدور الرئيسى فى هذا الالغاء ، يروى أنه عرض على نوبار باشا إلغاء الكرباج ، ووافق على الالغاء بشرط عرضه على السير ريفوس ويلسون وزير المالية ، وتوجهنا إليه ووافق وامر بالغائه فورا ..

وخلال خدمتى مع سلطان باشا . اظهرت له المى من عملية السخرة ، عندما تساق الاهالى كأغنام من اسوان إلى الجيزة للقيام بحفر الترع وانشاء الجسور والسكك الحديدية ، والكرباج هو اجرهم الوحيد ، فصحبنى سلطان باشا إلى رئيس النظار نوبار باشا ، ووافق على إلغاء هذه السخرة !! "

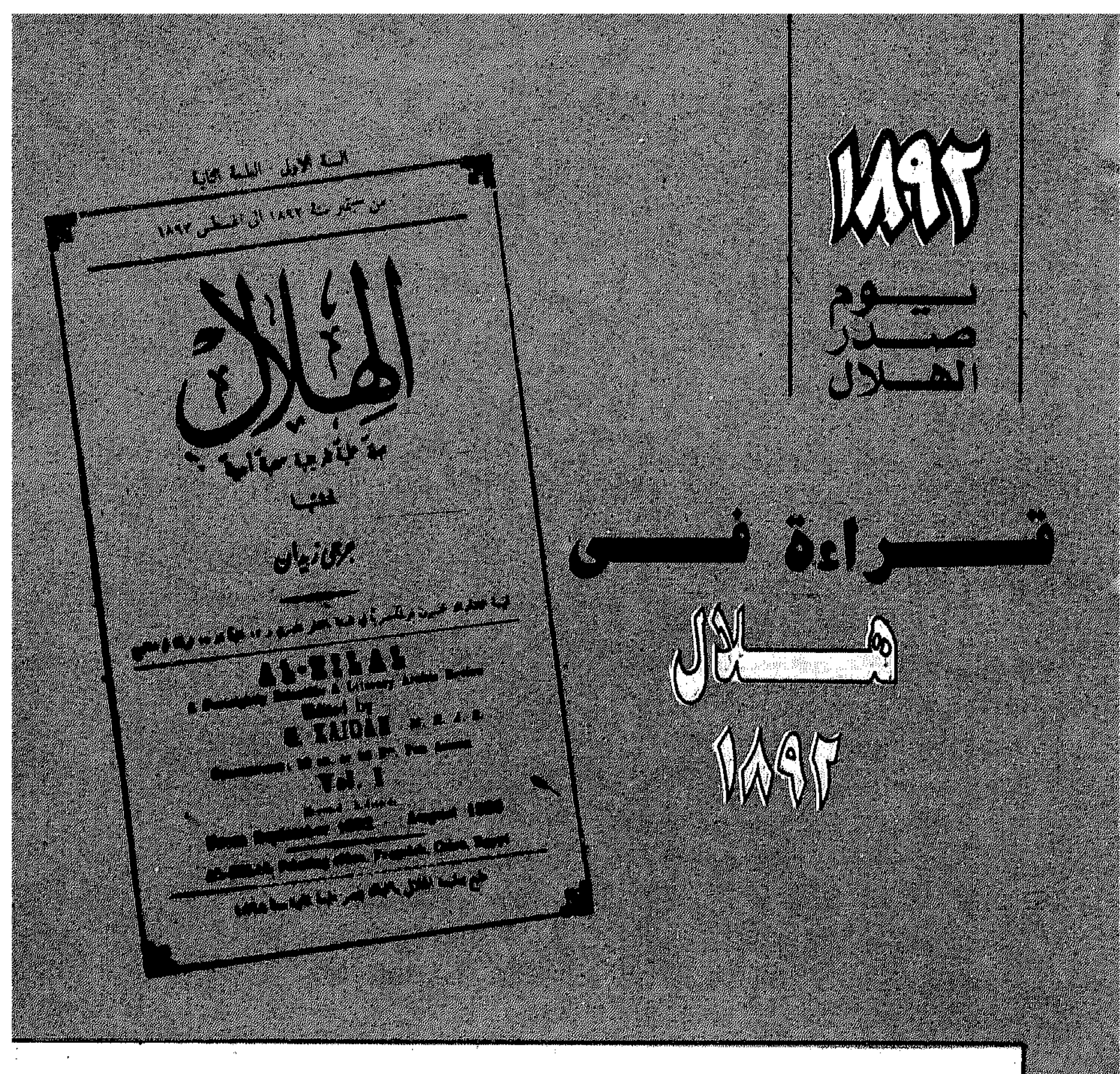
ويمضى قائلا .. « إحتكر اللورد كرومر النفوذ المطلق فى الحكومة المصرية وكان الحاكم الفعلى والآمر الناهى ، وكان رئيس النظار هو نوبار باشا ، وقصد إلى لندن واشتكى للورد سالسبورى والمستر جلادستون ، وقال لايمكننى ولا أى نظارة مصرية أن تقوم بواجبها طالما أن اللورد مسيطر على الحكومة ، يسعى لكى تكون النظارة أداة فى يده ، وطلب سحب اللورد ، ولكن إنتهت هذه المطالبة بعزل الخديو لنوبار باشا وفوز كرومر .. »

● الحرائق والزحام

ويذكر الباشا ان من اعماله عام ١٨٩٣ .. عندما راى أن الحرائق منتشرة بمدينة القاهرة ، وتبين أن سبب ذلك وجود بعض مخازن مواد قابلة للاشتعال والمنتشرة فى بولاق وفم الخليج ومصر العتيقة ، اقام سواحل تجارية عامة على نظام جديد يكفل راحة التجار ومنع الحرائق ، فانشا ساحل روض الفرج، وخصصه لجميع البضائع عدا المواد القابلة للاشتعال ، وضمن بذلك سلامة المدينة ، وانشا ايضا ساحل اثر النبى الكائن بمصر العتيقة وخصصه لأدوات العمارات والأصناف القابلة للاشتعال وجعله بعيدا عن المدينة ..

وعندما رأى الزحام الشديد على كوبرى قصر النيل ، فكر فى ضرورة إنشاء كوبرى جديد مقابل شارع الهرم وجزيرة الروضة ، وبالفعل اقيم الكوبرى المعروف اليوم بكوبرى عباس ، والذى إفتتحه الخديو عباس الثانى .

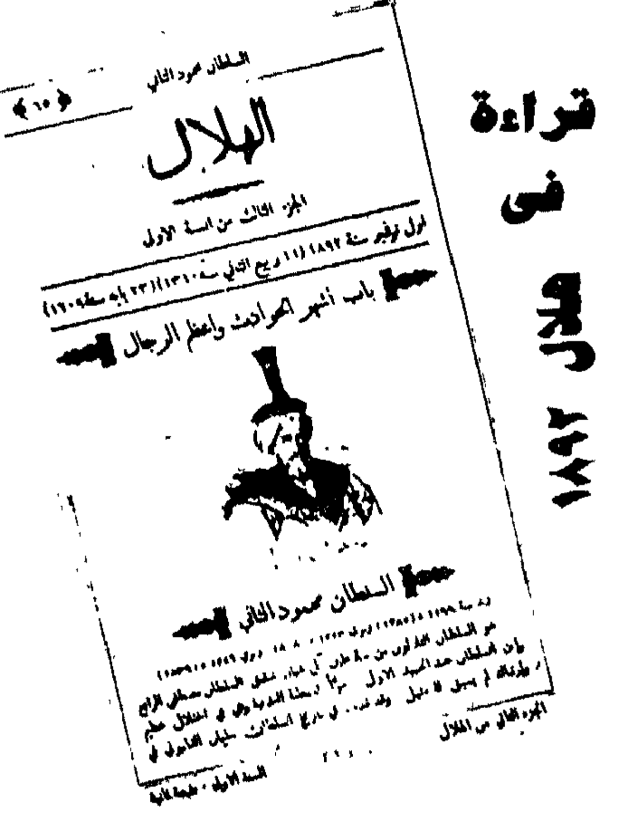
حقا إن المذكرات مهما حفلت بالمبالغة الشخصية ، فهى تحمل عبق التاريخ .



صدر العدد الأول من « الهلال » فى اول سبتمبر ١٨٩٢ م الموافق ١٠ صفر سنة ١٣١٠ هـ ، فيكون قد مضي على صدوره حتى الآن قرابة ٩٩ عاما وفقا للتاريخ الميلادى ، وأكثر من ١٠١ سنة وفقا للتاريخ الهجرى ..

وكان الهلال عند صدوره جهدا فرديا يعتمد على صاحبه ، او منشئه ، كسائر المجلات فى ذلك العصر ، ولكن الجهد الفردى فى مجلة كالهلال لم يكن كافيا ، فاستنهض صاحبه المرحوم جرجى زيدان اصدقاءه واقرباءه للاشتراك فى تحريره ، ولم يظهر من هؤلاء الاقرباء والاصدقاء طوال السنة الأولى للهلال إلا اثنان : إلياس زيدان ، ونقولا يوسف فياض ..

قراءة فى هلال ١٨٩٢



اما إلياس زيدان فكان صاحب الهلال يقدم مقالاته باسم الكاتب وصفته وصناعته : « جناب الأديب إلياس افنـدى زيدان ، معـاون بالمستشفى الفرنساوى فى بيروت » .. وكان نقولا يوسف فياض أيضا يراسل الهلال من بيروت ، وهذان الكاتبان هما - دون سواهما - اللذان كان يشار إلى اسم كل منهما فى رأس مقالته ، وأما مقالات منشىء الهلال - جرجى زيدان - فلم يكن يوقعها باسمه مع أنه كان يكتب تسعة أعشار صفحات الهلال ..

وفى أعداد السنة الأولى كلها لاتجد فى الهلال إلا مقالات جرجى زيدان وإلياس زيدان ونقولا فياض ، وماعداها فهو من رسائل القراء ، ينشرها « الهلال » مذيلة بأسماء كاتبيها ، وبعضها على شكل ألغاز او اسئلة أو تهنئة للخديو عباس حلمى الثانى او مرثيات او مدائح ..

وكان الكتّاب او القراء يوجهون رسائلهم إلى « منشىء الهلال » وكلمة « منشىء » كانت تعنى فى ذلك العهد الكاتب الذى ينشىء بقلمه المجلة ، أى يكتبها بانشائه البليغ ، وكانت تعنى أيضا صاحب المجلة ..

وفى العدد الأول حدد جرجى زيدان فى « فاتحة » المجلة موضوعات مادتها وقسمها إلى خمسة ابواب :

١ - باب اشهر الحوادث واعظم الرجال .

٢ - باب المقالات .

٣ - باب الروايات .

٤ - باب تاريخ الشهر .

٥ - منتخبات من الاخبار والتقريظ والانتقاد .

وحدد جرجى زيدان فى « فاتحة » العدد الاول من الهلال غايته المرجوة بأنها « إقبال السواد على مطالعة مانكتبه » .. والسواد هنا يعنى « الجمهور » أو عامة الناس ، أو غالبيتهم ..

وكانت كلمة « فاتحة » تستعمل فى ذلك العصر ، ثم حلت محلها كلمة « افتتاحية » لأن « الفاتحة » ينصرف معناها إلى « فاتحة الكتاب » أى فاتحة القرآن الكريم ، فرأى الصحفيون استعمال كلمة « افتتاحية » إجلالا للفاتحة ..

وقدم صاحب « الهلال » ثلاثة اسباب لتسمية مجلته بهذا الاسم :

١ - تبركا بالهلال العثمانى .

٢ - إشارة إلى ظهور المجلة مرة كل شهر .

٣ - تفاؤلا بنموها مع الزمن ..

فالهلال هو شعار الدولة العثمانية « أيدها الله » والدعاء من عند جرجى زيدان - ومعناه انه عثمانى الهوى ، فهو « سورى » من الرعية العثمانية وإن كان يعيش فى مصر الخاضعة

للاحتلال البريطانى ..

و « السورى » عند جرجى زيدان ومعاصريه هو كل من يعيش فى « بر الشام » الذى كان يتألف تحت الراية العثمانية من سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ..

ولم يذكر جرجى زيدان البريطانيين بخير مع أنهم كانوا أصحاب الأمر والنهى فى مصر التى يصدر عنها هلاله ، واكتفى برفع الدعاء فى نهاية فاتحة العدد الأول قائلا : « الله المسئول أن يلهمنا منهجا قويما ، ومسلكا مفيدا ، فى رحبة سمو ولى النعم خديوينا عباس باشا المعظم ، وظل جلالة مولانا السلطان الأعظم أيد الله دولته بالعز والاقبال ماتوالى الملوان » ! والملوان هما الليل والنهار ..

● أعظم الرجال

وتوكيدا لولائه العثمانى ، جعل جرجى زيدان أول عظيم يكتب عنه فى باب « أشهر الحوادث وأعظم الرجال » هو السلطان عثمان الغازى مؤسس الدولة العلية العثمانية سنة ١٣٠٠ م .

وفى العدد الثانى « اكتوبر ١٨٩٢ » جعل نجم هذا الباب السلطان العثمانى سليمان القانونى وهو ابن السلطان سليم الأول فاتح مصر ..

وفى العدد الثالث « نوفمبر ١٨٩٢ » كان نجم باب « أعظم الرجال » هو السلطان محمود الثانى ، الذى كان معاصرا لمحمد على باشا الكبير .

ولم يلتفت جرجى زيدان إلى غير سلاطين الدولة العثمانية ، إلا فى العدد الرابع من « الهلال » إذ كتب فى باب « أعظم الرجال » عن بطرس الأكبر القيصر الروسى المشهور ..

ولم يجىء دور العظماء العرب إلا فى العدد الخامس ، إذ جعل جرجى زيدان « فاتحة الهلال » عن الأمير عبدالقادر الجزائرى ، ولكنه عاد فى عدد أول مايو ١٨٩٣ إلى آل عثمان ، فخصص فاتحة « الهلال » للسلطان محمد الفاتح ، فاتح القسطنطينية .

وفى عدد يونيو ١٨٩٣ التفت إلى الأدباء الأوربيين فجعل بطل « باب العظماء » هو فيكتور هيجو .. أو « هيكو » كما كان المترجمون « السوريون » يكتبونها .. وما زالوا ..

ومن هيجو الشاعر الفرنسى الأشهر ، انتقل جرجى زيدان بباب العظماء فى عدد يوليو ١٨٩٣ إلى « كيرلس الرابع بطريرك الأقباط الأرثوذكسيين العاشر بعد المائة » .. المتوفى سنة ١٨٦١ وكان من رجال الاصلاح فى تاريخ الكنيسة القبطية ..

وفى آخر أعداد السنة الأولى من الهلال « أغسطس سنة ١٨٩٣ » كان نجم باب العظماء هو الملك المصرى القديم رمسيس الثانى ..

● الحوادث المصرية

أما باب « الحوادث المصرية » فكان أخبارا لاتختلف عما تنشره الصحف اليومية ، مثل عيد ميلاد الخديو عباس حلمى ، أو لائحة المستخدمين الجديدة للحكومة المصرية وأطرف هذه الأخبار جميعا مانشره « الهلال » فى عدد يناير سنة ١٨٩٣ تحت عنوان . « ميزانية الحكومة المصرية » .. ننقله بحروفه :

« أصدرت الحكومة السنية ميزانية لسنة ١٨٩٣ وقد بلغ فيها مقدار الايرادات عشرة ملايين وعشرة آلاف جنيه مصرى ، ومقدار النفقات بما فيه أقساط الدين


السلطان سليمان

الهلال

الجزء الثاني من السنة الاولى

باب اشهر الحوادث واعظم الرجال

السلطان سليمان الكبير

الملقب بالقانونى

العمومى تسعة ملايين وخمسمائة وخمسين الف جنيه ، فيكون المبلغ المنتظر توفيره فى الخزينة المصرية اربعمائة وستين الف جنيه » ! ..

هكذا كانت الدنيا منذ مائة عام تقريبا ! .. ميزانية الدولة المصرية كلها - بما فيها اقساط الديون المستحقة للدول الأجنبية - لاتزيد إلا قليلا على تسعة ملايين جنيه .. ويبقى للدولة بعد كل مصروفاتها نصف مليون جنيه تقريبا ! ..

لشد ما تغيرت الدنيا ، بين سنة ١٨٩٣ وسنة ١٩٩١ ، كأنما كان ذلك الماضى حلما من الاحلام ! ..

● جيش الاحتلال

وعن جيش الاحتلال البريطانى جاء فى هلال فبراير ١٨٩٣ :

« زادت الحكومة الانجليزية جنودها الاحتلالية فى مصر ، فارسلت إليها اورطتين ، وقد كانت جيوشها فى سائر القطر لاتزيد على الثلاثة آلاف ، فأصبحت الآن خمسة » ..

وفى العدد التالى ورد هذا الخبر :

« سيزاد جيش الاحتلال حتى يبلغ ثمانية آلاف جندى ، وقيل عشرة آلاف » ..

وهكذا كان الانجليز يحكمون مصر كلها بخمسة آلاف جندى ، ثم قرروا زيادتهم إلى عشرة آلاف ، وقد لبث هذا الرقم الأخير ثابتا قرابة خمسين عاما ، فلم يزد الانجليز جيشهم فى مصر إلا عند اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ .

● مشكلة بطريرك الاقباط

وكان الخديو قد عزل بطريرك الاقباط الارثوذكس سنة ١٨٩٢ لخلافات بينه وبين بطرس غالى باشا وبعض رجال الكنيسة ، واستمر البطريرك معزولا بضعة اشهر ، ثم تم الصلح ، وعاد البطريرك إلى منصبه ، ونشرت « الهلال » فى باب « الحوادث المصرية » من عدد مارس ١٨٩٣ مايلى :

« نهنا فى الهلال الماضى مامَنَّ به الله على هذه الطائفة من انفراج الأزمة البطريركية ، وانقضاء المشاكل على يد صاحب الدولة رئيس مجلس النظار ، وتعطفات ولى النعم .. وقد كتب المجلس المحلى إلى الجناب العالى يلتمس العفو عن غبطة البطريرك وعودته إلى تولى إدارة البطركخانة الروحية ، فأجاب سموه التماسهم بعد أن قدم نيافة الانبا اثناسيوس وكيل البطركخانة استعفاءه لجنابه الفخيم .. وقدم غبطته إلى القاهرة ، وكان فى القطار الذى جاء به عزتلو افندم ادوار بك إلياس المندوب من جانب الحكومة السنية لاستقدام غبطته ، وجماعة من أعيان الطائفة ، واستقبله الكهنة بالبخور والشموع والأزهار ، وساروا فى شارع كلوت بك إلى الكنيسة

الكبرى ، وهناك دعا ببقاء الحضرة الخديوية الفخيمة ، ودولتلو رياض باشا ، وبارك الجميع ، وكانت الكنيسة وماليليها غاصة بالجماهير » .

● تقارير اللورد كرومر

أما اللورد كرومر ـ المعتمد البريطاني ـ فيذكر الهلال في مايو ١٨٩٣ عنه هذا الخبر القصير المفعم بالمعاني :

« أصدر حضرة اللورد كرومر تقريرا عن أحوال الادارة المصرية في السنة الماضية ، وهو جامع لأهم الأعمال التي أجرتها الحكومة في تلك السنة » .

لقد كان التقرير السنوى الذى يكتبه كرومر إلى حكومته فى لندن هو الدستور الذى تهتدى بنبراسه حكومة الخديو عباس حلمى فى القاهرة ..

وكان كرومر يفرغ من تقريره فى أوائل الصيف فإذا جاء شهر يوليو ركب البحر إلى انجلترا ليقضى هناك شطرا من الصيف ثم يعود محملا بتعليمات حكومته ، فينفذ هذه التعليمات طوال العام حتى يحين الصيف التالى ..

وفى هلال يوليو ١٨٩٣ جاء فى باب « الحوادث المصرية » من الهلال :

« يسافر جناب اللورد كرومر من القاهرة فى ٣ يوليو الجّارى ، وفى غد يغادر الاسكندرية ، لتبديل الهواء فى أوربا »

● بحوث جرجى زيدان

بقى أن نستعرض مقالات جرجى زيدان ، وهى فى الحقيقة رفيعة المستوى ، متقدمة الفكر ، متنوعة شائقة ..

وقد أسلفنا الحديث عن مقالاته حول « أعظم الرجال » فماذا كتب غيرها ؟!

فى العدد الثانى من الهلال كتب مقالاً عن الامتيازات الأجنبية فى مصر والبلاد « العثمانية » وكانت تلك الامتيازات فى ذلك العصر سيفا فوق الرقاب فى مصر وفى البلاد « العثمانية » الأخرى ..

وفى العدد الثالث كتب جرجى زيدان مقالا عن « أصل اللغة » يدل على أن اهتمامه بتاريخ اللغة العربية واللغات الأخرى كان إهتماما عميقا ، وكان دائم البحث فيه ..

ومن مقالاته الممتعة مقالة فى العدد الرابع عنوانها « أثبات وجود الله » وفى العدد السادس دافع عن اللغة العربية الفصحى ضد الدعوة التى أطلقها المستر وليم كوكس لاحلال اللهجة العامية محل اللغة الفصحى .. وكانت لدعوة وليم كوكس إلى العامية حينذاك ضجة كبيرة ..

وناقش فى العدد السابع أعمال أول مجمع لغوى أنشىء فى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر ، واستمر فى مناقشة هذه الأعمال فى العددين الثامن والتاسع .. ولعل كتاباته هذه كانت باكورة عمله فى مؤلفه الكبير عن اللغة العربية وآدابها بعد ذلك بعشرين سنة تقريبا ..

وفى العددين الحادى عشر والثانى عشر نشر بحثا طريفا عن تاريخ الكتابة وأصل الخطوط الشرقية والغربية ، وكان هذا البحث أيضا من بواكير أعماله فى تاريخ اللغة العربية وآدابها ..

وبعد ..

فليست هذه إلا قراءة عابرة فى أعداد السنة الأولى من « الهلال » ولاشك أن الاطلاع على الأعداد نفسها أمتع وأعود بالفائدة ، غير أننا أردنا أن نقوم لك بدور « الدليل السياحى » فى هذه الأعداد قبل أن تلتقى ببعضها فى معرض الكتاب الذى يفتح أبوابه بعد أيام ..

١٨٩٢ يوم صدر الهلال

الجريمة أيام زمان

منذ خلق الله آدم والجرائم تقع ، ولكن كل عصر له جرائمه التى تتميز بطابعه .

زمان كانت الحياة سهلة والروابط الاجتماعية قوية ، وكانت هناك تقاليد وقيم واخلاق ..

ايامها .. نادرا ما كانت تقع جرائم سرقة أو جرائم قتل او احتيال او نصب أو تهريب مخدرات .. لم نسمع ايامها أن زوجة قتلت زوجها .. لم نسمع ان أما قتلت ابنها .

هذه ثلاث جرائم وقعت منذ حوالى مائة عام ترسم ملامح الجريمة ايام زمان .

- الحكم على المنفلوطى بالسجن سنة والجريمة قصيدة شعر

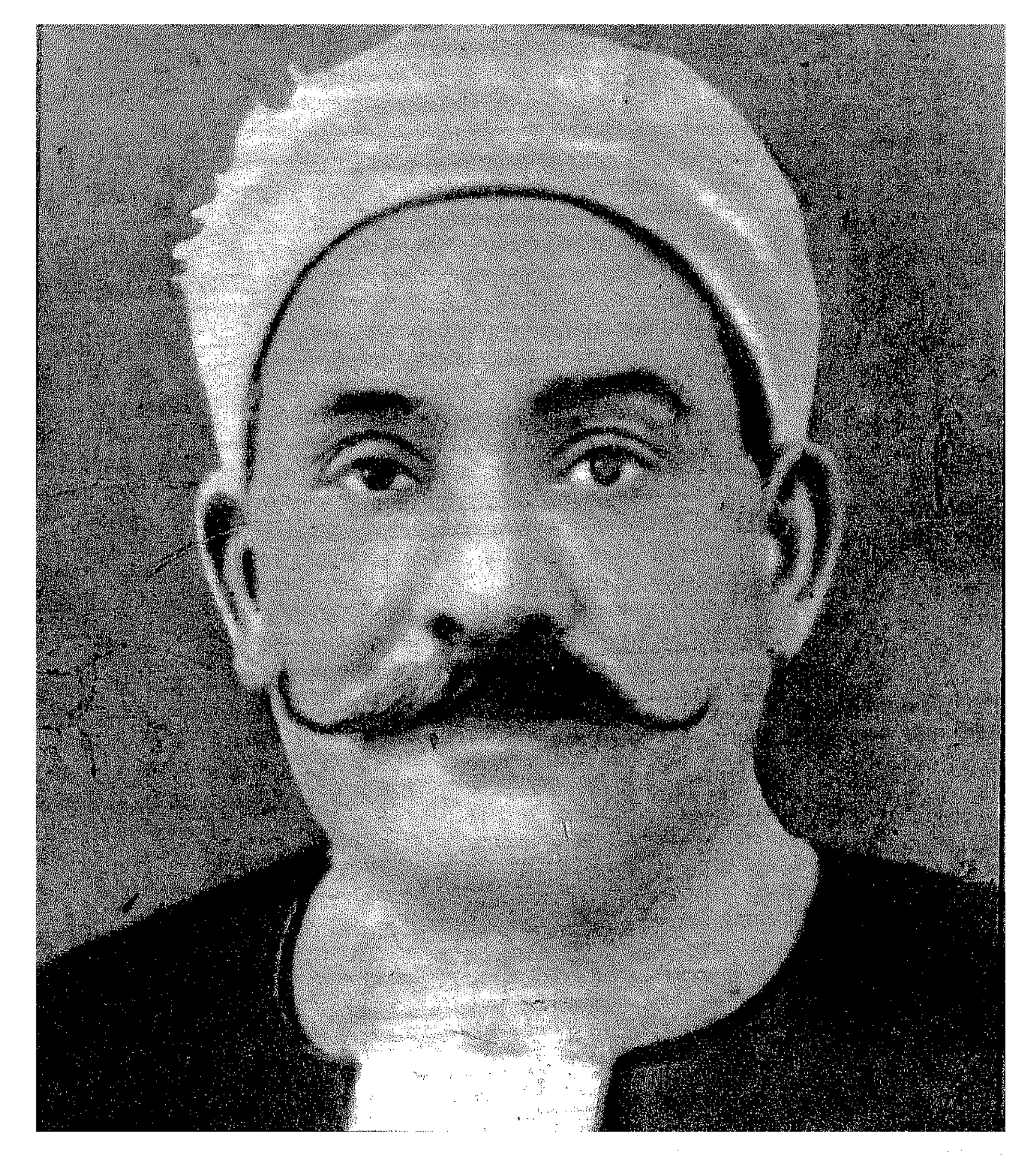
- **شراء ست جاريات والمتهمون باشوات !**

● قصيدة شعر في الصاعقة

- الجريمة : قصيدة شعر
- المتهم : مصطفى لطفى المنفلوطى
- الحكم : الحبس سنة مع الغرامة

واسمعوا الحكاية من اولها ..

زمان كان الخديو والحكومة المصرية ينتقلان كل سنة من القاهرة الى الاسكندرية فى فصل الصيف من مايو الى آخر سبتمبر ثم يعودان الى القاهرة فى اول اكتوبر .. وكانت تصدر فى فترة حكم الخديو عباس حلمى مجلة ادبية اسمها (الصاعقة) ، وفى احدى السنوات عندما عاد الخديو عباس والحكومة الى القاهرة بعد انتهاء فصل الصيف نشرت مجلة (الصاعقة) التى



المنفلوطى

كان يصدرها الصحفي الأديب احمد فؤاد قصيدة في صفحتها الأولى عنوانها : تهنئة مرفوعة الى عباس حلمي لمناسبة عودته للقاهرة ، وكان مطلع القصيدة :

قدوم ولكن لا اقول سعيد وملك وإن طال الملك سيبيد

وجاء في القصيدة

تذكرنا رؤياك ايام انزلت
علينا خطوب من جدودك سود
رمتنا بكم مقدونيا فاصابنا
مصوب سهم بالبلاء سديد
فلما توليتم طغيتم وهكذا
اذا اصبح عباس وهو عقيد
كانى بقصر الملك اصبح بائدا
من الظلم المبنى مبيد
اعباس ترجو أن تكون خليفة

الجريمة أيام زمان

كما ود ابناء ورام جدود
فياليت دنيانا تزول وياليتنا
نكون ببطن الارض حين تسود

● القبض على المنفلوطي

واهتزت مصر للقصيدة ، ونفدت (الصاعقة) فور صدورها من الاسواق ، وقامت قيامة القصر واصدر ناظر الحقانية امرا الى النيابة باعتقال الصحفى احمد فؤاد الذى قرر فى بادىء الامر اثناء استجوابه انه هو الذى نظم القصيدة وانه يأسف لان عدد المجلة تأخر فى الطبع ولم يظهر فى نفس اليوم الذى عاد فيه الخديو

حفيد الشواربى باشا .



الى القاهرة ، ولكن بعد ذلك تراجع احمد فؤاد وغير اقواله وقال ان على يوسف صاحب المؤيد اعطاه نسخة من القصيدة وطلب منه نشرها ودفع له مالا مقابل النشر بشرط ان يقول اذا سألوه أن صاحب المقطم والشيخ البكرى هما اللذان اعطياه القصيدة ، وازاء هذا التضارب فى الاقوال أمر وكيل النيابة وقتها ـ يوسف سليمان باستدعاء صاحب المطبعة التى يطبع فيها احمد فؤاد الصاعقة واعترف صاحب المطبعة بالحقيقة .. قال ان الصحفى احمد فؤاد احضر القصيدة وكان يرافقه الاديب مصطفى المنفلوطى ، ولم يجد وكيل النيابة امامه الا القبض على المنفلوطى واثناء استجوابه اعترف المنفلوطى بأنه هو الذى نظم القصيدة ولكن لم يكن ينوى نشرها .

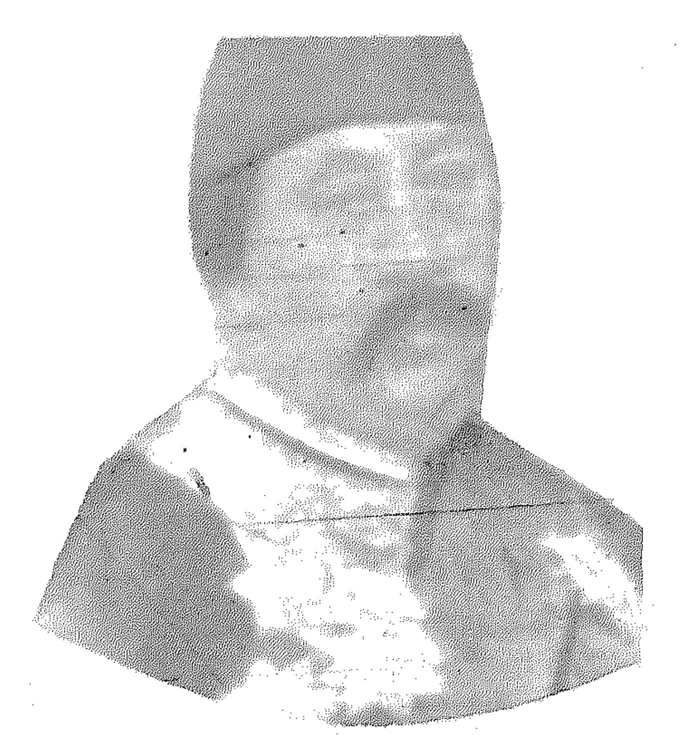
وذاع امر القصيدة فى كل ارجاء مصر وتداولها الناس فى كل مكان ، واخذ طلبة المدارس ينسخونها باليد ويبيعونها .

وحتى تقضى سلطات القصر على الضجة التى اثارتها قصيدة المنفلوطى كلفت سليم سركيس الذى كان يصدر مجلة (المشير) بأن يبحث عن شاعر يقلب القصيدة من هجاء الى مدح الخديو ، وقام الشيخ عثمان الموصلى بالمهمة فشطر القصيدة واخذ كل شطر من ابياتها والف من عنده شطرا ثانيا له على نفس الوزن فى مدح الخديو يقلب المعنى ، ونشرت مجلة (المشير) القصيدة التى اصبحت :

قدوم ولا اقول سعيد
على فاجر هجو الملوك يريد
لاضرابه بيت من اللؤم عامر
وملك وان طال المدى سيبيد

رمتنا بكم مقدونيا فاصابنا
رخاء عن الجدب المبيد بعيد
وهكذا ...

● .. المحاكمة



على باشا شريف

ولم تكتف السلطات المصرية بالقصيدة الجديدة بعد تعديلها فقدمت للمحاكمة صاحب المطبعة والصحفى احمد فؤاد والاديب مصطفى لطفى المنفلوطى ، وكان للمحاكمة صدى هائل فى اوساط الشعب وخاصة عندما نال الصحفى احمد فؤاد من الاسرة المالكة فى دفاعه الشهير الذى جاء فيه

- ان الرعية لم تسر حقا بقدوم الخديو ، وان محبة الرعية لملكها امر اختيارى ، وما من ملك الا وله من لا يسر بقدومه ، والملك لا يستطيع ارغام رعيته على محبته لان الملك يملك اجسام الناس ولا يملك قلوبهم .

- انني ليس اول من جاهر واعلن للناس مظالم الخديو، فان احدا لا ينسى قصة مدفع سعيد التى نشرتها صحف مصر فى وقتها فقد استورد الجيش مدفعا من فرنسا ، وأمر سعيد بتجربة المدفع فى احد الميادين العامة ، وعندما نقلوا المدفع وأمر سعيد باطلاقه اقترب منه احد رجال الحاشية وقال هل يأمر افندينا بأن نتمهل قليلا حتى يمر الناس من الميدان فكان رد الخديو سعيد .. ليس عندى وقت .. اطلق النار فنحن لم نستلم الناس بالعدد .

وذكر احمد فؤاد ٣ وقائع اخرى نشرت عن الخديو اسماعيل :-

● اراد الخديو اسماعيل يوما ان يجمع مبلغا من المال فأمر بصنع شارات من الجوخ ووزعوها على اهالى طنطا مقابل خمسمائة جنيه للشارة .

● حاصر رجال اسماعيل بلدة بالوجه القبلى هرب اليها احد خصومه وامر اسماعيل بضربها بالمدافع .

● عندما غضب اسماعيل على وزير ماليته اسماعيل صديق اعتقله حرسه الخاص وكبلوه بالحديد ووضعوه فى غرارة (شوال) وحملوه الى باخرة نيلية وألقوه فى وسط النيل ..

وبعد عدة جلسات عقدتها المحكمة صدرت الاحكام بـ :

- براءة صاحب المطبعة .

- سجن الصحفى احمد فؤاد ٢٠ شهرا وتغريمه .

- سجن الاديب مصطفى لطفى المنفلوطى سنة وتغريمه .

● والعبرة لمهربى الحشيش

زمان .. كانت جرائم المخدرات نادرة ، وكانت مصلحة خفر السواحل الجهة

الجريمة أيام زمان

المسئولة عن مكافحة المخدرات ، وعندما كانوا يقبضون على احد المهربين كانت الصحف تنشر الخبر فى الصفحة الاولى ليس من باب التشهير والاثارة وانما للعبرة والاتعاظ ، فمثلا نشرت جريدة المقطم فى صفحتها الاولى خبرا عن القبض على ثلاثة من مهربى المخدرات تحت عنوان (عبرة لمهربى الحشيش) وجاء فى الخبر :

حاول ثلاثة من اليونانيين ليلة امس تهريب جانب من الحشيش وادخاله الى البلاد من جهة بورت توفيق فعارضهم رجال خفر السواحل بعساكر البوليس الذين حضروا على الفور لمساعدتهم ، وقد تمكنوا من التغلب عليهم وجرح احد اليونانيين جرحا بالغا وضبطوا ثلاثة صناديق مملوءة حشيشا وقد وزنت فبلغت ٢٠٨ كيلو جراما ت ، أما الرجل الجريح فتوفى أمس على اثر جرحه ، ولم يصب احد من رجال مصلحة السواحل ورجال البوليس بضرر ، وقد كان لهذه الحادثة هنا شأن يذكر فتحدث الناس بها كثيرا واثنى الجميع على رجال مصلحة خفر السواحل

المقاومة لا تجدى امام مصير النساء المحتوم فى سوق الرقيق



وامتدحوا همة رجال البوليس فعسى أن تكون هذه الحادثة عبرة لمن يحاولون تهريب الحشيش

الجريمة : شراء جوارى من تجار الرقيق

المتهمون : على باشا شريف رئيس المجلس التشريعي ـ الشواربى باشا ـ حسين باشا واصف ـ الدكتور عبدالحميد الشافعى .

وهذه تفاصيل الجريمة من البداية ..

لقد ألغى الرق فى كل بلاد العالم بموجب اتفاقيتين دوليتين .. اتفاقية برلين عام ١٨٥٥ واتفاقية بروكسل عام ١٨٩٠ ، فى نفس الوقت كان الخديو اسماعيل قد اصدر قانونا بالغاء الرقيق فى مصر عام ١٨٦٦ ، ورغم كل ذلك كانت أسرة الخديو تحتفظ ببعض الجوارى وتشتريهن وتستخدمهن فى قصورها ، ولذلك ظن تجار الرقيق ان بامكانهم الاستمرار فى تجارة الرقيق فى مصر دون خوف ... ايامها وصل الى مصر عن طريق الواحات خمسة تجار رقيق ومعهم ست جاريات سودانيات بضاعة حاضرة جاهزة للبيع ، وبعد أن اقاموا عدة ايام ومعهم الجاريات اتصلوا سرا بعلى باشا شريف رئيس المجلس التشريعى وعرضوا عليه الجاريات فاختار منهن ثلاث واشتراهن ودفع الثمن ، وبعد عدة ايام اتصل تجار الرقيق بالدكتور عبدالحميد بك الشافعى فاشترى جارية وارسل واحدة للشواربى باشا (صاحب الشارع المعروف الآن باسمه) وأرسل الجارية السادسة إلى حسين باشا واصف مدير مديرية أسيوط .

● القبض على تجار الرقيق

وبعد أن تمت الصفقة وباع تجار الرقيق الجاريات نما إلى علم مصلحة الرقيق أن مجموعة من تجار الرقيق وصلت إلى مصر ومعهم مجموعة من الجاريات ، واسفرت التحريات عن وجود هؤلاء التجار فى منطقة الأهرام ، فقامت قوة برئاسة اليوزباشى محمد ماهر وقبضت على أربعة من هؤلاء التجار وتمكن الخامس من الهرب ، وفى التحقيق اعترف تجار الرقيق وادلوا باعترافات كاملة وارشدوا عن الذين اشتروا الجاريات السودانيات ، وأمام اليوزباشى محمد ماهر اعترف الدكتور الشافعى بأنه فعلا اشترى جارية وأرسل جارية إلى الشواربى باشا وجارية إلى واصف باشا ، ولم يستطع اليوزباشى محمد ماهر استجواب على باشا شريف الذى اشترى ثلاث جاريات بسبب تمتعه بالحصانة البرلمانية ، وقدم اليوزباشى تقريره إلى رئيس مصلحة الرقيق الضابط الانجليزى شيفر بك الذى ارسل يستدعى على باشا شريف لاستجوابه ، وفعلا حضر شريف باشا فلم يسمح له الحاجب بالدخول على الفور حتى يستدعيه شيفر بك كأى متهم ، وبعد فترة امتدت الى اكثر من ساعة ونصف الساعة استدعاه رئيس مصلحة الرقيق ووجه اليه تهمة الاشتراك فى الاتجار بالرقيق مخالفا للقوانين ، واحتج الباشا بمنصبه الرفيع وطلب السماح له بالاتصال بالخديو او الابراق له ، فلما رفض شيفر بك لم يجد على باشا شريف الا أن يتحامى فى الامتيازات الاجنبية التى كانت موجودة فى البلاد فقال انه رعية ايطالية وليس للمدير ان

الجريمة أيام زمان

يسأله الا فى حضور القنصل الايطالى واخيرا ارسل شيفر المتهم على باشا شريف الى رؤسائه فى الادارة الانجليزية الذين سمحوا له بارسال برقية امتنجاد الى الخديو ، واجتمع مجلس الوزراء المصرى برئاسة نوبار باشا لبحث الموضوع ، وتم تشكيل لجنة قانونية لبحث هل ينطبق قانون الغاء الرق على من يشترى رقيقا أم أن العقوبة تقتصر على تجار الرقيق ..

● وبدأت المحاكمة !!

وانعقدت محكمة عسكرية لمحاكمة تجار الرقيق الاربعة والباشوات الذين اشتروا الجاريات ، ماعدا شريف باشا الذى ارسلت المحكمة الى القنصلية الايطالية تستفسر عنه .. هل هو ايطالى حقا كما يدعى أم لا !!

وبدأت المحاكمة ...

وحضرت الجاريات الى قاعة المحكمة ، ووجه القاضى اليهن عدة اسئلة لتحديد الباشوات الذين قاموا بشرائهن ، ويبدو ان محامى الشواربى باشا أثر على الجارية زنوبة فعندما طلبوا منها تعيين الباشا الذى اشتراها ادعت انها لا تراه فى قاعة المحكمة وعندما سألوها عن اوصافه قالت مرة ان له لحية ثم عادت وقررت انه لم تكن له لحية ، واستمرت المحاكمة اسبوعا وتركزت مرافعات الدفاع على ثلاث نقاط .

- الباشوات المتهمون ذوو سمعة حسنة .
- ان ماحدث لا يعتبر بيعا ولا تنطبق عليه شروط البيع .
- ان قانون الغاء الرق يقصر العقاب على الاتجار فى الرقيق دون الشراء .

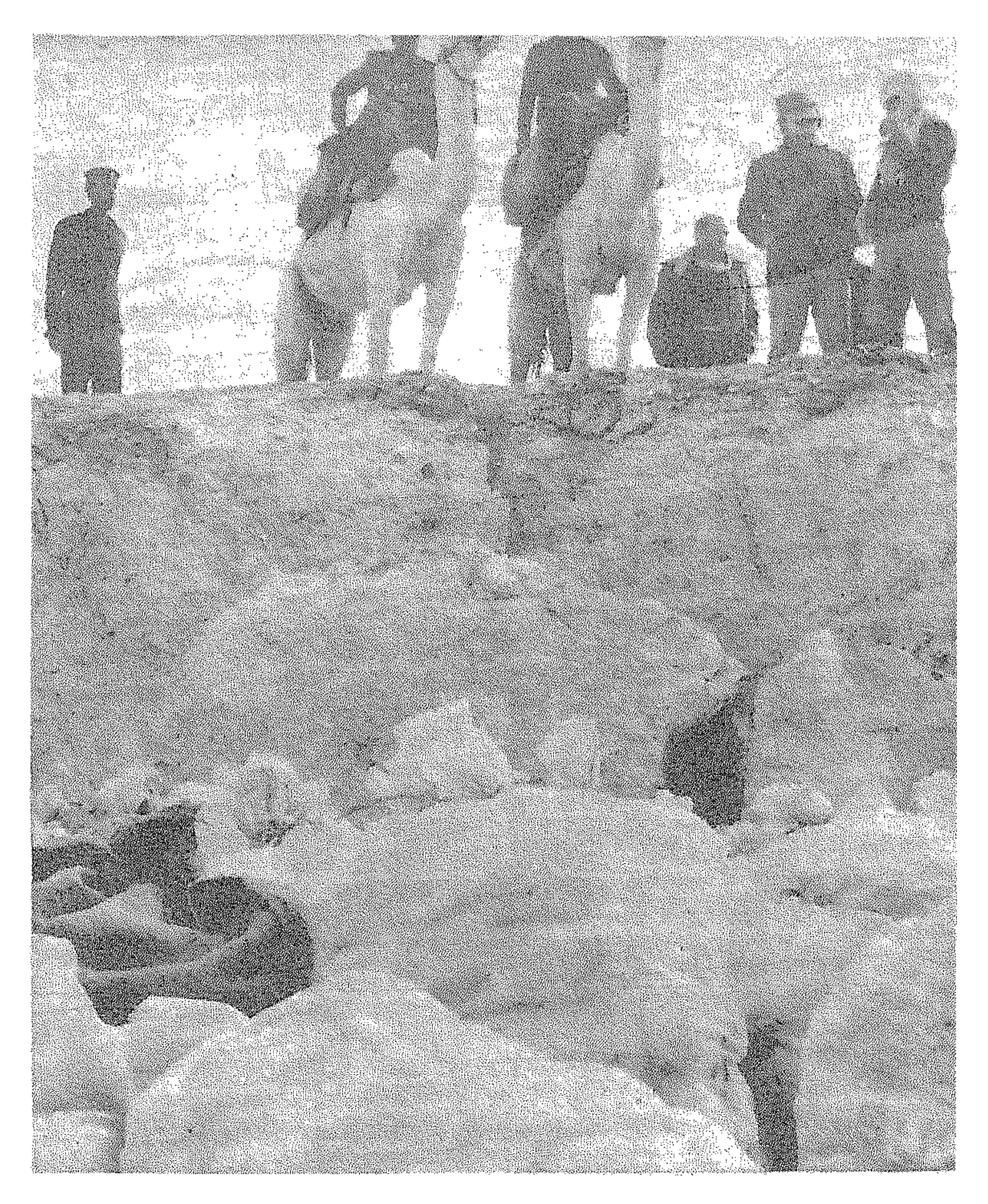
وفى نهاية المرافعات تعجب الدفاع لان الجاريات قد اصبحن حرائر فى حين ان الباشوات اصبحوا متهمين .

● وصدرت الاحكام !

واصدرت المحكمة أحكامها فى القضية فقضت بـ :

- الحبس مع الشغل لتجار الرقيق الاربعة .
- الحبس مع الشغل للدكتور عبد الحميد الشافعى بعد أن ثبتت عليه تهمة شراء ودفع ثمن الجاريات الثلاث واحتفاظه بجارية وارساله جاريتين الى منزلى المتهمين الآخرين .
- براءة الشواربى باشا وحسين باشا واصف .
- براءة الجاريات .

أما المتهم الرابع شريف باشا فلم تقف الى جانبه الحكومة الايطالية التى استنكرت أن يقوم ايطالى بهذا العمل المشين وارسلت الى السلطات المصرية تخطرها بأن شريف باشا رغم انه قيد



الشرطة وراء الحشيش حتى اخر الدنيا

نفسه بدفلترها فى القنصلية فى مصر، على أنه رعية ايطالية ، فإنه لم يدفع الاشتراكات المفروضة على الايطاليين ، ولذلك فانها لا تعتبره من رعاياها ولا فى حمايتها ، واخيرا اضطر شريف باشا الى الاستقالة من رئاسة المجلس التشريعى بسبب مرضه واعتكف فى منزله ، وقبلوا استقالته وبعدها ارسل السردار لجنة طبية للكشف على الباشا التى قررت فعلا انه مصاب بمرض فى القلب وانيميا حادة ، وعلى أساس التقرير الطبى طلبوا منه كتابة اعتراف بجريمة شراء الجاريات الثلاث وتقديمه التماسا بالعفو عنه .. واصدر الخديو فعلا أمرا بالعفو عنه ..

الغناء المصرى سنة ١٨٩٢



الحامولى والمظ
والشيخ المسلوب

بقلم : كمال النجمى

ماذا كانت مصر تسمع من الغناء عندما صدر الهلال سنة ١٨٩٢ وماذا كان كبار المغنين يقدمون لعشاق فن الغناء العربى ، وفى طليعة اولئك المغنين حينذاك عبده الحمولى الذى كان مع زوجته ألمظ ألمع نجوم الغناء طوال النصف الثانى من القرن الماضى ؟ ..

لايجد القارىء كلمة عن فن الغنـاء العربى والمـوسيقى العربية فى اعداد السنة الأولى من الهلال «سنة ١٨٩٢ - ١٨٩٣» إلا إشارة فى جزء من سطر إلى كتاب «المدخل» فى الموسيقى للفيلسوف الموسيقار الرئيس ابن سينا ، ضمن ثبت طويل من كتبه يحتوى اكثر من ثمانين كتابا .

ولكن الغناء والموسيقى العربيين عرفا بعد ذلك طريقا إلى صفحات الهلال ، باعتبارهما ركنا من الثقافة العامة التى يعمل الهلال لنشرها بين قرائه ..

ففى مجتمع الربع الأخير من القرن التاسع عشر ارتفع شأن كبار المغنين والملحنين ، فصارت الصحف تنشر أخبارهم ، وتنوه باعمالهم .. ولما توفى عبده الحمولى سنة ١٩٠١ كانت لوفاته رنة حزن رددتها الصحف المصرية ، وكتب جرجى زيدان يقول : «لاغرو إذا اسف المصريون على عبده الحمولى وهو بلبل أفراحهم ، بل هو أعظم مغن عربى فى العالم اليوم» ..

كان عبده الحمولى - عندما صدر الهلال سنة ١٨٩٢ - قد بلغ العقد الأخير من حياته التى لم تتجاوز ستين عاما .. وثقل عليه هذا العقد بالأدواء والأحزان ، ولكنه لم ينقطع عن الغناء إلا عندما قضى عليه داء «السل الرئوى» الوبيل ! ..

والعجيب أنه فى صراعه مع ادوائه واحزانه خلال السنوات العشر الاخيرة من حياته لم يشا ان يعيش عزبا بعد وفاة زوجته المطربة المظ سنة ١٨٩١ ، فتزوج بعدها أربع مرات ، وأنجب



الشيخ المسلوب

الحامولى
وألمظ والشيخ المسلوب

ولدين وبنتين ، ولعل له الآن أحفادا لانعلم عنهم شيئا ..

وإذا أردنا اليوم أن نعرف ماذا كانت مصر تسمع من الغناء العربى عندما صدر العدد الأول من «الهلال» فلا بد أن يكون عبده الحمولى محور حديثنا .. ولكن هذا المطرب الكبير لم يكن فى الحقيقة إلا نجما ثاقبا واحدا فى سماء صافية مرصعة بالنجوم الثواقب ، ولكل منهم منزلة بين الخاصة والعامة ، وحياة طيبة يحياها بفضل فنه الجميل ..

فكيف تطورت حال فن الغناء فى مصر خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر حتى تبوأ نجومه تلك المنازل العالية فى مجتمعم ؟!

لم يبدأ تطور فن الغناء العربى إلا فى عهد محمد على باشا الكبير ، بعد أن لبث يتدهور مئات السنين من قبل

فى عصور العثمانيين والمماليك البرجية والمماليك البحرية سقط الغناء العربى فى العجمة ، واندثرت طرائقه ، وانقلبت مصطلحاته الموضوعة فى العصرين الأموى والعباسى ، إلى مصطلحات فارسية وتركية ، مثل الراست والسيكاه والنهاوند وغيرها ، فهذه المصطلحات التى مازلنا نستعملها ، كانت فى الأصل عربية الأسماء ثم استعجمت وخفيت علينا أسماؤها الأولى إلا ماذكره منها ابوالفرج الأصبهانى فى كتاب الأغانى ، وحققه بعض العرفاء ..

لكن لاضرر من بقاء هذه الأسماء الاعجمية مادامت نغماتها تستعمل باسلوب عربى ، وقد تم رد الغناء العربى من عجمته إلى وجهه العربى ، على ايدى جماعة من نوابغ المشايخ الموسيقيين امثال الشيخ شهاب الدين محمد اسماعيل ، مؤلف كتاب «سفينة الملك ، ونفيسة الفلك» الذى يعرفه الموسيقيون باسم «سفينة شهاب» لأن الشيخ شهاب الدين سجل فيه مئات من التواشيح القديمة بمقاماتها وإيقاعاتها ..

وبعد وفاة الشيخ شهاب الدين سنة ١٨٥٧ خلفه فى النهضة بالغناء والموسيقى جماعة من المشايخ الموسيقيين أمثال محمد عبدالرحيم المسلوب ومحمد شعبان ومحمد المقدم والشلشلمونى .. ثم عبده الحمولى ومحمد عثمان ومن جاء فى آثارهما من الزملاء والتلاميذ ..

● تطور أفضل فى الغناء

على أيدى هؤلاء انتقل الغناء العربى فى مصر من حالته المزرية التى وصفها علماء الحملة الفرنسية فى تقريرهم الذى تضمنه كتاب «وصف مصر» .. إلى حالة حسنة ، كانت أول غيث مس هذا الفن بعد الظما الطويل ! ..

إن علماء الموسيقى الذين جاءوا الى مصر مع غزوة نابليون بونابرت الاستعمارية ، كتبوا كل شيء عما سمعوه من الغناء والموسيقى فى مصر

من سنة ١٧٩٨ الى سنة ١٨٠١ وهى ثلاث سنوات فقط، ولكن ما انجزوه فيها من بحث علمى لا يتاتى انجازه الا فى ثلاثين سنة ، فلله درهم .. كيف انجزوه ؟!

لم يترك هؤلاء العلماء النوابغ الجادون شيئا الا دونوه ، حتى الأذان الذى سمعوه من الماذن ، وتلاوة القرآن ، واناشيد حلقات الذكر ، وغناء العوالم والغوازى والمتشردين والبهلوانات ، والموسيقى العسكرية ، والمراثى الجنائزية ، وملاحم شعراء الربابة ، واهازيج «المسحراتية» .

لقد سجلوا بكل امانة ودقة وفهم كل شىء عن الغناء المصرى وموسيقاه وآلاته ، وكتبوا الموشحات القليلة التى عرفوها ودونوها «بالنوتة» الموسيقية وبينوا المقامات والايقاعات ، ومواضع «العفقة» وربط الاجناس .. مما يدعونا الى اكبارهم برغم انهم وفدوا فى حملة استعمارية ! .

فلولا تقرير علماء هذه الحملة عن الغناء المصرى لما عرفنا كيف كانت حالته فى عهد المملوكين مراد بك وابراهيم بك ، ومن قبلهما محمد بك ابو الذهب وعلى بك الكبير ورضوان كتخدا .

ولولا ذلك التقرير لما عرفنا الفارق بين ما كان عليه الغناء فى العصر العثمانى ، وما صار اليه بعد النهضة الاجتماعية والعلمية والفنية والادبية التى بدات فى عهد محمد على باشا ، واستمرت فى عهود خلفائه ، وبخاصة فى عهد الخديو اسماعيل الذى نشا فيه عبده الحمولى وزوجته المظ ، ونضج فيه فن الشيخ محمد عبدالرحيم المسلوب - شيخ الملحنين - وبرز نابغة التلحين المجدد محمد عثمان الذى استكمل بناء فن «الدور» وهو اساس فن الغناء العربى ووعاؤه الذى يحمل فنونه الكثيرة ، كما تفوق محمد عثمان فى تلحين الموشح حتى بذ الأولين ، ورسخ اسلوب الغناء العربى وان لم يتخلص من جميع اثار الغناء العثمانى والفارسى والغجرى التى افسدت من قبل اوتار حناجر المطربين . ولكن يقظة الشخصية المصرية العربية بعد الثورة العرابية - برغم فشلها - مهدت الطريق الى خلاص سريع من تلك الاثار العثمانية وغيرها فيما بعد خلال عصر ام كلثوم وعبدالوهاب .

● بين الشعر والغناء

وعاصرت نهضة الغناء العربى فى



الحامولى
والمــــظ والشيــخ المسلوب

القرن التاسع عشر نهضة الشعر العربى على يد محمود سامى البارودى باشا ، فكان ما صنعه الشيخ المسلوب ومحمد عثمان وعبده الحمولى فى فن الغناء اشبه بما صنعه البارودى فى فن الشعر ، اذ ثار على طريقة العصر العثمانى ، ورد الشعر العربى الى طريقته التى كان عليها فى العصور العربية الصميمة .

واكتملت بثورة الغناء العربى وثورة الشعر العربى ثورة مزدوجة لهذين الفنين العظيمين ـ الغناء والشعر ـ ردت اليها وجهها العربى ، وارتبط ذلك بنهضة شاملة فى المجتمع لم تتوقف حتى بعد الاحتلال البريطانى ، بل لعل الاحتلال اتاح لها اسبابا لم تكن فى حسبانه للتقدم والازدهار .

قاد الشيخ محمد عبدالرحيم المسلوب زملاءه وتلاميذه المغنين والملحنين منذ اوائل عصر النهضة الغنائية وكان المسلوب مغنيا قديرا وملحنا كبيرا وشيخا على «ارباب المغانى» اى المغنين الرجال ، اما المغنيات فكن خارج شياخته هذه ، ومعظمهن كن من الجوارى والراقصات ، ولهن اوضاع اجتماعية هابطة ، اذ كن نزيلات حى الأزبكية ، ولبثن فيه الى اواخر القرن التاسع عشر ، فكن سوادا فى وجهه النهضة الغنائية الى ان هجرت منيرة المهدية هذا الحى الذى كانت تغنى فيه وترقص ، وتحولت الى مسارح شارع عماد الدين وروض الفرج .

● دواخل مصر

والى اواخر القرن التاسع عشر ، وحتى صدور «الهلال» سنة ١٨٩٢ كان المغنون والمغنيات يسمون «دواخل مصر» .. وهو لقب يطلق على مشاهير هذه الصناعة ، وكان الناس يتناقلون قول «الشيخة زعزوعة» الزجالة المصرية القديمة :

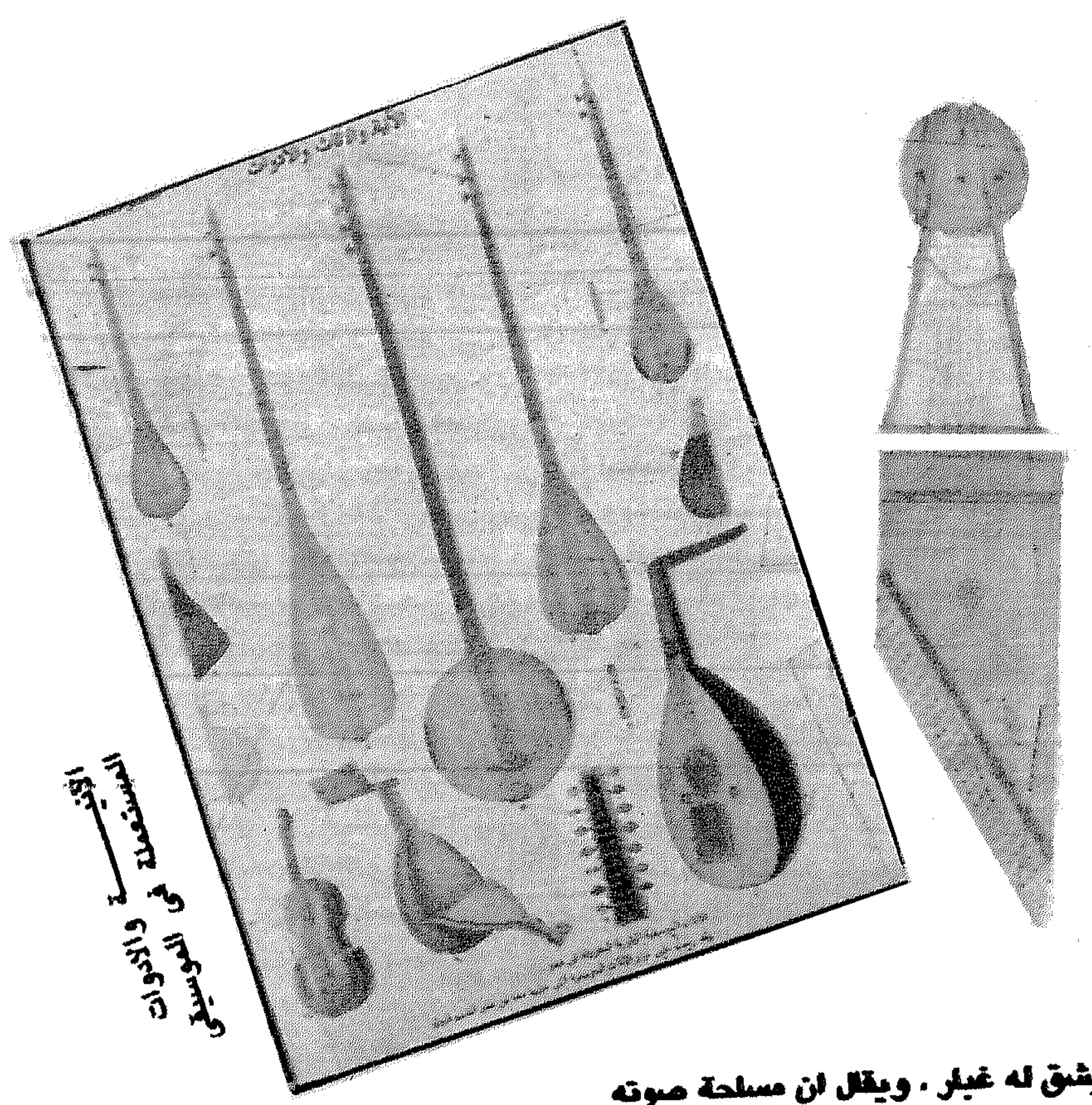
دواخل مصر فى قاعة
حداهم بنت جنكية
وزعزوعة ترقصهم
على شامى وشامية .

ولقولهم «دواخل» اصل قديم ، ففى كتاب «شفاء الغليل» يقول صاحبه : «المحدثون يسمون حسن الصوت دخولا ، ويسمون ضده خروجا ، اى لخروجه ونشازه عن اللحن والايقاع .. ثم قالوا : داخل ، ودواخل ، واطلقوهما على المغنين» !

عاش الشيخ المسلوب مائة وثلاثين عاما ، فقد ولد فى عهد مراد بك وابراهيم بك قبل مجىء الحملة الفرنسية الى مصر سنة ١٧٩٨ ومات سنة ١٩٢٨ .. وعلى يده بدات حركة احياء الغناء العربى .. ومن عباءته خرج محمد عثمان وعبده الحمولى وغيرهما .

● الحمولى .. اجمل الاصوات

كان عبده الحمولى صاحب اجمل صوت فى عصره ، متفننا فى الاداء لا


الآلات والأدوات المستعملة في الموسيقى

يشق له غبار . ويقال ان مساحة صوته كانت تبلغ ثلاثة دواوين كاملة اى بضعة وعشرين مقاما . وهى مساحة هائلة لم يبلغها صوت بعد عبده الحمولي . ولكن الاديب الكبير الشيخ عبدالعزيز البشرى يقول فى مقالة عنه إن تفننه فى الاداء كان اعظم اثرا فى السامعين من صوته . فكأنما يريد الشيخ البشرى التهوين من التهويل الشائع حول صوته . ولعل الشيخ البشرى انما سمع الحمولى قبل اعتزاله الغناء بسنة او سنتين وكان ايامئذ مريضا . وقد نخر الدرن فى رئتيه فتقاصرت انفاسه . وضعف صوته ! ..

على ان امير الشعراء احمد شوقى كان عظيم الاعجاب بصوت عبده الحمولى . وقد سمعه فى شبابه . وجلس على مقربة منه فى قصر الخديو فحكم على صوته حكما صائبا . وقال فى رثائه هذا البيت الفريد :

يسمع الليل منه فى الفجر : يا ليل «م»
فيصغى مستمهلا فى فراره

وامتدح صوته ايضا شيخ الشعراء اسماعيل صبرى باشا ونظم له ادوارا زجلية . وكتب عنه الشاعر خليل مطران

الحامولى والمظ

والشيخ المسلوب

كتابة حسنة وشهد له بقوة الصوت وجماله ، ناهيك باقوال مطربى ذلك العصر وعلى راسهم الشيخ المسلوب .

ولعبده الحمولى ادوار مشهورة حفظها منه تلاميذه ومريدوه من المطربين وسجلوها بعد وفاته على اسطوانات ، ولم يسجل هو شيئا منها لان «الاسطوانة» لم تدخل مصر الا سنة ١٩٠٥ بعد وفاته باربع سنوات .

ومن اشهر ادواره التى لحنها بنفسه وغناها دور «شربت الصبر من بعد التصافى» .. وقد كان يغنيه بكثرة فى اخريات حياته ، بين سنة ١٨٩٠ وسنة ١٨٩٨ وسجل هذا الدور بعد وفاة الحمولى ثلاثة من كبار المطربين الذين عاصروه .

● دور مؤثر لمحمد عثمان

وكثير مما كان يغنيه عبده الحمولى ، لم يكن من تلحينه بل من تلحين زميله محمد عثمان ، ومنها الادوار المشهورة : «جددى يانفس حظك» مقام بياتى - و «ياما انت واحشنى وروحى فيك» - مقام حجاز كار - و«عشنا وشفنا سنين» - مقام راست - و« فى البعد ياما كنت انوح» - مقام هزام - و«قد ما احبك زعلان منك» - مقام صبا .

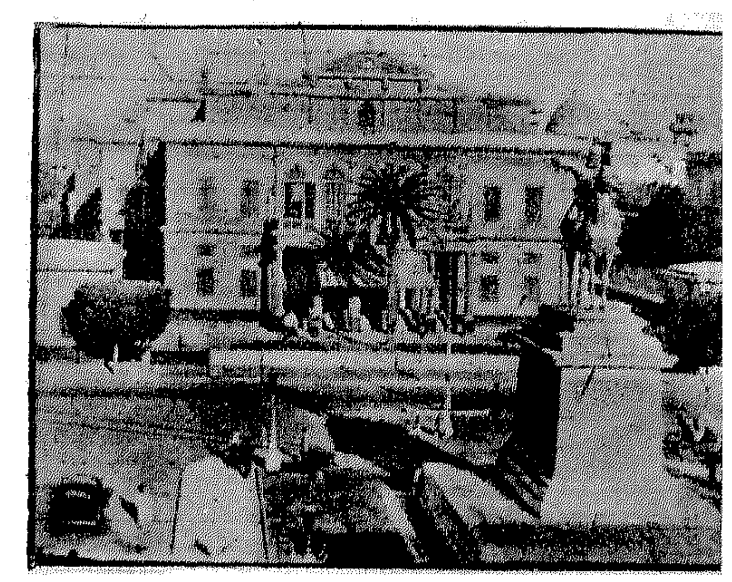
وشارك فى تاليف الادوار ، مع اسماعيل صبرى باشا وامير الشعراء احمد شوقى ، عدد من كبار ادباء عصره مثل عائشة التيمورية ومحمود سامى البارودى باشا والشيخ على ابو النصر والشيخ على الليثى - وهما نديما الخديو - ومصطفى نجيب بك والد الممثل المشهور المرحوم سليمان نجيب بك ، والشيخ عبدالرحمن قراعة المفتى ..

على ان روعة صوت الحمولى لم تحجب مكانة زميله محمد عثمان الذى كان يقدر عبده الحمولى ويعطيه الحانه ليغنيها ويجملها بصوته .

وبعد ..

فقد كان عبده الحمولى عند ظهور «الهلال» سنة ١٨٩٢ ، هو نجم مصر والعالم العربى فى الغناء .. اليه انتهى تاجه وصولجانه ، وحوله التف الملحنون الكبار فاسدوه بروائع

الاوبرا القديمة



الحانهم وعلى راسهم كبيرهم الشيخ المسلوب ونابغتهم محمد عثمان .

وغنى الحمولي ومطربو عصره الوانا لم تكن موجودة والوانا اخرى اضافوا اليها وتعبوا في تطويرها وبرعوا في غناء الادوار والموشحات والمواويل والقصائد والاناشيد .

ومن قالب «الدور» الذى بلغ اوجه على ايدى الحمولي ومعاصريه خرجت الاشكال الغنائية المستحدثة ، ومنه تفرعت «الطقطوقة» والمونولوج والديالوج وكثير من المستحدثات ، بما فيها بعض اساليب الغناء المسرحي العربي ، من عهد القرداحي الى عهد سلامة حجازى الى عهد سيد درويش الى اليوم .

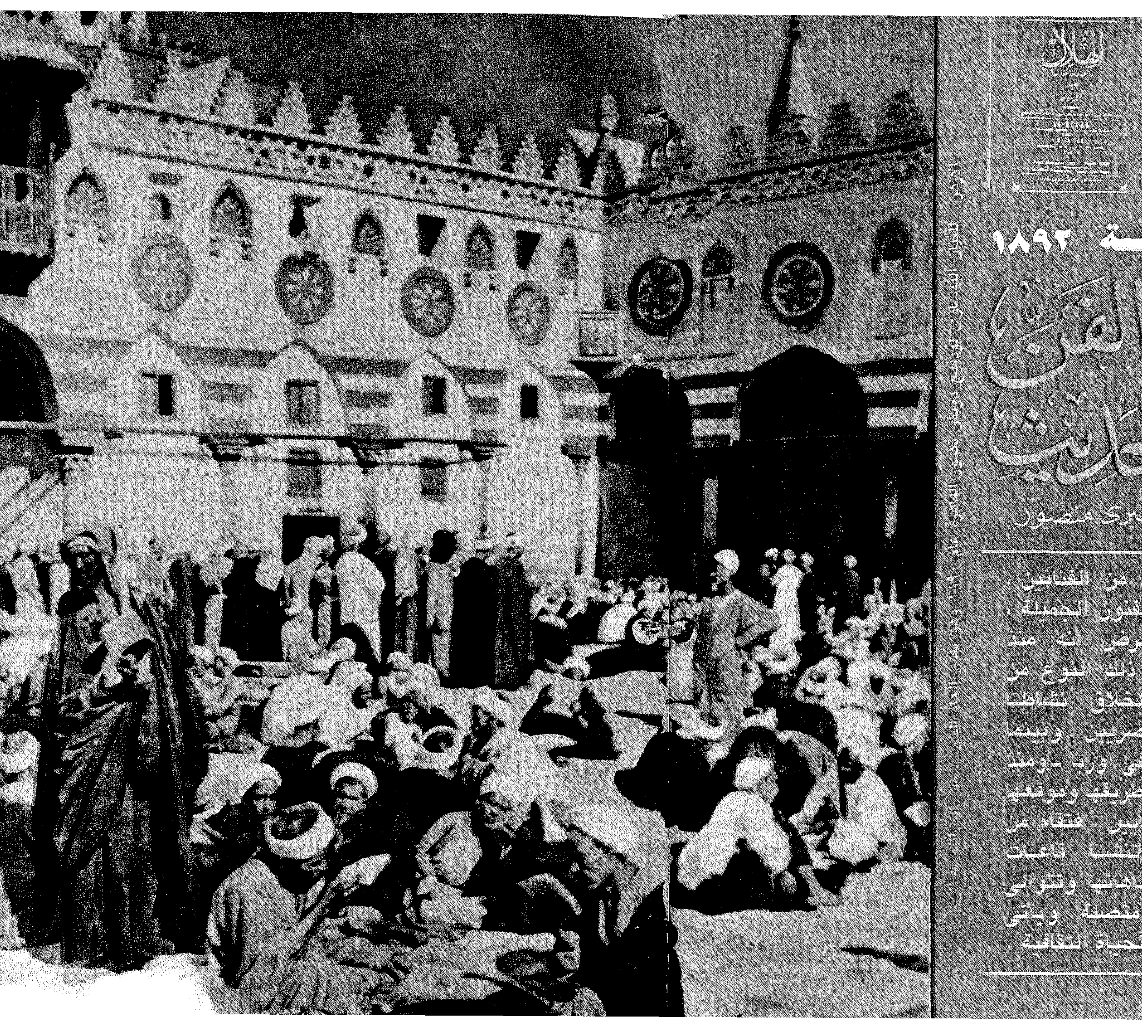
وقد امتلأ وجدان جيلين او ثلاثة اجيال من غناء عبده الحمولي وزملائه ، فمن جيل البارودى واسماعيل صبرى وشوقي الى جيل عبدالعزيز البشرى الى جيل نجيب محفوظ الذى ان لم يكن قد سمع عبده الحمولي وزملاءه فقد سمع تلاميذهم وعلى راسهم صالح عبدالحي .. وادمن نجيب محفوظ سماع صالح عبدالحي وتعرف منه على الغناء القديم كله ، وسجل تاثره به في رواياته ، وربط تطور فن الغناء بتطور المجتمع المصرى ، ووظف كلمات الاغاني في استكمال البناء الفكرى والوجداني لابطال رواياته .. واهتم بكبار المطربين القدماء من جيل عبده الحمولي ، فذكرهم باسمائهم في رواياته ، وهو في



المطرب صالح عبدالحي

هذا كله لم يقحم فن الغناء على فن الرواية ، بل وظفه لخدمة هذا الفن ، وعقد بين الغناء والرواية وشائج حية فاعلة لا يشوبها افتعال ، واعانته طبيعته السمحة واصالته على الوفاء للغناء المصرى والاعجاب الحقيقي به ، على عكس بعض مشاهير الادباء الذين جهلوا الغناء العربي ، فبات يقف على اذانهم غير الواعية ، كما يقف الطائر المفرد على فروع شجرة جرداء !

وتحية من وراء مائة سنة نبعثها الى عبده الحمولي والمسلوب ومحمد عثمان ، وكاننا نسمعهم في سنة ١٨٩٢ مع الالوف من المستمعين ونطلب اليهم ان يعيدوا على اسماعنا غناءهم من جديد في سنة ١٩٩١ .



الأزهر للفنان النمساوى لودفيج دويتش تصور القاهرة عام ١٨٩٠ وهو نفس العام الذى [illegible]

يوم صدر الهلال

سنة ١٨٩٢

وميلاد الفن المصرى الحديث

بقلم : د. صبرى منصور

قد لا يدرك العديد من الفنانين ، والمثقفين ، ومحبى الفنون الجميلة ، ومرتادى قاعات العرض انه منذ حوالى مائة عام كان ذلك النوع من النشاط الانسانى الخلاق نشاطا مجهولا تماما لدى المصريين . وبينما كانت الفنون الجميلة فى اوربا - ومنذ عصر النهضة - تاخذ طريقها وموقعها فى حياة الناس العاديين ، فتقام من اجلها المتاحف ، وتنشا قاعات العرض ، وتزدهر اتجاهاتها وتتوالى تباعا فى سلسلة متصلة وياتى الاهتمام بها فى بؤرة الحياة الثقافية .

سنة ١٨٩٢ وميلاد الفن المصرى الحديث

كنا هنا نرفل فى غيبوبة القرون الوسطى .. وكان ذلك امرا عجيبا ومثيرا للاسى والالم ، فهذه البلاد التى كانت لالاف السنين ميدانا لابداع اعمال فنية هى مفخرة للانسان على مرّ العصور انقطع التواصل الحضارى والفنى فيها لقرون طويلة ، فلم تكن هناك ومنذ انتهاء العصور المصرية القديمة سوى الصناعات الفنية الشعبية ، والتميز فى مجال البناء وفن العمارة الاسلامية .. ويعتقد المؤرخون ان أفول روح مصر المبدعة لم يأت الا فى ختام عصر الغورى ، عندما امر السلطان سليم بجمع الصناع والحرفيين الفنيين من القاهرة ، وحملهم قسرا الى مدينة القسطنطينية ، عند ذاك انطفأت الصناعات الشعبية ، وتبدد المناخ الذى يكفل نمو الفنون وازدهارها .

● الشرارة الاولى

لاجدال فى ان الحملة الفرنسية التى جاءت الى مصر ـ عام ١٧٩٨ ـ مصحوبة برهط من الفنانين ، قد وجهت انظار الصفوة المصرية الى ذلك المجال المجهول .. مجال الفنون الجميلة ، فلقد قام الفنانون الفرنسيون بتسجيل دقائق الحياة المصرية والبيئة الشعبية ، ومناطق الاثار ، ومظاهر الاحتفالات الرسمية والشعبية ، وامتدت مهمتهم لتشمل تسجيل لوحات شخصية لمشايخ ذلك العصر ، وتوجد فى متحف فرساى صورا للشيوخ عبدالله الشرقاوى والسادات والبكرى ومحمد المهدى ، وليس هناك ابلغ من كلمات الجبرتى التى يصف بها فنانى الحملة الفرنسية ووقع اسلوبهم الفنى على نفوس المصريين انذاك وافردوا لجماعة منهم بيت ابراهيم كتخدا السنارى ، وهم المصورون لكل شىء ، ومنهم "اريجو" وهو يصور الادميين تصويرا يظن من يراه انه بارز فى الفراغ لجسم يكاد ينطق ، حتى انه صور المشايخ كل واحد على حدة فى دائرة ، وكذلك غيرهم من الاعيان ، وعلقوا ذلك فى بعض مجالس صارى عسكر ، واخر فى مكان يصور الحشرات ، واخر يصور الاسماك والحيتان بانواعها .

● الفنانون المستشرقون

حين تولى محمد على حكم مصر كان هدفه تحديث البلاد فى كل المجالات وكان من بين اهتماماته احياء الفنون واحتضان تقدمها ، فاوفد البعثات الى اوربا لتعلم حرفة النحت والرسم ، وبعودة اعضاء هذه البعثات تولوا المساهمة فى تجميل القصور والحدائق ، وقد جاءت اعمال هؤلاء متأثرة بالطرز التى تعلموا على هديها

وكانت سائدة فى اوربا حينذاك واهمها طرازى الباروك والروكوكو . وفى نفس الوقت اضحت مصر مزارا وملجأ لعديد من الفنانين الاوربيين الذين وفدوا الى مصر ما بين عام ١٨٣٠ وحتى عام ١٩٠٠ ، ولقد وجدوا فى جوها الجميل ، وسمائها الصافية ، ومناظرهـا المميزة مجـالا خصبا لموضوعاتهم الفنية ، وكان من بينهم "ماشرو" الذى اسلم عام ١٨٣٥ ولقب باسم محمد افندى ، وعين مدرسا للرسم بمدرسة الجيزة ، وهناك ايضا "الريك" الذى صنع تماثيل نصفية لمحمد على . لقد وقع هؤلاء الفنانون فى سحر البيئة الشرقية ، واقتصرت اعمالهم على تسجيل مناظر للمناطق الشعبيـة كخـان الخليلى ، وحى الخيـامية ، والمسـاجد القـديمة . والاسواق والحمامات ، وقد رسمت باسلوب يعتمد على محاكاة الواقع ، وابراز التفاصيل الدقيقة لعناصر العمـارة الاسـلاميـة ، والمـلابس المـزركشـة بـأنـواع الـزخـارف الاسلامية . وتعد هذه الاعمال فى مجموعها تسجيلا امينا لحقبة تاريخية فى وقت لم تكن الة التصوير قد تم استخدامها بعد ، مما يسبغ على هذه الاعمال قيمة وثائقية فريدة .

وفى فترة حكم اسماعيل انتشر الطابع الأوربى على المبانى ، واصبح اكثر وضوحا فى العمائر التى ارتفعت فى القاهرة وفى غيرها من المدن الاقليمية الكبرى ، وظهرت الى الوجود تمـاثيـل ميـدانيـة فى القـاهـرة والاسكندرية ، كتمثال محمد على وسليمان باشا ولاظوغلى ، وقد كلف بعملها المثال "الفـريد جـاكمار" بالاضافة الى تماثيل الاسود على مداخل كوبرى قصر النيل .

وكان الفنانـون المستشرقـون يتخذون من حى الخرنفش مكانا لمراسمهم ، حتى لأضحى مشابها لحى "مونبارناس" للفنانين فى باريس ، وكان تجمعهم فى مكان واحد ، وتقارب مشاربهم الفنية داعيا لاقامة اول معرض يضم اعمالا فنية فى القاهرة ، وكان ذلك فى دار الاوبرا عام ١٨٩١ .

ولاشك ان وجود هؤلاء الفنانين كان مؤثرا فى حركتنا الفنية عند نشأتها ، ففى مراسمهم تعلم البعض من رواد الجيل الاول ، كما كان من بينهم اساتذة ساهموا فى انشاء مدرسة الفنون الجميلة فيما بعد .. ومن اشهر هؤلاء الفنانين "ماشرو ـ الريك ـ اشار ـ فرومنتان ـ بول رينوار ـ اميل برنارد ـ فورشيلا ـ لابلان" ولقد انتمى طـابعهم الفنى العـام لـلاسلـوب الاكاديمى التسجيلى مع اختلافات بسيطـة طبقا للمـدارس الاوربية التابعين لها ، واهمهـا المدرسـة الفـرنسية والانجليـزية والالمـانية والنمساوية . وكان لذلـك المنحى الاوروبى اثر على الذوق الفنى الذى صبغ بصبغة اوربية غريبـة عن الوجدان المصرى ، ولم يكن غريبا ان

سنة ١٨٩٢ وميلاد الفن المصري الحديث

يثور عليه رواد الجيل الاول من الفنانين المصريين وخاصة مختار ومحمود سعيد وراغب عياد ومحمد ناجي ، وكذلك من تبعهم من الاجيال واستطاعوا ان يبدعوا اعمالا ذات ملامح قومية اصيلة شكلا ومضمونا .

● احياء الفنون

انه لمما يثير الدهشة حقا ، ويدعو للاعجاب والتقدير ، ذلك الموقف الذى اتخذه الشيخ والمفكر الدينى العظيم محمد عبده من الفنون ، فى وقت مبكر من عصرنا الحديث ، وفى ظل مناخ ثقافى متخلف ، يضع الفنون فى ادنى درجات النشاط الانسانى ، ويحقر من عمل الفنان ويهزأ به ، ولا يعتد بشهادته امام المحاكم ، وجاء موقف الشيخ الجليل من الفنون الجميلة موقفا شجاعا ، يدل على سعة الافق والاستنارة الحضارية ، فهو لم يدافع عنها فقط ، ولكنه كان من اوائل الداعين اليها والمفجرين لقضيتها ،

وجبة الغذاء فى القاهرة رسمها الالمانى جون فردريك لويس عام ١٨١٥



وكتب مفتى الديار المصرية ، لافتا الانظار الى اهمية العناية بهذا النوع من الفنون فى وقت شاعت فكرة تحريمها . وفى فتواه المعروفة ، التى اصدرها عام ١٩٠١ تحت عنوان : "الصور والتماثيل وفوائدها وحكمها" يقارن شيخنا بين الفنون الجميلة فى الغرب وفن الشعر فى بلادنا : "اذا كنت تدرى السبب فى حفظ سلفك للشعر، وضبطه فى دواوينه ، والمبالغة فى تحريره ، خصوصا شعر الجاهلية ، وما عنى الاوائل رحمهم الله بجمعه وتحريره ، امكنك ان تعرف السبب فى محافظة القوم على هذه المصنوعات من الرسوم والتماثيل ، فان الرسم ضرب من الشعر الذى يرى ولا يسمع ، والشعر ضرب من الرسم الذى يسمع ولا يرى" اى عقلية فذة استطاعت ان تدرك هذا المفهوم للفنون الجميلة ، ان الانسان ليصاب بالاحباط الشديد حين يتلفت حوله اليوم ، ليجد من بين الكتاب والمفكرين المعاصرين من يقصر فهمه وادراكه حتى لينكر على الفنون الرفيعة اهميتها ، ويبخس قدرها ، فى كتابات تنم عن الجهل ،

لوحة عن القاهرة القديمة ، شط النيل ، رسمها اكثر من فنان عشقوا ضفاف مصر منهم ليون بيلى وجان ليون جيروم والنحات فردريك اوجست



وتكشف عن ضيق الافق ، وتفصح عن بلادة الحس والى جانب كتابات الشيخ محمد عبده توالت دعوات المفكرين ، فكانت هناك كتابات المازنى الذى خدد فى كتابه "**حصاد الهشيم**" رسالة فن التصوير تحديدا ينطوى على تبصر وفهم عميق حين يقول : إن اثبات صورة الشىء ليس عملا فنيا ، وانما يصبح كذلك اذا كان الاثبات بحيث يبرز صفة الشىء ، ويؤكد مميزاته ، وينفث فيه روحا ، او بعبارة اخرى ، لا يكون الرسم فنيا الا اذا ظهر فيه عنصر الجمال والتاليف فاية فكرة متقدمة يدعو اليها المازنى حين تقارنها بمن يدعون اليوم فى نهاية القرن العشرين بعودة الفنون ، التقليدية السطحية ، واى مفهوم للجمال يرقى بالعمل الفنى الى مصاف الابداع والخلق ، اذا ما قورن بمفهوم من ينادى اليوم بفن يعتمد على التسجيل والتقليد ؟

ومنذ بدايات القرن لم تخل صحيفة ادبية من مقال ينبه المصريين الى اهمية احياء الفنون ، واعمل الادباء اقلامهم شارحين موضحين ضرورة الفن فى الارتقاء بحياة الامم ، فكانت هناك كتابات مشاهير الادباء امثال لطفى السيد ، والزيات وسلامة موسى وهيكل والاديبة مى .

وهاهو ذا اديب مصر العملاق عباس العقاد ، الذى لم يبرح مكانه فى مصر ، وكان التقاؤه بالفنون من خلال مكتبته العامرة ، فاستطاع بثقافته الموسوعية ان يقف على اهميتها ، وبشجاعته المعهودة انطلقت كلماته "ان الامة بغير علم امة جاهلة ، ولكنها قد تكون على جهلها وافية الخلق والشعور . والامة بغير صناعة ، امة تعوزها اداة العمل ، ولكنها على هذا قد تكون صحيحة الحس ، صحيحة التفكير ، **والامة بغير تعبير امة مهزولة ، او مشرفة على الموت ، وكذلك تكون الامم التى خلت من الفنون ، لان الفنون هى تعبير الامم عن الحياة**" .

ولعل من اكثر ما يثير اعجاب المرء وتقديره فى دعوة المفكرين المستنيرين للاهتمام بالفنون ، ان عميد الادب العربى طه حسين ، وقد حرمه الله من نعمة البصر ، قد ادرك ببصيرته وعمق ثقافته الدور الذى تؤديه الفنون فى حياة الامم ، فيضع الفنانين فى المكان اللائق بهم بين عباقرة الامة ونوابغها ، وهاهو ذا يطلق على محمود مختار مثال مصر العظيم لقب النابغة ، وفى مقال صاغه تحت عنوان "مختار مصر" كتب "لقد كان مختار ظاهرة فذة ، وكان حدثا معجزا اثار اعجابنا دون ان ندرك تفسيرا ، وكانت هذه الفجاءة ، وتلك الدهشة التى صاحبت ظهوره هى التى تجعلنا نسميه جميعا النابغة" .

وقد حلت فيما بعد فترات قل فيها اهتمام الادباء والمفكرين بالفنون الجميلة ، فانصرفوا عنها ، وندرت الكتابات فى قضاياها ، مع ان الادباء هم صوت الفنانين وكلمتهم ، وهم الحلقة التى تصلهم بالجمهور العريض ، مثلما نجد ذلك واضحا فى الامم التى تحظى بحياة ثقافية صحية ومتكاملة ، وفى الاجيال التالية لم يكن هناك سوى كتابات زكى نجيب محمود ، ولويس عوض ، وكان من اثر ذلك ان تولى الفنانون انفسهم إعمال اقلامهم بدلا من الريشة والازميل ، محاولين الابقاء على عصر حملت فيه الكلمة امانة الدعوة والتبشير بالفنون الرفيعة .

● الفنون الجميلة

عادة مايؤرخ لبداية الحركة الفنية الحديثة فى شكلها الصحيح بالعام الذى انشئت فيه مدرسة الفنون الجميلة عام ١٩٠٨ . حين تحمس الامير يوسف كمال لانشائها استجابة لدعوة الكتاب والمفكرين كى يأخذ تعليم الفنون مكانه فى حياتنا مثلما اخذت العلوم الحديثة ، كما كان هناك ايضا تشجيع مجموعة من كبار الفنانين الاجانب المقيمين فى مصر ، والذين تولوا مهمة وضع المناهج الدراسية واسلوب التعليم فى المدرسة ، وكان من بينهم المثال الفرنسى "لابلان" ، والمصور الايطالى "فورشيلا" . وافتتحت المدرسة فى منزل يملكه الامير يوسف كمال بحى درب الجماميز ، وتخرجت اول دفعاتها عام ١٩١١ . وفى عام ١٩١٠ اقيم اول معرض مصرى للفنون الجميلة بكلوب محمد على ، وعرضت فيه اعمال الجيل الاول من الفنانين المصريين امثال محمود مختار ، ومحمد حسن ، ويوسف كامل ، وراغب عياد . تلك الاسماء التى اضطلعت بدور الريادة ، ومثلت منطقة جذب تجمع حولها طلائع الفنانين ومحبى الفنون ، وسرعان ما اتسعت الدائرة لتشمل خلال سنوات قليلة مواهب فذة كالمصور السكندرى محمود سعيد ، والمصور محمد ناجي ، وكانا قد تلقيا أصول الفن على أيدى اصحاب المراسم الخاصة من الفنانين الاجانب . وعلى الرغم من ان الاساتذة الاوربيين كانوا يعتمدون فى تعاليمهم على المنهج الاكاديمى القائم على مهارة الاداء وتنمية القدرة الاحترافية ، فان جيل الرواد - بحساسية الفنان المصرى الكامنة فى الاعماق والممتدة عبر التاريخ - استطاع ان يبرز للوجود ملامح مصرية ، وان يتخطى مرحلة اتباع التعاليم الغربية مؤثرا اللقاء بفن الاجداد ليأتى عمله متسقا مع تاريخه ، ومتصلا بتراث امته ، وهكذا ظهر المحمودان .. محمود مختار فى فن النحت ، ومحمود سعيد فى فن التصوير ، فدانت لهما ريادة الفن المصرى المعاصر ، فكلاهما انجز فى مجاله اعمالا هى

سنة ١٨٩٢ وميلاد الفن المصري الحديث

البائعات فى القاهرة ، لوحة مرسومة عن قاهرة ١٩٠٠ للفنان اميل برنار (١٨٦٦ – ١٩٤١)

يحق مصدر زهو لمصر فى بدء نهضتها ، وعلامة ستظل مميزة فى تاريخها الثقافى الحديث ..

● نهضة مصر

فى يوم ٢٠ مايو ١٩٢٨ اقيم احتفال رسمى وشعبى مهيب لرفع

السوق عند ابواب مشرقة لوحة رسم الالمانى ليوبولد كارل موللر عام ١٨٧٨





سنة ١٨٩٢ ومیلاد الفن المصري الحديث

الستار عن تمثال نهضة مصر للمثال محمود مختار ، وفيه القى امير الشعراء احمد شوقى قصيدة عصماء كان من ابياتها :

فمن يبلغ الكرنك الاقصرى
وينبىء طيبة اطلالها
ويسمع ثم بوادى الملوك
ملوك الديار واقيالها
لقد بعث الله عهد الفنون
واخرجت الارض مثالها

لم يتوفر حتى اليوم لعمل من اعمال الفن المصرى الحديث ماتوفر لتمثال نهضة مصر من ايحاءات ودلالات بالغة الاثر ، ونحن نعتقد ان هذا التمثال العملاق لا يرمز فقط لنهضة مصر المرتقبة فى شتى نواحى حياتها ، وانما يتعدى ذلك ليدل على نهضة الفن المصرى ايضا ، وهو يحمل فى نفس الوقت فكرة لا نشك فى انها كانت تحتل من نفس مختار مكان الصدارة ، وهى ان مصر لن تنهض من كبوتها الحضارية ، الا اذا استطاعت ان تتصل بتاريخها عبر الاف السنين ، حين شيدت للانسانية صرحا شامخا للتقدم ، وهى كذلك لن تنهض الا اذا حافظت على اصالتها ونقاء روحها .

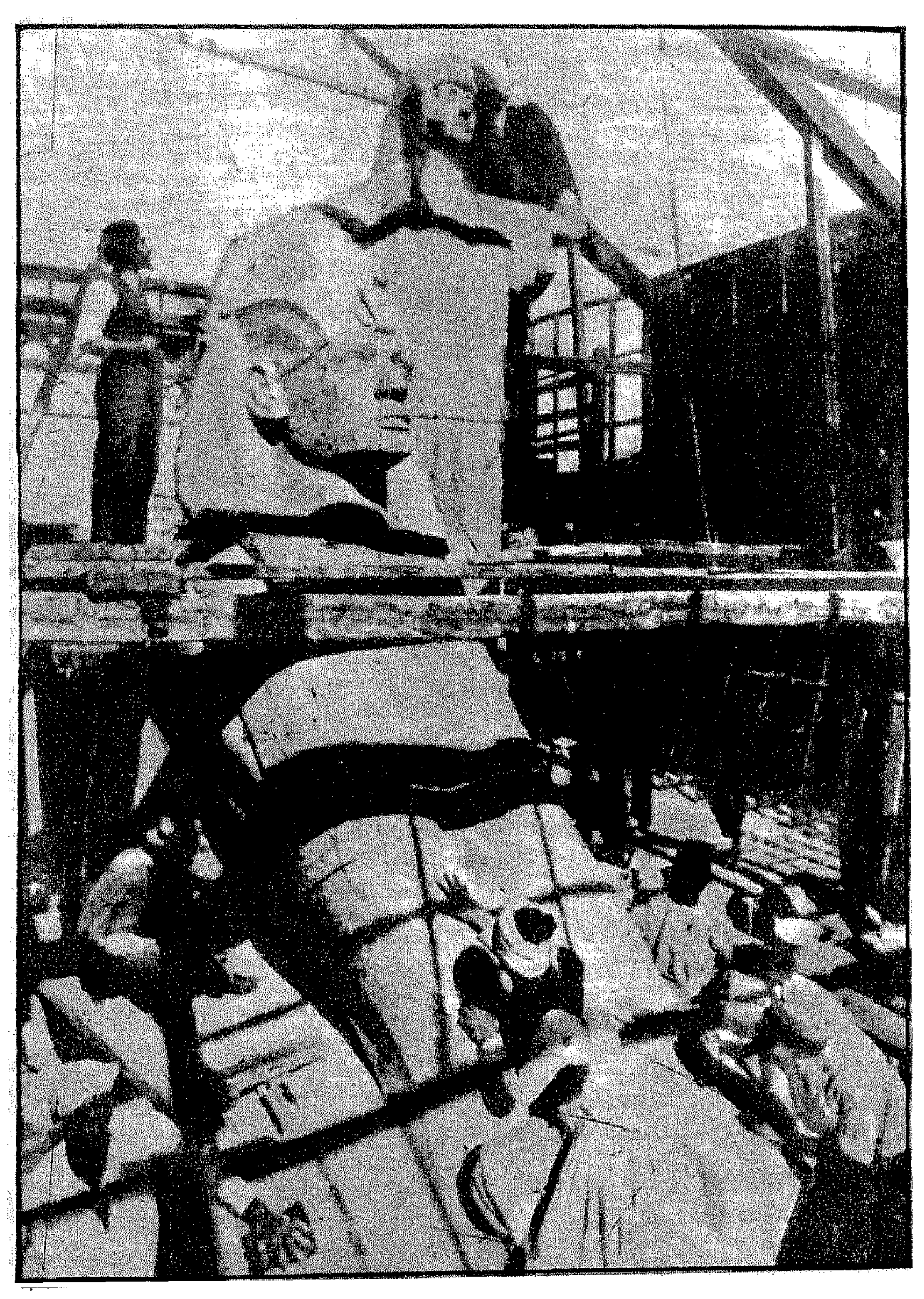
ان تمثال نهضة مصر كان تمثال



المثال محمود مختار ..

مصرى يقام بعد انتهاء عصر الفراعنة ، ولم يكن اختيار خامة الجرانيت الذى عالجه القدماء اختيارا عشوائيا ، وانما هو محاولة للاحياء وتنبيه للاذهان لحضارة كان ينظر اليها فى ذلك الحين على انها حضارة الاموات والمساخيط .

هكذا اراد مختار بتمثاله ان ينتزع الميلاد من براثن الموت ، وان تقوم نهضتنا على ركائز الماضى العريق ، فبدون هذا الاتصال الحضارى لن يكون هناك ثمة امل فى نهضة مصرية حقيقية .. انها دعوة لا تزال ــ رغم مرور السنين وتغير الاجواء والشخصيات ـ قائمة لابديل لها ولا مفر عنها ..



محمود مختار فى حالة تشطيب لتمثاله ، « نهضة مصر » محاولة لتجديد امجاد الاسلاف

١٨٩٢ يوم صدر الهلال

التيارات الفكرية في مصر في نهاية القرن التاسع عشر

بقلم : د. رفعت سيد أحمد

يمثل النصف الثانى من القرن التاسع عشر نقطة تحول فكرى فى عالم الاسلام ، وبخاصة منطقة القلب منه والتى تحتوى بداخلها ما تعارف على تسميته حديثا بمنطقة "الشرق الأوسط" والتى تمثل (مصر ـ السعودية ـ سوريا ـ فلسطين ـ العراق ـ ايران ـ تركيا) ابرز مكوناتها .

فهذه المنطقة ، فى تلك الفترة ، شهدت تحولات فكرية وسياسية هامة ، لعل اهمها الصدام الحضارى المباشر مع النموذج الغربى ، والذى وصل فى بعض بلدانها الى حد الاستعمار العسكرى ، وكانت عمليات المقاومة الفكرية والسياسية لهذا الصدام ، مظهرا آخر لتلك التحولات .

وكما هو معلوم ، فإن لكل تحولات كبرى ، رجالا ، تقف خلفها ، وقضايا تثار اثنائها ، وبلدانا بعينها تمثل مناطق ارتكاز اساسية لتلك التحولات ، وهذه القضايا ...

وكانت (مصر) ابرز هذه البلدان فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وتحديدا العقد الأخير من هذا القرن (١٨٩٠ ـ ١٩٠٠) وكانت قضية العلاقة بين الدين (الاسلام تحديدا) والسياسة (بمعانيها المختلفة) ، من أهم القضايا على الصعيد الفكرى ، وكان جمال الدين الأفغانى (١٨٣٨ ـ ١٨٩٧) ومحمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥) وغيرهما ممن تعارف على تسميتهم برجال التيار الاسلامى وفرح انطون (١٨٧٤ ـ ١٩٢٢) وجرجى زيدان (١٨٦١ ـ ١٩١٤) ويعقوب صروف (١٨٥٢ ـ ١٩١٧) وشبلى شميل (١٨٦٠ ـ ١٩١٧) وسلامة موسى (١٨٨٧ ـ ١٩٥٨) ومصطفى حسنين المنصورى ونقولا حداد (١٨٧٨ ـ ١٩٥٤) ممن تعارف على تسميتهم

برجال التيار العلمانى ، ومحمد حسين هيكل وقاسم امين واحمد لطفى السيد وغيرهم ممن تعارف على تسميتهم برجال التيار التوفيقى .

كان هؤلاء جميعا هم ابطال تلك المرحلة الهامة من تاريخ مصر .

وفى هذه السطور ، نحاول أن نتلمس أبرز اسهاماتهم تجاه قضية العلاقة بين (الاسلام والسياسة)، فماذا عنها ؟

١ ـ جمال الدين الافغانى

تمثلت رؤية جمال الدين الافغانى لقضية العلاقة بين الدين والسياسة من خلال موقفه من مسألتى الاصالة والمعاصرة ، وموقفه من الاسلام وقضايا الحكم فى ضوء التحدى الاستعمارى الانجليزى الذى كان قائما وقت دعوته .

يعقوب صروف



وبالنسبة لموقفه من قضية الاصالة والمعاصرة يرى الافغانى أن "الظهور فى مظهر القوى لدفع الكوارث ، انما يلزم له التمسك ببعض الأصول التى كان عليها أباء الشرقيين واسلافهم وهى ماتمسكت به أعز دولة أوروبية" ويرى البعض فى تفسير هذا الرأى الذى صار بمثابة المنهج للافغانى أنه لايعنى تقديس الماضى ولا الأخذ بجميع اصوله وأنما الذى يعنيه هو الأخذ ببعض الأصول الثابتة له والتى تمثل القسمات المميـزة للمجتمع الاسلامى ، وهكذا فإن المطلوب وفق منهج الافغانى هو البدء من بعض اصول الماضى الصالحة ، والتى استلهمها الأوروبيون عندما استعانوا بتراثنا فى نهضتهم مع وعينا بأنها هى المدخل والسبيل الذى يعين على التجديد والتحديث والتطوير بل أن الافغانى يخالف من يقيم حضارته على مبدأ الانبهار بالغرب وليس مبدأ الاختيار منه أو أن نبدأ من حيث انتهى الغرب حيث يقول فى منهاج العروة الوثقى :

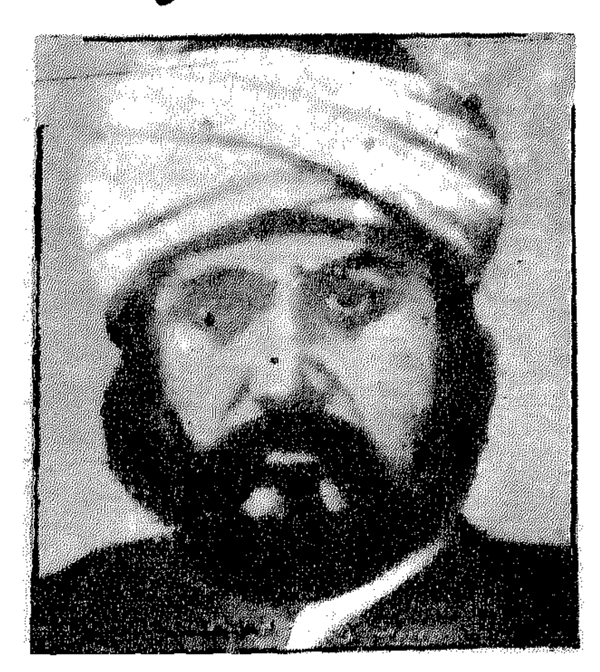
"أنه لاضرورة فى ايجاد المنعة الى أجتماع الوسائط وسلوك المماليك التى جمعها وسلكها بعض الدول الغربية الأخرى ، ولاحاجة للشرقى فى بدايته أن يقف موقف الأوروبى فى نهايته ، بل ليس له أن يطلب ذلك ، وفيما مضى أصدق شاهد على أن من طلبه فقد اوقر نفسه وأمته وقرأ اعجـزها واعوذها" .

التيارات الفكرية في مصر

فهو يدعونا هنا الى عدم وجود ضرورة أن يبدأ الشرق الاسلامى من حيث أنتهت حضارة الغرب ، بل لابد من الحفاظ على الطبيعة الخاصة والتميز الذاتى ، ويتقدم جمال الدين الافغانى خطوات فى تشخيصه للقضية ، حين يرى فى اولئك الذين يؤمنون بالنموذج الغربى كلية وبلا تعديل ، خطرا على استقلال الأمة ومقدمة لفقدان هذا الاستقلال عن طريق الاستعمار حيث :

"أن أشد وطأة على الشرق وأدعى الى تهجم أولى المطامح من الغربيين وتذليل الصعاب لهم وتثبيت أقدامهم هم اولئك الناشئة الذين بمجرد تعلمهم

جمال الدين الافغانى



لغة القوم والتأدب بأسفل آدابهم يعتقدون أن كل الكمالات وأنما هو فيما تعلموه من اللسان على بسائطه وفيما رأوه من بهرج مظاهر الحالات وقراءة سير وسير من قطع مراحل من الغربيين فى سبيل الأخذ فى ترقيته أمته ودون أن يسيروا من ذلك غورا أو يفهموا لتدرجهم معنى ، ويعتقد الناشىء الشرقى أن كل الرذائل ودواعى الحطة ومقاومات التقدم أنما هى فى قومه ، فيجرى مع تيار غريب من امتهان كل مادة شرقية ، ومن كل مشروع وطنى تتصدى له فئة من قومه أو اهل بلده . ويأنف من أى عمل مالم يشارك فيه الاجنبى ولو إسما" .

أن جمال الدين الافغانى يقيم منهاجه على أساس نقد أسلوب التقليد والانبهار غير الواعى لكل ماهو غربى ، ونقد اولئك الذين يجعلون من نهايات الغرب الحضارية بدايات لنهضتهم الحضارية ، فمسيرة الغرب من نقطة بدئه فى الحضارة والصناعة حتى الموقع الذى بلغه الآن ، قد أكسبه مرانا وقوة وجعلته عملاقا فى الدروب والمجالات التى تطور فيها ، فإذا تعلقنا ونحن الضعاف بنهاياته وثمراته كنا أقصر منه قامة وأضعف بنية وأعجز منه فى المباراة ، ومن هنا يأتى خطر الضم والالحاق إن لم يكن فى الشكل والاحتلال العسكرى ، ففى الاقتصاد والاسواق .

وتأكيدا لقناعاته ولمنهجه الفكرى تجاه هذه الاشكالية يضرب جمال

الدين الافغانى مثالين من واقع الشرق الاسلامى ، الأول : ينسحب على ماصنعه العثمانيون من تنظيمات واصلاحات نقلوها ، كاملة عن الغرب ، والثانى : فى نموذج محمد على وماأحدثه فى التربة المصرية من تأثيرات سلبية حين احتذى النموذج الغربى ، (أنظر تفصيل ذلك فى كتابنا ، الدين والدولة والثورة - دار الهلال ١٩٨٤) .

٢ - الامام محمد عبده :

أنطلقت رؤية الأمام محمد عبده لقضية العلاقة بين الدين والسياسة من خلال اشكالية اخرى أكثر شمولا هى العلاقة بين النموذج الاسلامى والنموذج الغربى ، وبين الاسلام والعقل ، ويرجع البعض أن محمد عبده قد تأثر بمقدمة ابن خلدون - وبنظريته فى تفسير التاريخ ، واستفاد من تدريسه لهذه المقدمة فى بدايات حياته . حيث أنعكس هذا على رؤيته لعلاقة الدين الاسلامى بالعقل ، وبتأكيده على عدم تعارضهما ، ولكنهما فى ذات الوقت لايمثلان شيئا واحدا بالنسبة له ، ومن ثم تقوم رؤيته على اساس ايجاد التوفيق بينهما استنادا لعقلانية الاسلام ولاحترامه للعقل البشرى .

ومحمد عبده يؤكد على عدم وجود مثل هذا التعارض ، ليس فقط مع العقل ، بل مع العلم ، لأن الاسلام شجع العقل ، وادان التقليد الاعمى ،



جرجى زيدان

وهاجم الغيبة والقدرية ، وأكد على دور الارادة الحرة للانسان فقال : "أن مبادىء الاسلام تتفق مع نتائج البحث العلمى ، وكان اعتقاده الثابت أن روح الاسلام اذا ما فهمت على حقيقتها فإنها لاتتعارض مع أكتشافات ونتائج العلم لأن الاسلام لم يعلم أبدا التضييق على العقل أو الحجر عليه فهو دين العقل ، وهو مرتكز التفكير العلمى فالعقل عند محمد عبده هو "جوهر انسانية الانسان وهو أفضل القوى الانسانية على الحقيقة" ويرى الامام أيضا فى التقليد "أنه حتى فى العقل الصالح فأنه ليس من شأن المؤمنين ، ويجب عنده التأكيد على التميز على القديم الذى لانجاح لنا الا بالتعويل عليه" .

ولقد هدف الامام الى تحقيق التوفيق او الانسجام بين الاسلام

والمعاصرة ، فقد صدمه تخلف أحوال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والدينية ، وادرك ان علاقة الاسلام بالعصر الحديث هى المشكلة الرئيسية التى يجب على كل المجتمعات الاسلامية أن تواجهها ، وبالنسبة له فإن العلاج كان يتحدد فى العودة الى الاسلام الصحيح من خلال "اعادة اكتشاف وتأكيد اساسيات الدين ومبادئه الأولى التى بدونها لايصير الاسلام اسلاما ـ وفهمها على ضوء المجتمع والظروف الجديدة .

وكانت الطريقة المثلى لتحقيق التوفيق بين النموذج الاسلامى والعالم الحديث ، من وجهة نظر الامام هى عن طريق الربط بين بعض الافكار الاسلامية والأفكار الحديثة ، ومن ثم فقد اقام علاقة مثلا بين فكرة المصلحة فى الاسلام وبين فكرة المنفعة Utilitg وبين مبدأ الشورى والافكار الديمقراطية ، وبين فكرة الاجماع وافكار الاتفاق العام أو الرضاء Con:sen sn:s اوConsent فى الفكر السياسى الغربى

(انظر فى تفصيل ذلك : على الدين هلال : التجديد فى الفكر السياسى المصرى الحديث ، القاهرة ـ ١٩٧٥) .

وللامام موقف واضح من مفهوم السلطة الدينية ، فهو ينكر وجودها فى الاسلام وهذا الجانب يعد من اهم جوانب فكر الامام ، والذى يقدمه كسابق لعصره ، وكمصلح اجتماعى حقيقى فيرى فى هذا الصدد : "ليس فى الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة الى الخير ، والتنفير من الشر ، وهى سلطة خولها الله لادنى المسلمين يقرع بها انف اعلاهم ، كما خولها لاعلاهم ليتناول بها من ادناهم ، ولمن يقولون ان لم يكن للخليفة ذلك السلطان الدينى ، افلا يكون للقاضى ، او للمفتى او شيخ الاسلام ؟ اقول ان الاسلام يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الاحكام ، وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء ، فهى سلطة مدنية" .

والامام هنا يفصل بين الدين والدولة ، وأن كان من جانب محدد وهو جانب توظيف السلطة الدينية لاغراض دنيوية ، وهو يجعل من هذا الفصل احد أصول الاسلام حيث يقول : "اصل من أصول الاسلام ـ وما أجله من "أصل ـ قلب السلطة الدينية والاتيان عليها من اساسها ، ولقد هدم الاسلام بناء تلك السلطة ومحا اثرها ، حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم" .

بل انه يرى "أن الايمان بالله يرفع النفوس عن الخضوع والاستعباد للرؤساء الذين استذلوا البشر بالسلطة الدينية أو السلطة الدنيوية" .

وفتح الامام محمد عبده باب

الاجتهاد واسعا باعتبار تغير الظروف وتبدل الأحوال وأن "هناك أولويات وقضايا مستحدثة، على الفكر الاسلامى أن يواجهها".

وكان من شأن هذا الاطار الفكرى الواسع للأمام محمد عبده أن توالت الاجتهادات والتفسيرات المتضاربة احيانا بشأن فكر الأمام وترتب على هذا نشوء مدرستين من بين تلاميذ الامام والمنتسبين له، المدرسة الأولى: يتصدرها رشيد رضا معبرا عن - الاسلامية التقليدية، والمدرسة الثانية: يتصدرها قاسم أمين ومحمد حسين هيكل - ولطفى السيد وغيرهم، ويرون فى علمانيتهم ما لا يختلف مع اسلامية الامام، وهكذا اصبح فكر الأمام "مجالا خصبا للجدل وللتأثير فى اجيال متتالية من المثقفين المصريين (د. على الدين هلال - مصدر سابق، ص ٤١).

أن عظمة الامام محمد عبده أنه مثل بفكره وبتوفيقيته بين الدين والعقل نقطة تحول متكاملة فى التراث الثقافى المصرى، زادها ترسيخا.

٣ - رجال التيار العلمانى

أنطلق انصار هذا التيار من افتراض "أنه اذا كان الاسلام هو العقيدة الصحيحة فإن هذا لايعنى أن الحضارة الاسلامية هى افضل الحضارات"، ومن ثم لابد من حضارة أخرى، كانت هى بالضرورة ووفق السياق السياسى والحضارى العام مع بداية القرن هى الحضارة الغربية.

وقال انصار هذا التيار. أن مصر لن تتقدم أبدا دونما تقبل ونقل المؤسسات والأفكار الغربية التى هى - عندهم - مصدر التقدم الحقيقى وأن عملية التحول والنقل هذه لابد أن تكون شاملة لأنها "يجب أن تصل الى جذور المجتمع واعماقه وأن تمس كل جوانبه وابنيته الاجتماعية" ومثّل هذا التيار مجموعة من المفكرين المصريين والشوام مثل:

فرح انطون وجورجى زيدان - ويعقوب صروف وسلامة موسى وشبلى شميل ومصطفى حسنين المنصورى ونقولا حداد.

وساهم هؤلاء جميعا فى بلورة الأطر العامة لتيار العلمانية فى مصر خلال العقدين الأولين من هذا القرن بما قدموه من كتابات، وما أصدروه من صحف، وأخيرا مانتج عن سلوكهم السياسى من أحزاب وبرامج وغيرها، وكانوا بمثابة الشرارة التى وضعت الاساس لحركة إحياء أدبية وثقافية فى المجتمع وكتبوا بغزارة وعمق عن اتجاهات الفكر الليبرالى والعلمى فى فرنسا وانجلترا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

لقد تعامل هؤلاء مع الحضارة الغربية، مؤسسات وقيما، ككل واحد غير منفصل وربطوا بين تقدم الغرب العلمى والتكنولوجى وبين أنماط القيم السائدة وانطلقوا من هذه النظرة الى اقتناع مؤداه أن تحديث مصر يستلزم

التيارات الفكرية في مصر

اقتباس حياة العالم الحديث بصناعته وعلمه وتقدمه وأن يبقى من التقاليد ، والقيم ، مالايتعارض مع ذلك ، ويرى البعض أن هذا الاتجاه "تضمن بداخله العديد من الآراء التى تتراوح من ليبرالية الى أفكار ماركسية" وأنه فى سبيل تحديث مصر لايجب أن تبقى من التقاليد الا ما يتفق وتقدم المجتمع ، وكان لمجالات هذا التيار الدور الرائد فى نشر افكاره .

٤ ـ رجال التيار التوفيقى :

توصلت بعض الدراسات فى تاريخ الفكر السياسى والاجتماعى العربى الحديث الى أن هذا الفكر عبر فى جوهره عن توفيقية فريدة فى نوعها ، حيث حاول أن يمزج بين القديم والجديد ، وبين الغرب والشرق بهدف الحفاظ على التوازن ، كما حاول أن يحافظ على طرفى المعادلة : الماضى والحاضر ، التراث والواقع ، الاصالة والحداثة ، حتى أصبحت هذه الروح ، روح التوفيق ، نافذة الى صميم التكوينات التاريخية والحضارية وانعكاساتها العقلية فى المرحلة الحديثة فى التاريخ العربى "أنظر محمد جابر الانصارى : تحولات الفكر والسياسة فى المشرق العربى ، الكويت ، ١٩٨٠" .

ويعكس هذا التيار التوفيقى فى مصر ، فى الفترة محل الدراسة ، نفسه فى كتابات وادبيات د . محمد حسين هيكل وقاسم امين ، وأحمد أمين وعباس محمود العقاد ، وأحمد لطفى السيد ، وجميعهم يعكسون بما قدموا من أفكار توفيقية ، طبيعة المرحلة التى يعيشون فيها ، مرحلة الصراع بين النموذجين العربى ـ الاسلامى ، والغربى وبالنسبة لهؤلاء كان الاسلام يشكل التراث الثقافى الوطنى للشعب كما أعتبروه مصدرا للقيم الاجتماعية ولكن لايمكن إعتباره بمفرده مع ذلك مصدرا لمبادىء التشريع والسياسة فى المجتمع .

ويتبدى هذا فى مقولات احمد لطفى السيد ، عن التعصب الدينى وعن الجامعة الاسلامية ، وكذلك فى مقولات قاسم أمين عن المرأة ورؤيته لعملية تحريرها ، وهى المقولات التى ادت الى أن يصبح الدافع التحديثى لدى هذا التيار أقوى من الدافع الدينى (انظر البرت حورانى فى : الفكر العربى فى معركة النهضة) .

وتم التركيز لديهم على الشخصية المصرية وكيفية تطويرها من خلال احتذاء النموذج الغربى ، مع الحفاظ فى الوقت نفسه على أصول الثقافة الاسلامية ، وكأنهم بهذا يخلقون



د . محمد حسين هيكل

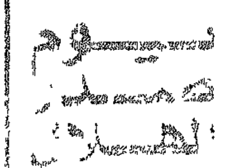


احمد لطفى السيد

توفيقية فكرية ، كان من الصعب استمرارها ، فلقد وجد الاصلاحيون أنفسهم مترددين بين دعوات المحافظين من رجال الدين والنزعة الى التجديد ، وخلاصة فكرهم انهم أرادوا تجديد التقاليد الاسلامية دونما تجاهل مدنية الغرب ، حيث نأخذ عن الغرب تقدمه العلمى والصناعى والتكنولوجى . أما الجانب الاخلاقى والثقافى فإن - الحضارة الغربية مختلفة فيه بالمقارنة بالقيم الانسانية العريقة فى الشرق الاسلامى .

إن التيار التوفيقى بهذا التحديد وكما يقول "عبد الله العروى" فى كتابه "الايديولوجية العربية المعاصرة" كان يقدم نفسه كرد فعل على صعود التيارين السابقين : تيار التجديد الدينى للأمام محمد عبده ، وتيار التغريب والعلمانية لشبل شميل وسلامة موسى وغيرهما . وهو فى إطار هذه الوضعية شابه قدر من غموض وتناقض وثنائية هى فى النهاية (تعبير عن احدى مراحل تطور المجتمع المصرى) .

وهكذا كانت الرؤية للتيارات الفكرية الرئيسية بمصر خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، وهكذا كانت إسهاماتهم ومعاركهم الفكرية خصبة وثرية والغريب أننا لازلنا نعيش نفس قضاياهم ونخوض فى ذات الهموم والمعارك اليوم (١٩٩٠) بعد مائة عام أو يزيد على اسهاماتهم ، مع فارق بسيط ولكنه هام ، أن رجال تلك الفترة كانوا قلقين بحق ، ومهمومين بصدق ، ومشغولين وعن وعى ، بما يقولون وما يطرحونه من قضايا وكانوا فاعلين على الصعيد السياسى مثلما كانوا مؤثرين على صعيد الفكر ... أما اليوم فالحال يختلف ، رغم وحدة القضايا والهموم ، ترى .. لماذا ؟ .





١٨٩٢

هذه شهريات أغسطس عام ١٨٩٢ بلا حذف أو تغيير

مسرح

● ابو نظارة زرقاء

رغم ان يعقوب صنوع ، ملك المسرح غير المتوج ، بعيد عن مصر فى عام ١٨٩٢ فإن فنه يظل سائدا ، ومسرحه موجودا .. والناس لم يبرح اذهانها بعد النصوص الجيدة التى قدمها .

ترى ماذا كان يعقوب صنوع يقول فى مسرحياته ؟

حسبما كتب الدكتور لويس عوض فى الجزء الثانى من كتاب « تاريخ الفكر المصرى الحديث » ان الدكتور محمد يوسف نجم فى كتابه المشتمل على ثمانية نصوص من مسرحيات يعقوب صنوع يقول انه ليس فى هذه المسرحيات سخرية سياسية جارحة تبرر غضب الخديو اسماعيل على صنوع . او يمكن ان تكون لها علاقة بنفيه من البلاد ، ولذلك ينبغى ان نفترض أن الغضب الرسمى على صنوع جاء نتيجة جملة اشياء من اهمها :

١ ـ اشتغال صنوع بالحركات السرية كالمحافل الماسونية وبالنوادى السياسية تحت ستار الثقافة كمحفل التقدم وجمعية محبى العلم . تلك النوادى التى كانت تستقطب مثقفى عصر اسماعيل القلقين وبعض الضباط العرابيين .

٢ ـ كتابات صنوع السياسية المباشرة من « ابو نظارة زرقاء » قبل نفيه من مصر مباشرة .



يعقوب صنوع

٣ ـ بعض المسرحيات السياسية الضائعة التى كانت سببا فى سخط الحكومة عليه . وقد وردت اشارة لها فى مسرحية « موليير مصر ومايقاسيه » .

٤ ـ بعض المشاهد والعبارات الضائعة من مسرحياته الباقية المنشورة فقد كان مسرح يعقوب صنوع يقوم أساسا على الكوميديا المرتجلة . وكان الخروج على النص هو القاعدة لا الاستثناء . وبالتالى فقد كان للممثلين حريات فى الاسقاط على اشخاص العصر واحداثه بالايحاء والمحاكاة والتعبير مما لانجده فى النص القائم ، فهى لغة سرية بين الممثل وجمهوره وليس للرقيب سيطرة عليها .

ومع ذلك ففى بعض المسرحيات الباقية بعض المواقف الحساسة او القابلة للاشتعال او القابلة لاساءة التفسير . ففى كوميديا « الضرتان » موضوع رجل اسمه « أحمد » وكنيته « الملك » ورجل آخر اسمه « بعجر » وكنيته « الوزير » والافضل ان نقول « عنتر » و « بعجر » لان الذى يسمى احمد « الملك » هم اصحابه « بنو شداد » وفى الواقع كانت صفات « الملك » هذا عنترية مزيفة ، او عنترية فى المظهر . فنحن نرى ان هذا الملك بعد خمس عشرة سنة من زواجه من « صابحة » (٣٠ سنة) يتخذ عليها ضرة اسمها « فطومة » (١٦) وهى اخت الوزير بعجر .

والمشكلة طبعا فى هذه المسرحية هى اشتعال نار الغيرة بين القديمة والجديدة . فالقديمة تتحسر على خيبة املها وتهدد وتتوعد : « والله يلخسارتى فى الحشاش دا اللى مايعرف مقامى . اما انا افرجه مكر النساء » والجديدة تعير القديمة بانها عجوز دردبيس . وكل منهما تحاول ان



فكتوريا موسى

تجعل الأخرى خادمة لها . ويتعذر على عم «الملك » ان يحفظ الامن فى بيته . فيتدخل الوزير دفاعا عن اخته « فطومة » فيعتدى على « صابحة » وينتهى الامر بان كلا من الضرتين تقول « للملك » : « يا انا ياهى » ثم يحتدم الشجار والوعيد .

ولايجد الملك . مخرجا الا ان يرمى يمين الطلاق على الضرتين معا ، ثم ينشد :

كامل الاوصاف فتنى
والعيون السود رمونى
من هواهم صرت اغنى
والهوا زود شجونى

ولكن بعد ان يتحرر الملك من الزواج ويعيش دقائق فى نعيم العزوبية ، لا تلبث « صابحة » ان تعود اليه « تتمحك » فيه فيردها . وقد تعلم الدرس القاسى ، وهو يغنى :

اللى بده يجعل عيشته مرة
يدخل على ام ولاده ضرة

ونحن الآن قد نجد صعوبة فى تتبع

شهريات

رموز عصر اسماعيل لاننا نجهل معانى بعض الاسماء . ولكننا نعرف من « الضرتان » على كل حال ان « الوزير » أخو الزوجة الشابة ، يدخل على بيت « الملك » بدربكة ويحيط « الملك » بجو من الفرفشة والغناء ، فهو اذن وزير طبال وزمار شأن كثير من رجال الدولة الذين يتقربون من الحكام بالطبل والزمر . ثم ان اشارة « صابحة » الى فطومة « على انها خريجة درب مصطفى » قد يكون لها معنى خاص ضاع منا الآن . معنى بذيء ، نحن لانعرف اذا كان درب مصطفى . متفرعا من « درب العوالم » فى شارع محمد على ، اى مركز تجمع الراقصات والغوانى ، ام انه كان متفرعا من « درب عبدالخالق » و « درب طياب » فى « وش البركة » و « كلوت بك » مركز البغاء الرسمى . واذا كانت لهذه الكوميديا اسقاطات سياسية اغضبت الخديو فهى تعنى أن الخديو كان فى ورطة بين قوتين كل منها تريد ان تستولى عليه ، مصر واوربا مثلا . او الدائنون المصريون والدائنون الاجانب . او المصريون والاتراك . و الجركس . وعلى كل فان الاشارة إلى « صابحة » على انها « أم الاولاد » معناه الزوجة الاصلية رغم ان كل اولادها « ماتوا » ثم ان الاشارة الى « الوزير » الطبال الزمار مع انه قادر ايضا على ركل « صابحة » فى بيتها قد يذكرنا بكرباج اسماعيل باشا المفتش او عمر باشا لطفى .

قصيدة

● مولانا المعظم .. وشاعرنا الوزير .. ينددان بالانجليز

القى الشاعر والوزير ، سابقا ، محمود سامى البارودى قصيدة تقريظ وعرفان بالجميل فى مولانا المعظم الخديو عباس حلمى الثانى ، الذى تولى الحكم فى السابع من يناير الماضى (١٨٩٢) وهو كما تعرف رجل طموح ، معتز بنفسه ، متبرم بالاحتلال البريطانى .

ولذا توافق ما جاء فى القصيدة الخلاقة مع الحب الجارف الذى يكنه الشاعر البارودى لمولانا المعظم الذى عمل ، قبل ان يتولى الحكم ، على اعادة الشاعر الوزير من منفاه فى سرنديب وهذا هو نص القصيدة :

عباس ، ياخير الملوك عداله
واجل من نطق امرؤ بثنائه
اوليتنى منك الرضا ، وجلوت لى
وجها قرات البشر فى اثنائه
فاسلم للملك انت بدر سريره
وعماد قوته ، ونصر لوائه
يايها الصادى الى نيل المنى
رد بحر سدته تفز بولائه
هو ذلك الملك الذى ورث العلا
عن نفسه شرفا ، وعن ابائه
العدل من اخلاقه ، والعلم من
اوصافه ، والحلم من اسمائه
لاغرو ان جمع المحامد يافعا
وسما بهمته على نظرائه
فالعين وهى صغيرة فى حجمها
تسع الفضاء بارضه وسمائه

● عن ديوان البارودى الجزء الأول


محمود سامى البـــارودى

صحافة

● هل تغلق جريدة "الاستاذ" ابوابها ؟

تواجه جريدة "الاستاذ" التى يرأسها الاستاذ عبد الله النديم الكثير من الضغوط الشديدة من اجل اغلاق ابوابها ، الا ان الاستاذ النديم يقاوم بكل مايملك من اجل ابقاء ابواب المجلة مفتوحة ، فهى الجريدة الأكثر مبيعا الأن لدى الناس ، حيث انها لسان حال الوطنيين الشرفاء . والراغبين فى جلاء القوات البريطانية عن ارض مصر المحروسة .

من المعروف ان النديم قد اصدر صحيفة اخرى هى "التبكيت والتنكيت" فى السادس من شهر يونيه عام ١٨٨١ ، اى فى قمة احداث الثورة العرابية المباركة . وقد عنى النديم بان تكون الجريدة لسان حال الاصلاح الاجتماعى ، والاصلاح الخلقى فى البلاد ، لذا كتبها باللغتين العربية والعامية كى تكون مجلة للعامة والخاصة على السواء . فقد شاء لهذه الصحيفة ان يكون اسمها دالا عليها فقد كانت طريقة النديم ، ولاتزال ان يقسم مقاله فى الصفحة الى قسمين :

اولهما : (تبكيت) بمعنى توبيخ للمجتمع المصرى على عيب من عيوبه .

وثانيهما : (تنكيت) على هذا المجتمع فى هذا العيب من عيوبه ، ولاشك ان هذه طريقة من طرق الاصلاح الاجتماعى فى غاية البراعة ، فوق انها تحتاج من محررها الى اقصى مايمكن من الذكاء والمهارة ومن كتابات النديم العامية فى هذه الصحيفة ماجاء :

- كم فى الزاويا من خبايا

وعنوان : "هف طلع النهار"

وعنوان « تخريفة خذ من عبد الله واتكل على الله »

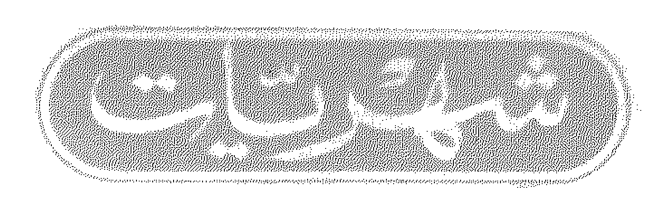
وعنوان (عربى تفرنج .. الخ)

فهذا قسم من اقسام الصحيفة .

اما القسم الاخر من هذه الصحيفة فكان النديم يكتبه باللغة العربية السليمة ويتجه فيه الى الطبقة المثقفة المستنيرة ويسلك فى سبيل ذلك بعض الطرق الادبية الممتازة مثل طريقة الرمز فى الكتابة .

اما جريدة الاستاذ فقد صدر العدد الاول منها فى الشهر الماضى ، اغسطس ١٨٩٢ وفى العدد الأول وجه هجوما قاسيا على الاستعمار الانجليزى ، وما جلبه على مصر من الدمار والعادات التى تتنافى مع تقاليد الاسلام وقيمه ، وانحاز مع الخديو عباس حلمى الثانى المعظم ضد اللورد كرومر .

ترى هل يستطيع "الاستاذ" النديم



عبد الله النديم



الصمود فى وجه التيار . ام ان الجريدة سوف تغلق ابوابها مثل زميلتها السابقة « التبكيت والتنكيت » ..
سؤال للتاريخ !

● وقـــائـــع مصرية لا فرنسية

(اقرار من مجلس النظار فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨٤ بتعديل نشر وادارة الجرائد الرسمية) .

قرر مجلس النظار فى ٢٢ ديسمبر ١٨٨٤ تعديل نشر وادارة الجرائد الرسمية وهى « الوقائع الرسمية » و « المنيتور اجبسيان » من اول يناير سنة ١٨٨٥ على الوجه الاتى : يبدل اسم المنيتور اجبسيان باسم (جريدة الحكومة المصرية الرسمية) اما اسم الوقائع المصرية فيبقى على ماهو عليه . ويكونان من الآن فصاعدا فى ادارة واحدة تابعة لنظارة الداخلية وبدلا عن ان يكون صدورهما كل يوم يكون فى ثلاثة ايام فقط من كل اسبوع وهى ايام السبت والاثنين والاربعاء ماعدا أيام الاعياد - وان تكون قيمة الاشتراك فى كل واحدة من الجريدتين مائة قرش صاغ عن سنة وستين عن نصفها وهذه القيمة تدفع مقدما - جميع المواد الرسمية التى يراد نشرها فى الجريدتين يجب ارسالها من اول يناير ١٨٨٥ إلى ادارتهما بنظارة الداخلية .

(من قاموس الادارة والقضاء - تأليف فيليب جلاد - المطبعة التجارية - ينى لاغوداكس ١٨٩١)

معارض وتكريم

● الفنان .. معدم فى حياته ثرى بعد وفاته

شهدت الفترة الاخيرة احتفالية ملحوظة بفن الرسم فى جميع انحاء العالم . بعد انتحار الرسام الهولندى فانسنت جوخ فى العام ماقبل الماضى (١٨٩٠) اهتم زميله الرسام بول جوجان بجمع لوحاته ورسوماته . ووعد بان يقيم له معرضا فى اقرب فرصة .

وفى هولندا ، بصفة خاصة ، اهتم عشاق الرسم بالاحتفال بذكرى بعض من رساميها المعروفين مثل ديرك هامس الذى ولد فى عام ١٥٩٢ . وفان دوفلد السياسى الذى ولد فى علم ١٥٩٠ . وبالذكرى المئوية الثانية لوفاة الهولندى البيرت كوى

الذى ولد عام ١٦٢٠ . من المعروف ان هولندا قد فقدت فى الشهور الماضية ـ رساما آخر اقل شهرة هو يوهان بوس بوم .

فقدت اوساط الرسامين ايضا هذه الايام مجموعة اخرى من الرسامين الذين عشقوا فن التقليد . ورسم الطبيعة والتمرد مثل الفرنسى جان لوى سبونيه والرومانى تيودور آمان . والنحات هنرى شابو . وجاى كونستان والالمانى نارسيس برشير .. ولعل كل هذه الخسارة كانت سببا لاقامة الاحتفاليات المتعاقبة لفن الرسم والنحت . ويتوقع الكثيرون ان تزدهر حركة عرض اللوحات فى عواصم عديدة فى الفترة المقبلة . وان ترتفع اسعار هذه اللوحات خاصة للفنان فانسنت جوخ الذى مات معدما .



فان جوخ مات عام ١٨٩٠

الهلال كلمة

حسب قاموس مشاهير الفنانين التشكيليين الذى اعدته فهيمة امين ابراهيم فان عام ١٨٩١ قد شهد ميلاد المثال محمود مختار . وأن اقدم فنان تشكيلى ورد فى هذا القاموس هو حبيب جورجى الذى عاش فى الفترة بين عامى ١٨٩٢ و١٩٦٤ . والذى اشتهر برسوم الاطفال . وانشأ تحت رعايته مايسمى بمجموعة الفنانين التلقائيين وهى تجربة تربوية لتنمية المواهب الفنية بين ابناء الريف . اى ان اواخر القرن التاسع عشر لم تشهد ظهور فنانين تشكيليين مثلما حدث فى القرن العشرين من رواج .



آثار

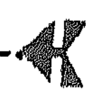
● حماية الآثار .. واجب قومى

صدر أخيرا هذا المرسوم .

نحن خديو مصر

بناء على مارفعه الينا مجلس النظار امرنا بما هو آت :

(المادة ١) دار الانتيكات المصرية السابقة على الفتوح الاسلامى وهى الدار المعروفة بانتيكخانة بولاق وجميع الاشياء الموجودة فيها او التي توجد فيها فى المستقبل تعد من املاك الحكومة ذات المنفعة العمومية وبناء على ذلك لايجوز بيعها ولاحجزها ولا امتلاكها بوضع اليد عليها المدة الطويلة . (مادة ٢) جميع ماينشأ فى المستقبل من دور الانتيكات والمخازن وجميع الاشياء التى توضع فيها



شهريات

تعد ايضا من املاك الحكومة ذات المنفعة العمومية . (مادة ٣) جميع الاثار القديمة والانتيكات التى تعتبر بهذه الصفة بمقتضى اللائحة التى ستعمل من هذا الشأن تعد كذلك من املاك الحكومة ذات المنفعة العمومية .

ـ اثار قديمة ـ امر عال رقم ٢٢ فى سنة ١٣٠٠ هـ

مرسوم آخر

(المادة الاولى) لايجوز للتنظيم ان يعطى رخصة بناء أو ترميم بيوت او مبان ملاصقة لاثار قديمة الا من بعد موافقة رأى لجنة حفظ الاثار العربية .

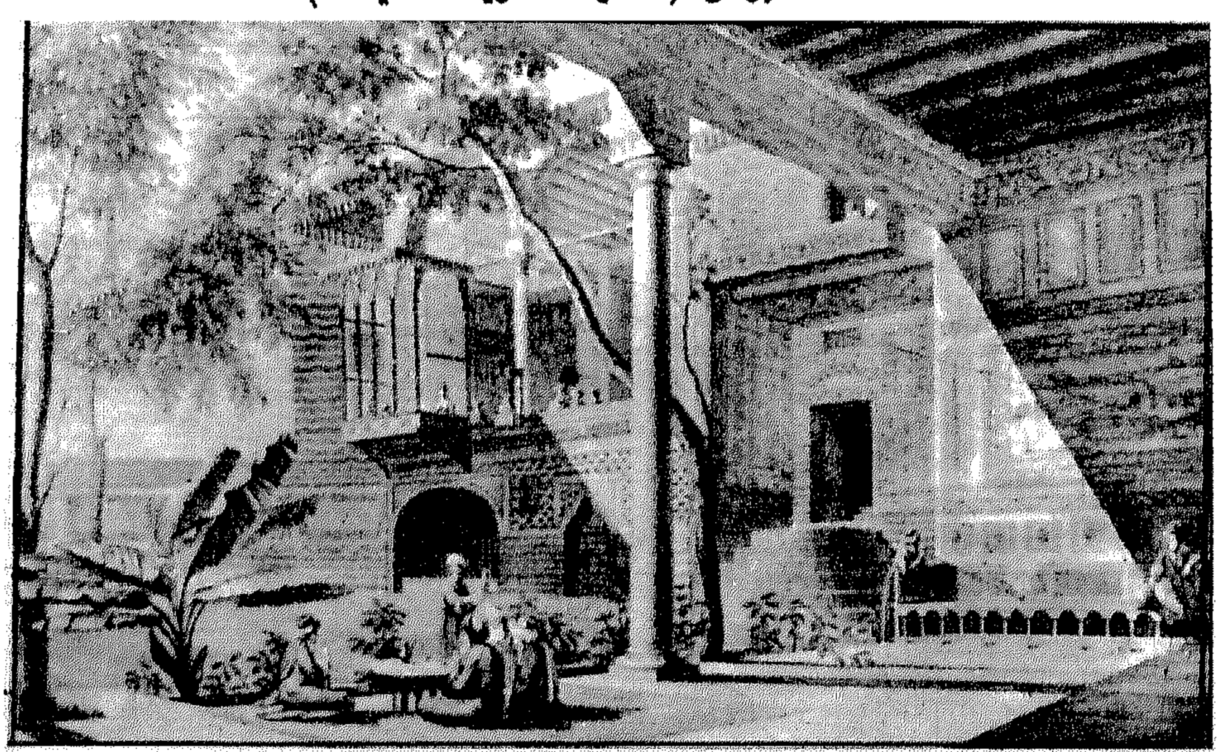
(المادة ٢) كل طلب يتقدم الى التنظيم يطلب الرخصة عن بناء او ترميم بيوت او مبان وغيرها ملاصقة لاثار قديمة يقتضى على مفتش التنظيم النظر فيه اولا ثم ارساله الى اللجنة المتقدم ذكرها لابداء رأيها بشأنه .

(المادة ٣) على مدير عموم التنظيم تنفيذ قرارنا هذا .

آثار قديمة : (مسكوكات ـ قديمة) منشور صادر فى شهر يونيه ١٨٨٨ من نظارة المالية نمرة ١٠٢ .

(من قاموس الادارة والقضاء ـ تأليف فيليب جلاد ـ المطبعة التجارية ـ بنى لاغوداكس ١٨٩١)

انتكخانه بولاق (الدار المصرية للانتيكات)



موسيقى

● الاحتفال بمرور قرن من الزمان على وفاة موتسارت .. فى الاوبرا

يقام فى مبنى الاوبرا سهرة على شرف الموسيقار الالمانى موتسارت بمناسبة مائة عام على رحيله .

من المعروف ان موتسارت قد مات فى عام ١٧٩١ عن عمر يناهز الخامسة والاربعين عرف العالم من خلاله موهبة متدفقة ولدت مبكرة . ربما وهو لايزال جنينا فى بطن أمه . فقد لاحظت مربيته دومادن شيئا ما يتحرك ، بشكل غير طبيعى فى اصابعه ..

ولد اماديوس موتسارت فى بيت من بيوت العامة بمدينة سالزبورج بيت ضم زوجين متحابين . كانا فى ايام الشباب الخالى رشيقين دقيقين ، وان نصيبهما من الأولاد نصيبا طيبا . فان القدر لم يشأ ان يترك لهما من اولادهما السبعة سوى اماديوس .

وقد لاحظ الاب ان ابنه يستمع الى النغمات ، فيستعذبها ولم يكن قد تجاوز بعد عامه الثانى . فلم يتوان عن توجيهه وجهته المثلى . ثم بدأ الصغير يدرس الموسيقى قبل القراءة والكتابة . واصبح ظاهرة عصره من خلال نبوغه المبكر والتهامه للمعلومات . واستيعابه لمؤلفات كبار الموسيقيين وتذوقه لانغامهم واساليبهم . والغريب ان اماديوس قد ألف قطعة موسيقية وهو فى العام الخامس من العمر . واجمع الكثير ممن سمعوا هذه المقطوعات ان ملحنين ومبدعين كبارا لم



موتسارت

الممثلة التى تجسد دور الملكة المصرية فى اوبرا « الناى السحرى »



شهريات

يقدموا مثل هذه النغمات المتوافقة وهم فى قمة خصوبتهم ..

لذا فما ان شارف اماديوس على عامه السادس . حتى رحل به ابوه الى مدينة ميونخ ، وعزف موتسارت وغنت اخته . وشاركهما الاب أنا وانصت احيانا . ثم توالت الرحلات الى باريس . واصبح موتسارت الموسيقار الاول لدى ملوك (اوروبا) فهو يكتب بسهولة . ويبدو ضئيل الجسم ، صغير السن . لم يستقبل من الحياة الا نوافلها .

وعندما شب اماديوس ، تزاحم عليه العمل الفنى . ثم مالبثت شخصيته ان تميزت ، وبدأت شخصيته فى التبلور . تزوج من المطربة « الوسيا » احدى البنات الحسناوات اللاتى ينتمين الى الاسرات الثرية . وكانت السعادة تتوج هذا الزواج ، وهذه الموهبة المتدفقة .

لقد مات اماديوس موتسارت قبل مائة عام . ولكن موسيقاه لاتزال حية . تنبض بها قلوب الناس ، وتخلب الآذان والمشاعر .. ويمكن للجمهور من عشاق الموسيقى ان يستمع الى اعذب نغمات حية بعد قرن من وفاته .. ومن المؤكد ان هذه المعزوفات سوف تبقى قرنا آخر .. بل وقرونا طويلة ..

■ ■ ■

● مؤلفات

اعلان جرجى زيدان

اولا : تاريخ مصر الحديث من الفتح الاسلامى الى هذه الايام مع ملخص تاريخها القديم وهو جزءان كبيران غير مائة رسم واربعة خارطات ثمنه ٤٠ غرشا صاغا واجرة البوسطة ٥ غروش صاغ .

ثانيا : تاريخ الماسونية العام من اول انشائها الى هذه الايام ثمنه ٢٠ غرشا صاغا واجره البوسطة ٢.

ثالثا : التاريخ العام الجزء الأول - يتضمن تاريخ ممالك اسيا وافريقيا ، ومصر ثمنه ٨ غروش .

رابعا : اللغة اللغوية فيها بحث تحليلى عن الفاظ اللغة العربية ثمنه ١٠ غروش واجرته نصف .

خامسا : المملوك الشارد رواية تاريخية ادبية تتضمن حوادث مصر وسوريا فى زمن المغفور له محمد على باشا والامير بشير الهادى ثمنها ٨ غروس واجرتها غرش ونصف .

سادسا : جغرافية مصرية ضمن جغرافية المديريات والمحافظات وخصوصا القاهرة . ثمنها وحدها ٣ غروش صاغ مع الخارطه ٥

سابعا : رد « رنان » على انتقاد لتاريخ مصر الحديث ثمنه غرش صاغ .

ثامنا : اسير المتمهدى . رواية تاريخية غرامية ادبية تتضمن حوادث عرابى والمهدى وحادثة ١٨٦٠ فى دمشق ثمنها عشرة غروش واجرة البوسطة غرشان .

تطلب هذه الكتب من القاهرة من مؤلفها بمطبعة التأليف . وفى الاسكندرية من الخواجا نقولا دياب بشارع المسلة وسائر المكاتب فى مصر وسوريا .

جريدة المقطم فى ٢ سبتمبر ١٨٩٢

يتألقون على صفحات الهلال

ما أفسح ما يتسع له هذا العنوان. إن الدارس المتقصي ليستطيع أن يكتب في مجاله مؤلفا كبيرا من عدة أجزاء، لأن مجلدات الهلال في سيرها المتتابع في نحو مايقرب من قرن زاخر بالأحداث جياش بالحركات الفكرية والسياسية والاجتماعية عامر بالأفذاذ من أساطين القلم، وقادة الرأي، وأساتذة التوجيه الديني والأدبي والسياسي. هذه المجلدات الثرية ببحوثها ومقالاتها، وتحقيقاتها واستطلاعاتها، وقصائدها وقصصها في حاجة إلى جماعة من الدارسين، كل وفق تخصصه المنهجي ليؤرخوا لمصر والعالم العربي في هذا القرن في ضوء ما سطرته مجلدات الهلال. أفيجوز لمثلي أن يكتب هذا العنوان الفسيح ليخصه مقالا واحدا في بضع صفحات

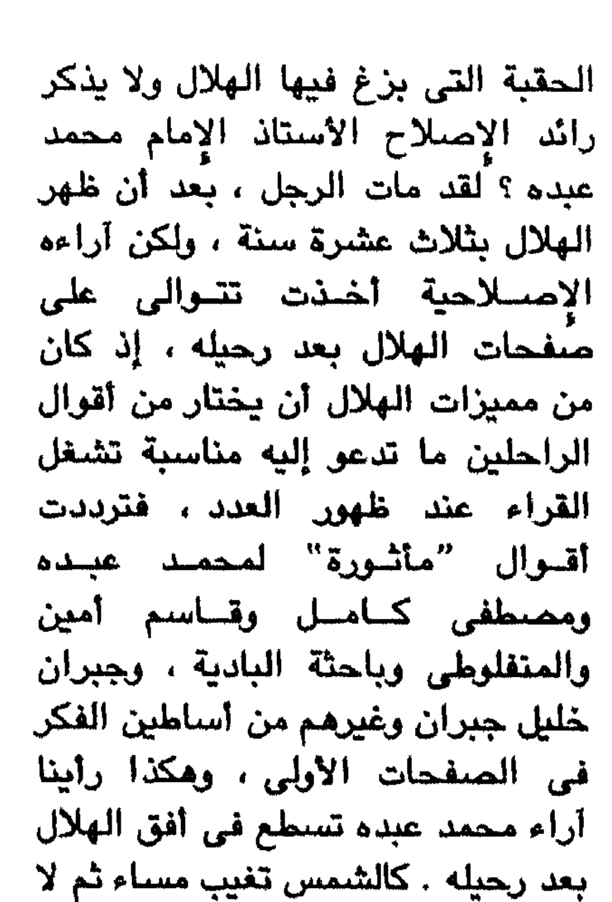
بقلم: د. محمد رجب البيومي

● ولكن مواقف الإنسان تلزمه أن يفصح عنها بما يشي عن مكونها المستتر، ليشير إلى بوارق خاطفة، تومض ومضا قد يهدي الطريق لمن يرتاد، ولابد من تحديد منحى موجز من مناحي القول ليجري الحديث بين شطين متقاربين كما يتسلسل ماء الغدير في ضفتين متجاورتين، ولقد حتمت أن يكون حديثي عن بعض الأعلام الكبار من قادة الفكر الديني الذين احتضنهم الأزهر الشريف، فساهموا بجهودهم الصافية في عالم الفكر المعاصر، وكانت مجلة الهلال أفقا مشرقا تتألق فيه كواكبه الساطعة على فترات تتقارب وتتباعد، وهم بعد من ذروة السمو في جهاد المصيف وشرف المنزلة بالمكان الأرفع، إليهم أزجي هذه التحية في ميادين الإصلاح الديني والتجديد البياني والنقد الاجتماعي، وربما أحوجنا ذلك إلى أن نكتفي ببعض ما سطروه، وإن كثير حفيل.

● الإصلاح الديني ●

أيعقل أن يذكر الإصلاح الديني في

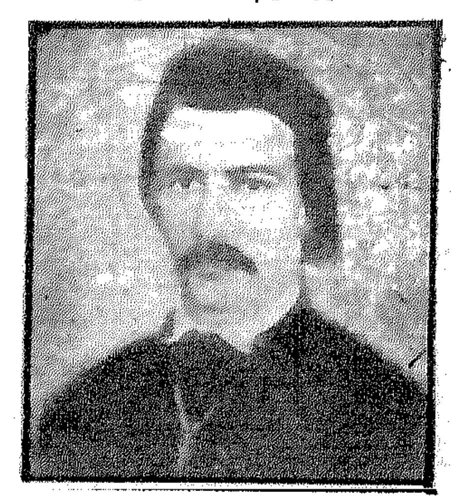
يأتلقون على صفحات الهلال



الحقبة التى بزغ فيها الهلال ولا يذكر رائد الإصلاح الأستاذ الإمام محمد عبده ؟ لقد مات الرجل ، بعد أن ظهر الهلال بثلاث عشرة سنة ، ولكن آراءه الإصلاحية أخذت تتوالى على صفحات الهلال بعد رحيله ، إذ كان من مميزات الهلال أن يختار من أقوال الراحلين ما تدعو إليه مناسبة تشغل القراء عند ظهور العدد ، فترددت أقوال "مأثورة" لمحمد عبده ومصطفى كامل وقاسم أمين والمنفلوطى وباحثة البادية ، وجبران خليل جبران وغيرهم من أساطين الفكر فى الصفحات الأولى ، وهكذا رأينا آراء محمد عبده تسطع فى أفق الهلال بعد رحيله . كالشمس تغيب مساء ثم لا تلبث أن تشرق .

فى سنة ١٩٣٧ احتفلت وزارة المعارف بمرور مائة عام على إنشائها ، وأصدرت مجلة الهلال عددا خاصا بهذه الذكرى الجليلة ، وكان مما كثر الحديث عنه بهذه المناسبة أن التربية الخلقية لم تسر مع التربية العلمية فى خطو متوافق ، إذ اهتمت الوزارة بكثرة المعلومات دون ان تلتفت الى تقويم السلوك ، وهو أمر سبق أن دعا إليه الأستاذ الإمام بمقال نشره سنة ١٨٨١ م فكان من الانسب أن تعيد الهلال نشر مقال الأستاذ الإمام ليكون

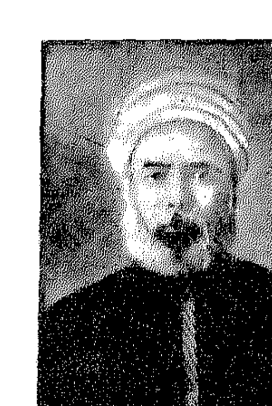
ابراهيم اليازجى



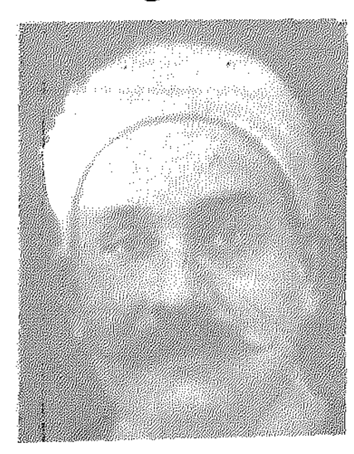
صوتا من عالم الغيب ينادى بأن تربية النفوس لابد منها بإزاء تربية العقول . إذ لا تدرك المعرفة المثمرة إلا بعد تحلى النفس بالصفات الجميلة ، لأن الانسان إذا كان فاسد الأخلاق سيسبب الشقاء لنفسه ، ولغيره مهما أحاط بعلوم الدنيا جميعها ، والخلق الصحيح ثمرة من ثمار التعليم الدينى ، ومن تتبع قوانين التعليم فى الممالك الاوربية رآها تبتدىء بالتعاليم الدينية ، والاستمرار عليها إلى مدى ست سنوات متصلة ، فتتربى لدى الطالب ملكة خلقية رفيعة تقربه من الفضائل وتنأى به عن الرذائل ، وقد شرعت العبادات لتكون وسيلة الى تقويم النفس ، ودفعها الى الخشوع والأطمئنان .

فى مثل هذه المعانى دار مقال الأستاذ الإمام ، وقد نشر بالهلال مجاورا لمقال آخر للأستاذ محمد أحمد جاد المولى تحت عنوان "التطور الخلقى فى مائة عام" ذهب فيه الكاتب

الشيخ محمد عبده



المنفلوطى



مصطفى كامل



إلى أن تطورنا الخلقى لم يستقر بعد ، وكأنى بما جاء فى مقال الإمام وقد نص على وسائل الاستقرار ، ودعائم الثبات .

وحين اتهم الشرق بالتعصب اتهاماً جعل النفوس تنفر من هذا الوصف ، التبس الأمر على الناس ، فظنوا أن كل تعصب مقيت ، مع أن التعصب للخير فضيلة تدفع إلى التقدم ، وتدعو إلى الاتحاد ، فرأت مجلة الهلال أن تفتتح عددها الصادر فى أول يوليو سنة ١٩٣٣ بمقال للأستاذ الإمام ينص فيه على أن ال[illegible] نسبته إلى العصبة ، وهى جماعة [illegible] الذين يعززون قوته ، ويدفعون [illegible] الضيم ، وقد أقام الله بناء الأمم على الترابط والتعاون ، والتنافس بين الأمم كالتنافس بين الأفراد ، أعظم باعث على بلوغ الأقصى من درجات الكمال ، فالتعصب [illegible] كلى يرتقى بالامة ويدفعها [illegible]نهوض ، كما أنه يرفع نفوس الا[illegible] معاطاة الدنايا ، وارتكاب الخيانات ، إذ هو تعصب للفضائل لا للرذائل .

أما الكلمة الشهيرة التى نسبت الى الإمام محمد عبده حين قال (إنما ينهض بالشرق مستبد عادل) فقد أعادت مجلة الهلال نشرها بعدد توفمبر سنة ١٩٣٣ م فى سياقها المطرد الذى يصور مفهومها الصحيح لدى الإمام . إذ التبس على بعض القراء معنى المستبد فى عبارة الإمام ، فحسبوه الدكتاتور الذى لا يعبأ برأى سواه ، رجوعاً إلى المعنى الحقيقى لكلمة "مستبد" ولكن وصف المستبد بالعدالة يوجب أن يكون المعنى مجازيا ، لوجود القرينة المانعية من المعنى الحقيقى ، وهى صفة العدل ، وقد قال الإمام فى تتمة حديثه كما نشرته الهلال : إن المستبد عادل لا يخطو خطوة إلا ونظرته الأولى إلى شعبه الذى يحكمه . فإن عرض حظ لنفسه ، فذلك فى النظرة الثانية ، لأن الحاكم أكثر لقومه مما هو لنفسه ،

يأتلقون على صفحات الهلال

فهو يكره المتناكرين على التعارف ، ويقهر الجيران على التناصف .

ونحن بمنطوق هذه الكلمات لانشم رائحة استبداد من إنسان يعمل لقومه لا لنفسه ـ ويلتزم بالعدل الصريح حين يلزم المتخاصمين بالتصافى ، ويجبر معشره على الإنصاف ! فعلى الذين يأخذون كلمة من السياق ، أن نقول لهم ، لا تقفوا عند قول الله (لا تقربوا الصلاة) بل أتموا النص الشريف .

هذا بعض ما نتمثل به للأستاذ الإمام ، ونحن نعلم أن تلاميذه الكبار قد ترسموا خطوه الإصلاحى وسطعت آراؤهم فى شتى المجالات الفكرية على صفحات الهلال ، وكأنها زهرة من بستانه ، أو عبير من زهرته ، ونكتفى فى المجال الدينى بتلميذين جهيرين من تلاميذه تبوءا مشيخة الأزهر عن أصالة واستعداد ، هما الأستاذ محمد مصطفى المراغى ، والأستاذ مصطفى عبدالرازق رحمهما الله .

أما الشيخ المراغى فهو اقرب تلاميذ محمد عبده شبها به ، اذ كانت له مهابة أسد ، وجلال ملك ، وفقه إمام وكان منطقه الفصل فى كثير من شئون العلم والسياسة والتشريع ، وقد تبجح قوم بمهاجمة الأديان ، والادعاء أنها عامل فرقة بين البشر ، فكتب الأستاذ



محمد
مصطفى
المراغى

بمجلة الهلال (يناير سنة ١٩٣٩) مقالا منطقياً عن الإخاء الانسانى فى الإسلام ، ذكر فيه أن عوامل التفرق تجبر الناس على الخضوع للغرائز الهابطة ، وتدفعهم إلى الأثرة والغيرة والخوف والشك مما يباعد مسافة الإخاء العالمى ، وقد شاهدنا الهول الهائل من حروب طاحنة دمرت قوى الإنسانية ، ولن يجدى التقدم الفلسفى والسبق العلمى عنها شيئا ولكن العقيدة الدينية ذات نفع طيب فى هذا المجال ، لأن الأديان تعتمد فى الانسان على أصل راسخ من غريزة التدين ، تدفعه الى الثقة بأن العالم مجموعة متناسقة تسودها قوة مدبرة حكيمة ترقب النيات وتحكم الضمائر وتجزى الناس بالخير والشر ، هذه القوى هى الحاسمة فى ترجيح نوازع الفضيلة وكبح جماح الرزائل ، والرجوع الى غريزة التدين يرفع الانسان الى ما فوق الاعتزاز باللون والدم والحياة والطبقة . لذلك نجد الإسلام يعنى بفكرة الأخوة الإنسانية

، ولم يقم وزنا لشرف المولد وكرم الجنس لأن معيار التفاضل عنده هو التقوى .

هذه سطور قليلة توجز مقالا هادفا ذا معان إنسانية سامية ، وله نظائر مماثلة سجلها الأستاذ الأكبر على صفحات الهلال ، ولعل من أهمها حديثه الضافى حين تولى مشيخة الأزهر للمرة الثانية ، إذ طلع على القراء بنظرات صائبة حول دور الأزهر فى المجتمع الإسلامى ، وعن الرابطة الإسلامية ومدى تأثيرها ، وعما ينقص العالم الإسلامى من أسباب النهوض ، وموقف المسلمين من الحضارة المعاصرة ، وأى أعلام الإسلام أولى بالتقديم ؟ وهى عناصر حديث شامل تشير إليه ولا تفصح عنه ، فإذا التمس القارىء مكانه فسيجده فى عدد يونية سنة ١٩٣٥ من مجلة الهلال .

● الاهتمام بالجانب الفلسفى

وإذا كان المراغى يمثل الطابع الإصلاحى فى تطبيق آراء محمد عبده فإن خلفه الأستاذ الأكبر مصطفى عبدالرازق يمثل الطابع الفلسفى من تفكير الأستاذ الإمام ، وقد ترجم رسالة التوحيد الى اللغة الفرنسية مع زميل باريسى ، وساعدته ثقافته الواسعة على أن يكتب بحوثا فلسفية دقيقة ، نشر بعضها على صفحات الهلال ، وقد كان من سماته الأسلوبية فى مجال البحث العلمى أن يكثر من النصوص المتقابلة ، ومثل هذا المنحى قد يثقل على قارىء مجلة دورية . ولكن الهلال تعلم أن قراءها من الخاصة ، فاتسعت صفحاتها لبحوث دقيقة كتبها الأستاذ فى مجال النظر الفلسفى ، ونشير هنا إلى بحثين طريفين تحدث مصطفى عبدالرازق فى أولهما عن الفلسفة الاسلامية فى ضوء النهضة الحديثة مبينا المقصود من هذه الفلسفة وموضحا أغراضها وصلتها بعلم الكلام ، وقد ألم بوجهة المستشرقين فى درس هذه الفلسفة حين جعلوها نقلاً للفلسفة الغربية القديمة دون تجديد ، مخالفا هذا النظر الضيق حيث امتد بالفلسفة الاسلامية لتشمل علوم الكلام والتصوف وأصول أحكام الفقه ، وهى من صميم الفكر الإسلامى الذى لم يشتبه مع الفكر اليونانى فى لبابه الصميم ـ وكان الباحث من التسامح بحيث حاط النظر المخالف بما يشبه الاعتذار ، وهذا خلق فلسفى عملى نعهده لدى الصفوة من المترفعين ، أما البحث الثانى فقد تسلسل فى عدة أجزاء من الهلال سنة ١٩٣٢ لتكتمل حلقاته فى وحدة متآخية تبحث عن مذهب العلم الحديث فى الدين ، والعلاقة بينهما ، وبداية الاهتمام بهذا البحث عند علماء اللغات ، والبسيكولوجيين ، وعلماء الاجتماع ، محددا وجهة النظر الاسلامية المستقلة ، وهذه البحوث وإن أخذت طابع الفكر المجرد فإنها ذات صلة بالإصلاح الدينى ، لأن


جبران خليل جبران

معرفة الأصول الصحيحة للدين الحق تهدى إلى الطريق القويم ..

● التجديد البيانى

من اللافت للنظر أن صيحات التجديد البلاغى دوت على صفحات الهلال قبل أن يرن صداها فى القاعات الجامعية ، لأن الهلال قد سبقت الجامعة المصرية القديمة بسنوات عدة ، فحفلت أعدادها ببحوث عن النقد الأدبى ، والأسلوب البيانى كانت طليعة موفقه لما جد من تجديد فى هذه الدراسات ، ثم جاءت الجامعة الجديدة فحفلت بهذه الدراسات فى تؤدة مطمئنة ، لأن الاجتهاد العلمي لا يؤتى ثمره بين يوم وليلة ، ولكنه بذور تكمن فى باطن الارض أمداً طويلا حتى تنشق التربة الصالحة عن عود أخضر يأخذ فى النمو شيئا فشيئا حتى يشب وينمو ثم يوّرق ويزدهر ثم يؤتى أكله الطيب ، ومن بشائر ماكتبته الهلال فى هذا المجال مقال السيد مصطفى لطفى المنفلوطى عن البيان وصلته بالطبع ، ومدى التكلف لدى من يظنون الجزالة البليغة فى الغرابة الحوشية دون التفات الى الفطرة المطبوعة على اليسر والسلاسة ، وقد مهدت المجلة لهذا المقال الرائع بقولها "ليس فى كتابنا من هو أجدر بالتكلم عن البيان من أمير البيان السيد مصطفى لطفى المنفلوطى وإنا لنود أن يطلع على هذا المقال البديع كل أديب من أدبائنا ، وكل متطلع إلى احتراف الأدب من شبابنا" .

أما أولى الصيحات المرنة فى عالم التجديد البلاغى فقد دوى بها صوت الأستاذ على عبدالرازق فى بحثين ضافيين بعددى الهلال (ابريل ومايو سنة ١٩٣١) حيث ألقى نظرة صادقة على البلاغة العربية فى حاضرها وماضيها ، ثم مايجب أن تكون عليه فى مستقبلها . وللأستاذ الكبير على عبدالرازق عهد بالتدريس البلاغى إذ ألقى على طلاب الأزهر فى العقد الثانى من هذا القرن عدة بحوث بلاغية جمعها فى مؤلف لطيف تحت عنوان (الأمالى) ومازالت خواطره البلاغية تعتاده على رغم انصرافه للبحوث التشريعية مصيبا كان او مخطئاً حتى هتف ببحثه عن البلاغة على منبر الهلال ، فأشار إلىّ نبذ من أقوال

السابقين . وحدد عناصر الجمال فى الأسلوب الأدبى موضحا بلاغة القرآن والحديث . ومتسائلا عن الجديد البلاغى المنتظر ، معترفا بما فى اللغة العربية من مرونة لاتكاد تعرف فى لغة أخرى إذ تساعد هذه اللغة على أن تشتق من الكلمة الواحدة عشرات الكلمات ، وقد وسعت صنوف الحضارات المتعاقبة ، ولاقت فى عصور الانحطاط صنوف البلاء ثم خرجت منها حية سليمة ، وهى فى لغات العصر الحاضر أقدمها وجودا ، وأصلبها عودا ، وأمجدها تاريخا ، فلابد أن ترسم لبلاغتها طرق التجديد .

ثم ثنى الكاتب المبين الأستاذ عبدالعزيز البشرى ، وهو أقرب المعاصرين شبهاً بالجاحظ . جلجلة أسلوب ورقة إحساس ، وسطوة حجة ، ولطف مدخل ، ثنى البشرى بمقال ضاف مرن نشره الهلال (يناير سنة ١٩٣٦) تحت عنوان (ثورة على علوم البلاغة) كان خلاصته لمحاضرة ضافية ألقاها ، الأديب الكبير فى الجامعة الأمريكية ، بدأها بتجربة طريفة له مع زميل درس كتب البلاغة أربعين عاما ثم أتى بالمضحك الركيك حين تكلف صوغ الشعر ، لينتهى الى أن البلاغة طبع وذوق وفطرة ، وليست مصطلحات تحفظ ، ثم مضى يحدد السير التاريخى للتأليف البيانى ازدهاراً وانحطاطاً لينتهى إلى أن البلاغة باعتبارها فنا هى أثر الملكة ، ومظهر قدرتها أما باعتبارها علما فهى عصارة ماخرج بالاستقراء للإحساس والأذواق من دواعى الحسن والقبح فى فنون الكلام . واذا كان الفن يتطور ، والبلاغة فن ، فلابد من تطويرها ، لتكون أشبه بالنقد على التفطين والتذويق ، بحيث تتطور مع تطور الأفهام والأذواق .

ولم تذهب صيحة البشرى هباء ، بل وجدت صداها لدى الأستاذ أمين الخولى ، فعقب على مقال البشرى ، بمقال كاشف بالهلال يشير إلى أن دعوة الكاتب للتجديد تجد تحقيقها الآن فى كلية الآداب بالجامعة ، وأن الأستاذ الخولى يدرس البلاغة المتطورة على نحو يرضى المعاصرة الواعية ، وهذا حق لأن للأستاذ الخولى مدرسته الأسلوبية التى خطت بالدراسات البلاغية خطوات سديدة ، والبلاغة فى عرف هذه المدرسة هى (فن القول) وللأستاذ أحمد حسن الزيات والأستاذ أحمد الشايب بحوث بلاغية تؤازر هذا الاتجاه وتثريه .

● النقد الاجتماعى

أما مجال النقد الاجتماعى فى مجلة الهلال . فقد نشط فيه علماؤنا الكبار نشاطا يغبطون عليه ، وأذكر أن الكاتب الاجتماعى الكبير الأستاذ محمود أبو العيون كان صاحب سبق ظافر فى هذا المجال ، إذ كانت مقالاته الاجتماعية تتصل متلاحقة لتكشف عن هنات يراها

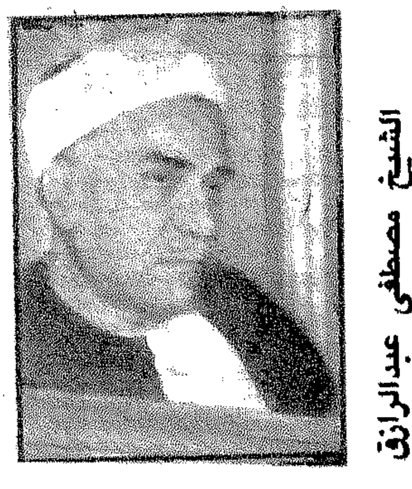
يأتلقون على صفحات الهلال

المنغمسون فيها يسيرة ، وهى عند الله كبيرة ، والأستاذ أبو العيون مظلوم حق الظلم من تلاميذه الذين لم ينهضوا لجمع أثاره الكثيرة فى أمهات الصحف والمجلات ، فلعلنا نلفت اليه من يحرصون على تقدير العاملين .

لقد كان الكاتب الاجتماعى جريئا فى كل مايكتب . وهو بعد خطيب الثورة المصرية ، وصاحب الكلمة فى منبر الأزهر حين كان الموجه الصادق للأحرار ، لقد تحدث (عن الدين ورجال الدين) فى مجال التحليل الاجتماعى لما جد من أوضاع تخالف الروح الاسلامية فلم يغفل إخوانه العلماء من الملامة على تقصير لحقهم بشأن رسالتهم اذ استسلم أكثرهم



الشيخ امين الخولى



الشيخ مصطفى عبدالرازق

للواقع المحزن دون اكتراث وقال فى صراحة نادرة (مجلد الهلال سنة ١٩٤٢) نستطيع أن نجهر بالقول بأن النفوس تبلدت فلم تعد مستعدة لقبول المعانى الروحية السامية ، لأن زيف المدينة الحديث قد ران على النفوس ، وزادها تبلدا أن عناصر الهداية المستمدة من أصول الدين قد ضعفت وسائلها ، فلم نر من بيننا تلك القدوة الصالحة التى كان يتسم بها العلماء ورجال الدين من قبل ، واختفت وجوه أولئك الغر الميامين من رجال العلم العاكفين على إصلاح حالهم وحال طلبتهم فى سماحة وكرم" .

ويقول فى مجال أخر : (الهلال نوفمبر سنة ١٩٣٣:)

« لقد نفذ القحط الخلقى والانحلال الأدبى إلى كل الجماعات والطبقات ، فأينا يكون الهادى ، وأينا يكون المهتدى ، إن العناصر الرشيدة التى

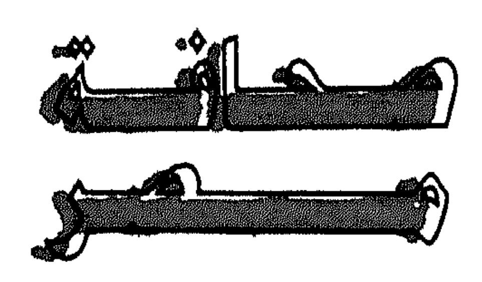
كانت تتزعم الأقوام ، وكانت مصدراً للفضيلة ومبعث هدى للخلق الكريم ، تنكبت الطريقة المثلى ، وشاركت الطبقة الدنيا فيما يصدر عنها من المثالب ، وليس لها من عاصم ، لأن النفوس نشأت قاحلة من أصول التربية الصحيحة ، ومن الخير لمصر أن يكون بها رجل دين على جانب كبير من الذكاء والثقافة اللائقة بمقتضيات عصر العلوم والمعرفة فقد قضى الزمن الذى كان يهيب فيه الزعيم الدينى ، فتخضع له الوجوه ، وأصبحت المهمة شاقة مجهدة ، تتطلب العزم البصير" كما أن أبا العيون نادى بأن تتعلم الفتاة بالأزهر قبل أن يتحقق ذلك منذ أكثر من نصف قرن ، فكتب فى عدد نوفمبر سنة ١٩٣٤ من مجلة الهلال مقالا توجيهيا يدعو فيه إلى هذا الاتجاه ، ويعلن أن ذلك ليس غريبا على الأزهر ، إذ كانت الفتيات يتقدمن فى الزمن القريب إلى نيل شهادة العالمية بالأزهر ، وقد سافرت لطنطا لجنة علمية سنة ١٩١١ لتمتحن طلبة العالمية ، ومن بينهم فتاة دارسة تسمى (فاطمة العوضية) وكان موضوع امتحانها فى علم الأصول محددا فى باب (لا تكليف إلا بفعل) وهو من أغمض الأبواب تعقيدا واستشكالا ، والمقال ممتع طريف ..

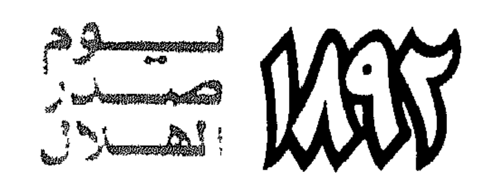
وأبو العيون لم يكن وحده من كتاب الأدب الاجتماعى بمجلة الهلال ، بل كان له زملاء "كبار من أدباء الأزهر وعلمائه نذكر منهم السيد مصطفى لطفى المنفوطى وعبدالعزيز البشرى ومصطفى عبدالرازق ، ومحمد أحمد عرفه ، وكلهم بارع اللمحة ، صادق النظرة ، مستقيم المنهج ، ومحاولة الأستشهاد ببعض ما سجلوه مما يضيق به المجال ولكنى أختار جزءا من كلمة عامرة للأستاذ مصطفى عبدالرازق قال فيها متحدثا عن المرأة [مجلد الهلال سنة ١٩٣٥م] :

"إن للمرأة خواص تجعل أثرها فى تشييد صرح الحياة وتزيينه أقوى من أثر الرجل ، فالمرأة بحكم وظيفتها الطبيعية فى تكوين الجنين تبرز للحياة الإنسان الحى كأنما تقده من كيانها ، وطبيعى أن يفيض قلب المرأة بالحب والحنان لهذا العالم الإنسانى الذى تكاد تشعر بفطرتها أنه ثمرة من ثمارها وأن حياته مستمدة من حياتها .

على أن فى فطرة المرأة نوعا من السحر والجمال والخلابة يسمو بأهل الفن الى مايبدعونه من الآثار ، ويلهم الشعراء روائع الشعر ، وإذا كان جمال الحياة فناً وشعرا ، وحبا فان المرأة هى التى تبنى كل مافى الحياة من معانى الجمال"

أعود فأقول ، إن مقالاً واحداً لا يبلغنى ما أريد فهل أكتفى ببعض عن بعض ؟ وإذا اكتفيت فهل يكتفى القارىء الرشيد ؟





فى أواخر القرن الماضى

بقلم : د. أحمد حسين الصاوى

صدرت مجلة "الهلال" فى اول شهر سبتمبر (ايلول) من عام ١٨٩٢ ، فكيف كانت صورة الحقل الصحفى فى مصر انذاك ؟ لقد كان الاحتلال البريطانى يجثم على صدر البلاد بعد ان مكّن لنفسه ومد جذوره فى تربة مصر طيلة عشر سنوات ترك خلالها بصماته واضحة على مختلف اوجه الحياة ، وفى مقدمتها الصحافة ، التى بدات باحتلال البريطانيين لمصر عام ١٨٨٢ حقبة متميزة من تاريخها لها خصائصها وسماتها الواضحة .

لقد انتصرت القوات البريطانية الغازية على قوات الجيش المصرى وعاد الخديو الضعيف محمد توفيق من الاسكندرية الى العاصمة فى حماية المحتلين ، واطمأنت الرجعية بالا بعد القضاء على الثورة الوطنية وتحطيم قياداتها ووقف المد التحررى الديمقراطى

وكان الاحتلال البريطانى يعنى من الناحية الدولية انتصارا لبريطانيا فى احدى معارك الصراع الاستعمارى مع فرنسا بالذات . اما من الناحية الداخلية ، فقد اصيبت الحركة الشعبية بضربة قاسية اذهلتها وحالت دون تحقيق امانيها .

كان طبيعيا ان تتوقف عن الصدور الصحف الوطنية ، وابرزها :

"الطائف" لعبد الله النديم و "المفيد" لحسن الشمسى و "التجارة" و "مصر" لعدد من تلاميذ الافغانى . حتى "الوقائع المصرية" التى حولها الشيخ محمد عبده فى العامين اللذين سبقا الاحتلال الى صحيفة وطنية متحررة تغيرت صبغتها فأصبحت مجرد "صحيفة رسمية" للدولة ، وعادت الى الظهور بعد احتجابها صحيفة "الاهرام" اللبنانية المنشأ والفرنسية الهوى ، والتى اصدرها الأخوان سليم وبشارة تقلا قبل الاحتلال بست سنوات وكذلك عادت صحيفة



"الوطن" القبطية لميخائيل عبد السيد ، وقد حملت "الاهرام" على الثورة العرابية وقادتها ، وامتدحت انصار الخديو ورحبت بالانجليز ، كما استقبلت "الوطن" الاحتلال بحماس شديد ، واصطبغت حملتها على قادة الثورة وشماتتها بهم لما اصابهم بشىء من التعصب الطائفى .

ونكلت قيادة الاحتلال بالصحفيين الوطنيين ، فسجن الشيخ محمد عبده ثم نفى ، وسجن حسن الشمسى وعذب ، اما عبد الله النديم فقد اختفى عن انظار السلطات هربا من البطش به .

وعندما اصدر الثائر العظيم جمال الدين الافغانى مع الشيخ محمد عبده صحيفة "العروة الوثقى" فى باريس عام ١٨٨٤ ، منع الانجليز دخولها مصر والهند واصدروا قرارا بتغريم من يحرز اعدادها ، وكانوا قد احسوا بخطرها منذ بدأ الافغانى يمهد لظهورها .

وفى الوقت نفسه كان يعقوب صنوع اليهودى المصرى مستمرا فى اصدار صحيفة "ابو نظارة" من باريس التى استقر بها منذ ابعده الخديو اسماعيل من مصر عام ١٨٧٨ .

وهكذا خدم التيار الوطنى فى صحافة مصر او كاد غير ان القوى الاخرى المعارضة للاحتلال مالبثت ان اسفرت عن وجهها ، مستغلة ما تتيحه ظروف البلاد لها

من مركز خاص يحميها ، من بطش السلطة الحاكمة ، فكان للباب العالى بعض صحف تحاول الدفاع عن حقوقه "الشرعية" فى مصر وتعارض من اجل ذلك سياسة الاحتلال ، مثل "مرآة الشرق" ، التى صدرت عام ١٨٧٩ والتى كان صاحبها سليم عنحورى قد تخلى عنها لابراهيم اللقانى و "القاهرة" التى اصدرها سليم الشدياق (ابن أحمد فارس الشدياق) عام ١٨٨٥ و"الفلاح" التى اصدرها سليم حموى عام ١٨٨٥ كذلك .... وكان لفرنسا ايضا عدة صحف تصدر بالعربية او الفرنسية ، وتنتهز كل فرصة للدفاع عن مصالح فرنسا وتأييدها ، وعلى رأسها "الاهرام" و "لوبوسفور اجبسيان" وكانت معظم هذه الصحف وتلك ، فى سبيل تحقيق اغراضها ، تنتهز كل فرصة لنقد اعمال سلطات الاحتلال ومعارضة تصرفاتها .

* * *

حاول كرومر ، متسترا وراء الحكومة المصرية ، ان يوقف هذا التيار او يخفف منه ، واستخدم لذلك كل الوسائل المتاحة ، ولكن تصدى القوى الاجنبية لهذه المحاولات محتمية بامتيازاتها ، وخشية من نقد قد يوجه الى سياسته فى الصحافة البريطانية ، جعله يفكر فى ان تكون للاحتلال صحف تؤيد بقاءه صراحة لاضمنا ، وتدافع عن اعماله وترد على معارضيه ، ويستطيع هو ان يدعمها ماديا وادبيا .

ووجد كرومر ضالته فى شابين سوريين ثقافتهما انجليزية ويدينان بالبروتستانتية ، هما يعقوب صروف وفارس نمر صاحبا مجلة "المقتطف" الشهرية ، التى كانا قد اصدرها فى بيروت عام ١٨٧٦ ثم نقلاها الى القاهرة عام ١٨٨٥ ، وكانت هذه المجلة ثقافية تنشر مترجمات ومقتطفات فى شتى العلوم والفنون ، ولكنها لم تكن تكتفى بهذا الجانب التثقيفى المتخصص من جوانب العمل الصحفى وانما كانت تؤيد سياسة الاحتلال البريطانى فى مصر وتبث اراءها السياسية المغرضة جنبا لجنب مع المواد العلمية ، وبطريق مباشر او غير مباشر فهى مثلا تشيد بالقوة الحربية البريطانية ، وتنشر مقالات عن الاحزاب البريطانية وعراقتها ، او عن نوابغ علماء الانجليز ، بل انها مضت الى ابعد من هذا فكانت اول من اقترح كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، ولذا كان من المنطقى ان يتفق كرومر مع صاحبى "المقتطف" على ان يصدرا الصحيفة العربية المطلوبة فأصدرا "المقطم" يومية بالاشتراك مع رصيفهما شاهين مكاريوس ، وذلك فى اوائل عام ١٨٨٩ ، وكان مكاريوس يصدر ـ منذ عام ١٨٨٦ ـ مجلة "اللطائف" وهى صحيفة ادبية ولكنها كانت مثل "المقتطف" واضحة التأييد للاحتلال البريطانى وسياسته .

ومن طريف مايروى فى هذا الصدد ما ذكره اصحاب "المقطم" عن سبب اختيار اسم الصحيفة ، اذ قالوا انه اذا كانت اهرام الجيزة هى اعرق آثار مصر واهمها ، فان جبل المقطم اكثر عراقة واهمية ، لانه الذى اقتطعت منه الاحجار التى استخدمت فى بناء تلك الاهرام ، وفى هذا



فارس نمر



الشيخ على يوسف

غمزة واضحة لصحيفة "الاهرام" المنافسة الاولى للمقطم !

مضت صحيفة "المقطم" منذ صدورها تؤيد الاحتلال وتشيد بسياسته ، وتنتهز كل مناسبة للنيل من الباب العالى ومهاجمة النزعات الوطنية ، وتقف من "الاهرام" وزميلاتها موقف الخصومة ، لاختلاف النزعة والهوى والولاء بين الجانبين ولم يكن ثمة خفاء او شك فى متانة الصلة التى تربط "المقطم" بسلطات الاحتلال ، وفى محاباة الجهات الحكومية لها وايثارها بالعون والبر .

وكان مع "المقطم" و "الوطن" و" اللطائف" فى جبهة الاحتلاليين صحف اخرى اقل اهمية بسط كرومر رحابه لاصحابها مثل "التايمز" الاسبوعية التى اصدرها "بيمن" الانجليزى من قبل الاحتلال ، وكانت تصدر بالعربية ، وكذلك "الاعلام" التى اصدرها "محمد بيرم الخامس" التونسى الهارب من السلطة الفرنسية التى تحتل بلاده عام ١٨٨٥ ، و"الزمان" التى اصدرها عام ١٨٨٢ "علكسان صرافيان" الارمنى الهارب من السلطات العثمانية .

وشجع الانجليز كذلك على اصدار عدد من الصحف اليهودية ، مثل "الحقيقة" التى اصدرها الحاخام فرج مزراحى عام ١٨٨٨ وكانت تدعو بقوة الى انشاء الوطن القومى لليهود وتدافع عن المصالح اليهودية فى كل مكان .

★ ★ ★

احس الوطنيون ـ بعد ان افاقوا من صدمة الاحتلال وهدات الاحوال ـ بفراغ فى الحقل الصحفى ينبغى ان يملئوه ،فقد انفردت بالساحة صحف بعضها يؤيد الاستعمار فى صراحة ويسفه الامانى الوطنية فى تبجح ، وبعضها يعكس اتجاهات [illegible]ى اخرى سياسية وثقافية تتصارع على النفوذ فى البلاد . واحسوا بان ما قد تتسم به كتابات بعض هذه الصحف احيانا بالعطف على الامانى القومية مشوب بالغرض مفتقر الى الصدق ولذلك اتفقوا على اصدار صحيفة تكون لسانا لهم ، ومن ثم ظهرت "المؤيد"

صحافة مصر

اليومية بالقاهرة فى نهاية عام ١٨٨٩ ، وهو العام نفسه الذى ظهرت فيه "المقطم" .

اصدر "المؤيد" الشيخ على يوسف بالاشتراك مع الشيخ احمد ماضى ، ثم استقل بها بعد قليل بمعونة عدد من الشخصيات الوطنية المرموقة ودعمهم ، وفى مقدمتهم المحامى سعد زغلول،وكان الشيخان قد اصدرا قبل عامين مجلة "الاداب" التى توقفت بصدور "المؤيد" وقد شنت "المؤيد" حملات كثيرة على الاحتلال وصنائعه ، فضحت فيها اساليبه وفندت حججه ، كما واجهت المطامع الاجنبية فى شجاعة واشتدت فى الحملة عليها ، وهاجمت الاستعمار بكل اشكاله ، واشتبكت مع "المقطم" - صحيفة الاحتلال - فى معارك قلمية كثيرة ، وقد احتلت هذه الصحيفة مكانا بارزا فى حقل الصحافة المصرية ، كما اشتهرت فى مختلف ربوع العالم الاسلامى .

وفى نوفمبر عام ١٨٩١ قبضت السلطات المصرية على عبد الله النديم صحفى الثورة العرابية وخطيبها ، بعد ان ظل يتنقل هاربا بين قرى مصر اكثر من تسع سنوات وصدر الامر بنفيه فذهب الى يافا ، ولكنه عاد الى مصر فى منتصف عام ١٨٩٢ عقب ان عفا عنه الخديو الجديد ، عباس حلمى الثانى ، واستأنف النديم كفاحه الوطنى لتعبئة نفوس المصريين ، وبعث الروح القديمة كما كانت قبل نكبة الاحتلال ، فاصدر باسم شقيقه "عبد الفتاح" صحيفة اسبوعية اطلق عليها "الاستاذ" اذ كان محظورا عليه ان يصدر باسمه صحفا ، وتستحق هذه الصحيفة - التى صدرت فى ٢٤ من اغسطس عام ١٨٩٢ (قبل مجلة "الهلال" باسبوع واحد) وقفة متانية لانها تعد نموذجا فذا بين الصحف المصرية اذ حررها النديم على ثلاثة مستويات : فكان يكتب مقالات للخاصة فى موضوعات علمية ووطنية باسلوب رفيع ومقالات ومحاورات للجماهير بالعامية مليئة بالنقد والسخرية لتنويرهم ورفع مستواهم وموضوعات اخرى ذات هدف تهذيبى لانصاف المتعلمين باسلوب مبسط .

وتجنب النديم فى بادىء الأمر - كما تعهد للسلطات - أن يتعرض للاحتلال صراحة ، وأخذ يوجه همه الى محاربة المفاسد الاجتماعية ، ويدعو الى التصنيع ونشر التعليم ويدافع عن اللغة العربية ، ويرد على دعاوى المغرضين من صنائع الاحتلال ، ولكن الثائر القديم مالبث ان رفع صوته بمعارضة الاحتلال ومهاجمة اذنابه ، واصطدم فى ذلك بصحف الاحتلال وبخاصة « المقطم » التى استعدت عليه السلطات البريطانية . وكانت النتيجة ان اغلقت صحيفته ونفى مرة أخرى - وأخيرة - بعد ان لم يكن قد صدر من « الاستاذ » اكثر من اثنين واربعين عددا . ولكنها - بكل المقاييس - نجحت فى مهمتها بصورة مشرفة .

وكانت « الاستاذ » مدرسة للوطنية الصادقة ، تربى فيها عدد من الشباب

الوطنى ، وعلى رأسهم الزعيم الشاب مصطفى كامل .

● ظاهرة الاستقطاب السياسى

كانت هذه صورة الصحافة فى الاعوام الاولى من حقبة الاحتلال البريطانى لمصر ، وأبرز ملامح هذه الصورة هو ظاهرة « الاستقطاب » الذى عكس تعدد القوى السياسية المتصارعة فى مصر وتميز كل منها بسماته الخاصة . فللمحتلين صحفهم وللفرنسيين صحفهم وللباب العالى صحفه وللوطنيين ـ اخيرا ـ صحفهم التى استمر بعضها فى الصدور وسقط بعضها الآخر شهيدا فى حومة النضال الوطنى .

وكان من أسس سياسية الاحتلال ، التى خططها دوفرين (Dufferin) وطبقها كرومر (Cromer) ترك شىء من الحرية النسبية للصحف تنفيسا عما قد يعن لمحرريها من آراء وملاحظات يمكن أن تفيد منها سلطات الاحتلال ، مع التراخى فى تطبيق نصوص قانون المطبوعات (الذى اصدرته حكومة شريف باشا عام ١٨٨١) على اساس أن الصحافة والخطابة هما صمام الامان للتعبير عن الشعور الذى قد يتخذ بدونهما مظاهر أخرى خطيرة . وكان كرومر يؤمن بأن الصحف المصرية مهما تقل فلن تستطيع أن تغير الامر الواقع ، ثم ان الحكومة شديدة التيقظ لكل ماتنشره الصحف ، وجيش الاحتلال فى نظره كفيل بحماية السلطة الاستعمارية من اى تطرف قد تندفع اليه الصحافة . وعلى هذا فليس صحيحا ماردده البعض من أن حكومة الاحتلال فى عهد كرومر اطلقت حرية الصحافة ، وانما الصحيح أنها خففت من قيودها بقدر محدود ، بحيث يمكن ان تبطش بأى صحيفة ـ كما حدث مع « الاستاذ » ـ اذا رأت ذلك ضروريا لحماية مصالح الاحتلال وسياسته .

وقد ابتدعت سلطات الاحتلال كذلك نظام « المصروفات السرية » وهى المخصصات التى تصرف سرا لبعض الصحف والصحفيين . وكانت هذه « المصروفات » من اقوى الاسلحة فى استمالة ذوى النفوس الضعيفة من الصحفيين المصريين والمتمصرين على السواء .

ومنذ بداية الاحتلال البريطانى لمصر اخذ مركز الثقل الصحفى يتحرك من الاسكندرية الى القاهرة ، حيث صدرت كل الصحف الجديدة التى مر ذكر أهمها ، وان كانت صحيفة « الاهرام » قد بقيت بالاسكندرية حتى انتقلت الى العاصمة فى أواخر عام ١٨٩٩ . وامتد النشاط الصحفى لاول مرة الى غير القاهرة والاسكندرية من اقاليم مصر .

وكانت مدينة أسيوط أسبق من غيرها فى هذا المجال ، فظهرت بها أول صحيفة اقليمية فى مصر ، وهى صحيفة « النزهة » التى أصدرها « جورجى خياط » عام ١٨٨٦ .

وأخذ عدد الصحف المتخصصة فى مصر يتزايد باطراد منذ بدأ عهد الاحتلال البريطانى ، فصدرت عدة صحف زراعية وطبية وقضائية ودينية وأدبية وغيرها . ولم يكن ذلك مظهرا من مظاهر التقدم فى الحقل الصحفى أو انعكاسا لارتفاع المستوى الثقافى وازدهار العلوم والفنون ، بقدر ماكان اتجاها مغرضا شجعت عليه السلطات البريطانية لتحويل

صحافة مصر

اهتمام الناس عن الخوض فى الامور السياسية . وكان معظم من اصدروا تلك الصحف وحرروا فيها من الشاميين ومن اليهم ، الذين استطاع الاحتلال اغراءهم ليؤيدوه ويدافعوا عن مصالحه . وكان هؤلاء كثيرا مايضمنون صحفهم من المواد – كما فعلت « المقتطف » – مايحاولون به استمالة المصريين الى جبهة الاحتلاليين . ومن هذه الصحف : الشفاء (طبية) لشبلى شميل ، ١٨٨٦ – اللطائف (ادبية) لشاهين مكاريوس ، ١٨٨٦ – الزراعة (زراعية) لأيوب عون ١٨٩١ .

فى تلك الظروف وفد الى مصر من بيروت جرجى زيدان ، وهو فى الثلاثين من عمره ، فأصدر – كما رأينا – مجلة « الهلال » ثقافية شهرية فى اول سبتمبر عام ١٨٩٢ ، وحرص منذ البداية على أن ينأى بها عن التيارات السياسية ، ويركز على الموضوعات والأخبار العلمية والادبية ، فكانت منافسا قويا لمجلة « المقتطف » واستمر جرجى زيدان يبذل جهده فى رعايتها وتطويرها شكلا وموضوعا على مدى اكثر من عشرين عاما ، اذ انه انتقل الى رحاب الله عام ١٩١٤ .

★ ★ ★

ومضت الصحافة الوطنية تستكمل مقوماتها وتنمى شخصيتها وتزداد احساسا بخطرها ، وادراكا لجلال مهمتها ، وشعورا بضرورة حمايتها للكيان الوطنى وعناصر الهوية المصرية من ان تتأثر بمحاولات المحتل واذنابه . وهى الى


سعد زغلول المحامى

جانب ذلك تقوم بمهمتها التنويرية لخدمة المواطنين . ولقد كان بعض المؤرخين على حق عندما اطلقوا على العقد الأول من الاحتلال البريطانى لمصر « الطور الصحفى من أطوار الحركة الوطنية »

وما لبثت الصحف الكبرى التى توالى صدورها ان قامت بدور خطير فى التاريخ السياسى لمصر الحديثة ، ذلك ان المنهج الذى اختطته لنفسها كل صحيفة من هذه الصحف والآراء التى نادت بها تبلورت فى مبادىء واضحة محددة قام عليها تنظيم حزبى . اى ان اول احزاب سياسية منظمة فى مصر نشأت فى كنف تلك الصحف وليس العكس . فقام الحزب الوطنى حول « اللواء » وحزب الأمة حول « الجريدة » وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية حول « المؤيد » وهذه ظاهرة لانكاد نجد لها مثيلا فى التاريخ الصحفى والسياسى فى غير مصر من البلاد .



● الشخص الفظ هو الشخص الغليظ الطبع ، السيىء الخلق ، الخشن الكلام .. هكذا نعرفه في كلامنا .. فما هو أصل كلمة « الفظ » ؟ !

تقول العرب : فظ الرجل وافتظ ماء الكرش في البعير وشربه في الصحراء عند شدة عطشه .. وذلك أن العربي القديم كان يسقى بعيره ثم يشد فمه لكيلا يجتر ، فإذا عطش الرجل ولم يجد ماء شق بطن البعير فعصر ما فيه من الماء وشرب منه ، وهي عملية جراحية فظة ، لأن الرجل يفظ الكرش ، أى يشقه بالسكين ، ومن هنا وصف الرجل السيىء الخشن بانه «فظ » !

● والألفاظ العربية تتقارب في حروفها إذا تقاربت في معانيها ، فان الفعل «فظ .. يفظ » قريب في معناه من الفعل « فض .. يفض » .. فيقال مثلا : فض الرجل رسالة جاءت اليه بالبريد ، اى قطع غلاف الرسالة .

● وعلى ذكر الضاد والظاء ، فإن الأمة العربية تسمي «أمة الضاد » اى التى تنفرد من دون الأمم بنطق حرف الضاد ، ولكن الامة العربية الآن تنطق الضاد ظاء في مناطق كثيرة من البلاد العربية التى ارتضخت لكنة إعجمية ، وبخاصة في الخليج الذى كانت تسكنه قديما افصح القبائل الناطقة بالضاد ..

● يصف العوام الشخص التافه بانه « هُلفوت » .. وهذه لفظة محرفة عن «علفوت » ـ بضم العين ـ اى الشخص الذى لا اهمية له .

● تقول العامة في الصعيد : أشعلنا «الوقيد » .. اى الوقود .. وكلتاهما كلمة فصيحة .. وأهل القاهرة والوجة البحرى ايضا يستعملون كلمة « الوقيد » غير أن أهل الصعيد ينطقون الواو بالفتح ، وينطقها اهل القاهرة والوجة البحرى بالكسر .. والفتح هو الصحيح .. الا ان «الصعايدة والبحاروة » جميعا يحرفون القاف فيصبح همزة عند « أهل بحرى » ويتحول الى ما يشبه الجيم القاهرية عند اهل قبلى » .. وذلك من آفات الاستعجام التى لم ينج منها بلد عربى ! ..

● دخلنا فصل الشتاء .. والعامة تصف جو الشتاء بانه برد قارص .. والصواب « قارس » بالسين ، ويقال : قرس البرد ، اى اشتد ..

١٨٩٢ يوم صدر الهلال

كان ياما كان في صحافة زمان

إعداد : عادل عبد الصمد

● مانشيتات الصحف يوم صدور الهلال .

● المحبة الوطنية وظهور نفحاتها بالفعل لا بالقول .

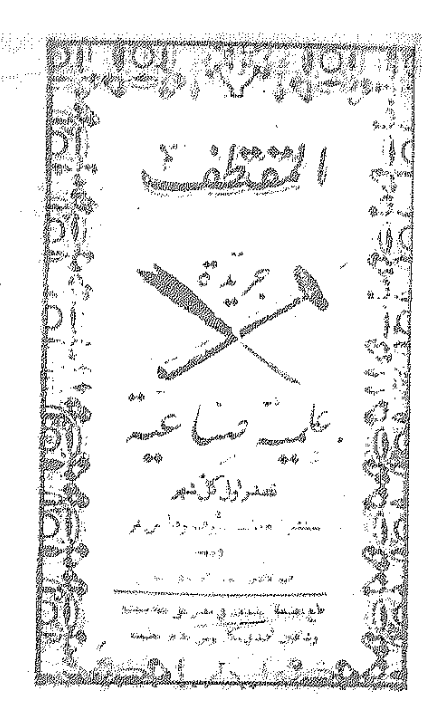
● كيف حاول الانجليز القضاء على ثورة الافغانى .

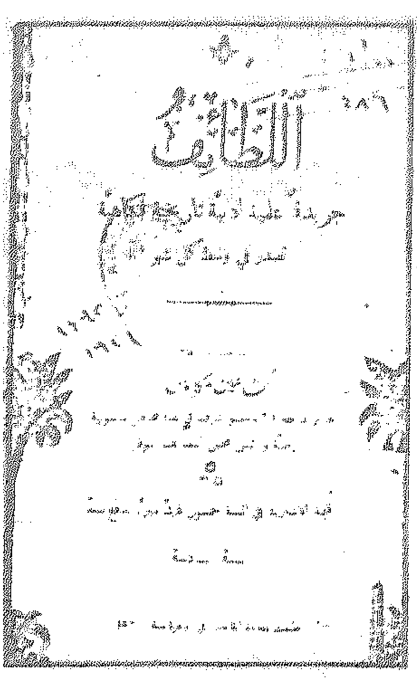
● مسألة مالية ومصلحة مصرية .

● أوصاف الكتاب .

● ليست السعدة بكثرة المال .

فى أواخر القرن التاسع عشر أصبحت مصر الملاذ لكثير من الادباء والمفكرين الذين وفدوا من جميع الاقطار العربية الشقيقة ، فرارا من بطش السلطة العثمانية لهم وتقييد حرية التفكير والتعبير والابداع عند هؤلاء المبدعين الذين وجدوا فى مصر مناخا ملائما ، لتحقيق كل رغباتهم وطموحاتهم الفكرية والابداعية ، فوفد عليها كل من "شبلى شميل" و"عبدالرحمن الكواكبى" و"رشيد رضا" و"خليل مطران" و"سليم تقلا" "بشارة تقلا" و"جورجى زيدان" .






رشيد رضا

وقد ساهم هؤلاء فى تنشيط الحياة الثقافية ، واضافة الكثير من النهضة الصحفية والادبية ، التى كان قد غرسها كل من "جمال الدين الافغانى" و"الامام محمد عبده" و"عبدالله النديم" و"على مبارك" و"عبدالله ابوالسعود" وتمثلت تنمية جذور هذه النهضة فى العديد من إصدارات المجلات والجرائد .

ففى عام ١٨٩٢ م وقت اصدار مجلة "الهلال" كانت تصدر مجلات وجرائد عديدة منها "الاداب" و "الازهر" و"الاصلاح" و"الفن" و"الفلاح" و"البستان" و"الحقوق" و"الزراعة" و"المحروسة" و"المقطم" و"المقتطف" و"المؤيد" و"النيل" و"الفوائد الصحية" و"اللطائف" و"المحاكم" و"الوطن" و"البرهان" و"الوقائع المصرية" و"وقائع البوليس" و"الاهرام" و"روضة المدارس" و"مرقى النجاح" و"الاستاذ" .

وهذا الكم المتنوع من الجرائد والمجلات مرآة لعصر نضجت فيه الصحافة المصرية ، وتنوعت واختلفت مذاهبها ومشاربها ، وتنافس كل منها وتصارع لينجح ويستمر . فالبعض وظف نفسه .. ليكون بوقا شرعيا . لسياسة الاحتلال ، يتبنى ما ينادى به الانجليز ويدافع عنه بقوة وشراسة . والبعض الاخر وقف مهاجما ومحاربا لهذه السياسة ، ولهذه الجرائد ، وكشف اوراق كل من تسول له نفسه ان ينال من حقوق الشعب المصرى خاصة الفكرية والاجتماعية .

ومن ثم قامت معارك قوية فى الصحف والمجلات ، وانشغلت الساحة الصحفية بهذه المعارك وتاه الطريق واشتعل نارا وحقدا ، مما ادى الى الانشقاق ، وسرعان ما اختفى وتلاشى من الساحة ، هذا العدد من الجرائد بعد عام ١٨٩٢ م حتى اغلق الجميع ابوابه لظروف اقتصادية اولظروف سياسية .

وظلت الاهرام والازهر باقيتين مع مجلة الهلال التى رسمت لنفسها سياسة ثابتة ، تضمن لها القوة والاستمرارية .

تعالوا نقلب صفحات بعض هذه الجرائد والمجلات ونتابع صورة الصحافة المصرية عام ١٨٩٢ م ، والقضايا التى

كانت مطروحة فى هذه الفترة وكيفية التناول والمعالجة ؟

● القضايا الفكرية

تقزيم العقول

بدأت سياسة الاحتلال بتقزيم العقل المصرى . عندما وجهت ضرباتها للتعليم ، وركزت كل اهتمامها لسلب النهضة التعليمية التى كانت موجودة فى مصر قبل الاحتلال والغت التعليم المجانى ثم أهملت التعليم العالى ، وعملت على نشر التعليم الاولى .. ولذلك شجعوا الكتاتيب ومعارفها وكان يطلق عليها "مدرسة الفلاحين" ، وتبعا لذلك انخفضت المبالغ المخصصة للتعليم فى ميزانية الدولة من حوالى ١٠٠ الف جنيه عام ١٨٨٣ الى ان وصلت ٩٠ الفا عام ١٨٩٢ م "مضابط مجالس شورى القوانين "جلسة ٢٤ ديسمبر ١٩١٤"

ويبرر كرومر هذه السياسة بانها كانت للتشجيع على التعليم ذلك لأن من يريد ان يتعلم عليه ان يثبت ذلك بدفع نفقات تعليمه ، وتبدأ الصحافة فى تناول هذه القضية الهامة فمنهم من أيد هذه السياسة ، ومنهم من عارض بشدة ، وكل فريق له مبررات تعكسها صفحات جرائده .. فيدافع "المقطم" عن هذه السياسة فى ٨ يونيو ١٨٩١ "انها تمت بعد بحث طويل ، وان يعقوب ارتين" وكيل المعارف يرى ان يقل عدد الطلبة الذين يعلمون مجانا ما امكن وان تلغى المدارس التجهيزية التى فى غير العاصمة »

وبهذه الطريقة حاول الانجليز القضاء على الثورة الفكرية التى احدثها الافغانى ، وحمل مشعلها تلاميذه من بعده ..

اما الفريق الذى هاجم هذه السياسة فمنهم صحيفة « الاداب » التى تعد الصحيفة الوحيده التى أولت شئون التعليم ماينبغى من عناية ، اذ كانت تخصص أعدادا باكملها للحديث عن التعليم كمقال « امس واليوم وغدا » تناولت فيه التقدم والتمدن وتطور العلوم وتقدمها

ويهاجم « المؤيد » الاهرام لترويج اشاعة عن الغاء وزارة المعارف ويجدها « المؤيد » فرصة للدفاع عن التعليم وضرورة النهوض به والابقاء على نظارة المعارف ، ويهاجم سياسة الاهرام فيقول « انه يسعى فى مصر فسادا ويختلق مايشوش الفكر ، يقول ولا يخجل من الكذب ان نظارة المعارف ستلغى وتجزأ على النظارات الاخرى » .

وتشارك مجلة « مرقى النجاح » فى المعركة الصحفية وتكتب مجموعة مقالات حول التربية واهميتها ووجوب العناية بها فكتبت تقول : « لا نرى صناعه ذات قواعد واصول كلية الصعوبة وينظر الناس اليها بعين التهاون والتساهل والاهمال كصناعة تربية الاولاد وتهذيبهم .

ان تثقيف عقول الاولاد بالعلم والمعارف وتغذية قلوبهم بالفضائل والمحاسن المدنية والجنسية بحيث

يصبحون قادرين على اداء خدمة اخوانهم وبلادهم بالفوائد والمنافع » !! .

● التعليم مسئولية الصحف

يرى كرومر أن اهم مشكلة واجهت التعليم هى ان الجيل الجديد من المصريين يجب ان يجد من الارغام او من الاغراء مايجعله يمتص الروح الحقيقية للحضارة الاوربية .. ولذلك اسرف فى احضار المدرسين من اوربا للمدارس المصرية برفع مستوى التعليم .

وتسرف جريدة « الوطن » فى مدح هذه السياسة وتعدها مكرمة من كرومر ، ويحبذ « المقطم » هذه السياسة ويؤيد فكرة ارسال بعض المصريين ليتعلموا فى انجلترا .. فان المدارس الانجليزية من اكثر مدارس اوروبا اتقانا وأشدها اهتماما بتهذيب الطلبة ..

والآفة الكبرى التى اصابت التعليم فى مصر اسناد وظائف التدريس الى الانجليز دون المصريين .

واتجهت « مجلة الازهر » على عهد صاحبيها « ابراهيم حسن ، وحسن رفقى» الى تحبيذ اللغات الاجنبية ، مؤيدة اتجاه الحكومة الى التوسع فى ذلك .

ووجدت مجلة « المقتطف » ان المناسبة سانحة للادلاء برأيها العلمى فى تطوير الكتابة العربية .

وتحت عنوان « تصوير اللفظ العربى بحروف فرنجية » مقترحة ترك الحروف العربية ، وتضع جدولا مبينا فيه مايقابل الحروف العربية من حروف افرنجية مع الحركات العربية من ضمه وفتحه وكسره ، ثم تشرح مزايا هذا الاسلوب ، فان الحروف الافرنجية كثيرة الاشكال بين كبير وصغير ، وهذه الطريقة تجعل كتابة العربية سهلة .

وهكذا اصبحت الصحف الى جانب المدارس مصدرا من مصادر التعليم .

وأصبحت الحضارة الاوروبية النموذج الامثل للمصريين يأخذون عنه ، وتطلع العاملون فى شئون التربية والصحافة وغيرها الى الاقتباس من مظاهر الحياة الاوروبية .

● الصحف والترجمة

قامت الصحف فى مصر بدور كبير فى تنشيط حركة الترجمة عن اللغات الاوربية وبخاصة الانجليزية والفرنسية ، وكانت الصحف هى المجال الاول لهذه الترجمة ، والتى اتجهت الى ارضاء عامة القراء الذين اخذوا ينهلون من منابع الثقافة الغربية ، وبذلك ظهرت فئه من القراء تشيعت للادب المترجم .

وقام بحركة الترجمة من الانجليزية المجموعة التى هربت الى مصر فى اوائل الاحتلال ، ونشرت هذا الادب على شكل قصص وروايات وعملت على نقل اخبار العالم الاوربى ومايحدث فيه .. وظهرت فى « المقطم » بعض هذه الروايات فمنها رواية « الشهامة والعفاف » « يناير ١٨٩٠ » وكانت رواية انجليزية للكاتب « ولترسكوت » وهى تصف احوال انجلترا وسكانها ، وما امتاز به فرسانها بالشهامة هذا الى جانب ماحفلت به الصحف من اخبار العالم الخارجى سياسية واجتماعية واقتصادية ومعاهدات ومؤتمرات وبخاصة ماكان يدور حول الحياة الانجليزية به ومن ذلك ترجمة كثير من الأخبار عن الانجليزية والفرنسية نستشهد ببعضها على سبيل المثال :

كان ياما كان فى صحافة زمان

● المرأة فى الانتخابات

اهتمت جريدة « الوطن » فى عام ١٨٩٢ بقضية انتخابات اعضاء مجلس نواب إنجلترا وكتبت تقول :

"وجب ان نوضح لاهل بلادنا الطرق التى يستعينون بها فى الانتخابات .. فقد كان يقال ان « البراطيل » بجميع انواعه وضروبه انقطع دابره من انجلترا والحال بخلاف ذلك !

ومن اقبح الرشوات والبراطيل ماحصل فى « وستمنستر » مراعاة للمستر « فوكس » فان « دوقة دينوشاير » الجميلة جذبت افئدة المنتخبين بان كانت تبتسم فى وجوههم وتأذن لهم بان يقبلوها ويحتضنوها .

● عجائب المعارك

وجاء فى "اللطائف" "تحت عنوان مبارزة اصحاب الصحف"

"تذكرنا المبارزة التى اشتهر امرها فى هذه المدة بين اثنين من محررى الصحف الفرنسوية فى مصر بتاريخ الصحافة والمبارزة فى فرنسا وقد كانت الواحدة ملازمة للاخرى ، وكان فى باريس قهاو خاصة للمبارزة يجىء اليها اصحاب الصحف اذا اختلفوا رايا ليقضوا الخلاف بحد الحسام او رصاص البنادق وكثيرا ماكان اصحاب القهوة لا يلقون سلاحا كافيا للذين يطلبون المبارزة .. واشهر المبارزين من اصحاب الصحف الحالية المسيو بول دى كوسنياك الشهير حارب مايزيد عن الف مرة ومرة حتى ان نصف ساعات يومه كانت تقضى فى المبارزة ، واشتهر بين المبارزين والمحررين المسيو روشفور .. ومثله المسيو ارثر مير صاحب الغولوا والمسيو دريمون صاحب الليبر بارول . ومع اعتبار الناس هذه المبارزة فهى لم تزل من الامور الخطرة الوخيمة عندهم ، قتل فيها كثيرون من المعروفين بين اصحاب الجرائد مثل فكتور نوار وبرشه وغيرهما ..

● تقسيم الثروة

وقد اهتمت "الطائف" بموضوع مازال مثار جدل ومناقشات فى جميع الاوساط ، وهو موضوع توزيع الثروة .. كتبت تقول :

"يظن البعض ان جماعة الاشتراكيين يريدون توزيع الثروة وتقسيم مال الارض وغيرها على الناس بالسواء حتى لا يبقى فيهم فقير ولا غنى . وليس هذا هو القصد من اكثر الجمعيات الاشتراكية ، وان يكن بعض احزابها والمتطرفين من افرادها يجاهرون بمثل هذا الراى .

هذا وحده يكفى لاظهار ما يعلمه القراء الكرام من فساد القول بالمذهب الاشتراكى ولا يقوله الا كل من لا يملك من الدنيا شروى نقير ، والفقر سنة فى الكون لا يغيرها هؤلاء الغافلون لو تأملوا فى ما ينوون ولكنهم لا يقدرون على غير الكلام فيشفون الغليل به ولا يتعرض لهم العقلاء فى ما يفعلون" .

● بين الفصحى والعامية

وقضية اللغة العربية هى القضية الهامة التى كانت تشغل الاوساط الفكرية الجادة ، واخذت الاقلام تتناولها بين محبذ

للفصحى وداع للعامية ..

واصبحت المجلات والصحف مسرحا لهذه القضية التى اوجدها طوفان الثقافة الاوربية الوافدة بافكارها وقيمها وتصدت لمحاولة ايجاد الاسلوب المباشر البسيط واندفعوا بالعربية فى تيار مقدمين المعنى على اللفظ ..

ونعت صحيفة "البرهان" اللغة العربية التى كانت لسان الاديان .. فلما تغير الزمان لعبت بك الاقلام وتطاولت اليك ايدى الجاهلين .

وناصرت مجلة "الاداب" اللغة الفصحى على خط مستقيم ففى مقال تحت عنوان "حاجة اللغة فى الشرق" دعا على يوسف "الى اصلاح اللغة لان الامة التى تهمل لغتها لا امل فى مستقبلها ونادت "الاداب" بتأليف "مجمع لغوى" يهتم بشأن اللغة ويحرمها من الدخيل والى العناية باللغة العربية حتى تخرج اجيالا من الشبان مؤمنين بعروبتهم ، متصلين بماضيهم .

ونددت الاداب بجمعية المعارف المصرية لان اعمالها كانت باللغة الفرنسية ، وانضمت الاداب فى عهد "محمد مسعود" الى «المدافعين" عن اللغة الفصحى .

● بين الازهر والاستاذ

تمثل مجلة "الازهر" حلقة هامة من حلقات الصراع بين العامية والفصحى ، وقد انشأها ابراهيم مصطفى وحسن رفقى عام ١٨٨٧ باسم "الصحة" للاهتمام بالاخبار الصحية والطبية ، ثم اطلق عليها اسم الازهر ، ثم خصص صاحباها الازهر للعلوم الرياضية وجعلها موضع ابحاث المهندسين .. ونرى ان "وليم ويلكوكس" الانجليزى يتولى رئاسة تحرير الازهر بعد ذلك ، واستخدم لمعاونته الشيخ "احمد الازهرى" المتخرج فى "دار العلوم" والموظف فى ادارة الخزانات التى كان ويلكوكس مديرا عاما لها ، وبدأت تنشر الدعوة لاستخدام العامية واحلالها محل الفصحى فى التعليم والادب ، وبدأ ويلكوكس بمقال بعنوان "لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الان" ... "ولكن بسبب عدم وجود لسان علمى مشهور بينكم لم تحصلوا على شىء واضعتم اعمالكم سدى ... واقول لكم اذا جنحتم الى هذه اللغة الدارجة القوية الشهيرة فيما بينكم وتركتم هذه اللغة الضعيفة تنجحون كثيرا بسبب ان اللغة التى تتكلمون بها هى قلب اللغة .

وتصدى "النديم" فى مجلة "الاستاذ" للدفاع عن اللغة ضد هذا الهجوم الذى شنه "ويلكوكس" الانجليزى المشهور بطول الباع فى الهندسة والصبر على شاق الاعمال .. «ان فى ضعف كل امه فقدان لغتها مهما كانت تامة الالفاظ واسعة المعانى والمبانى" ولم تكن مجلة الاستاذ معرضا للبحوث العلمية الخالصة ، ولم تعن بالادب لذاته ، بل كانت عنايتها به وباللغة بباعث وطنى صرف ، ثم انها لا تفرق بين اللغة ومعلمها ، وبين الادب وصاحبه بل كانت ترى ان صفة المعلم وهوان شأنه يصيبان اللغة فى الصميم .

وقد حاول "النديم" ان يحرر مجلته كلها بالفصحى ، فاتته رسائل الاحتجاج الكثيرة على مجلة "الاستاذ" فى اول نوفمبر ١٨٩٢ م تذكر له خطأه لان المرأة تسمع مقالاته فى بيتها والعامى يسمعها

وهو فى مصنعه ، ومتجره ، والفلاح فى حقله ، وكلهم يستفيد من نقده فنزل على رايهم واعادها كما كانت عربية فصيحة فى بعضها ، عامية فى بعضها الاخر ، وكانت المقالات العامية اشبه بدروس عملية تناولت موضوعات شتى مما كان يهم الشعب .

● القضايا الاجتماعية

اول مجلة نسائية

يظهر على مسرح الحياة الاجتماعية العامة قضية هامة الا وهى قضية المراة بدورها الإجتماعى فى هذه الفترة بالذات كان سبب ذلك وجود المرأة الاوربية فى مصر وتمتعها بحرية كاملة وممارستها لكثير من الحقوق التى حرمت منها المراة المصرية .

ومن هنا كانت المجلات النسائية بصفة خاصة هى الميدان الطبيعى للنشاط النسائى وبدأت خطوة جريئة فى مصر من "هند نوفل" حيث تجرات واصدرت اول مجلة نسائية فى مصر بل الشرق واطلقت عليها "الفتاة" عام ١٨٩٢ .

ورحبت الصحف وخاصة المقطم والنيل بالمجلة مبشرة عالم المطبوعات بطالع الجريدة الوضاءة .

واتخذت المجلة من مظاهر الحياة الانجليزية مصدرا للاقتباس وبرغم مانادت به المجلة فى عددها الاول من بعدها عن السياسة واتجاهها الادبى ، الا انها ما لبثت بعد عدة اعداد فقط ان تناست كل ذلك ، فنادت بحقوق النساء السياسية وتحدثت عن مكان النساء الاجتماعى والسياسى من القانون الحديث ٢٠ نوفمبر ١٨٩٢ .

وبدات الدعوة الى تعليم الفتاة ونبذ الحجاب ، والفتاة المحجبة غير المتعلمة التى لا تعرف من الدنيا سوى بيتها والقليل من افراد اسرتها ، هذه الفتاة توجه لها الدعوة لاختيار من تريد قرينا لها وتعددت المقالات عن حرية المـراة وضرورة حصولها على هذه الحرية بجميع الوسائل .

● المحاورات المسبوكة

وتزعم النديم فى مجلة "الاستاذ" الدعوة الى الاصلاح الاجتماعى بجميع صوره ، ونقد الاوضاع السائدة فى المجتمع ونقد الاخلاق المعوجة ، وكان هذا هو الغرض الاساسى من انشاء المجلة فهى على تعدد اتجاهاتها ينتظمها هدف واحد هو تربية الشعور وحب الاستقلال ، ودفع المجتمع المصرى فى طريق النهضة متخلصا من الفساد الداخلى والتسلط الاجتماعى .. واستخدم النديم "طريقة المحاورات المسبوكة بقالب المجون يراد بها التلميح الى ما يجب اصلاحه من شأن البلاد وابنائها مستحثا لاتخاذ الوسائل الفعالة فى ذلك .. كل هذا تحت طى الفكاهة ..

وترسم لنا أولى المحاورات التى اوردها "النديم" صورة صادقة الى حد كبير عن احوال مصر الاجتماعية بعد عقد واحد من الاحتلال ، وكان بين نديم وشخص اخر :

فيقول الكاتب : احنا مالنا ومال السياسة التى توجع الراس .

نديم : السياسة فى ايد رجال ، والرجال فى ايد افندينا ، وهو وياهم يعرفوا شغلهم فى حكومتهم .

نديم : انا رايح اكلمك بالبلدى اللى تعرفه وتفهمه فانك نسيت لغتك الاصلية ومشيت على كيفك فى الكلام .

ـ قول للجماعة اللى علمونا ، اللى كنا فى ايديهم زى الحتة العجينة ، وسابونا كلنا عوام والانسان يدور مع الزمن ويتكلم بلغة الناس اللى وياه .

نديم : كل من جه نأخذ لك من لغته كلمتين حتى تركب لك لغة من هنا ومن هنا بقيت غريب فى الديار . هو ده التمدن ! ..

ـ انا حسال عن احوال الجدعان دول واجتماعهم فى الحانات والبير والبيوت التلفانة ، واكتب لك ويعرفوا ان النديم صبيب الانسانية ، واخلى الحكومة عفارم ياانديم يللى فتحت مدرسة تهذيب بجريدتك وجعلتها اجعص من البوليس السرى .. احنا بطلنا الضرب بالكرباج وانت جيت تضرب بالكلام المؤلم "

وهكذا يلخص النديم احوال مصر الاجتماعية : من بعد الحكومة عن العناية بالتعليم واهمال اللغة العربية والتفرنج واهمال شئون البلاد والاستهتار بالدين والجنسية وانتشار الخمور والدعارة ..

ولا تكاد اعداد "الاستاذ" التى صدرت فى مدى عام تخلو من مقال كبر او صغر عن الخمور ومساوئها مستخدمة طريقة الحوار بين سيدتين تتحدثان عن زوجيهما وانغماسهما فى الشراب ، ثم يدس النديم نفسه بينهما "وفى عدد ٢٧ سبتمبر ١٨٩٢ ـ الاستاذ" "وتلاقى البيه زعلان



شبلى شميل

من الاستاذ ، ماكان راح فى داهية ، رأجع يمسك لنا افية السكارى ويجرسنا "

وعلى لسان صديق يعترض بان "بعض الناس انقبض صدره عندما رأى المحاورة حول السكارى "ويجيب النديم" اذا كان المتغيظ سكيرا فما قيل قليل جدا بالنسبة لما يلتزم لتأديبه .. وان كان غير سكير فليكن مساعدا لنا على سد باب المفاسد .

واجمعت معظم المصادر المعاصرة على ازدياد مظاهر الفساد الخلقى فى البلاد منذ وقوع الاحتلال ..

وتناولت جريدة "الاداب" الافات الفتاكة بالنقد وحفلت اعدادها بالتنديد بالقمار والمقامرين

ويدعو النديم هؤلاء الذين يفقدون اموالهم على موائد القمار ان يحرصوا على ان نوفر القرشين اللى معانا نشتغل بيهم فى تجارة علشان نصبح اغنيا وتفضل البلد ماسكة حيلها شوية"

"مجلة الاستاذ ٦ سبتمبر ١٨٩٢"

اما بقية الصحف اصابها الصمت والفتور الغريب فى نقد الافات الاجتماعية فى هذه الفترة وكان وراء ذلك قوة الاحتلال لتعطيل اى نشاط صحفى يهاجم بقوة وينقد السلبيات فى المجتمع واتضح ذلك عندما اغلقت مجلة "الاستاذ" ابوابها بعد عام واحد من صدورها خشية اثارتها الافكار والخواطر .

١٨٩٢ يوم صدر الهلال

روضة المدارس
المجلة الرائدة

كانت "روضة المدارس" المجلة الثقافية الرائدة فى العالم العربى ، واول مجلة ثقافية فى مصر والعالم العربى .
وسارت مجلة الهلال على دربها ، تهدف الى اكمال رسالتها .
"المحرر"

● الفت كتابا بالاشتراك مع صديقي وأستاذى الشاعر الباحث الأديب المرحوم محمد عبد الغنى حسن عن مجلة "روضة المدارس" باعتبارها مجلة ثقافية رائدة ، بل اول مجلة ثقافية فى مصر والعالم العربى ، تصدرها الدولة ، وبعد ان انتهينا من تاليف هذا الكتاب الكبير ، احسست ان هذه المجلة لاتزال فى حاجة الى مجموعة اخرى من الكتب والدراسات تبين اثرها الكبير فى التطور الحضارى للأمة العربية ، فلم تكن "روضة المدارس" مجرد مجلة ثقافية ، بل كانت "بوتقة" انصهرت فيها كل الاتجاهات السياسية والوطنية والاقتصادية والاجتماعية التى كانت تمور فى التربة المصرية والعربية .

بقلم : د. عبد العزيز الدسوقى

ولقد فكر فى اصدارها (على مبارك) وزير المعارف فى ذلك الوقت واختار للاشراف عليها ورياسة تحريرها رائدا آخر هو "رفاعة الطهطاوى" .

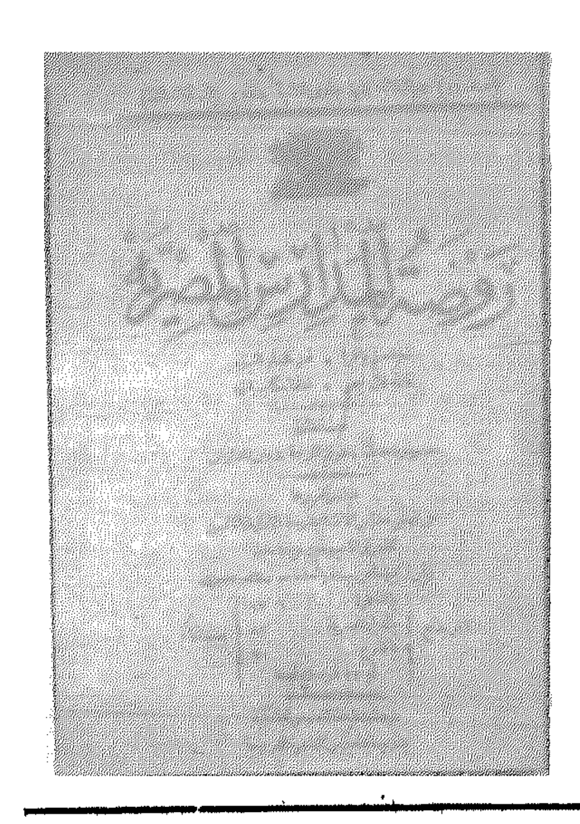
وكان مقدرا لها ان تكون مجلة هدف ورسالة لتقود :

● النهضة الأدبية والعلمية .

● وترفع علم التحول الحضارى فى البلاد .

ويحدثنا "على مبارك" عن اختياره "رفاعة الطهطاوى" للاشراف على هذه المجلة بقوله : "لما كان حضرة رفاعة بك ناظر قلم الترجمة بديوان المدارس ، هو المشار اليه بين ارباب المعارف بالبنان ، والمعترف بدرجة فضله الرفيعة كل انسان ، ناسب ان نجعل هذه الصحيفة تحت نظارته لتتحلى من معلوماته بالدر الثمين ، ويتشر علمها فيتلقاه محب المعارف باليمين .

والحق ان رفاعة الطهطاوى شخصية



من الشخصيات التاريخية التى تصنعها الظروف والأحداث لقيادة التحولات الحضارية فى لحظات حاسمة من تاريخ الامم .

شخصية تاريخية مشعة اسهمت فى تكوينها الجسدى والفكرى والروحى عناصر كثيرة :

● فهو صعيدى من طهطا .

● وهو ازهرى بدأ رحلة تعليمه فى الأزهر الشريف .

● وهو من اوائل المبعوثين الى فرنسا تعمق فى دراسة الحضارة الأوروبية .

وهذه العناصر المتعددة صقلته وارهفت ذوقه ، ، وفجرت طاقاته ، واصبح هذا الصعيدى الأزهرى ذو الثقافة الأوروبية رائدا من رواد تحولنا الحضارى ، وغدت مجلة "روضة المدارس" سلاحا من اهم اسلحته فى هذا التحول الحضارى .

وتحلقت حول "رفاعة الطهطاوى" مجموعة رائدة من العلماء والادباء والمفكرين والدارسين ، اسهموا معه فى تحرير المجلة ، وتأثروا به وبشخصيته المشعة الباهرة وتحولت (الروضة) الى معرض انيق عميق لكل هذه العقول الراجحة المستنيرة) .

= ٢ =

صدر العدد الأول من مجلة « روضة المدارس » فى شهر محرم من عام ١٢٨٧ هجرية ابريل ١٨٧٠ ميلادية ، ثم اوصلت الصدور ، وضمت الدراسات العلمية فى مختلف مجالات العلوم من رياضة وكيمياء وطب وعلوم عسكرية واجتماعية وزراعية .

واهتمت المجلة بالدراسات الادبية واللغوية ، وحفلت بالفكاهة والألغاز والروايات والقصص والشعر .

وقد غدت هذه المجلة رائدة فى عدة ميادين فكرية وعلمية وادبية :

● فعلى صفحاتها بدأت الحركة العلمية والفكرية تشق طريقها .

● وعلى صفحاتها كتب (حسين المرصفى) و (على فهمى) و (محمد سعيد) دراسات فى النقد الادبى ، تعتبر ريادة حسنة فى هذا المجال .

● وكتب (صالح مجدى) ماسماه " المقالات الأدبية" وهى فى نظرى بداية الأقصوصة فى أدبنا الحديث .

● ومن الممكن ان نلتمس فيما كانت تنشر من الغاز بذور الفكاهة فى الصحافة العربية .

● كما كانت رائدة فى تعريب كثير من المصطلحات العلمية فى مجال الطب والهندسة والعلوم العسكرية والزراعية والطبيعة والكيمياء .

● وقد استنت فكرة الملاحق في آخر اعدادها فكانت تنشر كتابا مؤلفا او مترجما ينجم على أعداد المجلة .

روضة المدارس
المجلة الرائدة

● واسهمت فى ترجمة روائع الفكر العالمى الى اللغة العربية .

= ٣ =

وكان للمجلة "مجلس تحرير" بالمعنى الحقيقى لمجالس التحرير ، وقد ضم مجلس تحريرها مجموعة من المتخصصين يكتب كل عضو فى مجال تخصصه .. من هؤلاء :

١ ـ على باشا مبارك وكان يكتب فى وصف البحار ومتعلقاتها الكلية والجزئية .

٢ ـ عبد الله بك فكرى ، ومجال تخصصه العلوم العربية "والفنون الأدبية" وذكر اساليب العربى فى النظم والنثر الرائع ، وايراد امثال وحكم يرتاح لها القارىء والسامع .

٣ ـ "بروكسن" ناظر مدرسة اللسان المصرى القديم ، ويكتب فى تاريخ العصور المتقدمة والمتأخرة .

٤ ـ "اسماعيل بك الفلكى" ويكتب فى الفلك والميقات .

٥ ـ (محمد قدرى) للجغرافيا والأخلاق والعوائد والمعاملات والاعتقادات العمومية .

٦ ـ (محمد بدر) للصحة

٧ ـ (احمد ندا) لعلم النبات .

٨ ـ (عثمان مدوخ) النوادر والالغاز والاحاجى والنكات .

٩ ـ (على فهمى رفاعة) ومجال تخصصه الكتابة عن القاهرة وشوارعها وحاراتها وميادينها ومنتزهاتها والموازنة بين القديم والجديد .

وقد اضيف الى اعضاء مجلس التحرير ـ بعد ذلك الشيخ حسونة النوادى ، ومصطفى وهبى ، ومحمد عثمان .

ولم يكن للمجلة مشرف فنى يتولى تنسيق موادها وتوضيبها كما نقول بلغة هذه الايام ، فكان رئيس التحرير هو الذى يتولى هذه العملية ، كما كان يتولى جمع المقالات واستكتاب الكتاب فى الموضوعات التى ليس لها مشرف يتولى كتابتها كما كان يناقش اعضاء مجلس التحرير وفيما يكتبونه من مقالات ، كما يتولى الاشراف على النواحى الادارية والتوزيع ، وغير ذلك مما تقوم به ـ الآن ـ ادارات متخصصة فى الحسابات والاعلانات والتوزيع .

= ٤ =

نشرت مجلة "روضة المدارس" كل الانواع الأدبية ، القصة والمقالة والشعر والطرفة الأدبية والنقد والدراسات الادبية .

ففى الشعر احتضنت مجموعة من الشعراء لم يستمر منهم سوى الشاعر صالح مجدى ولمع من بينهم الشاعر اسماعيل صبرى الذى شهدت « الروضة » بداياته الشعرية وكان الشعر الذى نشرته الروضة يدور حول ..

ا ـ المدح . وهذا الباب استغرق معظم القصائد التى نشرت فى المجلة .

ب ـ الرثاء ، وهو نادر جدا .

جـ ـ منظومات اخلاقية وادبية وعلمية .

د ـ شعر الألغاز والاحاجى وهو كثير .

هـ ـ الشعر الروحى وهو نادر .

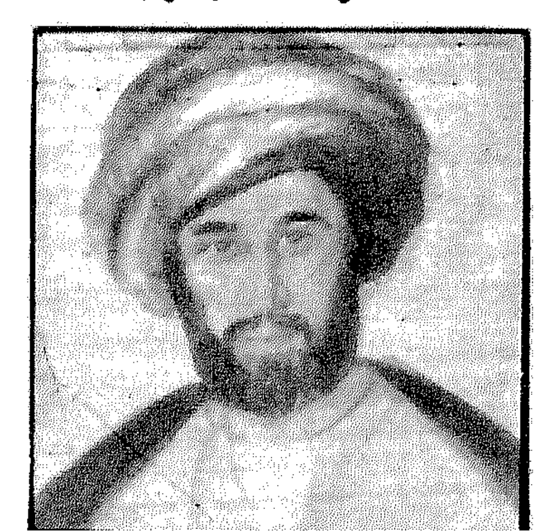
ولا نكاد نعثر فى كل مانشر فى المجلة على تجربة وجدانية لشاعر ، او تصوير

لنزعة انسانية ، ولهذا ظلت نار الشعر خابية ، ولم تشتعل الا بعد فترة طويلة من اختفاء الروضة ، وبعد ان جاشت الحياة الادبية بحركة البعث التى فجرتها الروضة من خلال دراسات المرصفى وزملائه حيث الهبت شوق الشعراء الى العب من الدنان المعطرة بعطور القدم وتقديمها فى اوان حديثه تلائم ذوق العصر ، وتحمل عراقة الماضى .

اما الانجاز الحقيقى لروضة المدارس فيتجلى فيما قدمته للحياة الأدبية فى مجال النقد والدراسة الادبية فلقد تفجرت على صفحاتها طاقات كبيرة اخصبت الحياة الادبية والفكرية ، واسهمت ـ الى جانب معاهد العلم وخزائن الكتب فى تطوير الفكر والثقافة ، وصياغة حساسية فنية جديدة ، تختلف عن تلك الحساسية التى كانت تسود الحياة الفكرية والأدبية ، واحدثت مناخا ادبيا جديدا اظهر مجموعة من الرواد والاعلام الذين رادوا حركة ، البعث فى مجال النقد والدراسة الأدبية .

وبدأت حركة التأصل الأدبى واللغوى تشق طريقها على صفحات المجلة بصورة جادة عميقة ، وعلى اسس علمية تختلف عن الطريقة التى كان يدرس بها الادب حينذاك . وهى طريقة تجمع بين التذوق

رفاعة الطهطاوى



الفنى العميق ، والشرح اللغوى الدقيق ، والتأصيل النظرى الجاد ، ومن خلال هذه المناهج العلمية ، اعادوا عرض المناهج الأدبية التى عرفتها الحياة العربية فى عصور ازدهارها ، ونشروا نقولا كثيرة من النثر والشعر سددت الذوق الأدبى ، وأغنت الحياة الادبية .

ونشير فى هذا المجال الى الشيخ "عبد الهادى نجا الابيارى" الذى نشر فى الروضة مجموعة من الدراسات الأدبية والنقدية .

كما نذكر الرائد مصطفى جميعى الذى اهتم بنقد الشعر .

وهناك دراسات نقدية اخرى مثل دراسات عبد الله فكرى ومحمد عسكر وعلى محمد الببلاوى .

ونتوقف عند دراسة للشيخ "عثمان مدوخ" بعنوان "نبذة فى الالحان والأغانى" ففيها يتجلى الوعى الدقيق بالتجديد .

ولعلها اول دراسة مقارنة فى مصر فى الأدب الحديث تتناول موسيقى الشعر على ضوء دراسة الموسيقى

هناك دراسات كثيرة اخرى نشرتها (مجلة روضة المدارس) فى مجال النقد والدراسات الأدبية لايتسع المجال فى هذا المقال لحصرها واستقصائها ودراستها .

وسنكتفى بالاشارة السريعة الى كتابين هامين نشرا على صورة مقالات فى مجلة روضة المدارس

● الكتاب الاول هو "ارتياد السعر فى انتقاد الشعر" للرائد محمد سعيد

● والكتاب الثانى هو "الوسيلة الأدبية" بجزئيه ونشر فى المجلة على اعداد كثيرة ومؤلفه هو "حسين المرصفى" .

روضة المدارس
المجلة الرائدة

اما الكتاب الأول فهو اول كتاب فى مصر فى العصر الحديث يتناول نقد الشعر ويستخدم مصطلح "انتقاد الشعر" وعلى الرغم من اعتماد الكتاب على النقول العربية القديمة - شعرا ونقدا - فانه يهتم بالذوق الحديث وفيه اشارات الى اهمية الخيال ، والطبع ، وفيه حديث عن عملية الابداع والتاثير الفنى ، كما تناول قضية "اللفظ والمعنى" و "الطبع والصنعة" ، وفى الكتاب نظرات جمالية تسمى :

- القيم الجمالية للعمل الفنى ، من حيث رشاقة الألفاظ ورقتها وعدم خشونتها
- والتلاؤم والتناسب بين الالفاظ والمعانى والتى تجعل للعمل الفنى وحدة عضوية .
- وتهيئة الظروف النفسية لمبدع العمل الفنى بتخير اوقات مناسبة ،والوقوف عند البواعث النفسية التى تشعل الرغبة واستغلالها .

ويكفى هذا الرائد انه افرد كتابا خاصا لنقد الشعر واعتبره تجربه ادبية هامة يجب الاحتفاء بها ودراستها .

وللأسف غاص هذا المؤلف وكتابه فى غياهب المجهول ولم يذكره احد ! . اما الكتاب الثانى فهو الكتاب الذى بدأت تنشره روضة المدارس منذ العدد الرابع من السنة الثانية وهو عبارة عن ملخص الدروس الادبية التى كان يلقيها حسين المرصفى على طلبة دار العلوم .

وقد تحولت هذه الدروس الى كتاب صدر باسم "الوسيلة الأدبية" فى عام (١٢٨٩ هـ) (١٨٧٢ م) .

وحسين المرصفى من اهم الشخصيات الأدبية ومن اهم الدارسين الذين مهدوا الطريق ، بل لعله الاب الروحى لكل الأدباء والمفكرين الذين حاولوا التجديد فى حياتنا الأدبية والفكرية منذ مطلع القرن العشرين ، فقد وضع امامهم نواة التجديد منذ الربع الاخير من القرن التاسع عشر وكانت دروسه التى ينشرها فى روضة المدارس نواة لكتابه "الوسيلة الادبية" الذى اثر فى اعلام حركة النقد العربى الحديث .

ولعله اول ناقد ادبى حول الدراسة الادبية العميقة الى مقالات تنشر فى المجلات .

ولعله اول اديب ينشر مقالات ادبية فى مجلة ثم تنشر بعد ذلك فى كتاب .

ولاشك ان طه حسين واحمد حسن الزيات ومصطفى صادق الرافعى واحمد امين ، كانوا ينظرون الى هذا الرائد العظيم ويتأثرون خطاه ، وهم يحولون مقالاتهم الى كتب بعد نشرها فى مجلات .

ولست ادرى هل مجلة روضة المدارس هى التى منحت هذا الشيخ الجليل شهرته وافادته وجعلت اسمه يسبح فى ضوء الحياة العامة ؟ ام ان المرصفى هو الذى ساند (الروضة) بمقالاته ودراساته واكسبها قيمة وجعل لها منزلة رفيعة بين القراء ؟

ويمكن ان نجيب على ذلك بان المرصفى افاد من الروضة كما افادت منه ، فلقد كان اهتمامها به من اهم الانجازات التى قدمتها للحياة الأدبية والفكرية لافى مصر وحدها ، بل على امتداد الأرض العربية كلها ، وقد كانت الروضة ذائعة فى

دنيا العرب فاحتفت بمقالاته وافردت لها صفحاتها الأولى .

والذين يستوعبون كتاب (الوسيلة الأدبية) يدركون ان المرصفى لم يكن ناقدا بالمعنى التقليدى الذى شاع فى عصور التخلف والعجمة ، بل لعل اشواقه الفكرية وطموحه الثقافى وتذوقه الجمالى المرهف ، دفعته الى رؤية نقدية متكاملة وبهذا يكون رائدا للنقد العربى الحديث وتكون مجلة روضة المدارس هى المنبر الذى هيأ له هذه المنزلة الرفيعة ، ولا اظن كتابا ادبيا فى مصر نشر ملخصه فى حلقات طوال سبع سنوات غير (الوسيلة الادبية) ومن هنا اخذ حظه من الذيوع والانتشار .

وبذلك تكون روضة المدارس قد اسهمت بصورة عملية فى تغيير الذوق الأدبى والحساسية الفنية بنشرها هذا الكتاب الادبى الهام الذى اثر بصورة كبيرة فى التحول الادبى والفكرى ، وتتلمذ عليه كل رواد النهضة الأدبية الحديثة .

= ٥ =

ونشرت مجلة (روضة المدارس) الى جانب هذه المواد الادبية موضوعات فى الطب والرياضيات والهندسة والطبيعة والكيمياء والصيدلة والزراعة والنبات والجغرافيا والميقات والارصاد والفلك وغيرها من الموضوعات العلمية التى تخرج عن نطاق هذا المقال الادبى .

ومن المفارقات الطريفة ان هذه المجلة الرصينة الجادة كانت تنشر الطرائف والنكات والفكاهات والالغاز .

واهتمت روضة المدارس بنشر الاقاصيص والروايات مؤلفة ومترجمة ولاعجب فى ذلك فالمشرفون عليها رواد فى هذا المجال . فعلى مبارك الف رواية فى اربعة اجزاء سماها "علم الدين" . ورفاعة الطهطاوى كان اكثر اهتماما بالقصة والرواية فى الآداب الأوروبية ، فقد قرأ منها الكثير ووقف على ملامحها واسسها الفنية ، ولولا مشاغله لألف وترجم الكثير من الروايات والاقاصيص وفى فترة من فترات حياته عندما نفى الى السودان ترجم رواية الكاتب الفرنسى "فينلون" "وقائع تليماك" وسماها "مواقع الأفلاك فى وقائع تليماك" ولذلك اهتمت الروضة بهذا اللون من الابداع الادبى ونشرت للرائد "محمد عثمان جلال" "النكات وباب التياترات" خلط فيه بين الفكاهة والرواية .

ونشر صالح مجدى مجموعة كبيرة من الاقاصيص كان يسميها المقامات ومنها "الجزاء من جنس العمل" و "فى اليسر بعد العسر" و "تلك الايام نداولها بين الناس" وغيرها من المقامات التى اعتبرها بداية الاقصوصة فى الادب العربى الحديث .

وقد مصّر ميخائيل عبد السيد رواية انجليزية وسماها "سلوة الوحيد فى قصة فريد" ونشرها فى الروضة .

= ٦ =

وهكذا انصهرت فى تلك المجلة البوتقة كل التيارات الفكرية والادبية والسياسية التى كانت تموج فى الساحة الادبية والثقافية فى مصر طوال القرن التاسع عشر وطبع ذلك التحول الحضارى بالطابع الاصلاحى الذى راده رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك وعبد الله فكرى وصالح مجدى وغيرهم من رواد المدرسة الاصلاحية الكبرى التى كان لها اعظم الآثار فى بعث نهضتنا الفكرية الحديثة ●

١٨٩٢
يوم
صدر
الهلال

إغلاق الأستاذ وبقاء الهلال

وعنف الثورة وهدوء التنوير

بقلم: ربيع شتا

فى عام ١٨٩٢ ، وفى مدينة القاهرة وبعد عشرة أعوام من إحتلال بريطانيا لمصر اصدر عبدالله النديم مجلة «الاستاذ» التى استمرت قرابة العام قبل ان يصدر قرار بتاثير كرومر المعتمد البريطانى بغلقها ، وبنفى عبدالله النديم الى «يافا» .

وفى العام ذاته ، وفى الظروف نفسها ، اصدر جرجى زيدان مجلة الهلال التى ظلت تصدر حتى اليوم الذى نقترب فيه من مرور مائة عام على ميلادها .

فهل تسمح لنا هذه الواقعة بان نقف امامها ، وان نستنتج منها بعض المعانى والدلالات حول اسرار نجاح مجلة وتوقف اخرى ؟ اذا كان استمرار صدور مجلة مائة عام هو معيار النجاح ، واذا كان توقف مجلة ـ بغض النظر عن الاسباب ـ يحمل معنى من معانى الفشل ؟

أم ان المقارنة بين الواقعتين اصلا خاطئة لان اسس المقارنة ليست متوافرة ، والمسالة اخطر من مجرد الربط بين مجرد الظواهر .

واذا كان القارىء اليوم يجد بين يديه مجلة «الهلال» فى مختلف مراحل عمرها المديد حتى ليمكنه ان يحكم على اسرار نجاحها فى الاستمرار فماذا عن مجلة «الاستاذ» ؟

الاستاذ

﴿ جريدة علمية تهذيبية فكاهية ﴾

تأسست سنة ١٣١٠

العدد الأول

﴿ تصدر يوم الثلاثاء من كل اسبوع ﴾

مدير الجريدة عبد الفتاح النديم الادريسي

محرر الجريدة عبدالله النديم الادريسي

قيمة الاشتراك بمصر ٨٠ قرشا صاغا وبالبلاد المصرية ٨٥ وبالخارج ٩٠ والمكتب يقبل الاشتراك سنة وستة اشهر وثلاثة اشهر ويجب الاشتراك اوائل الشهور العربية ولا يقبل رسائل الا اذا كان يهم المكتب وصاحبه مدير الجريدة كما لا ترسل الجريدة الا لمن يدفع القيمة

يوم الثلاثاء اول صفر سنة ١٣١٠ و١٩ مسرى سنة ١٦٠٨ الموافق ٢٤ اغسطس سنة ١٨٩٢

﴿ طبع بمطبعة (المحروسة) بمصر بسراي صندوق الدين القديم سنة ١٨٩٢ ﴾

لعلها تكون دعوة الى التامل والتفكير قبل ان تكون دعوة الى التعجل فى اصدار الاحكام، وحتى نعطى لهذا التامل فرصته فاننا نقدم فى الصفحات التالية، بعض صفحات من رواية «العودة الى المنفى» للكاتب ابو المعاطى ابو النجا التى صدرت طبعتها الاولى فى روايات الهلال سنة ١٩٦٩ تقدم للقارىء صورة حية عن: كيف صدرت مجلة الاستاذ؟ وكيف تحاورت مع ظروف عصرها ومجتمعها وقضايا ذلك المجتمع؟ وكيف ولماذا اغلقت؟

واسبوعا بعد اسبوع كان اللقاء يتم بين الماضى والحاضر بين الجزء والكل بين الاستاذ والناس؟

وقال بعض الناس مدرسة اخرى جديدة من مدارس نديم!

واكمل البعض الآخر بعد ان اصبح غير قادر على افتتاح المدارس

وكان فى كلام الجميع بعض الحق، لقد بلغ نديم الخمسين من عمره لو سمحت لى صحته برحلات جديدة يفتتح فيها الجمعيات والمدارس، فهل يسمح له الانجليز؟ .. ولم يبق امامه سوى ان يجعل من مجلته مدرسة بلا اسوار، وباجر زهيد، وهو وحده كل من فيها من المعلمين، وأن يجعل من قضية الشعب مرة اخرى مشكلته الشخصية . ودرسه المفضل، وان يمزج على طريقته بين ما يريد ان يقوله، وما يريد الناس ان يسمعوه؟

وهكذا، وعلى نحو هادىء عادت الى الحياة هذه المجموعة من صعاليك نديم وشخصياته «حبيب والمعلم حنفى وسعيد وبخيته . وحنيفة ولطيفة ودميانه، وزبيدة ونبوية، وعمارة والزناتى» . فلاحون وصناع وخدم وزوجات، وأزواج، وبنات وتلاميذ! شخصيات قديمة وشخصيات جديدة، تثرثر وتتشاجر وتشكو وتضحك وتعانى وتعكس مشكلات الحاضر والماضى، وتبحث عن طريق للخلاص .

كل هؤلاء هم جيش نديم قبل ان يصبح جيش الدولة، اداته لتحقيق الثورة والتقدم، واذا كان جيش الدولة قد هزم، واذا كانت الدولة الآن خاضعة لجيش الاحتلال، فاى شىء يمنعه من ان يعود لقواعده من ان يجمع فلول جيشه الشعبى!

لكن لاية معركة؟

للدفاع عن انفسهم! ففى الواقع ان جيش نديم الشعبى قد تعرض هو الآخر لهزيمة من نوع اشد!

إغلاق الأستاذ وبقاء الهلال

ذلك ان الدولة التى هزمت الجيش المصرى فى «التل الكبير» لم تقنع بهذا النصر العسكرى . لقد خلع الأوربى المنتصر خوذته ووضع سلاحه جانبا ، وارتدى بذلة من نوع ردىء وتمنطق بمريلة بيضاء ، وتسلل الى مراكز مصر وقراها يفتح هنا وهناك محلا تجاريا يعرض بضائع اوربا ، وبجواره برميل من الخمر الرديئة وامام الدكان بضعة مقاعد من القش سوف تكون نواة لمقهى تخدم فيه زوجته او ابنته زبائنه من القرية او المدينة ، وبجواره ايضا خزانة حديدية سوف تكون نواة لبنك صغير يجمع رأس ماله من زبائن الدكان والمقهى ثم يعيد اقراض نفس الزبائن نفس الأموال بافظع نسبة من الربا وفى وقت قريب يصبح هذا الوافد الغريب المالك الحقيقى لأرض القرية وعقار المدينة .. كانت البذرة التى بدا نديم حربها فى الماضى قد اصبحت غابة مظلمة ، وكان جيشه الشعبى قد اوشك يفقد ثروته . وهى سلاحه ، ثم انه يوشك الان ان يفقد شخصيته ووطنه ، وقديما كتب نديم : ان من فقد المواطن فقد الوطن واذ كانت هذه المجموعة من صعاليك نديم وشخصياته تصنع فى النهاية شخصية مصر ، فقد كانت مصر تفقد هذه الشخصية عاما بعد عام ، ودون حرب وهى تلبس ، وهى تاكل ، وهى تتكلم ، وهى تتعلم . وهى تشترى ، وهى تبيع ، وهى تسكر ، وهى تمرح !

وكان على نديم ان ينقذ هذه الشخصية من الانحلال لتصبح قادرة على مواجهة الاحتلال وصنع التقدم !!

ها هو الصوت القديم يعود ، والحوار يتجدد . وانفاس الحشد وعيونه تومض وتلتهب بنفس البريق والحرارة من بعيد .

ولقد تبددت الحشود ولكن لاشيء يجمعها من جديد مثل الكلمة الصادقة .

كان نديم قد بدا يشعر بان شيئا ما يتحرك تحت سطح الحياة المصرية الساكن . بدا هذا الشىء فى رسائل القراء التى كانت تخزه هى الأخرى باسئلة حائرة .

ـ هل اصبح رجلا كل ما يقدر عليه هو ان يلهو بالكلمات

ولم يكن نديم بعيدا عما يقوله الخديوى الشاب ، ولا ما يفعله ولكنه كان دائما يفكر فيما ينطوى عليه سلوك ذلك الفتى الذى يبلغ الثامنة عشرة من عمره . وفيما تنطوى عليه ردود فعل المعتمد البريطانى الداهية ، اللورد كرومر لهذا السلوك !

وكانت ثمة مباراة خفية بين العواطف الملتهبة لفتى حالم ، وجد نفسه فجاة حاكما لبلد يحكمه غيره ، وبين عقل بارد مجرب لرجل قدر له فى وقت واحد ان ينفذ فى مصر سياسة الامبراطورية البريطانية وان يروض ذلك الفتى الغر !

وكان نديم يرقب المباراة باعصاب قلقة ، تزداد توترا كلما راى تاثيراتها على جماعة اخرى من الشباب من تلاميذ مدرسة الحقوق كان نديم يلتقى بهم فى منزل «لطيف بك سليم» احد اعضاء الحزب الوطنى القديم !

وكان نديم يشعر ان هذه المجموعة التي يتزعمها فتى نابه السمة «مصطفى كامل» هي الأرض الطيبة التي كان يبحث عنها لبذوره ، لقد ارتضع هذا الفتى روح نديم ومنطقه لا في موهبة الخطابة وحدها بل وفي موضوعاتها كذلك ، وكانت اول خطبة له في قول جمعية عن «فضل الجمعيات في العالم» وفتح له نديم قلبه ، وقال له كل مالم يقدر على كتابته انذاك ، عن قصة الثورة التي كان احد صانعيها وشهودها ، ولكن هذه الأرض الطيبة كانت تهتز هي الأخرى بكل ما يفعله الخديو ويقوله ، كان في مثل سنهم ومنطقه اقرب الى عقولهم ، وكان بمقدورهم ان يلخصوا الأمور احيانا في مثل هذه الصورة المقنعة في بساطتها !!

لقد حكم الانجليز مصر لعشر سنوات من خلال اقنعة مصرية من امثال رياض ونوبار ومصطفى فهمي ، ولكن لو مارس الخديو الجديد حقه الشرعي في اختيار رجل حقيقي لمنصب رئيس الوزراء فلن يكون امام الانجليز الا ان يرضخوا فتكون تلك خطوة جبارة . او يعارضوا فتنفضح امام العالم دعاواهم القديمة والجديدة . بانهم جاءوا لتاييد الحاكم الشرعي ، وبقوا لان الحكومة تقدر لهم صنعهم في اقرار النظام . لقد افاد الانجليز من استسلام الخديو السابق اما الان فيمقدور الخديو الجديد ان يكشف حقيقة تسلطهم في مصر امام العالم . وبالتاكيد ستلقى مثل هذه الخطوة تاييد الشعب وتاييد فرنسا وروسيا وتركيا في نفس الوقت !!»

وكان بمقدورهم ايضا ان يضيفوا في فورة الحماس وهم يخاطبون نديم :

- الست ترى ان ظروفنا تختلف عن ظروفكم كنتم تواجهون الخديو والانجليز معا ، اما نحن فمعنا الخديو ، وهو قوة عرف الانجليز كيف يفيدون منها في الماضي ، وسنعرف كيف نفيد منها الآن .

● الأستاذ والمعركة

وقال نديم لنفسه هذا الصوت اعرفه . ربما لم يكن صوتا لعله صدى الصوت ، صوته ، وفي كل مرة ارتفع فيها صوته كان يرتفع ايضا ذلك الصوت المضاد بنفس الدرجة وبعكس الاتجاه !

اول مرة سمع فيها هذا الصوت كانت حين بدأ يتحرك في اتجاه الاقاليم ، وقد جاء مجهول المصدر ، يتناقله الناس ، ويهمسون به في شك :

- هل صحيح ان الاستاذ ستغلق وانك ستنفى من جديد ؟

- ولكنني معكم الان ، الا ترون مدى كذب الاشاعة ؟

وبدت الصورة وكانه لاشيء يتغير كثيرا : لا الخير ولا الشر ، قد يتغير الاشخاص والاسماء . واذا حرص الانجليز دائما على ان يكون هناك ايضا من يكتب باسمهم من المصريين ، فقد حرصوا على ان يكون هناك ايضا ما يكتب باسمهم في الصحف باللغة العربية ، وكانت جريدة المقطم هي التي تقوم بهذه المهمة ، ولقد بدأت معركتها مع نديم همسا بالاشاعات . ثم جهرا بالمقالات . تتهمه بانه يريد ان يشعل النيران القديمة ويحرك الغوغاء ضد الانجليز الذين جاءوا ليقروا النظام والمدنية في بلاد سادها التخلف قرونا ،

إغلاق الأستاذ وبقاء الهلال

وان نشاطه الاجتماعي ليس الا ستارا لاخفاء نشاطه السياسي الدامي لاشعال ثورة جديدة قوامها التعصب الديني المقيت !!

وضبط نديم نفسه في مواجهة هذه الحملة ، وبلغة هادئة رصينة راح يكتب تحت هذا العنوان «انما يقبل النصحية من وفق !»

وظل نديم يستخدم نفس اللغة الهادئة الرصينة ، لم اختلفت كلمتنا اذا اتحدت وجهتنا ولكن لا احد يريد ان يعي او يثوب !!

ولم يفقد نديم الصبر وان فقد الامل ، فكتب بلغة اكثر عنفا «اتتقلب الامم بتقلب الأحوال ونحن نحن؟؟» ولم يكن هناك من يسمع !!

ولم تكن المعركة التى يتكلم فيها نديم بلسان الشعب ويتكلم فيها اصحاب المقطم بلسان الانجليز ، الا المناوشة التى تسبق الحرب الحقيقية ، وقد بدات هذه الحرب حين ارسل الخديو الى رئيس وزرائه مصطفى باشا فهمي من يقنعه فى لباقة بأن يقدم استقالته ولكن الباشا الذى كان فى دور النقاهة من مرض الم به راح يقنع مندوب الخديو بانه من الخير لمولاه ان يستشير فى هذه المسالة الخطيرة سير افلن بارنج لورد كرومر !

وكان مثل هذا الرد وحده ، ودون كل ماسبقه من مواقف كافيا ليقبل الخديو مع «مصطفى فهمى» وزيرين اخرين للمالية والحقانية لما عرفا به من ميول للانجليز وان يعين حسين فخرى» باشا رئيسا للحكومة ودون ان يستشير السير افلن بارنج .

وهبت العاصفة ..

واسفرت المعركة عن نصف الفوز لكلا الجانبين ، لقد تراجع «كرومر» عن اصراره على اعادة مصطفى فهمي وقبل الخديو استقالة حسين فخرى باشا وعين بدلا منه رياض باشا ، ولكن هذا النصر الجزئى ، الذى اعاد الروح للشعب وجعل من الخديو الشاب بطلا ودفع بطوائف الامة الى قصر الخديو فى مظاهرات اعادت الى عينى نديم وقلبه احب المشاهد والذكريات : هذا الموقف الجديد دفع «نديم» لأن يبحث لقلمه عن لغة جديدة ، لغة تكمل هذا النصر الجزئى ، لغة لا تكتفى بفضح خداع الانجليز امام العالم ، بل وتفضح من يحاولون رغم كل ما حدث ستر هذا الخداع ، وكانت جريدة المقطم التى احرقها الشعب لا تزال تنفث احقادها هذه المرة بعنف اشد ، فتهاجم المظاهرات وتتحدث عن الفوضى التى تهدد البلاد وعن قصور المصريين عن حكم انفسهم !

وكتب نديم فى مرارة :

اى مانع يمنع المصريين من المطالبة بحقوقهم بالمظاهرات الادبية ؟ اصرنا اقل درجة من فعلة الانجليز والغزالين الذين تعصبوا لحقوقهم ، وتجمعوا لراحتهم ؟»

وكتب مرة اخرى :

«وهل يعد حضور وفود الأمة لتعبر عن تاييدها لحقوق الامة الوطنية والدستور اخلالا بالأمن .

ومن الغريب اننا نسمع عن اوربا أن النهليست تظاهروا وفتكوا بالملك ، والسوشياليست فعلوا كذا ، والكمون فعلوا كذا ، ثم من العجب الا يعد سعى الاضراب فى قلب الدول ، ولا قتل القيصر ولا هدم الاماكن بالديناميت تهديدا للأمن ، وتعد زيارة الأمة لاميرها تشويشا للافكار ، وسلبا للأمن العام موجبا لزيادة الحامية !»

وكان بمقدوره ايضا ان يذكر الانجليز بانهم برروا احتلالهم لمصر بدعوى تأييد الحاكم الشرعى ، وانقاذه من تسلط العسكريين وانجلترا الان هى التى تسلب الحاكم الشرعى ابسط حقوقه وفى الوقت الذى لا يستند فيه هذا الحاكم على غير قوة الشعب الأعزل تقرر هى زيادة حاميتها لتواجه بها قوة الشعب !

وكان بمقدوره ايضا ان يواصل السخرية بالانجليز فى الوقت الذى يخاطب فيه المصريين بهذه اللغة :

«اننى ارجو من مواطنى ان يجعلوا كلامهم فى الاحتلال كلام الحكماء الذين يبحثون الحقائق بفكر صائب ، فان انجلترا دخلت لتأييد الخديوى ، ووضع حكومة ثابتة كمنشورها الدولى ، ولم تقل يومها انها دخلت بقصد الاستيلاء على بلادنا ، وعللت الجلاء باتمام ما دخلت من اجله ، وهى الآن بعد عشر سنوات ترى الحكومة غير نظامية ، وما ذلك الا لانها وضعت معظم اداراتها فى ايدى الاجانب . ولم تمكن المصريين من اصلاح بلادهم تحت مراقبتها فاختلت البلاد فان كان مرادها افساد البلاد فقد افلحت ، اما اذا كانت تريد اصلاحها ، وتسليمها لابنائها فكيف يحدث ذلك وهى لا تستعمل ابناءها فى الحكم ، وتبعدهم عن الادارات ؟

وكان ذلك المقال العنيف الذى قد يكلفه مجلته : هو الذى يشفى القروح القديمة ويلهبها فى وقت معا !

ولكن هل كانت انجلترا تتركه يعيد جمع فلوله المبعثرة ؟ وهل كانت تسمح له بهذا الحق وهى التى تنكر على الخديو اوضح حقوقه ؟ كانت تلك احجية اخرى لا يستطيع نديم ان ينشرها ضمن احاجيه الكثيرة التى يسلى بها قراءه فى مجلته ؟ ولكنها على كل حال احجية تتحدى فكره ، وكان هو نديم الذى يلتمس ذاته القديمة ، وداخل تلك الهيئة التنكرية التى لم تخدعه ، ولم تخدع الاصدقاء ولم تخدع الاعداء .. تلك العمامة الخضراء والكاكولة الغامضة والقاب الشرف والسيادة .. كان هو نديم الذى راح يبحث عن حل لهذه الاحجية .

ثم ان جرثومة الجمعيات بدات تنتشر ، وخطى نديم بدات تسرع من جديد فى تكوين عصبية جديدة من فلول جيشه الشعبى ، وبلهفة الرجل الذى يدرك ان سنوات العمر الباقية ، لم تعد تغرى بالاحلام البعيدة راح يكتب وكأنه يسجل وصاياه ويتحرك كالمطارد ، ويرقب عن كثب تطور الأمور بين الخديوى وكرومر ويصاب بالدهشة حين يجد ان مستر افلن بارنج يحاول هو الاخر ان يصطنع نفس الاسلوب ويؤلف حوله عصبية من الشعب فهو يتقرب من الناس ولا يخجل من ان يخيفهم من عودة الاستبداد التركى

إغلاق الأستاذ وبقاء الهلال

القديم في شخص الخديو الجديد لولا وجود الانجليز بتقاليدهم الديمقراطية العريقة !

ولا يتردد نديم فى ان يواجه معركة التضليل الجديدة فيغمس قلمه فى نفس المداد القديم ويكتب هذه المرة على لسان المواطن الحائر :

هذه يدى فى يد من اضعها ؟ ثم يجيب : ضمها فى يد وطنك ، والا فاقطعها خير من وضعها فى يد اجنبى يستميلك اليه بوعود كاذبة ، وحيل واهية ، حتى يخدعك به ، فتكون عونه الاكبر على ضياع حقوقك ، واذلال اخوانك واحتلال بلادك !!

وجاءه من يقول له فى قلق :

ـ انت تستعجل النهاية لنا ولك !

ـ نهايتى لاتهم ، واذا كان وجودكم سوف يتوقف على وجودى فلن يكون هناك ما اسف عليه .

وكان ثمة شىء يشتعل فى داخله يشتعل بما يكتبه اصحاب المقطم وبما يزعمه كرومر وبما يجده فى صدور حفنة الشباب من تطلع وحماسه .

وجاءه من يقول له :

ـ سيغلقون الاستاذ .

ولم تكن هذه اشاعة هذه المرة ، فقد انذر رياض باشا «الاستاذ» ولم يعبا نديم بالانذار وكتب ان الاستاذ متمتع بالحرية التى تتمتع بها البروتستانت فى نشر جريدة دينية باللغة العربية تتكلم عن الدين المسيحى بحرية تامة ، والتى تتمتع بها صحف الاجراء فى تكلمهم عن احوالنا بما تهواه نفوسهم» .

ونجح نديم فى ان يجمع حوله الصحف الوطنية فى جبهة قوية لتواجه الصحف الاجنبية التى تصدر فى مصر وانجلترا والتى بدات تستشعر خطر الاستاذ وترمى نديم باثارة التعصب الدينى ، وتتهدد وتتوعد .

ولم يتردد فى ان يواجه كل الاعداء فى كل الجبهات ، وكتب فى ضراوة «اننا لم نسمع ان مسلما دخل اوربا لدعوة اهلها للاسلام ولا ان جمعية عقدت لنشر دين الاسلام بين النصارى ، ولكننا نرى ونسمع هذا كله فى اوربا ، ومع ذلك يقول عنا ذوو المطامع الملكية اننا متعصبون تعصبا دينيا» .

كان ذلك هو نديم المقاتل حين يحاصره الاعداء ، وكان كل شىء يصلح لان يكون بداية او نهاية ، وكانت الاحجية التى تصدى لحلها توشك ان تحل على طريقته او طريقتهم ، لقد تكرر انذار نديم ، وتكرر رفض الخديو للتخلى عن رجله وعن موقفه وكتب نديم اخطر مقالاته دون ان يدرى انه سيكون اخرها ايضا . وشفى صدره قبل ان يضمه على اعمق الجراح ، لقد صدع رياض بأمر سير افلن بارنج ـ وكان نديم كما كان الخديوى الشاب يخسران اخر

مواقعهما ـ فامر باغلاق الاستاذ ونفى نديم .

والآن ـ وفي ضوء هذه النظرة على رحلة مجلة الاستاذ ـ هل يمكن ان نقول : أن التعويذة السحرية التى هيات لمجلة الهلال فرصة الاستمرار الى جوار اسباب اخرى كثيرة لتحتفل بعيد ميلادها المئوى هو انها اختارت ان تقف عند حدود دور التنوير الذى جعلها لا تصطدم بسلطة الاحتلال في ابانه ، ولا بأى سلطة اخرى من بعده ؟!

وهل يمكن القول بان «الهلال» لم تكن النقيض «للاستاذ» بل كانت امتدادا لجزء منها او بذرة فيها ، وانها كانت بطريقة ما تعبر عن الرؤية التى انتهى اليها محمود واصف احد تلاميذ نديم حين قال عن مجلة الأستاذ :

«اهم شيء فيها هو تلك السلسلة التى تسميها مدرسة البنات ومدرسة البنين» ثم اضاف :

«ولو قدر لى ان ابحث عن بداية فلن تكون سوى نقل برامج هاتين المدرستين الى احد المنازل في شوارع الاسكندرية» .

وهل يمكن ان نقول ايضا ان الهلال باختيارها لدور التنوير كانت تعبر عن جزء هام من نفس نديم الذى كان يجد عسرا ، الغا حين يحاول ان يوضح لاصدقائه وتلاميذه من جيل الشباب .

ـ وهم يستعجلون وقوفه بجوار الخديوى عباس حلمى الثانى فى تصديه للانجليز فى بداية عهده ـ ان قوة الخديو الحقيقية تقاس بمدى قوة شعبه وقوة الرأى العام في بلده وان عليهم ان يفعلوا الكثير في صفوف الشعب حتى يمكنهم ان يجنوا الكثير من موقف الخديو» .

والمسألة ليست مفاضلة سانجة بين اسلوب التنوير واسلوب الثورة ، فكلاهما مطلوب فى حياة الامم والشعوب ، والفارق الوحيد ان التنوير مطلوب في كل وقت اما الثورة فهى كثمار اشجار الفاكهة تخدمها اعواما لتعطى ثمارها فى وقت معلوم وفى الواقع ان قراءة متانية للابواب والفصول والشخصيات التى كانت تتجه الى التنوير في مجلة الاستاذ قبل ان تهب عليها الرياح العاصفة تكشف ايضا عن ان للتنوير اكثر من طريق .

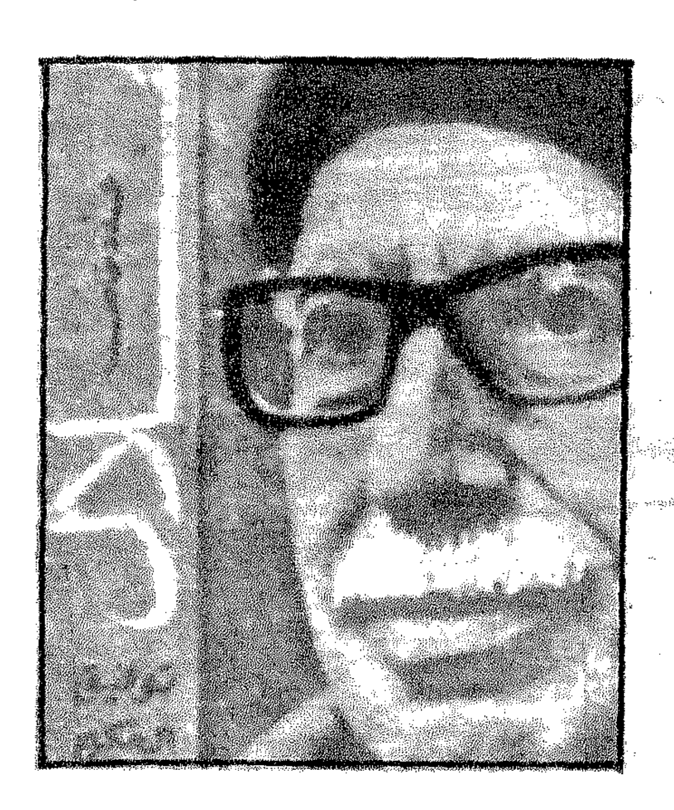
وقد تكشف المقارنة عن أن مجلة الهلال قد بدات رحلتها من بعض هذه الابواب لتقدمها بطريقتها الخاصة لمائة عام قادمة !

وفى النهاية ليست هذه فرصة لاصدار الأحكام بل لعلها دعوة الى التفكير والتامل فى طرق افضل للتنوير او للتثوير . فاذا كنا بعد ما يقارب مائة عام من محاولات التنوير والثورة نشعر بان التغير المأمول من اى منهما لم يصل بعد الى ضمير الفرد ، ولم يتخلل اعماق الجماعات فقد يكون الخطا فينا ، فى اسلوبنا للتنوير او فى طريقتنا فى الثورة !

الأعداد الخاصة من الهلال

عاطف مصطفى





تعتبر مجلة الهلال من اولى المجلات التى استنت فكرة اصدار اعداد خاصة في المناسبات ، ولم تكن هذه الفكرة مطروحة من قبل . ومن المناسبات التى التقطتها "الهلال" بذكاء مرور ٤٠ سنة على انشائها ، وايضا ٥٠ سنة ، ٧٥ سنة ، وكانت تحول هذه المناسبة الخاصة بها الى وسيلة توثق صلتها بالقراء وكانت تحسن اختيار المناسبات العامة ، فضلا عن ان الجهد الذى كان يبذل فى الاعداد الخاصة من تحرير واخراج كان جهدا كبيرا ..

●● على مدى ٩٩ عاما تنوعت الاعداد الخاصة فى تناول المناسبات القومية والشعراء القدامى والادباء المعاصرين .





●● كرمت الهلال نجيب محفوظ قبل حصوله على « نوبل » بثمانية عشر عاما .



الأعداد الخاصة من الهلال

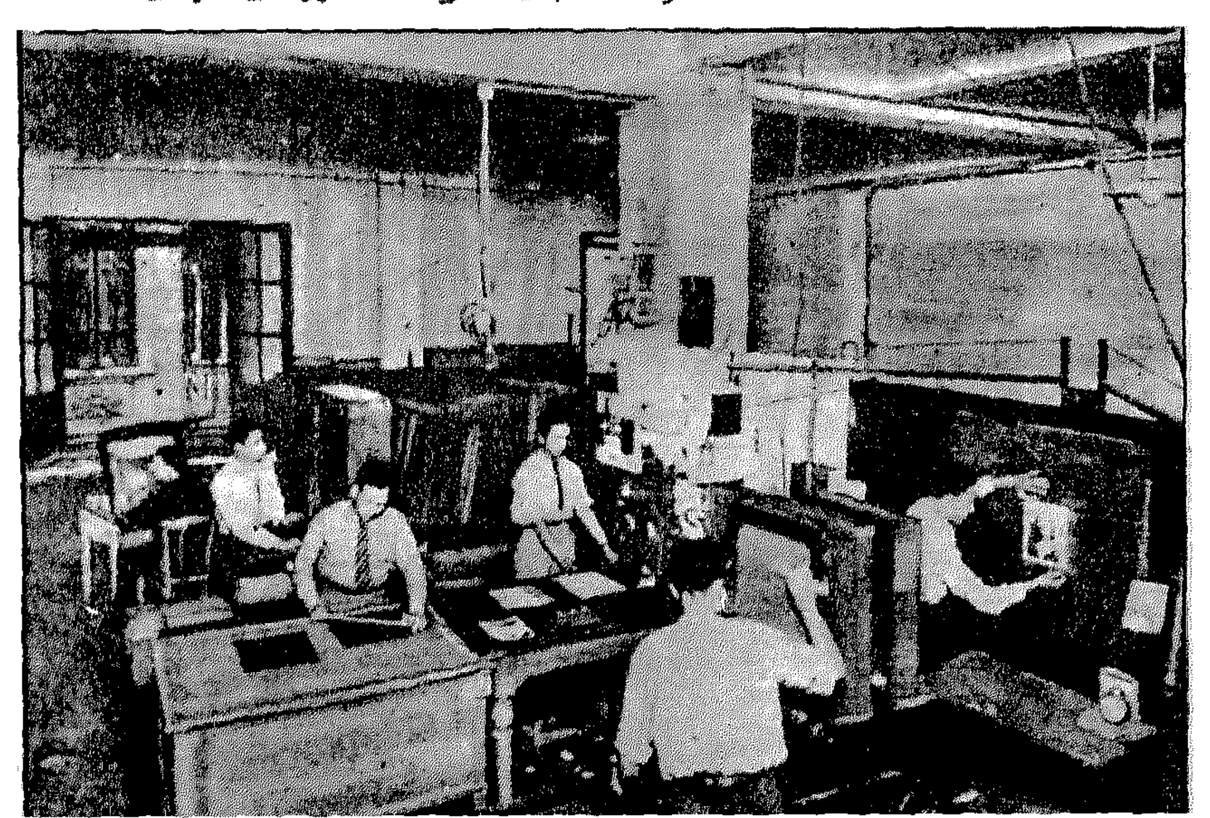
وعادة ماكانت الهلال تستكتب في اعدادها الخاصة شخصيات كبيرة، يزودوا المجلة بكتاباتهم قبل صدور المجلة بوقت كاف، فضلا عن اعداد مجموعة كبيرة من الصور، حيث تصدر من دار صحفية مزودة بامكانات الطبع الجيد، فكانت تحسن اختيار الصور المرفقة بالموضوعات، وقد اتى على دار الهلال حين من الدهر كان ارشيف الصور بها اغنى خزانة للصور الصحفية، ليس في مصر فقط، بل في المنطقة كلها، ولو ان المجلة الثقافية عادة لا تكثر من استخدام الصور، لكن مجلة الهلال كانت تستعين بالصور بشكل جيد، وهذا حدث قبل عشرات السنين من الاتجاه الحالي نحو استعمال الصور حتى في المجلات الثقافية، بعد ان توافرت امكانات تمثل طفرة في عالم الطباعة لهذه المجلات.

والعدد الخاص في الفن الصحفي يمثل وقفة متأنية أمام مناسبة او علم من الاعلام، وبالتالي فان العدد الخاص يعتبر من الموضوعات المرجعية، التي يرجع اليها الباحث والمثقف، لانها تحوي ما يمثل سجلا تاريخيا من الكلمة والصورة، فضلا عن انها تفتح مجالات للباحثين تصلح للرسائل الجامعية وتأليف الكتب، ومن هنا اهتم الباحثون في الجامعات بهذه الاعداد الخاصة.

وهذا النوع من الاعداد الخاصة كان موجها الى قراء بعينهم، يسيطرون على مصائر الحياة في مصر، في جوانبها المختلفة، ومن ناحية اقتصادية، هي التي كانت تشتري الهلال وتحتفظ به حتى لو لم تقرؤه.

على سبيل المثال بالنسبة للادب، كانت المجلة تأخذ في الاعتبار خلاصة المثقفين في دار العلوم والازهر وهي تكتب

قسم المونتاج بدار الهلال حركة مستمرة على مدى قرن من الزمان



لهم ما يفيدهم وينير الطريق لهم والاعداد الخاصة لون من التكريم يتجاوز اى تقدير مادى كانت تمنحه الدول ، ويعدل شهادة الدكتوراه الفخرية التى تمنحها الجامعات لمثل هذه الشخصيات واعتقد انهم كانوا يشعرون بسعادة بالغة فى اعماقهم ، كما أشار الى ذلك توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويمكن القول بأن جرجى زيدان صاحب الهلال كان له الفضل فى اصدار الاعداد الممتازة ، لانه كان فى الاساس مؤلفا ، ويعرف قيمة الكتاب المؤلف الذى يشترك في تأليفه اكثر من متخصص .

اختار جرجى زيدان اسم الهلال لانه يرمز الى الاقطار العربية والاسلامية التى وقف حياته على خدمتها وتوثيق الروابط بين شعوبها .

وقد اصدر الهلال فى السنوات من ١٩٣٢ الى ١٩٤٢ اعدادا خاصة تمشيا مع النشاط الفكرى والاجتماعى والسياسى فى مصر والاقطار الاخرى وبلغت ١٨ عددا تناولت اهم الموضوعات التى تشغل الاذهان فى المناسبات العلمية والادبية والسياسية .

ففى ابريل ١٩٣٩ اصدر الهلال العدد الذهبى بعنوان "العرب والاسلام فى العصر الحديث" وتضمنت المقدمة انه صدر ليكون سفيرا روحيا بين الشعوب العربية والاسلامية ، ومظهرا جليا .. لتعاون هذه الشعوب ، ومرآة واضحة لحياة العالمين العربى والاسلامى فى نواحى الثقافة والاجتماع والعمران .

تصدر العدد كلمات للملك عبدالعزيز آل سعود والملك غازى الاول والامير عبدالله امير شرق الاردن وهاشم الاتاسى رئيس الجمهورية السورية .

ومن بين الموضوعات التى تناولها هذا العدد الخاص "الاسلام والاخاء الانسانى للشيخ محمد مصطفى المراغى ، مصر قلب العالم الاسلامى بقلم الامير مصطفى الشهابى ، التعاون الاقتصادى بين الامم العربية لمحمد طلعت حرب ، الروابط السياسية بين الاقطار العربية .

وكان من كتاب العدد .. د. طه حسين ـ عباس العقاد ـ د. محمد عوض محمد ـ الاديب عبدالعزيز البشرى ـ د. زكى مبارك ـ عبدالرحمن شكرى ـ زكى طليمات ومن بين الاعداد الخاصة كتاب اليوبيل الاربعين ، وتضمن فصولا عن تأسيس الهلال ومؤسسه ، وعن الادوار التى مرت على الهلال منذ نشأته ، وعن الحياة الادبية فى هذه الحقبة ، ومقتطفات من احسن ما نشر فى الهلال فى خلال اربعين سنة

وضم العدد التطور الذى حدث فى ٤٠ عاما من خلال استفتاء لصفوة من

إصدارات دار الهلال فى كل مجالات الثقافة والادب العربى



الأعداد الخاصة
من الهلال

المفكرين منهم خليل مطران ومحمد فريد وجدى وابراهيم الهلباوى وداود بركات وعلى عبدالرازق وعثمان مرتضى وامين سامى ود. احمد ماهر ود. على ابراهيم وزكى طليمات ومحمود الحفنى واحمد صبرى ، وتناولوا مجالات الادب والعمران والاجتماع والمراة والصحافة وحرية الفكر ، والحركة الوطنية والتربية والتعليم والشئون الاقتصادية والطب والصحة والمسرح والموسيقى والتصوير والحفر .

ولكن كيف جاء تقدم الهلال على مدى اربعين عاما ؟

يقول اميل زيدان فى افتتاحية هذا العدد : اذا قيس تقدم المجلة بحجمها فلاشك ان الهلال قد تقدم ، فقد جاء العدد الاول منه فى ٣٢ صفحة ، وعدد اليوم يقع فى ١٦٠ صفحة ، واذا قيس تقدم المجلة بانتشارها فلاشك ايضا ان الهلال قد تقدم ، فان قراءه كانوا يعدون بالمئات ، وهم يعدون الان بالالاف فى مختلف الاقطار ، واذا قيس تقدم المجلة بجمال طبعها وتنسيقها ، فلاشك كذلك ان الهلال قد تقدم تقدما محسوسا ، ويكفى ان تنظر الى صفحاته وصوره ورسومه لتقتنع بصحة ذلك .

ويضيف : وعندما انشىء الهلال فى سنة ١٨٩٢ لم يكن لمؤسسه من ذخيرة يعتمد عليها غير عزيمته الصادقة ، ومع انه اختار الصحافة مهنة يرتزق منها ، فقد كانت تدفعه الى العمل الصحفى رغبة اكيدة فى خدمة الجمهور ورفع المستوى الذهنى والخلقى وتضمنت افتتاحية العدد طموحا خاصا وهو ان يكون الهلال احد حاملى رسالة التجديد الروحى .

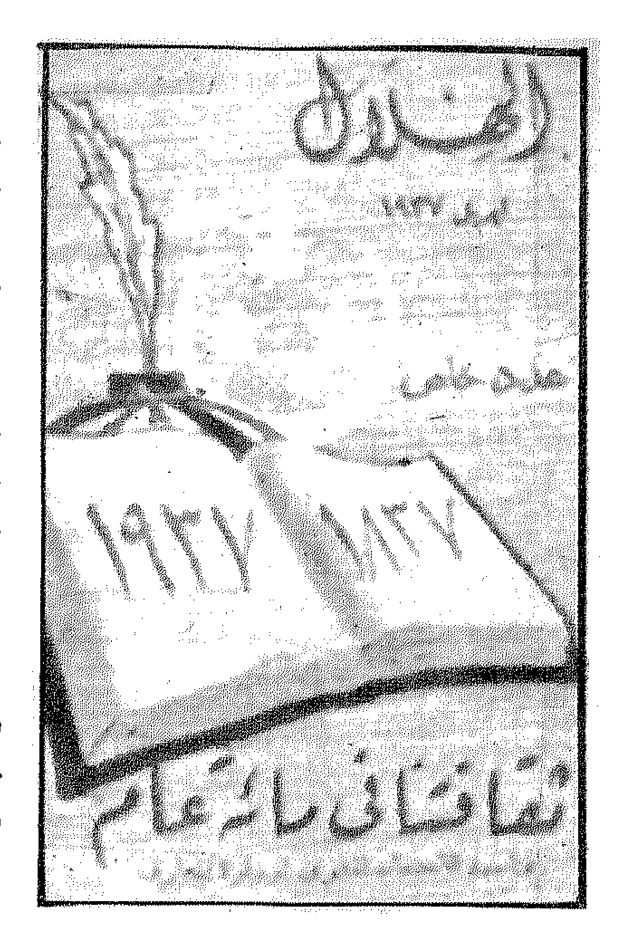
وفى امنيته للسنة الثمانين من عمر الهلال قال اميل زيدان رئيس التحرير ، والان فلنغمض اعيننا هنيهة ولنتصور ان اربعين سنة اخرى قد انقضت على الهلال ، ماذا عسى ان يقوله ذلك الكاتب الذى سيتولى كتابة الافتتاحية فى الجزء الاول من السنة الثمانين ؟! لعله يراجع هذه الاسطر فيسجل تطور العالم فى زمنه وتقدمه فى سبيل الشفاء الروحى .

ولعله يسجل الى جانب تعدد المخترعات والمستحدثات ارتفاع المستوى الذهنى والخلقى ، ويسجل انتشار العدل والانصاف على اختلاف صورهما بين الطبقات وبين الشعوب .

ولعله يسجل - على الخصوص - تقدم مصر فى ثقافتها ورفاهتها ويسجل تبوءها المقام الجدير بها وبتاريخها بين امم الارض .

وقد تحققت بالفعل نبوءة "الهلال" ورأينا التطور الذى تحققه فى مجالات العلوم والفضاء ، ونشاهد الان ثورة المعلومات وثورة الجينات كما تحاول الشعوب ان تحقق الديمقراطية والحرية التى راح ضحيتها عشرات الالوف من البشر فى صراعات طاحنة وانقلابات مازالت قائمة حتى اليوم .

ومن ابرز ما تضمنه هذا العدد تحية من د. طه حسين والذى كان وقتها عميدا لكلية الاداب يبدؤها بقوله "تحية خالصة ملؤها الاعجاب والاكبار الى هذا الروح الحى القوى الوديع السمح الذى نلقاه فى الهلال كلما قرأناه ونظرنا فيه ، روح جرجى زيدان .. لقد تفاءل باسم صحيفته



وقدر انه ينشئها صغيرة يسيرة ، وانها ستنمو وترقى حتى تكمل وتصير بدرا ، وما فارقه هذا التفاؤل يوما ، وما احسب مع ذلك ان حياة الهلال كانت ابتساما كلها ، ولكن الهلال قد نما واطرد نموه ، ورقى واتصل رقيه ، حتى كمل واصبح بدرا ان كان الكمال يتاح لشيء في هذه الحياة ، فقد رأينا الهلال اكثر ما تكون المجلات انتشارا ، واغزر ما تكون مادة واجب ما تكون الى الكتاب ، يسرعون اليها ، والى القراء يتهالكون عليها ، واني لانظر في المجلد الاول من الهلال ، واوازن بينه وبين ما يعرض علينا الهلال في هذه الايام "١٩٣١" فلا ازداد الا اعجابا بالذين يأملون ويتفاءلون ويستقبلون الحياة في عزيمة ماضية باسمة .

وقد رد "الهلال" تحية طه حسين بتحية حارة ، حيث اصدرت له عددا خاصا في أول فبراير سنة ١٩٦٦ ، اى بعد خمسة وثلاثين عاما من تحيته ، شارك بالكتابة فيه نخبة من اعلام الثقافة المصرية ، كلهم تقريبا من تلامذة الدكتور طه حسين ، وكان في مقدمتهم د. سهير القلماوى ود. شوقى ضيف ، ود. شكرى عياد ورجاء النقاش ود. أحمد كمال زكى ، كما شارك في هذا العدد عبدالرحمن صدقى ومحمود تيمور وصوفى عبدالله وانور الجندى وكامل زهيرى ومحمود امين العالم .

جاءت عناوين موضوعات العدد كالاتى : عميد الادب ومعجزة الايام ، طه حسين والدراسات الادبية ـ صفحات مجهولة من حياة طه حسين ، طه حسين رجل ومنهج ، طه حسين والاحزاب السياسية .

ولكى تتواصل التحية لطه حسين ، اصدرت الهلال في ابريل ١٩٧٥ جزءا خاصا عنه ، شارك فيه نخبة من كبار الكتاب ، تناولت ادبه ونتاجه المتنوع .

● العدد الذهبى ●

فى عام ١٩٤٢ صدر العدد الذهبى من الهلال ، يؤرخ للفترة من ١٨٩٢ الى ١٩٤٢ اى خمسين عاما منذ صدور العدد الاول للهلال وهذا العدد كان خارج سلسلة الهلال ، حيث تميز بقطع خاص وطباعة خاصة ، وتبويب واخراج اختلف عن كل الاعداد الخاصة التى صدرت عن الهلال منذ نشأته وحتى وقتنا هذا .. وهذا العدد فيه جراة من حيث القطع والاخراج واختيار الصورة والدقة الفائقة في الطباعة والتى قد لا نجدها الان ، برغم التطور المذهل فى ادوات الطباعة المعاصرة .

وباعتبار هذا العدد من اعداد المناسبات ، فقد تضمنت افتتاحية العدد كلمة الى الملك فاروق نصها "يتشرف

الأعداد الخاصة
من الهلال

صاحبا دار الهلال برفع هذا الكتاب الذهبى رمزا لولائهما ، وعنوانا لمجهود خمسين سنة فى خدمة العلم والادب ، طوتها هذه المجلة فى ظلال عرشكم المجيد ، وانه لفخر عظيم ان تحظى الهلال بعطفكم الكريم وتشجيعكم السامى ، وان تتوج بكلمة من كلماتكم الغالية فى عيدها الخمسينى الذى بلغته فى هذا العهد السعيد" .

وجاء نص كلمة الملك فاروق كالاتى : "فى هذه الايام والحرب تشغل اذهان الناس ، وتصرفهم عما عداها من الاحداث يطيب لنا ان نبعث بتحية ملؤها التقدير والاعجاب والامل الى الاقطار العربية الشقيقة والامم الاسلامية الصديقة .

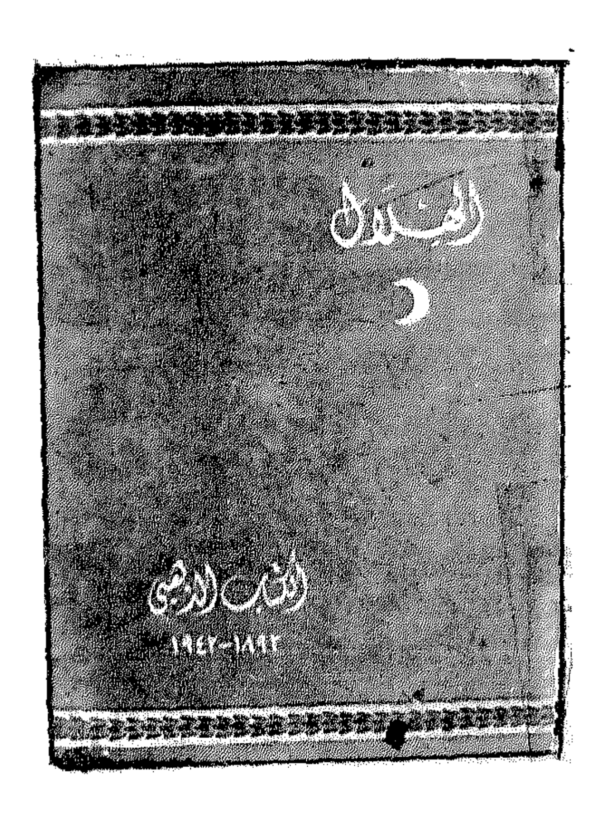
وانه لمن معززات الامل والثقة بالمستقبل ان نرى الشرق وهو يفخر بماض علمى مجيد ، يتوثب لنهضة ثقافية مباركة ، ويتأهب لجمع شمله ورفع شأنه ، واعلاء كلمته ، وتوثيق روابط المودة والاخاء بين مختلف شعوبه .

ومن دواعى اغتباطنا ان تكون لغة القرآن ، وصحف العرب هى الواسطة فى احياء هذه النهضة ، واذكاء تلك الروح ، والوسيلة الناجحة فى اشاعة البر والتقوى ، واذاعة الخير المعروف ، وان نرى مصر بما لها من مجد عريق فى الحضارة ، واثر عميق فى العلوم والفنون ، عضدا للامة العربية ، وسندا للشعوب الشرقية الناهضة وعونا على انجاح تلك الحركة الفكرية المباركة" .

كما تضمن العدد كلمات للامير عبدالاله الوصى على عرش العراق ، والامير عبدالله امير شرق الاردن والشيخ تاج الدين الحسينى رئيس الجمهورية السورية ، وكلها كلمات تحية للهلال ، وابراز للدور الذى يلعبه فى الثقافة العربية .

تناول العدد الذهبى تطور مصر على مدى خمسين سنة من خلال مقالات لكبار الكتاب فى مجالات السياسة والنهضة النسائية والحياة الاقتصادية والتقدم الصناعى والتطور الزراعى والدينى والنهضة الطبية والتربية والتعليم والادب والصحافة والعمران .. الخ ومن بين كتاب هذا العدد بهى الدين بركات ، هدى شعراوى ، حافظ عفيفى ، فؤاد اباظة ، الشيخ محمود ابوالعيون ، على ابراهيم ، منصور فهمى ، عباس العقاد ، خليل مطران .

وقد لخصت هذه المقالات الحياة فى مصر على مدى نصف قرن ، ومنذ صدرت الهلال فى سبتمبر ١٨٩٢ .

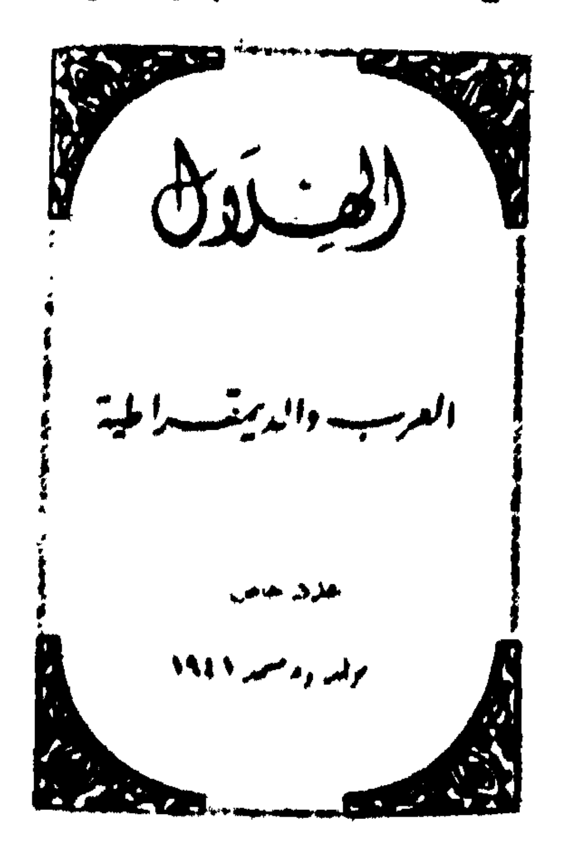


يشير العقاد فى مقاله عن الصحافة الى انها قد تقدمت خلال نصف القرن الماضى فى شكلها ومادتها وسعة انتشارها .

ويقول "الصحافة الان ضرورة اجتماعية لا تستغنى عنها الامة ، وليست تسلية هيئة ولا تزجية فراغ ، وليست مكانة اصحابها ان حاكما يرفع من شأنهم ليضرب بهم حاكما اخر ، او يكافئهم على خدمته بالمظاهر والالقاب ، وانما مكانتهم انهم يؤدون عملا يحتاج اليه جميع الحكام ، لانه يستند الى الامة او الى جمهرة القراء ، وها قد ظهر حديثا كما ظهر قديما ان الصحافة اصدق من الهيئات والاحزاب فى تمثيل الاطوار السياسية التى تمر بها الشعوب !"

● العدد الماسى - ٧٥ سنة"

من الاعداد الخاصة للهلال صدر عدد



بمناسبة مرور ٧٥ عاما على صدور الهلال فى ١٩٦٧/١٢/١ ، وكان قطع هذا العدد مختلفا عن الاعداد الخاصة الاخرى ، بالاضافة الى تبويبه ، حيث قسم الى اربع مراحل ، الاولى من ١٨٩٢ الى ١٩٢٣ والثانية من ١٩٢٣ الى ١٩٣٦ والثالثة من ١٩٣٦ الى ١٩٥٢ والاخيرة من ١٩٥٢ الى ١٩٦٧ ، وهذا التقسيم كما تشير مقدمة العدد تقسيم سياسى اكثر من ان يكون ثقافيا او ادبيا ، فكان يمكن ان يكون تأسيس الجامعة المصرية القديمة مثلا بداية مرحلة ، وكان يمكن كذلك ان يكون صدور كتاب الادب الجاهلى لطه حسين ، او صدور كتاب "الاسلام واصول الحكم" لعلى عبدالرازق بداية مرحلة ، وهكذا ..

لكن ابرز ما تم فى هذا العدد هو نقل المقال او النبذة الكاملة دون تحريف او اختصار . وتناول العدد فى صدر صفحاته رسالة احمد عرابى للهلال يوضح فيها اسباب الثورة العرابية ، ومقالات لعدد من الكتاب البارزين .. جبران خليل جبران ، وسلامة موسى وطه حسين واحمد لطفى السيد وقاسم امين ومحمود تيمور ومصطفى مشرفه وزكى مبارك ولويس عوض وامينة السعيد وتوفيق الحكيم ود. محمد انيس .

وكالمعتاد فى الهلال كان للصورة دور بارز ، خاصة ملزمة الالوان التى كتبها بدر الدين ابوغازى بعنوان "مصر فى رؤى فنانيها" .

● الاعـداد الخـاصة وأدباؤنا المعاصرون ●

قدمت الهلال فى الربع قرن الاخير خمسة اعداد خاصة عن شخصيات تعتبر كل منها ركنا اساسيا فى الحركة الادبية والفكرية العربية المعاصرة وهذه

الأعداد الخاصة
من الهـــلال

الشخصيات هى : طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم واحمد شوقى ونجيب محفوظ .

واذا توقفنا عند العدد الخاص بأديبنا الكبير نجيب محفوظ ، نجد من اسباب الاحتفاء به ، انه نال تقدير القراء قبل ان ينال تقدير النقاد ، فاول من اكتشف نجيب هم قراؤه الذين احبوه وتعلقوا به بما فيه من صدق وعمق واصالة فنية عالية ، وهم الذين وضعوه الى جانب طه حسين والعقاد والحكيم فى الصف الاول من رواد ادبنا واعلامه .

تنبأت "الهلال" بالدور الهام الذى يلعبه نجيب محفوظ فى الحياة الادبية المصرية ، وحصل على جائزة نوبل اعلى جائزة ادبية فى العالم والتى وضعته فى مصاف كبار الادباء العالميين .

تحددت ملامح ادب نجيب محفوظ من خلال ما تناوله عدد الهلال الخاص ، فمن خلال ادبه وجدناه يستمع باستمرار الى نبض مصر فى تاريخها وواقعها فكل ما كتبه نجيب محفوظ له صلة بمصر وبالتاريخ والانسان والمستقبل فى مصر ، وأدبه هو لون من الادب السياسى الرفيع ، وهذه نقطة اساسية تربط بينه وبين تاريخنا القومى برباط لا ينقطع ، وترفع من قامة نجيب محفوظ حتى جعلته من بناة الوجدان العربى المصرى الأصيل . تناول العدد معالجة ادب نجيب محفوظ ، ابتداء من مأساة الثائر الفرد عند نجيب محفوظ ـ نجيب محفوظ سياسيا من ثورة ١٩١٩ الى يونيو ١٩٦٧ ـ الشكل الروائى عند نجيب محفوظ من اللص والكلاب الى ميرامار ، مرورا بصفحات مجهولة من حياة نجيب محفوظ ، والزمن الروائى عند نجيب محفوظ ، ودوره في السينما المصرية .

لقد كان نجيب محفوظ فى فبراير ١٩٧٠ يوم صدور العدد الخاص من الهلال فى قمة سعادته وهو يرى هذا العمل الثقافى المتكامل ، والذى ضم ملزمة صور تحكى رحلة نجيب محفوظ منذ صباه حتى يوم صدور الهلال وحرص ان يخط بقلمه التعليقات لهذه الصور .

على ان هذا العدد الوثائقى قد أرخ لأدب نجيب محفوظ من خلال مجموعة من كبار النقاد والمفكرين المعاصرين ، وهى ميزة ، تفرد بها الهلال ، وجعلت الاعداد الخاصة مهرجانا ثقافيا للاحتفاء بادبائنا من النوابغ .

* * *

كانت الهلال من اوائل المجلات التى اصدرت اعدادا ممتازة ، ان لم تكن اول تلك المجلات جميعا ، وظلت صامدة على مدى قرن من الزمان ، تؤدى رسالة ثقافية ، تحرص على الكلمة المستنيرة ، وتحقق الفكر المتميز للقارىء العربى ، وهى ميزة تحسب لها ، وتجعلنا نواصل مسيرتها بكل الثقة فى مستقبل ملىء بالامل .

تحية توفيق الحكيم للهلال

بعث الكاتب الكبير توفيق الحكيم رسالة الى الهلال من فراش المرض نشرت في ديسمبر ١٩٨٤ ، يؤكد فيها على دور الهلال منذ نشأتها ، ونص الرسالة التي بعث بها الكاتب الكبير .

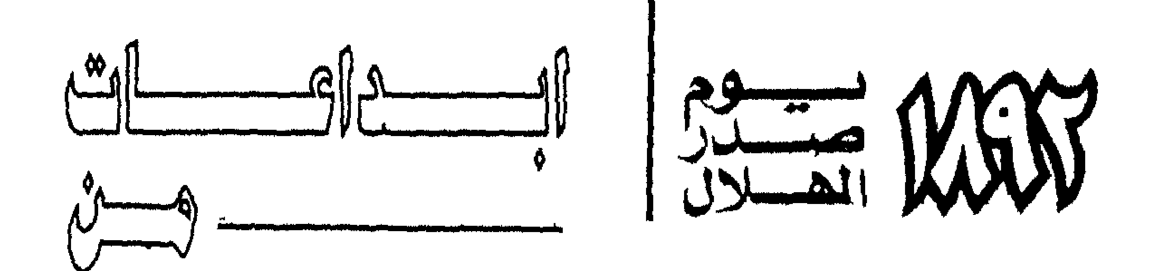
"منذ انشئت مجلة الهلال في سنة ١٨٩٢ ، وهي تنشر النور في طريق العقل العربي ، وبعد سنوات قليلة سوف يبلغ عمرها القرن .

قرن قضته كالسفينة الثابتة تمخر في بحار الاعوام حاملة من كنوز الفكر والادب ما اسهم في تقدم الامة العربية ، وهانذا اليوم اطالع اعدادها الاخيرة في عهد قيادتها الجديدة ، فيطالعني وجهها المبشر باستمرار سيرها الحامل لرسالتها المجيدة المتطلعة الى المكان اللائق تحت شمس الفكر الانساني ، مما جعلني احمد الله وادعو لها بدوام الرقي لتبلغ في عمرها المئوي القادم ما يفخر كل مصري وعربي قدر له ان يعيش ، ويرى ذلك اليوم ، وهو يقلب صفحاتها ويصافح وجهها المشرق بنور الحضارة المنشودة باذن الله" .

"توفيق الحكيم" ٣ نوفمبر ١٩٨٤

منذ انشئت مجلة «الهلال» في سنة ١٨٩٢ وهي
تنشر النور في طريق العقل العربي . وبعد سنوات قليلة
سوف يبلغ عمرها القرن . قرن قضته كالسفينة الثابتة تمخر في
بحار الاعوام حاملة من كنوز الفكر والادب ما أسهم في تقدم
الأمة العربية . وهانذا اليوم اطالع اعدادها الاخيرة
في عهد قيادتها الجديدة فيطالعني وجهها المبشر باستمرار
سيرها الحامل لرسالتها المجيدة المتطلعة الى المكانة اللائقة
تحت شمس الفكر الانساني ، مما جعلني احمد الله وادعو لها
بدوام الرقي لتبلغ في عمرها المئوي القادم ما يفخر به
كل مصري وعربي قدر له ان يعيش ويرى ذلك
اليوم ، وهو يقلب صفحاتها ويصافح وجهها المشرق
بنور الحضارة المنشودة باذن الله —

توفيق الحكيم
٣ نوفمبر ١٩٨٤



برج التنين والهلال

بقلم : محمود قاسم

كان صدور العدد الأول من مجلة « الهلال » في يوم الجمعة ٢٥ اغسطس ١٨٩٢ بمثابة رجع صدى قوى للغاية لكل التحولات والتفاعلات الثقافية التى كانت مصر ، والعالم تشهدها فى العقد الاخير من القرن التاسع عشر ..

بدت هناك حالة من التوقد الفكرى فى جميع مجالات الفنون والاداب ... وخاصة فى عالم الكتاب والرواية بشكل اكثر تحديدا ... وبدا البشر فى ذلك العقد ، فى افضل حالاتهم ، من حيث علاقاتهم بالابداع الأدبى .. فقد انتهت الحروب الاهلية فى الولايات المتحدة . وولى زمن الحروب الدينية الى غير رجعة داخل الطوائف المختلفة ـ باستثناء ايرلندا ـ وأصبح الكاتب سيدا لتلك الحقبة ينظر اليه الناس على انه الحكيم ، والمفكر ، والنموذج الذى يمكن الاحتذاء به .. وقد ساعد على ذلك ظهور العديد من الكتاب الطوبويين ، ليس فقط فى كتاباتهم .. بل ايضا فى حيواتهم الخاصة مثلما كان يفعل تولستوى فى روسيا . وويلز وريت بطلر فى انجلترا .. وآخرون ..

ولم يكد يهل النهار الاول من عام ١٨٩٢ ، الا وكان الكثير من القراء فى مصر والعالم قد قرأوا اميل زولا وتولستوى ودوستويفسكى واوسكار وايلد ، ودنونوزيو وماكسيم جوركى وتشيكوف وهنرى جيمس ومارك توين .. وادجار الن بو ..

كان أغلب هؤلاء الكتاب فى قمة عطائهم فى تلك الحقبة .. وبدت حركة الترجمة فى ذروة ازدهارها .. فلم يكد يصدر كتاب جديد فى روسيا والولايات المتحدة ، والا وتناقلته دور النشر بعد ترجمته الى اللغات الاوربية المتعددة . بل ان بعض الادباء المتميزين ، قد قاموا بدور كبير فى عملية الاتصال بين الثقافات . مثلما فعل الشاعر بودلير حين ترجم « قصص غريبة » لادجار الن بو . ومثلما فعل هنرى جيمس حين ترجم العديد من الروايات الفرنسية


مكسيم جوركى
اوسكار وايلد
ارثركونان دويل
روديارد كيبلنج
تشيكوف

الى اللغة الانجليزية . ومثلما فعل شعراء عرب كبار حين ترجموا نفائس الادب العالمى فترجم حافظ ابراهيم بؤساء هوجو وترجم مطران روائع شكسبير ..

ولسنا ، هنا ، بصدد الحديث عن تأثيرات ماتم ابداعه قبل عام ١٨٩٢ على الثقافة المعاصرة آنذاك ثم على ثقافة القرن العشرين لكننا ، هنا ، سوف نتناول بعضا من الابداعات التى صدرت بالفعل فى نفس عام صدور العدد الأول من مجلة الهلال .. هى اذن أعمال من نفس البرج الفلكى حسب التقويم الصينى . ولذلك فان لها نفس الحظ الادبى والثقافى .. ولذا فان الاحتفال بمئوية صدور مجلة الهلال يتفق مع الاحتفال بمئوية صدور مثل هذه الاعمال

وليس من الممكن ، بالطبع ، متابعة كل الاعمال الادبية التى صدرت فى نفس

ابداعات من برج التنين والهلال

العام ، لكن من الممكن التركيز على اكثرها شهرة ، وبقاء .. فهذه الابداعات باقية مثل بقاء مجلة الهلال نفسها .. وكل هذه الصروح المولودة فى عام ١٨٩٢ تؤثر فى القرن العشرين . وسوف تؤثر فى عقلية القرون القادمة . رغم انها مولودة فى العقد الاخير من القرن الماضى .. وتتميز الهلال بالطبع بانها ماتزال قادرة على العطاء .. تصدر اثنى عشر عددا كل عام .. فأصبح لها من المواليد فى مائة عام تقريبا الف ومائتا عدد .

● كتاب الغابة .. وبرج الهلال

مع اعترافنا ان الابراج الفلكية هى نوع من الأفكار الطريقة التى ابتدعها الانسان لربط نفسه بظواهر غير مرئية . فاننا قد اضفينا على الهلال . والابداعات المكتوبة فى عام ١٨٩٢ صفة الكائن البشرى ، ورحنا نتتبع برجها الصينى . فحسبما جاء فى تقسيم هذه الابراج ، فان مجلة الهلال مولودة فى برج التنين ، ومواليده كما كتبت سوزان هوايت . وترجم احمد البرديسى - فى كتابها « قراءة الحظ على الطريقة الصينية» - يمتازون بالحماس والعبقرية . والاستقلال بشخصياتهم . وان كان هذا لايمنع حصولهم على القوة والنفوذ لدرجة الاستحواذ على اعجاب الآخرين . وهذا من حسن حظهم . وبروحهم العالية يكون النجاح والتوفيق من نصيبهم دائما .. وتتسم الاعوام التى يأتى خلالها مواليد هذا البرج الى الحياة بانها كثيرا ماتكون حافلة بالاعياد والمناسبات السارة . وهذا يناسب اصحاب النجاح والنصر المؤزر .

ورغم ان هذه الكلمات عامة يمكن ان تنطبق على مواليد سنوات متعددة ، فاننا نلاحظها موجودة فى مجلة الهلال التى تتسم بالفعل طوال سنواتها المائة بالحماس والعبقرية . والاستقلال بشخصيتها وبقية السمات المذكورة آنفا . لكن ماذا عن أهم ابداعات عام التنين الذى ولدت فيه الهلال ..

اهم هذه الابداعات هى كتاب عن المجد الادبى كتبه « بولين فيرلين » ورواية « انتصار الموت » للايطالى جابرئيل دونونوزيو . ورواية « المتشردون » لماكسيم جوركى . واقصوصة « عنبر ٦ » لتشيكوف . و « كتاب الغابة » لكيبلنج . ثم « مغامرات شارلوك هولمز » لكونان دويل ومسرحية «رجل يحب النساء» لبرنادشو ومسرحية "مروحة الليدى وندرمير" لاوسكار وايلد .. و « هيدا جابلر » لابسن .

صدرت هذه الاعمال وغيرها ، فى نفس عام صدور الهلال .. ربما قبل اغسطس ، او بعده .. لكن كل هؤلاء المواليد ينتمون الى برج التنين .

ونرى أن أشهر هذه الكتب جميعها هو كتاب « الغابة » لروديارد كيبلنج الذى فاز بجائزة نوبل عام ١٩٠٧ عن هذا الكتاب . وهى رواية مصنوعة للاطفال زادت شهرتها بعد ان حولتها السينما العالمية الى اكثر من فيلم . فيلم كرتون ابدعت فيه شركات والت ديزنى . وفيلم قام ببطولته الممثل الهندى سابو وتدور أحداث الرواية فى غابات البنجال الهندية . حيث ولد المؤلف وعاش سنوات طويلة وبطل هذه الرواية طفل صغير تركته اسرته فى الغابة . فتولت القردة تدريبه . وصادق الدبة حتى

اصبح يافعا . وهو مطارد دوما من نمر الغابة الكبير الذى يشتهى لحم الانسان ، وتدور أغلب احداث الرواية من خلال رحلة قام بها « موجلى » مع صديقه الدب كى يعود الى اسرته التى تسكن عند اطراف الغابة .. وهى رحلة طريفة مليئة بحكايات مع الحيوانات من الاصدقاء . فالجميع يتكاتف من اجل مساعدة موجلي للوصول الى اسرته . اما صديقه الدب الذى يتسم بقوة عضلية . فهو كثيرا مايسبب له المتاعب بسبب غبائه واندفاعه ..

و « كتاب الغابة » هو أشهر الاعمال الابداعية التى يقرأها أطفال القرن العشرين . وكما أشرنا فان السينما قد زادت من جماهيريته واوسعت من صداه . ومن يطالعه مع تسعينات القرن العشرين . لايحس لحظة ، انه مكتوب منذ مائة عام . وهذه سمة للادب المتدفق العظيم .

● مروحة ١٨٩٢ .. فى جلدنا

يمكن ان تقول ان عام ١٨٩٢ كان عام المسرح ليس فقط فى النرويج حيث ابدع هنريك ابسن اثنين من أهم مسرحياته هما « الاشباح » و « هيلدا جابلر » بل فى بريطانيا حيث قدم اوسكار وايلد ايضا اثنين من مسرحياته الخالدة فمع بداية العام دفع مسرحيته « مروحة الليدى وندرمير » لتمثيلها . ومع نهايته كان قد انتهى من كتابة مسرحية « امرأة بلا أهمية" . وهما مسرحيتان معروفتان للقارىء والمتفرج العربى جيدا . فقد ترجمتا أكثر من مرة . وتحولت المسرحية الاولى الى فيلم قامت ببطولته نيللى عام ١٩٧٦ تحت عنوان « امرأتان » .

وموضوع المسرحية كما هو معروف عن ام تنفصل عن زوجها ، فتتربى ابنتها بعيدا عنها ، لاتعرفها جيدا .. وعندما تكبر تلتقى معها فى حفل ، وترى أن الخيانة ستكون مصير الابنة .. فتدافع عن ابنتها بان تنسب لنفسها التهمة حتى تبرىء الابنة .. وقد كتب الاديب عبد الرحمن صدقى فى مقدمة المسرحية المنشورة فى سلسلة "روائع المسرح العالمى" « ان اوسكار وايلد قد راعى الا تتجاوز وقائع مسرحيته الاربع وعشرين ساعة "اى انه تقيد بالنظريات القديمة المنسوبة الى ارسطو والزم نفسه قواعد المسرح الكلاسيكى الذى اقام راسين وكورنى عهده الذهبى فى القرن السابع عشر" .

ويقول ان اهم مزايا هذه المسرحية ان المخلوقات التى عرضها وايلد "مثلنا من لحم ودم ، يكافحون السدود والحدود التى اقامتها تقاليد العصر الفيكتورى .. كذلك جاء حوار المسرحية ناشط الحركة متالق الالمعية ، فهو نجوى اناس لكل منهم نفسه التى تخصه ، وهم يعربون عنها بلسان اوسكار وايلد المحدث الموجود فى اطيب اوقاته وخير حالاته" .

ولعل هذا قد ساعد هذه المسرحية ان تبقى فى اذهان ابناء القرن العشرين ، يأخذون عنها ، ويقتبسونها ، ويعيدون اخراجها . فهى ليست ابنة القرن التاسع عشر وحده . بل هى متجددة متدفقة مثل اغلب ابداعيات عام ١٨٩٢ .

اما عن اقصوصة "عنبر ٦" الطويلة لتشيكوف فهى معروفة جيدا لقراء الادب ، خاصة المعجبين بتشيكوف .. وقد نشرت فى "روايات الهلال" ضمن الاعمال الكاملة للكاتب عام ١٩٧٧ ، وتدور احداث القصة فى عنبر باحد المستشفيات حيث توجد نماذج عديدة من البشر الذين جاء

ابداعات من برج التنين والهلال

بهم المرض من اجل قضاء بضعة ايام فى العنبر . هناك موسى . الشخص الوحيد الذى يسُمح له بمغادرة المبنى وهو رجل خدوم يحضر الماء لرفاقه فى الغرفة . وهناك ايفان الذى اصيب بجنون الشعور بالاضطهاد ويبدو من طريقته فى التوقف والنظر الى رفاقه فى الغرفة ان لديه امرا خطيرا يريد ان يفضى اليهم به . وهو الشخصية الرئيسية التى يتتبعها تشيكوف داخل العنبر مع عدم اغفال بقية الشخصيات مثل الدكتور اندريه الذى يزور العنبر بانتظام .

وقد تمثلت فى هذه القصة كل سمات الابداع عن تشيكوف ، فهو اول من حقق المثل الاعلى ـ كما كتب شاكر النابلسى ـ للواقعية بين الكتاب والمحدثين . فتشاؤمه ونظرته الى الحياة تبدو وكأنها ليست نظرة شخصية خاصة ، بل ونظرة اهل عصر عامة ..

وتشيكوف ، فى هذه الاقصوصة ، يحاول اعطاء شخصياته المتعددة الفرص المتكافئة للظهور على مسرح القصة ، ومن ثم يتركها تنمو لوحدها نموا فنيا كاملا ، ثم يختار تشيكوف برقة فترات معينة من حياة شخصياته ومن خلال هذه الفترات ينطلق فى تصوير ابعادها . مثلما فعل مع المريض ايفان والدكتور اندريه فى "عنبر ٦" .

● مفتش فى المائة من العمر

لايمكن ان نضم مجموعة روايات شارلوك هولمز للكاتب البريطانى ارثر كونان دويل الى الادب الراقى ومهما اختلفنا مع قيمة هذه الروايات الادبية ، فانها شكلت منذ بداية تسعينات القرن ١٩ ظاهرة خاصة فى تدعيم الرواية الشعبية من خلال روايات بوليسية تعتمد على الذكاء البشرى الذى يتسم به هولمز وصديقه الطبيب واطسن فى الكشف عن اسباب الجرائم الغامضة .

وقد ولد شارلوك هولمز حقيقة مع ميلاد مجلة الهلال . فقد نشر كونان دويل ستا من الروايات القصيرة عن مغامرات المفتش الذكى فى ستة اعداد متوالية من مجلة "ستاندرز ماجزاين" فى اواخر عام ١٨٩٢ . وقد شهدت هذه الفترة ذروة نشاط دويل .

وقد تاكدنا أن هولمز ولد حقيقة مع ميلاد الهلال رغم انه ظهر لاول مرة فى عام ١٨٨٨ . لكن كونان دويل اعلن عن بنوته الشرعية له فى عام ١٨٩٢ بعد ان كان يكتب ابداعاته باسماء مستعارة عديدة مثلما يفعل ، كتاب الرواية البوليسية .

وتجىء اهمية هولمز ان اغلب كتاب الرواية البوليسية قد قلدوا شخصيته فى رواياتهم ، وعليه فان هولمز المولود ١٨٩٢ هو اكثر ابناء القرن التاسع عشر تاثيرا فى قراء القرن العشرين .

هذه نماذج من ابداعات برج التنين الصينى الذى تنتمى اليه مجلة الهلال . وكما سبق ان اشرنا فانها بمثابة قطرة من بحر ابداعى كبير تدفق مع عام ١٨٩٢ . ولايزال يواصل عطاءه حتى الآن .. وسيظل يفعل ذلك لقرون قادمة ..



نقدم « العالم في سطور » في شكل جديد . ماكان عليه العالم في سبتمبر عام ١٨٩٢ . وما يشهده العالم اليوم ..

الشوارع .. نظيفة !!

المقطم في الجمعة ٢ سبتمبر ١٨٩٢

كثيرا ما طلبنا من مجلسنا البلدى الالتفات الى الشوارع الوطنية وتعهدها يوميا بالكنس والرش أسوة بغيرها من الشوارع الاوربية ، وكان جواب المجلس هو ان ميزانيته لاتسمح بمثل هذه الاعمال لعدم توفر النقود اللازمة ، وقد كنا نستغرب ذلك غاية الاستغراب لعلمنا ان ميزانية المجلس تبلغ تسعين الف جنيه في السنة ، ولوقوفنا ان قومسيون البلاط السابق كان يأتى من الاعمال مالا يأتيه المجلس البلدى الان مع ان ايراداته لم تكن تتجاوز ثلاثين الف جنيه ولذلك اكثرنا من لوم المجلس لعدم التزامه خطة العدالة في مشروعاته ولم يكن هذا مشيئا فقط بل كنا نردد صدى رأى سكان المدينة جميعا .. ولاسيما الوطنيين منهم ، وبعض اعضاء القومسيون البلدى ولما رأى جناب النشيط عزتلو يوسف بك شكور مدير المجلس البلدى العام ان دوام هذا الحال من المحال . وربما افضى الامر الى نقض دعائم الالفة والاتحاد بين الوطنيين والاجانب لما يعقده الوطنيون من الاجحاف بحقوقهم لعدم المساواة بين مصالحهم ومصالح الاجانب . فقد ارتأى حضرته وفقا للقال والقيل ان يشرح حالة المجلس كما هى مذكرة ارسلها الى حضرات اعضاء القومسيون البلدى ليكونوا على بينة من احوال المجلس المالية . وقد ارسل الينا نسخة من هذه المذكرة فتصفحناها بعين المنتقد الذى جعل المدافعة عن المصلحة العامة وجهته . فالفيناها جديرة بالاعتبار تزيل مارسخ في الاذهان من الاوهام .. ولذلك احببنا تعريبها باختصار خدمة للقراء الكرام ..

○ ○ ○

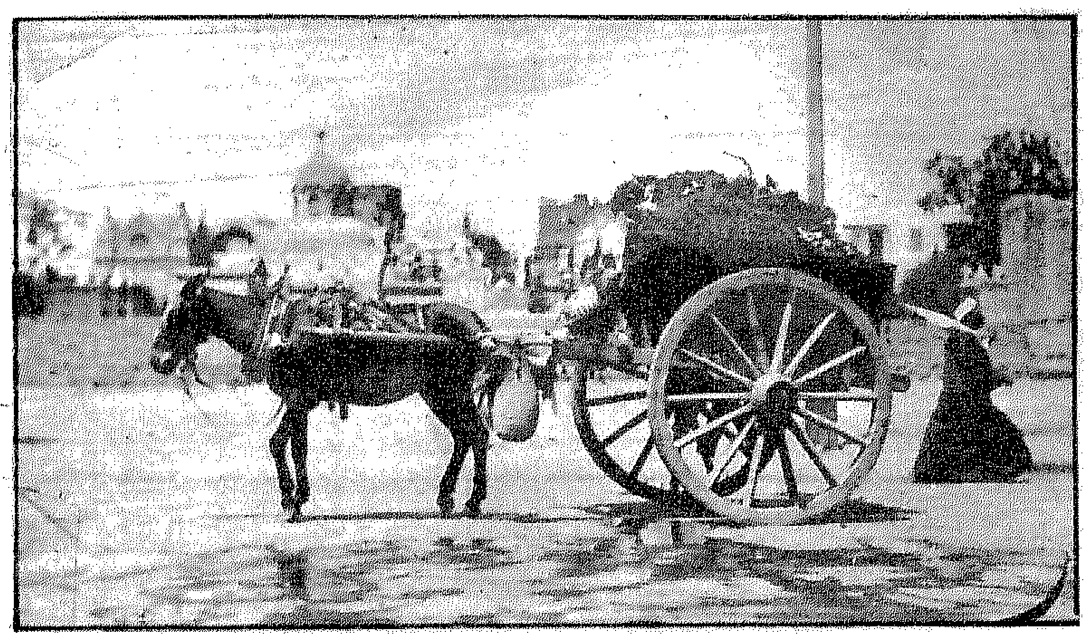
جريدة الوفد في الثلاثاء ٩ اكتوبر ١٩٩٠

عندما قام المسئولون

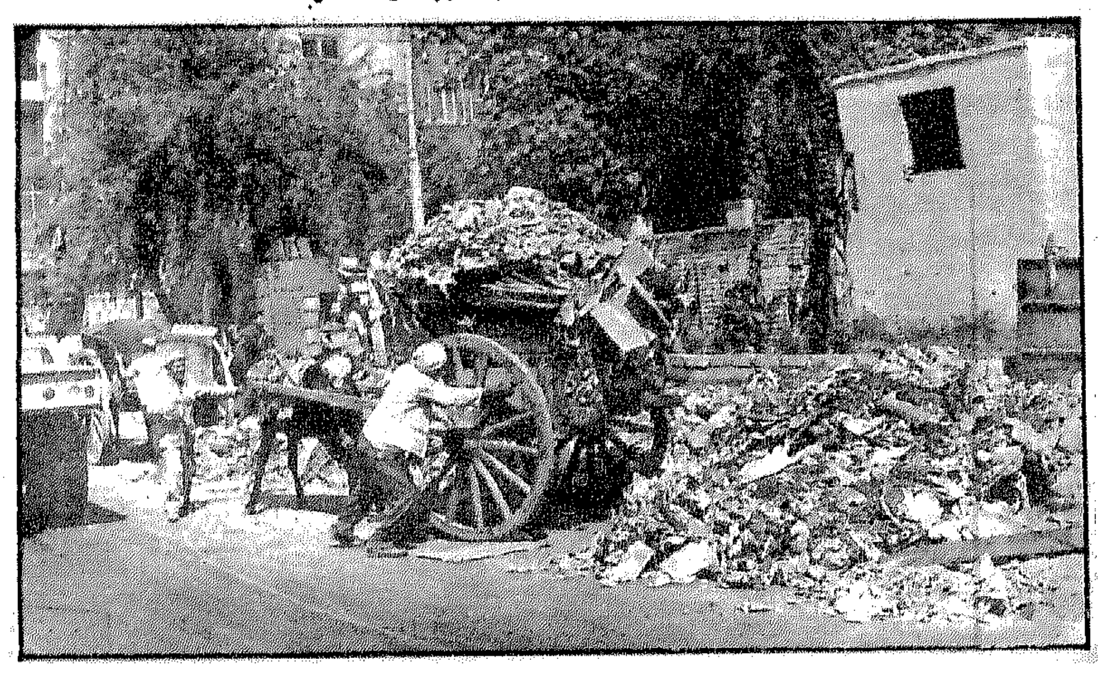


بمحافظة القاهرة باسناد مهمة نظافة الاحياء الى شركات متخصصة . استبشر الناس خيرا .. وتوهموا ان الشوارع والميادين سوف تعود الى سابق عهدها نظيفة . خالية مما يؤذى النفوس والعيون . وتصوروا ان قاهرة المعز سوف يعود اليها بريقها

زبالة ١٨٩٢ بالعربة والحمار



- زبالة ١٩٩٠ ايضا بالعربة والحمار



ولمعانها ولكن .. ذهبت امانيهم ادراج الرياح .. وتبخرت احلامهم .. فالشوارع زادت قذارتها .. والعربات الميكانيكية التى استعانت بها المحافظة لم تجد شيئا ، نرى ذلك فى مختلف الاحياء ، وفى كل الشوارع ، لافرق بين منطقة راقية واخرى شعبية . فالكل يشتكو من تلال القمامة التى تسبب كثيرا من الامراض والاوبئة والكل يصرخ حتى بحت اصواتهم فسكتوا .

اما رؤساء الاحياء فيلقون بالائمة على الاهالى ، الذين يلقون قمامتهم فى اى مكان وفى اى وقت دون التزام بالاماكن والمواعيد المقررة .

بينما يرى الطرف الثالث وهم الزبالون ان الاستعانة بالعربات الميكانيكية سبب رئيسى لتكدس القمامة وقذارة الاحياء .. فليس كل زبال قادرا على شراء عربة . وان قدر على شرائها عجز عن متطلباتها ، وهكذا اختلف اطراف القضية .

●

وادى حلفا

سنوات الجفاف

المقطم فى الخميس ١٥ سبتمبر ١٨٩٢

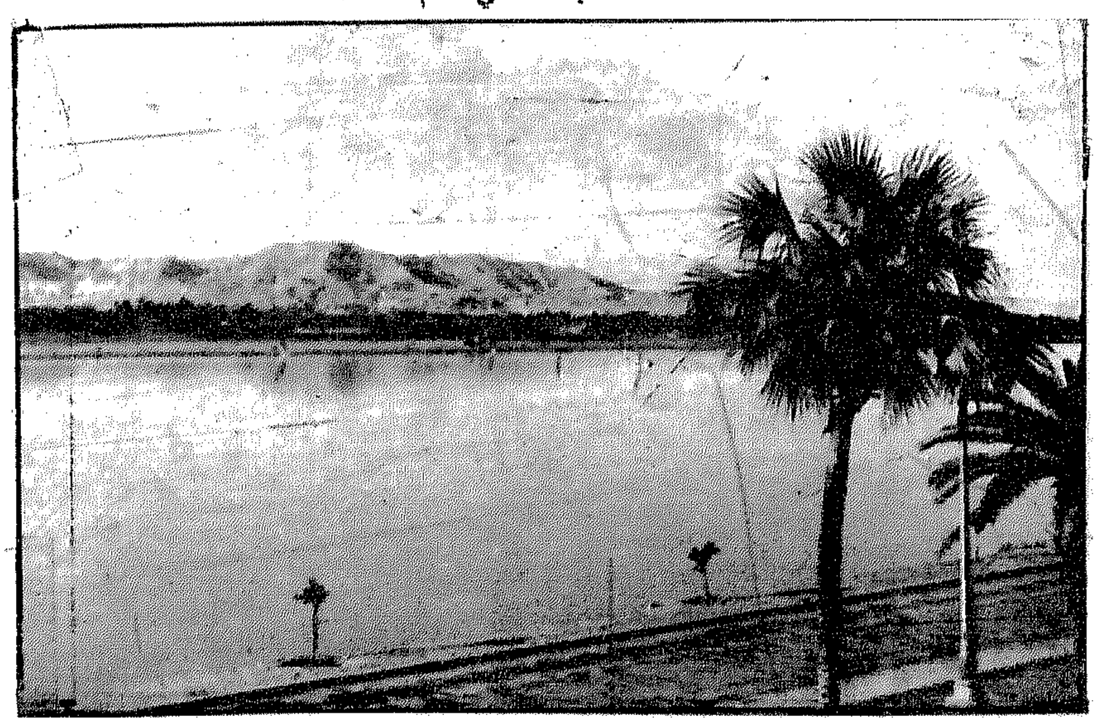
تأخر ابتداء الفيضان فى هذا العام بعد ان انخفض قيام النيل انخفاضا فائق العادة فى هذا الصيف واستمر الفيضان آخذا فى الزيادة على التوالى منذ شهر يوليو كله ، والثلاثة اسابيع الاولى من شهر اغسطس وفى ٢٤ من الشهر المذكور بلغ ارتفاع النيل ١٧ ذراعا فى اسوان ، ولما كان الفيضان يبلغ اعظم ارتفاعه عادة باسوان فى اواخر شهر اغسطس او اوائل شهر سبتمبر غلب على الظن ان النيل بلغ غاية ارتفاعه .. وانه ابتداء بالانخفاض قطعيا فى اواخر الشهر الماضى . ولكن الامر جاء بخلاف ذلك . فانه بعد ان انخفض انخفاضا بطيئا متقطعا الى اخر يوم من الشهر الماضى عاد فارتفع ومازال يرتفع الى ١١ من هذا الشهر حتى بلغ ارتفاعه ٩ امتار و٢ سنتيمترات فى وادى حلفا . وكان ارتفاعه هذا منتظما انتظاما تاما من اول سبتمبر الى ٩ منه اى من ١٤ الى ٦ سنتيمترات كل يومين . وفى ١٠ سبتمبر بلغ الارتفاع فى مقياس اسوان ١٧ ذراعا و٢١ قيراطا وهو اعظم ارتفاع بلغه النيل فى هذا العام . ومن غريب مايقال ان اعظم ارتفاع بلغه النيل سنة ١٨٧٧ كان فى غرة سبتمبر وفى ١١ من هذا الشهر ورد الخبر بان ارتفاع النيل فى اسوان ١٧ ذراعا و٢٠ قيراطا ولعله خطأ لان النيل كان لايزال يرتفع فى حلفا يومئذ . وفى ١٢ منه كان الارتفاع ١٧ ذراعا و٢١ قيراطا ، ثم انخفض الماء قيراطا فى ١٣ منه ، هذا فى اسوان . واما فى وادى حلفا فانخفض الماء سنتيمترا واحدا فى ١٢ وسنتيمترا فى ١٣ منه .

وعلى ذلك فالامل وطيد ان ارتفاع النيل فى مصر القاهرة يكون هذا العام **اقل** بكثير مما كان فى عام ١٨٨٧

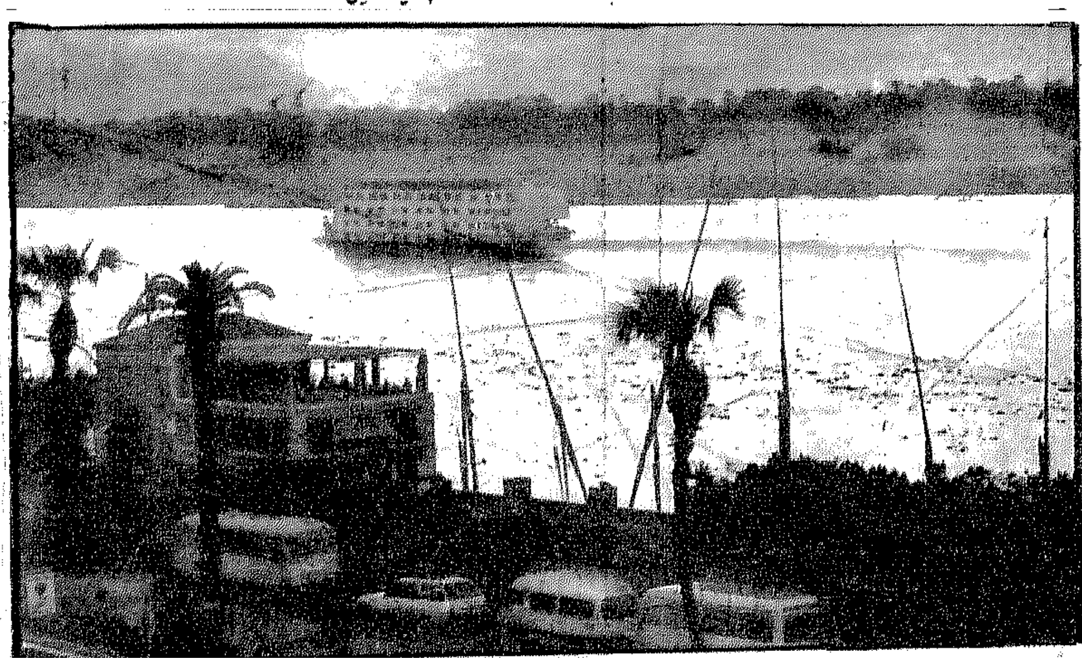
الأهرام السبت فى ١٥ ديسمبر ١٩٩٠

اكـد خبـراء وزارة الاشغال العامة والموارد المائية ان فيضان العام الحالى اقل من المتوسط ولن يزيد ايراد النهر على ٧٤ مليار متر مكعب بعجز ١٠ مليارات عن الفيضان المتوسط . ومن المتوقع ان

ـ الجفاف في عام ١٨٩٢



ـ جفاف ١٩٩٠ لم يتغير



تصل أمام السد العالى ٤٩ مليار متر مكعب .. ويقدر الصرف بنحو ٥٤ مليارا تكفى للوفاء باحتياجات الرى والصناعة واستصلاح نحو ١٥٠ الف فدان وتوليد الطاقة والشرب .

واكد المهندس عصام راضى وزير الاشغال والموارد المائية ان هناك التزاما بتنفيذ خطة التوسع الافقى للزراعة حيث ان الكميات التى تصل من المياه الى جانب مايتم سحبه من مخزون بحيرة السد العالى يفى باحتياجاتنا المائية . وقال ان ايراد الشهر فى العام الماضى بلغ ٧٦ مليار متر مكعب بزيادة مليارين عن العام الحالى .

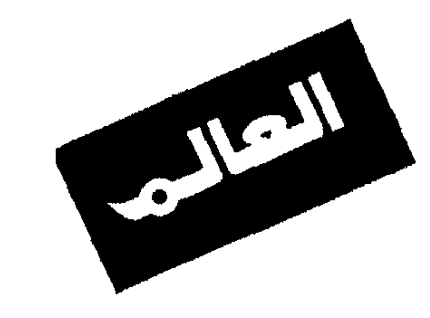
واضاف الوزير ان المسحوب من مخزون بحيرة السد العالى فى العام الماضى هو ٢,٣ مليار متر مكعب وسيصل هذا العام الى ٥ مليارات . وكان اعلى منسوب امام السد فى العام الماضى ١٦٩,٧٩ وينتظر ان يكون فى العام الحالى ١٦٨,٦٢ متر وكان اقل منسوب للبحيرة امام السد فى العام الماضى قد وصل الى ١٦٣,٧٧ متر وينتظر ان يكون هذا العام ١٦٢,٣٤ متر .

كابول
مائة عام من الصراعات الروسية - الافغانية

■ **المقطم فى الخميس اول سبتمبر ١٨٩٢**

جاء امس فى الرسائل البرقية ان سفارة روسيا فى لندن دفعت الى النظارة الخارجية التقرير الذى كتبه الاميرلاى باتوف قائد الجنود الروسية فى بامير عن المعركة التى نشبت بين الروس والافغان من ناحية سوماطاش . ثم اثبتت لها ان روسيا لاتقصد ان تنال انجلترا بسوء او ان تعارض فى مصلحتها فى تلك الارجاء . والظاهر ان هذا التقرير الذى كتبه القائد الروسى قد نال شأنا عظيما من حيث علاقته بهذه المسألة .. فقد تناولته الالسنة وتناقلته صحف الاخبار . وارسل الامير عبد الحميد نسخة منه الى الحكومة الانجليزية فى الهند ، وخلاصة ماذكر ان عددا عظيما من الافغانيين قد خيم فى ناحية سوماطاش فذهب الى تلك الناحية بالف من جنوده حتى يسأل قائد الافغانيين عن السبب الذى حمله على المجيء اليها . فأبى القائد الافغانى ان يلاقيه ملاقاة الاصدقاء الاوراء وسار فى طليعة جنوده وهم يشرعون البنادق ، واغلظوا الكلام للجنود الروس . فلما رأى القائد الروسى هذا العدوان الظاهر من الافغانيين امر رجاله ان ينزعوا السلاح منهم .. فاطلق الافغانيون النار عليهم وقتلوا جنديا روسيا وجرحوا اثنين ، فاجابهم الروسيون ايضا باطلاق النار وقتلوا تسعة منهم ، وفى جملتهم احد الضباط . وجرحوا اثنين واسروا سبعة اخرين ..

هذا محصل ماجاء فى التقرير وقد عقب عليه الامير عبد الرحمن بقوله ان الروسيين احاطوا بمخيم الافغانيين ، وكانوا البادئين بالعدوان . . ثم سأل حكومة الهند ان تمد اليه يد النجدة والمعونة





حتى يتغلب على هؤلاء المعتدين .

■ الاهرام فى الخميس ١٤ يونيه ١٩٩٠

خلال المرحلة الشديدة الاضطراب التى اعقبت انسحاب القوات السوفييتية توقع الرئيس الافغانى ان تغتنم مجموعات المجاهدين الفرصة وتهاجم بشراسة وعنف لتحقيق نجاح يدعم الحكومة المؤقتة التى شكلوها وأول واهم نجاح ان يتمكنوا من السيطرة على احدى المدن الحدودية خاصة جلال اباد .

ومثل هذا النشاط لم يقلقه كثيرا ولكن اقلقه ان يحاول البعض الانقلاب عليه خاصة ان قلب الدين حكمتيار زعيم حزب اسلامي واحد ابرز قادة المجاهدين اعلن يوم ١٧ يناير ١٩٨٩ وقبل اتمام الانسحاب السوفييتى ان السوفييت وضعوا خططا للقيام بانقلاب فى كابول لوضع رجل من اختيارهم بعد انجاز الانسحاب .

والقلق من انقلاب هو الهاجس الاهم للانقلابيين ولمواجهة الهاجس والتغلب على القلق نسبيا يعمد الانقلابيون الى دراسة الثغرات التى ادت الى نجاح الانقلاب لافى وطنهم فقط بل فى الاوطان الاخرى .. وبناء على الدروس المستفادة يخططون ويصممون نظاما أمنيا يكفل لهم الاستقرار نسبيا .

موسكو

الوجه الحقيقى لليهود .. ظهر فى اسرائيل

■ المقطم فى الخميس اول سبتمبر ١٨٩٢

نشرت جريدة « المساجر » الروسية

فصلا كذبت فيه كل التكذيب مانشرته الجرائد عما عومل به اليهود من القسوة والعنف فى روسيا . وقالت انه لاصحة على الاطلاق لما جاء فى جريدة « الدالى نيوز » من ان بعض اليهود ارسلوا مشاة على ارجلهم وهم مكبلون بالسلاسل والقيود فى بطرسبرج وموسكو الى الجهات التى عينت لاقامتهم . وان بعضهم ابعدوا الى سيبريا وقالت انهم يكبلون بالقيود والسلاسل فى روسيا الا المحكوم عليهم بالاعمال الشاقة على ان هؤلاء ايضا لايرسلون مشاة على اقدامهم الى الاماكن المعينة لسجنهم .. وختمت كلامها بما يفيد ان روسيا لم تعامل اليهود بشىء من القسوة او الخشونة .. وان جميع ما نشرته الجرائد فى هذا الشأن انما هو محض اختلاق وبهتان ..

ooo

■ **وكالات الانباء فى الاثنين ١٩ نوفمبر ١٩٩٠**

كشفت صحيفة « دافار » الاسرائيلية ان اريل شارون وزير الاسكان الاسرائيلى المتشدد فى معاداته للفلسطينيين ، يقف وراء تحويل وزارته لشراء مئات المساكن الجاهزة لاقامتها فى المستوطنات الاسرائيلية بالاراضى المحتلة ، وقالت الصحيفة انه تمت اقامة ٢٠٠ مسكن جاهز . وبشكل سرى فى مستوطنات بالضفة الغربية لتوطين المهاجرين القادمين من الاتحاد السوفييتى .

وقد اذاع راديو اسرائيل امس ان نحو ١٤٧ الف مهاجر يهودى وصلوا لاسرائيل منذ بداية العام الحالى وقال الراديو ان يوم الجمعة الماضى وحده شهد وصول الف مهاجر جديد .

ويأتى تشجيع الهجرة لاسرائيل فى محاولة لقلب الوضع السكانى لصالح اليهود امام الشعب الفلسطينى .

وقد اعلنت مصادر فلسطينية بالمقابل عن انه منذ بدء الانتفاضة ، وحتى شهر اكتوبر الماضى استقبل اهالى قطاع غزة ٨٣ الف مولود فلسطينى .

وقد دعا دافيد ماجن وزير الاقتصاد الاسرائيلى فى اجتماع لمجلس الوزراء فى القدس الى فصل نصف الفلسطينيين العاملين فى الأراضى المحتلة واسناد وظائفهم الى اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفييتى .

وقال ماجن وهو من اعضاء كتلة الليكود انه من بين مائة وثمانية الاف من « العمال » العرب يوجد نحو خمسة وسبعين ألفا يعملون بصورة غير قانونية .

ويأتى هذا الطلب من جانب فى ظل الحملة التى شنها اخيرا ضد العمال العرب حزب كاخ اليمينى المتطرف الذى ينتمى اليه الحاخام اليهودى المتطرف مائير كاهانا الذى لقى مصرعه منذ فترة وجيزة

ويأتى ذلك فى الوقت الذى انتشرت فيه لافتات على متاجر بالقدس مكتوب عليها . « لا وظائف للعرب هنا » ووصف ديدى زوكو عضو الكنيست هذه اللافتات بانها تذكره باضطهاد اليهود فى المانيا النازية .

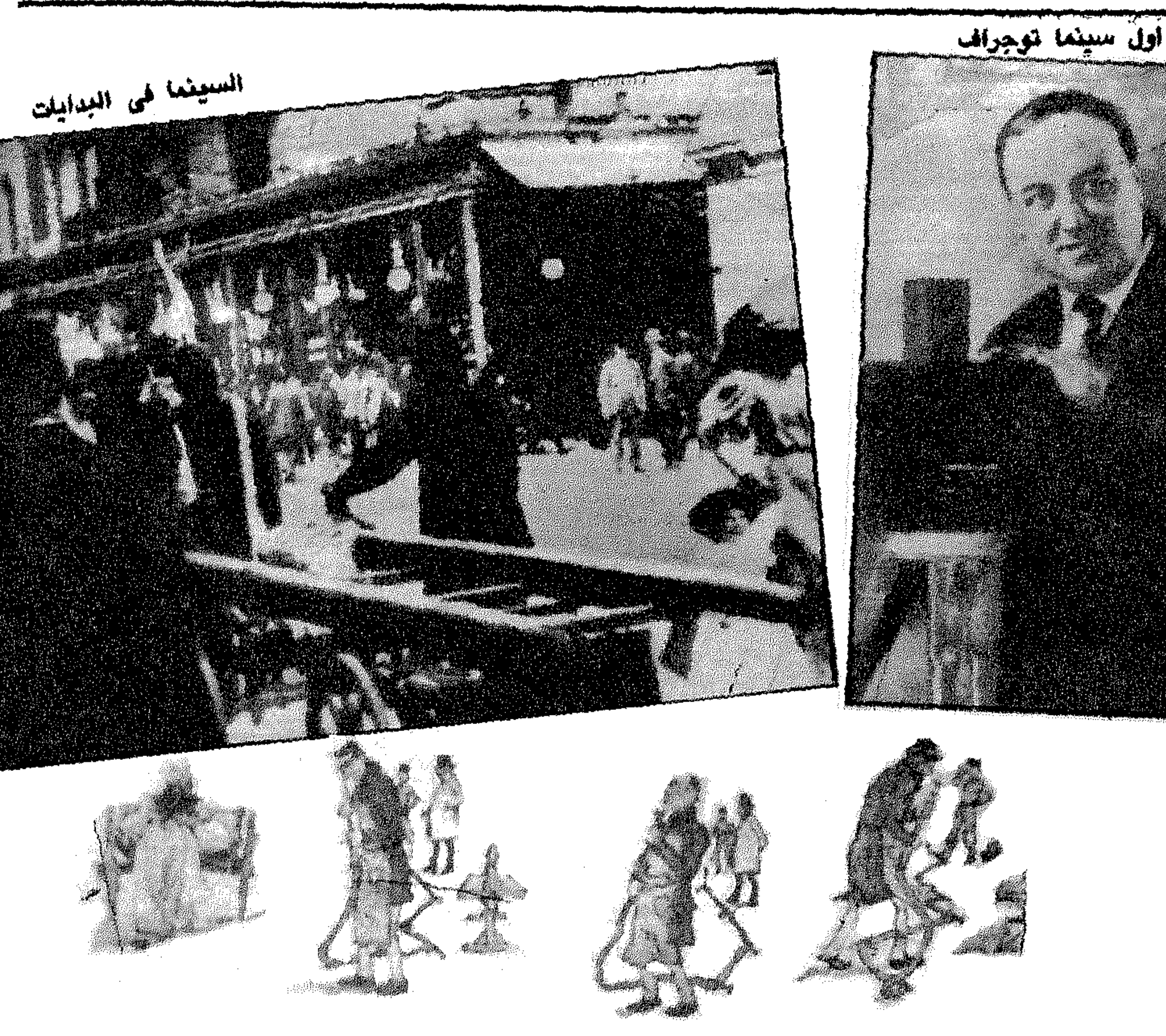
□□□

أيام الميلاد وبداية الاحتلال

بقلم: مصطفى درويش

أول سينما توجراف

السينما فى البدايات



كان احسن الازمان ، وكان اسوأ الازمان ، كان عصر الحكمة وكان عصر الجهالة ، كان عصر اليقين والايمان ، كان عهد الحيرة والشكوك ، كان اوان النور ، وكان أوان الظلام ، كان ربيع الرجاء ، وكان زمهرير القنوط .

بين ايدينا كل شيء وليس بين ايدينا شيء قط ، وسبيلنا جميعا الى قرار الجحيم .

هذا هو عصر الثورة الفرنسية ، وهكذا استهل وصفه الكاتب الانجليزى "شارلز ديكنز" فى فاتحة "قصة المدينتين"

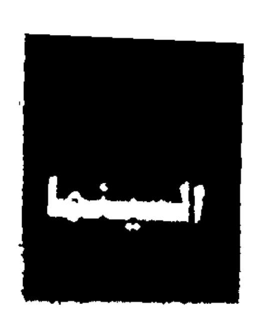
ميزجويس أول عامل عرض





الاخوان لوميير





الا انك ، وكما قال بحق عباس محمود العقاد فى كتابه ابن الرومى "حياته وشعره" "قد تنقل هذا الوصف الى امة غير الامة الفرنسية ، وعصر غير القرن الثامن عشر للميلاد ، وانت لاتخرج به عن زمانه ومكانه وفحواه ، اذ هو وصف صادق لكل عصر من العصور فى تواريخ الانتقال والاضطراب" .

وليس من شك ان الربع الرابع من القرن التاسع عشر للميلاد من تلك العصور التى عندما نصفها وكانما نصف عصرين مختلفين لاعصرا واحدا متناسق الاوضاع والاحوال ففيه لم يبق مكان على الكرة الارضية الا واكتشفه الانسان .

ولم يبق مكان فى القارة السوداء ، بما فى ذلك مصر ، الا وصار بطريقة او باخرى خاضعا لاستعمار رجل ابيض ليس للرحمة فى قلبه مكان .

وفيه نما وازهر العلم ، فهو العصر الذى اخترعت فيه الكهرباء والسيارة والطائرة والغواصة والفوتوغراف "الحاكى" والتليفون "المسرة" والسينما "الخيالة" وما الى ذلك من وسائل الاتصال التى بلغت اقصاها بثورة المعلومات .

وليس بنا ان نسهب فى وصف هذا العصر واستقصاء تاريخه ، فانما يعنينا منه ما يحيط باختراع واحد هو السينما ومقدمها الى مصر فى وقت كان فيه اللورد كرومر آمرا ناهيا مستبدا بشئون العباد .

● **الرحلة العجيبة**

وعلى كل ، فلو فرض وشطح بنا الخيال بحيث يجنح بنا الى ان نتصور كما تصور هـ . ج . ويلز من قبل ان ثمة ما اسماه "آلة الزمان" .

ولم تكتف شطحة الخيال بذلك ، بل ذهبت الى حد دفعنا الى الاقلاع بها فى رحلة الى ماض ليس موغلا فى القدم كما فى قصة "امريكى فى بلاط الملك ارثر" لصاحبها الأديب الشهير "مارك توين" تلك القصة التى ترتد ببطلها الى عصر فرسان المائدة المستديرة ، اى الى ماقبل ستمائة عام .

وليس جد قريب كما فى "العودة الى المستقبل" لصاحبه المخرج الشاب "روبرت زيمسكى" الذى هيأ لبطل فيلمه "مارتى" فرصة ان يستقل آلة الزمان من اجل ان يعود به وهو فى نفس مدينته ، الى الوراء ثلاثين عاما .

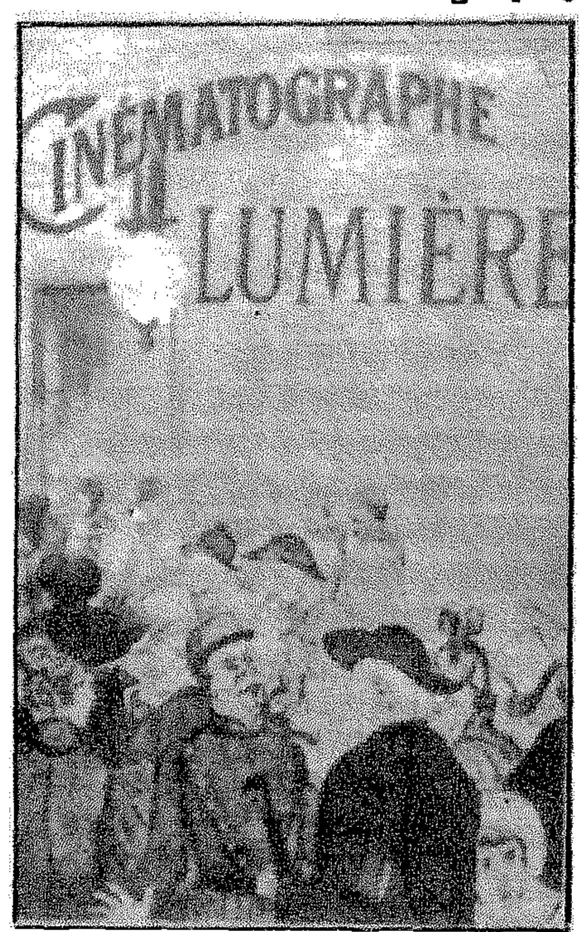
وانما الى ماض وسط بين الاثنين ، لا هو بموغل فى القدم ، ولاهو بقريب ، بحيث نجد انفسنا وقد عدنا بفضل الرحلة الى العالم ومصر بالذات قبل مائة عام ، وبالتحديد عند بدايات العقد الأخير من القرن الماضى ، وقت أن كان الغرب يعيش متخما بخيرات المستعمرات مغتنما اللذات ، راضيا كل الرضاء على العصر ، حتى انه اسماه مدللا "العهد الجميل"

هذا فى نفس الوقت الذى كان فيه الاستعمار يعمل جاهدا على نهب مصر وغيرها من البلاد المبتلاة به ، حتى انتهى بها جميعا الى حال من العسر ونضوب الارزاق ، تضرب بخرابه الامثال .

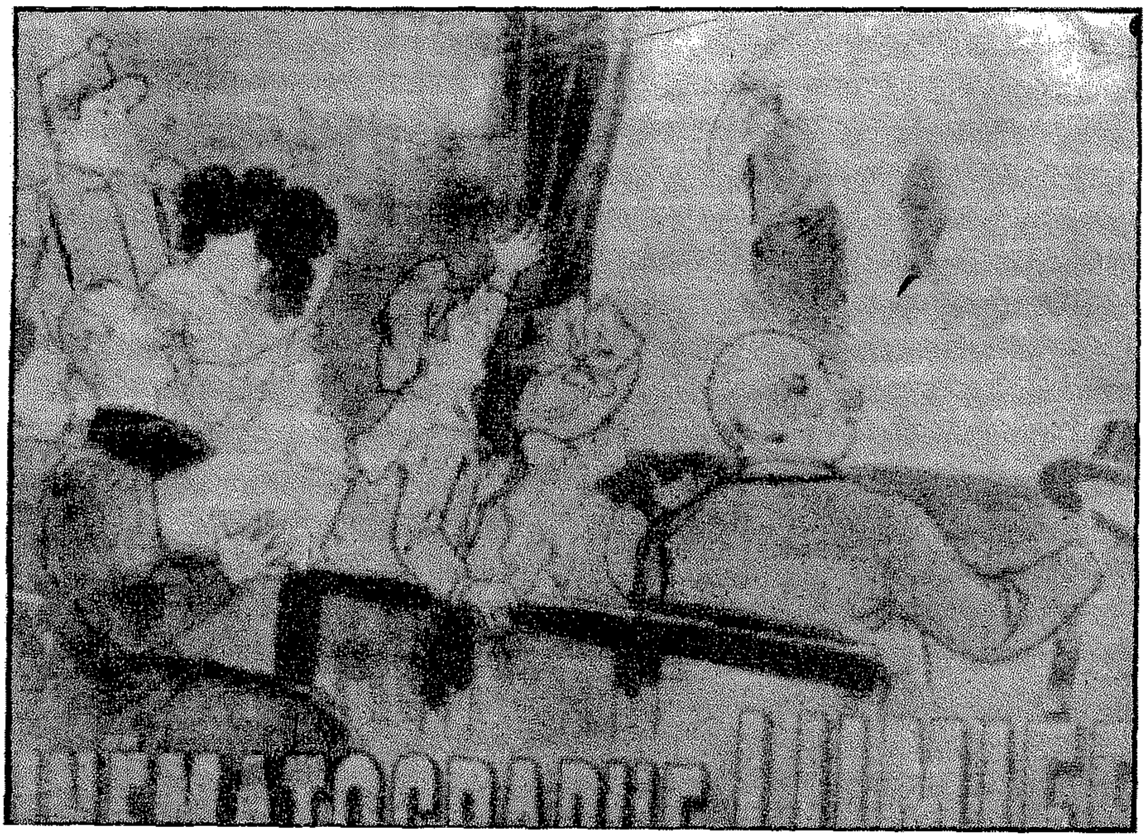
● **غياب الاطياف**

ومهما يكن من الامر فالقدر المتيقن ان اول مايسترعى الانتباه فى عالم ما قبل منتصف العقد الاخير من القن الماضى

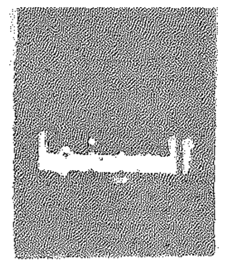
أول ملصق سينمائى







الملصق الثانى



سواء كان هذا العالم شرقيا ام غربيا ، هو غياب السينما تماما .

حقا كانت السينما بمعنى الصورة المتحركة فى مخيلة نفر غير قليل من الباحثين فى الغرب ، لاسيما بعد اختراع كاميرا التصوير العادية اثناء الربع الثانى من القرن الماضى ، وما نتج عن انتشار استعمال هذا الاختراع من صيرورة الصورة الثابتة جزءا من الحياة اليومية لدى الخاصة والعامة على حد سواء .

ولكن احدا من هؤلاء الباحثين او من الرواد الذين نجحوا فى التوصل الى تحريك الصورة لم يطلق على ماهو جار البحث فيه او على ما اخترع عبارة سينما .

فمثلا اطلقوا اسم "كينيتوجراف" على الكاميرا السينمائية التى اخترعها "ويليم كيندى ديكسون" (١٨٩٠) المساعد الموهوب "لتوماس اديسون" المخترع الذائع الصيت .

كما اطلقوا اسم "الكينيتسكوب" على جهاز العرض الذى اخترعه "اديسون" (١٨٩٠) ، وهو عبارة عن آلة تعرض صورا متحركة مسجلة على شريط مثقوب من جانبه ، ولايتمكن من مشاهدة الصور المعروضة بواسطته الا متفرج واحد ، وذلك من خلال فتحه ضيقة ينظر فيها لمدة ثوان

والمقطع الاول من اسمى هذين الاختراعين ماخوذ عن كلمة "كيناما"

اسرة يابانية تتناول الغذاء ١٨٩٧



اليونانية وتعنى "الحركة" ومنها اشتقت كلمة سينما التى تتردد اليوم على كل لسان ، اما المقطع الثانى من اسم الاختراع الاول وهو "جراف" فيعني الرسم او الكتابة فى لغة اليونان .

ويبقى الحال كذلك حتى الثالث عشر من فبراير لعام ١٨٩٥ ، عندما يقوم الاخوان "لويس" و"اوجوست لوميير" بتسجيل براءة اختراعهما لما اسمياه بالسينما توجراف ، وهو عبارة عن جهاز يتيح فرصة عرض الصور المتحركة على شاشة بيضاء امام حشد من الناس .

● يوم فريد

واول مانلتقي به مكتوبا بلغة الضاد في مجلة مصرية عن الصورة المتحركة لا يعدو ان يكون كلمات معدودات منشورة فى عدد للهلال صادر فى الاول من مايو لعام ١٨٩٥ اى قبل يوم السبت الموافق الثامن والعشرين من ديسمبر من نفس العام بحوالي ثمانية شهور ، ذلك اليوم الاغر الذى اهتزت فيه باريس لأول عرض سينمائي جرى على "ملاءة بيضاء" فى الصالون الهندى بالمقهى الكبير ، شارع كابوسين ، وسط مدينة النور .

وما كاد خبر هذا العرض المذهل ، والذى يعتبر بحق واحدا من اهم احداث التاريخ ، لا لشيء سوى انه قد خرجت منه جميع الاطياف التى تحركت على الشاشات كبيرها وصغيرها على السواء من ذلك الحين والى هذه الساعة ، ماكاد يصل الى اسماع جريدة الاهرام ، حتى نشرت مقالا طويلا احتل نصف صفحتها الاولى تحت عنوان "السينما توجراف او التصوير المتحرك" .

● لغة العصر

ومن بين الطرائف التى جاءت فى هذا المقال ، وما اكثرها نقرأ الآتى ..

كان التصوير يجسم لك كل ماتشاء من الصور والرسوم سواء كانت من الاشياء او الجسوم .

فأوانا ترى "انسانا نائما قائما ثم لابسا ثم جالسا فآكلا فشاربا فراكضا فلاعبا فضاحكا فمداعبا فراقصا فراكبا ظهر حصان يعبر به فى ميدان حتى اذا كنت تنظر ذلك لاول مرة اجفلت وجزعت وتخيلت ان الحصان قادم نحوك وهربت من وجهه خائفا مذعورا .

ثم ادركت انك ما كنت الا واهما مسحورا .

وأوانا يتمثل لك شارع واسع تجول فيه العربات وتزدحم فيه السابلة كما تجول وتزدحم فى شارع شريف باشا فتخال انك جالس فى احد حوانيته البديعة وما كان بصرك الا خادعا لك غاشا .

وتارة تنتقل الى شاطىء البحر فترى السماء والماء والامواج تتلاطم وتتلاحم .

كأنها والرياح تضربها
جيشا وغى هازم ومنهزم

ومن عجب انه ليس فى الاهرام او غيره من مطبوعات ذلك الزمان ، ولو اشارة واحدة لردود فعل من شاهدوا لاول مرة فى مصر بعض افلام الاخوين لوميير ، وهى تعرض فى بورصة طوسون باشا بمدينة الاسكندرية (١٨٩٦/١/٥)

هل استمتعوا بما شاهدوا وكيف ؟

هل تحمسوا له مثل جمهور نيويورك الذى بلغ به الحماس مبلغا وصل الى حد



اندفاع نفر من الشباب الى مقصورة العرض حيث المصور وعامل العرض الفرنسى "فيلكس ميزجويس" .

واذا بهم يخرجون به محمولا على الاعناق الى المسرح حيث انغام نشيد المارسييز يتردد صداها فى الاذان ؟

وهل توقعوا له نجاحا واستمرارا ام كان لهم فيه رأى متشائم قريب من رأى "انطوان لوميير" الاب الذى ما ان انتهى العرض الاول بالمقهى الكبير حتى قال "لجورج ميلييس" معقبا "ليس للسينما اى مستقبل" !!

اما بالنسبة لاول عرض سينمائى فى القاهرة فكل ما هنالك بالنسبة لردود فعل الجمهور خبر نشرته جريدة المقطم (١٨٩٦/١٢/٨) عن "جماعة من اهل الذوق ورجال الادب يتقدمهم سعادة محافظ العاصمة قد راقهم ما رأوه من الصور المتحركة حتى خيل لهم انهم يرون امامهم اشباحا متحركة واجساما حية لاينقصها الا الصوت .

وخبر اخر نشرته جريدة "لاريفورم" فى نفس التاريخ عن "ان العرض قد حاز اعجاب ودهشة المتفرجين الافاضل (وكانت صحافة القاهرة ممثلة باكملها) .

وتوالت ١٥ صورة من موضوعات مسلية وناجحة الى حد الكمال ، منتجة مناظر حية ومتحركة ، اثار واقعها الرائع التصفيق الذى تستحقه .

● العودة الى المستقبل

يبقى ان اقول فى نهاية الرحلة اننى وانا فى طريقى عائدا الى الحاضر او بمعنى أصح الى المستقبل وقع نظرى على رسالة موجهة الى الهلال من مواطن قاهرى اسمه "محمد افندى مصطفى" يعمل فى السكة الحديدية .

وما عجبت له هو انه وبعد اول عرض سينمائى فى القاهرة بثمانية اعوام او يزيد يكتب صاحب الرسالة متسائلا "شهدت فى بعض نوادى القاهرة تمثيلا بالصور المتحركة يوهم الناظر انه يرى مناظر حقيقية ، وفى جملة ما مثلوه بها رواية فوست الشهيرة .

فقد رأيت الاشخاص والاشارات والحركات كأن الرواية تمثل على مرسح حقيقى .

فما هو سر هذه الصور ، وكيف تظهر للناس متحركة كأنها ذات حياة (يلاحظ ان صاحب الرسالة لم يستعمل لفظ السينما)

● شطان جديدة

غير ان اغرب ما عجبت له هو رد الهلال لا لطابعه العلمى ، ولا لانطوائه على شرح مستفيض احتل ثلاث صفحات .

وانما لقفزة فى الختام الى المستقبل بقوله وكأنه يقرأ الغيب .

"ويشتغل بعض العلماء الان فى اصطناع صور تتحرك وتتكلم فى وقت واحد باستخدام السينما اتوغراف والفونوغراف معا .

فستأتى ايام نرى بها العالم وحوادثه رأى العين ونحن جلوس فى غرفنا وذلك كله من معجزات هذا التمدن (١٩٠٥/٧/٨)

وكم كان مدهشا ان تمر الايام وتتحقق نبوءة الهلال .

فها نحن الان نعيش مع الاطياف ناطقة بالالوان ، تنطلق الينا عبر الفضاء ، صباح مساء ، لنراها فى كل مكان حيثما نشاء .



جزء خاص



مصر والمستقبل

نحن أمة تبحث عن المستقبل ، وتراثنا يمتد وراء ألوف السنين ولكنه سوف يذهب هباء اذا وقفنا عنده، متجاهلين الحاضر ، غافلين عن المستقبل .

ان العالم سوف يضعنا وراء ظهره اذا جعلنا الماضى حاجزا بيننا وبين المستقبل . والقرن الحادى والعشرون يفتح ذراعيه .

نقدم اليك عزيزى القارىء في مستهل العام الجديد ١٩٩١ هذا العدد التذكارى ، تذكارا للماضى واستشرافا للمستقبل يتضمن هذا الجزء الموضوعات التالية :

البحث العلمى في مصر - وداعا يا سياسة - الاقتصاد المصرى في التسعينات - مهنة بلا مجد - عصر الافلاس العسكري .

« المحــــرر »



البحث العلمى فى مصر:

بين التنشيط والتعويق

بقلم:
د. مصطفى سويف

فى العصر الحديث بكل مايمتاز به من تكثيف للخبرة والتقدم والطموح اصبح قيام المدارس العلمية هو الضمان الرئيسى لقيام نشاط علمي في أفضل صورة ممكنة من حيث الكم والكيف، في أى مجتمع، لكن المدرسة العلمية كيان له مكوناته الأساسية، وله دورة حياته الخاصة، وله بالتالى متطلباته التى تكون فى مجموعها البيئة اللازمة لتخلقه، او المناخ اللازم لنموه نموا صحيحا معافى. ومن هنا فان المعرفة بهذا المجموع، والنظر الأمين فيما هو متوفر وماهو غير متوفر من شروط التخلق والنمو والبقاء من شأنه ان يمكننا من أن نقرر بشجاعة أدبية وضمير مطمئن ما إذا كانت توجد لدينا مدارس علمية، بل ويمكننا من أن نحدد المؤشرات على الطريق إلى العمل على ترسيخها، واتاحة الفرصة أمامها لكى تصبح جزءا من نسيج حياة اجتماعية فاعلة.







اسماعيل صدقى   كريم ثابت

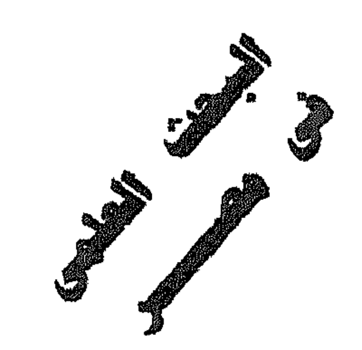


الملك فاروق

● عود على بدء :

ولكى يظل الحديث ملتقى للفكر الواضح بين الكاتب والقارىء نعود فنتوقف عند المقصود بالمدرسة العلمية ، ومانعنيه بقولنا ان لها دورة حياة خاصة بها ، حتى يعيننا ذلك على الرؤية المفصلة لشروط التخلق ، وبزوغ الدورة وتمامها .

اركان المدرسة العلمية أربعة : استاذ فى حالة نشاط فكرى يغلب عليه التوهج والتوجه ، وتلميذ تتشكل هويته فى اتجاه مزيد من الأرتباط بمناشط العلم وقيمه ، ومجال تخصص يجتذب معظم ألسنة الوهج الذى يشتعل فى نفس الاستاذ ، وشبكة بالغة التعقيد تمهد لطراز بعينه من التواصل بين الاستاذ والتلميذ ، هذه الأركان الأربعة اساسية ، وبدونها مجتمعة لاتقوم المدرسة العلمية . اما عن دورة الحياة الخاصة بهذا الكيان أو بهذه المدرسة فلها ثلاث مراحل كبرى : مرحلة التخلق او المرحلة الجنينية وفيها تظهر العناصر الاساسية التى هى الاستاذ ، والتلميذ ، ومجال التخصص ، وشبكة الاتصالات ، لكنها جميعا تكون فى صورة براعم تكشف عن استعدادات لا عن انجازات ، ثم يتغير وجه هذه المرحلة شيئا فشيئا لتصبح مرحلة مسيرة نحو النضج ، فاذا بعض الانجازات العلمية تظهر ولكن من خلال بنية تنطوى على قدر من الهلامية ، سواء فى المهام التى يقوم بها الاستاذ ، او الادوار التى يؤديها التلاميذ ، او فى استقرار التخصص على مساحة بعينها ، او فيما يتعلق بقنوات الاتصال داخل هذا الكيان ، وفى نهاية المطاف نصل الى مرحلة النضج ، حيث الادوار متبلورة، ورقعة التخصص محددة بحدود بارزة ، وابعاد الانجاز بل وامتداداتها المستقبلية مرئية لكل ذى عينين وشبكة التواصل التى تكتنف هذا كله مستقرة عالية الكفاءة .





● مناخ البحث العلمي

يحتاج الانسان من حين لآخر الى ان يتذكر أمورا هى اقرب إلى البديهات أو المسلمات لكى يستقيم فكره ، ومن أمور البداهة فى موضوعنا الراهن ان المدارس العلمية لاتقوم فى فراغ ، بل تنشأ فى سياق اجتماعى له مكوناته وتاريخه وانماط تفاعلاته السائدة المستقرة ، ومن ثم فان مايجرى على هذا السياق من أحداث تتجمع اثارها فى شكل ازمات ، أو تقلبات اجتماعية او سياسية او اقتصادية ، او فى شكل نقلات حضارية لابد وأن تؤثر فى هذه الكيانات التى نسميها المدارس العلمية ، فتصيبها ايجابا أو سلبا بالتنشيط احيانا ، وبالتثبيط احيانا اخر ، وبالتشويه احيانا ثالثة ، وبالاجهاض احيانا رابعة .

من هنا كان لزاما علينا ونحن نتكلم عن المدارس العلمية ، وما اذا كانت توجد ، او يمكن ان توجد ، فى مصر ككيانات فاعلة فى الحياة العلمية خاصة والاجتماعية عامة ، ان نتحدث عن المناخ المحيط بالبحث العلمى فى وطننا ، حتى تكتمل لدينا صورة صادقة بكل ابعادها الواقعية ، فنتمكن بفضلها من أن ننفذ الى الاجابة المفصلة على كل مايحيط بهذه المدارس من علامات استفهام .

المقصود بالمناخ السائد حول البحث العلمى فى مصر ، او فى أى مجتمع ، مجموعة العوامل الاجتماعية ، فى اوسع واضيق دوائرها ، مما يحيط بالبحث العلمى فى صورته الحية ، ويؤثر فى هذه الصورة باى شكل وعلى اى مستوى ، ولما كانت هذه العوامل شديدة التعدد ، ودائمة التفاعل فيما بينها بصورة بالغة التعقيد بحيث يتعذر علينا أن نتصور او نتابع تأثير عامل واحد منها دون تدخل من العوامل الأخرى ، لذلك ساد بين الكتاب ، وخاصة المشتغلين منهم بالتأليف فى الدراسات النفسية الاجتماعية ، استخدام مصطلح « المناخ » او « المناخ الاجتماعى » للاشارة الى هذه العوامل فى تجمعها وتفاعلها معا .

وللحديث عن المناخ بهذا المعنى يمكننا أن نختار عددا محدودا من محاوره الرئيسية التى تنتظم حولها هذه العناصر او العوامل العديدة المشار اليها لبيان الدور الخطير الذى تؤديه فى الحصيلة النهائية للمساعى والآمال المتعلقة بنشوء المدارس وارتقائها .

فى رأينا ان المحاور الرئيسية التى يلزمنا ابرازها وتركيز الكلام عنها ثلاثة ، هى : المحاور السياسية ، والاقتصادية ، والاعلامية ، وغنى عن البيان اننا لن نوفى هذه العوامل حقها فى مثل هذا الحديث بابعاده المحدودة ، لكن هذا لايمنع من قول

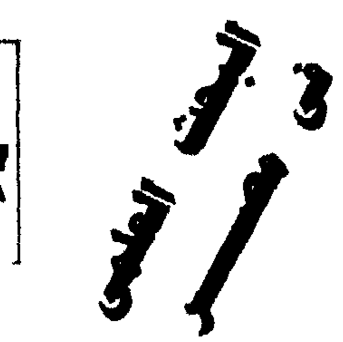
المختصر المفيد سعيا وراء تقديم تصور يبرز الاتجاهات الرئيسية للموقف الراهن ، موقف العلم في سياق الحياة الاجتماعية المصرية الحاضرة ، وبالتالي يعيننا على الاجابة في نهاية المطاف . على السؤال التالى : ماالعمل ؟

نبدأ بالحديث عن البعد السياسى للمناخ السائد من حيث هو مؤثر فى المؤسسة العلمية المصرية ، ولما كان الحديث فى أمور السياسة يثير دائما شحنات من الانفعالات التى قد يصعب السيطرة عليها ، فيلزمنا تحسبا لذلك وترويضا لهذه الانفعالات ان نتمثل منذ البداية تلك الحكمة العربية الثمينة ، « صديقك من صدَقك لا من صدّقك » .

فى خلال الخمسين سنة الأخيرة اى منذ قيام الحرب العالمية الثانية ، غلب على الوجه السياسى للحياة المصرية التقلب اكثر من الاستقرار والتسلط بالقهر والتخويف اكثر من اللجوء الى اساليب الاغراء والاقناع ، والبطش بكل مايقف ومن يقف فى وجه هذا التسلط . ولم تقتصر هذه السمات على السلوك السياسى على مستوى الخطوط العريضة للعبة السياسه بل تسربت كما تتسرب المياد الجوفية فى طبقات الأرض الى اعماق بعيدة ، تسربت هذه السمات الى اسفل حتى صبغت وجه الادارة العامة لمعظم مرافق الدولة ، كبيرها وصغيرها ، حتى بلغت القاع . ولانريد ان يتشعب الحديث بنا اكثر من ذلك ، حتى لايتوه منا الخيط الذى نتابعه

فى هذا الاطار اصاب الجامعات ضربتين كان فيهما مايقرب من القضاء على كل غرس طيب ، كانت الضربة الأولى سنة ١٩٥٤ بفصل مايقرب من خمسين عضوا من اعضاء هيئة التدريس بقرار سياسى . وقبل ان تفيق الجامعات من اثار الضربة الأولى جاءتها الضربة الثانية سنة ١٩٨١ تنكيلا بأعضاء هيئة التدريس مرة أخرى ، بعضهم بالنقل الى وظائف ادارية خارج نطاق العمل الجامعى ، وبعضهم بالسجن ، هذا بالاضافة الى كم كبير من الاعتداءات الأقل فجاجة والأشد مهارة فى التخفى ، لاتزال تنتظر جهود اساتذة تاريخ مصر الحديث للكشف عنها ، وحصرها ، وبيان دلالتها ، ومادمنا نكثر من الحديث فى هذه الايام عما لدينا من حرية وديمقراطية نباهى بها الأمم .

ثم ماذا عن البعد الاقتصادى للمناخ ؟ الضائقة الاقتصادية التى تجثم بثقلها على انفاس الحياة الاجتماعية فى مصر فى السنوات الأخيرة حقيقة موضوعية لاجدال فيها ، ونحن لانجادل فى أن هناك محاولات تبذل للتخفيف من وطأتها ، لكننا لانتحدث هنا فى اطار السنوات القليلة الماضية ، بل نتحدث فى اطار الخمسين سنة الأخيرة ، لان هذا الامتداد الزمنى هو الذى يصنع المناخ ، على مر هذه الفترة الزمنية تعرض البعد الاقتصادى للحياة المصرية لتقلبات متلاحقة وعنيفة أحيانا ، مما جعل بعض اثارها تضاف الى اثار البعد السياسى فى تعميق جذور القلق واختلال الاطمئنان نحو الحاضر والمستقبل ، ولست اتحدث هنا كخبير فى علم الاقتصاد ، ولكنى اتناول الاثار النفسية لأمور الاقتصاد على نفوس المواطنين عامة ،





والافراد العلميين بوجه خاص ، اى مايدركونه ويعانون منه لانه يقع عليهم مباشرة وعلى مؤسساتهم العلمية ، فالذى يشهدونه ويقاسون منه هو انخفاض القدرة الشرائية لدخولهم ، واستمرار اتساع الفجوة بين هذه القدرة من ناحية واحتياجاتهم المعيشية والمهنية من ناحية أخرى ، ومايولده ذلك لديهم من توترات واحباطات واجهاد نفسى لايستحقونه . وهم فى الوقت نفسه يلاحظون تقتيرا لاتخطئه العين فى الانفاق على مؤسساتهم العلمية ، ولدهشتهم وغضبهم يلاحظون الى جانب ذلك أنواعا من السفه فى الانفاق المظهرى ومقتضيات النفاق الاجتماعى داخل مؤسساتهم وخارجها لايستطيعون ردها ، ولاتحجيمها ولامحاسبة القائمين عليها .

ثم نأتى الى البعد الاعلامى ، كان الاعلام حتى قبيل الفترة الزمنية التى نتحدث عنها ، بل وفى السنوات المبكرة منها ، هامشيا ، فى وجوده وفى وطأته على حياتنا الاجتماعية ، ولكنه بدأ يكتسب وزنا متزايدا منذ اواخر الاربعينيات واوائل الخمسينيات بصورة لافتة للنظر ، وفى الوقت نفسه بدأت الدولة تحكم قبضتها عليه ، وكأنها تنبهت فجاءة الى فاعلية هذا السلاح فى تشكيل الحياة الاجتماعية فى العصر الحديث ، والقصة هنا مليئة بفصول الاثارة منذ عين الملك فاروق مستشارا صحفيا له هو كريم ثابت ، فى اعقاب الحرب العالمية ، ورصدت السراى الملكية مبلغا كبيرا من المال للاعانة فى انشاء جريدة تكون مهمتها الأولى تلميع صورة الملك وتلويث صورة حزب الوفد (القديم) وصادر رئيس الوزراء اسماعيل صدقى باشا فى اخر وزارة له فى النصف الثانى من الأربعينيات سبع صحف معارضة بقرار واحد بين يوم وليلة ، ثم ماحدث من معارك كلامية فى اوائل الخمسينيات بين « صلاح سالم » وعائلة « ابو الفتح » انتهت بوقوف دبابة فى شارع قصر العينى امام مبنى جريدة كانت تعرف باسم جريدة « الشعب » الى اخر المطاف عندما كانت تصادر يوميا جريدة « الاهالى » فى نهاية السبعينيات واول الثمانينيات . قصة طويلة نتركها هى الأخرى لاهل الاختصاص العلمى بين اساتذة التاريخ المصرى الحديث .

● العلم .. والحرية

اين هذا البعد الاعلامى من حركة البحث العلمى فى مصر؟ والاجابة تتمثل فى النقاط الأربع التالية :

● اولا : كان الاعلام المصرى شديد الاحتفال باخبار السياسة ، وخاصة مايتعلق بالحكام ، وباخبار الرياضة وخاصة مايتعلق بكرة القدم ، وباخبار النجوم وخاصة فى عالم السينما

والمسرح والغناء ، وتلك مادة تروج في مجموعها لقيم بعينها ونماذج حياتية وسلوكية لايجوز ان تعطي كل هذا البروز في حياة الشباب خاصة وفي توجهات المواطنين عامة .

● ثانيا : كان الاعلام المصرى ولايزال شديد الاقتصاد في متابعة المؤتمرات العلمية الجادة التي لايحظى المشاركون فيها بلون معين من النجومية التي لاصلة لها بالعلم اصلا ولا فرعا .

● ثالثا : قام الاعلام المصرى في فترة الخمسينيات والستينيات بوجه خاص بدور مدمر بالنسبة لكثير من القيم والسلوكيات اللازمة لتنشئة الشباب على حب العلم والتعلق به كالتفرغ ، والتكريس ، والزهد في بعض المغانم المادية العاجلة .. الخ .. فسمى التفرغ سلبية ، والتكريس تقوقعا والزهد في المغانم المادية العاجلة لامبالاة ، الخ .. وتحت هذه المسميات الجديدة اشتدت حملات التأثيم والتجريح لاية دعوة الى التوجه المبكر نحو التعلق بالعلم والحياة العلمية ، بل واصبحت صفة الاكاديمية محل سخرية وتأنيب صريح احيانا ومستتر احيانا اخرى .

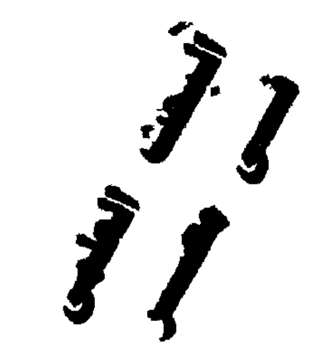
● رابعا : في السنوات الاخيرة بدأت بعض تباشير الانفراج ، واضحت بعض الصحف تخصص من حين لآخر صفحة او مساحة معقولة للحديث عن العلم والمشتغلين به ، الا ان هذا الاتجاه سرعان ماتناوله الفساد بغلبة الطابع الاعلاني عليه ، وهو طابع اعلاني شخصي في معظم الأحوال يقدم وكأنه تضحية من الجريدة بنشر اعلان غير مدفوع الاجر .

تلك هي الملامح البارزة للأبعاد الرئيسية الثلاثة للمناخ الاجتماعي السائد حول البحث العلمي في مصر . يجدها القارىء موجزة غاية الايجاز ، لكنها ناطقة بدلالات غاية في البلاغة والافصاح .

● المدارس العلمية مرة آخرى

في ظل هذا المناخ تبدو الاجابة واضحة ومبررة ، لاتوجد لدينا مدارس علمية بالمعنى الدقيق لهذا الاسم لان مكونات المناخ الاجتماعي السائد لاتسمح بذلك بل وتعوّقه ، واعتقد ان القارىء يستطيع اذا اجهد نفسه قليلا ان يتتبع علاقات السبب والنتيجة بين طرفي القضية : المناخ الاجتماعي كما وصفناه ، والمدارس العلمية كما حددناها ورصدنا دورة نموها .

فالمدارس العلمية بهذا التحديد المتعارف عليه في عالم الاشتغال الجاد بالعلم (لا الاشتغال المظهرى) تحتاج الى توفر حد امثل من الاستقرار والاطمئنان الذى يسود علاقة العاملين في الحقل العلمي بالسلطة داخل مؤسساتهم بوجه خاص وفي المجتمع العريض من حولهم بوجه عام ، والمقصود هنا هو الاستقرار طويل المدى الذى يدوم عبر أجيال عدة بحيث يسمح بالتخلق التلقائي لمجموع القيم والضوابط المكتوبة ، (في اللوائح والقوانين) وغير المكتوبة . ثم اذا بطاقات آلابداع العلمي تنطلق كنمو كيفي جديد يتوجه في نهاية الأمر ظهور





المدارس العلمية . وللأسف الشديد ان هذا الاستقرار المطلوب كشرط لتوليد الاطمئنان المشار اليه لقى مالقى فى بلادنا ، فكان الخاسر فى النهاية هو المجتمع باسره ، ولايعنى تركيز الحديث فى هذا المقام على الجامعات ان مراكز البحوث كانت بمنأى عن حقيقة ما اصاب الجامعات ، بل لقد اصاب المراكز ما اصاب الجامعات ، ولكن كان لهذا الذى اصابها صور ومسارب اخرى .

ثم ان المدارس العلمية تحتاج الى قدر معقول من الانفاق ، على المعامل والمكتبات ، والاجتماعات والاسفار ، ومن الأمور التى يجب ان تعرف وتقال فى هذا السياق ان البحث العلمى فى العصر الحديث مكلف فعلا ، ولم يعد الأمر كما كان فى القرن أو القرنين الماضيين ، بل ولم يعد كما كان فى أوائل هذا القرن العشرين ، البحث العلمى الان مكلف بصورة لايمكن أن يطيقها الجيب الخاص ، ولاتكفى لمواجهتها الميزانيات الهزيلة المصنفة تحت بند « البحوث » فى ميزانيات الكليات الجامعية ، فاذا ظل التقتير هو القاعدة ، واذا ظلت القاعدة الاضافية هى اختلال الترشيد فى انفاق القليل المتاح ، واذا أضيف الى ذلك كله الاتساع المتزايد بين القدرة الشرائية لدخول الافراد الباحثين واحتياجاتهم الحياتية ، فالنتيجة معلومة ، مسبقا ، ومظاهرها مسجلة فى كل اشكال الهجرة (وهى الوجه الحاد لاختلال الاستقرار) بعيدا عن العلم وطموحاته ، وعن المؤسسة العلمية ومساراتها الطبيعية ، بل لقد اصبحت هذه المظاهر مسجلة فى اشكال اخرى ربما كانت امعن فى الاضرار بمستقبل العلم فى بلادنا من سلوكيات الهجرة (وأحاديث البحوث الممولة تمويلا اجنبيا يصحبه غالبا املاء نوعية المشكلة المطلوب بحثها ، وأسلوب البحث ، وتوجيه توظيف النتائج ، تمثل قصة قائمة بذاتها ، اشتعل حولها الجدل على صفحات « الأهرام الاقتصادى » فى اوائل الثمانينيات ، ولاتزال بقية فصولها تنسج بعيدا عن الأضواء) . والنتيجة الاسوأ من ذلك كله ان المحاولات المحدودة التى لايزال يتشبث ببذلها ندرة من العلماء الافراد لاجتذاب تلميذ هنا وتلميذ هناك نحو البحث العلمى كقيمة ، هذه المحاولات اصبح لها رنين الافراط فى نوع من الخيال لا صلة له بالواقع فكيف والحال هذه يمكن ان تقوم للاستاذ نفسه قائمة .

واخيرا هناك الاعلام ، المقروء والمسموع والمرئى ، بما يترسب منه فى الوجدان العام ، سواء عن طريق مايقدمه أو ما لايقدمه ، ويستطيع القارىء ان يتتبع بنفسه الخيوط التى

تصل بين النقاط الأربع التى اوردناها بصدده ومتطلبات التربة الصالحة لاستنبات قيم البحث العلمي والمدارس العلمية .

هذه هي الصورة في اعم خطوطها ، بالقدر الذى يسمح به المقام ، خلاصتها انه لاتوجد لدينا مدارس علمية بالمعنى الدقيق الذى رسمنا حدوده ، وذلك لان الشروط التى يلزم توفرها فى المناخ الاجتماعى السائد لاتسمح بهذا الوجود ، واكاد اقول انها لاتسمح به بدءا من مرحلة التخلق الجنينى .

ولكن ليس معنى ذلك انه لم تقم ، ولاتقوم ، لدينا بالفعل ، محاولات فى هذا السبيل ، الواقع انه قامت وتقوم لدينا محاولات فى هذا السبيل ، غير أنها نادرة ، واندر من ذلك بكثير نسبة مايقدر له ان يصل الى مستوى متواضع من التوفيق .

● عنصر الأمل

لسنا هنا بصدد قصة من قصص الادب الرخيص يحرص فيها المؤلف على تقديم النهاية السعيدة ، ولكننا بصدد وصف أمين للواقع المصرى الراهن ، دون افراط ولاتفريط ، موطن الأمل القائم فعلا فى واقعنا المصرى الحاضر يتمثل فى أن جميع العناصر الأربعة الرئيسية اللازمة لتكوين المدرسة العلمية ، وهى الاستاذ ، والتلميذ ، والمعرفة الايجابية بمجالات التخصص على اختلاف درجات جاذبيتها ، وأدوات الاتصال موجودة فعلا ، ولكن كعناصر متفرقة يعلوها بعض الصدأ ، لدينا كم من الاساتذة ، وكم من التلاميذ ، كم كبير يسمح ببروز الكيف ، وعندنا قدر لابأس به من الانفتاح على العالم المتمرس بالعمل العلمى الجاد ، ولدينا كذلك خبرة بالتعامل مع ادوات الاتصال (النشرات والدوريات والحلقات الدراسية والمؤتمرات) ، كل هذا موجود فعلا ، ولدينا كذلك رصيد تاريخى من سير الشخصيات الفكرية والعلمية الفذة التى اسهمت باجتهاداتها فى ترسيخ الفكر والعلم كقيمة ، من أمثال رفاعة رافع الطهطاوى ، وعلى مبارك وعبد العزيز فهمى ، واحمد لطفى السيد وطه حسين وعباس العقاد ، وعلى مصطفى مشرفة ، وعبد الحليم منتصر ، ومصطفى عبد الرازق ، وامين الخولى ، وعبد العزيز الاهوانى ، ومصطفى زيور ، وغيرهم ، من الاحياء الذين يمثلون اصالة المعدن النفيس فى حياتنا ، بل لقد امتدت اجتهادات بعضهم الى اقامة الصالون الفكرى وهو صورة تقترب بعض الشىء ، من هيكل المدرسة العلمية وان لم تكن مطابقة له تماما ، ولكنها على كل حال من خصوبة التربة الوطنية لقيام مدارس العلم بصورتها المرجوة .

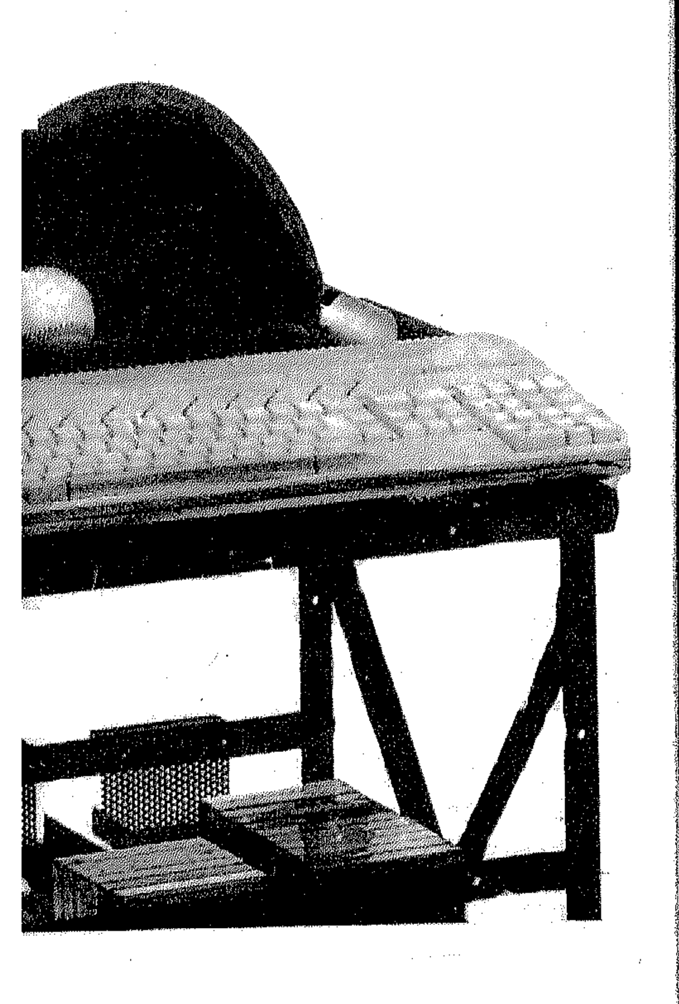
وماينقصنا الآن فعلا هو الاصلاح الجذرى (الارادة والفعل) لكل ماينتمى الى ماأسميناه « المناخ العام » وتلك مهمة بالغة الصعوبة لكنها ليست ضربا من المحال ، ومسئوليتها قسمة مشتركة بين الحاكم والمحكوم .



وداعا ياسياسة

بقلم :
د. سهير القلماوى

يموج العالم وخاصة البلاد التى ترتفع فيها معدلات الانتاج ويكثر فيها الشركات والمؤسسات الاقتصادية العملاقة بابحاث حول مستقبل العالم الاقتصادى ، ولا يعكف الباحثون فى هذا المضمار على انفسهم وانما وسائل الاتصال الحديثة وطرق استعمال المعلومات عبر المحيطات والبلاد تسهل الاتصال السريع لتبادل نتائج مرحلة من مراحل البحث ليضيف عليها الباحث الآخر وينتفع بالجهد والوقت الذى كان سيبذله فى سبيل معلومة وصل اليها غيره .



ولقد قسموا التاريخ من زمن بعيد الى مراحل أو عصور ، عصر قديم ، وآخر وسيط ، وثالث حديث ، وعند الحديث توقفوا عن عملية التقسيم واكتفوا بان سموه ما بعد الحديث ، وظل مفتوحا للتغيـرات الضخمة السريعة دون أن تلوح فى الأفق معالم عصر جديد يطلقون عليه إسما ليسهل عملية التقسيم الزمانى حسب تطور الحضارات ورقيها .

وفى عصرنا هذا المسمى ما بعد الحديث تختلط الرؤية وتتنوع وتتعدد بحيث لا نكاد نجد اتفاقا بين هؤلاء العلماء الا على نقاط فرعية ، لاتكاد تلامس قشرة المشكلة الكبرى التى يواجهها الانسان ، وهى كيف ينمو الاقتصاد دوليا ليتيح الفرصة لكل فرد فى البشرية أن يحقق سعادته .

وكانت الحكومات تتدخل بالتنظيم والمساعدة حتى وصلوا الى الحقيقة الكبرى التالية ، أن الاقتصاد لايمكن ان يخضع لحكومة مركزية أو محلية وكل ماتطلبه من الحكومات ان تقوم بما هو ليس من اختصاصها كما يرى علماء الاقتصاد .

إن الشركات الكبرى العملاقة اصبحت موجودة فى كل بلد تقريبا يشكل أو باخر ، المصانع مبثوثة فى كل مكان وسياستها لاعلاقة لها بسياسة الحكم او الحكومة .

إن الشركة او المؤسسة لها قوانينها ولاتستطيع بلد ان تشن اليوم حربا على بلد اخر لأن فرع المؤسسة العملاقة له من خارج البلد ما يحميه بل سرعان مايقدر المعتدى حماقته ان يتعدى اذ ان النتائج التى يرجوها باعتدائه لن تتحقق ثم انه فى كل موقع جنسيات لاحصر لعددها لان هذه المؤسسات تستخدم اية خبرة او مهارة من اى بلد تجدها فيه ولا تقف فى سبيلها حدود جغرافية او سياسية باى شكل من الاشكال .

● صراع مستمر

كانت الحروب فى المجتمع الزراعى تدور حول رغبة التوسع فى الرقعة الزراعية المستغلة وكانت اساطيل الدول القوية تجوب البحار وتخوض الحروب فى سبيل ان تسيطر على





مصادر الزراعة او الصناعة اى بحثا عن ارض زراعية شاسعة او منجم فحم او حديد او اى معدن لازم للصناعة .

وخاضت اسبانيا ، وكانت سيدة البحار ، حربا عظيمة ضد الاساطيل البريطانية وانتصرت الاساطيل البريطانية واصبحت بريطانيا سيدة البحار وصاحبة الامبراطورية التى لاتغيب عنها الشمس كما قالوا لاتساعها وافتراشها مساحات ضخمة شرقا وغربا ومر عهد الاستعمار البريطانى ومثله الفرنسى وجاء حديثا الخلاف الايديولوجى فى محاولة السيطرة على العالم شيوعية ورأسمالية وامتد الصراع عشرات السنين فى سبيل السيطرة وجئنا الى عصرنا الحديث فإذا هذه السيطرة تتقلص حتى لم يعد هناك معسكر يرغب فى بذل التضحيات الجسام ، ذلك ان السلطة المركزية ايا كان حجمها قد انتهى عهدها . ان اى اختراع يمكن أن يقفز بالانتاج الصناعى او الزراعى الى مجالات خرافية لايمكن ازاء التطورات الحديثة فى عالم المعلومات ان يكون وقفا على فريق دون فريق وما دامت فرص الافادة متاحة فان الجهد كل الجهد ، يجب ان يبذل فى سبيل ان تكون هذه الاتاحة ممكنة والافادة منها ممكنة ايضا .

إن العمالة فى هذه المؤسسات الدولية الضخمة مفتوحة الابواب لكل جنس ولون المهم هو المهارة ! والخبرة والمعرفة التى يمكن ان تستفيد منها المؤسسة ومن هنا جاءت الخبرات النادرة كما تقول التى تضخمت فى عصرنا الحديث وليس البحث ابدا فى وسيلة منعها وانما البحث فى مزيد من الافادة منها .

إن شركة كشركة "جنرال موتورز" للسيارات مثلا فيها اعداد خرافية من كل جنس ووطن ولها فى انحاء الارض على اتساع كرويتها فروع وفروع . وهذه الفروع اكثرها غير مستقرة وإنما اكثرها مرتبط بالشركة الام فهى التى تزوده بالمعلومات الاحدث فالأحدث وهى التى تموله وتصرف منتجاته وهكذا .

ولكن ما دور الحكومات اذن واين تدخل السياسة فى هذا العصر الحديث .

الحكومات ـ كما يقول احد الخبراء ـ يجب ان يقتصر عملها على تقديم الخدمات للمواطنين المحتاجين اليها ، خدمات للاطفال وللمعوقين وللمرأة اثناء قيامها بوظيفتها البيولوجية (ايجاد النسل ورعايته) وكذلك المعوقين والعاطلين عن العمل .

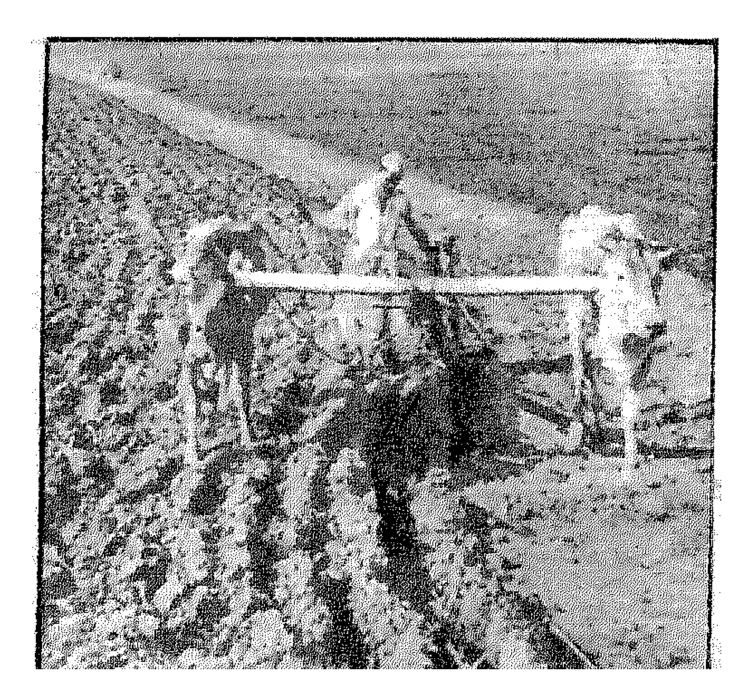
ولكن من اين لهذه الحكومات التمويل الذى يمكنها من القيام بهذه المهام . طبعا من الضرائب ولكن ضرائب على من على الافراد والاهم

ضرائب على هذه المؤسسات الضخمة تتناسب مع طموح الانسان وتطلعه للمستقبل .

● كفاح من اجل الحرية

ويأتى السؤال الأهم المتفرع من مناقشات الاقتصاديين الجدد لمقولة "هيجل" ان التاريخ له وجه اخر ويفيض فلاسفة عصر هيجل والفلاسفة الى اليوم حول ماذا كانت بداية الخليقة وهل لهذه البداية (اذا ثبتت) نهاية يمكن ان ندركها بعقولنا القاصرة الى حد بعيد . ماذا عن الانسان نفسه عن فكره وعن وجدانه وهل الحياة مجرد ضمان للمستلزمات الاولى أكل وملبس وصحة جيدة ، انها قطعا فوق هذا ولكن ما هذا الفوق وهل يتفق عليه الناس ، يقول البعض الهدف هو السعادة .. وما السعادة ويقول اخرون الهدف الحرية ويقول دستوفسكى (الروائى الروسى

لم تتغير نواميس الزراعة فى مصر منذ ٥٠ قرنا



المعروف) ان الانسان يجاهد فى سبيل ان يحصل على الحرية ولكن التاريخ اثبت انه بمجرد حصوله على هذه الحرية سرعان ما يتنازل عنها للذى ساعده فى الحصول عليها او لغيره .

ويقول علماء الاقتصاد الجدد اننا لانحدد ان هدفه ملك له وحده هو الذى يختاره وهو الذى يسعى اليه وما على المجتمع إلا ان يهيىء له فرصة ان يكون مختارا بل على المجتمع ايضا ان يهيىء له فرص ان يختار احسن الخيارات .

وهنا يناقش علماء الاقتصاد الجدد مؤسسات التعليم والثقافة ، ويقررون ان ما يكتب فى الصحف ويذاع مرئيا او مسموعا انما هو مقولات متدنية فى التفاهة والجهل اما التعليم فما دامت الحكومات مسيطرة عليه فلا امل فى ان يرتفع مستواه الى ماهو مطلوب منه اداؤه . الأداء الفردى النابع من الرغبة الشخصية والذى يخلق انواعا لاتحصى من التنوع والاختلاف هو المرغوب فى عالمنا الجديد ، المناخ العام الذى يتيح للقائد ان يدل وللمصلح ان يمارس تصوره للاصلاح هو المطلوب من الحكومات ان تتيحه . بل ان نهاية التاريخ كما يقول "هيجل" بعيدة جدا وان كانت حتمية والعقبات فى سبيلها فى ان المؤسسات التى تعمل فى ميادين تحرير السياسة والاقتصاد والثقافة مازالت ضعيفة على وجه الأرض كلها .

ان هدف كل نظام هو عدالة توزيع الثروة على المواطنين جميعا كان هذا





ومايزال لكن هناك العاطلين بالوراثة كما يسمون او العاطلين رغم انفسهم لعدم ايجاد فرص عمل لهم والكسالى والمستهترين الخ فهل كل هؤلاء لهم نصيب من الدخل القومى وكيف يتفاوت او ينمحى نصيب اى منهم .

ان محور الرأسمالية او الاقتصاد الحر هوالديناميكية والعقل الخلاق (الاختراع او الاكتشاف) وهذا مالا يمكن التوصل اليه للكل الى الآن على الأقل ، لذلك لابد من النظر الى عدالة التوزيع بموازين مدروسة ودقيقة مع عدم اغفال ان ليس هناك المجتمع المغلق على نفسه فالمجتمعات تتلاقى وتتلاقح وتتبادل الرأى وهذا على النطاق العالمى اخذ فى التوسع والزيادة يكفى ان نذكر ان هيئة الامم كانت سنة ١٩٤٨ تضم ٤٨ دولة وهى اليوم تضم ١٦٦ دولة .

ان الكثيرين فى امريكا يقتنعون بان الشيوعية فشلت ولكنهم لايزالون يستعملون اساليب شيوعية وخاصة فى الخدمات العامة للمجتمع وميادين رعاية الاطفال والعاجزين او محاربة المخدرات الخ .

لقد كان اكبر عدد من العاملين فى المجتمع موظفى حكومة والآن هم لايزيدون عن الثلث والباقى يعمل فى مؤسسات دولية فى اغلب الاحيان على ارض الوطن او يهاجر إليها أن موضوع الهجرة وحده لو تأملنا لوجدنا فيه تغيرات كثيرة وعميقة فى السنوات الاخيرة ، حتى نظرة المواطن العادى الى الهجرة تغيرت والمهاجرون منه من كل الطبقات وكل المهن فالمطلوب ليس مجرد الصلاحية للعمل انما المطلوب موظف يعرف ومستعد ان يعرف اكثر هذه هى النوعية المطلوبة فى المؤسسات الكبرى عبر البحار .

ان القراءة فى هذه التاملات تدفعنى الى التساؤل واين نحن العرب من كل هذا اننا خير أمة اخرجت للناس ولكننا لانعرف فيم هذا الخير ، وطن ممتد باتصال دون انقطاع من الخليج الى المحيط كما يقولون فيه تتنوع البيئات جغرافيا رغم تقاربها ولكن الاهم ان هذا المجتمع يدين بدين واحد يتسع للاقلية من اهل الكتاب فى رحابة نادرة انه يتكلم لغة واحدة لغة عمرها ستة عشر قرنا واقدم اللغات الحية لايتطاول تاريخها إلى اكثر من خمسة قرون وهذه اللغة حية مقدسة انها لغة القرآن الكريم المعجز ومعجزاته اصلا بيانية والأمىّ والمتعلم كلاهما يقرا ويحفظ ويسمع ايات القرآن كل يوم .

ابعد هذه الاواصر كلها هل نحن محتاجون الى جهود معجزة لتكون لنا مؤسسات صناعية وزراعية عملاقة تفترش اجزاء ضخمة من الكرة الارضية بعد الوطن العربى كله .

اللهم اهدنا الى منابع قوتنا وجنبنا مزالق ضعفنا انك انت السميع العليم ...



الاقتصاد المصرى في التسعينيات

استطلاع المستقبل من قراءة الماضى

بقلم : د . جلال أمين

على الرغم من قتامة الوضع الاقتصادى فى مصر اليوم ، فإنى لست من المتشائمين بمستقبل الاقتصاد المصرى فى التسعينيات . نعم : ربما استمرت بعض مشاكلنا الاقتصادية حتى نهاية القرن ، بل لعل هذا هو الأرجح ، وربما تفاقم بعضها وازداد حدة ، ولكن هناك ايضا من التطورات الايجابية الهامة مايبدو لى محتملا جدا بل ومرجحا ، انى استمد هذا التفاؤل من قراءتى لتاريخ مصر الاقتصادى الحديث ، وعلى الأخص من قراءتى لما كان يجرى فى مصر فى فترة مابين الحربين العالميتين ، وبالذات فترة الثلاثينيات .

مرت مصر منذ ولى محمد على الحكم فى ١٨٠٥ بفترات متتابعة من الانغلاق النسبى على النفس يتلوه انفتاح على العالم ، او بالاحرى ، فترة من التدخل الشديد من جانب الدولة تتلوها فترة من تراخى قبضة الدولة وتحرير النشاط الفردى من القيود ، كان عصر محمد على (١٨٠٥ ـ ١٨٤٨) من النوع الأول ، وعصر خلفاء محمد على ابتداء من سعيد باشا حتى قيام الحرب العالمية الأولى من النوع الثانى (١٨٥٤ ـ ١٩١٤) . وكان عصر عبد الناصر من النوع الأول (١٩٥٢ ـ ١٩٧٠) وعصر السادات ومبارك من النوع الثانى (١٩٧٠ ـ...) كانت فترة الثلاثينيات من هذا القرن ، وهى الفترة التى سأركز عليها القول هنا لاننى اعلق عليها اهمية خاصة فى محاولة استكشاف ملامح التسعينيات فترة ذات ملامح متميزة بعض الشىء عن كلا النظامين : نظام تدخل الدولة الصارم ونظام الحرية الاقتصادية ، اذ كانت

الاقتصاد المصرى في التسعينيات

تجمع بين بعض ملامح كلا النظامين .

لم تعرف هذه الفترة ، فترة الثلاثينيات نظام احتكار الدولة لقطاعات واسعة من النشاط الاقتصادى الذى عرفته مصر فى ظل محمد على ثم فى ظل عبد الناصر ، ولكنها عرفت ادخال نظام التعريفات الجمركية الحمائية الذى يميزها عن فترة الانفتاح المطلق الذى ساد مصر ابتداء من عهد سعيد باشا ، كما يميزها عن فترة التخلى التدريجى عن هذه الحماية الذى عرفته مصر فى ظل انفتاح السادات . ظلت الصناعة المصرية خلال الثلاثينيات فى يد القطاع الخاص ، الأجنبى والوطنى ، بعكس الحال فى ظل محمد على وعبد الناصر ، ولكن الدولة لم تقدم على اتخاذ اجراءات تتعمد بها اضعاف قدرة القطاع الخاص الوطنى لصالح الواردات كالذى حدث خلال العقود الثلاثة الأولى من عصر الاحتلال الانجليزى ثم جدت من جديد منذ دشن السادات سياسة الانفتاح كذلك ، ظل القطاع الزراعى خلال الثلاثينيات متحررا من التدخل الكبير من جانب الدولة الذى عرفته الزراعة المصرية فى ظل محمد على وعبد الناصر ، ومع ذلك فقد تدخلت الدولة فى الثلاثينيات لمساعدة صغار المزارعين على مواجهة الاعباء التى فرضتها الأزمة العالمية وماترتب عليها من انخفاض شديد فى اسعار محصول القطن .

● تاريخ له صدى

يمكن أن نتبين ايضا ملامح مماثلة على المستوى السياسى ، كانت مصر فى الثلاثينيات مازالت ترزح تحت الاحتلال الانجليزى ولكنها كانت قد حصلت على بعض مظاهر الاستقلال فى ١٩٢٢ ثم على مزيد منها طبقا لمعاهدة ١٩٣٦ لم يكن من المتصور بالطبع ان يكون لمصر فى الثلاثينيات حاكم مطلق من نوع محمد على أو عبد الناصر ، حينما كانت القرارات الاساسية تصدر من السفارة البريطانية فى جاردن سيتى ، ولكن مصر مع ذلك لم تقدم فى هذه الفترة بعض الزعماء الوطنيين المؤثرين فى مجرى الحياة السياسية والاقتصادية .

كانت اهم العوامل التى حددت السمات الاساسية لتطور مصر الاقتصادى خلال الثلاثينيات هى الأزمة العالمية ، فقد ادى التدهور الشديد فى اسعار المواد الأولية ومنها القطن ، الى تدهور شديد فى حصيلة مصر من العملات الاجنبية ، ومن ثم الى ضعف شديد فى قدرتها على الاستيراد ، الأمر الذى فرض عليها الاستعاضة بانتاجها الصناعى المحلى عن استيراد المنتجات الصناعية من الخارج ، فاذا اضفنا الى ذلك ماتوفر لمصر خلال العقد السابق ، اى منذ الحرب العالمية الأولى ، من تراكم فى المدخرات نتيجة الحرب من ناحية وماتلا الحرب من رخاء اقترن بارتفاع اسعار القطن من ناحية اخرى ، تبين لنا اهم العوامل التى شكلت طبيعة السياسة الاقتصادية



الجمعية التشريعية أثناء افتتاحها فى ٢٢ يناير ١٩١٤



الملك فؤاد الاول يفتتح أول برلمان مصرى فى عهد الدستور ١٩٢٤ ، وقد وقف سعد زغلول يلقى خطاب العرش .

الاقتصاد المصرى في التسعينيات

والتطور الاقتصادى فى الثلاثينيات . مدخرات وطنية متراكمة تبحث عن فرص للاستثمار خارج الزراعة ، (التى كانت فرص الاستثمار فيها قد ضاقت الى حد كبير بعد التوسع الكبير طوال القرن السابق) ، وطبقة جديدة لها اذواق وتطلعات استهلاكية جديدة خلقها رخاء العشرينيات ثم ازمة عالمية طاحنة جعلت تلبية هذه التطلعات عن طريق الاستيراد صعبا او مستحيلا ، كل هذا ادى الى نشوء بنك مصر وشركاته ، وطموحات طلعت حرب فى التنمية الصناعية ، والاستقلال الاقتصادى وتدخل الدولة لحماية الصناعة الوطنية .

كان معدل نمو الناتج والدخل القومى فى الثلاثينيات منخفضا للغاية ، اذ ان نمو الناتج والدخل فى الصناعة لم يكن كافيا لتعويض التدهور الشديد فى الدخل الزراعى ، ولكن الثلاثينيات شهدت تحولا مهما فى هيكل الاقتصاد المصرى ، اذ ان العقد قد انتهى وقد اصبح نصيب الصناعة فى التاريخ القومى (والصناعة هنا تشمل الصناعة التحويلية والتعدين والكهرباء والتشييد) مثلى نصيبها فى بدايته (زاد هذا النصيب من ٤٪ فى ١٩٢٧ الى ٨٪ فى ١٩٣٧) . وارتفعت نسبة الاكتفاء الذاتى فى عدد كبير من السلع الصناعية الى مايزيد على ٩٠٪ كالسكر والصابون والسجائر والاحذية والاسمنت والاثاث ، الخ .. بينما انخفض نصيب السلع الكاملة الصنع فى اجمالى الواردات انخفاضا شديدا لصالح وارداتنا من المواد الأولية والسلع الوسيطة .

لقد استمر القطن يسيطر على الصادرات المصرية ، ولكن حتى فى هذا الصدد نجد تقدما ملحوظا ، اذ نجحت مصر فى تخفيض نصيب بريطانيا فى كل من صادراتها ووارداتها ، فانخفض نصيب بريطانيا فى صادارت مصر فى الفترة ١٩١٣ ـ ١٩٣٨ من ٤٣٪ الى ٣٢٪ وفى الواردات من ٣١٪ الى ٢٣٪ بل من الشيق ان نلاحظ انه فى هذه الفترة الصعبة التى كان الذخل القومى ومتوسط الدخل ينموان خلالها بمعدلات بطيئة للغاية ، كانت مصر تقوم بتخفيض ديونها الخارجية تخفيضا كبيرا ، ففى العشرين سنة التالية للحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩٣٤) انخفضت مديونية مصر الخارجية من ٨٦ مليون جنيه الى ٣٩ مليونا اى الى اقل من النصف ، وبعد عشر سنوات اخرى كانت مصر قد تحولت من دولة مدينة للخارج الى دولة دائنة .

★ ★ ★

لماذا نحكي الان قصة الثلاثينيات ؟ انى احكيها لانى اتبين بعض اوجه شبه هامة بين تلك الفترة والفترة التى نعيشها الآن ، مما يجعلنى اعتقد ان تطور مصر الاقتصادى خلال التسعينيات قد تكون له اوجه شبه اساسية مع تطورها فى الثلاثينيات .

ان العالم يمر منذ مطلع الثمانينيات بكساد اقتصادى ليس بحدة كساد

الثلاثينيات ولكنه يشبهه فى تراخى معدلات النمو فى الدخل وارتفاع معدلات البطالة وميل اسعار المواد الأولية الى الانخفاض وانخفاض معدل نمو التجارة الدولية وانخفاض الطلب على صادرات الدول الأقل نموا .. الخ .. وقد انعكس هذا بالطبع على الاقتصاد المصرى فساعد على التراخى الشديد فى معدل نمو الصادرات المصرية وانخفاض اسعارها وانخفاض معدل نمو الدخل القومي وارتفاع معدلات البطالة ان مشكلاتنا الاقتصادية الراهنة ترجع الى حد كبير الى اخطاء السياسة الاقتصادية المصرية ولكن الذى زاد من اعبائها وجعلها اكثر حدة الظروف الدولية غير المواتية .

ولكن الثمانينيات أتت مثلما اتت الثلاثينيات فى أعقاب فترة تراكمت فيها ثروات ومدخرات شريحة لايستهان بها من المصريين ، نتجت هذه المرة عن هجرة اعداد غفيرة ، منهم الى دول النفط ، من ناحية ، وعن سياسة الانفتاح التى بدأ انتاجها فى ١٩٧٤ ، فى هذه الفترة ايضا ، ونتيجة لنفس الاسباب ، تعرضت اذواق المستهلكين لانقلاب خطير تمثل فى الاساس فى التطلع الى تبنى انماط الاستهلاك الغربية التى ظلت الجماهير الغفيرة فى مصر محرومة منها ، ثم بدأت شرائح واسعة منهم تحصل على القدرة الشرائية الكافية لتحقيقها .

نحن الان اذن نعيش مرحلة من مراحل تطورنا الاقتصادى تحمل اوجه شبه هامة مع الثلاثينيات كساد اقتصادى فى العالم تنعكس اثاره على الاقتصاد المصرى ، ويأتى فى اعقاب فترة رواج اقتصادى فى مصر اقترن بتراكم المدخرات والثروات وتغير انماط الاستهلاك لقد بدأ بالفعل يترتب على ذلك اثار شبيهة بالاثار التى ترتبت فى الثلاثينيات وان كنا لانشهد الان الا بداياتها ، تطور هام فى هيكل الاقتصاد المصرى لصالح الصناعة ، فقد بدأت الصناعة المصرية بالفعل تنهض لتلبية تطلعات المستهلكين التى كانت تلبيها الواردات فلم تعد حصيلة مصر من العملات الاجنبية تسمح بها بنفس الدرجة ، فمع ازدياد العجز فى ميزان المدفوعات المصرى ، نتيجة التراخى المستمر فى قدرة الصادرات المصرية على اللحاق بالواردات نتجية قيمة الجنيه المصرى الى التدهور اكثر فاكثر ، ومن ثم ترتفع اسعار الواردات مقومة بالجنيه المصرى اكثر فاكثر ، الامر الذى يمنح المنتجات المصرية نوعا من الحماية ، تجعل المستهلك المصرى يزيد من تفضيله لها ، وتجعل هذه المنتجات تكتسب سوقا اوسع فاوسع داخل مصر ، بانضمام شرائح متزايدة من المستهلكين الى جمهور العاجزين عن الاستيراد .

نحن اذن على ابواب ثورة صناعية صغيرة فى مصر ، يقوم بها هذه المرة فى الاساس وكما كان الحال فى الثلاثينيات القطاع الخاص وتعتمد هذه المرة أيضا كما كان الحال فى الثلاثينيات ، على مزيج من الحماية التى تفرضها الدولة والحماية الطبيعية التى تفرضها الظروف الدولية ، قد يقترن هذا التغير فى هيكل الاقتصاد المصرى بمعدل نمو متواضع نسبيا فى

الاقتصاد المصرى في التسعينيات

الدخل القومى كما حدث ايضا فى الثلاثينيات فقد نجد أن متوسط الدخل فى نهاية التسعينيات لايزيد كثيرا عما كان فى بدايتها ولكننا سوف نرى مصر عل الأرجح بلدا صناعيا فى نهاية العقد بدرجة اكبر بكثير مما كانت فى بدايته ، ليس لدى شك فى قدرة القطاع الخاص المصرى على تقديم مساهمة فعالة فى هذه النهضة الصناعية المقبلة ، ولكن سوف يكون من المؤسف ان يتم ذلك على حساب القطاع العلم ، فالحكم على مدى كفاءة السياسة الاقتصادية فى التسعينيات يتوقف فى نظرى ، الى حد كبير ، على مدى نجاحها فى تشجيع القطاع الخاص فى الصناعة دون الافتئات على القطاع العام ، وفى دعم القطاع الخاص الصناعى ومساندته بمختلف السبل دون ان يكون نجاحه على انقاض القطاع العام .

★ ★ ★

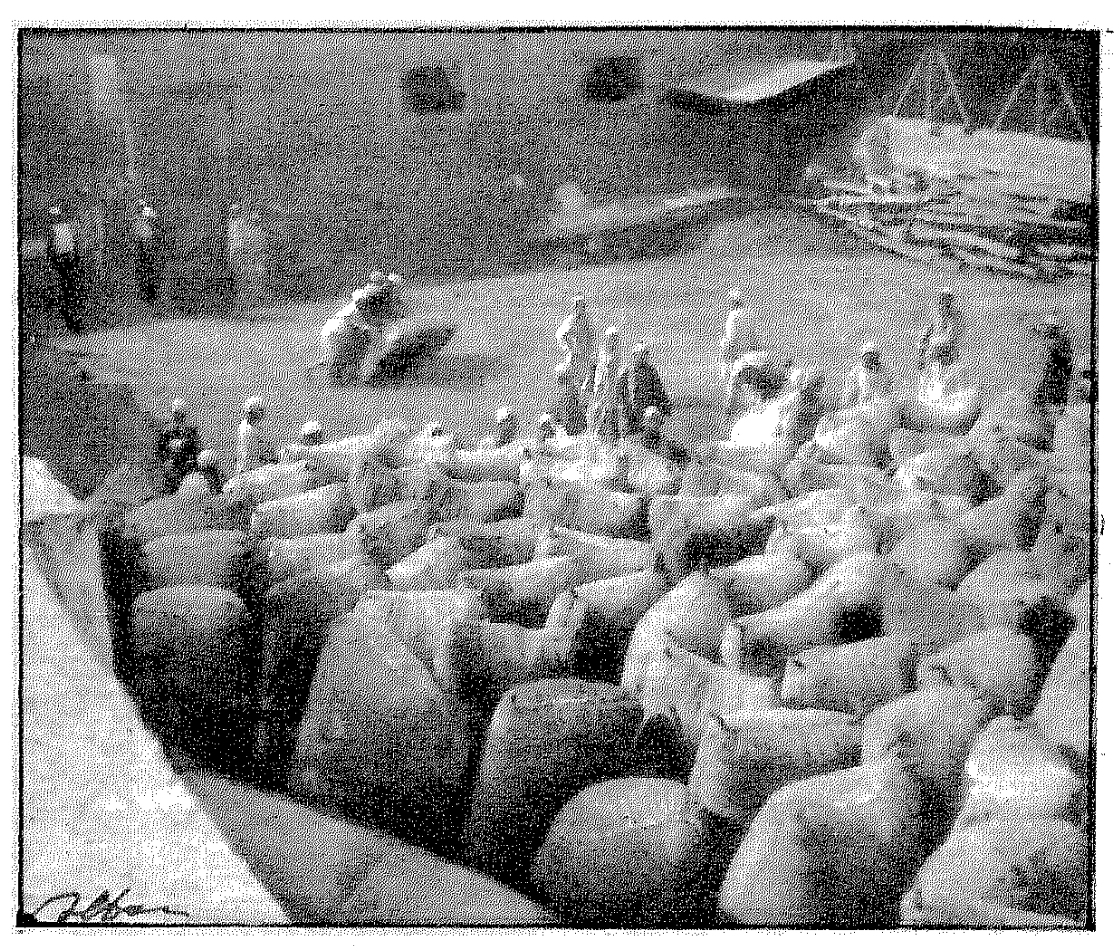
● مصر دولة دائنة !

ان من المرجح ايضا ان تشهد التسعينيات انخفاضا ملحوظا فى ديون مصر الخارجية ، انى لاابنى هذا الحكم على مجرد ماحدث فى الاسابيع القليلة الماضية من اعفاء مصر من بعض ديونها العسكرية للولايات المتحدة وبعض ديونها لدول الخليج ، وانما ابنيه ايضا على تجربة مصر فى الثلاثينيات ، ان المثل الشعبى فى مصر يقول ان « المفلس يبحث فى دفاتره القديمة » وقد حدث هذا فى الثلاثينات ، فعندما « افلست » اوربا بسبب ازمة الثلاثينيات راحت تضغط على مدينيها لتسديد ديونهم ، وترتب على ذلك ان تحولت دولة كبريطانيا ، من مصدرة صافية لراس المال الى دولة مستوردة له . ان شيئا شبيها بهذا يحدث الان على مستوى العالم الصناعى ، فمنذ منتصف الثمانينيات اصبحت الدول المتخلفة ، رغم كل متاعبها هى المصدّر الصافى لراس المال ، الى الدول المتقدمة بدلا من ان تكون متلقيا صافيا له ، اى ان حركة رءوس الأموال الان لاتجرى من العالم المتقدم الى العالم المتخلف بل بالعكس ، وهكذا قد تصبح مصر عند نهاية هذا القرن او فى مطلع القرن القادم دولة دائنة ، للخارج بدلا من ان تكون مدينة له ، كما حدث هذا فيما بين اوائل الثلاثينيات واوائل الاربعينيات .

★ ★ ★

كل هذا يدعو الى التفاؤل ولكن ما لايبدو ورديا بنفس الدرجة وهو امر لايقل اهمية عما كنا نتكلم فيه ان لم يفقه هو مايرجح حدوثه على المستوى الاجتماعى ومايتعلق بالانقسام الطبقى ونمو الفجوة بين مستويات المعيشة .

لقد اقترن بطء النمو فى الدخل القومى فى الثلاثينيات باشتداد متاعب الفقراء ولدينا ارقام تدل على انخفاض مستوى استهلاك الفرد من سلع اساسية . كالحبوب والبقول واللحوم بنحو ٢٠٪ فيما بين اواخر العشرينيات واواخر الثلاثينيات ، ومع الثبات النسبى فى مساحة الأراضى الزراعية مع ارتفاع معدل نمو السكان زاد ضغط السكان على الأرض وعرفت مصر ظاهرة شبيهة جدا بما يعرفه الاقتصاديون



تاريخ القطن فى مصر يعكس تاريخ الاقتصاد المصرى

باسم نموذج ريكاردو فى توزيع الدخل ، القائم على زيادة السكان مع ثبات الأرض حيث يفيد ملاك الأراضى الزراعية على حساب المزارعين من مستأجرى الأرض الزراعية ، ويبقى مستوى الاجر الزراعى عند حد الكفاف ، فى هذه الفترة زادت الهجرة

بسرعة من الريف الى المدينة بحثا عن عمل ، ولم تستطع الصناعة ، رغم نموها السريع ، استيعاب فائض القوى العاملة ، فارتفعت معدلات البطالة واذا اقترنت الثلاثينيات والأربعينيات بتوسع كبير فى التعليم ، زادت حدة

الشعور بالاحباط لدى شرائح واسعة من المتعلمين الذين لايجدون متنفسا لكفاءاتهم ومهاراتهم وتطلعاتهم لقد جاءت ثورة ١٩٥٢ فى الاساس كرد فعل لهذا الشعور المتزايد بالاحباط واستجابة لهذه التحولات الاجتماعية ثم جاءت هزيمة ١٩٤٨ فى فلسطين بالشرارة التى اطلقت اللهب ، ان كل هذا لايخلو من مغزى لزماننا هذا ولكن محاولة الاستمرار فى استكشاف المستقبل على هذا النحو قد تحملنا الى ما بعد سنة ٢٠٠٠ ، وهذا المقال لم يلتزم من البداية الا بالكلام عن التسعينيات .

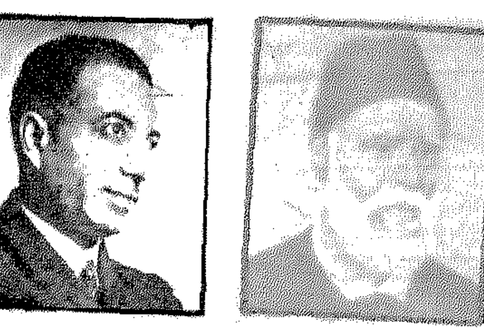


عصر الافلاس العسكرى وتبادل المواقع

بقلم :
عبد الرحمن شاكر

نعم .. قد يكون العالم قد تنفس الصعداء لانتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الدوليين ، واعلان ذلك رسميا فى اواخر العام المنصرم (١٩٩٠) ، ولكن مع بداية العام الجديد ، الذى يعنى ايغالنا فى التسعينيات ، تمهيدا لانتهاء الالف الثانية من التقويم الميلادى بانتهاء القرن العشرين .. فإن نوعا من «الميناخوليا» او المزاج السوداوى ، يخيم على القوتين العظميين ، اللتين كانتا تتزعمان المعسكرين الدوليين السابقين ، قبل تصالحهما ، وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى ، والسبب فى ذلك ان سباق التسلح المسعور بينهما ، طوال الحقبة السابقة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، لم يسفر الا عن شىء شبيه بها سماه اديبنا الكبير الراحل ، ابراهيم عبد القادر المازنى : قبض الريح ، أو حصاد الهشيم !

انظر الى قرار الاتحاد السوفييتى ، استجابة الى متطلبات انهاء الحرب الباردة ، ونزع السلاح ، بتدمير ربع مليون قطعة من السلاح الكبير ، بحيث يجرى تقطيع الوف الطائرات الى ثلاث «ترنشات» للواحدة منها ، وتحويل عشرات الالوف من الدبابات الى جرارات ، او مجرد كتل




المازنى


على مبارك

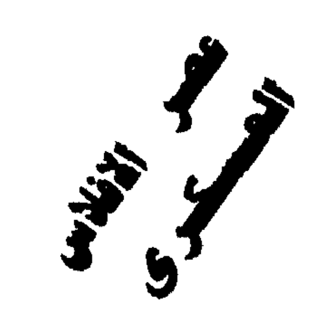
من الصلب يعاد صهرها ، ولىَّ فوهات مايزيد عن مائة الف مدفع بحيث لا تصلح بعد ذلك لاطلاق القذائف ، وتامل مقدار ما انفق على بناء تلك القطع ، والتاكد من كفاءتها فى اصابة الاهداف ، من جهود علمية وتكنولوجية ، وإموال طائلة وتذكر ان البلد العظيم المنتج لتلك الاليات المتطورة مهدد بالمجاعة .

الآن ، وانه راح يتسول طعامه من كل من هب ودب ، بدءا من المانيا الموحدة الى اسرائيل !!

هذا فى الوقت الذى لم تمض فيه اسابيع على اعلان ان انتاج الحبوب لديه هذا العام كان وفيرا ، ولكن المشكلة هى فيمن ينقله ومن يوزعه ، حتى ان محصول البطاطس يتعفن جزء كبير منه فى الأرض ولا يجد من يقتلعه ، وحتى بالنسبة للمعونات الغذائية القادمة اليه ، اى للاتحاد السوفييتى من المانيا ، لم يجد الا الجيش يكل اليه مهمة نقل تلك المؤن من الحدود الالمانية الى حيث يجرى توزيعها فى الداخل ، وتامل : لو كان هذا الجيش منهمكا فى حرب من الحروب ، كالحرب العالمية الثانية مثلا ، من الذى كان سوف يقوم بدلا منه بنقل تلك المؤن وتوزيعها ، سواء كانت من الداخل أو الخارج ؟ هل كان سوف يترك المعركة ليتفرغ لها ، علما بأن الثورة البلشفية كان من الاسباب المباشرة لقيامها عجز حكومة القياصرة عن امداد جيوشها فى الجبهة بالمؤن الغذائية الكافية لاشك ان جهازا ما للنقل والتوزيع والتخزين فى الاتحاد السوفييتى ، قد اصابته «ميناخوليا» ما بعد انتهاء الحرب الباردة بالعطب ، فقرر الانتحار اجتماعيا ، واذلال الجيش الذى انفق على تجييشه وتدريبه وتسليحه الكثير ، بحيث يقوم بدلا منه بتلك المهمة «التافهة» ، بعد ان جرده انتهاء الحرب الباردة ، من مهامه كلها تقريبا ، وعاد منسحبا من المانيا الشرقية ، وسائر بلدان اوروبا الشرقية ، كانه تلقى هزيمة ساحقة ، ولم ينس ، أو لم تنس حكومته مطالبة حكومات الدول التى يخلى مكانه فيها ، وخاصة المانيا ، بدفع تكاليف اعادته الى الاتحاد السوفييتى ! هل هناك أوضح من ذلك مثالا على الافلاس العسكرى ؟!

● الحماية .. من الداخل !

على ان الجيش السوفييتى لايواجه فحسب جهاز التوزيع والنقل المنهار فى الاتحاد السوفييتى ، ولا الفلاحين الذين يعاقبون المدينة ، التى اسرفت فى بناء الصناعات العسكرية على حساب رفاهيتهم ، عن طريق منع القوت عنها (!) ، ولكن يواجه ايضا الانهيار المعنوى على المستوى القومى ، وتطلع مختلف القوميات التى يتشكل منها الاتحاد السوفييتى الى الانفصال ، وتفكير بعض زعماء تلك القوميات فى





تشكيل جيوش خاصة بهم ، وحث شباب بلادهم على رفض الخدمة فى جيش الاتحاد !

إن الجيش السوفييتى اذ يتصدى لمهمة الدفاع عن وحدة الاتحاد السوفييتى ضد أعدائها من الداخل ، الذين اطلقت لهم البريسترويكا والجلاسنوست حرية التعبير ، انما يدافع عن وجوده ذاته ، وعن بقائه قوة مهيمنة على تلك الدولة الكبرى ، وبقاء تلك الدولة كذلك بفضل وجوده فيها ! وخاصة بعد تدهور مكانة القوة الأخرى المنظمة التى كانت تحكم البلاد وبواسطته وواسطة الأجهزة العسكرية او شبه العسكرية الأخرى ، تلك القوة هى الحزب الشيوعى الذى فقد سلطته المطلقة على البلاد بفعل سياسة امينه العام ، جورباتشوف الذى طلب الى الشعب ان ينتخبه رئيسا للبلاد ذا سلطات واسعة ، تاركا الحزب يلقى مصيره ، ينازع الاحزاب الاخرى التى يجرى تشكيلها التطلع الى الحكم من خلال انتخابات حرة للبرلمان ، وليس من المؤكد له ان يكسبها فى جولات قادمة ! سواء على مستوى الاتحاد او الجمهوريات المكونة له ، وقد سبقت له الخسارة فى جولات سابقة .

هل يمكن ان يبقىَ الجيش السوفييتى العظيم ، باعتباره مجرد قوة بوليسية لحماية الأمن الداخلى وتماسك الدولة ولحساب من ، بعد ان زادت القوة السياسية التى انشاته وسخرته لأغراضها ، وهى الحزب البلشفى ، هل يعمل ويحكم لحسابه هو فيما يمكن ان يعتبر انقلابا عسكريا صامتا (او صاخبا اذا لزم الأمر !!) ؟ أم يكون هو اخر قوة يجرى تفكيكها فى دولة عظمى ، كتب التاريخ عليها ان تتفكك ، وتذهب الى حيث لا ندرى . الى المجهول ؟!

● امريكا وازمة الخليج

على ان الاتحاد السوفييتى ليس هو الدولة الكبرى الوحيدة التى تعانى من حالة «الافلاس العسكرى» واعراضه السوداوية ، بل ان الولايات المتحدة الأمريكية تعانى مثله من ذلك وربما اشد ! وغير صحيح ما قيل من ان انتهاء الحرب الباردة ، وسقوط النظم الشيوعية فى شرق اوروبا ، كان انتصارا للولايات المتحدة ونظامها على طول الخط ، على نحو جعل منها القوة الكبرى الوحيدة او القطب الوحيد فى العالم ، واية ذلك هى ازمة الخليج ، بل تلك الأزمة بالذات ، التى اتخذها بعض المعلقين دليلا لهم على ان الولايات المتحدة الأمريكية قد اصبحت هى قطب العالم الوحيد !

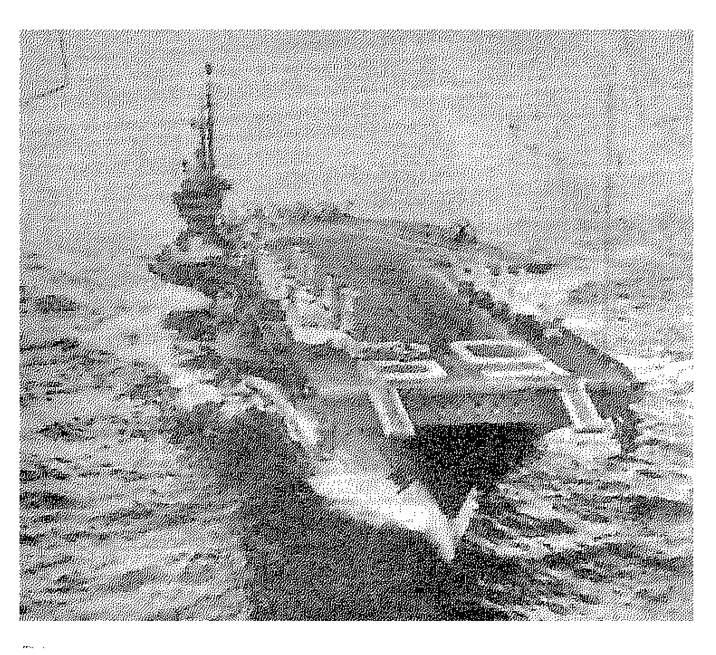
فكثير من الدلائل تشير الى ان الولايات المتحدة الأمريكية ، قد استغلت ما يسمى بازمة الخليج لتاخير ظهور اعراض الافلاس العسكرى داخلها ، ذلك ان لم تكن قد افتعلت تلك الأزمة افتعالا لهذا الغرض ، كما يذهب

بعض المعلقين ! ويشيرون فى ذلك الى ان سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية قامت بدور رئيسى فى اصطناع تلك الأزمة ، بالافضاء الى صدام حسين بالحقيقة التى لم تكن تعرفها الا الولايات المتحدة واجهزة تجسسها الجبارة ، عن سرقة دولة الكويت لنفط العراق فى حقل الرميلة ، واعطائه الضوء الأخضر لاحتلال الكويت ، بقولها لـه ان الولايـات المتحدة الأمريكية لا يعنيها نزاع الحدود بين العراق والكويت بينما رفضت هذه الأخيرة عرض الولايات المتحدة عليها اقامة قواعد عسكرية امريكية فيها للدفاع عنها ، واكتفائها ابان احتدام الأزمة قبل وقوع الاحتلال ، بالاعلان الأمريكى عن ان الولايات المتحدة سوف تدافع عن اصدقائها فى الشرق الاوسط بحيث لم تبال الكويت بالتهديد العراقى ورفضت الاستجابة لمطالب العراق فى المفاوضات القصيرة التى تمت بين الدولتين العربيتين قبل وقوع الغزو فى الثانى من اغسطس الماضى !

أما استفادة الولايات المتحدة من الأزمة واستغلالها لها ، فكانت مبادرتها الى حشد جيوشها ، او بالاصح نقل جيوشها التى اصبحت بلا عمل فى اوروبا ، الى منطقة الخليج ، بحيث تضرب عصافير كثيرة بحجر واحد . من تلك العصافير :

● وقف تـدفق النفط الكويتى والعراقى الى الاسواق العالمية ، مما يؤدى الى ارتفاع سعره لصـالح الشركات الامريكية .

● استنزاف قدر كبير من مخزون النفط الرئيسى فى المملكة العربية



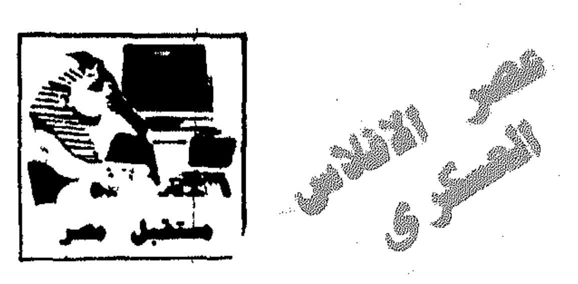
حاملات الطائرات الامريكية

السعودية لتعويض نقص الانتاج العراقى والكويتى .

● السيطرة على منابع النفط التى تعتمد عليها اوربا الغربية واليابان ، وبالتالى تحقيق القدرة الأمريكية على التحكم فى هـذيـن المنـافسيـن الاقتصاديين ، وخاصة بعد توحيد المانيا ، واجبارهما على دفع اسعار اعلى للنفط ، فضلا عن تقديم مساهمات مالية فى نفقات الحشد العسكرى الأمريكى اساسا فى الخليج ، بالاضافة الى ما تقدمه دول الخليج ذاتها .

● تجنب تفاقم مشاكل البطالة داخل الولايات المتحدة ، اذا توقفت معظم مصانع انتاج السلاح او عجزت عن الاستمرار فى العمل ، وعادت الجيوش الأمـريكيـة مثلمـا عـاد الجيش السـوفييتى ، لينضم افرادهـا الى طوابير المتعطلين ..

وسـواء انتهت ازمـة الخليـج بالحرب ، او بالمصالحة مع العراق ، فلن تكون سوى تاجيل موقت لسيادة



ظاهرة الافلاس العسكرى داخل الولايات المتحدة الامريكية ، فمن المستحيل ان يتحول العراق أى قطب آخر تستمر معه الحرب الباردة وسباق التسلح كما كان الوضع مع الاتحاد السوفييتى ، وكل مالديه من سلاح هو من فيض الترسانة العسكرية للدول الكبرى ، وتكالب بعضها على الكسب المادى السريع ، وكذلك الحال بالنسبة للسلاح الاسرائيلى ، ولاشك ان «حسبة برما» التى تدور حاليا فى الدوائر السياسية والعسكرية الأمريكية ، من نوع هل تضرب امريكا العراق ، ام تترك اسرائيل تضربه . ام يضرب العراق اسرائيل ، فترد عليه امريكا ، وتخسر

معارك الدبابات



حلفاءها العرب .. الخ ، فضلا عن انقسام الراى العام الامريكى ، والمعارضة التى تسود الكونجرس لمجرد نشوب تلك الحرب ، كل ذلك تعبير صارخ عن ميناخوليا الافلاس العسكرى بعد انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الكبيرين .

هل نشهد يوما تقطع فيه الولايات المتحدة طائراتها العسكرية وتلوى فوهات مدافعها مثلما يفعل الاتحاد السوفييتى ؟ .. كل آت قريب .

على انه اذا كان حل المشكلة الاقتصادية للاتحاد السوفييتى كما يتراءى لساسته هو تحوله الى اقتصاد السوق على الطريقة الراسمالية ، فان حل مشكلة الافلاس العسكرى والتوقف عن صنع السلاح ، لابد وان يكون حلا «اشتراكيا» على نحو ما ، بتوجيه تلك الطاقات التكنولوجية الجبارة الى الانتاج المدنى ، واذا كانت وفرة تلك المنتجات سوف تزيد عن حاجة الشعب الأمريكى او قدرته على الاستهلاك ، فلابد من توجيه قسط كبير منها الى دول المعسكر الاشتراكى سابقا والدول النامية ، ولن يتسنى فعل ذلك الا من خلال سياسة جديدة تنطوى على معالجة مشكلة الديون المتفاقمة لدول العالم الثالث وجعل المبادلات التجارية بينها وبين الدول الصناعية الكبرى اكثر عدالة .

● المحور الجديد

وحتى تفيق الدولتان الكبريان «سابقا» الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى من ميناخوليا

الافلاس العسكرى المترتبة على انتهاء الحرب الباردة بينهما ، فان لديهما الكثير ليتعلماه من دولتى المحور ، اللتين هزمتا فى الحرب العالمية الثانية وكسبتا الحرب الباردة بدلا منهما وهما المانيا واليابان ، فى ادارة اقتصادهما على اساس من الاستغناء عن التوسع فى الانتاج العسكرى وادخال التحولات الاجتماعية الضرورية لمواجهة عصر جديد . واذا كان الاتحاد السوفييتى ، لا يتردد فى هذا الصدد ، فى طلب المعونات الغذائية من المانيا الموحدة ، ربما ثمنا لتسليمها المانيا الشرقية ، فان الولايات المتحدة الأمريكية على العكس من ذلك تتراوح سياستها ما بين التفاوض فى منظمة الجات (التجارة الدولية) من اجل اقناع بلدان غرب اوربا واليابان بتخفيض دعمها للمنتجات الزراعية حتى لا تطرد السلع الأمريكية المماثلة من الاسواق الى الابتزاز المزدوج فى ازمة الخليج عن طريق رفع اسعار النفط ومطالبتها بسداد جزء من نفقات قواتها هناك ، الى السعى الى التكتل مع امريكا اللاتينية ، فى مواجهة المحور الجديد بين اليابان واوربا الغربية التى تتزعمها المانيا الموحدة ، والذى عبر عنه مؤخرا الاندماج ما بين شركتين عملاقتين ، هما دايملر بنز (مرسيدس) الالمانية ، وماتسوبيشى اليابانية ، ولكن كل تلك المحاولات الامريكية لن تفلح فى فرملة صعود المانيا واليابان الى موقع الصدارة فى عالم ما بعد الحرب الباردة بدلا من الدولتين الكبريين الغاربتين ، الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية الغارقتين ، فى الركود الاقتصادى والديون الباهظة لصالح القطبين الجديدين المانيا واليابان ، وسوف يحتاج كل من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية الى وقت طويل لكى يتم تحويل انتاجهما العسكرى الى انتاج مدنى ، تكون فيه المانيا ومعها اوربا واليابان قد قطعا شوطا طويلا من تطورهما وتفوقهما التكنولوجى والاقتصادى وغير بعيد ان تطالب كل من المانيا واليابان بالاعتراف بمكانتهما العلمية الجديدة فى عالم ما بعد الحرب الباردة ، واعطائهما دورا فى ادارة شئون هذا العالم عن طريق منح كل منهما مقعدا دائما فى مجلس الأمن الدولى اسوة بالدول الخمس «الكبرى» التى تتحول اثنتان منهما على الاقل ، وهما فرنسا وانجلترا الى مجرد توابع لهما ، او لاحداهما وهى المانيا فى اوربا الموحدة !

وفى عالم يتبدل ويتحول على هذا النحو ، فان دول العالم الثالث ، وفى مقدمتها الدول العربية والافريقية ، عليها ان تعى حقائق العصر الجديد ، وان تعلم ان مستقبلها يتوقف على الكف عن اهدار الموارد والطاقات فى النزاعات الاقليمية الصغيرة التى تتيح للقوى الاجنبية استمرار السيطرة عليها ، واستثمار تلك المنازعات فى حل مشاكلها الخاصة اى مشاكل تلك القوى الخارجية ، وان تعلم أن ليس امامها من طريق للحاق بركب العصر سوى التكتل الاقليمى الذى يمارسه الكبار قبل الصغار ، وهؤلاء إليه احوج ، حتى لا يبقوا صغارا الى ابد الابدين !

الكلمة الاخيرة

يكتبها هذا العدد :

د. عبد الغفار مكاوى



الوصول .... ولكن إلى أين ؟

يؤكد الجغرافيون أن بلادنا خالية من الغابات . غير أن حقائ
حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية تلطم حقائق الجغرافيا عل
وجهها ، وتصرخ بأن بلادنا قد انتشرت فيها غابات الوصوليين الت
نمت وتكاثفت حتى اوشكت أن تمنع عيوننا وعقولنا وقلوبنا عن رؤي
الاهداف المشتركة والاحساس بالغايات والقيم العليا . إن المشكلا
والازمات التى نعانيها تفرض علينا أن نقف قليلا عند كلم
"الوصول" لنحللها ونستقصى معانيها ...

ولنتفلسف لحظة واحدة ونسأل أنفسنا : الى اين نصل فى نهاي
المطاف ؟! قد يقول بعضنا : الى التراب (أو اذا ساء حظنا الى الم
أو النار !) . وقد يقول بعضنا الآخر ممن يعملون فى صمت
يتمثلون بخيالهم كل من يؤدى واجبه بلا ضجيج ولا بريق : الى نو
من الرضا والابتسامة المطمئنة التى نواجه بها شبح الموت المنتظر
واخيرا ربما يقول فريق ثالث : الى عمل او علم او قيمة او بنا
حضارى أو حتى مادى يبقى لينفع الناس بعد أن يزول وجودنا وتفن
اجسادنا ... فى الحالتين الاخيرتين يصبح للوصول معنى مختلف ك
الاختلاف عن معناه الذى ساءت سمعته .. فالذى يصل بالمعن
الحقيقى هو الذى "يوصلنا" الى شىء يتجاوز وجوده العرض
الزائل . والنحنُ المضمرة فى هذا الفعل يمكن أن تختلف كما قل
باختلاف العطاء والقدرة والموهبة والتضحية ، فقد تكون هى الاسر
أو القرية أو المدينة أو المجتمع او البشرية جمعاء .

واسأل نفسك : إلام أوصلنا كبار الادباء والعلماء والفنانين وعظما
الثوار والمصلحين والشهداء وماذا وصلوا هم اليه ؟! لن يصعب علي
الجواب : لقد اوصلونا ولم يصلوا الى شىء ، اللهم الا الى الرض
والسكينة والابتسامة المطمئنة فى وجه الموت .

أما اذا سألت : وإلام اوصلنا الوصوليون أو وصلوا اليه ؟ فل
يعسر عليك الجواب ايضا : الى الخراب والفوضى والمحن والمصائ
لمجتمعاتهم ، والى الجنون المسعور الى الشهرة او القوة أو السلط
أو المتعة الزائلة .

هل توافقنى الآن اذا قلت : ان الطريق هو كل شىء ، اما الهدف
فلا شىء ؟ وهل اقتنعت ـ وقاك الله شر التسلط والتضخم ـ بأن الجه
الصادق فى البحث عن الحقيقة اكثر قيمة من تملك الحقيقة أو عل
الاصح من ادعاء تملكها واحتكارها ؟

كتاب الهلال

يقدم



السيرة الذاتية للكاتب

يحيى حقي

بمناسبة عيد ميلاده

يصدر

٥ يناير ١٩٩١

روايات الهلال

تقدم

أيام الغضب

الرواية الفائزة بجائزة الأدب النسائي

(فيينا عام ١٩٨٩)

تأليف: **سيلفي جرمان**

ترجمة: **محمد عبد المنعم جلال**

تصدر

١٥ يناير ١٩٩١


فبراير ١٩٩١ • الثمن ٧٥ قرشا
الهلال
أبو طالب
الأمة العربية
إلى أين؟!

الهلال

مجلة ثقافية شهرية تصدرها دار الهلال
أسسها جرجى زيدان عام ١٨٩٢

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد
نائب رئيس مجلس الإدارة
عبد الحميد حمروش
رئيس التحرير
مصطفى نبيل
المستشار الفنى
محمد أبو طالب
مدير التحرير
عاطف مصطفى
المشرف الفنى
محمود الشيخ
سكرتير التحرير التنفيذى
عيسى دياب

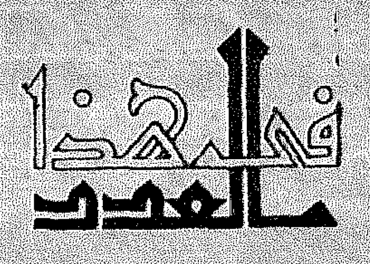
السنة الثامنة والتسعون • فبراير ١٩٩١ - رجب ١٤١١ هـ

الادارة : القاهرة - ١٦ شارع محمد عزالعرب بك (المبتديان سابقا)
ت : ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط)
المكاتبات : ص. ب : ٦١٠ العتبة -
الرقم البريدى : ١١٥١١ - تلغرافيا :
المصور - القاهرة ج ٠ م ٠ ع
مجلة الهلال ت : ٣٦٢٥٤٨١
تلكس : 92703 Hilal un
فاكس : FAX : 3625469

كما كان متوقعا دارت آلة الحرب فى الخليج ، وبدأت أخبار الدمار والقتل تملأ كل وسائل الإعلام على مدى أربع وعشرين ساعة يوميا وتغيرت فى لمح البصر أشياء كثيرة فى حياة الشعوب التى كانت تتمنى السلام وتحرص على عدم اراقة الدماء . وضياع مقدرات الشعوب شرقا وغربا ، بعد أن شهد العالم الصناعى خاصة تدهورا كبيرا منذ اول يوم فى ازمة الخليج واحتلال العراق للكويت !

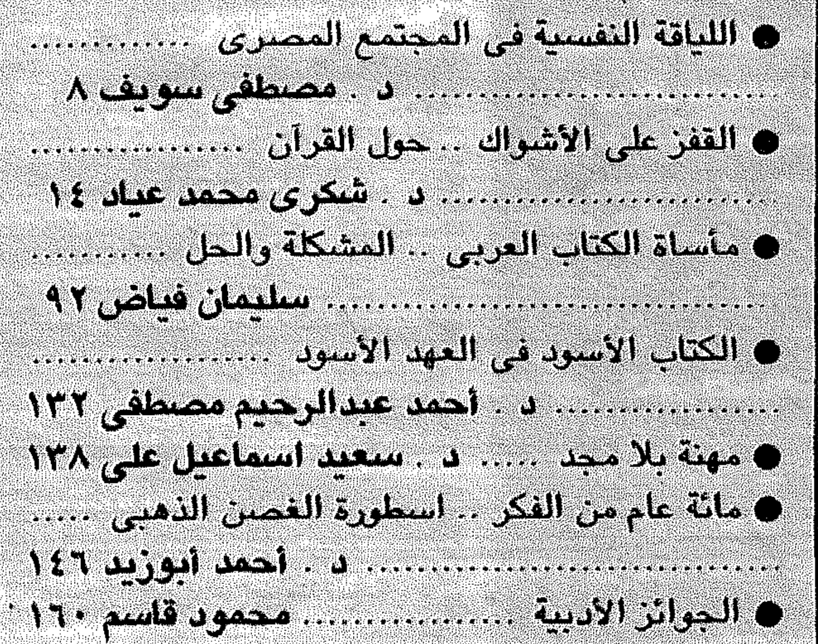
وحرص "الهلال" من جانبه على إلقاء الضوء على مايدور الآن على الأرض العربية ، وكيفية الخروج من هذا المازق بعد أن اكتشفنا كيف سبقنا العالم وكيف يمكن أن نواجه المستقبل فى ظل المتغيرات التى يشهدها العالم ، خاصة الوحدة الاقتصادية الاوربية التى سوف يطل علينا بها فى عام ١٩٩٢ ، فى الوقت الذى تمزق فيه الجسد العربى بسبب هذه الأزمة ، ولم يعد من السهل وحدة أمتنا العربية التى طالما كانت الأمل وكانت الحلم الكبير !

وفى ظل هذا الضباب الكثيف لم ننس أن نقدم للقارىء العزيز نخبة مختارة من الكتب التى أصدرتها المطابع حديثا ، وقدمت ضمن معرض القاهرة الدولى للكتاب ، فضلا عن حرصنا على تقديم مجموعة من الكتب التى صدرت على مدى قرن من الزمان ، وبدأنا بكتاب «الكتاب الأسود» يعرض له الأستاذ الدكتور/ أحمد عبدالرحيم مصطفى ، نبين فيه الرأى الآخر ولماذا حجب عن النشر ؟!



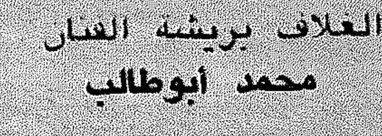
• جزء خاص •

الأمة العربية إلى أين ؟



• فكر وثقافة •




الغلاف بريشة الفنان
محمد أبوطالب



قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عدداً) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دائرة الحوار

فنون

رسائل صحفية

قصة وشعر

الأبواب الثابتة




لبنان ٥٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ١٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، الجمهورية اليمينية ١٠ ريالات يمنية ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر ٧ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم ، سلطنة عمان ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، انجلترا ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٧٠٠ ليرة ، الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ سنت ، كندا ٥ دولارات ، السودان ١٥ جنيها سودانيا .



فبراير .. شهر النقاء والبقاء ..

انتهى الشهر الذى كان يتوسطه يوم "١٥ يناير" وهو الموعد الرهيب الذى كان محددا لبدء الحرب فى منطقة الخليج . وقد انطلقت الحرب من عقالها فى اليوم المحدد تقريبا ، فدخل شهر يناير سنة ١٩٩١ فى تاريخ الأمة العربية وتاريخ العالم كله !

ويناير هو الشهر الافرنجى الموافق لشهر "طوبة" المصرى العريق ، شهر البرد القارس ، وشهر الأحلام اللذيذة ايضا تحت الأغطية الصوفية الثقيلة المنسوجة بالمغازل اليدوية ، قرب المدفأة ، او فوق الفرن فى الريف المصرى .

ولكن البرد والأحلام اللذيذة لم يجتمعا فى يناير الماضى ، فقد بدد كابوس الحرب جميع الأحلام ، ولم يترك للناس إلا البرد فقط !..

وتخلى "طوبة" الموافق ليناير ، عن اصله النبيل القديم ، فإن طوبة مشتق من كلمة "طوبيا" .. اى الأعلى والاسمى ، وهو وصف لإله المطر فى الأساطير القديمة .. ومنه جاءت الأفكار الطوبائية الخيالية التى راودت اجيالا بعد اجيال من البشر ، كان حلمهم الطوبوى هو الحرية والمساواة والكرامة ! ..

وفى استقبالنا لفبراير او "شباط" لا نملك إلا ان نزجى إليه التحية ، ثم نضع على عاتقه احلام البشرية فى السلام والأمان والاخاء بين جميع الشعوب طوال هذه السنة ـ سنة ١٩٩١ ـ التى شاءت الأقدار ان تكون سنة بسيطة لا كبيسة لأن ارقامها ـ كما يقول الحاسبون ـ لا تقبل القسمة على الرقم "٤" ..

ولكن ارقام هذه السنة البسيطة يمكن ان تقبل القسمة على اربعات لا تنتهى من الوف القتلى والجرحى والمشردين والجياع ، إذا استمرت الحرب ، ولو لبضعة اشهر فقط . فكيف لو ظل لهيبها مشتعلا زمنا لا يعرف مداه إلا الله !؟ ..

إن شهر "شباط" هو نفسه "فبراير" المشتق من فعل في اللغة اللاتينية معناه "ينقي" أو "يطهر" .. فيا شهر شباط ، نسأل الله أن تكون نقاء وطهرا لنفوس كل الناس في جميع أنحاء العالم !..

ويا شهر شباط إن اسمك الأصلي الذي جئت منه في اللغة السريانية ، معناه "السبات" أو " النوم" وقد انقلبت الشين السريانية إلى "سين" في النطق العربي ، وتحولت التاء إلى طاء ، طبقا لاوزان الكلام الفصيح وأصوله ..

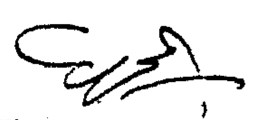
فنسأل الله يا شباط أن يجعلك شهر السبات والنوم العميق لكل شرور العالم ، وشهر اليقظة والنهوض لكل الأفراح والليالي الملاح !..

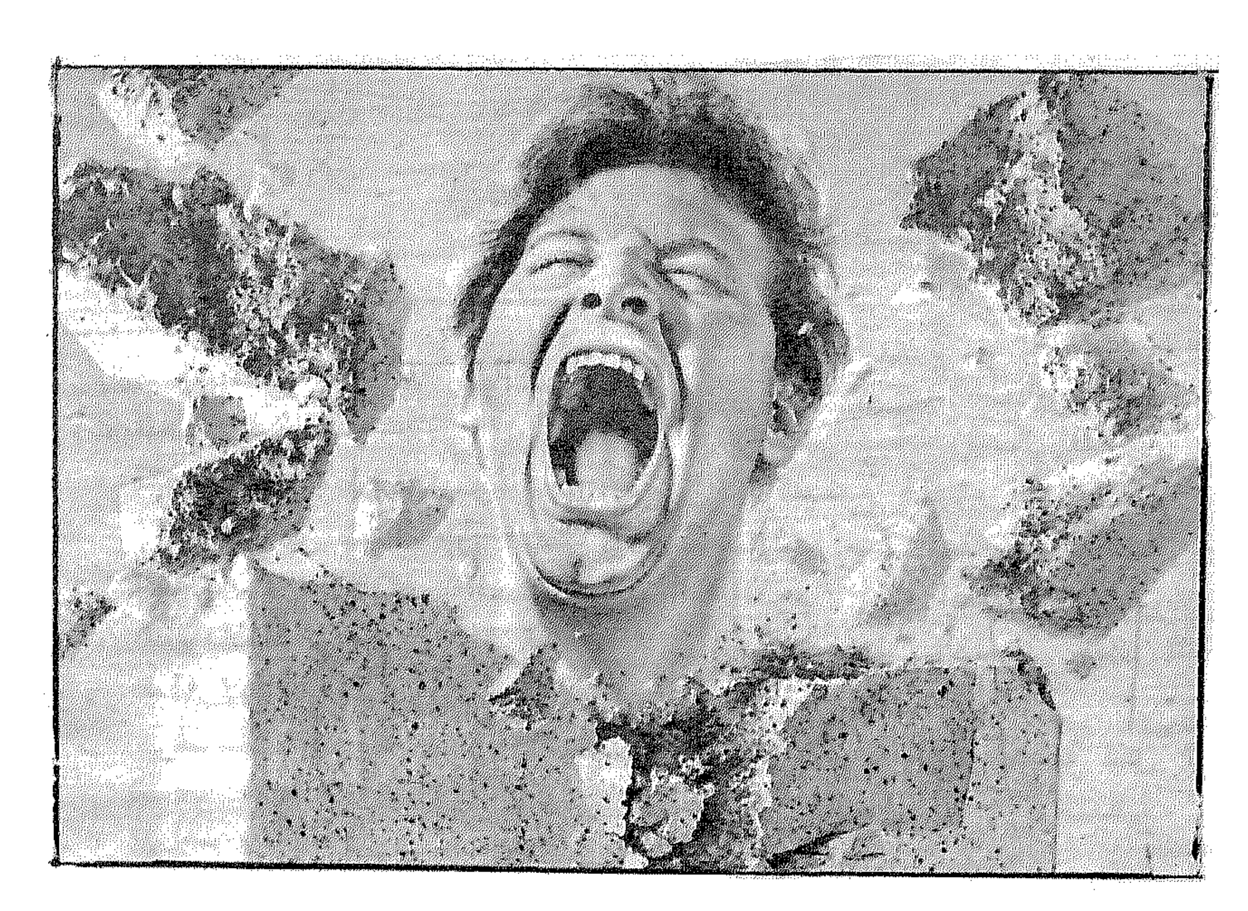
ويا شهر شباط .. كلمة أخيرة ، فمن حسن حظك حقا أنك لم تشهد معرض الكتاب الدولي الذي اقامته وزارة الثقافة في يناير أو كانون الثاني ، فقد كان عملا ارتجاليا ، لم تستفد منه صناعة الكتاب العربي شيئا ، ولم تحصل منه الثقافة العربية على جديد ، مع أن شعاره المرفوع فوق رأسه كان : "نحو ثقافة عربية جديدة" !

ويا شهر شباط ، من حسن حظك أيضا أنك لم تسمع المتحدثين الأفاضل في معرض الكتاب ، وبخاصة الشعراء والنقاد ، فإن أكثرهم كانوا من باعة الكلام ، حول قضايا بعيدة كل البعد عن أزمة الكتاب العربي الذي كان أحسن حالا أيام مطبعة بولاق القديمة مما هو الآن وقد ملأت المطابع مصر والبلاد العربية ! ..

وبعد .. فياشهر فبراير المشتق من النقاء والطهر ، لا تتخل عن نقائك وطهرك ، واسمح للأيام الأخيرة من "طوبة" التي تجيء في أيامك العشرة الأولى ، إن تكون أياما مشمسة دافئة مبتسمة سعيدة ، وكن شهرا للنقاء والبقاء لا شهرا للفناء ..

ولا تسمح لأمشير الذي يصحبك طويلا أن يكون أشد بردا وزوابع ، ولا أحفل بأهوال لحرب والدمار من "طوبة" .. لكيلا يصح المثل المصري العامي القديم : "القول لطوبة ، والفعل لأمشير" !





الياقة النفسية في المجتمع المصرى

بقلم : د . مصطفى سويف

المقصود بمصطلح اللياقة النفسية الاشارة الى مستوى معين من مستويات الصحة النفسية يتحقق فيه قدر معقول من التناسق بين الجوانب المختلفة للشخصية يؤدى بصاحبه الى طراز معين من التعامل مع نفسه ومع بيئته الاجتماعية . هذا الطراز يتميز بقدر ملحوظ من الاستقرار مع تحقيق الحد الامثل من الرضا أو التصالح مع النفس ، وكذلك مع المجتمع . وربما أعاننا على تقريب المعنى المقصود بهذا المصطلح أن ننظر فى أوجه الشبه بينه من ناحية ومفهوم اللياقة البدنية من ناحية اخرى ؛ فكلاهما يشير الى توافر درجة مقبولة من الصحة ، وكلاهما يعنى أن هذه الدرجة تزيد ـ قليلا ـ على مجرد انعدام المرض . وبالتالى فمعنى كل منهما ليس سلبيا ولكنه ايجابى فى المقام الأول .

وفى حديثنا الراهن نحاول آن نقدم مفهوم "اللياقة النفسية" بما يليق من التوضيح ، مع بيان نوع الاضطرابات النفسية والاجتماعية التى تترتب على اختلاله وما تنطوى عليه من خسائر فادحة تقع على المجتمع فى حركة نموه وتنميته . ونختم المقال بطرح ما يستوجبه هذا العرض من تساؤلات .

● مظاهر اختلال اللياقة النفسية :

من أفضل الطرق الموصلة الى الكشف عن الأبعاد الحقيقية لمفهوم "اللياقة النفسية" أن نحاول حصر مظاهر اختلالها ، عملا بالحكمة العربية القائلة "وبضدها تعرف الأشياء" ، وكذلك عملا بواحد من أهم أساليب البحث العلمى الحديث وهو أسلوب المقارنة بين الحالات أو الظواهر التى ندرسها وأضدادها ، وهو ما يعرف عند أهل الاختصاص باسم اسلوب المشاهدات التجريبية والمشاهدات الضابطة .

فمن الأمور الجديرة بالاعتبار أن مظاهر اختلال اللياقة النفسية لا تقتصر على جانب من الشخصية دون غيره . فجميع الجوانب تسهم بشكل أو بآخر فى رسم معالم هذا الاختلال ، بدءا من عمليات الادراك والتفكير ومرورا بأحوال الوجدان أو عالم الانفعالات والعواطف لدى الشخص ، وانتهاء بالسلوك أو الأفعال الصادرة عنه فى مواقف الحياة المختلفة .

ومن أوضح مظاهر اختلال اللياقة فى عمليات التفكير ما نسميه بالخلط أو التشوش . والخلط كما ورد فى قواميس اللغة هو تداخل الاشياء بحيث يصعب أو يتعذر التمييز بينها . وقياسا على ذلك يكون الخلط فى مجال التفكير (وهو ما تفرد له اللغة اسما خاصا هو التشوش أو التهوُّش) هو تداخل الموضوعات فى ذهن المتكلم أو المستمع ، فلا القسمات الداخلية للموضوع واضحة ، ولا معالم التدرج فيما يمكن أن يكون للموضوع من مراحل تاريخية مر بها مقررة ، ولا الحدود بين الموضوع فى جملته وسائر الموضوعات القريبة منه بارزة ، وكل ما نجده أمامنا لا يزيد على أن يكون كتلة هلامية ، مادتها مجموعة من المعانى المشوهة ، تغلفها الفاظ ينقصها الكثير من قواعد الربط أو التسلسل المنطقى ، بل ينقصها الكثير من احكام التطابق بين اللفظ المنطوق والمعنى المقصود . ولا يجوز الظن بأن هذه الظاهرة ، ظاهرة التشوش وقف على الأميين وأنصاف الأميين ، فالواقع أننا نشهدها بكثرة لافتة للنظر فى نسبة كبيرة ممن وصلوا الى أعلى مستويات التعليم الرسمى ، وممن يشغلون مناصب رفيعة المقام فى مؤسسات المجتمع ، بما فى ذلك المؤسسات التعليمية والثقافية . قد تكون نسبة وجود الظاهرة بين الأميين وأنصاف الاميين أعلى منها بين ذوى التعليم العالى ، ولكن من الواضح أن التعليم الرسمى ليس عاصما منها ، وهو ما يعنى أن جذور هذا الوجه من الاضطراب أعمق من مسألة التعليم والأمية .

ومن اهم مظاهر اختلال اللياقة فى مجال الوجدان ما يمكن أن نسميه "التهرؤ الوجدانى" ، وهو ما يعنى لغويا انعدام التماسك والاتساق في كيان ما . وجاء فى لسان العرب أهرأ اللحم اهراء اذا طبخه

الليـاقـة النفسيــة في المجتمع المصرى

حتى يتفسخ . وهذا بالضبط ما نشهده ، تفسخ فى مجال الوجدان .

ولهذا الاختلال اكثر من وجه يكشف عن نفسه من خلاله . من ذلك مثلا تشتت العناصر الوجدانية التى اذا ائتلفت تكونت منها عاطفة ذات هوية واضحة نسميها الحب مثلا ، أو الحنو ، أو التوقير والتبجيل ، أو احترام الذات ، الى آخر هذه العواطف التى تكون وشائج الترابط بين أفراد أية جماعة بشرية وتبطن ما يدور بينهم من تخاطب وتعامل .

والمفروض أن هذا الجانب من البناء النفسى للشخصية بالغ الأهمية فى تحقيق الحياة الانسانية بما هى انسانية ، أى من حيث هى متميزة عن حياة الحيوان حتى فى أرقى صور التجمعات الحيوانية . ومن ثم فقد أولاه علماء النفس عناية خاصة منذ كتب تيوديل ريبو عالم النفس الفرنسى كتابه الشهير "منطق العواطف" فى أواخر القرن الماضى . ومعنى ذلك أن هذا الاضطراب الذى نشير اليه بالغ الخطر ، لأنه يصيب الروابط أو العلاقات الانسانية فى العنصر النفسى الذى يكسبها العمق والاستقرار والتنظيم . وخلاصة القول فيه أنه اضطراب يفصح عن نفسه من خلال انقسام الشخصية على نفسها فيما تحب وتكره ، أو بالاحرى تفتتها فى جميع جبهات النشاط الوجدانى حيث الحب والكراهية أو الرغبة والنفور ومايدور حولهما .

ومن أبرز مظاهر اختلال اللياقة النفسية فى مجال التصرفات العملية انفلات السلوك من ضوابط القيم . صحيح أن كثيرا من القيم تتغير من مجتمع الى مجتمع ، وأن كثيرا منها يتحول داخل المجتمع الواحد من زمان الى زمان ، ولكن الصحيح أيضا أن هناك قدرا معقولا مما نسميه القيم الأساسية التى تراكمت على مر العصور ، وأصبحت تكوّن معا النواة الصلبة للضمير الانسانى عامة ، فتكسبه درجة ملحوظة من الاتساق ، كما تكسبه توجها محددا فى نموه عبر الاجيال والحضارات .

وما نعنيه هنا هو انفلات السلوك من ضوابط هذه القيم الاساسية . ولا أظن أننا بحاجة الى أن نقدم للقارىء نماذج واقعية لتزايد رقعة هـذا الانفلات ، فالجرائد اليومية والمجلات الاسبوعية والاذاعة المرئية مليئة بأخبار هذه النماذج وبصور حيّة منها ، ومجالسنا كل فى دائرة عمله زاخرة بأشكال لا آخر لها من هذه النماذج يكاد المرء لا يصدق عينيه ولا أذنيه وهو يشهدها .

ومجمل القول إذن أن اختلال اللياقة النفسية أصبح أوسع انتشارا من أن ننكره أو نتجاهله ، وأن يعرض نفسه أمامنا فى معظم لقاءاتنا البشرية من خلال العديد من مظاهر التشوش أو الخلط فى التفكير ، والتهرؤ أو التفسخ الوجدانى ، وانفلات السلوك العملى من ضوابط القيم الهامشية والاساسية على حد سواء .

● اثر الاختلال !

هناك نوع معين من الاضطرابات الاجتماعية يقع بعضه على الحدود بين المرض والجريمة ، ويقع بعضه الآخر على الحدود بين المعايير الأخلاقية

وموجبات المسئولية الجنائية . والذى يمعن فى النظر فى هذه الاضطرابات جميعا يستطيع أن يرى بوضوح أنها وثيقة الاتصال باختلالات اللياقة النفسية على اختلاف اشكالها ودرجاتها . ولا يعنى ذلك أن اختلالات اللياقة فى الافراد هى السبب ، وأن هـذه الاضطـرابـات الاجتماعية هى النتيجة ، فهذا غير صحيح . ولكن الصحيح أن النوعين من الخلل ، النفسى والاجتماعى ، يجرى بينهما اعتماد متبادل ، فكلاهما يغذى الآخر ويدعمه . والنتيجة دائرة شيطانية لا تكف حركتها عن التصاعد والاتساع .

من أهم أشكـال الاضطـرابـات الاجتماعية التى تقع على الحدود بين المرض والجريمة تعاطى المخـدرات والادمان . ومن أهم صور الاضطرابات التى تقع على الحدود بين مجال نفوذ المعايير الاخلاقية ومجال نفوذ الاجراءات الجنائية استباحة العدوان على الحقوق العامة ، أو حقوق الجماعة ، وماهو فى حكمها . ولنمعن النظر قليلا فى كلا الشكلين من أشكال الخلل الاجتماعى .

أوضح دليل عملى على وقوع تعاطى المخدرات والادمان بين الجريمة والمرض أن القانون المصرى لمكافحة المخدرات (وهو القانون رقم ١٢٢ لسنة ١٩٨٩) ينص على عقوبة متعاطى المخدرات ، وفى الوقت نفسه ينص على جواز الايداع فى المصحات بغرض العلاج من الادمان . والحال كذلك فى قوانين مكافحة المخدرات فى كثير من الدول . أما عن الصلة بين التعاطى واختلال اللياقة النفسية بأشكالها المختلفة فتتمثل فى حقائق متعددة نذكر منها مايلى :

١ ـ أن الأثر الرئيسي بعيد المدى للتعاطى ، وهو ما نسميه الادمان أو الاعتماد ، يتمثل فى فقدان المتعاطى لارادته الحرة فى تناول المادة المخدرة أو العدول عن تناولها ، ومن هنا نتكلم عن نشوء ما يسمى بالدافع القهرى الى مواصلة التعاطى ، وهذا نفسه وجه من أوجه اختلال اللياقة فى الجانب الوجدانى من حياتنا النفسية لأنه ينطوى على اضطراب فى التوازن والتناسق بين مكونات منظومة الدوافع التى نواجه بها مطالب الحياة المتعددة ، مما يؤدى الى الوقوع فريسة لصراعات مهرئة أو مفسخة لنفس صاحبها .

٢ ـ أن كثيرا من أنواع التعاطى تؤدى بصاحبها سواء على المدى القريب أو على المدى البعيد الى اختلال اللياقة الفكرية . وأوضح مثال على ذلك تعاطى الحشيش ، إذ يصحبه جميع مظاهر التشوش والخلط التى وصفناها ، وهو ما يطلق عليه بعض الباحثين اسم اسلوب التفكير المتسيب ، حيث ميوعة الحدود بين الافكار ، والعجز عن احكام قبضة الشخص على جزئيات موضوع التفكير وتثبيتها فى بؤرة الانتباه بمـا يكفى لايجـاز عمليـة التفكيـر المقصودة .

٣ ـ أن جميع المواد المحدثة للاعتماد أو الادمان تؤدى بصاحبها الى انفلات سلـوكـه العملى من ضـوابط القيم الاجتماعية بشكل أو بآخر .

على أن أسوأ ما فى هذه العلاقة أنها دائرية ، بمعنى أن الأمر لا يقتصر على كون التعاطى يؤدى الى اختلال اللياقة ، بل يمتد الى كون اختلال اللياقة يؤدى بدوره الى التمادى فى التعاطى والادمان . صحيح أنه لا يؤدى حتما الى هذه النتيجة فى جميع الاحوال ، ولكن من المؤكد أنه

يزيد من احتمالات الاقبال على التعاطى والادمان اذا ما توافرت ظروف بعينها فى البيئة الاجتماعية المحيطة .

وننتقل الآن الى استباحة العدوان على الحقوق العامة ، أو حقوق الجماعة ، وماهو فى حكمها ، فهذا اضطراب يقع على الحدود بين قواعد الاخلاق ومواد القانون الجنائى . وليس المقصود هنا الاشارة من طرف خفى الى السرقات التى تقع فى دوائر القطاع العام وما شابهها ، فهذه أمرها واضح لمرتكبها وللمجتمع ، أنها جريمة من أولها الى آخرها . ولكننا نشير الى أشكال أخرى من العدوان أشد استخفاء من ذلك .

خذ مثلا موضوع الاجور الاضافية ، والحوافز ، وكل المسميات التى تندرج تحت هذه الفئة فى ممارساتنا الراهنة . الكل يعلم (الذى يعطى والذى يأخذ) أن هذه الأجور الاضافية والحوافز وما اليها ليست استحقاقات مترتبة على أعمال بعينها تم انجازها بوساطة هؤلاء الاشخاص الذين تلقوا هذه المبالغ المالية ، ولكن الكل ارتضى هذا الوضع الذى لا ترتضيه القيم الاخلاقية الاساسية التى تقوم على الربط بين الجزاء والعمل ، ولا يقره القانون عندما يشير الى أموال صرفت لفلان أو فلان بغير وجه حق . ومع ذلك فهذا الوضع قائم برضا الحاكم والمحكوم .

فأما المحكوم فلأنه يشعر بأن الاجر الاصلى فيه ظلم وغبن ، وبالتالى فمن حقه أن يأخذ "شيئا" اضافيا . وأما الحاكم فلأنه يرى أنه لا يستطيع أن يقرر زيادة الاجر الاصلى زيادة معقولة وذلك لمخاوف معينة فى ذهنه ، ومن ثم فان زيادة دخل المواطن بهذه الصيغة الملتوية التى تنطوى على اعتراف وعدم اعتراف فى ذات الوقت هى الحل . وفى النهاية يرتضى الطرفان هذه الصيغة لأن فضليتها الرئيسية تكمن فى كونها تقدم حلا عمليا مؤقتا لمشكلة قائمة فعلا ، ولكنها فى الوقت نفسه ترتكز على درجة عالية من الغموض والابهام فى تحديد معنى الحق ومعنى الواجب . وهذا بالضبط ما نعنيه عندما نضرب بهذا الموضوع مثلا للامتداد الاجتماعى لاختلال اللياقة النفسية . وهو امتداد يقف على الحدود بين الرذيلة والجريمة . وأسوأ ما فيه أنه ـ من حيث هو ممارسة اجتماعية تساندها الدولة التى هى رمز القانونية فى الحياة ـ أسوأ ما فيه أنه يكرس بشدة اختلال اللياقة النفسية عند المواطن فى جميع جبهاتها ، فى التشوش والتهرؤ وانفلات السلوك .

● جوائز الدولة

وهناك امثلة كثيرة من هذا القبيل ، وان كنا نمضى فى تحليلها بهذا القدر من التفصيل الذى تناولنا به المثال السابق . خذ مثلا موضوع جوائز الدولة وما يجرى بصددها داخل اللجان والمجال الموكلة بمنحها . مثلا آخر ما يجرى باسم برامج التدريب فى كثير من مرافق الدولة ، ومثلا ثالثا ما يحدث فى كثير من اللجان العلمية الدائمة المسئولة عن ترقيات اعضاء هيئة التدريس فى الجامعات ، ومثلا رابعا ما



المصحات النفسية .. هل سبب لاختلال اكبر لنفسية المرضى

طلعت به علينا الجرائد اليومية منذ بضعة اسابيع من اعداد تشريع يطلق اليد فيما أسموه التعيين بالاختيار المطلق لمناصب الدولة العليا .

وأستطيع أن أمضي على هذا النحو ، أضرب أمثلة أخرى كثيرة غير ما ذكرت ، ولكنني فى غنى عن ذلك لأن القارىء يستطيع ، وقد أدرك المقام المشترك وراء هذه الامثلة جميعا ، أن يضيف بنفسه الى هذه القائمة المؤسفة الشىء الكثير .

● ● ●

حصيلة القارىء من هذا المقال أن هناك ما نسميه اختلالا فى اللياقة النفسية للافراد ، وأن هذا الاختلال كيان متكامل يصيب الشخصية فى قدراتها على التفكير والانفعال والفعل . وأنه ليس مرضا بالمعنى الاصطلاحى للمرض النفسى أو العقلى ، ولكنه مع ذلك اضطراب خطير لا يجوز اغفاله أو لتهوين من شأنه . وأن خطورته تتمثل فى امتداداته الاجتماعية وفى شكل أنواع مختلفة من الخلل الاجتماعى تقع على الحدود بين المرض والجريمة ، أو بين مجال نفوذ المعايير الاخلاقية ومجال نفوذ الاجراءات الجنائية .

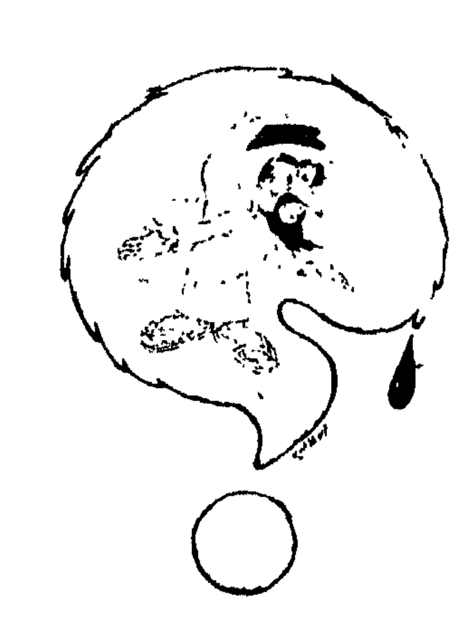
والسؤال المطروح الآن هو : ماهى العوامل المسئولة عن نشوء هذا الاختلال اصلا ؟ ثم سؤال آخر ، ماهو السبيل أو ما هى السبل الكفيلة بمعالجته أو تقليص مساحة أخطاره ؟

هذان سؤالان نرجو أن نجيب عليهما فى حديث آخر .

أم المعارك !

مواجهة الأزمة الحضارية

في ظني ان اشد ما ذهل له الإنسان العربي وهو يتتبع مجرى الحرب في الخليج ، ذلك الانهيار السريع الذى لحق الجبهة العراقية وقواتها المسلحة ، وذلك النصر السريع السهل الذى حققته قوات الحلفاء في غضون ايام قلائل ، بعد اشهر طويلة سمع هذا الانسان العربي خلالها من صدام حسين وغيره من المسئولين العراقيين ووسائل إعلامهم صنوفا من الجعجعة والطنطنة ، والوعد والوعيد ، والزهو المقيت بالنفس ، مع وصف للمعركة المقبلة بانها ستكون ام المعارك ، وإشادة بالقدرات القتالية الهائلة لجيش العراق ، وإعلان من صدام بانه سيلقن الدول المعادية له درسا لن تنساه طيلة العمر ، إلى آخر ماسمعناه وصدقه البعض منا من إعلان نوايا لم تنفذ ، ونبوءات لم تتحقق ، وتهديدات لم يصب الكثيرون من جرائها بسوء .



بقلم :
حسين أحمد أمين

فإن كان البعض في العالم العربي قد سره وأسعده أن يرى صداما يلقى الجزاء العادل على فعلته بالكويت ، وإن كان البعض الآخر فيه قد ساءه وأتعسه أن يرى ذلك الاندحار الكامل لأقوى جيش عربي ، فإن الجميع دون استثناء قد بات يلمس حاجة ملحة إلى

إعادة النظر فى حال الدول العربية الماثل ، والتساؤل عن حقها فى الحياة وقدرتها على التكيف وفق احتياجات العصر الذى نشهد بزوغ فجره ، وعما إذا كان العرب فى واقع الأمر شعبا لا يحسن غير التشدق بالكلمات ، واما إذا كنا سنظل إلى آخر الدهر نعرف القول دون الفعل ، ونسمع جعجعة ولا نرى طحنا .

● التحدى والاستجابة

لقد بات المجتمع العربى اليوم أشبه شىء بخلية النحل التى فقدت ملكتها .. قد نرى النحل مستمرا فى مجيئه وذهابه ، وقد نحسب هذه الحركة حياة ، غير أننا متى اقتربنا من الخلية لنتأملها بعناية ستهولنا مظاهر الفوضى التى ضربت أطنابها فيها بعد رحيل الملكة ، والتى جعلت من الأجدى التخلص من الخلية بالقائها طعمة للنيران ، ومع ذلك فإن مجرد سماعنا لما بات أفراد شعبنا العربى يرددونه من تساؤلات فى الآونة الأخيرة ، خاصة منذ نشوب أزمة الخليج ونشوب جربها ، كفيل بأن يبعث فينا ولو بريقا خافتا من الأمل فى أن يسترد مجتمعنا حقه فى البقاء على قيد الحياة بين الأمم النشطة الحيوية المتوثبة حولنا .



لقد كان من حسن حظنا فى واقع الأمر أن نواجه فى فترة زمنية بالغة القصر بحشد من التحديات الكفيلة باخراجنا من عزلة قاتلة ،



وإيقاظنا من سبات عميق ، بدءا بالتحدى الغربى ، ومرورا بالتحدى الاسرائيلى ، وانتهاء بالتحدى الذى يمثله النظام الدولى الجديد ومشكلاته المعاصرة . غير أن المشكلة فى رأيى ليست مستعصية على الحل ، هى إحدى تلك المشكلات التى وصفها نيتشة بأنها إن لم تقتلنا زادتنا قوة .. ولكى لا تقتلنا هذه المشكلة لابد من أن نشرع فى النظر اليها ـ لا إلى معركة صدام حسين ـ باعتبارها « أم المعارك » ولابد من تضافر خيرة العقول فى كافة المجالات فى مجتمعنا على رسم معالم نظم سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية واعلامية جديدة ، والتخطيط لها تخطيطا واقعيا لا هو بالمثالى ولا بالرجعى ، وخلق أداة للتغيير والتوجيه العلمى الرشيد تحل محل التغيير العفوى أو اللاشعورى ، وتوفير الاجابات الواضحة الشافية على الاسئلة الخمسة التالية :

* ما هى القيم الاساسية التى ينبغى أن تحكم أى اتجاه إلى التكيف والمواءة ؟
* ما هى طبيعة التغيرات الرئيسية التى يشهدها العالم المعاصر ؟
* كيف يمكن مواجهة هذه التغيرات على ضوء القيم الأساسية التى اخترناها ؟
* ما هى التعديلات التى ينبغى إدخالُها على القيم الأساسية من أجل ضمان كفاءة أكبر فى مواجهة التغيرات ؟
* ما هى حقائق البيئة المتغيرة التى يمكننا قبولها على ضوء قيمنا ، وما هى الحقائق التى تلزمنا تلك القيم بواجب مقاومتها ؟

● الأطر الذهنية

إنه لمن المؤسف والمحزن حقا أن نشهد فى هذه المرحلة بالذات اشتداد ساعد فريق من الناس فى مجتمعنا من المتحجرين فكريا أو المتطرفين دينيا ، يدعون إلى سياسة من شأنها أن تؤدى بنا إلى العزلة والتقوقع ، وهى سياسة لم تسفر فى أية فترة فى الماضى عن نتائج محمودة ، وهى أشد وبالا وأوخم عاقبة فى عصرنا هذا الذى شهد تداخل العلاقات الدولية واتساع نطاق التكنولوجيا والصناعة والتجارة والتبادل الثقافى والتأثيرات الحضارية ، مما بتنا ازاءه فى حاجة إلى مفاهيم جديدة ، ومواقف جديدة ، وفكر جديد .

والشرط اللازم فى رأيى لتحقيق هذه الحاجة هو العقل المتشكك الذى يرفض الرضوخ للأفكار المسبقة ، ويأبى إلا أن يتحرر من المعرفة القطعية التقليدية ، وينكر حق يد الماضى الميتة فى أن تمتد إلى عنقه لتمسك بخناقه .

قد أضحى علينا جميعا ، وعلى مثقفينا ومفكرينا بالاخص ، من أجل التمكن من أجل خلق الصلة بالعالم المعاصر وتغيراته ، بل والخروج بعد ذلك باسهامات فى الفكر الانسانى المشترك ، أن نترك مخابئنا ومكاننا الآمن فى ظل التقاليد الجامدة التى ولدنا ونشأنا فى ظلها ، وأن نتحرر من القيود الغليظة التى تكبلنا ولكن شريطة الا نتبنى تقاليد غيرنا ، وألّا نستبدل بقيودنا قيود الشعوب القوية الغنية حولنا .. إنه أمر فى حاجة إلى شجاعة خارقة ، وإلى قوة ليست من نصيب الكثيرين ، وإلى استعداد فريد لتحدى المجتمع بأسره .. ولاشك عندى فى أن المثقفين الموهوبين منا ممن ستتوفر لديهم هذه القدرات سيوصفون بالضرورة بأنهم المعكرون لصفو السلام العقلى والراحة الذهنية لأمتهم .. فهم اعداؤها وزعماؤها فى آن واحد .. وهم وحدهم الذين بوسعهم أن يقودوها إلى الخير .. هم يرون الكثير من معارف أسلافهم وتقاليدهم غير مناسبة للعصر الذي يعيشون فيه ، ويرون الكثير من تقاليدهم أوعية ختم عليها تم صنعها قبل الميلاد ! أو تم صنعها فى العصور الوسطى ! أوعية لا تشبه فى كثير أو قليل ما يحتاج الناس إليه فى عصرنا هذا ، وما يبحثون عنه من أجل حل المشكلات الخاصة بزمانهم .. أوعية فخارية وضعت وسط أوان من حديد ، ولا مفر من اصابتها بالكسر لدى أدنى احتكاك او صدام .

مثل هؤلاء لابد واجدون الأطر الذهنية التقليدية التى ورثوها عن الأسلاف غير مناسبة للعصر ، غير أن هذا لا يعنى أنهم سيتقبلون الأطر الذهنية التقليدية فى الدول المتقدمة حولهم ، او عادات شعوبها ووجهات نظرها .. لقد حطموا أوثان قومهم كى يحرروا أنفسهم من ربقة العبودية ، لا ليكبلوا أيديهم من جديد بعبادة أوثان قوم أجانب . وهذا هو بالضبط سر النجاح الغريب الذى نراه أو نقرأ أو نسمع عنه لأفراد من المصريين أو الايرانيين أو الباكستانيين أو العرب ممن يعيشون فى اوروبا او الولايات المتحدة .. علماء ومهندسون وأطباء وفنانون بارزون حققوا ما لم يكونوا يحلمون أو يحلم غيرهم بقدرتهم على تحقيقه

وهم فى بلادهم .. وليس السبب فى ذلك راجعا إلى فقر الموارد ، أو ضعف التشجيع ، أو ضآلة المرتبات ، أو تخلف المجتمع ، أو عدم توفر الأجهزة العلمية فى بلادهم .. قد يكون لكل هذا بعض التأثير غير أن السبب الجوهرى فى رأيى هو تلك الجرأة المكتسبة على الشك ، الجرأة على الفكر الحر ، والجرأة على تبنى المفاهيم الأساسية لسبل البحث العلمى .

لقد برز هذا المصرى او الايرانى او الباكستانى أو العربى فى الخارج لا لأنه قد أصبح « خواجة » وتنكر لقومه أو دينه . فالرحالة قد يرى اثناء رحلته فى اقطار اجنبية امورا غريبة كثيرة ، ولكنا لن نراه بالضرورة يسجد لكل إله اجنبى يصادفه على قارعة الطريق . وإنما برز هذا أو ذاك لأنه ادرك ان العزلة ضارة ، وان فكرة القومية خرافة . وان اية أمة تتقوقع على نفسها وترى السلامة فى الانعزال عن تيارات العصر ، لا يمكن أن تقدم فى أى وقت من الأوقات اسهاما ذا قيمة فى الفكر البشرى او فى العلوم والفنون .

لقد خرج الموهوبون هؤلاء بما خرجوا به ، اثناء حياتهم مع غيرهم ، وبفضل صلاتهم بهم ، وتفاعلهم مع عصرهم ، واستيعابهم للجوانب الايجابية من حضارة الغير ، دون أن يضعف هذا من تمسكهم بدينهم . ويخرج وسيخرج الموهوبون من بنى امتنا بما يخرجون به لهذه الأسباب نفسها ، وفى هذه الظروف نفسها .

● ماهية المعاصرة

إن المعاصرة فى مفهومى تفترض موقفا إيجابيا نشطا من جانب أناس يستهدفون الادراك الواعى لحقائق الزمن الذى يعيشون فيه ، وعناصره وموقعه من مجرى التاريخ ، وعلاقته بالمستقبل المرئى ، ثم تحملهم رؤيتهم على تقبل ما هو حتمى لا قبل للانسان بتغييره ، ومحاولة التغلب على الاتجاهات التى تسير ضد تيارات التاريخ ، وتقاوم حتميته ، وتعرقل وصوله إلى هدفه كما يفهمه هؤلاء الناس .

واستنادا إلى هذا المفهوم أمضى فأقول : إن ماضى وتراثى وسلفى وماضى الحضارات الاخرى وتراثها وأسلافها لا يعنينا منها إلا الجانب الذى ثبت لدينا أنه حى ، وأن بوسعه ان يثرى حياتنا

وحاضرنا ، ويزيد من قدرتنا على مواجهة تحديات مستقبلنا ، ومن قدرة أمتنا على مواجهة مشاكلها .

وبوسعنا ، من نفس المنطلق أن نتخيل تغير تقويم أهل كل زمان لرجال تراثهم وثماره عن تقويم أهل الزمان الذى سبقه ، وأن من حق كل جيل ، ومن واجبه ، أن يعيد تقويم عناصر تراث أمته للتمييز بين ما يمكن استخدامه منها فيبقى عليه ، وبين ما لايمكن استخدامه فيغضى عنه . فنحن إنما نعيش فى زماننا نحن لا زمان الأقدمين ، وما لا يساعدنا من تراث الأسلاف على حل مشكلات زماننا هو ميت إلى حين اكتشاف جيل تال لجيلنا أن فيه حلا لمشاكله فيحييه ، أما ما نجد فيه العون فهو حى إلى حين اكتشاف جيل تال عدم جدواه له فيهجره .

ونقاط البداية عندى تتلخص فيما يلى :

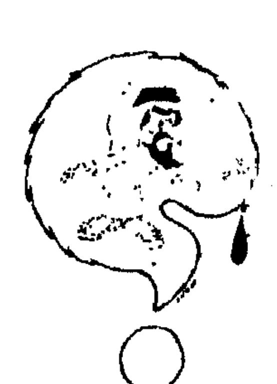
* تشخيص الأدواء التى تعانى أمتنا منها ، والتعرف على حقيقة موقعنا من الخريطة الحضارية للعالم .

* التعمق فى دراسة تراثنا للنظر فيما يمكن أن يقدمه من حلول لهذه الأدواء .

* دراسة تاريخ تطور أمتنا ، وتاريخ تطور غيرها من الأمم بغرض الاستدلال منهما على ملامح المستقبل .

* الاستفادة من تجارب الحضارات الأخرى والنظر فيما إذا كان لديها أو فى تراثها ما يمكنه أن يعيننا على مواجهة تحديات المستقبل من دون أن تخل هذه الاستفادة بتفرد شخصيتنا الحضارية .

ذاك ملخص مفهومى عن السبيل إلى تدارك الأزمة الحضارية التى نواجهها ، وإلى استرداد الثقة بالنفس . غير أنى للأسف أرى حولى الكثيرين ممن فقدوا ثقتهم فى أمة لا يبدى ابناؤها حماسة إلا فى حرب بعضهم للبعض ، ولا يعرف ساداتها وأولى الأمر منهم سبيلا إلى إنفاق الثروات أفضل من إنفاقها على إشباع شهواتهم الحسية ، وتصر حكوماتها على عدم المساس بسلطاتها المطلقة ، وعلى استئصال شأفة كل فكر حر .



● ● ●

تلكم فى رأيى هى أم معاركنا ، لا ما كنا فيه .

بعد ان ينقشع الغبار ..

السلطة والحرية فى الوطن العربى



نكتب تحت النار .. نار الكارثة التى اندلعت فى الخليج ، وهى بالتالى قد اندلعت فى الوطن العربى كله ، ولا يحسبن احد فى هذا الوطن انه سوف ينجو من آثارها وبالأقل ، من مغبتها ومسئوليتها .

هل من الضرورى أن نسأل ماذا حدث ؟ أم يكفى أن نشير الى بعض ما يحدث الآن .

بقلم : عبد الرحمن شاكر

لقد اجتاحت الجيوش العراقية الكويت ، منذ بضعة اشهر ، وهى دولة مستقلة من ثلاثين عاما تقريبا ، وتتكون من مدينة واحدة ، تجاور آبار النفط الغنية فيها ، ويسكنها قرابة مليونين من السكان ، اكثر من ثلثيهم من الوافدين الذين لا يتمتعون بجنسيتها .

واعلنت الحكومة العراقية ضم هذه المدينة ، الدولة اليها ، لتصبح المحافظة التاسعة عشرة ، من الاقليم العربى الكبير المجاور لها ، العراق .

وقيل الكثير عن اعمال نهب وتدمير واغتصاب وقتل ، قامت بها القوات او السلطات العراقية فى الكويت .

فماذا يحدث الآن ؟

طائرات الولايات المتحدة الأمريكية ، وصواريخها ، ومعها طائرات حلفائها ، بريطانيا العظمى وفرنسا فى المقدمة ، تتولى ببساطة .. تدمير العراق ، ومعها محافظتها الجديدة (!) .. الكويت !

يقال ان هذه الحرب قد شنت لتحرير الكويت من «اشقائها» المعتدين . وترد العراق باطلاق صواريخها على اسرائيل ، فى محاولة منها لجرها الى



الاشتراك فى الحرب ، لكى تصدق كلمة حكام العراق انهم يواجهون غارة امبريالية امريكية صهيونية على العالم العربى والاسلامى ، وان على هذا العالم ان يقف كله وراء العراق فى «ام المعارك» كما اسموها .

وبين ان تكتسب الحرب ، الصورة التى تريدها العراق ، او تبقى حربا لتحرير الكويت من احتلالها ، تضيع الحقيقة السياسية ، وتبقى الحقيقة المادية ، وهى كارثة الحرب المستعرة .

ولك ان تتخيل ما يمكن ان يحدث فى أيام الحرب .

فى الغارة الجوية الاولى على العراق ، القيت عليها ثمانية عشر الف طن من المتفجرات ، بما يعادل مرة ونصف ، قوة تدمير القنبلة النووية التى القيت على هيروشيما فى اليابان ، فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبعد يومين وصل حجم القنابل التى القيت على العراق الى ثلاثة وعشرين الف طن .. والبقية فى الطريق !

قلنا ان الحقيقة السياسية . قد تاهت او سوف تتوه ؟ كلا ، بل هى واضحة للعيان ، لكل من يريد ان يراها ، نحن أمه العرب ، امة مهددة بالدمار

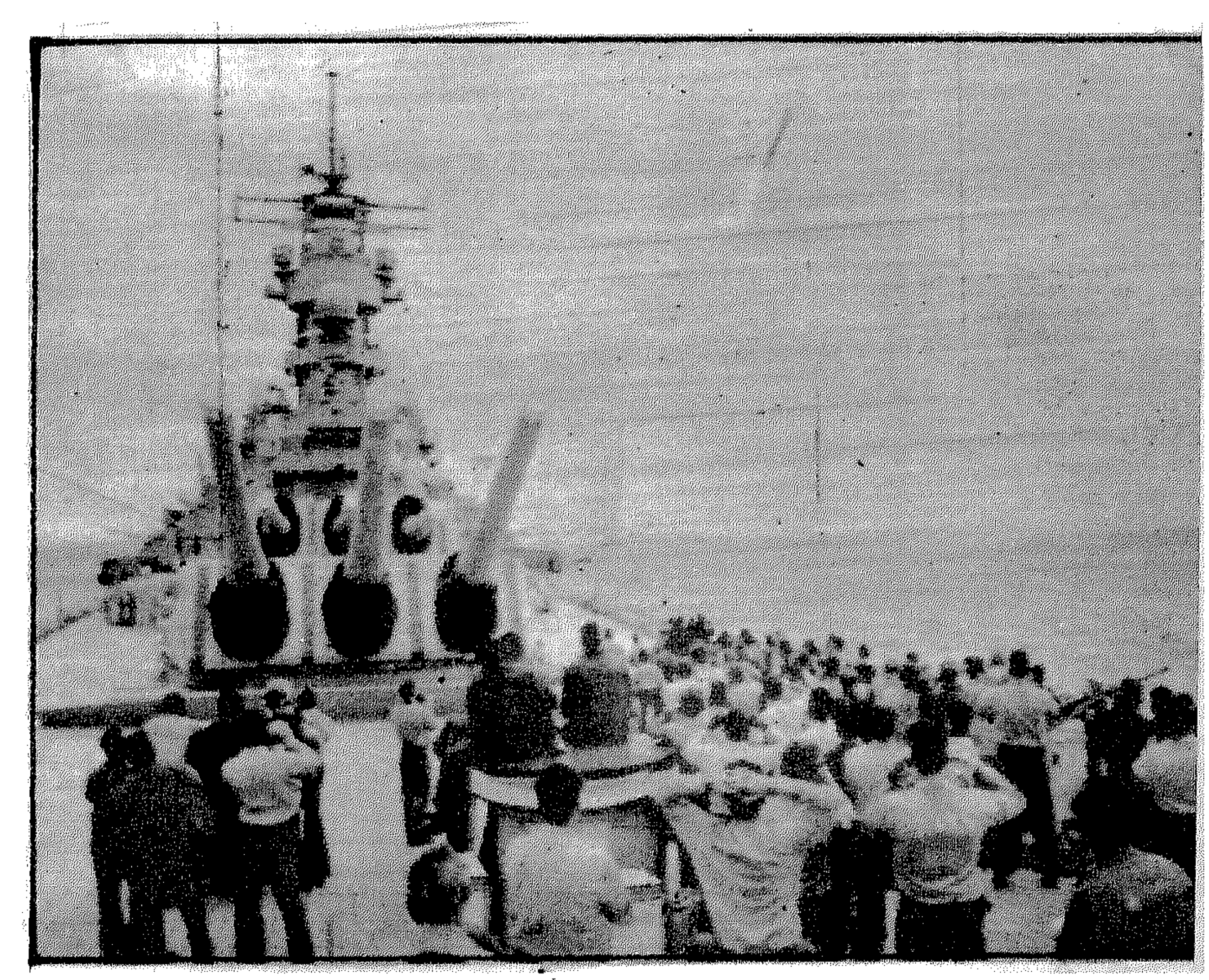
والهلاك ، بأبشع آلات الحرب فى عصرنا هذا .

ننتظر ان ينقشع الغبار .. غبار الحرب الهائلة التى تدور فى الخليج ، وتوشك ان تمتد إلى سواها من اجزاء الوطن العربى ، ولكن قبل ان يتم ذلك ، علينا اولا : من ينجو منا من اثار الكارثة ، أن نزيل الغبار عن اعيننا ونواجه حقيقة امرنا ، عارية مجردة :

إن اية أمة منذ ان وجدت الامم ، ومنذ وعى الجنس البشرى هذا التعبير . الأمة ، لها ارادة تتمثل فى وجود سلطة مركزية لها ، توجه حركتها فى مجموعها ، نحو ما فيه صالحها ، أخطأت او أصابت فى هذا التوجيه .

أما نحن ـ امة العرب ـ فقد اكتفينا بوجود جامعة الدول العربية ، تلك المنظمة الاقليمية التى انشئت فى اواخر الحرب العالمية الثانية ، ايام كان عدد الدول العربية «المستقلة» فى ذلك الحين هو سبع دول فقط ، معظمها ـ رغم الاستقلال ـ كان واقعا تحت سيطرة الاحتلال الانجليزى او الفرنسى !

وجربنا تلك المنظمة ، جربناها فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وانهزمت الدول العربية السبع فى تلك الحرب ، ومعها منظمتها التى لم تكن سلطة



مركزية ذات قيمة بين تلك الدول ، وقال المفكر السورى ساطع المصرى ، ردا على تساؤل مؤداه : «كيف تهزم اسرائيل الناشئة سبع دول عربية ؟ قال : لقد هزمتها لانها كانت سبع دول ، ولم تكن دولة واحدة !!

وجربناها مرة اخرى ـ اى جامعة الدول العربية ـ فى الصلح مع اسرائيل ـ بعد ان جرت مياه كثيرة تحت الجسر ـ كما يقال ـ

واكتفت الجامعة بطرد مصر من صفوفها لمدة عشر سنوات كاملة ، حتى كانت حرب الخليج الاولى ـ بين العراق وايران وتقاربت فيها مصر مع العراق ، ومع سائر الدول العربية ، واستردت مصر مقعدها فى تلك الجامعة ، ولم تكد تشرع فى اعادة مقر الجامعة الى مصر مرة اخرى ، حتى بدأت ازمة الخليج الجديدة ، التى تحولت الى حرب الخليج الثانية ، الحرب الدولية التى تشهدها منطقتنا الآن ، والتى لا ندرى ما سوف يلحق بنا من اهوالها !

عدنا فى بداية الازمة ، وبعد احتلال العراق للكويت ، الى جامعة الدول العربية ، التى اصبحت تضم اكثر من عشرين دولة مستقلة وقلنا ينبغى ان نحصر الازمة فى المحيط العربى ، ونمنع التدخل الاجنبى فيها .. ولكن الجامعة بمؤتمر قمتها كانت كما هى ـ تجمعا هلاميا ليس له سلطة مركزية ، تصلح لحل المشاكل الداخلية للوطن العربى ، فضلا عن تجميع هذا الوطن فى مواجهة عدو او اعداء خارجين .

★ ★ ★

ولجأ الطرف العربى ، الذى يشعر بالغبن ، وهو دولة الكويت المحتلة ، الى المنظمة الدولية ، التى تنتمى دولنا اليها ، كما تنتمى الى جامعة الدول العربية ، وهى هيئة الامم المتحدة ، بعد ان تبينت مدى عجز الجامعة العربية عن حل مشكلتها .

ليس معنى ذلك اننا لم نجرب الأمم المتحدة قبل ذلك .. بل جربناها كثيرا !

كانت هى الهيئة التى اصدرت قرارها عام ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين ، وانشاء دولة اسرائيل على قطعة منها ، وهو القرار الذى تحديناه نحن العرب ، تحت مظلة الجامعة العربية فى عام ١٩٤٨ ، وكانت الهزيمة من نصيبنا !



وجربنا الامم المتحدة بعد ذلك ، اثر حرب ١٩٦٧ ، التى احتلت فيها اسرائيل بقية ارض فلسطين ، واراض من دول عربية مجاورة ، وكانت لها ، ولمجلس الامن جهازها الرئيسى ، قرارتها وقراءاته فى هذا الشأن ، وكلها تقضى بضرورة انسحاب اسرائيل من تلك الأراضى .. ولكن شيئا من ذلك لم يتحقق حتى الآن .. الا ارض مصر التى استردتها من خلال معاهدة صلح منفردة مع اسرائيل !

ومع ذلك لم تقصر الامم المتحدة مع الكويت ..

كانت هى السلطة التى إتخذت القرار تلو القرار بمجلس امنها ايضا بضرورة انسحاب العراق من ارض الكويت .

وفرضت المقاطعة الاقتصادية والحصار البرى والبحرى والجوى على العراق .

وفى النهاية وبعد خمسة اشهر فقط ، تأتى القوات الدولية باسم الامم المتحدة لتضرب العراق ، لانها رفضت الانسحاب دون شروط من الكويت ، وباسم الامم المتحدة وتنفيذ قراراتها تتولى قوات ثلاث دول دائمة العضوية فى مجلس الامن ، الولايات مطار العراق بوابل من المتفجرات لاجباره على الخروج من الكويت .

على كل ، نتمنى ان تنتهى هذه المأساة قريبا ، ونعلق املا كبيرا على المظاهرات الصاخبة التى تجتاح العالم تطالب بوضع حد للحرب واقرار السلام ، بما فى ذلك المظاهرات فى مدن الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها .

ثم نعود الى موضوعنا :

قبيل الحرب ، عاد التفكير فى المصير العربى ، والشكل الذى ينبغى أن يكون عليه الكيان العربى بعد انتهاء مايسمى بأزمة الخليج . التى تحولت الآن الى حرب الخليج .

قيل إنه لابد من تطوير النظام العربى ، بمعنى تطوير جامعة الدول العربية لتصبح جهازا فعالا ، قادرا على معالجة القضايا العربية دون أن تتصاعد لتصبح مأساة أو كارثة على النحو الذى نشهده الآن .

قيل فى هذا الصدد ، ومن بين القائلين د . بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية بمصر ، لابد من إنشاء برلمان عربى يكون واحدا من عناصر تطوير تلك الجامعة ، وإعطائها جهازا شعبيا يساعدها فى مهامها ، ومن بين القائلين بذلك أيضا . د . مفيد شهاب . رئيس لجنة تطوير الجامعة العربية بمجلس الشورى .

ونحن من أنصار هذا الرأى ، ومن المتربعين لمنادين به من قديم ، ولكن بشرط أن يكون هذا البرلمان مجلسا حقيقيا ، له صفة التمثيل النيابى الكامل للشعوب العربية ، وعلى نحو يؤهله لكى يصبح مصدر السلطة المركزية فى الوطن العربى ، لايترك قرارات الجامعة العربية نهبا لأهواء الدول . أو المتربعين على مقاعد الحكم فيها ، بل تكون له السلطة فى إصدار قرارات ملزمة بالاغلبية ، وذلك معناه ببساطة أن يكون هو السلطة التشريعية العليا فى دولة واحدة هى دولة العرب .

★ ★★

ولكى يكون لدينا هذا البرلمان ، أو هذا المجلس التشريعى المنتخب لابد من الديمقراطية . والحرية السياسية فى مختلف أرجاء بلادنا .

إذا كنا ندين الديكتاتورية ونعتبرها مسئولة عما حدث فينبغى أن ندينها عند الجميع .

لقد تعلمنا الكثير من الأوربيين والأمريكان ، بما فى ذلك حمل السلاح وركوب الطائرات .

فلنتعلم منهم جميعا شيئا أفضل من ذلك ، وهو الديمقراطية والحرية ، فالولايات المتحدة الأمريكية هى فى واقع الأمر " الدول الأمريكية المتحدة" التى تشغل معظم قارة أمريكا الشمالية ، وأداة وحدتها هو الكونجرس الأمريكى .

وأوربا التى قاتلت بعضها بعضا باسم الوطنية والقومية ، دهورا طويلة ، تتحد الآن ، وأداة وحدتها هو برلمان منتخب .

ونحن أمة واحدة ، ونزعم أننا كذلك ، فهل نعجز عن الاتحاد عن هذا الطريق ، طريق البرلمان المنتخب فى ظل ديمقراطية كاملة ؟!

* * *

يقال فى هذا الصدد ، أو قد يقال : إن معنى قيام برلمان عربى على هذا النحو ، أن تكون الغلبة فيه لممثلى الدول ذات الكثافة السكانية الكبيرة نسبيا مثل مصر ..

ونقول لهم بدورنا : وماذا فى هذا ؟

وأنه إذا كان سوف يكون فى المستقبل نظام أمنى مستقر فى المنطقة فلابد من أن تتولى مسئولية رئيسية فيه ، دول الكثافة السكانية العالية وفى مقدمتها مصر ؟

من يتولى مسئولية الدفاع وتحقيق الأمن ، لابد أن تكون له كلمة مسموعة ، وإلا فإن الدم الذى سوف يراق لم يكن ، ولن يكون أرخص من النفط .



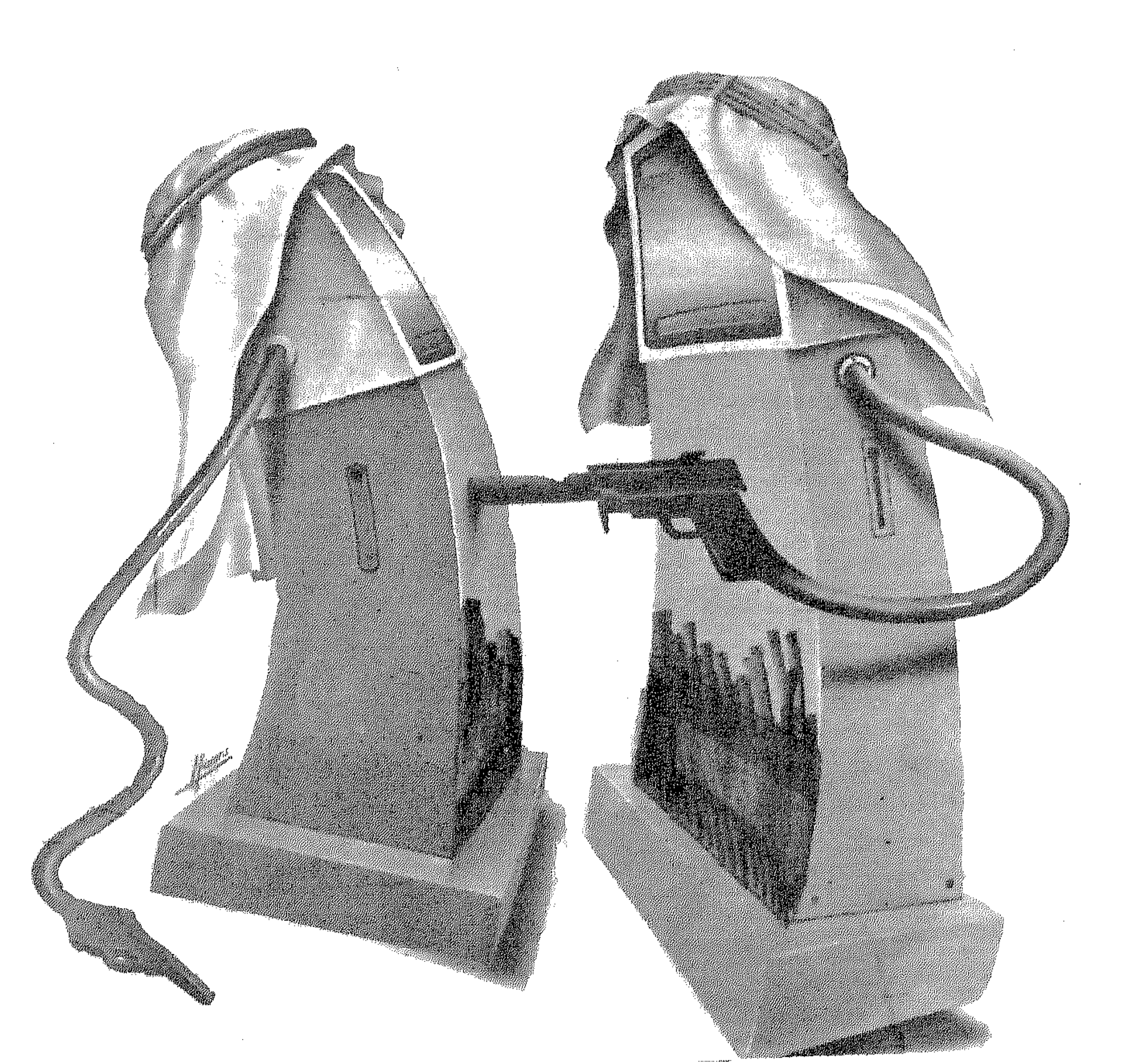
ولن تنفصل قضية الحرية أبدا ، ولم تنفصل من قبل عن قضية التعليم العام : إن الأمم التى تسودها الأمية والجهل ، لامفر من أن يحكمها الاستبداد ، ويعبث بمصيرها كما يشاء .

وحتى ولو أرادت أن تصبح ديمقراطية ، كما ندعو ونتمنى ، فلن يستطيع شعب جاهل أن يقرر مصيره وأن يحكم نفسه .

علينا بالعلم وتعليم أبنائنا جميعا .. عسى أن يأتى جيل خير من جيلنا .. لايورد أمته موارد التلف ، كما أوشكنا أن نفعل !

دفاع عن نظرية المؤامرة !

أصارح القارىء بأني ، عندما قامت العراق باحتلال الكويت فى ٢ اغسطس الماضى ، لم استطع استساغة اى من التفسيرات الشائعة التى قدمت لهذا الاحتلال . لم اصدق ان السبب هو متاعب العراق الاقتصادية ، او نمو قوتها العسكرية ، أو رغبة العراق فى وضع حد لتعدى الكويت على حقوقها فى البترول ، او اعتقاد العراق ان الكويت هى فى الحقيقة ، جزء من العراق ، او رغبة العراق فى توحيد العرب ، أو فى إعادة توزيع الثروة العربية بالعدل ، او مجرد طموح الرئيس العراقى إلى مزيد من السيطرة والنفوذ ... الخ .



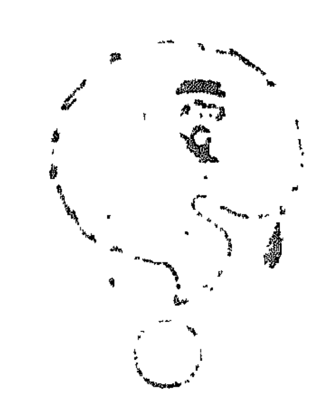
بقلم :
د. جلال أمين

لم أستسغ أيا من هذه التفسيرات رغم ترددها على أسماعنا منذ ٢ أغسطس صباح مساء، وذلك لعدة أسباب . منها أن ماحدث هو حادث فريد من نوعه ، فالذاكرة لاتجلب إلى الذهن حادثا مماثلا من اعتداء دولة من دول العالم الثالث على دولة أخرى إلى حد ابتلاعها ابتلاعا بزعم أنها جزء منها . وإذا كان الحادث بهذه الجسامة وهذه الغرابة فلا يكفي لتفسيره أسباب ودوافع تافهة لاتتناسب على الاطلاق مع خطورة الحادث ونتائجه . إني لا أقصد بالطبع القول بأن « توحيد العرب » أو « إعادة توزيع الثروة العربية » هما من الدوافع « التافهة » ولكن « التافه » هو الظن بأن هذا أو ذاك هدفان ممكنا التحقيق الآن وبهذا الأسلوب .

من الأسباب أيضا أن الحاكم الذي قام بالاعتداء ، مهما قيل في وصفه يحكم أو يشترك في حكم دولة مهمة من دول العالم الثالث منذ ٢٢ عاما ، ولو كان من نوع الرجال القادرين على القيام بعمل بهذه الخطورة بوحي من تفكيره المستقل لما صبر عليه المجتمع الدولي والدول الكبرى طوال هذا الوقت . بل إن هناك من الدلائل مايدل على تعاون وثيق بينه وبين هذه الدولة الكبرى أو تلك بل وصداقات حميمة بين نظامه وهذه الحكومة الأوربية أو تلك . كما أن حربه مع إيران التي استمرت ثماني سنوات حظيت بنوع من « المباركة » والدعم من الدول الكبرى وحصل خلالها على قدر هائل من الأسلحة من نفس هذه الدول ، ونحن نعرف أن الولايات المتحدة قد أسعفت النظام العراقي عندما بدا وكأنه يتعرض لخطر الهزيمة على يد ايران ، حتى مكنته من الانتصار ، ناهيك عن مختلف التصريحات الودية التي صدرت لصالحه من جانب دولة غربية بعد أخرى ، كان آخرها ما أعلن على الملأ من أن السفيرة الأمريكية الأخيرة في بغداد قد أخبرته بأن واشنطن تعتبر موقفه من الكويت من المسائل التي لاتحب واشنطن أن تتدخل فيها .

أضف إلى ذلك أن الحادث حدث في غمار تغيرات عنيفة وخطيرة على نطاق العالم بأسره ، وعلى الأخص فيما يتعلق بالعلاقة بين المعسكرين الشرقي والغربي : الامبراطورية السوفيتية تنهار ، والحرب الباردة تنتهي ، ودول أوربا الشرقية تتخلى عن الشيوعية واحدة بعد الأخرى ، والمانيا الشرقية تتحد مع الغربية . فإذا رأينا في غمار هذا كله شيئا آخر على جانب كبير من الخطورة يحدث في منطقة بالغة الحساسية من العالم ـ لما ـ تحتويه من احتياطيات البترول فإن من المستبعد جدا أن يكون هذا الذي يحدث منبت الصلة بما يحدث في بقية أجزاء العالم ، وأن يكون مجرد تعبير عن طموحات غريبة لحاكم عراقي .

قلت لنفسي : إن العالم كله يدخل مرحلة جديدة تذكر المرء بشدة بما يحدث في أعقاب الحروب العالمية : امبراطوريات تنهار ، وتحالفات تسقط ، وقوميات صغيرة تطالب بالاستقلال ، وتحالفات جديدة تنشأ ، وأعداء الأمس يصبحون أصدقاء اليوم ، والعكس بالعكس ، والدول العظمى



تضع لنفسها تصورا لما تريد أن يكون عليه العالم الجديد ، فلابد أن يكون هناك تصور جديد أيضا لهذا الجزء من العالم ، البالغ الأهمية استراتيجيا واقتصاديا ، بل ومن الجائز والمحتمل جدا أن يكون التنافس الجديد الذى يزداد حدة يوما بعد يوم ، بين الولايات المتحدة من ناحية ، وبين أوربا الغربية واليابان من ناحية أخرى ، عاملا أساسيا فى تشكيل التحالفات الجديدة ، والتقسيم الجديد لمناطق النفوذ ، خاصة وأن أوربا الموحدة (أو أوربا ١٩٩٢) على الأبواب ، وهذا يشكل مصدر قلق بالغ ومتزايد للولايات المتحدة ، واقتصاد الولايات المتحدة يتعرض لمتاعب جمة تكاد تستعصى على العلاج ، والولايات المتحدة تملك فى نفس الوقت "اكبر قوة ضاربة فى العالم ، فلاشك أن من أغرب الأمور ألا تستخدم الولايات المتحدة هذه القوة الضاربة لتحسين موقفها النسبى فى الاقتصاد الدولى ، وتقوية مركزها التفاوضى مع أوربا الغربية واليابان .

● مابعد الحرب الباردة

خلاصة الأمر أنى نظرت إلى ماحدث بين العراق والكويت على أنه وثيق الصلة بما يحدث فى العالم ، واعتبرت أن من الخطأ الفادح ألا يفسر أو يشخص كجزء من الصورة العامة . قليلون من يعرفون ماهية التصور الجديد الذى تحمله الولايات المتحدة للعالم فيما بعد الحرب الباردة ، ومركز اسرائيل فيه : هل ستحقق إسرائيل مكاسب جديدة فيه أم ستحاول الولايات المتحدة وضع حد لنمو القوة والمطامح الاسرائيلية ؟ وقليلـون من يعرفون حدود القوة الأوربية واليابانية إذا اصطدمت إرادتهما بالأرادة الأمريكية ، كما أننا لانعرف إلى أى حد وصل الضعف بالاتحاد السوفييتى والى أى حد تضاءل دوره فى الجولة الجديدة من اللعبة الدولية . يمكننا أن نخمن بعض العناصر هنا وهناك ، وأن نرجح بعض الاحتمالات على غيرها ، ولكن الذى بدا لى شبه مؤكد ولايحتمل الجدل هو أن ما حدث بين العراق والكويت هو جزء من هذه التطورات الدولية الخطيرة وليس خارجا عنها أو تحديا لها ، وأنه يمثل إحدى خطوات تنفيذ هذا التصور العام لعالم مابعد الحرب الباردة .

تلا الغزو مانعرفه بالطبع من الزحف الأمريكى الكثيف على السعودية وعشرات التصريحات كل يوم بعضها يقول إننا أتينا فقط لتأديب العراق ، وبعضها يقول إننا أتينا لنبقى . بعضها يقول أن الحرب قادمة لامحالة ، وبعضها يقول إن السلم افضل من الحرب . عشنا هذا لأكثر من خمسة أشهر ، فلم أزدد إلا اقتناعا بأن غزو العراق للكويت لم يكن عملا فرديا ، تعبيرا عن مطامح شخص واحد أو نظام واحد ، بل هو إجراء اعتبرته بغض المصالح الأساسية فى النظام الدولى ضروريا أو مفيدا للغاية كجزء من إعادة تنظيم العالم ، ومنطقـة الشرق الأوسط على وجـه الخصوص ، فى عهد مابعد الحرب الباردة ، لخدمة هذه المصالح ، وأن النهاية التى سوف نشهدها لهذا الغزو لابد




صدام حسين   الشيخ جابر الصباح

أن تحقق الأهداف التى توختها أصلا هذه المصالح ، أو على الأقل لابد أن تعكس نتيجة تفاعل وتضارب بعض المصالح الأساسية فى النظام الدولى ، كالتفاعل والتضارب بين المصالح الأمريكية والأوربية واليابانية مثلا وبوجه خاص ، وقد نضيف إلى ذلك المصالح الاسرائيلية أيضا . أما المصالح العربية ، فإنى أستبعدها للأسف لأسباب لاداعى للخوض فيها الآن ، ويكفى القول بأن العرب قد مضى عليهم زمن طويل ، وهم لايمارسون دورا إيجابيا أو فاعلا فى تطور النظام الدولى بل ولا حتى فى تطور النظام الاقليمى الذى ينتمون هم أنفسهم إليه .

● إحتمالات المؤامرة •

هذه النظرة للأمور لايميل إليها الكثيرون . وكثيرون من الناس يطلقون عليها اسم « نظرية المؤامرة » ويصفون أصحابها بالشطط والمبالغة فى الخيال ، والبعد عن الموقف العلمى ، والبعض يشبهونها بالاعتقاد فى الكرامات والمعجزات ، ويقولون إنها الصورة العصرية للايمان بالأساطير . واسم « نظرية المؤامرة » لايزعجنى كثيرا وإن كنت اعتبره اسما غير دقيق . فالاعتقاد بصحة ما ذكرت فى السطور السابقة لايعنى بالضرورة الاعتقاد بوجود « مؤامرة » كل مايعنيه هو الاعتقاد بأن الدول الكبرى ، أو دولة كبيرة ما ، تلعب الدور الحاسم فى تخطيط وتنفيذ كثير مما يحدث فى العالم ، خاصة فى العالم الثالث ، بما فى ذلك أحداث كثيرة تصور لنا وكأن الدول الكبرى لم يكن لها دخل فيها بل وكأنها تحدث ضد إرادتها . إن هذا لايتطلب بالضرورة أن تكون هناك مؤامرة بالمعنى الحرفى للمؤامرة ، ليس من الضرورى مثلا أن يكون الرئيس بوش قد جلس يوما مع الرئيس صدام حسين ، وعلى وجه كل منهما ابتسامات شيطانية ، يخططان لغزو الكويت ، بل إن من الممكن جدا أن يدفع صدام حسين إلى القيام بعمل معين دون أن يكون واعيا وعيا تاما بدوافعه ونتائجه (وإن كنت استبعد هذا الاحتمال فى هذه الحالة بالذات) أو على الأقل دون أن يقال بالضبط أهداف الخطة وأبعادها وخطوات تنفيذها خطوة بخطوة . إن الأمر هو مؤامرة فقط بمعنى أن الضحية أو الضحايا ، وهم فى العادة من الأفراد العاديين الذين لايدخلون طرفا فى اللعبة السياسية ، لايدرون الأسباب الحقيقية لما يحدث ، بل وتبذل جهود متعمدة لتضليلهم .

إذا كان هذا هو المقصود بنظرية المؤامرة ، فما هو المستهجن فيها وأين الشطط والبعد عن الموقف العلمى ؟ وماهو وجه الشبه بينها وبين الايمان بالأساطير القديمة ؟ أليس صحيحا أن ثلاثة أرباع أحداث التاريخ الكبرى ، إن لم يكن أكثر ، منذ أن كانت هناك دول كبرى ودول صغرى ، قد اتضح بعد أن عرفت الحقائق ، وأفرج عن الوثائق السرية ،



ونشرت مذكرات أصحاب اليد الطولى فيها ، أنها كانت نتيجة « مؤامرات » بمعنى أن دولة أو أكثر من الدول الكبرى خططتها ونفذتها ، وأن ماقيل لنا وقتها كان عكس الحقيقة بالضبط ؟ الا نقبل جميعا الآن أن الذى أسقط محمد على كان مؤامرة ، وأن ماكانت تقوله بريطانيا وقتها كان عكس الحقيقة ؟ الا نقبل جميعا الآن أن سقوط اسماعيل كان مؤامرة وأن الاحتلال الانجليزى لم يكن بسبب شجار دار بين حمّار مصرى ورجل مالطى ؟ ألم تكن معاهدة سايكس بيكو مؤامرة ، لم يفضحها إلا مانشرته الثورة الروسية من وثائق ؟ ألم يكن انشاء دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ مؤامرة ؟ ألم يكن عدوان ١٩٥٦ مؤامرة ؟ ألم تكن حرب ١٩٦٧ مؤامرة ؟

هل يريد رافضو « نظرية المؤامرة » منا أن ننتظر فى كل مرة ، خمسين عاما او اكثر قبل أن نعترف ونصدق أن ماحدث كان فى الواقع تنفيذا « لمؤامرة » ؟ وكم سنة ياترى سوف يطلبون منا ان ننتظر قبل أن يسمحوا لنا بتقديم مثل هذا التشخيص لغزو العراق للكويت ؟

★ ★ ★

أو فلنترك التاريخ جانبا ولنحتكم الى المنطق أليس من المعقول أن نتوقع أن تزداد احتمالات المؤامرة فى عالم تتداخل فيه مصالح الدول ، أكثر فأكثر ، يوما بعد يوم ، وتتسع دائرة هذه المصالح لتشمل الكرة الأرضية كلها بل والفضاء ، فلايكون فى وسع أى من الدول الكبرى ، حتى إذا كان فى وسعها فى الماضى ، أن تتجاهل مايحدث خارج حدودها ، وفى وقت تملك فيه هذه الدول ، أكثر منها فى أى وقت مضى ، وسائل التدخل والضغط فى أصغر صغيرة تحدث خارج حدودها ، وفى وقت تتسع فيه الفجوة ، أكثر فأكثر بين قدرات هذه الدول الكبرى وقدرات دول العالم الثالث الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية ، وفى عالم وصلت فيه وسائل الاعلام ، أو بالأحرى وسائل الخداع وغسيل المخ ، إلى درجة من الكفاءة لم تعرفها البشرية من قبل ؟ بعبارة أخرى ، نحن نعيش فى عصر بلغت فيه كل من حاجة وقدرة الدول العظمى على التحكم فى مصير العالم الثالث مبلغا لم تعرفه من قبل ، وفى الوقت نفسه بلغت فيه قدرة الدول نفسها على إظهار الأمور على غير حقيقتها مبلغا لم نعرفه من قبل : أليس من شأن هذا أن يجعل احتمالات « المؤامرة » اكبر واوسع منها فى أى وقت مضى ؟

★ ★ ★

على الرغم من كل ذلك فإن هناك الكثيرين ممن يرفضون الاقتناع او التسليم بنظرية المؤامرة ، ذلك أن هناك الكثيرين ممن لهم « مصلحة » ما (مع الاختلاف الكبير فى طبيعة هذه المصالح) فى عدم الاقتناع او عدم التسليم بها . من بين هؤلاء يكفى أن أذكر الأمثلة الستة الآتية :

١ ـ حكومات الدول الكبرى نفسها ، والمنتصرون لها والمدافعون بالحق أو بالباطل عن سياساتها ذلك أن القول « بالمؤامرة » يظهر هذه السياسات فى معظم الأحوال فى صورة غير اخلاقية ويندرج فى هذا القسم أصدقائى من الأمريكيين الذين ، كلما عبرت لهم عن رأيى فى هذا الحدث السياسى او ذلك مما يثير شبهة شديدة فى دور الولايات المتحدة فيه ، قالوا : « آه .. هاهى ذى

نظرية المؤامرة مرة أخرى .. إن عيب هذه النظرية الأساسى هو أن أصحابها يتصورون أن الولايات المتحدة أذكى بكثير مما هى فى الحقيقة . إن واضعى السياسة الأمريكية ومنفذيها ، على عكس مايتصور أصحاب نظرية المؤامرة ، يتمتعون بدرجة كبيرة من الغباء .

● الذكاء المستمد من القوة

وردى على ذلك هو أن الدولة العظمى تتمتع ، تلقائيا ، بدرجة عالية من « الذكاء » وأقصد بذلك الذكاء المستمد من القوة نفسها ، ومن تقدم أساليب المعرفة والتحليل ، ومن القدرة على التصرف الحرّ ، ومن القدرة على التصحيح السريع للأخطاء إذا وقعت أخطاء .

كما أن الدولة « العظمى » ليس فى وسعها أن تتصرف « بغباء » حتى لو أرادت ، إذ أن مسئولياتها ، الدولية والوطنية ، تمنعها من ذلك ، وإلا تعرض العالم لمخاطر اكبر بكثير مما يتعرض له بالفعل ..

كما أننى أفهم جيدا لماذا يفضل المرء أن توصم تصرفات أمته بالغباء على أن توصف باللاأخلاقية .

٢ ـ وسائل الاعلام فى هذه الدول الكبرى لنفس السبب المتقدم .

٣ ـ الحكومات التابعة للدول الكبرى ، ووسائل إعلامها ، لأنها لا تريد أو لاتملك أن تفضح الدولة المتبوعة ، ولا أن تفضح نفسها .

٤ ـ كثير من مثقفى الدول التابعة الذين لا يريدون أن يتهموا حكوماتهم بأن لا حول لها ولاقوة ، أو الذين يتكسبون من التظاهر بأن حكوماتهم تتصرف تصرفات مستقلة .

٥ ـ معظم المشتغلين بالعلوم السياسية فى بلادنا وخارجها ، الذين يفضلون إضاعة وقتهم ووقتنا فى الانشغال بأمور لانفع فيها ، مثل الجدل حول ما إذا كانت مصر والعراق تتنافسان على زعامة العالم العربى ، أو حول عدد الدبابات أو الطائرات التى يملكها صدام حسين أو حول اثر الاختلافات الدائمة داخل مجلس الوزراء العراقى على تصرفات الرئيس العراقى .... الخ إذ أن الحديث فى مثل هذه الأمور هو النوع الوحيد من الحديث الذى يستطيعون التفوق فيه على كلام الأفراد العاديين فى السياسة ، بصرف النظر عما إذا كان هناك أى نفع منه .

٦ ـ طائفة كبيرة من « الثوريين » الذين لايستطيعون العيش إذا تبينوا أن « الثورة » من النوع الذى يحلمون به ، غير ممكنة ، أو أنها ليست على الأبواب ، أو أن فرص نجاحها ضئيلة للغاية ، أو إذا تبينوا أن الدولة المتزعمة للمعسكر الثورى فى العالم ، أو كانت متزعمة له ، كانت دائما تتصرف كدولة عظمى لا كقائدة لثورة عالمية ، ومن ثم فإنها كانت كغيرها تحيك المؤامرات وتدبر الانقلابات هنا وهناك ، بضرر استطاعتها ، ولصالحها كدولة عظمى .

قد يعتبر البعض هذا الحديث إفراطا فى التشاؤم ، ولكنى لا أعتبره كذلك ، « فالمؤامرة » ليست دائما ضد تقدم العالم . إن ضحاياها كثيرون فى معظم الأحوال ، وهى تتسم بالخداع وتضليل الناس فى جميع الأحوال ، ولكن الانسانية قد أحرزت تقدما هائلا على الرغم منها ، بل وفى كثير من الأحيان « بسببها » وليس هناك أى سبب يدعونا للاعتقاد بأن الانسانية سوف تتوقف عن التقدم فيما سيأتى من سنين ، لمجرد أن الدول الكبرى « تتآمر » ضد الدول الصغرى .

قضيـــة فلســطـيــن

بعــد أن تـصــمت المدافع !

بقــلم :
د. أحـمد صدقي الدجاني

بعد خمسة شهور ونصف من نشوب أزمة الخليج فجر يوم الخميس ١٩٩٠/٨/٢ اندلعت حرب مدمرة قبيل فجر يوم الخميس ١٩٩١/١/١٧ م الموافق ١ رجب / ١٤١١ هـ لها طابع العالمية وتدور رحاها على الأرض العربية فى العراق والكويت بخاصة .

واضح انه سيكون لهذه الحرب آثار بعيدة على قضايا كثيرة فى عالمنا الذى يشهد تحولات ، ومن بين هذه القضايا قضيــة فلسطين والصــراع العــربى الصهيونى ، واذا كان من السابق لأوانه ونحن فى ايام الحرب الأولى ان نحيط بكل هذه الآثار أو نحدد ماسيحدث من تداعيات ومضاعفات ، فان بامكاننا ان نتعرف على معالم مجرى الاحداث وننظر فى التفاعلات الحادثة بين العوامل الثابتة المكونة لها .



كانت أزمة الخليج فى بداية شهرها الثانى حين أكملت الانتفاضة الفلسطينية الف يوم من الانتفاض على الاحتلال الاسرائيلى الصهيونى للأراضى الفلسطينية والعربية المحتلة . وقد اندلعت حرب الخليج بينما دخلت هذه الانتفاضة عامها الرابع مسجلة تصعيدا ملحوظا ، على غير ماتوقعت كثير من الدوائر الصهيونية والغربية. الأمر الذى أكد ان هذه الظاهرة عميقة الجذور فى ارضها بحيث لم تستطع ازمة فى حدة ازمة الخليج ان تؤثر على روح الانتفاض فيها سلبيا ، وهذا مايدعونا الى ان نقرأ الانتفاضة قراءة صحيحة ، لأن هذه القراءة ضرورية للقيام بعملية الاستشراف والتشوف والرؤية المستقبلية .

لقد كان الاحتفال بدخول الانتفاضة عامها الرابع مناسبة لوقفة تتم فيها هذه القراءة .

الصراع العربى الصهيونى كما هو واضح من اسمه يقوم بين طرفين ومعسكرين ، وجوهره قضية فلسطين التى عنصراها الأرض والشعب ، والسؤال الذى يبرز بمناسبة اندلاع حرب الخليج والنظر فى مستقبل قضية فلسطين بعدها هو :

« كيف كان توجه كل من طرفى الصراع عشية نشوب الازمة ؟ وماذا طرأ على التوجهين بفعلها ؟ وماذا سيطرأ عليهما بفعل الحرب ؟ »

كان التوجه الصهيونى عشية نشوب الأزمة محددا ومحكوما بحملة التهجير الصهيونى لليهود السوفييت من اوطانهم الى فلسطين ، وهى الحملة التى مثلت حلقة جديدة فى سلسلة حلقات التهجير الصهيونى لليهود من أوطانهم منذ عام ١٨٨٢ الذى استهدف قلب الوطن العربى ، وقد وضعت هذه الحملة نصب عينيها عدد المليون مهجر تبلغه خلال التسعينيات لتكون اكبر الحملات جميعا فى تاريخ الغزو الاستعمارى الصهيونى لفلسطين . ولم تخف الصهيونية العالمية تطلعها لاغتصاب اراض عربية اخرى لاسكان المهاجرين اليهود فيها ، واحلالهم محل اصحابها العرب ، مطمئنة الى التحولات التى جرت فى الاتحاد السوفييتى واوروبا الشرقية بعامة ضمن دائرة الحضارة الغربية وادت الى ان تصبح الولايات المتحدة ومعها بريطانيا صاحبة اليد العليا فى هذه الدائرة ، وقد أوجز اسحق شامير فى تصريحه وهو يستقبل طلائع هذه الحملة شرح هذا التطلع حين قال : « هجرة كبيرة كهذه تتطلب اسرائيل الكبرى » .

● رفض اية تسويات سلمية

اقترنت حملة التهجير الصهيونى هذه كما كان متوقعا ووفق ماحدث فى الحملات السابقة بتصعيد الارهاب الاسرائيلى الرسمى وغير الرسمى لشعب فلسطين العربى الرازح تحت الاحتلال ، فى محاولة اخرى لانهاء الانتفاضة، كما اقترنت هذه الحملة بالرفض الاسرائيلى لمجرد التحرك لاية تسوية سلمية تنهى احتلالها للأراضى الفلسطينية والعربية فى جنوب لبنان والجولان السورية ، واقترنت ايضا بنجاح تكتل ليكود والمجاهرين برفع شعارات « اسرائيل الكبرى » و« طرد العرب من فلسطين » والقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية ، والتوسع فى الاردن لانه فلسطين ، فى تولى السلطة والانفراد دون « التجمع » بتشكيل الحكومة الاسرائيلية التى اعلنت على لسان رئيسها مرارا انها تدعو الدول العربية فرادى الى القدس لابرام تسويات معها !! وهكذا كان التوجه الصهيونى عشية نشوب ازمة الخليج نحو تصعيد العدوان المستهدف اغتصاب مزيد من الأرض العربية واسكانها بيهود مهجرين من أوطانهم يحلون محل اصحابها العرب الذين يجرى طردهم منها بوسائل مختلفة مباشرة وغير مباشرة .

شجع هذا التوجه الصهيوني على أن يصبح غالبا في التجمع الاسرائيلي ، ويعبر عن نفسه في سياسات توسعية ، الموقف الداعم له في الغرب بعامة وفي الولايات المتحدة بخاصة ، وقد تجسد هذا الموقف في الضغط على الاتحاد السوفييتي ودول اوربا الشرقية ، لا لمجرد السماح بالتهجير الصهيوني لليهود الأوروبيين الشرقيين بل للتعاون في انجاح عملية التهجير الكبرى ، وتجسد في توفير الدعم المالي لمتطلبات نقل المهجرين واستيعابهم وتوطينهم ، وفي اغلاق ابواب الدول الغربية امامهم كي يحشروا في فلسطين والأراضي العربية المحتلة ، واتجهت السياسة الأمريكية منذ ربيع عام ١٩٩٠ الى تضييق الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية وصولا الى تجميده في شهر يونيو ـ حزيران من ذلك العام ، كما اتجهت الى استخدام اقسى وسائل الدبلوماسية تجاه الدول العربية للقبول بالتهجير كأمر واقع ، وبدا ذلك جليا في المذكرة التي وجهتها الخارجية الأمريكية لمؤتمر القمة العربي الذي انعقد ببغداد اواخر مايو ـ ايار الماضي وجاهرت هذه السياسة بتصميمها على تحقيق التفوق الاسرائيلي بالسلاح على الدول العربية مجتمعة ، وبعزمها على تحديد قوة بعض هذه الدول على الصعيد العسكري ، وبتأييدها للسيطرة اليهودية على بيت المقدس والمقدسات الاسلامية والمسيحية .

● تصعيد الانتفاضة !

كان التوجه الفلسطيني عشية نشوب ازمة الخليج قد اصبح اشد عزما واقوى تصميما على استمرار الانتفاضة وتصعيدها وتوسيع دائرتها ، بعد ان وصل التحرك السياسي لاجراء مفاوضات اسرائيلية فلسطينية باشراف امريكي الى طريق مسدود ، وبانت بشكل جلي اخطار حملة التهجير الصهيوني الجديدة ، وتصاعدت سياسة القمع الاسرائيلية للانتفاضة الفلسطينية ، وهكذا ارتفع في اوساط شعب فلسطين العربي الرازح تحت الاحتلال الصهيوني شعار « لارجوع .. ولابد أن تنتصر الانتفاضة » . واصبح التيار الغالب في الساحة الفلسطينية عموما ينادي بتصعيد الانتفاضة .

عزز هذا التوجه الفلسطيني ، المناخ الذي ساد في الوطن العربي خلال الشهور السبعة الأولى من عام ١٩٩٠ بفعل حملة التهجير الصهيوني والارهاب الاسرائيلي الرسمي وغير الرسمي المستهدف الانتفاضة والسياسة الأمريكية بوسائلها الدبلوماسية القاسية ، وقد بدا هذا المناخ مشبعا باستشعار خطر ماثل وبيأس من التحرك السياسي الأمريكي لابرام تسوية عادلة وباقتناع بأن السياسة الأمريكية معادية للمصالح العربية وباحساس بضرورة حماية الانتفاضة ودعمها ، وتجلى هذا كله في عدة مناسبات منها اجتماع مجلس التعاون العربي على مستوى القمة بعمان في ربيع عام ١٩٩٠ واجتماع القمة العربية غير العادية ببغداد على المستوى الرسمي ، وردود الفعل العربية والاسلامية على قرار الكونجرس الأمريكي بشأن القدس على الصعيدين الشعبي

والرسمى وهو القرار الذى تحدث عن القدس كعاصمة ابدية لاسرائيل .
لعل اهم نتيجة يخرج بها مؤرخ الافكار بشأن مستقبل الصراع العربى الصهيونى وقضية فلسطين عشية نشوب ازمة الخليج بعد ان تعرف على توجه كل من طرفى الصراع ، هى أن الصراع سيحتدم وهو يشهد بروز البعد العقيدى فيه بشكل حاد بحيث يتحول تدريجيا الى صراع عقيدى ، فالهيمنة على الصعيد الصيهونى هى لمقولات « ارض اسرائيل الكبرى » و« اعادة بناء الهيكل محل المسجد الاقصى » و« اليهود والأميين » و« طرد الفلسطينيين او قتلهم » والحملات الدعائية المعادية للحضارة العربية الاسلامية تتزايد فى الغرب وتجد ارضا خصبة لها بين الغربيين الذين لايزالون اسرى عقدة حروب الفرنجة والاعلام الصهيونى .

★ ★ ★

لقد حفلت الخمسة شهور ونصف الشهر التى تصاعدت خلالها ازمة الخليج باحداث تتعلق بالصراع العربى الصهيونى ، وقضية فلسطين أدت فى مجموعها ومحصلتها إلى النفخ فى كل من توجه طرفى الصراع ودفعهما الى المواجهة والضرب على وتر البعد العقيدى للصراع ، فالسياسة الاسرائيلية تابعت تنفيذ مخططات التهجير الصهيونى لليهود السوفييت من اوطانهم الى فلسطين ، ولم تتردد سلطات الاحتلال الاسرائيلى فى القيام بمذبحة القدس يوم ٨/ ١٠/ ١٩٩٠ التى اقترنت بقيام عرب القدس بالدفاع عن مقدساتهم امام اعتداء « جماعة الهيكل » والقيام بمذابح اخرى تالية فى قطاع غزة والضفة الغربية ، والسياسة الأمريكية تابعت دعمها للتهجير الصهيونى لليهود ، وتعطيلها لانفاذ احكام الشرعية الدولية فى الأمم المتحدة بما يخص الصراع العربى الصهيونى وقضية فلسطين . وقد بدت المفارقة صارخة بين المعيار الذى تتعامل به الولايات المتحدة على صعيد الأمم المتحدة فى القضايا التى تتعلق بمصالحها والمعيار الذى تتعامل به فى قضية فلسطين . الأمر الذى ادى الى ابراز الخلل القائم فى النظام الدولى وقد شجعت هذه السياسة الأمريكية اسحق شامير على ان يعلن يوم ١٨/ ١١/ ١٩٩٠ فى اجتماع مؤسسى حركة ليكود « إن قادة حزبنا السابقين تركوا لنا رسالة واضحة ان نسيطر على « ارض اسرائيل » من البحر المتوسط الى نهر الأردن من اجل مستقبل الهجرة الجماعية والشعب اليهودى الذى سيجتمع معظمه فى هذه البلاد » كما وصل الأمر بسلطات الاحتلال الى حد اقتراح اسلوب جديد لقمع الانتفاضة اعتمده الكنيست يوم ١٢/ ١٢/ ٩٠ يقوم على « نشر الجيش الاسرائيلى قناصة من افراده على مسافات بعيدة من رماة الحجارة واطلاق النار ، وتسليح اربعين الف مستوطن صهيونى للمساعدة فى قمع الانتفاضة » وقام موشى ارينز وزير الحرب الاسرائيلى بزيارة الأراضى اللبنانية المحتلة فى الشهر نفسه واعلان العزم الاسرائيلى على الاستمرار فى احتلالها .



● ازمة عالمية ●

ان ازمة الخليج التى بدأت محلية لم تلبث ان اصبحت عربية ثم سرعان ماغدت عالمية واذا كانت هذه الأزمة على الصعيد المحلى فتحت ملف « العلاقات العراقية الكويتية » وفتحت على الصعيد العربي ملف « العلاقات العربية العربية » وملف « الأوضاع العربية الداخلية » فانها على الصعيد الدولى فتحت ملف « الغرب والدائرة العربية الاسلامية » وملف « التحالف الغربى مع الصهيونية للتحكم فى الوطن العربى » وملف « غنى الشمال وفقر الجنوب » كما توقع « رولان دوما » وزير خارجية فرنسا ان يحدث منذ الأسبوع الأول للازمة ، واذا كانت هذه الأزمة على الصعيدين المحلى والعربى قد اثارت التعاطف مع شعب الكويت العربى والاستنكار لانتهاكات حقوق الانسان التى نجمت عن اجتياح الجيش العراقى للكويت ، فانها اثارت فى بعدها الدولى قلقا شديدا فى اوساط الدائرة العربية الاسلامية من طريقة تعامل الغرب معها ، وتحسبا قويا من اندلاع حرب مدمرة على الأرض العربية ، وشجونا كثيرة من واقع النظام الدولى الذى اوجده الغرب وتسيطر عليه الولايات المتحدة ، وقد تردد الحديث بقوة فى اوساط الدائرة العربية الاسلامية عن افتقار هذا النظام الى العدل واعتماد الغرب فيه معيارين . وغذا هذا الحديث الموقف الأمريكى فى مجلس الأمن عند مناقشة مذبحة القدس وماتلاها من ممارسات ارهابية اسرائيلية كما غذاه رفض الولايات المتحدة القاطع لكل الدعوات الدولية التى طالبت بالعمل على تطبيق الشرعية الدولية بشأن الصراع العربى الصهيونى وقضية فلسطين ، والحجة الأمريكية « بأن هذا الرفض مبدئى » كيلا ينال المعتدى جائزة على عدوانه » فهذه الحجة بدت تأكيدا على الوقوف الأمريكى مع المعتدى الذى يحتل الأراضى الفلسطينية والعربية منذ عام ١٩٦٧ ، وتجسيدا لازمة القيم التى تحكم سياسات الغرب والنظام الدولى ، وتجعلها تكيل بكيلين وتقيس بمقياسين .

● استحضار الذاكرة التاريخية

ادت تفاعلات ازمة الخليج فى بعدها الدولى الى تنبيه الذاكرة التاريخية لشعوب الدائرة العربية الاسلامية والبحث عن الجذور التاريخية للأزمة ، وهكذا استحضرت هذه الذاكرة كيف انفردت الدائرة الغربية ـ بغربها وشرقها ـ فى اقامة النظام الدولى عام ١٩٤٥ فاغفلت مصالح الشعوب الاسيوية الافريقية التى كانت تناضل الاستعمار الغربى وتحررت واصبحت تحمل اسم العالم الثالث ، وكيف خاضت بريطانيا وفرنسا حرب السويس عام ١٩٥٦ موظفين القاعدة الاستعمارية الصهيونية التى اقامها الغرب فى فلسطين عام ١٩٤٨ لمجرد أن مصر استخدمت حقها فى تأميم قناة السويس ، وكيف عملت الولايات المتحدة لتمكين « اسرائيل » من ضرب مصر عام ١٩٦٧ . واستحضرت الذاكرة

التاريخية وهى توغل فى تتبع الجذور التاريخية انفراد الدائرة الغربية فى اقامة النظام الدولى عام ١٩١٩ وقيام الدول المتحكمة فيه بتقطيع اوصال الدائرة العربية الاسلامية وتجزئة اراضيها وفرض الاستعمار الغربى تحت اسم الانتداب والوصاية على شعوبها واقطارها ، وكيف اقرت « عصبة الأمم » عام ١٩٢٢ صك الانتداب البريطانى على فلسطين الذى تبنى جهرا وبدون مواربة تنفيذ تصريح بلفور الذى اصدرته بريطانيا يوم ١٩١٧/١١/٢ بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وكيف انهى الغرب الدولة العثمانية وفرض على تركيا الغاء نظام الخلافة عام ١٩٢٤ ، وكيف اقام بين الاقطار العربية والاسلامية حدودا سياسية لم تعرفها الدائرة العربية الاسلامية من قبل انطلاقا من رؤية نظام الخلافة لدار الاسلام ، وكيف تحكمت مصالح الغرب فى رسم هذه الحدود وتعسفت فى انكار مصالح المنطقة .

لعل اهم ماكشف عنه البحث عن الجذور التاريخية للأزمة هو الصلة الوثيقة القائمة بين اقامة الغرب « وطنا قوميا لليهود فى فلسطين » وما للدائرة العربية الاسلامية من اهمية استراتيجية وسياسية واقتصادية وحضارية تجعل الغرب يخشى قوتها ويعمل لاضعافها والتسلط عليها والتحكم بثرواتها .

★ ★ ★

ليس مستغربا وقد اندلعت حرب الخليج ان نشهد احداثا تتعلق بالصراع العربى الصهيونى وقضية فلسطين تكون محصلتها ان تجعل المواجهة بين طرفى الصراع تدخل مرة اخرى المجال العسكرى النظامى مع حدوث اختلاط للأوراق فيها ، وأن يبلغ البعد العقيدى فى الصراع والقضية مداه ، أيا كانت النتائج التى تسفر عنها هذه الحرب ، ومتوقع ايضا أن تكون لهذه الحرب اثار بعيدة على الصراع والقضية ، ولقد جرى حديث كثير عن اثار الأزمة على الصراع والقضية خلال فترة تصاعدها ، وكان جل هذا الحديث واقعا فى أسر دعايات اعلام الأزمة بكل مافيه من تشويش ولم يأخذ فى الاعتبار تداعيات الأزمة ومضاعفاتها المتوقعة ، وافتقد وجود مقياس علمى يجرى قياس الاثار به ، واستهدف تغليب وجهة نظر على اخرى ، ومن هنا اهمية الرؤية العلمية لهذه الآثار .

الآن وقد تعرفنا على المناخ المحيط اليوم بالصراع العربى الصهيونى وقضية فلسطين وعلى توجه طرفى الصراع ، وعلى جذوره التاريخية نصل الى الحديث عن المستقبل ونبلور رؤيتنا المستقبلية للصراع والقضية بعد اندلاع حرب الخليج .



● المستقبل

نستذكر فى بداية هذا الحديث ان الرؤية المستقبلية وفق منهجنا فى دراسة المستقبل تأخذ فى اعتبارها عنصر الحلم الذى يتضمن اهدافا تسعى الأمة الى

تحقيقها وعنصر ارادة الفعل عند الانسان الذى شاء الله الفعال لما يريد ان يزوده بها . ونستذكر ايضا ان اهداف امتنا التى بلورها نضالها المتصل فى تاريخها الحديث تشمل التحرر من الاستعمار باشكاله الاستيطانى منه بخاصة والوحدة والكفاية والعدل وسيادة الشورى والديمقراطية وحمل الرسالة الحضارية للدائرة العربية الاسلامية الى العالم فى تفاعلات مع حضارات العالم الأخرى ، لحماية امنا الأرض وسيادة العدل والسلام والرخاء بعد معالجة ازمة القيم التى تفعل فعلها فى حياتنا المعاصرة .

ان امتنا تريد تحرير اراضيها الفلسطينية والعربية التى لاتزال تحت الاحتلال الاسرائيلى منذ عام ١٩٦٧ ، وتريد ايجاد حل عادل لقضية فلسطين يلبى حقوق شعب فلسطين العربى الوطنية ومصالح الوطن العربى كله ودائرة الحضارة العربية الاسلامية والمؤمنين كافة . وقد تأكد أثناء ازمة الخليج ان الوصول الى ذلك يتطلب ان نصل نحن العرب بالولايات المتحدة الأمريكية الى تغيير استراتيجيتها فى المنطقة القائمة على اعتماد « اسرائيل » قاعدة لها فيها وتمكين هذه القاعدة من التحكم . كما يتطلب ان نتعاون نحن العرب مع اطراف دولية اخرى لمعالجة الخلل القائم فى النظام الدولى بجعله نظاما يقوم على العدل وليس على القوة الغاشمة وتحكمه القيم العلا .

واضح اليوم وحرب الخليج فى بداياتها ان الحقائق الاستراتيجية التى كشفت عنها ازمة الخليج للغرب بعامة والولايات المتحدة بخاصة تزداد رسوخا ، وهذه الحقائق هي تضاؤل قيمة « اسرائيل » الاستراتيجية فى الحفاظ على المصالح الغربية النفطية بعد أن تضاءلت قيمتها الاستراتيجية فى الصراع بين الغرب والشرق الغربيين اثر التحولات فى الاتحاد السوفييتى ، وازدياد عبء هذه « القاعدة » الاخلاقى والمادى على كاهل الغرب بعد أن أدى وقوف الولايات المتحدة معها فى مجلس الأمن وتعطيل الشرعية الدولية باستخدام حق النقض الى فقدان الثقة بالأمم المتحدة ، وبالنظام الدولى وبعد ان هددت المواجهة بإسالة الدماء ، والحاجة الماسة الى وجود نظام عربى قوى تكون مصر آخذة مكانها فيه على عكس ماعملت له السياسة الأمريكية على مدى عقود ، واخيرا انتشار روح الانتفاض فى فلسطين والدائرة العربية الاسلامية فى زمن الانتفاضة ، وتطلعها لتحقيق اهداف الأمة واصلاح الخلل فى النظام الدولى .

ان رسوخ هذه الحقائق الاستراتيجية فى ذهن الغرب بعامة والولايات المتحدة بخاصة من خلال ماتتسببه الحرب من معاناة يشير الى وجود فرصة حقيقية للوصول بالولايات المتحدة الى تغيير استراتيجيتها فى المنطقة ، بحيث تقوم هذه الاستراتيجية على التعامل مع الدائرة العربية الاسلامية بندية واحترام ، وسيعنى ذلك ان تلتزم بتطبيق الشرعية الدولية فى الصراع العربى الصهيونى وقضية فلسطين ، وتكف عن اعتماد القاعدة الصهيونية الاستيطانية للتحكم فى المنطقة ، وتغير من اساليبها الدبلوماسية التى اسهمت بنصيب وافر فى الوصول بأزمة الخليج الى اندلاع الحرب المدمرة . كما يشير رسوخ هذه الحقائق الى

وجود فرصة حقيقية امام الاسرة الدولية لاقامة نظام دولى عادل تحكمه القيم العلا ، ومعلوم ان الحروب تنتهى دوما بفتح الباب امام التغيير واصلاح الخلل الذى كان سببا فى اندلاعها .

السؤال الذى يبرز بالحاح عند هذا الحد من الحديث هو :

اذا كانت الفرصة فعلا سانحة لتحقيق هذين الأمرين ، فكيف يمكن لنا كعرب ان نعمل ونحن نعيش صراعا محتدما يتضمن اقتتالا عربيا والحرب الدائرة على اراضينا تهدد وطننا بالخراب والتدمير والنظام العربى يبدو متصدعا مشلولا ؟

مطلوب بداية من كل الأطراف فى الدائرة العربية بخاصة وفى الدائرة العربية الاسلامية بعامة ألاّ تنسى لحظة انتماءها وتفرق بين صراع الأخوة واقتتالهم والصراع مع العدو المتربص بالاخوة جميعا المستهدف الأمة والوطن ، تذكر هذا الانتماء حتى وهى تتقاتل كى تصدر فى افعالها منه ، ويرسم كل منها لنفسه خطوطا حمرا لايتجاوزها .

مطلوب من ثم ان تتجه هذه الاطراف جميعها الى وقف الحرب المدمرة ومباشرة الحوار على صعيد عربى بينها ومن ثم على صعيد دولى بينها مجتمعة واطراف دولية اخرى .

مطلوب ان يبلور الحوار على الصعيد العربى خطوط نظام عربى متماسك يرسى العلاقات بين الدول العربية على اساس متين ، ويوفر متطلبات الأمن العربى ، وينظم العلاقة بينه وبين دول الجوار فى دائرة الحضارة العربية الاسلامية وفق متطلبات الانتماء الواحد لهذه الدائرة ، ويتصور ماينبغى ان تكون عليه صلاته الخارجية مع القوى الدولية الأخرى .

مطلوب ان يتحرك هذا النظام العربى المتماسك تجاه الغرب بعامة والولايات المتحدة بخاصة للوصول بهما الى بدء صفحة جديدة مع الدائرة العربية الاسلامية والتخلى عن اعتماد القاعدة الصهيونية للتحكم والتعاون بندية لتلبية المصالح المشتركة على اساس من العدل ، كما يتحرك ايضا مع الاطراف الدولية الأخرى لاقامة علاقات التعاون والصداقة .

مطلوب ان يحرص التحرك العربى على اسلوب اعتماد يحفظ حقوقنا ويحول دون وقوعنا فى الاسلوب الذى اعتمده الغرب معنا منذ عام ١٩٦٧ فى أمور الصراع العربى الصهيونى وقضية فلسطين ، وهذا يعنى ان نحصر اوراقنا العربية ونحسن توظيفها واستخدامها عند اختيار الوقت المناسب للتفاوض ، لا ان نغفل ذلك كله ونرضخ لمطلب امريكى اثر مطلب بالتنازل عن حقوقنا بدون اى مقابل بينما عدونا الصهيونى مستمر فى عدوانه منكر حقوقنا مجاهر باهدافه التوسعية .

● الصحوة !

واضح ان هذا « المطلوب » وثيق الصلة بعنصرى الحلم وارادة الفعل فى









الرؤية المستقبلية والسؤال الذى يواجه دارس المستقبل وهو ينظر فى احتمال تحقيقه هو :

هل المناخ السائد فى الدائرة العربية الاسلامية صالح للتحرك فيها لتحقيقه ؟
وهل اتجاه مسار الاحداث موافق هذا التحرك ؟

ان المناخ السائد فى الدائرة العربية الاسلامية مشبع بروح الانتفاض تتجلى فيه ظاهرة بداية صحوة والصحوة كما يعرفها مؤرخ الافكار « هى حالة تجد الأمة فيها نفسها وقد دعت ذاتها وعرفت عدوها بجوانب قوته وضعفه على حقيقته ووطنت نفسها على مواجهته واثقة من قدرتها على الانتصار عليه فى صراع النفس الطويل » ، وقد بدأت هذه الظاهرة فى التكون منذ حرب ١٩٦٧ كاستجابة لتحدى هذه الحرب ، وجاءت حرب رمضان ١٩٧٣ مقترنة باستمرار المقاومة الفلسطينية لتزودها بقوة ، ثم بدت واضحة فى اعقاب حرب ١٩٨٢ فى لبنان ضد الغزو الاسرائيلى له ، واصبحت تتألق فى سماء المنطقة بفعل الانتفاضة الفلسطينية منذ ديسمبر كانون اول ١٩٨٧ . وتفاعلت فى تكوين هذه الظاهرة عوامل ادراك الهوية بعناصرها الثلاثة العقيدة واللسان والتاريخ ، وتراكم الخبرة ، وتوافر حد أدنى من العمق ، وهكذا بدا مسار الاحداث فى اتجاه موافق لتحرك ايجابى وسط هذا المناخ المناسب .

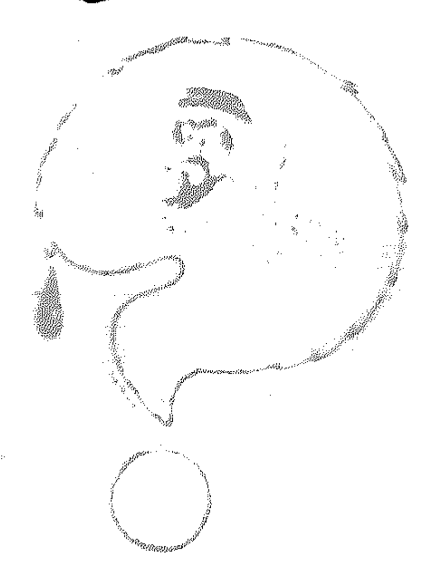
* * *

اختم هذا الحديث وقد دخلت حرب الخليج يومها السادس . وقد تضمنت الايام الخمسة الأولى فيها مجموعة تداعيات اكدت ان الصراع العربى الصهيونى وقضية فلسطين هى جوهر الصراع القائم فى المنطقة ولابد من تكاتف القوى التى تريد السلام القائم على العدل كى تصل بالولايات المتحدة الى تغيير استراتيجيتها تجاهها ، كما اثبتت هذه التداعيات ان حقيقة القوة العسكرية الغربية حين يجرى امتحانها تبدو مختلفة الى حد ليس بالقليل عن الصورة المرسومة لها فى اذهان الكثيرين ، وان عددا من الاطراف العربية اصبح اكثر خبرة فى التعامل مع الغرب بشكل يجعل الغرب مدركا ان العالم فى العقد الاخير من القرن العشرين واوائل القرن الخامس عشر الهجرى يتغير وانه لابد للدائرة العربية الاسلامية ضمن العالم الثالث ان تأخذ مكانها فيها ، ولابد من ان يصبح العدل اساس النظام الدولى السائد فى هذا العالم .

ان قضية فلسطين مطروحة اليوم على الغرب كما لم تطرح من قبل وان لنا وسط معاناة الحرب المدمرة التى تدور رحاها على ارضنا العربية ان نعمل لتحقق اهدافنا ونوظف الظروف المحيطة لصالح انتصار القيم العلا ، ونحن على يقين ان العسر لايغلب يسرين ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه سورة الشرح . وعلينا أن نلتزم متأسين به بدعوة الله له : « فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب » فما احوجنا الى بذل الجهد وان يكون عملنا خالصا لوجه الله الكريم .

الحرب على الهواء !

بقلم :
محمد فتحي



من السمات البارزة لحرب الخليج ، أنها تدور على المكشوف أو على الهواء ، أمام عيون الناس فى بيوتهم ، ناهيك عن عيون العسكريين فى مقار قياداتهم . فقد اختلفت طبيعة الأسرار الموجودة فى عملياتها عن طبيعة الأسرار فى الحروب السابقة ..

والتقنيات التى وفرت ذلك إلى جوار التقنيات التى تميزت بها أسلحة هذه الحرب ، تبنى الأهمية البالغة التى بات التقدم العلمي يلعبها ، سواء من خلال تأثيره بصورة مباشرة فى ميادينها ، أو بصورة غير مباشرة على الرأى العام ● ●

صرخ المراسل الإذاعى على الهواء مباشرة : إننى أرى ذيولا ضخمة في السماء ، ونيرانا حمراء متقطعة ، وأسمع اصوات انفجارات كالرعد .. من الواضح أن هجوما قد بدأ .

وفى ارسال محطة تلفاز «سى . إن . إن» سمعت أصوات طلقات المدفعية تدوى فى خلفية الصورة ، وقال المراسل جون هوليمان من بغداد «إن السماء تشع بنيران المدفعية المضادة للطائرات» ..

وهكذا بدأت أنباء نشوب الحرب عبر التلفاز قبل ٣٠ دقيقة من إعلان المتحدث باسم البيت الأبيض الأمريكى رسميا عن بدء الأعمال القتالية ..

ويمكن ادراك تباين الصورة التى ظهرت عليها هذه الحرب مع



الحرب على الهواء

الحروب السابقة إذا عرفنا انه تم توجيه لفت نظر لمذيع كان ينقل مباراة خلال الحرب العالمية الثانية ، بين جامعتى اكسفورد وكامبردج لأنه اخطأ خطأ فادحا يمكن أن يفيد العدو عندما قال فى وصفه «إنى لا أرى مدى تقدم فريق كامبردج لأننى أواجه الشمس مباشرة» . وكانت كل برامج الإذاعة حينها تسجل قبل اذاعتها ، ومايذاع على الهواء مباشرة يخضع لمراقبة جهات متعددة ، لاغراض امنية متعددة ، وقد يكون مفيدا فيما يتصل بموضوعنا التوقف عند الحظر الذى كان يفرض على الحديث عن أنباء الأسلحة الجديدة .. ذلك بينما المعلومات الموثقة عن الاسلحة التى تدار بها الحرب حاليا معروفة ومنشورة فى الأدبيات العسكرية العامة ، ناهيك عن المتخصصة ، منذ شهور بل ومنذ سنوات ـ فيما يخص بعضها ـ قبل البدء باستخدامها ..

إن الحرب الراهنة تدور على المكشوف إن قورنت بالحروب السابقة

ويتضح ذلك من السيناريوهات الدقيقة لبدء الحرب التى نشرت قبلا والتى توقعت أن يلعب الصاروخ الجوال ـ كروز توماهوك ـ دورا رئيسيا فيها . ولعل الحديث عن عمل هذا الصاروخ يكشف جانبا أساسيا جوهر هذا المقال .



ان نظرية عمل الصواريخ الجوالة تتلخص فى ضرورة إجراء استكشاف دقيق مسبق لطبيعة المسطح الأرضى «طبواغرافيته» حول مجمل مسار الصاروخ نحو الهدف «المعادى» الذى سيطلق إليه ، ثم برمجة هذه الملامح المحددة ، ووضع البرنامج الناتج فى كمبيوتر نظام التوجيه الخاص بالصاروخ ليظل هذا النظام يقارن بين الخريطة الكمبيوترية وبين التضاريس التى يمر عليها الصاروخ ، ويلتقطها الرادار المركب على رأسه ، وهو يطير على ارتفاع منخفض ، ويعمل على



تجنب أى عوائق تصادفه ـ ومن هنا تسميته بالجوال ـ حتى يصيب الهدف المحدد ببرنامجه في نهاية المطاف ، بفاعلية مؤثرة ، حيث ينفجر في مدى لايتجاوز ٣٠ مترا منه ..

ولايمكن تصور رسم خريطة السطح الأرضى المذكورة فى الفقرة السابقة دون استطلاع بالأقمار الصناعية .. والاستطلاع بهذه الأقمار يتيح بصورة غير مسبوقة الكشف عن أماكن تمركز وانتشار الأسلحة والصواريخ والقواعد العسكرية والصناعية ..

وقد صارت الصور الملتقطة من هذه الأقمار غاية فى الدقة وصارت قادرة اليوم على تمييز أهداف تقدر بعشرات السنتيمترات والحصول على صور الأقمار الصناعية جد يسير فالقمر يسجلها ـ وهو يمر فوق المناطق المعنية ـ على شريط مغناطيسى ، ثم يعاود بثها عند مروره فوق محطات استقبال اشارات الأقمار الصناعية المعنية .. فتلتقطها هذه لتقوم حاسبات الكترونية متخصصة فى وضع الصور التفصيلية المكبرة ، والقمر الصناعى المخصص للاستطلاع يدور حول الأرض دورة كاملة فى أقل من ساعتين ، ويمكن بترتيب خاص الحصول على صورة فى نفس لحظة التقاطها .. وهذا مايتيح رسم خرائط دقيقة جدا لمسار الصاروخ الجوال ، ناهيك لهتكه كل المعالم التى كانت تعد اسرارا عسكرية فى الماضى ، ويعز لدرجة هائلة الحصول على النذر اليسير منها ..

ونفس هذه الأقمار الصناعية هى التى تتيح لنا مشاهدة احداث الحرب وتعليق المراسلين العسكريين عليها لحظة وقوعها ، ذلك ان وجود ثلاثة اقمار صناعية موزعة حول الكرة الأرضية ، على مدار يمكنها من أن توافق بين سرعة دورانها وسرعة دوران الكرة الأرضية ويمكنها "الاقمار" من نقل الاشارة اللاسلكية بالصوت والصورة إلى اى نقطة من نقاط كوكبنا ..

وبالطبع لاتقف أهمية الإنجازات العلمية عند هذا الحد فى الطبيعة المميزة لحرب الخليج ، ذلك انها تمتد إلى طبيعة الأسلحة المستخدمة ويكفى هنا أمثلة بسيطة مثل القنابل الذكية التى تتلخص نظرية عملها فى اطلاق الطائرة الحاملة لها لشعاع من الليزر ، ينعكس من الهدف المطلوب ضربه ـ بعد أن يصل اليه ، لتتلقاه اجهزة إطلاق القنبلة التى تحوى كمبيوتر خاصا ، يعمل على توجيهها بتعديل اجنحة مسارها حتى تصل إلى هدفها .. اى أن هذه القنبلة الذكية تحمل وسيلة توجيه ذاتيه

متمثلة فى الكمبيوتر والليزر .. ومن الأمثلة الشبيهة صاروخ «السحلية المتوحشة» إذ يكفى أن تصل به الطائرة إلى حدود الالتقاط الرادارى المعادى ـ وليس إلى الرادار نفسه ـ ثم تطلقه وتعود ادراجها ، ليركب هو نفسه الموجات الرادارية ويسترشد بها حتى يصل إلى الرادار نفسه ويدمره رغم أنه قد أطلق على مسافة قد تناهز ١٠٠ كيلو متر وهذا ليس إلا نذر يسير من التقنيات المتقدمة المستخدمة فى حرب الخليج ، لكنه يكفى لبيان الأهمية البالغة التى بات التقدم العلمى يلعبها ، سواء من خلال تأثيره بصورة مباشرة فى ميادينها أو بصورة غير مباشرة على الراى العام ..



وجدير بالذكر أن هذا ليس بغريب على الحرب ذلك أن أنجح البرامج العلمية البريطانية ـ العقول المفكرة ـ بدأ أثناء الحرب العالمية الثانية .. ونظرا للنجاح المذهل الذى حققه البرنامج طالب المستمعون بإعادة اذاعته فصار يقدم مرتين فى الأسبوع ، وكان يحدث أن تشغل الصحافة البريطانية كلها بأسئلة تناقش فى هذا البرنامج ..

فى علم المستقبليات



يدفعني لكتابة هذا المقال كتابات الاستاذ راجى عنايت المتعددة فى علم المستقبليات وهى كتابات تثير الخيال وتدفع إلى الأمام الكثير من الأسئلة عن شكل المستقبل وماسوف يتركه من اثر على البشرية عامة وعلى مصر خاصة ـ وللاستاذ عنايت اجتهادات كثيرة فى هذا الميدان الهام يحاول فيها ان يصف شكل هذا المستقبل وان يستشف ما سوف يتركه هذا العالم الجديد على سلوك الانسان وشكل وتركيب المجتمع الذى سينشا عنه .

بقلم : د . رشدى سعيد

ويمس علم المستقبليات مجمل حياة البشر ولذا فالكلام عن أثره لايكون فى مقال بل يحتاج إلى محاورات مطولة بين من يحملون هموم هذا العالم وعلى الأخص هموم بلاد العالم الثالث فى عمومه ومصر بالذات التى هى فى بالنا جميعا وحسنا فعل الاستاذ عنايت عندما اقترح فى مقاله الأخير بمجلة « المصور » تشكيل لجان لمناقشة مستقبل مصر ومشروعها القومى فى ضوء مايمكن أن يحمله المستقبل من تغيرات فللموضوع تشعبات عديدة سأعلق على بعض هوامشها فى هذا المقال .

يمكن أن يوصف عالم الغد بأنه عالم الصناعة العلمية وفى ظنى أن هذا الوصف الذى أعطى لهذا العصر منذ أكثر من ثلاثين عاما عندما حلت تباشيره بازدياد توجيه البحث العلمى ناحية السوق وتطبيق نتائجه فى عمليات الانتاج على أوسع نطاق هو أدق وصف لهذا العصر ـ ومازال هذا الوصف مفضلا عندى لانه لايصف هذا العصر المقبل بدقة فقط بل ولأنه ينفى ذلك الانطباع الخاطىء الذى قد يتبادر للذهن من مسميات أخرى من أن حضارة المستقبل سوف تقضى على الصناعة وتنقل الناس إلى عمالة ماهرة تجلس أمام الكومبيوتر وتتناول المعلومات

فيما بينها . فحقيقة الأمر هو أن حضارة الغد ستكون حضارة صناعية فى الأساس تدار الصناعة فيها بطرق جديدة بفضل التقدم الهائل فى ميدان علم المعلومات وما أعطاه من قدرة على انسياب الانتاج وتبديله بين الفينة والأخرى وإخراجه بعمالة أقل ـ وهذا التبديل المستمر للمنتج هو الذى يعطى هذا العصر الجديد أحد أبرز سماته والتى ركز عليها الاستاذ عنايت واسماها سقوط النمطية واتساع درجات الاختيار أمام المستهلكين .

لقد حققت الصناعة العلمية بلاشك التنوع الذى أمكن أن يرضى المستهلكين مهما اختلفت أذواقهم .



على أن هذا التنوع مع كفاءة الانتاج والتفوق فى الاعلان قد فتح شهية الانسان إلى الاستهلاك وماتبع ذلك من تأثير سلبى على البيئة فقد كان لازدياد الطلب على الخامات أثره فى تبديد مصادر الثروة الطبيعية غير المتجددة وفى زيادة كمية النفايات التى أصبح تكديسها أمرا يسبب القلق ـ كما كان لزيادة الاستهلاك فى بلاد العالم الثالث أثره المدمر أيضا فقد أضاعت هذه البلاد

مدخراتها فى شراء الألاعيب الاستهلاكية المتنوعة والخاطفة للأبصار التى تنتجها هذه الصناعة العلمية الجديدة فتركتها فى حالة يرثى لها فريسة للدائنين ومثارا للشفقة والأسى . ولايكاد المرء أن يرى دولة واحدة على امتداد العالم الثالث قد أفلتت من هذا البلاء إذ تكاد تكون جميعها فى حالة من الفوضى والعجز والفساد ، الكثير منها فى حرب أهلية أو فى حالة انهيار اقتصادى شامل .

● الاستغناء عن العمالة :

ومن مؤشرات عصر الصناعة العلمية المثيرة للقلق هو ماستستتبعه القدرة على الانتاج الوفير بعمالة أقل من اضطرار اعداد كبيرة إلى الاتجاه للعمل فى قطاع الخدمات وتدل التجربة الأمريكية على أن الجزء الأكبر من العمالة التى تم الاستغناء عنها من قطاع الأنتاج لم يتم استخدامه إلا فى مهن متواضعة فى قطاع الخدمات - ولايختلف أحد فى أن التدرب على عمليات المعلومات والاتصالات يمكن أن تتيح فرصة للتقدم الاجتماعى والوظيفة المجزية إلا أن ذلك غير متاح للعدد الأكبر من الناس ليس فقط لتخلف نظم التعليم وعدم مجاراتها مع العصر على مستوى العالم كله بل وأيضا لأسباب تتعلق باستعداد الكثرة من الناس لهذا النمط من التدريب والذى يحتاج إلى عدد أطول من السنين مما يجعله أكثر كلفة بحيث يتاح للقادرين فقط .

كان عامل الانتاج هو عصب الطبقة المتوسطة فى عالم الصناعة التقليدية - أما الآن فقد تم استبدال هذا العامل بالآلات بعيدة التحكم واخراجه من حلبة الانتاج إلى حلبة المهن المتواضعة فى عالم الخدمات فسقط بذلك فى السلم الاجتماعى وتقلص حجم الطبقة المتوسطة وتراجع وزنها وتم نتيجة لذلك استقطاب الثروة ، حتى فى أكثر بلاد العالم وعيا بمعانى العدالة الاجتماعية ، فى أيد قليلة . ومن اللافت للنظر هنا أن أغلب الوظائف الجديدة التى نشأت فى العقد الأخير فى كل من الولايات المتحدة وانجلترا فى عهدى ريجان وتاتشر كانتا وظائف الحد الأدنى للأجور - وهذه الظاهرة واحدة من أسوأ سمات عصر الغد والتى سيسبب صلاحها قلاقل اجتماعية وخطر العودة إلى النظم الفاشية فى الحكم وهى التى كان جيلنا يعتقد أنها انقضت بغير رجعة .

وعلى الرغم من أن الكثير من الوظائف الجديدة المتعلقة بالمعلومات والاتصالات كانت ذات فائدة واضحة فى تحسين الخدمات .. فإن الجزء الأكبر منها كان ذا أثر سلبى على المجتمع ، فالكثير منها تعلق بصناعة الاعلان لتشجيع الاستهلاك أو بصناعة العلاقات العامة بغرض بيع افكار معينة أو اضفاء صفات بعينها على مؤسسة خاصة بغرض الدعاية عنها وقد اصبح استخدام مؤسسات العلاقات العامة شائعا لتسويق الأفكار و « بيع » المرشحين لوظائف رؤساء الدول فى مناسبات الأنتخابات ومن الأمثلة البارزة ما فعلته حكومة الكويت المنفية

حديثا فى محاولة لاعطاء شكل مقبول لها أمام الرأى العام الغربى وما قام به حزبا المحافظين والجمهوريين فى محاولة « تسويق » مرشحى هذه الأحزاب لجماهير انجلترا والولايات المتحدة خلال حملات الأنتخابات الأخيرة - كما أتاحت ثورة المعلومات والاتصالات القدرة على التحكم فى عقول البشر وغسيل امخاخهم فى سهولة اكثر منها اليوم عنها فى اى وقت مضى وقد نجم عن ذلك تضخم صناعة الاستخبارات بغرض احكام الرقابة على الناس وحركتهم فزاد عدد المشتغلين بها وكسب الكثيرون عيشهم من التصنت على الناس ونقل افكارهم وتصنيفهم فى قوائم ذات الوان مختلفة وعلى اتساع العالم كله .. ولايسع القارىء لكتاب « الخديعة » الذى كتبه موظف الموساد السابق اوسترفسكى وصدر عام ١٩٩٠ والذى يصف فيه خفايا واسرار جهاز المخابرات الاسرائيلى وما يستخدمه من طرق فى تدريب رجاله واعدادهم ليرى عمق المأساة التى يعيشها الانسان الحديث عندما توظف ثورة المعلومات وبحوث علمى الأجتماع والنفس فى قهر الانسان وتنظيم ممارسة الأرهاب - لقد اصبحت أجهزة التجسس والاستخبار واحدة من أكبر الصناعات الحديثة التى استفادت أكبر الاستفادة من ثورة المعلومات ..

ولا أريد أن اعطى للقارىء الانطباع بأن ثورة المعلومات كانت كلها شرا فليس هذا صحيحا على الاطلاق فقد مكنت هذه الثورة من إتاحة المعلومات والمساعدة فى انشاء مشروعات صغيرة ناجحة فى ميادين الخدمات الجديدة التى اقتحمها خيال الانسان ولعل هذه النجاحات كانت أحد الاسباب التى بنى عليها الاستاذ «" عنايت » تصوره لتضاؤل دور الحكومة المركزية والمؤسسات الكبرى وأن المستقبل سيكون حول المشروع الصغير وظنى .. أن الواقع العالمى الحاضر لايؤيد ما ذهب اليه الاستاذ عنايت بل اصبح العكس هو الصحيح بازدياد عمليات الدمج بين الشركات الكبرى حتى وكأنها اصبحت السمة الرئيسية للنشاط الاقتصادى فى كبرى البلاد الصناعية وقد زاد نشاط دمج الشركات الكبرى لتكوين الاحتكارات العظمى مع وصول تيار اليمين السياسى الى الحكم خلال الثمانينات فى معظم البلاد الصناعية واهمالها فى تطبيق قوانين تحجيم شركات الأحتكار كما كان سائدا فى معظم الدول خلال معظم سنى القرن .. ولايسع لأى زائر عابر للولايات المتحدة الأمريكية إلا أن يلاحظ أن المحلات التجارية على اختلافها تتشابه فى اسمائها فى كافة المراكز التجارية والممتدة بين الأطلنطى والباسيفيكى بل وان الكثير منها قد انتشر فيما وراء البحار وخارج القارة الأمريكية .. فمحلات وجبات الأكل السريعة وتجارة الخردوات والملابس والبقالة والأدوية وعدد الاستهلاك المنزلى بل واماكن تصفيف الشعر تنتظم فى سلاسل محدودة العدد تملكها شركات عملاقة تجعل منافستها امرا عسيرا ان لم يكن مستحيلا ناهيك عن الفنادق وشركات الأنتاج على كافة المستويات .. صحيح ان ادارة هذه الشركات قد اصبح



غير مركزى ولكنها تظل فى النهاية احتكارا جبارا - وحتى تلك المشروعات الصغيرة التى نجمت عن ثورة المعلومات والاتصالات لن تستطيع البقاء والصمود الا اذا توسعت على حساب المشروعات المماثلة وكونت فى المدى البعيد احتكارا كبيرا .

أما عن دور الحكومة المركزية فإنى اراه وقد تضاءل فى معظم بلاد العالم الثالث أما فى بلاد العالم الصناعى فعلى الرغم من محاولات اليمين السياسى للإقال منه فى عقد الثمانينات فإن هناك الآن تيارا متعاظما بضرورة العودة اليه للقيام بتنظيم الحياة المعقدة الجديدة ولحماية المجتمع ذاته فقد أدى تراجع دور الحكومة الى شيوع الفساد على مقاييس تتضاءل أمامها عمليات النصب العظمى التى رأيناها فى مصر أخيرا وذلك عندما تم الغاء القوانين المنظمة لاعمال البنوك ، فى الولايات المتحدة الامريكية مع وصول الرئيس ريجان للحكم .. كما ادى عدم الاكتراث بتطبيق القوانين المنظمة للبيئة الى كوارث ضخمة واهدار محميات طبيعية كثيرة ولايحتاج المرء الى كثير من الخيال لكى يقدر التأثير المدمر الذى يمكن أن ينجم اذا ضعفت سلطة الرقابة المركزية على نوعية الدواء او الأغذية والمأكولات .

● الحرب .. والغد

ان عالم الغد عالم جديد يفتح امام البشرية آفاقا مذهلة اخشى ان استولت على ثمارها نخبة صغيرة من سكان هذا الكوكب ان يصبح اقرب الى الهمجية منه الى التمدن .. وقد رأينا خلال الشهور الأخيرة سطوة هذه النخبة الوليدة والمدى الذى يمكن أن تذهب اليه عندما تتعرض مصالحها للخطر - فالحرب التى يشهدها العالم فى الخليج تعكس جزءا من المأساة التى يمكن أن تنشأ عندما تتهدد مصالح هذه النخبة فها هنا مجموعة صغيرة من منتجى الاسلحة التى لم تتردد فى جو كل الدول الصناعية للدخول فى حرب ضد دولة صغيرة عندما تعرضت صناعتها للضمور .. بعد انتهاء الحرب الباردة وهكذا تم تحويل قضية محلية واقليمية الى قضية عالمية تشارك فيها دول العالم فى ساحة حرب يتم فيها تجربة جميع اسلحة الدمار التى انفقت عليها البلايين لبنائها وتطويرها وها نحن نرى الدول الصناعية وهى تتسابق لتجربة مالديها من منتجات الدمار ولكى تثبت لشعوبها حاجتها إلى الابقاء على صناعة السلاح بل والتوسع فيها .

وتثير حرب الخليج وجها بغيضا آخر لعالم الغد بالنسبة لدول العالم الثالث فهى تبين بجلاء عدم رغبة العالم الصناعى فى نقل التكنولوجيا المتقدمة اليه - ولعله من المفيد أن نتذكر ان احد الأهداف المعلنة لحرب الخليج ، كما كان منذ اكثر من ربع قرن مع مصر ، هو وأد الصناعة المتقدمة وحجب المنتجات المفيدة فى تطويرها عن دول العالم الثالث - اننا لنكون واهمين اذا تصورنا ان ثورة المعلومات التى يتحدثون عنها ستكون فى متناول ايدينا دون أن نخطط للحصول عليها حتى ندخل العصر الجديد ولنا مكان فيه - واذا كان العراق ، كما تشير كل الظواهر ، سيخسر هذه المعركة فإن علينا أن نأخذ عنه العبرة فنستفيد منها فى معركتنا القادمة ..

أقوال معاصرة


د. يوسف ادريس


فرانسوا جاكوب


اليكس هيلي


صلاح ابوسيف

● " الوحدة العربية تأتى اختيارا ، وليس اجبارا "
الكاتب السودانى صلاح ابراهيم

● " ليس ثمة حاجة لأفكار جديدة " !
موشى ارنز
وزير الدفاع الاسرائيلي

● " اتحدث بالعامية حتى لا ارفع المنصوب "
يوسف ادريس

● " الابداع في حاجة إلى الدهشة ، والطفل وحده يعرف كيف يندهش "
ريمون جبارة
الاديب المسرحى اللبناني

● " ليس عندنا اية فكرة عن المخ ، كيف يعمل !! "
فرانسوا جاكوب
الفائز بجائزة نوبل فى الطب

● " السلطة الحقيقية لا تمنح ، وانما تؤخذ "
فرانسيس فورد كوبولا
مخرج الاب الروحي

● " مصر وطن عظيم ليس فيه تعصب لدين او جنس "
اليكس هيلي
الاديب الامريكى مؤلف " جذور "

● " الفن ضرورة ، وليس ترفا "
الدكتورة الما مورانى
استاذة الجراحة والنحاتة الامريكية

● " ما توافق عليه الرقابة اليوم ترفضه غدا ، وما ترفضه اليوم توافق عليه غدا "
المخرج صلاح ابوسيف

● " لو صنعت فيلما لتشويه العرب لمنحنى الغرب جائزة "
المخرج السويسرى " بنى مولر "

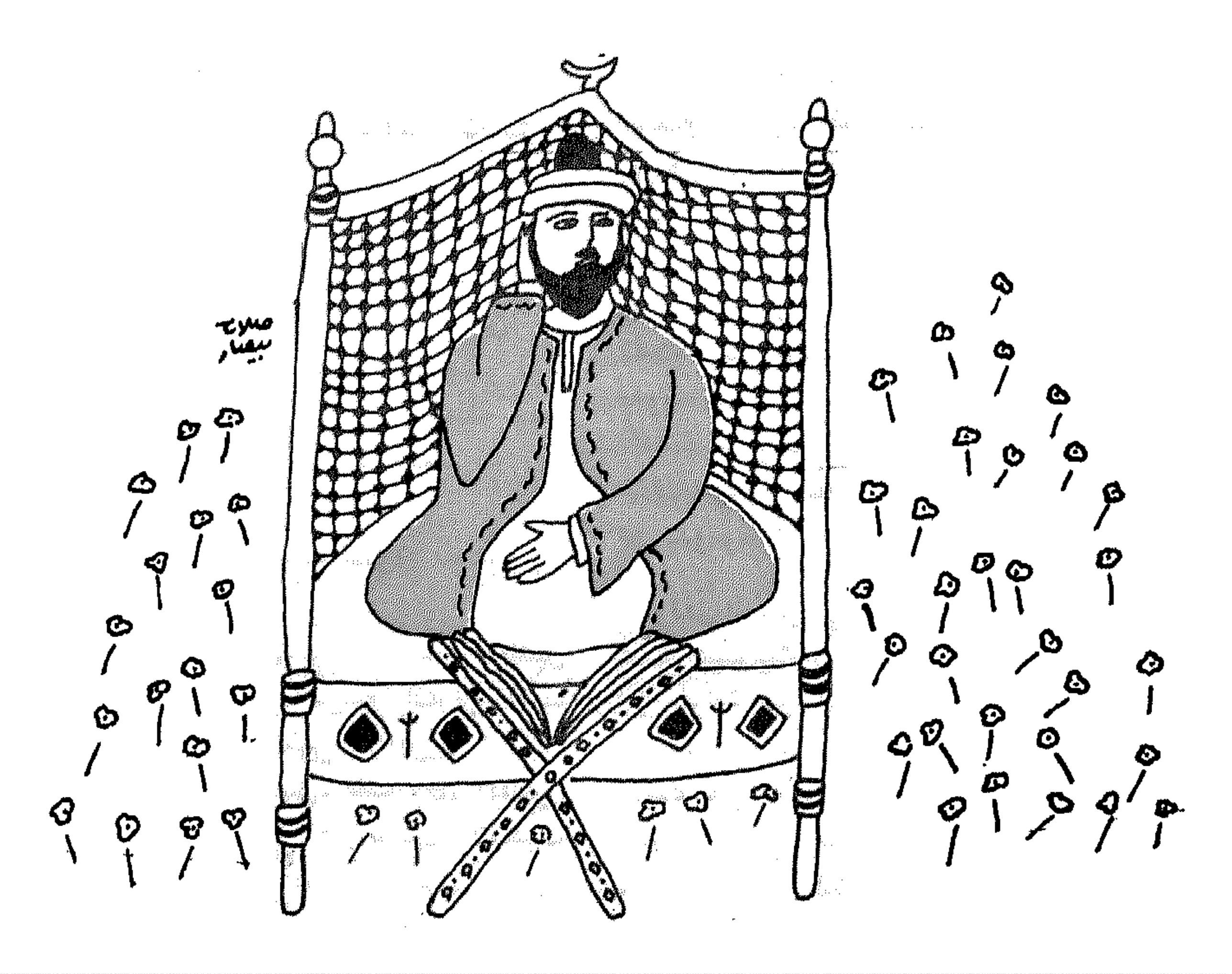
بقلم
د. شكري محمد عياد

حول القرآن

هذه دعوة إلى قراءة واعية متفهمة لأهم نص في الثقافة العربية : القرآن الكريم ! ولعلك تدهش لهذا القول ، فالقرآن يتلى ، بحمد الله ، آناء الليل وأطراف النهار ، والمسلمون يقرءون به في الصلاة خمس مرات في اليوم ، والوعاظ في المساجد ، وعلى موجات الاذاعة ، وشاشات التليفزيون ، يفسرونه للناس بمختلف الأساليب ، فما معنى أن ينبرى استاذ جامعي ليحدثنا ، في كتاب تجاوز عدد صفحاته ثلثمائة وخمسين من القطع الكبير ، عن أشياء يجب أن يعلمها كل قارىء مسلم ، أو غير مسلم ، قبل أن يشرع في قراءة هذا النص ؟

ان القرآن كتاب موحى به من عند الله ، اى ان ضمير المتكلم فيه يشير إلى الله سبحانه . وقد القى كلامه إلى عبد من عباده ، محمد بن عبد الله ﷺ ، ومهما تشكك المتشككون في معنى الوحى نفسه ، فلم يكن في وسع احد ان يتهم هذا الانسان بالكذب . وقد امتد زمن الوحى ثلاثة وعشرين عاما ، وتنوعت اساليبه ومعانيه ، ووقعت خلال هذه المدة الطويلة فترات انقطع فيها ، ولكن صاحب الرسالة لم يقبض حتى أعلن الوحى انه قد تم : « اليوم اكملت لكم دينكم .. » الآية ، ومعنى ذلك انه وضع اساس حياة جديدة لأمة العرب ، ومن بعدهم كل تلك الشعوب التى اعتنقت الاسلام .

للمسلمين ان يقرروا ان كتابهم المقدس هو ، من بين كتب اصحاب الديانات جميعا ، السماوية وغير السماوية ، الذى نزل من اوله إلى آخره بكلام الله . نعم ان علماء العهدين القديم والجديد يقررون ايضا ان جميع أسفارهما كتبت بوحى من الله . ولكن كلمة الوحى مختلفة هنا ، فهى اقرب إلى مانسميه الالهام ، ولم يعد احد يجادل في ان هذه الاسفار كتبت باقلام كتاب مختلفين ، اكثرهم مجهولون ، وفي أزمنة مختلفة ، بعيدة ، ربما بقرون عدة ، عن أزمان الانبياء الذين تتحدث عنهم .



فى مقابل الدراسات التى انتهت إلى تقرير هذه الحقائق ، والتى عرفت باسم «النقد العالى» (وقد بدأت فى أوربا منذ أواخر القرن السابع عشر) ، نجد عندنا مايسمى بتاريخ القرآن ، أو علوم القرآن ، وهى تتناول كل ما أحاط بهذا النص مما يتعلق به مباشرة تكيفيات القراءة والتدوين أو بمناسبات نزوله أو بالمذاهب المختلفة فى تفسيره .

ومعلوم أن التاريخ يعتمد على الأخبار المروية ، أو على "السمعيات" كما يقال ، ولا مدخل له فى المشاهدة أو التجربة . وحتى بعد أن بلغت دراسة الآثار ما بلغت فلا تزال الأدلة الملموسة على وقائع التاريخ قليلة جدا ، فضلا عن أنها يمكن أن تخضع لتفسيرات مختلفة ، وقد عنى علماء المسلمين عناية بالغة . بتحقيق الأخبار ، ووضعوا لذلك قواعد جمعت فى علم أصول الحديث . وكانت عنايتهم بسند الحديث أى تسلسل رواته واحدا بعد واحد الى أن تصل الى من شهد الواقعة المروية ، أكثر من عنايتهم بمادة الحديث نفسه . وهكذا دخل فى الأخبار ، حتى ماروى منها عن الرسول ، كذب كثير ، لهذا الكذب دوافع مختلفة ، تكلم عن بعضها القرطبى فى مقدمة تفسيره الكبير ، وهو فى أيدى الناس . وفضلا عن هذا فقد ضعفت عناية علماء الحديث بتحقيق السند ،

وتساهلوا كثيراً فيما يعد تلقيا صحيحا من التلميذ عن شيخه ، حتى قال بعض علماء الحديث من المتاخرين إن الحرص على ذكر السند انما هو نوع من التبرك ، لأن الاسناد فضيلة خص بها الله تعالى أمة المسلمين .

● حشد الروايات بدون تمحيص !

ومن المؤسف أن الكتابين اللذين وصلا الينا فى تاريخ القرآن وهما «البرهان» للزركشى (القرن الثامن الهجرى) و«الاتقان» للسيوطى (القرن التاسع) يحملان كل سمات التاليف المتاخرة واهم مايعنينا منها الآن : حشد الروايات بدون تمحيص .

وماذا عسى أن يظن المسلم اذا قرا هذا الخبر مثلا فى "الاتقان" :

قال أبو عبيد : حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن ايوب عن نافع عن ابن عمر قال : ليقولن احدكم قد اخذت القرآن كله ، وما يدريه ما كله ؟ قد ذهب منه قرآن كثير . ولكن ليقل : قد اخذت منه ما ظهر . وقال : حدثنا ابن ابى مريم عن ابن لهيعة عن ابى الاسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : كانت سورة الاحزاب تقرا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم مائتى اية ، فلما كتب عثمان المصاحف لم تقدر منها الا ما هو الآن .

بل ماذا يظن المسلم او غير المسلم وهو يقرا مثل هذه الاخبار منسوبة الى عدد من جلة الصحابة ، وناهيك عن عائشة ، وعبد الله بن عمر ، وابى بن كعب ، ثم يقارنها بما ورد فى صحيح البخارى ـ وقد نقله السيوطى أيضا ـ عن أن عددا من الصحابة جمعوا القرآن على عهد الرسول ، وعن جمع القرآن فى عهد ابى بكر اى بعد اقل من سنتين من وفاة الرسول ، وشدة حرص زيد بن ثابت ـ الذى كلف بهذه المهمة ـ على الا يفوته شىء منه ؟ وهل يقبل العقل ان المسلمين جميعا ، وفيهم عدد وفير من كتاب الوحى ، قد تركوا شيئا من القرآن لم يدونوه ؟

ولكن السيوطى الذى ينقل عن بعض علماء الحديث السابقين نقدا لأحاديث اقل غرابة من الحديثين السابقين لم يكن يسير على قاعدة مطردة فى ذلك ، ولعله كان اشد حرصا على تصحيح اقسام النسخ : فاذا وجد احاديث عما نسخ كلمة دون تلاوته (كايتى الخمر) ، ومانسخت بتلاوته دون حكمه ، فيجب ان يقبل احاديث ضعيفة عما نسخت تلاوته وحكمه معا .

والحقيقة أن الخوف من إعمال العقل فيما حوته الكتب ، ولاسيما الكتب الدينية ـ حتى ولو كان مؤلفوها من المتاخرين الذين عرف عنهم ميلهم الى الافراط فى النقل ـ سمة لاتزال تعيب ثقافتنا رغم الجهود التى بذلها المجددون منذ عدة اجيال ، ولا يقتصر ضررها على شيوع كثير من الاضاليل والخرافات ، بل انها تعوقنا ايضا عن الانتفاع بما هو رائع وعظيم حقا فى تراثنا ، ولانستثنى منه تراث العصور المتاخرة جميعه . فالعين التى تحجب عن النظر لايمكنها ان تميز الغث من السمين .

● مسئولية شيوخ الأزهر

وعلى شيوخ الأزهر يقع الشطر الأكبر من المسئولية . فهم لايحبون شيئا كما يحبون السلامة : سلامة ابدانهم وأموالهم ومناصبهم . وكل تفكير مستقل ينطوى بالضرورة على قدر من المجازفة ، أى على قدر من الخطر . ومازلت اذكر كيف تنادوا منذ قرابة ستين عاما بما سموه «تنقية كتب التفسير من الاسرائيليات» ، ومع ان «تنقية الكتب» شيء كريه دائما ، فقد كان اقل ما يجب عليهم ، فى أيامنا هذه ، أن يعترضوا على بعض مسلسلات التليفزيون الدينية ، والمشحونة بالاسرائيليات .

واذا امتد الخوف من اعمال الفكر الى قراءتنا للقرآن (بل لعل معظمنا يحرم على نفسه ذلك وكأن من تمام الخشوع الا يفكر فيما يقرأ) فكيف يمكننا أن نزعم اننا ننتفع بالقرآن ؟

لاجرم ان القرآن لم يعد بيننا "قرآنا" (اى كتابا يقرأ) ، بل اصبح «مصحفا» ، اوراقا مجلدة فى غلاف مزركش داخل علبة من القطيفة الحمراء (انظر الى هذه الطقوس العجيبة!) توضع على منضدة فى صالون ، أو على منصة خلف سيارة ، لتمنع الحسد ، أو تقى من الحوادث .

أليست هذه هى الوثنية بعينها ؟

لهذا نستقبل كتاب الدكتور نصر حامد أبو زيد "مفهوم النص : دراسة فى علوم القرآن" بفرحة غامرة . فالكتاب يعيد طرح مسائل "تاريخ القرآن" أو "علوم القرآن" مثل : أسباب النزول ، والفروق بين المكى والمدنى ، والناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، ومرجعاه الأساسيان هما "البرهان" و"الاتقان" ، ولكنه يتناول المادة التى جمعت فى هذين الكتابين تناولا فاحصا ، وينتقل من مبحث الى مبحث فى تسلسل منطقى ، معتمدا على منهج واضح نسميه "منهج التفسير الأدبى" .

و "منهج التفسير الأدبى" ، الذى يرتبط باسم استاذنا امين الخولى ، وقد شرحه فى رسالته "التفسير" (مناهج تجديد) وقدم بعض التطبيقات العملية له فى عدد من الأحاديث التى جمعت فى كتب صغيرة منها : "فى رمضان" و"القادة الرسل" و"فى أموالهم" ، لم يكن بدعا من التفاسير ، ولكنه اعتمّد بدوره على مبادىء ارساها الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، ويمكن إرجاعها إلى أسس واحد ، وهو النظر الى القرآن الكريم على انه ـ كما وصف نفسه ـ كتاب عربى ، مبين ، انزل الى العرب ، وإلى الناس كافة ، ليدبروا آياته . ومن ثم يجب أن نفهمه كما نفهم اى نص أدبى آخر ، ندرس ما احاط به من ملابسات ، وندرسه هو نفسه فى معانى الفاظه وصياغة تراكيبه ، توصلا الى ادراك معانيه .

● فهم جديد

كانت دعوة أمين الخولى ، على وضوح منطلقاتها التى تشبه البديهات ، بغيضة الى معظم الناس الذين تعودوا ان ينظروا إلى القرآن نظرة التقديس الأخرس ، ورضوا بأن

يحولوه إلى وثن ، وأن يلتمسوا تفسيره ، إذا التمسوه ، فى الأحاديث المروية عن الصحابة والتابعين ، ناسين أو متناسين أن هذه الأحاديث ـ بغرض صحة سندها ـ كانت تكتفى بالنظرة الاجمالية ، وكانت فى الوقت نفسه ، متشبعة بالاسرائيليات ، اى القصص الذى كان يتداوله بنو اسرائيل حول اسفارهم المقدسة ، واكثرهم من العوام الذين لايطلب عند امثالهم علم ـ كما اشار ابن خلدون ـ وانما اعتمد هذا الفريق من الصحابة والتابعين على مقولة قررها القرآن نفسه ، وهى أنه استمرار للرسالات السماوية السابقة ، وعلى حديث رووه عن رسول الله ، يوصيهم اذا استمعوا لمثل هذه القصص الا يصدقوها ولايكذبوها ، فجعلوا ذلك بمنزلة الاذن لهم فى روايتها ، ناسين أو متناسين ـ كذلك ـ أن اختلاف العصور ، وتطور الثقافات ، يجعل المتلقين للقرآن ، اذا استقبلوه بعقولهم ولم يوثنوه ، قادرين على فهمه فهما جديدا كل مرة .

كانت أول رسالة للدكتوراه فى التفسير الأدبى قدمت الى جامعة القاهرة محورا لمنازعات كثيرة ، لعلها لم تكن ناشئة فقط عن موضوع الرسالة ، وهو "الفن القصصى فى القرآن" ، ولكن النزاع امتد الى خارج اروقة الجامعة ، واصبحت الرسالة وصاحبها ، "محمد أحمد خلف الله" هدفا لهجوم المتزمتين الذين اتهموهما بالالحاد . ومنع أمين الخولى من تدريس التفسير ، ونوقشت الرسالة الثانية والأخيرة التى كان قد تم اعدادها تحت اشرافه ، فى هدوء وسكون اشبه بالسرية . وانطوت ـ فى الظاهر ـ قصة التفسير الأدبى فى كلية الآداب . ولكنها لم تكن لتنطوى فى دروس القرآن والتفسير فى تلك الكلية ، إذ كان من المحتم ان يبقى درس النص القرآنى ، فى كلية الآداب ، درسا أدبيا ، ينتفع بكل ما تقدمه الدراسات الأدبية من مناهج .

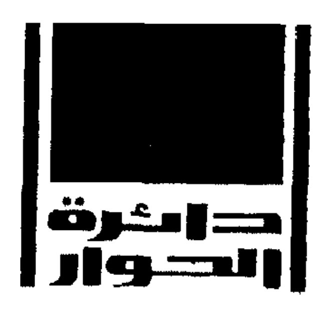
ونصر حامد ابوزيد ينتمى الى جيل ثالث بعد امين الخولى ، ولكنه تلميذ ـ بالواسطة ـ لامين الخولى ، وهو حريص على ان يقرر هذه التلمذة ، ولكنه ـ وهذا هو الأهم ـ حريص ايضا على أن يفيد من الدراسات التى جدت بعد أمين الخولى حول "مفهوم النص" ، وهى دراسات تدخل فيما يسمى الآن "أنظمة العلامات" ، أو كما تسمى فى الثقافات التى أبدعتها ـ السميوطيقا . ثم هو حريص أيضا على أن يصرح بأن دوافعه وراء هذه الدراسة راجعة الى عصره هو ، إلى تردى الفكر الدينى ، او "الخطاب" الدينى ، فى نوع من الغيبية تجاوز كل ما عرفناه فى تاريخنا الحديث . ولكنه يلزم نفسه بالا يسمح بهذه الدوافع ان

تبعده عن الأمانة العلمية .

والمناهج العلمية الحديثة التى يستخدمها نصر لاتربط النص باللغة فحسب ، ولا بالتراث السابق وحده ، إن كان تراثا أدبيا أو غير ذلك ، ولكنها تربطه أيضا بالثقافة فى شمولها ، أى بمجموع العادات والتقاليد والأفكار والنظم الاجتماعية السائدة . فكل نص أدبى ممتاز يتشكل داخل حدود ثقافته المعينة ، ويعيد تشكيلها فى الوقت نفسه . وفى الثقافة العربية بالذات ، التى تقوم على نص أساسى وهو القرآن ، يجب أن تقوم معرفتنا بهذا النص على دراسة كيفيات تشكله بهذه الثقافة وتشكيله لها ، ويدخل فى ذلك كل مايتعلق بتاريخ نزوله وتاريخ تفسيره أيضا .

وأحسب أن نصرا استطاع فعلا ان يلتزم بالأمانة العلمية فى بحثه حول تاريخ القرآن ، وأنه استخدم المفاهيم الحديثة حول "النص" استخداما ذكيا حصيفا ، ولكنه وهو يكتب من موقف معين فى نقطة معينة من الزمان والمكان ، لم يستطع أن يتخلص من انحيازه إلى فكر المعتزلة بالذات ، باعتبارهم ممثلى "العقل" فى التراث الاسلامى . ودفعه ذلك الى تشديد النكير على الأشاعرة من ناحية ، وعلى المتصوفة - ممثلين فى الغزالى - من ناحية أخرى . وهو يرى أن هذين التيارين كانا - ولايزالان - مسئولين عن اخفاء الصراعات الفكرية والاجتماعية داخل المجتمع العربى ، ولم يكن وراء هذا الاخفاء الا تكريس الرجعية والتخلف . وقد اختلف معه فى كثير من هذه الاراء . فالرجعية والتخلف فى المجتمعات العربية لهما اسباب تاريخية لم تكن الاشعرية والتصوف - وكل "إيديولوجية أهل السنة والجماعة" الا اثارا هامشية لها وليس هذا مجال الحديث عنها . واذا كان المذهب الأشعرى والتصوف - كل من ناحيته - قد نجحا فى اخفاء الصراعات داخل المجتمعات الاسلامية ، فقد كان لاخفائها اثره الطيب فى بقاء هذه المجتمعات متماسكة بينما كانت الضربات تنهال عليها من الخارج . وكان للأشعرية والتصوف - كما كان للظاهرية والحنبلية - ممثلة فى ابن تيمية على الخصوص - أثر صالح ، على المستوى الفكرى ، فى تفتح جوانب من الثقافة الاسلامية كانت كامنة فى النصوص السابقة ، وعلى رأسها القرآن الكريم .

واذا كانت تلك الاجتهادات المختلفة قد استطاعت ان تحمى المجتمعات الاسلامية من الصراعات الدينية الدموية التى عرفتها اوربا - مثلا - طوال القرن السابع عشر ، فهل يعد ذلك خيانة لواجبها التاريخى ، أو مبتدءا على النشاط الفكرى الخلاق فى عصرنا هذا ، اذا نحينا جانبا المؤثرات التاريخية التى سبقت الاشارة اليها ، والتى تبيح لنا - الآن - ان نتكلم عن الصراع الطبقى ، دون أن نصله وصلا مباشرا بتراثنا الثقافى ؟



الحفظ وأثره

فى ضبط قوانين العربية

بقلم: د. محمود الطناحى


محمود شاكر

كتب الاستاذ الدكتور محمود الربيعى كلمة فى اسبوعيات الأهرام ١٩٩٠/٧/٦م، بعنوان « ترتيب الأولويات »، قال فيها: « إن تلقين المناهج لطلاب العلم الذين يدرسون فى الجامعات لدينا يجعلهم يتحدثون عن " أعوض " المناهج الغربية الأجنبية كأنهم أصحابها، فإذا طلبت اليهم ان يقراوا (مجرد قراءة) نصا إبداعيا باللغة التى يُعَدُّون للتخصص فيها (عربية او أجنبية) لم يقيموا النص قراءة، فضلا عن التعمق فى فهمه بالتحليل والتركيب والتفكيك ».

وهذا كلام حكيم (بالتنوين والاضافة)، وهو أيضا كلام ظاهر الوضاءة والحسن والتيقظ، لأنه يلخص المأساة التى نعيشها منذ نحو ثلاثين عاما، فى هذا المستوى المتدنى من علوم العربية: قراءة وكتابة. ثم هو كلام يفضى بنا الى قضية ذات خطر، ليس فى الأدب وحده، بل ان هذا الخطر يمتد ليشمل مختلف فروع التراث العربى، واعنى تلك الفجوة الواسعة بين النظرية والتطبيق، او بين المحفوظ والملفوظ.

فانت قد تصادف شخصا دارسا للأدب : تاريخه ومذاهبه ومدارسه ، واذا فاتشته فى قضية من قضاياه النظرية تلك ، صال وجال ، ولاك ومضغ ، وخلط عربيا بعجمي ، واتاك بكل عجيبة وغريبة ، فإذا اخذته الى نص مما كتبه السابقون الأولون ، واردته على شيء من التفسير او التحليل والتذوق حار وأبلس « وصار لسانه قطعة لحم خرساء تدور فى جوبة الحنك » كما يقول شيخنا محمود محمد شاكر - فى سياق آخر .

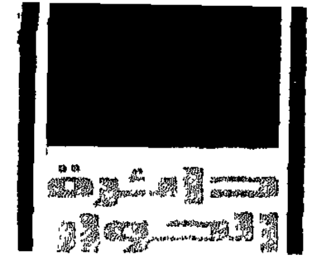
ومثل ذلك يقال فى نحوىٍّ خالطت بشاشة النحو قلبه ، وخبر سواده وبياضه (زعم) ، اسهر فيه ليله ، وأداب له نهاره ، حتى ظن انه ملك ناصيته : قواعد وخلافيات ونقدا ، فإذا اخذ فى كلام ، او ادار قلمه على بيان خلَّط واعتسف واخطا ، وما اتى هذا النحوى وذلك الأديب إلا من قبيل الأغراق فى النظريات والمناهج والقواعد ، واطراح الحفظ ، وهجر النصوص ، وإهمال التطبيق .

وقد سرى هذا الداء الخبيث الى علمين جليلين فى تراثنا - وما كان ينبغى أن يسرى اليهما ، لأنهما ملاك الأمر كله - وهما التفسير والحديث ، ففى ميدان التفسير قد تصادف دارسا يحدثك بإفاضة واحاطة عن مدارس التفسير واتجاهاته ، من تفسير بالماثور الى تفسير بالراى ، والتفسير الموضوعى للقرآن ، والتفسير الفقهى ، والتفسير الاشارى الصوفى . إلى آخر هذه القائمة ، فاذا طلبت منه تفسير شيء من كتاب الله لم تظفر منه بشيء إلا شيئا لايُعبأ به .. وقد اختفت تلك الصورة الجليلة النبيلة ، حين كنت تستوقف شيخا فاضلا عقب صلاة الجمعة ، أو فى طريق عام ، فتساله عن أية من كتاب الله فإذا أنت أمام علم حاضر واجابة شافية .

وقل مثل هذا فى حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد اشتغل به كثير من طلبة العلم الآن : دراسة نظرية ، تعنى بتدوينه وعلومه وتصانيفه من الصحاح والمسانيد .. الى غير ذلك مما كان يعرف قديما بعلم « الدراية » لكنك قل أن تجد منهم من اعتنى بهذا العلم الجليل « رواية » من حيث حفظ المتون واتقان الغريب .

وقد ادى هذا الأمر الى مصيبة كبرى اجتاحت بعض الشباب المسلم المحب لحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة السنة المطهرة ، فقد اتجه كثير منهم فى هذه الأيام الى طلب معرفة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وتجريح الرواة وتعديلهم - وهذا بحر لاساحل له ، ولا يقوى عليه إلا أولو العزم من الرجال - وقد صرفوا فى ذلك جهودا كثيرة كان الأولى ان تصرف الى قراءة صحيحى الامامين الجليلين : البخارى ومسلم ، وبقية الكتب الستة التى هى دواوين السنة ، ثم بعض المسانيد الاخرى ، قراءة فهم وبحث وامعان .. فاذا اتقنوا ذلك كان لهم أن يبحثوا فى الضعيف والموضوع ، وقد بلغت السفاهة ببعضهم ان يقول عن حديث رواه الامام الجليل ابو عبد الله البخارى : « صححه فلان » يشير الى





أحد العلماء المعاصرين . افبعد اخراج البخارى للحديث ، يقال : صححه فلان ؟

إن الاسراف فى النظريات والمناهج هو الذى اضعف إحساس ابنائنا بالعربية الأولى ، وهو الذى اورثهم العجز الذى ياخذ بالسنتهم وأقلامهم ، فلا يستطيعون قولا ولا بيانا .

على ان هذا الذى ذكره الدكتور الربيعى ، والذى ذكرته انا ، يرجع الى اننا اهملنا جوانب ضرورية فى تعلم العربية ، ومن هذه الجوانب التى أهملت جانب النصوص او الحفظ ..

فانه يشيع فى ايامنا هذه كلام عجيب ، يبغض الى طالب العربية « الحفظ » ويزهده فيه ، بل إن الأمر قد تعدى ذلك الى تثبيت قاعدة تجعل « الحفظ » مقابل « الفهم » وأن الطالب الذى يحفظ « صمام » وغير قادر على الفهم والاستيعاب ، ونقرا لمسئول كبير عن التعليم فى مصر قوله : « ولابد أن يدرك الطالب أن زمن الحفظ والصمامين قد انتهى »

● تراثنا قائم على الرواية

وهذا الكلام ان صدق على العلوم العملية والتطبيقية ، لايصدق على علوم العربية ، من ادب وبلاغة ولغة ونحو ، وذلك لأن تراثنا كله قائم على الرواية والدراية ، والرواية مقدمة ، ولذلك قالوا : « الرواية من العشرين والدراية من الأربعين » . والجوهرى صاحب " الصحاح " يقول فى مقدمته : « قد أودعت هذا الكتاب ماصح عندى من هذه اللغة ... بعد تحصيلها بالعراق رواية وإتقانها دراية .

وقد وصل الينا تراثنا فى اول أمره عن طريق الحفظ والرواية ، فقد وعته صدور الرواة والنقلة ، وسلمته اجيال الى أجيال ، حتى اظل زمان التدوين والكتابة . فالحفظ هو الاساس ، وقد حثوا عليه ومدحوا اهله ، فروى عن الاصمعى انه قال : « كل علم لايدخل معى الحمام فليس بعلم » . ويريد انه حافظه ومستحضره فى كل وقت وعلى كل حال وقال محمد بن يسير - من شعراء الدولة العباسية الأولى :

أأشهد بالجهل فى مجلس
وعلمى فى البيت مستودع
إذا لم تكن حافظا واعيا
فجمعك للكتب لا ينفع

وقال بعض اهل العلم :

حفظ اللغات علينا
فرض كفرض الصلاة
فليس يضبط دين
إلا بحفظ اللغات

ولولا الحفظ فى تاريخنا التراثى لما امكن لهذه الطائفة من عباقرة العربية العميان ان يسجلوا لنا هذا القدر الضخم من المعارف الانسانية ، كالذى نقراه عند ابى العلاء المعرى - وابو العلاء فوق شاعريته صاحب لغة ونحو وصرف وعروض - وابن سيده صاحب المحكم والمخصص ، والامام الترمذى صاحب السنن ، وغيرهم كثير ، مما ذكره صلاح الدين الصفدى فى كتابه الطريف «نكت الهمْيان فى نُكَت العميان» . وحسبك بقّراء القرآن وعلماء القراءات ، كالشاطبى صاحب المنظومة الشهيرة فى القراءات السبع المسماه :

« حرز الامانى ووجه التهانى » وفى هذا العصر الحديث ياتى الدكتور طه حسين - رحمه الله - على رأس أفذاذ العميان المعاصرين .

إن طبيعة تعلم العربية تقتضى حفظ كثير من النصوص لتثبيت القواعد والتمكين للأبنية والتراكيب فى ذهن طالب العلم . وقد قيل - الحفظ الاتقان - وذلك ماروا ه أيوب بن المتوكل ، قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : كان الرجل من أهل العلم اذا لقى من هو فوقه فى العلم فهو يوم غنيمته ، ساله وتعلم منه ، واذا لقى من هو دونه فى العلم علمه وتواضع له ، واذا لقى من هو مثله فى العلم ذاكره ودارسه . وقال : لايكون اماما فى العلم من اخذ بالشاذ من العلم ، ولايكون اماما فى العلم من روى كل ماسمع ولايكون اماما فى العلم من روى عن كل أحد والحفظ الاتقان »

● حفظ كلام العرب

ويقول ابن خلدون : « ووجه التعليم لمن يبتغى هذه الملكة ويروم تحصيلها ان ياخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على اساليبهم ، من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب فى اسجاعهم واشعارهم ، وكلمات المولدين ايضا فى سائر فنونهم ، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم » .

ويقول ايضا : « وتعلم مما قررناه فى هذا الباب ان حصول ملكة اللسان العربى انما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب ، حتى يرتسم فى خياله المنوال الذى نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه ، ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم ، وخالط عباراتهم فى كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة فى العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم » .

ويقول ايضا عن هذه الملكة التى تحصل بالحفظ والدربة : « ... فإن الملكات اذا استقرت ورسخت فى محالها ظهرت كانها طبيعة وجبلة لذلك المحل . ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات ان الصواب للعرب فى لغتهم اعرابا وبلاغة امر طبيعى ، ويقول : كانت العرب تنطق بالطبع . وليس كذلك وإنما هى ملكة لسانية فى نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت فى بادىء الرأى انها جبلة وطبع . وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع ، والتفطن لخواص تراكيبه .. وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية فى ذلك ، التى استنبطها اهل صناعة اللسان ، فان هذه القوانين انما تفيد علما بذلك اللسان ، ولاتفيد حصول الملكة بالفعل فى محلها » .

وهذا الكلام الاخير هو الذى ينتهى اليه كلام الدكتور الربيعى ، وهو الذى ادرت عليه مقالتى هذه . فان « معرفة القوانين العلمية التى استنبطها اهل صناعة اللسان» هى "النظريات والمناهج" فى ايامنا هذه . فكما ان الوقوف عند "معرفة القوانين العلمية" هذه لايصنع ملكة ادبية لغوية ، كذلك الاكتفاء "بالنظريات والمناهج"



لايكسب هذه الملكة .

ويقرر ابن خلدون ايضا "انه لابد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربى ، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته فى جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ .

ويقول القاضى عبد الرحيم بن على ابن شيث الاسنائى القوصى ، فى سياق حديثه عن أدوات الكاتب وعدته : « والحفظ في ذلك ملاك الأمر ، فإنه يؤهل ويدرب ، ويسهل المطلوب ويقرب»

● هل الحفظ مطلوب ؟!

هذا وقد وقعت على نص خطير جدا ، هو خير رد واوفاه على هؤلاء الذين يشترطون للحفظ : الفهم ، ويقولون : لاتطلبوا من الصبى حفظ مالا يفهم ، فان هذا غير مجد فى العملية التعليمية : يقول ابو الفتح عثمان بن جنى : « قال لنا ابو على - الفارسى - يوما قال لنا ابو بكر - ابن السراج - : اذا لم تفهموا كلامى فاحفظوه ، فانكم اذا احفظتموه فهمتموه» .

وهذا كلام صحيح ، يصدقه الواقع وتؤكده التجربة ، فان الالحاح بالحفظ الدائم المستمر مما يمهد للفهم لا محالة وآية ذلك ان صغار التلاميذ فى دور الحضانة والروضة يرددون مع اطلالة كل صباح النشيد الوطنى لبلادهم ، وهم بالقطع لايعرفون شيئا عن معانى مفرداته فضلا عن تراكيبه ، ولكنهم بمرور الايام يدركون ويفهمون .

والشواهد على ذلك اكثر من ان تحصى فى اكتساب وادراك المعارف . ونحن الذين حفظنا القرآن صغارا نعرف هذا من انفسنا ، فمازلنا نذكر الفاظ القرآن وتراكيبه الغريبة علينا فى مطالع ايامنا ، ثم اضاءة معانيه فى نفوسنا بعد ذلك بالتدريج ، وان كنا لاندرك بالضبط متى تم هذا ، كما لايدرك الناظر فى السماء انسلاخ النهار من الليل الا حين يغشاه نوره ويغمره سناه .

وليس ادل على اهمية "الحفظ" فى العملية التعليمية فى تراثنا ، من هذا القدر الهائل من المنظومات فى اللغة والنحو والفرائض (المواريث) ، والقراءات وعلوم الحديث والاصول والبلاغة والمنطق والعروض والميقات والطب ، وكل ذلك لضبط القواعد وتثبيت الاحكام . وما امر "الفية ابن مالك" ببعيد !

ومع المنظومات المطولة فى النحو والصرف كان هناك البيتان والثلاثة والاربعة لضبط القاعدة وترسيخها . فهذا جمع التكسير ينقسم الى جموع قلة والى جموع كثرة ، وللأول اربعة اوزان ، وللثانى سبعة عشر وزنا ، ولصعوبة حصر هذه الأوزان صاغها بعضهم شعرا ليسهل حفظها . فجموع القلة جمعت فى قوله :

بأفعُل ثم افعال وافعلة
وفِعْلة يُعرف الأدنى من العدد
كأفلس وكاثواب وارغفة
وغلمة فاحفظها حفظ مجتهد

وجموع الكثرة جمعت فى قوله :

فى السفن الشهب البغاة صور

مرضى القلوب والبحار عبر
غلمانهم للأشقياء عمله
قطّاع قضبان لأجل الفيلة
والعقلاء شرد ومنتهى
جموعهم فى السبع والعشر انتهى
وترتيب الخليل بن احمد لمواد المعجم نظمها بعضهم فى قوله :
عن حزن هجر خريدة غناجة
قلبى كواه جوى شديد ضرار
صحبى سيبتدئون زجرى طُلّباً
دهشى تطلب ظالم ذى ثار
رغما لذى نصحى فؤادى بالهوى
متلهب وذوى الملام يمارى

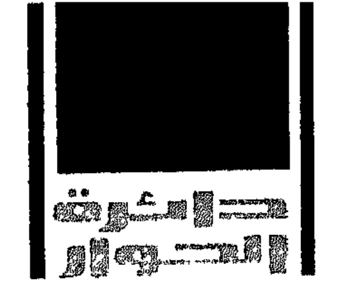
وواضح أن المراد الحروف الاولى من كلمات هذا النظم هكذا : ع ح هـ خ غ .... الخ .

هذا الى الضوابط النثرية ، مثل "سالتمونيها" لضبط حروف الزيادة ، و"سكت فحثه شخص" لضبط الحروف المهموسة . فبهذه الضواط الشعرية والنثرية تعلمنا الأدب واللغة والنحو ، وتعلم من قبلنا ، لأننا سلمنا ولأنهم سلموا من زلازل التطوير واعاصير التيسير . وانه لواجب علينا اذا اردنا الخير لهذا الجيل انّ نحيى فيهم مهارات الحفظ ، ونقدم لهم قواعد العربية من خلال النصوص التراثية الموثقة . ولقد جاءنى ابنى بكتاب القراءة والنصوص الأدبية للصف الثالث الاعدادى للعام الدراسى ١٩٩٠ ـ ١٩٩١م وفى ص ١٣ منه جاء هذا السؤال : (اختر الصواب مما بين كل قوسين : مقابل غضب (رضا ـ سرور ـ سكون) وطلب منى ابنى الجوب الصحيح ، فقلت له (رضا) وقال هو (سرور) واصر على رأيه ، لأنه لم يستسغ ان يكون "الرضا" مقابل الغضب ولأن استاذه قال ذلك ايضا والاستاذ لايخطيء ولم يقتنع حتى ذكرت له حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما الذى أخرجه ابو داود فى سننه ٣١٨/٣ ، والحاكم فى مستدركه ١٠٥/١ ، انه قال : "يارسول الله اكتب ما اسمع منك ؟ قال : نعم قلت : عند الغضب وعند الرضا ؟ قال : نعم انه لاينبغى لى أن اقول الا حقا" .

وهنا انفرجت أسارير ابنى ، ونظر إلىّ (نظرة الرضا لا الغضب) .

فهذا السؤال الذى جاء فى ذلك الكتاب المدرسى سؤال جيد ، لأنه يزيد المحصول اللغوى عند التلميذ لا محالة . ولكنه ينبغى ان يكون مؤسسا على نصوص محفوظة للتلميذ بها انس ومعرفة سابقة . وأنَّى لتلميذ فى هذه السن ان يختار بين هذه الكلمات القريبة المعانى دون نص يشهد وحفظ يؤيد فالحفظ وسيلة ضبط واتقان ينبغى ان تراعى من اول درجة من درجات سلم التعليم ولاتشفقوا على الصغار والناشئة ، فان فيهم خيرا كثيرا ، وانظروا الى هؤلاء الصغار الذين يظهرون على شاشة التليفزيون من اعضاء "المسلم الصغير" وتاملوا حلاوة الاداء وسلامة مخارج الحروف ، ثم حفظ نصوص القرآن والحديث عن ظهر قلب . ومن وراء ذلك كله فالحفظ عاصم من التخليط فى ابنية الأسماء والأفعال .

وإذا كان القرآن الكريم كتاب هداية وارشاد ، فإنه ايضا كتاب عربية وبيان . ويجب أشد الوجوب ان نشد



أبناءنا إليه في كل مراحل تعليم العربية ، وان يكون اختيارنا لآياته في مقرر (القراءة والنصوص) قائما على تلك الآيات التي تنمي الحس اللغوي والنحوي عند التلاميذ ، ولاسيما تلك الآيات التي تاتي فيها الافعال مضبوطة على وجهها الصحيح . وقد لاحظت ان كثيرا من أبنية الأفعال التي نخطيء نحن الكبار ايضا في ضبطها ، أو ننطقها على وجه من الوجوه الضعيفة غير الفصيحة ، جاءت على وجهها الصحيح في الكتاب العزيز . واكتفي هنا ببعض الأمثلة :

● أمثلة من القرآن

يقول الناس في كلامهم : "كبر الولد يكبر" فيضمون الباء في الماضي والمستقبل ، والصواب بالكسر في الماضي ، وبالفتح في المستقبل : "كبِر يكبَر" وهذا يكون في السن والعمر ، يقال : كبر الرجل يكبر كبرا فهو كبير ، اى طعن في السن ، ومنه قوله تعالى عن أموال اليتامى والنهي عن اكلها : "ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا" سورة النساء ٦ ، اما "كبر يكبر" بالضم في الحالتين ، فليس من السن ، وإنما هو بمعنى عظم ، ضد صغر ، وشواهده في الكتاب العزيز كثيرة ، منها بقوله تعالى : ﴿ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون ﴾ سورة الصف ٣ ، وقوله عز وجل : "قل كونوا حجارة أو حديدا ، او خلقا مما يكبر في صدوركم" سورة الاسراء ٥٠ ، ٥١ .

ويقولون : نَقمْت عليه كذا وكذا ـ اى عبته وكرهته ـ فيكسرون القاف في "نقمت" والأفصح الفتح : نقمت ، وهذا الفعل من باب ضرب ، وفي لغة من باب تعب ، والأولى هي الأفصح ، قال ابن السكيت : "وقد نقمت عليه انقم ، والكسر لغة ـ اى في الماضي ـ والفتح الكلام" قلت : وبه جاء التنزيل ، قال تعالى : "وما نَقموا إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله" سورة التوبة ٧٤ . وقال تقدست اسماؤه : « ومانقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » . سورة البروج ٨ ، وقال تقدست أسماؤه « قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن امنا بالله » سورة المائدة ٥٩ ..

ويقولون : فلان ينقصني حقي ، وينقص في الميزان ، فيضمون ياء المضارعة ، والافصح والاكثر فتحها ، ينقصني ، وينقص ، وهذا الفعل ثلاثي ، يستوي فيه اللازم والمتعدي ، يقال : نقص الشيء ، نقصته انا ، ونقصه هو . وفي لغة : انقصه ونقصه ، معدى بالهمزة والتضعيف ، لكنها لغة ضعيفة ، ولم تات في كلام فصيح ، وشواهد ذلك من القرآن المتلو المحفوظ ، "ولا تَنقُصُوا المكيال والميزان" سورة هود ٨٤ ، وقوله تعالى "اولم يروا انا ناتي الأرض ننقصها من اطرافها" سورة الرعد ٤١ ، وقوله "إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا" ، سورة التوبة ٤ . وقد جاء اسم المفعول من الثلاثي

فى قوله عز وجل : "وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص" سورة هود ١٠٩ .

ويقولون : حرص فلان على كذا ، وحرصت على كذا ، فيكسرون الراء ، والافصح فتحها ، حرص وحرصت . وبالفتح جاء التنزيل ، قال سبحانه وبحمده : "وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين" . سورة يوسف ١٠٣ ، وقال عز وجل "ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم" . سورة النساء ١٢٩ .

ويقولون : صلح حالى ، وصلح امرى ، فيضمون اللام ، والافصح فتحها : صلح ، قال تعالى : "جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم" سورة الرعد ٢٣ . وقال تقدست اسماؤه : "ربنا ادخلنا جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم" ، سورة غافر ٨ ، ومن شواهد ذلك فى الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم ، من حديثه الطويل "الا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله" قال الحافظ ابن حجر ، بعد ان ذكر فتح العين "فى "صلح" : "وحكى الفراء الضم فى ماضى صلح" . وهذا بالفعل من باب قعد : صلح يصلح ، وذكر ابن دريد أن ضم اللام فى الماضى ليس بثبت .

وهكذا تكون النصوص التراثية ـ واعلاها كلام ربنا عز وجل ـ وسيلة ضبط وإتقان ، إذا اعتنينا بها قراءة وحفظا .

ويبقى امر لابد من اثارته ، لأنه يتصل بموضوعنا هذا بنسب وثيق ، وان كان فى الظاهر دخيلا عليه وبعيدا عنه ، ولأنه أيضا يتصل بالثقافة العامة وتنمية وجدان الامة : وذلك أنك كنت تجد ـ فى الزمان القريب ـ من أوساط الناس وعوامهم من يأنس للكلام الفصيح ويرتاح له ، ويحفظ منه الشىء بعد الشىء ، وذلك من خلال مايسمعونه من خطيب الجمعة ، العالم المتمكن ، من نصوص القرآن العزيز والحديث الشريف ، والأدعية المأثورة . أما الآن فتكاد خطب الجمعة ـ ولاسيما على السنة الشبان المتحمسين ـ تتحول الى ثرثرة وكلام عام مبهم عن "مدرسة محمد" صلى الله عليه وسلم ، و« الاسلام فى خطر » و « الاسلام هو الحل » وهذا وهذان مما يصرف عن الاستشهاد بالقرآن والحديث وكلام العرب ، واذا اتاك شىء من ذلك فهو يأتيك فى معظمه ملحونا ومزالاً عن جهته . وكل هذا انما جاء من مقولات مضللة ، وهى ان « خطب الجمعة لابد أن تتفاعل مع الاحداث المعاصرة ، وان تشارك فى صنع القرار » ... إلى آخر ماتعرف . وليتنا نعود الى خطبة الجمعة المكتوبة على الورق الاصفر ، والتى كان الخطيب يدعو فى آخرها للسلطان بالنصر ـ ونستغفر الله مما سخرنا من هذه الخطب ـ فمن خلال هذه الخطب المكتوبة حفظنا كثيرا من النصوص ، وضبطنا كثيرا من ابنية الأسماء والأفعال . وربنا المستعان على ما يصفون .

عندما لا يموت الفنان

بقلم: د. صبرى منصور

فن اخراج الكتب

صدر أخيرا كتاب عن الفنان الراحل « عبد الهادى الجزار » وقد قامت السيدة كريستين وزوجها آلان روسيون الباحثان الفرنسيان بجهد هائل استغرق منهما عدة سنوات فى سبيل تجميع مادة الكتاب ، وتصوير لوحاته المتناثرة بين مختلف الجهات والأفراد ، وجاء الكتاب مرجعا وافيا عن فنان له مكانته المرموقة ، وبصمته الواضحة على مسار فن التصوير المصرى المعاصر . وتأتى هذه التجربة للباحثين الفرنسيين أكثر اكتمالا من تجربة الكتاب المتميز الذى سبق لهما تأليفه عن المصور الرائد محمد ناجى . فبالاضافة الى احتواء كتاب الجزار على معظم انتاجه الهام من الرسوم واللوحات وايضا الكتابات ، فان المادة المؤلفة بالعربية والمترجمة الى اللغتين الانجليزية والفرنسية لنخبة مختارة من الأدباء والنقاد والفنانين المصريين والاجانب قد القت الضوء على الجوانب الابداعية المختلفة لفن الجزار ، واظهرت عوامل تكوينه ، واسباب تميزه ومدى اصالة تجربته

وتعرضت ايضا لتاثيره على الاجيال الفنية التالية له . وكان من اهم ما ابرزته تلك الكتابات معالجة الجزار لمسالة الهوية فى الفن المصرى المعاصر ، وكيف كان انجازه فيها

الفنان عبدالهادى الجزار



العائلة .. لوحة زيتية للفنان عبدالهادى الجزار عام ١٩٥١



عندما لا يموت الفنان

انجازا هاما يعد اضافة لما سبق ان قدمه جيل الرواد ـ وخاصة محمود سعيد ومحمد ناجي ومن قبلهما محمود مختار ـ من تمهيد لفكرة الفن القومي او الطابع المصرى المستقل عن القوالب الأوربية ، والذى يمتد بجذوره فى اعماق البيئة المصرية .

● مازلنا فى
انتظار الأجانب

ولقد مضى مايقرب من ثمانين عاما على بداية الفن المصرى الحديث ، وهى فترة قصيرة فى عمر الزمان وفى تكوين الفنون وانهاضها ومع ذلك فقد انجبت مصر فنانين هم بكل المقاييس الموضوعية عباقرة افذاذ ، ومما يدمى القلب الا ينتبه اليهم احد فى بلادنا ، حتى المثقفون فينا واصحاب القلم ، الذين بيدهم تقديم عمل الفنان للجمهور العريض ، والتعريف بأسلوبه وتقريبه لافراد تعودوا على ثقافة الكلمة ، ولقد امتدت اللامبالاة بالقيمة الفنية الحقيقية الى المسئولين منا عن رعاية الثقافة والفنون ، حين انشغلوا تارة باحتضان ثقافة القرون الوسطى ، فنموذج الفن المصرى لديهم لايتخطى الرقص المتخلف الذى يجعلنا اضحوكة الأمم ومثار ازدرائها ، وتارة اخرى حين انتهزوا فرصة الفوضى الثقافية السائدة ، واختلاط القيم ، فلم يتورعوا عن استغلال مواقعهم لاثبات فنهم الضعيف ، الذى لايتعدى محاولات ساذجة لاقيمة لها فى دنيا الابداع .

ان الخسارة الحقيقية تعود على البلاد ، وما كان يمكن ان تجنيه من مكانة ثقافية وحضارية بين امم بات التنافس بينها فى مجال الفنون والابداع لايقل عن تنافسها فى عالمى الاقتصاد والصناعة .

وفى مجال الفنون الجميلة فان اعتزاز الامم بصفوة فنانيها لايتمثل فقط فى اقامة المتاحف التى تحفظ اعمالهم تراثا محفوظا للاجيال القادمة ، وانما ايضا فى العناية بنشره فى كتب ومراجع فاخرة الطباعة والاخراج ، لتكون بمثابة متاحف متنقلة يسهل انتشارها فى ارجاء المعمورة . اما نحن فى مصر فمحاولاتنا فى نشر مطبوعات عن الفن مازالت تحبو ، وحين يتساءل الزائرون لنا عن فنانى مصر ، فلن يجدوا الا تجارب بدائية لاقيمة لها ، فيتاكد لهم ان مصر ليس لديها ماتقدمه لعالم اليوم ، واننا مازلنا نعيش على ذكرى الماضى السعيد .

ويدهش الاجانب الذين يقيمون بيننا فترة من الزمن تسمح لهم بالتنقيب عن خفايا الثقافة المصرية المدفونة ، حين يكتشفون ان فى مصر فنانين لهم قيمة حقيقية فيصابون بالحسرة على بلد لا تستطيع حتى اكتشاف ذاتها ، وبعزيمة تفوق عزيمة اصحاب البلاد يعملون الهمة ، ويبذلون الجهد المضنى من اجل تقديم هؤلاء الفنانين والتعريف بهم ، ليس فقط للعالم الخارجى المتعطش لرؤى فنية جديدة واصيلة ، وانما ايضا لابناء البلاد ذاتها .

وهكذا عن طريق هؤلاء الاجانب لم يمت عبد الهادى الجزار حين حفظوه لنا جزءا غاليا من تراث امتنا ، لن يتم تقديره غالبا الا فى ازمات لاحقة .

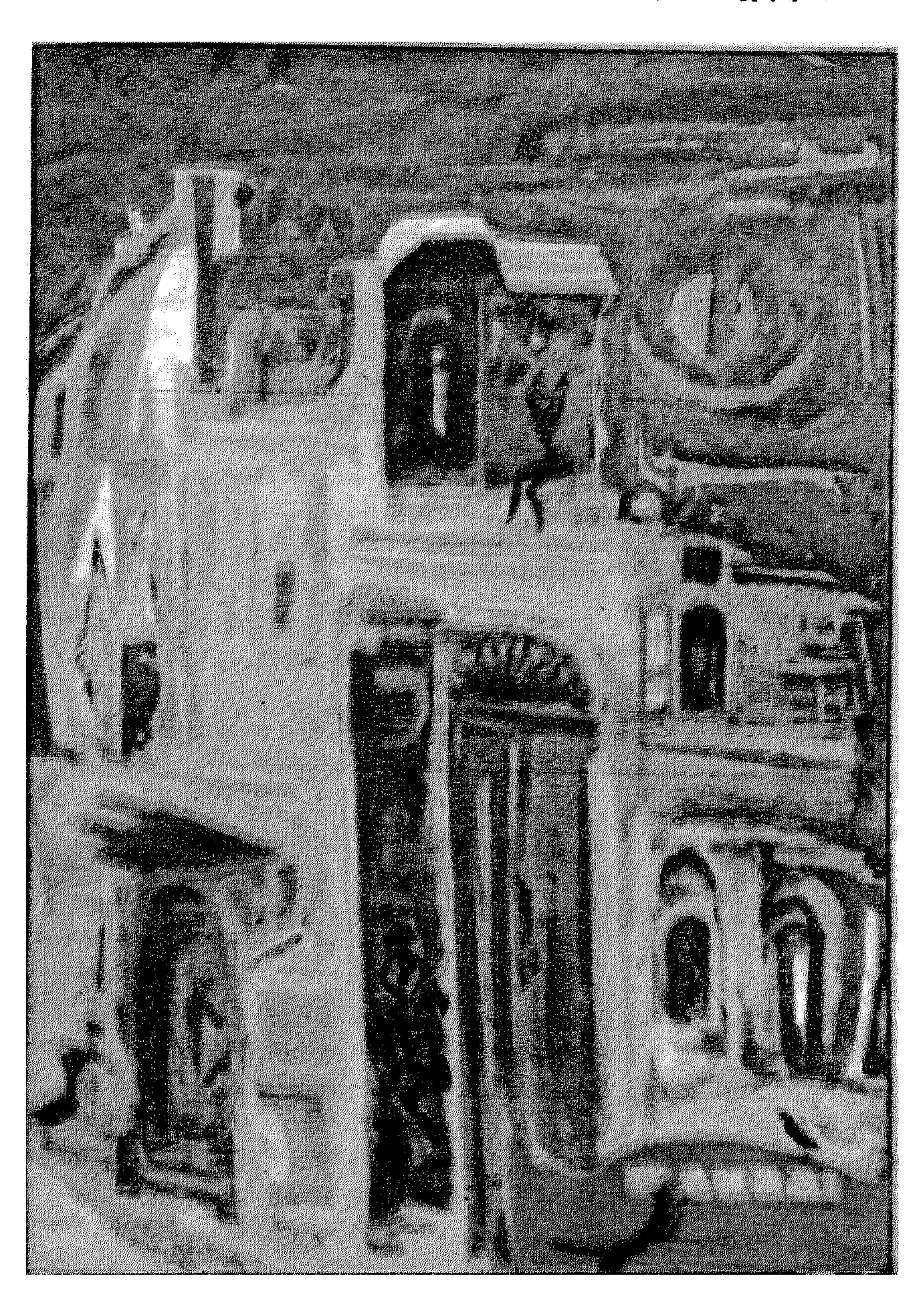
• إبداع فنى تزهو به مصر

حامد ندا .. ١٩٢٤ - ١٩٩٠

اذا كان عالم نجيب محفوظ الأدبى ظل يدور فى اطار حى الحسين والجمالية وخان الخليلى فان عالم حامد ندا المولود بحى القلعة ظل كذلك اسيرا لمفردات البيئة الشعبية التى عايشها اثناء طفولته فى ذلك الحى العتيق ، فكانت احب مفرداته التى مافتىء يعيد تكرارها بصيغ وقوالب تشكيلية متنوعة هى القط والزير والديك والبيوت الشعبية ومصابيح الغاز الى جانب الاشخاص البسطاء .

وقد جاءت بداية حامد ندا الفنية من خلال جماعة الفن المعاصر متشابهة الى حد بعيد باعمال زميله فى نفس الجماعة عبد الهادى الجزار ، حتى ليختلط الامر على من يريد تحديد ايهما كان اسبق الى اقتحام عالم الحياة الشعبية ورموزها ومعتقداتها واستخراج ما تزخر به من كنوز معبرة . فى ذلك الوقت انتج حامد ندا اعمالا تنتمى الى الواقعية ذات المنحى المأساوى ، التى جسدتها شخصياته الشعبية الغارقة فى عالم من الفقر والشعوذة ، ويخيم على وجودها كابوس غامض ، وتميزت المعالجة الفنية بالتلخيص والتبسيط . فى تلك الفترة ايضا اتضحت موهبة ندا التى ميزته فى رأينا عن زميله الجزار وعن كل اعضاء جماعة الفن المعاصر ، وتمثلت فى القدرة الفائقة على التصميم واجراء الحوار التشكيلى بين العناصر المختلفة باسلوب يتسم بالجراة ، وحرية الخيال . ولقد كان ندا ذكيا ماهرا حين ادرك امتلاكه لتلك القدرة ، فخطا خطوة اوسع حين اتجه للتصوير المصرى القديم الذى يقوم على التصميم والتسطيح ، فاستخلص منه قيما تشكيلية ثرية بالحركة والايقاع ، كما تكررت التجربة مع الفن البدائى والفن الاسلامى والافريقى ، وامتزجت عناصر من تلك الفنون لتقدم اجابة على تساؤل مازال مطروحا على ساحة الفكر والابداع عن كيفية تحقيق المعادلة الصعبة فى الجمع بين الاصالة والمعاصرة او كيف يتم التجديد على هدى القديم .

وفى مرحلته الاخيرة التى استمرت حتى رحيله ، تاكدت هوية حامد ندا الفنية ، واضافته الحقيقية للتصوير المصرى المعاصر ، فاسلوبه قد اكتسب خصوصية شديدة ، حين ذابت كل المؤثرات فى بوتقة شخصيته وانطلق حرا من كل قيد ، يجسد انواعا من الرؤى الفنية فى تشكيل فنى فريد ، يتوج به ابداعا فنيا يجب ان تزهو به مصر ، فلا تتركه كما تركت عبدالهادى الجزار حتى انقذه فرنسيان بعد حوالى ربع قرن .



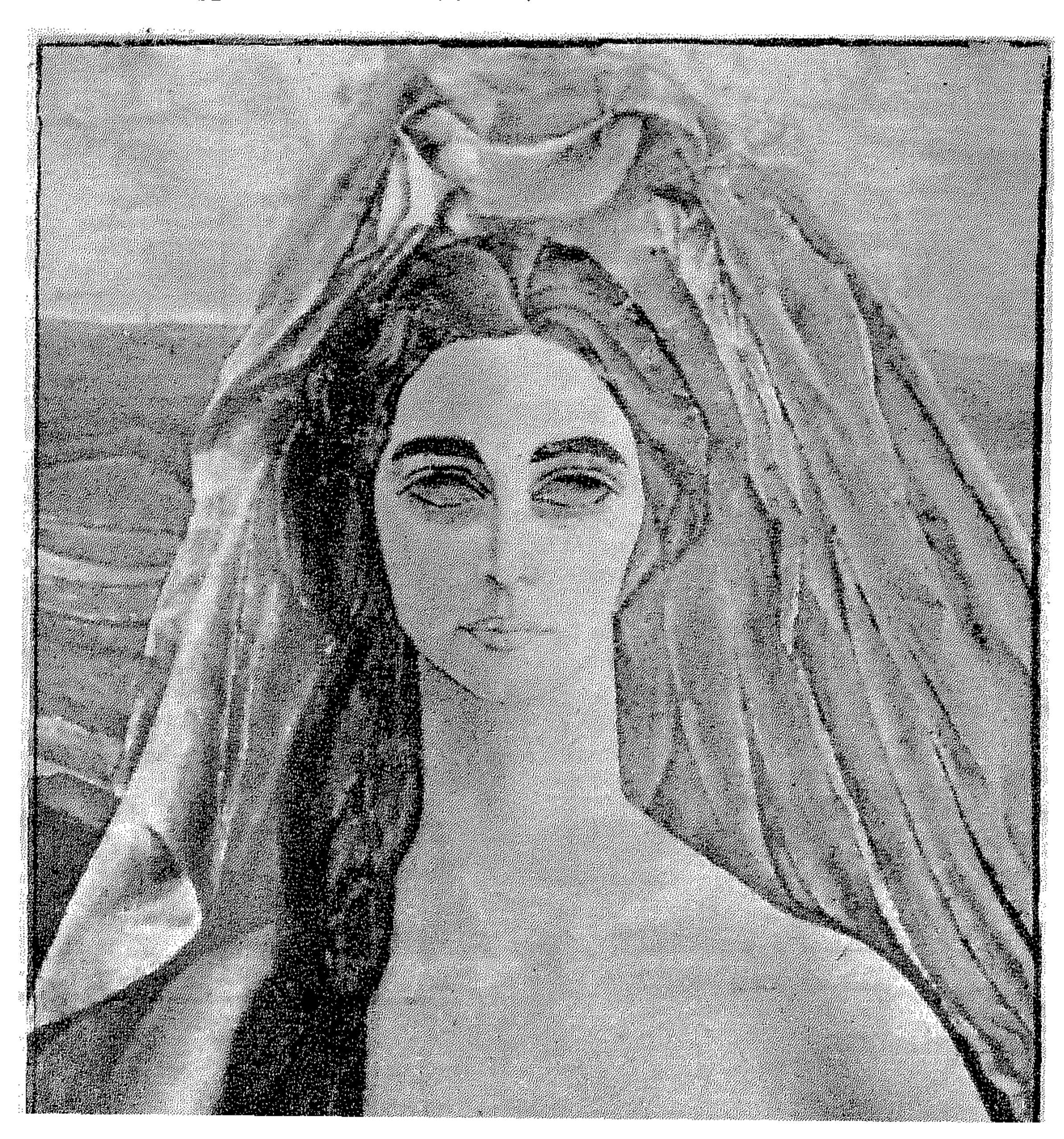
صورة شخصية .. لوحة
للفنان عزالدين حمودة



عز الدين حمودة ١٩١٩ - ١٩٩٠

استطاع الفنان عز الدين حمودة ان يضفي على تجربته الفنية قدرا كبيرا من المهابة والصرامة ، وتلك كانت بعض صفات شخصيته التي حملت الى جانب ذلك مزيجا من الترفع والاناقة ، وكان لدراسته فن العمارة لمدة عامين قبل ان يتحول لدراسة فن التصوير اثر كبير على فنه ، فقد كان محسوبا دقيقا ، ويبدو كبناء معمارى لايحتمل الخلل ، فهو فن عقلانى مجال العاطفة فيه ضئيل ، ومع ذلك فقد كان يخلب لب الكثيرين ، ويستحوذ علي الاعجاب والتقدير ، اذا كان يجسد لهم قيم الجمال المطلق ، والنسب الدقيقة.

للفنان عزالدين حمودة المصير .. جزء من لوحة المصير



وساعد على ذلك ايضا تلك المهارة التقنية العالية ، والاداء الذى يحتاج الى صبر وجهد عظيمين .

وحين بدأ الفنان تجربته الفنية انضم الى جماعة الفن الحديث التى تكونت فى الأربعينيات وكان من بين اعضائها حامد سعيد وجاذبية سرى ويوسف سيدة وزينب عبد الحميد ، وكانت تلك الفترة من اخصب فترات حركتنا التشكيلية واكثرها ثراء بالافكار ، ولقد اختار اعضاء جماعة الفن الحديث ان يمزجوا بين تامل الطبيعة وتامل التقاليد الفنية المصرية العريقة ، ومع ذلك فانهم لم يوصدوا ابوابهم ، دون التقاليد الفنية الاخرى ، فكان اهتمامهم بالتراث الأوربى عامة وبالفن القوطى وفنانى بداية عصر النهضة على وجه الخصوص .

ولقد قدم عز الدين حمودة فى فنه نموذجا ممتازا لفكر الجماعة وهدفها الذى كانت ترمى اليه ، واكب ذلك اهتمام خاص بفن الصورة الشخصية ، واستطاع من خلالها ان يؤلف خليطا من فن عصر النهضة المبكر ، مع عناصر من الفن المصرى والزخرف الاسلامى وتميزت لوحات اشخاصه باناقة ملحوظة فى الاداء ، واوضاع مبتكرة كما استغل حركات الايدى والاصابع فى اضفاء رقة ونعومة على شخصياته وابتكر مجموعة لونية اتسمت بالصراحة مع اشتقاق درجات لونية غير مالوفة . وابتعد فى معالجته عن الواقع التسجيلى مفضلا ادغام المساحات ، واختصار التفاصيل التى لاتفيد التصميم ، وكان ذلك الاسلوب تمهيدا لانخراطه فى جماعة جديدة اطلقت على نفسها جماعة الواقعية الجديدة التى لم تستمر زمنا طويلا ، واندثرت بتفرق اعضائها ، والى جانب الصورة الشخصية فان عز الدين حمودة اولى اهمية خاصة لفن المنظر الطبيعى ، الذى تحول لديه الى مساحات مختصرة للعناصر ، فى صياغة دقيقة تعطى لكل مساحة على السطح حظها الوافر من المعالجة والاهتمام ، حتى تحول انتاجه فى السنوات الاخيرة الى التجريد المطلق واضحى السطح عنده مساحات مشغولة ، يصنعها بدقة الصائغ الماهر الذى يتقن ابداع حلية ثمينة .

وعلى عكس العديد من الفنانين الذين اتجهوا للتجريد دون أن يتسلحوا بالمقدرة الفنية ، او الرؤيا التشكيلية الواضحة ، فوقعوا اسرى لتجارب الاخرين ، وتحول انتاجهم الى مجرد تنويعات على اعمال غربية شهيرة ، فان عز الدين حمودة قد نجح فى أن يقدم نموذجا لفن تجريدى له شخصية واضحة بل شديدة التميز .

هؤلاء هم ثلاثة من ابناء مصر ، ابداعهم الفنى وسام على صدرها ونموذج على التحضر والرقى يحق لنا ان نفخر به ، ويكون مسعانا لخدمة بلدنا تقديمه احسن التقديم، ليس للمصريين فقط ولكن لكل العالم فعن طريق امثال هؤلاء - وليس المزيفيين - سوف نجد لنا مكانا بين الأمم ، ودورا فى التاريخ .

القبيح والجميل
فى السينما العربية

بقلم : مصطفى درويش

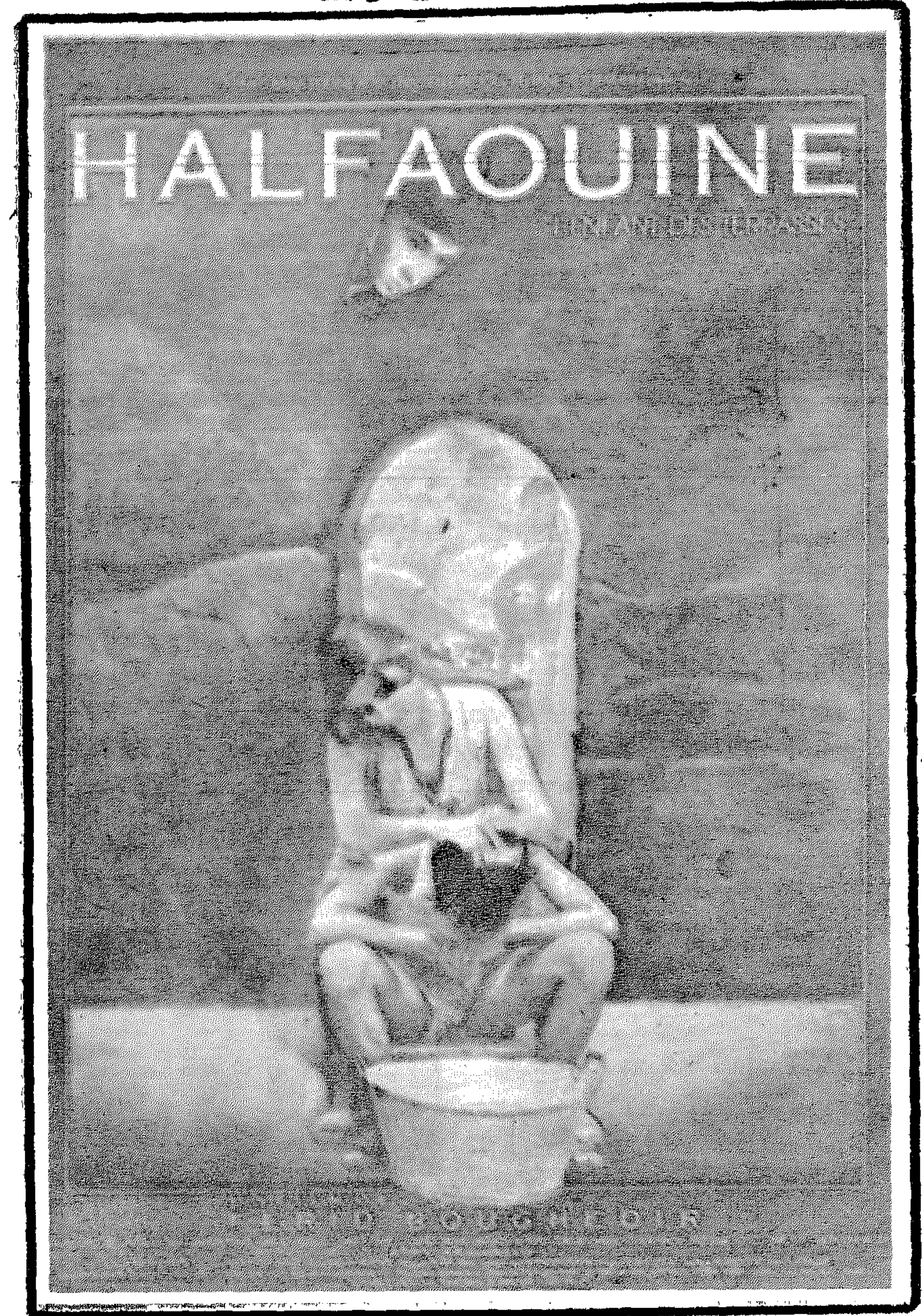
سمعت بالصدفة صوتا لواحد من اهل الكلام منطلقا من احدى الاذاعات الاجنبية ، بالتعليق على السينما المصرية خلال العام الذى ودعناه قبل ايام فاذا به يقول عنها فى غير حرج ، انها كانت فى احسن الاحوال رغم محنة العدوان على الكويت ، وما اعقبها من معاناة وشقاء نتيجة انقطاع مصدر هام من مصادر التمويل .

وانها ستظل كذلك ، اى فى أحسن الأحوال ، لاحتياج ، بل قل ، اشتياق كل ناطق بالعربية اليها الآن ، والى اخر الدهر .

الصبى يتعلم الحب



ملصق الحلفاويين في باريس.

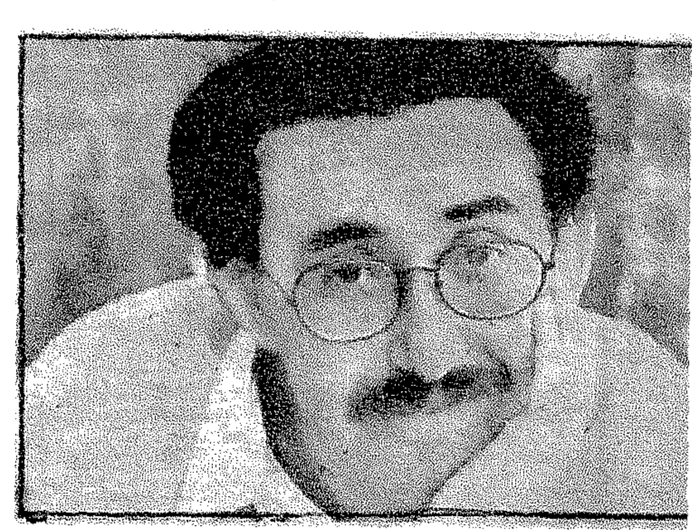


القبيح والجميل في السينما العربية

ومن غريب الامر ، انه لم يكتف بذلك ، بل افتى دون دليل ، بان الجيد من اعمالها قد وصلت نسبته الى خمسة عشرة فى المائة من حصيلة الافلام المنتجة ، وهى نسبة تدعو الى الارتياح والانشراح ، فيما لو جرت مقارنه بينها وبين متوسط ما تستاثره الافلام الجيدة من انتاج السينما الأمريكية وبالتحديد هوليوود حيث مصنع الاحلام .

ولم تمض سوى ايام على سماع هذا الكلام ، حتى كنت قد قرات عرضا فى جريدة النيويورك تايمز (٣٠ / ١٢ / ١٩٩٠) بقلم الناقد «فنسنت كانبى» يصور فيه واقع السينما فى الولايات المتحدة خلال نفس العام تصويرا كاملا دون جنوح الى التمييع والتزويق فاذا بها تبدو فى عرضه كما هى بملامحها

فريد بوغدير صاحب "الحلفاويين" .



ومعالمها وقسماتها ولمحاتها سينما تقفز تكاليف انتاجها الى ارقام فلكية ، هذا فى الوقت نفسه الذى اصبح المتاح من افلامها للعرض العام فى حالة تناقص مستمر ، وآية ذلك انخفاض عدد ما شاهده نقاد «النيويورك تايمز» على امتداد اخر ثلاثة اعوام من ٤١٩ الى ٣٥٤ ثم الى ٣١٣ فيلما فقط لا غير خلال العام الاخير .

واذا به يستخلص من كل ذلك ان كل شيء بالنسبة لصناعة السينما خلال العام المنصرم كان غريبا هشا ، نحن اذن أمام رايين اختلفا على شيء بعينه ، وهو وضع فن السينما فى غضون فترة معينة من عمر الزمان ، بحيث قال عنه احدهما انه فى احسن حال ، وقال الأخر عكس ذلك تماما او كاد .

● حقائق واكاذيب

وغنى عن البيان ان الراى الاول قوامه استهتار عجيب فى كل شيء ارسله صاحبه دون ان يكلف نفسه عناء البحث له عن سند من الواقع الذى تراه الابصار .

فمن اين استمد مقولة ان نسبة الافلام الجيدة خمسة عشر فى المائة من حصيلة الانتاج ، اى ما يعادل اكثر من عشرة افلام فى غضون عام واحد لا يزيد ؟

البادى من كلامه ان مقولته هذه انما تقوم على افلام مثل «السقوط» للمخرج «عادل الاعصر» وهو فيلم لا يمكن ان يطوف بالبال وصفه بالجودة باى حال من الاحوال .

ومن هنا ، وفى ضوء ذلك الحشر ضمن الافلام الجيدة للسقوط وما شابهه

من اعمال سينمائية اخرى عديمة القيمة ، اجدنى مضطرا الى عدم الاطمئنان الى سلامة الاقوال التى جاءت على لسانه وحاصلها ان السينما عندنا فى احسن حال .

فهى ، والحق يقال ، لاتعدو ان تكون اقوالا مرسلة بلا سند او دليل ، او اقرب الى الارتجال الحر الطليق من قيود الواقع .

ولو انتقلنا الى الراى الثانى ، فسنجد ان صاحبه قد استمده من مشاهدات واحصاء وارقام استخلص منها أن الانتاج دائم الانخفاض ، وان السينما تعانى من ضائقة الكساد .

وهو فى عرضه يرد تردى الاوضاع الى اسباب عديدة ، لعل اهمها الافتقار الى افكار جديدة ، مما نرى اثاره منعكسة على فن ابداع السيناريو ، حتى ان سعر المتميز منه قد ارتفع الى رقم المليون دولار فى اكثر الاحيان .

وقد لا اكون بعيدا عن الصواب اذا ما جنحت بدورى الى القول بان السينما عندنا تعانى هى الأخرى نفس المعاناة ، ولاسباب لا تختلف كثيرا .

فالتكاليف تزيد ، والانتاج ينخفض ، والافكار لا شىء يعصمها من الجدب والعقم والاعدام .

● فقر الفكر

ولعل خير مثل على الوقوف والركود ، تلك الافلام المصرية التسعة التى تسللت الى مهرجان القاهرة السينمائى الاخير ، وبخاصة اذا ما قارنا بينها وبين الرائعة التونسية «الحلفاويين» او «عصفور السطوح» فهى جميعا وبلا استثناء . تعانى من فقر فكر ليس منه شفاء .

ولن اقف عند كل واحد منها ، بل اكتفى بالوقوف قليلا عند بعضها دون البعض الآخر لأسباب كثيرة من بينها اولا ضيق المكان ، وثانيا ايجاد متسع من الوقت للحديث عن رائعة المخرج التونسى الشاب «فريد بو غدير» كيف وقفت وحدها دون شريك لها ، هازمة كل الافلام العربية التى عرضت فى المهرجان ، هازئة من سينما اسيرة اطار قديم عفا عليه الزمان .

اول ما يعاب على جميع الافلام التسعة المتسللة ، واقول جميعها ، هو انها مشوبة بتعقيد شديد افقدها البساطة التى لا يسمو اى عمل فنى الا بها ، وبدونها لابد ان يفتقد الجمال .

● نقص الخيال

خذ على سبيل المثال «زوجة محرّمة» للمخرج احمد السبعاوى عن سيناريو مبتكر للناقدة الجادة «ماجدة خيرالله» .

الفيلم يبدأ بلقطات لمبنى ينهار على من فيه من سكان ، تتبعها لقطات لسهير رمزى متشردة على شاطىء الاسكندرية بلا مأوى يحميها من العدوان .

فاذا ما شرع ثلاثة ذئاب بشرية فى اغتصابها تصدى لهم استاذ جامعى فاضل صلاح قابيل فانقذها ولم يكتف بذلك ، بل هيأ لها اسباب الحياة معه فى الحلال .

وماهى الا مدة قصيرة حتى اشتدت عليه علة القلب ، وبلغت به حد الأزمة المهلكة فكان ان التمس من شقيقه «فاروق الفيشاوى» حماية زوجته من عاديات الدهر بالحلول محله زوجا لها فور القيام باتمام اجراءات الطلاق .

القبيح والجميل في السينما العربية

غير انه ، وبعد زواج الشقيق منها ، إزداد تعلقا بها وها هو ذا يذوق مرارة الغيرة عليها ، ويصطلي بنارها المحرقة ، فيتعذب عذابا شديدا .

وبسحر ساحر كتب له الشفاء

وما ان استرد انفاسه ، حتى طلب الى شقيقه ارجاع الأمور الى ما كانت عليه قبل مرضه برد زوجته اليه ، وكانها وديعة بلا حواس واحساس وطبعا ينشا عن ذلك تعقيد بغيض في حياة الثلاثة لا ينتهي الا بالموت !!

● تعقيد وتخليط

ولو القينا نظرة طائرة على فيلم اخر ، وليكن «الهجامة» للمخرج محمد النجار عن سيناريو مبتكر للمؤلف اسامة انور عكاشة لوجدنا انفسنا امام عمل سينمائي يعاني من تعقيد يدعو الى مزيد من الضيق والاتكار .

فليلي علوي في ذلك الفيلم «هجامة» اي لصة ، وحبيبها الذي هو في الوقت نفسه ابن خالتها هشام سليم بدوره هجام .

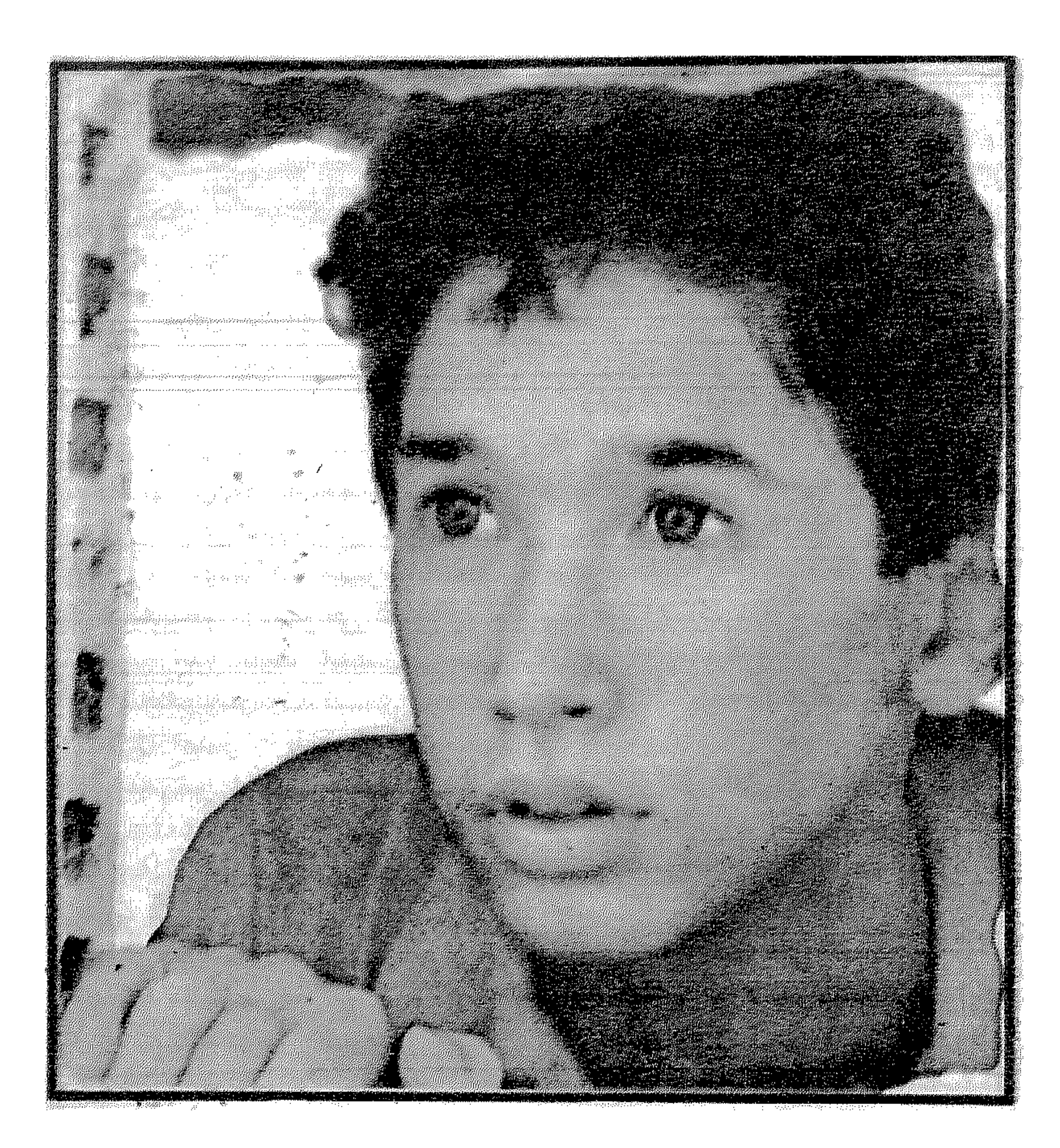
والفيلم يبدا بهما في عملية سطو على منزل واحد من عمد النظام .

وما ان تنتهي تلك العملية بنجاح حتى تفرق بينهما الايام ، هي يلقى بها وراء القضبان حيث تحاكم وتهان ، وهو يقذف به مع الغنيمة الى خارج البلاد حيث يعمل مهربا للسموم البيضاء .

وفي هذه الاثناء تقع احداث الثامن والتاسع عشر من يناير ١٩٧٧

سهير رمزي امراة محرمة في الحلال .





الصبى "نورا" فوق السطوح .

المشهورة تحت اسم «انتفاضة الحرامية» فتمتلىء السجون بالابرياء .

والامر ما يكلف زبانية الاجهزة «ليلى علوى» بالتجسس على الطالبات الجامعيات المقبوض عليهن بالاستغلال لتلك الاحداث ، مقابل وعد لها بالافراج عنها قبل الميعاد .

وما ان يقع بصرها على الطالبات المناضلات .. وهن ينشدن اغنية للشيخ امام ، حتى تكتشف بينهن شقيقتها الصغرى الطالبة فى احدى الجامعات «سيمون» وحتى يحن قلبها اليهن وتتحمس لقضيتهن .

● ثورية زائفة

واذا بها فجأة منضمة الى صفوفهن مناضلة لا يشق لها غبار ويمضى الفيلم هكذا مفتعلا ، معقدا اشد تعقيد ولست

القبيح والجميل في السينما العربية

اريد ان اعرض تفصيلا لاسوأ ما فيه ، وهو تصوير حياة الشقيقتين خارج السجن ، وقيام ليلى علوى بتوزيع رسائل ومنشورات المناضلات ، وهى متنكرة فى اردية المحجبات !!

ولا ان اعرض لموقفها من حبيبها ابن خالتها بعد عودته الى مصر وانكشاف سر ثرائه وهو الاتجار فى الهيروين .

وكيف ابت حياة القصور معه ، مؤثرة شظف العيش والنضال ثم كيف من اجل مصر ، انتقمت منه هو وعصابته شر انتقام ولا ان اعرض لفساد الأمور بينها وبين شقيقتها الجامعية ، وتدهورها الى حد اعتقاد الاخيرة بان اغتيال حبيبها وهو طالب مناضل ، برصاص شرطة محاربة الارهاب ، انما يرجع الى تآمر ليلى علوى مع الجلادين .

وكيف اخذ اليأس يغلبها قليلا قليلا ، والموت يدنو منها شيئا فشيئا .

فاذا باحد مهربى عصابة المخدرات الكبرى يغتصبها ، ثم لا تلبث ان تتعاطى جرعة مميتة من الهيروين وتسلم الروح .

لست اريد ان اعرض تفصيلا لكل هذا الهراء المحطم للقلب ، القائم على الافراط فى التعقيد ، وانما اكتفيت بتلخيصه لا لشىء سوى التمهيد للحديث عن فيلم فريد يتحلى بالصدق والبساطة والغرابة ، ذلك هو «الحلفاويين» .

● غياب الرقيب

ففيه يحكى صاحبه حدوته حياته فى حى «الحلفاويين» قبل الانتقال بها من فردوس الطفولة الى دنيا الرجال .

وهو فى حدوته انما يحكى بصراحة غير مالوفة فى سينما ادمنت الكذب والنفاق وبجراة مدهشة ليس لها مثيل فى اى فيلم عربى من قبل ، وذلك بفضل حدث عجيب اراه احدى المعجزات ، الا وهو ابداع «الحلفاويين» دون تعد من مقص الرقيب الرهيب .

واحداث هذه الحياة ، كما يرويها صاحبها من خلال الصبى «نور الدين» (سليم بوغدير ابن اخ المخرج) تجرى فى «الحلفاويين» ذلك الحى العتيق الذى فيه من عطر تونس المدينة الشىء الكثير .

واول ما يلاحظ على الصبى ، ودلعه «نورا» انه ورغم صغر سنه اذ ليس له من العمر سوى اثنى عشر عاما ، ذو علاقات وصلات متشعبة متشابكة بحيث تبدو لنا حياته وكانها جزء لا يتجزأ من معمار قائم على حوار وازقة مسقوفة لافاصل بينها سوى جدران .

● جمال البساطة

والفيلم فى تصويره لتلك العلاقات والصلات قد عنى بالتفاصيل اشد عناية ، وكان متئدا رزينا لا يميل الى الاستثارة والتهريج .

خذ مثلا واحدا من مشاهد الحمام الشعبى للنساء هاهو ذا الصبى عار الا

من لباس يستر عورته ، وامه تسكب الماء من فوق رأسه ساخنا .

وعيناه تحملقان فى النسوة شبه العاريات المبتلات ، وهن غاديات رائحات ، تمعنان النظر فى كل ما يدور حولهما سعيا الى استكشاف عالم الغيد الحسان .

اننا ، ونحن نستمتع بلقطات هذا المشهد الاخاذ بسحر شاعريته انما نشعر بان امامنا قطعة من الحياة مصنوعة باحكام بيد فنان له ما «لرمبراندت» ورينوار من قدرة على تطويع الاضواء والظلال .

ورغم ان وجود الصبى متلصصا على الاجسام فى الحمام يلعب دورا محوريا ، فان ذلك لا يعنى انه اذا ما اردنا ان نلخص «الحلفاويين» تكفينا كما ذهب بعض السينمائيين الكارهين لنجاحه ، وان نقول عنه انه فيلم تدور احداثه داخل نساء .

● سر النجاح

فالواقع انه غير ذلك تماما ، فاللقطات داخل الحمام قليلة جدا ، لا تمتد لاكثر من دقائق معدودات .

أما اللقطات خارجه ، وهى جوهر الفيلم ، فتارة فى البيت الكبير حيث يعيش «نورا» فى كنف امه وابيه تاجر الاقمشة والمطرازات ، ومع خالتين احداهما «لطيفة» المراة الجميلة المطلقة المنطلقة ، والاخرى «صلوحة» العانس المحرومة من نعمة الجمال ومعاشرة الرجال .

وفوق كل هذا الشغالة الحسناء التى جاء بها شيخ الحى حارس القيم وسمسار الخادمات ، وانتهى بها الفيلم طريدة لا لسبب سوى انها افقدت الصبى البكارة .

وتارة فى الحى العتيق وازقته الملتوية حيث الشابين المراهقين الذى يتلصص «نورا» على الاجسام فى الحمام لحسابهما ، املا منه فى ان تشفع له معلوماته عن اسرار أجساد النساء ، فسيمحان له بالانخراط فى سلك الرجال .

وتارة فى دكان عم صليح «محمد ادريس مدير المسرح الوطنى» الاسكافى المولع بالموسيقى والمسرح والخمر والذى يصل ولعه بالحرية الى حد الاعتراض على شعار النظام الحاكم «فكرة» الزعيم هى الكل فيستبدل به شعارا اخر «فكر تنا» هى الكل بلا زعيم معرضا بذلك نفسه للقبض والتشريد .

وتارة فى اماكن اخرى من بينها اسطح البيوت البيضاء حيث حبات القمح والحسناوات يفترشن الأرض متعة للناظرين وحيث ينتهى الفيلم ببطلة الصبى «نورا» متمردا ، مطاردا من الاب ، محلقا على انغام اغنية عذبه تقول فيما تقول «دعوا العصفور يطير» .

يبقى ان اقول ان كل هذه البساطة الجميلة الاخاذة هى ولاشىء اخر ، السبب فى تتويج فيلم «بوغدير» بالجوائز الكبرى لمهرجانات «باستيا» و«فينسيا» و «قرطاج» .

وهى ، ولا شىء اخر ، السبب فيما كتب للفيلم من نجاح جماهيرى منقطع النظير حيثما عرض ، ويا له من نجاح !!



بحث فى الغابات :

صورة حقيقية من يوميات غابة

شعر : بهيج إسماعيل رسم : حلمى التونى

|١|

النــوم

الغابة الكثيفة الضجيج والشجار
تنام نومها المعتاد ..
بعد عركة النهار
الطير يغمد المنقار والأظفار فى الأشجار
والوحش يغمد الأنياب كالحراب فى اصطبار
فالليل هدنة
والكل فى انتظار
وتخرج اللصوص من كهوف الصمت والضغينة
تسعى بلا دبيب
ففى الظلام رزقها ، وفى السكينة
قانونها الذى وعته فى الحليب :
ياثعلبى الضرير ..
كن مخادعا وماكرا .
ياذئبى الصغير ..
كن مثابرا وغادرا
واغنم من القانون غفلة العيون والرقيب
فليس بالغباء وحده تسلم الفريسة
وانما يكون الظلام ، فى وقوعها ، نصيب

|٢|

اليقظة

قرب الصباح تهطل الامطار
لتوقظ الغصون والعيون والشجار
لتستعد صحبة الأشرار للنهار
لكنه فى معظم الاحيان
تندفع السيول كالخيول ضاريات
لتفزع الوحوش والطيور والنبات
تهز كل الكائنات
وتصبح الفوضى هى الشعار
●●●
يقول سنجاب سريع الفهم
نقلا عن السنجاب زوج الأم
نقلا عن الكبار :
لا تنتظر
وفيم الانتظار
والكل اما هالك او فار
إغنم من الفرصة اى غنم
إركب على الموجات قبل الانحسار
ففوقها تعوم اطيب الثمار !

| ٣ |
النظام

تنحسر السيول فى الانهار
يبرز قرص الشمس ، فاضحا ،
مباغتا
يفاجىء العيون والبطون ..
صامتا وشامتا
فتزار السباع والضباع والعقبان
وتهرب الجرذان والغزلان
يعود للنظام كل شىء :
الصوت للكبار
والصمت للصغار
والقتل والعفو بالاختيار
●●●

يصيح فى شتاته .. حمار
مطارد من السباع
يا ايها الجياع
عقلى ، دليلى ، احتار
قلبى ، دمى المسفوك
يا طالما سألت
عن حكمة الملوك
من ذلك الغبى ، ذاك الذى يختار
السبع ذا الانياب
ملكا اكل الغاب
ويترك الحمار ؟!
يقال فى الجواب :
يا ايها الحمار
هذا هو الحمار
هذا هو القانون :
الملك .. القوى
والموت .. للضعيف
والشك .. للذكى
والصمت .. للاليف
وكلنا احرار !

| ٤ |
الصاعقة

ينقلب السكون فجأة الى رعود
وتبرق الصواعق القديمة النظار
تخطف فى عليائها الابصار
تتخذ القرار
تحدد المسار
تنقض .. تصعق الشجر
فتستحيل السوق والاوراق والثمار
قذائفا من نار
وتملأ الزمان والمكان
روائح اضواء والبردى
وتصبح النجاة والحياة
لمن يجيد القفزة الطويلة المدى
او ضربة الجناح فى سخونة الرياح
ولا خيار !
يقول ضبع هارب لتوه من وكر
وراكب ــ فى قفزه ــ الهواء
لو انتى اضمن فى الوكر الامان والبقاء
لعشت عاما كاملا .. مرفها وعاطلا
اطعم هذى الجثث الاكيدة الشواء !
وبينه وبين نفسه يقول فار
مختبىء بذعره فى قاع قاع الجحر
انتى هنا ولا ابين
فالنار للشجعان والكبار
امـــا انـــا ..
فلن انفع او اضر
اعيش فارا .. واموت فار

| ٥ |
المطاردة

إثر هبوب النار الصاعقة على
الغابات
تندلع ـ على مر الوقت ـ الريح
الملتهبة
تجرى فى إثر الحيوانات التعبة
تشعرهم بالأضرار
وتسوى بين الكل
فى القهر .. وفى الذل ..
وفى العار
يقول قرد . ناضج ، فى ذلة الفرار
وتارك وراءه المكان والامان
آه ..
لو عم الغاب سلام
لو نلقى أى طعام
أو ماوى
لكن .. واأسفاه
لا زاد .. ولا ماوى
الا إن بات الاضعف
فى بطن الاقوى !



| ٦ |
الراحة

تتوقف ريح الاعصار الحار
ريح الذل
ويعود الليل كما كان
ويعود العقل
مكتسبا بعض الخبرات

| ٧ |
العودة

ويطل نهار
ويذهب ليل
ويعود الصمت الى الغابات
لكن
ذات صباح او ذات مساء
تعلو صيحة طير تتبعها صيحات
وسريعا ..
ما تبرز انياب
وتدوى صرخات
وسريعا جدا
ماتنسى الحيوانات !

قصة قصيرة



حكاية واحدة تبحث كثيرا!

الاستاذة سميحه

قالت :

ـ أستاذ ، أحب أن تقرأ بحثى .. صحيح أننى لم أكتبه لك ، وانما كتبته لاستاذ آخر .. ولكنى أحب أن تقرأه ..

ودفن رأسه بين الورق وجعل يقرأ .. وكان البحث غريبا ، فالبنت تتحدث عن الجنس .. ورفع رأسه عن الورق فارتطمت عيناه بعينيها .. كان فى عينيه تساؤل ودهشة ، وكان فى عينيها تحد واستعلاء .

قال لنفسه : ان البنت تتحدانى ان أحجر على حقها فى البحث فى مسائل الجنس .. وقال لنفسه : ان البنت تسخر من قدرتى ان اكون على مستوى التحرر الذى اعلنه فيما اكتب وفيما أقول .. وقال لنفسه : أن البنت تحس باستعلاء طبيعى اذ اخترقت حاجز الصوت ، واجتاحت منطقة محرمة على مثيلاتها ، بل جنسها كله .. على الأقل بكل هذه الدقة والفهم والاستيعاب ، وعاد يدفن رأسه فى الورق من جديد ـ يمر على الصفحات ببصره وواعيته ، وإذا هو جنس صريح لا اخفاء فيه ولا تورية فى الكلمات المستعملة .

وحين رفع رأسه اليها ، كانت نظرة التحدى مازالت موجودة وإلى جوارها كانت تملأ وجهها ابتسامة لزجة خبيثة .. مليئة بالتحدى الساخر .

وللحظات لم يفهم ، فسكت .

كانت البنت حلوة ، وانيقة ، وما تفقده فى الجمال الصارخ يغطيه اللبس المنتقى ، والزينة المدروسة ، ولم يكن فيها مايمكن أن ينفره ، أو يبعده عنها .. وكانت تنبعث منها رائحة هادئة ولكنها ملحة ومستمرة ومستفزة فى آن واحد ..

والتقت عيناه بعينيها .. هذه النظرة المستفهمة منه ، وهذه النظرة المتحدية منها .. وطالت النظرة حتى أطرق هو ، وابتسمت هى فى ارتياح .

وعاد يدفن رأسه فى الورق من جديد .. كيف يبعد عنها تماما ، كيف ينسى أنها أمامه ، وأنها وجود يفرض نفسه .. ؟ فقط يجب أن لا يرفع عينيه إلى عينيها ، يقرأ ويقرأ وينصرف عنها تماما إلى القراءة .. هبت نسمة تحمل عطرا ، العطر يحمل كلمة ، قولا ، فكرة ، رفع رأسه فأصطدمت عيناه بقدميها .. الدوامة تدور ، وهو لايعرف لها نهاية ، الندى يمر ، ثم يليه الندى الآخر ، ثم وجه مبتسم ، ثم عينان تقول نعم ، وعينان تقول لا ، وكل شىء يدور .. من الذى جاء بهذه البنت إلى هنا ؟ الفم ينفتح فى ابتسامة ، الفم ينفتح فى كلمة صامتة ، الفم هادىء ، الفم ثائر



مخيف ، وانت ملعون ياسيد .. أنت ملعون .. الكعب مدور أحمر ، فى لون الورد ، بل فى لون الدم ، ما الذى لفتك إلى الكعب الأحمر ، ربما الحذاء الأبيض ، الساق الوردية المنسدلة تمتد كأنها جزء من تكوين لم يكمله فنان فتنه جمال مايصنع ..

نسيت نفسك ، انت فى سن أبيها ..

كل الصور تأخذ وضعها الطبيعى .. ويعتدل كل شىء ، والبنت تواجهك بوجهها ، وأقدامها فوق الأرض أنت لاتراها والبحث أمامك ، وأنت تقرأ من جديد .

وقالت :

ـ يا استاذ .. مارأيك .. ؟

ورفع رأسه اليها فى صمت ، كان وجهها ملتهبا بالحياة ، وكان هو يحس ان الحياة قد غادرته من من زمن ـ وما كان يستطيع أن يجيب على سؤالها .. ألف ألف كلمة بينه وبينها ، الف الف تعبير يحول دونها ودونه ، فقط صمت .. ثم رفع رأسه فى شجاعة مفاجئة ، وثبت نظرته فى ثقة إلى وجهها وقال : ـ

هذا بحث عظيم .. وجهد ضخم ، وأنت لاشك على الطريق إلى شىء كبير ، لو استمرت قدراتك بنفس عطائها .

ضحكت ، فذاب .. ولم تحس به فقد كانت تضحك بحرية وسعادة وهى تقول :

ـ جميل رأيك هذا يا أستاذ .. فالكل يخالفنى ويمنعنى أن أنشر هذا البحث .

ووجم ، فقد اقتربت منه حتى فاح عطر شعرها فمسه ، وحرك فيه مشاعر صارخة ينبغى أن يقهرها ، وينبغى أن يحجبها .

وعادت تقول وهى تمس كتفه بأصابعها الطويلة الرقيقة الصاخبة فى لمستها :

ـ هل تنشره لى ؟

افاق ، فالتفتت اليه وهو يهز رأسه كأنما ليبعد عنها نسيجا متضاغطا يلفها ويمنعها من الحركة وقال :

- انشره لك .. ؟ ماذا انشر لك ؟

ضحكت وقالت :

- هذا البحث .

العطر ازداد أريجه ، انتشر حتى ملأ ، حتى احتواه ، حتى لفه فى غلالته . وأى عطر هذا ؟ نسيج من الياسمين والبنفسج ، والبصل . انه ريح يهب كالاعصار ويحس انه يترنح ويخشى ثقل رائحته ،

يخشى الحاح رائحته ، يخشى اصرار رائحته .. ويهمس فى ضعف :

- نعم هذا البحث ..

كانت تقترب وتقترب ، الرداء مضموم فى عنف ، وكل شىء ينفر منه فى إدلال ووضوح .. الثديان ينفران ، يتحديان الثوب يقهرانه ، ويقولان ويصرخان . الثوب ، شديد الالتصاق ، والهواء ثقيل والحر لافح ، والعطر فواح ، الياسمين ، النرجس ، الليمون - البصل .. فواح - فواح .. قمة الثوب عند الخصر ، والبطن مكور بارز بعض البروز وهى تقترب وتهمس :

- أنا هنا ياأستاذ ، أين ذهبت ؟

وكاد يضيع .. بل هو ضاع .

مد يديه فاحتواها فى صدره ، ومد وجهه فاحتواها بين شفتيه ، ومد وجوده فاحتواها كلها مرة واحدة . وهمست ، وتنفست فى وجد وشوق ، وافاق .. أبعدها عنه قليلا وهمس :

- أنت حلوة ورائعة ولكن .. أنا أستاذك .

سكتت .. وتوقفت ، هنا كانت .. وهنا اختفت ..

- لو أمكن أن يأكل الكلمات ، لو أمكن أن يسكت صوته ، لو أمكن أن يصمت ، أن ينسى كل هذا الذى قاله ، ولكنه قال وتكلم وانتهى الأمر .

وتراجعت وجهها هدأ ، وهذا المد الشيطانى فى عبثها تحول إلى اتهام وإدانة ..

لملمت نفسها ، ولم يعد فيها ماتعرى ، كل شىء ، دخل فى كل شىء ، فاذا هى معه مجرد انسان يواجهه بكل التحدى والعنف .

وقال :

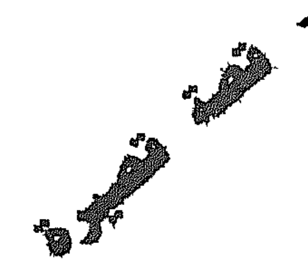
- لم أقصد أن نغدو أعداء .

قالت :

- لم أنس لحظة انك استاذى ، وماكنت أريد الا رأيك .

وتضاءل فى داخله ، شىء فيه انكسر ، شىء فيه تصدع .. شىء فيه انهار .. تذكر ليالى الوحدة المخيفة وليس معه إلا الورق والقلم وذكريات حب قديم .. ولاشىء ولا أحد .. هى حلوة شهية ومتاحة . ولكن .. ياتعس لكن ..

ماذا يريد أن يفعل ، وكيف يواجه مايفعل ؟ الليل انقض على النهار فاحاله إلى لاشىء ، لا هو نهار ولا هو ليل .. الحب انقضت عليه الكراهية ، فأحالته إلى



لاشيء ، لاهو حب ولا هو كراهية .. الأبوة انقضت على الاشتهاء ، فاذا هو لاشيء .. لا الحب دام ، لا الاشتهاء استمر ، لا الكراهية موجودة ، لا وفاء الرجل ولا المرأة موجودة .

مزيج من كل شيء ، ومن لاشيء .

مامعنى كل هذا .. ؟ كانت تقف فارعة ، مدلة بجسدها ، الثديان نافران والبطن هضيمة ، والعجز بارز ، وضحكت وعيناها تلمعان من جديد .. وأحس أنه يموت ..

شيء صلب فيه منعه أن يمد يده ، أن يمد وجوده ليأكل كل هذا .. شيء متاح وواضح وصريح .. ولكنه كان دائما يتذكر أنه في سن ابيها .. وأنه استاذ .

وكل أيام الجوع ، كل ايام الضياع ، كل أيام الحرمان ، كل أيام الوحدة القاتلة القاسية العنيفة ، ولكنه استاذ ..

لن تدخل البنت ابدا على يديه إلى عالم غامض مشوش مخيف ، ماله ولهذا ، بل هو كل هذا وأكثر .. ياولد . ظللت تردد الكلمات لتعيش بها ، وها أنت ذا تموت بالكلمات .. ياولد .. ياولد .. داخ .. ودارت به كل الأشياء ، وهي مازالت ماثلة امامه بكل نظراتها ورغباتها ، وتقول :

ـ لم أنس لحظة أنك استاذي .

والدوامات تدور في رأسه ، وكل شيء ينقلب ويدور ، ولايعرف له معنى الا أنه موجود .

الرغبة هي كل الموجود .. ولن تخضع للموجود .. بل تريد المعنى ، فالرغبة ضاعت ، وانقهرت وانصرفت ، وانك وحيد .. مع كل ماتحب ، كتبك ، افكارك ، مثلك ، تعيش من أجل وهم عريض بدأ وطال واتصل .. ثم لاشيء .

هي تلم نفسها .. وهي تتراجع متهمة مدلة ، ساحرة ، قوية .

وانت يا أنت .

أحس أنه عجوز منهك ومتعب ، أحس أنه قد بلغ المائة ، وانه ينحدر بعدها إلى الهاوية ، أحس أن كل شيء قد هدأ واستقر وضاع .

قال كأنما يعتذر ، كأنما يريد للكلمات أن تنقل اليها حياة كاملة تتحطم في داخله :

ـ أنت شيء عظيم .. انت كل شيء ولكن .. ولكني ..

وصمت وأطرق .. ونظر إليها في حزن .. لملمت كل شيء .. ثم ضحكت عابثة معاتبة لائمة ، ساخرة .. ومضت ..

وجلس وحده يلملم اشلاء لاتلم .. فقط أحس أنه اخفق في شيء ما .. أن شيئا ضاع وانتهى .. وانه حزين .

خـرجت ، وجلس وحده يسأل :

ـ كيف أهمل رائحة القرنفل ، كيف نسي أنه انسان ..

رد على نفسه يقول :

ـ اترك مكانك هذا وافعل ماتشاء ، تنكر لكلماتك ، لماضيك ، لمثل تحب أن تكونه ، وافعل ماتشاء ويعود يقول :

ـ والعطر والريحان .. ورائحة البصل الحادة الرهيفة .

ورد على نفسه يقول :

ـ وانك تحاول ترد كلمة للغد ، وانها بعد حين كل الغد .

ويصمت .

وكل عثرات الرجال تملأ وجود انسان حي ، يريد أن يظل حيا .. هيهات ، فما الاحياء إلا مجرد ارقام .

ومن جاء رقمه .. مات ..

وساعتها يتحسر انه لم يعش كإنسان ، وانه مات كرقم .

رقم مات .. وماذا في أن رقما مات .



مأساة الكتاب العربى

بقلم : سليمان فياض

مأساة الكتاب العربي ، هى مأساة أيضا ، للكاتب العربى ، وللقارىء العربى ، وللناشر العربى .

وهذه المأساة للكتاب العربى ، تتمثل فى أمر واحد ، وهو أن هذا الكتاب يعانى من مشكلة طرحه وتوزيعه على أوسع نطاق ، وفى وقت واحد فى أوطان العالم العربى ، فى مدنه الكبيرة والصغيرة على السواء فى عواصم هذه الأوطان ، وعواصم الأقاليم ومراكز القرى الرئيسية .

فالكتاب العربى ، يصدر فى عواصم القاهرة أو فى مراكش ، أو فى تونس ، أو فى الخرطوم ، أو دمشق ، أو بيروت ، وسواها من عواصم الأوطان العربية ويظل حبيس هذه العواصم ، وما يحيط بها من مدن كبرى ، ولاينتشر منها الى سائر المدن ، فى الوطن الواحد ، ولا إلى مدن الأوطان الأخرى .

كيف ؟ بالمنطق ، وبالعقل .. كيف ولغة الكتاب العربى واحدة والتراث الثقافى وراء كتابه مشترك ، والمصالح القومية العليا لهذه الأوطان ، والغايات الثقافية النهائية للكتاب العرب .. متقاربة ، ومنشودة ، والكتب العربية ، مؤلفة ومترجمة ، يكمل بعضها بعضا ، ويسد بعضها نقص بعضها الآخر ، إبداعا ، وأبحاثا ، ودراسات .

كيف ؟ بالمنطق ، وبالعقل ، وبالواقع أيضا .. كيف .. وعدد القارئين العرب ، مجتمعين فى كل فروع المعرفة ، لو ضموا بعضهم زائد البعض الآخر ، لأربى ، فى الحد الأدنى ، على المائة الف ، لتوزيع أى كتاب عربى ، بل لتوزيع أقل كتاب عربى إثارة لاهتمام سواء القراء العرب .

ولماذا ؟ بالمنطق وبالعقل ، لماذا يعانى الكتاب العربى من هزال التوزيع ، فى اللغة الواحدة ، وقراء هذه اللغة الناطقون بها ، والقارئون لها .. ولماذا يظل الكتاب العربى حبيس أوطانه الصغرى . فى عواصمه ومدنه الكبيرة ؟

ثمة أسباب معروفة لهذه المعاناة وذلك الحبس القهرى ، والمقصود من بينها : أختلاف السياسات الثقافية فى هذه الأوطان ، برغم الكلمات السياسية عن الثقافة الواحدة ، وبرغم المؤتمرات الوزارية للاعلام وللثقافة ، الموحدين بالكلام ، وبرغم المهرجانات والندوات

« المشكلة والحل »

الأهلية فى كل عام ، عن الكتاب ، والأدب والعلم .. ومن بينها القيود العربية الموضوعة على الكتاب العربى ، تصديرا واستيرادا خوفا بالطبع . من الافكار التى تحملها الكتب العربية ، من وطن الى آخر ، وكأن الهدف هو تكريس التجهيل للمواطنين العرب ، فى كل أوطان العرب .. ومن بينها غباء الناشرين العرب ، هذا الغباء المطلق ، مع أن لهم ، فى أكثر من وطن عربى ، اتحادا اقليميا للناشرين ، وربما كان لهم أيضا أتحاد للناشرين العرب .

والسؤال الآن هو ، ومن أجل الكتاب العربى ، والكاتب العربى ، والقارئ العربى والناشر العربى .. هذا السؤال هو : لماذا لاينشئ الناشرون لهم فى كل وطن عربى، دارا كبرى للتوزيع الاقليمى هدفها تغطية مدن أوطانهم الصغرى ، بالكتب التى ينشرونها فى كل فروع المعرفة .. ولماذا ، بعد تحقيق هذه الغاية ، لاينشئون من دور التوزيع هذه ، ، ومجتمعة ، دارا كبرى للتوزيع على مستوى العالم العربى كله ، بعواصمه ومدنه الكبرى والصغرى ، لكى يصل الكتاب العربى الى مائة الف أو يزيدون من القراء ، ويكسب الكتاب ، والناشر ، والكاتب ، والقارئ ، ويتقارب بالثقافة ، وعى أمة ، وفكر أمة ، وروح أمة ، وتتوحد بالثقافة غايات أمة ، وغاية هذه الغايات ، هى : التكامل العربى فى كل مجالات النشاط الانسانى والقومى والمعرفى . وإنشاء هذه الدور للتوزيع ، كشركات تجمعها شركة كبرى ، للتوزيع ليس بالأمر العسير ، بمساهمة الناشرين ، فى هذه الشركات والشركة الكبرى ايضا ، مساهمة لها عائد ، وعائد كبير ، فى كمية المطبوع ، وفى عائد الكتاب ، بطبيعة الحال ، فى دورة المال .

ولماذا لايمارس الكتاب ، والناشرون ، ضغوطا متواصلة ، بالقول ، ونحن أمة القول ، وبالقراء أيضا أمتداد العالم العربى ، ولنستحدث معا عاما اسمه : "عام الكتاب" ، لانشاء دور عربية كبرى لتوزيع الكتاب فى كل وطن عربى ، ودار كبرى لتوزيع الكتاب العربى ، على مستوى الوطن العربى ، وليكن الشعار هو : الكتاب العربى لكل القراء العرب .. فى عام الكتاب العربى .

« الزير سالم »

نص واحد ومخرج واحد وعرضان مختلفان

بقلم: فاروق عبد القادر



● حين وقف هجرسي ، ابن كليب وجليلة ، على هذه الخشبة ذاتها في الأيام الأخيرة من ١٩٦٧ يدعو للائتلاف ونسيان الثارات القديمة ، كانت دعوته تلقى اذانا صاغية وقلوبا متفتحة .

اما حين يقف اليوم ، يردد الكلمات ذاتها : « ايها السادة .. اديروا ظهوركم لأمسي الدامي الأسود ، واستقبلوا يومكم وغدكم بدله ، فذلك أدعى للائتلاف ، وهو بداية حياتكم .. الائتلاف ضد اعدائكم ومحرضيكم والمفسدين والطامعين ، الخ » فانه يبدو كمن يتوجه الى جدار اصم ، فها نحن نشهد عالمنا العربي - بلغة المسرحية ذاتها .. وقد تمزق شذرا مذرا » !

دار الزمان ، واختلفت الاستجابة لرسالة العمل ، حتى بدا وكأنه ينتمي لماض تم واكتمل ووقف بعيدا هنالك وليس هذا وجه الاختلاف الوحيد ، على أية حال .



دار الزمن.. واختلفت الاستجابة
لرسالة نفس العمل الفني

الزير سالم

كتب الفريد فرج « الزير سالم » بهدف واضح : ان يجعل من بطل السيرة الشعبية بطلا « تراجيديا » حسب مفهوم البطل التراجيدي المشدود دائما نحو المطلق ، وخطيئته ـ كبرياؤه هي التي تقوده للدمار ، وكما انه « عربيد في الحب لايرضي الا باللذة الكاملة ، عربيد في الشعر لايرضي الا بالكلمة الكاملة ، كذلك يجب ان يكون عربيدا في الحياة لاترضيه الا الحقيقة الكاملة» ، تلك الحقيقة الكاملة في السيرة الشعبية معجزة : ان تكلمه الأرض ، وهي عند الفريد معجزة كذلك : كليب حيا .

لهذا لايبدو منطقيا ان يقبل سالم المصالحة لحظة احتضاره ، وأن يرضى ببعض العدالة ثمنا للعدالة ، (وهو نفس السؤال الذى واجه سليمان الحلبي ورفض ان يأخذ به ومضى لمصيره بعيون مفتوحة) انه هنا يبتعد عن مفهوم ، البطل التراجيدى الذى اراده المؤلف ، ويبدو رجلا منكودا سيىء الحظ أيقن ـ في لحظاته الأخيرة ـ ان عناده في طلب ثأر اخيه كان ضربا في طريق خاطىء كلفه حياته !

زد على ذلك مسألة الزمن ، يكتب الفريد ـ في تقديم النص المطبوع ـ انه منذ قرأ اهل الكهف « لم يعرف عملا فنيا يناقش مشكلة الانسان والزمن بهذه الفكرة المسبقة رجع لاحداث السيرة ، ورغم المولوج الطويل الذى يلقيه سالم ويبرر فيه المعجزة التي يطلبها من الطبيعة ورغم أن هناك بعض المشاهد التى يمكن تفسيرها على أنها جوانب لموقف الانسان من الزمن ، هجرس يرى نفسه في مرآة طفولته ، وسالم ينام سبع سنوات كاملة ، ورغم ان بناء المسرحية كله دائرة زمنية محكمة يلتقى طرفاها ـ اقول : رغم هذا كله بقيت فكرة صراع سالم ضد الزمن ، قشرة عقلية « خالصة » تتخفى وراءها ، رغبته في الثأر لاخيه ، وانفاذ وصيته بالا يصالح مستجيبا لمشاعره نحو الملك ـ الاخ الذى سقط رأسه غيلة وغدرا .

وجاءت رغبة الفريد في أن يسرد « كل » احداث السيرة ويعيد صياغة شخصياتها الرئيسية لتفرض عليه ان يختار طريقة المشاهد الصغيرة المتتابعة (الفصل الأول في عشرة مشاهد ، والثاني في خمسة عشر ، والثالث في ثمانية) ، على نحو ما استخدمها في « الحلبي » لكنها هنا ـ ومن حيث ان الحدث لايمضي لامام ، بل يراجع لوراء ـ اكثر تحررا من حيث تتابعها الزماني والمكاني على السواء ، وقد يسرت له هذه الحرية رسم شخصياته على نحو واضح ، جليلة منذ البداية حريصة على العرش لاتفكر الا فيه وتتآمر في سبيله مرتين ، وجساس حاقد على كليب يرى نفسه احق منه بالعرش ، ولايجد امامه سبيلا سوى الغدر ، فيغدر مرتين كذلك ، اما ذلك الجانب الممزق في جليلة بين حبها لزوجها القتيل وشقيقها القاتل ـ وهو مااهتمت السيرة الشعبية بابرازه ـ فقد اختار الفريد ان يفصله في شخصية مستقلة هي اسماء اخت كليب وسالم ،



الفريد فرج

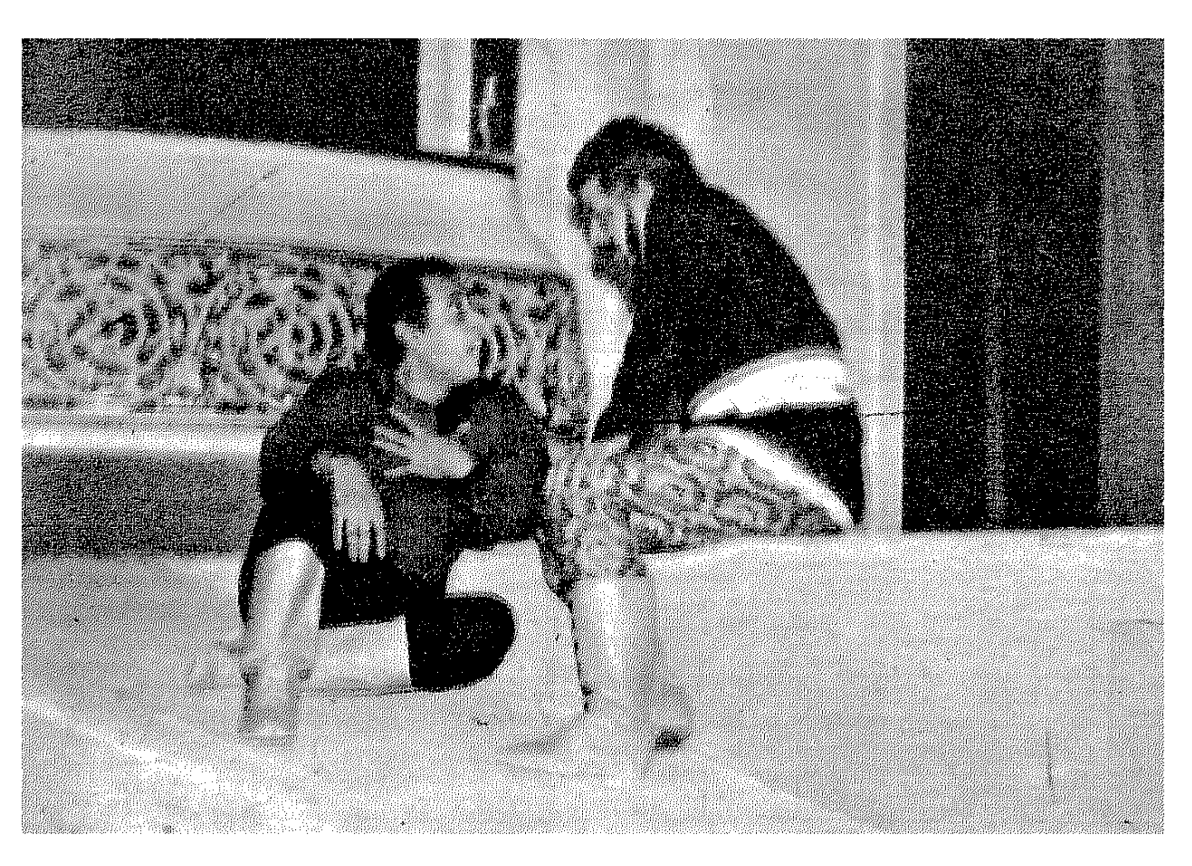
وزوجة همام شقيق جساس وجليلة، وبقيت المشكلة حقا هي شخصية سالم، الذى نراه بوجوه متعددة لاتربط بينها حقيقة واحدة.

وقد لايكون هنا المكان الملائم لمزيد من مناقشة النص (أحيل من شاء الى مناقشة تفصيلية للنص في مساحة للضوء، مساحات للظلال، القاهرة، ١٩٨٦ ص ـ ٣٩ ـ ٤٥ يكفي القول بان احدى ميزات الفريد فرج عندى ـ وهي بعض ماجعل له هذه القامة في المسرح العربي المعاصر ـ قدرته على الابتعاد من اجل الاقتراب، وقدرته على ان يتناول السيرة الشعبية برؤية عاشق المسرح، العارف بتراثه، بعبارة اخرى: قد يرى العارفون بالمسرح بعض مشاهد تحيلهم الى اشباه لها في التراجيديات الكبرى (لقاء هجرس ويمامة على قبر كليب يمكن رده الى لقاء اوريست واليكترا في « اورستية » ايسخيلوس، وظهور شبح كليب يمكن رده لظهور الشبح في « هاملت » والعلاقة بين سالم ومضحكة يمكن ردها الى العلاقة بين « لير » ومهرجه . الخ » وانني أرى فيها تميزا لاينكره، ولا اظن المؤلف يتعمد اخفاءه، فهو حقه المشروع في استلهام تراث المسرح، وتبقى « الزير سالم » مسرحية عربية خالصة.

وطبيعي أن يكون تعدد المشاهد وتباعدها في الزمان والمكان هو المشكلة الأولى أمام الاخراج وحمدى غيث هو الذى أخرج العرض القديم والجديد على السواء. هنا نلاحظ أن اسلوبه في التعامل مع تلك المشكلة اختلف اختلافا واضحا في العرض القديم: قسم المسرح لمستويات ثلاثة، واستخدم عمقه مستوى رابعا، وأعد مصطبة الى يمين الخشبة مستوى خامسا، وكان طابعه التلخيص والاستفادة ما أمكن من الديكور البسيط الذى يبلغ حدا كبيرا من الاختزال، وتتولى ستائر الاشرطة التى تتدلى من سقف المسرح، وتغيير الاضاءة، احداث الفواصل في الزمان والمكان.

وانني اذكر الآن ان ايقاع العرض القديم كان بالغ البطء، كما كان العرض كله يعتمد على درجة الاحكام التى تتحقق في استخدام الستائر والاضاءة، وكانت هذه الدرجة تتغير من ليلة لأخرى.

أما في هذا العرض الجديد فقد انطلق حمدى وممثلوه يحققون ايقاعا سريعا متدفقا للعمل كله، استخدم سواتر شفافة، وقطعا صغيرة من الديكور يحملها الممثلون، وجعل العرش في أعلى المسرح فارضا هيمنته على الساحة كلها، وأفاد من تلخيصه السابق للعرض ذاته والاستخدام



قدم الممثلون عرضا ساخنا متدفقا لا تخلو فيه الخشبة لحظة واحدة

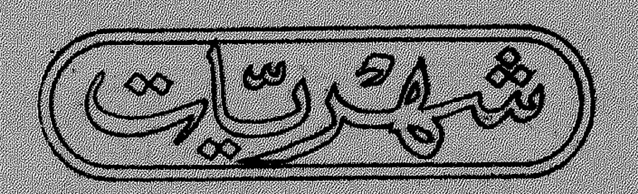
متعدد الوظائف للقطع القليلة .

المهم أنه انطلق هو وممثلوه ليقدموا عرضا ساخنا متدفقا لاتخلو فيه الخشبة لحظة واحدة ، في الوقت ذاته كان يوفر للحظات المثقلة «المنولوجات بوجه خاص » ايقاعا أكثر هدوءا لتتفجر دلالاتها .

يقول أصحاب العمل، إن هذا الأسلوب في الاخراج قد وفر حوالي ثلاثة ارباع الساعة من زمن العرض ، ولست متاكدا من صحة هذا القول ، لكنني متاكد من أن العرض قد تخلى عن بطئه القديم ، وأكاد اقول إن حمدى غيث بدا في هذا العرض اكثر حيوية مما كان عليه قبل أكثر من عشرين عاما !

كنت أرى جماعة الممثلين ، وفي بعض ذاكرتي « نجوم » المسرح القومي الذين قدموا العرض القديم (عبدالله غيث .. سميحة ايوب ـ توفيق الدقن ـ محمد الدفراوى ـ محمود الحديني .. الخ) ولست أحب المقارنات التي لاضرورة لها ولاجدوى منها ، فقد أثبتت جماعة الممثلين تلك (نبيل الحلفاوى ، سهير طه حسين ، فايق عزب ، خليل مرسي ، نجاة علي .. الخ) انهم قادرون على أن يكونوا فريقا متكاملا ومتجانسا ، من نلحية ، وأن يتمايز كل منهم بادائه على الآخرين ، من الناحية الاخرى (وانني أحس انني مدين بتحية خاصة لاستاذة التمثيل السيدة نجاة علي . إن ظهورها النادر على خشبة المسرح يحمل لحظات من المتعة الخالصة) .

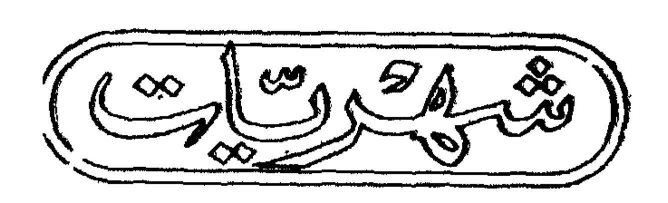
غلبت حماسة الشباب صنعة المحترفين ، وقدموا لنا عرضا ممتعا ، أثبتوا فيه انهم قادرون على التصدى لنص من أصعب نصوص المسرح العربى المعاصر .



• مسرح •

رحلة التنوير
وعرض لا مسرحى

بقلم: مهدى الحسينى



قدم المسرح القومي عرضا مسرحيا باسم « رحلة التنوير » وكما ورد في « البانفلت » . فالمادة العلمية للكاتب الصحفي « سامح كريم » والتأليف لـ « د . سمير سرحان » و « د . محمد عناني » والاخراج والديكور والملابس لـ « د . حسين جمعة » والاشعار لـ « محمد بهجت » والالحان لـ « أحمد الحجار » والتوزيع الموسيقي لـ « د . مصطفى ناجي » والتعبير الحركي لـ « علي الجندي » والتمثيل لنخبة من « نجوم وممثلي المسرح المصري » اي انه قد شارك فيه ٨ من المبدعين ، و ١٠ ممثلين اساسيين ، و ٤ مطربين ، و ١٥ ممثلا ثانويا ، و ٢٥ ملبين راقصين ومجاميع ، اما من كانوا خلف الستار فقد بلغوا ٤٥ فردا وهكذا لا يقل المجموع عن ١٠٨ . ويقال ان هذا العرض قد تكلف ربع مليون جنيه ، ولم تبلغ ايراداته ربع تكلفته ، وتم عرضه ٤٢ يوما فقط ، واستغرقت كتابته ٣ اشهر ، وبروفاته ٩ اشهر !!.

يتناول هذا العرض فترة من اكثر مراحل تاريخنا الوطني خصوبة ، فالنهضة القومية التي بدأها حسن العطار والطهطاوي وكل من عمل لمساندة المشروع الحضاري لمحمد علي ، وأعقبها فرسان قهوة « متاتيا » كالأفغاني والنديم وصنوع والبارودي وعرابي » أثمرت تواصلا فكريا عميقا وعريضا تجلى في صورة نهضة فكرية وعملية قادها لطفي السيد وقاسم أمين ومحمد عبده والمرصفي وسعد زغلول ، وضمت العشرات من العلماء والمفكرين والمبدعين ، أغلبهم ولدوا بعد هزيمة ١٨٨٢ كأنما ارادت الامة أن تثبت خصوصيتها إزاء كل من حاولوا إفناءها .

وقد أثار هذا العرض قضايا عديدة منها : ماهية الفكرة المسرحية وفيم تختلف عن الفكرة في غير المسرح ؟ وهل تصنع الفكرة .. اي فكرة عملا مسرحيا ام أن للمسرح افكارا مخصوصة ؟ أم انه لابد من معالجة فنية خاصة حين تناول الافكار في فن المسرح ؟ هل تصنع الفكرة الحدث ، لم ينفجر الحدث فيثبت فكرة معينة ؟

هل العمل المسرحي كالمعادلة الرياضية ، نسعى بتحليلها لاثبات فرضية مسبقة ؟ أم اننا نبدأ من معطيات مادية يمدنا بها مصدرنا الابداعي ؟

واذا قال الكاتبان في الاهرام «ان رحلة التنوير تدور حول وجهة نظر محددة ، وهي

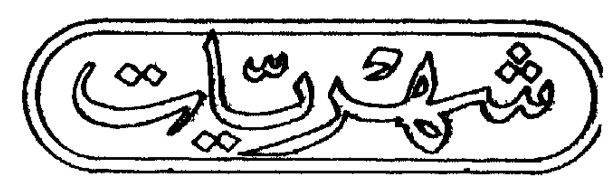
ارتباط مفهومْ التنوير بمفهوم الحرية » فالرد على هذا أننا ازاء فن المسرح ، والمفاهيم وحدها لا تخلق مسرحا ، لأن الفكر في فن المسرح غيره في فن المقال أو بين صفحات الكتب ، فالفكرة المسرحية ، فكرة مادية من حيث أنها تتجسد في نبض وحياة من دم ولحم ، فهذا هو التمييز النوعي للفكرة المسرحية عن الفكرة غير المسرحية . وفي ظني أن مثل هذه العروض لا تنطلق من مجرد فكرة ، انما تولد من « جينة » مسرحية متضمنة حدثا وشخوصا وصراعا معا .. فتنجم الفكرة ، نعم قد يدفع الفنان خاطر ما .. أو فكرة معينة ، ولكنه حين يمسرحها لابد وأن تنبع من حدث ، حتى المسرحيات التي تقوم على الجدل الذهني المجرد بين فكرتين ، فحين توضع على منصة العرض لابد لها من حدث درامي من نوع خاص ، إنها لا تكتسب مبرر وجودها - والمسرح حياة - الا بفضل حدث له مواصفات درامية ، فماذا حدث في رحلة التنوير ؟ !

● مسمع كاريكاتوري

يبدأ العرض بمسمع كاريكاتوري طويل - أو هكذا يبدو - لمجموعة من التلاميذ في مدرسة ازهرية ريفية ، يتذاكرون دروسهم ويختلفون حول ما اذا كان الدرس للحفظ أم للفهم ، وحين يصرّ احدهم « نجيب » على الفهم ، يسارعون الى الوشاية به الى شيخهم ، ويتهمونه بأنه من أتباع الشيخ محمد عبده ، فيقرر شيخهم حرمانه من « الفَتّة !! » بل وفصله من المدرسة ، وهكذا افتعل مؤلفا العرض موقفا ساذجا ليثبتا فكرة ، وهذا المنحى إنما هو قلب لعملية التأليف الدرامي ؟ لذا فقد الموقف المختلق حضوره ، وافتقد أثره المطلوب طوال العرض ، ولعل الكاتبين ادركا جفاف ما صنعاه وخواءه فأضافا « الفتة » إلى الموقف ، فقد تخفف طراوتها من هذا الجفاف ، ويلقي الشيخ بقصعة الفتة للتلاميذ ليفرغ هو في مساومة غريبة مع صديق يريد الزواج من شقيقة زوجته ، وهكذا ظن اصحاب العرض أنهم أصابوا قضية الظلام والنور بوجهيها الفكري والاجتماعي دفعة واحدة .

● رتابة وملل !

وحين سألني أحد الممثلين في التنوير عما إذا كان العرض قد اعجبني ، فأجبته : نعم .. لكن لم يعجبني الطول ، ولم تفت صديقي هذه المفارقة ، فقد أدرك للتو أنني قصدت الرتابة النابعة من السرد التفصيلي بلا أحداث تذكر ، فلا تفتأ تسمع « الرواة !! » يرددون : يقول قاسم أمين ، ويقول الأفغاني ، ويقول الرافعي ، ويحكي المازني ، ويقول .. ويقول ولنقرأ معا ، .. وفي عام ١٩٠٨ كتب العقاد ، وفي عام كذا حدث كذا !! ليست هذه صيغة للعرض المسرحي ، ماذا يمثل الممثلون ؟ وفي ظني أن وقوع الكاتبين في هذا الخطأ ، يرجع إلى أمرين : الأول فكري الا وهو أنهما تفاديا التحلق حول بؤرة درامية تنصب فيها كل الخيوط والاحداث والشخوص ، هي بؤرة التنوير الناصعة الكبيرة التي لا يخطئها قارئ واع لتاريخنا الحديث . وهي ثورة ١٩١٩ العظيمة التي وحدت الشعب وصهرته . أما الأمر الثاني فهو حرَفيٌ ، وقد يرجع الى استنكافهما أن يطلق على اسميهما اصطلاح « المعد » أو « الدراماتورجي » علما بأن هذا الأمر لا يشين صاحبه ، فتلك مهنة مرتبطة بأحدث التطورات في المسرح الحديث . نجد ان المعدين



يقللان من شأن المادة العلمية ويقولان : « إنها مجرد أوراق كان قد جمعها سامح كريم من كتب معروفة ومتداولة » فلماذا خضعا إذن لمشيئة الوزير حين فرض عليهما شخص المعد ومادته العلمية المتداولة ؟ !! ولماذا لم يقوما بردها إليه ؟ ولماذا لم يبلغا الوزير وقد اضطرا (لمراجعة المصادر الأصلية مما كتبه الرواد انفسهم وما كتب عنهم) واخيرا .. هل للوزير مصلحة ما فى تكليف سامح كريم بالذات أم لانه كاتب عرف عنه درايته بمثل هذه الشخصيات ؟ ولماذا لم يترك لهما الوزير المهمة من أولها لآخرها ؟ أم أن الوزير قد اعتبرهما غير مختصين فى هذا المجال ؟ ولحسم هذه القضية : اقول أنه اذا قام المعدان بنفسيهما بالبحث العلمى والتنقيب التاريخى ، وحصلا على تقييم دقيق لهوية الشخصيات الاربع وطبيعة الظرف التاريخى ، ثم حولا التراجم الى شخوص درامية حية على المسرح فى اطارها التاريخى . فان هذا يعتبر تأليفا ، أما إذا شاركهما متخصص - مهما كانت كفايته - فإن هذا يعتبر اعدادا ، على أن الاعداد الجيد يفترض هضم المادة العلمية هضما تاما ، لتفرز من جديد .

● خطأ مسرحى !

والكاتبان لم يخلقا مواقف درامية هامة ولم يبتدعا شخوصا ولم يؤلفا حبكة ، ولم يحددا أطراف الصراع بين انصار الظلام وانصار النور ، ومن ثم لم يبينا اسبابه ، وفقا لمعطيات الأحداث الاصلية فى التاريخ المصرى ، ومن الناحية الحرفية ، فانه قد فاتتهما أصول البناء المسرحى ، رغم أنهما يقومان بتدريسها فى الجامعة فقد سردا قصصا عن الأربعة : العقاد والرافعى والمازنى وطه حسين ، قصة بعد قصة ، بينما كان بإمكانهما تفجير كل هذه القصص فى دراما واحدة ، لو أنهما تفاديا تكرار الزمن وتكرار عرض الموضوع فى كل مرة .

لقد انحصر اهتمام المعدين بسرد كمية كبيرة من المعلومات ، ولم يهتما بجوهر الاحداث وقانونها السببى ، بل كانا يفترضان ان الاجيال الجديدة والتى ولد أغلبها بعد عام ١٩٥٢ على دراية تامة بكل ما تم قبلها ، فمثلا يتحدثان عن مشروعات الانجليز بالجزيرة فى السودان كبدهية ، وعن مدرسة الديوان الشعرية كمعلومات عامة يعرفها كل الناس !! وينسى المعدان ان الاجيال الجديدة - ولا ذنب لها - لا تعرف كثيرا عن هؤلاء الرواد ، بل ان العرض مقام اصلا لعقد هذا التعارف الذى لن يحققه سرد المزيد من المعلومات ، خاصة أننا إزاء جيل يرى ويسمع ولكنه لا يقرأ .

● إغفال للمفكرين بالجملة !

والعجيب أن النص الذى يحمل عنوان « رحلة التنوير » يتعرض لاربعة فقط من المتورين ، ويظل المعدان بأن الأربعة ولدوا عام ١٨٨٩ متجاهلين العشرات الآخرين . تكوين عرض من كل هؤلاء يلم شعثهم جميعا لو أحسن اختيار نقطة الهجوم والاطار وأسلوب السياق والسمة المميزة وزاوية التناول . وفن المسرح هو هذا التعويض المكثف والرفيع عن الثقافة المفقودة ، فاذا كان للتلفزيون فرصة

التعليم وتلقين المعلومات وسرد الوقائع والتفاصيل وتصوير المخطوطات والفوتوغرافيا والأماكن الأصلية ، فان فن المسرح قد أعفى من هذه الأعباء التفصيلية ، بل يجب أن تعود به الى جوهره وسمته الأصيل ، وليكن مضمونه التفلسف وروحه الشعر ، وبحثه جوهر الأسباب .

ولكى ينفذ مسرحنا إلى لب مهمته ، ويتقلد مكانته ، لابد له أن يتجنب لغة الصحافة والاحاديث اليومية الدارجة التى استخدمها الكاتبان ، ولغة النثر السردى المنقولة عن مصادرها إلا لضرورة فنية ، بل إنهما هبطا حين استخدما تكتا لفظية طفولية كتسمية البرلمان بـ « البرطمان » !! فالحوار المتوقع عن التنوير ، ومن شخوص تصارع الظلام ، هو حوار يجب أن يرتقى الى مستوى الشعر والرمز ، حوار جدلى يعبر عن صراع بين الأفكار السلفية وبين الأفكار التقدمية ، وصراع بين الأفكار التغريبية الاستعمارية وبين الأفكار الوطنية .

غير أن الكاتبين لاذا برواة ثلاثة يتبادلون الكلام (لا الحوار) وأحيانا لا يتبادلونه ، وانما يلقونه بالتعاقب كمثل البرامج الاذاعية الاعلامية الدارجة ، وكان هؤلاء الرواة الثلاثة فى حيرة من أمرهم . كيف يؤدون هذه الكومة من الكلام دون أن يفقدوا انتباه المشاهد ؟

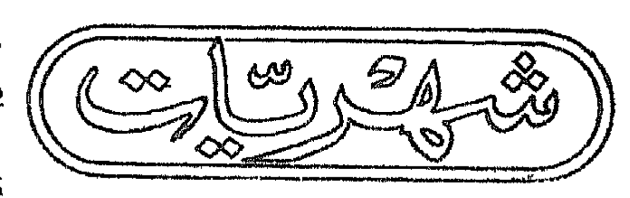
● بنية اعتباطية

ولما كان هذا العرض مبنيا على الأقوال لا الأفعال ، فان هذا يعنى بنية اعتباطية ، تبدأ من قاعدة الشىء بالشىء يذكر ، فبعد حكاية خطبة صديق شيخ الكتاب لشقيقة



اربعة من فرسان التنوير . العقاد ، طه حسين ، الرافعى ، المازنى ..

زوجته على انغام اغنية (أبحث عن بيضاء) نجد الطالب النجيب « نجيب » يتذكر قولا لقاسم أمين (ان نظرتنا للمرأة يجب أن تتغير ..) وفجأة يقطع الراوى « صبرى » هذا ليقول (أما الآن ونحن على مشارف القرن العشرين .. فان جيشا اجنبيا يرابط على ارضنا) وتمر مظاهرة أطفال تغنى « ياعزيز .. ياعزيز » ثم يقول نجيب ، ويكمل صبرى ، بينما نرى فى الخلفية جنودا انجليز لا يلبسون ملابس انجليزية ولا يحملون علما انجليزيا يميزهم للمشاهدين ، ثم يتفكر نجيب (ما معنى التنوير الا التحرير .. تحرير شقائق الرجال من عسف الرجال .. وتحرير الارض من المستعمرين .. وتحرير الذات



من الخرافات المدسوسة .. وتحرير العقل من قيود التفكير حتى ينتفع بعلوم العصر .. وتحرير الحكم من استبداد الحاكم .. بل وتحرير الآداب مما ران عليها من الزيف) ويعترف الكاتبان على لسان الراوى (ولكن هذه مهام متباينة .. مختلفة متشعبة) وهذا ما كان على أصحاب العرض ان يدركوه ، انهم ازاء موضوع متباين متشعب ، لهذا لابد له من معالجة حكيمة منذ البداية ، ثم إننا نفاجأ بدخول « العقاد » بعد لحظات من حوار حول قضية المرأة ، يسبقه تعليق من الرواة ويصحبه ويعقبه ، ثم نشهد طابورا يغنى نشيدا من تأليفه « قد رفعنا العلم » ثم يباغتنا الراوى (كان العقاد منذ طفولته يعرف أنه ولد ليكون كاتبا ..) ثم نسمع أغنية (كبر الولد) فيتحول الممثل الصغير الى ممثل كبير » احمد مرعى » ليروى لنا كيف تعلم التاريخ الوطنى ، ثم كلام للرواة ومنهم « سهير طه حسين » عن تاريخ حياة العقاد ، وكيف عمل بالصحافة ثم نرى لقاء بينه وبين رئيس تحرير احدى المجلات الهابطة ، ثم نسمع حوارا اذاعيا آخر بين العقاد ونجيب عن نفس الموضوعات ، لنفاجأ بسهير تقول (تعالوا نطوى الزمان الى عام ١٩٣٠ .. ولندخل قاعة محكمة الجنايات) ولا ادرى ما الذى دفع بالمخرج كى يبنى محكمة على المسرح !! فتشهد محاكمة العقاد بالعيب فى الذات الملكية وهذا أحد المواقف القليلة الموفقة فى النص ، حيث شهدنا محاميين هما « عبدالرحمن الرافعى » و « مكرم عبيد » ويدهشنا الراوى حين يتحدث عن تصفيق حاد من جمهور الحاضرين فى المحكمة ولا نشهد الا تصفيقا متهافتا ولا نسمع تسجيلا صوتيا موحيا ، وفى استرجاع خاطف الى البرلمان يصور المخرج احمد ماهر رئيس الجلسة بممثل فتى غض صغير ليقوم بهذا الدور !! وتنتهى المحاكمة بأغنية ورقصة وتعليق من الرواة .. هذا هو نسق هذا العرض وسياقه !

ويعود الرواة إلى الحديث عن الصراع الدامى الذى خاضه الرواد للارتقاء بعقول المصريين ولا نشهد شيئا من هذا الصراع رغم أننا فى مسرح ، ثم (يسمّع) الراوى عناوين كتب العقاد « عبقرية عمر .. وعبقرية محمد .. الخ .. الخ » بعد ذلك يتم تقديم « المازنى » سهوا ويقول فيه الشاعر أجمل قصائد العرض ، غير أننا نسمع فقط عن المازنى أو منه : المازنى مترجما ـ اديبا ـ ساخرا ـ شاعرا ـ لغويا ـ ابن البلد ـ ولا نشهد مشهدا مسرحيا واحدا .

ويلفتنا هنا امر غريب ! هذا الاضطراب فى بنية شخصية « نجيب » فهو فى حواره مع المازنى لم يعد نجيبا ، اذ يرفض كلام المازنى عن تجديد اللغة . ويقف إلى صف الجمود والرجعية ، كان الأصل فى هذه الشخصية أنها رمز لجيل جديد يتمسك بالعقل ويتسلح بالوعى ، وبهذا فقد أخل الكاتبان بمبدأ هام فى بناء الشخصية الادبية ورسمها ، الا وهو قانون اطراد السمات فى تكوين الشخصية ، وهكذا فقد امكانية مفيدة ، وهى ان يجعلا من نجيب هذا مثيرا للصراع وطرفا فى الجدل ومفجرا للحوار وممهدا لتساوق الاحداث .

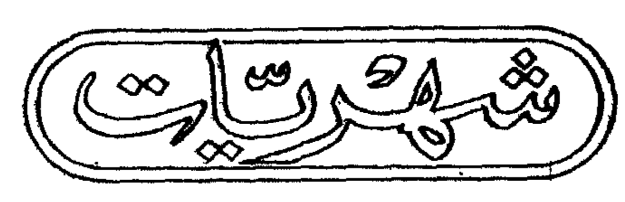
بعد ذلك نصادف « الرافعى » حين يصادفه المازنى فى الطريق ، ولنسمع عنه ومنه ايضا . مفكرا ومؤلفا ومرشحا برلمانيا فائزا ، ثم فى حوار مع نجيب يطرح افكاره عن تنظيم النسل والصناعة وكتابة التاريخ ، ثم يجيئون الى « طه حسين » الذى يقول عنه نجيب (لقد تأخر ذكره ولاشك .. افلم يلعب دورا فى التنوير وهو الكفيف الذى حرم نور العينين ؟ ويالها من مفارقة شائعة ؟ وياله من اعتراف بالاعتباطية (تأخر ذكره ؟) ثم نشهد ثورة ١٩١٩ فى صورة مظاهرة هزيلة تدعو للاشفاق ، ويظهر لنا طه حسين هابطا من سلالم مرتفعة - وهذه السلالم صعدها وهبطها الممثل المسكين عدة مرات دون موجب - ونشهد بالسرد أو فى شذرات حوارية باهته : طه حسين فى الكتاب - ثم عائدا من الأزهر - ومازال الحوار يتكرر حول التلقين والتفكير ظنا من الكاتبين ان هذا هو التنويع على « تيمة » واحدة !!

فأين إذن « المعادل الموضوعى » الذى افنى فيه د . رشاد رشدى السنوات التى عمل فيها بالدراما ، شرحا لضرورته ؟ أين النفاذ الى جوهر الاحداث لا ظاهرها وباطن الشخوص وسماتها الدفينة ؟ فقد كان المطلوب بلورة كل شخصية فى بؤرة اساسية ، وتمييزها بسمة غالبة ، ورسم نسيجها النفسى الداخلى ونسيجها الاجتماعى الخارجى وتقييمها دراميا ، فهكذا نستطيع الاجابة عن سؤالين مترابطين : ما هو الصراع الرئيسى - لشخصية مثل المازنى - وما صراعاتها الثانوية ؟ وبالاجابة يمكن للكاتب لم شتات الشخصية الدرامية وصياغتها مهما كان واقعها متنوعا أو مبعثرا ، وخلق نسق مطرد لها أو ما يسمى برنسم الشخصية فى الكتابة الأدبية .

● تحرير المرأة

أما عن دور نساء مصر « هدى شعراوى » وبنات جيلها فكان أمام الكاتبين فرصة ثمينة لم ينتهزاها ، رغم انهما أثاراها بروح مشبعة بفكرة طيبة وهى ربط تحرير الأمة بتحرير المرأة (تحرير شقائق الرجال من عسف الرجال وتحرير الأرض من المستعمرين) غير انهما يسوقان موقفا مصطنعا لسجانين يحيطان بـ « المرأة الخالقة » التى يقول عنها الراوى (لقد انجبت هذه المرأة اربعة رجال) وتغنى سهير (من بلطنى خرج الرجال) وترفض عسف السجان (اناشدكم : فلتسقط القضبان) إن النص لم يسلسل هذا الخط تسلسلا منسقا متصلا متصاعدا (كالسيناريو) حتى نصل الى قمة تحرير المرأة فى نزع الحجاب فى ثورة ١٩ ، ومواجهة رصاص الانجليز ثم اقتحامها الحياة العامة بالتعليم والعمل فى شتى المجالات ، وزاد الطين بلة أن العرض لم يحتفظ بشخصية سهير « المرأة الخالقة » بل هبط بها من إلهة الى مواطنه عادية لتعمل راوية مثل نجيب وصبرى !! وهكذا خلا العرض من قوة تأثير الحدث الدرامى ، ونبض الشخصية الدرامية ، وعبق التاريخ القومى ، لذا فهو فى الجانب الحسن من نواياه لم يتجاوز نية الحفاوة والاحتفال ، اى أن يكون امسية ثقافية لا فنية أو يكون برنامجا اذاعيا .

لقد غلب على العرض الوجه السياسى المباشر بينما كان يجب أن يغلب عليه الجانب الفكرى والحضارى . هكذا نجعل



الأجيال تسأل انفسها : ما هى المؤونة التى تركها لنا هؤلاء الرواد كى تنفعنا ونحن نعبر القرن العشرين إلى القرن القادم ؟ لماذا كان هؤلاء روادا عظاما .. ونحن لسنا كذلك ؟ وهل نستطيع ان تكون مثلهم ؟ وهكذا يكون العرض فى حد ذاته عملا تنويريا خاصا بالحاضر وبالمستقبل .

أما عن الاخراج فإن المخرج قد بحث كثيرا عن حيل حرفية لفك الجمود والرتابة والسردية والمباشرة واللاسببية والاعتباطية التى يزخر بها النص ، الأمر الذى اضطره للتعامل معه كحرفى فيبحث لكل جزء منه عن حل وحده ، وليس كحالة كلية يستطيع ان يخلق لها معادلا بصريا شاملا ، غير ان هذه الطريقة جعلته تابعا للنص ، وليس مخرجا ناقدا مفسرا خالقا ، بل اشبه بالمخرج المنفذ ، وليس المخرج المفكر الشاعر الذى ادواته الجسوم والكلمات والاصوات والكتل والتشكيل من الفراغ والظل والنور واللون والنغم والانسجام ، وقد يرجع هذا الى انعدام البؤرة الدرامية التى ينصب فيها العمل ويتحلق حولها بعناصره ، وخلو النص من المسار الذى يدفع المخرج الى الخوض داخله من أوله حتى يخرج من آخره بمقولة فنية وفكرية متحدة فى نبض حى يظل ماثلا فى عقل المشاهد وأحاسيسه .

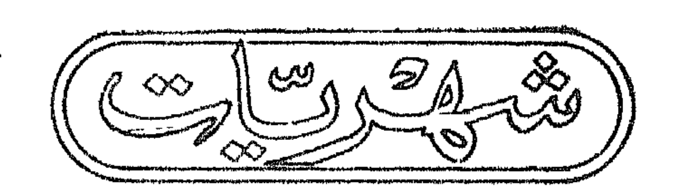
وكان من الممكن ـ رغم كل هذا ـ أن يفلسف المخرج هذا النص بفلسفة تعبيرية من عنده مستعينا بقدراته الحرفية وخبراته المسرحية ، فيبدأ بأن يوصل أجزاء العرض الاربعة ـ بعد المقدمة ـ على التوازى بدلا من التتالى ، وأن يوحد المكان فى منظر واحد رمزى لان التنوير رمز وشخصية نجيب رمز وشخصية المرأة الخالقة رمز ، هكذا سيتحول الرواد الأربعة إلى رموز رغم كونهم شخوصا ، وأن يلف هذا كله فى نغمة موسيقية مكررة مع التنويع ، فهكذا يقع فى وهمنا ان النص مصبوب فى قالب محكم . ولا يكفى ان يعكس المخرج فكرتى الظلام والنور بأن يضع قطعا خشبية بيضاء على خلفية سوداء ، هذه فكرة طيبة وان كانت مباشرة ، حيث أنها ظلت فى بداءة الايضاح ولم ترتق إلى التعبير الفلسفى ، فالديكور هو التجسيد المادى لفلسفات النصوص المسرحية وتعبير مكثف ومختزل ومتبلور عنها ثم راح المخرج مصمم الديكور يدخل قطعا ثقيلة ويخرج قطعا ثقيلة ، يحملها حمالون اخفاهم فى ملابس سوداء ، حتى وصل الأمر الى ادخال منصات محاكم ومقاعد للجمهور ، وبرلمان ، وسلالم وبرج ايفل ، بل صورة سفينة ملونة بحبال مشدودة تهتز . حقا لم يبق الا الماء !! ثم يهبط طه وسوزان على سلم ، كل هذا كى يقول لنا أنهما وصلا من باريس ؟!! والمخرج يدخل منصة تزن نصف طن كى يبلغنا بقرار النيابة بالافراج عن طه حسين فى ربع دقيقة ، وجمل خاطفة لممثلين لم يخترهم بعناية (ابن بطوطة ـ الجاحظ ـ سعد زغلول ـ احمد ماهر ـ محمد عبده ـ المرصفى ـ يوسف حنا) يصمم من أجلهم « سندرة » او « غرفة للكرار » فى أعلى عمق المسرح فلا نكاد نراهم او نسمعهم بينما كان شطبهم افضل . وكانت اضاءته الناعمة الجميلة وتحكمه فيها كفيلا بأن ينقلنا الى أى مكان او زمان او جو يريد بدلا من هذا

المشد الخشبي وحجرة الكرار .

وكان الشعر والغناء والرقص مجرد فواصل جميلة ، لعبت دورا فى تخفيف عبء العرض عن أعصاب المشاهدين ،ولكنها ــ للأسف ــ كان يمكن تجاهلها فى السياق ، يمكن حذفها ، بل يمكن ان نشاهدها وحدها فى برنامج للمنوعات !! ورغم اجادة الشاعر محمد بهجت فى نظمه للأفكار والمعلومات الا ان الغناء فى المسرح يجب أن يختلف عن اى موضوع آخر ، فالأغنية المسرحية يفجرها فعل درامى كى تفجر هى بدورها فعلا دراميا آخر .. وهكذا ، فانه لا بتذال لقيمة الشعر الرفيع ان يستخدم مجرد ربط او للتسرية عن الجمهور أو حتى للشرح والايضاح ، وعلى سبيل المثال يبدو الغموض والاضطراب فى أغنية (احنا السلطة الاستشارية) التى يبدو أنها كتبت أكثر من مرة ، ولاكثر من غرض فى نفس يعقوب ، ولم ينقذها سوى الاستعراض الجميل الذى صممه على الجنى والملابس الأنيقة التى صممها المخرج ولحن احمد الحجار وتوزيع مصطفى ناجى . فقد رسم حركته فى فراغ تام من الدراما بلا علاقة مع ما قيل ومع ما بعد ، ويبدو ان الأمر كان متروكا له وحده دون شريك ، وانى لالحظ عليه التعجل والروح العملية الزائدة ، فيرغم بحثه عن لغة حركية تخصه وحده ، فانه يلجأ الى المباشرة والاستخفاف ، مما يهدد بالتشابه بين أعماله ، اما الموزع الموسيقى فقد أعطى اطارا لحنيا للعمل لتبدو الالحان المتناثرة فى سياق واحد ، وتألق فى توزيع لحن « انا المصرى » وهز المشاعر بعمق فى معالجته لحن « بلد المحبوب » بالناى والنبر على الكونترباص فجعل عودة طه حسين من باريس عودة مشحونة محتدمة شائقة شائكة معا . وفى حين لعب الاستعراض بشعره وغنائه وملابسه وموسيقاه دور التسرية عن المشاهدين فيما بين المسامع ، الا أن هذه المتعة ــ على عدم وجوبها ــ قد حرمنا منها فى الجزء الثانى من العرض ، بسبب سوء توزيعها فقد انحصرت فى الجزء الاول فقط .

● اكتشاف المواهب

ورغم كل ما سبق إلا انه توفر لهذا العرض مجموعة طيبة من الممثلين الموهوبين ، الذين جهدوا كى يصنعوا من الـ « لا » ادوارا .. أدوارا ، فالممثل الجديد « عادل خلف » براسه الصغير المتناقض مع ملامحه الكبيرة وحجمه الضئيل وصوته ذى المساحة الشاسعة ، فانه يحمل تناقضات طبيعية تجعل أى مخرج قادرا على ان يصنع منه « سعيد ابو بكر » ثانيا .. وهكذا فعل المخرج حين كلفه بالقيام بعدة ادوار (عريف الكتاب ــ الافندى بالقرية ــ كاتب المحكمة الشرعية ــ على الشمى باشا) وكذا « محمد الشويحى » الذى قام ايضا بعدة ادوار (شيخ الكتاب ــ القاضى ــ رئيس التحرير ــ شيخ الطرق الصوفية ــ عبدالحميد سعيد ــ عبدالفتاح الجمل) الا ان تزايده فى ارتجال الغناء قد عرقل الايقاع ، كما انه لم يع ان بعض ادواره لم تكن بحاجة الى خفة ظله ، مع تقدير دوافعه فى اضفاء شىء من الجاذبية للعرض كان فى حاجة ماسة إليها . أما الممثل « سيد خاطر » الذى قام بدور الرافعى ، فلم يضعه المخرج الوضع الصحيح ، فهو لم يحب دوره فأداه بفتور بالغ وعدم اقتناع وكان

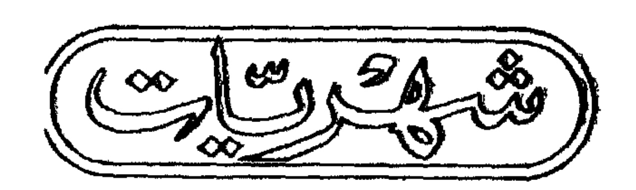


الأجدى له أن يعتذر عنه ، وكذا كان « طارق اسماعيل » هذا وقد انهكت « صبرى عبدالمنعم » أطنان الكلام التى كان يتناوبها مع طارق وسهير ، وحار كيف يتصرف فيها ، فقد حاول بكل ما اوتى من تواضع أن يختفى ـ بنبرة خفيفة وحركة بسيطة ـ خلف كل ما كلفوه به من سرد . أما « حلمى فوده » فقد أدى دور مكرم عبيد بحيوية وفهم ، فى حين هبط اداؤه فى دور الشيخ « بخيت » الذى كان فى النص الشيخ « عبدالعزيز جاويش » ولست ادرى كيف حوله الكاتبان والمخرج ـ بنفس الحوار والرسم والموقف ـ من هذا الى ذاك !!

ولست ادرى هل اراد المخرج ان يقدم المازنى كشخصية ساخرة ؟ أم كشخصية هى موضع السخرية ؟ وهكذا وضع استاذ فن التمثيل « رشدى المهدى » فى وضع لا يحسد عليه ، و« احمد مرعى » ليس بحاجة الى تزكية أو انتقاد ، فقد استعان بحدة ذهنه ونبرته وملامحه وحركته كى يصور العقاد فى مواجهة خصومه وفى التعبير الخاص عن ذاته فى كل الشذرات التى انتزعها الكاتبان من سيرته الحافلة بالدراما . كما استطاع الممثل الصاعد « مفيد عاشور » ان يرسم لنفسه « طه حسين » يخصه ، متباينا مع سابقيه ، استقاه من سماع صوته بالاذاعة ومن صوره ومن كتبه وكتاب « معك » لسوزان زوجته ، فلم يعتمد الا قليلا على ما ورد فى النص ، بل لعل النص استفاد مما قدمه الممثل الشاب من جهد ، وقد تألقت الى جانبه الفنانة الشاملة القديرة « سهير طه حسين » فى تقديم شخصية سوزان ، فأثرت تلك الحوارية العاطفية بكل ما تملك سهير من ثراء نفسى وعواطف جياشة ، كما تألقت فى بداية العرض حين غنت اغنية المرأة الأم الخالقة ، حتى أطفاها المخرج بدور الراوية وهى الفنانة المتألقة دوما .. إن الممثلين المصريين حين يخذلهم النص أو الاخراج ، فانهم يستعينون بأنفسهم ، وبما يملكون من قدرات ذهنية وطاقات شعورية وخبرات ثقافية وحياتية فى تجسيد ادوارهم دفاعا عن حضورهم الفنى والانسانى على خشبة المسرح .

ولم يعتن المخرج بالادوار الثانوية لاشكلا ولا اداء ولا ملابس ولا طابعا ولا مكانا ولا مكانة (يوسف حنا ـ الجاحظ ـ ابن بطوطة ـ الفلاح السمين ـ محمد عبده ـ احمد ماهر ـ سعد زغلول ـ المرصفى ـ النائب العام .. الخ) كما صور المخرج القرية المصرية فى مشهد الانتخابات كقطيع ، فلم يراع روح المرحلة حين كانت مصر فيها ساخنة ، فقد خرجت للتو من ثورة ١٩١٩ والفلاحون جيشها الجرار ، وكانت الانتخابات وفقا لدستور ١٩٢٣ كأحد نتائجها ، ولعل صناع العرض لم يتساءلوا : لماذا تعارضت الحركة الوطنية معا ؟ أم أن سياسة فرق تسد الانجليزية كانت وراء ذلك ؟ أم أن هناك خلافا منهجيا بين الحزب الوطنى وحزب الوفد ، أم أنها تعددية محمودة؟ أم انها الخلافات الحزبية التى ادت الى تشرذم القوى الوطنية واودت بالديمقراطية والدستور معا ؟

أن كل اسباب النضج والعمق والجمال متوافرة للمسرح المصرى ، والسؤال هو : اين تكمن ازمة هذا المسرح ؟



نقد أدبى

رؤية واحدة من زوايا متعددة

«أنا الملك جئت»

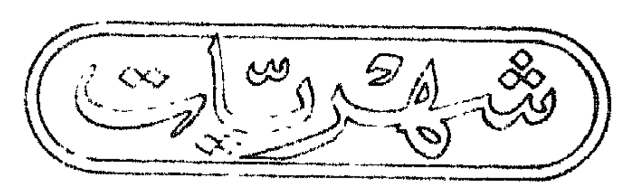
مجموعة قصصية من تأليف : بهاء طاهر

بقلم : أبو المعاطى أبو النجا

تضم هذه المجموعة اربع قصص قصيرة هى بترتيب ورودها فيها : «أنا الملك جئت» ، «محاكمة الكاهن كاى نن» ، «محاورة الجبل» ، «فى حديقة غير عادية» ، مع أن كل قصة من هذه القصص تشكل عملا فنيا مستقلا متميزا بجوه وإيقاعه ، ومتفردا بشخصياته وطبيعة المواقف التى تواجه هذه الشخصيات ، فإن قارىء هذه المجموعة لا يملك ان يتجاهل ان كل قصصها تدور فى فلك رؤية واحدة ، تتعدد وتتنوع مستوياتها ، ولكنها فى عمقها او فى سموقها تتابع جذور او فروع هذه الرؤية الواحدة ، وبالتالى فان اغراء النظرة الكلية لقصص هذه المجموعة لا يقل ان لم يزد عن إغراء الوقفة الخاصة عند كل قصة على حدة

● ملامح الرؤية الواحدة

يمكن ان نلاحظ ان جميع هذه القصص تقدم ، بدرجات وطرق مختلفة ، مواجهة او محاورة بين موقفين من الحياة او اسلوبين فى مواجهتها : الموقف الأول يمكن ان تقول عنه : إنه موقف الشاعر ، إذ ليس مصادفة ان يكون الكاهن كاى نن فى القصة الثانية شاعرا مع انه رجل دين ، وأن يكون الراوى (البطل) فى قصة محاورة الجبل شاعرا كذلك ، وان يكون موقف الدكتور فريد بطل القصة الأولى أنا



الملك جئت هو موقف شاعر فى جوهره ، مع انه بدأ حياته كعالم فى طب العيون ، ولكنه تطور الى نزعة فلسفية تصوفية فلم يعد هدفه علاج البصر ، بل علاج البصيرة ، وأن تأملات وسلوك بطل قصة حديقة غير عادية ، وهو مصرى يعمل فى مدينة اوربية هى تأملات فنان ساخر مرهف ، على الرغم من انه لم يتحدث عن الشعر .

أما الموقف الثانى المقابل فلا يمكن اختزاله تحت عنوان واحد : فلعله يضم اولئك الذين لا يملكون روح الشاعر ، ولعلنا لا نقع فى خلل التبسيط حين نقول : إنه موقف العقل العملى ذى الحسابات الآتية ، الذى لا يذهب بعيدا وراء مالا يمكن الامساك به ، وموقف القلب المستلب بالمخاوف والمطامع الآنية !

وقد يلاحظ القارىء ، أيضا ، أن هذه الرؤية الواحدة للمواجهة بين هذين الموقفين تتجلى فى موقف الشاعر من الدين فى قصة محاكمة الكاهن كاى نن ، وفى موقفه من الحياة فى قصة محاورة الجبل ، وفى موقفه من الكون فى قصة انا الملك جئت ، وفى موقفه من المجتمع فى قصة حديقة غير عادية ، وأن عناصر هذه الرؤية الواحدة تصنع تكاملها الرائع حين نرى هذه العناصر وهى تتوزع وتتجلى ، بمستوياتها المختلفة فى قصص هذه المجموعة .

● موقف الشاعر من الدين

فى قصة محاكمة الكاهن كاى نن ، نجد ان هذا الكاهن فى مصر الفرعونية يساق الى المحاكمة فى فترة انقلاب سياسى على ديانة آتون للعودة الى ديانة آمون القديمة ، إنه انقلاب رجعى بلغة هذه الأيام ، ويجد كاى نن نفسه فى قفص الاتهام امام ثلاثة قضاة رئيسهم الكاهن الأكبر سمنخ آمون ، صديقه القديم حين كانا زميلين فى مدرسة الكهنة ، ويستخدم الكاتب جو المحاكمة ، والأحداث المتصلة بها كاطار طبيعى للمحاورة بين نظرة الكاهن كاى نن الى الدين ، كما هو متمثل فى ديانة آتون ، وبين النظرة المقابلة التى يمثلها القضاة الثلاثة الذين يقفون الى جانب الانقلاب الى ديانة آمون القديمة ، ومن خلال المحاورة نكتشف ان الاختلاف بين الديانتين ينطوى بل يسفر عن اختلاف فى فهم الإنسان نفسه ، كما نكتشف ان رئيس القضاة سمنخ آمون يخفى فى داخله درجات من الإدراك لما فى موقف صديقه القديم الواقف فى قفص الاتهام من جمال وصدق ، فيتسلل إليه فى زنزانته ، فى محاولة يائسة ، لانقاذه من المصير البشع الذى ينتظره فى نهاية المحاكمة ، ويدور بينهما هذا الحوار :

– كنت احبك دائما يا كاى ، واحب ذلك الشعر الذى تكتبه ، ولكنك فى كل ما كتبت لم تجب على هذا السؤال : لماذا ترك الناس آتون الرقيق العذب ، وعادوا الى آلهتنا المخوفة ، الى آمون وحورس .

– الم يكن ذلك لأنكم اجبرتموهم على تلك العودة ؟ أم تظن انهم يفضلون الخوف ؟

– لا يا كاى ، كان آتون حسنا لك وللشعراء ، ولكن العامة لا تعيش

فلنواصل رحلتنا مع حوار الموقفين فى قصة محاورة الجبل .

● موقف الشاعر من الحياة

فى قصة محاورة الجبل لا تحمل الشخصيتان الرئيسيتان المتحاورتان اية اسماء ، فالراوى ، وهو الشاعر فى القصة ، لا يذكر لنا اسمه وهو يلتقى بكهل اشيب يمثل الموقف الآخر ، وحين يسأله عن اسمه فى منتصف احداث القصة يرد الكهل :

حسن ، حسنين ، امين ، حنا ، حنين كلها اسماء ، سمنى ما شئت !



بهاء طاهر

بالتقوى ، العامة تحتاج الى الخوف لكى تعرف التقوى !

- ومن صنعهم على ذلك المثال يا سمنخ ؟ من بنى لهم فى كل ركن معبدا على مدخله إله بوجه تمساح وجسم قرد ؟ من كان يقول لهم فى كل خطوة : خافوا فى الأرض ، وخافوا فى القبر ، وخافوا فى البعث ، لا ترفعوا رءوسكم ولا تسألوا ؟

من هنا يمكن ان نمسك ببداية الخيط الذى يتفرع الى فرعين يصنع كل فرع منهما لونا فى قصص هذه المجموعة ، ثم نواصل الرحلة لنرى كيف يصنع حوار الخيوط والألوان النسيج الفريد لهذه المجموعة !

فمع الكاهن الشاعر كاى نن نرى موقفا من الدين يفهم الانسان باعتباره مخلوقا جديرا بالحب والرحمة والفرح ، ومع الكهنة الآخرين نرى موقفا اخر يعلى من شأن الخوف «لأن العامة لا تعيش بالتقوى» وهو موقف يقسم الناس الى خاصة يمكن ان تمارس التقوى بذاتها ، والى عامة تحتاج الى الخوف لكى تصل الى نوع من التقوى !

وهذه اشارة واضحة من الكاتب الى ان المهم هنا هو مكونات كل شخصية ومواقفها ، وليس مجرد الاسم أو اية مميزات فردية . وتبدأ القصة بلقاء يبدو وكأنه تم بالصدفة بين الراوى الشاب الشاعر الذى كان يهم بمغادرة المقهى بعد ان يئس من عودة عم عباس ماسح الأحذية الذى اخبروه انه كان يسأل عنه ، وبين الكهل الاشيب الذى سار معه لكى يدله على مكان عم عباس فى الطريق ، ثم نعرف من تطور هذا اللقاء ان الكهل الأشيب كان يخطط للقاء الشاب ، لأنه عرف من عم عباس ماسح الأحذية ان ورقة اليانصيب التى اشتراها الشاب منذ ايام قد ربحت الجائزة الكبرى ، ويريد الكهل ان يقنع الشاب بأن يعطيه قيمة هذه الجائزة ليستثمرها له ، لأنه يملك القدرة على ان يضاعف له هذه الثروة . فالانسان لا يصير غنيا الا إذا كان لديه مال يزيد ولا ينقص ، ولكى ينجح الكهل الأشيب فى اقناع الشاب ، فقد كان عليه ان يتعرف على معدن شخصيته ، وأن يمنح الشاب الفرصة بدوره ليتعرف على حقيقة الكهل



الاشيب ، وحقيقة امكاناته ، ليقتنع بان يعطيه ماله ، وهكذا فقد كان الحوار الذى بدأ بين الرجلين فى المساء ، واستمر خلال رحلة ـ بدت تلقائية ـ الى جبل المقطم حتى الهزيع الأخير من الليل ، وهو وسيلة الكاتب الفنية للكشف عن ابعاد الشخصيتين المتحاورتين ، كما كان هذا الحوار نفسه هو أداته لتعميق وتطوير جوانب الرؤية الواحدة المحاورة بين موقف الشاعر من الحياة ، كما يتمثل فى موقف الشاب الذى ربح ثروة لا يدرى ماذا يفعل بها ، وبين الموقف المقابل ، الذى يتمثل فى موقف الكهل الأشيب الذى لعبته كيف يجعل المال يزيد ولا ينقص ؟!

حين يعرف الكهل الأشيب ان الشاب يفضل ان يعده شاعرا لا فيلسوفا يسأله :

هل تستطيع ان تدلنى ما هو الشعر ؟

وتأتى اجابة الشاب :

لا اعرف ، ولا احد يعرف ثم يستطرد فى حديث تلقائى بسيط ينتهى بهذه الكلمات «انغام من الفاظ تصنع صورا كانت غاية الفرحة عندى وانا طفل ان اكررها وانغمها ثم بعد حين اقلدها» .

اذن فهل كنت ترى ان الشعر هو الفرح ؟!

ربما نعم !

هنا نلاحظ ان الحديث عن الشعر كانه الوجه الآخر لحديث كاى نن فى القصة السابقة عن الدين ، فالفرح هو روح كل منهما ، ولكن الحوار بين الرجلين هنا يذهب بعيدا فى تعمق معنى الفرح فى الشعر اذ يتابع الكهل تساؤلاته :

ماذا اذن عن الشعر الحزين الذى يجعل الناس تبكى ؟

معك حق ، ما اكثره ، ولكنى انا كنت اجد فى حزن الشعر شيئا اخر ، انظر حين تحزن ، وانت تسمع شعرا ، الا تشعر انك اصبحت تحس اشياء لم تكن تعرف انها فى داخل نفسك ؟ اليست هذه الدموع ايضا فرحة وانت تلتقى فجأة ، بهذا الجزء الغائب من نفسك ؟ الجزء الافضل والاحسن الذى لا تعرفه الا بالشعر ؟

هنا فرح لا يناقض الحزن ، بل يحتويه ويتفاعل معه ، ويثرى به لأنه نابع من معرفة الانسان الأعمق لذاته وللناس وللحياة ، فمن اين ينبع هذا النوع الراقى من الفرح الذى يتصالح مع الحزن ؟

لعله ينبع من ذلك المجرى القديم فى طفولة الشاعر ، حيث تصالح الحب مع الالم فى حياة ابوية ، يتحدث الشاعر الى الكهل الاشيب عن علاقة ابيه بأمه فى مرضه الأخير وكانا فلاحين فقيرين :

لم اسمعه مرة يكلمها عن الحب ، وما سمعتها تتكلم عنه ، ولكنها حين كانت تساعده على ان يلبس جلبابه ، حين تسند ظهره لتسقيه ، حين تدلك له ذراعه وقدميه بأصابعها الخشنة المتشققة ، كانت هذه الاصابع تنطق شيئا يتجاوز الحب نفسه .

وكان الكهل الأشيب قد حدث الشاعر عن قصة حب فى حياته من نوع اخر ، حب اساسه التملك والاستحواذ والتسلط !

ويبدا الشاب الشاعر وكأنه لا يفهم معنى لهذا النوع من الحب . فاجابه الكهل الاشيب :

الحقيقة انك لا تعرف شيئا ابدا ، ولهذا لا تفلح ابدا ، اسمع يابنى الحقيقة : إن

هذه الحياة فخ نتخبط فيه منذ ان نولد ، والغلطة اننا نحاول الخروج من هذا الفخ ، بالشعر ، كما تحاول انت وقليل مثلك ، بالتصوف ، كما يحاول غيرك ، بالشهرة والمناصب ، كما يحاول اخرون ، كل تلك ، ايها الشاعر ، محاولات لمخادعة الموت ، لنسيان انه يقف هناك ممسكا بخيوط الفخ ، وحين يمد يده فى النهاية ، فهى نظرة الذعر وعدم التصديق نفسها فى كل العيون ، الشعراء والأتقياء والفجار .

هنا نلتقى من جديد مع الرؤية المقابلة لرؤية الشاعر ، نلتقى برؤية سمنخ فى قصة محاكمة الكاهن ، كاى نن ؛ هنا نجد فكرة الخوف مرة اخرى ، ولكن الكاتب يغوص هنا من خلال شخصية الكهل الأشيب وراء جذور هذا الخوف ومنابعه فنجد انها هنا تكمن فى الخوف من الموت ، ومع ان الموت هو الحقيقة الوحيدة التى توشك ان تكون مطلقة ، فإن موقف الناس منها يختلف كاختلاف مواقفهم من الحياة ذاتها ، ومن هنا فإن الكاتب يغوص ابعد فى طفولة الكهل الاشيب ، ليكشف لنا عن ان خصومته مع الحياة ، ورؤيته لها كفخ انما نبعت من خصومة طفولته مع الموت ، لقد فقد اباه وأمه فى حادث سيارة فتعهدته جارة اجنبية ، وأورثته كازينو كانت تملكه ، وكان اول درس تعلمه على يديها : لا تتعلق بامرأة فى الكازينو مهما كان جمالها ، اترك الناس يحبون ويسكرون ويقامرون ، إن شاءوا ، أما أنت فلا تفعل ذلك ؟ ان اردت ان تنجح فى الدنيا فلا تتعلق بشىء لكى تملك كل شىء .

وهكذا يلوح ان الكهل الاشيب كان يفقد كل شىء فى الوقت نفسه الذى يمتلك فيه بالفعل كل شىء .

لنتابع من خلال تقنية الحوار التى آثرها الكاتب ، ماذا ورث الشاعر من خبرات طفولته مع الموت ؟ وهل ورث صلحا ام خصاما ؟

يتحدث الشاعر الى الكهل الاشيب عن علاقته باخته الكبرى التى كانت له بمثابة الأم ، لقد ماتت هذه الأخت وهى فى الخامسة عشرة من عمرها ، وظل يذهب كل ليلة الى قبرها هو وكلبه ، فقد كان واثقا من انها لن تقوى على فراقه ، ولن تكسر بخاطره ، وسوف تقوم من الموت ، لو ظل مثابرا على زيارتها ، لتعود معه الى البيت ، وذات ليلة ، استجابت له ، خرجت من قبرها ، وطبطبت عليه ، ورجته ان كان يحبها حقا ان يعود الى البيت حتى لا تزعل منه ، والا يعود قط الى المقبرة .

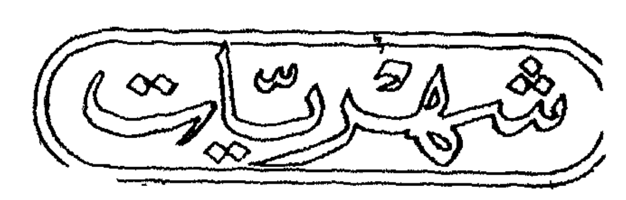
من هنا نجد ان الموت والحياة يتصالحان فى روح الصبى الصغير ، ومنذ طفولته ، وربما من هذا الصلح تفجر نبع الحب العميق للحياة . ذلك الحب الذى يتصالح مع الألم والحزن النابعين ، من اختبار الحياة والمعرفة الاعمق بهما !

ومن هنا كان صادقا وطبيعيا حديث الشاعر لصاحبه الكهل الاشيب وهو يحاوره ، بعد ان سمع حديثه عن نظرة الذعر وعدم التصديق فى العيون التى تواجه الموت :

عندما جاء ابى الموت ، كنت الى جواره لم ار فى عينيه ذعرا ، بل كانت على شفتيه ابتسامة جميلة ، اعتذار نهائى لما سببه لنا من ازعاج وألم ، ولكن كان فى عينيه رضا وسلام .

إن الحوار المستحيل بين الموقفين ينتهى عند الكهل الأشيب وهو يقول :

ايها الشاعر سوف تبحث عنى وستعود الىّ !



من يدرى ربما بحثت انت عنى !

وربما من هذه النهاية المفتوحة فى «محاورة الجبل» يتطور الحوار بين الموقفين الى مستوى اخر فى قصة «انا الملك جئت» .

● موقف الشاعر من الكون

فى قصة انا الملك جئت يتطلع الدكتور فريد الى مستوى من المصالحة مع الكون ابعد واشمل . كان قد فقد ثقته فى المنهج العلمى حين رأى عجز العقل عن تنظيم عشوائية الموت كما شعر صديق حشمت ذات يوم ، وكان إيمانه بقدرة القلب الانسانى على الوفاء للحب قد تزلزت . وهو يجد نفسه قد فقد القدرة على مواصلة الاهتمام بالمرأة التى احبها ، حين أصبحت نزيلة إحدى المصحات العقلية كان يقول ، ايضا لصديقه حشمت :

لم تكن المشكلة فى الحزن ، بل فى فقد الحزن !

ولم يكن هو نفسه يدرى ، على وجه اليقين ، ما الذى يريده من رحلته تلك الى مكان مجهول فى الصحراء الغربية ، لعله اراد ان يعرف كيف كانت الحياة قبل بدء الخليقة ؟ او لعله اراد ان يكتشف سر الصحراء التى جاء منها كل الانبياء ، كان قد جرب انواعا من الفرح وانواعا من الالم ، ولم ينجح فى عقد صلح او حتى فى الامعان فى المخاصمة كما فعل الكهل الاشيب فى «محاورة الجبل» ، أكان مجرد هارب من حضارة العصر ؟ أم كان يلبى ـ كما كان يقول لرفاقه ـ نداء ؟ ام كان يبحث عن فرح غير منقوص ؟ فى نهاية الرحلة ، وفى مكان يبدو كأن احدا لم يطأه من قبل ، مكان تظهر فيه الاشباح كأنها حقائق وتبدو الحقائق فى غرابة الاشباح ، يلتقى بمعبد فرعونى كأنه نابع لتوه من قلب الرمال ، وحين تفرق من حوله رفاق رحلته بما جمعوا من تماثيل ذهبية وجدوها فى المعبد ، قرر هو ان يبقى وحده ليبحث عن معنى تلك الكتابة الهيروغليفية القديمة على جدران المعبد فى ضوء ما يعرفه من كلمات هيروغليفية قليلة ، هى كل ما تبقى من كلمات حب تركتها له حبيبته الغائبة (وكأن كلمات الحب كانت هى المفتاح المعروفة الجديدة التى سيصل اليها) وحين وصل الى معنى من جملة الكلمات التى يعرفها ، كان هذا المعنى الناقص هو نفسه المعنى الذى كان ينشده ، وكان هو ايضا يكاد يلخص رحلته فى الحياة كلها ، وكأن الفرعون القديم قد عاش رحلته نفسها بحثا عن المعنى نفسه ، وتركه لنا على معبده رسالة الى احفاده . تقول الكلمات المنحوتة على الصخر :

انا الملك جئت ، ولما المرأة ذهبت (كان الدكتور فريد قد فقد المرأة التى احبها) ، ولما تفرق الذين اجتمعوا حولى (كان رفاق الدكتور فريد فى الماضى وفى الحاضر قد انفضوا عنه لاختلاف الهدف من السعى) ولما وجدت نفسى وحيدا اكتملت فى تمامى (كانت اهم معانى وحدة الدكتور فريد تفرده فى طلب فرح غير منقوص) ولما كنت انت الهى وانا صفيك ، اتملى فى ذاتى فأراك ، وأتملى فيك فأرانى ، فإنى بعيد عن الآحاد ، جئت لنكون واحدا انا وانت ، ولما وجدت كل

فرحة تلد نهايتها ، وجدت فى فرحتك انت المنتهى .

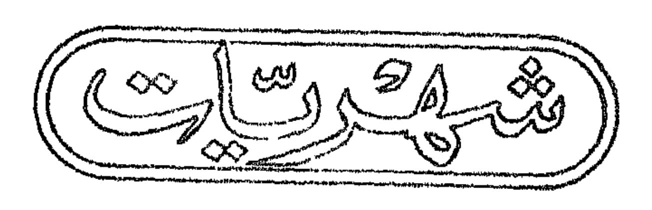
هنا تكتمل رؤية الشاعر وتصل الى ذروتها فى السعى الى فرح غير منقوص ، من خلال الاتصال بالخالق ، والاندماج فى الكون !

● ملاحظات حول البناء

يعتمد الكاتب فى بناء قصص المجموعة على ما يمكن ان نسميه «تقنية المحاورة» ، مع ان قصة محاورة الجبل مقدمة على لسان الراوى الشاعر ، فان الراوى نفسه قد روى المحاورة كاملة بجوها ، وتفصيلاتها ، وايقاعها وكأنه يرويها بضمير الغائب ، وحتى الأجزاء المتصلة بحياة الراوى فإننا لا نعرفها بطريقة التداعى او التذكر ، بل نعرفها كجزء من حواره مع الكهل الأشيب ، نعرفها وهى تتلون بطبيعة اللحظة والموقف الذى تقال فيه ، وهى تؤدى وظيفتها كاستجابة لموقف ، والجزء الأول الذى يرويه الكهل الأشيب من حياته ، يخضع للقانون نفسه ، فهو يرويه لخلق حافز لدى الشاعر لاقناعه بان يصير غنيا على طريقته ، ولذلك فهو يبدأ بأن يروى له قصة عم عباس ماسح الأحذية والراقصة هانم ، إنه يحكى له قصة الخاسرين فى اليانصيب ، وفى الحياة ، فيفاجأ بأن القصة تحدث أثرا معاكسا لتوقعه ، وهكذا يتحقق أمران فى وقت واحد : التعرف على جوانب من كل شخصية من خلال الحكاية المروية ، ثم تطور احداث القصة ونموها فى اتجاهات جديدة ، وبذلك تكتسب الأجزاء المروية من ماضى كل شخصية تألق الحضور وحيويته ودفأة حين تحدث تأثيرها الآنى المباشر فى الشخصية المقابلة .

وينشأ بذلك جدل خصب حى بين لحظات الماضى ولحظة الحاضر فى القصة ، وبالنسبة لقصص هذه المجموعة التى تحمل رؤى فكرية ونفسية بالغة الثراء والعمق ، فقد كانت مخاطر هذه التقنية انها يمكن ان تنزلق الى هوة الجفاف الفكرى ، او تتحول الى نوع من الحوار بين الافكار ، ولكن انجاز الكاتب المتميز انه جعل المحاورة تقوم بطريقة تلقائية بين احداث ومواقف فى حياة كل شخصية ، وترك الاحداث تستجيب فى روايتها لطبيعة اللقاء بين الشخصيتين ، فهى تبطىء أو تتعثر بل تكاد تنقطع ، ثم تعود لتسرع او تحتدم وفق تطور اللقاء وظروفه ، وهى فى كل الأحوال تسفر وتشف عن دلالاتها الثرية بطريقة تبدو تلقائية ، وإن كان يختفى وراءها دهاء الفنان ، مرة واحدة شعرت فيها ان هذا الدهاء كاد يخون الكاتب ، وذلك حين كان الكهل الاشيب يروى قصة عم عباس ماسح الاحذية مع هانم راقصة الكازينو ، فقد جاء وصف العروض الراقصة لهانم اشبه بلوحة فنية يرسمها فنان او يبدعها كاتب وهو جالس على مكتبه ، ولكنها لا يمكن قط أن تكون مما يرويه رجل ـ ولو كان فى ذكاء الكهل الاشيب ـ وهو يتحدث فى الطريق العام !

ومع ذلك فأنت فى إطار روعة التناول ، وإعجاز المعالجة لا تكاد تقف امام مثل هذا الخلل الطارىء ، إذ سرعان ما تعود لغة المحاورة الى بساطتها وتلقائيتها دون ان تفقد سحرها !□



شعر

قراءة فى مسرحية الشاعر لأنس داود

د. حسين علي محمد

تمثل شخصية "صالح" فى مسرحية (الشاعر) لأنس داود البطل الرومانسي ، المتمرد على مجتمعه ، والهارب من واقعه .

وفى هذه المسرحية نجد (صالح) نموذجا لجيل بآماله وآلامه ، بوهمه وخيالاته ، وتنافره مع بيئته .

إننا منذ البداية نتعرف على (صالح) الطفل المتميز الذى يحس بفرديته منذ طفولته ، فهو لا يحفظ الآيات القرآنية ولا يرددها كما يحفظ التلاميذ ويرددون ، ولا يخضع لمشيئة أبيه فى توجيهه له أن يكون عالما من علماء الدين من البداية نحس اننا مع طفل - بطل يحس بفرديته وذاتيته المتميزة عن شخصيات الآخرين وذواتهم .

نبدأ بالتعرف على (صالح) الذى يتعثر فى الحفظ :

صالح (فى فكاهة) ..

لا تلمنى ياأبى إمّا تعثرت عن الحفظ مرارا
وفقدت الذاكرة ..
إنها عندى أنا (ناسية) لا ذاكره
......
كلما استودعتها الآيات :
غربالا تواتيه مياه زائرة

وهو - على ضعف ذاكرته فى الحفظ - يحفظ سيرة أبى زيد الهلالى وغيرها من السير الشعبية ، التى تملأ حياته بعبق البطولة وتمنيه أن يكون واحدا مثلهم ، فيتعجب والده من حفظه للسير ، وعدم حفظه للقرآن !

صالح : إنما الأشعار تنساب إلى نفسى
بلا ادنى تعب
وانا كالزورق النشوان فى امواجها .. لست امل

قلوئا شعر البطولات واشعار الغزل

ويحزن أبوه ، لأنه كان يتمنى أن يرى أبنه عالما من علماء الدين لا شاعرا ، يردد أشعار الغزل ، يقول مخاطبا (الدرويش) الذى أعجب بالطفل ، وبذُرر شعره :

الأب : انا يامولاى تاجر
كم على ظهر السفائن
جاز بى الموج بحارا ومدائن
وابى كان يتاجر
وابنى الأكبر تاجر (يشير اليه)
عندما جاء لى المولى بصالح
بعد أن أجدبت كالقفر سنينا وسنينا
جاء فى الرؤيا ملاك يتخطر
قال : ابشر
قد رزقت الان من رب كريم
بغلام سيصلى ، ويزكى ، وينافح
عن حصاة الدين والحق القويم
واراني الطفل صالح

هذا الفارس غير المرغوب فيه ، يقبل على الحياة وكل أسلحته شعره وخياله الثرى وحساسيته المفرطة وخياله النشيط (وهى أدوات البطل الرومانسى) ويرى العالم من خلال نظرته الذاتية عالما مشوشا مختلا فيتمنى اعادة ترتيب العالم ، ولكنه لا يملك رؤية محددة لاعادة هذا الترتيب ، ان ما يمتلكه أسراب رؤى ، فيتخبط فى حياته ومسيرته ، ويكون تمرده تمرد شلب أهوج مندفع لا يعرف (الغاية) ولم يحدد (الوسيلة) لبلوغها .

تتبدى لنا أسرار أزمة (صالح) فى عجزه عن التوفيق بين النظرة الفردية للأشياء ، وبين النظرة الموضوعية للمجتمع ولدور الفرد فيه فى اطار الدولة .

وطوال المسرحية يجد شخصا هائما باحثا عن ذاته ، بادئا من "الذات" منتهيا اليها ، أما "الخارج" فهو قمىء وسىء ، ولا يدخل فى حسابه ، وهذه أفة البطل الرومانسى ـ على الأرجح ـ فهو يطلب من المجتمع ان يتغير بدلا من أن يغير ما بنفسه .

ومن (ذاته) الى (ذاته) يطل الشاعر ملتحقا بالحزن وعدم القدرة على (التكيف الاجتماعى) داخل هذه (الغابة) التى تسمى مجتمعا ، ومع هؤلاء (الذئاب) الذين يسمون ناسا ، ولذا لا يجد مفرا من الصمت



ووراء هذا الصمت عدم قدرته على التكيف الاجتماعى ، وعدم استطاعته تحقيق الحب ـ من خلال الزواج وتكوين أسرة

إننا نرى (سعدية) تحبه ، ولكنه لا يثق في حبها له ، وهو الفقير الشارد والشاعر الذى يحس بامتلاء كيانه وان كان جوفه خاليا من لقيمات يقمن أوده .

صالح : لو كانت لى وحدى
احملها بين جوانح قلبى
نهرا من رضوان الله
وموسيقى من جنات الخلد .
سعدية : انا لست لغيرك ياصالح
لكنك لم تفهمنى
لم اعرف إلا انت
لم افهم إلا انت
لم اعشق إلا انت .

إنه يحس انه شاعر عظيم ، وذات ضخمة ، ولكنه لا يمتلك المال الذى يجعل (سعدية) تحبه ؟ فلم تحبه وهى التى تأتى له بالطعام أحيانا حينما يعوزه المال ؟ ويعتذر ـ لعدم تأكده من صدق عاطفته نحوها ـ بكونه شاعرا غير قادر على الرؤية الصحيحة .

صالح : دوامات من سحب سوداء
تغتال رؤاى لكل الأشياء
فاغتفرى لى
(ثم فى اهتياج من تاثير الخمر)
لا اقبل منك حصارا .. فانا شاعر
وتخوم العالم .. كل العالم .. أضيق من احلامى
سعدية : هذى ماساتك .
صالح : (مندفعا وغير متنبه لما قالت)
بى توق لاة يهدا
قلما لا يعرف معنى الرى
هل تدرك مثلك توق العاصفة

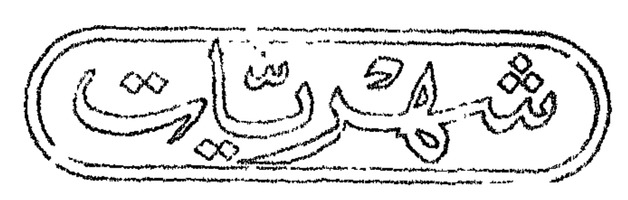
وإبحار الاعصار ؟
تصميم شعاع جبار أن يخترق الليل الحالك
سعدية : أدرك .. أدرك
أهدأ ياصالح .. أهدأ
لن ألمس هذا الجرح الشائك

تفتقر نظرة صالح - كبطل رومانسي - الى الرؤية الشاملة للأشياء ، فثورته ثورة هوجاء ، كثيرا ما يتراجع عنها .

(صالح داخلا مهتاجا ، يلبس جلبابا ، يحمل
عصا يعفي لحيته)
ياأبناء الأفعى
ها انى أركز فى اظهركم هذا السيف
اخلع من كل قناع وجه الريف
أحصدكم وادريكم فى عاصفة الخوف
(ثم مندفعا نحو التجار .. مهددا بعصاه)
يامن جمعتم بالحيل الخادعة المبتدعة
اموال الخلق
وصدقتم - دوما - عن قسطاس الحق
لا يخدعكم برق الذهب الخلب
اعطوا ثروتكم للرب
اعطوا ثروتكم للرب
(ثم واقفا عند رجال الشرطة)
هذى القوة ، هذا الجبروت
يافسقة ، ياأتباع الطاغية الظالم
وكلاب حراسيه ، وأداة عقابه
أو ما خفتم أن يرسل ربى عاصفة تكسحكم
أو صاعقة تمحقكم ، أو برهانا لعذابه

ان ثورته هنا غير مبررة ، لأنه ثائر على الجميع : الناس ، والتجار ، والعسكر ، وثورته لا تحمل رؤيا تبشر بالاصلاح ، فهى ليست أكثر من الادانة ، والمطالبة بعودة الغارين الى حظيرة الايمان !

ان (الناس) الذين يجب أن يثوروا ، أو يثور الشاعر من أجلهم ، أو يحركهم معه للثورة ، لا يمثلون فى فكر الشاعر صورة طيبة ، فهم ليسوا



سوى "البقر الأبيض" و"اشباه قطيع" ، و"أصنام" .

وحينما تخبره (سعدية) أن الجمهور جن برائعته المشهورة التى ألقاها لهم اليوم ، يقرأ بعض ابياتها ، ثم يلقى بالصحيفة ، ويرى أن لا فائدة ترجى من المجتمع ، الذى تعفن ، وفسدت فيه القيم ، لدرجة أن المتصدرين له هم الجهلة ، والأوغاد ، وتجار الكلمات .

إنه يذهب للقاهرة لاثبات (ذاته) شاعرا ، ويعود خائبا من رحلته ، متمردا على الأسرة (التى ترمز للانتماء للبناء الاجتماعى ، كما ترمز الى الضبط الاجتماعى والنظام) وينكفىء على نفسه ، معتصما بكهف (الذات) :

الأم : وافرحى .

العصفور الشارد عاد الى الدوح المهجور
ويمامة قلبى عادت تدفىء عمرى المقرور
اضنتنى الوحدة ياولدى
اضنتك الغربة
فانزل موفور الفرحة فى كبدى
العش الهادىء
الفرش الدافىء
فنجان القهوة بعد العصر
وانا ارعاك

الشاعر : (مقاطعا فى نبرة مرة ساخرة)

كما ترعين كتاكيتك ياامى
مزرعة التدجين الأبدية
البيت ، الأسرة ، والزوجة والأولاد
العادة والعرف
يحكمنا الأسلاف .. من جوف القبر

انه يبحث عن حريته (الفردية) ، عن خلاصه (الفردى) ، عن (ذاته) ، انها كلمات ثورة ـ خاوية تصدر عن (ذات) تضخمت نزعتها الفردية ، فى ظل مجتمع (فردى) ليبرالى ، يسعى كل من فيه الى تحقيق مصلحته الخاصة :

صالح : أبحث عن وجهى فى هذا العصر .

عن عادات تجبل من دمعى ، من عرقى ، من أنفاسى
تصدر عن ذاتى كشعاع يصدر عن ضوء الشمس
تتجدد فى كل صباح كمياه النهر
لا انكمش لادخل قمقمها
او أرتعش امام مراسمها
بل تنكسر ، وتتناثر قدام وجودى ، وتعيد تلاؤمها
تتبعنى .. لا اتبعها
فهى القطرة ، وانا النهر
وهى الموجة ، وانا البحر

لكن الشاعر لا يتمكن من تحقيق ذاته فى ظل هذا المجتمع الذى يعج بالتجار الماهرين المكتزين ، والشرطة الساهرين فى خدمة السادة المتخمين ، بينما هم ـ أى الشرطة ـ جائعون ، ويجدون مملكتهم المنسية ، داخل كوز بطاطا ، ولدى بائع طعمية" ولذا نجد (صالح) يشعر بأنه مسكين ، تمزقت أعصابه ، تمزقت فى داخله سكينة روحه :

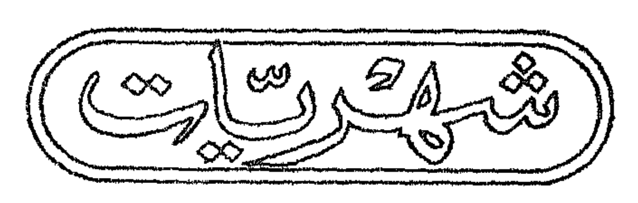
ويحس بغربته فى هذا العالم ، فيصمت ويصير الأبكم ـ وقد كان الصراع ، ولا يرى فى المدينة التى لفظها أو لفظته سوى ..

مدينة الزجاج والقصدير
مدينة الرصاص والأسمنت
والضمائر المرتهنة
وهمهمات الكهنة
وباعة الأقلام والسماسرة

الاحتواء ، والتمثل ، والرؤيه الصحيحة .

أمواج من انهار الظلمة والنور
او شاب ، ونفايات ، سكاكين
علب فارغة ، ومجانين ، وقديسون
تسكن جلدى ، وتزاحم أنفاسى .
أين أنا ؟ أين تخوم وجودى ؟
لو بقيت من عمرى نصف دقيقة
لتلهفت الى ان أعرف نفسى

الشاعر : اتخيله احيانا قديسا مبتسما
يحمل قيثار مسحورا
يستلب الروح كما يسلبها النغم الهائم
احيانا اتخيله



كملاك نورانى الطلعة .. يشرق
يحملنى فوق جناحيه ، ويصعد للمطلق
احيانا قائد مركبة خضراء
بردته بيضاء لحيته بيضاء
عذب ورقيق ومعطر
ينقلنى من مهد الأوجاع الى مهد الكوثر

ويكون الانتحار نهاية البطل الرومانسى ، الحالم بالمثل العليا (أفلاطون ، إختاتون ، عيسى ومحمد ، ... الخ) المصطدم بالواقع الشيء (أبولهب ، أبورجل مسلوخة ، الدوتش ، هتلر ... الخ) هذا البطل الحالم ، غير القادر على التكيف مع مجتمعه وواقعه ينتحر لأنه لم يعثر على الوئام مع نفسه ، ولم يحط بشطوط ذاته ، ولم يكتشف خلجاتها وسهولها وهضابها ، ويدوب فجأة ، ويختفى من الحياة ، مضيعا اثره فى الحياة وفى الناس ، وهذا الانتحار يمثل التجسيد المادى لهزيمة البطل الرومانسى .

ويمثل لنا (الشاعر) أو (صالح) البطل الرومانسى ، فى أزمتة ، وقمة هواجسه ، واندحاره ، وغروب شمسه ، لتتاح لنا الفرصة لنرى البطل الواقعى .

والشاعر الذى يلهث خلف شدة السلطان
كالغانية المؤتجرة

ويزداد شعورته بغربته ، حتى يحس بانفصام عن واقعه ، وعدم القدرة على معايشته أو التجاوب معه ، أو حتى على الرغبة فى الحياة

صالح : كفت روحى عن رغبتها فى هذا العالم
عجزت أن تعشق آيات القبح
أن تتصالح ودمامة هذا القبح

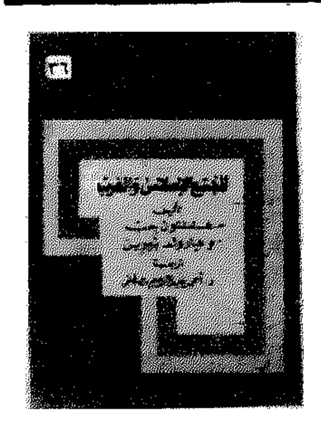
ولم تعد نفسه تخاطبه بالثورة ، ولم يعد يقدر على مجرد الرفض كما تقترحه عليه الفتيات لأن الرفض يعنى المواجهة ، وهو منكسر السيف ، انه يرى الخطيئة تحيط بأرجاء العالم السبع ، ولكنه غير قادر على المواجهة .

لقد أحس البطل الرومانسى بالعجز الكامل عن التغيير أو الثورة ـ بسبب رؤيته (الذاتية) وعدم قدرته على الالتحام بالمجموع .

ولم يعد البطل الرومانسى ، وقد تبين خواء نظرته وعقم ثورته ، قادرا على التعرف على ذاته ، بل يرى ذاته تحوى النقيضين ، غير قادرة على

نعرض هذه الكتب التي كانت من بين آلاف عناوين الكتب الجديدة التي تضمنها المعرض الدولى الثالث والعشرون بالقاهرة في الشهر الماضي

المكتبة



■ المجتمع الاسلامي والغربي (الجزء الثاني)
تاليف
هاملتون جب
وهارولد بووين
ترجمة
احمد عبد الرحيم مصطفى

العدد ٣٦ من سلسلة تاريخ المصريين التي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب

هذا هو خاتمة الأجزاء الأربعة المترجمة لكتاب المجتمع الاسلامى والغرب الذى صدر خلال الخمسينات فى جزءين . ومؤلفاه الراحالان من المستشرقين البارزين ومن أساتذة الجامعات البريطانية ، وهما هاملتون جب الذى كان عضوا بالمجمع اللغوى بالقاهرة وله مؤلفات هامة عن الاسلام والآداب العربية وهارولد بووين المتخصص فى الدراسات التركية . وقد أخبرنى بووين الذى أشرف على رسالتى للدكتوراه بجامعة لندن أن مشروع الكتاب كان يستهدف تتبع التغيرات التى طرأت على المجتمعات العربية فى العصور الحديثة على أثر دخول المؤثرات الغربية ، إلا أن مشاغل المؤلفين لم تسمح لهما الا بإصدار الجزءين المنشورين اللذين كانا يتناولان اوضاع المجتمع العربى قبل التغيير واللذين أستنفد وصفهما ربع قرن . وقد أختص جب بالجانب العربى من هذا المؤلف على حين أختص بووين بالجانب التركي .

ولأهمية هذا المؤلف ولكون أحدهما مشرفا على رسالتى للدكتوراه فقد شرعت فى ترجمته منذ اوائل الستينات ثم نشرت دار المعارف الجزء الأول فى جزءين ثم رفضت نشر الجزء الثانى بعد أن أستكملت ترجمته لأسباب تتعلق ببطء توزيع الكتب العلمية المتخصصة ، وقد تفضل الزميل الاستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان بنشره فى سلسلة تاريخ المصريين التى يشرف على إصدارها وذلك فى جزءين كنت أود ان يكون تسلسلهما مكملا لما نشرته دار المعارف بدلا من ظهورهما وكأنهما مؤلفان مستقلان . وبالاجزاء الأربعة التى اكتمل نشرها معلومات على درجة كبيرة من الأهمية . ورغم السماح بالاطلاع



على الأرشيفات التركية فإن المؤلفين يقطعان فى مقدمة الجزء الثانى من الأصل بأنه سيمر وقت طويل قبل أن يتعرض ما كتباه لتعديلات جذرية .



□ الكتاب : العلم وتفسير الاحلام
تأليف : د . عبد الرحمن نور الدين
الناشر : دار الهلال ، ١٦٨ ص ، ٥ ج م .

هذا هو الكتاب الرابع للزميل الدكتور عبد الرحمن نور الدين رئيس تحرير مجلة "طبيبك الخاص" بعد كتبه "العلم والجنس" و "المرضى والجنس" و "العلم والسحر" .

سلسلة كلها موجهة لقارىء العادى تحاول أن تأخذ بيده فى طريق فهم حقائق الحياة منظورا إليها من زاوية علمية ، ومعتمدة اساسا على معلومات ووقائع وإن كانت مصاغة بطريقة مبسطة وواضحة .

نوع من الكتابة المشوقة حول موضوعات جادة حيث يعرض الكاتب مثلا فى كتابه هذا لموضوع الاحلام ، وهل يمكن أن يكون للعلم يد فى تفسيرها ويؤكد أنه يقوم برحلة طويلة فى هذا العالم العجيب ـ عالم الاحلام ـ نحاول تفهم خباياه ، ونغوص فى أعماق النفس البشرية الغامض المجهول ، وما يحمله من تفسيرات لكثير من أمور حياتنا اليومية ، علنا نلقى الضوء على جانب مظلم موحش أحيانا ، ومبهج أحيانا أخرى من جوانب الحياة اليومية للانسان .

ولأن الكاتب أراد لمؤلفه أن يصول ويجول فى كل اتجاه كتب عن المعتقدات القديمة فى تفسير الاحلام منذ فجر التاريخ ، وتوقف أمام ما أطلق عليه : أحلام غيرت وجه التاريخ ، كحلم يوسف النجار ، وحلم هتلر ، وأحلام فرعون وغيرها ، يتعرض لنظرية فرويد عن الاحلام وعلاقتها بالجنس ونظرية يونج الخاصة بالاحلام ، كما يفرد فصلا خاصا عن النوم ، ودوراته ، وهلاوسه ، ودورانه ، ويتعرض لقضيتى علاقة الاحلام بصحة الجسم وخلاياه ، وعلاقة الاحلام بصحة المخ والجهاز العصبى ، وغيرها من القضايا المشوقة والهامة حتى نأتى الى نهاية الكتاب فتجد جزءا غاية فى الأهمية ومكتوبا على هيئة قاموس مرتب يتعرض لتفسير الاحلام وفقا لترتيب الحروف الأبجدية .



□ الكتاب : محمد لطفي جمعة
تأليف : رابح لطفي جمعه
الناشر : دار الوزان - ٥٨٠ ص ، ٥ ج م

إذا سأل أحد من أبناء الجيل الجديد من الشباب من هو : محمد لطفي جمعة ، فإن الرد الذى سيكون له مغزى كبير ، وهو الرد الذى سيجعل إسمه عالقا بالأذهان : تقول لهم إن محمد لطفي جمعة هو الكاتب المصرى الذى كتب كتابا يرد به على كتاب طه حسين الشهير "في الشعر الجاهلى" عنوانه "الشهاب الراصد" .

ونقول لهم ايضا أن محمد لطفي جمعه كان واحدا من الكتاب النشطين الذين إمتدت علاقاتهم بعدد كبير من الكتاب والشعراء والاساتذة المصريين والأجانب .

وهذا الكتاب يعرض لعلاقاته بالمشاهير من كتاب وشعراء العرب وروادهم المصلحين امثال الشيخ محمد عبده وقاسم أمين ومحمد كرد على وجرجي زيدان ومصطفى كامل ومحمد فريد وعلى يوسف وسيد درويش وأحمد شوقي وسعد زغلول وزكى مبارك والعقاد وطه حسين وحافظ ابراهيم والأنسة مى وجورج أبيض ، وخليل مطران ، وشكيب أرسلان والمازنى وغيرهم وغيرهم، يعرض المؤلف لهذه العلاقات الثقافية والسياسية طوال نصف قرن كامل من عام ١٩٠٠ وحتى عام ١٩٥٠ فى أسلوب سلس مبسط ودقيق التعبير .

يقول المؤلف : وإذا كانت هذه الصفحات تتحدث عن هؤلاء الاعلام من خلال علاقاتهم الأدبية والفكرية بلطفي جمعة فإنها لاتشير الى أدب هؤلاء المعاصرين وآثارهم الفكرية وآرائهم السياسية إلا بالقدر اللازم للتعريف والإلمام بأهم أعمالهم وانتاجهم الفكرى واتجاهاتهم السياسية وآرائهم الاجتماعية .

كذلك تكشف لنا هذه الصفحات عن أمور كثيرة لم تكن معروفة للكثيرين في حياة هؤلاء الاعلام أو فى حياة الشعوب التى ينتمون اليها ، كما تصحح لنا كثيرا من الآراء والمفاهيم والمعدلات التى يعتبرها البعض من المسلمات التى لاتقبل معاودة النظر وترفع الزيف عن كثير من الحقائق وتبدد الأوهام عن كثير من الوقائع .



□ الكتاب : ايام لها تاريخ
تاليف : أحمد بهاء الدين
الناشر : دار الهلال ١٩٢ ص ٣ ج م .

هذه طبعة جديدة متقنة الأخراج من كتاب الاستاذ أحمد بهاء الدين الشهير أيام لها تاريخ .
نقول كتابه الشهير لأنه بالفعل كان أحد الكتب التى راجت وشاعت منذ صدر فتوالت . إصداراته وتبادلته الأيدى وتناقلته الأسماع لمافية من معان عميقة ، ولما يتوفر عليه لسلوب أحمد بهاء الدين



من رقة ورشاقة وحرارة ووضوح معجز.

يقول محمد عودة فى الكلمة التى صدرت بها دار الهلال طبعتها هذه: كان هذا الكتاب الصغير .. أول محاولة ومخاطرة لاعادة إكتشاف تاريخ مصر، ولارساء مبدأ ومنهج هو أن على كل جيل يفد الى الساحة أن يكتشف نفسه بنفسه ولنفسه كل ماجرى، أن الانسان حيوان ذو تاريخ، وهذه ميزته الكبرى، ويولّد حاضره ومستقبله من رحم الماضى ولذا لابد أن يكتشف ويعيد الاكتشاف حتى يجد نفسه ويحدد موقعه ودوره.

يقول بهاء متسائلا: مامعنى ذلك؟

ويجيب: معناه أن الميزة الأولى التى تميز الانسان عن غيره من المخلوقات هى أن كل جيل من البشر يعرف تجارب الجيل الذى سبقه ويستفيد منها، وأنه بهذه الميزة - وحدها - يتطور، وعلى العكس من ذلك الحيوان، فالأسد أو القط أو الكلب الذى كان يعيش فى الأرض منذ الف سنة لايمكن أن يختلف عن سلالته التى نراها اليوم فى الصفات والطباع ونوع الحياة.

على أن الانسان لا يولد وعبرة التاريخ فى جوفه ولكنه يتعلم، فهو لايستطيع أن يعرف التاريخ إلا إذا قرأ، إن كان رجل قانون قرأ ما سبقه إليه الفقهاء، وإن كان رجل كيمياء تعلم ما وصل اليه المكتشفون السابقون، ومن حيث انتهوا يستطيع أن يبدأ، وإن كان مواطنا فإنه يتعلم تاريخ وطنه كله، ويدرك مغزاه وسر تطوره وإتجاه خطواته.

ومن هذا المنطلق يكتب كاتبنا الكبير عن عبدالله النديم، وعن زواج الشيخ على يوسف، وعن الجلاء والدستور والفن الجميل، وعن إمبراطورية زفتى، وعن الأمة بين سعد وعدلى، وعن كتاب على عبد الرازق "الاسلام وأصول الحكم" بأسلوب شائق جذاب.



□ الكتاب: عباقرة ومجانين
تأليف: رجاء النقاش
الناشر: مركز الترجمة، والأهرام، ٣٢٢ ص.

بأسلوبه الرشيق المميز كتب الناقد والزميل رجاء النقاش

عن ٣٦ شخصية من الشخصيات العربية والعالمية الذين كانت حياتهم وأعمالهم علامات مميزة ، تركت بصمات واضحة فى تاريخ الفكر الانسانى والفن الانسانى .

لكن رجاء النقاش يقصد بكتابته عن هؤلاء الى هدف محدد واضح يريد به أن يدفع أبناء الأجيال العربية الجديدة إلى النظر الى الأدب والفكر والثقافة نظرة ايجابية عكس النظرة السلبية السائدة . فيقول انهم يتصورون أن الثقافه بصورة عامة هى شىء ثقيل الظل مرهق للعقل والنفس ، ولذلك فإن الثقافة الخفيفة وحدها هى التى تثير اهتمام الأجيال الجديدة وهذه الثقافة الخفيفة هى الافلام الترفيهية والغناء والموسيقى السهلة والعروض المسرحية الضاحكة ، أما وسائل الثقافة العميقة الجادة ، وعلى رأسها الكتاب ، فقد أصبحت من الأمور التى يحسن بالانسان أن يبتعد عنها حفاظا على صحته ومعنوياته من الضعف والاعتلال ..

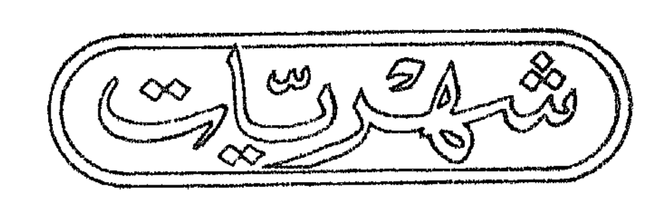
لذلك فإن هذا الكتاب .. هو محاولة من بين محاولات عديدة لازالة الأوهام التى تتصل بأمور الثقافة وفروعها المختلفة من أدب وفن وفكر فليس صحيحا - يقول النقاش - أن الثقافة شىء منفصل عن حياة الانسان بأفراحها وأحزانها المتنوعة ، وليس صحيحا أن المثقفين هم قوم يعيشون فى منطقة معزولة عن الدنيا ، وأنهم مجموعة من الكهنة الغامضين الذين لايعرف سرهم أحد ، بل الحقيقة هى أن الثقافة تعبير عن مشاكل الانسان وهمومه ، وأن المثقفين يحبون ويكرهون ويتأملون ويواجهون نفس المشاكل المادية والمعنوية التى يتعرض لها الناس جميعا" .

لذلك فإن الكاتب هنا يأخذ القارىء فى رحلة طويلة متنوعة بين ردهات عوالم العباقرة والمبدعين ليدلل له على انه بالامكان أن يستمتع بحكايات حياتهم كما انه يمكن أن يستخلص العبر العميقة ليصل الى القيم الانسانية الرفيعة .



رحلاتى إلى الشرق والغرب
تأليف : كمال سعد
٢٨٨ ص - ٥ ج . م

● رحلاتى الى الشرق والغرب أحدث كتب الزميل الكاتب الصحفى كمال سعد ، ويتضمن رحلاته الشيقة الى ٥٤ دولة من بلاد العالم .



في بداية الكتاب يستعير المؤلف قول الشاعر التركي الكبير ناظم حكمت :

لاتحيا على الأرض كمستأجر بيت بل عش في العالم . وكأن العالم بيت أبيك .

بهذه الكلمات البسيطة السهلة يستهل المؤلف كمال سعد رحلاته معنا الى الشرق والغرب تحت عناوين : يازمان الاندلس ، بندقية بلا رصاص بين الأسود والأفيال ، تونس فوق صهوة جواد الزمن ، رأيت غجر أوربا يبكون ويرقصون ، نيويورك غابة السوبرمان والمسرات البابلية ، باريس وجه لايعرف التجاعيد ، أبطال المواقف في مدن خضراء ، نوبيون والأصل مجرى ، بومباي ، مابعد هزيمة اللؤلؤ الطبيعي ، من بنغازي الى النهر الصناعي العظيم ، روما : الفن والفوضى ، وهذا بخلاف جولاته في اليمن وقطر والمغرب والسودان ومعايشته للمسلمين المنسيين على المحيط الهندي .

إنه بقلمه الساحر استطاع أن ينقل لنا أبدع الصور التي صاغها باقتدار وكأنه يأخذك على بساط رائع إلى المكان والانسان في غمضة عين لترى النماذج البشرية المتعددة الزاخرة بالحياة والحيوية والدفء .

إنه يقول في مقدمة كتابه : "بعض المدن جردتني من الشعور بالدفء والاحساس بلمسة الفن الأصيل لأنها اهتمت فقط بتأكيد قوتها وسلطانها على البشر أجمعين بلا حدود ، بينما كنت أتحول في مدن أخرى الى عاشق ينهل من فيض ذلك النهر الانساني الذي لم يجف أو ينضب رغم قسوة السنين .

ويتحدث في الكتاب عن المدن التي ضخمت الأصنام ثم اكتشفت الخديعة الكبرى فألقت بهم من حالق ، وعن المسلمين المنسيين الذين رآهم في عزلة تامة عن المجتمع الاسلامي ، يغسلون أحزانهم في مياه المحيط الهندي ويعيشون كمواطنين من الدرجة الثالثة !

وفي إحدى رحلاته الأفريقية قال أنهم حاولوا أن يصنعوا مني صيادا ماهرا في غابات الوحوش ، ولكن خوفي على زوال عالم البراري النقي جعلني أرفض أن أكون مدمرا لعالم الغابة المفرط في الجمال والحسن .

إنه - باختصار - كتاب جديد - يحقق الارتباط بين الانسان والمكان ، فقد عاش المؤلف كمال سعد مع نبض الانسان على هذه الأرض ، وحلمه الدائم في أن تظلله شجرة

العدل والحرية فى كل عصر وأوان .



النكتة السياسية
تأليف عادل حمودة
سفنكس للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٩١

وسط هذا الازدحام الغريب لعناوين الكتب فوق ارفف المكتبات وباعة الصحف لابد ان تكون هناك حاسة خاصة على الانتقاء . ولذا فان الكاتب الذكى الذى عليه ان يضمن توزيع كتابه بشكل جيد هو ان يختار موضوعا جديدا وساخنا وجذابا .

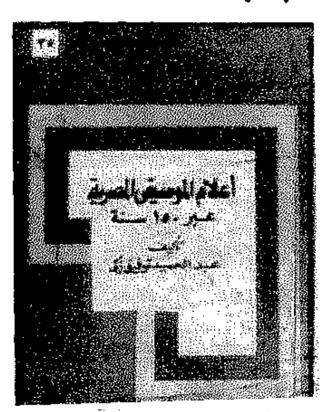
وعادل حمودة هو واحد من هؤلاء الكتاب الذين يختارون موضوعات ساخنة لتقديمها الى قرائهم . فباعتبار ان الكتب السياسية التى تتعرض للتاريخ المصرى المعاصر هى الان جذبا للقراء فان الكاتب قد خصص قلمه فى الفترة الأخيرة للحديث عن اكثر الموضوعات تدفقا ، وجذبا للانتباه .. مثل قضية اغتيال عالم الذرة المصرى يحيى المشد على ايدى الموساد ومثل اغتيال انور السادات وغيرهما .

وعنوان الكتاب الذى صدر اخيرا لعادل حمودة بالغ الاثارة والجاذبية فهو « عن النكتة السياسية » أو « كيف يسخر المصريون من حكامهم » ولابد أن مثل هذين العنوانين كافيان لاثارة شهية القراءة . ليس فقط بالضحك من خلال استعادة اشهر وابرز النكت التى تداولها الناس فى الثلاثين عاما الاخير ، ولكن لاستعادة الظروف الاجتماعية والسياسية الذى انطلقت هذه النكت فى اجوائها .

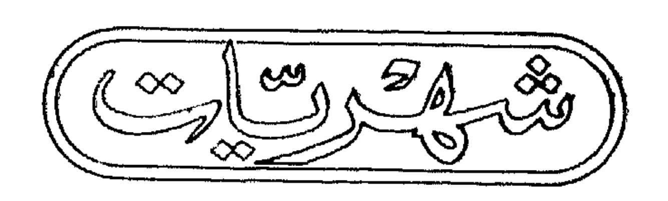
وبالفعل فقد جاء الكتاب بمثابة وثيقة جذابة خاصة ان الكتب تصور الحكام على مختلف مستوياتهم فى أوضاع غير لائقة . وجعلهم ينطقون بالفاظ يعاقب عليها القانون . فقد اراد الناس ان يؤكدوا لانفسهم ان هؤلاء الاقوياء ، ليسوا آلهة ولا انصاف آلهة . وانهم مثلهم يتعرون ، وينهزمون ، وينهارون ويتوجعون ، ويصابون بالخوف والاسهال والامساك وينطقون الفاظا خارجة جارحة ايضا .

« فنحن نضحك على من هم صورة منا أو نضحك على من نريد أن نثبت لانفسنا انهم صورة منا أو أنهم لم يعودوا مختلفين . أو مميزين أو اقوياء عنا .

والنكت السياسية لم تتوقف عن التداول فى اى وقت . انما هى فقط تظهر وتختفى انها دائما هناك يتناقلها الناس فرادى أو فى جماعات تسرى بينهم كما النار فى الهشيم ، وسرعان ماينساها الناس لانها اصبحت « قديمة » فالجديدة أحلى ولو كانت « وحلا » .. وايمانا أن نكتة واحدة قد تعطى تأثير كتاب بأكمله .



الكتاب : أعلام الموسيقى المصرية



عبر ١٥٠ سنة
تاليف : عبدالحميد توفيق زكى
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ سلسلة تاريخ المصريين ..

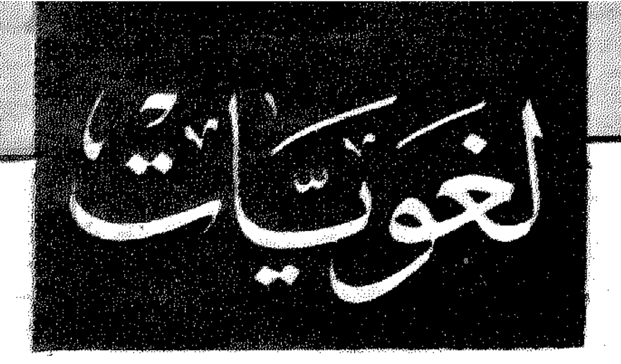
● يتناول هذا الكتاب تاريخ عدد كبير من أعلام المغنين والمغنيات والملحنين ومؤلفى الموسيقى البحتة فى مصر، خلال مائة وخمسين عاما .. ومنهم رواد المدرسة المصرية فى الغناء العربى المتقن "الكلاسيكى" أمثال الشيخ محمد عبدالرحيم المسلوب وعبده الحمولى ومحمد عثمان والشيخ أبوالعلا محمد وزكريا أحمد والقصبجى والسنباطى وأم كلثوم ومنيرة المهدية وسيد درويش وغيرهم من أساطين مدرسة الغناء والتلحين فى مصر من منتصف القرن التاسع عشر إلى أواخر القرن العشرين .

ويتحدث المؤلف الأستاذ عبدالحميد توفيق زكى أستاذ التذوق الموسيقى بأكاديمية الفنون ، عن فريق آخر من الموسيقيين المصريين يسميهم المؤلف "رواد الموسيقى المصرية المتطورة" .. ويقصد بهم أولئك الذين نسجوا على منوال الموسيقى الأوربية قلبا وقالبا ، وإن كان بعضهم قد حاول أن يجعل لأعماله الموسيقية طابعا قوميا بالاستعانة بشذرات من الموسيقى الشعبية المصرية وتوظيفها فى التأليف الموسيقى الأوربى ، أمثال يوسف جريس وأبو بكر خيرت وأحمد عبيد ومحمد حسن الشجاعى وعبدالحليم على ، وقد اعتبر المؤلف أن الموسيقار عبدالحليم نويرة واحد من هؤلاء مع أن معظم أعماله من الموسيقى العربية والغناء العربى وله خدمات لتراثهما لا ينساه أحد .

ويذكرنا هذا التحديد لرواد الموسيقى المصرية التقليدية ـ كما يسميها المؤلف الفاضل ـ ورواد الموسيقى المتطورة ، بالانفصام الواقع فى هذا المجال بين دعاة الحفاظ على الموسيقى العربية والغناء العربى ، ودعاة إلغاء هذين الفنين العظيمين وإبداعهما المتاحف ، ثم الاتيان بالموسيقى الأوربية والغناء الأوربى وإحلالهما بدلا من تينك الفنين العربيين !

على أن الأستاذ عبدالحميد توفيق زكى لم يناقش هذه المشكلة ، وكان حسن النية فى تقسيم الملحنين والموسيقيين المصريين إلى تقليديين وتطوريين ، ولكن الحقيقة أن التطوريين كانوا ـ ومازالوا ـ مجرد مقلدين للموسيقى الأوربية ، عاجزين عن إبداع موسيقى عربية متطورة !..

والكتاب إسهام طيب مفيد فى تعريف القارىء العربى بأعلام الغناء والتلحين و"الموسيقى المتطورة" فى مصر خلال قرن ونصف قرن من الزمان ! ..



● حديثنا هذه المرة عن الأصوات .. أصوات المطربين والمطربات ، الجميل منها والقبيح ، فماذا يقال في هذا الباب ؟!..

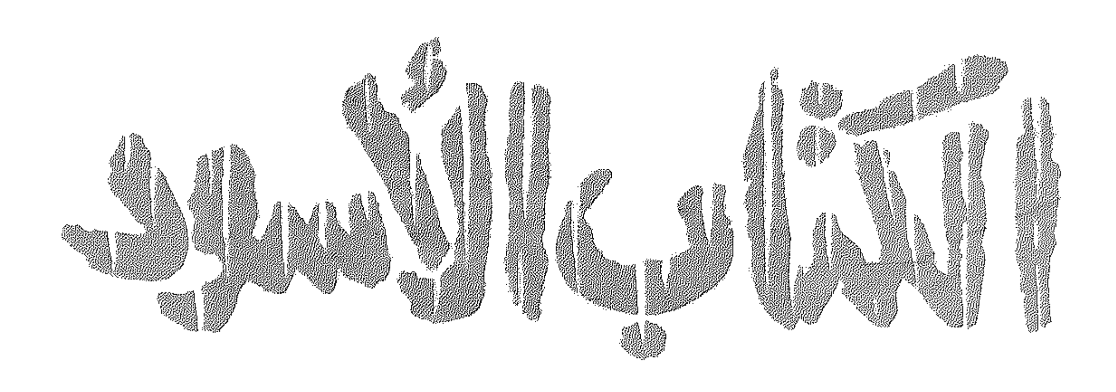
● العامة تصف الصوت الذى يشوبه بَحَحٌ ، بأنه صوت " مبحوح " وكذلك كان صوت منيرة المهدية سلطانة الطرب قبل سبعين عاما .. ولكن كلمة " مبحوح " خطأ لغوى ، والصواب " أَبَحّ " - بفتح الهمزة والباء وتشديد الحاء .

● والمطربة ذات الصوت الأبح توصف بأنها " بحاء " ويوصف المطرب بأنه " أبح " .. والصوت الأبح ثلاثة أنواع : صوت أصابته البحة من المرض وآخر من التعب ، والثالث ذو بحة طبيعية مخلوقة فيه ، وهذا أحسن أنواع البحح ! ..

● قيل إن المجمع اللغوى أطلق ذات مرة على " التليفون " اسم " الارزيز " .. وهى تسمية ثقيلة وغير صحيحة ، فإن الإرزيز هو المغنى أو المتكلم ذو الصوت الطويل الممتد ، ولكن يبدو أن المجمع إنما نظر إلى كلمة " الرزيزى " وهو الصوت الخفى للمغنى وغيره ..

● ومن الأصوات الخفية أيضا " الركز " .. وهو يلى الرزيز .. ويليه " الرمز " وهو تصويت خفى باللسان من وراء الشفتين المفتوحتين قليلا جدا ، ومنه جاء اصطلاح " الرمز " ، أو " الرمزى " الذى يستعمله وجهاء الأدباء الآن فى الأدب ولهم فيه مذاهب كثيرة ! ..

● الصوت الجميل يوصف أحيانا بالصوت " الأغن " أى الذى يجرى بعض النغم من خياشيم صاحبه ، وعكسه الصوت " الأخن " الذى يخرج كله من الأنف ! ..



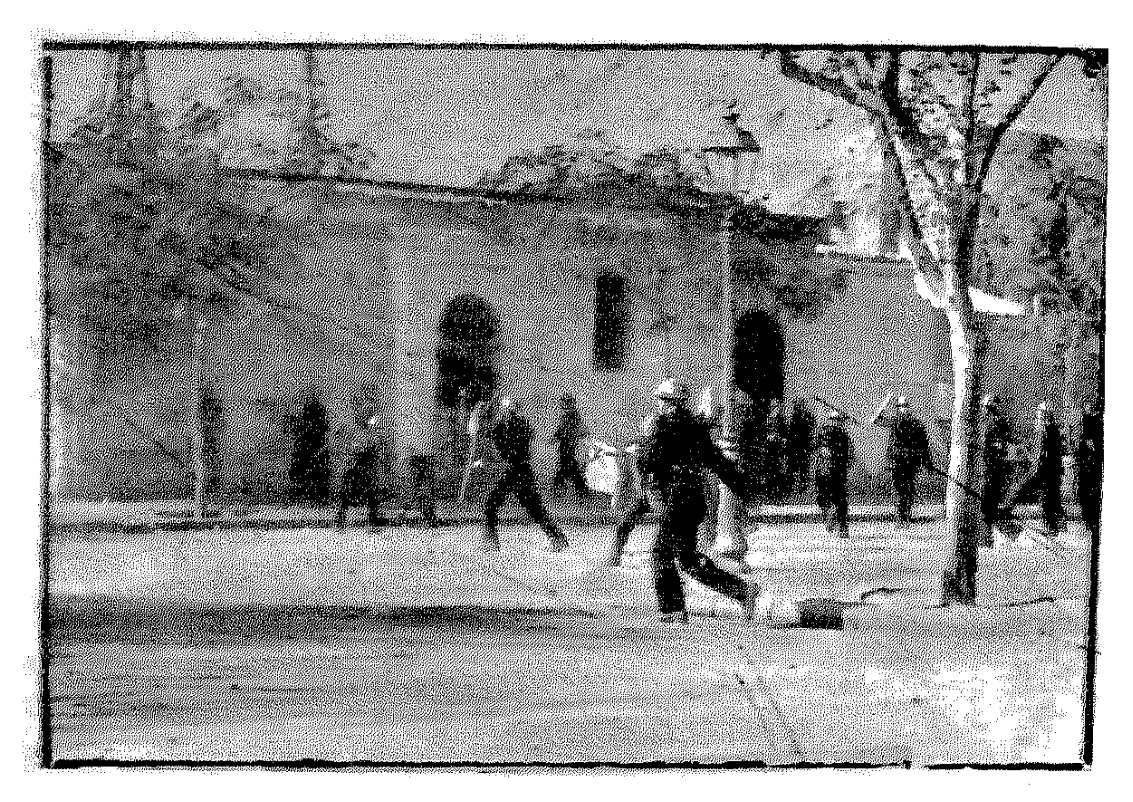
فى العهد الأسود

بقلم: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

نقدم للقارئ ، الكتب الصادرة خلال القرن الماضى ، والتى حملت وجهة نظر مخالفة نتبين من خلالها مدى مايمكن أن يتقبله أو يرفضه الرأى الآخر

أثار توزيع الكتاب الأسود الذى هاجم فيه مكرم عبيد سكرتير عام حزب الوفد ممارسات مصطفى النحاس زعيم الحزب ورئيس الوزراء ردود فعل قوية كانت بمثابة المعول الثانى الذى زعزع هذا الحزب الذى تصدر الحياة السياسية المصرية منذ ثورة ١٩١٩ - أما المعول الآخر فكان تشكيل النحاس وزارته الرابعة فى أعقاب حصار الانجليز لقصر عابدين بالدبابات وفرضهم على الملك فاروق احد خيارين : اما تكليف النحاس بتولى الحكم واما تنازله عن العرش . وكان فاروق حينئذ لا يزال يتمتع بقسط وافر من الشعبية بحيث نال عطف أغلبية المصريين الذين عدّوا ما حدث اعتداء على كرامة البلاد واستقلالها ، مما أدى إلى المساس بشعبية زعيم حزب الوفد الذى كان قد تشكل قبيل ثورة ١٩١٩ للسعى فى سبيل استقلال البلاد .

حقيقة ان النحاس كان قد تصدى منذ تبوئه زعامة الحزب فى عام ١٩٢٧ - فى أعقاب وفاة الزعيم سعد زغلول لأوتوقراطية القصر وسعى إلى استكمال الاستقلال الذى نص عليه تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ عن طريق المفاوضات ، إلا أنه رأس الجبهة الوطنية التى وقعت معاهدة ١٩٣٦ التى قننت الاحتلال البريطانى برغم الدعاية واسعة النطاق التى روجها الزعماء الوفديون والتى مفادها أنهم حصلوا لمصر على الشرف والاستقلال : فقد بقيت القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس وغيرها وكان المندوب السامى البريطانى (الذى أصبح سفيرا بعد



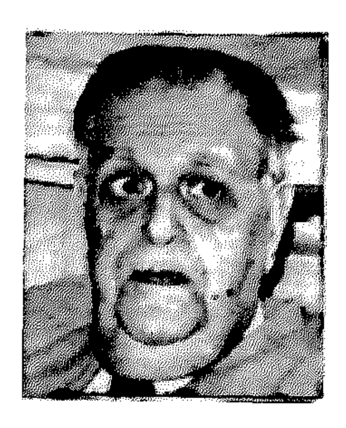
ثورة ١٩١٩ ساعدت فى زيادة شعبية الوفد



مصطفى النحاس



مكرم عبيد



فؤاد سراج الدين

توقيع المعاهدة) يتدخل فيما يشاء من شئون البلاد الداخلية باسم المحالفة التى نصت عليها المعاهدة .

ولم يكن الوفد منذ تشكيله فى عام ١٩١٩ وتحوله إلى حزب سياسى فى أوائل العشرينات حزبا بالمعنى الأوروبى للكلمة ، بل كان حركة سياسية تتكلم باسم الأمة جميعا : فكان يضم الأقباط والمسلمين فى إطار الوحدة الوطنية ويحظى بتأييد الشارع المصرى ويحرز أغلبية ساحقة فى أى انتخابات حرة وينادى بالديمقراطية والعلمانية وان يكن تكوينه يتضمن تناقضات مترتبة على احتوائه على كبار ملاك الأراضى والفلاحين والمهنيين والعمال والطلبة ، وهى

الفئات الاجتماعية التى كانت قد وحدتها الروح الوطنية المتدفقة التى ما لبثت أن ضعفت بالتدريج بفعل الانقسامات التى جرت داخل الحزب نتيجة لدكتاتورية زعامته وانحسار الحماسة للنضال التى تميزت بها الحركة الوطنية خلال ثورة ١٩١٩ والنكسات التى تعرض لها الحزب نتيجة للخصومة القائمة بينه وبين القصر وتدخل الانجليز فى شئون البلاد الداخلية .

● ابن سعد البار

أما زعيم الحزب منذ عام ١٩٢٧ وحتى استيلاء الضباط على الحكم فى عام ١٩٥٢ فهو مصطفى النحاس الذى كان قد اشتهر بقوة وطنيته ونزاهته ونظافة يده وقربه من قلوب الجماهير . وأما (وليم) مكرم عبيد فقد كان ساعد النحاس الأيمن وسكرتيرا عاما للوفد وكان مكرم من الشبان المحيطين بسعد زغلول الذى قدر فيه ذكاءه وثقافته وجاذبيته الجماهيرية وكفاءته كمتحدث وكاتب ممتاز باللغتين العربية والانجليزية . ولقد توثقت صلات مكرم بسعد زغلول بحيث خلع عليه لقب "ابن سعد البار" واستطاع بمواهبه الخطابية وقوة بيانه أن يحرز مركز الصدارة فى مهنة المحاماة وأن يتولى أكثر من مرة رئاسة نقابة المحامين .

وكان مكرم والنحاس متلازمين لفترة طويلة ، وكان كل منهما يكمل الآخر ـ فقد كان مكرم بمثابة مستشار النحاس الدائم ، وكان قد استغل نواحى القصور فى شخصية زعيم الوفد البسيط والصريح وطيب القلب الذى لم يتصف بكونه مفاوضا ماهرا بإمكانه التعامل مع العقلية الأوربية . وكانت سيطرته على النحاس من أهم أسباب توجيه الهجوم إلى الوفد الذى كان خصومه يثيرون حملتهم على الوفد الذى اتهموه بالوقوع تحت التأثير "القبطى" .

وقد تولى مكرم عبيد وزارتى المالية والتموين فى الوزارة الوفدية التى تولت الحكم فى أعقاب حادثة ٤ فبراير فى فترة خطيرة من تاريخ مصر والعالم ، إذ أن الحرب العالمية الثانية أدت إلى إيجاد مشاكل تموينية فى البلاد بسبب صعوبة أعمال التصدير والاستيراد فى الوقت الذى كانت فيه قوات المحور قد اخترقت الحدود المصرية من ناحية ليبيا واقتربت من الأسكندرية وتحركت مظاهرات فى شوارع القاهرة هاتفة "إلى الأمام يا روميل" !! ومنذ أوائل عهد حكومة الوفد الرابعة برز عامل جديد فى حياة النحاس الذى كان قد تقدمت به السن وهدّه الكفاح والصراع مع القصر وضيق ذات اليد ـ وهذا العامل هو السيطرة التى أحرزتها عليه زوجته الشابة الجميلة الطموحة السيدة زينب الوكيل التى كانت تحلم باستغلال سيطرتها على زعيم الوفد

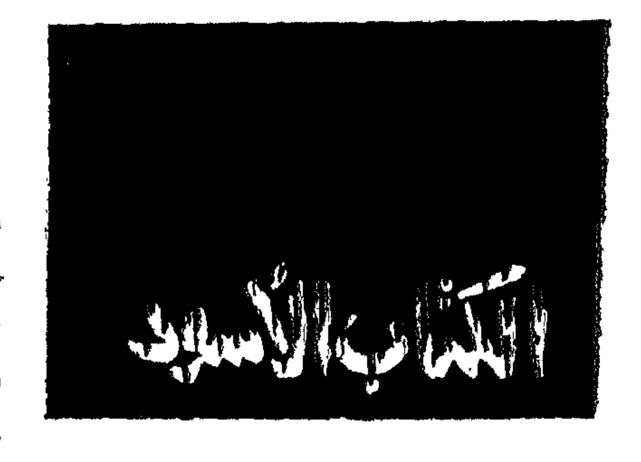
للاثراء هى وأقاربها . وقد قيل إنها كانت تتدخل بصورة مباشرة لدى

الوزراء لتعيين أو ترقية أقاربها أو منحهم الامتيازات والاستثناءات عن طريق أذونات التصدير والاستيراد . وفى نفس الوقت أقر النحاس الترقيات الاستثنائية للوفديين الذين بقوا خارج الحكم منذ عام ١٩٣٧ وهى الترقيات التى رفضها مكرم عبيد . وبالاضافة إلى ذلك فقد أنضم إلى الوفد شاب ثرى طموح هو النائب فؤاد سراج الدين الذى سعى إلى التقرب من زعيم الوفد وإحراز ثقة زوجته فى الوقت الذى اختفى فيه كبار المثقفين من الحزب وبرز فيه نفوذ كبار الملاك والأثرياء وقد أدت تطلعات فؤاد سراج الدين وممارسات زينب الوكيل إلى نقمة مكرم عبيد ، وانتهز القصر ذلك للعمل على دق إسفين بين مكرم

والنحاس أملا فى إضعاف حزب الوفد والانتقام من وقوفه للسلطة الملكية بالمرصاد فى الوقت الذى ربما وعد فيه القصر مكرم برئاسة الوزارة التى كان يرى نفسه جديرا بها لما كان يتمتع به من شعبية قوية خاصة وقد كان له أتباع كثيرون خارج وداخل الحزب كما كان يستند إلى تأييد العمال وشباب الحزب . وكانت النتيجة أن اشتدت الخلافات داخل الوفد ولم يسع أحد من كبار مسئوليه إلى رأب الصدع وذلك نتيجة لشماتة معظم أقطاب الحزب فى مكرم الذى استأثر بصداقة النحاس وأصبح الرئيس غير المتوج لحزب الأغلبية والنتيجة هى اتصال مكرم مباشرة بالقصر متجاهلا النحاس ذلك الزعيم الذى سبق له أن خلع عليه اسم "الزعيم المقدس" وفى يونية ١٩٤٢ طرد النحاس مكرم من السكرتارية العامة للوفد وفى يولية طرد كذلك من عضوية الحزب فأعلن تشكيل حزبه "الكتلة الوفدية المستقلة » التى وصفها بأنها" الوفد مصغرا والوفد مطهرا" !!

● مخالفات ومحسوبية

وردا على كل ذلك قرر مكرم عبيد أن يهاجم النحاس علنا ويكشف النقاب عن أمثلة كثيرة من المحسوبية والفساد فى حكومة الوفد وأن يسجل اتهاماته فى كتاب ينشر فى الوقت المناسب . وهكذا نبتت فكرة تأليف "الكتاب الأسود" على شكل عريضة تقدم إلى الملك متضمنة تفاصيل المخالفات والمحسوبية والفساد مما ارتكبته حكومة الوفد . وقد جرى طبع الكتاب فى مكان سرى وخطط لأن يتسلم الملك نسخة منه فى الوقت الذى يجرى فيه توزيعه على أيدى أعضاء "الكتلة الوفدية" فى جميع المديريات . وكان الملك فاروق الذى أبدى حماسته لفكرة تأليف الكتاب يتابع أنباء إعداده والاحتياطات المتخذة لمنع الحاكم العسكرى من افساد هذه الخطة بل انه قبل أن تودع صورته وملحقاته من الوثائق فى إحدى



خزائن قصر عابدين إلى أن يتم تحديد موعد تقديمه إليه واذاعته على الناس . وكان من المتوقع ان يكون الكتاب صغيرا ولكنه أخذ يتضخم نتيجة لما تلقاه مكرم من فضائح كان حريصا على ان يستخرج صورا من وثائقها لتعزيز كل ما يكتب ويسجل وتم الاتفاق على نقل ملازم "الكتاب الأسود" من الأماكن التى كان مبعثرا فيها إلى مكان مأمون يتم فيه ضمها بعضها إلى بعض قبل أن يتم تغليف الكتاب . وأما التوزيع فقد وضعت خطته بحيث ترسل النسخ فى أقفاص الفاكهة إلى جميع أنحاء القطر باسم أعضاء الكتلة وبداخل كل قفص تعليمات تقضى بالا تفتح النسخ إلا فى يوم ١٣ مارس ١٩٤٣ وهو يوم تقديم العريضة وتوزيع الكتاب الذى جاء على شكل عريضة إلى الملك تبين اسلوب العلاج الممكن للمخالفات وتطلب من الملك أن يزيح حكومة الوفد بأسرع ما يمكن صونا للدستور وحفاظا على العدل والكرامة والشرف وأن يعين لجنة قضائية خاصة لدراسة جميع الاتهامات الماسة بالامانة ونزاهة الحكم وسرعة معاقبة المسئولين عنها . كما قدم اقتراح بسن قانون يتيح سؤال الوزراء والمسئولين عما اكتسبوه خلال اضطلاعهم بالسلطة وسن قانون آخر يضع حدا للاجراءات التى اتخذت ضد الحريات والأفراد والأحزاب وإطلاق سراح المسجونين السياسيين ودفع تعويضات عن المظالم التى انزلتها الحكومة الوفدية بخصومها .

● طرد مكرم عبيد !

وبتوزيع الكتاب الأسود حققت السراى هدفها الخاص بالعمل على هدم حزب الوفد بحيث لم تعد تعير كبير اهتمام بمكرم عبيد بعد ان استنفدت أغراضها منه ، ومن ثم اقتصارها على تحويل الكتاب إلى رئيس الوزراء مع رسالة تفسيرية مرفقة به ومن ناحية أخرى سعى الملك ـ بعد ظهور الكتاب الأسود ـ إلى إقالة الحكومة الوفدية ولو أن ظروف الحرب العالمية حالت دون ذلك بسبب تمسك الإنجليز ببقاء الحكومة الوفدية التى تعاونت معهم تعاونا كبيرا وطبقت بنود معاهدة ١٩٣٦ نصا وروحا . وفى البرلمان جرى طرح الكتاب الأسود من جانب مكرم والوفديين البرلمانيين ، واتخذ الاعضاء قرارا بشجب مكرم وكتابه وتجديد الثقة بالنحاس ووزارته . ثم تقدم مكتب مجلس النواب باقتراح يقضى بطرد مكرم عبيد من عضوية مجلس النواب ، وبالفعل تم طرده من المجلس هو وجميع مؤيديه . وفى عام ١٩٤٤ ظهرت جريدة "الكتلة" التى حاول مكرم ان يجعلها منبرا لعرض اتهاماته وتعزيز مكانة

حزبه الوليد . وفى ٩ مايو ١٩٤٤ قبض على مكرم الذى بقى فى السجن إلى أن تعدل الموقف الدولى لصالح الحلفاء ولم تعد فيه للإنجليز حاجة إلى بقاء الحكومة الوفدية التى تمت إقالتها

ورغم أن حزب الكتلة لم يجتذب إلى صفه كثيراً من الوفديين الذين آثروا البقاء فى حزب الأغلبية فقد كان للكتاب الأسود وجريدة «الكتلة» اثرهما فى زعزعة مركز النحاس وحزب الوفد فى الوقت الذى شجعت فيه السراى على الهجوم بلا هوادة على ذلك الحزب الذى طالما رفع لواء الديمقراطية والوطنية بحيث أصبح موقفه بعد هذه الأزمة أضعف مما كان عليه فى السابق . ومما ساعد على قوة تأثير "الكتاب الاسود" أسلوب مكرم عبيد البليغ الملىء بالسجع والسخرية مما يلقى قبولا لدى جماهير الناطقين بالضاد – وأقدم هنا بعض نماذج من صياغة "الكتاب الأسود" .

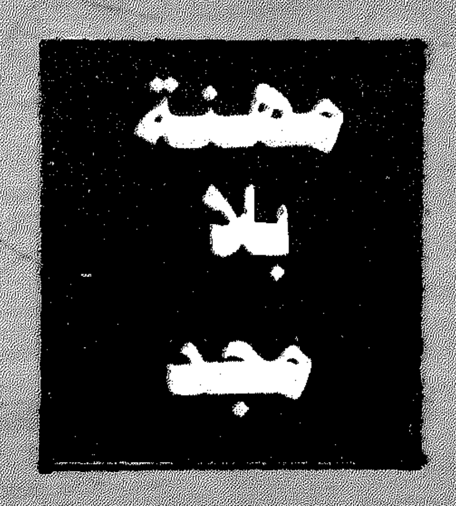
حين فسر أنصار النحاس الخلاف بين مكرم والنحاس على انه ناتج عن حنق مكرم نتيجة لفقده سلطانه القديم فى الوفد كان رد "الكتاب الأسود" على ذلك هو تساؤله التالى : "ففيم وعلام نحنق وقد كنا فى كل أدوار الخلاف نشفق ونأبى إلا أن نشفق ؟ نشفق من أن ينهار ذلك البناء الشامخ الذى ساهمنا فى تشييده حجرا فوق حجر وفى تخليده أثرا بعد أثر" .

– "كان جونا صفاء لا يشوبه كدر وثقة لا يعروها حذر إلى أن بزغ شيطان المال بيننا فشاء وقدر"

– أى مولاى الملك .. أفى عهدك .. يسام أفراد الشعب كالسوائم ، بل أين نحن من السوائم ، فإن لها جمعيات ترفق بها ، فلا سبيل للمجموع أن يحس وجوده ويتنفس .. ولا سبيل للفرد أن يعيش إلا أن يتلمس العيش ويتحسس أو يتدنس ويتجسس" !

★ ★ ★

وهكذا نكون قد قدمنا إلمامة بالكتاب الأسود الذى كان من المعاول الأساسية التى هزت دعائم حزب الوفد ومهدت للسخط العام الذى كان ينذر بتطورات جسام من شانها ان تقضى على نظام الحكم القائم الذى اتضح الا آمل فى إصلاحه من الداخل ما دام اكبر الأحزاب العاملة على الساحة السياسية قد نخر فيه السوس وهرمت قياداته التى فصلتها هوة واسعة عن الكتل الجماهيرية فما ان تجاوبت اصداء الهجوم على حزب الوفد من جانب خصومه ومن جانب من كانت تحركهم السراى حتى عمت الفوضى الحياة السياسية المصرية التى كان الملك فاروق قد سيطر عليها وهو يتصف بفساد يفوق ذلك الذى اتهم به الوفد والنحاس . وهكذا اصبحت الساحة السياسية التقليدية تعانى فراغا ينتظر من يملؤه فكان المنعطف الجديد الذى سارت فيه اوضاع مصر منذ عام ١٩٥٢ .



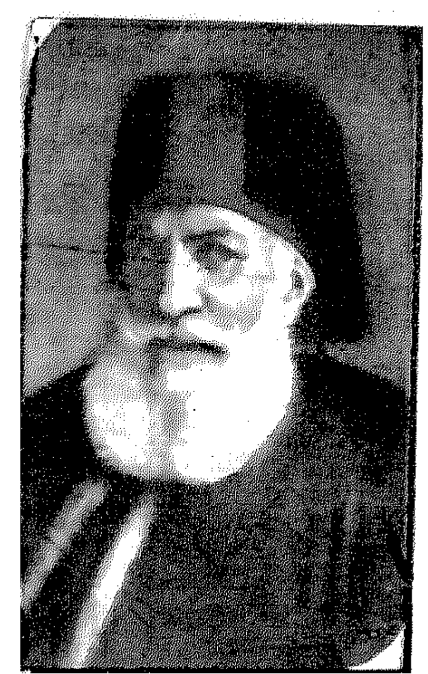
زعموا أن المعلم كاد أن يكون رسولا ؟

بقلم :
د. سعيد إسماعيل على

عندما بلغت وزارة المعارف (التعليم) من العمر مائة عام سنة ١٩٣٧ ، وارادت مجلة (الهلال) المساهمة فى هذه المناسبة باصدار عدد خاص عن حركة الثقافة والتعليم فى مصر فى مائة عام ، طلبت من الاديب الشهير (زكى مبارك) ان يكتب لها مقالا عن (المعلم فى مائة عام) ، ورغم استجابته الايجابية ، فقد صدر مقاله بقوله :

"ليتهم اختاروا لهذا الموضوع كاتبا سواى ، فقد شقيت بمهنة التدريس ، ثم شقيت وشقيت ، فلم ارها فى مصر الا خليقة بالوصف الذى رايته فى مجلة المسيو لابيل منذ سنين : مهنة بلا مجد .

ان هذه (الحسرة) وهذا (الأسى) التى تقطر بها كلمات زكى مبارك ، انما تلخص فى سطور قليلة خبرة عربية عجيبة تصرخ بمفارقة مذهلة بين (المثال) و (الواقع) فيما يتعلق بقضيتنا بصفة خاصة ، فلا اظن ان هناك مهنة (حظيت) بمثل ما حظيت به مهنة التعليم من آيات التقدير ، على المستوى النظرى ، ابتداء من اعلى المصادر واسماها فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، الى مستويات متعددة من كتابات المفكرين والفلاسفة وقصائد





محمد على



الازهر .. كعنقاء للعلم

الشعراء ونصوص القوانين واللوائح وخطب وتصريحات المسئولين .

لكننا يمكن بغير مبالغة أن نثبت ملاحظة هامة هنا أيضا بأن هذه المهنة (واقعا) قد (شقيت) بما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر من آيات الازدراء ، ومظاهر سوء الحال ومشاعر النقص !!

حكى عن الجاحظ أنه قال : ألفت كتابا فى نوادر المعلمين وما هم عليه من الغفلة ، ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب ، فدخلت يوما قرية فوجدت فيها معلما فى هيئة حسنة فسلمت عليه فرد على أحسن رد ، ورحب بى ، فجلست عنده وباحثته فى القرآن ، فإذا هو ما فيه ، ثم فاتحته فى الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب ، فإذا هو كامل الأدوات ، فقلت : هذا والله مايقوى عزمى على تقطيع الكتاب ، قال فكنت أختلف اليه وأزوره ، فجئت يوما لزيارته وطرقت الباب فخرجت الى جاريته وقالت : ماذا تريد ؟ قلت سيدك . فدخلت وخرجت وقالت : باسم الله . فدخلت اليه واذا به جالس فقلت : عظم الله اجرك ، لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر . ثم قلت له : هذا الذى توفى ولدك ؟ قال : لا ، قلت : فوالدك ؟ قال : لا ، قلت فأخوك ؟ قال : لا قلت فزوجتك ؟ قال : لا ، قلت فأخوك ؟ قال : لا وما منك : حبيبتى !! قلت : فى نفسى هذه أول المناحس ! قلت : سبحان الله ، النساء كثير ، وستجد غيرها ، قال : اتظن انى رأيتها ؟ قلت : وهذه منحسة ثانية ! ثم قلت : وكيف عشقت من لم تر ؟ فقال : اعلم أنى كنت جالسا فى هذا المكان وانا أنظر من الطاق ، إذ رأيت رجلا عليه برد ، وهو يقول :

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة
ردى علـى فؤادى أينما كانـا

فقلت فى نفسى : لولا أن أم عمرو هذه

مهنة بلا مجد

مافى الدنيا أحسن منها ماقيل فيها هذا الشعر ، ، فعشقتها ، فلما كان منذ يومين ، مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول :

لقد ذهب الحمار بأم عمرو
فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت لنها ماتت ، فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست فى الدار . قلت : ياهذا ، انى كنت ألفت كتابا فى نوادركم معشر المعلمين ، وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه ، والآن قد قويت عزمى على ابقائه ، وأول ما أبدأ بك أن شاء الله !!

لكن مثل هذه الصورة التى يرويها الجاحظ وغيرها مما ماثلها ، كان مصدرها بصفة رئيسية معلمى الكتاتيب الذين كان عدد كبير منهم على قدر غير قليل من ضحالة الثقافة وسوء الحال الاقتصادى وتواضع المركز الاجتماعى .

● الأزهر وحركة التغيير الاجتماعى

وهناك تفسير آخر يذهب اليه البعض يحتاج الى مناقشة مستفيضة ليس هذا مكانها ، اذ يرى (خليل طوطح) فى كتابه (التربية عند العرب ، ص ٣٧) أن التعليم بادىء ذى بدء يظهر لنه لم يكن مهنة أو صناعة عند العرب ، أى أن المعلمين لم ينتحلوا التعليم حرفة للمعاش ، بل علموا القرآن لغرض دينى وحبا للعمل لا للأجرة والانتفاع . ولذا فلابد أن يكون قد قام اولا بأمر التعليم كبار القوم ، أولئك الذين كانوا مستقلين استقلالا اقتصاديا ، ويؤيد هذه النظرية ما قاله ابن خلدون : "وأن التعليم فى صدر الاسلام والدولتين ، لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة ، وانما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعليما لما جهل من الدين على جهة البلاغ ، فكان أهل الأنساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ الخيرى لاعلى وجه التعليم الصناعى" .

وأذن فقد كان المعلم من أهل العصبية أو من الهواة . غير أنه لم يبق على تلك الحالة بل استحال صناعة لابتغاء الرزق ، ولذا أقبل عليه من كان فى حاجة الى تحصيل معاشه ، وترفع عنه من لم يكن فى حاجة الى المعاش .

وكان شأن العرب شأن بعض الأمم الأخرى الفاتحة ، اذ أشتغلت بالشئون العسكرية تاركة مهنة التعليم ومهنة الكتابة فى الدواوين للموالى من الفرس والروم والاقباط .

لكن الذى لاشك فيه أن من كانوا يمارسون التعليم فى أرجاء مصر حتى نهاية القرن الثامن عشر من خريجى الأزهر ، حظوا بمكانة اجتماعية مرموقة ، فالعلم الذى كان يعلمه الواحد منهم هو (العلم الدينى) الذى هو فى نظر جمهرة المسلمين طريق الى الجنة ، فكان لابد أن تكون مهمة (تعليمه) على نفس القدر من الأهمية والتقدير والاحترام .

ثم يبدأ الاشكال عندما انشأ محمد على نظاما جديدا للتعليم وفقا للنهج

الغربى الحديث جعل خريجيه هم أصحاب الحظوة الأولى فى الوصول الى مراكز الدولة المختلفة ، وكانت الوظيفة الحكومية فى وجدان المصرى وعقله هى الأمل الأكبر ، فهى تجعله ، جزءا من السلطة أو قريبا منها ، تلك القوة التى أنبأته خبرته التاريخية على مر قرون متعددة أنها هى التى تمنح وهى التى تمنع ، حتى شاع على اللسان المصرى "أن فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه" .

أما الأزهر ، كان ينعزل شيئا فشيئا عن حركة التغير الاجتماعى وبروز وظائف وهياكل ونظم جديدة تتطلب نوعيات لم تتوافر له من الكوادر الوظيفية .

ولعل أصدق مايصور لتساع المسافة الاجتماعية بين خريج التعليم الدينى وخريج التعليم المدنى الحديث ، مايرويه (على مبارك) عن كيفية تعلمه وتعليمه فى أوائل القرن التاسع عشر ، فهو يقول "فاخترت الأ أكون فقيها وانما أكون كاتبا

على باشا مبارك ابو التعليم



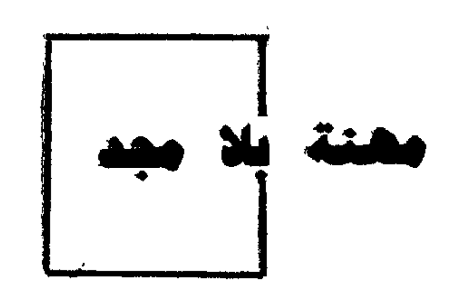
لما كنت أرى للكتاب من حسن الهيئة والهيبة والقرب من الحكام !!

وكانت المعاملة المالية للمعلم الأزهرى تختلف عن معاملة المعلم المدنى الجديد . صحيح أن راتب الأول كان ضئيلا حتى قبل ظهور نظام التعليم الغربى الحديث فى مصر ، لكنه كان يعوض ذلك بتلك المكانة الرفيعة التى كان يمثلها فى المجتمع الريفى والشعبى بصفة خاصة . ومما يذكره زكى مبارك فى مقاله المشار اليه سابقا أن راتب الأزهرى كان ٢٠٠ قرش (شهريا) أما الآخر فكان ٥٠٠ قرش .

ثم زادت الوزارة الطين بلة بانشاء مدرستين للمعلمين ، واحدة لعلوم العربية والثانية للعلوم الحديثة ، وأبى (دنلوب) الا أن يزيد الأمر سوءا بأن جعل راتب خريج الأولى ٨ جنيهات ، وللثانى ١٢ جنيها .

ولم يقتصر الأمر على صنفى المعلم الأزهرى والمعلم المدنى ، ومعلم العلوم العربية ومعلم العلوم الحديثة خريجى مدرستى المعلمين ، وانما أمتد ليشمل العديد من النوعيات التى يصعب حصرها امتلأ بها سوق المعلمين والتى تتباين فى مستواها العلمى والاجتماعى تباينا صارخا بذر بذور التنازع والعراك والمعارك الشخصية والتحزبات ، حتى تدنى النظر الاجتماعى اليهم جميعا وشهد عام ١٩٠١ ظاهرة استقالات بالجملة من العمل بمهنة التعليم ، فضلا عن احجام الجدد عن الالتحاق بها مما جعل هذه الظاهرة مثار نقاش فى (مجلس شورى القوانين) بدرجة حتمت على مجلس (النظار) أن يجتمع لمناقشتها .

وأنتهز نفر من المعلمين الفرصة ووجهوا خطابا مفتوحا على صفحات



مهنة بلا مجد

جريدة (اللواء) فى ١٩٠٧/٢/٣ (العدد ٢٨٨/) الى مجلس (النظار) تحدثوا فيه عما "نقاسيه معاشر المعلمين من سوء الخسف ونجازى به من الضعة والهوان" .

● صور مؤلمة

وقراءة هذه الرسالة المفتوحة توقفنا على صور مؤلمة لما كان يعانى منه المعلمون ، نستأذن القارىء فى أن نترك جزءا مطولا بعض الشىء ينطق بنفسه وبنفس اللغة ليعرف كيف كان هؤلاء يشيعون شعرا وخطبا عن قيمتهم (الرفيعة) ، وفى الوقت نفسه كانوا يتجرعون الكثير مما هو مؤلم ومؤسف . فمن الصور التى عرضها المعلمون (سوء المعاملة) ، وهى تتشكل بعدة صور" .. فمنها مجازاة المعلم على مثابرته على اداء اعماله بحسن الذمة والنشاط ولمتثاله أوامر منشورات النظارة وتكاليفها الشاقة باستخفاف المفتشين له وازدرائهم به ، وهما منهم انه انما يؤدى هذه الأعمال رهبة منهم وخوفا ان يحجب عنه ذلك المرتب الضئيل فلا يجد المفتش بأسا أن يسمعه اليم الكلام امام تلاميذه . واذا أذن الله للمعلم بحل عقدة من لسانه ، اوسعه صخبا وتهديدا او اتحفه بأوراقه الحراء (الانذارات) ..

ومنها التضييق على الوطنيين فى أوجه الاكتساب الخارجى من اعطاء دروس و أشتغال بأى عمل تسوغه حرفته له كما تسوغ حرفة الطبيب أو المهندس لهما الكسب فى موارد غير وظيفتيهما بينما المعلمون الانجليز يؤلفون الشركات وينشرون الاعلانات لافتتاح مدارس ليلية ويجبرون التلاميذ من ابناء الاغنياء على تلقى دروس خصوصية عليهم بأجرة شهرية تربو على نفقات التلميذ المدرسية طوال السنة ، هذا مع زهادة مرتب الوطنى وفخامة مرتب الانجليزى وسعة وقت الاخير وقلة أعماله وضيق وقت الأول وكثرة أعماله ..

● الغش فى الامتحان .

ويبدو ان (الغش) ليس ظاهرة حديثة كما يتصور الكثيرون ، فهناك من الأمثلة ما يؤكد وجودها منذ عدة عقود ، وان لم تكن بطبيعة الحال بنفس الدرجة الحالية من الانتشار . لكن الغريب فى المثال الذى بين ايدينا هو أن القائم بالغش هنا هو المعلم نفسه ، فقد روى المؤرخ الشهير (احمد شفيق فى عدد الهلال المشار إليه فى بداية مقالنا انه عندما كان تلميذا خشى أستاذه (الشيخ السمنى) ان يتلعثم – اى شفيق – ويخطىء فى الاجابة عن أسئلة الأعراب فى امتحان اللغة العربية ، فاتفق معه على أن يجلس يوم الاحتفال بالامتحانات العامة بحيث يراه ، واوصاه ، ان يراقبه ، فاذا ضم ذقنه بيده ، دل ذلك على أن الكلمة مضمومة ، واذا وضعها تحت ذقنه دل على انها مكسورة ، واذا وضعها على جبهته ، دل على انها منصوبة ، وقام بعمل (بروفة) على القاء الخطبة غير مرة ، ومع ذلك لم يطمئن قلب الشيخ ، لولا ان الله لم يحوج شفيقا ، لكن يظل المبدأ قائما .

وعلى الرغم مما ذكره المعلمون فى رسالتهم المفتوحة الى اللواء ، إلا أن الأمر لم يعدم وجود نماذج اخرى مشرفة كانت تبذل أقصى ما تستطيع من جهد بالرغم من ضآلة الراتب ، بل يرفضون اعطاء دروس خصوصية حتى ولو طلب منهم ذلك بصفة رسمية ، فالدكتور أحمد عبد السلام الكرادنى يروى فى مذكراته التى نشرها كتاب الهلال عام ١٩٨٠ (حقبة من الزمان) أنه فى سنة ١٩١٤ تخرج مع محمد عبد الواحد خلاف ، ومحمد أحمد الغمراوى من مدرسة المعلمين العليا ، واندلعت الحرب العالمية الأولى ، وكان من اثرها ان قررت الحكومة عدم تعيين أحد من الخريجين ، فبدأوا يبحثون عن وظائف تدريس بالمدارس الأهلية (الخاصة) ، ومن ابرزها مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية ، يقول الكردانى : "وعلى الرغم من ضآلة المرتب ، فقد أقبلنا على العمل بهمة ونشاط وامانة ، واضعين نصب أعيننا نحن الثلاثة نفع التلاميذ وتربيتهم " وبعد أن قطعوا شوطا من تدريس المقرر اتفقوا على ان يضع كل منهم بالتناوب اختبارات فى المواد التى يدرسونها لتلاميذهم اسبوعيا ، ويرسل نسخة منها لكل من زميليه ليختبر طلبته ويرسل اجابتهم على نفقته لواضع الاسئلة ليصححها ، ليطمئنوا على نجاح تلاميذهم وجودة تحصيلهم .

وكانت العادة فى مدارس هذه الجمعية قرب انتهاء العام الدراسى أن يطلب من المدرسين اعطاء دروس اضافية لتلاميذهم . وبطبيعة الحال طلب ذلك من ثلاثتهم ، ولكنهم ابوا ، فاستدعاهم رئيس الجمعية فى ذلك الوقت (حسن باشا عبد الرزاق) فى منزله ، وسألهم عن سبب امتناعهم فأجابوه بأن تلاميذهمُ ليسوا بحاجة لمثل هذه الدروس الاضافية ، بل لعلها تضرهم لما فيها من أرهاق لهم ، فلم يقتنع بذلك ، وطلب من المفتش المختص أن يزور المدارس الثلاث التى يعملون فيها بالقاهرة وطنطا وأسيوط ليختبر تلاميذها ، ففعل ذلك ، وعاد ليقرر أنهم قد أستوعبوا المناهج وليسوا بحاجة الى دروس اضافية !!

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تجاوزته الى نطاق المشاركة فى حركة النضال الوطنى ضد الاستعمار البريطانى ، فقد انتقل الكردانى وزميله (خلاف) الى العمل بالمدرسة الاعدادية الثانوية ، وهى مدرسة اهلية كان الحزب الوطنى قد انشأها وجعل الشيخ عبد العزيز جاويش مشرفا عليها ، وكان الحزب الوطنى حريصا على ان يختار لها خيرة المدرسين نذكر منهم الاديب المعروف أحمد حسن الزيات ومحمد كامل سليم (الذى أختاره سعد زغلول فيما بعد سكرتيرا له) وغيرهما .

ومما يستحق التسجيل أنه كانت تصنع فى معمل المدرسة أيام الانتفاضات الوطنية قنابل فى وقت زادت فيه وتفشت حملة تصيد الموظفين الانجليز وقتلهم ونسف بعض المنشآت التى يقيمونها ، وكان يقوم بصنع تلك القنابل أحد مدرستى المدرسة (محمد جلال) ويعاونه الطالب (محمد عبد الهادى) ، وكان آخرون يتولون توصيل تلك القنابل الى المكلفين بالقائها حسب الأوامر التى كانت تصدر لهم وخاصة من أحمد ماهر والنقراشى .

وطوال فترة الاحتلال البريطانى حرص المفتشون الانجليز على بث بذور التحقير

مهنة بلا مجد

والازدراء بين المعلمين المصريين، فضلا عن صور لانهاية لها من الاذلال والقهر الى الدرجة التى أنبتت عندها تلك الاساليب بكل الأسف، ثمرا استمر لدى البعض حتى بعد أن حمل الاحتلال عصاه.

وفى سبتمبر من عام ١٩٥٠ وكان الدكتور طه حسين قد تولى قبلها بشهور معدودة مسئولية التعليم فى مصر، تم عقد مؤتمر خاص للتعليم الأولى طغت على مباحثه ومناقشاته القضية الخاصة بالمعلم وخاصة فى هذه المرحلة، فوقف : نقيب المنيا) ليسمع طه حسين : "لعمرك، أنه لمجمل الظلم فالزمن لايحتمل تفصيلا فى البيان، وانك لواجد وقد أصبح المعلمون جميعا بين يديك، أن أكثر من عشرين الف معلم وخمسة آلاف رئيس يعملون خداما للدولة منذ ربع قرن مغمورين فى القاع، يتقاضون مرتبا هو الكفاف بل أقل من الكفاف، ويعاملون معاملة لحمتها الاغفال، وسداها الاعتساف".

وردا على كلمات العديد ممن تحدثوا فى هذا المؤتمر الهام أكد طه حسين أنه اذ يعبر عن اطمئنانه الى مستقبل مصر فإنما يكون عندما يرى الحكومة تسمع وتسعى، ولاتستكبر، ولاتستعلى، ولا تنأى بجانبها عن معلم الشعب، ذلك لأن مبدأه السياسى أن سلطان الوزراء هو الى الخدمة أدنى منه الى التسلط، والى طاعة الشعب أدنى منه الى التجبر عليه.

وبأسلوبه المعروف من العذوبة يخاطب طه حسين هؤلاء المعلمين : "فأنتم سجناء ويجب أن تحطم اغلالكم، وأبواب سجونكم، وأن تخرجوا الى الهواء الطلق، ويجب أن تستمتعوا بالأمل الذى يستمتع به غيركم من المواطنين، ويجب

طلبة السنة الرابعة بمدرسة الحقوق سنة ١٨٩٣ يتوسطهم لطفى السيد وعن يمينه احمد زكى بك وتوفيق نسيم باشا



أن تشعروا بعناية الحكومة بكم كما يشعر بهذه العناية غيركم .. ذلك لشيء بسيط ، هو أننا نتخذكم أمناء على أبنائنا ، وأنتم إذن أمناء على مستقبل الشعب ، وشر ما فى بلد من البلاد أن يؤتمن معلموه على مستقبل الشعب ، ثم لايلاقوا من البلاد نفسها ما يعادل هذه الأمانة من الحب والثقة والتشجيع" .

ان الذين يطالبون من المعلمين ان ينشئوا جيلا حرا يجب ان يؤمنوا أن يكون المعلمون انفسهم احرارا ، ولن يكونوا احرارا اذا ساورتهم همـوم الحياة مصبحين وممسين "فالذل كل الذل هو هذا الذى تشعر به النفس حين تأمل فلا تجد للأمل سبيلا ، وحين تجوع ثم لاتجد الى اشباع الجوع سبيلا ، وحين تنظر للعيال فتدمع العين ، ويألم القلب وتقصر اليد والأيدى فارغة ، حسبما عبرت كلمات مفكرنا العظيم .

وبذكاء ملحوظ يذكر طه للمعلمين ان هذا الذى يطالبون به انما كان هو يكتبه فى بعض كتبه ومقالاته ، ومن هنا فلابد من أن يقف معهم فى السعى الى تحسين احوال المعلمين والمساهمة فى رفع مكانتهم الاجتماعية ، فماذا كان طه حسين يقول قبل أن يكون وزيرا ؟

فمن بين العديد مما كتبه ، نشير الى مقال كتبه فى جريدة السياسة فى ١٩٢٣/٦/٢٥ ، العدد : ٢٠٥) بعنوان (قصة المعلمين) ، فهو يلاحظ أن المعلم فى مصر كاتب لا اكثر ولا اقل ، ليس له رأى ولاينبغى أن يطالب به ، بل هو جندى تنظم له ساعات العمل دون أن يستشار ، وينظم له منهاج العمل دون أن يستشار ، بل يصل الأمر الى أن تنظم له طريقة الجلوس وطريقة الوقوف وطريقة الحركة دون أن يستشار . الأمر يتجاوز هذا كله ، فهو يخضع لهذه النظم فى المدرسة التى هى أشبه بالثكنة العسكرية ويخضع لهذه النظم خارج المدرسة ، فلم تكن المدرسة وحدها ثكنة عسكرية ، وانما الحياة كلها كانت ثكنة عسكرية "أعترف معى بأن المعلمين فى مصر ليسوا معلمين ، وانما هم قوم مسخرون . واعترف معى بأن السخرة لاتنتج خيرا ، وبأن التعليم لاخير فيه اذا لم يشعر المعلم بأنه حر وبأن له كرامة موفورة ... اعترف معى بأن استاذ المسخر لن يخرج الا تلميذا مسخرا ، اعترف معى بأن مصر لن تنال حريتها حقا اذا لم ينل المعلمون حريتهم حقا" .

وفى مستقبل الثقافة فى مصر يفصل طه حسين الأمر فى مأساة التعدد الرهيب الذى كان بين مؤهلات ومستويـات ونوعيات المعلمين فى التعليم ، وكان لابد لهذا الاضطراب فى اعداد المعلمين وتكوينهم وطلبهم أن ينشأ اضطراب مماثل فى أمور التعليم وأن تختلط أشد مايكون الاختلاط .

ترى ، هل كانت هذه الصور والروايات والكتابات تمثل مراحل مختلفة ومتعددة من تاريخ مضى وأصبح هناك واقع مختلف يتلافى سلبياته ؟ أن هذا هو المفروض ، ولكن استقراء واقع المعلمين الحالى قد لايظهرنا على نفس المشكلات ، فالتاريخ لايكرر نفسه ، ولكنه يمكن أن ينبؤنا بأن موقع المعلم فى سلم التقدير الاجتماعى لم يتحرك كثيرا الى اعلى على الرغم من اختفاء كثير من مشكلات الأمس ، لذلك أن هناك غيرها من المشكلات المعاصرة قد أطل برأسه وضغط وأرهق ، مما لابد معه من مواصلة البحث والدرس والحركة العملية لتغيير هذا الواقع .

مائة عام من الفكر

أسطورة الغصن الذهبى

بقلم : د. أحمد أبو زيد

● كان القرن التاسع عشر قرنا فريدا ومتفردا بذاته فى كثير من الجوانب والملامح الأساسية المميزة ، فهو القرن الذى شهد ازدهار حركات الكشف الجغرافى وبخاصة فى افريقيا وبوجه أخص الكشف عن منابع النيل ، كما كان فى الوقت ذاته قرن المد الاستعمارى ، والتبشير الدينى والاهتمام بدراسة الشعوب والجماعات القبلية فى المستعمرات وتسخير الدين والعلم لترسيخ اقدام الاستعمار لتلك المجتمعات وان كانت هناك بغير شك حركات اخرى سابقة ولكنها لم تاخذ فى الأغلب شكل الظاهرة التى بدت عليها فى القرن الماضى ، كذلك كان القرن التاسع عشر هو القرن الذى ارتبط بالثورة الصناعية فى اوربا وان كانت بداياتها الأولى قد ظهرت فى القرن السابق عليه ، ولكن التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلاقات بين الناس وظهور الطبقة العاملة فى الصناعة بكل مشاكلها وتنظيماتها ومطالبها والتيارات والمذاهب الفلسفية والسياسية التى تعالج مشاكل العمال وحقوقهم ازاء الطبقات الاخرى تبلورت كلها باجلى صورها فى ذلك القرن الفريد ●

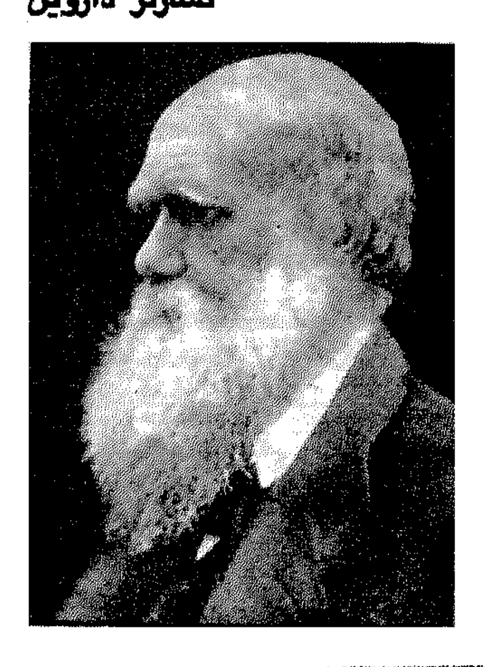
● وبلغت هذه الحركات والتيارات الفكرية قمة فاعليتها وتاثيرها فى الفكر الماركسى الذى افلح فى ان يفرض نفسه فى اوساط المثقفين والمفكرين بحيث يقال ان علماء الاجتماع فى فرنسا والمانيا كانوا يفكرون ويكتبون وهم واقعون تحت تهديد شبح كارل ماركس ، وان الكثير من تلك الكتابات كانت تهدف عمدا الى ابراز عنصر التوازن فى المجتمع للتهوين من شأن الحديث عن صراع الطبقات ، وهذا يصدق بوجه خاص على الكتابات الانثربولوجية والفكر الانثربولوجى الذى بدأ يتبلور بقوة

المناطق الخاضعة للاستعمار الأوربى سواء فى افريقيا او استراليا او غيرهما ، وبذلك استخدمت المعلومات الاثنوجرافية التى كان يجمعها الرحالة والمبشرون ورجال الادارة من الأوربيين المقيمين فى تلك المناطق فى توطيد وترسيخ أقدام الاستعمار ، بل ان بعض الانثربولوجيين الأوائل كانوا يعملون لخدمة وزارات المستعمرات ويدرسون مشكلات وموضوعات معينة بالذات تطلبها منهم حكوماتهم وهى معلومات كانت تساعد بغير شك على تنفيذ سياسة تهدف الى ابقاء الأوضاع فى تلك المستعمرات على ماهى عليه والقضاء على كل الاتجاهات التى قد تؤدى الى نشوب الصراع داخل تلك المجتمعات وبخاصة الصراع مع الحكومة ، ثم ان القرن التاسع عشر كان هو القرن الذى شهد قيام كثير من المذاهب والنظريات الكبرى كالماركسية والتطورية بل و"الفرويدية" التى فرضت سلطانها على الفكر الانسانى وكان لها اثار اجتماعية واقتصادية سياسية بعيدة ولاتزال تثير كثيرا من الجدل حتى الان وارتبط بها اسماء كثيرة لامعة الى جانب اسماء اصحابها او منشئيها العظام بحيث يقال الان ان عصر "النظرية الكبرى" قد انتهى بانتهاء ذلك القرن وان الوجودية او البنائية مثلا ليست سوى تيارات فكرية طارئة تلبث ان تخبو دون ان تترك وراءها تاثيرات فى تماثل تاثيرالماركسية مثلا او التطورية بكل تفرعاتها وتشعباتها والتعديلات والتغييرات التى ادخلت عليها والانتقادات التى وجهت اليها



العلامة جون مزيزر

تشارلز داروين



ووضوح منذ آواخر القرن الماضى ، والذى كان يحرص فى الأغلب على ان يتخذ لنفسه خطا محافظا لا يخلو من التزمت والجمود ، وذلك نظرا لارتباط ذلك الفكر منذ البداية بدراسة انماط الحياة الاجتماعية والثقافية فى المجتمعات (البدائية) التى تقيم فى

مائة عام من الفكر

والجدل التى لايزال يدور حولها .

كذلك شهد القرن التاسع عشر عددا كبيرا من العقول الموسوعية المؤثرة التى كانت تاخذ المعرفة الانسانية فى وحدتها الكلية الشاملة وتؤمن بوحدة العقل البشرى وإن كانت تقيم احيانا بعض التمييزات التى تشير الى تصنيف الفكر الانسانى الى مقولات ودرجات تنعكس فى بعض التسميات والمصطلحات التى سادت فى الاستخدام فى ذلك الحين مثل "العقلية البدائية" أو "مرحلة التوحش" أو الوحشية" و"المرحلة البربرية" مما يعنى مرور العقل البشرى والحضارة بمراحل تطورية مختلفة ومتعاقبة ، ولكن حتى وراء ذلك التطور كانت هناك رغبة البحث عن الأسس والمبادىء العقلية الاساسية التى يقوم عليها المجتمع الانسانى ككل كما يظهر ذلك فى كتابات عدد من المفكرين (التطوريين) مثل لويس مورجان فى كتابه "المجتمع القديم" وهو كتاب قيم لم يجد الاهتمام الكافى حتى الان فى عالمنا العربى على الرغم من اهميته القصوى لفهم كثير من الحركات والتيارات والمذاهب الفكرية التى ظهرت فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل هذا القرن ، او ادوارد بيرنت تايلور فى كتابه "الثقافة البدائية" الذى وضع بعض الأسس والقواعد الهامة الصلبة التى ترتكز عليها الانثربولوجيا الثقافية ، او سير جيمس فريزر وكتابه الضخم الرائع المشوق عن "الغصن الذهبى" الذى ظهر منذ قرن كامل الان فى جزءين فى اول الامر ولم يلبث ان تضخم حتى اصبح يتألف من اثنى عشر جزءا كبيرا اضيف اليها بعد ذلك جزء اخير مكمل ، وذلك اذا نحن استثنينا كتاباته الاخرى التى تملا عناوينها - مجرد اسماء العناوين - اربعين صفحة من الحجم الكبير . ولم يكن اى من اصحاب هذه العقول الموسوعية الكبيرة يقتصر فى كتاباته على مادة تخصصية بالمعنى المفهوم الان من هذه الكلمة وانما كان اتساع افقهم الثقافى والمعرفى ينعكس بشكل واضح فى تلك الكتابات ، بمعنى انهم كانوا يطوعون معلوماتهم ومعارفهم المتنوعة لخدمة اغراضهم وعرض ارائهم والتدليل على صحتها وكان للمناخ العلم السائد فى ذلك القرن والذى كان لايزال متاثرا بفلسفة التنوير دخل كبير فى ذلك الموقف من الايمان بوحدة المعرفة الانسانية ووحدة الطبيعة البشرية ، كما كان نظام التعليم بما فى ذلك نظام التعليم الجامعى فى بعض الاحيان يساعد على الاحاطة بكثير من فروع المعرفة ومحاولة دمجها معا او التنسيق بينها والافادة منها الى ابعد الحدود .

وربما كانت "حالة" سير جيمس فريزر من افضل الأمثلة لتبيين ما نريد ان نقول .

والذى يدعونا الى الكلام هنا عن سير جيمس فريزر بالذات ليس فقط انه احد كبار الانثربولوجيين الموسوعيين الذين يعتبرون بمثابة معالم واضحة فى طريق تطور الفكر الانثربولوجى ،

وانما ايضا مرور قرن كامل الان على ظهور كتابه الضخم "الغصن الذهبى" على ما ذكرنا ، ومرور خمسين سنة كاملة أيضا على وفاته هو نفسه ، ثم مرور عشرين سنة كاملة كذلك على ظهور الجزء الأول من الترجمة العربية لموجز الغصن الذهبى ، فقد ظهرت هذه الترجمة التى اشرفت عليها وشاركت فيها وكتبت مقدمتها الطويلة عام ١٩٧٠ ثم توقف ظهور بقية الأجزاء حين تدخلت البيروقراطية المصرية الشهيرة التى تعمل دائبة على قتل الأعمال الطيبة الناجحة وحين تغيرت الأوضاع والأحوال بالمسئولين عن السياسة الثقافية فى مصر والمشرفين على تنفيذ هذه السياسة وتراجعت عن المناصب الرسمية اسماء ثروت عكاشة وسهير القلماوى ثم انتقل بعد ذلك الى رحمه الله صلاح عبدالصبور ، وانتقلت امور الثقافة فى بلدنا الى طائفة من رجالنا الذين يعتنقون توجهات ونظرات مختلفة الى الثقافة وشئونها ورسالتها ومضمونها .

وكما سبق أن ذكرنا فانه كان للمناخ الثقافى العام الذى كان يسود القرن التاسع عشر فى اوربا وطريقة التعليم التى خضع لها فريزر سواء فى جامعة جلاسجو أو فى جامعة كيمبردج حين التحق بها بعد ذلك رجل كبير فى تلك النظرة الموسوعية الشاملة التى دفعته دفعا الى محاولة الاحاطة بكثير من جوانب الثقافة الانسانية وفريزر يسجل ذلك فى تاريخ حياته أو سيرته الذاتية

ومع ذلك فان الانصاف يدعونا الى ان نتذكر انه بعد ان انتهى من كتابه الكبير (الغصن الذهبى) باجزائه الثلاثة عشر عكف على دراسة نظرية النسبية محاولا فهم مبادئها ، كما قرا عليه سكرتيره انجوس داوتى كتاب ادنجتون الشهير عن (طبيعة العالم الفيزيقى) وان لم يستطع تتبع الأشكال والصور التى يضمها الكتاب . ولكنه كان قد قرا من الناحية الاخرى كتاب تايلور (الثقافة البدائية) وكان ذلك الكتاب بمثابة نقطة تحول فى حياته واهتمامه بتاريخ الحضارة الانسانية فى عمومها وشمولها ، وادرك منذ قراءته ان تاريخ الانسانية اوسع واشمل واكثر تنوعا مما يمكن للمرء ان يتصور بحيث انه يمكن الكلام عن حضارة البدائيين او ثقافتهم كما هو الاصطلاح الشائع فى الكتابات الانثربولوجية . ثم ازداد ذلك الاتجاه عنده تعمقا بعد اتصاله وصداقته الطويلة القوية بروبرلنسون سميث أستاذ اللغة العربية بجامعة كيمبردج والذى شجعه على ان يدرس بطريقة منهجية منتظمة معتقدات وطقوس وشعائر وعادات الشعوب البدائية ، وساعدته هذه الدراسات المتعمقة الموضوعية على ان ينظر الى اديان العالم المختلفة ليس من موقف عقائدى دجماطيقى متزمت وانما من موقف تاريخى بحت ، اى انه لم ينظر الى تلك الأديان والمعتقدات على انها انساق تحتمل الصدق والكذب او يمكن البرهنة على صحتها او خطئها وانما باعتبارها ظواهر ومظاهر للوعى والادراك ويمكن دراستها بنفس الطريقة التى تدرس بها جوانب الطبيعة البشرية الاخرى ومظاهرها ، وهذا اتجاه قلما يصادفه المرء قبل القرن التاسع عشر ، وقد ادت

مائة عام من الفكر

دراسته لهذه الاديان المختلفة الى اكتشاف كثير من اوجه الشبه الاساسية والجوهرية بينها جميعا وانها كلها على ما يقول اتجوس داوتى تفسر بعضها بعضا وان وضوح الافكار والمعتقدات والشعائر والطقوس فى بعضها قد يساعد على ازالة الغموض الذى يكتنف شعائر او معتقدات البعض الاخر، وهكذا.

وهذا كله يتفق فى اخر الامر مع الموقف الاساسى من وحدة الطبيعة الانسانية ووحدة العقل البشرى فى كل زمان ومكان على الرغم من وجود كثير من جوانب الاختلاف الجزئية الظاهرية ، وهكذا وجد فريزر طريقه الى الانثربولوجيا تحت تاثير تايلور اولا ثم تاثير روبر سميث ، وهو تاثير كان بغير شك اكثر قوة وعمقا واستمرارا .

● فكرة كتاب الغصن الذهبى

فى ٨ نوفمبر عام ١٨٨٩ كتب فريزر الى الناشر جورج ماكميلان - وكان أيضا أحد اصدقائه فى كيمبردج - يقول له وهو يعرض عليه فكرة نشر كتاب "الغصن الذهبى" :

"سوف اكمل قريبا دراسة عن تاريخ الدين البدائى اتقدم بها للنشر فى داركم ، والكتاب هو تفسير لاسطورة الغصن الذهبى التى تعرض لها سرفيوس فى مجال شروحه على كتاب فرجيل ، وحسب ما يذهب اليه سرفيوس فان الغصن الذهبى كان ينمو على شجرة معينة قائمة فى الروضة المقدسة التى ترتبط بالالهة ديانا فى امريكا ، كما ان تنظام الكهنوت فى تلك الروضة المقدسة كان يتولاه رجل يصل الى تلك المرتبة عن طريق قطع الغصن الذهبى ثم قتل الكاهن الذى يتولى ذلك المنصب بالفعل اثناء مبارزة واحدة تقوم بينهما ، ولكننى اعتقد انه عن طريق الاستعانة بالمنهج المقارن قد استطيع ان ابين ان ذلك الكاهن كان يجسد فى شخصه اله الروضة ، اى فربيوس - وان مقتله كان بمثابة موت الاله نفسه ، وذلك يثير سؤالا هاما عن معنى تلك العادة الشائعة فى كثير من الشعوب عن مقتل البشر وبعض الحيوانات التى تعتبر مقدسة فى نظرهم ، وقد جمعت كثيرا من الامثلة عن تلك العادة التى اعتزم ان اقدم تفسيرا جديدا لها ..." .

فالاسطورة تدور اذن حول احد اشكال التنظيم الاجتماعى السائدة فى المجتمعات البدائية وتتعلق بنظام "الملك المقدس" او "الملك الاله" وتتعلق بكاهن الالهة او الربة ديانا فى امريكا وهو فى الوقت ذاته ملك الغابة التى تسكنها تلك الالهة ، وان ذلك الكاهن لا يصل الى مكانته ووضعه الدينى الا عن طريق الكاهن الملك الذى يجمع فى يديه بين سلطة الحكم والملك وسلطة الكهنوت وانه لن يتسنى له قتل ذلك الكاهن الملك الا بعد ان يقطع ذلك الغصن الذهبى ويفصله عن تلك الشجرة المعينة بالذات ، وان عليه ان

يحافظ بعد ذلك على سلطته ومكانته والا انتزعت منه عنوة واقتدارا على أيدى الشخص الذى سوف يخلفه لأن القتل هو المصير المحتوم لكل كاهن يتولى ذلك المنصب . وان احداث تلك الأسطورة لا تزال تتكرر لدى كثير من الشعوب "البدائية" التى حاول فريزر ان يحيط بعدد كبير منها ويتتبع الأشكال والصور المختلفة التى تتخذها من الأسطور ، وقد ادت به هذه المحاولة الى ان يتضخم العمل حتى يملأ ثلاثة عشر مجلدا ضخما تدور كلها حول هذا الموضوع البسيط مما يكشف لنا عن مدى اتساع ثقافة فريزر من ناحية وعن طبيعة المنهج "المقارن" الذى كان يتبعه" هو وغيره من علماء القرن التاسع عشر والذى يقوم اساسا على تجميع اكبر قدر ممكن من الأحداث أو الظواهر المفردة والمتشابهة لكى يؤيد الفكرة التى بدأ منها .

والواقع ان انشغال ذهن فريزر بالبحث عن الأصول الأولى للأديان كان قد ظهر من قبل فى مقالين له فى دائرة المعارف البريطانية (عام ١٨٨٨) عن التابو وعن الطوطمية ، وهما موضوعان عالجهما بعد ذلك فى عدد من كتبه وأعماله الاخرى بكثير من التطويل والشرح والتفسير والتعليق مع الاهتمام بوجه خاص بالشعوب البدائية ، على اعتبار ان دراسة معتقدات تلك الشعوب هو المدخل الطبيعى لفهم الحضارة الانسانية فى عمومها والحضارات الحديثة المعقدة فى اخر الأمر . وقد كان فريزر يهتم فى كتاباته بمأساة الوجود الانسانى ، ولذا كان عليه ان يتتبع هذه المأساة من جذورها وان يبدأ من ابسط اشكالها ـ وهو فى الوقت ذاته اروع تلك الأشكال .

وليس ثمة ما يدعو الى التعرض الى كل اشكال التنظيم السياسى واشكال الحكم والعقائد والديانات التى تناولها فريزر فى كتابه الملىء بالأحداث والحكايات والأساطير والنصوص القديمة . ويكفى ان نشير الى ان المجلدين الأولين من الكتاب يدوران حول "فن السحر وتطور نظام الملكية" وفيهما وضع فريزر اسس نظريته عن السحر وهى نظرية سادت لبعض الوقت وافلحت فى توجيه كثير من الكتابات ، والبحوث الانثربولوجية الميدانية بين عدد من المجتمعات القبلية وبخاصة فى افريقيا وان قامت عليها كثير من الاعتراضات ووجهت اليه بعض الانتقادات بعد ان زادت معرفة الانثربولوجيين بالشعوب والجماعات (البدائية) واتساق المعتقدات عندها ، ثم يعالج بعد ذلك فى جزء تال مشكلة (التابو والاخطاء التى ستتعرض لها الروح) ويبين فيه كيف ان فكرة (التابو) تسيطر على كثير من الاذهان لدى الشعوب التى يسميها "الشعوب السوداء والداكنة اللون" وهو اعتقاد قاصر ويرجع الى قلة المعلومات الاثنوجرافية التى قام بجمعها علماء الانثربولوجيون متخصصون وان كانت هناك كتابات كثيرة صدرت عن المبشرين والرحالة ورجال الادارة الأوربيين وهى كتابات

تنقصها الدقة ويسودها سوء الفهم ، ذلك قبل ان ينتقل الى دراسة مشكلة قتل الملك الاله أو موت الاله" انما الجزء الذى نريد ان نشير اليه هنا بشيء من التفصيل هو القسم الذى يخصصه لثلاثة من الالهة فى ثلاث قارات من العالم القديم ونعنى بذلك (ادونيس واتيس واوزيريس) ، اى ان فريزر يربط هنا بين اوزيريس المصرى واثنين من الالهة فى ثقافتين مختلفتين اخرين هما اتيس الفريجى وادونيس الاغريقى ولكن الثلاثة يكشفون عن موقف حضارى هام تعبر عنه القصص والاساطير التى تدور حول كل منهم ، كما ان الثلاثة يتعرضون للموت والبعث باشكال مختلفة ، ويرمز موتهم ثم بعثهم الى الدورة الكاملة للحياة النباتية اى موت الزرع والنبات ثم ظهوره ونمائه من جديد .

ولكن اوزيريس المعبود المصرى القديم يحتل مع هذا كله مكانة بارزة ومتميزة على الرغم من كل جوانب التشابه التى قد تبدو بينه وبين اسطورتى المعبودين الآخرين ..

فقد كان اوزيريس ابنا لاله الارض والهة السماء ، ولكنه تعرض للموت ثم القتل وتمزيق اوصاله وتوزيع اجزاء جسمه ، فى مناطق مختلفة ولكنه كان يعود مرة اخرى للحياة لكى يحكم عالم الموتى فى اخر الامر .. ويعترف فريزر بأن اسطورة اوزيريس داخلته كثير من الزيادات والتغييرات ، والاضافات التى اضفت عليه هو نفسه ملامح وخصائص كثير من الالهة والمعبودات الاخرى ، بحيث اصبح من الصعب ـ حسب ما يقول فريزر ـ نزع (الريش المستعار) عنه ورد هذه العناصر المستعارة الى اصحابها الاصليين ، ، كما يعترف بانه يجد صعوبة كبرى فى تحليل كل تلك العناصر الغريبة التى تجمعت حول ذلك المعبود الذى يصفه بانه (اله محبوب) وان كل مايستطيع أن يفعله هو ان يقدم اوزيريس فى « بساطته البدائية الاولية » ولا ينسى فى مجال تفسير الاسطورة ان يستعين بالاكتشافات التى كانت قد تمت فى مصر فى السنوات الاخيرة السابقة على تأليفه للكتاب .

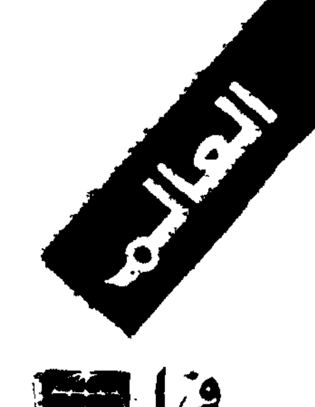
كذلك ليس ثمة مايدعو الى الدخول فى تفاصيل الاسطورة فهى معروفة الى حد كبير ولكن فريزر يعتمد اساسا على رواية بلوتارك فى كتابه « ايزيس واوزيريس .. خاصة ان الاكتشافات الحديثة (حينذاك) كانت تؤكد صحة تلك الرواية وصدقها وتماسكها ويقدم فريزر كثيرا من التفسيرات التى تأخذ فى الاعتبار القوى والامكانات المختلفة التى كان يتمتع بها اوزيريس من ناحية ومظاهر الطبيعة وانماط السلوك والقيم والنظم السائدة فى مصر من ناحية اخرى .. وان المصريين كانوا يرون فى بعث اوزيريس رمزا لخلودهم هم انفسهم وفى وجود حياة دائمة ، وابدية ، بعد الموت ووراء القبر وذلك حرص اهله واصدقاؤه على الاهتمام والعناية بجسده مثلما اهتمت ايزيس بجسد اخيها وزوجها ، كما يحاول فريزر ان يربط بين رع ونبوءته بان تضع الهة السماء وليدها فى غير شهر وفى غير سنة ، اى خارج حدود الزمن المعروفة وبين

التقويم المصرى الذى يرى البعض انه تقويم غريب لايتبع النظام الشمسى ولا النظام القمرى وانما يعتبر السنة ٣٦٠ يوما ثم يضيف اياما خمسة اليها هى الايام التى تم فيها وضع اوزيريس وايزيس وست ونفتيس بل وحورس الاكبر من قبلهم جميعا .

وقد تكون هذه تفسيرات شائعة واصبحت مالوفة لدى الكثيرين من الدارسين ولكن احاطة سير جيمس فريزر بالموضوع واتساع افقه وثقافته ومعلوماته المتنوعة وقدرته على الجمع والتحليل والتفسير منذ مائة عام كانت تعتبر اسهاما حقيقيا فى مجال الانثربولوجيا الثقافية من ناحية وفى مجال دراسة الديانات فى العالم وبخاصة الدين (البدائى) والديانات الكلاسيكية القديمة .. وقد اصبحت كتابات فريزر مثلا يحتذى عند الكثيرين من المعاصرين له وان اخفق هؤلاء (الكثيرون) فى الوصول الى مستوى انجازه واسهامه كذلك لقيت كتاباته كثيرا من النقد وبخاصة من بعض الكتاب غير المتخصصين او الذين كانوا ياخذون الانثربولوجيا كهواية ومع ذلك فان حرصهم على تتبع كتابات فريزر ونقدها اسهم فى جعل اصحابها يحتلون مكانة عالية فى تاريخ الفكر الانثربولوجى . وربما كان افضل مثال لذلك هو اندرو لانج الذى كان فى الاصل كاتبا صحفيا فاصبح بعد كتاباته ومقالاته العديدة حول فريزر واعماله يعتبر واحدا من اهم الكتاب فى مجال الفولكلور وبخاصة عن الاساطير والحكايات الخرافية ..

ولقد مر على الغصن الذهبى الان قرن كامل من الكتابات الانثربولوجية التى تأثر بعضها وبخاصة تلك التى تهتم بدراسة النسق الدينى بكثير من اراء فريزر ، سواء اكان ذلك عن طريق المقبول والتطبيق النقدى والرفض .. ولكن المهم هو ان بعض افكار فريزر لاتزال تجد صدى عند الكثيرين من الانثربولوجيين المحدثين والمعاصرين ، الذين يحاولون اختبار تلك الافكار والاراء فى المجتمعات القبلية التى يقومون بدراستها على مافعل عالم الانثربولوجيا البريطانى ايفانز بريتشارد فى دراسته لنظام الملكية المقدسة عند قبائل الشيلوك فى جنوب السودان .

وقد يكون الاستاذ رادكليف براون الذى اصبح فى الاربعينات والخمسينات من هذا القرن عميدا للانثربولوجيين فى العالم يقف موقف العداء والسخرية من طريقة فريزر فى جمع المعلومات وتحليلها على اساس ان فريزر يلجا الى التخمين الذى لا يستند الى الوقائع المؤكدة فى كثير من الاحيان . ولكن هذه السخرية كانت دائما من نصيب الرواد الاوائل الذين يفتحون بجهودهم مجالات جديدة امام الذين يسخرون منهم فيما بعد ، ويكفى ان عالما مثل ماكس جلكمان يذكر فى احد كتبه انه على الرغم من كل ما نوجهه من نقد لكتابات سير جيمس فريزر ، وعلى الرغم من ان الكثيرين يقرءونه الان للتسلية او على اعتبار انها كتابات قديمة لم يعد لها سوى بعض القيمة والاهمية التاريخية ، فانه يجب الا ننسى ابدا ، اننا نقف جميعا فوق كتفيه التزاما فوق اكتاف المارد العملاق ..



باماكو

وما الحياة .. الا ترس كبير

« ترس الحياة »
عنوان الرواية التى صدرت للكاتب المالى محمدو سيسى باللغة الفرنسية . تعد الرواية الأولى للكاتب . وتدور أحداثها بين دول عديدة . حيث ان على البطل بول ديكريير ان يسافر بين فرنسا وكندا وايرلندا وبعض الدول الاوربية تبعا لمهام وظيفته . فهو رجل لاهث بحكم مهنته كصحفى . قليلا مايرى أسرته . ونادرا مايعقد صلة حميمة مع الناس


المخرج والكاتب المالى محمد سيسى

فالآخرون بالنسبة له مجرد أشباح ، يستقى منهم الاخبار ، ويجرى معهم التحقيقات . ثم ما تلبث وجوههم أن تختفى وسط ظلام النسيان .. هذه هى تروس الحياة التى تهلك المرء . فتجعله أحد سنونها التى سرعان مايصيبها العطب لكثرة دورانها .

يتسم اسلوب كتابة هذه الرواية بانه سريع الايقاع مثل سرعة التروس داخل الالات فالكلمات ذات حدة . وقصيرة . وسريعة . والحوار غالب على الرواية يتحرك بين الاشخاص كأنه كرة يتقاذفها مجموعة من الافراد اللاهثين فى مباراة لامعنى لها . حتى العلاقات القوية التى من المفروض ان تربط بين بول وابنه الصغير قد تحولت الى كلمات خالية المعنى مثل « سافتقدك » و « الى اللقاء » و « اهلا » .

يقول المؤلف فى مقدمة روايته إن الانسان فى العصر الحديث لايهمه أن يعرف ماذا سيحدث غدا . وأن عليه ان يعيش يومه . وذلك لانه يؤمن ان الحياة مثل التروس تدور وتدور بلا توقف وان كفت عن الحركة سكتت الحياة عن النبض .

محمدو سيسى كاتب من مالى يعيش بين باماكو وباريس . هو ابن شقيق المخرج الافريقى الشهير سليمان سيسى أحد مؤسسى السينما الافريقية . وقد ولد محمدو فى مالى عام ١٩٥١ . وقد بدأ حياته ككاتب مسرح ثم نشر روايته الاولى « ترس الحياة » ويستعد هذا الشهر لاصدار روايته الثانية . وفى عام ١٩٩٠

جرب الاخراج السينمائى فكانت تجربته الاولى فى فيلم « اليتيم » الذى تدور احداثه كاملة فى احدى القرى المالية ، عكس الاماكن التى تدور فيها روايته ، وقد عرض الفيلم فى مهرجان القاهرة السينمائى الأخير .

باريس

الشعر .. سداد لديون البشر

فقدت فرنسا فى الفترة الاخيرة اثنين من الكتاب البارزين الاول هو الفيلسوف الماركسى التوسيه . اما الثانى فهو الشاعر ادموند اليابس ..

عاش التوسيه حياة مليئة بالقلق والتحولات . فقد بدأ حياته مؤمنا متعصبا . ثم تم القبض عليه اثناء الحرب العالمية الثانية . وعندما خرج من السجن أعلن انه أحد الماركسيين المتعصبين وراح يناصر الحزب الشيوعى الفرنسى . وأعتبر أحد أبرز رجاله . وكتب الكثير من الكتب لتنظير الفكر الماركسى : واعتبر مهندس الحزب الذى يتزعمه مارشيه .

وفى علم ۱۹۸۱ أطلق التوسيه الرصاص على زوجته هيلين فارداها قتيلة دون سبب ظاهر . وكان عليه ان يقضى السنوات الاخيرة من حياته فى السجن .

أما أدموند اليابس . فهو شاعر متميز . وهو ابن احدى الاسر اليهودية المصرية التى هاجرت عن الوطن فى علم ۱۹٥۷ ، واختار ان يتجه الى باريس . ولد ادموند فى مدينة القاهرة فى عام ۱۹۱۲ . واعتبر ان خروجه من مصر بمثابة منفى اجبارى .

ولذا امتلأت قصائده بالحنين الى الوطن ، ليس اسرائيل بالطبع ، وعن المنفى .

ويعتبر ادموند

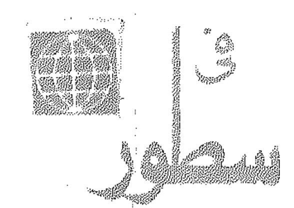


ادموند اليابس

اليابس واحدا من أعظم من قرضوا الشعر باللغة الفرنسية فى القرن العشرين . فهو من طراز جاك بريفير ورينيه شار وبول الوار . وقد نشر فى السنوات الأخيرة مجموعة من الكتب التى تعكس افكاره ومشاعره منها « كتاب المسائل » جزءان » و « المتخيل » و « كتاب القسمة » و « كتاب الهامش » ومن بين قصائده اخترنا أن نترجم هذه المقاطع باسلوب نثرى :

« نتصور أن العالم أشبه بدودة الرمل تفكر فى المحيط . اما الله فانه يفكر أن الخلق اشبه بنسر يحلق فوق الصحراء ويمكنه ان





يفكر فى الحجر الصوان الماثل وسط الصحراء »

ويقول الناقد فرانسوا بوت ان ادموند اليابس قد اهتم فى اشعاره باتساع الصحراء وباختيار الكلمات . وبالرحيل الى داخل النفس البشرية . خاصة نفسه هو كشاعر وانه كان يقرض الشعر بطريقة توحى للقارىء ان الشاعر مثقل بالديون للبشر . وان عليه ان يسدد هذه الديون الثقيلة فى كلمات مختصرة ..

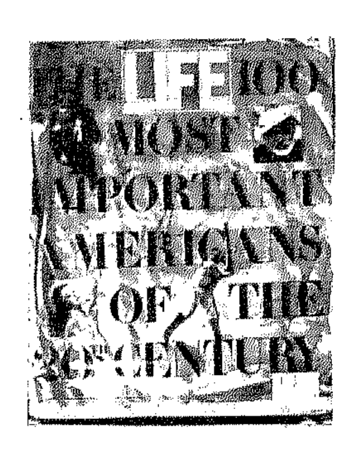
واشنطن :

أهم ١٠٠ شخصية فى القرن العشرين

فى اصدارها الاخير ، خصصت مجلة « لايف » الامريكية عددا عن أهم مائة شخصية امريكية فى القرن العشرين . فى مجالات مختلفة من انشطة الحياة . فبالنظر الى هذه الشخصيات سنجد ان هناك علماء وادباء وفنانين وطيارين ورؤساء دول ورواد فضاء . ورجال سياسة ورياضيين وغيرهم .

وبالنظر الى خريطة أعظم مائة شخصية امريكية فى القرن العشرين سوف نكتشف ان أغلبهم قد أدى دوره ومات . وأن الباقين على قيد الحياة فانهم يمثلون مجموعة صغيرة للغاية . وان المجلة قد اختارت نماذج متباينة للغاية . فالفيس بريسلى وجون فورو وبوب دايلين ثلاثة على اطراف النقيض تماما . لكن كلا منهم برع فى مجاله . الفيس بريسلى فى موسيقى البوب . وجون فورو فى اخراج اعظم الأفلام وبوب دايلين فى الموسيقى الحديثة ..

كما أن الادباء الذين اختارتهم المجلة ، كانوا



يمثلون اتجاهات ادبية ، وانماطا حياتية متباينة مثل جاك كيرواك وت . س . اليوت . ووليام فوكنر . وهيمنجواى ويوجين أونيل .

ولم تنس المجلة ان تعتبر ان الفنان التشكيلى أندى وارول (١٩٢٨ ـ ١٩٨٧) هو واحد من الذين غيروا منظور العين التشكيلية فيما يسمى بالبوب ارت . واعترفت المجلة أن آل كابونى هو أعظم مجرم فى القرن العشرين . وأن مارلين مونرو أجمل النساء . وان اينشتاين وفون براون هما أفضل العلماء .

ورأت المجلة أن أفضل رئيس أمريكى هو روزفلت وفى نطاق آخر

اختارت زوجته اليانور من افضل النساء . أما محمد على كلاى فهو افضل ملاكم . إن لم يكن أهم الرياضيين . ولم تنس المجلة ان تؤكد ان نساء عديدات قد نافسن الرجال فى اختيار مكانة هامة . مثل الباحثة الانثربولوجية مرجريت ميد - سبق للهلال ان قدم دراسة عنها للدكتور أحمد أبوزيد - وهناك ايضا هيلن كيلر المعروفة تحت اسم صانعة المعجزات .

اشارت المجلة فى مقدمة عددها الخاص ان هذا الاختيار لم يقم على عشوائية او مجاملة وانه قد تم بناء على الاتصال بكل الجهات المتخصصة . وايضا بناء على اختيار الناس والقراء .

برلين

سرقوا اللوحات فى الواقع .. والسينما

يقول المهتمون بالفن التشكيلى ان أهم ما اسفرت عنه إعادة الوحدة الالمانية ، هو استعادة مئات اللوحات التى تم تهريبها وسرقتها من باريس أثناء الاحتلال الألمانى فى الحرب العالمية الثانية . حيث قامت القوات النازية بنقل اللوحات الهامة الى برلين ، وتعرضت لوحات عديدة للتلف واختفت لوحات اخرى .

وقد أعدت مجلة الاكسبريس فى ٢٨ ديسمبر ١٩٩٠ ملفا ضخما حول اسرار متحف برلين وعن اللوحات التى تم استعادتها . بعد الوحدة الالمانية . وايضا عن عمليات الترميم التى تمت للكثير من هذه اللوحات التى رسمها أساطين الفن التشكيلى فى العالم . مثل لوحة « كوكو كاتيا » لرينوار . و « تحت الشجر » لسيزان . و « الصخور البحرية » لجوجان و « الشاب ذو البريه الازرق » لديلاكروا ..

وتقول المجلة ان رحلة البحث عن هذه اللوحات قد بدأت فى عام ١٩٧٢ حيث سافرت بعثة من الفنانين الى برلين الشرقية أنذاك من أجل العثور على اللوحات ودراسة ومعرفة درجات الاصلية التى وصلت اليها بعض هذه الاعمال الهامة . وقد عثرت هذه



هتلر يهدى احدى اللوحات لأحد مناصريه



البعثة على اللوحات فى حال يرثى له . فهى موضوعة داخل اطارات من اخشاب رديئة . كما أنها محفوظة فى اجواء رطبة اثرت كثيرا على درجة وضوح الوانها .

وتقول المجلة ان هتلر قد راح يتصرف فى بعض هذه اللوحات على هواة . فكان يقوم باهداء بعضها الى قواد جيوشه او الى حلفائه فى مناسبات مختلفة . لذا توزعت هذه اللوحات على اماكن مختلفة .

الطريف ان السينما الامريكية قد صورت فيلما روائيا مشهورا فى عام ١٩٦٦ حول عملية نقل اللوحات الفنية النادرة من باريس الى برلين تحت عنوان « القطار » قام ببطولته بيرت لانكستر ، وجان مورو واخرجه جون فرانكنهاريم ، وفى الفيلم نجح لانكستر كسائق القطار فى اعادة اللوحات الى باريس مرة اخرى .. لكننا اكتشفنا الآن ان هذا فى الفيلم فقط .. اما فى الواقع فقد تغير الأمر كثيرا ..

كابول :

نهاية العالم .. فى الاتحاد السوفييتى

إنهيار افغانستان عنوان الفيلم الذى يخرجه الآن المخرج السوفييتى فلاديمير بورتكو حول الغزو السوفييتى لافغانستان . هو أول فيلم روسى عن هذا الغزو ويتم رصد ميزانية كبيرة له على طريقة الافلام الهوليودية .

يقول المخرج إنه أراد أن يصنع فيلما يصور فيه فظائع القوات السوفييتية فى كابول وذلك على غرار مافعل الامريكيون فى فيلم « نهاية العالم الآن » الذى اخرجه كوبولا عام ١٩٧٩ .

ففى هذا الفيلم قام الجنود الامريكيون بمهاجمة قرية فيتنامية آمنة . فقتلوا ابناءها وارتكبوا الفظائع واسالوا الدماء .

من الواضح اذن ان فلاديمير بورتكو يريد اخراج فيلم على نمط الانتاج الامريكى ليس فقط من حيث ضخامة التكاليف والانتاج . ولكن من حيث الانتقاد الذاتى للدور الذى قامت به القوات السوفييتية من بشائع اثناء احتلال افغانستان . ومن الواضح أن المخرج قد استفاد من تجربة البيروسترويكا وأجواء الحرية التى بدات تلوح فى التناول الفنى . ويقول ان حربا خلفت وراءها عددا كبيرا من القتلى (١٥ الف جندى سوفييتى) واستمرت تسع سنوات لابد انها كانت حربا قاسية للغاية : « لقد كنا نعانى طويلا فى الاتحاد

السوفييتى من الاعراض الافغانية . وهذه هى الحرب دائما مهما كانت عدالتها . فالله يعلم اننا قد مارسنا حربا عبثية فى افغانستان مما جعل الاحساس بالظلم يسود لدى الناس فى بلادنا »

يتم تصوير أحداث الفيلم فى منطقة الداخستان السوفييتية ، وقد اسندت بطولة الفيلم للممثل الايطالى ميشيل بلاسيدو الذى بدأ نجمه يسطع فى السنوات الاخيرة وقد شاركت ايطاليا فى تمويل ٢٠ ٪ من ميزانية الفيلم .

الطريف ، كما تقول جريدة لوموند ان السلطات الافغانية قد اصدرت امرا بمنع الفيلم قبل نهاية تصويره .

باريس

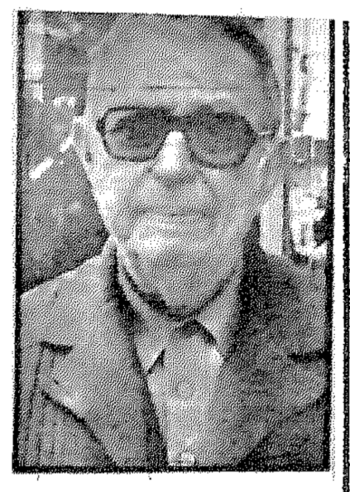
● سارتر : بحثت عن نفسى .. فلم أجدها ..

مثلما كان حديث الناس فى حياته . فان الفيلسوف والروائى الفرنسى جان بول سارتر سيظل حديث الاخرين لسنوات طويلة قادمة ..

فى هذه الأيام صدر كتاب "لجان بول سارتر يحمل عنوان "كتابات الشباب" ضم مجموعة من المقالات التى كتبها بين عامى ١٩٢٢ و١٩٢٧ واغلبها لم ينشر من قبل .. هى مجموعة من النثريات الادبية سطرها الكاتب وهو فى السابعة عشرة من عمره . قبل ان يلتحق بالمدرسة العليا . وهى الفترة التى اكتشف فيها فلاسفة اثروا فى عقله ووجدانه مثل نيتشه وريكارت وفلجنر .

لذا فان هذه المقالات تعكس فكر وقرارات سارتر فى تلك السن الحرجة من حياة الانسان كما انها عبرت عن وجهة نظر شاب ملىء بالقلق والاضطراب مما يحدث فى العالم الخارج لتوه من حرب عالمية طويلة .

تقول جينفيف بريزال - لوموند ١٩ اكتوبر ١٩٩٠ - انه يمكن فهم اعمال سارتر بشكل اكثر جودة لو قرانا هذه المقالات . وقد كان سارتر قد تحدث فى كتابه "الكلمات" ان هذه



سارتر

السنوات بالفعل قد شكلت كل وجدانه . وأمن خلاله بالجانب الروحى للأشياء . مما ساقه الى الايمان بالوجودية التى دافع عنها ووضع لها النظريات : "بالنسبة لمسالة الأخلاق . فقد اخترت اخلاق الشفقة . لقد كنت اردد دوما لافراد اسرتى اننى انسان خير . دون ان اعرف ماذا يعنى الخير بالضبط ..

لم يضم الكتاب مجموعة من المقالات التى سطرها سارتر فى تلك الاونة . بل ضم قصصا قصيرة وقصائد ، وحكايات . ومقطوعات نثرية صغيرة عكست انطباعاته فى بعض الافلام السينمائية والمسرحيات . وايضا فى موسيقى الجاز . وايضا فى بعض المذاهب السياسية التى كثر الحديث عنها فى تلك الاونة مثل الماركسية .

الجوائز الأدبية

جان روو ..

بائع الصحف الذى فاز بجائزة جونكور لعام ١٩٩٠

بقلم: محمود قاسم

يقال ان الفرنسيين لا يقرءون فى كل عام ، سوى كتاب واحد ، هو الرواية الحائزة على جائزة جونكور .. ربما لهذا السبب فان شهر نوفمبر يعد بمثابة موسما للجوائز الادبية تتنافس فيه روايات عديدة للحصول على جوائز الاكاديميات والمؤسسات الادبية المتعددة .

والمقولة السابقة قد تكون صادقة الى حد كبير فالناس وسط مشاغل الحياة ، يتركون للمؤسسات الثقافية اختيار هذا الكتاب وعليهم بعد ذلك ان يشتروه مع مواسم الاعياد ولذا فمن الملاحظ ان اغلب دور النشر تبدأ موسمها مع شهر سبتمبر كى يمكنها الدخول فى سباق الجوائز .

والرواية التى يقرؤها الفرنسيون هذه الايام تحمل اسم «حقول الشرف» للكاتب جان روو وهى تعد ظاهرة بكل مقاييس الكلمة .. ليس لانها رواية جيدة حصلت على جائزة جونكور ومنحتها هيئة التحكيم كافة اصواتها عدا صوتين فقط من عشرة ، ولكن لاسباب اخرى عديدة من بينها انها الرواية الاولى لكاتبها الذى يبلغ الثامنة والثلاثين من العمر وانها تنتمى الى الرواية الجديدة .

ولو بدانا الحديث عن هذه الرواية من هذه الزاوية فان فوز «حقول الشرف» بجائزة جونكور يعنى ان الاكاديميات التى تساند الروايات التقليدية قد وضعت يدها فى يد التجريب للمرة الثانية ، وبعد ست سنوات فقط ، من خلال عمرها الذى يناهز التسعين عاما .

فمن المعروف ان جونكور تذهب فقط الى الروايات التقليدية فضلا عن انها تمنح مرة واحدة للكاتب ليس فقط لان اعضاء مجلس ادارة هذه الاكاديمية ينتمون الى المدارس التقليدية ومعجبون بها بل لان هناك جائزة اخرى



جان روو بائع الصحف الذى فاز بجائزة جونكور .

تمنح للادب التجريبى معروفة تحت اسم «مدسيس» .

ولا شك ان فوز «حقول الشرف» بجائزة جونكور يعنى ان هنك اعترافا من التقليديين بالرواية الجديدة ، حتى وان تم ذلك فى حدود ضيقة فبعد ستة اعوام من فوز الكاتبة العجوز مرجريت دوراس بنفس الجائزة عن رواية من نفس المدرسة هى «العاشق» .. فان عيون الاكاديمية تروح بعيدا ربما لتسرق شرف منح هذه الرواية جائزتها من اكاديمية مدسيس هذه الاكاديمية التى منحت جائزتها لكاتبين ينشران ايضا لاول مرة هما الفرنسى جان بيير بانكرازى عن روايته ، «احياء الشتاء» ثم الكاتب الهندى اميتاف جوش عن روايته «نيران فى البنغال» .

يعنى هذا ايضا ان الرواية الجديدة التى بزغت بشكل واضح فى اواخر الخمسينات قد وجدت دماءها الجديدة ولم تكن ابدا مجرد تقليعة ادبية عليها ان تتلاشى مع الزمن .. وهاهم الادباء الجدد يفضلونها وينظرون فيها .

● نجم جديد

الظاهرة الثانية المرتبطة بهذه الرواية وهذه الجائزة ، انها تمنح لكاتب ينشر روايته الاولى . واذا كانت الجائزة قد منحت فى السنوات الاخيرة لبعض الشباب فها هى المرة الثانية فى عمر الجائزة التى تمنح لمؤلف جديد ينشر للمرة الاولى حدث ذلك منذ اربعين عاما حين فاز بول كولين

جان روو ..

بالجائزة عن روايته «العاب متوحشة» عام ١٩٥٠ .

اذن فعلى هذه الاكاديمية ان تصنع نجما جديدا فى عالم الادب ، حتى ولو لعدة شهور ، اذا لم يخب نجمه مثلما حدث لسالفه كولين الذى لا يذكره احد داخل فرنسا وخارجها بالمرة .. وكان روايته بمثابة بيضة الديك التى تجىء كمعجزة وقتية ولا تتكرر قط مرة ثانية .

جان روو اذن اديب ينشر لاول مرة .. صحيح انه ليس صغير السن قياسا الى اقرانه من الشباب الذين يبدعون النشر فى السادسة عشرة .. وعندما يصلون الى الثامنة والثلاثين يكونون قد قدموا الكثير .. وفازوا بالعديد من الجوائز .

ولاشك ان لدى روو الاجابة المثلى على مثل هذا الادعاء فهو يرد فى حديث قصير نشرته مجلة بارى ماتش قائلا ان هذه السن هى الانسب للابداع . فقد كتب الكثير من المؤلفين دررهم وهم فى سن مشابهة .. مدام بوفارى ابدعها جوستاف فلوبير وهو فى الخامسة والثلاثين ، اما سيلين فقد كتب «رحلة الى اطراف الليل» .. وهو فى الثامنة والثلاثين .. بينما كتب هنرى ميللر روايته «مدار السرطان» وهو فى الثانية والاربعين .

وجان روو الذى كان قبل اشهر مجرد بائع صحف مغمور يملك كشكا صغيرا لتوزيع الصحف والمجلات فى شارع فلاندر بباريس يقول انه يحس بالرغبة فى الكتابة منذ زمن طويل وانه كان يتمنى ان يصبح مؤلفا لمثل هذه الكتب التى يوزعها فى كشكه كان يجب ان اوازن بين عملى وبين الكتابة وكان يلزمنى الكثير من الصفحات البيضاء التى تثيرنى انه عمل يتطلب الكثير من الطاقة .

ولم يكن «روو» فقط بائع كتب ومجلات بل مارس العديد من المهن البسيطة . فقد كان يقوم بتوزيع الموسوعات على المؤسسات كما عمل مصورا هاويا .. وعمل فوق المراكب ثم بائعا فى احد المحلات . ثم ميكانيكيا يقوم بتصليح الالات الموسيقية ، كما كان يقوم برش الشوارع ليلا بالمياه .. «كنت ابحث عنه مهن تتيح لى الوقت للكتابة وخاصة تلك التى تجعلنى اتفادى الجرى وراء نجاح اجتماعى كنت اود الاحساس بالحرية . لذا اخترت كشك بيع الصحف» .

ويقول الكاتب انه بعد ان انتهى من كتابة روايته الاولى توجه الى دار نشر مينوى التى تخصصت فى نشر الرواية الجديدة . ولم يواجه «روو» صعوبة فبعد ثلاثة ايام ابلغه الناشر بالموافقة على نشر الكتاب وصدرت الرواية فى شهر اغسطس الماضى .

وطوال الشهرين الاولين من نشر الرواية لم يبع منها سوى ثلاثة الاف نسخة وهو رقم ضئيل للغاية قياسا الى ما حققته ابتداء من منتصف نوفمبر حتى الآن .

● الحياة .. بشكل جديد

مادمنا اننا نتحدث عن رواية تنتمى

الى الرواية الجديدة .. فاننا نعرف تماما انه من الصعب سرد وقائع هذه الرواية فليس هناك موضوع محدد بالمعنى المتعارف عليه ولكن هناك وقائع منفصلة ومتصلة تحددها ازمنة واماكن متعددة فيمكن للراوى مثلا ان ينتقل بسهولة من اوائل الستينات الى عام ١٩١٦ ، ابان الحرب العالمية الاولى والعودة ثانية الى ازمنة اخرى . وسنكتشف في ازمنة متباعدة فلابد ان هناك اشخاصا تختلف .. هناك اناس رحلوا واخرون ولدوا ورحلوا في نفس الاماكن التى كان يسكنها السالفون .

والراوية في حقول الشرف لا يعرف الكثير عن الشخصيات التى اختفت انه يحيا في فترة الستينات عليه ان يعرف شيئا عن جده وعمته مارى وابيه جوزيف وهو يكتشف انه هناك شخصا اخر ، غير ابيه يدعى جوزيف قد مات في عام ١٩١٦ ومن اجل ان يتوصل الى الحقيقة يلجأ الى الارشيف العائلي .

والرواية بمثابة رحلة عبر هذا الارشيف ويقول الناقدة مارى فرانسواز ليكلير مجلة لو موند في ٢٦ نوفمبر ١٩٨٤ – ان جان روو قد تصرف في هذه الرواية كباحث اثرى عليه ان ينقب في الخبايا والحفريات لعله يعثر على اثر نادر يمكن ان يفيده في بحثه وهو يود ان يرجع الاشياء الى اصحابها وزمنها ويسندها الى واقعها .

ومن خلال مجموعات صغيرة من الحزمة القديمة المتناثرة في ارشيف العائلة يتمكن الراوية من معرفة وقائع هذا الماضى . فالاب جوزيف هو الذى مات . وليس شخص اخر وقد مات في ظروف غامضة اثناء الحرب .. لم يمت بطلقة رصاص في جبهة القتال بل قتل بطريقة اخرى .

قد يكون هذا هو الموضوع الذى تستند اليه رواية «حقول الشرف» واعتقد اننا ونحن نتتبع هذه الرواية قد وقعنا في نفس الخطأ الذى يقع فيه النقاد التقليديون وهم يتابعون الروايات فما كانت الحركة الادبية التى تنتمى اليها فاشياء الرواية الجديدة لا يهتمون فقط بوقائع الحدوتة . انها في مثل هذه الاعمال تصبح بمثابة هامش يمكن كتابة عشرات الصفحات على هامشه او مساره . فقد راح جان روو مثلا من خلال هذا الموضوع البالغ البساطة يكتب صفحات مطولة عن الفجر في المدينة او عن الغروب في مقاطعة اوبر ليس على طريقة السرد التقليدى الذى عهدناه في روايات توماس هاردى واخرين . والا ما كان يمكن ابتداع الرواية الجديدة ولكن تم ذلك باسلوب جديد تماما حيث تختلط الاشياء من خلال مزيج لم يعهده القارىء فيما قبل وهذا ما جعل البعض يضيف صفة جديدة الى الرواية الجديدة اى انها حركة جددت نفسها واضافت جدية التسعينيات اليها دون ان تخرج عن قواعدها المألوفة . الطريف ان القواعد المألوفة المقصورة هنا هي تحطيم كل ما هو مألوف في حياة تتكرر مناظرها بنفس الشكل السطح والخلق معا ..

وكأنما كان ابناء هذه الحركة يرون ان عليهم تغيير شكل الكون .. على الاقل في سطور رواياتهم .

من : فريد كامل

التغيرات التى تحدث فى أوربا

لاحظ هذه الفقرة الهامة (وهى من مقال بالاسبوعية السياسية "ليسبرسو" : .

"ولاشك أنه توجد الآن ، بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الستار الحديدى وانهيار حائط برلين ، حاجة ملحة لدى الغرب لخلق حائط جديد من الحقد والكراهية ، لتسليط الأضواء على عدو جديد ، شرير آخر يحل محل الشيوعيين السوفييت ، وبالتبعية شيوعيى أوربا الشرقية ، كهدف لتركيز روح البغض والعداء عليه ، تأليب الرأى العام ضده . ويبدو أن العرب (والمسلمين عموما) يعدون للعب هذا الدور .. ويخدم هذا المخطط إحتلال صدام حسين الأخير للكويت" .

ولايستطرد كاتب المقال (سابينو أكوافيفا) فى حديثه هذا ، فلب موضوعه هو التغييرات التى تحدث فى أوربا (خاصة بعد وحدة المانيا) فهو لايذكر "درع الصحراء" مثلا ، أو إقتراح إقامة حلف دفاعى (ناتو) جديد لحماية جنوب أوربا .. (أما جريدة .. لاريبوبليكا" فتقول "يمكننا أن نعتبر أحداث الكويت فى مجموعها أولى معارك الحرب الجديدة على المواد الخام بين الشمال والجنوب ، بين الأثرياء والفقراء .." اى أن العدو



الجديد هو كل من يملك مواد خاما من الفقراء الضعفاء ويرفض تسليمها للأثرياء والأقوياء بالشروط المجزية لهم ، التى يفرضونها عليه .. وتنطبق مواصفات العدو الجديد هذه علينا" مايهمنا الآن هو أن الرأى الذى يكتبه معلق "ليسبرسو" يطرح سؤالا هاما هو : هل من السهل تأليب الرأى العام الأوربى ـ والغربى عامة ـ ضد العرب والمسلمين ؟؟ .. وسأحاول أن أجيب على هذا السؤال ، بالنسبة لايطاليا على الاقل :

قبل سنوات قليلة ، كانت معالم الصورة التى يتخيلها الايطاليون للعرب مستمدة

أساسا من قصص "الف ليلة وليلة" الخرافية : قصور للسلاطين من الرخام والمرمر ، تملأ قاعاتها الكنوز وجميلات الحريم وازقة مزدحمة بالباعة والشحاذين والدواب ، وعفاريت وجنيات أيضا ، تظللها مآذن عالية فى سماء أزرقها شفاف . هلالها عملاق .. ثم تسربت عناصر جديدة لتطفى على هذه الصورة : النفط ، وأنهار البترودولارات ، وشيوخ وأمراء ينفقون بإسراف يعبر أحيانا حدود السفاهة .. (أما صورة العرب القديمة : فلول القراصنة المغيرة من البحر للسلب والسبى ، فقد زالت من الذاكرة التاريخية ، كما زالت صورة السلب والسبى الآخر الذى مارسه الصليبيون فى الأراضى المقدسة .. وأما العرب كمتحضرين ساهموا بنصيب ضخم فى إثراء وتطوير العلوم والثقافة والفنون العالمية ، فهى صورة لم يلمحها إلا المتخصصون) ..

أضف الى صورة العرب عند رجل الشارع الايطالى هذه عددا من المقومات الجديدة :

– هجرة العرب : وايطاليا ، ومثلها باقى أوربا لاترحب بالمهاجرين ، وخاصة "الملونين" منهم (ينسى الايطاليون أن مئات الآلاف منهم هاجروا إلى أمريكا) وأسباب هذا تتراوح من عنصرية الى عملية ونفسية ؛ لأن المهاجرين يمارسون العمل الأسود (أى غير المسجل رسميا : بأجور مخفضة فيستقطعون رزق المواطنين ، ولأنهم أذكياء ومثابرون (فظهورهم للحائط) لذا فهم اقدر على التقدم والترقى فى العمل ، ولنشاط بعضهم فى الجريمة أيضا ، خاصة فى ميدانى المخدرات والبغاء ..

– الانتفاضة : فمع أن أكثر الايطاليين يعرفون أن الفلسطينيين يكافحون لاقامة وطن لهم ، أى لقضية عادلة ، إلا أنهم يعتبرون أن لجوءهم الى العنف يضايق ويعرقل سير الحياة المعتادة .. وكثيرا ما نسمع من رجل الشارع هنا أن فى أوربا عشرات القوميات والأقليات ، يصل تعداد بعضها الى عدة ملايين ، ولكنها قد نجحت كلها (ماعدا بعض مجموعات هامشية صغيرة متطرفة) فى التأقلم والاندماج فى الدول التى تعيش فيها ، محتفظة إذا شاءت بشخصيتها القومية الخاصة وأن أى كفاح تمارسه يكون بالطرق الديمقراطية لا عن طريق العنف .. (يكشف مفهوم رجل الشارع الأوربى هذا للقضية الفلسطينية عن جهل وقصر نظر وتهرب من الواقع ، يقبول تعايش مفترض بين الذئب والحمل ، فى غياب لاعلام عربى جدى وفعال ..

– النفط : جرت عادة الحكومات الغربية عادة (والايطالية بشكل خاص) على تبرير أى أزمة تعترضها (إقتصادية ، أو تضخم أو زيادة فى الأسعار ، أو تأجيل فى منح العلاوات .. الخ) . بأنها ناتجة عن رفع العرب لأسعار النفط .. مع أن نفطنا ، حسب مفهوم رجل الشارع هنا ، يتدفق متفجرا من باطن الأرض عندنا ، بلا جهد منا أو عناء ..

– العراق ؛ ويتهمها الغرب بمزاولة العنف على أوسع نطاق : من "مذابح الأكراد ، باستخدام الأسلحة الكيمائية ، الى الحرب مع إيران التى سقط فيها أكثر

من المليون ، الى غزو الكويت والاستغلال الاستفزازى للأسرى والبيانات التحرشية" ..

واعتقد ان فى هذا كله الاجابة الكافية على التساؤل الذى طرحه معلق الأسبوعية الايطالية الهامة ..

■ هرم كايو الأكبر

فى قلب روما ايضا هرم أثرى .. وهو ايضا مقبرة اقيمت لكايوشيستيو ، كبير قضاة محاكم روما الشعبية ، والعضو الأول لمجمع كهنة المدينة ، الذى مات سنة ١٢ ق . م

. كانت حامية رومانية قد احتلت قبل سنوات قليلة (٥٥ ق . م) الاسكندرية ، عاصمة مصر حينئذ . ولكن مصر لم تصبح ولاية لروما حتى دخل الاسكندرية اوكتافيوس وانتحرت الملكة كليوباترا السليمة ومارك أنطونيو فى ٣٠ ق . م .. وكانتا حضارة مصر ودينها قد غزوتا الامبراطورية الرومانية بسرعة فاقيمت فى روما معابد للالهة إيزيس وزوجها سيرابيس (الاسم السكندرى لأوزوريس) .. لم يكن من الغريب إذن أن يوصى كايو الرومانى بأن يدفن فى هرم .. فقام بونتيوس ميلو ، خليفته ، ببناء هرم روما هذا له ، فى ٣٣٠ يوما ، حسب ماهو محفور على واجهته ..

شيد هرم كايو خارج السور الذى كان يرسم الحد الجنوبى لمدينة روما حينئذ ، عند بدء طريق أوستينزى المتجه منها نحو



هرم كايو فى لوحة محفورة للفنان الالمانى شيديل (١٤٩٣) ـ متحف تورمبرج



زخارف الموزاييكو بأول طريق أوريليو (قرن ٣) بجوار قاعدة الهرم



غرفة الدفن بهرم كايو
بعد ترميم ارضها اخيرا



هرم كايو سستيو بروما
كما يبدو اليوم



"النصر المجنح" ـ واحدة من اربعة
رسوم حائطية بسقف غرفة الدفن

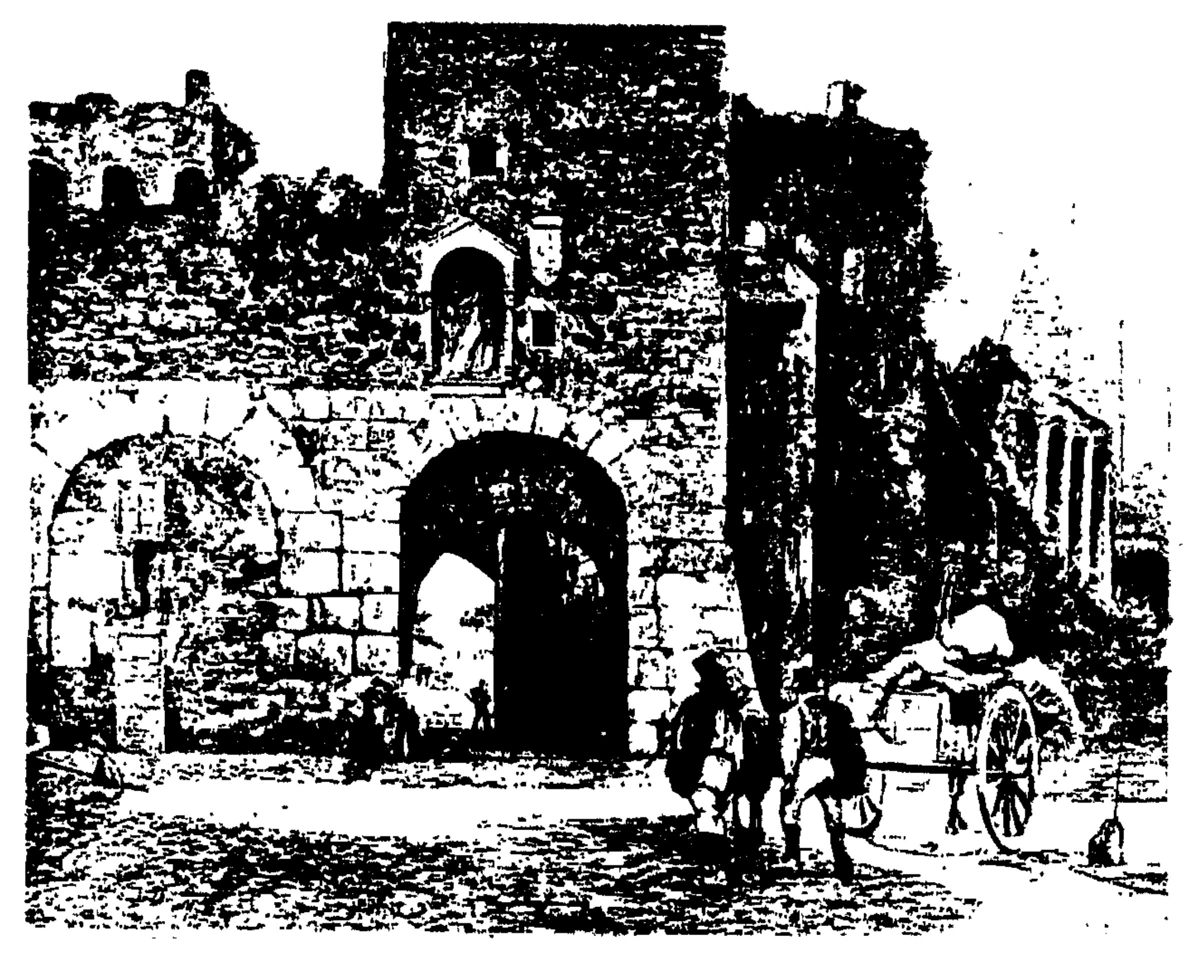
الجنوب الغربى ، الى أوستيا ، ميناء ومصيف روما الى يمننا هنا ـ بنى بالطوب والاحجار وكسى سطحه الخارجى بالرخام الابيض .. ويبلغ طول ضلع قاعدة الهرم المربعة ٢٩,٥ متر ويصل إرتفاعه الى ٣٦,٤٠ متر.. ويبدو أن المدخل الأصلى للهرم كان من باطن المصطبة التى بنى فوقها فى واجهته نحو الشمال الشرقى .. ؛ وقد كشفت حفريات حديثة عن قاعدتى عمودين بهذه الناحية ،

محفورة على أحدهما أسماء ورثة الفقيد ، وعثر فوق الأخرى على قدم تمثال من البرونز ، وكشف بين العمودين عن بداية طريق أوربليو ، المتجه من روما نحو الغرب ثم الشمال ، الذى أنشىء بعد الهرم بثلاثة قرون ، ويبدأ الطريق بزخارف من الموزايكو الجميل) ..

وفى عصر روما البابوية ، اقيمت بجوار للهرم مباشرة ، خارج الحدود الجنوبية للمدينة "مقابر غير الكاثوليكيين" "وتسمى الآن مقبرة الأجانب) .. ويوجد بها ضريحا الشاعرين الانجليزيين المعروفين شيللى وكيتس اللذين عاشا طويلا فى روما ومات بها فى أوائل القرن الماضى .. وقد أمتدت روما خارج أسوارها القديمة ليصبح هرم كايو (ومقابر الأجانب) فى قلب المدينة الآن ..

وفى القرن السابع عشر ، ملأ البابا اليساندرو السابع حب الاستطلاع ليعرف مايخفيه هرم كايو من أسرار . وكان شاعر ايطاليا الكبير بترراكا (قرن ١٢) قد قال أنه يضم أيضا رفات رومولووريمو . التوأمين اللذين "أنشأ مدينة روما" حسب الاساطير ،

هرم كايو فى لوحة للفنان روسلر فرانز (١٨٩٢) ـ متحف روما



وكانت ترضعهما ذئبة (وقال ايضا أن كايو طلب أن تكون مقبرته على شكل هرمى "لكى لا يتبول عليها الكلاب" !!) .. أمر البابا اليساندرو بفتح الهرم ، فثقب حائطه الشمال شرقى ليفتح به باب صغير (١١٠ × ١٨٠ سنتيمترا) وحفر نفق صغير حتى غرفة الدفن ، ولم يذكر التاريخ إنما كان قد عثر على تابوت أو جثمان كايو بداخلها .. ويبقى الهرم مفتوحا من ١٦٦٣ الى أن أغلق فى النصف الأول من القرن الثامن عشر ، ويبقى مغلقا حتى قبل عامين ، ثم تنظف من الخارج وفتح فى ابريل العام الماضى) لترميم داخله ، وسمح لعدد صغير من المهتمين والصحفيين بزيارته أخيرا ، وقد تم ترميم أرضية غرفة الدفن فقط ..

ويضم كايو غرفة واحدة ، هى غرفة الدفن مستطيلة الشكل ، ابعادها ٤ × ٦ من الأمتار ، سقفها محدب كالقبو ، وحوائطها مغطاة بالجص ومزخرفة برسوم وصلت الينا فى حالة سيئة من التحلل والدمار بسبب شدة الرطوبة وطول الاهمال والتخريب الذى أحدثه بها المشوهون بتوقيعاتهم وما حفروه فيها من عبارات تعود الى القرنين السابع عشر والثامن عشر .. وتظهر اليوم من هذه الرسوم فى اركان الغرفة على السقف المحنى ، أربع فتيات مجنحات تحمل كل منهن إكليل الغار (هم "النصر المجنح" رمز المجد والخلود) . وعلى الحيطان آثار لوحات كبيرة مربعة تبدو بأطرافها زخارف من حوريات تحملن ورودا وأباريق (رمز الخير) وبداخلها أربعة أشكال آدمية (نساء غالبا) بلغت من التحلل درجة أن لايفهم اليوم دلالتهم أحد !!

■ الحرامية اشتكوا

لصوص السيارات يشكون الكساد منذ بدأت أزمة الخليج .. "حتى الثانى من أغسطس الماضى كانت الكويت أكبر مركز لتسويق السيارات المسروقة فى أوربا ، أما الآن فإن قنواتنا المعتادة الى هناك قد سدت ، وأصبح سوق الكويت خطرا" صرح بهذا الصحفى بجريدة "كوريرى ديلاسيرا" باولو - الذى يدير شبكة لسرقة وتهريب السيارات ، مركزها فى ميلانو .. وأضاف "منذ عشرين عاما مهنتى الأساسية هى هذه ، ولم يحدث بها كساد أبدا مثلما يحدث اليوم" ..

وكان برفقة باولو عندما التقى بالصحفى أحد سائقيه ، وهو سائق تاكسى أردنى إسمه سميح قال "أعمل لباولو خمسة أو ستة رحلات فى السنة ، من ميلانو الى الكويت غالبا ، وهى مسافة طولها أكثر من خمسة آلاف كيلومتر .. أقود أجمل سيارات العالم .. أحدث طرازات سيارات مرسيدس وبى إم دبليو وبورش ، وأحيانا فيرارى مسروقة فى إيطاليا أو إحدى الدول الأوربية المحيطة . وقد بدلت لوحات أرقامها ، وأدخلت على أشكالها بعض التعديلات (بتثبيت أو رفع بعض الاضافات الاختيارية مثلا ، وأعدت لها وثائق سير وتأمين مزيفة . أقودها من ميلانو الى برينديزى أو انكونا (أكبر ميناءين بجنوب ساحل إيطاليا الشرقى) وأعبر بها الى اليونان (الى بتراسو عادة) ثم أسوقها من جديد الى تركيا ثم عبر البوسفور الى إسطنبول ، ومن هناك

رسالة ايطاليا

الى السوق اللبنانية عبر سوريا . أو الى الكويت عبر العراق . عن طريق الموصل والبصرة .

سأله الصحفي "والجمارك ؟؟ .." قال : "لم تحدث مشاكل معهم أبدا ـ هم في الغالب يعرفون . ركبت مرة سفينة للعبور من إيطاليا الى اليونان فإذا بي أجد حوالي أربعين من زملائي . معهم نفس العدد من السيارات المسروقة ، وهذا على سفينة واحدة .. وعلى حدود إحدى الدول العربية . في مرة ، أشار أحد ضباط الجمارك إلى سيارتي وقال لزميل له : آه هذه هي المرسيدس التي ينتظرها سفيرنا في باريس !!"

وسأل الصحفي سميحا كم يتقاضى من الأجر عن كل من هذه الرحلات ، فأجابه أن أجره يتراوح بين مايعادل الفا والفا وخمسمائة دولار "ولكنه ليس كل شيء .. فهم يرسلون لي تذكرة الطائرة الى ميلانو ومبلغا كبيرا من المال لنفقاتي ، فمن المهم أن أنزل بأكبر الفنادق وأن يكون متاعي وملبسي من أغلى وأجود الأنواع ، وأن أنفق بسخاء لأوهم الناس أنني ثري ويكون من الطبيعي أن أملك وأقود سيارة ثمينة فاخرة .. كذلك تلذني المغامرة ثم أنني أحب قيادة السيارات ، خاصة تلك التي توفر متعة لمن يقودها ..

وأضاف باولو "كان أهم عملائنا عددا من كبار التجار من الأردنيين والفلسطينيين واللبنانيين المقيمين بالكويت ، نرسل لهم السيارات بالمواصفات التي يطلبها زبائنهم ، أي كان أكثر مانرسله لهم من سيارات مباعا قبل أن نسرقه لهم .. والآن قد هرب بعض هؤلاء من الكويت ، بينما أوقف الذين بقوا هناك نشاطهم لصعوبة وصول المادة الخام .. وخسارتهم هائلة .. فقد كانوا يربحون خمسة آلاف دولار في السيارة الواحدة على الأقل ،

سأله "وأنت كم تربح فيها ؟" .. فضحك باولو وقال : "آه هذا من أسرار المهنة .. كل ما أستطيع أن أقوله هو أن حجم عملياتنا يفوق الربعمائة سيارة في العام" !!

■ كافكا رساما

رسوم كافكا تستطيع أن تراها معروضة "لأول مرة معا" ـ حسب ما يدعيه الاعلان ـ في المعرض الذي تنظمه قاعة "بابونيو" وبالمعرض حوالي ثلاثين "رسما" للمؤلف التشيكي فرانزكافكا (١٨٨٣ـ ١٩٢٤) أحد أهم كتاب العصر الحديث هي في الواقع "شخبطات" في صفحات مذكراته التي نشرت (بدون رسومه) في ١٩٥١ .

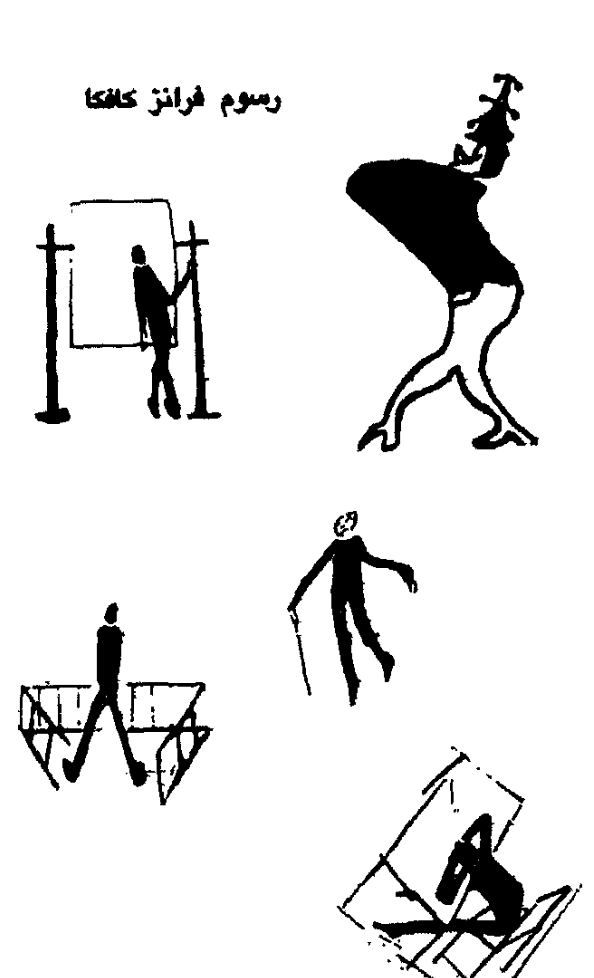
وحياة كافكا غريبة ككتاباته ـ وكرسومه أيضا ـ ولد لأسرة يهودية متوسطة الحال في براغ ودرس الحقوق في فينا ، وبخلاف صديق طفولته الوحيد ماكس برود ، كانت علاقاته مضطربة للغاية مع والده ومع النساء أيضا ـ فقد تهرب مرتين من الزواج . بخطيبته لسنوات طويلة ،



فرانز كافكا

وتعلق بصحفية نبذته ، وارتبط عاطفيا وهو فى مصحة للسل فى جبال بافاريا براقصة سابقة كانت مريضة حينئذ . كان يمارس الكتابة كهواية وكأنه مريض بالحمى ، واصيب بالسل حتى كان يبصق دمه فيقول أنه مرض نفسى ، وتأخر فى العلاج ، فلم يدخل المصحة الا وقد تقدم به المرض كثيرا .. اقنعه ماكس برود بأن ينشر بعض قصصه الصغيرة الثانوية فى حياته أما تحفه الرائعة فقد نشرها صديقه بعد موته ، رغم أن كافكا كان قد أستحلفه أن يعدمها : "المحاكمة" فى ١٩٢٥ و "القلعة" فى ١٩٢٦ و "أمريكا" فى ١٩٢٧ .. وكتابات كافكا بالغة التشاؤم .. تعبر عن صراع الانسان فى بحثه عن معنى لحياته ولهذا العالم الذى يعيش فيه . معنى قد يكون موجودا ولكن لايستطيع الانسان أن يعرفه فى حياته هذه .. فهو أسير حياة لايفهمها ، متهم امام عدالة لايعرفها قوانينها مخفاة عنه ، قد تدينه ، وتوقع عليه عقوبة أبدية لايعرفها ..

رسوم فرانز كافكا



صفحة من مذكراته

هندسة المعرفة

وحضارة الألف الثالثة

بقلم: د. السيد نصر الدين السيد*

"ولهم فيها أمور وأحوال وتراكيب غريبة ، ينتج عنها نتائج لاتسعها عقول "امثالنا" . هكذا حدثنا شيخنا المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي عن انطباعه اثر زيارته التي قام بها الى مقر المجمع العلمي الذي اقامه الفرنسيون في بيت حسن كاشف جركس بالقاهرة اثناء حملتهم على مصر . وكانت زيارة الشيخ يوم الأربعاء الموافق الخامس من ديسمبر لسنة ١٧٩٨م . وبقيت كلماته لتصف لنا لحظة المواجهة بين حضارة ولت وحضارة فتية في عنفوان الشباب .

واليوم ، وبعد مرور مايقرب من المائتي عام ، تأتي لحظة المواجهة الثانية مع حضارة الالف الثالثة . وهي حضارة من نوع فريد تقوم على تكنولوجيا المعنويات لا على تكنولوجيا الماديات وتستخدم آلات لمعالجة المعارف ولمحاكاة التعقل ولانتاج الاحكام . فلأول مرة في تاريخ البشرية يتم انتاج الة تهدف الى زيادة قدرات الانسان الذهنية والعقلية ومد نطاقها الى آفاق غير محدودة . ولأول مرة بات الانسان يسعى لانسنة [تأنيس] الالة لتكتسب ملامح انسانية فتتحاور معه ويتحاور معها في الفة وود وذكاء وانسجام . وبهذا يسدل الستار عن عصر كان ينظر فيه للانسان كالة وعن عصر كانت علاقته تتسم بالتنافر والاغتراب . انها حضارة المستقبل المنظور ... هذا المستقبل الذي يندفع نحونا بسرعة تتجاوز سرعة مضى الحاضر لنجد انفسنا ، مجتمعا وافرادا ، نعاني من وطأة

* عضو الاتحاد الدولي لمعالجة المعلومات [IFIP] واستاذ المعلومات بالإكاديمية العربية للنقل البحري

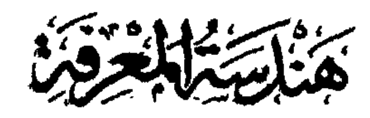
"صدمة المستقبل" . فهل سيكون موقفنا من الحضارة الآتية من الغد المنظور هو نفس موقف شيخنا الجبرتي ... ضعفا وقلة حيلة ... دهشة وانبهارا ... ؟ .... هل سنترك انفسنا لـ "الموجة الثالثة" فتجرفنا وتلقينا خارج مجرى التاريخ ... ؟ .... هل سنقبل التحدى ونتحين الفرصة ونستثمر معطيات الحضارة القادمة لنبنى مصر المستقبل ... مصر الالف الثالثة بحساب الميلاد ... ومصر الالف الثامنة بحساب التاريخ ... ؟ ... ام سنهدر املا واعدا ... ونضيع فرصة متاحة لاستثمار المستقبل ... ؟ ... هذه هى القضية وعنها سيكون الحديث .

لقد كانت ولادة الحضارة الجديدة . حضارة الالف الثالثة ، فى اواخر الاربعينات عندما تجسدت افكار العديد من العلماء ، مثل بابج BABBAGE [١٧٩٢ - ١٨٧١] وبول BOOLE [١٨١٥ - ١٨٦٤] وفون نيومان Von NEUMAN [١٩٠٣ - ١٩٥٧] فى صناعة اول آلة فى تاريخ البشرية تكون مادتها الأولية فى البيانات فى ابسط صورها ، الصورة الرقمية . آلة غير مسبوقة تمتلك ذاكرة تحتوى على التعليمات اللازمة لمعالجة البيانات بصورة اتوماتية مستقلة عن تدخل الانسان . وهكذا ظهر الجيل الأول من الحواسب ، كيانات غليظة القوام تكتظ احشاؤها بالألف من الصمامات الكهربية . كيانات يجرى التعامل معها من خلال طقوس ومراسم تزيد من رهبتها وتحد من دائرة المتعاملين معها لتقتصر على فئة محدودة من المهندسين والعلماء . ولم يدر بخلد صانعى تلك الكيانات التقنية ، والتى



الكومبيوتر .. قفزة حضارية سريعة الايقاع

صممت اساسا لـ "قرقشة وطحن الأرقام" NUMBERS CRUNCHING ، ولاجراء الحسابات العلمية المعقدة ، لم يدر بخلدهم انها ستتجاوز هذا الدور المرسوم لها لتنطلق الى افاق جديدة جاوزت حدود الخيال . ولكنها فى تجاوزها هذا انما كانت تتبع قانونا عاما يحكم تطور أية ظاهرة تقنية معاصرة ويؤكد على قدرتها على التنامى المستقل عن ارادة ورغبة منشئها . وعلى مدى العقود الأربعة الأخيرة حققت تقنيات تصنيع الحواسب تقدما هائلا لو قدر لمثله ان يتحقق فى مجال تصنيع السيارات لكان بوسعنا اليوم اقتناء سيارة رولزرويس بما لايزيد عن



ستة جنيهات ولاتستهلك اكثر من لتر بنزين واحد لتقطع ربع مليون كليومتر . وهكذا جاءت حواسب اليوم ، حواسب الجيل الرابع ، دقيقة الحجم ... رشيقة القد ، يحملها مقتنيها في جيبه أو يضعها على مكتبه ، فائقة القدرة ، تفوق قدراتها قدرات حواسب الجيل الأول ، زهيدة الثمن سعرها في متناول الجميع . وتمضي تكلفة اقتناء الحواسب في التدني مع التزايد الفائق في قدراتها لتتجلى أولى سمات الحضارة القادمة ، الا وهي ديمقراطية اقتناء أداتها الرئيسية الحاسب . وتتواكب مع ديمقراطية الاقتناء سمة اخرى تكملها وتؤكدها وهي سمة ألفة التعامل . وهي تهدف الى تيسير تعامل غير المتخصص مع الحاسب من خلال مناخ حوارى صديق بين الانسان والآلة . ويسعى العاملون في هذا المجال الى اكساب الحاسب القدرة على التحاور مع الانسان بلغته الطبيعية ، منطوقة كانت أو مكتوبة ، لتكون سمة لحواسب الجيل الخامس الذى اقتربت لحظة ظهورها في الأسواق . أما السمة الثالثة لحضارة الألف الثالثة ، التحاور المتنائي ، فقد كانت ثمرة للتزاوج الخلاق بين تقنيات الحواسب وتقنيات الاتصالات . وهي السمة التي تتيح لمستخدمي الحواسب القدرة على التوصل الاني للمعارف انى تكون مصادرها وايا يكون شكلها ، صوت وصورة ... نصا أو بيانا . كما تتيح لهم القدرة على التحاور والتواصل مع اقرانهم عبر القارات .

● المنظومات الخبيرة

واليوم تاتي هندسة المعرفة لتكون احدث سمات الحضارة القادمة . وهي التي برزت بوضوح في العقد الأخير واستقطبت جهود العاملين في الميدان سعيا وراء تاكيدها وتاصيلها وتطويرها . وهي وان كانت احدث السمات ظهورا فإنها اكثرهن اثرا واثارة ووعدا ووعيدا . والمعرفة ، في اعراف بناة الحضارة القادمة ، ليست هي المعلومات بل هي الانتقاء الواعي لها ونظمها في اطر وبنى تضمها سويا لتعكس مدارك الانسان وتصوراته ومفاهيمه عن الواقع الذى يعيش فيه والوجود الذى هو جزء منه . والمعرفة البشرية قد تكون معرفة بماذا KNOW —WHAT ، منبعها تاملا عقلانيا لمجريات الأمور وتحليلا لأسبابها وتفكيرا في اغراضها . وهي معرفة يمكن صياغتها على هيئة حقائق وقواعد وقوانين . وهي قد تكون معرفة بكيف KNOW — HOW تتمثل في خبرة و "سر صنعة" تكتسب من طول ممارسة وتجريب . وهي معرفة يصعب اختزالها الى مجرد قواعد وقوانين . وهي قد تكون حكمة مصدرها حدس والهام . ولقد أصبحت المعرفة البشرية ، بشتى صورها ، هي موضوع الساعة والشغل الشاغل لعلماء ومهندسي الحاسب ويلتوا يسعون بهمة لتطويعها لتكون مادته الأولية التي يتعاطاها ويتعامل معها . وهكذا تحولت الحواسب من الآلات لمعالجة البيانات وانتاج المعلومات الى الآلات لمعالجة

المعرفة وانتاج النصائح والتوصيات . واسفرت جهود الباحثين في هذا الميدان عن ظهور جيل جديد من البرمجيات الذكية ، المنظومات الخبيرة EXPERT SYSTEMS ، القادرة على التعامل مع المعرفة البشرية فتستخلص الخبرة وسر الصنعة من اصحابها لتحليها وتحفظها وتختزن الأفكار والآراء وتستخدمها . وهي ايضا قادرة على التعلم وتنمية ارصدتها من المعرفة واستخدامه في تقديم النصح والمشورة لمن يطلبها والتحاور معه بلغة تقترب من لغته الطبيعية . وشاع استخدام المنظومات الخبيرة في شتى المجالات من علمية وطبية وهندسية وادارية وتعليمية . وامتلأت الاسواق ببرمجيات تمكن أى انسان من بناء منظومة خبيرة في أى مجال يهتم به . وقد بلغ حجم مبيعات تلك المنظومات في الولايات المتحدة فقط وخلال السنة الماضية ٨١٠ ملايين بينما تجاوز حجم الانفاق على البحوث والتطوير في هذا الميدان البليون دولار . وهكذا بدأت الحواسب تكتسب ملامح انسانية .

كانت هذه صورة في عجالة لأهم السمات التقنية لحضارة الألف الثالثة ، والتي وان عرضنا لها كل على حدة الا انها في واقع الأمر متداخلة تؤثر كل منها على الأخرى وتعمل مجتمعة على نقل البشرية نقلة هائلة بما تحدثه من تغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية عميقة وهي نقلة يصفها عالم الاجتماع الامريكي لورنس سوم E.SUHM بقوله "اننا نمر بفترة تحول تماثل في جذريتها تلك التي مر اسلاف الانسان في تطورهم من كائنات بحرية الى كائنات برية . وأولئك القادرون على التكيف سيكتب لهم البقاء . اما الاخرون فاما ان يعيشوا في المستويات الدنيا أو أن ينقرضوا ويدركهم الفناء" . انها اذن النقلة الى مجتمع حضارة الألف الثالثة والتي بدأت ملامحه في التشكل والظهور "فقد خلقت الفرصة (التقنية) الشهية ، وأوجد العرض (التقني) الطلب" . وتعددت تسميات المجتمع الجديد من "مجتمع مابعد الصناعة" الى "مجتمع المعلومات" ، الا ان ما حدث في العقد الاخير من تطور ثوري في مجالات هندسة المعرفة وتصنيع الذكاء يجعله بحق مجتمع المعرفة . وهو مجتمع اداة انتاجه الرئيسية هي الحاسب ولكنه الحاسب كآلة مفكرة لا كآلة لفرقشة الأرقام . وهو مجتمع منتجه الرئيسي هو المعرفة بشتى صورها ووظيفته الاساسية هي انتاجها وتصنيعها . فالمعرفة في هذا المجتمع هي مورده الرئيسي الذي لايضفي فقط قيمة على موارده المتاحة ، كالطاقة والارض والبشر ، بل هو في حد ذاته يمثل قيمة ، مثل تلك الموجودة في براءة اختراع او اكتشاف ، ويؤدي تراكمه الى تراكم للقيمة . انه اذن مجتمع حلت فيه "الصناعات التي ترتكز على تكثيف العقول — BRAIN INTENSIVE INDUSTRIES محل تلك التي ترتكز على تكثيف رأس المال CAPITAL — INTENSIVE INDUSTRIES . أما أفراد هذا المجتمع الفعالون فهم اولئك الذين يحوزون العلم ويتمتعون بالمهارة اللازمة لاستخدام المعرفة بشتى صورها وللاستفادة من مختلف تقنياتها

هندسة المعرفة

المادية والعقلية في ايجاد الحلول للمشاكل التي تجابههم.

كانت هذه هي الملامح الرئيسية لمجتمع حضارة الالف الثالثة .. حضارة مجتمع المعرفة ... مجتمع الغد المنظور - وهي في جملتها توجز التحدى الذى يتعين على اى مجتمع تهيئة نفسه واعدادها لملاقاته حتى يكتب له البقاء ويحمى نفسه من الانقراض . تهيئة نفسه بان يصبح أولا مجتمع الوعى المعرفى ، حيث يعى اعضاؤه ، افرادا ومؤسسات بالدور الحاسم الذى تلعبه المعرفة كمورد في عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وبالاهمية الفائقة لاتاحتها لكافة اعضائه وبالضرورة الملحة لاعداد افراده وتهيئتهم لاستخدام تقنيات المعرفة ، المادية منها والعقلية ، وتجسيد هذا الوعى على هيئة خطط وسياسات وتشريعات ومؤسسات . وما كوريا الجنوبية وتايوان الا امثلة حية لمثل هذه المجتمعات . حينئذ يمكن لمجتمع الوعى المعرفى ان يتحول الى مجتمع معرفى يسود استخدام تقنيات المعرفة ، المادية منها والعقلية ، كافة انشطته الحياتية وتشيع الاستفادة منها على كافة المستويات . انه مجتمع مرافق المعرفة المنتشرة في كل مكان والتى توفرها لطالبيها في اى وقت . ان مجتمع المعرفة ليس يوتوبيا او مدينة فاضلة تدور في خيال المصلحين بل هو حقيقة ملموسة نرى بشائرها الجنينية وقد تحققت في اليابان والولايات المتحدة الامريكية .

والآن هل لنا ان نحلم بكيفية استثمار معطيات المستقبل المنظور لتهيئة مصرنا لحضارة الالف الثالثة ؟ . ان الحلم في هذه الحالة هو فرض عين لا فرض كفاية ، انه فريضة على كل مصرى عليه ان يؤديها أيا كان تخصصه أو تعليمه أو ثقافته وايا كان موقعه . فهل لنا ان نحلم بالشبكة القومية لمنظومات الخبرة الزراعية التى توفر لكل زارع على أرض مصر احدث المعارف الزراعية وتمكنه من تبادل الخبرة مع الآخرين . هل لنا ان نحلم بالشبكة القومية لمنظومات الخبرة التعليمية التى تتيح مرافقا للمعرفة وللتعليم تنتشر في طول البلاد وعرضها ويؤمها طالبو العلم . هل لنا ان نحلم بالشبكة القومية لمنظومات الخبرة الطبية التى توفر ارقى مستويات التشخيص والمشورة الطبية لكل سكان مصر ايا تكون مواقعهم على أرضها . علنا لانكون في حلمنا قد جاوزنا حدود الخيال ، فاليوم يستطيع أكثر من ٨٠٠٠ طبيب أمريكى من اعضاء الجمعية الطبية الامريكية الاتصال بمنظومة ذكية تدعى دى اكسبلين DXPLAIN وذلك عبر شبكة اتصالات خاصة . ودى اكسبلين منظومة خبيرة في تشخيص اكثر من ٢٠٠٠ مرض ولم يستغرق تعليمها الا ١٨ شهرا فقط .

ان حضارة الالف الثالثة تحمل وعدا لمن يعون ووعيدا لمن لايعون ، وتبقى لنا في النهاية حرية الاختيار في ان نكون أو لا نكون .

شهادات

فى حياة المبدعين

□ للنقد فى عمل المبدع دور كبير ، فهو فى احيان كثيرة يتيح للمبدع ان يجيد ، بل ويزداد انتاجه نضجا .

الناقد هو العين البصيرة والمدققة لكل نتاج فنى وادبى له تأثير فى حياتنا .

واذا خلصت النوايا وابتعد النقد عن الاغراض الشخصية و "الشللية" فإنه فى مجال الادب سيحصل الاديب والشاعر على ما يستحقانه من حكم واع عن فنهما وابداعهما .

و "الهلال" من منطلق دورها الثقافى تبدأ فى نشر "شهادات" للأدباء والشعراء من كل الاجيال ، لتبرز كيف وقف النقد الى جانبهم ، وهل أدى ذلك الى تحقيق طموحاتهم الادبية ، ايماننا بالدور الكبير الذى يتحقق من ازدهار النقد وجديته وموضوعيته .

أنصفنى النقاد



القاص : د. محمد المنسى قنديل

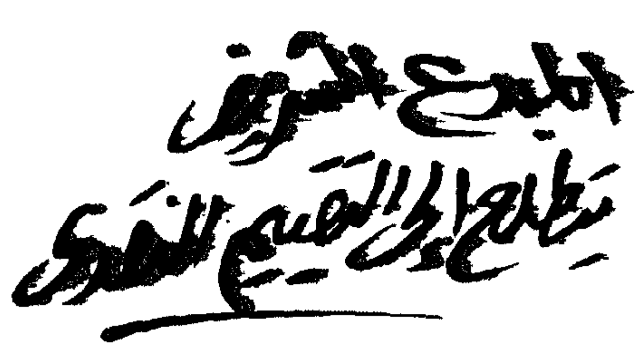
انا محظوظ مع النقاد ، رغم اننى لا افهمهم كثيرا .. انهم يزدادون غموضا يوما بعد يوم ، يستخدمون مصطلحات افرنكية ويفسدونها بطريقة مرعبة بل والادهى من ذلك امتلات المقالات التى يكتبونها بالاسهم والجداول والخطوط البيانية الصاعدة والهابطة ، شىء مزيف فعلا ، لان كل مفردة من مفردات العمل الادبى تتحول الى اصبع اتهام ، او الى جهاز تعرية للذات ، نحن المبدعين - احيانا بل وغالبا - ما تنفرط الكلمات تحت اصابعنا فى تلقائية الاطفال ، احيانا نمتلك شجاعة الاختزال

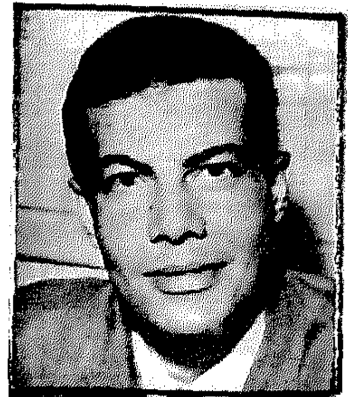
واحيانا تترك العمل الادبي بكل مافيه من نتوءات وعيوب لعلنا بهذا نصل الى شيء من سحر الطبيعة وتلقائيتها ، ولكن النقاد منظمون بشكل مرعب ، كل شيء له دلالة ، وكل دلالة تبرز عيبا او تخفي ميزة .. بصراحة انا اخاف منهم لان لهم القدرة على اقناعك بالشيء ونقيضه في وقت واحد .

مشكلتنا اننا جيل لم نخلق النقاد الذين يواكبونه .. وكانت النتيجة اننا لجأنا الى النقاد الكبار - جيل الرواد في النقد العربي - وهم ينظرون الينا من اعلى ، والى سكان الجامعة من الاكاديميين وهم ينتظرون حتى تموت وتخرج روحنا لكي يكتبوا عنا دراسة أكاديمية تليق بالحياة العابرة والموت الابدي .

لكنني اقدر النقاد الذين يضعون عيونهم على العمل الادبي لا على تصرفاتك . الذين يقيمون قدراتك الفنية قبل أن يحكموا عليك سياسيا .. فليكن النص هو المقياس والفيصل الاخير .. هناك اناس يفعلون ذلك ببراعة وبرقة أسرية مثل د . عبد القادر القط ، انه يبحث عن ملامح الكاتب فيك ووسيلته لذلك هي الكلمات .. والكلمة عنده ليس لها دلالة خاصة بقدر ما تدخل في التسيج العام للعمل الادبي ، وهو عندما يحاول أن يشد التكنيك يفعل ذلك بطريقة خفية بحيث يصل اليك المعنى ولا يؤذيك امام الاخرين - انه جيل غريب من النقاد .. ترك لنا اشياء لا يمكن أن ننساها .. حتى الدكتور علي الراعي في مواجهته الصريحة مع النص الادبي لا ينسى ابدا انه تمتع به لذلك فهو حريص على أن يرد جزءا من هذه المتعة للمؤلف ، وأين تدان كما يقولون .. ولكنه ناقد صارم لايمكن لأحد أن يخدعه او يحاوره بالكلمات وهو يفعل بالنص الادبي كما يفعل بأوراق الامتحان في الجامعة ينظر اليها فتقع عيناه على الاخطاء التي بها منذ النظرة الاولى .

هؤلاء النقاد الأساتذة عليهم أن يعلمونا الكثير .. هذا واجبهم نحونا .. واعتقد انهم قد قاموا بهذا الواجب على خير وجه .. على الاقل في حالتي لا أجد ما أشكو منه ..







للنقد في عمل المبدع دور كبير ، وللنقد في حياة المبدع الأدبية دور أكبر وأعمق تأثيرا .

فهو فى الحالة الأولى يقتصر على التعامل مع النص الأدبى ، لكنه فى الحالة الثانية لا يتعامل مع النص الأدبى فحسب ، بل يدمجه مع صياغة حياة المبدع الأدبية ، يدفعه إلى منابع الثقافة ومصادرها الأساسية التى ترسخ المعرفة فى عقل الأديب ، وتحفر داخله خريطة مجسمة للآداب والفنون الجميلة والعلوم الانسانية .

ومن هنا ينقسم النقاد بشكل عام الى فريقين :

أحدهما : يكتفى بالتعامل مع العمل الابداعى دون أدنى اهتمام بالتعرف على المبدع ، وهؤلاء هم الكثرة الغالبة .

أما الفريق الثانى : فهم قلة نادرة لأنهم يبذلون عناية فائقة بتثقيف المبدع باعتباره التربة التى لابد من اخصابها لتثمر العمل الناضج المنشود .

وهناك الناقد المجهول الذى يؤثر أحيانا فى ابداع الكاتب ، ويتخذ هذا الناقد أشكالا متعددة فهو مرة أحد الأصدقاء المقربين سواء من الأدباء أو من غير المشتغلين فى الحقل الثقافى وهؤلاء النقاد المجهولون هم المتذوقون الأوائل للعمل ، وهى مرحلة متقدمة من النقد الذاتى يمارسها المبدع من خلال آراء اصدقائه المقربين ، قبل اتخاذ قراره الأخير بنشر العمل .

وقد التقيت فى حياتى الأدبية خلال الأعوام الثلاثين الماضية بنقاد يمثلون الفريق الأول جملت دراساتهم ومناقشاتهم علاقتى بالشعر منهم الأستاذ محمود أمين العالم ، رجاء النقاش ، عبدالفتاح الجمل ، د . عبدالقادر القط ، د . عزالدين اسماعيل ، د . أحمد كمال زكى ، د . حامد ابواحمد ، د . فوزى عيسى ، د . انس داود ومن الفريق الثانى أحمد عبدالمعطى حجازى ، صلاح عبدالصبور ، د . عبدالوهاب المسيرى ، والدكتور لويس عوض الذى أمتد تأثيره من الابداع الى البنية الثقافية ، فهو الذى ناقش ونشر قصائدى الأولى فى "أهرام الستينات" ثم دفعنى الى دراسة الأدب الانجليزى (٦٧ ــ ٧١) وبعد التخرج شجعنى على السفر للدراسة بجامعة "كولن" فى ألمانيا (٧٢ ــ ٧٦) ، وكانت الثمرة المباشرة لهذه الثقافة الأجنبية ترجمة "سونيتات شكسبير الكاملة" و"رباعيات الخيام" وأوبرا "تريستان وايزولدا" لفاجنر ، ورواية "الموت فى فينسيا" لتوماس مان ، ومختارات من الشعر الانجليزى والأمريكى والألمانى ، ومقالات عديدة فى شتى اجناس الثقافة .

ومثلما شهدت السنوات العشرون الأخيرة (أى منذ عام ١٩٧١) تفاقما خطيرا فى تدهور الاقتصاد المصرى ، وتراجعا هائلا فى القيم الاجتماعية والانسانية ، شهدت كذلك انحسارا اليما لجيل النقاد الشبان الذين كان ينتظر لهم مستقبل مؤثر فى الحركة الأدبية والفنية آنذاك ، وهاجر فى أوائل السبعينات ، مع تراجع القيم الوطنية الأساسية للمصريين ، عدد كبير من المبدعين والنقاد والصحفيين وكبار أساتذة الجامعات ، كما تم عزل القيادات الأدبية والفكرية والصحفية التى اضطرت أيضا الى الهجرة .

تبقى بعد ذلك حقيقة هامة وهى أن المبدع الشريف يتطلع الى التقييم النقدى ،

لكنه لا يعتمد عليه ولا يسعى اليه ، فهو بطبيعته يواصل الاختراق وتجاوز المألوف ، وهناك فرق جوهرى بين الابداع غير المسبوق للصفوة ، والكتابة المألوفة للجماهير ، وفرق جوهرى كذلك بين الناقد الموهوب المتذوق المكتشف ، والناقد المركوب المتشدق المنحرف .



أعرف فضل النقاد

القاص : أحمد الشيخ

تسألنى هل أنصفك النقد ؟

وأجيب : أعتقد أنه أنصفنى منذ البدايات ، منطوقا ومكتوبا ، ولاشك فى اننى كنت مثل غيرى فى أمس الحاجة الى قدر من الاهتمام الذى قوبلت به أعمالى الأولى ، عن مجموعتى الأولى كتبوا وقالوا ، وعن روايتى الأولى "الناس فى كفر عسكر" كتبوا دراسات وتعليقات فى مصر والعالم العربى ، وعندما صدرت مجموعتى الثانية "النبش فى الدماغ" قابلوها بترحاب واضح ، ولابد من أن أقرر هنا أن لكل من كتب أو علق أو تكلم فضل القاء الضوء والتعريف بها ، وأحسب أن قاعدة من القراء ربطت بينى وهذه المجموعة كما حدث مع الرواية قبلها بعامين ، ولأن الأسم الأدبى فى بلادنا فى العادة يرتبط غالبا بعمل أو عملين فدعنى اقرر أن النقد أنصفنى وأعطانى مؤشرات أفادتنى فى الأعمال التالية .

وتسألنى هل كان ذلك دافعا قويا لانجاز أعمال أدبية أخرى ؟

وأقول : بالطبع ، كتبت مدفوعا بالرغبة فى تأكيد وجودى ، وحرصت على أن يكون لى صوتى الخاص وأسلوبى الخاص ، ولك أن تتصور راحتى وشقائى فى الوقت نفسه عندما كانوا يطالبوننى باصدار الجزء الثانى من تلك الرواية الوحيدة التى اصدرتها ، كنت فى واقع الأمر قد كتبت الجزء الثانى "شوق . من كفر عسكر" . والجزء الثالث "سيد عوف من كفر عسكر" .. وربما يحالفنى الحظ ويصدر الجزء الثانى فى سلسلة احترم اصداراتها قريبا ، ولعل روايات الهلال تفسح لى مكانا باصدار الجزء الثانى .

كتبت فى تلك الفترة واصدرت أيضا ٣ مجموعات قصصية : "مدينة البلب" ، "كشف المستور" ، "الحنان الصيفى" ، ولدى مجموعة أخرى جاهزة للنشر هى : "البحر الرمادى" ، واذا كنت بذلك قد اصدرت ست كتب ، خمس مجموعات ورواية ولعلنى فى المتوسط قد افلحت فى انجاز الكتاب الواحد فى أربع سنوات ، ولأن

الكتابة عندى ليست زهوة انتشار او بريق نجومية يسعى اليها الأديب ، بقدر ما هى دور ومسئولية وتطلع الى مشارف المستقبل من خلال معايشة الواقع واستقراء الماضى ، فاننى ـ بحساباتى على الأقل ـ أفهم مسئولية الكاتب وحقه فى الخوف من الانغماس فى معارك جانبية يكسبها ويخسر نفسه .

دعنى أقرر لك أننى أشهد فى الساحة زحاما يصعب على النقد فرزه ، وتخليص الحقيقى فيه من ركام الزائف ، وأشهد إن البعض من نجوم المرحلة يبرعون فى الضغط على فئة ممن يكتبون مقالات المديح والتقريظ بحسب الطلب ، طمعا فى مكسب متاح أو مساحة مشاع ، دعنى أشهد أن البعض يتفنن فى ازاحة البعض لزحزحته عن طريقه او حتى دفعه بالاكتاف ، وأنه هناك من الكتاب من كف ومن هم فى طريقهم للكف عن الكتابة ، دعنى أشهد أيضا أن وسائل التعتيم والتلميع تنجح احيانا ، وأن الخريطة الأدبية فيها مساحات ضحلة ومجدبة ، دعنى أقرر أننا جميعا ـ كتاب ونقاد وقراء ـ نساهم بالصمت فى ترسيخ مناخ يسيطر عليه الدخان فى وضح النهار ، وأعترف أننى أكتب فى حالة سأم من جدوى الكشف عن المزيد ، وبما لأننى انسحبت باختيارى زمنا ، متفرجا على العرض السيء الذى يتكرر .

إن هناك احتراما متبادلا بينى وبين غالبية النقاد من جميع الأجيال ، ولا يتطلب ذلك ضرورة أن أستفيد بقلم الناقد لاحترمه ، لقد تحاورت مع الكثيرين وقلت وسمعت كلاما شبيها بما كتبته فى السطور القليلة السابقة ووجدت ان ما أكابده وأعانيه مطروح ومحسوس ومدرك ، وبعيدا عن الدخول فى التفاصيل ، فلابد من أن الخدعة لا تنطلى على الكل ، وأنه فى نهاية الأمر لابد من حجر يحرك السكون ، صحيح أن منابر النشر محدودة ، وأن مشاغل الحياة توسع مساحات التباعد بين الانسان وتأدية دوره كما يريد ، وصحيح أن جيلا من النقاد يعملون فى صمت من خلال الأشراف على رسائل جامعية لباحثين مبشرين بالأمل فى مواصلة المشوار ، لكنه يلزم أن نحلم بالمزيد ، فالنقد وحده هو القادر على رسم الخريطة الأدبية من جديد ، النقد المدروس المسلح بالوعى والحياد العلمى وحده هو القادر على الكشف عن كل جديد وتقييم كل ابداع .



الشاعر: أحمد سويلم

تختلف وجهات نظر النقاد واعتمد على إبداعي وتجربتي

منذ بدات علاقتى بالابداع .. وانا على يقين بدور النقد فى دفع هذا الابداع الى التميز والجودة .. وأتذكر حينما اصدرت ديوانى الأول (الطريق والقلب الحائر) عام

١٩٦٧ وكنت فى الرابعة والعشرين من عمرى .. أسرعت بالديوان الى البرنامج الثانى فى الاذاعة والتقيت بالأستاذ ابراهيم الصيرفى الذى كان يقدم (مع النقاد) .. ويومها نظر إلىّ فى دهشة .. فلم يكن الاقتراب من هذه البرامج أمرا ميسورا .. وأذكر انه سألنى .. من تريد أن يناقشك فأجبته : د . عبدالقادر القط والأستاذ الشاعر صلاح عبدالصبور ـ أكبر اسمين يملآن الساحة آنذاك ـ وأشفق علىّ إبراهيم الصيرفى .. وابتسم قائلا : بصراحة .. سوف أعرض عليهما الديوان .. فهما اللذان يقرران إذا كان يستحق المناقشة أم لا .. ووافقته على ذلك .. وبعد أيام .. أخبرنى بأنهما وافقا على المناقشة .. لكنه سألنى : ما السر فى اختيار هذين الناقدين الكبيرين .. وهذا هو العمل الأول لك . وكانت اجابتى : لأننى أريد بحق أن أعرف أين انا وهل أتوقف أم أستمر .. وما إذا كان ما أكتبه يستحق النقد أم لا ..

ويأتى الناقدان .. ويناقشان الديوان .. وماتزال كلماتهما تضىء لى الطريق حتى الآن بعد هذه السنوات الطويلة ..

ويدفعنى هذا الموقف الى الاعتماد على ابداعى فقط .. وتجربتى فحسب .. بالرغم من وجود الطرق الأخرى ـ الميسورة ـ والتى تسرع بأى مبتدىء الى الصفوف الأولى مرتكزا على أمور أخرى غير الابداع والجهد الخاص ..

وبحمد الله .. لم تحتوينى جمعية أدبية ـ أو (شلة) خاصة فيها نقادها ومبدعوها وإنما الصقت وجهى بالشعر وحده .. معتمدا على دعوة عدد لا بأس به من النقاد على اختلاف مدارسهم وانتماءاتهم ليقولوا آراءهم فيما اكتب ..

وعبر دواوينى التسعة ومسرحياتى ودراساتى حول الشعر وكتاباتى للأطفال .. كنت حريصا على الاستفادة الواعية حتى من خصومى ..

ولأن المبدع بطبيعته يتميز بحساسية مفرطة .. فقد كنت حريصا على معرفة خلفية كل ناقد .. ودوافعه الخاصة والعامة التى تجعله قاسيا أو متصيدا للأخطاء أو ملقيا بما أكتب وراء ظهره .. وسرعان ما أؤكد ذلك لنفسى حينما أستمع الى رأى ناقد آخر وآخر .. يطمئننى على ابداعى .. ويتناول ما أكتب بموضوعية شديدة أفيد منها .. واضعها أمام عينى فى مسيرتى الابداعية ..

لقد ناقشنى وكتب عنى ـ والحمد لله ـ عدد لا بأس به من النقاد الذين ينتمون إلى مدارس وأجيال مختلفة .. منهم على سبيل المثال : د . عبدالقادر القط ، د . شكرى عياد ، د . عزالدين اسماعيل ، د . أحمد كمال زكى ، د . عبده بدوى ، د . شوقى ضيف ، د . صبرى حافظ ، جلال العشرى ، د . عبدالعزيز حموده ، د . أحمد عثمان ، د . أحمد العشرى ، د . حامد أبوأحمد ، أحمد عطية ، د. على شلش ، د. أحمد درويش ، د. صابر عبدالدايم ، د. عبدالله سرور ، د . يوسف نوفل ، د . هيام أبوالحسين .

وتختلف وجهات النظر .. من أقصى اليمين الى أقصى اليسار .. وعبر مسارات متباينة متقاطعة ومتوازية .. تجعلنى بين الحين والآخر .. أقف عن لهاثى لأعيد حسابات خطواتى .. وكأنى أبدأ من جديد ..

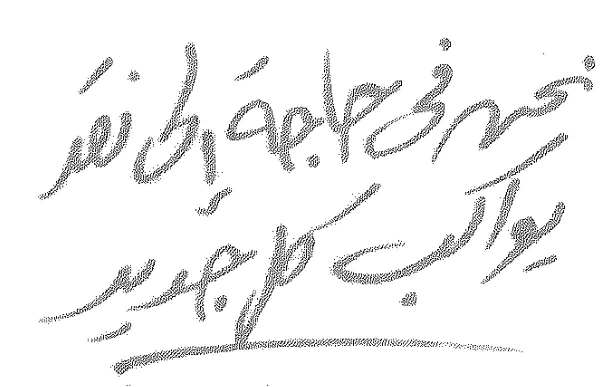
وربما ألجأ فى بعض أعمالى إلى أن استفز الناقد من داخله .. فأطرح عليه تجربة

جديدة أحتاج الى رأى النقد فيها .. وتجعلنى أما أن أقبل عليها بشغف شديد .. أو أعدل من مسار تجربتى .. ولاشك فى أن مثل هذه (الاختبارات) تؤكد داخلى القدرة على اختراق التجربة .. والرغبة العارمة فى الاضافة الدائمة .. والاستمرار ..

وبالرغم من القصور النسبى الذى يوجد فى الساحة النقدية عن متابعة ما ينشر فلم يحل ذلك دون الاستمرار ومحاولة الاضافة وطرح كل ما أراه جديدا فى التجربة الشعرية .. مرجئا أملى فى النقد الى وقت آخر بعيد أو قريب ..

تلك شهادتى التى تجعلنى أشعر دائما بأن فى داخلى الكثير الذى لم يخرج بعد .. والكثير الذى أود أن يتأكد ويلح علىّ .. وأهرب منه مرة ومرة حتى يكاد يقتلنى .. فأستجيب له وأخرجه فوق الورق .. انتماء حميما للشعر وحده ..





القاص : سعيد الكفراوى

أزعم أن ما كتب عن مجموعتى « مدينة الموت الجميل » و« ستر العورة » من دراسات لأساتذة أجلاء يشكل كتابا نقديا ، كان فى حقبة أخرى يصنع كاتبا مقروءا ، ولكنك لا تستطيع مهما بلغ بك من فهم للواقع الأدبى أن تدعى أن هذه الكتابة النقدية استطاعت توصيل تلك الكتابة الابداعية الى الآخر ، المتلقى ، لذلك تظل كتابة الابداع والنقد محصورة فى دائرة أهل المهنة المهتمين بانتاج معرفة أدبية .

والمتأمل لحالة النقد فى الواقع الراهن ينتهى الى قناعة ذاتية بوجود كتابات نقدية كثيرة ، ومتنوعة ولكنها فى نهاية الأمر غير مؤثرة ، وغير فاعلة ، ولم تستطع ، وعلى الأقل ، منذ بداية السبعينات أن تبلور واقعا ايجابيا يهزم واقعا آخر سلبيا .

فى اعتقادى أن الأسباب الموضوعية لهذا الأمر تتجلى فى :

● توقف الحوارات الجيدة ، الناشئة عن مناهج مختلفة ، وهامشية المعارك النقدية التى انتهى زمانها ، وسيادة الطابع الذاتى غير الموضوعى فى كثير من قضايا النقد .

● التغير الذى طرأ على البنية الأساسية للحياة العربية عامة ، والواقع المصرى خاصة ، والذى قادنا الى حالة من الثبات ، قادتنا لنواجه الأسئلة نفسها القديمة ، ونجيب عليها بنفس الأجوبة القديمة .

● ارتباط بعض النقاد بما أنجزوه فى الماضى ، سواء ما أنتج فى حقبة الخمسينات التى واكبت زهوة شباب هؤلاء (الواقعية الاشتراكية وتقديمها لكاتب مثل

يوسف ادريس) او ماتم في حقبه الستينات (في المسرح والرواية والقصة والنقد) ويجعل انتاج هذه الحقبة مثالا ونموذجا ينسحب على منتج ابداعى آخر في حقبة اخرى يعيش ظروفا مختلفة ، وتاريخية مختلفة .

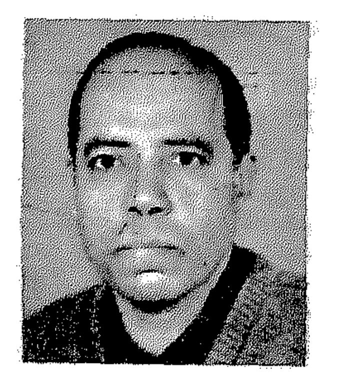
● في واقع تعيش فيه الثقافة على الهامش ، لاتجد منابر للتعبير ، ولا يستطيع الأدب نفسه أن يجد لنفسه علاقة مع العلاقات الأخرى التي تكون ، والتي تقود لأحداث معنى من المعاني ، يساعد الانسان على تحمل عبء الحياة ، ومجابهة الموت ، وكذلك لا يستطيع الادب من خلال تناقض هذه العلاقات خلق دلالة تقود الى فاعلية هو في واقع الحياة الاجتماعية وفاعلية الحياة الاجتماعية فيه .

اقول انه في ظل هذا الواقع تحولت الحركة النقدية والأدبية الى افراد يقوم كل منهم بجهده الذاتي الفردى وفقدت صفة المدرسة ، أو التيار ، او الحركة .

انه في ظل هذا الواقع ستينات الأسئلة الحقيقية بأسئلة من خارج زمن الكتابة ، وسيطرت مناهج التبرير ، والانتقال السريع من موقف الى موقف مغاير ، وتحول الفكر الرسمي ، والسلفي الذي يمتلك منابره (صحافة ، وكتب ، ودور نشر ، وأجهزة مرئية ومسموعة ، وغنى باهر ، وتمويل منظم) الى فاعل في الواقع ، يجمله ويخفى عوراته ، ويستمد مقوماته ، ووجوده من الأوامر التي تصدر له ، والتي يعتبرها مرجعيته لتثبيت الواقع والتابيخ .

اتصور أن دور النقد لم يكن أبدا هو تفسير العمل الأدبي ، وشرحه وفق منهج وتصور الناقد للأدب والحياة ، أو محاولته اغناء قراءة النصوص في شكلها النظرى ، واعطاء الكاتب صك شرعية تحققه في حقل ابداعه .

النقد فيما افهم يمهد الأرض لتيارات الأدب الجديدة ، المختلفة ، والمتناقضة على فهم القضايا الاجتماعية ، والسياسية والفكرية ، ينطلق من منهجه الخاص الذي له حق الاختلاف مع الآخر لتكوين معرفة تعيد تصحيح الواقع ، وفهمه ، ومن ثم التعبير عنه .



تجاهلني النقاد فأصبحت ناقداً

القاص : حسين عيد

من يصدق أن لى سبعة كتب ، ولم يكتب عنى سوى دراستين يتيمتين ؟ ! أو ليس ذلك من غرائب واقعنا الأدبي ؟

بدأت الكتابة في الستينات ، لكن أول قصة نشرت لي عام ١٩٧٥ ، ثم صدر « قطار الحادية عشرة » أول مجموعة قصصية لى عن دار المعارف عام ١٩٨٢ ،

أيضا صدرت روايتى الأولى « الهجرة نحو المدن القديمة » عام ١٩٨٤ ، ورغم أن هذه الرواية فازت بالجائزة الأولى لنادى القصة بالقاهرة عام ١٩٨١ ، بما يفترض أن يكون هذا الفوز حافزا للاهتمام النقدى بها .. الا أن كلا الكتابين لم ينل أى اهتمام سوى كلمات تحية عابرة احداها للمجموعة من الروائى عبدالوهاب الأسوانى ، وحظيت الرواية بكلمتى تعريف الأولى من الناقد فتحى العشرى والثانية من شمس الدين موسى .

واستبشرت خيرا بظهور كتابى الثالث وكان مجموعة قصص « لو تظهر الشمس » عام ١٩٨٦ ، فنالت كلمة احتفاء من الناقد شوقى بدر يوسف ، ومقالة نقدية هى الأولى من أحد القصاصين ، ثم ظهرت روايتى الثانية « المشروع » عام ١٩٨٧ ، فكتب عنها المثقف والمترجم الكبير فؤاد كامل الدراسة (الثانية) ونشرها فى مجلة ابداع .

ولم يضف نشر ثلاثة كتب ، هى كتابان نقديان « جارسيا ماركيز وأقول الدكتاتورية » و« دراسات فى القصة والرواية » ، اضافة الى كتاب « مذكرات » جديدا ، ولم ينل هذا الكم اهتمام النقاد .

لقد حاولت أن اقتنص مساحة ضوء أخرى أو انتزعها باشتراكى فى مسابقة يوسف السباعى للنقد القصصى ، حيث فزت مرتين بجائزة المقال عامى ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ ، وبجائزة الدراسة النقدية الطويلة عام ١٩٨٤ ، لكن ، مع الأسف الشديد ، لم تسفر كل هذه الجهود عن أى اهتمام من السادة كبار النقاد ، فجربت أدواتى ، وباشرت النقد ، لتطوير قدراتى الابداعية من ناحية ، ولمحاولة ملء الفراغ من ناحية أخرى ، لذلك ركزت اهتمامى ـ أساسا ـ على أبناء جيلى والأجيال اللاحقة له ، حتى لا يتكرر ماحدث معى ، فكتبت دراسات نقدية عن محمد روميش ، محمود الوردانى ، ابراهيم عبدالمجيد ، يوسف أبورية ، فؤاد قنديل ، مصطفى نصر ، بيومى قنديل ، مرعى مدكور وعشرات غيرهم ، ولم أنس الأجيال السابقة فكتبت عن يحيى حقى ، فتحى غانم ، نجيب محفوظ ، خيرى شلبى ، عبدالفتاح رزق وغيرهم كثير ، بل وسعت من دائرة اهتمامى ، فتناولت فى دراسات مستقلة العديد من أعمال الكتاب العرب والأجانب .

حاولت خلال ذلك ـ جاهدا ـ أن أتخلص من العيوب المتفشية فى الواقع الأدبى ، فبدلا من الاجتهاد فى العلاقات العامة أو الانتماء الى احدى الشلل أو التيارات ، ليكتب عنى نقادها ، كان معيارى أن أختار (الأجود) من الكتب الصادرة لأتناوله نقديا ، دون اهتمام بعلاقته أو ارتباطه بى أو موقع صاحبه الخاص ، هكذا كتبت رأيى بحياد وموضوعية فى عشرات الدراسات المنشورة .

ولم أعد أنتظر « جودو » ذلك الناقد ـ الذى لن يأتى أبدا ، ليكتب عنى ، بل توصلت الى قناعة خاصة ، أن الكاتب لابد من أن ينتزع مكانا لوجوده الخاص ، من داخله ، باصرار وعزيمة صادقة ، ولعل هذا هو المبرر الاساسى والوحيد ، للعطاء والاستمرار فى عالم الأدب بدلا من انتظار صك اعتراف من النقاد .. ربما لن يأتى أبدا ! !

● عبد الحكيم قاسم ●

قال عبدالحكيم قاسم في اهدائه لقصته «المهدي» : «ابنتي ايزيس . بني امير .. ارجو ان تعيشا عصرا احسن من تلك التي عاشها ابوكما وان تذكراني» . والمتأمل لحياة هذا المبدع الذي رحل عن دنيانا في صبيحة يوم الثلاثاء ١٣ نوفمبر يجد انها برغم قصرها كانت مفعمة بابداع عظيم ومميز فلقد كنت احس دائما كلما قرأت له عملا جديدا انه لم يقل كل شيء بعد وان لديه الكثير مما يحكي او يقال وربما كان تحالف المرض الذي داهمه منذ سنوات قلائل مع ظروف حياتية اظنها لم تكن ميسرة في كثير من الاحيان قد وقفا حائلا دون رغبته هذه . ولقد سئل عن طموحاته في المستقبل عند عودته من المانيا بعد عشر سنين قضاها بعيدا عن الوطن فأجاب : «ان ابني دارا في بلدنا البندرة ، قدامها مصطبة وجميزة وزير ، وان يكون في داري شاي وسكر لضيوفي ، وشباك يجرى اجلس قبالته واكتب . واظنه كان صادقا كل الصدق في رغبته هذه فلقد تبعثر جهده ما بين اطروحته عن جيل الستينات وما يتطلبه العمل الاكاديمي من جهد ووقت وما بين الابداع على فترات . والحقيقة انني لم افهم لماذا يتفرغ مبدع مثله طوال هذه المدة وفي المانيا لدراسة هذا الامر الذي يمكن ان يتكفل به اخرون ولم تقنعني حجته بانه انما فعل ذلك لان الفن لا يتناقض مع البحث العلمي ولكني اعتقد ان الاجابة الحقيقية عن هذا الدافع انما تكمن بشكل غير مباشر ما بين دفتي روايته «محاولة للخروج» وربما هي ذاتها نفس المحاولة التي فعلها سابقوه : طه حسين وتوفيق الحكيم ويحيى حقي وغيرهم . هؤلاء الذين ذهبوا صوب الشمال ، حيث حضارة الغرب بكل ما تمثله من جديد ثم عادوا للاصول والجذور ثم كتبوا . ولقد قرأت لعبد الحكيم قاسم عددا كبيرا من الروايات والقصص القصيرة ومسرحية واحدة قصيرة وادركت في كل ما قرأت انني لا اعرفه الا من خلال القرية وربما هي قريته «البندرة» مركز السنطة بالغربية حيث ولد في اول يناير ١٩٣٥ وحيث كتب عنها ـ بشكل لا يخفى على احد ـ بخصوصية خاصة جدا وان كتاباته عن هذا الريف لها مذاق وطعم فريد لا يعرفه من كان مثله

ولقد كان قاسم مولعا بمفردات اللغة ، ينحت منها تراكيب خاصة ينتقي كلماته من المعجم ، وتبدو لاول وهلة كانها عامية فاذا بها فصيحة وقد انبعثت في اوصالها الحياة ولم يات اهتمامه باللغة على حساب المضمون كما انه لم يحفل كثيرا بالشكل الذي يبدع به فلقد بدا نمطيا في الكثير من اعماله ولكنه كان حريصا على الا يجنح نحو التغريب او الرمز الذي يقرب من الغموض .

اصابه المرض لكنه ما ان افاق من غيبوبته حتى امسك بالقلم وكتب عدة

قصص متفرقة نشر بعضها في «الهلال» قصص قصيرة لا تزيد الواحدة منها على صفحة او صفحتين ولا ادرى لماذا احسست من خلالها انه لايكتب بقدر ما كان يبكي باسى . كان يبدو لي كالعاجز الذى يحاول الامساك باشياء تنتزع منه فالقرية التى احبها لم تعد هى التى كانت بل صارت قرية مستباحة ، فحقبة السبعينات كانت قادرة على العبث بها وتشويه معالمها .

ان عبدالحكيم قاسم لم يأخذ حقه من التكريم فى حياته وعندما رشحته جهة ثقافية في مصر لجائزة خليجية لم يحصل عليها بل منحت لمن هم اقصر منه قامة في دول اخرى بشكل يدعو للريبة حول مصداقية هذه الجوائز . واظن ان الادب لم يجلب له سوى المتاعب ولم يوفر له حياة لائقة وانه لو وجد في مكان اخر وزمن اخر لكان له شان اخر ويظل التساؤل قائما بلا مجيب حول حال هؤلاء الذين ادركتهم حرفة الادب ومدى مسئولية الجهات الثقافية حيالهم . كان يعيش في القاهرة ويتنقل ما بين شوارعها الوحشية ومنتدياتها ومقاهيها ولكنه ظل دوما مزروعا في طين قريته حتى بعد ان فقدت براءتها وعهد صباها الاول . رحمه الله بقدر ما اعطى واخلص .. واسال :

ـ كيف لأمير وايزيس ان يعيشا مصرا احسن مما عاشها ابوهما ؟ وكيف يتكراه من غير معاش استثنائي تقرره وزارة الثقافة ويكفل لهما حياة كريمة ؟

وكيف لاجهزة وزارة الثقافة في القاهرة او في الغربية مسقط راسه ان تكون قادرة على تكريمه بعد ان رحل ؟

وكيف للهيئة المصرية العامة للكتاب ان تكون قادرة على طبع اعماله التى لم تنشر ان لم تستطع نشر اعماله الكاملة ؟

واسال نفسي : ماذا يكتب لو امتد به العمر وامهله القدر اكثر من ذلك ؟ واقول حاشا لله فلكل اجل كتاب .

محمد عبدالله الهادى
المدرسة الثانوية الصناعية ـ فاقوس

• زمان الصبا •

يا زمان الصبا عليك سلام ... من محب يهفو اليه حنينا
ذبت شوقه اليه لكن قيدى ... جعل القلب يا صباى سجينا
يا رعى الله رحلة الحب كم ذا ... ضمنا حضنها حنانا ولينا

باعد الدهر بيننا غير أنا

فى رحاب الوفاء دوما بقينا

وعذونا لكل ود وعهد

وشعور بعزة حافظينا

وسنبقى برغم ظلم الليالى

فى هوانا احبة مخلصينا

درهام جبارى

الولايات المتحدة الأمريكية ـ بوسطن

• قصة وقصيدة

● الى اعزائى ادباء «وفنانو» مجلتى الاولى الهلال لقد ارسلت لكم كثيرا ولم استطع ان احصد مارسلته ولكن كل ما كان ينشر لى هو الشكر وكلمة "الطريق امامك مديد» .

اتمنى بعد رحلتى معكم ان تحاولوا ان «تقراو» ما اكتبه بعناية وكل ما اتمناه النقد الجاد فيما اكتبه .

فى هذه الرسالة «اقصوصة» وقصيدة شعر .

ارجو الاطلاع ونشر ما يمكن نشره اذا كان فى المستوى الذى تعتقدونه .

اعرفكم بنفسى للمرة المليون .

الاسم خالد طالب بكلية التجارة اكتب القصة والمسرحية "وبعد" خواطرى الشعرية .

وهذه الاقصوصة تعتبر اصغر القصص حجما لذلك ارسل لكم عادة الاقاصيص لان القصص القصيرة تحتاج الى ان اجيىء اليكم واسلمها «بنفسى» .

اتمنى ان اكون على المستوى لديكم لانكم انتم المحنكون .

احـــبيتك تعـــم ∴ نـــعـــم احـــببت
احـــببتك عنـــدما «تخاطـــبت» ∴ عـــيناى «عـــيناك
احـــببتك عـــندما ارتعشـــت ∴ يـــدى فـــى يـــد
احـــببتك عـــندما حطـــم ∴ قلـــبى قـــيوده وخـــرج الـ
يســـتغيث «طـــالـــب» الحـــنان ∴ الذى لم «يذوقه» من قب
لقـــد شعـــر انـــك امـــله ∴ بعـــد سجـــنته الطـــوي
هـــلمـــى معـــه ∴ هلمـــى ولا تـــبرحـ
لقـــد احـــببت فـــيه النـــبض ∴ وصـــرت لـــه الفـــرحـ

خالد السيد محمد عل

كلية التجارة ـ عين شمـ

● تعليق الهلال :

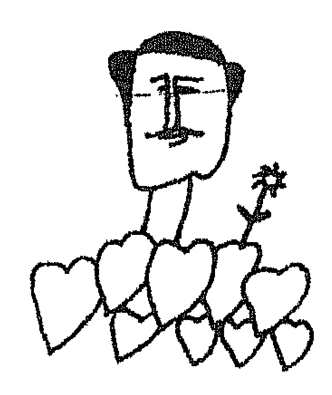
ـ انت يا عزيزى «خالد السيد محمد علي» تتعجل الأمور ككثير من ابناء جيلك ، ولكن امامك فعلا طريقا طويلا جدا حتى تتمكن من اللغة التى تكتب بها القصة والشعر .. وقد اكتفينا بنشر خطابك وقصيدتك ، وهي تفتقر تماما الى الأوزان ، فليس فيها بيت واحد موزون او شبه موزون ، وهي حافلة بالاخطاء النحوية واللغوية ، وقد وضعنا بعض هذه الاخطاء بين اقواس ، كما ان رسالتك لا تخلو من الاخطاء .. فلا تتهمنا بعدم تقديرك وبالتقصير فى حق مواهبك ، وحاول ان تعرف اللغة التى تكتب بها ، وان تفهم الأوزان التى تنظم بها .

● افكر فيك ●

افكر فيك حتى كاد قلبى ∴ ـ سلمت حبيبتى ـ شوقا يذوب
ابيت الليل فى كمد انادى ∴ وفى الاعماق الام تجوب
يفيض الدمع من عينى نهرا ∴ علي خدين مصهما الشحوب
واغرق فى ضجيج الصمت قهرا ∴ وتلوى من لظى الصبر الجنوب
كانى من دجى الاسقام اروى ∴ فللأسقام فى كبدى دروب
فياليت النسيم يرق يوما ∴ وليت الوعد يا املى قريب

رمضان عبداللطيف حامد
كلية الآداب ـ قنا

● الدليل ●



لأننى احب ان احب يا حبيتى
ولا احب ان احب غير حبك العظيم
فقد هويت كل يوم مرة
لكننى لم استطع نسيان حبك القديم
فحبك العظيم كالهواء يا حبيبتى
فكيف دونه الحياة تستقيم ؟
او كيف لحظه يهون ؟
وان اردت ان اقدم الدليل يا حبيبتى
على الثبات عند حبك القديم
فلتعلمى باننى ـ خوفا على مقام هذه العيون
فشلت فى الحياة يا حبيبتى
لكي يقال عن هواك انه شيء عظيم .
واننى من غير حبك العظيم لا اكون .

عبدالعزيز الشراكي ـ المنصورة

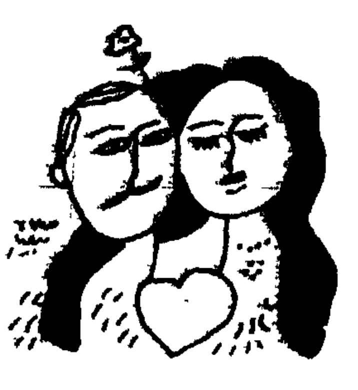
● سنة ١٩٩١ وما وراءها ●

● كثير من مواطنينا لا يتفاءلون بسنة ١٩٩١ ويقولون انها ستكون سنة الحرب وسقوط الامة العربية من الاطلسى الى الفارسى فى قبضة الاعداء، وضياع فلسطين نهائيا ورسوخ العصابات الصهيونية فى فلسطين، ولكنى اعتقد ان سنة ١٩٩١ ستكون السنة التى يفتضح فيها الاستعمار العالمى فوق الارض العربية، ويبدأ العد التنازلى لهزيمة العصابات الصهيونية فى فلسطين ! ..

على محمد عبدالواحد
بنى سويف

● الأحلام ●

مع النوم .. تطلق صحوتها - قسرا - للخيال
يكشف دفق المحال باوردة الروح ..
لكن ايقظتنى حقيقة بعدى
وراحت تفتش عبر دمائى
عن الجنة المستكنة فى نسمات اللقاء
فلم تر غير فضائى يحاصرها بسياج التحدى
ويفتح - لى - واحة الحلم
فنبع الصباح امامى، لأن الظلام ورائى !!



عبدالرحيم الماسخ - سوهاج

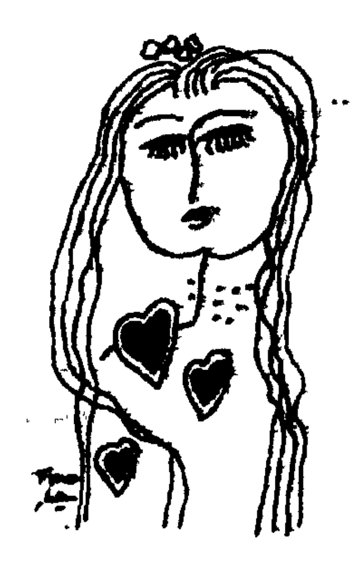
● ياريف ●

قد كنت مهدا للجمال ... وعليك اثواب الجلال
ياريف ياكهف الفضيـ ... ـلة والمروءة والكمال
يابن الطبيعة قد منحـ ... ـت من الطبيعة كل غال
فصفاء جوك لاتقل ... لى ماله ابدا مثال
وعبير ارضك باعث .. فى ... النفس عزمات الرجال

عزت فتحى سعد الدين
كفر ربيع - تلا - منوفية

• طوائف •

كنت افكر ..
كيف احبك حبا بكبير ..
عن كل مسلحات الدنيا ..
منتصرا ـ
رغم الدمع ، الغيم ، الموت القابع فى اعماقى ..
كنت افكر ..
كيف اعبك بين ضلوعى
رغم دموعى ..
كيف يصير السكر لوقتى ..
حين يئوب الىّ السكر ..
مرسوما كنت على كفيك ، على عينيك على شفتيك ..
حين رسمتك عمرا ..
فجرا ...
تاريخا لبقاء اخضر ..
يا حلما فوق دروب الصمت تفجر ..
لم ادر لماذا اخترتك وحدك
دون نجوم الليل ...
ودون الحور ...
لكنى اخترتك ..
فلماذا غبت ..
ولماذا الآن تحولت ..
من زهرة حب ..
الى خنجر ؟



خالد حمدان محمد
الجيزة

• مع أصدقائنا •

● مجدى صلاح رياض امين ـ شارع محمد عوض بالتونسى :
انت ارسلت الينا زجلا عاميا ولكنك تسميه شعرا ، وهى تسميته غير صحيحة علميا وفنيا ، فهناك فرق جوهرى بين الزجل والشعر .
● وائل محمد جاويش ـ كلية التجارة بالقاهرة .
ـ اعجابك بالممثلة الجديدة حنان شوقى التى ظهرت فى مسلسل «ليالى

الحلمية، يستحق ان ترسل به الى احدى المجلات الفنية لا الى الهلال ..

● وليد محمد حسن خليل ـ القاهرة :

ـ اشعاركم التى ارسلتموها الينا تفتقر الى الأوزان ، فليس فيها بيت واحد موزون ، كما ان لغتك تحتاج الى عناية في نموها وصرفها وبيانها .

● صلاح عبدالستار الشهاوى ـ دمشيت ـ طنطا :

ـ فى قصيدتك «مناجاة» تفعيلات موزونة واخرى غير موزونة ، وكذلك الأم في قصيدتك «اختيار» .

● السيد عبده السمرى ـ المطرية ـ دقهلية :

ـ قصيدتكم «الاعلام السوداء» هى كما تقولون من بحر المتدارك ، ولكن تفعيلاتها ، تتراوح بين الوزن الصحيح والوزن الخطأ ، وان كانت التفعيلات الصحيحة اكثر نرجو ان تجتهد اكثر فى اقامة الأوزان .

● خليل ابراهيم القشوطى ـ معهد شبين القناطر .

ـ قصيدتك «حبيبتى» تفتقر الى الوزن ، فليس فيها بيت واحد صحيح ، و عذرك ، فأنت مازلت صغير السن ونرجو لك مستقبلا طيبا ، فاجتهد واستمر في المحاولة ..

● محمد امين عيسوى ـ الاسماعيلية :

ـ الابيات التى نقلتموها من شعر ابن الرومى والبحترى وابن المعتز ، جاءت مكسورة الأوزان لانكم لم تدققوا فى نقلها .

● عمرو محمود على ـ كلية الاداب بجامعة القاهرة :

ـ قصيدتك «الوطن» و «لم استطع» فيهما بعض الابيات المكسورة ، ولكن جهدك واضح ، وشاعريتك مبشرة بالخير ان شاء الله . وستبلغ املك بالمثابرة ونشكر كلية الاداب على تشجيعها لك بمنحك شهادة تقدير .

● باسل نور الدين الرفاعى ـ كمبردج ـ انجلترا :

ـ بحثكم الاكاديمى الطويل يخرج عن نطاق «الهلال» مع الاسف نستطيع ان نرشح لك مجلة اكاديمية لنشره ، فهذا فى الحقيقة يرجع [illegible] وحدك .

● حسنين محمد الصباغ ـ بكالوريوس تربية رياضية ـ سنديون :

ـ المجلات الرياضية فى مصر كثيرة بحمد الله فابعث اليها اقتراحك ونشكرك على حسن ظنك بنا ، فصفحاتنا تضيق مع الاسف بالابحاث الرياضية البحتة .

● الحب الخالد ●

خير المحبة ان تظل تعانى
ليكون حبك قصة الازمان
فضريبة التخليد فى الازمان ان
يسقى المحب مرارة الحرمان

لو ذاق قيس في هواه راحة
لاماته التاريخ بالنسيان
لكن قيسا قد تعذب في الهوى
حتى اكتوى بالبعد والهجران
ولذا بدا مثلا جميلا في الورى
مثلا لصدق الحب في الانسان
اما انا فالخلد ليس قضيتي
فطريق قيس غامض العنوان
لكن من اهوى تحدد وجهتي
وتريد تحويلي لقيس ثان
ياقاتل الله الخلود حبيبتي
ان كان ينفينا عن الاوطان
او كان يلزمه تمزق حينا
بمرارة الحرمان والاحزان
اني احبك فوق كل محبة
ومحبتي ابقى من الازمان



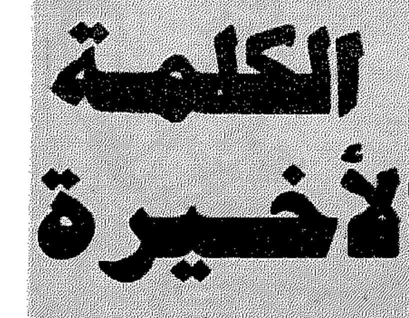
عبد العزيز الشراكي
المنصورة

● بهجة الأمس ●

أين مني بهجة الامس القريب ..
في اخضرار العمر والانس الرحيب ؟
تهت في التو .. اضحت لخيالي
لحظة تلهب قلبي بالوجيب
اه ما احلاك ذكرى للفؤاد
دهست ستيله كف الخطوب
واستباه الحزن يوما بعد يوم
في دهاليز الرزايا والغيوب
ويح نفسي من امان سادرات
بين نور الصبح والليل الكئيب
كُنَّ في امسي مرايا لابتسامي
قطرات من صداح العندليب
كيف صرت اليوم خلوا من جناحي
وتلاشت خطوتي بين الدروب ؟!



يوسف عبد العزيز علي
قنا ـ كلية الاداب .. الرابعة ـ انجليزية



يكتبها
هذا العدد



يحيى
حقى

الفنان المصرى الأول

أعتبر المثال محمود مختار هو الفنان المصرى الأول ، الذى يمثل الفن الصميم الصادق ، أما الباقون فإننى أعتبرهم مقلدين ..

ومختار لم يقلد ، بل رجع للفن الفرعونى مباشرة ، وادخل لمسات فنية فى إبداعه ، على الرغم من أن الذين كتبوا القصة من الممكن أن يكونوا قد قلدوا قليلا ، فضلا عن أن الرسامين عندنا فى البداية قلدوا ـ على سبيل المثال ـ رسامى فرنسا .

وأعتبر محمود مختار ـ ايضا ـ من أعظم رجالات مصر ، ولو أردت أن تسالنى من هو الفنان المصرى الذى يمثل الفن أقول على الفور هو محمود مختار ، وأنا مندهش جدا واتساءل لماذا لا يقبل الناس على مشاهدة متحفه ، وما يضمه من أعمال قيمة .

الغريب أن الناس حينما يودون مشاهدة تمثال سعد زغلول ، فهم ينظرون إلى التمثال ، ولا ينظرون إلى قاعدته ، إنها تضم نقشا بالبارز يندهش الرائى له ، وللأسف الشديد لا أحد ينظر إلى هذه النقوش !

لقد أبدع مختار أعمالا جيدة خاصة عن الفلاح ، والفلاحة التى تذهب إلى السوق " شايلة قفة فيها وزة " وغيرها من البيئة المصرية المحببة إلى نفسه . من أطرف ما أذكره عن مختار ، أنه حينما كان يقوم بإعداد تمثال نهضة مصر ، كانت وزارة الأشغال هى المشرفة على هذا العمل ، وأراد أن يحصل على مبلغ من المال ، فذهب إلى الموظف المختص ، فإذا به يقول له ، أحضر لنا شهادة بحسن السير والسلوك ! فقال له مختار : " ولما كنت سيىء السلوك والخلق ، كما أنى قضيت فى السجن خمسة عشر يوما فضلا عن أنى من ذوى اللحى وهو ماينظر إليه هنا بعين الريبة ، وأيضا فإننى أعزب واتردد على بعض المنازل الخاصة ومن هذا ترى ياسيدى المدير أننى فى استحالة مطلقة من أن أقدم لكم الشهادتين المطلوبتين وأنه قضى علىّ أن لا أكون أبدا موظفا حكوميا " .

لقد كان مختار بطبيعته فنانا " مش أفندى موظف وفنان " حتى لو البسته بدلة شيك ، فهو فنان ولابد أن تحبه حبا شديدا

الهلال

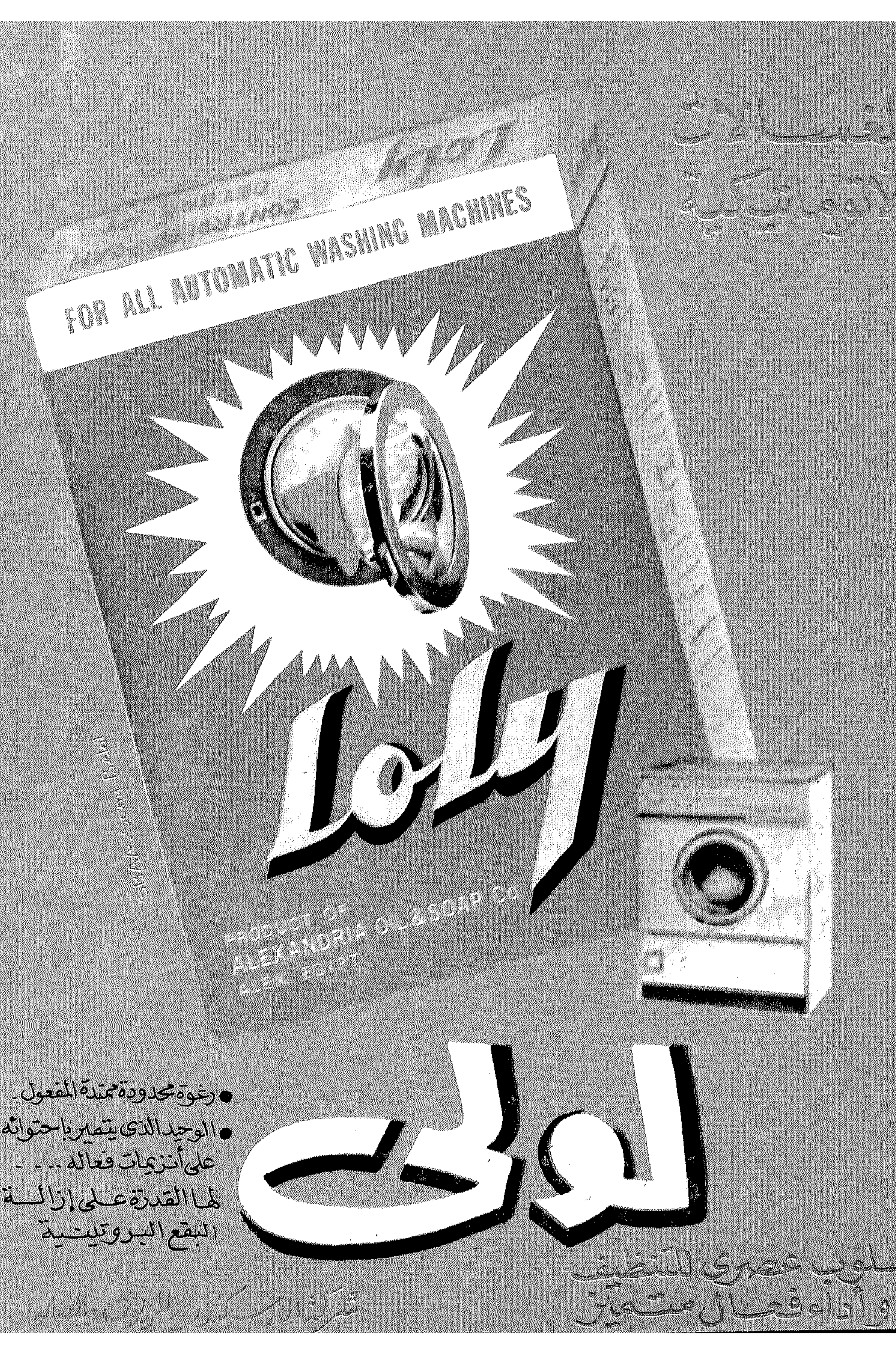
مارس ١٩٩١ • الثمن ١٥٠ قرشا

ـدان ذاكرة العقل البشرى



التخلف الاعلامى وعقلية الوصاية

ـثل نظام الأمن العربى !


الغسالات
الأوتوماتيكية
FOR ALL AUTOMATIC WASHING MACHINES
PRODUCT OF
ALEXANDRIA OIL & SOAP Co
ALEX. EGYPT
● رغوة محدودة ممتدة المفعول.
● الوحيد الذى يتميز باحتوائه
على أنزيمات فعاله ....
لها القدرة على إزالة
البقع البروتينية
لوب عصري للتنظيف
وأداء فعال متميز
شركة الإسكندرية للزيوت والصابون

الهلال

مجلة ثقافية شهرية تصدرها دار الهلال
أسسها جرجى زيدان عام ١٨٩٢

السنة التاسعة والتسعون . مارس ١٩٩١ . شعبان ١٤١١ هـ

مع دوران عجلات المطابع وربما بنفس سرعتها نتوقع أن تتغير الأحداث على مسرح العمليات الحربية فى الخليج .

ونحن نكاد ننتهى من انجاز العمل فى عدد هذا الشهر طرحت المبادرة السوفييتية ، وبالطبع فسوف تحتاج الى مناقشات قد تطول أو تقصر . ولكن المهم أن العراق وافق أخيرا على الانسحاب من الكويت .

ونأمل أن يتحقق ذلك ، حقنا للدماء التى سوف تجرى أنهارا ، فيما لو نشبت الحرب البرية !

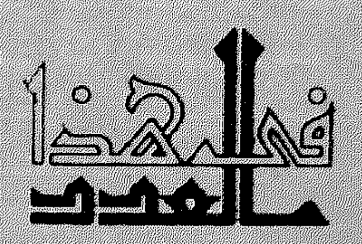
و « الهلال » يتناول عددا من الموضوعات التى تناقش قضايا الساعة ومن بينها : شكل نظام الأمن العربى ، وما الذى سوف يحدث مستقبلا ، وهى القضية التى تشغل الناس . وينبغى أن نناقشها بصراحة وبلا تردد . لأن الغرب بدأ الحديث ، وتعلو النغمة فى هذا الصدد ، وأخشى ما نخشاه ، ألا يعرف العرب ماذا يريدون والأحداث تجرى الآن بسرعة البرق ؟!!

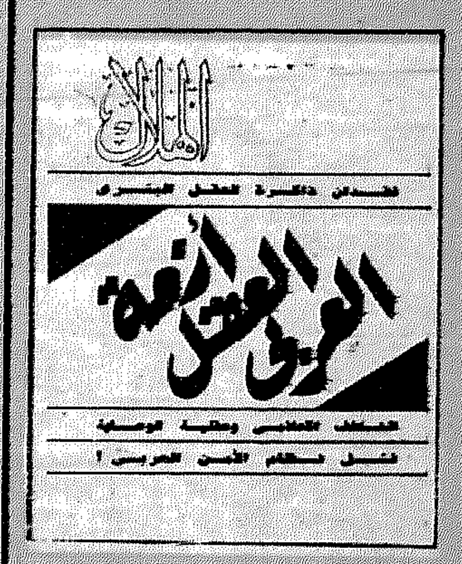
لابد من تعاون فعال بين دول النهر ودول النفط ولابد من علاقات واضحة للتكامل ، حتى لا نواجه مستقبلا بانفجار يهز الكيان العربى ، كما يحدث الآن !!

الادارة : القاهرة ـ ١٦ شارع محمد عزالعرب بك (المبتديان سابقا)
ت : ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط)
المكاتبات : ص . ب : ٦١٠ العتبة ـ
الرقم البريدى : ١١٥١١ ـ تلغرافيا : المصور ـ القاهرة ج . م . ع .
مجلة الهلال ت : ٣٦٢٥٤٨١
تلكس : 92703 Hilal un
فاكس : FAX : 3625469

● أزمة الخليج

● فكر وثقافة ●





الغلاف تصميم

الفنان :

محمد ابو طالب



قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دائرة الحوار

فنون وقصة وشعر

● شهريات ●

الأبواب الثابتة

الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ١٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، الجمهورية اليمينية ١٠ ريالات يمنية ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر ٧ ريالات ، الأمارات العربية المتحدة ٧ دراهم ، سلطنة عمان ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، انجلترا ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٧٠٠ ليرة ، الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ سنت ، كندا ٥ دولارات ، السودان ١٥ جنيها سودانيا .

عن عبد الفتاح فارسى

الربيع يشهد المأساة ! ..

سواء بدأت المعركة البرية فى حرب الخليج الدامية خلال الشهر الحالى - مارس ١٩٩١ - أو كانت قد بدأت فعلا فى أواخر الشهر الماضى، فإن بدايتها أمس أو اليوم أو فى أى يوم من أيام هذا الشتاء، سترتبط بزمهرير الليل أو برد النهار فى تلك المنطقة من أرض الخليج التى كانت منذ القدم قطعة من أرض "نجد" التى وصف الشعراء العرب برد شتائها القارس ليلا ونهارا، وقال حاتم الطائى فى احدى لياليها الزمهريرية يخاطب خادمه أو غلامه :

أوْقدْ فإنَّ الليلَ ليلٌ قرُّ
والريح ياغلامُ ريح صَرُّ
إنْ جَلَبت ضيفا فانت حُرُّ

كان حاتم الطائى - وهو المثل الأعلى فى الكرم - يامر غلامه بإيقاد النار فى الليالى الشاتية ليراها التائهون فى الصحراء من بعيد ويتوجهوا اليها طالبين المأوى والطعام عند حاتم الطائى، أشهر الكرماء فى تاريخ الأمة العربية المليء بمشاهير الكرام ..

والآن، توقد النار فى ليالى الشتاء هناك، لا للضيوف التائهين الجياع ليسارعوا الى المأوى والطعام، ولكن لكى تلتهم الأجساد وتزهق الأرواح من الجانبين المتحاربين .. القوات العراقية من جانب، وقوات الحلف من الجانب الاخر ..

ان هذه المعركةَ على أبواب الكويت اكبر معركة فى تاريخ جميع الحروب حتى الان، ذلك ان اكبر معركتين فى الحرب العالمية الثانية وهما معركة ستالينجراد سنة ١٩٤٢ - ١٩٤٣ ومعركة كورسك فى يوليو ١٩٤٣، لم يحتشد فيهما من الرجال والسلاح ما احتشد فى معركة الكويت ..



في معركة ستالينجراد لم يكن عدد الدبابات من الجانبين يزيد على الفى دبابة ، وفى معركة الكويت يحتشد على الجانبين عشرة الاف دبابة ، كل منها تساوى ثلاثة دبابات مما كان محتشدا فى ساحة ستالينجراد ، أى ان قوة نيران الدبابات فقط تزيد فى معركة الكويت ثلاثة عشر ضعفا على قوة نيران دبابات ستالينجراد ، من الجانبين الالمانى والروسى .

هذا الجحيم اللافح يتحول به شتاء حاتم الطائى الى شواظ من نار يأكل الضيوف ، بدلا من أن يدعوهم للأكل فى ليالى الشتاء التى يرتعد فيها المقرورون بردا وجوعا .

فما أعجب المغامرة التى ساقت الحرب وساقت معهم أمما من جميع القارات الى الاقتتال فى هذه الساحة ، وما كان اغنانا نحن العرب ـ قبل غيرنا من الامم ـ عن هذه المغامرة التى بدات بغزو الكويت ، ولوشكت الان ان تأكل الحرث والنسل لا فى الكويت وحده بل فى العراق ايضا وفى اقطار عربية واسلامية فى المشرق والمغرب ..

ان شهر مارس ـ آذار ـ يشهد فى اسبوعه الأخير بداية فصل الربيع ، فصل الأزهار والثمار وعسل النحل ونفحات الصبا والشباب ..

والربيع يجىء فى موعده كل عام ، فى السلام والحرب ، وفى جميع الحالات ، فليت شعرى ماذا يصنع الربيع عندما يطل لأول وهلة بعينيه الباسمتين السعيدتين على مناظر الحرب الفاجعة ، ويشهد فصول المأساة المروعة ؟! ..

يارب ...

لا تسمح للحرب بان تصبغ وجه هذا الربيع البرىء الجميل بالدم البشرى المراق على الجانبين ..

واجعل يارب لأمتنا من هذه الكروب الرهيبة فرجا قريبا ، ومخرجا عاجلا ، وداو اللهم الجرح ، وارأب الصدع ، واجمع الشمل ، واكتب الهداية والسلامة لعبادك المؤمنين ! ..

"المحرر"

بقلم
د. شكري محمد عياد

هذا الكلام عن العقل العربي !

نحن نعيش في عصر القلق العربي .

بعد "تجديد الفكر العربي" أصبحنا نتحدث عن "نقد العقل العربي" أليس معنى هذا أن القلق يزداد شدة ؟ وهل نرجو الخير من هذه الزيادة ، أم نخاف ونرتاب (ولا أريد أن أقول "نقلق" !)

أما أننا لم نترفق بأنفسنا ، فاستبدلنا "النقد" بـ "التجديد" فهذا معناه أننا أصبحنا أكثر شجاعة ، وأقوى عزماً على أن نغير ما بأنفسنا . فالنقد شرط لكل تجديد صحيح ، وبدون النقد يصبح التجديد ترقيعاً أو تمويهاً . ولكن النقد يتطلب مواجهة للنفس لا تشفق من الحقيقة ، ولا تتسامح مع الخطأ . وأما استبدال "العقل" بـ "النقد" فهنا أحب أن أتوقف !

● وأود أن أقول أولاً إن الأمر ليس مماحكة حول كلمة . وقد قال القدماء : "لا مشاحة في الاصطلاح" ، فلو كانت كلمة "العقل" اصطلاحاً خاصاً بالفلسفة لما جاز لنا أن نعترض عليها ، حتى أن استعملت في غير معناها المتعارف . ولكن كلمة العقل ليست اصطلاحاً ، بل هي كلمة جارية على الأقلام والألسنة ، ولم يخرجها هذا الاستعمال عن معناها المألوف ، وبينها وبين "الفكر" فرق غير هين ، وخصوصاً حين يقرنان بالوصف "عربي" ، كما سنحاول أن نبين .

وأود ثانيا أن أقول إني لم أخصص هذا المقال لنقد كتاب الدكتور محمد عابد الجابري ، وإن كان هو صاحب هذا العنوان . فكتابه ، بجزأيه الكبيرين ، أهم من أن يتناول في مقال قصير ، وحسبي أن أقول في هذه المناسبة إنه عمل بارز في مكتبتنا الفلسفية المعاصرة ، وإنه ، مع أعمال عبدالله العروي وحسن حنفي وسائر كتب الجابري نفسه ، بداية حقيقية



لفلسفة عربية حديثة . ولست أدرى فى الحقيقة إن كان الجابرى هو أول من سك هذه العبارة "العقل العربى" . وقد اجتهد على كل حال فحاول أن يزيل بعض ما علق بها من معانٍ جاءت ، فى أغلب الظن ، من أوهامٍ عنصرية لبعض المستشرقين .

ومع ذلك فإننى أتساءل : هل سلمت تماما ، حتى عنده هو نفسه ، من هذه الأوهام ؟ وهل يمكن أن تمر على القارىء العادى دون أن تبعث فيه شعوراً بالحيرة - على الأقل - إزاء تخصيص العقل . وهو الذى يميز الإنسان عموماً عن سائر المخلوقات ، بوصف "العربى" ، كأن لهذا الإنسان العربى بالذات عقلا مختلفا عن سائر عقول البشر ؟ وكيف ياترى يمكن أن يتصور الإنسان العربى هذا الاختلاف : ميزة أم نقصاً أم اختلافاً فحسب ؟ إن التخصيص يتضمن المقارنة بالضرورة ، وإذا كان المستشرقون قد أجروا هذه المقارنة من منطق الاستعلاء ، فهل ترانا ننجو من منطق الدونية ، الذى يتنكر فى معظم الأحيان ، كما هو معروف ، تحت قناع العظمة ؟

● مشكلة السلوك

فإذا استبعدنا هذه الأسئلة على اعتبار أنها صادرة عن حساسية مفرطة ، تعوق البحث الموضوعى الرشيد فى أخطر مشاكلنا ، وسلمنا بواقع الاختلاف تمهيداً للبحث عن أسبابه ومعالجة نتائجه ، فسيبقى السؤال الأهم : لماذا حصرنا هذا الاختلاف فى "العقل" ، أى طريقة

التفكير وأدواته ، أو على الأقل شغلنا بالبحث فى العقل عن البحث فى الفعل ؟ أليست مشكلتنا في الحقيقة هى مشكلة "السلوك" العربى ، والسلوك لا يعبر عن العقل وحده ، بل عن جماع الشخصية ، والكلام عن السلوك – بعد – لا يدخلنا فى متاهات "الاتفاق والاختلاف" ولا "الثابت والمتغير" التى تقودنا اليها كلمة "العقل" ؟

من حق الفيلسوف أن يحصر بحثه فى "العقل" ، تكوينه أو بنيته . ومن حق الفيلسوف العقلانى بالذات أن يحصر مفهوم "العقل" فى قوانين الفكر وأدواته ، وأن يبعد قوى "العقل" غير الواعية عن دائرة النظر . ولكن هذا المفهوم الضيق إذا انتقل إلى الدائرة الأوسع ، دائرة النقاش حول الموقف القومى الحضارى ، كان اختزالاً للمشكلة ، أو هروباً من المواجهة ، لا يختلف في جوهره عن الشعار الذى يرفضه العقلانيون على نفس الأساس – الاختزال أو الهروب – شعار "الإسلام هو الحل" . هذا فضلاً عن أنه يجعل من الصعب الاتفاق على المسلمات التى لابد من الاتفاق عليها قبل الشروع فى أى بحث جاد ، أعنى : ماذا تعنون بالعقل ؟ ومن تعنون بالعربى ؟ مثلما تصطدم الدعوة الأخرى بهذا السؤال : ماذا تعنون بالإسلام ؟ فكما يختلف مفهوم الإسلام بالنسبة لطوائف المسلمين على امتداد العصور والأقاليم ، فكذلك يختلف مفهوم "العقل" ومدلول "العربى" بهذين الاعتبارين . ومن ثم يكون اختيار مفهوم معين أو مدلول معين ضرباً من التحكم الذى لا يؤدى إلى اقتناع . واللجوء إلى فكرة "الثوابت والمتغيرات" لايحل المشكلة ، إذ إنه سيظل من الواجب الاتفاق على تعيين ماهى الثوابت وماهى المتغيرات فى كل من "العقل" و"العربى" . هذا مع أن فكرة "الثوابت والمتغيرات" نفسها محل خلاف على صعيد العمل ، فإذا كان من الواضح أن المتغيرات يجب أن تستبعد (كما تستبعد الفروق الفردية بين الأشخاص) فإن الثوابت عند فريق لا يمكن المساس بها ، وعند فريق ثان لا تغير إلا بشروط معينة ، وفى حدود معلومة ، فى حين أنها عند فريق ثالث هى المقصودة أساساً بالتغيير (إذ من العبث الكلام عن تغيير المتغيرات !) عن طريق الفك وإعادة التركيب ، مع قبول الإضافة والحذف ، أو التحلية والتخلية كما كان القدماء يقولون .

اترانا هجنا بهذه الأسئلة عش زنابير لتقطع على الباحثين سبيل البحث ؟ كلا مطلقا . فمن شأن البحث العلمى أن يحدد موضوعه ، والزاوية التى ينظر منها إلى هذا الموضوع ، فإذا استقام له منهجه وأدواته كانت

نتائجه صادقة فى حدود الأفق الذى شمله النظر . وهذا القول يصدق على البحث الفلسفى أيضاً ، مالم يحاول أن يتكفل بتوجيه الحياة ، فهنا يكون المطلوب شيئا آخر اعمق وأشمل من الفلسفة ، قد نسميه ، مع عبدالله العروى ، علم الكلام ، وقد نفضل أن نتركه بلا تسمية ، فراراً مما لصق بهذا الاسم من اختصاص بأمور العقيدة ، واعتماداً على الشرح الذى قدمناه .

فى اختيار الطريق الذى ينبغى أن نسلكه ، كأمة ، لنكون أكفاء للعيش الكريم فى عالم اليوم ، لا يمكننا أن نتعامل مع هذا المفهوم : "العقل العربى" دون أن نقع فى خطأ التحكم الفكرى من ناحية ، والفصام النفسى ، الجماعى ، من ناحية أخرى . فلنعد إلى أصل المشكلة . أليس أصلها هو حاضرنا المشدود إلى الماضى من ناحية ، وإلى المستقبل من ناحية أخرى ؟ هذا الثنائى : "التجديد أو النقد" مضافاً إلى "الفكر العربى أو العقل العربى" محاولة لغوية للربط بين الماضى والمستقبل . ولا يزال الحاضر بينهما باهت الملامح . نحن نحاول أن نربط بينهما بواو العطف أيضاً ، وإن عكسنا الترتيب (ترى لأن الصوت هكذا أحسن ، أم أن هناك سببا أعمق ؟) عندما نقول : الأصالة والمعاصرة .

● ظل الماضى !

كل ماهو "عربى" ينتمى فى نظرنا إلى الماضى : الدولة العربية الواحدة ، اللغة العربية الفصحى . أما حاضرنا فظل لهذا الماضى ، لا أكثر : "الوحدة العربية" كلام لا يعبر عن واقع ، و"الفصحى المعاصرة" اسم يقع فى معظم الأسماع موقعا غريبا ، فما بالك إذا قلنا إن "اللهجات العامية" هى أيضاً عربية ؛ الرابط بيننا وبين ذلك الماضى هو القرآن الكريم ، ونحن مازلنا نقرؤه ونخاف أن نفهمه . هكذا نتمسك بالماضى فى ضعف ، ونبتعد عنه فى خوف . لسنا جزءاً منه وليس جزءاً منا .

و"الجديد" يجذبنا ، ولكننا لا نريد أن نذهب إليه أصفاراً . ليس من السهل ، على أى حال ، أن ينخلع المرء من ماضيه ، أن يتخلى عن قديمه . فما بالك وماضينا عزة ومجد ، وقديمنا ثراء وجمال ؟ وما بالك و"الجديد" عند قوم هم لنا أعداء ، لا يخلون بيننا وبينه ، ولا يلقون إلينا منه إلا الفتات ؟

هذه هى الأزمة الحضارية التى نعيش فيها . أقصد : نعيش داخلها . وقد ابتذلت كلمة "الأزمة" فى مجال الفكر والفن والكتابة ، حتى أصبح بعض الناس يتحدثون عن أزمات الثقافة كما يتحدثون عن أزمات التموين ! ولكن الأزمة التى أتحدث عنها عمرها يقرب من مائتى عام ! وفكر أنت : كيف يكون حال قوم يعيشون فى أزمة ، داخل أزمة ، قرنين من الزمان ؟

ألا يخشى أن تصبح الأزمة فى حياتهم كالمرض المزمن ؟

كيف الخلاص من الأزمة ؟ ما الطريق إلى الشفاء ؟

هنا والآن !

لا خلاص لنا إلا بأن نبدأ من الحاضر . أن نعى الحاضر بعمق ، وأن نغيره بقوة .

إن كلامنا عن الأصالة ، والهوية ، والبحث عن الذات ، الخ ، فيه رائحة المرض . إن الأصالة ليست شيئا نحتقبه . الأصالة هى ما نخلقه من داخلنا فى داخلنا ، حين نتعامل مع الواقع بشجاعة . أنت إذا راقبت مشيتك عثرت ، وإنما يستقيم سيرك حين تنظر أمامك .

ولكن هنا والآن لا تعنى رفض الأجنبى ، ولا الانسلاخ من الماضى والاندفاع نحو مستقبل غامض .

لنحدد ما نعنيه بالماضى والمستقبل ، أو القديم والجديد ، تحديداً يمكن أن نلمسه بأيدينا . إن الماضى يعنى التراث (وإن كان مدلول هذه الكلمة يضيق عند أقوام ويتسع عند آخرين) ، والمستقبل يعنى ، عند معظم الناس ، الحضارة الغربية الحديثة . فلننظر ما الذى تعنيه هنا والآن بالنسبة إلى هاتين القوتين .

الناس مع التراث ثلاث فرق :

فرقة ترفضه كله .

وفرقة تتمسك به كله .

وفرقة تتخير منه ، تتمسك ببعضه وترفض بعضه .

جميع هذه الفرق "منفعلة" بالتراث ، قبولاً أو رفضاً . موقفنا هنا والآن لا ينفى مسلكاً من المسالك الثلاثة - وهى كل ما يمكن تصوره عقلا - ولكنه يحولها جميعاً من الانفعال إلى الفعل ، يحولنا من مستهلكين للتراث إلى منتجين له .

مامعنى أن "ننتج" التراث ، نحن ؟ معناه أن نعيد خلقه فى الحاضر . وأن نعيد خلق التراث فى الحاضر يعنى - ببساطة - أن نفهمه . ولكن هذا الفهم مشروط بشيئين : مشروط بمحيطه الزمانى والمكانى من ناحية ، وبأدواتنا فى الفهم من ناحية أخرى . بهذه الطريقة نستوعب تجارب الماضى ، حتى تصبح ذات معنى لنا ، بعبارة أخرى تصبح تجارب الماضى هى تجاربنا ، لا كمستقبلين سلبيين لها (وهذا فى الواقع غير ممكن ، بل هو متناقض فى نفسه ، لأن الإنسان ، فى استقباله للأفكار ، لا يمكن أن يكون كشريط تسجيل) بل كفاعلين ايجابيين ، يستخدمون حصيلة هذه التجارب فى نشاطهم الحالى كما يستخدمون تجاربهم الخاصة . هذا الموقف من التراث هو ما نسميه المنظور التاريخى . وكلما اتسع المنظر أمامنا ازدادت تجاربنا غنى ، وازددنا قدرة على التعامل مع الواقع

نحن نقبل التراث كله ، ولا نثقل خطانا بشىء منه .

نعجب بالمعتزلة ، ونحترم أهل السنة ، ونتواجد مع المتصوفة . ولكننا لا ننتمى إلى أى فريق منهم .

نضحك من مجون أبى نواس ، ونمتلىء كبراً من فخر المتنبى ، ونتأمل الدنيا بعيون أبى العلاء . وإذا قلنا شعراً لم نكن كواحد من هؤلاء .

نعجب بفروسية على ، وبتدبير معاوية ، وبشجاعة الخوارج . ولكننا نعلم أن المسلمين الذين حملوا مهمة بناء دولتهم ؛ لم يستطيعوا حتى اليوم أن يوازنوا بين حرية الفرد وواجب المواطن .

ولأننا نحول تاريخنا كله وتراثنا كله إلى تجارب شخصية فإننا نحمل له فى ضمائرنا صورة مثالية من أجمل مافيه ، صورة من شخصية العربى فى أرفع حالاتها ، ونحفظ له فى عقولنا ـ فى الوقت نفسه ـ جريدة طويلة بأفحش أخطائه . ونريد أن تكون حياتنا مواصلة للسعى نحو ذلك المثال ، ومحاولة لتوقى تلك الأخطاء .

نعرف أن تاريخنا كله كان طلبا للعدالة ، وأن العربى قد يذعن للقوة ، ولكنه لا يؤلهها . ونمضى إلى مستقبلنا مصممين على اكتساب القوة ، ولكن دون أن نضحى بالعدالة .

ونعرف أن العربى فى تاريخه الطويل حاول ألا يفرط فى قيمة من القيم ورأى فى الوقت نفسه أن قيم الروح لا تحيا إلا بالسيطرة على الجسد . إما بإرضائه وإما بقمعه فكان تحقيق التوازن فى شخصيته هو أعظم مكتسباته ، وكان اختلاف مستويات السلوك ، وتناقض طرق التفكير ، هما أخطر عيوبه .

● نحن وحضارة الغرب

أما موقفنا من الحضارة الغربية ، هنا والآن ، فهو أعقد كثيراً . ذلك أن التحول من الانفعال إلى الفعل ، بالنسبة إلى تلك الحضارة ، يوشك أن يكون عملاً خارقاً للعادة .

ألا نكتفى بحاضر تلك الحضارة ، الذى يقدم نفسه لنا ، بل نمتد نحن إليها ، بإرادتنا ، ونبحث فيها بعقولنا ، ونحولها ، كما حولنا تاريخنا الخاص وتراثنا الخاص ، إلى ملك شخصى لنا ـ لاشك أن هذا جهد خارق للعادة ، شىء أشبه بالمعجزة . ولكن هل كانت الحياة ، من لحظة الميلاد إلى لحظة الموت ، إلا سلسلة من المعجزات ؟

وبعد فمن قال إننا حين نخرج إلى هذه الدنيا لنتملك كل شىء فيها ، نتملك فعلاً كل شىء ؟

من قال اننا قادرون على ان نتملك تراثنا كله ، حتى نكون قادرين على ان نتملك تراث الاخرين ؟

اننا بالضرورة نختار ، ونختار بارادتنا ، ولكن دون قصد مسبق لاختيار اشياء وترك اشياء ، ان الذى يحدد لنا ما نختاره وما نتركه هو ارادتنا فى موقف معين ، هنا والان .

كل من يتحدثون عن تجديد الفكر

قلق على الأشواك

العربي ، ونقد العقل العربي ، يتحدثون عن العلوم الطبيعية والتكنولوجيا .

ان التقدم الغربي في هذا الميدان مذهل حقا ، ولكنه تقدم زاد من حدة المرض الغربي ، مرض « عبادة القوة » والحضارة ككيان مستقل عن ارادة مبدعيها ، لا تعي امراضها ، انما يعي هذه الامراض مبدعوها انفسهم يعونها كافراد بالعدالة المستقرة في فطرتهم ، حتى ولو كان كل ما حولهم يوحي بامتلاك القوة والخضوع للقوة .

واذا كان الناس في الغرب قد بدءوا يشعرون بذلك ، فهل يجمل بنا ونحن على اول الطريق في اكتساب العلم والتكنولوجيا ، ان نقذف باعز ما نملك ، بالعدالة التي رعيناها في قلوبنا ، لنمتلك هذه القوة الساحرة ، والمدمرة ايضا ؟

ان الحضارات الماضية سقطت وهي في عنفوان قوتها ، سقطت أمام سلطان الروح ، امام حلم العدالة !

سقطت الامبراطورية الرومانية بقوة المبشرين المساكين .

وسقطت امبراطورية بيزنطة وامبراطورية فارس امام جيوش قليلة العدد والعدة ، من المؤمنين الفقراء القادمين من صحراء العرب وكان لابد ان تسقطا لان عوامل السقوط كانت كامنة في داخلهما ، ولم تكن شجاعة اولئك المؤمنين الذين هاجموهما الا مظهرا لسنة من سنن الله في خلقه .

وانتهى عهد الامبراطورية البريطانية بفضل كفاح غاندي الذي لم يرفع سلاحا في وجه جنود الامبراطورية .

وفي كل منعرج من منعرجات التاريخ ، عندما يوشك الخلق جميعا ان يفتنوا بعبادة القوة ، يظهر من يعدل الميزان .

وفي زماننا هذا ، اذ يوشك الانسان ان يفني كل الحياة على سطح الارض حتى بدون قنبلة ذرية ، نعلم في قرارة انفسنا كافراد ان العالم لايمكن ان يسير على هذه الوتيرة .

كيف يكون عالم الغد ؟ لا احد يعلم !

ولكنه سيكون - ان كان - عالما للخيال والهمة ، عالما للانسان الانسان !

ياجماعتنا !

التجديد ؟ .. دعوكم منه ، وابدعوا في « الجديد »

النقد ؟ .. لا بأس به ، ولكن اقرنوه بالابداع .

العلم والتكنولوجيا .. ؟ حبذا هما خادمين واقبح بهما سيدين !

ياجماعتنا !

اذهبوا الى الغرب ، ولكن لا تكونوا كالنعامة التي خرجت تطلب خفين ، فرجعت بلا اذنين !

أقوال معاصرة


البابا يوحنا الثانى


فرانسوا ميتران


بيريز دى كويلار


زكى نجيب محمود

● "الحرب مغامرة بلا رجعة"
البابا يوحنا الثانى

● "أفضل وزير دفاع يسعى الى السلام عن وزير دفاع يسعى الى الحرب" .
الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران

● "لا افهم معنى النظام العالمى الجديد"
بيريز دى كويلار
امين عام الأمم المتحدة

● "العقل هو الحل لكل قضايا عصرنا"
الدكتور زكى نجيب محمود

● "احسن ما فى الفن انه يرقق القلوب" .
الشيخ محمد الغزالى

●"من غير الممكن وضع نهاية لظلم بخلق ظلم آخر"
بوجلاس هيرد وزير الخارجية البريطانى

● "مصر لم تقدم الى صدام غصن زيتون واحد بل شجرة زيتون" .
دكتور عصمت عبدالمجيد

● "الدول الصغيرة يجب ان ترحب بعودة الروح الى ميثاق الأمم المتحدة" .
دكتور محمد حسن الزيات
وزير خارجية مصر الأسبق

● "لا يوجد خط أحمر واضح بين تحرير الكويت وتدمير العراق" .
الدكتور محمود رياض
وزير خارجية مصر الأسبق

● "لم أتوقع يوما للمعمار مستقبلا لا غيب فيه" .
فراسكا
المهندس المعمارى الأمريكى

● "أسوأ انماط المثقفين هو المبتلى بعقلية القطيع" .
الأديب يحيى حقى

الديكتاتورية والحرب

بقلم : د. صلاح العقاد

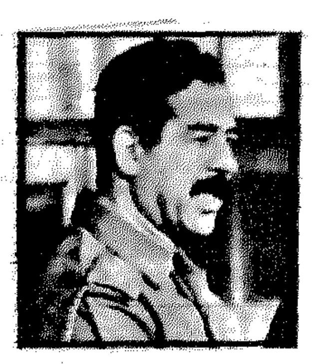
أدت معظم الحروب فى العصرين القديم والوسيط لخدمة أغراض ملوك وحكام مستبدين ولم يفهم ذلك على أنه شىء غير مألوف . وتتضح هذه الصورة للحروب من خلال كتاب "لميكيافيلي" الذى ظهر فى القرن السادس عشر إذ يقر بأن من حق الأمراء أن يحققوا طموحاتهم بأية وسيلة ممكنة سواء أكانت حربا مدمرة أم مؤامرة .

ولا يصح الحديث عن العلاقة بين النظم الديكتاتورية والحرب إلا عندما يبادر ديكتاتور بالعدوان ويكون ذلك راجعا إلى قرار فردى وفى مواجهة دول ديمقراطية ، ولما كانت النظم الديمقراطية الليبرالية لم تتبلور إلا فى نهاية القرن التاسع عشر . فقد يتعذر تناول الحروب السابقة على هذا العهد فى إطار العلاقة المشار إليها أو ربما تكون تلك العلاقة مثار جدل وعلى سبيل المثال هل تعتبر حروب نابليون ضد التحالف الأوربى مندرجة تحت علاقة الإمبراطور صاحب السلطة المطلقة مع ملوك أوربا الذين يتمتعون تقريبا بنفس السلطات داخلا فى إطار موضوعنا لأنها حروب بين ملوك طغاه أم أن تلك الحروب كانت إمتدادا للصراع الذى نشأ بين الثورة الفرنسية ومخاوف ملوك أوربا من إمتداد مبادئها الثورية إلى بلادهم ومن ثم تحالفهم ضد فرنسا .

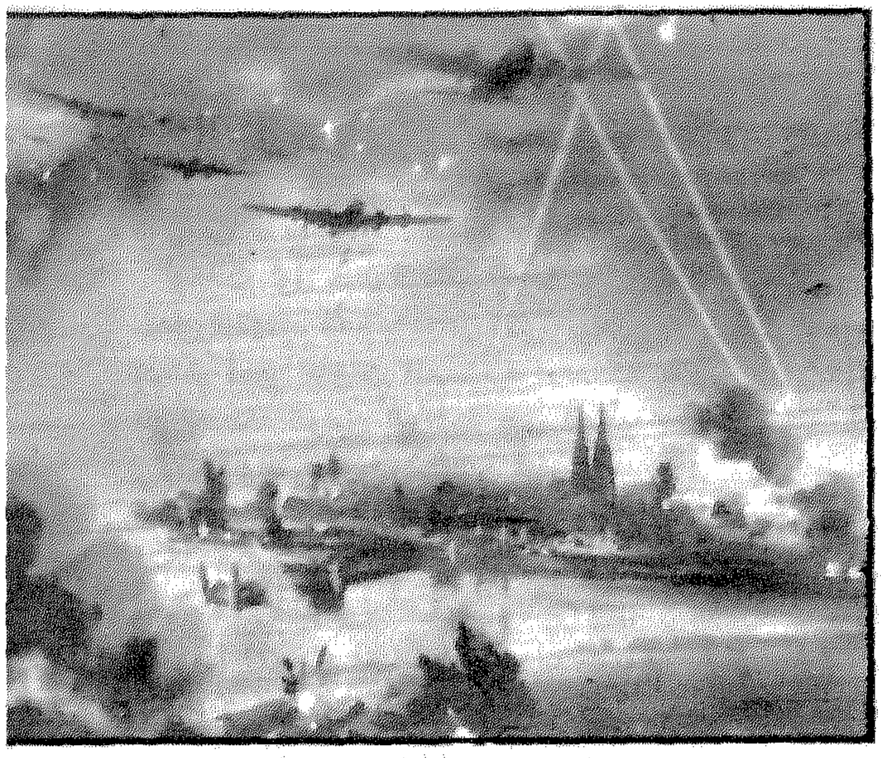
كذلك تعزى معظم الحروب التى نشبت فى أوربا خلال القرن التاسع عشر إلى صراع القوميات المتنافسة ، كما أن الحروب الإستعمارية تعبر عن إتجاه الرأسمالية النامية فى أوربا إلى التوسع لخدمة أهداف إقتصادية ومن ثم لا تتصل بعلاقة الديكتاتورية والحرب ولو تساءلنا عن الحروب المحلية العديدة التى شهدها العالم الثالث فى فترة مابعد الحرب العالمية الثانية فإن المرء يحار أمام تصنيفها فقد سادت العالم الثالث بعد نشوة الإستقلال غالبا نظم عسكرية ديكتاتورية تحاربت فيما بينها أحيانا وواجهت الاستعمار الجديد أحيانا أخرى ، وهذا الإستعمار الجديد المتمثل فى



هتلر



صدام حسين



الحرب .. ديكتاتور .. ودمار

الإستقلال الإقتصادى هو من صنع الدول الصناعية المتقدمة التى تبنت نظاما ديمقراطيا ليبرالياً .

● هتلر والحرب العالمية

والنموذج المثالى الذى يمكن طرحه لبيان علاقة الديكتاتورية بالحرب يتمثل فى زعيم النازية أدولف هتلر ودوره فى الحرب العالمية الثانية ذلك لأن صنع القرار فى النظام النازى كان يتم بواسطة فرد واحد وعلى أحسن الفروض بالإتفاق مع مجموعة صغيرة من قيادة الحزب ويمكن دراسة هذا الدور من عدة زوايا :

الأولى : هى تسبب إجراءات هتلر فى إشعال الحرب .

الثانية : هى أسلوب إدارة الحرب .

الثالثة : هى العناد فى رفض وقف القتال رغم التأكد من الهزيمة دون مراعاة للخسائر البشرية والمادية التى سوف تتحملها المانيا فى حالة الإستمرار فى القتال .

فيما يتعلق بالزاوية الأولى يمكن التمييز بين مرحلتين : المرحلة الأولى ١٩٣٣ ـ ١٩٣٦ كان بوسع هتلر أن يبرر الإجراءات التى إتخذها بأنها تستهدف رفع الظلم الذى حاق ببلاده نتيجة شروط معاهدة صلح فرساى وبناء عليه تجاهل القيود العديدة التى فرضتها المعاهدة على نظام التسليح فى المانيا وهكذا أعاد هتلر نظام التجنيد الإجبارى وإمتلاك سلاح جوى بل عقد إتفاقا مع بريطانيا بشأن نسبة السفن الحربية التى يجوز لألمانيا امتلاكها فى بحر الشمال ويعد هذا الإتفاق بمثابة تنازل ضمنى من جانب بريطانيا عن شروط معاهدة الصلح .

الديكتاتورية والحرب

وكانت أول خطوة تثير الجدل حول خطورة تهديد المانيا للأمن الأوربي هي إدخال هتلر القوات المسلحة الألمانية إلى منطقة الراين الواقعة بين المانيا وفرنسا والتي كانت معاهدة فرساي قد نصت على تجريدها من السلاح وقد إتخذ هتلر هذا القرار على مسئوليته ورغم معارضة قواد الجيش الذين رأوا في هذا الإجراء مخاطرة بنشوب حرب مع فرنسا بجانب بريطانيا بإعتبار أن هذا الإجراء يمس أمن فرنسا مباشرة، ولم تكن الإستعدادات العسكرية الألمانية قد إكتملت بحيث تمكنها من خوض المغامرة.

ولم تكن علاقة هتلر بالأرستقراطية العسكرية الموروثة من العهد السابق للنازية على مايرام بل كان الفوهرر يؤثر على هؤلاء الفنيين الجماعات شبه العسكرية أو الميلشيات التابعة للحزب والموالية للزعيم شخصيا وتلك سمة من سمات النظم الديكتاتورية الحديثة نجدها تتكرر في إيطاليا الفاشستية وفي الحرس الجمهوري العراقي المحيط بصدام حسين.

وقد جاء رد الفعل على إعادة تحصين منطقة شرق الراين ضعيفا إذ أن فرنسا التي دقت طبول الحرب في معظم صحفها وجدت آذانا صماء من حليفتها بريطانيا وخرجت بعض الصحف البريطانية تقرر بأن هتلر لن يفعل شيئا يتجاوز الحق المشروع في ممارسة السيادة الوطنية، وهكذا فقدت فرنسا الأمل في أن تجر حليفتها إلى الحرب، وإبتلعت على مضض المغامرة الهتلرية. أما رد الفعل داخل المانيا فكان إشعار العسكريين بخطأ حساباتهم وإزدياد ثقة الديكتاتور بنفسه مما شجعه على مغامرات أخرى. ومرة ثانية إتخذ هتلر قرار ضم النمسا رغم معارضة أعوانه ومنهم وزير خارجيته ومرة ثانية أيضا تجح هتلر في هذه المغامرة فهو قد فاجأ العالم بدخول قواته إلى فيينا وإعلان ضمها إلى الرايخ الثالث بعد إستفتاء شكلي وربما أعجب قسم كبير من مواطني النمسا بالنازية وزعيمها ولكن القضية كانت تكمن في أن معاهدة فرساي أقرت بأن تكون النمسا وحدة قائمة بذاتها وكان من المتوقع أن تتحرك الدول الأوربية الكبرى ضد هذه الخطوة ولكنها لم تفعل ومن ثم عجل هتلر بالخطوة التالية في مخططاته التوسعية.

● تخاذل بريطانيا

كانت الخطوة التالية هي إنتزاع إقليم السوديت من تشيكوسلوفاكيا وهو إقليم تسكنه غالبية من الألمان كان قد ضم إلى الدولة التشيكية التي تكونت فقط بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وقد عبر بعض زعماء تلك الأقلية عن رغبتهم في الإنضمام إلى الرايخ، لذا طالب هتلر بإجراء إستفتاء إلا أن الدولة التشيكية كانت مرتبطة بمعاهدتي تحالف مع كل من الإتحاد السوفييتي وفرنسا، مما يوجب على هاتين الدولتين الإسراع بالتدخل لحماية سلامة أراضي تشيكوسلوفاكيا وبينما أبدى الإتحاد السوفييتي إستعدادا لمثل هذا الموقف إلا أن فرنسا طبقا

لمسلك رئيس الوزراء البريطانى حينئذ نيڤل شابرليد تخاذلت وإنتهى الأمر بعقد مؤتمر ميونخ وموافقة الدول الكبرى الغربية على الإستجابة لمطالب هتلر، حتى صار اسم ميونـخ رمزا على الإستسلام ، ورردده الأمريكيـون فى الأشهر الماضية على أساس أن ترك الكويت للعراق سوف يعد ميونخ أخرى .

كان بوسع هتلر حتى ضم السوديت أن يزعم بأن جميع الإجراءات السابقة إنما تستهدف توحيد الشعوب المنتمية إلى أصول جرمانية وربما بإرادة تلك الشعوب بيد أن الخطوة التالية خرجت عن هذا المنطق إذ أصبحت أوربا ذات يوم من أيام مارس ١٩٣٩ وقد دخلت الجيوش الألمانية مدينة براج ولا يمت الشعب التشيكي أو السلوفـاكي اللـذان يكـونـان دولـة تشيكوسلوفاكيا إلى العنصر الجرمانى ومع ذلك فقد برر هتلر خطواته تلك بالحقوق التاريخية إذ أن هذه المنطقة كانت داخلة فى الإمبراطورية الرومانية المقدسة فى العصور الوسطى والتى كان يتزعمها الجرمان وهكذا محيت تشيكوسلوفاكيا من الوجود وأعيد الإسم القديم للمنطقة وهو مقاطعة بوهيميا ومورافيا .

أدت هذه الخطوة إلى إنقلاب فى السياسة البريطانية المسالمة وقد علق تشرشل على ضم تشيكوسلوفاكيا بقوله لقد أذل شعب أبيض من شعوب أوربا بشكل لم يسبق له مثيل وحتى لا تتكرر عمليات توسعية أخرى من جانب النازية عقدت بريطانيا مع بولندا معاهدة تضمن سلامة أراضيها ، تلك الأراضى التى تعيش فيها أقليات ألمانية وتشتمل على ممر يصل بولندا بالبحر وسط أراض ألمانية ولذا كان من المتوقع أن يطالب



فرانكلين روزفلت



ستالين

هتلر بأجزاء من بولندا رغم أنه عقد معها معاهدة عدم إعتداء سنة ١٩٣٤ ، وهنا تبرز الصلة بين الديكتاتورية والحرب فإحترام المعاهدات ليس له وزن عند الحكـام الطغـاة من نمط هتلـر وموسوليني وغيرهما ، وكما نقض هتلر المعاهدة مع بولندا فقد كان بوسعه أن يحدث تغيرات مفاجئة فى سياساته الخارجية طبقا لخطواته المرحلية التى أدت إلى الحرب إذ من المعروف أن النازية بحكم فلسفتها العنصرية وبحكم رؤيتها للشيوعية كانت على طرف النقيض مع الإتحاد السـوفييتى ، وكان من المفترض أنه فى حالة وقوع حرب أن ينضم الإتحاد السوفييتى إلى فرنسا وبريطانيا فى مواجهة ألمانيا النازية مما يضطر ألمانيا إلى القتال فى جبهتين

وتجنبا لهذه المشكلة جرت إتصالات سرية بين هتلر وستالين ومن السهولة بمكان المحافظة على سرية الدبلوماسية لدى الدول الشمولية بعكس الدول الديمقراطية حيث تناقش القضايا الحيوية فى المجالس النيابية .

إذن فطبيعة النظام فى كل من المانيا والإتحاد السوفييتى مكنت من إحداث إنقلاب مفاجىء فى السياسة الخارجية خلال شهر أغسطس لسنة ١٩٣٩ . ففى الثانى والعشرين من هذا الشهر أعلن عن معاهدة عدم إعتداء بين المانيا النازية والإتحاد السوفييتى تلك المعاهدة التى أنهت فترة صاخبة من العداء المتبادل ومكنت هتلر من مواصلة سياسته التوسعية فى بولندا ومن ثم قيام الحرب العالمية الثانية .

فيما يتعلق بزاوية المسلك فى إدارة الحرب يتوسع بعض الكتاب فى التحليل النفسى ربما طبقا لتخصص الكاتب وفى تقديرنا أنه لا يصح للمؤرخ أن يتجاوز بعض الحدود فى هذا الإتجاه الذى يربط بين التركيب النفسى للديكتاتور وبين سلوكه السياسى فمن المعقول أن يكون هتلر مصابا بجنون العظمة . ولكن ليس من المؤكد انه ربط بين جرح أصابه سنة ١٩١٧ أثناء وجوده كجندى فى الجيش الألمانى وبين تحول دفة الحرب ضد بلاده وهزيمتها فى نهاية الأمر ولا بأس من القول بأن الغرور أصاب هتلر بعد الإنهيار السريع الذى لحق بفرنسا فى مايو ـ يونية ١٩٤٠ وقد رأى معظم القارة الأوربية تخضع له .

طاعة عمياء !

ولاشك ان النظام النازى يفسر لنا أسلوب الحكم الذى أتبع فى مختلف أقطار أوربا الخاضعة ففضلا عن وجود نظام مخابرات يتغلغل ويثير الخوف فى المجتمعات الأوربية وهو النظام الذى إشتهر باسم الجستابو فقد أطيح ببقايا النظم الديمقراطية ولم يكن هتلر يخفى إزدراءه لتلك النظم ويعتبرها سببا من أسباب ضعف الدول ويعزو تفوق بلاده إلى إنضباط الشعب الألمانى ورضوخه التام لقيادته وطاعة تلك القيادة التامة للفوهرر . ومن الغريب أن يتقبل شعب راق مثل الشعب الألمانى هذا النظام والأغرب منه أن يوجد من بين قادة الشعوب الخاضعة من يعجب بالنظام النازى ويحاول تطبيقه فى بلاده ومن اشهر هؤلاء القادة الأوربيين كسلنج فى النرويج وبييرلا فال فى فرنسا .

ولم يكتف النازيون بإزلال الشعوب سياسيا بل إستغلوها إقتصاديا . فكانت الأقطار الخاضعة تدفع نفقات الإحتلال الألمانى كما خفضت قيمة عملات تلك الأقطار بالنسبة للمارك مما يساعد الألمان على شراء حاجياتهم بأسعار أرخص ، وبعبارة أخرى سخر الإقتصاد الأوربى لخدمة آلة الحرب الألمانية وتلك سمة أخرى من سمات النظم الديكتاتورية . وقد برر هتلر هذا الإستغلال بمبدأ المجال الحيوى ويلاحظ أن دول المحور الثلاث تشابهت فى تبنى هذا المبدأ فبينما إعتبر النازيون أن وسط وشرق أوربا هى المجال الحيوى للألمان خصص الفاشست فى

إيطاليا منطقة حوض البحر المتوسط بإعتبارها مجالا حيويا لهم أما اليابان فكان مجالها الحيوى هو شرق آسيا .

وهناك أوجه تشابه أخرى جمعت بين دول المحور فنظام الحكم رغم إختلافه فى التفاصيل ينتهى إلى حكم الفرد أو الفئة الصغيرة المطلقة . ففى إيطاليا ألغى موسولينى المعارضة وفى اليابان سيطر على الحكم فئة صغيرة من العسكريين الذين لم يلتزموا بالتقاليد اليابانية القديمة وهى الطاعة التامة للإمبراطور نصف الإله كذلك تشابهت دول المحور من حيث إكتظاظها بالسكان ومن ثم تبريرها لفكرة المجال الحيوى .

وبينما كشفت دول المحور عن أغراضها التوسعية غلف الحلفاء أهدافهم من وراء الحرب بالدفاع عن قضية الديمقراطية ومساعدة الشعوب على تقرير مصيرها بيدها وكان الرئيس الأمريكى فرانكلن روزفلت يحاول حتى من قبل نشوب الحرب أن يخرج الولايات المتحدة عن سياسة العزلة عندما وجد هتلر يتخذ خطواته التوسعية الأولى فمنذ سنة ١٩٣٧ ألقى خطابا فى شيكاغو قال فيه « إن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تعزل نفسها عما يجرى فى العالم وإن الديكتاتورية التى تسعى للسيطرة على القارة الأوربية يمكن ألا تتوقف أطماعها عند حد » ومع ذلك فإن مبدأ الحياد الأمريكى إزاء الحروب الأوربية ظل قويا وتحايل روزفلت على الكونجرس لكى يخرج عن هذا المبدأ بالتدريج وكان تعاظم شأن النازية والفاشستية خلال سنة ١٩٤٠ سببا فى إقناع الكونجرس بمد يد المساعدة لبريطانيا . قلنا إن سرعة إجتياح فرنسا دغدغت شعور هتلر بالعظمة والغرور وكان هذا دافعا له إلى فتح جبهات جديدة أولا فى البلقان حينما فشل حليفه موسولينى فى إلحاقه الهزيمة باليونان والإستيلاء عليها وثانيا حينما أخذ قرارا خطيرا بشن الحرب على الإتحاد السوفييتى وهو يعتقد بإحراز نصر خاطف مثل ذلك الذى أحرز فى فرنسا وبالإضافة إلى ذلك أرسل رومل إلى شمال إفريقيا لإنقاذ الجيش الإيطالى فى ليبيا . ونخلص من ذلك فيما يتصل بموضوعنا إلى أن طبيعة الحكم الفردى وطموح الزعيم هى التى جعلت هتلر يبدد جهوده فى الحرب غير مكترث بالإعتبارات العسكرية وقد أخذت حساباته لأول مرة تخيب عندما واجه مقاومة عنيدة من السوفييت وكمظهر من مظاهر العناد الذى يميز غرور الحكام الطغاة أصر هتلر على خوض معركة ستالين جراد وأمر قائد هذا القطاع أن يواصل القتال وألا ينسحب بصرف النظر عن الخسائر البشرية التى تنتج عن تلك الاستراتيجية وإنتهى الأمر بإستسلام القائد فون باولس فى يناير ١٩٤٣ بعد حصار مرير .

كانت معركة ستالينجراد إحدى نقاط التحول فى تاريخ الحرب العالمية الثانية تلتها هزائم أخرى حاقت بالألمان فى أوربا وكان أخطرها نجاح الحلفاء فى أكبر عملية إنزال برمائية على شبه جزيرة نورماندى فى شمال غرب فرنسا .

● عناد وهزيمة ساحقة

وهنا نصل إلى الزاوية الثالثة وهى إصرار هتلر على مواصلة الحرب رغم التأكد من خسران الجولة . ذلك أنه بحلول عام ١٩٤٤ تقدم السوفييت من الشرق حتى وصلوا إلى مشارف بولندا وتقدم

الديكتاتورية والحرب

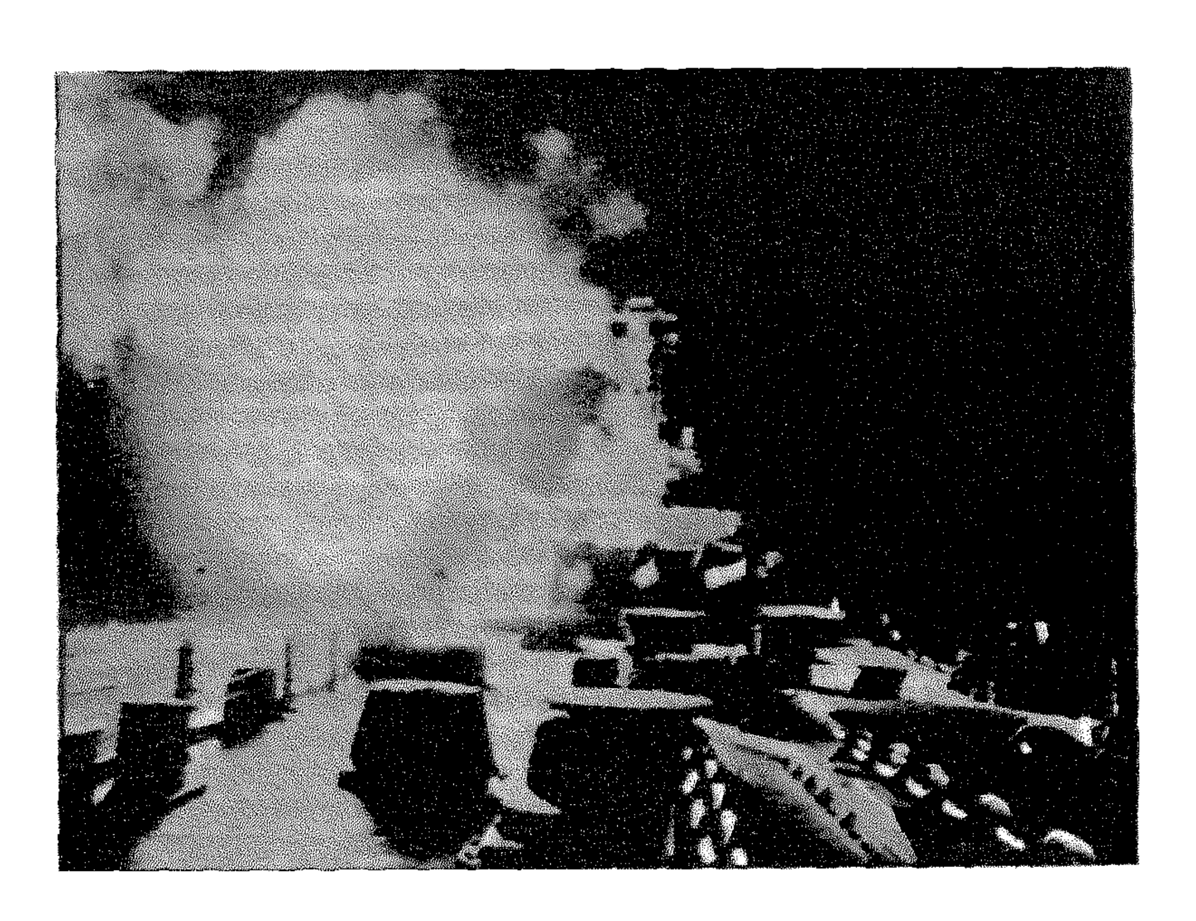




موسوليني

الحلفاء الغربيون من الغرب حتى وصلوا إلى نهر الراين فماذا كان ينتظر هتلر ؟ لقد سبق للحكومة الالمانية فى سنة ١٩١٨ أن طلبت عقد الهدنة عندما وصل الحلفاء إلى حدودها الغربية وبذلك جنبوا البلاوشو الإحتلال الأجنبي والحق أنه لم يكن بوسع هتلر "إن أراد" أن يتجنب هذا المصير لأن الحلفاء أعلنوا منذ سنة ١٩٤٣ أن تسليم المحور يجب أن يتم بدون قيد أو شرط ومع ذلك فإن هتلر ظل يأمر قواته بالمقاومة إلى أن إلتقى الحلفاء الغربيون بالسوفييت فوق الأراضي الألمانية وخلال هذه الفترة الأخيرة تعرضت المدن الألمانية لغارات جوية بلغ تعداد الطائرات فى بعضها أكثر من ألف طائرة وفى ذلك العهد لم تكن المبادىء الأخلاقية بشأن إحترام حياة المدنيين قد تبلورت بل على العكس كان أسلوب تدمير المنشآت المدنية وإستهداف الأحياء السكنية أمرا مألوفا إستخدمه الألمان أولا فى ضرب لندن سنة ١٩٤٠ كما إستخدمه الحلفاء فى تدمير المدن الألمانية وأعتبر هذا الأسلوب أداة متعارف عليها للتأثير النفسي وهكذا عاني الألمان المدنيون مثل العسكريين معاناة لم يسبق لها مثيل .

وربما كان هتلر ينتظر توصل العلماء الألمان إلى إختراع جديد من قبيل القنبلة الذرية بل إنهم توصلوا بالفعل إلى إختراع صواريخ ف ١ ، ف ٢ التى كانت تطلق من سواحل هولندا فتسقط على المدن البريطانية دون تمييز لكن مصير الحرب صار محتوما رغم هذه الأسلحة الفتاكة التى لن تؤثر إلا فى قتل مزيد من الضحايا . ولذا تصور بعض العسكريين الألمان أن الوسيلة الوحيدة لإنهاء الحرب هى إغتيال الفوهرر ولوشكت إحدى هذه



مصير الحرب .. صار محتوما

المحاولات ان تنجح في يوليو سنة ١٩٤٤ لكن هتلر نجا باعجوبة وشمل ثاره العديد من الضباط ويقال إن القائد الشهير رومل كان متورطا في هذه المحاولة فمات في حادث غامض .

● منذ إندلاع ازمة الخليج وهناك ميل لدى بعض الكتاب العرب والغربيين من خصوم صدام حسين إلى تشبيهه بهتلر ونحن نرى ان اوجه الإختلاف تزيد عن اوجه التشابه فهناك اولا المتغيرات الدولية السريعة التي تجعل من الفارق الزمني عامل إختلاف شاسع بين الحالتين .

ثانيا : ان هتلر مر بمرحلة كان الإنتصار في الحرب يبدو فيها ممكنا اما صدام حسين فإنه بضم الكويت قبل ان يتحدى المجتمع الدولي وحساباته في الحرب لا تزيد عن طول فترة الصمود وليس على اساس إحراز نصر ومن ثم التاثير على الراى العام العالمي والعربي اما دواعي التشبيه فتكمن في نظام الحكم الفردي والتركيز على مبدا الزعامة وإستخدام المخابرات للتجسس على المعارضة واعضاء حزب البعث انفسهم على نطاق واسع تجنبا للإنقلابات والإغتيالات واللجوء إلى الثار الفظيع من الخصوم وتصدى صدام بنفسه لقتل معارضيه من داخل الحكم كما فعل هتلر بصديقه رهم وانصاره من النازيين اصحاب النزعة اليسارية .

الحروب

وأسباب اختلال اللياقة النفسية

بقلم : د . مصطفى سويف

المظاهر الكبرى لاختلال اللياقة النفسية هى تشوش الفكر او تهوشه ، وتهرؤ الوجدان او تفسخه ، وانفلات الفعل او تسيبه . ووجه الشبه الجامع بين هذه المظاهر جميعا هو "الهلامية النفسية" او ما يوصف على سبيل الشرح والتوضيح بانه سيولة الحدود بين المنظومات الداخلية للبناء النفسى للفرد .

وبيان ذلك أن حياتنا النفسية فى جملتها تشبه أن تكون عالما أو كونا صغيرا (ميكروكوزم) فى مقابل الكون الكبير (ماكروكوزم) . وكما أن الكون الكبير نظام للطاقة الطبيعية يضم بداخله عددا من منظومات الطاقة التى تتفاوت فيما بينها من حيث ماتقوم به من وظائف تحفظ على النظام الكبير خصائصه متكاملة ، ومن حيث الأهمية النسبية لكل وظيفة من هذه الوظائف المتعددة ، كذلك كياننا النفسى ينطوى على عدد من منظومات الطاقة النفسية تتفاوت فيما بينها من حيث الأدوار أو الوظائف التى تقوم بها كل منظومة فتحفظ على الكيان النفسى هيئته وتكامله ، ومن حيث الأهمية او الوزن النسبى لكل من هذه الوظائف . وكما أن كياننا النفسى منظومة كبرى تضم بداخلها منظومات صغرى ثلاث ، هى الفكر والوجدان والفعل ، فكذلك كل واحدة من هذه المنظومات تتألف من وحدات أصغر هى نفسها منظومات ، فهناك منظومات متعددة للأفكار (تتعدد بتعدد موضوعاتها واختلاف ابنيتها ، ونطلق عليها أحيانا اسم شبكات أو مخططات) ، وهناك منظومات متعددة للعواطف التى يقوم بها الوجدان ، وهناك منظومات من نوع ثالث هى القوالب المعدة لتشكيل ما يصدر عنا من افعال .

● اضواء على معنى المنظومة

يستخدم مصطلح المنظومة فى عدد كبير من فروع العلم الحديث ، تمتد من العلوم الطبيعية ، إلى علوم الحياة ، إلى علوم النفس والاجتماع ، ويقصد بهذا المصطلح الاشارة إلى أى مجموعة من الأجزاء تتجمع لتؤدى معا عملية أو وظيفة واحدة . وعلى هذا النحو نتكلم عن النظام

الشمسى أو المنظومة الشمسية ، كما نتكلم عن الجهاز العصبى أو المنظومة العصبية ، ونتكلم عن النظام النفسى أو المنظومة النفسية ، وما تحـويه من منظومات نفسية أصغر.

وجدير بالذكر أن المنظومات النفسية جميعا تمر بمراحل فى نشوئها وارتقائها ، وتمضى فى اتجاه محدد فى هذا الارتقاء أو التطور . ويكفى أن نتأمل ظهور فكرة لدينا نحو موضوع جديد علينا وسنجد انها تكون فى البداية فكرة بسيطة أى ليس لها أجزاء داخلية محددة المعالم ، ثم انها لا تلبث أن تتفتح عن أجزاء داخلية تزداد مع مرور الوقت تحددا ، وربما ازدادت عددا كذلك ، وتظل فى الوقت نفسه متماسكة فيما بينها . تماما كما هو الحادث عندما تنقسم الخلية الحية فتتعدد الاجزاء الناجمة عن هذا الانقسام ، ويكون لكل جزء هويته المميزة ، ويظل المجموع متماسكا فى وحدة أكثر تفصيلا وأعقد تركيبا من الوحدة الأصلية الساذجة التى بدأ بها هذا الكيان . هذه هى خطوات الارتقاء وهذا هو اتجاهه ، من الوحدة الأولية البسيطة إلى وحدة متماسكة تتألف من وحدات صغرى على درجة من الاستقلال لا تفقدها الارتباط بالوحدة الأم .

وفى محيط الحياة النفسية إذا استمرت الأمور سائرة على هذا النحو فإننا نتكلم عن عملية نسميها النضج أو الانضاج ، نضج الفكر (بمعنى تولد الأفكار المركبة فى أعقاب الافكار البسيطة) ، ونضج الوجدان (أى بزوغ العواطف المتعددة الواجهات والمستويات) ، ونضج الفعل (أى تعدد العناصر التى تدخل فى تشكيل قالب الفعل) أما إذا حدث ما يعاكس مسيرة الأمور على هذا النحو بحيث اتجهت من التعدد والتركيب إلى البساطة اوفقدان المعالم الداخلية ، أو اعيق نموها فى هذا الاتجاه اصلا ، فنحن نتكلم عن انواع مختلفة من الخلل أو الاختلال فى اللياقة النفسية .

● أسباب اختلال اللياقة النفسية

يقع الاختلال فى لياقتنا النفسية لأسباب متعددة . منها ماهو بيولوجى (كأن تكون هذه الأسباب وراثية) ، ومنها ماهو نفسى محدود بحدود ظروف التنشئة التى احاطت بالشخص فى مراحله العمرية المختلفة ومنها ماهو اجتماعى عام أى فى صميم البناء الاجتماعى الحضارى الذى يعيش الشخص فى ظله ، مما يجعل آثاره تعم على الغالبية من أبناء جيل معين أو أجيال بعينها . وقد رأينا أن نفرد هذا المقال لالقاء الضوء على هذه النقطة الأخيرة ، ونعنى بها المنشأ الاجتماعى لاختلال اللياقة النفسية . ومن هنا سنحاول أولا أن نحصر العوامل الاجتماعية المسئولة مسئولية أساسية عن هذا الاختلال ، ثم ننتقل بعد ذلك إلى بيان الكيفية أو الطرق التى يتم بها تأثير هذه العوامل على الحياة النفسية للفرد .

● العوامل المحدثة لاختلال اللياقة النفسية

أن الاستعدادات الفطرية المحددة لخصائص المنظومات النفسية للأفراد ، وخطوات نموها وارتقائها ، وإيقاع هذه الخطوات واتجاهها إنما هى استعدادات على درجة عالية من الرسوخ فى صميم البنية العضوية للفرد وبالتالى فهى على درجة عالية من القدرة على الوقوف فى

وجه المؤثرات البيئية المعاكسة ، أى على مقاومتها وتصحيح آثارها المؤذية . ومعنى ذلك أنه لكى تكون لهذه العوامل فاعلية فى تشويه المنظومات وافساد نموها وارتقائها يلزم هذه العوامل أن تكون بالغة القوة شديدة الالحاح . وهذا بالضبط ما نتبينه فى العاملين الآتيين :

١ ـ اهتزاز البيئة الاجتماعية

يعتبر استقرار البيئة الاجتماعية بمقوماتها المادية والمعنوية شرطا أساسيا من شروط انطلاق مقومات الصحة النفسية ، وبالتالى يكون اختلاله مؤذنا باختلال المنظومات النفسية فى نشاطها وارتقائها . فإذا استمر اختلال هذا الاستقرار لفترة طويلة نسبيا تراجعت المنظومات النفسية لدى الأفراد عن المستويات الارتقائية التى تكون قد بلغتها ، وبذلك ترتد حركتها واتجاه تغيراتها فى عكس طريق الارتقاء ، فبدلا من الاستقلال النسبى تتجه إلى التداخل ، وبدلا من التماسك تتجه إلى التفسخ ، وبدلا من الانضباط تتجه إلى الانفلات . يحدث هذا على مستوى البيئة الاجتماعية اللصيقة بالفرد (كالأسرة مثلا) ، كما يحدث على مستوى البيئة الاجتماعية الحضارية التى يمثلها المجتمع العريض ، وعندئذ يصبح اهتزاز الأسرة جزءا من زلزال اجتماعى علم .

نضرب مثلا لذلك فى حالة الفرد والأسرة . فالتخلل الشديد فى استقرار الأسرة (كأن تضطرب أحوال التعامل بين الأبوين ، ويكثر بينهما الانفصال ثم الالتئام ، أو الهجر ثم الوصل ، أو الطلاق ثم الرجوع عنه) يترتب عليه تباطؤ وربما تعطل فى عمليات النمو النفسى ، وربما انعكاس لاتجاه هذا النمو ، يحدث ذلك فى نفوس أبناء الأسرة الذين مازالوا فى مرحلة التكوين . وتبلغ حالة الاهتزاز هذه أقصاها فى حالة الأفراد الذين تتشتت أسرهم نتيجة لأنواع مختلفة كالكوارث الطبيعية والحروب ، ومايصحبها من نزوح جماعى يفقد الفرد من خلاله كل أساس لاستقرار البيئة الاجتماعية (بمعناها الضيق كالأسرة ، والأكثر اتساعا كإطار الأسرة ما بعد أقرباء الدرجة الأولى ، والجيران ، والحى ، والمدينة وربما الوطن) . وقد أجريت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية دراسات مستفيضة على الآثار التى خلفتها كوارث الحرب وما أعقبها من فقدان لاستقرار الأسر ومايحيط بالأسر ، أجريت هذه الدراسات على مئات الأطفال من أبناء تلك العائلات . ومن أشهر هذه الدراسات تلك التى قام بها عالم يدعى "جولدفارب" فقد تبين من هذه الدراسات ان هؤلاء الأطفال تتعطل لديهم القدرة العقلية على عملية التصنيف ، هى إحدى العمليات العقلية الأساسية التى تكشف عن عملية نشوء المنظومات الفكرية ، واستقرارها ، ووضوح معالمها . وبالتالى تفقد عقولهم القدرة على أن ترتقى مع نمو أعمارهم لتصبح نسيجا يتألف من وحدات على درجة عالية من الاستقلال والترابط معا .

لبعض القراء ، بمعنى أنه قد يبدو عنيفا لدرجة تقرب من الشذوذ مع ذلك فإنه ليس مستبعدا من قائمة مايحتمل أن يقع من أحداث فى حياتنا وحياة أبنائنا . ونظرة سريعة إلى ماترتب على أحداث الخليج من نزوح لآلاف الأشخاص من بيوتهم وأحيائهم وأوطانهم ، وإلى مالايزال ينتظر هؤلاء النازحين من كوارث وزلازل تصيب عنصر الاستقرار فى الصميم كفيلة بأن تقنعنا بأن موضوع حديثنا هذا أمر وارد . ومن قبل كان الأمر واردا يوميا بالنسبة للآلاف من أبناء الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين . وبالنسبة لعشرات الآلاف من أبناء لبنان ضمن أحداث الحرب الأهلية . ومن قبل ومن بعد نجده واردا فى كثير من بقاع الدنيا نتيجة لأعمال العنف الجماعى كالحروب الأهلية ، والثورات والحروب الوطنية ... إلخ .

مع ذلك فهذا النوع من الأمثلة إنما أوردناه لنوضح من خلاله (وبصورة مكبرة كأنما هو تحت المجهر) أن مايترتب عليه إنما يترتب أساسا على إهتزاز الاستقرار فى البيئة الاجتماعية . وهناك أمثلة أخرى على اهتزازات أقل عنفا وأقل شمولا ؛ من هذا القبيل أنواع الهجرات الصريحة والهجرات المقنعة التى تختلط فيها الاحتياجات المعيشية مع الطموحات الشخصية (دون إضافة عنصر الحروب والثورات) ، وكذلك التغيرات الحادة التى تصيب المستوى الاجتماعى والاقتصادى للأسرة بهبوط مفاجىء نتيجة لفقدان العائل أو فقدان المدخرات ، وغير ذلك من صروف الدهر ، ومايستلزمه ذلك من تغيرات شديدة فى أنماط الحياة التى كانت الأسرة قد اعتادتها . هذه كلها تترتب عليها اختلالات فى اللياقة النفسية فى جبهاتها الثلاث : الفكر والوجدان والفعل ، ولكن بدرجات متفاوتة .

ب - تلاحق التغيرات الواسعة فــى منظومات القيم الكبرى

تعتبـر منظومـات القيم الكبـرى ، بالصورة التى تفرض علينا منذ طفولتنا ، أى بالصورة التى نجدها عليها سابقة على حياتنا الفردية ، إحدى الدعائم الرئيسية فى بنية البيئة الاجتماعية . ومن هنا كان من الممكن على ما قد يطرأ عليها من تغيرات واسعة متلاحقة ، أن يندرج تحت اهتزازات البيئة الاجتماعية إلا أن هذه القيم من الصفات النوعية مايجعلها مختلفة عن بقية مقومات البيئة . فتلاحق التغيرات الكبيرة فيها يختلف فى وقعه وفى قنوات تأثيره عن اختفاء الأب والأم بالنسبة للصغار ، وعن اختفاء البيت والحى والوطن بالنسبة للصغار والكبار .

ذلك أن التغيرات الكبرى التى تتناول الجوانب المحسوسة من البيئة يغلب عليها أن تصيب ضحـاياهـا بسلسلة من الاضطرابات الحادة منذ البداية (فضحايا الزلازل والبراكين والحروب يصابـون بالاكتئاب الحاد ، والبعض باضطرابات هستيرية ، وربما بعدد من أعراض الأمراض العقلية) ثم لا تلبث هذه الاضطرابات ، إذا استمرت النتائج المادية للكارثة ، أن تنفذ إلى تشويه منظومات الفكر والوجدان والفعل بالصورة التى وصفناها . أما التغيرات الكبرى فى القيم فلا يحدث معها شىء من هذا القبيل . وهنا يلزمنا أن نزيد الأمر وضوحا .

يمكن تقسيم التغيرات التى تطرأ على القيم إلى نوعين من التغيرات :

يأتى احدهما تلقائيا ، ويكون بطيئا ومتدرجا ، وهو يتقدم خطوة خطوة مع زيادة التغيرات فى واقع الحياة والأحداث التى تحيط بنا ، وبذلك يكون جزءا لا يتجزا من عملية كبرى يسعى فيها بما يتلاءم ومقتضيات الواقع الجديد . وهذا نوع من التغير لا تترتب عليه اضرار ، بل العكس هو الصحيح إذ تستلزمه مقتضيات حفظ بقاء الإنسان فى ظل واقع متحول .

لكن هناك نوعا آخر من تغير القيم ، يتميز بأنه يأتى مفاجئا ، اى على غير توقع ، مع قدر كبير من الاسراع والتعجل الذى لا يتفق وإيقاع الحياة فى صورتها المعتادة . كذلك يتميز بأنه يأتى إملاء ، من سلطة ما خارج الذات أو خارج الجماعة التى تنتمى إليها الذات . هذا الطراز من تغير القيم ، الذى يأتى فجاءة وإملاء هو الذى نعنيه عندما نتكلم عن تغيرات فى الانماط الأساسية للقيم من شأنها أن تضر باللياقة النفسية . ويكون هذا الضرر عاما بقدر اتساع المجموعة البشرية أو الشريحة أو الشرائح الاجتماعية المستهدفة من الاملاء الذى أشرنا إليه .

مثال واضح على ذلك ما حدث فى مصر فى الثلاثين سنة الأخيرة . فقد قدمت للمواطنين المصريين ، كافراد وجماعات ، ثلاثة انماط من القيم ، نمطا تلو الآخر ، قدم الأول مع بداية الستينيات والثانى مع بداية السبعينيات ، والثالث فى الثمانينيات . ولم تكن هذه الانماط ، بالصورة التى قدمت بها ، مجرد قيم هامشية ، بل كانت فى كل حالة من الحالات الثلاث تقدم على انها جزء لا يتجزا من المواطنة الصالحة على إطلاقها !!

ففى الستينيات (وعلى أثر إعلان قوانين التأميم) قدمت للمواطن المصرى مجموعة من القيم تدور حول محور رئيسى يمكن وصفه بأنه محور التضحية بالفرد فى سبيل الجماعة ، واستخدمت مصطلحات منتقاة فى هذا الصدد ، من قبيل العدالة الاجتماعية ، والتعاون ، والاشتراكية . وصنع لها رمز اقتصادى مجسد (لأن أصنام العصر الحديث هى الرموز الاقتصادية) هو "القطاع العام" ، وصحب ذلك تسفيه شديد لنمط القيم الذى كان سائدا قبل ذلك ، كأن الناس كانوا من قبل فى ضلال مبين . وفى السبعينيات (وخاصة بعد حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، وبعد صدور قانون إعادة تنظيم الاقتصاد المصرى المعروف بقانون ٤٣ لسنة ١٩٧٤) قدم نمط جديد من القيم ، وفى هذه المرة كان النمط يدور حول محور رئيسى هو "المشروع الخاص" ، وأحيط بهالة من الأحاديث والشعارات عن الحرية ، واقيم لهذا النمط رمز اقتصادى مجسد هو "القطاع الخاص" وصحب ذلك أيضا تسفيه لمجموع القيم التى سادت فى الستينيات ، ورفع فى هذا الشأن شعار "إعادة بناء الانسان المصرى" ثم جاءت الثمانينيات ، وذاعت الدعوة لنمط جديد من القيم يقوم على محاولات تبدو ناجحة حينا فنسميها محاولات توفيقية ، وتبدو فاشلة أحيانا أخرى فنسميها تلفيقية .

وبغض النظر عن أى عنصر إيجابى فى أى من هذه الأنماط الثلاثة ، فالجانب الذى يهمنا فى هذا الصدد هو هذا التوالى السريع لهذه الأنماط الثلاثة رغم ما بينها من اختلافات كبيرة . فهذه السرعة منافية لمقتضيات التغير الاجتماعى الصحى .

وإلى جانب عنصر السرعة ومافيه من ضرر فهناك عنصر الاملاء ، ففى الفترات الثلاث جاء التغير املاء ، وبذلك أصبح الضرر أضعافا مضاعفة .

كيف يفعل هذا النمط من تغيير القيم فعله فى النفوس :

هذا سؤال على جانب كبير من الأهمية لأنه يساعدنا على فهم الصورة التى نحن بصددها ، والاقتناع بها ، واستيعابها . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فإن الاجابة عليه تحمل فى طياتها مؤشرات إلى طريق العلاج . وفيما يلى حصر لما نعتبره عمليات أساسية فى إنفاذ الآثار الضارة إلى مقومات اللياقة النفسية :

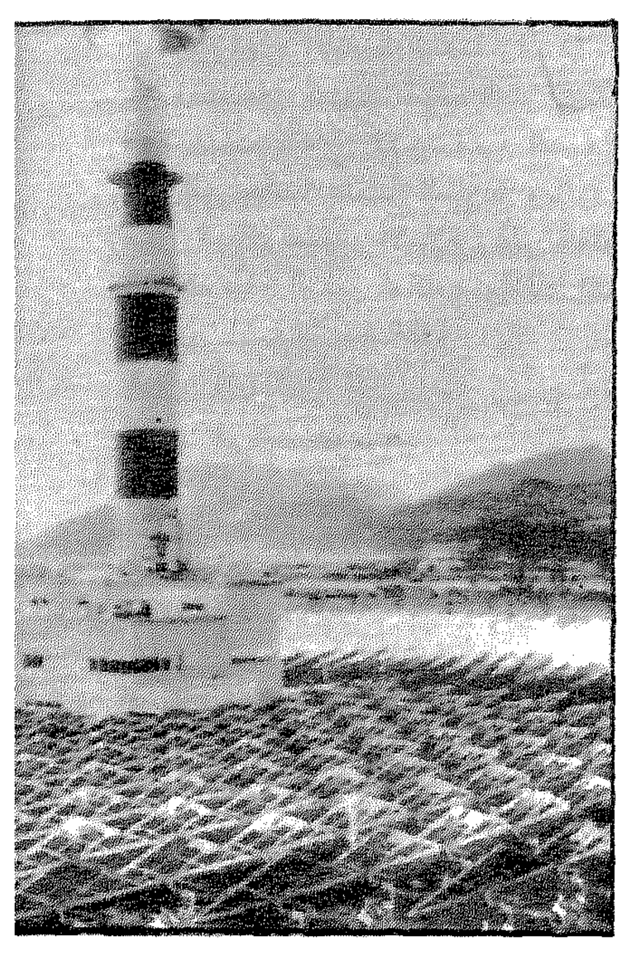
١ - **تجريح القيم القديمة لحساب القيم الجديدة** : وتلك عملية تقتلع شعور الثقة بالذات عند الفرد الذى يتلقاها ، وبالتالى تثور فى نفسه دوامة من التساؤلات حول سلامة ثقته فى العديد من القيم الثانوية التى كانت مساندة لتلك القيم القديمة التى ورد ذكرها بالتجريح . هذا على الرغم من أن التبشير بالجديد قد لا يمس صراحة تلك القيم الثانوية المساندة ، غير أن هذه النتيجة لابد وأن تحدث لسبب بسيط هو أن مجموعة القيم التى يؤمن بها الشخص (أى شخص) تتجمع فى شكل منظومة ، وهو ما يعنى (ضمن ما يعنى) أن يقوم بينها اعتماد متبادل . وبالتالى فإن محاولة استئصال إحداها يصيب الباقى بالضعف والتداعى . وجدير بالذكر أن القيم الجديدة لا تقدم هى ومساانداتها منذ البداية ، وبالتالى فإن تهاوى القيم المساندة القديمة لا يصحبه فى الفترة الزمنية نفسها إحلال لقيم مساندة جديدة . وهكذا تتهاوى مجموعة كبيرة من القيم المساندة مخلفة وراءها فراغا .

٢ - **تقديم القيم الجديدة بصورة مطلقة** : تقدم القيم الجديدة عادة بصورة مطلقة ، وتهدر القديمة أيضا بصورة مطلقة . ومع ذلك فهناك قيم فى الحياة الاجتماعية لا يجوز اهدارها لأنها تمثل الرصيد المتراكم للخبرة الانسانية التى اثبتت الأيام ضرورتها للحياة الاجتماعية من حيث جوهرها . فهى قيم محورية بالنسبة لبقاء المجتمع وان لم تكن تبدو كذلك بالنسبة للقيم الجديدة . والنتيجة أن تختلط الأمور على المتلقى ، وخاصة هذه الأمور التى تتعلق بالتفرقة بين مايجوز ومالايجوز .

٣ - **القدوة الحسنة تنحسر ، والقدوة السيئة تنتشر : فى خضم ما يحدث عادة فى الأجواء الاجتماعية السياسية التى يكون العمل فيها على تغيير نمط القيم السائد مقترنا بالسرعة والاملاء ، وهى فى العادة اجواء يغلب عليها العنف او التهديد بالعنف ، (باسم الشرعية الثورية ، او الطهر الثورى وما إلى ذلك من الفاظ وعبارات لها قواميسها الخاصة) تتزايد اعداد طلاب المنفعة بمعناها الانانى الضيق ، وبالتالى يزداد تعريض المواطنين لنماذج لاحصر لها من القدوة السيئة ، وينكمش تعريضهم لأنماط القدوة الحسنة . ومن بين قنوات التاثير**

المخرب الذى تنفذ منه القدوة السيئة اندفاعات الهليل والتكبير للقيم الجديدة ، وهو مالتكون له كذلك دلالة المزيد من الاملاء مما يضاعف من مسلوىء الموقف .

هذا بالاضافة إلى انهم فى انشغالهم بالتهليل والتكبير ، وحرصهم على الا يقعوا فيما يعتبر خطأ فى الشرع والتفسير يقتصر على الترديد البيغائى لما قيل ويقال .. وبذلك تظل القيم الجديدة قوالب بسيطة بمعنى انها خالية من اية قسمات داخلية وغير منسوجة مع غيرها من القيم التى يجب أن تنسج معها . ولما كانت القيمة نقطة التقاء بين فكر ووجدان وفعل فإن نقطة الالتقاء هذه بكل ماتتميز به من بساطة او سذاجة تملى ان يظل مايرتبط بها من فكر ووجدان وفعل على درجة عالية من السذاجة .



٤ - سرعة التحول : واخيرا هناك عملية لاتقل خطرا عما ذكرنا ، ومؤداها أن القيم الجديدة قد لاتنال الوقت الكافى للاستقرار وهو امر يكاد يترتب بالضرورة على كون هذه القيم الجديدة جاءت فى سياق ظروف تعتمد على الفجائية والاملاء . وسواء اكان هذا الأمر يترتب بالضرورة أم لا فواقع التجربة المصرية فى الثلاثين سنة الأخيرة كان كذلك . والترجمة النفسية التى تحدث فى نفوس الكثيرين لهذا التوالى السريع الايقاع هو تعطيل جميع العمليات النفسية والنفسية الاجتماعية التى تعمل فى ظروف الحياة السوية على تعميق جذور القيم فى نفوسنا ، او بالأحرى تلك التى تعمل على تنمية منظومات الفكر والوجدان والفعل المرتبطة بهذه القيم .

هذه هى العمليات الرئيسية الأربع التى بوساطتها ، تنفذ فينا الآثار المخلة بمقتضيات اللياقة النفسية ، آثار تلاحق التغيرات فى منظومات القيم الكبرى ، ومن قبل ذكرنا كيف تنفذ فى نفوسنا الآثار المدمرة لاهتزاز البيئة الاجتماعية من حولنا ، وانعدام استقرارها .

والسؤال الآن : كيف يكون العلاج ، وهو مايستحق ان نفرد له حديثا آخر ..

ماذا بعد فشل نظام الأمن العربى ؟

بقلم :
مصطفى نبيل

عندما تحركت آلة الحرب الرهيبة ، سواء لغزو الكويت أو تحريرها ، كان نظام الأمن العربى أول الضحايا ، عندما عجز بكل مؤسساته عن منع الحرب ولن يعود نظام الأمن العربى إلى حالته الأولى بعد صمت المدافع ، بعدما تبين مافيه من ثغرات وفجوات ، وبعد ان فجرت حرب الخليج أحقاداً أعمق من ان تزول بمجرد تغيير السياسات او تغيير النظم . فقد عاش النظام العربى على ان تهديد الأمن العربى سيأتى من خارجه . فإذا به من داخل النظام العربى ذاته بعد غزو العراق للكويت ..

● وأخذ يثير إهتمام مراكز البحث العالمية ، وأجهزة صنع القرار فى الدوائر الغربية موضوع "مستقبل المنطقة العربية" بعد حرب الخليج الثانية ، ولا يرى الباحثون الذين يتناولون الموضوع فى النظام العربى ومؤسساته سوى ماض عتيق ، ويبحثون إقامة نظام جديد شرق أوسطى ، يحول دون سيطرة طرف واحد على مستودعات الطاقة ، وعلى هذه المنطقة الحساسة من العالم .

ومن يتابع هذه الدراسات ، يشعر وكأننا نعود القهقرى إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، عندما اقتسمت كل من بريطانيا وفرنسا نفوذ الدولة العثمانية فى المنطقة العربية ، أو أيام ترتيبات مابعد الحرب الثانية ، تلك الترتيبات التى تتساقط اليوم مثل أوراق الخريف !

وهذا كله بفضل الذريعة التى قدمها



انشاص ١٩٤٥ الاجتماع الأول لتأسيس الجامعة العربية

غزو القوات العراقية للكويت ، عندما قضى بفعلته على مصداقية الأمن المتبادل ، ومصداقية التجمعات الإقليمية ، وكشف عن إفتقار النظام العربى إلى أولويات المناعة الدفاعية ، ووضع النظام العربى على مفترق طرق :

فإما أن يذوب فى نظام أشمل ويفقد مكوناته وأهدافه ، وإما أن يستجيب إلى التحدى ، ويبتكر نظاما عربيا جديدا ، ويخرج من الأزمة مثل العنقاء التى تخرج من وسط النار ، وهو ما حدث عندما خرجت أفكار الوحدة الأوربية وسط الدمار خلال الحرب العالمية الثانية .

فإذا عدنا إلى وقائع أغرب الحروب ، لن نجد المقدمات تفسرها ، فلعل النتائج هى التى تفسر ما غمض من أحداثها ، فهى تشتعل فى عصر يقول سدنته انه يرتكز على حل المنازعات بالطرق السلمية .

وربما تهدف هذه الحرب إلى إعادة ترتيب الأوضاع فى المنطقة العربية ، وعلى أية حال ، فليس هذا المقال تنبؤا بما سيقع ولكنه دعوة للعمل من أجل دفع الأحداث فى الاتجاه الذى يمكن من خلاله الحفاظ على ما تبقى .

مما يفرض علينا أن نصنع المستقبل بعقولنا وأيدينا ، ولا نتركه لغيرنا ..

فقد قيل إن إحدى نتائج هذه الحرب إقامة قواعد عسكرية أجنبية ، أو إعطاء الغرب تسهيلات عسكرية ، أو إلحاق بعض دول المنطقة بالأحلاف العسكرية ، أى استمرار المسعى الأمريكى القديم الذى بدأ منذ الحرب

فشل نظام الأمن العربي ؟

العالمية الثانية .

بينما يشهد العالم تغييرات واسعة ، وقد تغيرت العلاقات الدولية تغيراً جذريا فى العقد الأخير ، وانتقلت العلاقات بين السوفييت والأمريكان من التعايش إلى التعاون ، وتصاعدت أفكار الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان ، وتهاوت النظم الاستبدادية فى شرق أوروبا ، وأخذت الأحلاف العسكرية سواء الأطلنطى أو وارسو تبحث عن دور غير إشعال الحروب !!

إذن ليس المطلوب من أغرب الحروب ، إقامة القواعد أو الحصول على تسهيلات عسكرية .

فهل المطروح هو تغيير الخريطة السياسية ، وقيام كيانات جديدة تعالج الخلل الإستراتيجى المتمثل فى التهديد الذى تتعرض له دول صغيرة شديدة الغنى ؟. وحتى لا تعتمد هذه الدول على النجدة القادمة من وراء الأفق وحدها ، وحتى لا يكون هذا الغزو سابقة يمكن تكرارها !

وربما المستهدف أيضا خفض أو نزع سلاح دول المنطقة ، وإذا تحقق ذلك مع العراق التى تجاوزت سقف نقل التكنولوجيا أثناء الحرب العراقية الايرانية وبمساعدة الغرب ، فهل تقبل المؤسسات العسكرية الغربية تعميم ذلك ، وهى صاحبة النفوذ الكبير والصناعة الضخمة ، أم أنها سترفض أى إقتراح يؤدى إلى خفض السلاح للدول العربية لأن ذلك سيحول دون تسويق منتجاتها العسكرية ، وحتى تحافظ اسرائيل على ما لديها من أسلحة الدمار الشامل !.

● فشل النظام العربى

ولعل المؤكد فى لوحة تتسم فى مجملها بعدم اليقين ، هذا الذى نلاحظه من السعى الحثيث من أجل إقامة نظام يوفر الأمن الجماعى فى المنطقة ، ويعكس موازين القوى فى العالم العربى ، ويحقق أمن منطقة الخليج ، بعد أن فشل مجلس التعاون الخليجى الذى استبعد العراق من عضويته عند قيامه ، وبقيت الكويت رقعة صغيرة بين كبار ثلاثة ، هم إيران والعراق والسعودية ، وإذا تصارعوا هددوها ، وإذا اتفقوا ابتلعوها ، وهو ما ينطبق على عدد من دول الخليج الصغيرة ، خاصة بعد فشل النظام العربى فى منع العدوان العراقى ، كما أخفق فى الدفاع عن الأسس التى يقوم عليها هذا النظام ، من عدم جواز اللجوء إلى القوه لفض المنازعات بين دولتين عربيتين ، كما جاء فى المادة الثانية من معاهدة الدفاع المشترك ، وقد حان الوقت بالفعل لسد هذه الثغرة ..

ويقوم هذا النظام الأمنى فى منطقة مازالت تعيش بقايا صراعات تاريخية

أغرب الحروب ـ بين إيران والعراق ، وبين العراق وتركيا ، وبين الدول العربية وإسرائيل ، فى ظل نظام الأمن الجديد ؟

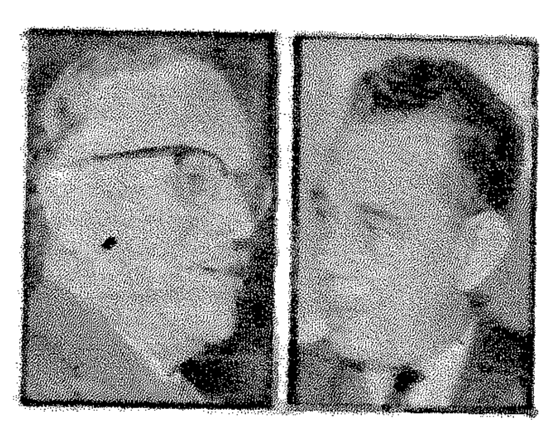
● محنة الجامعة العربية

ولابد لقيام نظام عربى جديد من إستخلاص عبر الماضى ودروسه ، حتى نتفهم طبيعة العقبات التى سبق وواجهته ، ولماذا لم ينجح فى تحقيق أهدافه ؟.

فقد قامت جامعة الدول العربية ، الإطار التنظيمى والقانونى للنظام العربى ، عام ١٩٤٥ من سبع دول عربية ، قبل قيام إتحاد الحديد والصلب فى الدول الأوربية ، والذى كان الخطوة الأولى نحو الوحدة الأوربية التى ستعلن عند نهاية العلم القادم ، فى الوقت الذى تعثرت الجامعة العربية ، ولم تستطع استيعاب المتغيرات ، وافتقدت إلى آلية التجدد ، وتعطل فيها مشروع تعديل الميثاق ومشروع بروتوكول ضوابط العمل العربى .

وإن كانت قد استجابت احيانا للمتغيرات ، عندما تم التوقيع على معاهدة الدفاع العربى عام ١٩٥٠ ، والقيادة العربية الموحدة ..

واتسمت التجربة التاريخية لقيام الجامعة العربية بكثير من جوانب القصور ، وكان أحد أهدافها الرئيسية مواجهة الأطماع الصهيونية فى أرض فلسطين ، وواجهت فشلها الأول عند



عبدالرحمن عزام — عبدالخالق حسونة



محمود رياض — الشاذلى القليبى

قديمة ، فهى إحدى نقاط الصراع واللقاء بين العرب والفرس والترك ، يمتد اللقاء والصراع بينهم إلى ما يزيد على أربعة عشر قرنا يوم خرج العرب يقاتلون الفرس والروم ، ثم تجدد هذا الصراع فى صور شتى بعد انتشار الدين الحنيف ، وهى المنطقة التى شهدت أحد فصول الصراع الطويل بين الدولة العثمانية السنية والدولة الصفوية الشيعية ، والذى كانت العراق مسرحه . هذا فى عصر يشهد العديد من المصالحات التاريخية فى كل أرجاء العالم .

فكيف يعود التوازن من جديد ـ بعد

ماذا بعد فشل نظام الأمن العربى ؟

قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ، وتعرضت الجامعة لمحنة قاسية وإسرائيل تضرب بعرض الحائط كل القرارات الدولية وترفض تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ، ويستمر إحتلالها للضفة الغربية وغزه والجولان وجنوب لبنان ، ثم فشلت اخيرا فى حماية الكويت عندما تعرض للعدوان من العراق ..

أى فشلت عندما جاء التهديد من الخارج ، وفشلت عندما جاء التهديد من الداخل .

ولكن تميزت جامعة الدول العربية بأنها تضم أطراف النظام العربى ، وهى ليست مثل منظمة الوحدة الأفريقية ، أو منظمة الدول الأمريكية ، بل يميزها انها تقوم على نظام ثقافى واحد ، ولغة واحدة وقيم مشتركة ، فهى تعبير عن هوية حضارية ، وتقوم على إدراك عميق لوحدة الهوية الثقافية العربية .

وكاد يتوقف قلب النظام العربى تماما بعد إتفاقية الصلح المصرى الإسرائيلى ، عندما ضرب بعرض الحائط ميثاق الجامعة العربية ، واتخذت قرارات مؤتمر بغداد التى نقلت الجامعة العربية الى تونس ، مستهدفة عزل مصر ، وعجزت الجامعة العربية عن احتواء هذا الانقسام .

وكان ما جرى هو الفصل الأخير فى استمرار الكثير من الازدواجيات ، مثل الوبر والحضر ، والنفط والنهر ، والغنى والفقر ، والحداثة والعتاقة ، ودول قليلة السكان مخترقة من الخارج ودول أخرى تقوم على توازنات دقيقة عشائرية وطائفية .

واختلف منظور كل دولة وكل طرف عربى للجامعة العربية ، فرأى البعض فيها تهديداً للسيادة المحلية ، ورأى فيها البعض الآخر قيدا يحول دون إنهيار الحدود التى رسمتها الدول الكبرى ، وعاش الفكر العربى حيرة قاتلة بين الوطنية والقومية وبين الإسلام والأممية ، وغاب تيار رئيسى قوى حول النظام العربى وقيمه ، خاصة أن قيام الدول العربية الحديثة ـ باستثناءات قليلة ـ كان أحد نتائج إنهيار الامبراطوريات الاستعمارية ، ولم تعد الصراعات كما كانت من قبل نتيجة الإنقسام الفكرى فى العالم ، بل مع إتساع الفجوة بين الشمال والجنوب ، بين الدول الغنية والفقيرة ، ومع تفاقم الأزمة الاقتصادية ، أخذت فى الظهور الحركات الطائفية والعرقية ، التى يتجه بعضها إلى التفتيت والبعض الآخر إلى البحث عن كيانات أكبر !. وتسعى بعض هذه الدول إلى إعادة رسم حدودها على حساب جاراتها ، نتيجة التشابك الأسرى والقبلى ..

وسادت العلاقات بين الأقطار العربية ما يمكن أن نطلق عليه الفجوة

بين الظاهر والباطن ، أى المسايرة بدون القبول والإقتناع ، أو الموافقة بدون حوار جاد أو التزام حقيقى ، كأحد نتائج سيادة القيم العشائرية فى بعض الأقطار العربية ، والميل الطبيعى لما هو شخصى والبعد عن الموضوعى ، وعدم الإلتزام بالمؤسسات ، وكلما فشلت أحدى المؤسسات العربية أقيمت مؤسسة أخرى دون البحث عن أسباب هذا الفشل ، وساد الإهتمام بالشكل على حساب المضمون .

فالحكم عند بعض الأطراف العربية ليس أكثر من مؤامرة ، تستمر بقدر النجاح فى إخفاء الفجوة بين الظاهر والباطن !.

أما الأسباب الإقتصادية فى ضعف النظام العربى ، فقد ترددت الدول الغنية فى دعم القضية العربية الأساسية ، فى الوقت الذى تدفقت فيه الأموال على العراق خلال حربها الضروس مع إيران ، وتمنعت الدول الغنية عن الإلتزام بمشروع تنموى عربى ، وفضلت فرصة الاستثمار التجارى الأمنى فى الغرب الصناعى ، وذهب هباء مشروع حزمة الموارد وتلاشت عقود التنمية العربية ، وتسربت الوعود بوضع خمسة مليارات دولار لتمويل عقد التنمية العربى .

ولم ير مشروع الأمن الغذائى العربى النور ، واختفى مشروع زراعة الأراضى الخصبة فى السودان برأس مال الدول البترولية وأيد عاملة مصرية ، حتى يملك العرب غذاءهم .

وعاشت الدول الفقيرة فى مشاكلها التى ضاعفتها الفجوة بين الثروة المفاجئة وحجم الفقر ، وأضافت الثروة بعداً جديدا لإنقسام النظام العربى ، رغم أن ما يجب طرحه هو مشروعات عربية مشتركة وليس معونات .

وأدى هذا الانقسام إلى ضعف إتفاقية الدفاع العربى المشترك ، ونظرت الدول الغنية إلى الجامعة العربية كاطار غير فعال ، وترددت فى الإلتزام باتفاقية الدفاع العربى لكى تتجنب الأعباء الاقتصادية والسياسية لها .

● التجمعات الإقليمية

وأدى ذلك كله إلى البحث عن أطر جديدة للأمن .

وفى الثمانينات بدأ قيام تجمعات إقليمية ، يفترض فيها أن تكون روافد للجامعة والنظام العربى ، تكمل النظام العربى ولا تتناقض معه ، ولكنها قامت لكى تمثل بدائل له ومن أجل إضعافه ، ولا يمكن للمتأمل لهذه المنظمات الجديدة إلا ويتذكر محاولات قديمة تهدف إلى تقسيم العالم العربى ، مشروع سوريا الكبرى والهلال الخصيب والمغرب العربى ، وكانت هذه المشاريع القديمة تهدف إلى عزل مصر عن عالمها العربى ، وقد أعلن عن قيام مجلس التعاون الخليجى ومجلس التعاون العربى ومجلس

ماذا بعد فشل نظام الأمن العربى ؟

التعاون المغربى .

وليس غريبا أن هذه التنظيمات قامت عندما كانت الجامعة العربية بعيدة عن القاهرة ، وبعد أن سعى مؤتمر بغداد إلى فرض العزلة عليها !

● عالم عربى أم شرق اوسطى !!

ومن اللافت للنظر أنه مع بحث أمن الخليج ، عادت إلى الظهور إصطلاحات ذات دلالة خاصة مثل إصطلاح "الشرق الأوسط" ، عند الحديث عن العالم العربى ، وهو إصطلاح غامض وفضفاض ، يصف ولا يفصح ، يصف وضع العالم العربى بالنسبة للغير ، "متوسط" بالنسبة لمن ؟! ، ويسعى الذين يستخدمون هذا الاصطلاح ، أحيانا إلى ضم دول غير عربية إلى العالم العربى أو إخراج دول عربية ويقدمون الشرق الأوسط كمنطقة من الفسيفساء تقوم على التناقض وليس التناغم ، على التنوع وليس الوحدة ، تضم قوميات وسلالات ولغات وطوائف وأديان متعددة .

فتطلق الدول الأوربية عليه الشرق الأوسط ، أما الأمريكية فتطلق عليه الشرق الأدنى ، وهو من منظور تلك الدول ويرتبط بتخطيطها ، فتدخل دول مثل قبرص وأثيوبيا وأفغانستان وباكستان وايران واسرائيل ، وتخرج منه دول عربية مثل المغرب والجزائر وتونس وأحيانا ليبيا والسودان .

ويكشف هذا الاصطلاح محاولة إختراق النظام العربى الذى يعبر عن مجموعة البلاد العربية التى ترتبط بلدانه بثقافة واحدة وتسوده لغة عربية واحدة ، وتتصل بلدانه جغرافيا ، ويتمتع بدرجة عالية من التماسك الحضارى .

كما أنه لا يمكن الفصل بين النظامين الاقليمى والأمنى الذى يعمل فى ذات النطاق الجغرافى ، فعندما تفقد المنظمة الإقليمية دورها الأمنى تفقد بالتالى مبرر وجودها ومغزاها ، مما يلح على ضرورة توفير نوع من الأمن الاقتصادى العربى ومصلحة عربية مشتركة فى حماية الثروة النفطية .

ومنذ قيام جامعة الدول العربية ، وهناك محاولة دائمة لربط المنطقة العربية بالأحلاف العسكرية ، ودعت الولايات المتحدة إلى مشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط والحلف المركزى فى محاولة لرسم حدود المنطقة لصالح نظام شرق أوسطى يرتبط بمصالح كونية ، وكثيراً ماعادت هذه الفكرة للظهور ، فى صورة حلف إسلامى يضم تركيا وإيران وباكستان ، وكانت إيران حتى قيام الثورة الإسلامية عضوا فى حلف السنتو ، وتركيا عضوا فى حلفى السنتو والأطلنطى .

ونجح النظام العربى فى الماضى

فى مقاومة هذه الأحلاف ، لأنها تعنى دمج النظام العربى داخل نظام أوسع بأفكار وتفاعلات مع أطراف خارجية ، تدفع وزن رؤيتها للعالم وتدافع عن مصالحها الكونية !.

وأدى غزو العراق للكويت إلى أحياء هـذه المشـروعـات . ويفهم من المناقشات فى الدوائر الغربية والتى تخفى أكثر مما تظهر ، أن الغرب يسعى إلى خلق هيكل أمنى لردع أعمال عدوان مماثلة ، وردع أعمال التوسع الإقليمى من قبل أية دولة ضد دولة أخرى ..

وتهتم الأفكار المقترحة بالمسألة العسكرية ومن وجهة نظر غربية وتتجاهل حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية .

أما عضوية هذا التكتل فهو الانتماء إلى الشرق الأوسط ، بمافى ذلك اسرائيل ، ولم يحدد بعد من سيكون مصدر الخطر ، والهيكل المقترح لهذا النظام الأمنى ، ويعنى المشروع المطروح أن يتوفر للولايات المتحدة إطار قانونى إقليمى يمكنها من الوجود والتدخل العسكرى بدون قرار من مجلس الأمن ..

وإذا كان نظام الأمن العربى قد فشـل رغم التجانسين الثقـافى والبشرى ، فكيف ينجح مع اطراف لا يقوم بينها هذا التجانس الثقافى ، وإذا أخذنا تركيا على سبيل المثال ، نجد انها تعيش حيرة عميقة وترددا بالغا بين السعى نحو قطع صلاتها بالشرق والتوجه نحو الغرب ، وأخيراً حسمت أمرها واختارت أن تكون القوة الأخيرة فى الغرب وليس القوة الأولى ذات التاريخ الحافل فى الشرق ..

أما اسرائيل التى تهدد بالفعل الأمن العربى ، وترفض تطبيق قرارات الأمم المتحدة ، فقد كشفت حرب الخليج عدم فائدة إسرائيل كشرطى للخليج ، فهى تهدد ولا تحمى أمن المنطقة ، وأقسى ما طلب منها فى ظل الحرب البقاء ساكنة .

فكيف يمكن أن تكون اسرائيل جـزءا من ترتيبـات أمنية فى المنطقة ؟!

صحيح .. لقد ثبت عدم جدوى النظام العربى ، وظل التناقض قائما بين ثروة الخليج المالية من ناحية وضعفه السياسى والعسكرى من ناحية أخرى ، ولكن التعاون بين دول النهر ودول النفط يمكن أن يسد هذه الفجوة ، وبدء علاقات التكامل بينهما يمكن أن يكون بداية صحيحة لنظام أمن عربى جديد ، فدروس الماضى تدفعنا إلى هذا النظام الذى يقوم على تحالف عربى جامع ، فى إطار سياسى متحرك وفعال ..

ولكى تقوم قوة عربية معتدلة وعقلانية وواقعية ، لا تقفز فى الفراغ ولا تضع العصى فى العجلات ، تدرك طبيعة موازين القوى فى المنطقة والعـالم ، وتحافظ على المصـالح والهوية الحضارية العربية .

هذا أو الطوفان .



تسويات مابعد الحرب

بقلم : د. أحمد صدقى الدجانى

بينما دخلت حرب الخليج مرحلة جديدة ، بدأ الحديث يتزايد فى أوساط «الغرب» عن «تسويات مابعد الحرب» . وبات هذا الموضوع مطروحا علينا بإلحاح ، لننظر فيه «نحن العرب» ونبلور أفكارنا بشأنه ونعمل كى يأخذ «الغرب» هذه الأفكار بعين الاعتبار .

قد يبدو من غير المنطقى للناظر إلى السطح الحديث عن «العرب» كوحدة تمثل طرفا واحدا بينما هم منقسمون فى هذه الحرب وقتال يجرى بين دول عربية ، ولكن النظرة السابرة الغور ترى حقيقتين تفرضان الحديث عن «العرب» بمجملهم وتجعلانه هو الحديث المنطقى :

الحقيقة الأولى : هى أن الانقسام والاختلاف فى الدائرة العربية لايمحو حقيقة الإنتماء العربى للمنقسمين المختلفين ، الذى يجعل كل قطر عربى متأثرا بما يجرى فى الوطن العربى الكبير بل ولما سيحدث للقطر الذى هو فى قتال معه .

الحقيقة الثانية : هى أن «الغرب» يتعامل فى آخر الأمر مع «الدائرة العربية» كوحدة ومع «العرب» كطرف ، بغض النظر عن الانقسام القائم . وذلك لأنه يعتمد فى تعامله على ثوابت ،

ويعتبر الانقسام القائم ليس منها لأنه متغير . ويلفت النظر ان هذا التعامل يشمل المستوى الشعبى فى الغرب لأسباب تاريخية ، وهذا مايفسر مابرز على هذا المستوى من مشاعر حادة لم تميز بين عربى وآخر ووضعت كل العرب فى كفة واحدة بغض النظر عن جنسياتهم القطرية ومواقف حكوماتهم .

★★★

ليست هذه هى المرة الأولى التى يطرح علينا كعرب فيها موضوع تسويات مابعد الحرب بإلحاح خلال القرن العشرين ، فقد شغلنا به أيما انشغال فى أعقاب الحربين العالميتين الأولى و الثانية ، وخرجنا فى كل من المرتين بمبررات لاتزال تفعل فعلها فى حياتنا . ولكن من الواضح وجود فارق جوهرى بين هذه المرة والمرتين السابقتين لسببين اساسيين :

السبب الأول : ان الحرب فى هذه المرة تدور فى ساحة وطننا العربى ، وأن التسويات التى بدأ الحديث عنها ستتركز على منطقتنا . بينما كانت الحرب فى المرتين السابقتين شاملة ساحات كثيرة فى عالمنا وساحة أوربا بخاصة ، وكانت التسوية فى منطقتنا فى كل من المرتين جزءا من تسويات اشمل .

السبب الثانى : اننا نحن العرب بقسمينا نمثل طرفين رئيسيين فى الحرب الدائرة رحاها . وفى تسويات مابعد الحرب يكون للطرف الرئيسى اعتباره وتأثيره .

إن هذا السبب الثانى هو الذى جعل بعض الحكماء العرب ينبهون منذ نشوب أزمة الخليج قومهم المنقسمين إلى بروز فرصة امامنا نحن العرب بأن يكون لنا رأى مسموع فى رسم مستقبل منطقتنا بخاصة وفى تعديل النظام الدولى بعامة ، لأول مرة فى القرنين الأخيرين . وهذه الفرصة تتيح لنا ايضا نحن العرب فى إطار رسم مستقبل منطقتنا توثيق علاقاتنا مع الأقطار المجاورة الأخرى فى دائرة الحضارة العربية الإسلامية التى استهدفتها الغزوة الاستعمارية الغربية كما استهدفتنا وفصلت بينها وبيننا .

لابد إذن أن نغتنم هذه الفرصة ونولى موضوع تسويات مابعد حرب الخليج فائق عنايتنا ، ونقبل عليه كمشاركين رئيسيين ، لا كما كان حالنا عام ١٩١٩ حين كنا واقفين بباب فرساى ننتظر مايخطط لنا ويفعل بنا ونلتمس الرأفة . ولاعام ١٩٤٥ حين لم يكن لنا اى وجود فى يالطا وبوتسدام وجاء وجودنا شكليا فى ليكسكس ، ولا ماكان عليه حال محمد على عام ١٨٤٠ حين فرضت عليه الدول الأوربية معاهدة لندن .

● عبر ودروس

– لعل من أهم ماينبغى ان يكون حاضرا فى اذهاننا ونحن نعالج هذا الموضوع هو مجموع عبرودروس تسويات مابعد الحربين العالميتين الأولى والثانية وماتؤكده هذه العبر والدروس من حقيقة فشل الغرب فى المرتين فى ابرام تسويات تؤدى إلى الاستقرار ، ليس فى منطقتنا فحسب بل فى مناطق العالم المختلفة الاخرى وفى مقدمتها أوروبا نفسها . فتسويات فرساى عام ١٩١٩ لم تلبث ان ادت إلى

تسويات مابعد الحرب

حدوث هزات اجتماعية عنيفة فى القارة ، وبروز المذاهب الجمعية فى عدد من دولها واشتداد التنافس بين هذه الدول . وقد كوت هذه التسويات اقطار آسيا وافريقيا بنار الاستعمار الغربى تحت اسم الانتداب واسم الوصاية واسم الاحتلال ، واجهزت على مبادىء ولسون الأربعة عشر وشعار حق تقرير المصير ، وجعلت « عصبة الأمم » التى انشاتها دول الغرب اداة بايدى القوى العظمى ، فكان لابد أن يوصل ذلك كله الى نشوب أزمة علم ١٩٣٩ واندلاع الحرب العالمية الثانية . والأمر نفسه يصدق على تسويات عام ١٩٤٥ التى لم يكد الحبر الذى كتبت به يجف حتى اشتعلت نار الحرب الباردة . وفى المرتين كان الظلم الذى وقع علينا بالغ الشدة . والحق أن مراجعة ماكتبه الغربيون عن هذه التسويات تكشف عما يكاد يكون اجماعا بينهم حول الضعف الشديد الكامن فى بناها الناجم عن قصر فى النظر وافتقار لتحكيم القيم العلا . وقد ترددت فى هذه الكتابات الاحاديث عن «إملاء فرساى» وما مثلته يالطا من خيانة الغرب لدول أوروبا الشرقية ومن سقوط خلقى .

إن علينا أن نذكر الغرب بهذه الحقيقة ، ونعمل مابوسعنا لنحول بينه وبين أن يكرر اخطاءه ، ونطرح افكارنا بشأن منطقتنا ونحن ادرى بشعابها ، وندعوه لتحكيم القيم العلا .

- لابد أن يكون حاضرا فى اذهاننا ايضا ونحن نعالج موضوع تسويات مابعد حرب الخليج ، بينما رحى الحرب دائرة ولما تتوقف بعد تداعياتها ومضاعفاتها ، أن هذه التسويات تتأثر بالكيفية التى تنتهى عليها الحرب . فالفرق كبير بين نهاية يتم فيها الاجهاز الكامل على أحد الأطراف كى يستسلم بدون قيد أو شرط، ونهاية تحفظ لجميع الأطراف المحاربين الماء فى وجوههم . وقد اصبح الآن واضحا عند تقويم ما جرى فى الحربين العالميتين أن عالمنا ابتلى بوقوع قادة غربيين فى أسر مقولة «التسليم بدون قيد أو شرط» ومقولة «الصلح القرطاجى» الذى كانت روما قد فرضته حين هزمت قرطاجة واجهزت عليها واطلقت صيحة الويل للمغلوب فلم يكتب لهذا الصلح الاستمرار وعادت الحرب من جديد . وآن الأوان أن نرفع عن انفسنا هذا البلاء .

إن استمرار التسويات واستقرارها يتطلب مناخا صالحا لايشعر فيه أى طرف بأن التسوية أمليت عليه إملاء ، وبأن ظلما فادحا حل به ووقع عليه . وهذا يعنى الا يغيب العدل عن التسويات .

يصل بنا هذا الحديث المستقبلى عن تسويات مابعد الحرب عند هذا الحد الى ما نحن فيه الآن ، ورحى الحرب دائرة ، ومعاناتنا بالغة أشدها ، ليدعونا إلى أن نتصرف الآن بشكل يؤدى إلى ايجاد المناخ الصالح

لاستمرار هذه التسويات واستقرارها . وقد تعود دارسو المستقبل أن يقولوا إذا كان الذى يعرف من أين يعرف إلى أين ، فإن الذى يتشوف المستقبل يكون أقدر على التعامل الصحيح مع الواقع .

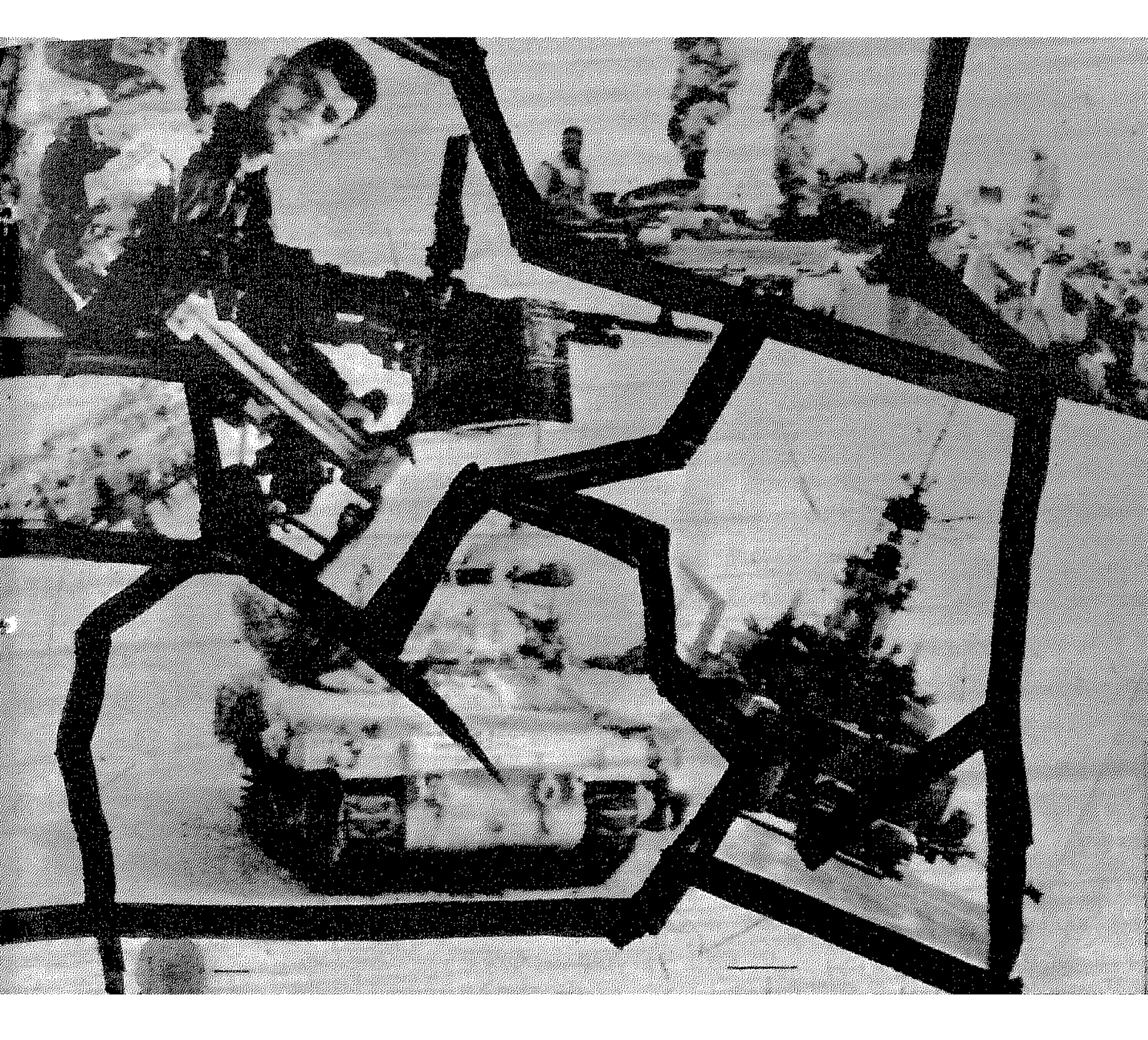
لابد اذن أن نحزم ارادتنا نحن العرب باختيار نهاية لهذه الحرب البشعة تحفظ ماء الوجه لجميع الأطراف المحاربة ، ولا تجهز على أحد منهم . ونعمل من ثم على تكثيف الجهود الرامية لأنضاج الحل السياسى الذى ينهيها بعيدا عن شعار لابد من مغلوب يسلم بدون قيد أو شرط وينتظر ان يحل الويل به . لأن هذا الشعار لايفسح المجال لمناخ صالح لابرام تسويات تستمر مستقبلا من جهة ، ويفرض استمرار الحرب حتى آخر رمق بكل مايتضمنه هذا الاستمرار من احتمالات حدوث تداعيات ومضاعفات من جهة أخرى . ولعل أخطر مايحمله استمرار الحرب حتى آخر رمق لنا وللعالم ولأمنا الأرض ، بعد أن دخل القتال مرحلة أخرى ، هو استخدام اسلحة التدمير الفتاكة من كيماوية وجرثومية وحيوية ونووية بعد أن علمنا من استخدام اسلحة التدمير التى يسمونها تقليدية حيث يحدث الانسياق فى خضم اتون الحرب إلى تدمير كل شىء والتضحية بالمدنيين أولا ، ولايعدم العسكريون والسياسيون اتخاذ مبررات لذلك .

- أمر ثالث ينبغى أن يكون حاضرا فى أذهاننا نحن العرب ونحن نعالج موضوع تسويات مابعد الحرب . وهذا الأمر هو أن تتصدى التسويات لجذور المشكلات التى سببت نشوب الأزمة واندلاع الحرب ، وأن تتضمن التسويات حلولا جذرية لهذه المشكلات

ويقتضى هذا الأمر الانطلاق الى التسويات من مبادىء محددة متفق عليها ونعمل على أن يوافق عليها الغرب . وأول هذه المبادىء أن أمن المنطقة العربية الإسلامية ينبع منها . كما يقتضى هذا الأمر رسم خطوط حمر من وحى هذه المبادىء لايجوز تجاوزها

وأهم هذه الخطوط الحمر هو ايقاف استهداف الغرب منطقتنا بحملة استعمار استيطانى صهيونى جديدة بدأت منذ عام ونيف تحمل معها مليون يهودى سوفييتى وفق ماهو مخطط لها غربيا . فهذه الحملة التى كانت من أسباب تزايد التوتر فى المنطقة وتفاقم أزمة الخليج ، لاتزال تمثل اكبر خطر على أمن المنطقة وسببا قويا لاستمرار التوتر فيها . ولابد لنا من ثم أن نصل مع الغرب إلى اتفاق حول ايقافها ، والى احترام حقنا فى تحرير اراضينا العربية الرازحة تحت الاحتلال الإسرائيلى ، وانقاذ حكم الشرعية الدولية .

إن معالجة موضوع تسويات مابعد الحرب تقتضى منا أن نباشر حوارا مفتوحا فى دائرتنا العربية الإسلامية حوله ، وهذا هو وقته . ولابد أن يتطرق هذا الحوار إلى دقائق تفاصيل عملية التسويات وآليتها . وهذه لها حديثها المستقل . وإن لنا وسط عيشنا معاناة الحرب التى تدور رحاها فى منطقتنا أن نعمل بكل ماأوتينا من قوة ليكشف الله عنا هذه الغمة ويخرجنا من هذا الكرب العظيم الى مستقبل يرضاه .



نحن .. والنظام الدولى

بقلم : عبد الرحمن شاكر

ارتطم "النظام" الدولى ، "بالنظام" العربى ، ارتطاما عنيفا منذ ١٧ يناير الماضى ، ولايزال مرتطما حتى الآن .. أو حتى كتابة هذه السطور على الأقل ، بالحرب التى شنتها القوات المتحالفة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على العراق ، تنفيذا لقرار مجلس الأمن الدولى ، الذى يسمح باستخدام جميع الوسائل ، لاجبار العراق على الجلاء عن الكويت ، التى احتلتها القوات العراقية فى الثانى من أغسطس فى العام الماضى ، وأعلنت ضمها للعراق ، لتصبح المحافظة العراقية رقم ١٩ .

وقد أثبتت تلك الحرب العجيبة ، أن صراع الارادات فيها غير متكافىء ولا متوازن على الاطلاق . فإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية ، قائدة التحالف الدولى ضد العراق ، تملك أكبر ترسانة عسكرية فى العالم ، ولا تدانيها بأى مقياس قوة العراق العسكرية ، فإن إرادة الولايات المتحدة فى القتال ، يأخذ منها الخوف الشديد من وقوع إصابات فادحة بين أفرادها من القوات المسلحة الأمريكية ، لذلك كان قتالها حتى الآن ، قصفا بالغارات الجوية التى يشنها سلاح طيرانها الضخم ، ومعه نظيراه البريطانى والفرنسى على العراق وأهدافه العسكرية والاقتصادية والعمرانية ، مما يدخل فى إطار طاقته الاستراتيجية بصفة عامة ، على نحو أدى إلى تحييد سلاح الطيران العراقى وخروجه من المعركة ولجوء العشرات من طائراته إلى إيران . هذا فى الوقت الذى صمد فيه العراق - حتى كتابة هذه السطور - لكل ما ألحقته به الغارات الجوية الحليفة ، مضافا إليها مدفعية القطع البحرية الأمريكية الضخمة فى الخليج ، من دمار واسع النطاق ، وخسائر لابد وأن تكون فادحة فى الأفراد والمعدات ، بل ووسائل الحياة اليومية من وقود وكهرباء وشبكات مدنية للمياه والمجارى ، وجسور وطرق للمواصلات .. على نحو يشى بارادة هائلة للقتال ، يتحدى بها أن تغامر القوات البرية الحليفة بمهاجمة مواقعه الحصينة فى الكويت ، حيث يتوقع أن يلحق بها آنذاك ، ما تحاذره من خسائر فى الأفراد .

وقد أدخلت تلك الحرب ، عنصرا جديدا ، كان متوقعا على اجماله من جانب علماء البيئة الذين حذروا من شن الحرب فى تلك المنطقة التى تضم أكبر مخزون عالمى للنفط ، وذلك لما كان يخشاه هؤلاء العلماء من مغبة إحراق هذا النفط وتدمير منشآته ، وقد نتج بالفعل عن نشوب الحرب فى تلك المنطقة إحراق كميات ضخمة من النفط بفعل تدمير منشآتها ، وأخطر من ذلك إحراق ملايين البراميل من النفط الخام فى مياه الخليج ، مكونة بقعة أو بقعا نفطية تهدد البيئة فى تلك المنطقة ، ليس فقط الكائنات الحية من أسماك وطيور وشعب مرجانية ، بل أيضا سكان المنطقة ، الذين يعتمد معظمهم على تحلية مياه الخليج فى الحصول على ماء الشرب ، ومن شأنه وصول المياه المختلطة بالنفط إلى مواقع تحلية مياه الخليج ، أن تحطمها وتلحق بها الفساد ، وقد أعلنت المملكة السعودية بالفعل أن منطقة الخليج قد أصبحت منطقة كارثة بيئية تهدد بتوقف الحياة فيها ، وأعلنت كذلك عن إغلاق محطة تحلية المياه فى إحدى موانئها .

فالخوف إذن فى جانب القوى المتحالفة ضد العراق ، لم يعد مقصورا على احتمالات الخسائر

نحن .. والنظام الدولى

الكبيرة في الأفراد حالة وقوع القتال البرى على نطاق واسع ، ولكنه يمتد إلى الخوف من العطش على القوات الحليفة في شرق الجزيرة العربية وسكان تلك المنطقة على السواء .

لذلك فإن احتمال توقف تلك الحرب ، قبل أن تصل إلى هدفها المعلن ، وهو تحرير الكويت من الاحتلال العراقى ، قد صار أمرا واردا ، ومطلوبا من جانب كثير من الدوائر لانقاذ ما تبقى من العراق بعد ما لحقه من الدمار من ناحية ، ولانقاذ سكان الخليج عامة وضيوفهم من القوات الحليفة من العطش من ناحية أخرى .

على أن ذلك هو أحد الاحتمالات فحسب ، أما الاحتمالات الأخرى فتنحصر بين أمرين :

أولهما : أن يلجأ العراق إلى استخدام الأسلحة غير التقليدية من مواد كيمائية أو جرثومية ، وترد عليه القوات الحليفة بأسلحة مماثلة ، بما في ذلك السلاح النووى ، وعند ذلك تتخطى الكارثة حدود الخليج ، وتشمل المنطقة بأسرها ، وربما امتدت إلى سواها ، وتحولت إلى حرب أو كارثة عالمية .

والثانى : أن يعلن العراق ، بعد ما أصابه ، استعداده للانسحاب من الكويت ، تمهيدا للتوصل إلى حل سلمى للحرب وللمشاكل التى كانت سببا فيها أو ترتبت عليها على حد سواء .

اما الكارثة الكونية فلا جدوى من محاولة حسبان ما يترتب عليها ، وأما الاحتمالان الآخران ، وكلاهما يعنى توقف الحرب ، فهما اللذان يمكن النظر فيما يمكن أن يترتب على كل منهما ، على تفاوت بينهما ، يجعل من أحدهما استمرارا للصدام بين النظام الدولى والنظام العربى ، وأحدهما توافقا من نوع ما بين النظامين .

● مواطن الخلل

على أننى قد استخدمت كلمة النظام هذه سواء على المستوى الدولى ، أو العربى ، دونما إنكار لكون كل منهما ينطوى على قدر كبير من الخلل ، يكاد يجعله أقرب إلى الفوضى ، منه إلى المدلول الحقيقى لكلمة النظام .

لقد سل النظام الدولى سيوفه على العراق ـ مستغلا الثغرة التى سببها الخلل فى النظام العربى ، الذى أتاح للعراق أن تحتل الكويت ، بحيث تبدو مخالفة لظاهر الشرعية العربية والدولية جميعا ، الشرعية التى تقوم على أساس انقسام الوطن العربى إلى دول مستقلة ، كل منهما عضو فى جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة .

ولكن النظام الدولى فى موقفه هذا ، لم يكن بدوره بريئا من الخلل ، فهذا النظام لم يكن مسئولا فحسب ، عن إقامة الدولة الصهيونية ، على قطعة من أرض العرب ، وإكسابها صفة الشرعية ، بل إنه حتى الآن ، لايزال عاجزا عن أن يفرض على تلك الدولة ـ التى هى ربيبته ـ أن تعلن عن حدود واضحة لها ، وأن تنسحب من سائر الأرض العربية التى طالبها كثيرا ـ ذلك النظام الدولى بالانسحاب منها ، ولم تفعل ، ولم يقدم النظام الدولى على اتخاذ مواقف منها ـ بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية أيضا ، تجبرها على هذا الانسحاب ، كما يحاول الآن أن يفعل مع العراق ، بل أكثر من ذلك كانت الولايات المتحدة الأمريكية هى المعرقل لكثير من القرارات ، التى تدين ـ مجرد إدانة لفظية ، الممارسات القظة الاسرائيلية فى الأرض المحتلة .

إن الولايات المتحدة الأمريكية لا تفتقد فحسب ، فى الحرب التى تشنها على العراق باسم الأمم المتحدة الشجاعة الكافية للزج بجنودها فى مواجهة برية مع الجيش العراقى المتخندق فى الكويت ، وتكتفى بالتدمير الذى تحدثه غاراتها الجوية ، بل إنها تفتقد كذلك المصداقية الأخلاقية ، عند المقارنة بين مواقفها المتفاوتة من العدوان العراقى على الكويت ، والعدوان الاسرائيلى على فلسطين ، وسائر بلاد الشام : سوريا ولبنان والأردن .

وينعكس انعدام مصداقية الولايات المتحدة الأمريكية على النظام الدولى الذى تقوده ، أو المفترض فيها أنها تقوده ، بل على التركيبة الأساسية التى يقوم عليها هذا النظام ، وهو الوفاق الأمريكى السوفييتى بعد البريسترويكا السوفييتية والاعلان المشترك بين المعسكرين عن أنهاء الحرب الباردة .

وآية الخلل فى التركيبة المذكورة ، هو الموقف السوفييتى من أزمة الخليج ومن الحرب الدائرة فيها حاليا ، فهو إذ قدم التأييد السياسى الكامل للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها فى قضية احتلال العراق للكويت ، وكان من المطالبين بانسحاب العراق منها ، فقد كان أكثر تحفظا إزاء استخدام القوة لتحقيق هذا الغرض ، رغم كونه لم يستخدم حقه فى الاعتراض على قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ الداعى لاستخدام كل الوسائل لاخراج العراق من الكويت ، الذى استندت إليه الولايات المتحدة وحليفاتها فى شن الحرب ، ورفض مشاركة قواته فى تلك الحملة العسكرية ، وحينما دارت رحا الحرب بشكل فعلى ، طبقا للأسلوب الأمريكى فى شن الغارات الجوية المكثفة على العراق ، جاهر الاتحاد السوفييتى بأن الحرب قد تجاوزت أهدافها فى تحرير الكويت إلى محاولة تدمير العراق ،ولم يكن المسلمون السوفييت بمعزل عن هذا التصريح السوفييتى شأنهم فى ذلك شأن كثير

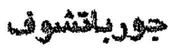
نحن .. والنظام الدولى

من الدول والجماعات الإسلامية حتى داخل الدول التى تدين الغزو العراقى للكويت ، بل وتشارك بعض قواتها فى التحالف الدولى ضده . وكذلك كان الاتحاد السوفييتى أكثر استعدادا للتعجيل بحل المشكلة الفلسطينية حرصا على مصداقية النظام الدولى فى نظر الشعوب العربية من الولايات المتحدة الأمريكية ، التى تزعمت مبدأ رفض الربط بين قضية فلسطين وقضية الخليج ، بل أصبحت تقدم للعلاقة بين القضيتين ربطا عكسيا ، مؤداه أنه لا حل للقضية الفلسطينية إلا بعد انسحاب العراق من الكويت ، دون أية ضمانة من جانبها لموعد هذا الحل وكنهه إلا الاعتماد على حسن النوايا الأمريكية ، واستعدادها لاقناع

صنيعتها الأولى فى المنطقة وفى العالم : اسرائيل !

وإلى جانب ذلك ، تطلق الولايات المتحدة وساستها عشرات من التصريحات عن الحاجة إلى نظام أمنى جديد فى المنطقة بعد انتهاء الحرب الحالية فى الخليج ، وكلها تدور حول إقامة سلسلة من التوازنات الاستراتيجية بين مجموعة الدول القائمة فى المنطقة ، مثل إيران وتركيا وباكستان ، والعراق أيضا إن لم تتماد الحرب إلى حد تمزيقه ! وذلك تحت مظلة من الوجود العسكرى الأمريكى فى المنطقة : سواء الوجود البحرى فى مياه الخليج ، أساسا بحاملات الطائرات ، أو الوجود البرى لقواتها فى شبه الجزيرة العربية .

وربما يكون التحالف القائم الآن فى حرب الخليج ، بما يضمه من قوى عربية ، واستمرار تلك الحرب حائلا دون مناقشة واسعة


جورباتشوف


بوش


ميتران

مستفيضة لتلك الخطط وخاصة من جانب الدول العربية . فليس هناك فى الوطن العربى من يرحب باستمرار وجود القوات الأمريكية على أرض عربية بعد انتهاء الحرب الحالية فى الخليج ، كما انه ليس فيه من يقبل ان تكون لاسرائيل مهمة امنية فى المنطقة ، تشارك فيها القوات الأمريكية فى ضمان الأمن الاقليمى وحماية الوجود المستقل لبعض دولايلات الخليج .

إن دفع الخطر المتمثل فى قيام كماشة عسكرية مسيطرة ، أحد جناحيها هو الوجود الأمريكى المسلح فى شرق الجزيرة العربية والثانى هو الوجود الصهيونى المسلح أيضا على نحو باذخ فى الغرب الشمالى لتلك الجزيرة ، وحماية المشرق العربى من أن يكون أسير منازعات جديدة تحركها أطماع اقليمية لتركيا أو إيران تتيح للكماشة المذكورة حرية العمل لفرض هيمنتها ، يقتضى تحركا عربيا سريعا لوقف تدهور النظام العربى وتفتته نهائيا تحت نيران الحرب المستعرة فى الخليج .

وينبغى أن يكون الأمن العربى فى المستقبل أمنا عربيا خالصا بكل معانى الكلمة . معتمدا على وجود صحيح للأمة العربية تتجاوز فيه تناقضاتها الداخلية ، وتخلفها السياسى الظاهر عن المستويات التى بلغتها وسوف تبلغها معظم شعوب العالم المتحضر ، التى يقوم عليها ما يعرف باسم النظام الدولى .

ينبغى أن تختفى النواقص الثلاثة الرئيسية ، التى تبعد الوطن العربى عن الوجود الصحيح ، وتوشك أن تفرض عليه مستقبلا غامضا مظلما ، تلى أمره فيه الهيمنة الأجنبية بمختلف مصالحها المتفقة والمتضاربة على السواء . تلك النواقص الثلاثة هى :

- انعدام وحدة الارادة السياسية الممثلة فى مركزية اقليمية عربية .
- انعدام الحرية وسيادة النظم الاستبدادية التى هى العائق الأول . دون قيام وحدة ديمقراطية تشمل الوطن العربى وتسمح له بالتطور إلى مستوى دولة موحدة عصرية .
- انعدام العدالة الاجتماعية بين مختلف المجتمعات العربية والتفاوت الشنيع فى مستوى معيشة الشعوب العربية ، مما يؤدى إلى تبديد الثروات المتاحة لهذا الوطن وسوء استخدامها ، وانتشار الأحقاد والتمزقات الاقليمية ، والنزعات الأنانية غير السوية ، وغير المبالية بالمصير المشترك ، أو الأخطاء التى تهدد عين الوجود العربى ، وتجعل اليد الطولى على مستقبله للقوى الأجنبية والمعادية لماضيه وحاضره ومستقبله على السواء .

إن تحركا "وحدويا" خاطئا من جانب العراق قد يكلف الأمة العربية كارثة لاتزال تحيق بها ، ولا يعلم إلا الله مداها ، فهل نستبدل بها تحركا صحيحا يقوم على الشعور بوحدة الهدف والمصير ؟!

رســالة واشنــطن

بقلم: محمود أحمد

التخلف الاعلامى وعقلية الوصاية ..

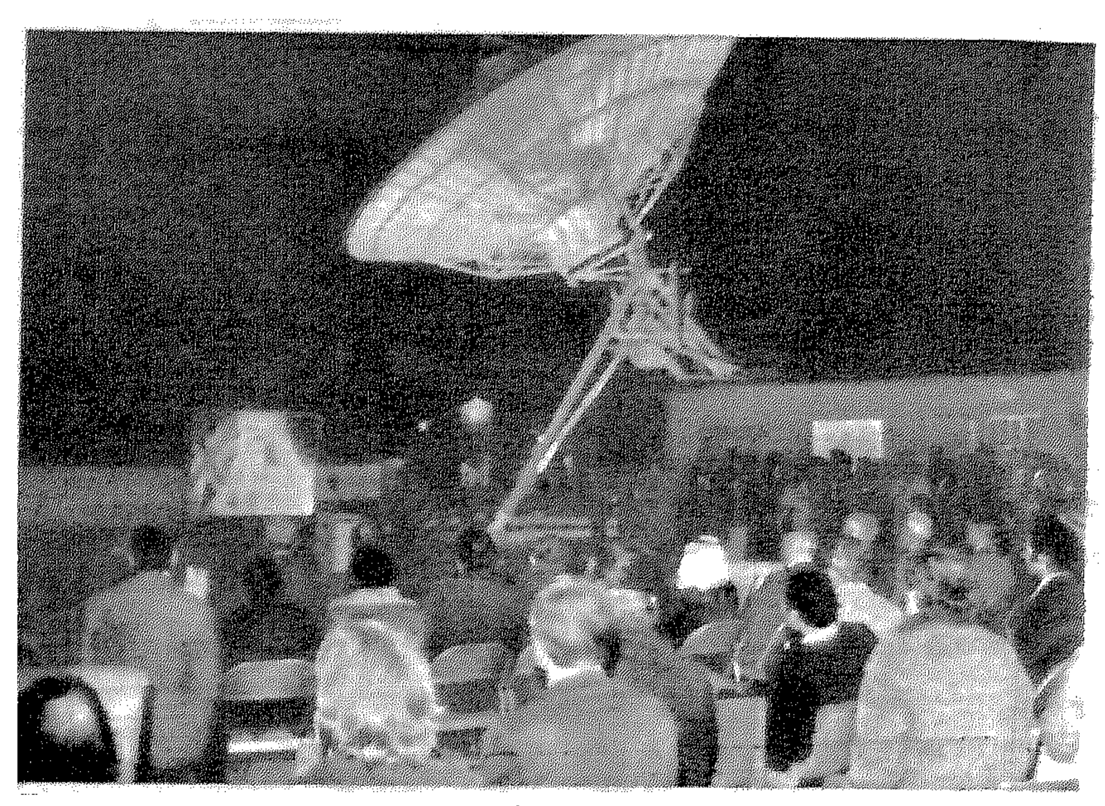
● يشكو الزملاء والرأى العام ، ونشكو معهم ، من "القصور" الذى يعانى منه إعلامنا .. فى عالم اصبح الاعلام فيه صناعة هائلة تتنوع فيها التخصصات ، وتتميز بمستوى اداء راق ، وتؤدى وظيفة فائقة الحيوية فى المجتمع .

وينبغى أن نسجل ، منذ البداية ، أن هذا القصور الذى تتكشف لنا أبعاده يوما بعد يوم انما هو جزء لا يتجزأ من تخلفنا العام فى فروع ومجالات الحياة عموما ، فلا يمكن أن يكون اداؤنا الاعلامى قويا ومؤثرا ، بينما يخيم التخلف على الادارة والتعليم والانتاج ومختلف مجالات الابداع الثقافى والفكرى والفنى .. وحتى الأخلاقى أيضا .

ومع ذلك ، فان الأمر يستحق نظرة متفحصة بعض الشىء فى هذه المسألة التى تبدو لنا بالغة الخطورة .. على أمل أن يثير ذلك اهتماما ، ويؤدى بالتالى الى بذل بعض الجهد لمحاولة تلافى أوجه القصور ومعالجتها .

لقد ساعد اندلاع حرب الخليج ، والاهتمام الجماهيرى الكبير بمتابعة مسارها ووقائعها ، على تعميق الاحساس باهمية الاعلام الذى يعتمد الناس على وسائله المقروءة والمسموعة والمرئية فى تتبع هذه الأحداث التى ستؤثر على مستقبل المنطقة لسنوات كثيرة قادمة ، وكان لابد وان يصحب ذلك ، بالضرورة ، اهتمام بمدى كفاءة اعلامنا وادائه ، وقدرته على نقل صورة حقيقية وامينة لما يجرى من احداث ، فضلا عن الحاجة الى ان تنقل هذه الصورة بالدقة والسرعة اللازمتين .

ولست ادرى ما هو "حكم" جمهور قرائنا ومشاهدينا على اداء وسائل اعلامنا المختلفة ولكننى ، كواحد من المراسلين الذين يعملون ويتابعون



الاطباق الفضائية : تنقل الأخبار ساعة حدوثها .

الاحداث من العاصمة الأمريكية "واشنطن" ، اقرر بكل صراحة - وخجل - ان ما اظهره اعلامنا من قصور وتخلف في تقديم صورة ما يجرى الى القارىء والمشاهد المصرى والعربي ، يبعث على اشد الاسى والأسف ، اقول ذلك وانا ادرك - خاصة نتيجة للاحتكاك والرؤية عن قرب - الفارق الهائل بين امكانيات الاعلام الأمريكي والغربي عموما ، وما هو متاح لاعلامنا من امكانيات وادوات .

وقد طالعت أخيرا ما كتبه الزميل الأستاذ "سلامة احمد سلامة" مدير تحرير الاهرام ، في عموده اليومي حيث تناول قضية قصورنا الاعلامي ، ولكنه اكتفى بالاشارة الى نقطة واحدة هي غياب اعلاميينا او احجامهم عن الوجود في مكان الحدث والمساهمة في التغطية الميدانية ، الأمر الذى يجعل اعلامنا يعتمد ، في الغالب على الرؤية التي ينقلها المراسلون الأجانب المنتشرون على اتساع جبهة هائلة تمتد من الخنادق التي تتعرض للقصف في بغداد الى قاعات البيت الابيض و"البنتاجون" في واشنطن .. ومرورا بمواقع القوات في "الخفجى" و"حفر الباطن" وحاملات الطائرات السابحة على مياه الخليج ، ولاشك في أن ملاحظة الأستاذ "سلامة احمد سلامة" كانت دقيقة وصائبة ، ولكنها لا تلقى الضوء الا على جانب واحد من جوانب الصورة ، ولعل ذلك هو ما دفعني الى محاولة الاسهام بتوضيح جوانب اخرى اراها اكثر اهمية .. على امل ان يتقدم غيرى لايضاح جوانب اخرى ايضا ، وسعيا الى اثارة اهتمام علم

بتصحيح مسار اعلامنا ، وانتشاله فى عثراته التى تتبدى للعيان كل يوم .. على صفحات الجرائد وشاشات التليفزيون .

● عقلية "الوصاية" !

أولا : إننى ارى ان قدرا كبيرا من أسباب القصور الاعلامى الذى نعانيه ـ أو التخلف الاعلامى فى حقيقة الامر ـ يعود الى عقلية "الوصاية" التى تفرض على وسائل الاعلام من صحف واذاعة وتليفزيون أو التى تفرضها هى على نفسها .. لا فرق !

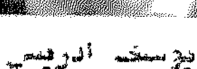
فنحن نتناول اية مادة ، ومن ثم نعالجها ونقدمها للقارىء او المشاهد ، بعقلية "الوصى" الذى يتوهم انه هو الذى يدرك ما يصلح للقارىء او المشاهد وما ينبغى له أن يقرا او ان يرى ، وهذه نقطة بالغة الخطورة ، فى الواقع ، بحيث إنها يمكن ان تجب ما عداها من اسباب التخلف او القصور الاعلامى التى نحاول ان نتقصاها ونحددها . اذ ما هى جدوى انتشار مراسلينا فى ميادين القتال أو مواقع الأحداث ومراكز صنع القرار ، اذا كان كل ما سوف يكتبونه لابد وان يمر بعد ذلك فى "مصفاة" الوصاية التى تحدد ، ليس فقط ما ينبغى نشره ، وانما تتدخل لتختار مكان النشر وطريقة التناول والمعالجة أو ما فائدة ان تتمكن وسائل الاعلام من سد ما لديها من نقص فى التجهيزات والمعدات الحديثة والمتطورة .. اذا كانت النتيجة هى استخدام هذه الأدوات فى تقديم مادة مقيدة أو خاضعة للوصاية ؟

ويجب أن ابادر فأوضح انني لا أعنى "الرقابة" ، على الأقل لكى اتفادى حملة من الأصوات التى لابد وأن ترتفع للاحتجاج واثبات ان أعلامنا يتمتع بكل الحرية ولا يخضع لأية رقابة (بدليل ما ينشر فى صحف المعارضة .. الخ) ، وذلك على الرغم من صعوبة بيان الفرق والتمييز بين الاثنتين . وسوف نفترض ـ أو نسلم ـ بأن الرقابة غير موجودة ، ولذلك فانه سيكون من المدهش حقا أن نجد ان الاعلاميين يطبقون على انفسهم لونا من الوان الرقابة .. أو ربما نراهم يبالغون احيانا فيذهبون الى أبعد مما يذهب اليه أى رقيب ، انها "عقلية الوصاية" التى اعتدناها والتى تحجرنا داخل قوالبها .. والتى نفرضها فرضا على قراء الصحف ومستمعى الاذاعة ومشاهدى التليفزيون .

وفى أحيان كثيرة ، تتدخل عقلية الوصاية ، بالحذف أو بالتعديل فى الصياغة أو العرض ، حيث لا يكون هناك أى داع للتدخل .. فقط ، اخذا بالأسلم وتفاديا للمتاعب ودرءا للشبهات ، وفى احيان اخرى قد يتخذ هذا التدخل صورة محاولة اخفاء متعمدة لموقف أو حدث معين ، وذلك بأن يغيب فى طيات الصفحات الداخلية







يوسف ادريس — سلامة احمد سلامة

رغم ان الحدث يكون قد دار حول العالم في دوى هائل .. على نحو ما عالج بعض صحفنا نبأ قصف أحد المخابىء في بغداد يوم ١٣ فبراير الماضى !

ولقد يكون المسئول الحكومى معذورا فى التفكير بعقلية الوصاية على الجمهور ، تلك العقلية التى تربى عليها واعتادها ، بحيث يرى أن حجب المعلومات هو الأصل وأن اباحتها للناس هو الاستثناء ، ولكن ما هو عذر الاعلاميين .. الذين يقوم عملهم كله على تقديم وتوضيح الأحداث والموقف ـ فى تبنى هذا المنهج والتفكير بالعقلية نفسها .. والى حد ان بعضهم ينزلق احيانا الى قلب الحقائق وتشويهها .

ثانيا : اذا كنا نطالب اعلاميينا بالتخلص من عقلية ـ أو عقدة ـ الوصاية ، فان ذلك لابد وأن يرتبط بدعوة نوجهها الى مسئولينا الحكوميين للتحرر من "خصلة" حجب المعلومات التى اعتادوا عليها واستساغوها . ذلك أن حجب المعلومات ينطوى على امر خطير هو حرمان الراى العام من حق طبيعى من حقوقه ، فضلا عما يثيره من شبهات احتقار هذا الراى العام والاستهانة به ، ومن ناحية أخرى ، فكيف يمكن أن يطلب المسئول من الراى العام ان يقبل وجهة نظر معينة فى موقف معين ، اذا كان يتجاهله طول الوقت ولا يتذكره الا عندما يحتاج اليه لتاييد قضية بعينها أو مساندة موقف بالذات ؟!

● الفجوة التكنولوجية

ثالثا : يجب أن يوجه الاهتمام للعمل ، بسرعة وجدية ، على تدارك التخلف التكنولوجى الذى تعانى منه وسائل اعلامنا ومحاولة سد الفجوة الهائلة التى نجمت عن هذا التخلف .. حتى ولو اتخذ هذا الجهد صورة "مشروع قومى" تعبا من اجله كل الامكانيات التى يمكن توفيرها . صحيح ان بعض دورنا قد استطاعت توفير بعض أجهزة الطباعة الحديثة أو التجهيزات المتطورة الاخرى ، ولكننى اتحدث هنا فى "نقلة" كاملة فى وسائل الاتصال وأدوات الانتاج التى تعتمد عليها الصحف ووسائل الاعلام الاخرى فى تلقى الأحداث العالمية وبلورتها ومن ثم عرضها بسرعة ودقة وكفاءة .

وربما اشير ـ على سبيل المثال فقط ـ الى انه فى الوقت الذى تعانى فيه وكالة أنبائنا القومية (وكالة أنباء الشرق الأوسط) من الاعتماد على

رسالة واشنطن

أجهزة "تليبرنتر" عتيقة ، ارهقها الاستعمال اليومى المتواصل منذ سنة ١٩٧٥ ، فاننى لا اتمالك الا ان ارقب بشعور من الحسد هذه الأجهزة "الكمبيوترية" الحديثة التى تزود بها وكالات الانباء العالمية مشتركيها فى الولايات المتحدة .. وهى توفرها لهم .. بسبب المنافسة الشديدة .. لقاء اشتراكات تعتبر زهيدة للغاية . كذلك فقد تملكنى هذا الشعور بالحسد ، الممزوج بالانبهار ، عندما طاف بى زملاء المهنة الأمريكيون فى احدى وكالات الانباء مكتبهم فى واشنطن (المركز الرئيسى للوكالة فى نيويورك) وشاهدت الاستعدادات التى تتخذ لتركيب أجهزة مذهلة فى حداثتها .. لفت نظرى منها على وجه الخصوص جهاز يعمل بواسطة "الكمبيوتر" لفرز الوان الصور وارسالها الى المشتركين فى ربع الزمن الذى كانت هذه العملية تستغرقه من قبل . كذلك طالما كان على ان اقاوم احساسا داخليا بالاحباط ، كلما جاورت الصحفيين الأمريكيين – أو الاوروبيين او اليابانيين – فى مؤتمر صحفى ، فاذا به يخرج حقيبته الصغيرة الأنيقة .. وهى عبارة عن شاشة كمبيوتر مثبتة فى غطاء الحقيبة ولوحة مفاتيح كالالة الكاتبة .. ثم يشرع فى اعداد مادته الصحفية ومراجعتها وتصحيحها وهو لا يبرح مقعده ، بينما انا لا ازال "اخربش" بالقلم – كالكاتب المصرى الجالس القرفصاء – على ورقة بين يدى !!

إن علم الاتصالات يحقق قفزات مذهلة ، ووسائل الاعلام ، أو ما يسمى بوسائل الاتصال بالجماهير .. أو "الميديا" – هى اكثر من يستفيد من هذا التقدم الهائل الذى يتحقق كل عام ، بل كل يوم ، ولاشك ان سبل المتابعة فى هذا المجال مفتوحة أمام الجميع .. وهناك مؤتمرات دولية تعقد وتجمع بين علماء الاتصالات ورجال الاعلام ، ولكن حضورنا فيها كان دائما شحيحا للغاية .. ناهيك عن تفكيرنا فى ملاحقة هذا التطور والاستفادة منه ، وبطبيعة الحال ، فان ذلك يتطلب انفاق أموال .. ولكن هل فكرنا فى اعادة ترتيب اولوياتنا ، بصورة جادة وواقعية ، عندما نضع ميزانياتنا ، ونحدد اوجه انفاقها ؟

● أجيال الاعلاميين الجدد

رابعا : ان قضية "المستوى المهنى للاعلاميين الجدد" يجب أن تحظى باكبر قدر من اهتمامنا وجهودنا ، ولا استطيع ان اخفى ان ما اراه فى مستوى أجيالنا الجديدة من الاعلاميين لا يبشر ، فى احسن الأحوال ، بالارتفاع الذى نرجوه بمستوى الأداء لمهنة الاعلام فى مجملها ، وهذه قضية اعتقد

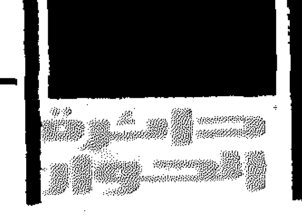


الكمبيوتر الحديث يمد وكالات الانباء بما تريد من معلومات

أن نقابة الصحفيين ينبغي ان تتصدى لها بكل جدية ، وباسلوب فعال وخلاق وعملي ، يتجاوز برامج التدريب الشكلية والمفرقة فيما يشبه "الروتين" الحكومي .

ويجب أن نعترف أن هناك حالة من الفوضى تسود حقل الاعلام ، ومهنة الصحافة على وجه التحديد ، حيث تختفي هموم المهنة وطموحاتها وراء هموم الحياة ومتطلباتها ، وحيث لا يتوفر المناخ الذى يشجع الشباب على الارتفاع بمستواهم المهنى الذى يفي بمتطلبات الارتقاء بالاعلام كمهنة وتحسين ادائه وفرض احترامه وتحقيق ما نامله له من تاثير وفاعلية ، ولست اريد ان ابدو متشائما او يائسا ، ولكننى اعترف باننى لا اجد سببا للتفاؤل عندما استعرض مستوى اجيالنا الجديدة والطالعة من الاعلاميين الذين يبدو لى وكانهم فقدوا الرغبة - والأمل - فى ان يكون لهم دور فى الارتقاء المأمول بمستوى عملهم ومهنتهم .

وبعد ، أليست هذه كلها قضايا جديرة بالبحث والمناقشة ، والتفتيش عن حلول جدية وعملية ، حتى لا يزداد اعلامنا انغلاقا وتخلفا فى هذا "العصر الجديد" الذى أصبح الاعلام سمة من اهم سماته وسلاحا من اهم اسلحة التقدم فيه ؟!



إعادة كتابة التاريخ

بقلم: د. محمد عمارة

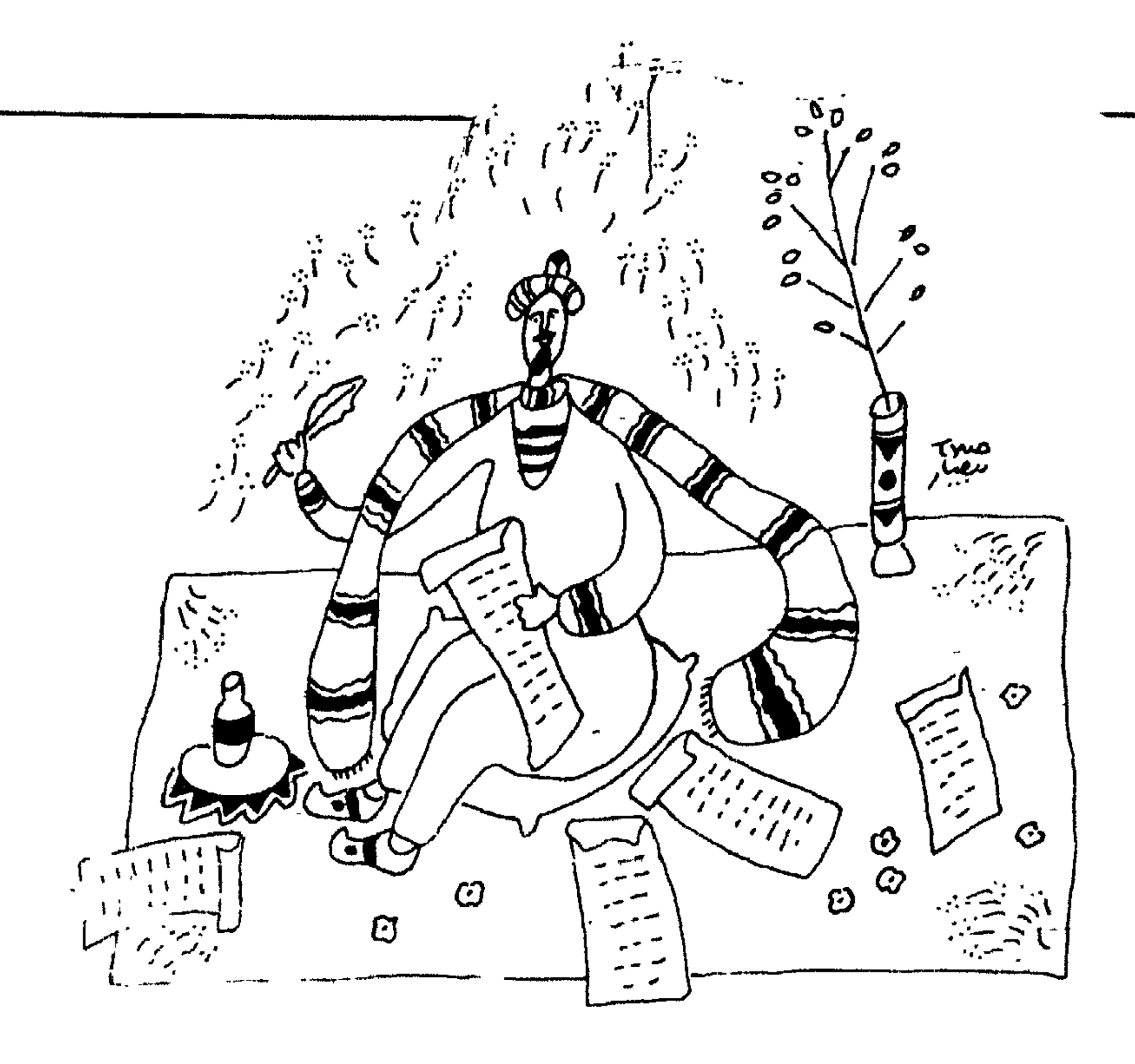
من القضايا الفكرية المطروحة على العقل العربي والمسلم ، والتي يدور من حولها الجدل ويحتدم الخلاف . قضية : إعادة كتابة التاريخ العربي والاسلامي .. مدى الحاجة الى إعادة كتابته ؟ .. وكيف يتم ذلك ؟ .. وبأى منهج ؟ .. وبواسطة من ؟؟ .. ـ إذا كانت ـ بالطبع ـ هناك ضرورة الى إعادة كتابته .. وإذا كان لنا ـ في هذا الحيز المحدود أن نشير ـ مجرد إشارات ـ إلى افكار رئيسية قد تسهم في وضوح الرؤية لاتجاه الاجابة على تساؤلات هذه القضية .. فإننا نقدم هذه الاشارات في عدد من النقاط ..

● اولاها : اننا لا نستطيع قبول المقولة الخاطئة والخطرة التى تشكك امتنا فى تاريخها ، بالقول إن هذا التاريخ قد "كتب خطأ" ! وان به من "الزيف" مايدعو الى عدم الثقة فيه ؟! ..

نحن لانستطيع قبول هذا الحكم ، لما فيه من "الجور الصارخ" ومن "التعميم" المخل بكل قواعد منطق التفكير السليم ! ..

لكننا ، بدلا من ذلك ، نفضل النظرة الشاملة والجامعة الى مميزات مصادر التاريخ العربى والاسلامى والتقييم الموضوعى لهذه المصادر ، بنظرة نقدية واعية وموضوعية ، لا تشكك فى "تراثنا التاريخى" وفى ذات الوقت لاتضفى عليه "القدسية" التى تحصنه ضد إعادة النظر والتقييم ..

لقد بدأت « حركة الرواية » التاريخية فى حضارتنا العربية الاسلامية منذ النصف الثانى للقرن الهجرى الأول ، وتكونت فى "جيل التابعين" أول "مدرسة للرواية" ، من حول الامام الثقة الحسن البصرى (٢١ ـ ١١٠ هـ ٦٤٢ ـ ٧٢٨م) .. واعلام هذه المدرسة هم الذين نرى اسماءهم ورواياتهم فى مصادرنا



التاريخية الأولى .. من مثل تاريخ محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠ هـ ٨٣٩ - ٩٢٣م) ومن عاصره، وتلاه ..

ولقد غلب على اعلام هذه المدرسة الانتماء الفكرى لتيار "اهل العدل والتوحيد"، وهو "تيار العقلانية الاسلامية" الأولى .. وهذه الحقيقة تكسب روايات هؤلاء الاعلام رواد الرواية التاريخية فى حضارتنا ميزة كبرى وتضفى قدرا كبيرا من الثقة على ماروروا من وقائع كونت الصفحات الأولى من تاريخ أمة وحضارة الاسلام .

لكن تراثنا التاريخى الذى ضم روايات هؤلاء الرواة الثقاة، قد ضم الى جوارها روايات رواة آخرين، لم يرفعوا من شأن العقل، ولم يتخذوه اداة لتمحيص الروايات ونقدها ..

كذلك .. سادت فى مناهج اغلب الرواة القدماء لوقائع تاريخنا المناهج التى تجمع وتثبت كل الروايات المختلفة، وحتى المتناقضة، عن الحدث الواحد دون نقد أو موازنة أو ترجيح، اكتفاء بتوثيق سند كل



رواية .. فكأن هذه المناهج تكتفى بجمع المادة الخام ، دون الفرز والنقد والتمحيص لما تحتويه ! ..

ومن هنا .. يأتى دور "إعادة كتابة التاريخ" .. فهى تنطلق من "الوعى" الذى يمحص وينقد ويقارن بين الروايات فى ضوء منطق القرآن الكريم ، والبيان العملى الذى مثلته السنة النبوية لآياته فى الواقع الاسلامى ، والممارسات الاسلامية التى كانت التجسيد الواقعى لعلاقة الدين بالدنيا فى دولة الاسلام وحضارة المسلمين .. وفى ضوء الابداع الاسلامى فى سائر العلوم والفنون الأخرى ..

من هذه "النقطة" تبدأ عملية إعادة كتابة التاريخ بإعمال "الوعى" فى النقد والموازنة والتمحيص "لوقائع" هذا التاريخ .

● تدوين التاريخ

لقد بدأ تدوين تاريخنا العربى والاسلامى على النمط الذى بدأ به جمع الحديث النبوى الشريف وتدوينه .. وأصابت هذا الفن سلبية الاهتمام "بالرواية" أكثر من الاهتمام "بالدراية" التى تحكم العقل فى نقد "المتن" من خلال المقارنة مع المصادر الأخرى ، مستفيدة من مقارنة الروايات .. وإذا كان "علم الرواية" هو من مفاخر تاريخنا فإن الاهتمام "بالدراية" هى الاضافة التى تقدمها مهمة "إعادة الكتابة" الى هذا التاريخ .. وتلك هى مهمة المؤرخين المعاصرين ..

وسلبية أخرى من سلبيات مصادرنا التاريخية الأصلية ، هى : تركيزها على "الغزوات" و "الحروب" و "صراعات السلطة" وإهمالها ـ من ثم ـ للسمات الحضارية التى صنعها الاسلام والمسلمون فى المحيط العربى والاسلامى .. وفى تقديرى أن السبب فى ذلك راجع الى أن رواية التاريخ وتدوينه ، قد بدأت فى صورة محاولة لتقييم أحداث الصراع على السلطة منذ أواخر عهد الخلافة الراشدة ، متخذة شكل تقديم المادة لحركة الاجتهاد فى الحكم على أطراف هذا الصراع ..

لقد كانت الحقبة التاريخية التى أثارت الاهتمام برواية التاريخ وتدوينه حقبة "ثورات" و "حروب" .. وكانت الثورات تسمى "الفتن" والحروب تسمى "الدماء" فبدأ تاريخنا ـ بعد السيرة النبوية ـ بالتركيز عليهما ـ على الثورات والحروب وصراعات السلطة ـ حتى لقد كان من أوصاف الحسن

البصرى - وهو أمام مدرسة الرواة لتاريخنا - أنه "عالم فى الفتن والدماء" ؟! ..

لكن النظرة الموضوعية تدعونا للحذر من "التعميم" .. فلدينا تراث غنى فى فن (الخطط) ، التى أرخت للمجتمع والأمة وللأماكن ، ورصدت التاريخ الاجتماعى فى حركته رصدا دقيقا .. ولدينا المصادر التراثية التى أرخت للفكر ومدارسه وتياراته ، وللفرق والملل والنحل .. ولدينا المصادر التى أرخت للعلماء والاعلام فى كتب الطبقات .. كذلك ، فإن لدينا كتاب الله - القرآن الكريم - وهو كتاب العرب الأول ، الذى خرجت من بين دفتيه أمة الاسلام وحضارة المسلمين - وكتب الحديث النبوى .. ثم الشعر العربى .. والفنون .. والآثار ...

كل هذه المصادر هى مصادر للتاريخ العربى والاسلامى .. ومهمة المؤرخ الحديث ، عندما يعيد كتابة هذا التاريخ ، هى إخراجه من دائرة "السلطة" والصراع على "الخلافة" و"الامارة" ، الى دائرة الأمة والحضارة ليهتم ، الى جانب غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، بالدولة التى اقامها .. وحتى لايقف عند الفتوحات العسكرية وانما يعنى بفكر البلاد التى فتحت ، وبتفاعل هذا الميراث الفكرى مع الاسلام ، وبالمولود الحضارى الجديد الذى تخلق من هذا المزيج ..

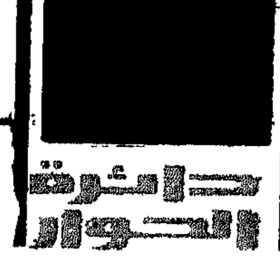
تلك واحدة من نقاط التصور حول إعادة كتابة التاريخ ..

وثانيتها : الوعى بسلبيات الموروث ، لا لمجرد نقدها وإنما - أيضا - حتى لاتتكرر فى المولود الجديد !..

● فالمنهج الاجتماعى الذى لابد منه فى قراءة "الوثائق" وتحليل "الأحداث" فى ضوء "الواقع" و "الملابسات" .. هذا المنهج يجب أن يسود كل الجهود التى تسهم فى هذا المشروع .

وهذا المنهج ليس غريبا عنا ، ولا هو بالمستورد .. فلدينا فى تراثنا القديم علم من علوم القرآن إسمه « أسباب النزول » يجمع أخبار الواقع والملابسات التى استدعت نزول آيات القرآن الكريم ، والتى بدونها لن يستطيع مفسر تفسير هذه الآيات .. فيرسم لنا فلسفة إسلامية متميزة فى علاقة الفكر بالواقع ، ومنهجا اجتماعيا متميزا فى قراءة النصوص وفى الوعى بحقائق مضامين هذه النصوص ! ..

● ودور الحكومات العربية والاسلامية فى هذا المشروع لاعادة كتابة التاريخ يجب أن يقف عند حدود التمويل غير المباشر اى عبر المؤسسات والمنظمات الثقافية



والفكرية ، والعربية والاسلامية ، وعند حدود "تيسير الوثائق" دون تدخل فى "تلوين" و "صباغة" هذا التاريخ ! .. ومثل الحكومات فى ذلك "القيادات الطائفية" التى تقدس وقائع التاريخ الخاصة بطائفتها ، ولاتستخدم النظرة النقدية فى تحليل الموروث التاريخى ، ولا المنهج التاريخى فى التحرر من قيود باد صانعوها ، بينما ظلت قابضة على عقول الأحياء المعاصرين ؟! ..

"وجمعيات التاريخ والمؤرخين" العربية والاسلامية .. وكذلك المشتغلون بتاريخ الفكر والمجتمع والآداب والفنون ، يجب أن يجمعهم ـ أو يجمع صفوتهم ـ العمل فى هذا المشروع ، الذى يجب أن يتحول الى إطار يحقق تفاعل مدارسنا المتميزة فى النظر للتاريخ .. كما أن للمنظمات العربية والاسلامية المعنية بالثقافة والعلوم دورا متميزا فى قيادة التخطيط والتنفيذ لهذا المشروع ، مع المجامع العلمية على اختلاف ميادين تخصصاتها ..

● ثم .. أن ثمرة هذا العمل ، أى الأسفار والمجلدات التى ستكتب فى التأريخ لامتنا وحضارتنا ، يجب الا تتعدى النظرة اليها حدود ومكانة "المشروع المرشد" لا "المشروع الملزم" ؟! .. فإعادة كتابة التاريخ ، مهما كانت صورتها ، ومهما كان حظ مشروعها وثمراته من الدقة والاحاطة ، يجب الا تكون سبيلا لادعاء "إغلاق باب الاجتهاد فى التاريخ" ؟! .. وإلا كانت كارثة جديدة تضاف الى كوارثنا القديمة فى هذا الميدان ! ..

● مواصلة الاجتهاد

إننا نريدها فتحا لباب الاجتهاد فى التاريخ ، تقدم نموذجا يحفز العقل على مواصلة الاجتهاد فيه .. ولانريدها مصادرة لاجتهاد العقل العربى والمسلم فى هذا الميدان ..

تلك هى النقطة الثانية ..

وثالثتها : خاصة بمناهج الاستشراق وجهود المستشرقين فى ميدان تاريخنا العربى والاسلامى ..

لقد كانت أغلب جهود المستشرقين فى هذا الميدان ، ومعظم اهتماماتهم موجهة الى "تاريخ الفكر" فى حضارتنا ، وليس الى "التاريخ" بالمعنى الاصطلاحى لهذا المصطلح .. ولقد شابت الكثير من جهودهم "التاريخية" تلك الشوائب التى ميزت قطاعا كبيرا من أعمالهم .. فجرأتهم فى النظر والتناول كانت ميزة .. لكنها عندما "عممت" فتناولت "مقدساتنا" بلا "قدسية" كانت سموما وسهاما

موجهة الى عقيدة الأمة ، تشيع التحلل ، وتوهن من روابط الاعتقاد الديني !..

والأضواء التي سلطوهـا على حركات المعارضة .. وعلى الثورات .. وعلى المـذاهب الشـاذة .. وعلى بصمات الفكر الوافد على ساحتنا الفكرية .. قد أنصفت قطاعات أصابها الظلم في كتابة مؤرخينا لتاريخنا .. لكن المستشرقين - بوعي وعمد - قد بالغوا في حجم هـذه الحركـات والمذاهب والتأثيـرات ، حتى لقد اهتزت صورة وحدة الأمة وحضارتها ، وصورة أصالة وتميز هذه الحضارة وكان هذا هو الهدف الخبيث الذي رام بلوغه خبثاء المستشرقين ؟!

وهم قد نظروا لتطورنا وتاريخنا بمنظار "الحضارة الغربية" حضارتهم هم - وما كانوا ليستطيعوا الفكاك من أسر هذه النظرة ؟! - فأرخوا لنا "كهامش" لأوربا والغرب واليونان ، الذي رأوه مركز الكون والحضارة والتاريخ ! .. ولقد كانت "الرسالة : الكاذبة .. والخطرة" لهذا التوجه ، تريد أن ترسب في عقولنا : أن الغرب هو - أيضا - مركز العصر ، كما كان مركز التاريخ .. فالتبعية له قانون يحكم الحـاضر والمستقبـل ، كما حكم الماضي ؟!

وإذا كان الوقوع في هذه الأخطاء مفهوما من المستشـرقين ، أبناء الحضـارة الغـربيـة الاستعـلائيـة العدوانية ، ذات الروح العنصرية ، والطابع المادي .. فإن غير "المفهوم" هو أن ينهج البعض منا هذا المنهج الاستشراقي ، ويسير في هذا الطريق وهو يدعي أنه يعيد كتابة التاريخ .. ؟!

فعلينا ، ونحن نسعى لاعادة كتابة تاريخنا ، أن نحدد : من نحن ؟ .. وماهي هويتنا؟ .. وماهي عـلاقتنا بـالحضارات الأخـرى - وخـاصـة الحضارة الغربيـة - التي فرضت وتفرض علينا الكثير من التحديات . ؟!

فالمسلمون أمة واحدة ، تضم قوميات متعددة .. والاسلام هو الرسالة الخالدة لهذه الأمة الواحدة .. وحضارتنا حضارة متميزة ، لم تنغلق على نفسها ولم تكتف بذاتها ، وإنما تفاعلت مع كل الحضارات فيما هو مشترك إنساني عام ، دون أن تفرط في تميزها بالسمات والقسمات التي هي خصوصيات حضارية للاسلام .. لقد رفضت "الانغلاق" على الذات رفضها "للتبعيـة" للآخـر و "الذوبـان" فيه !! ..

وإن إعادة كتابة تاريخ أمتنا وحضارتنا يجب أن يكون جهدا مبدعا يسهم في تنمية وعي الأمة باستقلالها الحضاري الذي هو الجوهر الحقيقي للاستقلال ! .



يوفال نعمان ..
وزير الطاقة فى إسرائيل
نظرة على الخطر !

بقلم : عمرو كمال حموده

والنخبة الحاكمة في اسرائيل اصبحت مفتوحة امام نوعية مختلفة من الكوادر تقترن لديها المقدرة العلمية والفنية بالمقدرة السياسية ، وذلك من خلال اطار استراتيجي هدفه اعداد وتجهيز الدولة العبرية لمواجهة قضايا القرن القادم ، وكلها موضوعات فنية معقدة في مجالات التصنيع والخدمات والتكنولوجيا والدفاع القومي ، مما يحتاج الى عقليات نشطة وخلاقة تستطيع المزاوجة مابين البحث العلمي وتطبيقاته .

والدكتور يوفال نعمان يكاد يكون اوفى نموذج لما نتحدث عنه ، فلقد تربى في المؤسسة العلمية وخضع للمؤسسة العسكرية وتبلور فكره على العقيدة الصهيونية في اكثر اتجاهاتها يمينية وهي رؤى جابوتنسكي .

ولقد ولد في فلسطين المحتلة من والدين من الاشكنازيم الذين اتوا من بولندا وروسيا وتشيكوسلوفاكيا ، وينفردون بمراكز المسئولية في كل قطاعات الحياة في اسرائيل .

ويشعر الاشكناز بالتميز عن اليهود الشرقيين ، ويرون انهم رسل الحضارة الغربية في الشرق الأوسط ، وهي الحضارة الأرقى والأرفع في المكانة ، وهم يتفوقون على العرب في كل شيء ، لان العرب جنس اقل في الذكاء والخلق والسلوك ، ومن هنا الاهتمام بمسالة « الكيف » على « الكم » ولقد انطبع ذلك على يوفال نعمان طوال فترة عضويته بالكنيست ، فكان شديد التطرف بالنسبة للتعامل مع الفلسطينيين الذين يعيشون في الضفة والقطاع ، ومتعسفا في المناداة بضرورة التوسع في انشاء المستوطنات وطرد العرب خارج فلسطين ، بل انه رفض معاهدة السلام مع مصر واعتبرها مجحفة بالامن الأسرائيلي كذلك رفض الاتفاقية اللبنانية رغم شروطها التي تضمن الأمن الاسرائيلي وترتب قضايا الحدود

ليس من السهل المرور ببساطة على تعيين الدكتور يوفال نعمان اخيرا وزيرا للطاقة في اسرائيل ، لأن سجل شخصيته وتكوينه المهني وفكره السياسي ، يفرض علينا متابعة هذا المتغير ودراسة مؤثراته على الصراع العربي الاسرائيلي من ناحية ، وعلى العلاقات الاسرائيلية / المصرية في مجال البترول من ناحية اخرى .

ولفت الانظار للدور الذي ستلعبه هذه الشخصية ينفي القصور عن متابعة التطورات التي تطرأ على تكوين النخبة الحاكمة في اسرائيل ، فنحن لانعرف في اغلب الاحيان من ابتعد عن السلطة ، ومن الذي جاء ، وماهي خلفياته ومفاهيمه واتجاهاته ، في حين ان مجرد تغيير شيخ مشايخ الطرق الصوفية عندنا ، يعتبر حدثا له دلالته لدى الصحافة الاسرائيلية ، ويخضع لتحليل دقيق لمعرفة اثاره .



شامير



موشي ديان



مناحم بيجن

والحزام الأمني ولانه من الجيل الذي ولد في فلسطين فلقد تربى داخل الكيبوتزات والموشاف واكتسب صفات هامة انعكست هي الأخرى على رأيه مما دعم شعور الاختلاف عن الاخرين ، فعضو الكيبوتز او الموشاف يتصور انه يعايش تجربة شخصية واجتماعية فريدة ستكون لها اشعاعها على مستقبل العقيدة الصهيونية من ناحية وعلى الكيان الصهيوني في اسرائيل من ناحية اخرى ، بالاضافة الى ان التجربة تعطيه احساسا بان « الأمان » لايوجد الا داخل التجربة ولاثقة في الاغيار اى العرب او اى طرف اخر ، ولامفر من الاعتماد على النفس في كل شيء وحتى النهاية ، ولقد انعكست هذه الافكار على سلوك يوفال نعمان طوال حياته كما سنرى .

● لقد التقطه موشي ديان ، من الجامعة نتيجة تفوقه في دراسة الفيزياء والرياضيات وارسله الى لندن كملحق عسكري للسفارة الاسرائيلية ، على ان يدرس في نفس الوقت للحصول على الدرجة العلمية من "الكلية البريطانية الامبريالية للعلوم" ، ثم انتقل يوفال نعمان الى الولايات



المتحدة للحصول على الدكتوراة فى الفيزياء ، وليتمكن من الاتصال المكثف بالمراكز العلمية والصناعية والعسكرية الأمريكية ، وذلك بحكم وظيفته فى الملحقية العسكرية للسفارة الاسرائيلية بواشنطن .

وعقب عودته الى تل ابيب فى النصف الثانى من حقبة الخمسينيات قام موشى ديان بتعيينه رئيسا لجهاز « أمان » (المخابرات العسكرية الاسرائيلية) وكان بذلك اول عالم يتولى هذا المنصب الهام داخل المؤسسة العسكرية وكانت وجهة نظر « ديان » فى الأمر ، أن هذا الجهاز يحتاج الى تطوير علمي وادخال للنظم الحديثة على عمله فى مجال المعلومات ، كذلك مسئولية تركيب وتشغيل أول حاسب آلى وتدريب الكوادر العسكرية عليه .

وحرص الدكتور يوفال اثناء فترة عمله ، على قضاء فترة من الوقت فى فرنسا لتلقى دورة متخصصة فى الاستراتيجية العليا فى كلية الحرب ، لربط المعلومات التى تتدفق عليه كرئيس للمخابرات العسكرية مع احدث النظريات الاستراتيجية لادارة الحرب والأزمات .

● وبعد انتهاء مهمته فى تحديث جهاز « أمان » انتقل الى رئاسة الفرع الصناعى للجنة الطاقة الذرية حيث اشرف على ابحاث معمل « ناحال سوريك » وتطوير مفاعل « ديمونا » الشهير لانتاج قنبلة نووية تكتيكية .. ثم انخرط عقب ذلك فى الحياة السياسية كعضو نشط فى الكنيست .

واختاره مناحم بيجن وزيرا للعلوم عام ١٩٨٣ حيث كان على اتصال وثيق بوزير الدفاع موشى اريتز لاعطاء دفعة قوية للجهود العلمية والتطبيقية لتنمية الصناعة العسكرية فى اسرائيل .

وفى الأعوام الأخيرة تولى الإشراف على وكالة الابحاث الفضائية فى تعاون مع الوكالة الأمريكية للفضاء « ناسا » وذلك من خلال البرنامج المشترك والمعقد لتبادل المعلومات عن منطقة الشرق الأوسط ، ووفقا لاتفاقية التعاون الاستراتيجى والمشاركة الاسرائيلية فى برنامج « حرب الكواكب » .

● وللأهمية الخاصة التى توليها النخبة الحاكمة فى اسرائيل للبرنامج الواسع لاستراتيجية الطاقة فى التسعينيات ومابعدها ، تم اختيار د . يوفال نعمان منذ اشهر قليلة لتولى مهام وزارة الطاقة .. ومن المهم القاء الضوء على دوره المرتقب فى هذا المجال الحيوى .

● أولا : بالنسبة للطاقة النووية

ستكون المهمة الاساسية هى دفع البرنامج الاسرائيلى لاقامة ٣ الى ٤ محطات كهرباء تعمل بالطاقة النووية ، تنتج كل منها ١٠٠ ميجاوات تغطى ٣٠٪ من احتياجات اسرائيل من الكهرباء ، على ان يبدا بناء هذه

المحطات عام ١٩٩٢ لتبدأ عملها قبيل انتهاء القرن الحالى ، ولقد اختيرت المواقع التالية : النقب والجليل وحالوتسا فى جنوب غرب بئر سبع وقطاع الباشور ، كما ان هناك دراسة بديلة لاقامة المفاعلات الذرية تحت الأرض .

وسيتولى يوفال نعمان المباحثات مع الدول الغربية ، غالبا الولايات المتحدة وفرنسا وكندا وبلجيكا لتوريد المفاعلات المطلوبة وتشغيلها .

والهدف الثانى هو ربط المفاعلات النووية بعملية التوسع فى « تحلية المياه » لزراعة النقب بالذات .

ومن المهام المطروحة رعاية الاكتشافات الاسرائيلية من اليورانيوم والتى اعلن عنها عام ١٩٨٦ ، وهو برنامج طموح تكتنفه السرية الكاملة حتى الان ، وهو خاضع لاشراف معهد سوريك للابحاث النووية .

● ثانيا : بالنسبة للعلاقات البترولية مع مصر

لقد أفصح الدكتور يوفال نعمان عند استلامه لمهام منصبه الجديد ، عن رأيه فى ان الوقت قد حان بعد مرور اكثر من عشر سنوات على اتفاقية السلام مع مصر ، ووجود علاقات بترولية جيدة ، حان الوقت لمراجعة شروط التعامل ، لان اسرائيل على حد قوله تاخذ مليونى طن من النفط المصرى ، اى مايعادل ربع الانتاج القابل للتصدير ، وتبيعه مصر بشروطها وبالاسعار المريحة لها ، ولذلك فهو يتصور ان الدخول فى مفاوضات جادة مع مصر من شانه « تليين » الموقف المصرى بالنسبة لعملية التسعير بحيث تحصل اسرائيل على اسعار خاصة .

والقضية الثانية ان يوفال نعمان يتبنى الاتجاه الخاص بضرورة حصول اسرائيل على الكميات التى ترغبها من المازوت المصرى عالى الجودة المنخفض الكبريت لاحتياجات محطات الكهرباء الاسرائيلية وذلك عن طريق عقود طويلة الاجل سنويا ، مما يتنافى مع استراتيجية هيئة البترول المصرية التى تعمد الى بيع منتجاتها البترولية فى مزايدات شهرية للحصول على افضل الشروط والاسعار طبقا لحالة السوق .

والقضية الثالثة انه يرى ضرورة حصول مصر مباشرة ودون وسطاء على السولار الاسرائيلى التى تستورد منه مصر كميات كبيرة من السوق العالمية ، ذلك لان مصافى حيفا واشرور تنتج كميات تطرحها للتصدير ، وترغب فى السيطرة على السوق المصرية لاتساعها من ناحية ولرخص تكلفة النقل من ناحية اخرى .

هذا المخطط المتعدد الاتجاهات له "خلفية سياسية" ربما لاتكون واضحة امام الدوائر البترولية فى مصر ، وهو مالفت النظر اليه لان استراتيجية الوزير الاسرائيلى تحمل طابعا هجوميا واستفزازيا الى حد كبير لدرجة ان بعض اعضاء الكنيست من حزب العمل قد هاجموا نظرته للعلاقات البترولية مع مصر ، وكان من رأيهم ان اى عبث فى هذه العلاقات قد يضر بموقف اسرائيل اكثر مما يفيدها .

الشخصية المصرية
فى الفنون التشكيلية

بقلم: د. صبرى منصور

تلك قضية اثيرت منذ سنوات ، وطال الجدل فيها ، وتعددت الآراء حولها . وظن الكثيرون انه من السهل الوصول الى صيغة محددة لملامح هذه الشخصية ، حين تفرض نفسها على الفن المصرى فتصبغه بصبغة محلية تميزه اينما كان . ومن المثير حقا ان بعض المنادين بذلك والداعين اليه على المستوى النظرى ، قد اخفقوا حين ترجموا نظرياتهم الى أعمال ابداعية ، واوضح نموذج على ذلك التناقض الفنان حامد سعيد ، صاحب المدرسة الفنية الشهيرة ومن اكبر الداعين لنظرية التجديد على هدى القديم ، فعمله الابداعى لم يرق الى قوة نظريته وعمقها ، مما يبرهن على ان تحقيق الشخصية المصرية ليس عملا بسيطا يسهل ابرازه وتجسيده بواسطة نسب محددة او وصفات معينة .

● وفى اعتقادنا ان تكوين هذه الشخصية وانماءها انما يتم على مهل وببطء .. فكما يدلنا تاريخ الفن فان ظهور المدارس والاتجاهات انما يأتى بالتدريج وخلال مراحل تاريخية طويلة . ولانظن ان عمر حركتنا الفنية - وقد بدأت فى مطالع هذا القرن - يسمح بتبلور طراز فنى ينم عن شخصيتنا ويبرزها لكى يكون تيارا مستقلا يضاف الى رصيد الابداع العالمى ، ومع ذلك فمن يتابع هذه الفترة التاريخية من عمر حركتنا الفنية يستطيع ان يرى بعض الملامح لاتجاه مصرى وليد ، وقد تزيد هذه الملامح هنا او تنقص هناك ، وقد تختفى فترة لتطل من جديد فى فترة اخرى .

جميلات اسكندرية ..
للفنان محمود سعيد



الشخصية المصرية

● استعادة الوعى

ان اعادة طرح هذا الموضوع لكى يكون تذكرة ومثار تفكير وتدبر ليكتسب اهمية بالغة ، وخاصة فى تلك الفترات التى تظهر فيها موجات تسعى لطمس معالم الشخصية المصرية كتلك الفترة التى نحياها اليوم ، وايضا لكى لايترك التطور التاريخى ياخذ مجراه المتمهل الخطى بل يعجل بالنمو عن طريق الكشف عما التبس امره من مفاهيم ، وعما تاه عن دائرة الضوء ، وكذلك لاستعادة الوعى بقيمة حيوية تطمح الى تجسيدها مجالات الابداع الفنى عامة حين تكتسب صفة الاصالة والتميز .

ان مجموع صيغ الحياة عند شعب ما ، تلك الصيغ التى تشمل مجالات الدين واللغة والعادات والفنون والعلوم هى التى تكون حضارته ، وبالتالى فانها تحدد له شخصيته المتميزة عن بقية الشعوب ، وهى التى تخلق عنده الوعى بان تكون له هذه الشخصية ، وبدون هذا الوعى - اى من غير حضارة متميزة - يفقد الشعب اسباب وجوده وينحل ، والحضارة بهذا المعنى يتوقف عليها وجود الشعوب ، ووظيفة الفن والادب هى التعبير عن هذه الشخصية المميزة ، وما الذى يعبر عنه الانسان اذا لم تعد له من بعد هوية ؟

ومن هذا المنطلق جاء حرص المؤتمر العام لليونسكو فى دورته الحادية والعشرين والتى عقدت فى يوغوسلافيا عام ١٩٨٠ - على أن يقرر فى مبادئه الرائدة بان الفن هو المعبر عن الذات الثقافية والتراث الروحى لمختلف المجتمعات ويحفظهما ويثريهما ، كما يمثل فى نفس الوقت شكلا عالميا من اشكال التعبير والاتصال ، اذ يوجد فى نفس كل انسان شعور بالانتماء الى المجتمع البشرى بوصفه القاسم المشترك الذى يتجاوز الفوارق الدينية واللغوية ، كما اكد المؤتمر فى توصياته على اهمية صون الذات الثقافية التى اصبحت اليوم موضع اعتراف واسع النطاق على كل من الصعيدين الوطنى والدولى .

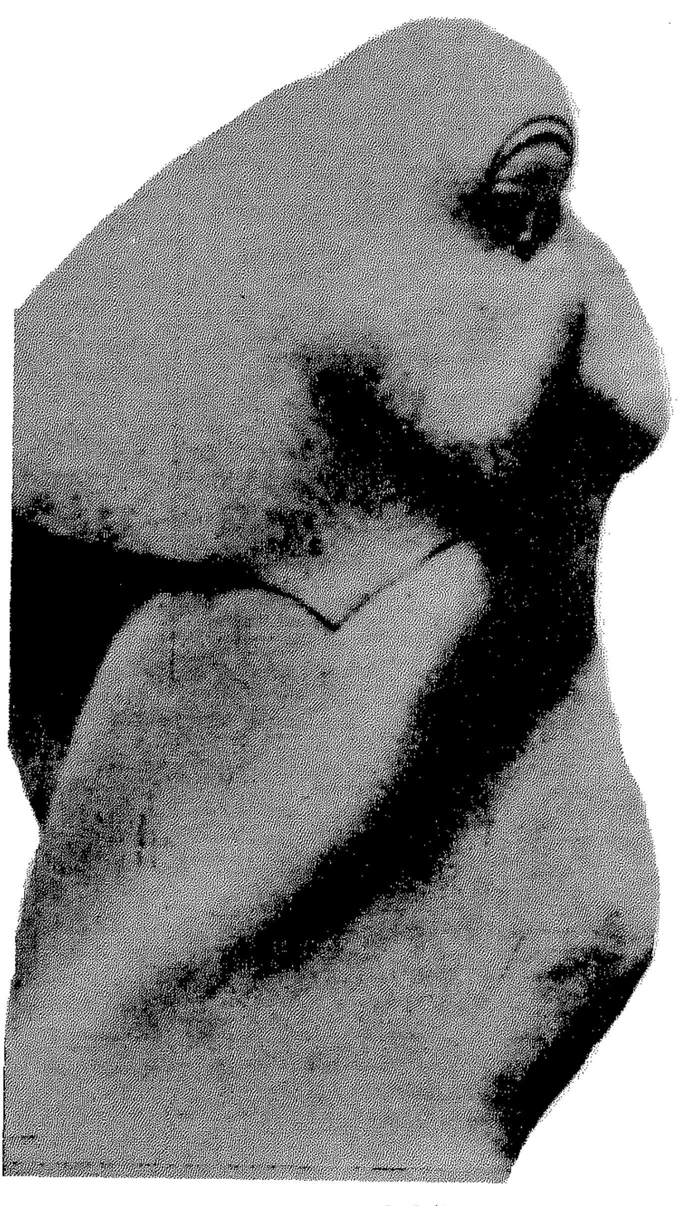
ولاشك ان الحديث عن ايجاد شخصية قومية لبعض المجالات المدنية الاخرى سوف يكون حديثا لامعنى له ، فمن الجهد الضائع العمل فى سبيل طب قومى او هندسة قومية مثلا ، وان كانت ظروف البيئة المحلية قد تفرض فى بعض الأحوال نوعا من التعديلات فى هذه المجالات ، لكنها تظل دائما بمنأى عن المطالبة بالاختلاف والتميز عن مثيلاتها فى المجتمعات الاخرى ، ولقد نشات مواقف فى سياق التاريخ كان على شعب فيها ان ياخذ باسباب حضارة غريبة عليه ، وهو مااتفق على تسميته فى علم الاجتماع بمبدأ التثاقف بين الحضارات ، والذى غالبا مايكون مرتبطا بتبعية سياسية او اقتصادية ، والاكتفاء بالذات غير وارد ابدا فى حياة الشعوب مثلما هو غير وارد فى حياة الافراد ، لكن التبادل الثقافى فى شكله

الصحيح يجب ان يتم بين اقران متساوين ، ففى هذه الحالة لن يؤدى بالضرورة الى ضياع الحضارة القومية او فقدان الهوية .

● حب الفن

وفى العصر الحديث مكنت الثورة الصناعية شعوب اوربا وامريكا الشمالية من احراز تفوق اقتصادى وسياسى كان من شانه ان شعرت الشعوب الأخرى بحاجتها الى نقل ثقافة الغرب ، ومايعقبه هذا النقل من خطر على حضاراتها وفقدان لهويتها ، وفى مصر كان لقاء الحضارة الأوربية ايام الحملة الفرنسية وماصحبته من فنانين وعلماء ، حيث عرفت اسلوبا مختلفا ومغايرا فى الحياة بشكل عام ، وفى طرق الابداع الفنى على وجه الخصوص ، ويحدثنا الجبرتى عن الوجوه المرسومة ، التى تكاد تنطق وانبهار المصريين بدقة تمثيل الواقع عند الفنانين الفرنسيين ثم جاء عصر محمد على الذى اتجه الى ايفاد بعثات لتعلم الفنون فى اوربا ، وعاد اصحابها ليتولوا مهمة التدريس فى المدارس الصناعية ، كما استعان بالفنانين الاجانب فى تصميم المبانى والقصور وعمل الصور والتماثيل الشخصية ، وذلك الى جانب قدوم فنانين اجانب اندمجوا فى المجتمع المصرى وسجلوا المناظر الشعبية والمناطق الاثرية فى اسلوب اكاديمى تسجيلى ، ولقد ادى كل ذلك الى بداية الارتباط ، بالذوق الأوربى ، ثم تاكد هذا الارتباط فى عصر اسماعيل الذى اراد لبلدنا ان تصبح قطعة من اوربا .

وحين اقيمت مدرسة الفنون الجميلة عام ١٩٠٨ قامت على اسس تعليمية اوربية ، ومناهج دراسية ترمى الى تخريج الفنانين القادرين على الرسم الواقعى والتسجيلي والمرتبط بالفن



الخماسين ..
للفنان محمود مختار

الشخصية المصرية

الأوربى ، بل كان اول من قام بالتدريس فيها اساتذة اجانب ، وظل الحال كذلك الى ان تولى مسئولية التدريس اساتذة مصريون بداوا فى توجيه الدارسين الى اهمية الارتباط بالتراث المصرى والاستفادة منه ، والتنبيه بأن النموذج الأوربى ليس هو المثل الوحيد الذى يحتذى ، والتاكيد على اهمية الاستقلالية فى التعبير الفنى .

ونعتقد ان تاريخ الحركة الفنية التشكيلية المصرية المعاصرة، ما هو الا صراع بين الثقافة التشكيلية الوافدة بوضعها الحضارى المتميز ، ووسائل اعلامها المقتدرة، وبين اصالة الفنان المصرى وشعوره بانه يجب ان يكون مختلفا بحكم التاريخ الفنى الزاخر لبلاده .

واذا كنا لانستطيع ان ننكر او نغفل عطاء الفنانين الذين قدموا قدر استطاعتهم اسهاما واضحا فى مجال الاستقلالية الفنية ومحاولة اضفاء الشخصية القومية على اعمالهم ، الا اننا لسنا بصدد الحديث عن نماذج فردية ، وانما نتناول تيارا يجب ان تتضح معالمه وتتاكد ملامحه ، كما نسعى للخلاص من التاثير الفنى الغربى الذى تعددت مظاهره مابين المسايرة الكاملة لاتجاهاته ومدارسه ، وحتى تناول موضوعات بيئية صميمة ، ومفردات ذات نكهة محلية خالصة والباسها رداء الصياغة الفنية السائدة فى الفن الأوربى ، ولقد ظللنا نلهث وراء الاساليب الغربية ، فنبتت فى مصر مدارس موازية لمدارس الفن الأوربى كالتاثرية والسريالية والتجريدية والبصرية ، وان كان ظهورها دائما ياتى متاخرا عن مثيلاتها الأوربية ، ودائما نحن فى الانتظار ، فما ان يتقدم الوجدان الفنى الغربى باتجاه جديد فلا نلبث ان نعتنقه وندق له الطبول وكاننا صانعوه وواضعو فلسفته ونظرياته .

وربما استطاع بعض الفنانين بالفعل تقديم نماذج قادرة على تحقيق المسايرة بما احتوت عليه اعمالهم من حس فنى رقيق ، وفهم لاصول العمل الفنى وتقنيته وتجويده ، لكن هذه الأعمال تظل بعيدة عن تحقيق الشخصية المصرية ، ولاتتصل بها من قريب او من بعيد ، ولاتنتمى ، الى تاريخنا الثقافى او تؤثر فيه .

● تبعية ثقافية وفنية

ومن الغريب ان تلك الاعمال تناولت موضوعات قومية خالصة كطرد الاستعمار او الانتصار على العدوان الثلاثى وقد نفذت باسلوب فنى ينتمى قلبا وقالبا الى فن المستعمرين انفسهم مما يبرهن على ان الاحتلال الاجنبى السافر لأرض بلادنا قد انقلب الى احتلال اشد قسوة ونفوذا وحين اصبح تبعية ثقافية وفنية تلغى قدرتنا على التعبير الفنى المستقل ، وتشل طاقاتنا الابداعية الخلاقة .

ولقد كان لاختلاط الفهم لمعنى عالمية الفن سبب رئيسي فى رأينا

المصباح ..
للفنانة تحية حليم



الشخصية المصرية

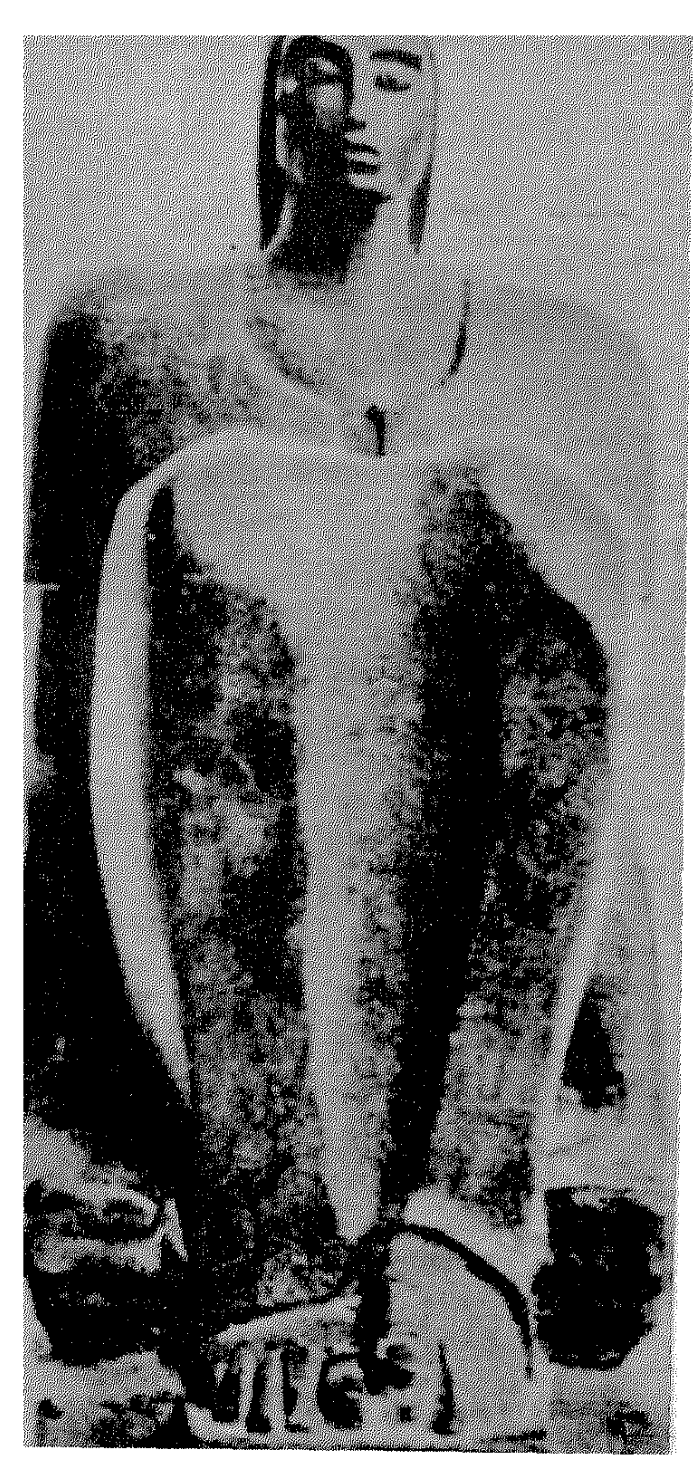
لاستمرار التبعية للفن الأوربى ، ومايضعه لنا من مواصفات نقوم باتباعها ومجاراتها رغبة فى صبغ فنوننا بالصبغة العالمية ، متوهمين بأن ذلك هو السبيل الأمثل للوصول الى العالمية ، ومعتقدين بان لغة الفن هى لغة واحدة يجب ان يتعلمها وأن يتكلمها الجميع ، وقد نسينا ان اكتساب صفة العالمية - وفقا للطرز التى اكتسبت هذه الصفة كطراز المدرسة المكسيكية مثلا - لن يكون الا بمقدار اختلافنا وتميزنا عن اية لغة خفية اخرى ، وبقدرتنا على تقديم اضافة جديدة على طرق التعبير السائدة ، فالاشياء المتشابهة يغنى الواحد منها عن الاخر ، ولا نستطيع ان نتصور وقد صب الجميع فى قوالب متماثلة .

ونعتقد ان الغرب على المستويين السياسى والاقتصادى يهمه ان تظل دول العالم الثالث رهن سيطرته السياسية والاقتصادية والثقافية ، فهو المستفيد طالما ظل فى وضع الصدارة والقيادة ولنلاحظ ان فنانا واحدا من دول العالم الثالث ، رغم طول مدة السير فى ركاب الفن الغربى لم يصل الى مابلغه فنانو الغرب من شهرة وذيوع صيت ، مما يؤكد ان عالمية الفن بالمعنى الذى قدمناه هو مطلب وهمى وسراب خادع .

ومع ذلك فانه يبدو لنا ان قضية التبعية الكاملة للاساليب الفنية الغربية ، فى مصر قد حسمت ، وان الاتجاه الغالب اليوم هو اللجوء الى عناصر محلية وتراثية وصياغتها تبعا للمفاهيم الفنية الغربية ، لكننا يجب ان نشير الى ان ذلك التناقض بين محلية العناصر وبين صياغتها المنتمية لفنون اخرى يسىء الى هذه العناصر ويخرجها من سياقها الصحيح والطبيعى ، ذلك الى جانب ان المهم فى العمل الفنى هو طريقة صياغته ، وانشائه ، اى فى لغته الفنية وتراكيبه الجمالية ، وهذا يقودنا الى اقتراح الطريق الذى يمكن من خلاله تاكيد الشخصية المصرية ، واول ملامح ذلك الطريق ان يتمثل الفنانون التراث المصرى عبر عصوره الطويلة ، فلقد اتيح لبلدنا ان يعيش حضارات كبرى كان نتاجها الفنى خصبا وفريدا ، وخلقت تلك الحضارات تراثا زاخرا يحسن بنا ان نتامله ونعيد اكتشافه لننسج منه خيوطا جديدة ، ونقول باهمية التراث لأن الفنان لاينشأ من فراغ ، وانما لابد له من الاعتماد على تقاليد فنية بعينها ، واذا كانت الفنون التشكيلية فى مصر قد اعتبرت التراث الأوربى منذ عصر النهضة هو تراثها ، واخذت على عاتقها المساهمة فى تجديد ذلك التراث ، فاجدر بها اليوم وقد تجاوزت مرحلة الفطام والاعتماد على الاخرين ، ان تسعى نحو تجديد تراثها الذى سيمهد لها الطريق نحو التميز والاختلاف ، ومن ثم الى الاضافة واثراء الفنون الانسانية ، ولكن محاذير التعامل مع التراث خطيرة يجب التنبه لها ، فليس المطلوب هو التصوير من جديد على اوراق البردى ، او نسخ مفردات ووحدات فنية كان لها فى الماضى صدى ومعنى فقدته بتغير

التاريخ ، وبعد الزمان ، وانما العلاقة بالتراث يجب ان تكون اعمق واشمل ، تصل الى الجوهرى فيه ، وتاخذ منه ، وتختلف عنه ، تبدأ به لكى تضيف اليه ابعادا جديدة هى ابعاد حياتنا المعاصرة ومايمكن ان تعكسه على الفنان من قيم فنية مختلفة ، ومن هنا فان الفنان الذى يسعى الى ان يكون فنه معبرا عن الشخصية المصرية لابد وان يغوص فى اعماق واقعنا اليوم ، فيتامل البيئة من حوله ، ويستنبت من خلال المعايشة الكاملة لدقائقها مايمكن ان يكون اضافة للماضى ، وإيماءة نحو المستقبل . فتطور الفنون فى مكان ما يتم بشكل تراكمى كل مرحلة منها تتصل بالمرحلة السابقة ، عليها ، وفى نفس الوقت فإنها تمهد لمرحلة مقبلة ، ودليلنا على ذلك الفن الأوربى نفسه منذ عصر اليونان وحتى اليوم ، فتاريخه يمثل سلسلة متشابكة الحلقات ، وهكذا ايضا كان تاريخ الفنون فى مصر التى استطاعت بفضل قدرتها على الاستيعاب ، وامتصاص العناصر الدخيلة والوافدة ومزجها بالكيان المصرى ان يكون لها قدر كبير من الاستمرارية فى فنونها .

ونحن فى نهاية الأمر لن نستطيع ان نقف بمعزل عما يجرى فى العالم من حولنا ، او نغمض اعيننا عن التجارب الرائدة فى مجال الفنون فى دول العالم المختلفة سواء كانت اوربية او غير اوربية ، وربما تاثر البعض منا بتلك التجارب ، ولكن طريقة الاستفادة يجب ان تتم بحذر ، وباختيار ما يتلاءم مع شخصيتنا الفنية ، وانتقاء العناصر التى لاتفقد العمل انتماءه وهويته



الارض ..
للفنان جمال السجينى

ونعود ، الى مبدأ التثاقف لنؤكد ان تاثر الثقافات يجب ان تسوده الندية وليس التبعية والتقليد وكنماذج صحيحة تبرهن على مثالية التاثر الذى نعنيه نذكر استفادة التاثيريين من الفن اليابانى والتكعيبيين من الفن الزنجى ، ومع هذه الاستفادة ظل فن هؤلاء ،

الشخصية المصرية

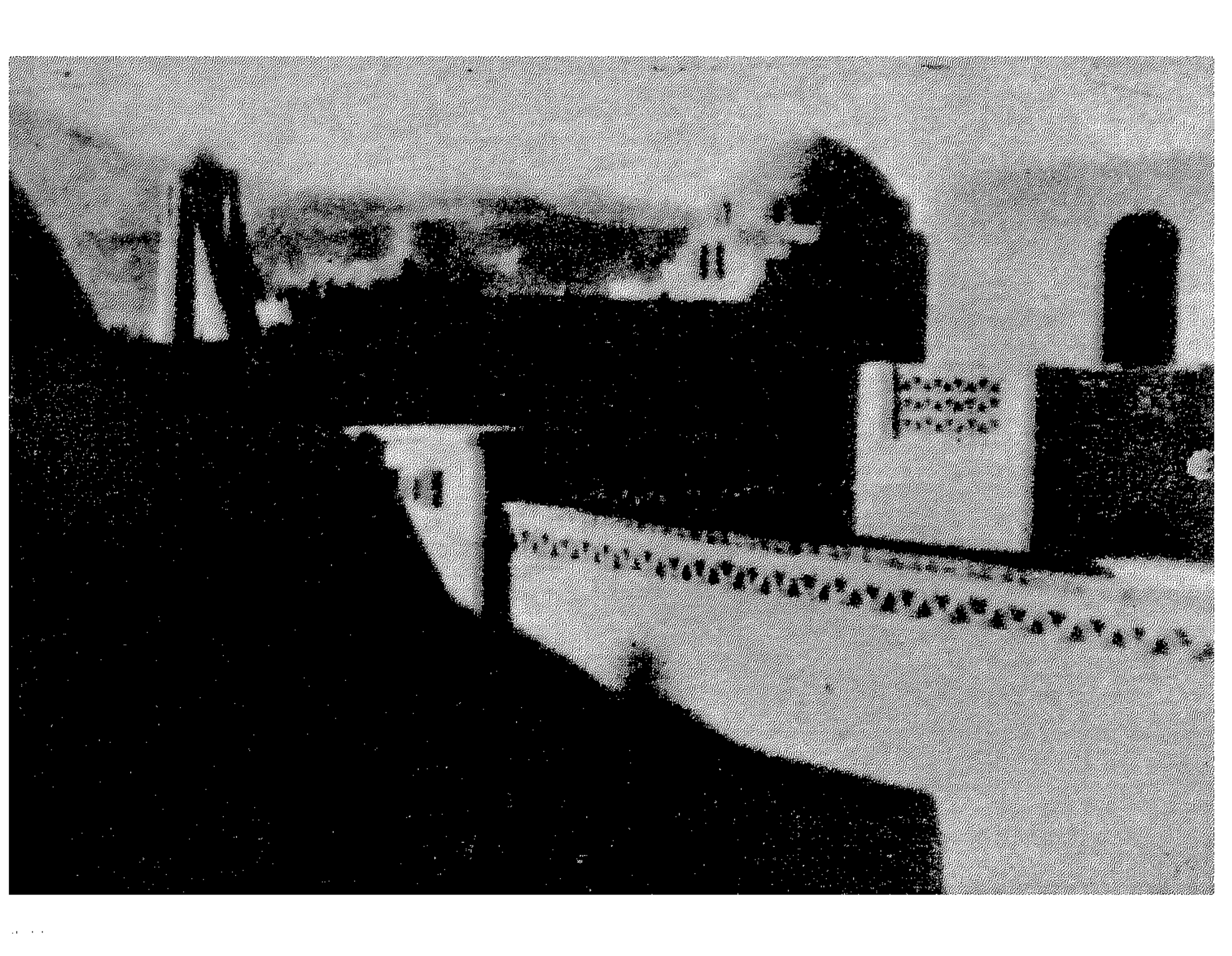
وأولئك فنا اوربيا ، حيث حولوا عناصر استفادتهم من الفنون الأخرى الى جزء لايتجزأ من تطور فنونهم ، واثروا بها روافد الابداع والتجديد فيه .

وهكذا يبدو لنا الطريق الذى يجب ان يشقه الفنانون المصريون للوصول الى فن مصرى معبر عن الشخصية المصرية ، طريقا صعبا محفوفا بمخاطر كثيرة ، ويتطلب مجهودا فائقا ، وذلك لطبيعة المرحلة التاريخية التى تمر بها بلادنا ، وهى مرحلة بحث واختيار ، وبناء للقواعد والأسس السليمة ، ومع هذا فإن نبل الهدف يستحق العناء فى سبيله والتضحية بالجهد من اجله .

● موجة جديدة من الفن المستورد

ولقد انتشر خلال السنوات الماضية اتجاه عجيب لاندرى كيف بدأ ، وكيف استشرى ، بل وكيف اضحى مقبولا من المسئولين عن رعاية حياتنا الثقافية والفنية ، فقد وصل بنا الحال الى الاستعانة بالفنانين الكوريين من اجل تسجيل تاريخنا القومى فى لوحات ستوضع فى متحفنا الحربى ، انها لمأساة ثقافية حقيقية ، ففى الوقت الذى تدعو فيه وزارة الثقافة لاقامة يوم للفنان التشكيلى المصرى ، احتفاء به وتكريما له وتقديرا لدوره فى المجتمع ، فانها تسلبه ابسط حقوقه ، فى التعبير عن تاريخ امته بريشته فلا شك انه اقدر من الاجنبى على تمثل هذا التاريخ والتعبير عنه ، واذا كنا قد تقبلنا ان يقوم اليابانيون ببناء مبنى دار الأوبرا المصرية الجديدة ، وهي بناء قومي من الأهمية بمكان ان تجسد عمارته ثقافة البلاد وتاريخها المعمارى ، وكانت الحجة ان اليابان قد قدمتها تبرعا منها لمصر التى تعانى ميزانيتها قصورا يمنعها من الوفاء بمثل هذه المبانى ، فاننا قد قبلنا فيما بعد ان يقوم الكوريون بتجسيد فنى لمعركة اكتوبر ، وكان اجدر بالفنانين المصريين ان يتولوا تنفيذ هذا العمل ، واذا كان الكوريون اصحاب خبرة مميزة فى هذا المجال فكان يمكن ان يستفاد من خبرتهم بالتعاون معهم وليس تكليفهم بتنفيذ العمل من الالف الى الياء .

ثم جاءت قاعة المؤتمرات الدولية بمدينة نصر - التى نفذتها الصين متبرعة ايضا - شكلا معماريا دخيلا لايرتبط بالمكان ولايتلاءم مع نسيج العمارة المصرية . ولو كان مقبولا ان يقوم الاجانب بتنفيذ اعمال فنية ومعمارية فى مصر ايام محمد على واسماعيل حيث لم يكن هناك من المصريين من لديه القدرة ، فانه ليس من المقبول اليوم - وفي مصر كفاءات نادرة ، وقدرات معمارية وفنية اثبتت جدارتها على المستوى العالمي ، ان تشيد مبانينا القومية الهامة على طرز دخيله ، او محلية مشوهة ، وان نلجأ الى كوريين ليصوروا لنا تاريخنا ويسجلوا معاركنا ، ولنا أن نتصور وجوه الجنود المصرية بملامح كورية ،



تصميم معمارى صممه المهندس حسن فتحي

وما يمكن ان يجلبه ذلك من سخرية واستهزاء بقيم يعتز بها اى شعب ، وبماذا نستطيع ان نزهو على غيرنا حين تصبح مبانينا القومية منقطعة الصلة بالشخصية المصرية ، واعمالنا مسجلة بأيدى فنانين اجانب ، وهل نستطيع ان نتخيل ماذا كنا سنقول عن الاهرام لو كان بناتها يمنيين ، او ان تمثال نهضة مصر قد ابدعه نحات اجنبي ، وماذا يمكن ان يشعر به الفنانون والمعماريون المصريون فى عصرنا ، واى احباط يمكن ان يدركهم وهم اصحاب البلاد ومبدعوها ، حين يعايشون هذه المأساة الثقافية .

اننا ندعو لوقف هذه الموجة رحمة بابناء مصر ، وحفظا لماء الوجه عندما تحاسبنا اجيال قادمة لتفريطنا فى قيم ما كان يجب ان نغفلها او نسهو عنها . ويجب ان نكون على يقين بأن فخرنا بعظمة تراثنا مرتبط اشد الارتباط بانه من ابداعنا نحن وليس من ابداع الاخرين .

نظرة على الحرب في السينما الأمريكية

بقلم : مصطفى درويش

●● الحرب ما هى الا استمرار للسياسة ولكن بوسائل اخرى هكذا قال الجنرال والمؤرخ العسكرى كارل فون كلاوزفيتس .

وقد يبدو غريبا ان يكون اصحاب مصنع الأحلام فى هوليوود هم أكثر الناس فهما لتلك المقولة الحكيمة التى جاءت على لسان هذا الجنرال الالمانى قبل قرن ونصف من عمر الزمان ، والتزموا بها فيما ينتجون من أفلام .

اذ لوحظ على امتداد ما يقرب من ثمانين عاما ، انه ما ان تجنح الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة الى تبنى سياسة مؤداها الانجراف بالبلاد الى الحرب ، حتى تبادر هوليوود الى دعم تلك السياسة بالدعاية لها عن طريق السينما ●●

فاذا ماهبت العاصفة المميتة واندلعت نيران الحرب ، كانت عاصمة السينما المرصعة سماؤها دائما وابداً باحلى واشهر النجوم ، فى مقدمة صفوف الذين يدقون طبولها باعتبارها اعدل واجمل ، وربما اخر الحروب .

وفى الحق ، فلا غرابة فى كل هذا ، فالسينما ، كما هو معروف للقاصى والدانى ، لغة العصر ، وهى باعتبارها كذلك أداة دعاية لا تعلو عليها أية اداة اخرى ، مهما كان علو شانها فى سالف الزمان .

ولعله من المناسب هنا أن أحكى رواية ، قد تبدو لأول وهلة ، ولمن لا يستطيع صبرا ، أنها منبتة الصلة بالحديث عن الحرب وهوليوود .

● السحر الخفى

قبل ستين عاما ، وبالتحديد يوم التاسع عشر من شهر يناير لعام ١٩٣٢ سافر الدكتور جوبلز - وهو واحد من أهم أفراد العصابة النازية التى تحكمت فى مصير الشعب الألمانى بالحديد والنار لفترة سوداء دامت ثلاثة عشر عاما ، وليس الف عام كما كان مدبرا لها - سافر فى رفقة زعيمه "أدولف هتلر" الى مدينة ميونيخ حيث تدارسا احتمالات قيام الزعيم بترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية .

ولمدة شهر أو يزيد ، ظل الزعيم المهيب مترددا بين الأقدام على الترشيح وبين الاحجام .

وعن ذلك كتب الدكتور فى اليوم الاخير من يناير مسجلا فى مذكراته

"الزعيم سيتخذ قراره يوم الأربعاء .. وهذا لم يعد محل شك" .

وفي الثاني من شهر فبراير ظن الدكتور أن الزعيم الملهم قد اتخذ القرار المناسب ، فكتب متفائلا :

"لقد قرر أن يرشح نفسه"

غير انه سرعان ما استدرك قائلا ان قرار الزعيم لن يعلن على الملأ ترقبا لما سيفعله الاشتراكيون الديمقراطيون .

وفي اليوم التالي اجتمع قادة العصابة في عاصمة بافاريا متوقعين من الزعيم ان يزف اليهم البشرى .. ولكن خاب ماتوقعوه .

وعن هذه الواقعة كتب الدكتور غاضبا "لقد انتظروا دون جدوى .. وكانت أعصاب الجميع مشدودة ، متوترة ..." .

وبحثا عن راحة النفس تسلل الدكتور الصغير الى حيث شاهد "جريتا جاربو" في واحد من أفلامها .

فكان ان "تأثر واهتز كل ما فيه" لتلك السيدة التي تعتبر "أعظم ممثلة" .

ص ١٥٦ من كتاب "صعود وانهيار الرايخ الثالث" لصاحبه "ويليم شيرر" الطبعة الانجليزية الأولى .

ولست أقصد من رواية هذا الجزء من سيرة الديكتاتور النازي ورجل دعايته الدكتور الصغير الذي كان له فضل الانتقال بالانسانية الى زماننا المعاصر .. زمن الكذب الكبير ـ لست أقصد به التذكير بسيرة هتلر وتابعه ، فأنا لا أطيق لهما ذكرا .

ان ما أقصده ينحصر في بيان مدى تأثير سينما هوليوود باعتبارها فكرا يخدم سياسة تقف وراءها مصالح أغنى وأقوى دولة في العالم .

فرجل الدعاية الأول في المانيا الهتلرية ، يهتز كل ما فيه بطيف جاربو ، ويسترد راحته النفسية بعد انفراده بنجمة هوليوود الأولى في الظلام ، وهي تتحرك على الشاشة البيضاء .

وها هو ذا في تعليقه متأثر بدعاية شركة "مترو جلدوين ماير" (لصاحبها وقتذاك "لويس ماير" وهو يهودي أي من الجنس الملعون عند داعية النازية الأول) يردد أسطورة انها أعظم ممثلة ، يرددها كالببغاء .

واذا كان هذا هو حال "جوبلز" مع السينما الأمريكية ومدى تأثره بها ، وهو الوزير المتعصب الكاره لكل فن آت من وراء المحيط باعتباره فنا غير نقي ملوثا بفكر السود واليهود .. فمابالك بحال المتفرج العادي الذي لا يحمل اي عداء مرضي أو كراهة عنصرية للفن الأمريكي .

● هيمنة هوليوود

ويلاحظ هنا ان هذا التأثير الذي حدث للسينما الأمريكية على كل من يقبل على مشاهدتها صديقا كان أو عدوا ، كبيرا كان أو صغيرا ، انما يرتد الى الحرب العالمية الأولى . تلك الحرب التي نقلت السيادة على العالم الى الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة .

وفي سبيل المحافظة على تلك السيادة العالمية التي تدعمت بالانتصار على دول المحور (ألمانيا وايطاليا واليابان) في الحرب العالمية الثانية كان لا مندوحة لتلك الدوائر عن ابتعمال السينما ـ وهي أكثر الفنون شعبية ـ سلاحا فكريا للسيطرة على عقول الملايين .

رصاصات حية

ولد ليقتل

ولا غرابة فى هذا الجنوح ، ذلك انه من المسلمات ـ الآن ـ ان الفيلم سلعة ذات طابع خاص ، يجرى انتاجها بغاية ان يتحقق من وراء تسويقها ربح لأصحاب الأموال المستثمرة فيها ، فضلا عن انها بحكم طبيعتها الخاصة تلك تحمل فكرا ، هو فى الغالب الأعم ، فكر أهل القمة المتحكمين فى شئون العباد .

وخلاصة القول اذن هو ان السينما تعود على الدوائر الحاكمة وراء المحيط بفائدتين :

الأولى : الأرباح الناتجة مباشرة عن تسويق الفيلم ، وعادة ما تكون أرباحا ضخمة يسيل لها اللعاب .

والثانية : وهى الفائدة الأهم ـ ضمان استمرار السيادة للافكار والقيم التى تدعم بقاء تلك الدوائر مهيمنة .

ولعل فى هذا ما يفسر شدة الاهتمام فى الولايات المتحدة بالفيلم باعتباره صناعة وتجارة ومخدرا .

فالرئيس الراحل فرانكلين د . روزفلت يفاخر به الأمم قائلا "حيثما يعرض الفيلم الأمريكى نبيع مزيدا من القبعات والجراموفونات والثلاجات الأمريكية" .

(ص ١٧ من كتاب "تقديم لنادى السينما" لصاحبه "فينست بينيل" طبعة فرنسية)

والجنرال ماك آرثر يتوجه بالشكر الى افلام هوليوود ، ويثنى عليها لمساهمتها الرائعة فى توجيه الشعب اليابانى الوجهة التى تريدها له سلطات الاحتلال .

(ص ٨ من كتاب "الفيلم فى معركة الأفكار لصاحبه جون هوارد لوسون طبعة أمريكية)

ووزارة الخارجية الأمريكية فى عهد الرئيس "ترومان" تمارس الضغط على الحكومة الفرنسية ، حتى تجبرها على توقيع اتفاقية بلوم ـ بيرنز التى فتحت بموجبها السوق الفرنسية لغزو الفيلم الأمريكى .

● الوهم والحقيقة

وأعود الى الحرب لأقول انها بدءا من صيرورة هوليوود عاصمة للسينما العالمية ، وهى تستهوى صانعى الأطياف ، الى حد ان حماسهم لها قد حملهم على انتاج أفلام كثيرة عنها ، تزيد فى عددها على عدد أى افلام تدور حول أى موضوع اخر .

(ص ١٠٤ من كتاب "الأفلام العظيمة" لصاحبه "ويليم باير" طبعة أمريكية)

ورغم أن هذه الأفلام ، وهى تعرض للحرب ، كان لابد أن تصور بعضا من فظائعها وبشاعتها التى لا تقف عند تشويه الأجساد وازهاق الأرواح وتخريب العامر من الأرض ، وما شابه ذلك من عذابات وآلام ، الا انها فى عمومها كانت افلاما تبرر الحرب تارة باسم الحرية ، وتارة باسم العدالة ، وتارة باسم الشجاعة ، بل كثيرا ما كانت تجنح صراحة الى تمجيدها باعتبارها مطهرا من الاثام .

وأضرب مثلا على هذا النوع من الأفلام التى تنطوى على تمجيد للحرب بفيلمين ، أحدهما صامت ، والاخر متكلم متعدد الألوان .

والفيلم الأول واسمه "اجنحة" (١٩٢٧) لصاحبه المخرج "ويليم ويلمان" مداره التمجيد لبطولات سلاح الطيران الأمريكي من خلال مأساة شابين أسقط أحدهما طائرة الاخر خطأ أثناء احدى المعارك الجوية في سماء أوروبا ابان الحرب العالمية الأولى .

ومما له دلالة في هذا الخصوص ان يكون "اجنحة" أول فيلم أمريكي يتوج بجائزة أوسكار (١٩٢٨) .

وان تعود هوليوود بعد حوالي ستين عاما من التاريخ الأخير الى انتاج فيلم شبيه به في الموضوع يعظم من شأن سلاح الطيران ، اسمته "النسر الأعلى" (١٩٨٦) واسندت بطولته الى "توم كروز" ذلك النجم الشاب الذي جرى ترشيحه فيما بعد لأوسكار أفضل ممثل رئيسي عن دوره في "ولد في الرابع من يولية" أحد الأفلام المعادية لحرب فيتنام .

● الرسالة بالألوان

أما الفيلم الأخير "دستة أشرار" (١٩٦٧) لصاحبه المخرج "روبرت الدريش" ، فقد صور الحرب وكأنها مغامرة مثيرة تتحول بنفر من السجناء الأشرار الى أبطال خيرين ابرار .

وكأنها لا تطلق ابشع الغرائز البشرية من عقالها ، بل على العكس من ذلك تلجمها بايقاظ الضمائر الآهلة بالفضيلة الكريمة السمحاء !!

ومما له دلالة في هذا الشأن ان يكون "دستة اشرار" أكثر أفلام الحرب نجاحا ، وان يصبح نموذجا يحتذى في العديد مما انتج بعده من أفلام .

وبطبيعة الحال لن أعرض بالتفصيل هنا لقصة هوليوود مع الحرب من يوم أصبحت كعبة السينما ، وحتى يومنا هذا ، وانما اكتفي بأن أقول بأن الحرب العالمية الأولى التي اشتعلت نيرانها لا لسبب ظاهر سوى انه في الثامن والعشرين من يونيه لعام ١٩١٤ اغتال شاب صربي رجلا نمساويا في مدينة صغيرة تدعى "سراييفو" ، وهي عاصمة مقاطعة تعرف باسم "بوسنيا" ، الا أن قتيل "سراييفو" .

لم يكن من طينة باقي الناس ، انه ولي عهد امبراطورية النمسا ، والارشيدوق المنحدر من سلالة عائلة الهبسبورج ذات الجلال ، لذلك فدمه لا يفتدى بدم القاتل وحده ، بل بدماء الملايين من الناس في مشارق الأرض ومغاربها ، تلك الحرب أو بمعنى أصح المجزرة البشرية ، قد مهدت هوليوود لاشتراك الولايات المتحدة فيها الى جانب الحلفاء قبل نهايتها بقليل بعدد من الأفلام ، لعل أهمها "عرائس الحرب" للمخرج "هربرت برنتون" و"الحضارة" للمخرج "توماس انس" و"قلوب العالم" للمخرج الرائد "دافيد جريفيث" (١٩١٦) .

وفي هذه الأفلام نرى الجنود الألمان اقرب في تصرفاتهم الى الوحوش الكاسرة ، منهم الى بني الانسان .

وعن "قلوب العالم" قال المخرج الأمريكي المنحدر من أصل الماني "اريك فون شتروهايم" انه فيلم تسبب في تحول مئات وألوف الرجال والنساء من التعاطف مع ألمانيا الى العداء التام .

● الكذبة الكبرى

فاذا ما انتقلنا الى المجزرة البشرية الثانية . لوجدنا الشعب الأمريكي مضللا ، ويحسب نفسه بمنجي عنها ، كما سبق له ابان المجزرة الأولى .

وله العذر في ذلك ، اذ أن حكومته كانت قد اعلنت حيادها التام بين المعسكرين المتحاربين ، معسكر الفاشية ، ومعسكر الحلفاء الذى انحصر ، بعد سقوط فرنسا ، في انجلترا صامدة وحدها لمحور روما - برلين .

ولكن هوليوود لم تقف على الحياد ، وانما انصرفت بكل طاقاتها الى الدعاية للسياسة غير المعلنة القائمة على معاداة دولتى المحور ، تمهيدا للمشاركة فى الحرب الى جانب الحلفاء .

وفى سبيل ذلك انتجت افلاما معادية للنازية مثل "الرفاق الثلاثة" للمخرج "فرانك بورزاخ" (١٩٣٩) و"هروب" للمخرج "مرفين لوروا" (١٩٤٠) و"الديكتاتور العظيم" لصاحبه "شارلى شابلن" ، ذلك الفيلم الذى تقمص فيه المتشرد الخالد شخصيتين ، احداهما شخصية ديكتاتور رهيب "هينكل" والاخرى شخصية حلاق يهودى مستضعف ، يكتب له فى نهاية الفيلم التخلص من الديكتاتور انتصارا للسلام .

● النخبة المختارة

ومع ذلك ، فهوليوود لم تخل يوما من نخبة منشقة ولو إلى حين .. نخبة تعى ان الحرب كارثة بأى معيار ، وتعمل على كشفها باعتبار انها عار .

ومن بين أفلام هذه النخبة المختارة "كل شىء هادىء فى الميدان الغربى" (١٩٣٠) للمخرج "لويس مايلستون" و"اجمل أيام حياتنا" (١٩٤٦) للمخرج "ويليم ويلر" و"المسيو فيردو" (١٩٤٦) لشارلى شابلن و"نهاية العالم الان" (١٩٧٩) للمخرج "فرانسيس فورد كوبولا" و"طرق المجد" (١٩٥٧) و"الدكتور سترينج لوف أو كيف تعلمت ان اتوقف عن القلق وأحب القنبلة" (١٩٦٣) و"رصاصات حية" أو "ولد ليقتل" (١٩٨٧) .

والأفلام الثلاثة الأخيرة ابدعها "ستانلى كوبريك" ، ذلك المخرج الأمريكي الذى يعيش فى المهجر بانجلترا بعيدا عن هوليوود وجوها المشحون بالمؤامرات والضرب تحت الحزام و"رصاصات حية" فيلمه الأخير ، أول عمل يبدعه بعد انقطاع دام حوالى سبعة أعوام .

ولو أكتفينا بالقاء نظرة طائرة سطحية عليه لذهب بنا الظن الى انه فيلم عن فيتنام ، ولكنه فى حقيقة الأمر عن شىء اخر .

انه عن الحرب .. أى حرب .

ونصفه الأول مكرس لعملية القضاء نهائيا ، وبلا هوادة ، على بقايا الانسانية فى المجند ابتغاء الانحدار به الى مجرد آلة صماء ، لا تجيد شيئا سوى القتل .

ومع انتهاء عملية التدريب التى تجعل من المجندين قتلة محترفين ، يبدأ النصف الثانى من الفيلم فى ميدان القتال حيث لا نرى الا خرابا متصلا .



المرأة والبحر

فاروق خورشيد

الفنانة : سميحة حسنين

لم اعرفها الى جوار البحر ، بل عرفتها ونحن نجلس فى سطح فندق متسامق عال عن كل الابنية ونطل على النيل الذى يبدو لنا بعيدا من هذا الارتفاع ، قريبا يتدفق حولنا فى هذا اللقاء عند حافتى منضدة فى مطعم هذا الفندق فى اواسط الصعيد فى مصر .

ولم اكن انا الذى اخترت المكان ، فقد كنت غريبا وضيفا على المدينة ، وعلى الفندق ، وعلى هذا السطح ، وعلى هذا المكان ، بل وعلى هذا الزمان ايضا ، من يدرى ربما كنت

المرأة والبحر

ضيفا وغريبا على هذه المجموعة من المشاعر والاحاسيس التى اجتاحتنى وانا اجد نفسى وسط المطعم الانيق ، وحيدا معها ، فليس الانا ومقاعد كثيرة خالية ، ومناضد كثيرة خالية ، والشمس تميل الى الغروب ، ومن بعيد تهز رجفات الهواء سطح النيل فتلمع عليه اخر اشعة الشحوب المريضة ، شحوب الغروب الحزين .

وقالت : احب ان تقرأ لى ..

ثم استدركت قائلة : اتحب هذا المكان ، هو ارقى ما عندنا فى هذه المدينة البعيدة عن كل شىء .. ثم صمتت من جديد للحظات وهى تخرج اوراقها من حقيبتها ، وعادت تقول فى صوت بدأ يملؤه ايقاع سخى :

ـ اخترته خصيصا لكى نكون وحدنا ساعة الغروب ، والنيل يلوح من بعيد ، والمدينة تحت اقدامنا .. هل يعجبك ؟

وتركت سؤالها دون جواب ، فقد توقف المصعد وخرج منه فتى وفتاة اسرعا فى خجل حقيقى الى مائدة منعزلة بعيدة يجلسان فى صمت ، والفتاة تتلفت حولها فى خوف ، والفتى يحرك المقاعد ويسوى ملاءة المنضدة فى عصبية وهو يرقب الساقى العجوز يتحرك نحوهما فى هدوء وتؤدة ، وابتسامة لا هى مريحة ولا هى عصبية ، وانما هى شىء حيادى اقرب الى الاتهام ، والى الغفران معا ..

وعادت تقول وهى تتضاحك وترد خصلات عبث بها هواء الغروب :

ـ يفتنك المكان حتى يصرفك عنى ؟

ولم يكن المكان يفتننى ، ولم تكن هى ايضا تفتننى ، وانما هى احكمت المصيدة ، وانا كنت متعبا فدخلتها واغلقت الباب ورائى ، ولماذا لا .. ولاتزال امامى ساعات طويلة حتى يحين موعد قطار العودة .. قلت فى وهن :

ـ جئنا هنا لاقرأ لك ، فاين ماتريدين منى قراءته ..

ولم تلتفت الى لهجتى الجافة الباردة ، ولا الى صوتى الواهن اليائس ، فقد ملأها الزهو بنجاح ماديرت فلم تعد تلتفت الا الى مايمور فى داخلها من انفعالات حادة متعاقبة ، ومدت يدها الى حقيبتها تخرج مجموعة اوراق وهى تدفعها الىَّ وقد نسيت ساعة الغروب ، والنيل الذى يلوح من بعيد ، وتلك المدينة القابعة تحت اقدامنا ، وقالت :

ـ احب ان اعرف رأيك فيها .. هى قصة جديدة لى .. انت تعرف انا نشرت اكثر من قصة فى اكثر من مجلة فى العام الاخير .. وقد حددت مستقبلى على ضوء الفن ، فانا فنانة حتى اطراف اصابعى .. و .. ومضت تتكلم ومضيت فى صمت اقرأ .. واحضر الجرسون عصيرا لها وقهوة لى ، وشربت قهوتى ، ودخنت

ومالها اكثر من سيجارة ، وانا اجتاز الصفحات واحترقها واحدة واحدة .. مرة او اكثر تعثرت فى بعض الكلمات واشرت اليها فوق الورق فقفزت من مكانها والتصقت بى ، واسدلت شعرها ليمس وجهى وانا اقرأ الكلمات ويتأكد عندى خطأ الاملاء والنحو واللغة على السواء .. واتجاهل العطر الذى يفوح من ردائها وشعرها ، واتجاهل نظراتها التى تسبلها وترفعها فى عجل ، ثم ترسلها حالمة فى تأمل ، وامضى اقرأ من جديد ، ومع القراءة كانت تقفز الى ذهنى اصداء معلومات قديمة ، فقد كانت القصة مليئة برغبة جارفة فى الزى .. عطش شديد الى شىء يفيض ويغمر ، ويملأ الوجود حولها بيلل عبقرى ، وليس اشد بللا من البحر ، فهى امامه على شاطىء الاسكندرية تتأمل فى الليل والوحدة والوحشة عنفوان البحر وعرامة موجه ، وخشونة صوت امواجه المتكسرة التى تمتد كأنها ايدى ظمأى تريد ان تقطفها وان تجرفها .. وهى فى كلمات القصة تحن الى أن تصل اليها هذه الايدى لتقطفها وتجرفها الى الابد ، وهى فى النهاية تخرج فى الليل متجهة الى البحر مسحورة بصوته مشدودة الى موجه ، شبقة الى عنفوانه .. ولا تعود .. ومن الارفف العتيقة التى تخزن فيها الذاكرة مايعن لها عبر القراءات وعبر الزمن .. تذكرت ان قربان النيل كان امرأة فتاة تختار لتزف الى النيل ليرضى ويفيض ، وكأنه لابد ان يغمر هذه الفتاة بمائه ليعود فيغمر الارض بخصبه وعطائه .. لم يكن القربان الادمى ابدا فتى ، وانما فتاة .. والحكاية تكرار لقصة الوحش الذى يجثم على باب مدينة يأكل أهلها ويفترس أبلها وأبقارها .. ولاتجد المدينة بدا من ان تقدم له عذراء كل حين ليفترسها ويغفز للمدينة وينسى بها صيده السهل من أهلها ومن نفس الارفف جاءت تسعى ، حكاية أوليس فى الالياذة وكيف طلب من بحارته ان يضعوا الشمع فى اذانهم ، ثم يقيدوه الى الصارى حتى لايندفع او يندفعوا تلبية لنداء جنيات البحر التى تغرى كل بحارة السفن عند المضيق الاسود ، مضيق الموت فيتركون سفنهم ويقفزون الى البحر استجابة لندائهم الساحر القاتل من آن .. ثم تذكرت حكايات الصيادين العرب مع عروس البحر التى تغنى وترقص فوق الماء لتغرى الصيادين والبحارة ان يلقوا بانفسهم اليها ليبتلعهم الماء فى صحبة عروس البحر أو جنية البحر ، ولا يظهر له بعد ذلك اثر .. ومن الف ليلة وليلة وقصص السحر حكاية هذه الطاسة السحرية التى تملؤها الفتاة العذراء بماء البحر ثم تتلو عليها ماعندها من عزائم ورقى ثم ترش بها الفارس المسحور ، والذى سحرته جنية أو ساحرة عجوز ، أو امرأة

المرأة والبحر

عاشقة مهجورة ، فاذا به يعود من شكل الحيوان الذى سحر اليه ، الى شكله الانسانى الذى خلقه الله عليه ، ويتزوج من منقذته العذراء الساحرة التى استعانت بماء البحر والعزائم لتنجيه من الطلسمات والسحر الأسود .. وهذا القمقم الذى يعثر عليه الصياد الطيب اثناء صيده ويفتحه فيخرج له مارد مهول يخيره بين ميتات عديدة كل منها اشد هولا من الاخرى جزاء وفاقا لانقاذه اياه من سجنه الأبدى فى القمقم الغارق فى ماء البحر .

ومن هذه الارفف المتربة المنسية جاءتنى ايضا حكايات الصابئة وكيف انهم يعقدون عقود الزواج أمام الماء ، البحر أو النهر أو البئر ، فقط لابد من وجود ماء ، وماء جار وليس آسنا ساكنا ، ومزارات الخضر فى العراق والشام كلها مزارات تقوم على حافة ماء ، نهرا كان أم بحرا أم بئرا .. وحين رمى (ست) تابوت (اوزير) الى البحر حمله البحر الملح الى شاطىء الشام حيث حفظته عشتر فى معبدها ، واستكن التابوت فى حضن أحد أعمدة المعبد .. وموسى رمته امه الى النهر فحمل مهده فى حنان ورفق الى قصر فرعون .. وكان ميلاده الجديد .

الماء ونداء الحب أو الميلاد أو التخصيب .. البحر والفحولة والعرامة وقصص العشق والموت .. وهذه الفتاة التى جاءتنى تكتب كلمات مجنحة كلها الشوق الى هذا المجهول المهول القاتل ، الى البحر العارم يحتويها ويلاشيها ويفنيها ايضا .. ورفعت عينى انظر اليها ، كانت تتطلع الىّ فى لهفة ، فى عينيها جوع ، وفى صخب شعرها ثورة ، وفى زمة شفتيها اثار عطش وجفاف ، وفى الكلمات التى كتبتها كل هذا واكثر ونظرت فى داخلى ، ولم اكن بحرا ولا نهرا ، ولا حتى ترعة .. لا صخب ولا موج ولا ضجة .. ونظرت اليها مرة أخرى وتعجبت ، ثم جاءتنى كلماتها توقظنى على الحقيقة قالت :

ـ الا ترى ؟ هى عمل جديد ، قصة جديدة تماما ، اظن انك ، ستكتب عنها عندما تنشر ، فهى ستنشر فى عدد الشهر القادم من المجلة الادبية الشهرية ، لقد طار بها رئيس التحرير فرحا ، وقال لى ان قصصى دائما لها مكان دائم فى مجلته ..

وابتسمت فى داخلى ، فلست البحر اذن ، وان كان الاقرب



ان اكون عجوز البحر .. ذلك الذى التقاه سندباد فى احدى الجزر ، وضعف امام سنه وضعفه وعجزه فحمله فوق اكتافه لينال الطعام من فوق قمم الاشجار ، ولينقله من مكان الى مكان فى راحة وسعادة .. ولكن سندباد استبد به التعب والنصب ، واراد من عجوز البحر ان ينزل عن كتفه ليستريح .. وهنا ظهر الوجه الحقيقى لعجوز البحر .. فهو لن ينزل ابدا عن كتف سندباد ، يضربه بكفيه ويسوقه سوقا بمرفقيه وفخذيه ، وهو اسير ابدا لهذا العجوز الذى يسوقه عبدا خاضعا لايستطيع فكاكا .. وينتقى العجوز من فوق الشجر الثمرات يأكلها باستمتاع ويرمى قشرها ويذرها فوق رأس السندباد ، والسندباد لايستطيع ان يحتج والا أصابه من ضغط فخذى شبح البحر مايكره وما يتألم منه فى جسده ونفسه معا .

ولست اريد – فيما يستقبل لى من أيام – ان أحمل فوق كاهلى شيخ بحر فاتن كهذه الفتاة ، فانا لا أحب شيوخ البحر ، ولا أحب ان أحس ان فوق كاهلى حملا يرغمنى على السير حيث يشاء ، ليقتطف الثمار ويرمينى بالقشور والبذور .. وقلت :

– القصة جيدة اولا أخطاء اللغة ..

واختفت الابتسامة ، واختفى جمال الوجه ، وحل محل الاثنين تقطيبة وتجهم فى ملامح الوجه ، وتوفزت عضلات الجسد كله ، كأنما يستعد لمعركة جسدية وقالت :

– اللغة لاتهم ، ثم انا الذى اكتب ، وما اكتبه وحى الفن ، فهو المهم اما (النحوى) الذى تصرون عليه فلا علاقة له بالفن .

لم اكن اريد ان اخبرها ان اسمه (النحو) وليس النحوى ، ولم اكن اريد ان ادخل معها جدلا عقيما ، فهناك من افهمها انها قمة فى الفن ، ومكتشفة جديدة فى دنيا التعبير ، فقط ابتسمت وقلت :

– انت تعشقين البحر ، ولن يشفيك من داء الادب إلا إذا التقيت ببحر زاخر الموج ، عاتى الرياح ..

واشتعلت عيناها غضبا ، واختطفت من يدى الوريقات الانيقة ، وجمعت حاجياتها فى حقيبتها ، ونظرت الىّ نظرة ازدراء واحتقار ، ثم اسرعت تغادر المكان .

واشرت الى الجرسون يحضر لى قدحا جديدا من القهوة ، واشعلت سيجارة ، وجعلت اتأمل منظر النيل من بعيد ، والمدينة بمنازلها المتناثرة تلوح من خلال الشرفة الواسعة فى هذا المكان المرتفع كأنها بقايا حياة ، وامامى الفتى والفتاة قد انهمكا فى حديث لا يسمعه الا هما .

عرفت بعد زمن ان الفتاة التقت ببحر بكر التجربة ، ترك زوجته وطفله من اجلها وتزوجها .. وطلقت الادب ، ولم تعد كلمات رئيس تحرير هذه المجلة الثقافية يستهوى عاشقة البحر ..



شاطئ الحنان

شعر: جليلة رضا

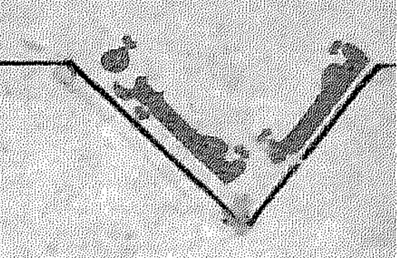
حين تصحو على الحقيقة والواقع
من حلمك الوثير .. المترف
وترى كونك المديد ولكن ..
ليس بالعين بل بروح مرهف
فإذا الكون مسرح من رياء
وغرور .. وخدعة وتكلف
وإذا العيش والأماني والحب
خيالات شاعر .. ومؤلف
وإذا الأهل والعشير والصحب
سراب مضلل .. ومؤلف
وإذا الوحدة الكئيبة تنساب
إلى حضنك الكئيب .. وتدلف
واذا الليل مارد يبعث الموت
بجنبيك .. موحشا .. ومخوف ..!

- ● -

نادنى ..!.. نادنى : فمن آخر الدنيا
ألبى النداء ... لن أتخلف
من وراء البحار ، من خلف هذا الأفق
من عمق .. عمق ليل مغلف
لن أضل الوصول فالطير يرتد
إلى العش آمنا .. ومرفرف
فإذا ماتعذر الركب حينا
فسأمشى بخطوى المتلهف
وإذا كلت الخطى وتهاوت
فسأحبو على يدى .. وأزحف

- ● -

.. ستراني جوار قلبك أحنو
وأواسى عذابه .. وأخفف
وستمتد راحتاك الى قلبى
لتجتث ما زرعت وتقصف
فاذا القلب مخملى الأمانى
ناعم اللمس . كالحرير مهفهف
فسألقى على الطريق بذلى
وعتابى .. وهجرك المتعسف
وأوافيك شاطئا من حنان
وهزارا بلحن حبك يعزف
نقطع الوقت فى الصلاة لحبينا
وفى معبد الهوى نتصوف
لن نطيل الكلام فالحب لن يترك
الا أرواحنا .. تتكشف
والوجود الذى بداخلنا
يشهد من نحن . من نكون .. ويعرف
والاشارات قد تحرك أمسينا
وقد .. تلمس الجراح فتنزف ..!



بقلم : سلوى بكر
ريشة : حلمى التونى

عجين الفلاحة

- ١ -

فتح الباب فجأة ، فغمر ضوء الشمس الحجرة الترابية المظلمة ، الخالية من أية فتحة أخرى ، فما كان من القرود الثلاثة إلا أن تقافزوا فى صخب ، على أمل حدوث بداية لنهاية العذاب ، الذى عاشوه طوال الليلة الفائتة .

حاول القرد الأول ، الذى كان « شرشر » القرداتى قد أطلق عليه اسم « زقزوق » ، أن يبدو لطيفا ، فرفع يده فى شىء يشبه التحية لشرشر ، الذى ولج من الباب ، لكن الأخير لم يبد أدنى استجابة لذلك ، ربما بسبب تعاليه ونظرته الفوقية للقرود ، وربما بسبب سرعة انهماكه مع زوجته ، التى دخلت بعده ، فى تقييد الماعزة التى جاءا بها معهما ، والتى لم يجد القرود الثلاثة سببا مفهوما لوجودها حتى الآن ، على أية حال ، لما لم يجد « زقزوق » استجابة معقولة من الرجل الواقف أمامه ، ابتلع الاهانة ، وارتكن بيده على أرضية الحجرة كما لو كان ينتظر شيئا .

« مرزوق » هو القرد الثانى ، وكان يشبه زميله « زقزوق » إلى حد كبير ، ماعدا أن جسده كان أقل فتوة وشبابا ، وتقاطيع وجهه كبيرة بعض الشىء ، ويبدو أنه كان من ذلك النوع المسالم هادىء الطباع ، لأنه اكتفى بالنظر إلى مايفعله شرشر ، بالماعزة ، بعد أن خلع معطفه العسكرى الذى لم يعرف « مرزوق » بالطبع أن شرشر قد اشتراه من وكالة البلح ، وبقى « مرزوق » ساكنا لاينطق أو يقوم بأية حركة يمكن أن تلفت النظر إليه ، فبدا وكأن الأمر لايعنيه على الاطلاق .

أما القرد الثالث ، فقد أسماه « شرشر » لسبب غير مفهوم ، « معتوق » وربما تمشيا مع الأداء الصوتى لاسمى رفيقيه ، وربما بسبب شعور مبهم انتابه ، وجد معه أن هذا الاسم هو الأكثر انطباقا عليه ، وقد ظل هذا القرد ، الذى تبدو فى نظراته جدية واعتداد شديد بالنفس ، قابعا فى مطرحه ، يشعر بضيق شديد ، وقرف لاحدود له ، بسبب وجوده فى هذا المكان ، الضيق ، المظلم ، الذى اضطر للمبيت فيه طوال الليلة الماضية ، بعد أن أحضروه من الجبلاية الكبيرة ، بحديقة الحيوان ، فأصبح محروما من مشهد السماء الواسعة ، ممنوعا من الانطلاق فى مكان فسيح .

والحقيقة أن « معتوق »



كان شخصية معقدة بعض الشيء ، فهو لايأخذ أى موضوع ببساطة ، أبدا مثلما يفعل رفيقاه ، كما أنه يميل إلى التفلسف كثيرا ، فعلى سبيل المثال ، ظل طوال الطريق ، منذ أن ابتاعهم « شرشر » من حديقة الحيوان ، وحتى جلبهم إلى هذه الحجرة الضيقة ، يتحدث عن الاحتمالات الممكنة ،

للأسباب التى تقف وراء تخلى الحديقة عنهم لذلك المدعو « شرشر » فقال إن « مرزوق » قرد عجوز ، تخلصوا منه لأنه كان دائب الشجار مع ذكور الجبلاية الآخرين ، أما « زقزوق » فهو مازال شابا صغير السن ، وربما دفع « شرشر » فيه مبلغا أغراهم بالتخلى عنه ، أما هو ... « معتوق » فلا يداخله شك فى أنهم أبعدوه عن الحديقة لأنه حرض قرود الجبلاية على الاضراب عن تناول البرسيم طوال أيام الاسبوع ، حتى يجبروا إدارة الحديقة على استبداله فى بعض الأيام بأصناف أخرى من الفواكه والخضار التى رأى بنفسه كثيرا من موظفى الحديقة يحملونها معهم أثناء خروجهم بعد انتهاء عملهم ، حتى أنهم كانوا يخبئون بعض الأطعمة التى كان كثير من الزوار يعطونها لهم ، ليطعموها لقرود الجبلاية ، وهذه كلها كافية لجعل القرود تعيش بمستوى لائق ، لايقل عن المستوى الذى اعتادت عليه فى الغابة .

ولو توخينا الانصاف ، لقلنا أن « معتوق » لم يكن معقدا نفسيا ، لكنه كان فقط قردا خبر الحياة أكثر من زميليه ، فهو الوحيد بينهم الذى لم يولد فى الجبلاية ، بل ولد فى الغابة الفسيحة الممتدة ، التى تلامس المحيط بأطرافها ، والتى تتيح لأى قرد ، حتى لو كان حدثا صغيرا ، اعتلاء أطول شجرة جوز هند ، يطاول بها عنان السماء ، وإشباع بصره بتجليات الطبيعة الفاتنة ، حيث تصخب المياه بالأزرق اللازوردى ، الذى لم تدنسه بعد نفايات المدنية الحديثة ، وتصدح الطيور فيها بتنويعات على أكثر من لحن واحد ، وتغرف روحه من الاخضر المتوج ملكا مطلقا لكل الألوان ، وينبثق منه ألف أخضر وأخضر يطمئن النفس ، ويغنى الروح .

هكذا .. وحتى بعد أن استقر « معتوق » فى الجبلاية ، بعد أن جلبوه إليها مع أمه ، لم ينس أبدا تلك الحياة الجميلة الواسعة ، التى سلبت منه ، الحياة الخليقة بأى قرد سوى قادر على القفز والحرب ، والحصول على طعامه ، بيديه القويتين ، وممارسة الحياة التى يرغبها ويختارها .

لكن « شرشر » لم يفكر لحظة فى تحليل شخصية أى من القرود الثلاثة ، فهو قرداتى قديم ، لايهمه من أمر القرود إلا النجاح فى تدريبها بأسرع وقت ممكن ، وفقا للطريقة التى ورثها أبا عن جد ، والتى توارثها جدوده عن آبائهم وجدودهم أيضا ، فتسيدوا على القرود ، وتحكموا فى مقدراتها ، لذلك لم يخطر فى بال « شرشر » أبدا أن يتأمل فى أحوال القرود ، ولم ينشغل بمعاناتها كما أنه لم يتساءل يوما عن أحلامها وأمانيها فى الحياة ، لأنه كان منشغلا بضرورة اتقانها لعجين الفلاحة ، ونوم العازب ، ومشية الأمير ، ووقفة الخفير ، حتى يتسنى له بيعها بثمن جيد لقرداتى آخر ، أو ليسرح بواحد

منها ، هو شخصيا ، فيرتزق به فى الشوارع والأسواق .

خرجت امرأة « شرشر » ثم عادت إلى الحجرة مسرعة ، حاملة بيدها عصا ، طويلة ، غليظة ، ولما كان « زقزوق » كما قلنا ، مازال غرا ، لايكف عن الزهو بنفسه ، فقد تحرك قليلا فى محاولة منه للقفز على العصا ، واعتلائها ، مستعرضا رشاقته ، ومهارته ، كقرد فى عزه وشبابه ، لكن السلسلة التى تقيده حالت بينه وبين ذلك ، لكنه لم يشعر بالاحباط لذلك ، لأن « شرشر » صرخ فجأة مكشرا عن أنيابه ، بدأ بضرب الماعزة ، ضربا موجعا ، بينما قال لها :

ـ يا الله .. اعملى نوم العازب ، بسرعة .

وبدلا من أن تحاكى الماعزة نوم العازب ، ظلت تمأمأ ، وتصرخ بصوت حاد ، لابد أن يصدر عن ماعزة تعذب ، على هذا النحو ، دون سبب مقبول ، ثم أنها راحت تحاول التملص من قيد أقدامها ، ولما لم تجد فكاكا ، زادت من صراخها ، واحتجاجها .

تبادل القرود الثلاثة ، القابعون فى زاوية الحجرة ، نظرات استفهام ، حاول « معتوق » تفهم مايدور أمامه ، فكل معلوماته المترسبة فى خبايا ذاكرته عن جنس الماعز من زمن الغابة ، هى أنها كائنات وديعة ، سريعة العدو ، تأكل الأعشاب والألياف ، وتقدم أجسادها دون صراع كبير ، لقمة سائغة للأسود والنمور وبقية ضوارى الغابة اللاحمة ، ولما لم يجد تفسيرا مقبولا ، للمهزلة التى تدور أمامه ، آثر الصمت مركزا ذهنه فى محاولة جديدة للفهم .

الغريب أن « شرشر » بدلا من أن يكف عن ضرب الماعزة ، التى بدت وكأنها على وشك النفوق ، بعد أن تحشرج صوتها ، وخرج لسانها ، الأحمر الطويل من بين فكيها ، وخرج الزبد من فمها ، وراغت نظراتها ، زاد من وتيرة عصاه ، وصاح بعنف :

ـ عجين الفلاحة ، وإلا شربت من دمك يابنت التيس .

لم تفهم الماعزة الاهانة فهى بنت تيس فعلا ، لكنها فهمت أن هذا الكائن الشرير الذى يضربها بلا سبب ، سوف يجهز عليها فعلا ، فراحت تثغو ، متوسلة عله يرحمها ، ويكف عن الضرب ، بلا جدوى ، لكنه بعد قليل ، وبدون مقدمات ، توقف عن الضرب ، ثم ارتدى معطفه العسكرى ، فوق جلبابه ، واحكم وضع ربطة عنقه القديمة ، وسرعان ماسحب الماعزة ، خارجا ، وأعاد قفل باب الحجرة على القرود الثلاثة .

ـ ٢ ـ

عندما أقبل اليوم التالى لتلك الأحداث المؤسفة ، كان القرود الثلاثة قد أعياهم التفكير فى سلوك « شرشر » العنيف ، مع هذه الماعزة البائسة . اقترح « زقزوق » الذى لم يكن يعرف شيئا عن الماعز ، أن الماعزة ، لابد أن تكون قد خطفت اصبعا من الموز من يد « شرشر » بعد أن قشره وهم بالتهامه ، أما « مرزوق » الذى كان جائعا جدا وقتها ، لأنه لم يأكل مايكفيه منذ مجيئه لحجرة « شرشر » الكئيبة ، فقد وافق على فكرة « زقزوق » مع تعديل بسيط فيها ،

فاستبدل أصبع الموز بحفنة من الفول السوداني ، لكن « معتوق » ظل متضايقا جدا من ضحالة أفكار رفيقيه ، وتدني مستوى النقاش ، لذلك سارع بنسف نظرية الموز ، والفول السوداني ، من أساسها ، لأن الماعز ليس من عادتها أكل مثل هذه الأشياء .

عموما ، لم يترك لهم « شرشر » مساحة كافية من الوقت لمزيد من التمحيص في مسألة الماعزة ، فلقد اقتحم الحجرة ، فجأة ، بمعطفه إياه ، وربطة العنق ، التي كان يتدلى طرفها الطويل على صدر جلبابه ، وهي الربطة ، التي ظن القرود ، منذ أن رأوها للمرة الأولى ، أنها ولابد ، القيد الذي يقيد به « شرشر » أناسا آخرين أقوى منه ، وأكثر شرا ، وبينما هو أخذ في خلع معطفه ، وتعليقه على المسمار الوحيد في الحجرة ، الذي كان يثبت لوحة كرتونية لامرأة شقراء بامسة تحتسي الكوكاكولا ، مثلما فعل في اليوم المنصرم ، دخلت امرأته بالماعزة ، وبدأت مشاهد اليوم السابق تتكرر مع بعض التعديلات البسيطة ، فبعد أن قلب « شرشر » سحنته وشمر عن ساعديه ، بدأ في ضرب الماعزة ، لكن الجديد الذي أضافه ، هو أنه بينما كان يصرخ قائلا : نوم العازب ، انقلب على ظهره ، وتمدد على الأرض ، رافعا ساقه ، التي تشبه ساق العنزة ، إلى حد كبير ، ماعدا أنها كانت مغطاة بشعر أسود خشن ، أقل كثافة بكثير من شعر الماعزة ، ثم وضع هذه المشعرة على الأخرى التي لاتقل شعرا ، بينما استند برأسه إلى ذراعيه المعقودتين خلفها ، مكررا نداءاته للماعزة ، بأن تقوم مثله بعمل نوم العازب ، وإلا أذاقها عذابا لم يذقه جن أو بشر عند عجين الفلاحة هي واقفا ، وراح يحاكي حركات فلاحة ترفع العجين ، وتمطه إلى أعلى ، ليتشرب أكبر كمية ممكنة من الهواء ، ويتنفخ ورغم أن الماعزة كثيرا ماشاهدت الفلاحات في القرية يقمن بهذه العملية ، الشاقة بعض الشيء ، مرات ومرات ، إلا أن المسكينة لم تتصور نفسها تقوم بذلك في يوم من الأيام ، لذلك صعد « شرشر » من ضربه الوحشي لها ، ناعتا إياها بأقذع الشتائم ، التي تتجلى فيها إبداعات عالمه السفلي ، ثم أنه لم يكف عنها الأذى ، إلا وهي على شفا الموت ، فسحبها إلى الخارج ، مرة أخرى ، وأغلق الباب وراءه بعنف .

– ٣ –

ملخص ماتلا ذلك هو انه كاد جنون القرود الثلاثة أن يجن من تصرفات "شرشر" الشنيعة ، والتي لايوجد ما يفسرها ، على الاطلاق ، حاول « زقزوق » المسحوب من لسانه ، دوما ، ان يقول شيئا ، لكن « معتوق » اسكته بنظرة معناها الفعلي : إخرس ، فكاد أن يكتم انفاسه مع صوته ، عندئذ ، اكتفى « مرزوق » بأن يقول :

– يظهر ان الموضوع خطير ياجماعة .

– ٤ –

في اليوم الثالث ، جاء « شرشر » وفتح الباب بسرعة ، وقد بدا نافد الصبر ، ارتجفت قلوب القرود الثلاثة ، رعبا ،

حتى أن « مرزوق » المتألم بسبب دوس « زقزوق » المرتبك على ذيله ، آثر السكوت ، كاتما ألمه ، ولم يحاول دفع زميله عنه ، أما الماعزة فقد جاءت هذه المرة ، منهارة ، زائغة النظرات ، تمأمىء بأسى ، حتى قبل أن تمتد إليها عصا معذبها ، ولما بدأت حفلة التعذيب ، حيث هوت العصا على كل موضع ممكن من الجسد الهزيل ، وبانت المسألة واضحة ، وضوح الشمس ، لكل عين ترى ، وكل أذن تسمع ، من أن الماعزة لن تعجن عجين الفلاحة ، بأية حال ، ولن تنام نوم العازب ، مهما كان الأمر ، حدثت المفاجأة المذهلة ، التي ألجمت الجميع ، فقد أخرج « شرشر » وعلى حين غرة ، من الجيب السيال لجلبابه ، سكينا حادة ، انقض بها على رقبة الماعزة ، وذبحها بينما أخذ يتلو الشهادتين .

— ٥ —

لم يغمض جفن القرود الثلاثة طوال ليل ذلك اليوم ، فقد ظلت أعصابهم مشدودة ، منذ أن ترك « شرشر » الحجرة ، وأغلق بابها عليهم ، بعد أن حمل الماعزة المعذورة ، وبقيت رائحة الدم ، الذى لم يجف تماما تملأ أنوفهم ، وتنشر الرعب فى أوصالهم ، بانت خطورة الموقف بعد أن طرح « معتوق » على رفيقيه سؤالا كان أشبه بالقنبلة ، التى انفجرت فجأة :

— ماذا لو جاء « شرشر » غدا طالبا منا أن نقوم بما كان يطلبه من الماعزة .

حاول « زقزوق » الاعتراض على السؤال من أصله ، وقال أنه من المستحيل أن يطالبهم بذلك لأنهم لم يفعلوا شيئا يغضبه أو يؤذيه ، وعلاقته بالماعزة لابد أن يكون بها شىء من ذلك ، دفعه لقتلها .

ابتسم « معتوق » ساخرا ، لأنه كان قد شاهد فى الغابة منذ زمن بعيد ، ما يكفى ليرد به على كلام « زقزوق » فالفريسة لاتستفز المفترس الذى يفترسها ، لكنه آثر ، بدلا من مناقشة « ، زقزوق » التافهة ، أن يأخذ رأى « مرزوق » حتى يتوصل ثلاثتهم لنتيجة فى هذه المسألة الخطيرة .

تنحنح « مرزوق » حاول أن يكون هادئا وهو يقول :

— الحقيقة أننى لا أظنه سيطلب منا ذلك ، فنحن لسنا ماعزا ، على أية حال ، وأغلب الظن أنه سيعيدنا إلى الجبلاية ، غدا على الأكثر ، ولكن حتى إذا طلب « شرشر » منا ذلك ، فما المشكلة ؟ إنها مسألة بسيطة للغاية أن نقوم بتقليد حركاته ، فهى لاتحتاج إلى كثير من الجهد والعناء ، ومن ناحية أخرى أنا أرى أن نفكر جيدا ، قبل أن تخالفه ، أو نعصى أوامره ، فهو كائن متهور ، لن يتورع عن ذبحنا ، مثلما ذبح ماعزته .

قاطعه « معتوق » قائلا :

— لكنك قلت أننا لسنا من الماعز منذ قليل !

هرش « مرزوق » رأسه الصغير ، تلاحقت نظراته ، فى ارتباك ثم استكمل كلامه قائلا :

— صحيح لكنك رأيت بنفسك السكين ، كما أن لديه سلاسل يقيدنا بها كما ترى الآن والله وحده يعلم ماذا يمتلك أيضا من وسائل ، وأساليب ، لانقوى على مواجهتها .

تساءل « معتوق » مستنكرا :

— وأظافرنا الحادة ؟! وأسناننا ؟! وأنيابنا المسنونة ؟! ياحبيبى ، أليست موجودة لدينا ؟!

لم يرد « مرزوق » وآثر الصمت ، فمعتوق برأيه متطرف الرأى ، متهور السلوك ، ولايتعلم من دروس الماضى أبدا ، فهو لم يستوعب جيدا درس طرده من الجبلاية ، وحبسه فى قفص منفرد ، بعد أن حرض القرود على الاضراب عن أكل البرسيم ، لذلك فهو ، أى « مرزوق » لن يأخذ برأيه ابدا ، ولن يعمل بمشورته لأن « شرشر » الشرير يمكن أن يقتله ، وعندها لن يفيده كلام « معتوق » ويااروحى مابعدك روح .

بصق « معتوق » على الأرض بعد أن أشاح زميلاه بوجهيهما ، عنه ، وراحا يتناقشان فيما سوف يفعلانه بعد عودتهما إلى الجبلاية ، مرة أخرى ، فقال زقزوق أنه سوف يتزوج فورا ، ويشكل لنفسه طاقما من الحريم الخاص ، يخلف له العيال ، الذين يحملون ذكراه فى الدنيا ، أما « مرزوق » فقال إنه بمجرد وصوله إلى الجبلاية سالما ، سيحمد الله على سلامته ، ويبوس أرضها ، وسوف يعيش ، بعد ذلك ، جنب الحائط ، فلا مشاحنات ، ولا معارك ، مع أى قرد آخر ، فمهما كان الأمر ، حتى لو حكمت عليه الظروف أن يأكل لقمته بدقة .

كان « معتوق » هو الوحيد الذى لم يقل لنفسه شيئا ، وكانت تعتريه رغبة شديدة فى البصق مرة أخرى .

– ٦ –

اليوم الأخير ، جاء « شرشر » وزوجته لكن بدون ماعزة طبعا . بدأ طقوسه بخلع المعطف ، والتكشير عن الأنياب ، ثم أنه حمل العصا بيد ، ومد اليد الأخرى ، ساحبا « زقزوق » من السلسلة ، إلى وسط الحجرة ، وهتف بصوت ملؤه الأمل فى النجاح :

– يا الله .. نوم العازب .

بدأ « زقزوق » مرتبكا ، ربما لأنها المرة الأولى ، التى يجبر فيها على أداء دور لايعرفه جيدا ، ولفرط ارتباكه قام بأداء عجين الفلاحة ، بدلا من نوم العازب ، مما استدعى أن ينال ضربتين قويتين على مؤخرته ، التى ازدهرت بالاحمرار أكثر مما كانت عليه من قبل .

تدخلت الزوجة التى كانت واقفة ، تراقب القرد الفتى ، وقالت لزوجها :

– بالراحة عليه ياشرشر ، علمه أنت الوضع الأول .

انقلب « شرشر » على ظهره ، متخذا وضع نوم العازب مثلما يفعل دوما ، فسارع « زقزوق » بمحاكاته ، بخفة ورشاقة دفعتا الزوجة لأن تضحك بسرور ، فانبسط شرشر لانبساطها ، وقال :

– جدع .. طيب عجين الفلاحة .

قامت الزوجة بالانحناء قليلا ، وأخذت تصور عملية العجن ، فى دلال وميوعة ، مما جعل « زقزوق » يتمالك نفسه بصعوبة ، ويبذل جهدا نفسيا جبارا ، كى يقبلها بدلا من تقليد حركات يديها ورأسها ، وهى منحنية ، لكنه بدا عاقلا متزنا ، لأول مرة فى حياته ، حيث ثبت نفسه على وضع العجين ، الذى أداه بظرف ، حتى أمره « شرشر » بالرجوع مرة أخرى إلى وضعه الطبيعى ، فقالت المرأة بسعادة بالغة :

– والنبى لذيذ ودمه خفيف ، اعرضه على السيرك ياشرشر ، لانهم ممكن يشتروه منك بسعر معقول جدا .

أخرجت الزوجة من صدر جلبابها اصبعا من

الموز ، قذفت بقطعة منه لـرزقزوق ، فتلقفـه غيـر مصدق ، لأنه لم يذق الموز منذ أن جىء به لهذا المكان ، وبات واضحا ، بعد ذلك ، أن الدور اقترب من القردين الآخرين ، لأن « شرشر » أعاد « زقزوق » وربطه فى مكانه الأول ، بينمـا أخـذت عينـاه تتفحصان منهما ، لكنه ، ولسبـب مـا ، سحـب « مرزوق » أولا :

كرر « مرزوق » حركات زميله السابق ، لكن دون خفة ومهارة واضحة ، ربما لكبر سنه ، أو قلة حيله ، لذلك علقت الزوجة بفتور على أدائه قائلة :

– خليه ياشـرشر ، تسرح به ، أو تبيعه لأى واحـد مـن الـعيـال السريحة .

ويبدو أن « شرشر » كان قد قرر ذلك قبلها ، لأنه هز رأسه ، ولم يقل شيئا .

ثم جاء دور « معتوق » سحب « شرشر » معتوق إلى وسط الحجرة ، فسار القرد فى تباطؤ ، دون انصيـاع واضـح ، زر « شـرشـر » عينيـه الضيقتين ، فى ضيق ، وصاح بعنف :

– نوم العازب .

حرك « معتوق » ساكتا صغيرا ، أرنبة أنفه ، التى اتسعت لتدخل مزيدا من الهواء إلى صدره . أعاد القرداتى نداءه منذرا ، مرة أخرى :

– نوم العازب بسرعة .

« معتـوق » لم يـرد أيضا .

أغتاظ « شرشر » فكح وهرش رأسه وغير النداء .

– طيب ياوسخ .. عجين الفلاحة .

ثبت « شرشر » عينيه فى عينى القرد ، اللتين بدتا ثابتتين ، وهادئتين ، تماما ، ثم قال :

– إسمـع .. اتعـدل أحسن لك ، وإياك تطلع روحى ، يا الله ياحلو ، عجين الفلاحة ، عشان تاخذ موزة .

لكن « معتوق » الذى لم يكن حلوا بأى معيار من المـعـاييـر ، جلس القرفصاء ، مظهرا عورته ، وراح يعبث بأصابعه فى قدمه .

تجمعت غيوم الغضب فى وجه « شرشر » منذرة بقدوم العاصفة ، ارتفع حـاجبـاه بـالـدهشـة ، والاستنكار ، تمددت شفته السفلى الرقيقة ، معلنة عن عنف وشيك ، ثم أنه رفع عصـاه عاليـا ، محاولا تسديد ضربة لمؤخـرة « معتوق » .

كان غضب أشد ، قد تجمع فى صدر معتوق ، ليس فى هذه اللحظات ، فقط ، ولكن منذ لحظة قتل الماعزة ، وهدر دمها ، فى الأرض ، لذلك ، وبهدوء ، رفع يديه ناشبا أظافره وأسنـانـه فى جسـد « شرشر » الذى ألجمته المفاجأة ، فأخذ يقاوم ، ويبعده عنه ، بينما معتوق يأرمه أرما ، بكل غضبه المكبوت ، وحلمه الدفين فى العودة إلى عالمـه الفسيح ، المترامى ، حيث المحيط الأزرق ، والغابة الممتدة الخضراء ، وعالم الطيور السحرى .

ويقال أنه فى اليوم التـالى ، لتلك الحـادثة الغريبة ، كان « شرشر » فـى المستشفـى ، و « زقزوق » فى السيرك ، و « مـرزوق » يجـوب الطرقات ، يتسول طعامه مع قرداتى آخر ، أما « معتوق » فقد أعادوه ، مرة أخرى إلى الجبلاية ، لأنه غير قابل للترويض ، ويقال أيضا ، إنه كان يمضى وقته محادثا صغار القرود ، عن روعة وجمال الغابة ، التى لم يروها أبدا لأنهم ولدوا فى عالم ملىء بالصخور .


عسل
النحل

الخواص العلاجية

لعسل النحل عبر التاريخ

بقلم: د. سمير يحى الجمل

● عسل النحل دواء شامل للانسان لم يصل إلى سره الأطباء !

● عسل النحل يشفى من العقم ويساعد على الشفاء من أمراض القلب وعلاج الجهاز التنفسى

عسل النحل تفرزه شغالات النحل فى الخلايا التى تصنعها بعد أن تحول رحيق الأزهار الى سائل لزج سكرى وفيه شفاء للناس بأمر رب العالمين ، كما جاء فى القرآن الكريم .

« وأوصى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا .. ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أن فى ذلك لأية لقوم يتفكرون » ـ « النحل الآية ٦٨ ـ ٦٩ »

ومجموعات النحل لها تنظيم يثير الدهشة ويلفت الانتباه تتحلى بالانضباط ، وتتميز بالعمل والعطاء ، والانتاج الوفير ، وهذه الامة لها عالم خاص تعيش فيه ، لها ضوابطها وقوانينها التى تفوق أعرق نظم العالم ، لأنها تتفوق فى مجالات عديدة اهمها مجال الطب بحيث تصنع دواء لايصل الى سره أعظم اطباء العالم .

وأمة النحل قديمة منذ ما يقرب من ٥٦

عسل النحل

مليون عام قبل ظهور الانسان .

واقدم ما حفظه لنا التاريخ عن استعمال الانسان القديم لعسل النحل هو الرسم الموجود على حائط فى كهف العناكب قرب مدينة فالينسيا «باسبانيا» من العصر الحجرى الحديث حيث يظهر فيه انسان يأخذ عسلا من ثقب فى صخرة قائمة والنحل يدور حولها .

وعلى نقوش الاهرامات والمسلات نجد أن المصرى القديم كان يصف العسل كغذاء ودواء .. فى حين ذكرت بردية ايبرس الطبية (المكتوبة حوالى عام ١٥٥٠ ق . م والتى ترجع مادتها العلمية والطبية الى ما قبل عصر الاسرات ، ما قبل عام ٣٢٠٠ ق . م) الى أن العسل يستعمل لعلاج الجروح ولادرار البول ولاراحة الامعاء وذكرت بردية إدوين سميث الجراحية - (كتبت عام ١٥٥٠ ق . م .) عن فوائد استعمال عسل النحل فى العمليات الجراحية كمطهر . وفى علاج الجروح بغية الاسراع بشفائها والتحامها .

وينسب الهنود الى العسل الكثير من المزايا العلاجية والمقوية حيث ذكرت الاساطير الهندية القديمة أن السمات المانحة للحياة للعالم تمثلها على شكل نحلة تقف على زهرة اللوتس .

وتصف العسل بأنه يهب السعادة للناس . ويحفظ الشباب ويستخدم كترياق ضد السموم المعدنية أو النباتية أو الحيوانية .

وفى بلاد اليونان القديمة كان العسل يعتبر اغلى ما منحته الطبيعة للبشرية . وكانت الهتهم خالدة لأنهم قد اكلوا من الطعام المخلوط بالعسل ، ولذلك كانوا يقدمون القرابين للآلهة مكونة من الفواكه المغطاة بالعسل .

وتغنى « هوميروس » الشاعر اليونانى الضرير فى القرن التاسع ق . م .. بالعسل وفوائده فى ملحمتيه الخالدتين «الالياذه والأوديسة » حيث يصف فى الأولى كيف ان «اجاميدا » قد جهزت شرابا منعشا من العسل لكى يشربه المحاربون من الأغريق .

واعترف فيثاغورث عالم الرياضيات الشهير بأن سر حياته المديدة (فوق التسعين) كانت نتيجة تناوله عسل النحل باستمرار مع الاغذية النباتية فقط .

ودعا ديمقريطس الاغريقى الى أكل العسل حيث أنه يطيل العمر (عاش الى ما بعد المائة عام) وكذلك دهان البشرة بالزيت مع العسل لأنه احسن علاج للبشرة الجافة التى تتشقق فينعمها .

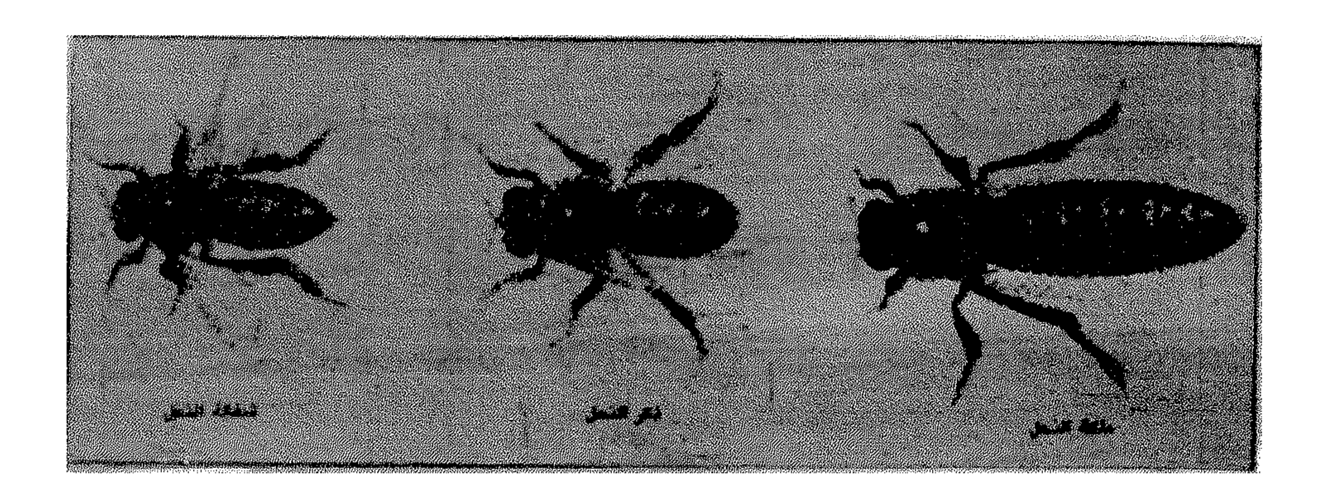
ومن علماء المسلمين نادى الشيخ الرئيس «ابن سينا » بتناول عسل النحل لاطالة العمر وحفظ القدرة على العمل إلى سن متأخرة .

● فوائد هامة للعلاج

ولقد ظل العسل الافا طويلة من السنين منحة عجيبة - من منح الطبيعة ، امتزجت فيها مزاياه كطعام ممتاز يستفيد منه الاطفال والكبار بالاضافة الى فوائده الطبية فى العلاج .

● علاقته بالطب الحديث

اثبت الطب الحديث فوائد عديدة لعسل النحل من اهمها تأثيره الواضح فى علاج



بعض أمراض القناة الهضميه حيث أنه يحول دول التخمر الذى يحدث فى المعدة والامعاء ويمتص بسرعة .

وكذلك لاحتوائه على عناصر مفيدة لتكوين الدم .

وهو ملين لطيف ، ومسكن للأعصاب فيساعد على النـوم بتناول ملعقتين صغيرتين مع اللبن الدافىء ثلاث مرات وخاصة قبل النوم ، ويقوى بدوره الجهاز العصبى للانسان ونظرا لوجود الكثير من الاملاح والمعادن فى عسل النحل ، فإن العديد من الأمراض المسببة للعقم عند الرجال والنساء يمكن شفاؤها بتناول مقادير من العسل يوميا .

ويمتاز العسل عن السكريات الأخرى بأنه لا يشكل مشكلة للكلى من جهة افراز مخلفاته او بأنه يحتوى على سكريات أحادية ، فإنه عند احتراقه بالجسم يمنحه طاقة حرارية فورية نظرا لسرعة احتراقه بمعدل اسرع بكثير من السكريات الأخرى ، وبذلك يتيح للرياضيين الذين يستهلكون الكثير من قواهم أن يستعيدوها فى وقت قصير .

وللعسل مميزات تفيد فى تسكين آلام المفاصل وإلتهاباتها ، ويشفى حالات التبول فى الفراش بالنسبة للأطفال ، حيث انه يمتص الماء من الجسم ، ويحتفظ به طيلة الليل فيريح الكلى .

ولهذا يمكن للطفل تناوله قبل النوم ، ويفيد أيضا فى علاج السعال بعد مزجه بعصير الليمون ويشرب على الريق ، فيزيل نوبات السعال ، ويشفى التهاب الشعب الهوائية .

ولقد تمكن العلم الحديث من معرفة الكثير عن محتويات عسل النحل منها :

١ ـ الانزيمات التى تزيد نشاط الجسم .

٢ ـ المعادن والاملاح حيث توجد به املاح قلوية وحامضية .

والجدير بالذكر أن نسبة بعض الاملاح فى عسل النحل تكاد تعادل نسبتها فى مصل دم الانسان ، وهـذه الاملاح والمعادن المعادلة للحموضة لها أهمية كبرى فى حفظ التوازن الحمضى القاعدى فالعسل بما أنه طعام قلوى فله أهميته البالغة فى تقرير خواصه الغـذائية والعلاجية .

٣ ـ الاحماض العضوية والبروتينات .

٤ ـ المركبات العضوية الخارجية .

٥ ـ الفيتامينات ولها أهمية كبيرة

عسل النحل

كعامل من العوامل البيولوجية التى لها صلة وثيقة بكل العمليات التى تحدث فى الجسم مثل عمليات التمثيل الغذائى والتخمر والنمو .

ومن اهم هذه الفيتامينات :

فيتامين « ب٢ » الذى يلعب دورا هاما فى تمثيل المواد البروتينية ويزيد من مناعة الجسم ، وفيتامين « ب ٦ » الذى يمنع التشنجات من الحدوث فى العضلات .

وحمض الفوليك الذى ينظم عمل الاعضاء المولدة للدم بشكله الطبيعى ، ويدخل فى عمل الغدد الصماء وتركيب الاحماض الأمينية ،

- فيتامين ك يمنع حدوث النزيف .
- فيتامين ج الذى يزيد من مقاومة الجسم ضد العدوى والأصابة بالميكروبات ، ويساعد على عمليات التأكسد والاختزال والتكوين العادى للدم

وقد ثبت ان هذه الفيتامينات توجد فى حبوب اللقاح . بحيث اذا ما رشح العسل للتخلص من هذه الحبوب فقد مابه من الفيتامينات .

٦ ـ الغذاء الملكى : وهو من أهم منتجات العسل والذى تعرض لدراسات طويلة .

وكان العلماء ودارسو النحل مشغولين فى دراسة تشريح وظائف اعضاء النحلة الشغالة ، والملكة وذكور النحل ، وحاولوا ان يبحثوا عن السبب فى أن الملكة وهى تخرج من بيضة تشابه بيضة النحلة الشغالة ، الا أنها تبلغ عند نضجها ضعف حجم ووزن الشغالة ، ويمكنها البقاء على قيد الحياة لمدة ٦ سنوات فى حين أن عمر الشغالة يتراوح ما بين ٣٠ ـ ٣٥ يوما .

ودلت الابحاث على أن البيضة التى تفقس الملكة توضع فى خلية واسعة ، تختلف عن خلايا النحل الشغالة حيث يتم تغذية اليرقات على نوع خاص من الطعام وهو الغذاء الملكى الذى يعد طعاما مغذيا جدا وتركيبه الكيميائى معقد الى حد كبير ، وله خاصية عالية فى قتل الميكروبات ، وهذا يفسر بقاءه لمدة طويلة دون أن يفسد او يتحلل .

٧ ـ هورمونات : حيث يحتوى العسل على هورمون ينشط الغدد الجنسية ، وكذلك يعيد النشاط لبناء الأعضاء الضعيفة ، ويشفى الأمراض العصبية .

ويقوى الجهاز الدورى ، ويقلل من نمو الخلايا السرطانية .

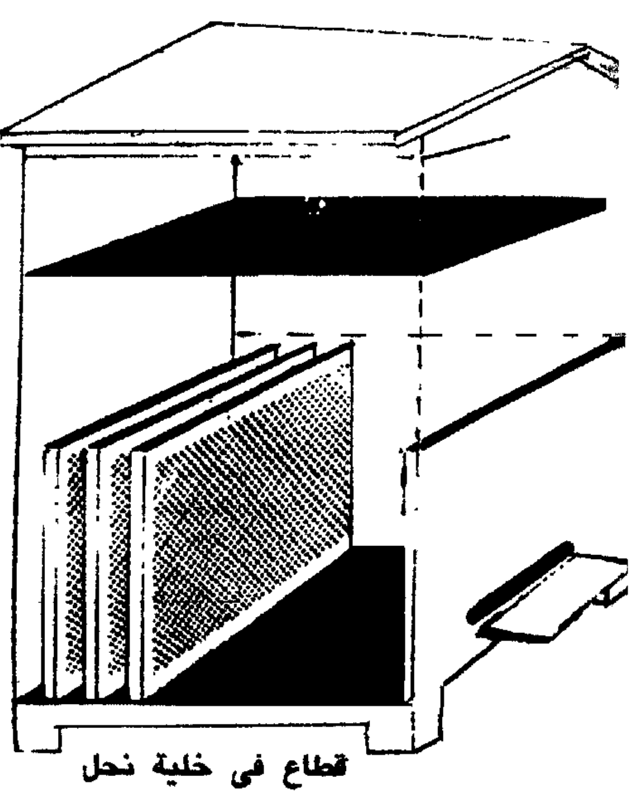
٨ ـ السكريات : ومن اهمها سكر العنب « الجلوكوز » حيث يعالج امراض الدورة الدموية ويخفف من التوتر العصبى والنزيف المعوى وقروح الأمعاء وامراض امعاء الأطفال المعدية المختلفة مثل الدوسنتاريا والملاريا والتهاب الزور ، والحمى القرمزية والحصبة والتسمم .

ويحتوى العسل ايضا على سكر الفركتوز «سكر الفواكه » والسكروز وسكر القصب .

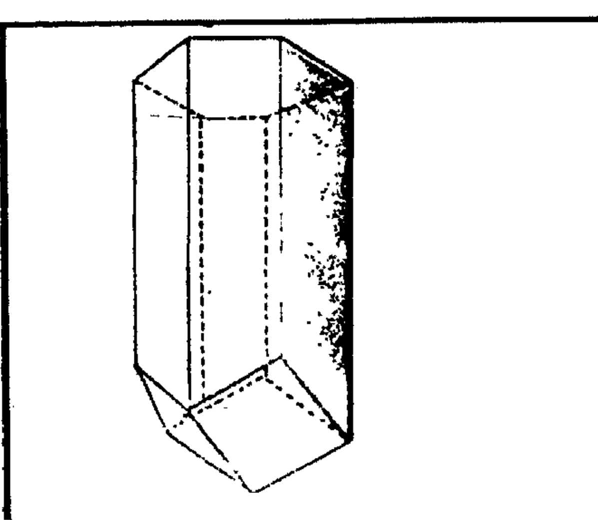
٩ ـ مضاد حيوى : والعسل من المضادات الحيوية القوية لانه قلوى التكوين وبالتالى يعقم الفم .

● عسل النحل والطب الشعبى

استخدم الطب الشعبى عسل النحل كدواء هام فى علاج الأمراض منذ القدم ، ففى بلاد اسيا يوصف العسل ممزوجا بالبابونج ، وبحشيشة القراص ، وبرجل الاوزة وبالبصل والثوم والجزر الابيض وبذور الخردل والخشخاش وغيرها .



قطاع فى خلية نحل



وعسل النحل كعلاج شاف استعمله الاطباء الشعبيون على مر العصور على الوجه الآتى :

١ - علاج الجروح

استعمل الطبيب الاغريقى ابقراط عسل النحل لعلاج الجروح بنجاح تام ، كذلك وصف العالم الروماني بليثي وصفة طبية من عسل النحل ممزوجا مع دهن السمك لعلاج القروح والخراريج الموجودة بالفم .

واعتبر ابن سينا أن لعسل النحل خاصية الامتصاص ويشفى الجروح السطحية على هيئة لبخة مصنوعة من عسل النحل والدقيق فقط .

وفى القرن العشرين توصل العلماء الى مادة بالعسل تزيد من كمية « الجلوتاثيون » فى مكان الجرح والذى يلعب دورا هاما فى عمليات الاكسدة والاختزال فى الجسم وينشط نمو الخلايا ، وبذلك يسرع فى شفاء الجروح .

٢ - علاج الجهاز التنفسى

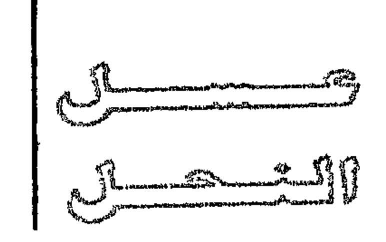
استعمل العسل منذ أزمنة بعيدة لعلاج الزكام وذلك بشربه مع لبن دافىء ، او مع عصير الليمون .

(عصر نصف ليمونه مع ١٠٠ جرام عسل نحل) او مع عصير الفجل مع الراحة التامة فى الفراش .

٣ - علاج امراض والتهاب الرئة :

ذكر الطبيب الاغريقى ابقراط ان شرب عسل النحل يزيل البلغم ويوقف السعال .

واستعمل الهنود عسل النحل فى علاج أمراض الرئة شربا مع اللبن حيث يشفى



مرض السل ويقوى البنية وينصح ابن سينا بشرب عسل النحل مع بتلات الورد لعلاج أول اطوار مرض السل على الريق وقبل الغذاء .

وترجع فائدة عسل النحل فى ذلك الى أنه يزيد من مقاومة الجسم عامة ، وبهذا يعاون فى التحكم فى العدوى ويزيد من نسبة الهيموجلوبين فى الدم . .

٤ ـ علاج امراض القلب :

اعتبر ابى سينا عسل النحل علاجا ممتازا لالتهابات القلب وامراضه ، وكان ينصح بتناوله مع عصير الرمان يوميا لشفاء علل القلب وفى الطب الشعبى يستعمل العسل لتقوية القلب الضعيف وشفاء الذبحة الصدرية ويقوى الجهاز الدورى .

ويرجع ذلك الى أن نسيج القلب العضلى يجب تزويده بكميات من الجلوكوز يوميا تعوض ما يفقده من طاقة وهذه الكمية متوافرة بكثرة فى العسل .. وبذلك ينصح دائما مرضى القلب بإستعمال العسل يوميا .

٥ ـ علاج امراض المعدة والامعاء :

يعالج ضعف المعدة بالعسل حيث يساعدها على افراز عصاراتها الهاضمة ، وبذلك يتم هضم الطعام بيسر وفى وقت وجيز ويرجع سبب ذلك الى أن الحديد والمنجنيز فى العسل يساعدان على اتمام عملية الهضم على الوجه الأكمل ، ويشفى عسل النحل الامساك الحاد والمزمن .. ويقلل من حموضة المعدة . وبذلك يشفى من الاضطرابات المعدية والمعوية وقرحة المعدة وبذلك ينصح بتناول عسل النحل قبل الاكل بساعة مع بعض الماء الدافىء .

٦ ـ علاج امراض الكبد :

يستعمل عسل النحل على نطاق واسع فى الطب الشعبى لعلاج اضطرابات الكبد ، ويرجع ذلك لأنه طعام ممتاز لخلايا الجسم وانسجته ، ويعمل الجلوكوز على زيادة مخزون الكبد من الجليكوجين الذى ينشط عملية التمثيل الغذائى فى الأنسجة ، ويقوم الجلوكوز بزيادة أثر وعمل الكبد كمرشح وترياق للسموم ، وخاصة التى تفرزها البكتيريا ، وبذلك تزيد من مقاومة الجسم للعدوى .

٧ ـ علاج امراض الجهاز العصبى :

نصح ابن سينا بشرب العسل فى حالات الارق ، وذلك بكميات قليلة اذ أن كثيره يحدث تهجيا زائدا للجهاز العصبى .

وكان الروس القدماء يخلطون كميات متساوية من بذور العرول وعاقر قرحا والجنزبيل مع العسل للشفاء من الصداع الشديد .

٨ ـ علاج الامراض الجلدية :

استعملت منذ الاف السنين مراهم عسل النحل وأقراصه لعلاج مختلف أمراض الجلد ويمكن ذلك بصنع لبخة من عسل النحل مخلوطة ببعض أوراق الشيح والثوم ..

ولقد لاحظ ابقراط ان عسل النحل اذا خلط مع زلال البيض والقشدة الحامضة ، فإنه يقوى الجلد ويطريه .

٩ ـ علاج امراض العيون :

استعمل عسل النحل فى مصر الفرعونية كواحد من انجح الأدوية لعلاج

امراض العيون المختلفة ، حيث ذكر فى بردية ايبرس الطبية « أن عسل النحل يفيد فى علاج امراض العيون والتهاباتها ، وتورم الجفون ، واحمرار ملتحمة العين وذلك بدهانها بالعسل يوميا » .

ولعسل النحل استعمالات كبرى وخاصة بعد العمليات الجراحية ويضاف له احيانا شراب الورد البرى أو بعض الفاكهة وعلاج امراض الأطفال وامراض الشيخوخة ومرض البول السكرى .

● العلاج بسم النحل

استعمل القدماء لدغات نحل العسل كوسيلة ناجحة للشفاء من الام النقرس والروماتزم وحمايتها ، وقد كشفت جمهرة العلماء ان سم النحل يحتوى على بعض الاحماض التى يظن انها سبب شفاء الالام .

ويمكن حقنه بكميات ضئيلة تحت الجلد أو دهانه على الجلد .

● العلاج بشمع العسل

يحتوى شمع العسل على مواد معقدة التركيب يزيد عددها على ١٥ مادة ، واستعمل هذا الشمع منذ الاف السنين فى اغراض القرابين فى العصور القديمة وفى صناعة الالوان الشمعية وحفر التماثيل وكذلك لحفظ الجثث عن طريق حقنها بالشمع السائل الملون داخل الشرايين .

ويشفى الشمع الجروح المزمنة والدمامل ومرض الثعلبة الجلدية .

● العلاج بغراء النحل

يصنع النحل نوعا من الغراء عن طريق تحويل حبوب اللقاح التى يمتصها مع رحيق الازهار الى نوع من الراتنج اللاصق ، واستعمل منذ القدم فى علاج الامراض مثل الاورام الخبيثة والجروح وكذلك عين السمكة .

● انواع عسل النحل

هناك عشرات الأنواع من عسل النحل وتختلف بعضها عن بعض فى عدة خواص اهمها الأصل الزهرى والموقع الأقليمى والناحية التقنية ، ومعظم انواع عسل النحل لها عدة مصادر زهرية فى حين أن العسل الوحيد الأصل نادر مثل ذلك النوع الذى يغلب عليه رحيق أزهار الزيزفون والمسمى عسل الزيزفون .

وبعض انواع عسل النحل تختلف فى لونها ، فهناك اللون الفاتح والمتوسط والداكن وهناك العسل الخفيف الذى يعتبر اغلى انواع العسل فى حين أن العسل الداكن يحتوى على كمية كبيرة من الاملاح المعدنية مثل الحديد والنحاس والمنجنيز ، وبعض الأنواع تختلف فى رائحتها ، فمنها الرائحة العطرية الخفيفة مثل عسل الحمضيات والزيزفون ، ومنها ذات الرائحة الكريهة مثل عسل التبغ .

● العسل السام

عرف العسل السام منذ الاف السنين، واقدم ما وصلنا عنه منذ الفى عام تقريبا ، حيث ورد على لسان المؤرخ اليونانى والقائد الاثينى القديم « زينوفون » ان جيشا من عشرة الاف جندى كانوا يحاربون فى آسيا الصغرى قد اصيبوا باسهال شديد بعد تناولهم عسلا فى بلدة تدعى كولشيس ، وظهر عليهم اعراض التسمم وكذلك فطنوا الى سمية العسل الذى كان متوافرا بكميات هائلة دون أن يمسه الاهالى .

تغيير التعليم قبل تغيير المجتمع



بقلم :
د. سعيد إسماعيل على

ارجو الا اكون متحيزا للتخصص عندما اقول ان (التعليم) من اكثر النظم الاجتماعية تصويرا لجملة احوال الامة ، ان كان خيرا فخيرا وان كان شرا فشرا ، ولعل تاملا سريعا فى (السند) الذى تقوم عليه هذه المقولة ، وهو ان التعليم يعتبر (متغيرا تابعاً) ، على عكس مايردده التربويون من انه الأداة السحرية التى تمحو التخلف وتشيع التقدم ، يؤكد الا تحيز هنا .

ومن هنا فقد شهد التعليم المصرى منذ أوائل القرن التاسع عشر تذبذبا فى مسيرة التقدم ، صعودا وهبوطا وفقا للخط البيانى الذى كانت عليه مصر من مظاهر القوة أو الضعف .

وهكذا شهد تعليمنا فى عشرينات وثلاثينات القرن التاسع عشر تنوعا وثراء وتقدما لم يشهده من قبل فى اية فترة من فترات التاريخ .

ثم إذا بالعواصف تعصف به عصفا منذ أواخر حكم محمد على وتتاكد مظاهر التدمير والانتكاس فى عهدي عباس الأول والى حد كبير سعيد ، ليعاود التعليم بعض النشاط فى عهد اسماعيل بعد ان سرت فى شرايينه دماء قوة وحيوية . لكن قوى البغى سرعان ما اطبقت بكل ما تملك من وسائل على انفاس مصر بدءا من عام ١٨٨٢ لتجعل من التعليم المصرى (كعصف ماكول) .

وتشكل الفترة من عام ١٨٨٢ حتى عام ١٨٩٢ قاع التاريخ المصرى فى العصر الحديث بفعل ماشهدناه من مظاهر القهر والاستغلال والاستعباد سواء على يد قوى الاحتلال البريطانى نفسها او القوى الاجنبية بصفة عامة عن طريق ممثليها فى مصر فى مجالات النشاط المتعددة ، او القوى المحلية الحاكمة التى تطابقت مصالحها بالمصالح الاستعمارية ، بل ورهنت وجودها بوجود الاستعمار نفسه .

ولانعنى بهذا أن تحولا كبيرا بدأ بعام ١٨٩٢ ، وانما نستطيع القول أن ذلك العام كان بشيرا بقدر من التغيير ذى الايقاع البطىء للغاية والذى كان يتوقف فى بعض الاحيان ، فقد كان عباس حلمى شخصية مختلفة عن سلفه توفيق ، وكانت صدمة الاحتلال قد بدات آثارها تخف لتعاود (الوطنية المصرية) حركة كفاحها ونضالها ضد الاستعمار ، وما لايقل عن ذلك أهمية ، دون مجاملة ؛ صدور الهلال ليمثل (جامعة) تبث الثقافة الواعية والعلم النافع والادب الراقى بين الجماهير .

فماذا كان عليه حال التعليم فى نهاية هذه الفترة (٨٢ ـ ١٨٩٢) التى مثلت قاع تاريخ مصر الحديثة ؟

● التعليم الفنى :

من الطبيعى أن يترتب على ما كان يسود الصناعة فى مصر فى هذه الفترة

تغيير التعليم قبل تغيير المجتمع

من تأخر بالغ تمثل قيامها على الاساليب البدائية وتوجيه سياسة البلاد الاقتصادية على أساس تخصصها في الزراعة ، وقيادة الاجانب لأغلب المناشط الاقتصادية الهامة لتسييرها وفقا لأغراض الرأسمالية العالمية التي كانت لاترى ضرورة للقيام بأي نشاط صناعي حديث حتى تبقى مصر سوقا لانتاجها الصناعي الوارد من بلادها الأصلية وكذلك ماكان من ظهور الرأسمالية المصرية وتقوقعها داخل النشاط الزراعي .. كان من الطبيعي لهذه الظروف الا تبلغ عملية إعداد الافراد الصناعيين الا الى الدرجة التي تقف بهم عند حدود خصائص ما كان يسود سوق الصناعة من فقر في الادوات والأساليب والعمليات .

والظاهرة التي لفتت نظر (علي مبارك) أن تلاميذ مدرسة الفنون والصنائع ببولاق كانوا يتركون المدرسة في أثناء الدراسة حتى أنه قد تركها في إحدى السنوات واحد وثلاثون تلميذا ، في وقت كان عدد التلاميذ فيه لايزيد عن بضع مئات قليلة ، وبالتحري عنهم علم أنهم قد وجدوا محال يتكسبون منها بعملهم على الرغم من أنهم لم يتموا دراستهم ولم يمكثوا بالمدرسة خمسة عشر شهرا ، والبعض الآخر نحو الثلاثين شهرا ، وعلى الرغم من تعليل علي مبارك لهذه الظاهرة بأنها برهان قاطع على حسن التعليم وكثرة فوائده بالنسبة لشبان البلاد الذين يرغبون في الاشتغال بالصنائع حيث أنهم بعد الزمن اليسير الذي يقضونه في هذه المدرسة فأنهم يرون انفسهم أكفا للقيام بالاعمال والسعي في الكسب ، إلا اننا لانشارك علي مبارك في هذا التفسير ، ذلك أن معظم تلاميذ المدرسة كانوا من أولاد الفقراء ، الذين لم يكن في أستطاعتهم الاستمرار في الدراسة لحاجة أهلهم الى مساعدتهم بعملهم الخاص .

وحرصت سياسة الاحتلال في هذه الفترة على (تحجيم) التعليم الصناعي بحيث لايتعدى مهمته في اعداد عدد ضئيل من العمال شبه المهرة ، فهذا مهندس هذه السياسة (دنلوب) يؤكد أن من أهم السبل التي كان يمكن اللجوء اليها لادخال بعض اساليب الحياة الأوربية لتحويل المجتمع المصري عن الاعمال اليدوية مثل السقاء وصناعة الغرابيل والنسيج .. الخ ، لايكون بانشاء مدارس صناعية (كاملة راقية) وانما يكون بتدريب بعض التلاميذ المنتقين من الكتاتيب في بعض الاعمال والمصالح الحكومية لدى الصناع والفنيين الذين يمارسون عملا فنيا أو صناعيا معينا ، ودنلوب بهذا كان يريد أن يتخذ مدرسة (كاسانوفا) في (نابولي) مثالا ينسج على منواله ، فقد اسس هذه المدرسة رجل من نابولي سنة ١٨٦٤ ، والغاية منها تقديم قدر بسيط من الصنائع اليدوية لاولاد الفقراء .

وكان عدد طلاب مدرسة الهندسة عام ١٨٨٢ (٥٥) طالبا . فاذا به يصبح بعد عشر سنوات ، أي عام ١٨٩٢ (٢٥) طالبا !! ، وبعد ١١ سنة اي بعد ١٩٠٣

يصبح عددهم ٢٣ طالبا !! وقد علل على مبارك تناقص طلبة الهندسة بقوله أن ذلك يرجع الى صعوبة المواد الهندسية بالنسبة لغيرها من المواد التي كانت تدرس بالمدارس العليا الأخرى ، بالاضافة الى عدم الثقة في مستقبل المهنة ، وكثرة المصروفات المدرسية وقلة النسبة التي كانت مخصصة للطلاب الذين يمكن أن يتعلموا مجانا .

وتفسير على مبارك ، وأن كان يحمل بعض الصحة ، إلا أنه لم يكن كاملا ، كما لم يكن دقيقا فقد جاء في تقرير لدانلوب أن المدرسة ظلت تعانى من نقص اثنين من الاساتذة عدة شهور ، كما أن أحد الاساتذة كان قد بلغ من العمر عتيا ، ولايعرف الا الافكار الهندسية القديمة جدا والتي تغيرت واصبحت غير مناسبة . وكان هناك استاذ آخر غير خبير فيما يقوم بتدريسه" والطلبة في لهفة ورغبة عارمة في التعليم ودائما يعملون فوق طاقتهم ، ومن غير العدل أن يحصلوا على تعليم لايشبع نهمهم ويعطيهم قدرا مرضيا من المعرفة والخبرة الهندسية ... وما لم تحسن حالة هيئة التدريس ، فإن أحسن العناصر من الطلبة سيذهبون الى المدارس العالية الأخرى ولايبقى منهم ممن يضطرون الى دخول المدرسة الا أسوأ العناصر» وكان ذلك في تقرير لدانلوب عام ١٩٠١ .

كذلك فقد كان المكان الذي توجد فيه المدرسة لايساعد على حسن سير العملية التعليمية ، فقد كانت المدرسة تشغل الدور الأرضي لوزارة الاشغال حيث لم يتيسر ايجاد مكان تجرى فيه العروض والتجارب لدرجة كانت تضطر القائمين بالمدرسة الى وضع بعض الآلات التي كان الطلبة يتعلمون عليها في حديقة مدرسة مجاورة ، وكانت الغرف أما صغيرة لاتتسع لتعليم التلاميذ أو سيئة الاضاءة ، وفي بعض الحالات كانت مشبعة بالرطوبة .

يضاف الى ما سبق ، كثرة المهندسين الاجانب وبخاصة الانجليز في وزارة الاشغال واحتكارهم الوظائف القيادية العليا وابتلاعهم جزءا كبيرا من المبالغ المخصصة لرواتب الموظفين . ولما تقرر زيادة المرتب الذي يتناوله خريج الهندسة من ٨ جنيهات الى ١٢ جنيها شهريا ، تزايد عدد الطلبة حيث أصبح ٥٧ تلميذا عام ١٩٠٥ كما يلاحظ أن المدرسة كانت قد أنتقلت من مكانها في وزارة الاشغال الى ماكان خاص بها عام ١٩٠٥ ، واستمرت زيادة الاقبال على المدرسة بعدة سنوات حينما استحدثت عدة أقسام تعد المهندسين اللازمين لمواجهة التطور السريع الذي حدث في المجال الصناعي نتيجة الحرب ، فبعد أن كانت تقتصر على قسمى الرى والعمارة أصبحت تشمل اقسام : البلديات والميكانيكا والكهرباء ، لهذا وصل عدد الطلبة فيها في العام ١٩٢٤/٢٣ الى ٤٥٣ طالبا .

● الزراعة وكيفية المهارة

ومن الملاحظ أن المدرسة الزراعية في مصر في هذه الفترة لم تقم بجهد يذكر لتحسين أساليب الزراعة وارشاد الفلاحين ببعض المعلومات التي تنير أمامهم طريق العمل الزراعي السليم . وما كان ذلك إلا

تغيير التعليم قبل تغيير المجتمع

لأن المدرسة الزراعية كانت تعد طلبتها لمجرد أن يكونوا اداريين ، فهم لم يتلقوا فى مدرستهم ما يمكنهم أن يديروا بذكاء ومهارة مزرعة ما أو يربوا الدواجن والماشية أو يعرفوا كيفية التمويل المالى للمشروعات الزراعية بطريقة عملية . ومن هنا قدم عبد الله النديم فى (الاستاذ) ـ العدد ٢٧ ـ اقتراحا يهدف منه الى توسيع نطاق الدراسة العملية والميدانية . والى نفس المعنى ذهبت جريدة المقطم (العدد ٦٥١٤) ، فاكدت على ضرورة المزج بين كل من الجانب النظرى والجانب العملى من السنة الأولى فصاعدا ، فيكون التعليم الزراعى بالعمل أولا ، وتستنتج القواعد العلمية من العمل "فان الوليد يميل الى العمل ولايسامه كما يسأم العلوم النظرية ، فإذا عمل بحرث الأرض وزرع المزروعات المختلفة وتربية المواشى والطيور وأرشده استاذه الى مايقوم عليه ذلك كله من القواعد العلمية ثم علمه تلك القواعد فى الكتب ، رسخت فى ذهنه حالا ، لأنه يراها منطبقة على العمل الذى رآه بعينه ويمارسه بيده .

واذا كان نشاط الاجانب الاقتصادى قد تركز فى مجال المال والتجارة ، كان من الطبيعى أن يحرص الاحتلال على الا يوجد من المصريين من تلقوا ـ سواء بالعلم أو الخبرة ـ مهارات فنية تجعل منهم فنيين على مستوى عال من المعرفة والعمل بأعمال التجارة وفنونها خاصة وأن الاجانب لم يحاولوا الاستعانة بأحد من المصريين فى هذا المجال . ولذلك لم يكن من الغريب أن يتأخر اعداد الأفراد العلميين التجاريين بالذات عن غيرهم من الطوائف الاخرى لأن عملهم يتصل بمجال احتكرته الراسمالية الاجنبية ، ولهذا لم تكن هناك عام ١٨٩٢ مدرسة للتجارة ، وحتى عام ١٩١٠ لم يكن بالبلاد شىء من معدات التعليم التجارى سوى بعض الدروس التجارية النهارية أو الليلية التى أنشأها بعض افراد الجاليتين الفرنسية واليونانية لمواجهة حاجات الشركات والمصارف والبنوك الاجنبية من الموظفين الاجانب ، كذلك كان للجالية الايطالية بمصر والاسكندرية منذ عهد بعيد بعض الفصول التجارية فى مدارسها .

● تعليم القانون

كان اسم المدرسة التى تعد القانونيين عندما انشئت عام ١٨٦٨ (الادارة والالسن) وفى عام ١٨٩٢ الغى منها القسم الابتدائى الذى كان قد استحدث عام ١٨٨٦ لاعداد محضرين ومترجمين ومن يلزم من المستخدمين لأقلام الكتاب والنيابة بجميع المحاكم ، وكذلك اقلام قضايا الحكومة والوزارات وسائر المصالح التى تحتاج لأشخاص لهم معلومات قانونية ، وكانت مدة الدراسة فى هذا القسم سنتين واقتصرت المدرسة على القسم العالى فقط حيث صارت مدة الدراسة فيه اربع سنوات بدلا من ثلاث .

وأهم ما يلفت النظر حقا فى هذا القطاع من التعليم أن تم التوسع فى

التعليم العملى فى السنة الأولى لقانون المرافعات حيث كلفت تلاميذها بأن يقيموا على بعضهم دعاوى واقعية من الدعاوى المنظورة أمام المحاكم المصرية لاخيالية فقط كما يحدث غالبا فى استعمال الامثلة ، فكان بعضهم يدافع عن المدعى ، والبعض الآخر يدافع عن المدعى عليه ، وفريق يتداخل فى الدعوى بصفة مدع بالحقوق المدنية مخافة أن يلم به ضرر من الحكم الذى يصدر عن الخصمين ، وبذلك كانوا يتعرضون لتجربة جميع الأحوال التى تحدث فى المرافعات أمام المحاكم مثل التكليف بالحضور وتقييد الدعوى واقامة مسألة فرعية وعمل تحقيق وتقديم نتيجة كتابية ومرافعة شفهية وصدور الاحكام واعلانها واستئنافها أو الطعن فيها أو معارضتها والتنفيذ بحجز المنقولات وبحجز العقارات وغير ذلك . وبالجملة كانت النظريات تتجسم لهؤلاء التلاميذ وتتحقق لديهم بصورة ظاهرة محسوسة ، فكانوا يتدربون بذلك على جميع الاعمال القضائية الكلية منها والجزئية .

وكانت لغة التعليم فى جميع المواد ، باستثناء الشريعة الاسلامية باللغة الفرنسية ، وذلك منذ أنشاء المدرسة حتى ١٨٩٩ حيث كانت تدور معركة بين النفوذ الفرنسى والنفوذ الانجليزى حول التسيد على الشخصية المصرية ، وقد استطاع الانجليز بحكم سلطانهم أن يقسموا المدارس الثانوية قسمين : قسم إنجليزى وقسم فرنسى على أن يختار الطالب القسم الذى يريده ، ولم يمض زمن طويل حتى صارت الاغلبية العظمى منهم يختارون القسم الانجليزى ومن ثم كان الطلبه الذين يتلقون دروسهم باللغة الانجليزية فى المدارس الثانوية محرومين بطبيعة الحال من الدخول فى المدرسة ، وكانوا بالتالى محرومين من الاشتغال بمهنة القانون فى مصر ، ولذلك أنشىء قسم انجليزى بالمدرسة سنة ١٨٩٩ .

● تعليم الطب

والمطلع على التقرير الخاص الذى وضعه الدكتور (ساندويز) سنة ١٨٨٣ عن المستشفى والمدرسة اللتين كان يعد فيهما الاطباء ستفزعه الحقائق المروعة التى يحملها التقرير الى درجة ستخيل اليه انه يقرأ عن أوضاع خيالية مما يبعث على الأسى والمرارة ، ومن المؤسف أيضا أن تلك الأوضاع قد استمرت حتى هذا العام الذى نكتب عنه وهو عام ١٨٩٢ ، فمن ذلك ما جاء بالتقرير من وصف للقصر العينى الذى يقول أنه كان من أوله الى آخره فى غاية القذارة ، وقلما ذهب اليه مريض الا مجبرا ، وكان به تسعون طالبا ، وكان المفروض أنهم يشتغلون بالمستشفى ، غير أنه لم يسمح لهم بدخول قسم النساء ، فكان المختص به ثلاثون طالبة من القابلات ، ولم يتلق الطلبة أى دروس عملية فى التشخيص ، ولم يعودوا تدوين المذكرات أو قياس درجات الحرارة أو فحص البول أو أى اختبار طبيعى متقن . وكانت الجراحة مع التعقيم لم تعرف بالمستشفى ، وكانت المخدرات غير موثوق بها مطلقا حتى أن معظم العمليات الجراحية الكبرى ، كانت تجرى عادة بدونها .

وكان المرضى يعاقبون بالحبس ويقيدون فى أيديهم وأرجلهم بالسلاسل

تغيير التعليم قبل تغيير المجتمع

والاغلال . ولم يكن هناك وقتئذ حراس يحرسون المساجين ، فكان يستعاض عن ذلك مهما كانت أمراضهم بتقييد أرجلهم بسلاسل يبلغ طولها ٦ أقدام ووزنها يزيد على الخمسة أرطال ، فكانوا يبقون فى هذه السلاسل ينتظرون الحياة أو الموت . ولم يكن بالمستشفى قسم للمرضى الخارجيين . ولم يسمح بفحص الجثث بعد الموت الا اذا حتم القانون ذلك .

فلا غرابة اذا أن المستشفى لم يدخله اى شخص ذو بال اللهم الا العميان المتسولون الذين كانوا لشدة فقرهم يضطرون الى طلب الدخول بالمستشفى ، وهؤلاء لم يدخلوه الا بعد معاناة الذهاب الى محافظة المدينة للحصول على ترخيص بالدخول ، ولقد كان عند جمهور القاهرة اعتقاد راسخ أن المستشفى انما هو مقدمة للقبر ، وأن الخدم يسرقون حاجات المرضى ويشبعونهم ضربا ، ثم يدس لهم السم من الأطباء .. ومع ذلك كان عدد المرضى فى معظم الاحيان لاينقص عن ٤٠٠ معظمهم من الجنود ورجال الشرطة وموظفى الحكومة والمساجين والمجاذيب والعاهرات وأبناء المستشفى .

وكان البناء مؤلفا من أربعة أجنحة متصل بعضها ببعض يحيط بها فضاء من الأرض انتشرت به اشجار اللبخ الضخمة بحالة تحجب الضوء والهواء عن النوافذ ، وبالجدران شقوق تخلفت عن سقوط البياض . ولطول العهد عليها اتخذتها الافاعى جحورا تأوى اليها ، اذ يذكر الكمتر (ملتون) أن جرسا كان معلقا بفناء المدرسة ، وأن هذا الجرس كان يدق لاستدعاء الصيدلى كلما لدغ عقرب أحد المرضى بالعنابر . وكان الجزء الأكبر من الدور الأرضى مكونا من حجرات رطبة مظلمة جعلت مقر المخازن العامة لجميع المستشفيات الأميرية ، أما عنابر المرضى ، فكانت فى الدورين العلويين من البناء ، غير أنها لشدة انحصار الهواء فيها باقفال ابوابها ونوافذها ، كانت تتصاعد منها روائح شديدة ، وكادت تكون عديمة التهوية ، اذا كان معظمها صغيرا جدا لايتجاوز سطحه ١٧ قدما فى ١٣ ، وكانت أرضها مبلطة ببلاط مفتت غير ملتحم بعضه ببعض ، فكان لكثرة مسامه يمتص السوائل القابلة للتعفن ، كما كانت الجدران الخشنة والسقف الخشبية مأوى للبق ، وكذلك حالة الأسرة المعدة للمرضى ، فأنها كانت مكونة من الواح من الخشب مدت على قوائم من حديد . وكان المرضى كثيرا ما يفضلون النوم نهارا هربا مما كانوا يقاسونه من مضايقة القمل وما شابه .

ولم تكن حال المدرسة أحسن كثيرا من المستشفى ، فقد كان الطلبة يقومون ببعض الاعمال فى قاعة التشريح ، وكان الخدم هم الذين يقومون فى الغالب بما يلزم الطلبة من الشروح . أما الابحاث الباثولوجية والمعامل العلمية والاشغال العملية ، فلم تكن من الاشياء المألوفة وقتئذ ، وكان القائم بالقاء محاضرات فى علم وظائف الاعضاء مدرس حديث لم يكن له من المؤهلات العلمية سوى أنه كتب فى فرنسا منذ عشرين عاما رسالة فى هذا العلم ، وكانت الدروس التى يتعلمها



لقطة نادرة لأول مدرسة طب حديث فى مصر .. قصر العينى حاليا

الطلاب مؤلفة من مذكرات وضعت فى سنه ١٨٧٠ ، وبقيت تلقى على الطلبة فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر .

ولهذا لم يكن غريبا أن يكون عدد طلاب السنة الأولى عام ١٨٩٧ (١٢) طالبا فقط ، ولم يكن بباقى فصول المدرسة سوى ١٥ طالبا .

● الاحتلال والتعليم

ولاشك أن صورة مثل هذه بكل ما فيها من كآبة وشقاء حال أن دلت على شيء فانما تدل على ما بلغت اليه جناية الاحتلال على التعليم ، ففى هذا النوع الهام منه تصل به الحال الى هذه الدرجة ، ولاتتحرك السلطات المسئولة لاصلاحه الا عام ١٨٩٨ حين فوجيء المسئولون بأن المدرسة لم يعد أحد من الطلبة يلتحق بها !! ولم يهتموا باعداد الاطباء اللازمين لسد حاجة البلاد منهم وهناك الاطباء الاجانب الذين يمكن أحضارهم بسهولة دون أن يكلفوا مشقة الاعداد والتدريب .

هذا الى أن الطلب على الاطباء لم يكن شديدا أو ملحا فسواد الشعب ، كان على درجة دنيا من الفقر وسوء الحال وبؤس الجهل مما كان يجعلهم لايستشعرون أهمية العلاج الطبى أو حاجة للأطباء . فما كان شائعا من تفكير خرافى كان يتكفل بذلك ، وبقية افراد المجتمع من الاعيان وكبار التجار والاجانب لايثقون بالطبع بامكانية الاطباء المصريين ولايطرقون الا ابواب الاجانب من الأطباء أو السفر الى الخارج للعلاج فى أى بلد أوربى .

......

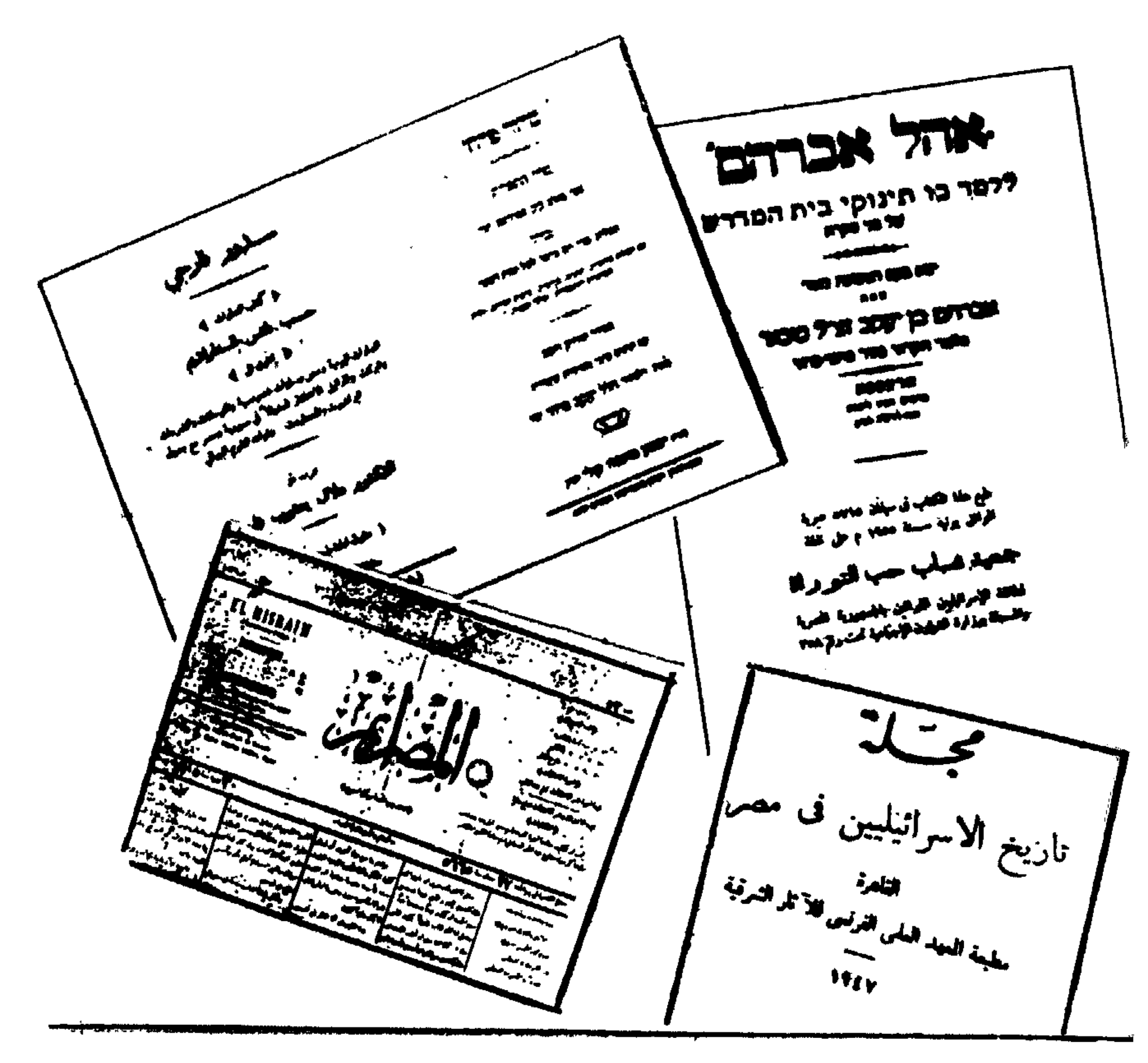
أن صور ومشاهد التعليم كثيرة ومتنوعة ، وربما نعود الى بعض آخر منها فى مقال تال ، وهى وأن كانت مؤسفة ومحزنة ، فإننا نعتذر للقارىء ، فما نريد له حزنا وما نريد له أسى ، وأنما هى حقائق التاريخ التى لانستطيع لها تحويلا . وعلى أية حال فرب ضارة نافعة ، فإن هول مثل هذه الصور الماضية ربما تهون على القارىء عبء متاعب ومشكلات حاضرة !!



أثر الثقافة العربية

فى ثقافة الجماعات اليهودية

بقلم: عرفه عبده على



فى مواجهة الغزوة الصهيونية بكل اساليبها وابعادها ، ومحاولتها اختلاق جذور ثقافية وحضارية وتاريخية من غيابات الأوهام والأساطير والتعصب الدينى والعنصرى ، ينبغى علينا ان نلقى الضوء على الوجود اليهودى فى المجتمع العربى الاسلامى - فى مختلف عصوره - ومدى تأثره بالظواهر الاجتماعية والثقافية لهذا المجتمع . كما لابد من دحض إدعاءات اليهود بالتمايز الحضارى والاجتماعى والثقافى .. فلذا كان لليهود بعض الخصائص الثقافية التى تميزهم ، فمن المؤكد انها كانت ثقافة فرعية ذات اصول دينية نمت داخل الاطار العام لثقافة المجتمع العربى الاسلامى خاصة فى العصر الوسيط ، ولقد ادى النشاط الثقافى الهائل الذى شهدته فترة اشراق الحضارة العربية الاسلامية فى ذلك العصر الى تخلى اليهود فى ارجاء العالم الاسلامى - وخاصة فى مصر - عن اللغة الآرامية واللغة العبرية واتخاذهم اللغة العربية لغة للكتابة والانتاج .



في ثقافة الجماعات اليهودية

وقبل أن نخوض في هذا البحث ، ارى من الأهمية أن نعرض لرأى د . قاسم عبده قاسم بهذا الشان ، فهو لا يوافق على عبارات مثل الأدب اليهودي ، الشعر اليهودي .. والثقافة اليهودية ، التي يسرف الكتاب والباحثون الاسرائيليون في استخدامها وهم يتحدثون عن اليهود الذين عاشوا في رحاب الحضارة العربية الاسلامية [اليهود في مصر ص ٧٦] ، فالأدب أو الشعر أو الثقافة لكي تنسب الى امة معينة لابد أن تكون مميزة بخصائص تميزه من حيث الشكل والمضمون واذا طبقنا هذه المقولة العامة على ما كتبه اليهود المصريون في ذلك الزمان لوجدنا أن غالبية نتاجهم ينتمي من حيث الشكل والمضمون الى الأدب المصري .

وهو راى بلا شك له أهميته وتقديره الخاص .

● تسامح عربي

قبيل الفتح الاسلامي للأندلس ، لاقت طائفة اليهود الأندلسيين عنتا ورهقا واضطهدت اضطهادا شديدا . فبخست أرواحهم وصودروا في اموالهم وممتلكاتهم ، وفر الكثير منهم الى المغرب العربي الذى كان يستظل وينعم بتسامح المسلمين وعدلهم ورحمتهم ، وقد استنجد بالعرب كثير من يهود الأندلس ، واستقبلوا هؤلاء الفاتحين العادلين كما استقبل اقباط مصر - عمرو بن العاص - وما كاد يستقر للمسلمين حكم الأندلس ، حتى أمنت طائفة اليهود على حياتها وحرياتها وأموالها ومعتقداتها ، وبلغ التسامح العربي مداه نحو هذه الطائفة في عصر - الناصر والمنتصر بالله - ولعل ابرز الأدلة على ذلك رعاية الخليفة الناصر للطبيب اليهودي الشهير "حسداى بن اسحق بن عزرا بن شيروط" حتى انه جعله واحدا من خاصة وزرائه الذين يشاورهم في شئونه الخاصة ، وكان للثقافة العربية أثر رائع في اللغة والآداب العبرية ، ففي ذلك العصر خاصة ساهمت الثقافة العربية بقدر كبير في تنمية اللغة العبرية بل والمحافظة عليها من الانقراض ، ولقد داب علماء اليهود الذين عاشوا في الأقطار الاسلامية على وضع الكتب اللغوية على نسق المؤلفات العربية في قواعد اللغة ، وتناولت فنون الشعر العبرى جميع الأغراض المعروفة في الشعر العربي . وبدا تاثر شعراء اليهود - لاسيما الأندلسيين - واضحا بالآداب العربية ، ونسجوا على منوال ما درسوه من الاتجاهات الشعرية العربية ، وصاغوا قصائدهم وفقا للأبحر الشعرية المالوفة في اللغة العربية ، كذلك انتهجوا نفس الأساليب البلاغية العربية الشائعة ، كما قلدوهم في نظم الاحاجي والالغاز . وانفرد الشعراء اليهود بفن واحد هو الحنين الى ارض الميعاد ! ولم يؤلف اليهود كتابا علميا في قواعد العبرية الا بعد

ان تتلمذوا للعرب وبعد ان نشأوا فى مهد الثقافة الاسلامية نشأة مكنتهم من فهم العلوم العربية على اختلاف أنواعها .

ويأتى على رأس الأدباء اليهود ، الفيلسوف الشاعر (شلومو بن جبريول) الذى وصف بانه سيد شعراء أهل ملته فى عصره . وقد صب شعره فى قوالب شعر عربية كما انه درس جميع اتجاهات الفلسفة باللغة العربية ، حتى انه وضع فيها بالعربية كتابه "ينبوع الحياة" وترجم هذا الكتاب الى اللاتينية ، وظل يدرس فى معاهد أوروبا حتى القرن السادس عشر وينسب اليه نظمه لقصيدة بلغت نحو الأربعمائة بيت ، ضمنها كل ما كان معروفا من قواعد العبرية التى كان يجيدها ويعتبرها لغته . ولقد ابدى فى كتاباته ألما وحسرة على ترك ابناء جنسه لغتهم وتمسكهم باللغة العربية .

● أدباء يهود

كما ظهر من أدباء اليهود "مناحم بن سروق الطرطوشى" الذى كتب فى الأدب العبرى نظما ونثرا ، منتهجا نهج الأدباء العرب . ومن يهود الأندلس من كتب فى الرياضيات والطب وعلم الاخلاق ، الذى برع فيه "يحيى بن يوسف بن فاقوذا" صاحب كتاب "الهداية" الذى يدعو فيه الى اصلاح الأخلاق والحكم . وقد تاثر فى هذا بكتابات الامام ابى حامد الغزالى . ومنهم "سليمان بن زقبيل" الذى حاكى الحريرى فى مقاماته . ومن الشعراء العبرانيين الذين تأثروا بالشعر الأندلسى فى تراكيبه وأغراضه . شاعر غرناطة "موسى بن عزرا" الذى برع فى فنون الشعر وقصص الحب ، وتناول فى شعره وصف مجالس اللهو والخمر وتباريح الهوى والغزل ، كما ان له عدة مؤلفات فى الفلسفة ، وهو صاحب المؤلف المشهور "المحاضرة والمذاكرة" فى تاريخ النظم والنثر فى اللسانين العربى والعبرى والموازنة بينهما فى اللغتين . هناك أيضا "سعيد ابن يوسف الفيومى ، سعديا" فيلسوف اليهود فى القرن العاشر ، وكان اول النحاة العبريين الذين وضعوا قواعد النحو العبرى على غرار قواعد اللغة العربية فى كتابه "المجموعة" كما الف كتابين اخرين : اللغة العبرية وكتاب الفصاحة . ويعتبره اليهود ابا النحو العبرى وهذا الفيلسوف اللغوى اخذ كثيرا من العلوم الاسلامية وتاثر بالمذهب المعتزلى "مذهب المعتزلة" .

وفى كتابه "بستان العقول" نلمس بوضوح اثر الفقه الفاطمى ، كما اخذ عن الكرمانى مؤلف كتاب "راحة العقل" وعرف اليهودى فن النقد الادبى ، واشتهر فى هذا الفن موسى بن عزرا والحريزى .

وأمير الشعراء العبريين فى العصور الوسطى هو "يهوذا هاليفى" الملقب بأبى الحسن اللاوى ، ويعد ايضا من كبار فلاسفة اليهود ، وله كتاب مشهور فى الفلسفة الدينية ، "الخوزرى" الفه بالعربية ثم ترجم الى العبرية . ومنهم "ابراهام بن عزرا" الذى قضى شطر حياته الاول فى قرطبة - ساحة العلم والأدب - حيث درس

أثر الثقافة العربية

في ثقافة الجماعات اليهودية

اصول الدين والحكمة . ثم يهودا بن داود حيوج المشهور عند العرب بابى زكريا يحيى ، ويونا بن جناح القرطبى المعروف بابى الوليد ، اللذين سلكا أيضا مسلك النحاة العرب - خاصة النحوى الكبير سيبويه - ونظرة فى كتابى الاصول واللمع لابن جناح تطلعنا على مقدار ما للعرب من فضل على اليهود .

وقد نقل اليهود الى لغتهم الكثير من العلوم الاسلامية كالتوحيد والطب والفلسفة وغيرها ، مثل كتب ابن سينا وكتاب تهافت التهافت للامام الغزالى ، وتهافت الفلاسفة لابن رشد ، مما كان له ابلغ الأثر فى تهذيب العقيدة اليهودية فيما يتعلق بالذات الالهية وصفاتها .

وقد يكون مناسبا ان نورد اقوال البروفسور "دافيد يالين" أستاذ الأدب العبرى الأندلسى فى الجامعة العبرية بالقدس .. فى كتابه "فن الشعر الأندلسى" ..

لقد كان العصر الأندلسى عصرا زاهرا فى الأدب العبرى . وكان هذا العصر هو العصر الذهبى الثانى للأدب العبرى . اذ كان العصر الذهبى الأول هو عصر الكتاب .

« لقد كان العصر الأندلسى عصرا زاهرا فى الأدب العبرى ، وكان هذا العصر هو العصر الذهبى الثانى للأدب العبرى . اذ كان العصر الذهبى الأول هو عصر الكتاب المقدس .. ومما يؤسف له أن ذلك الشعر الأندلسى الجميل قد كاد يندثر . ومنذ جلائنا عن الأندلس . عشنا فى اقطار شتى ، وتاثرنا باداب متنوعة ، وتبدلت اذواقنا تبدلا تاما بالنسبة للجمال وتذوقه .. اتخذ شعراؤنا من الشعر العربى فى ذلك العهد - نموذجا ينسجون على منواله وكان الشعر العربى قد بلغ الأوج فى الازدهار والابداع . ان جمال الطبيعة فى بلاد الأندلس وازدهار الادب العربى والتقدم العلمى فى جميع الميادين ، كان له بالطبع تاثيره القوى على اليهود الذين كانوا ينعمون آنذاك تحت ظلال الحكم العربى . ومنذ بدء القرن العاشر الميلادى - اى منذ انتقل مركز التوراة من العراق الى الاندلس - كان العلماء والادباء والشعراء اليهود ينهلون من الثقافة العربية ، والتى كانت تمثل وقتئذ ينبوعا للثقافة والتفكير اليهودى ؟

● أهمية وثائق الجنيزا !

فى هذا المجال أيضا لايمكن ان نغفل "وثائق الجنيزا" والتى ترجع الى عهود الفاطميين والأيوبيين وعصر سلاطين المماليك وهى عبارة عن مخطوطات عبرية مكتوبة بحروف عربية وأخرى بالعبرية القديمة والآرامية عثر عليها فى الفسطاط - معبد ابن عزرا ومقابر اليهود فى البساتين - وتبرز أهمية هذه الوثائق فى الدلالة على أن هذه المنطقة كانت تمثل مركزا روحيا كبيرا ليهود ذلك العصر . وبالاضافة الى اعتبارها سجلا تاريخيا تلقائيا لأوضاع المجتمع

اليهودى فى تلك العصور ، فانها ايضا تكشف عن جوانب التاثير التى أحدثها الفقه الاسلامى والفكر الاسلامى فى الديانة اليهودية ، الى حد ظهور فرقة يهودية جديدة تحمل اسم « اليهود القرائين » تاثرت فى نشاتها وافكارها بفكر المعتزلة .

وبعد زوال دولة المسلمين فى الاندلس ، فقد لاقى اليهود أشد العذاب والاضطهاد فيقول "بنيامين جوردون" اليهودى الامريكى ، الذى زار مصر وفلسطين عام ١٩٠٩ وبعد عودته عكف على تاليف كتابه "ارض اليهود الجديدة" وهو كتاب متحيز للصهيونية ، تحدث فيه عن التقدم الذى أحرزه اليهود فى مصر قبل العصر الحديث ، حيث كانت مصر ملجا لهم من الاضطهاد الأسبانى بعد زوال الحكم العربى فى الاندلس فقد جاء الى مصر - فى تلك الفترة - ابراهلم بن عزرا، وسعديا الفيومى ويعقوب بن كلسى وموسى بن ميمون وغيرهم من أحبار وعلماء وأطباء ووزراء اليهود - آنذاك - وموسى بن ميمون هو اشهر شخصية يهودية نبغت فى ظل الحضارة الاسلامية ، ولد فى الأندلس ، وقد اضطر للرحيل مع عائلته الى المغرب العربى - بعد سقوط الأندلس فى أيدى النصارى - وقد درس فى جامعة القرويين فى فاس قبل هجرته الى مصر .

والف كتابه الشهير "دلالة الحائرين" بالعربية ، ثم ترجم بعد ذلك الى العبرية ، كما كان طبيبا لصلاح الدين الأيوبى وقد تاثر فى كتاباته الطبية بمؤلفات ابن سينا والرازى .

فى عام ١٩٦٨ ، صدر فى لندن كتاب لأبا ايبان - وزير خارجية اسرائيل الاسبق - بعنوان My people حاول فيه أن يضع تاريخا شاملا لقومه ، وكان مما صوره فى هذا التاريخ تجربة اليهود فى اسبانيا والمغرب العربى - فى ظل الحكم الاسلامى - وقد عرض لهذه التجربة من نواح متعددة ، ثم ختم عرضه بعبارة يقول فيها :

"شهدت الطوائف اليهودية فى أسبانيا والشمال الافريقى ازدهارا فى جميع مجالات الابداع على مدى قرنين من الزمان - فى أقل تقدير - تحت ظل الوصاية العربية ، برغم التذمر من استغلال العرب ، وهذا ازدهار لم يتحقق من قبل على مدار تاريخ الشتات الذى تعرض له اليهود" ..

وفى العصر الحديث - حقق اليهود فى مصر ، ازدهارا ملحوظا على المستوى الثقافى ، فاتيحت لهم حرية التعبير كاملة ، فانشاوا نحو خمسين صحيفة فى الفترة من ١٨٧٧ - ١٩٤٧ ، وقد ذكرت الباحثة - سهام نصار - فى رسالتها عن صحافة اليهود فى مصر ، ان الصحف التى أصدرها اليهود باللغة العربية بلغت واحدة وثلاثين صحيفة . وهذا فى حد ذاته يشكل نسبة كبيرة ، كما ان معظم يهود مصر كانوا يتحدثون العربية .

وبرز منهم يعقوب صنوع ، مراد فرج ، وسعد يعقوب مالكى ، الذين اسسوا صحفا وكتبوا شعرا ومقالات بالعربية . ومسعود حى بن شمعون الذى نشر له فى القاهرة ١٩١٢ كتاب بعنوان "ابواب العدل" ومن الادباء

أثر الثقافة العربية

في ثقافة الجماعات اليهودية

الذين كتبوا تاليفهم بالعربية ، سعد ليتو مالكي الذى نشر مجموعة قصصية بعنوان "يراعى الاول" عام ١٩٣٦ .

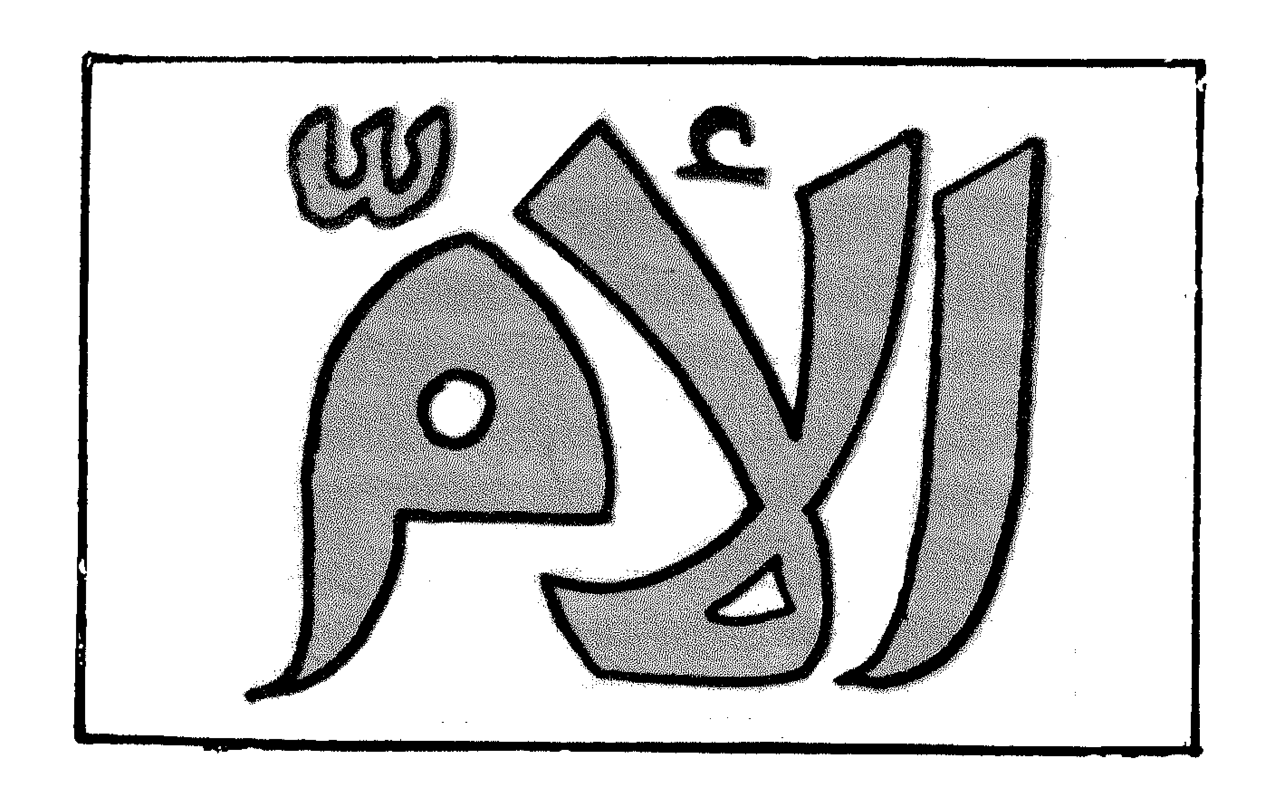
وهارون زكي حداد الذى نشر مجموعته عام ١٩٥٠ بعنوان "مائة قصة وقصة مصرية وعربية" . ود . هلال فارحي الذى ترجم الكثير من الصلوات اليهودية من العبرية الى العربية . ود . الفرد يلرز الذى قصر اهتمامه على الأدب والترجمة . ثم د . اسرائيل ولفنسون (ابو ذؤيب) الذى عمل مدرسا للغات السامية بدار العلوم ، كما كان عضوا في جمعية الابحاث التاريخية الاسرائيلية بالقاهرة ، ومن اشهر مؤلفاته كتابه القيم بالعربية "تاريخ اللغات السامية" وكتاب "تاريخ اليهود فى بلاد العرب" . وهذه الجمعية انشئت فى القاهرة عام ١٩٢٥ ، وكانت تصدر مجلة بعنوان : مجلة تاريخ الاسرائيليين فى مصر ، وكانت تلك المجلة مقصورة على تاريخ اليهود فى مصر فى جميع العصور ، وشارك فى تحريرها نخبة من علماء اليهود فى مصر والخارج ، وكانت المجلة حريصة على أن تتضمن ترجمة موجزة بالعربية للرسائل والبحوث العلمية التى تنشر فيها .

وكان منهم ايزادور سلفاتور بن روفائيل ، الذى اشهر اسلامه ظاهرا وتسمى باسم : احمد صادق سعد ، وله عدة مؤلفات بالعربية ، لعل اشهرها "صفحات من تاريخ اليسار المصرى" وانشط هؤلاء جميعا هو : مراد فرج ليشع ١٨٦٦ - ١٩٥٦ . الذى كان محاميا من طائفة القرائين ، انشا صحيفة التهذيب عام ١٩٠١ ، ثم اصدر صحيفة الارشاد عام ١٩٠٨ ، وقد الف مجموعة من الكتب والرسائل القانونية والأدبية باللغة العربية منها :

كتاب الشعراء العرب اليهود ، ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، سلسلة مقالات مراد ، المجموع في شرح الشروع ، القراءون والربانيون .. الذى يقول فى مقدمته ، في معرض حديثه عن بيان الفروق بين الفرقتين اليهوديتين و"للمؤلفين العذر فانهم غرباء عن اللغة العبرية ، وهي لابد منها فى معرفة تلك الفروق تفصيلا بالرجوع الى المؤلفات العبرية والوقوف منها على ذلك ، كما أن المؤلفات العبرية نفسها قليلة المنفعة بالنظر الى كثرة الجاهلين بها" وله ايضا رسالة فى شرح الاموال القانونية ، والأحكام الشرعية للاسرائيليين القرائين ، ثم ديوان مراد - أربعة اجزاء - وهو اول ديوان لشاعر يهودى بالعربية فى عصرنا الحديث .

والمشكلة التى كانت تؤرق اليهود هى ندرة الكتابة بالعبرية ، مما يؤكد قدرة اللغة العربية على اجتذاب اليهود ، كما حدث ابان الحكم الاسلامي فى الاندلس وفى حقيقة الأمر ان هذا النشاط الثقافى اليهودى - فى مصر الحديثة - لم يحظ بالبحث والدراسة المتانية والواجبة .

ولكن يمكن أن نقول بان تجربة اليهود فى مصر ، كانت تجربة ازدهار مماثل لما حدث - فى العصور الوسطى - فى الاندلس والمغرب العربى ..



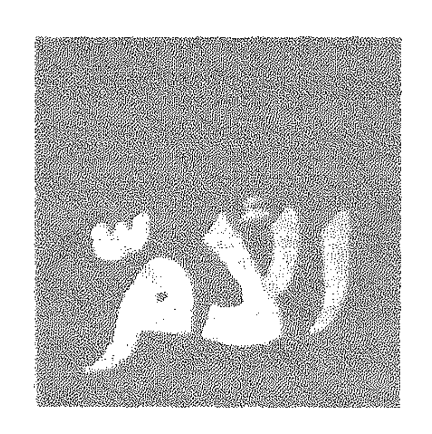
ولماذا نسيها الأدباء ؟

بقلم : فتحى الابيارى

اغلى مافى الحياة الحب ، ونبع الحب فى الوجود ينبثق من قلب الامهات ، فحبها هو اصفى وارق واعمق الوان الحب .

وقد استلهم كثير من الفنانين والادباء اعمالهم الخالدة من حياة معشوقاتهم ، او اسرات قلوبهم ، فجاءت تلك الاعمال تعبيرا عن نبضات قلوبهم المحبة التى تخلص للحب احيانا ، وتمزج فيها الحب بالحنان او البغض والألم احيانا اخرى .

أما اثر حنان الام او الحب الامى على قلوب الادباء والشعراء والفنانين ، فنادرا ما نعثر عليه فى التاريخ الادبى ، وبين الاثار الادبية فى الشرق والغرب ، وهناك اختلاف فى التعبير بين هؤلاء الادباء ، وليس فى الشكل والمضمون ولكن فى المعالجة ، نتيجة لاثر البيئة ، والمجتمع على مكونات الاديب ، والفنان ، ولذلك سنحاول ان نعثر على اثر الام .. فى نفسية الاديب العربى ، قديما ،



وحديثا وكذلك الاديب فى الغرب وفى الشرق

ويمكننا بسهولة ان نمر سريعا بعدد كبير من الشعراء حتى نصل الى ابى الطيب المتنبى فنجده يذكر الأم فى قصيدته التى رثى بها جدته لامه فهو لم يذكر الام ، الا بمناسبة الموت ، وهكذا الحال عند شوقى فعن ديوان شوقى الكبير ، لم تحظ الام الا بقصيدة واحدة ، وحتى ، بعد مماتها .. حتى القصيدة لم ينظمها كلها عن امه ، وانما غلف عاطفته بمناجاته للوطن ، فجاءت القصيدة ضعيفة التعبير ، وغير صادقة العبارة ، والاحاسيس .

وهناك بعض قصائد متفرقة يعثر عليها الباحث بصعوبة بالغة بين دواوين عبد الرحمن شكرى ، والعقاد ، والشاعر القروى رشيد سليم خورى ، ومعروف الرصافى .. وغيرهم تتناول حنان الامهات ، واحضانهن المليئة بالحب والعطف ، ولكننا مازلنا فى انتظار ملحمة شعرية عن « الام العربية »

واذا بحثنا عن اثر الام فى قلوب الادباء ، والفنانين عبر الفن الروائى مثلا ، لاسترعى انتباهنا على الفور تلك الظاهرة الملموسة فى الادب الروائى الغربى .. فهناك رواية « الام » لبيرل بك التى نالت عليها جائزة نوبل ١٩٣٨ ، ورواية « مكسيم جوركى » التى تحولت الى مسرحية .. وهناك رواية « الام » الهندية للكاتب الهندى « عزرا » حيث صور فيها كفاح « الام » من اجل ابنائها ، ومن اجل الشرف ، تماما كما فعلت بيرل بك فى روايتها ، ولاشك ان الكاتب الهندى قد تأثر فى كثير من مواقف قصته برواية الام لبيرل بك اما فى القصة الهندية فقد امسكت الام فى النهاية بالبندقية ، واطلقت الرصاص .. لتقتل ابنها ، لانها خشيت ان يصبح سببا فى تلويث شرف القرية بعدما خطف ابنة المرابى الذى ظل يستغلهم طوال عشرين عاما ، ويمتص محصولهم . فقتلت ابنها برصاصة لتحمى شرف القرية ، كما صور جوركى فى روايته « الأم » تلك الام التى قبضوا عليها فى نهاية الرواية ، وهى حاملة الحقيبة مملوءة بالنشرات المعادية للنظام القائم وضربوها بقسوة ، وكانت اخر كلماتها :

« ان شعلة الحقيقة لا تنطفىء ، حتى تسيل الدماء .. ولا يمكن ان تقتل النفوس التى بعثت من جديد »

وهكذا استغل جوركى عاطفة الامومة فى مضمون سياسى ، ومع ذلك فالرواية تعد من الاعمال الفنية الخالدة

ولكن اين موقف الروائى العربى من الام ؟ بالرغم من ان قصص امهاتنا العربيات والبطولات التى قمن بها خير مادة حية للفنان القصاص ، وان واقعنا الحديث والاحداث التى مرت بها الام فى فلسطين مادة خصبة لخلق عمل فنى كبير فى القصة العربية الحديثة ، ونحن نأمل ان يصور لنا قصاص عربى فى الايام المقبلة ، لوحة خالدة ، قوية ، عن الام العربية .

● الأم والمسرح

ولم يقتصر تأثير الام ، وتحليل


احمد شوقى


ماكسيم جوركى

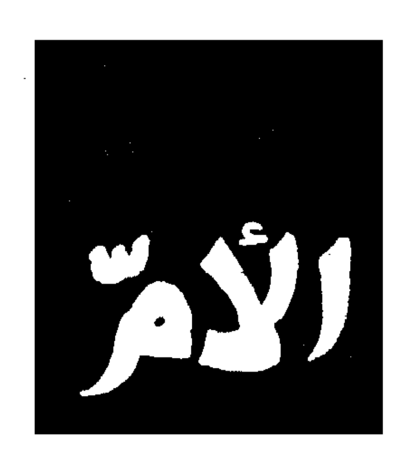

برتولد بريخت

مشاعرها واحساساتها على الشعر والزجل والقصة والدراسات فقط ، بل كان للمسرح نصيب من هذا الاثر ، فهناك بعض المسرحيات فى الادب الغربى ، تتناول شخصية الام فى اهداف سياسية ، او وطنية او لتحريك المشاعر الدفينة فى النفس البشرية ازاء قضية من القضايا ، ومن اهم تلك المسرحيات التى سنتناولها بالدراسة والتحليل ، مسرحية الام لكارل تشابك والام شجاعة للكاتب برتولد برخت ، الذى قام ايضا باعداد قصة الام لمكسيم جوركى الى المسرح .

وقد غذى « تشابك » خشبة المسرح بكثير من مسرحياته التحليلية ، او الخيالية ، واجمع النقاد على ان مسرحية « تشابك » التى سماها « الانسان الالى » هى اعظم مسرحياته جميعا ، وفيها يسخر من الحياة الالية التى كان الناس يحيونها فى شرق اوربا ، فلما شبت الحرب الثانية ، واجتاحت جيوش « هتلر » ارض بولنده هذا الاجتياح الهمجى ، ارتفعت شهرة المسرحية وشهرة صاحبها الذى أسلم الروح قبل ان يرى النازيين يدوسون اراضى الوطن بآلاتهم التى لا عقول لها .

واصدر « تشابك » مسرحية « ماركوبوس » ثم توالت مسرحياته منها الطاعون الابيض ، القوة والمجد ، ثم هذه المسرحية « الأم » التى ظهرت عام ١٩٣٩ ، اى بعد وفاة المؤلف فى ديسمبر ١٩٣٨ ، والتى ناقش فيها بطريقته الخيالية التعبيرية الرائعة فكرة « الحرب والسلام » .. ومتى تتغلب احداهما على الاخرى .

ونعرف من الفصل الاول من مسرحية الأم ان اب هذه الاسرة المكونة من الام وأولاد خمسة ، قد استشهد بسبب قائده المتهور الذى امره باقتحام احد معاقل العدو ، دون اية حماية من رصاص العدو ، وقد توفى هذا الاب منذ سبع عشرة سنة ، وتظهر روح الاب على المسرح ، وتتحدث معها الام كما تعودت منذ سنوات ، تدور بينهما مناقشات يتحدث فيها الاب عن الدور الذى قام به فى قتال ثورة الاهالى ،



وانه لم يمت ميتة الابطال قط ، بل مات بسبب جهل قائده ونزقه ، ثم بسبب هذا الجرح الذى اخذ بسببه اسيرا ، فاذاقه العدو الهوان ، وتركوا جرحه ينزف حتى مات .. وهذا خلاف ما اذاعته النشرة الرسمية التى وصفته بالبطولة ، وهو يؤدى واجبه فى المعركة .

وتحكى الأم لزوجها كيف قاست ، لتربى اولادهما الخمسة بعد مماته ، لكن ابنها الاكبر اندرو الذى درس الطب وتخرج فى اعظم كلياته ، تطوع لمحاربة الحمى الصفراء فى بلاد نائية ، وهناك هلك ، لانه تطوع ، لكى يجرب اثر هذه الحمى فى الجسم فوافق على ان تنتقل اليه عدوى هذا المرض الخبيث ، ليسجل اعراضه فيه .. وكانت النتيجة انه هلك .. وتظهر روحه بجوار ابيه .

ويطرب الاب عندما يسمع صوت طلقات نارية فى الحديقة ، ويعرف ان ابنيه « بيتر » و« كريستوفر » يتدربان على اصابة الهدف ، وتثور الام لانها لا تريد ان يكون ابناؤها مثل ابيهم يموتون فى الحرب بسبب قائد جاهل . ولكن الاب يقول :

الاب : اعتقد ياحبيبتى ، ان من حقك ان تفخرى بهم كل الفخر ، أو لست كذلك ؟

الام : الواقع اننى لست على يقين من ذلك ، بل أشعر كأننى دجاجة فقست نسورا ، ثم أعود فاقنع نفسى احيانا بألا اكون ضيقة الافق ، والا اقف حجر عثرة فى سبيل ميولهم ، انه لمروع حقا ياريتشارد ، كيف تتغير طبيعة المرأة عندما تصير أما .

ثم تظهر روح ثالثة ، وهى روح الابن الثانى جورج الذى التحق بسلاح الطيران ، ووقع عليه الاختيار بتجربة فى الطيران المرتفع لضرب الرقم القياسى فى هذه الناحية .. ولكن طائرته تسقط . وعندما عرفت الام بذلك ، سقطت على احدى الكراسى ، وقد زلزلها الخبر ، وظلت تنشج نشيجا طويلا مكتوما .

وفى الفصل الثانى نرى الاخوين « كريستوفر » والصغير « تونى » يتجادلان حول موقف اخيهما بيتر الذى انضم الى الحزب الاحمر ، بينما انضم « كريستوفر » الى الحزب الابيض ، فى تلك الفترة التى فرقت كلمة الامة ، وقسمتها الى حزبين متحاربين .

وتظهر روح بيتر على المسرح وتعرف الام ، فتقع مغشيا عليها من قوة الصدمة ، فقد قتله اعضاء الحزب الاخر رميا بالرصاص ، ان بيتر واندرو وجورج والاب اصبحوا جميعا اشباحا يحاولون العناية بالام المغشى عليها . ويتحاورون فيما حدث كله .

ويسعف الدكتور اندرو امه ثم يتركها راقدة ويبدءون المناقشة ، فيروى كل منهم الطريقة التى مات بها ، ويقول الاب فى النهاية .

الأب : اعلم انكم جميعا قد ضحيتم بحياتكم فى سبيل امر عظيم .. اندرو فى سبيل العلم ، وجورج فى سبيل تقدم الطيران .. اما انت يابيتر .. ففى سبيل اى شىء ضحيت بحياتك ؟

بيتر : فى سبيل الحرية والمساواة يا ابي !

الاب : آه .. اما انا .. فقد مت فى سبيل الوطن وشرف الكتيبة .. او .. لان القائد اصدر تعليمات خاطئة ! ولكن لا علينا من ذلك كله .. انها جميعا اعمال عظيمة تستحق ان نضحى بالحياة فى سبيلها .

وبينما هم فى حديثهم ، اذ بصوت المذيع فى المذياع وهو صوت كريستوفر نفسه يقول :

كريستوفر : ان القائد العام يامر الحمر للمرة الاخيرة بأن يلقوا السلاح ، ووقف هذه المذابح المتكررة فى ظرف خمس دقائق ، فاذا لم ينفذ هذا ، فسأمر بضرب المدينة ، وتدميرها على رءوسهم .

وهنا يثور « بيتر » اى روح « بيتر » التى كانت تتلهى بالشطرنج فى تلك اللحظة ، تحاول حل مشكلة من المشكلات ، ويرمى البيض بانهم اوغاد متوحشون سفاحون ، ثم يهتف بالحمر الا يستمعوا اليه . الى كريستوفر اخيه وان يصبروا ويصابروا حتى يتم النصر لقضية الحرية والمساواة ويزول الطغيان ! وتنقضى

الدقائق الخمس فيأتى صوت المذيع ينصح الاهالى بالنزول الى بدرومات المنازل لان الضرب سيبدأ ، وعند ذلك تستيقظ الام فتهتف بابنائها .. ابنائها الاشباح هؤلاء .. ثم تسأل تونى الذى يدخل فى تلك اللحظة ، فتتلاشى الارواح .. حتى اذا اضاء المصباح وسألته امه عن بيتر اجابها بانه لم يعد بعد ، ثم يتناول مسدسا ، فتسأله عن السبب ، فيداور فى اجابته ، فاذا ما سألته عن كريستوفر اخبرها انه اخذ بندقيته ، وخرج لان الواجب كان يحتم عليه ذلك قائلا لها « لاتغضبى يا امى »

ويشتد الصراع بين الحزبين وتدور حروب أهلية طاحنة ، يقتل فيها كريستوفر ايضا ، وبينما كانت الاهالى فى تطاحن ، انتهز العدو الفرصة وهجم على البلاد وهى فى حالة تمزق داخلى ، وانهيار فى البنيان .. وترك الاهالى ما كان بينهم من خلاف .. والتفتوا الى العدو يقاومونه .. ويتردد صوت المذيعة فى الراديو .. تناشد الاهالى .. ان يحملوا السلاح قائلة :

« ليس هذا صوت انسان ، ولكنه صوت الوطن نفسه يناديكم .. انا امكم الوطن .. انا انادى جميع ابنائى .. ان هلموا الى الدفاع عنى ، هلموا الىَّ يا ابنائى .. دافعوا عنى يا ابنائى ..

ولكن الام تقفل جهاز الراديو صائحة .

لا .. انت لست أما ، ولكننى انا كذلك ، انا أم .. أسامعة انت ؟

اى حق لك تجاه اولادى ، لو كنت اما لما ارسلتهم الى الحرب واخبأتهم كما افعل انا ولغلقت « دونهم الابواب »

● ويسدل الستار ، على مسرحية الام ، التى استطاع فيها كارل تشابك ان يحرك النفوس البشرية ، ويتعرض لاصعب المشاكل ، والازمات التى تتصل بالحروب فى اسلوب رائع وحبكة مسرحية متقنة ، فحلل نفسية هذه الام تحليلا ، كشف فيه عن اعماقها ، وعرض لنا ادق الخلجات ، فضلا عن ذلك الصراع العنيف المستمر طوال المسرحية داخل نفسية الام .

وبالرغم من حرص الام الشديد على ابنائها وخوفها عليهم من الموت ، وشراسة الحرب ، فانها فى النهاية تدوس على



امومتها ، من اجل الامومة الكبيرة .. امومة الوطن ، عندما لا تجد الامهات اى مفر من تقديم فلذات اكبادهن .. لانقاذ شرف الام الكبرى .

● ● ●

وفى نفس هذا المجال عن الحرب ، وضع برتولد بريخت الكاتب والفنان الالمانى مسرحية « الام شجاعة » ، وهى قمة انتاجه المسرحى ، كتبها فى عامى ٣٨ ـ ١٩٣٩ و« الام شجاعة » سيدة تعيش من التجارة اثناء الحروب ، انها تاجرة حرب ، لا يهمها ما يحدث فى الحروب من مآس ، وفواجع مادامت تحصل على المال لتربى اولادها الثلاثة بنت صماء « كاترينا » و« ايليف » ابنها الاكبر و « الجين السويسرى » ابنها الاصغر والام شجاعة تملك عربة متنقلة مليئة بكل الوان الطعام واحتياجات الجنود المتحاربة ، وهى تنتقل مع القوات المتحاربة خلال حرب الثلاثين عاما فى الفترة بين سنة ١٦٢٤ ، وسنة ١٦٣٦ فى السويد وبولندا ، والمانيا .

وقد بدأت الام شجاعة نشـاطها التجارى مع قوات البروتستنت الذين اختطفوا ابنها الاكبر ، ليكون جنديا مع المقاتلين ، وبعد عامين التقت بابنها الاكبر ، فى احد المواقع ، وكان القائد يحتفل به لشجاعته فى تأدية واجبه من سرقة مواشى الفلاحين ، والاعتداء عليهم ، ولكن بعد مرور سنوات من ذلك الحادث ، كانت الام شجاعة اسيرة هى وباقى الكتيبة الفنلندية ، وتقع لها احداث جسام ، فقد قبض العدو على ابنها الاصغر « الجين السويسرى » وحاولت ان تنقذه وتدفع رشوة لانقاذه ، وقالت للعاهرة ايفت :

الام : ان الامر يتعلق بحياة ابنى اسمعى .. كونى عاقلة ، ولا تذكرى شيئا عن الذين يريدون انقاذ حياته ، ولا تقولى لهم ممن جئت بهذا المبلغ بحق السماء ، افعلى كل شىء باسمك انت ، قصى عليهم ما يحلو لك ، قولى لهم انه عشيقك ، والا شنقونا جميعا .. لاننا ساعدناه .

ولكن رفضوا المبلغ المقترح للرشوة ، لانهم يعرفون انه كان امين صندوق الكتيبة ، ويبحثون عن صندوق الاموال ، وعادت ايفت للام تخبرها بذلك وتحثها على ان تزيد من قيمة الرشوة ، وبصعوبة وافقت الام على ان ترهن عربتها ، لتحصل على بقية المبلغ وارسلت ايفت الى هناك ولكنها عادت شاحبة الوجه وهى تقول للام :

ايفت : نجحت بمساوماتك ! احتفظى بعربتك ! اما هو فقد تلقى احدى عشرة رصاصة ، انك لا تستحقين ان اساعدك منذ الان لكنى سمعتهم يقولون انهم لا يعتقدون ان الصندوق القى به فى النهر .. ويقولون انكم جميعا تواطأتم معه ، وسيأتونكم بجثته فحاولى الا تظهرى اى تأثر ، والا ضعتم جميعا ، انهم يقتفون اثـرى ، أتـريـدون ان اخــذ معى كاترينا، الام شجاعة تهز رأسها » هل هى

تعلم ؟ لعلها لم تسمع دق الطبل ، او لم تفهم .

الام شجاعة : انها تعلم ، اذهبى واحضريها .

ايفت تذهب لاحضار « كاترينا » وهذه تجلس الى جوار امها ولا تتحرك ، الام شجاعة تأخذ بيدها ، يدخل فلاحان يحملان نعشا مددت عليه جثة تحت كفن ، والعريف يمشى الى جوارهما يضعون النعش على الأرض .

العريف : هذا شخص لا نعرف اسمه ، ولابد من قيد اسمه حتى يكون كل شىء على مايرام . لقد كان عندك ، وتناول وجبة طعام ، انظرى .. هل تعرفينه ؟ .. يرفع الكفن ، هل تعرفينه ؟ الام شجاعة تهز رأسها كلا الم تريه قبل ان يأتى لتناول الطعام عندك ؟ الام شجاعة تهز راسها مرة اخرى احملاه ! وادفناه فى مقبرة المجهولين .. لا احد يعرف ، يحملانه .

هكذا وضع بريخت الام شجاعة .. فى موقف نادرا ما تقفه ام فهى لم تستطع حتى ان تذرف دمعة واحدة على جثة ابنها ، والا انكشف امرها وقتلوها هى وابنتها على الفور . ولكنها ضغطت على نفسها ، وداست فوق امومتها ، وحبست مشاعرها ، وخنقت عبراتها فى هذا الموقف ، وكأنها تستعيد كلام احد الجنود اليها ، عندما جاءوا ليأخذوا ابنها الاكبر ، ليكون جنديا لا يمكن لاحد ان يشاهد الحرب ، دون ان يدفع ثمن مشاهدته .. هل تريدين ان تشاهدى الحرب ، وتتاجرى فقط دون ان يمسك اى سوء .. هذا لا يحدث اطلاقا ايتها الام .

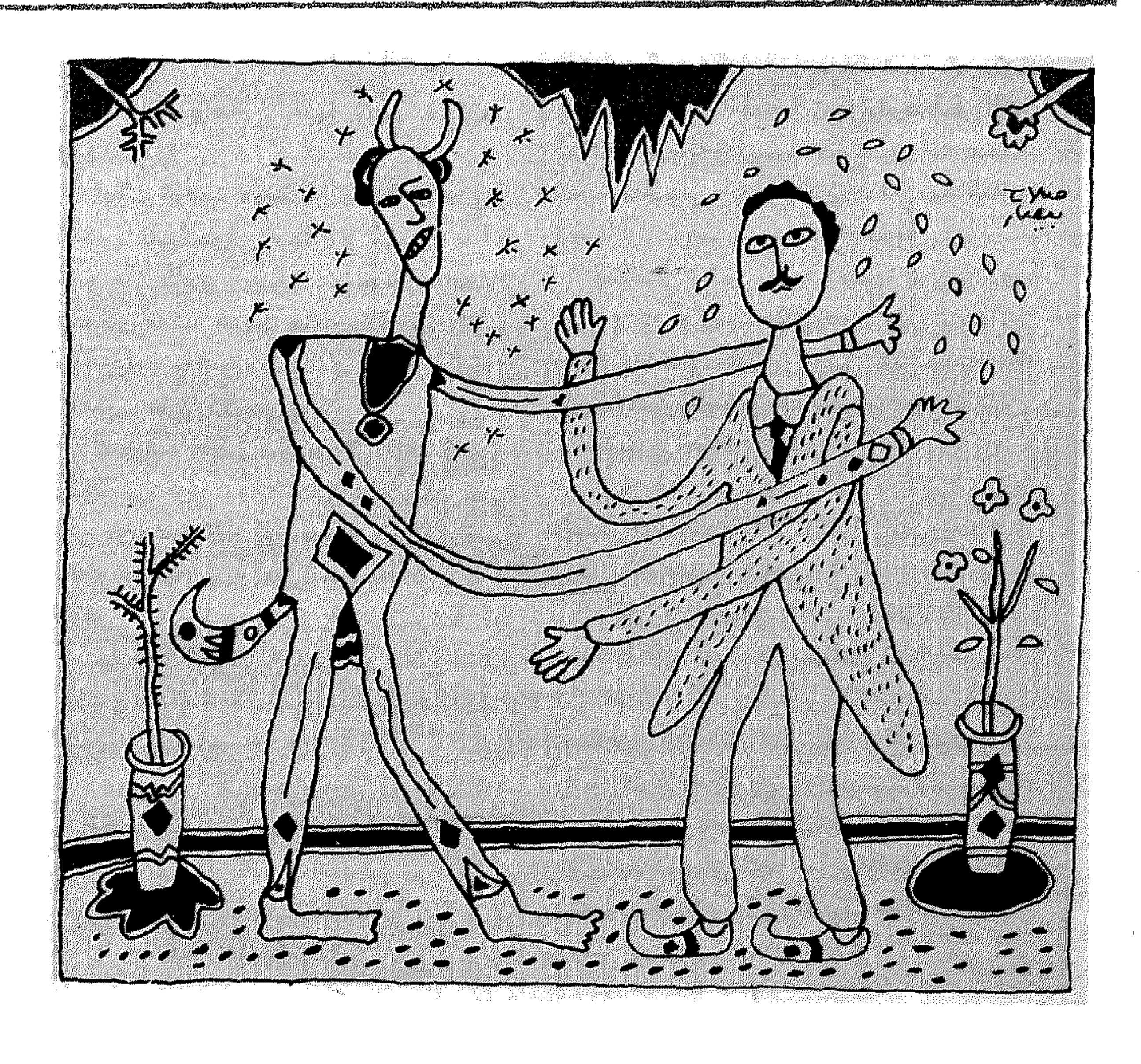
وتقوم الام بالارتزاق من الجيش الذى تسير معه ، الى ان وقعت هدنة قصيرة اعدم فيها ابنها الثانى رميا بالرصاص لانه ارتكب جريمة النهب ، فى حين انه عندما نهب الفلاحين اثناء الحرب ، اجلسه القائد بجانبه ، ومنحه وسام البطولة .

وتمضى الام .. تجد امامها عربتها بعد ان فقدت اولادها الثلاثة .. وقد مات كل منهم .. امام ناظريها وهى لاتستطيع الا ان تواصل الطريق .. لتعيش بين الدخان والبارود ومعارك القتال .

وقد قال بريخت عندما كتب هذه المسرحية عام ٤٩ ، مفسرا بعض ما كان يرمى اليه من كتابتها .

« ان ما ينبغى على مسرحية الام شجاعة ان تبينه فى المقام الاول هو انه فى الحرب ليس صغار الناس هم الذين يصنعون الاعمال الكبيرة ، وان الحرب - وهى طريقة اخرى لمواصلة التجارة - تجعل من كل فضيلة انسانية قوة فناء ترتد حتى ضد من يملكها ، وان اية تضحية فى سبيل القضاء على الحرب ينبغى بذلها مهما علت »

وشخصية « الام شجاعة » .. حافلة بالنقائض رحيمة باولادها ، قاسية على غيرهم ان اقتضى الامر ، متفانية ، كلها ايثار ان لتصل الامر بنوبها ، انانية محدودة ان كان فى ذلك مايحقق اهدافها وشجاعتها، لاتنطبق على وصفها بانها كانت تدافع عن طريق مبدأ ، او عقيدة ، او حتى الدفاع عن الوطن ، ولكن شجاعتها كانت تنحصر فى خروجها من المآزق التى مرت بها .



« فى المرآة »

النبيل والوغد

بقلم: أبو المعاطي أبو النجا

● لمرات كثيرة ـ حتى كدت أظنها القاعدة ـ وجدت صديقى النبيل يلقى الهزيمة فى كل معركة يخوضها ضد صديقى الوغد .

● فى البداية كانت هذه النتيجة تثير دهشتى ، ثم أصبحت تهيج أحزانى ثم كان الوليد الطبيعى لتفاعل الدهشة والأحزان هو رغبة قوية فى أن أقترب من غبار المعركة الأبدية الدائرة بينهما لعلى أفهم أكثر لماذا ينتصر صديقى الوغد وينهزم صديقى النبيل ؟

● بعد الاقتراب كدت استدرج نفسى إلى البحث عن معنى جديد للنصر ومعنى جديد للهزيمة حتى أضمن لصديقى النبيل فى إطار هذا المعنى نصرا أبديا ولصديقى الوغد هزيمة أبدية ، دون أن يتغير شىء فى الواقع الخارجى ، ولكننى أدركت أننى سأتحدث بلغة غير اللغة السائدة للنصر وللهزيمة ، وقد يكون ذلك ـ بالنسبة لى ـ نوعا من الهزيمة !

● عدت أتعامل باللغة السائدة للنصر وللهزيمة ، وأبحث الأسباب باللغة ذاتها ، فاكتشفت أن صديقى النبيل يحمل فى داخله بذور هزيمته حتى قبل أن تبدأ المعركة ، ففى كل مرة نشب بينهما خلاف كان صديقى النبيل يحرص على أن يرى القضية أو الموقف الذى يختلفان بشأنه من زاويتين ، الزاوية التى يقف هو فيها ، والزاوية الأخرى التى يقف فيها خصمه الآخر ، فقد كان يعتقد ـ وكأن ذلك جزء من غرائزه ـ أنه بهذه الطريقة يمكن أن يرى بشكل افضل جوانب الاتفاق وجوانب الاختلاف فى القضية أو الموقف ، ليعرف كيف يزيد من مساحة الاتفاق وينقص من مساحة الاختلاف سواء بتنازلات متبادلة أو بتعديلات متوازنة فى كل جانب ، فلم يكن يريد ابدا أن يصل إلى النقطة أو اللحظة التى يكون فيها إزالة ماهو خطأ (فى رأيه) مرتبط بازالة من هو مخطىء !؟

وكان هذا الموقف فى حد ذاته يعنى أن القوى الداخلية لصديقى النبيل موزعة على جبهتين ، تفكر وتوازن وتستعرض إمكانات التغيير فى كل جانب ، أما القوى الداخلية لصديقى الوغد فإنها تكون متمركزة على جبهة واحدة صلبة ، لا تكاد ترى سوى هدف وحيد ينبغى أن يتحقق ولو كان ثمن تحققه إلغاء الآخر !

وكان هذا الموقف يعنى فى النهاية أن حرص صديقى النبيل على أن يزيل الخطأ دون إزالة المخطىء يقابله اعتقاد صديقى الوغد أن أسهل طريق لإزالة ما يعتقد أنه خطأ هو إزالة المخطىء !

● حين حاولت أفهم سر هذا

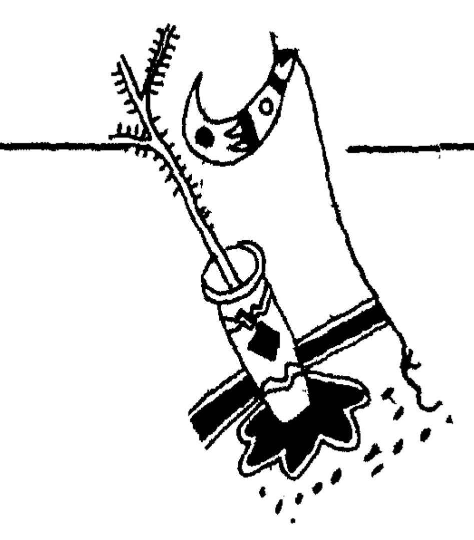
« فى المرآة »
النبيل والوغد

الحرص الغريزى لدى صديقى النبيل وجدته ينبع عنده من نوع من الإدراك - يوشك أن يكون غريزيا أيضا - بأن الحقيقة الإنسانية تملك وجوها متعددة ، بينما الإنسان الفرد لا يملك سوى فرصة واحدة للوجود ، وبأن هذه الوجوه المتعددة للحقيقة لا سبيل إلى رؤيتها سوى من خلال العلاقة الحية بين الأنا والآخر ، ولو كان الآخر هو صديقى الوغد ، ومن هنا كان حرص صديقى النبيل على عدم إلغاء الآخر هو جزء من حرصه على الحقيقة ، ومن عشقه للحياة التى تتجلى الحقيقة من خلالها ! ومن الغريب أنه من هذا العشق للحياة وللحقيقة والإدراك لقيمتهما معا يلقى صديقى النبيل أحيانا هزيمته وأحيانا موته !!

● يدرك صديقى النبيل بأن كل إنسان له تحيزاته الخاصة التى قد تشوش على بحثه عن الحقيقة ، وأن موقفه هو الآخر فى قضية من القضايا لابد أن يكون مشوبا بهذه التحيزات ، وأن عليه لكى يصل إلى حقيقة نسبية معقولة ومقبولة منه ومن صديقى الوغد فإن عليه أن يوجه جزءا من أنظمة دفاعه ضد هذه التحيزات فى داخله ، ومن هنا فهو يدخل معركته ضد صديقى الوغد ، وهو يضمد جراحه الداخلية التى ألحقها بذاته ، فتكون الرصاصة الأولى فى المعركة الدائرة بينهما قد أطلقت عليه منه ، بينما يوجه صديقى الوغد كل نيرانه خارج ذاته !

● متى أدركت أن أخطر نقطة ضعف لدى صديقى النبيل هى ذاكرته ؟ ربما حدث ذلك فى الوقت الذى اكتشفت فيه أن صديقى الوغد يملك ذاكرة انتقائية ، فهى تملك قدرة مذهلة على أن تنسى تماما كل ما لا يخدم موقفه فى المعركة الراهنة وكأنه لم يحدث ذات يوم فى هذه الدنيا ، يصبح الماضى فجأة وكأنه معرض ماثل بكل الأحداث والذكريات التى





تخدم لحظة المعركة الراهنة فقط فى حياة صديقى الوغد ..!

أما صديقى النبيل فإن مأساته تبدأ من قوة ذاكرته ومن موضوعيتها معا .. بل ومن حيادها .. فحين يستدعي من خلال هذه الذاكرة جزئية من الماضي تخدم موقفه فى المعركة الراهنة ضد صديقى الوغد فإنها لا تجيىء أبدا وحدها ، بل تأتى فى سياق علاقاتها وغالبا ما تحمل معها من جزئيات المكان والأحداث فى ذلك الماضى ما يناقضها وهو ما ينسجم مع ميل صديقى النبيل إلى البحث عن الوجوه المتعددة للحقيقة ، وليس بالضرورة ما ينسجم مع الموقف الذى يتخذه فى المعركة ضد صديقى الوغد فيجد نفسه مضطرا لإعادة النظر وإعادة تكييف الموقف ، مما قد يفقده فرصة المبادأة فى الهجوم أو اليقظة فى الدفاع ، وهكذا فإن صديقى الوغد يبدو ملك اللحظة الراهنة دائما ، يوظف الماضى والحاضر لخدمة هذه اللحظة ، أما صديقى النبيل فإن لحظة الحاضر عنده تبقى مثقلة بأعباء الماضى والحاضر والمستقبل !!

● آنذاك بدأت أصحح بعض أفكارى عند صديقى الوغد ، كنت أظن أن جزءا من مأساته أنه عاجز عن إدراك الحقيقة ذات الوجوه المتعددة ، وإيثاره للحقيقة البسيطة التى تختفى وراءها مصلحته فى اللحظة الراهنة ، إنما هو نوع من كسل العقل الذى يؤثر الراحة ويخشى مغامرة التغيير ، ولكننى أدركت حجم خطئى ، وبدأت أصحح أفكارى مع ملاحظتى لما أسميته الذاكرة الانتقائية لصديقى الوغد ، فصديقى الوغد هو فى الواقع أكثر نشاطاً وحيوية من صديقى النبيل ، فهو يدرك الحقيقة ذات الوجوه المتعددة ، ولكن ذاكرته الانتقائية تختار من هذه الوجوه بذكاء كبير ما يخدم معركتها فى اللحظة الراهنة فقط ، وتقوم كالعادة وبقدرتها المذهلة على إلغاء بقية الوجوه ! ربما كانت مأساة صديقى الوغد الحقيقية هى أنه يعيش فقط فى لحظة الحاضر ، وأنه يلغى الماضى والمستقبل لحساب لحظة الحاضر ، إنها سجنه الأبدى ، وسر قوته الأبدية ، وسر قدرته على أن يصوغ حقيقة بسيطة سهلة تجتذب إلى صفوفه آلافا من المتعبين من السير وراء صديقى النبيل !



شعر وتشكيل

العمل الجميل ند العمل العظيم

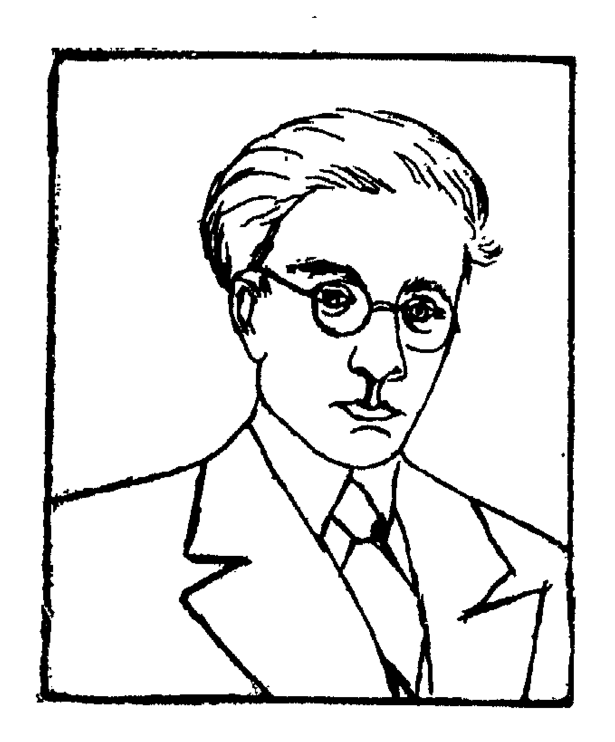
حول معرض أحمد مرسى عن شعر قسطنطين كافافى

بقلم : عبده جبير

ربما كان رد الفعل للخبر المؤسف بوفاة كاتب «رباعية الإسكندرية» «لورانس داريل» منذ أسابيع ، دون أن تنتبه له مدينتنا الجميلة الفاتنة ، مساويا فى مغزاه لرد الفعل الذى اتخذته تجاه وفاة واحد من اعظم الفنانين الذين عاشوا فيها جل عمرهم ، وكانت ، كما كانت لقرينه «داريل» : المدينة الملهمة التى لعبت الدور الأكبر فى فنه : كان الصمت فى الحالتين .

لكن لورانس داريل لم يولد ، على اى حال ، فى الإسكندرية ، كما ان مدينته التى الهمته ، ربما اهم عمل خطته قريحته ، كانت تحس دائما بأن بقاءه فيها كان لأسباب مشبوهة ، كما انه مات فى آخر العام الماضى (١٩٩٠) فى موطنه إنجلترا .

اما شاعرنا الملهم «قسطنطين كافافى» فقد ولد بالإسكندرية (١٨٦٣) ومات فيها (١٩٣٣) ، كما أنه ، أبدا ، لم يكن موضع شبهة من احد ، لذا ، فإن اجيالا تالية من الفنانين لحقت به ، خاصة من ابناء الإسكندرية ، اخذوه ماخذ الجد ، وجعلوه موضع اهتمامهم الخاص ، لا فقط ، بنقل اعماله المكتوبة أصلا باليونانية ، إلى العربية ، بل كان



بورتريه كفافى

موضوع حفلوات عديدة : من فيلم إلى محاولة تسجيل آثاره ووثائقه فى الاسكندرية ، إلى ، ومتى ، معرض كامل يضم أكثر من خمسين رسما تجمعت خلال اعوام طويلة ، بجهد وعناء حقيقيين واستلهام ناضج لاشعاره التى اختمرت فى روح الرسلم حتى خرجت أعمالا فنية مستقلة ، لاتتوكأ على شعر الشاعر وكفى ، لكنها تشكل فى ذاتها نتاجا فنيا ذا قيمة فى ذاته .

● عاشق الاسكندرية

فناننا صاحب الرسوم هو مثل الشاعر صاحب الشعر ، ابن عاشق للإسكندرية ، بها عاش طفولته وشبابه ، أى ان قلبيهما خفقا للحب الأول فيها ، وفيها دبت الحياة فى الروح ، واشتعلت النفس بالرؤيا ، ومشى بهما شيطان الشعر فى مقاهيها وحاناتها وطرقاتها والبيوت . نقول شيطان الشعر لأن رسامنا ، بما هو كذلك ، هو شاعر ايضا ، وعلى نفس المنوال ، من تعامله مع الشعر ، وفى تخطيه الشعر كوجاهة تتقدم به إلى صدر المجتمع ، إلى : الاعتراف بالصعوبة القصوى للإنجاز الكبير ، وحتى باستحالته - وهاننذا انقل عن شاعر ثالث هو سعدى يوسف الذى نقل عن الناقد ريكس وارنر : والتاكيد على القيمة الفريدة حتى للخبرة الضئيلة بالمفهوم التقليدى ، مادمنا نتقبل هذه الخبرة كما هى ..

فى قصيدة مبكرة عنوانها «الخطوة الأولى» يصف - كفافى - شاعرا شابا يشكو امره إلى «ثيوكريتس» قائلا :

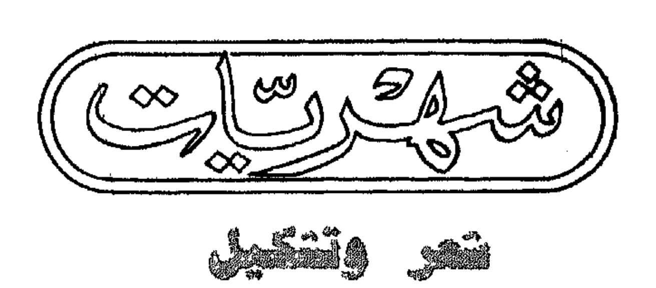
منذ عامين ، وأنا اكتب
لكنى لم اكمل إلا قصيدة رعوية بسيطة
و ..
من الخطوة الأولى التى انا فيها
لن اصعد أبدا .

وهكذا كان الشاعر أحمد مرسى ابدا : يكتب قصيدة رعوية بسيطة ، ربما ، خلال عامين ، وينشر بعض مايكتبه ، لكنه ، كما كفافى لايهتم بأن يضعها فى السوق سلعة تتداولها الأيدى والأقدام .

لكن هذا المشترك بين الفنانين لايجعلنا نغامر بالقول أن أحمد مرسى كشاعر يقف نفس المقام مع «كفافى» كشاعر عظيم ملهم .

ملهم ؟

نعم : انظروا إليه وهو يتنبا هذه



شعر وتشكيل

النبوءة المذهلة فى قصيدته الشهيرة «فى إنتظار البرابرة» :

مـاالـذى ننتظـر ، فى الســاحــة ، مزدحمين ؟
البرابرة سيصلون اليوم .
ولم مجلس الشيوخ معطل ؟
الشيوخ لايشترعون القوانين
فلم هم جالسون هناك إذن ؟
لأن البرابرة يصلون اليوم
اى قوانين سيشترعها الشيوخ الآن ؟
عندما ياتى البرابرة ، سيسنون هم القوانين

ياللهول ، وانا اعتذر لنقل كل هذه الأبيات من القصيدة ، لكن ، إنظروا إليه وهو يرتل هذا النشيد الحزين :

لم خرج قنصلا نامعا ، والقضاة باقبائهم الحمر ، واقبائهم المزركشة
لم هذه الأساور ، وكل هذا الحجر الكريم ؟
كل الخواتم ذات الزمرد المتالق ؟
لم يحملون اليوم صولجاناتهم الثمينة ؟
ذات المقابض الفضية ، والنهايات الذهب
لأن البرابرة سيصلون اليوم

نعم ، لقد وصل البرابرة فعلا ، وهاهم يسنون القوانين ، فاى نبوة هذه ؟ لكن ، ومن زاوية اخرى قد يقول البعض أن الشعر العظيم هو المشحون بالأسئلة لا الإجابات إلا ان الإجابات هنا تتضمن ، علاوة على روح السخرية ، معنى السؤال ، كما انها جاءت فى نهاية كل شطرة كخاتمة تتكرر وتضيف إيحاءات جديدة ، وهى ، هنا ، اللحن المقابل شديد الثقل بالحقيقة الفجة .

● رؤى الشعر

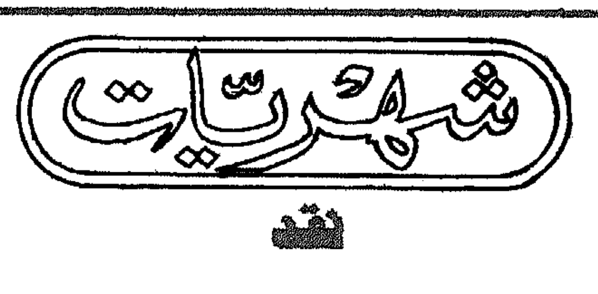
على اى حال إن كتابة شعر كهذا ليست امرا سهلا ، كما ان تقليب المعـانى والصـور على جـوانبهـا لاستخراج لآلىء الشعر المبهرة ماهو إلا رحلة صعبة ، قضاها الرسام مع الشاعر ، وطوال سنوات عديدة صيغت من المعايشة ، ليتتبع المقاصـد ، والأشخـاص ، الأماكن والاسـاطير والعقائد ، وهذا جهد مثقف كبير ، ومبدع مناطح ، لا رسام عابر ، متسرع ، يتخبط مايقوله الشاعر ، بل هو يرى فى الشعر رؤياه هو ، المستخلصة من جوهر هذا الشعر العظيم المبهر .

إن معرض الفنان احمد مرسى الذى اقيم بقاعة المشربية طوال شهر فبراير الماضى هو نتاج هذه العلاقة المركبة ، والمعاناة الممتدة ، ومحاولة دءوب لاستبطان شعر من نوع خاص ، ، لشاعر لايعبر ، كما يقول المدعو «ديكس وارنر» عن سعدى يوسف ـ وداعا للإسكندرية ، عن «الغنائية المنتصرة» التى كان شعراء اليونان من زملائه

الذين عاشوا فى زمنه يعبرون عنها ، لكنه «اتبع سبلا مختلفة تماما ، فمنابعه الرئيسية كانت مسارب التاريخ القديم ، وماليبدو لمعظم الناس شئون حب فاضحة ، ومع انه يعى ، بعمق ، بهاء التراث الإغريقى ومداه ، إلا ان التالف «الهللينستى» للحضارات والاجناس ، فى مدن كالأسكندرية وانطاكية ، حيث يشكل الإغريقى والوثنى والمسيحى والفيلسوف والقسيس والبربرى انموذجا معقدا ، وبعيدا البعد كله ، عن الأنموذج «البركليسى» .

« .. إن عالمه هو العالم الذى يصفه معظم المدرسين الإنجليز «المنحط» وهو عالم ليست فيه اية امجاد بارزة بطولية او غنائية أو ماسلوية ، مكنه عالم كان موجودا ، ولايزال ، وبالإمكان تفحصه بدقة وبرود ، وقد جاء «كافافى» فى هذا التفحص ، براى خاص ، وتميز فريد» .

هكذا إذن نرى ان استيعاب عالم شاعر كهذا يحتاج إلى كل هذا الجهد ، كما حاجته إلى قوة إبصار ، وبالضبط ، كما يحتاج إلى ندية المتوافق الذى احس كما احس هو ، ليخرج الرسم إذن ، كائنا ، حيا ، مستقلا ، له قوامه الخاص ، ومن هنا تاتى اهمية معرض رسوم احمد مرسى المعمولة من وحى شعر قسطنطين كافافى حيث إلتقت روحان عبقت روح الإسكندرية بهما واطلقت لهما العنان المنفتح على العالم الرحيب .



نقد

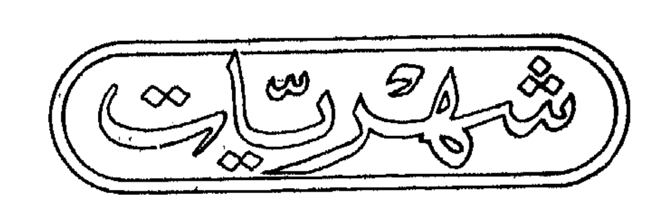
الجريمة فى وجع البعاد

بقلم : عبد المنعم الجداوى

● المؤلف يتهم بالتستر على جريمة الزواج الذى حطم الأسرة !



هل هو الاخلاص الذى يمتزج بشغاف القلب ، ويختلط بالامشاج ويستقر فى نخاع العظام ووجدان الروح . ذلك الذى



يجعل «يوسف القعيد» يكتب عن قريته ؟ أم هو الثأر من الذل الذى شربه فى ازقتها ومستنقعاتها .. سواء على جسورها الترابية أو نجوعها أو في حقولها ؟ ذلك الذى يجعله بصيرة مكتوبا على الورق فى عنف واصرار ووحدة .. يسخر من طواغيتها ، ويعطف دون بذل على فلاحيها .. الذين يعطون كل حياتهم للارض . فتعطيهم ظهرها .. فإذا ماتوا فقط .. استقبلتهم فى بطنها !!

● ● ●

سواء كانت الحقيقة الأولى أو الأخرى .. فان رواية (القعيد) (وجع البعاد) التى اصدرتها روايات الهلال .. تحمل الكثير الذى يحتاج إلى التفسير .. والبحث عن الجريمة فى طياتها وهى لاتكاد تبين منسوجة بين لحم الرواية وعظمها ، وهى كباقى رواياته .. تحمل تراب القرية وغبارها ، وان كان قد تخلى هذه المرة عن العمدة وابنه وشيخ البلد وشيخ الخفراء .. وجاء بخامة طيبة .. فصل منها روايته وقدم ابطاله .. وتركهم يتحركون كما يعيشون فى الواقع .. فلا تعسف ولا انتقال .. لكنه لم ينس ان يزج بالجنس زجا فى مكان لو انه لم يأت به لكان خيرا له . ولنا ولذكرى الغائب الشخصية المحورية فى الرواية .. رغم غيابها .. وقد بداها (القعيد) بالافندى القادم الغريب .. الذى جاء يحمل إلى أسرة (عبده بركات) والد «بركات» اخبارا أو اموالا أو هدايا من ابنهم المغترب فى بلد عربى .. لكن القرية كلها شاهدته وهو لا يحمل شيئا .. فايقنوا ان النقود لابد ان تكون في جيوبه ولكنه لم يكن يحمل سوى شريط تسجيل .. حمله حياء من صديق قال له انه لابد ان يحمله الى اهل هذا «البركات» لانه فى شدة .. ولكنه شخصيا لم ير «بركات» ولا يعرف عنه شيئا .. واجتمعت عليه الأسرة وانسابها وأصهارها وبات مكانه .. لم يمهلوه ، ولم يجد فرصة ليقول مايريد .. وغرقوا هم فى احلامهم ..

وخال «بركات» الذى عقد له على ابنته وهى تنتظر عودته لتصبح عروس القرية .. التى سوف تتحدث عن فرح العائد من الخارج بالنقود الافرنجى .. اسقط فى يد الزائر واستراح أول الأمر الى الحفاوة به .. فقد وجد لديهم مالم يجده عند اهله لاسيما بعد ان توفيت امه .. فأثر ان يبحث عن قرية وأهل هذا «البركات» ابن (عبده بركات) فى قرية «العتقا» وبعد اربع وعشرين ساعة انتهزت الأم الفرصة وحرضت زوجها على ان يسأل عن الكنز المرسل وانتهز هو فرصة عدم وجود احد ، وسأله عن الذى جاء به من عند بركات وفى ذات اللحظة دخل الخال «زيدان» الرجل المهاب المحترم فى القرية وكان الافندى (اسامة علوان) قد دفع يده فى جيبه .. فارتبك واحتار هل يخرج الشريط ام ينتظر .. لكن نظرات (زيدان) كانت آمرة ناهية .. فاخرج الشريط داخل مظروف ومد الاب يده ملهوفا فقبض على المظروف ..



يتحسس الورق الملون . لكنه وجد شيئا صلبا .. وطعن فى خواطره وصدم فى احلامه .. فلا نقود فى الدنيا بهذه الصلابة .. ورفرفت خيبة الأمل على محياه فتولى الافندى الشرح .. ليس هذا خطابا يقرأ .. لكنه صوت (بركات) يتحدث اليهم بنفسه .. واعتقد الأب انه لابد انه يقول لهم كيف يتسلمون النقود من البنك وانه سيقول بصراحة عن نصيب كل منهم فى المبلغ الذى سوف يصل عن طريق البريد .. واسقط فى يد الأسرة فلابد من جهاز والقرية كلها ليس بها هذا الجهاز .. والأمل الوحيد .. عند مرابى معروف .. مكروه فى القرية فليرسل اليه مع ولديه .. شقيقى (بركات) ولكن المرابى يصر على ان يوقعا له على عينة .. فالجهاز ثمنه خمسمائة جنيه .. وهو لا يرى عندهم ما يساوى المبلغ .. الا الجاموسة التى هى فى نفس الوقت شركة بينهم وبين اخرين ، وعليهما ان يوقعا تنازلا عن نصيب الأسرة وان يذهبا ليعودا بالجاموسة .. تبيت سواد الليل .. اذا كانا يريدان الجهاز لامر هام رفضا ايضا ان يفصحا عنه للمرابى .. حتى لا تعرف القرية .. ان بركات ارسل الكنز من بلاد الخليج ووافق الأب وبعث بالجاموسة وجيء بالجهاز .. لكن الجهاز رفض ان يتكلم وفشلوا فى حمله على الكلام .. حتى الافندى فشل .. ونفد صبر الأب وهوى على الجهاز بيده .. فانشق بطن يده ، وكسر الجهاز وصرخت المرأة التى ايقنت ان جاموستها انتهت .. وان البيت خرب .. وسالت الدماء على الجهاز المحطم ، وفقد الأب نصف عقله ، وتسلل الزائر وسط كل هذه الأحداث ليأخذ طريقه الى خارج القرية فى ظلمته قبل طلوع الفجر .. ولا يحتمل الأب (عبده بركات) الصدمة .. فيخرج يبحث عن الزائر الذى اختفى .. لكن بشكل يوحى انه هام فى القرى مع اللاوعى ، وانه ودع دنيا العقلاء !

● انانية الزائر !

لايستطيع القارىء العادى ان يعثر على الجريمة لا من الوهلة الأولى ولا من الوهلة الثانية.. الجريمة الكبرى التى تبرز هى جريمة المرابى الذى لايرابى وانما ينصب ، ويسرق عينى عينيك .. وهى أخف الجرائم رغم بشاعتها .. الجريمة التى لا يعاقب عليها القانون .. رغم عنفها "ضحاياها" .. الذين حطم امالهم وبعثر احلامهم ، وتركهم بعدها هشيما محترقا ، وعصف برجلها واخرجه من دنيا الناس الى دنيا لايعرفها غير الدراويش .. هذا الجانى الذى تحوم حوله كل الشبهات ،



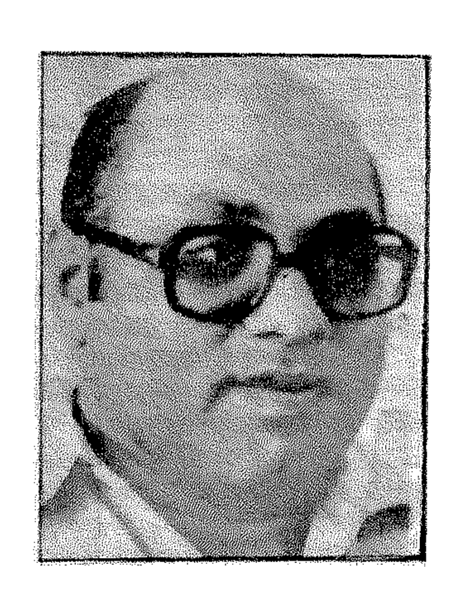
وتنتهى اليه .. هو هذا الزائر الذى كان فى وسعه بعد ان وصل بساعة واحدة ان يسلمهم الشريط ويمضى .. لكنه لم يفعل ذلك لغرض فى نفسه .. بكل اسف هرب آخر الأمر دون ان يفصح عنه .. لكنه كشف عن بعضه فى نظراته الشبقة التى وجهها خلسة إلى عروس (بركات) وبعض بنات القرية ونسائها .. ولعله كان يدبر امرا فى ذاته . لكن ظروف الأسرة السيئة لم تمكنه . لكنه بالقطع كان سببا مباشرا فى كل ما اصاب الأسرة من كوارث .. فمنها ضياع الجاموسة مقابل الجهاز الذى يملكه المرابى ، وحطمه الاب فى ثورته .. رغم الهدوء الذى كان يلازمه طوال مدة وجود الزائر .. ولو ان احد شقيقى (بركات) فعلها لكان ذلك اليق فهما اللذان سارا ليلا ذهابا وإيابا الى بيت المرابى ونفد صبرهما .. لكن المؤلف اراد الحادث بيد رب البيت ليجعله يفقد عقله فى النهاية .. وتلك شأنه كمؤلف .. اما جريمة الصمت والسكوت التى ارتكبها الزائر الغريب .. فتلك هى التى فى حاجة شديدة الى التحليل والتمحيص والغوص فى اعماقها للحصول على مبرر لهذا الصمت الذى جعله المؤلف الركن الذاتى فى الرواية بعد شخصية (بركات) الغائب.. هل كان (اسامة علوان) فى الأصل من النصابين الذين يتخذون من النصب على اهالى الغائبين حرفة وهى طريقة أو وسيلة فرضتها الظروف ، وتكررت فى اكثر من قرية ومدينة .. لكن المؤلف لم يقدم لنا شيئا عن حياة الزائر السابقة ولم يقل لنا عنه اكثر من انه كان فى الغربة ، وكان يحزم حقائبه ليعود الى القاهرة وجاءه صديق .. من بلدته ورجاه ان يحمل هذا الشريط الى اهل (بركات) واعطاه عنوانهم ..

واذن فنحن لا نعرف على ماذا تحتوى هذه الشخصية العجيبة ـ التى استقبلت من اهلها قبولا فاترا .. فاندفعت وكأنها تنتقم من اسرة (عبده بركات) وحتى ذلك لم يوضحه لنا المؤلف ولو انه وضحه لما لامه عليه احد .. مما جعل بعض اهل القرية يظنون ان هذا الزائر من عالم اخر جاء فقط ليدمر بيت (عبده بركات) لاسيما بعد ان اختفى هذا الاختفاء الاسطورى .

ان جريمة (اسامة) هذا تكمن فى انه تأخر كثيرا فى الاعلان عن رسالته .. فهل فعل ذلك متعمدا ام انها جريمة غير مقصودة كالقتل الخطأ ؟ هل كان حسن النية فيما فعل ، وماصدر منه ؟ .. أما انه كان هدفا اجراميا .. حالت الظروف التى وقعت دونه .. فصار كالجريمة المستحيلة فى التنفيذ القانونى .. حينما تحول الظروف دون المجرم وارتكاب جريمته بعد ان يشرع فيها .. فهل هذا الزائر كانت لديه خطة لجريمة كاملة ... افسدتها عليه الظروف السيئة التى المت بعائلة (بركات) ..

● ● ●

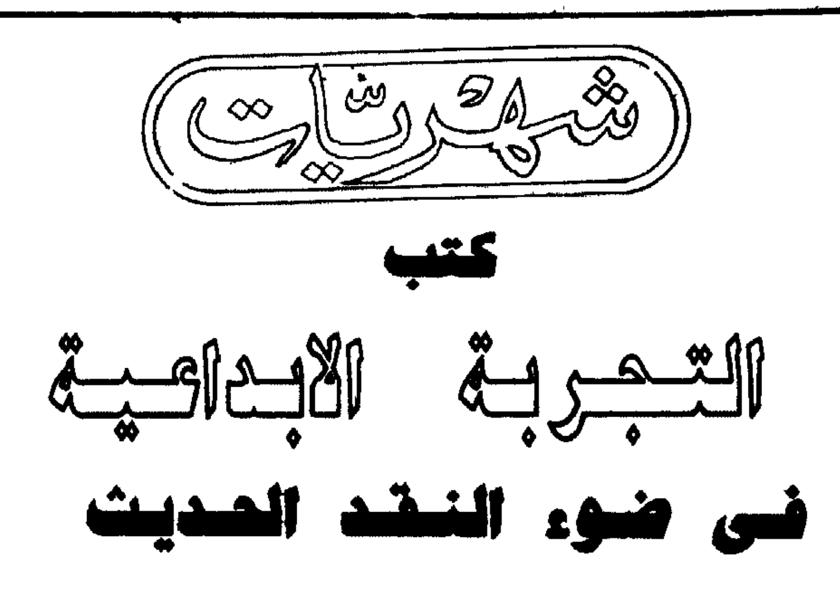
ولكن المؤلف لم يبرىء الزائر ، ولم يدنه ، ولم يكشف لنا عن مكنوناته .. مما يجعل القارىء يشعر انه متواطىء معه .. لكن المؤلف خيل له ان الزائر اذا افصح عما معه توقف نمو الرواية ـ مع انه كان يستطيع ان يثريها اضعاف اضعاف هذا



يوسف القعيد

الثراء الذى قراناه .. فالمؤلف لم يعجزه ان يقدم فى (وجع البعاد) شخصيات جديدة فى قريته لم يسبق له تقديمها كشيخ المسجد وعطفه وتعاطفه مع (بركات) الغائب و(العايق) زوج بنت (عيده بركات) ولكنه لم يحركهما الحركة التى تؤثر فى الاحداث ولا تصدر من سواهما بل وصفهما مجرد وصف .. ثم تركهما فى اماكنهما كقطع لعبة الطاولة .

وتنتهى رواية (وجع البعاد) بالنهاية المفتوحة .. اذ يهرب الزائر ويخرج خلفه الاب وعميد العائلة التى نكبت بالزيارة .. وقد اكد لنا المؤلف انه غادر دنيا العقلاء وبقيت العروس بلا خبر ، وبقى (بركات) فى غيبته التى لا ندرى اذا كانت سوف تنتهى ام تطول ؟ والجاموسة استولى عليها المرابى وبعث بها الى عائلة اخرى مشاركة بينها وبينه .. لكى يسد وجه المطالبة بها.

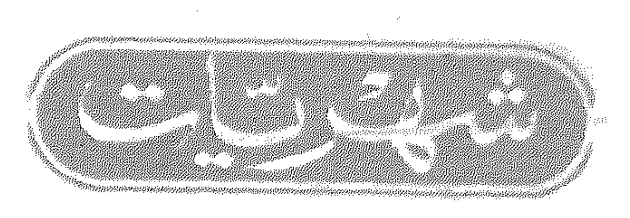


كتب

التجربة الابداعية في ضوء النقد الحديث

بقلم : د . حسين على محمد

تتكرر الشكوى من غياب النقد الاكاديمى عن الساحة الأدبية المعاصرة التى تعج بكثرة المبدعين فى فنون الأدب المختلفة : مثل الشعر ، والقصة القصيرة ، والرواية ، والمسرحية ، وغيرها .



ويأتي هذا الكتاب الذى نعرض له ، والذى صدر مؤخرا للناقد الدكتور صابر عبد الدايم بعنوان « التجربة الابداعية في ضوء النقد الحديث » ليؤكد أن النقاد موجودون ، ويمارسون دورهم المنوط بهم ، ولكننا الفنا الشكوى فصارت تعبر عن (حالة) أكثر مما تعبر عن (واقع) نحاول أن نتجاوزه

وهذا الكتاب الذى يقع فى حوالى ثلثمائة صفحة من القطع الكبير يتكون من ثلاثة اقسام .

● القسم الأول بعنوان (التجربة الابداعية فى دائرة التنظير) .

ويتضمن هذا القسم ثلاث دراسات هى :

١ - الشعر وتعانق الفنون .

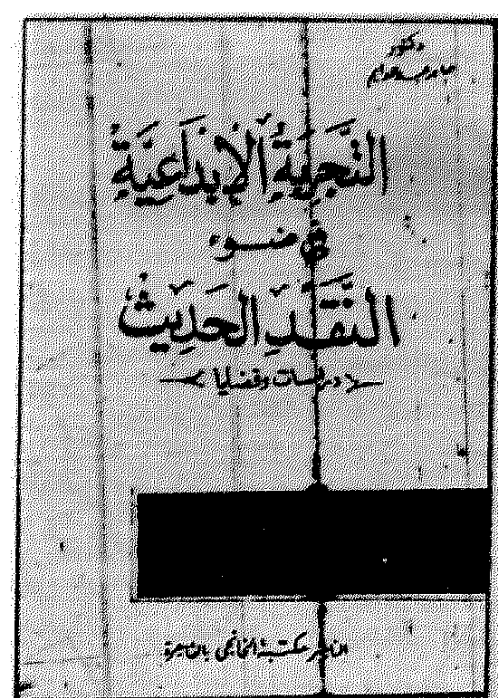
٢ - التجربة الأدبية فى دائرة التصور النفسى .

٣ - القصيدة المعاصرة بين الرؤية الناضجة والأدوات الفنية الجديدة .

وهذه الدراسات الثلاث تفصح عن رؤية الباحث ونهجه فى رصد الأعمال الفنية وتذوقها من خلال الابعاد الفنية .. وهذه الرؤية النقدية تتجه الى ان الفنون تتعانق وتتداخل احيانا ، وادوات كل فن تشارك فى تشكيل التجربة فى الفنون الاخرى ، وانطلاقا من هذا المنهج انبعثت دراسة « الشعر وتعانق الفنون » فلكل فن خصائصه ولكن الفنون لاترضى العزلة فيسعى بعضها الى البعض الآخر .. لتتبادل فيما بينها التاثر والتاثير ، وفى مقدمة هذه الفنون « الشعر » .. وقد حاول الباحث ان ينقب فى دراسته عن جذور هذا التعانق بين الفنون منذ الأدب الاغريقى القديم الى ادب العصر الكلاسيكى فى اوربا ، ثم ابرز المظاهر الفنية للتلاقى بين فنى الشعر والموسيقى ، والمظاهر الفنية للتلاقى بين فنى الشعر والرسم ، والمظاهر الفنية للتلاقى بين فنى الشعر والنحت .

اما فى دراسته (التجربة الأدبية فى دائرة التصور النفسى) فيرصد الناقد الدكتور (صابر عبد الدايم) بعدا هاما من ابعاد التجربة الابداعية فى ضوء النقد الحديث - وهو محاولة التفسير النفسى للأدب .. وقد سبقته محاولات عباس العقاد فى (ابن الرومى حياته من شعره) ود . محمد النويهى . ود . عز الدين اسماعيل . وبعض اطروحات د . محمد خلف الله أحمد .

لكن المؤلف فى دراسته نزع الى التنظير والى الكشف عن جذور هذه القضية - فابان عن التصور النفسى فى دائرة الفلسفة وعلاقة هذا التصور بالرؤية الأدبية ، ثم أوضح بعض النظريات النفسية فى هذا المجال مثل



نظرية (العبقرية والجنون) ، ونظرية (التعويض) ووضح الباحث موقفه من هاتين النظريتين حيث رفض تحكم قوانين علم النفس فى مسار التجربة الابداعية ، ثم نوه بالاسس النفسية للتأثير الأدبى فى البلاغة العربية القديمة .

وينتهى هذا القسم التنظيرى بدراسته الناضجة (عن القصيدة المعاصرة بين الرؤية الناضجة والأدوات الفنية الجديدة) وابانت هذه الدراسة عن ملامح التجديد فى الرؤية الشعرية المعاصرة ، كما درس بعض الوسائل الفنية التى يستخدمها الشاعر المعاصر فى تجديده ومنها :

أ - استيحاء التراث الانسانى وبخاصة التراث العربى والاسلامى .

ب - الاتكاء على الاسطورة أو القصص الشعبى فى تشكيل التجربة الشعرية .

جـ - الرمز الموضوعى والرمز اللغوى .

ثم اوضح الباحث سمات اللغة فى الشعر المعاصر ، ونبه الى ظاهرة الغموض فى الشعر الحديث الناشئة عن التعقيد البيانى والخلط اللغوى فى القصيدة المعاصرة ، كما كشف عن الجذور التجديدية للموسيقى الشعرية ، ووضح دور الايقاع فى التجربة الشعرية المعاصرة ، ونوه فى النهاية بان القصيدة المعاصرة فى شكلها الجديد رؤية وفنا لاتقتصر على شكل شعرى محدد - كما يدعى البعض - ويخص شعر التفعيلة بالحداثة الفنية - ونحن نوافقه على هذا الرأى ، فلا يمكن مثلا ان نتهم شعر عبد الله البردونى بانه شعر غير عصرى لأنه يكتبه فى الشكل الخليلى (ولا نقول الشكل التقليدى) الماثور !

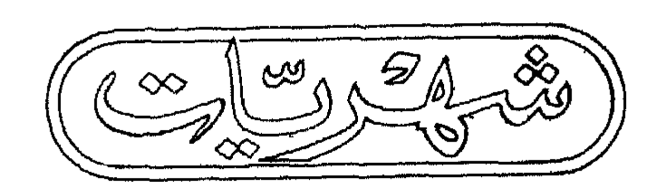
والواقع أن الرؤية الناضجة والأدوات الفنية الجديدة سمة كل شعر جيد ، فى اى شكل كان هذا الشعر :

وهذا القسم من الكتاب ، مع كتاب آخر للدكتور على عشرى زايد وعنوانه (عن بناء القصيدة العربية الحديثة) لا غنى عنهما للناقد المعاصر ، الذى يريد ان يواجه نصا شعريا جديدا .

● أما القسم الثانى فيدرس (التجربة الابداعية فى دائرة النقد التطبيقى) وقد جاء هذا القسم فى ثلاثة فصول :

١ - الفصل الأول : فى فن الشعر .
٢ - الفصل الثانى : فى فن القصة .
٣ - الفصل الثالث : فى فن الرواية .

وتنزع الدراسات فى هذا القسم الى النقد التطبيقى ، وتنطلق من ايمان



الباحث (وهو احد الشعراء الشباب بجانب كونه استاذا جامعيا للنقد الادبى) بضرورة مواكبة النقد للابداع الأدبى حتى لاتصاب الحركة الأدبية بالجمود .

- والفصل الأول (فى فن الشعر) يتضمن ثمانى دراسات نقدية تطبيقية تتعامل مع الفن الشعرى وهى :

١ - ثمرات الحرمان : دراسة نصية فى شعر الأمير عبد الله الفيصل من خلال ديوانه (وحى الحرمان) .

٢ - ديوان (عروس الأرض) للشاعر عزت جاد - وهو واحد من الشعراء الشبان ، وهذا هو ديوانه الأول .

٣ - التجربة الشعرية وأدواتها الفنية فى قصيدة خواطر الغروب لابراهيم ناجى .

٤ - الغرباء : رؤية نقدية لشعراء الشرقية .

٥ - ابعاد الرؤية الشعرية ، وتجلياتها الزمانية فى « رباعيات » .

٦ - اصالة التجربة الشعرية فى قصيدة (قراءة فى وجه حنطى) .

٧ - (قلب فى مواجهة الريح) رؤية نقدية فى قصيدة لعبد الله شرف .

٨ - آفاق التجربة الشعرية : دراسة نصية لعدة قصائد .

- والفصل الثانى فى (فن القصة) يتناول بالتحليل النقدى ثلاث مجموعات قصصية وهى :

١ - الموت والابتسام : لعبد الله باقلزى (وهو كاتب سعودى)

٢ - القمر والتشريح : لعبد الله باقلزى .

٣ - وجوه واحلام : لاحمد زلط

- والفصل الثالث فى (فن الرواية) ويتناول بالتحليل رواية واحدة هى رواية .

عيون فى وجه القمر لبهى الدين عوض .

وكان من الممكن ادماج الفصلين الثانى والثالث فى فصل واحد بعنوان (فى فنى القصة والرواية) خاصة وانه فى فن الرواية لم يدرس غير رواية وحيدة ، ولعله فى الطبعات القادمة يتداركه ذلك . اما إذا احب ان يبقى على الفصلين كما هما فعليه ان يضيف لدراسة القصة القصيرة بعض مجموعات للأجيال المختلفة من جيل : نجيب محفوظ ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، ويوسف السباعى ، ويوسف جوهر ، وابراهيم المصرى .

ومن جيل : يوسف ادريس ، ويوسف الشارونى ، ثم من اجيال الستينيات وما بعدها : ابراهيم اصلان ، ومحمد البساطى ، وبهاء طاهر ، ومحمد الراوى ، وجمعة محمد جمعة .. وغيرهم .

وعليه فى الفن الروائى ان يضيف عدة دراسات عن نجيب محفوظ ، وفتحى غانم ، ومحمد جبريل ، وعبد الرحمن منيف وغيرهم من الذين يكتبون الرواية المعاصرة بجودة واقتدار حتى يتيح امام القارىء المعاصر نماذج للأدب الراقى من خلال عين مدربة فاحصة ، راصدة للخيوط الموضوعية والفنية التى تحدد صعود العمل أو انكساره .

● فى القسم الثالث يعالج الباحث بعض قضايا ادبية بايجاز :

- ومن هذه القضايا (قصيدة النثر) وهى تجربة ابداعية مثارة بين ادباء هذا الجيل ، وهو يرفض هذا المصطلح ، ويذكر حيثيات هذا الرفض فى خلال مقالتيه :

أ - قصيدة النثر ومزاعم المتشاعرين .

ب - قصيدة النثر وأوهام المتكسبين بالنقد .

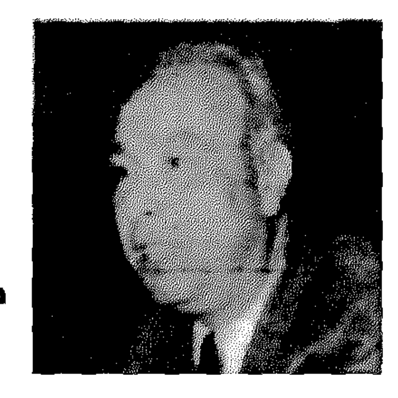
- وفى مقالته (النقد والابداع : عدوان أم توامان) يثير قضية قديمة جديدة ، فكثير من المهتمين بالأدب ابداعا ونقدا يظنون أن الناقد عدو المبدع ، والمقالة تركز وتستشهد على أن الناقد الحقيقى يكمن فى اعماقه أديب مبدع ، فلابد للناقد من ملكة نقدية تساعده - الى جوار المقاييس النقدية المتداولة - فى استبطان عالم النص الأدبى .

- وفى مقالته (الجامعة والساحة الأدبية) يفجر قضية شائكة وهى حقيقة تفاعل الدرس الجامعى مع الحركة الأدبية ، ومتى يكون هذا التفاعل ، والى أى مدى يكون .. وهى قضية متشعبة الأطراف تحتاج الى تبادل الآراء وتفاعل الافكار ، وما هذه المقالة سوى رد موجز على من يرمون الحقل الجامعى بالجفاف .. ويقطعون الصلة بينه وبين حركة الحياة ، وبئس ما زعموا ، فالجامعة تحرص على أن يكون الحاضر الثقافى تاصيلا لقيم جديدة .. تبنى على اسس من القيم النقدية الراسخة .

وهى مقالة جيدة تذكرنا بجهود



عباس محمود العقاد

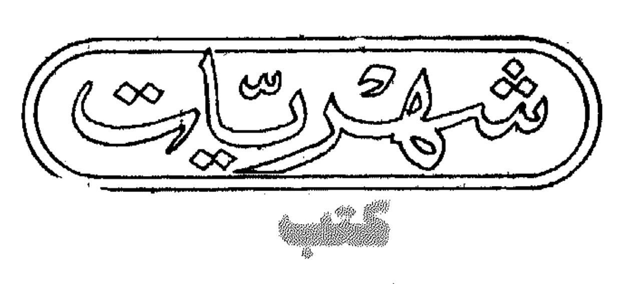


د . عز الدين اسماعيل

الجامعة فى النقد الادبى المعاصر التى قام بها : محمد غنيمى هلال ، وعبد القادر القط ، وشكرى عياد ، ورشاد رشدى .. وعلى عشرى زايد ، وماهر شفيق فريد ، وطه وادى ، واحمد عثمان ، وعبد المحسن طه بدر .. وغيرهم .

لكن هذا القسم الأخير كان من الأفضل نشره فى كتاب مستقل كما فعل د . عبد القادر القط فى كتاب سابق نشر فى مطلع السبعينيات بعنوان (قضايا ومواقف) وكما فعل د . شكرى عياد فى كتاب سابق ايضا حمل عنوان (الأدب فى عالم متغير) .

وليت الدكتور صابر عبد الدايم يفعل ذلك فى الطبعة المقبلة حتى يظل الكتاب مقتصرا على التجربة الابداعية حقيقة - بين التنظير والتطبيق ..



كتب

وجهة نظر فرنسية

فى صراعنا العربى الاسرائيلى

بقلم : د. سلوى أبو سعده

● إن ما نشر أخيرا حول كتاب "ميتران واسرائيل واليهود" لكل من إيف ازيرول وايف ديراى ينتهى الى أن التوجه الفرنسي ثابت تجاه دول المنطقة ، فميتران عندما وصل الى الحكم كان مقتنعا ـ على حد قول المؤلفين ـ بتحويل دفة السياسة الفرنسية لصالح اسرائيل ، وبعد سنوات وقف ميتران ليقول : « سياسة فرنسا تحدد فى باريس وليس فى تل ابيب ».

وهو ما سبق وأن وضحه وأكده "بيير روسى" المؤلف الفرنسى ـ الذى عمل مديرا للمركز الثقافى الفرنسى فى بغداد ، وعاش فى المنطقة مدة تزيد على ٢٥ عاما ـ فى كتابه "مفاتيح حرب ٦٧" حيث قدم خلال صفحاته بعث المقاومة الفلسطينية ، وآفاق الحرب والمفاوضات التى كانت تستهدف ضرب المقاومة وخطورة استمرار دائرة العنف ، والحلول الدبلوماسية المطروحة كبدائل بعد حرب ٦٧ .

أما خط الكتاب الرئيسي فكان اظهار مدى اختلاف الاهداف والمرامى وبالتالى سياسات كل من فرنسا والولايات المتحدة والاحتكارات الدولية أيا كانت انتماءاتها تجاه شعوب ودول المنطقة ، مؤكدا دائما على البعد الانسانى والثقافى للعلاقات عن تلك العلاقات التى تتركز فى أساسها على البعد الاحتكارى المصلحى .

فكان من أهم ما جاء فى سطور "بيير روسى" تلك التى توضح كيف لعبت الاحتكارات العالمية بهدف فصل اوربا عن العالم العربى مركزا على دور فرنسا وتوجهاتها منذ ايام ديجول ومن تلاه من رؤساء والتى اختلفت عن توجهات كل من الولايات المتحدة واسرائيل .

فكتب موضحا ذلك بقوله :

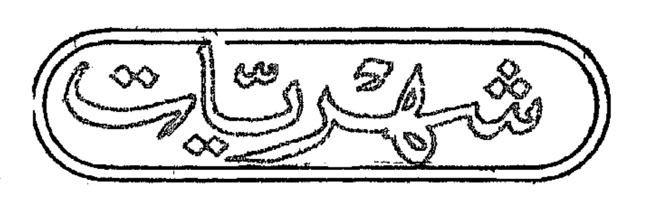
« .. هنا دبرت مؤامرة على مستوى عال من عدة أماكن فى وقت واحد ، مرتبطة باستراتيجية لها خيوطها الداخلية والخارجية ، تلك التى لغمت الادارة

علاقة فرنسا بالشرق الأوسط ، أو بدول وشعوب حوض البحر المتوسط ـ لنكون أكثر دقة ـ ليست فى حاجة الى توضيح لأهميتها وخصوصيتها عبر مراحل تاريخية قديمة .

وما تشهده من مواقف فرنسية على الساحة الدولية حاليا تجاه المنطقة ، وإزاء أزمة الشرق الاوسط ، لأكبر دليل على ذلك الاهتمام الذى لم يخفت ، لأسباب ومنطلقات ليست ثقافية فى أبعادها فقط ، بل وفكرية واقتصادية واستراتيجية أيضا ، وتلك الاخيرة تعد أحد أهم المحاور الرئيسية فى الاستراتيجية الفرنسية تجاه دول حوض البحر المتوسط .



نجمة داوود والصليب هل هناك مواجهة ؟



الفرنسية العليا لكى تعيد فرنسا علاقاتها الخاصة العسكرية منها والسياسية والاقتصادية مع اسرائيل ، كما صعدت حملة شديدة من الدعاية ومن التدخلات لارغام باريس على رفع حظر السلاح المفروض على تل ابيب المدججة به ، ذلك القرار الذى ما كان ليساعد اسرائيل فى شىء ، ولكن هذا الدفع للحظر كان يمثل ضربة مؤكدة لقطع آخر خيوط العلاقات العربية الاوربية »

ويتساءل بيير روسى : « فما الذى هدف اليه مفكرو البنتاجون بالتحديد ؟ وقد فشلت المحاولة ، اذ تمسك جورج بومبيدو بالخط الذى رسمه الجنرال ديجول ، وهنا حاول خبراء المفاوضات شيئا آخر .

ولقد ظل مبدأ المفاوضة وهو قرار مجلس الأمن فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ ومشاورة الأربعة الكبار التى نادت بها فرنسا ، وهى الشكل الذى رفضته اسرائيل . واستمرت تل ابيب من خلال صحافتها وممثليها الرسميين الذين لا يحصون ، وعن طريق وزرائها فى تقديم نزاع الشرق الاوسط على أنه حرب عقائدية بين الغرب والشرق ، حيث أن كلا من موسكو وواشنطن له الأحقية فى المعالجة .

فلا يمكن أن يكون هناك وضوح فى إظهار هذا التصميم على ابعاد أوربا عن منطقة تعد عزيزة عليها بحضارتها ، وحيوية بالنسبة لتطورها التاريخى . واستنفر وبانتظام الرأى العام العالمى حول خطط سلام أمريكية أو سوفييتية ، وليس أبدا حول مقترحات عربية أو مشروعات أوربية ، كما لو كانوا هم الذين سيحددون مصير أوربا والعرب فى غيابهما » .

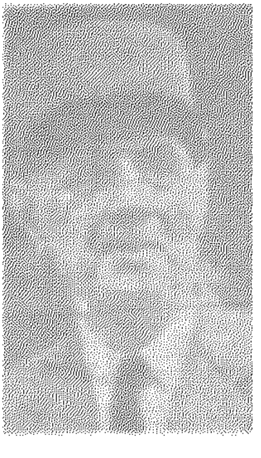
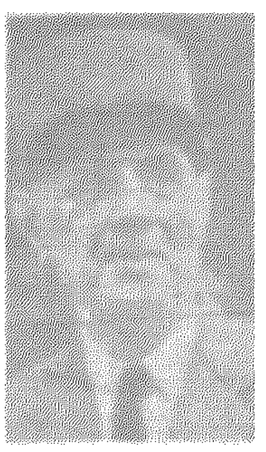
ويخلص بيير روسى فى نهاية تحليله لفكرة المفاوضات التى كانت دائرة فيما بعد حرب ٦٧ الى : « ونرى الى أى مدى هى خاطئة فكرة المفاوضات ، بما أنها لم تراع الاطراف المعنية بالدرجة الاولى : أى الرجال الذين يقمرون تلك المناطق التى يدار حولها النقاش دون مشاورتهم ، ولكن هل سبق وأن تشاوروا مع الفلسطينيين عند خلق اسرائيل ؟ لا . والسبب أن تلك القوى الاحتكارية نظرت الى البلاد كمساحات استراتيجية واقتصادية ، ولم تفكر فيها مطلقا كأمم حية تحب وتعانى .

فالمساحات أهم فى نظر هذه القوى من الانسان ، ولا وجود للوطن ، فالانسان موجود كلاجىء فى كل مكان ، مصيره الوحيد فى الدنيا هو أن يتحول الى مستهلك . وكأن الارض وجدت لتستقبل الهياكل التكنولوجية المربحة ، لا الاسس البشرية التى تحبها ، هذا هو الوعد المشئوم الذى تقوم عليه المفاوضات التى تسمى بالمفاوضات العربية الاسرائيلية . أى ضياع الارض من الرجال انها مفاوضة تنتهى بموت الحضارة ، وليس من المعقول أن تنضم أوربا أو العرب الى فكرة ميئوس منها الى هذا الحد »

بل استحسن "بيير روسى" . موقف رئيس الجمهورية الفرنسى بومبيدو فى ذلك الوقت عندما رفض رفضا قاطعا فى مؤتمره الصحفى فى يوليو ١٩٧٠ اية احتمالات للرضوخ لأى خطة امريكية أو




ميتران

ديجول



جورباتشوف ـ بوش



جورج بومبيدو

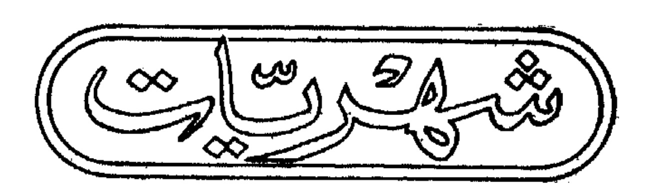
سوفييتية مؤكدا على العكس ان السلام سينتصر عن طريق الاربعة وليس عن طريق الاثنين . مركزا فى تحليله على أن فرنسا فى منهجها تجاه الازمة تقف مع التمسك باسلوب رجال السياسة وليس مع اسلوب رجال الحرب . لأن فرنسا من وجهة نظره تتخذ جانب المنهج السياسى علما بأنه لا يجوز على حد قوله ـ التصرف فى حق شعب فى أرضه ـ فهى تقف على النقيض من الجانب الآخر الذى يرى أن المفاوضة يجب أن تكون جزءاً مكملا للحرب .

وحدد المؤلف روسى الهدف من وراء اقصاء اوربا عن الميدان الدبلوماسى والعربى عن ميدان المعركة بقوله :

ـ « المهمة الرئيسية تفتيت وحدة العالم العربى ونقل الحرب الى قلب مجتمع يعانى بالفعل من حرب على حدوده ، فبدأوا ببث فيروس الحرب الاهلية ... وحاول قادة الاركان الاسرائيليون والامريكيون ضرب القومية الفلسطينية عن طريق ضربة ذات حدين :

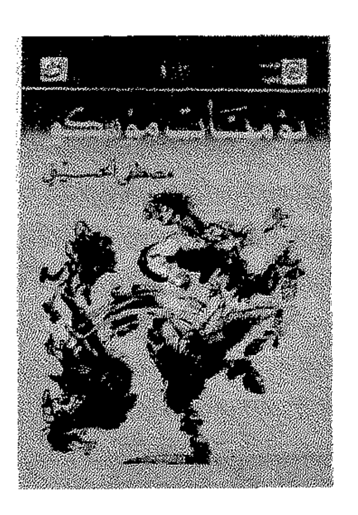
عزل فلسطين عن الشرق ، وفصل الغرب عن الشرق . بهدف عزل الفلسطينيين عن تاريخهم وعن المجتمع العربى ، وعن الاعتراف بحقوقهم القومية على الحدود السورية ، الاردنية ـ وفتح حوار بين فتح وتل ابيب ، أى حوار بين سيادتين متساويتين فى الحقوق ، ومن تفاهة تلك المؤامرة أنها كانت ظاهرة للعيان ، حيث أنها كانت ستؤدى بشعب مسلوب الى أن يقدم وبنفسه وطنه الى أيدى اسرائيل » .

ويصل بيير روسى فى النهاية الى تحديد وتجسيد الوضع فى تلك المرحلة من الصراع .. « .. وانه والى الآن فلا تل ابيب ولا واشنطن تؤمنان بمثل هذه الخلاصة ، فهم مستمرون فى الاعتقاد بأن الموت لغيرهم وليس لهم ، والموت للسكان الاقل درجة وللمتأخرين ماديا وتكنولوجيا » .



• مكتبة الهلال •

اسم الكتاب : يوميات موسكو
تأليف : مصطفى الحسيني
الناشر : سينا للنشر



عبر لقاءات حية مع خبراء وباحثين وشخصيات يستعرض «مصطفى الحسيني» واحدة من اهم القضايا المؤثرة على حياة العالم كله الآن ، قضية التغير فى النظام الدولى الجديد .

ويشكل هذا الكتاب الجزء الأول من ثلاثية تنطلق من تصور ان سياسة الرئيس السوفييتى ميخائيل جورباتشوف ، هى التى فتحت الباب أمام تغيرات عميقة وبعيدة المدى فى نظام العلاقات الدولية ، وفى الأسس التى يقوم عليها هذا النظام .

الجزء الثانى من المشروع يتناول الولايات المتحدة . وما يعتمل فيها من عوامل التغير .

الجزء الثالث يتعرض لأوروبا الحافلة بالتحولات المتجهة نحو الوحدة فيما بين اقطارها .

وعودة لهذا الكتاب نجد مؤلفه يؤكد على اننا إذا نظرنا فى هذا القرن الذى يقترب من خاتمته ، وحاولنا ان نعقد مقارنة - حتى فى العموميات - بين العالم فى بدايته وقرب نهايته ، سوف نرى أن «العصر الجديد» المرتقب ، يكاد يكون معنا ، او نحن نعيش خاتمة مقدماته إن كانت للمقدمات خواتيم .

فلو حاولنا مثلا ان نلخص العالم السياسى لهذا القرن ، لها لنا ان نجد زمن إنتصارات كبرى ، وهزائم كبرى ، حتى لانكاد نعرف ايهما اكبر ، وماهو «صافى الحساب» .

ففى هذا القرن إختفت إمبراطوريات كبرى ، وصعدت إمبراطوريات اكبر ، وفى هذا القرن شهد العالم إنتصار اول ثورة إشتراكية فى التاريخ ، وفى هذا القرن ظهرت اكبر حركة لإستقلال الدول المستعمرة فى التاريخ ومع ذلك فقد شهد العالم تناقضا بين دول الوفرة ودول الفقر ، كما شهد ١٣٠ حربا حصدت ١٢٠ مليون من البشر .

ويضيف الكاتب : على أن هذا القرن نفسه يرى الآن ، ومنذ عقد من السنين على الأقل ازمة المذاهب ، فلا الاشتراكية اوفت وعدها بعموم الرخاء ، ولا «الليبرالية» حققت وعدها بالحرية ،

على الـرغم من كـل مايقال .

ولقـد ادت ازمـة المذاهب العلمانية إلى ازمـة فلسفية عـامة ، وشاملة ، او انها كشفت عنها ، فاخذت تتبدى فى صعـود «الأصـوليـة الدينية» تراها فى عالم الإسلام ، كما تراها فى عالم المسيحية ، وهى اظهر ماتكون على نحو آخـر الآن فى العالم الاشتراكى حيث يجرى نكـوص وإرتـداد من الأممية إلى القومية .

ويعـد استعـراض لتناقضات العالم الذى نعيش فيه يقول الكاتب ان كل هذه المتناقضات كانت «كامنة فى العالم الذى نعيش فيه ، ومنذ عقود ، لكنه كان يتفاعل بشكل غير ملموس ، فقد كانت الإنقسامات القديمة ، التى استمرت بعد الحرب العالمية الثانية هى الحاكمة ، وكان قد تخطاها الزمان .

وكما يحدث دائما فى التاريخ ، يبدأ التغيير حيـث تستحكم أزمـة النظام القديم ، لذلك صدرت الطرقة المعلنة للإيذان بضرورة التغيير عن الاتحاد السوفييتى الذى اصبح مركزا لأزمة حادة ، واطلقوا هناك على هذه الطرقة إسم «البـريستـرويكـا» اى التغيير وإعادة البناء ، وانفتـح البـاب أمـام تطورات لم يكن يتوقعها احد ..

اسم الكتاب : سدرة المنتهى

المـؤلـف : سـعيـد الكفراوى

الناشر : دار الغد - ١٩٩٠



سـعيـد الكفـراوى مستودع ابداع قصصى . وهو حالة متوقدة من الإبداع .. تحس حين تقراه ، ان الدنيا قصة قصيرة لاتنتهى . وان القصص تلاحق بعضها البعض كانها سلسلة طـويلـة من الاجيـال المتواصلة .

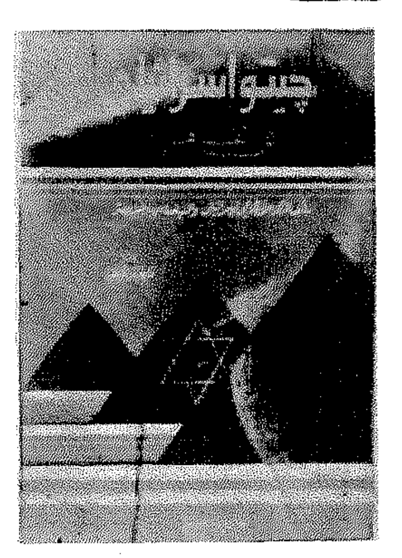
حـدث هـذا فـى مجموعته الأولى «مدينة المـوت الجميل» التى كتبها بعد سنوات طويلة من الغربة والانكماش بدا الكاتب كانه خرج من قمقمه الضيق إلى عالم الابداع الرحب .. وفى مجموعته الأخيرة «سدرة المنتهى» استكمل الكاتب عطاءه من خلال شكل خاص يتبعه الكاتب . فهنـاك عناوين كبيـرة يدخل فى اطلرها عناوين اخرى صغيرة . كانما هى المواليد الصغيرة تخرج من بطون الإمهات الكبيرة .. مثلما فعل فى «يالله حسن الختـام» الذى انقسم إلى خمسة عنـاوين قصصية هى «ضربة قمر» . و «كل تلك الفصـول» و «مـاوى للطيبين» و «للبحـر ، لآخر مدى» و «مبـرر للموت» .

وتعيش شخصيـات الكـاتب فى متـاهـات لاتنتهى . يخرجون من واحـدة للـدخـول فى غيرها .. وهذه المتاهات هى سدرة المنتهى . هى الحياة التى لاتكاد تنتهى عندما تبدأ مرة اخرى . «وكنت وحيدا بدرجـة مؤسية ، وانا اخطو على اول الطريق ، المح على البعـد ضوء مصبـاح



يخفق فوق تله . فى الظلام ، ويلمع على الماء ولكنه لايبدد الظلام ، فقط ينير حيث تدب القدم . تدب إلى هناك ، إلى اول المتاهة» .

الكتاب : جيتو إسرائيلى فى القاهرة
تاليف : عرفة عبده على .
الناشر : مكتبة مدبولى ، ٢٠٠ صفحة



هذا هو الكتاب الثانى للمؤرخ الشاب عرفة عبده على بعد كتابه الأول « تهويد عقل مصر » يتبعهما كتاب ثالث يحمل عنوان « ملف اليهود فى مصر » وهى كما يلاحظ القارىء سلسلة منتظمة حول موضوع أساسى واحد الا وهو محاولات الاسرائيليين ، التغلغل فى الحياة المصرية ، يرصدها الكاتب من منطلق المؤرخ صاحب الرؤية والمنهج والموقف لا فقط ، كجامع وثائق ووقائع ، وانما هو يعتمد فى تحليله التاريخى على هذه المادة العلمية ويسندها بموقفه السياسى الوطنى الواضح القاصد الى التحذير والتنبيه للمخاطر التى يتعرض لها المجتمع المصرى من جراء مايخططه الاسرائيليون ومايقومون به من ابحاث تقصد الى كشف ما اسماه « الصفقة الاستسلامية » التى يخطط لها من قبل امريكا والصهيونية العالمية والمؤسسات الرأسمالية الدولية ، بهدف احداث ـ تغيير جذرى ـ فى سياسات المنطقة العربية وتوجهاتها وانتماءاتها ، ويقول ان الاستراتيجية الأمريكية الاسرائيلية هذه تخطط ومنذ سنوات ـ من خلال الابحاث العلمية ـ لتقسيم الوطن العربى ـ ومن ضمنه مصر ، الى دويلات طوائف تقوم على الاقليات الدينية والعرقية ـ واللغوية ، بعد أن دبرت لمؤامرة « التسوية المنفردة » واقصاء مصر عن دورها القيادى التاريخى للعالم العربى .

ومن هنا فإنه فى اطار استخدام العلم كأداة لتحقيق اهداف سياسية قامت مراكز بحوث علمية وهيئات اكاديمية بتنظير مفهوم السلام الأمريكى الاسرائيلى ، فكانت التطبيقات العملية لتطبيع العلاقات ، هى مخطط كامل للاختراق والتأثير والافساد ، تحت دعوى « حياد العلم والثقافة » وبتنسيق كامل بين الهيئات الأمريكية والمؤسسات الصهيونية ، لتحقيق الهدف الأخطر الذى يتمثل فى « توظيف الثقافة المصرية العربية » لتغيير مفاهيم الصراع وتزييف الوعى والحقائق التاريخية ، وتعديل التوجهات السياسية بما

يتفق مع الاتجاهات الجديدة .

ويضيف المؤلف ان خطورة هذه الابحاث تبرز من خلال « تأثير المعونة الأمريكية فى صنع القرار السياسى » فى كل مراحله ، ذلك ان الشروط المقيدة التى تضمنتها اتفاقات المعونة الأمريكية ، ينتفى معها التأثير الحيادى على قرارات السياسة العامة فى جميع مراحل صنعها .

ويرى أن « المركز الاكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة هو أحد مؤسسات الكيان الصهيونى ، القادرة على نشر فكره وثقافته والترويج لها ، وتمهيد العقل المصرى والعربى لتقبل الوجود الاسرائيلى الذى يدعى لنفسه رسالة ذات مضمون ايديولوجى بمقتضى حقوق تاريخية وهمية وأرث سماوى مزعوم ، فالمركز يعمل بتركيز شديد ومكثف على تقويض حقائق ظلت لعقود متتالية قاعدة للثقافة القومية العربية ، ثم ان مجالات نشاطات هذا المركز تؤكد بما لايدع مساحة للشك مدى ارتباط المؤسسات العلمية الاسرائيلية بالمؤسسة العسكرية الحاكمة فى إسرائيل







الكتاب : مفهوم النص
تاليف : د . نصر حامد أبو زيد
الناشر : هيئة الكتاب
٣٦٠ ص ، ٥٤٠ ق م

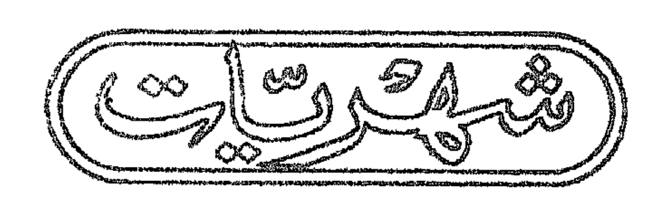
هذه الدراسة الجادة والجديدة تعد خطوة ثالثة على طريق درس تراثنا الفكرى من منظور علاقة المفسر بالنص وجدله معه ، وكانت الخطوتان السابقتان لهذه الخطوة فى كتابين آخرين للمؤلف أولاهما دراسة عن تأويل النص القرآنى ، سواء كان هذا التأويل يتم على اسس عقلية كما هو الأمر عند المعتزلة ، أو كان يتم على اسس ذوقية حدسية كما هو الأمر عند المتصوفة .

ويقول المؤلف : « كان التركيز فى الدراستين السابقتين ينصب على الافاق الفكرية والمعرفية التى تبدأ منها عمليات التفسير والتأويل ، لذلك كان من الضرورى أن يكون التركيز فى هذه الدراسة على جانب النص ذاته ، وذلك فى محاولة لاكتشاف مكوناته وألياته الخاصة ودوره الايجابى فى عملية التأويل .

واذا كان الباحث قد اهتم فى دراسته الأولى بالتركيز على فعالية المؤول فانه قد تنبه فى دراسته لأهمية النص واشار لدوره وفعاليته ولفعالية مايرتبط به من تراث تفسيرى وتأويل ، واشار لتأثير ذلك على فكر المفسر .

لذلك كان من الطبيعى أن تكون الخطوة الثالثة افراد دراسة خاصة تتناول مفهوم النص وتناقش جوانبه المختلفة ، وتكون هذه الخطوة الثالثة بدورها بمثابة تمهيد لخطوات اخرى يتم بها استكمال درس الاتجاهات التأويلية الأخرى فى التراث درسا علميا لايغفل احد طرفى العلاقة ولايركز على احدهما على حساب الاخر .

ويقول الكاتب ان



التركيز على دور المفسر فى فهم النص ـ كما كان سائدا فى الدراسات التقليدية ـ وفى تحديد دلالته ومغزاه قد يوهم ان النشاط التأويلى والتفسيرى مجرد جذب للنص الى افق القارىء والمفسر. وهذا ماحدث فى فلسفة التأويل المعاصرة حيث بولغ فى دور القارىء والمفسر الى حد اهدار كينونة النص والتضحية بها لحساب فعالية التأويل .

من هنا كان السؤال عن كينونة النص فى الدراسات النقدية المعاصرة سؤالا هاما ومشروعا .



الكتاب : حروب مصر المعاصرة

تاليف : لواء عبد المنعم خليل

الناشر : دار المستقبل العربى

٢٩٤ ص ، ١١ ج م .

شارك اللواء عبد المنعم خليل صاحب هذا الكتاب فى جميع الحروب المعاصرة التى كانت مصر طرفا اساسيا فيها منذ عام ١٩٤٢ ، وعام ١٩٤٨ ، وعام ١٩٥٦ ، وحرب اليمن ٦٢ ـ ٦٥ ، وعام ١٩٦٧ ، وحرب الاستنزاف وحرب اكتوبر ١٩٧٣ .

ومن خلال مشاركته الحية فى كل هذه المعارك والحروب يسجل الكاتب هذه المشاهدات فى عمل وثائقى أشبه بالمذكرات الحية النابضة بالوقائع والأرقام والوثائق .

ويقول الفريق اول محمد فوزى وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة المصرية السابق فى تقديمه للكتاب :

ارتفعت سمعة وتاريخ اللواء عبد المنعم خليل فى أربعة مواقف ميزته عن غيره من القادة وقد شرحها بالتفصيل فى هذه المذكرات وهى :

قيادته لتشكيل ميدانى فى حرب اليمن .

ثم قيادته للقوة المنفصلة فى شرم الشيخ يونيو ١٩٦٧ .

ثم قيادته لقوات الجيش الثانى الميدانى فى حرب الاستنزاف .

ودفاعه المستميت عن مدينة الاسماعيلية فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

ويقول صاحب المذكرات :

« شاء الله سبحانه وتعالى أن يحقق لى امنية وهى أن يعيننى ان اسطر بقلمى شريط ذكرياتى طيلة سنوات عمرى الميدانى ، خاصة سنوات الحرب التى تعدت الأربعين عاما وقد ظلت دفينة مسجلة بدقة فى قلبى وعقلى الى ان شاء الله لى أن اكتبها ، فهى نبضات قلب واعمال عقل وتجارب وخبرات جندى ورحلة حياة قائد تدرج فى جميع مناصب القيادة من قائد فصيلة مشاة الى قائد جيش ميدانى ضم كل اسلحة

القوات المسلحة البرية والبحرية والجوية والدفاع الجوى وقوات حرس الحدود والسواحل وحتى عناصر من رجال الأمن المركزى والدفاع الشعبى والعسكرى فى عمليات متكاملة مشتركة وخبرة معلم تعلم وعلم فى الكليات العسكرية وكلية القادة والأركان واكاديمية ناصر العسكرية العليا وفى معاهد القوات المسلحة ومدارسها وفى معاهد انجلترا والاتحاد السوفييتى ، كما عين رئيسا لهيئة تدريب القوات المسلحة للقتال ، وتولى الاشراف على كل مايخص التوجيه المعنوى وكفاءة الفرد المقاتل معنويا كمساعد لوزير الحربية ، واسندت اليه قيادة قوات الدفاع الشعبى والعسكرى عن جمهورية مصر العربية .

وفى هذا الاطار يمكن قراءة هذه المذكرات الشيقة الحافلة بالوقائع والمشاهدات والوثائق والصور التى جاء كثير منها لم ينشر من قبل .

الكتاب : الصراع على الكويت

تأليف : رضا هلال

الناشر : سينا للنشر



يعد هذا الكتاب واحدا من بين قلة قليلة من الكتب التى صدرت بالعشرات فى الفترة الاخيرة وتوخت طريق البحث والجدية والنزاهة العلمية التى تهدف الى استقصاء الحقيقة كلها وليس جانبا واحدا منها .

ومما يزيد من قيمة الكتاب ان مؤلفه كان قد سافر الى الكويت ليجمع المادة العلمية لبحث له عن مسالة الأمن والثروة فى الكويت الشقيق ، فاذا بالغزو العراقى يجعله شاهدا على ماجرى فى الفصل الأخير .

ومن حيث ان الباحث قد عرض جوانب قضيته بموضوعية وتجرد فإنه يؤكد فى مفتتح الأمة على ان حالة الكويت تعد مثالا اوضح للدول الخليجية من حيث النشأة ونمط العلاقات والمصالح داخليا وخارجيا ، وتعانى مثلها ـ بالنتيجة ـ عن معضلة الأمن والثروة فالدولة الخليجية دولة صغيرة أو « مدينة ـ دولة » فوق حقوق النفط ، ولذلك تميزت بـ « الثروة النفطية » ، و« الخفة السكانية » وتسبب ذلك فى اعتمادها فى الدفاع عن أمنها (السيادة والموارد) على الاستنجاد بقوة خارجية ، وعلى تصاعد الانفاق على مشتريات السلاح .

وبدلا من ان تؤدى « الثروة النفطية » الى دعم الأمن تحولت الى غنيمة ومثلت اغراء لاقتناصها عسكريا ، لتصبح مصدرا لتهديد الأمن ، بل لتهديد وجود الدولة اصلا ، ولم يمنع التحالف مع الاجنبى احتلال الكويت .

وفى خمسة فصول وافية يعرض الكاتب لمسألة الدولة الصغيرة وصراع البقاء منذ حقبة الأمن البريطانى ، ويعالج نشأة الكويت كدولة صغيرة اعتمدت فى بقائها على دعم قوة كبرى ، ثم يناقش مسألة نشأة مؤسسات الدولة الحديثة



حول افراد اسرة الصباح، والصيغة التى ارستها للمشاركة فى السلطة والثروة لضمان سلمية الصراع داخليا، ثم يتعرض للغزو العراقى للكويت ويسجل مشاهداته لأحداث الغزو لحقبة مابعد الاحتلال متناولا التصور الاستراتيجى الجديد فى الخليج والنظام الأمنى الاقليمى.



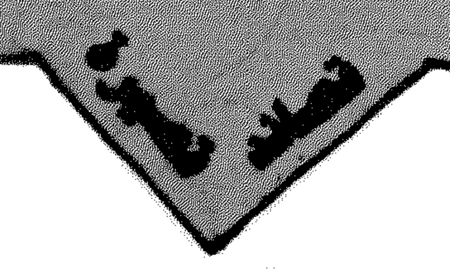
الكتاب : مشاهير الرسامين والموسيقيين العالميين
تأليف : سعيد جودة السحار والفنان جمال قطب
الناشر : مكتبة مصر

صدر الكتاب عن مكتبة مصر، وتعاون فى تأليف مادته واعدادها الكاتب سعيد جودة السحار والفنان التشكيلى المعروف جمال قطب، ولقد سبق لهما ان قدما للمكتبة العربية ثمرة لتعاونهما المشترك كتابى «الفن والحرب» ثم «روائع الفن العالمى» اللذان صدرا منذ عامين. وكان سعيد السحار الناشر المثقف الذى يقدر الفن والفكر الرفيع، ولكننا نراه - فى الكتاب الأخير (اشهر الرسامين والموسيقيين) يسهم بالتأليف ايضا بجانب دوره كناشر احتضن الصفوة الممتازة من كبار مفكرينا عبر نصف قرن من الزمان.

ولقد ضم كتابهما الجديد فصولا تتناول السيرة الذاتية وموجزا عن حياة عدد من الرسامين والموسيقيين، الذين تعدت شهرتهم حدود اوطانهم وكان لهم تأثير على تاريخ الفن العالمى.. ومن بين الرسامين عرض الكتاب لسيرة ليوناردو دافنشى ومايكل انجلو والجريكو وجويا وروبنز ورامبرانت ورافاييل وديجا وسيزان وفان جوخ، وجوجان وبيكاسو وسلفادور دالى، ومن بين المصريين لم يتناول الكتاب سوى الفنان احمد صبرى وهو من جيل الرواد فى فن التصوير المصرى المعاصر. اما فى الموسيقى فقد تعرض الكتاب لسيرة عدد من اهم الموسيقيين الأوربيين المعروفيين ومنهم تيفالدى وباخ وموتسارت وبيتهوفن وشوبان وفيردى وفاجنر وبرامز وتشايكوفسكى.

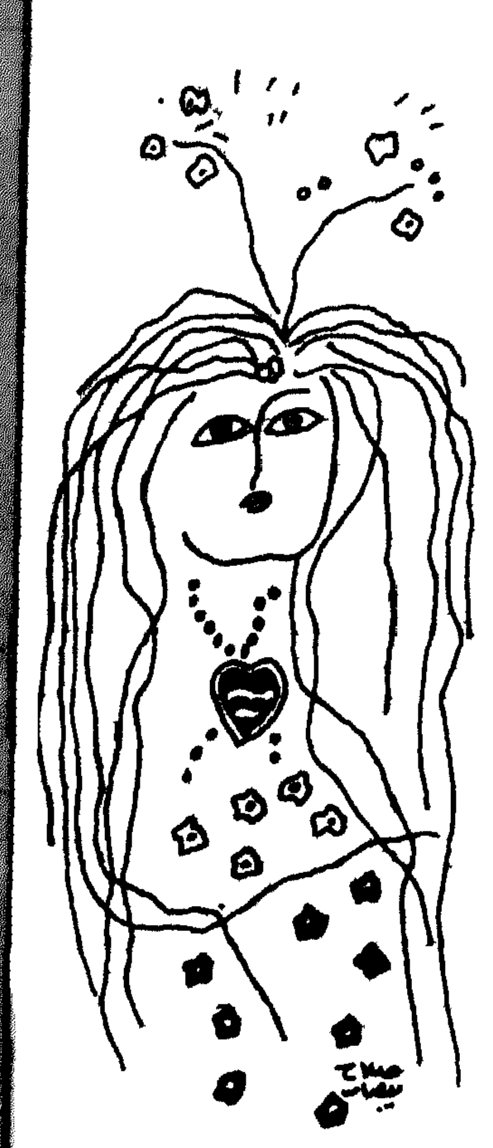
وتمتزج المادة المكتوبة مع صور اللوحات والرسوم الصحفية المصاحبة - التى اختارها بذكاء الفنان جمال قطب من ارشيفه الخاص - لتقدم فى النهاية عملا جذابا لمن لديه الرغبة فى التعرف على جوانب شيقة من حياة هؤلاء الفنانين والتزود بمعلومات طريفة عن مواقفهم وآرائهم فى الفن والحياة.

وهذا الكتاب الذى جاء فاخر الطباعة، انيق الترتيب، جزل العبارة، يعد اضافة للمكتبة العربية الفنية واثراء لها، ويدعو الى طلب المزيد منها.



شعر : مصطفى غنيم





(١)

وماكنت - حين اكتسى القلب بالحزن
واشتعل الراس
ماكنت اعلم ان ظلامى
سيغدو نهارا
وانى سانس
مابين كفيك نارا ..

(٢)

للتى احسنت للفؤاد الممزق
ذات مساء .. دمى وزيادة
لها الشعر والعمر والزهر
والفجر والانفراد لها بالسيادة
وانا .. كل ما ابتغى .
ذرة من سعادة !

(٣)

الطفلة الحسناء
مرت بيدها الرقيقة البيضاء
على جبين شاعر
يرنو إلى السماء
فاخرجت من صدره
سحابة سوداء .

فقدان ذاكرة العقل البشرى ومرض كورساكوف

بقلم : د. محمد السكرى*

وقد تميز هذا المرض بفقد القدرة على التعلم أو تذكر أى حدث جديد فلا يعلق أى أمر بذهن المريض أكثر من دقائق معدودة . ويمتد نسيان المريض للأحداث فلا يذكر ما مر به فى الشهور التى سبقت بداية المرض ، وقد لا يعرف أين هو ومن هو . وفى بعض الحالات تتبلد مشاعر المريض كما قد يطلق فى ترديد كلمات أو عبارات بلا معنى . ويختلق روايات لا نصيب لها من الواقع ، ويجيب بطلاقة على الأسئلة التى توجه اليه إجابات تخلو من الصحة ولاتأخذ فى الاعتبار حقائق الأشياء .

وببحث أسباب هذا الداء تبين ارتباطه بتلف أجزاء معينة من المخ نتيجة لادمان الخمر .

وتلقى دراسة مثل هذا المرض وغيره من العلل التى تصيب المخ الضوء على وظائف أجزائه المختلفة ، والطريقة التى تؤدى به عملها .

والذاكرة وظيفة أساسية من وظائف المخ ، وهى أيضا شرط لازم لعملية التعلم ، وضرورة لاغنى عنها فى مجال التفكير والتخطيط والحكم على الأشياء .

وعندما صمم الانسان الحاسبات الآلية Computers ليحاكى بعض وظائف العقل البشرى ويتفوق عليها فى سرعة الأداء ودقته اخذ فى اعتباره ضرورة وجود نوعين من الذاكرة داخل تلك الاجهزة : ذاكرة دائمة تختص بتشغيل الجهاز ، وذاكرة إختيارية يمكن أن تستوعب اى برنامج يدخل اليها لتسير على نسقه وتحقق اهدافه .

اما بالنسبة للمخ البشرى وهو مادة حية فقد تبين أن انطباع الذاكرة فيه يتم على خطوات فتكون فى مبدأ الأمر ضعيفة القدرة على الثبات ثم ترسخ بالتدريج لكى تصبح ذات اثر باق .

وفى مطلع هذا القرن عندما بدأت محاولات جادة لتفهم طبيعة الذاكرة افترض موللر Muller وبلتسيكر Pilzecker وجود مرحلتين لتخزين المعلومات فى المخ . المرحلة الأولى تختص بإحداث اثر فى الخلايا العصبية للأشياء التى تم تعلمها حديثا . وهذه المرحلة تحتاج الى قدر من التركيز الذهنى ، ويمكن افسادها

---

* د . محمد السكرى
استاذ بكلية طب الأزهر

في عام ١٨٧٧ وصف طبيب الأعصاب الروسى سيرجى كورساكوف Sergei Korsakoff مرضا غريبا يصيب الذاكرة سمى باسمه .

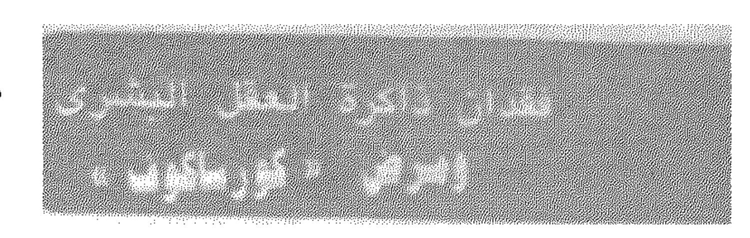


قطاع طولى فى المخ يبين الجزء المسمى بفرس النهر

بسهولة أو بمعنى آخر إحداث نسيان لها نتيجة لتدخل مؤثرات خارجية تشوش عملية التسجيل . والمرحلة الثـانية عمليـة تثبيت المعلومـات Consolidation التى تم تسجيلها فى الذاكرة كما تثبت الصورة الضوئية بعد إظهارها حتى تبقى ملامحها لفترة طويلة ولا يطرأ عليها النسيان بسهولة وبينما تستغرق المرحلة الأولى دقائق معدودة تحتاج المرحلة الثانية الى عدة ساعات لاتمامها مما يشير إلى أن عملية التعلم بطيئة الى حد ما وتحتاج الى وقت لكى تؤتى ثمارها .

وقد أثبتت الملاحظات والتجارب على مر السنين صحة قرص موللر وبلتسيكر الى حد كبير . كما بينت أن هناك آليات Mechanisms متداخلة تتفاعل فيما بينها لاحداث مراحل الذاكرة المختلفة يختص بعضها بتذكر الأحداث فور حدوثها لحظة بلحظة ، ويختص بعضها بتذكر الأحداث التى وقعت منذ ثوان أو دقائق تمتد الى بضع ساعات كما أن هناك آليات تختص بتذكر أحداث الماضى البعيد .

وتشمل تلك الآليات إحداث أثر فى المخ عن طريق تغيير نشاط الدوائر الكهربائية داخله ، ويمكن تثبيت ذلك الأثر عن طريق تكوين احماض نووية Ribonuclei Acids وبروتينات جديدة داخل الخلايا العصبية كما تطرأ تغيرات طفيفة محدودة فى شكل خلايا الدوائر الكهربـائية المختصة بتذكر شىء معين .



ومن الملاحظات الشائعة التى تؤكد إختزان المعلومات على أكثر من مرحلة فقد الذاكرة المؤقت الذى يحدث للانسان إذا تعرض لاصابة فى الراس مثل مايحدث عند ارتطام الراس بجسم صلب ففى تلك الأحوال ينسى الانسان تماما ماحدث لحظة الأرتطام والأحداث التالية له مباشرة وأيضا ماحدث قبل إصابة الراس بوقت قليل .

وتفسير ذلك أن ارتجاج المخ الناتج عن إصابة الراس يحدث شللا مؤقتا فى الخلايا العصبية يؤثر فى قدرتها على تخزين المعلومات فتنمى صورتها من الذاكرة ولايبقى لها أثر .

وتحدث الصدمات الكهربائية المستخدمة فى علاج بعض الأمراض العقلية نفس التأثير وتوقف نشاط الكثير من الخلايا العصبية داخل المخ بصفة مؤقتة فتوثر على الذاكرة .

وقد أسهم التقدم الكبير فى جراحات المخ فى إلقاء المزيد من الضوء على وظائفه ، وعلاقة أجزائه المختلفة بالذاكرة . وبينت الاختبارات أن تنشيط أجزاء معينة من أحد فصوص المخ وهو المسمى بالفص الصدغى Temporal Lobe عن طريق استخدام قطب كهربائى أثناء بعض العمليات يحدث لستدعاء لذكريات حدثت فى الماضى البعيد . ويحدث هذا التذكر قهرا استجابة للمؤثر ، ودون تدخل إرادى للمريض . ومن المثير للاهتمام فى تلك الاختبارات أن تنشيط نقط معينة من هذا الفص يؤدى الى تذكر أحداث بعينها تستعاد الى الذهن كشريط من الذكريات ، وتظل حاضرة فى مخيلة المريض مادام استمر التنشيط الكهربائى ، ويتوقف استدعاؤها بتوقف التنشيط .

ولا تعنى مثل هذه الملاحظات أن تخزين الذكريات يتم فى الفص الصدغى ، فهناك احتمال أن تكون تلك الذكريات مختزنة فى أجزاء مختلفة من المخ بينما توجد مفاتيح استدعائها فى الفص الصدغى ، ويؤدى تنشيط كل مفتاح منها الى تشغيل الدوائر الكهربائية فى مناطق معينة من المخ من أجل استرجاع حدث محدد .

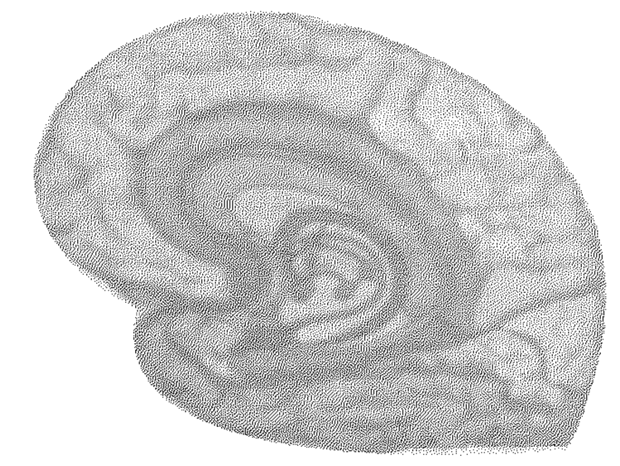
أما بالنسبة الى الذكريات الحديثة فقد بينت التجارب أن تثبيتها يتم فى الفص الشمى Olfactory Lobe من المخ وبوجه خاص فى المنطقة المسماة بفرس البحر Hippocampus وهى قد سميت بهذا الاسم لشدة شبهها بفرس بحر صغير ، ويؤدى تلف تلك المنطقة الى إعاقة تثبيت Consolidation الذكريات فلا تعلق فى الذهن ولا تبقى فيه . وبينما يظل المريض متذكرا للأحداث أثناء وقوعها مادام قد ركز تفكيره عليها فإنه ينساها مباشرة فور انصراف ذهنه عنها ، أو عندما يجذب انتباهه شىء آخر . وهذا بالضبط ما يحدث للمصاب بمرض كورساكوف . وقد بينت الفحوص الباثولوجية لمخ بعض المصابين بهذا المرض بعد وفاتهم وجود تلف فى أجزاء من المخ وثيقة الأرتباط بالمنطقة المسماة بفرس البحر .

● العقل وحاسة الشم

ولنا هنا وقفة عند وظائف الفص الشمى بصفة عامة فهو أحد أجزاء المخ

الأساسية الجديرة بالبحث والتأمل .

ومن الخطأ الاعتقاد انه ليس له وظيفة سوى حاسة الشم فهى لا تشغل سوى جزء صغير منه . وتنشغل بقية أجزائه بوظائف أخرى ذات علاقة بالذاكرة وتكونها وتشمل هذه الوظائف إتخاذ أنماط سلوكية معينة وثيقة الأرتباط بالغرائز مثل أنماط السلوك الجنسى ، وأشباع الشهوة للطعام ، والتعبير عن إنفعالات الخوف والغضب ، والدفاع عن النفس ، كما يسيطر هذا النص على وظائف الاحشاء المختلفة مثل الهضم والتنفس ونبض القلب وضغط الدم سيطرة الفارس الماهر على الجواد الراكض . وتتصل أجزاء من الفص الشمى بمراكز للذة فى المخ يثير تنشيطها إحساسا ممتعا بالنشوة يدفع الى تكرار الاتيان بكل عمل يؤدى الى مثل هذا التنشيط . وأيضا يتصل بمراكز أخرى يحدث تنشيطها أحاسيس غير سارة مثل الاحساس بالرعب او قلق غامض أو ضيق وألم نفسى مما يحض على تجنب الأفعال المسببة لاثارة هذه الأحاسيس . بمعنى أخر هناك مراكز فى المخ للمكافأة على اعمال معينة Reward Centres بإثارة أحاسيس النشوة ، ومراكز أخرى تعاقب على بعض الأعمال Punish-ment Centres بإثارة مشاعر بغيضة ونشاط تلك المراكز ضرورى أثناء عملية التربية Education والتعليم Learning حتى يمكن للمرء الالتزام بأنماط سلوكية معينة ترتبط بأحاسيس الرضا والسرور وتجنب أنماط سلوكية أخرى ترتبط بمشاعر التعاسة والشقاء .





مسار العصب الشمى والأجزاء المتصلة به كما تبدو على سطح كرة المخ الداخلى

فقدان ذاكرة العقل البشرى ومرض « كورساكوف »

وكل هذه الأنماط يتطلب اكتسابها وتدعيمها وجود نوع ثابت من الذاكرة حتى تتم على أكمل وجه . ويساعد على ذلك وجود الجزء الصغير المسمى بفرس البحر فى الفص الشمى الذى يقوم بتثبيت الذاكرة .

وينبغى هنا أيضا أن نتمعن فى اهمية حاسة الشم وإرتباطها بمشاعر اللذة والشهوة الجنسية والرغبة فى الطعام أى بغرائز عديدة . من أجل ذلك كانت مراكز الشم شديدة الاتصال بالمراكز الأخرى التى تتعلق بالذاكرة وبالرضا والسرور بوجه عام

ونعود الى مرض كورساكوف كى نصف أحد حالاته التى ذكرها طبيب الأمراض النفسية هسلم Haslam فى كتابه "أمراض نفسية" :

كانت أمراة فى الثانية والستين من عمرها مكثت فى إحدى مصحات الأمراض العقلية خمس عشرة سنة ، وقد دخلت المصحة بعد خمس سنوات من الأفراط فى تناول النبيذ وغيره من الخمور عندما انتابتها حالة هذيان حادة . وبعد أن افاقت منها ظلت تعانى من قصور واضح فى الذاكرة . وأصابتها حالة من جنون العظمة وإحساس أحمق بالرضا عن النفس والابتهاج . وتصورت نفسها مليونيرة ولكنها لم تكن تعرف أين هى ولا ما سبب وجودها فى ذلك المكان . وبالرغم من العناية الفائقة التى حظيت بها فقد فقدت القدرة على تعلم أى شىء جديد ولم تستطع ذاكرتها أن تعى شيئا بعد خمس دقائق من حدوثه . فلم تكن تعرف ماذا أكلت أو فعلت أو من زارها .

ولم تكن حالة تلف المخ عندها قابلة للعلاج ولكنها أيضا لم تسوء لأنها لم تكن تتعاطى المزيد من الخمر داخل المستشفى .

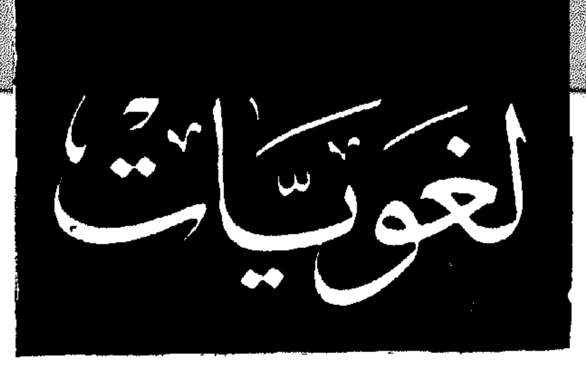
ويبقى الحديث عن جدوى العلاج فى مثل هذا المرض . فمن المعروف ان الخلايا العصبية التى تتلف فى المخ غير قابلة للتجديد لأنها خلايا عالية التخصص فى وظائفها وليس لها القدرة على التكاثر والانقسام . ومن هنا يكمن العلاج أساسا فى الوقاية من المرض أى تجنب الأسباب المؤدية اليه .

لتجنب حدوث مرض كورساكوف لابد من إجتناب الخمر . وقد قال الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه "إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون" صدق الله العظيم . فأجتناب الخمر أجتناب لأمراضها ومضاعفاتها .

وإذا أصيب الانسان بهذا المرض نتيجة لادمانه الشراب المسكر فلا مناص له من الاقلاع عن تناوله حتى لاتتفاقم حالته وتسوء .

أما بالنسبة للأدوية المقوية للذاكرة . - وهناك العديد منها - فليس لها تاثير كبير فى مثل هذه الحالات لأنها لاتحيى الخلايا التالفة .

إن الادمان داء خطير وهو مرتبط بتكرار تعاطى المادة المسببة للادمان . وهو طريق زلق شديد الانحدار . وكما أن الالف ميل فى سبيل الوصول الى هدف نبيل تبدأ بخطوة واحدة فإن الانزلاق فى طريق عكسى ينتهى بالادمان يبدأ بخطوات معدودة .



● يقال : فلان يتكلم دون خطا ، اى بلا خطا .. وكلمة « دون » اصلها أدنى مكان من الشىء ، ومنه تدوين الكتب ، اى إدناء بعضها من بعض .. ثم استعيرت هذه الكلمة للترتيب ، كقولهم : زيد دون عمرو ، اى اقل منه .. ثم اتسعوا فى استعمالها فى كل أمر يتجاوز حده ..

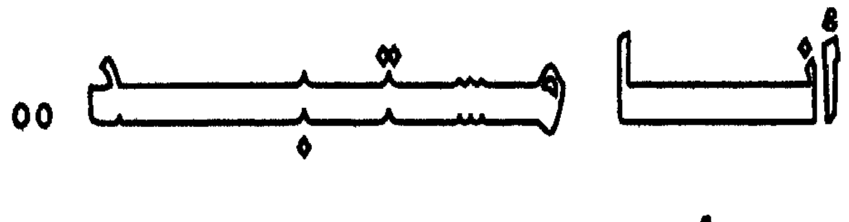
● يقال عن الشىء النكرة غير المفيد : شىء ما .. ولفظة « ما » هنا تزيد النكرة إبهاما .. وفى سورة البقرة : « إن الله لايستحى أن يضرب مثلا ما ، بعوضة فما فوقها » .. وتنطق « ما » بالفتح والتشديد ، وليس بالفتح فقط كما نراهم الآن يفعلون ! ..

● كلمة « يظن » يستعملونها فى الدلالة على الشىء غير اليقينى .. وتستعمل أيضا للدلالة ـ على الرجحان أو اليقين ، كقوله تعالى : « الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ، وأنهم إليه راجعون » .. اى الذين يوقنون بلقاء ربهم ..

● تقول العامة : فلان ممسوس ، أى مجنون .. وهذا تعبير فصيح ، لأن المس هو الجنون ، فيقول : فلان اصابه مس ، اى اصابه جنون .. وفى القرآن الكريم : « كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » .. اى من الجنون ..

● وفى القرآن : « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط » .. والسَّم ـ بفتح وتشديد السين ـ هو الثقب .. والخياط ـ بكسر الخاء وفتح الياء ـ الابرة .. فمعنى سم الخياط : ثقب الابرة ! .. والميم مشددة .

● يقول القائد عندما ينتصر فى الحرب : قطعنا دابر الأعداء .. اى استاصلناهم فلم يبق منهم احد .. لأن دابر القوم هو آخر واحد فيهم كان يقف من خلفهم ! ..



اذن أنا موجود

بقلم: محمود قاسم

غالبا ماتنحصر علاقة المبدعين واصحاب الرأى والفكر بالحاكم المستبد فى اطارين !

الأول : يرى أن التقرب الى الديكتاتور والتزلف له . والتسبيح بحمده هو انسب وسيلة للبقاء . واغلب هذا النوع يستمر وجوده ، لانه مع المستبد الجديد سيردد نفس الكلمات ويحصل على نفس المكاسب . ان لم يكن أكثر .

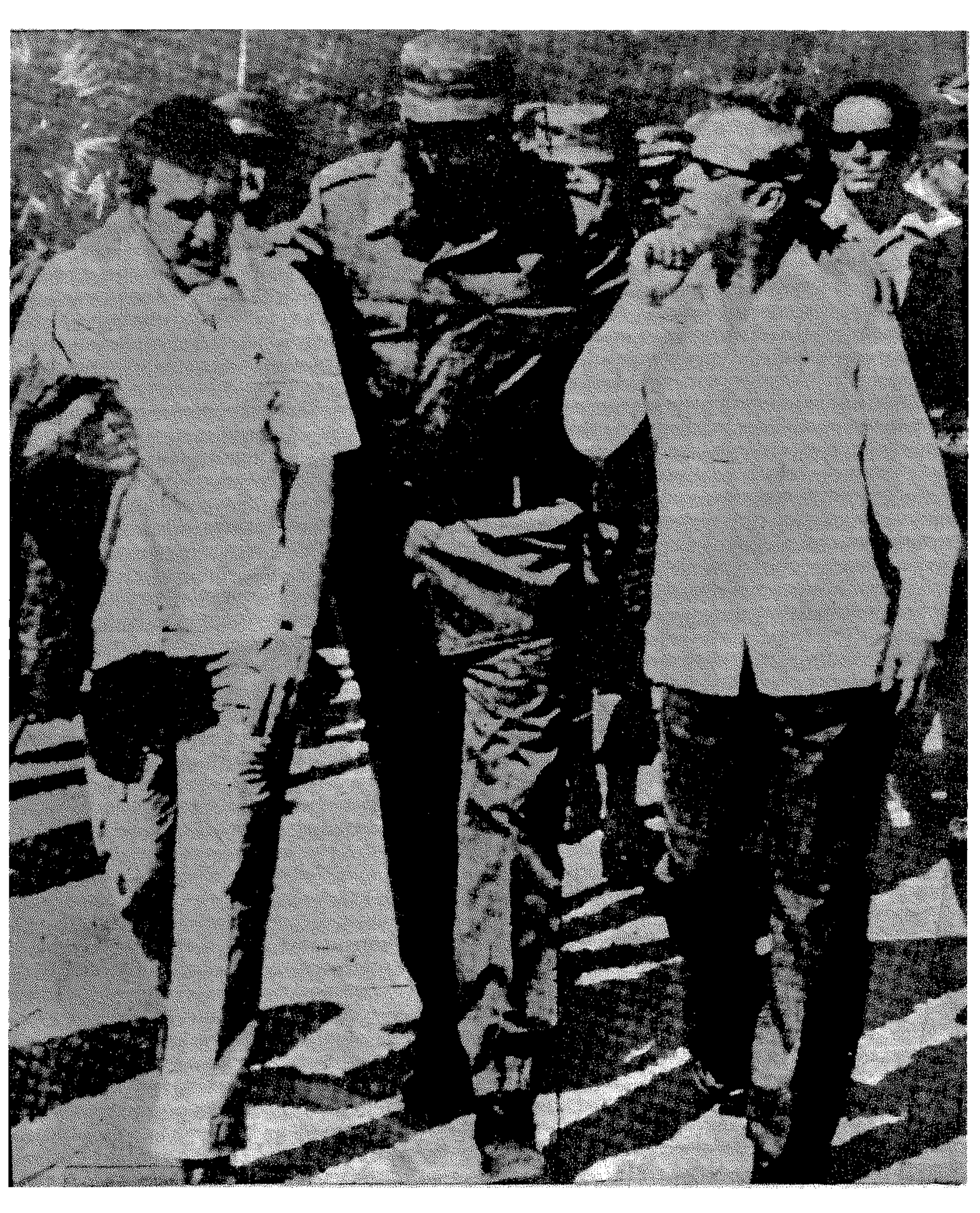
اما النوع الثانى : فهو الذى يقف فى مواجهة ظلم الديكتاتور . وهو على وعى تام بما يمكن أن يصيبه من تعذيب وتشريد ونفى ، وربما قتل .

والغريب انه فى علاقة المبدعين بالديكتاتور ، ان الكتابات المكتوبة من أجله أو ضده قد تبقى عمرا أطول بكثير من عمر الحاكم المستبد .. فكم تخلصت البشرية من حكامها الظالمين .. لكنها لايمكن أن تتخلص بسهولة من قصائد كتبها فحول الشعراء ، مثلا ، لانصاف الحكام المستبدين . وكأن هذا الابداع شاهد على مرحلة من عمر البشر ..

لذا ، فان علاقة الديكتاتور بالكاتب بالغة الحساسية .. فهذا الأخير قريب من وجدان الناس ، ويمكنه ان يحرك مشاعرهم وأفكارهم الى الناحية التى يريدها ..

وعلى مدى عمر البشرية ، ظلت العلاقة بين الديكتاتور والكاتب متوترة . أشبه بفردتى مقص أو الخطوط المتوازية .. فهناك طرفان يمكنهما أن يلتقيا . الآ أن هناك طرفين لايمكن قط أن يتقابلا .. وكل مابينهما هو التنافر . يود كل منهما التخلص من الآخر حتى تصفو أوجه الحياة من بعده ..

وأغلب الحكام المستبدين يرون ان السلطة التى يتمتعون بها هى حق سماوى . وان الرعايا ليسوا سوى نوع من العبيد . اما الكتاب المناهضون للحاكم فيرونه قد استلب حقا . وأنه اساء استخدام سلطاته ، لذا من الواجب



ماركيز صداقة مع كاسترو . هل هو "خريف البطريرك" ؟



جان بول سارتر . الطفاة يتكررون

التخلص منه . أو تعديل مساره ناحية الحق والديمقراطية .

ولأن الكاتب ، فى أغلب الاحيان ، بمثابة ثورى سلبى .. لايحمل السلاح ، ولايقاتل ، فانه يرى ان مايكتبه هو عنوان ثورته . وانه قد يكون خيرا من ألف سلاح . باعتبار أن الكتابة مؤثرة فى وجدان الناس ربما أكثر من البنادق والأسلحة ..

وقد عرفت علاقة الاديب المناهض بالديكتاتور المستبد مستويات عديدة على مدى التاريخ يمكن أن نوجزها فى النقاط الآتية ..

● ارتبط ظهور الكتابة عن الديكتاتور بغياب الديمقراطية . فالحاكم المستبد يمنع نشر كل مايتعارض مع رايه أو يناقضه . ولأنه يتعامل على اساس أن رايه هو السائد . فان الاراء المعارضة غالبا ماتصيبه بحساسية خاصة . تجعله يطالب بمصادرتها . ويمنعها من الظهور وقد يطالب باعتقال الكاتب أو نفيه ..

ولأن الممنوع مرغوب ، خاصة لدى الكاتب ، فان الادباء الملتزمين ، واصحاب الاراء الحرة يبدعون اكثر فى ظل الديكتاتورية . قد يستطيع المبدع نشر ابداعه بشكل أو بآخر . اذا كان لايزال يعيش فى وطنه . وقد يلجأ الى الهروب الى بلاد أخرى أكثر حرية ، او تتمتع بمعارضة للنظام السائد فى البلاد .. وفى اغلب الاحوال فان الابداع المناهض للديكتاتور يصبح أشبه بالمنشورات السرية .

وهذا النوع من الادب يسود الآن فى امريكا اللاتينية التى شهدت الكثير من النظم الديكتاتورية والانقلابات السياسية المتعددة .. ومن المعروف أن كتاب القارة اللاتينية قد تفوقوا فى الكتابة ضد الحاكم المستبد . وكان ماركيز ، واوستورياس . وايزابيل الليندى . وفارجاس يوسا من اكثر من تعرضوا للحاكم المستبد وناهضوه . لكن بعضهم كان صديقا لحكام مستبدين آخرين فى أوطان غير أوطانهم مثل العلاقة التى تربط بين ماركيز وكاسترو . وراح البعض الآخر يسعى بنفسه الى منصب الحاكم مثلما فعل يوسا فى بيرو .



البيركامى

● تاريخ حياة طاغية

أما الكتاب الذين تعرضوا للكتابة عن الديكتاتور فى ظل النظام الديمقراطى . فقد كتبوا أعمالهم فى ظروف معينة . مثلما فعل البير كامى وهو يكتب عن « كاليجولا » ومثلما فعل سارتر وهو يكتب عن « تاريخ حياة طاغية » أما هيرفيه بازان الفرنسى فقد آثر أن يكتب عن الديكتاتورية فى امريكا اللاتينية فى روايته « نيران تخمد نيرانا أخرى » المنشورة عام ١٩٧٨ .

وهذه النماذج الثلاثة لاتعبر عن المجتمع الذى يعيش فيه الكاتب . فقد لجأ كامى الى التاريخ ليتحدث عن « كاليجولا » المستبد الشاب الذى يمكن ان يتكرر فى أى مجتمع بشرى يسود فيه الرأى الواحد ، والحاكم المستبد . أما جان بول سارتر فقد كتب سيناريو فيلم « تاريخ حياة طاغية » حول ثورة وهمية . يقوم بها ثوار ضد حاكم طاغية . فيسقطونه من فوق عرشه . ويتولى أحد الثوار الحكم .. ويتحول بحكم سلطته ، وحسب قانون مقعد الحكم إلى ديكتاتور يستلزم التمرد عليه واسقاطه .. ويكشف سارتر أن الديكتاتورية دورة تكرر نفسها . وانها لاتتعلق فقط بالحاكم المستبد . بقدر ماهى تتعلق بالقوانين التى تحكم الديكتاتور وتغيره من الثائر الى المستبد ، حتى وإن لم يشأ هذا ..

أما هيرفيه بازان فقد راح يتحدث عن قصة حب رقيقة فى ظل نظام ديكتاتورى بمدينة سنتياجو الشيلية فى روايته « نيران تخمد نيرانا اخرى » وكشف فيها ان السلطة المستبدة يمكنها ان تقتل كل ماهو رقيق ورومانسى على وجه الارض ..

● الديكتاتور . مغلوب على امره !!

فى الادب لم يكن الديكتاتور هو الحاكم الفرد .. بل هو أيضا نظام سياسى واجتماعى باشمله .. وقد صور العديد من الكتاب معارضتهم للنظم الشمولية فى بلادهم . مثلما فعل بوريس باسترناك ، وآنا اخماتوفا داخل الاتحاد السوفييتى . ومثلما فعل العديد من الكتاب الذين ينتمون الى المعسكر الشرقى والذين تمكنوا من الهجرة خارج بلادهم واصطلح على تسميتهم فى فترة من الزمن بالأدباء المنشقين . مثل سولينتسين ، وزينوفيف . وميلان كونديرا وآخرين .

ولم يقف مثل هؤلاء الكتاب ضد حاكم بعينه ، وانما وقفوا ضد النظام الشمولى باعتباره ديكتاتورا يوجه الادباء حسب رغبته . ويضطهد من يعارضه . ويرسل بعضهم الى معسكرات العمل فى سيبيريا ..

وقد ظهرت فى جنوب افريقيا نفس الظاهرة . من خلال أدباء زنوج وبيض


سولينتسين

يعارضون النظام العنصرى .. الديكتاتور هنا هو النظام الاجتماعى والسياسى الذى يفرض سياسة العزل العنصرى المعروف تحت اسم « الابارتهايد » وغالبا فان الحاكم السياسى يستمد استبداده من القوانين الاجتماعية والسياسية المدونة فى كتب القوانين . وعليه أن يكون ديكتاتورا شاء أم أبى .. وأغلب الروايات التى تناهض هذا النوع من النظم ، لايهمها مهاجمة الحاكم المستبد ولكن القوانين الاجتماعية مثلما فعل أندريه برينك ، ونادين جورديمر ، وبرتو برتينى . وغيرهم . وقد سبق لمجلة الهلال ان قدمت العديد من نماذج هؤلاء الأدباء فى مقالات عديدة .

● التلميح .. والتصريح

لمع الكثير من الادباء من خلال مايكتبونه عن استبدادية أحد الحكام الذين على قيد الحياة فى بلادهم . وكلما ازدادت حدة اضطهاد الكاتب ، كلما اتسعت دائرة قرأته والاقبال على ابداعه فالكاتب هو الذى ينفث عن مشاعر الناس المقهورين وهو وحده الذى يعبر جهرة عما يريدون البوح به والحديث عنه علانية .

وهناك علاقة طردية بين وجود هذا الكاتب فى أذهان القراء ، وبين وجود الحاكم المستبد . فطالما وجد الديكتاتور فان استبداده يزيد . ويجد المبدع مادة خصبة للكتابة والهجوم ، حتى اذا انتهى عصر الديكتاتور ، اما بالثورة أو الموت ، فان الكاتب قد يجد جعبته خاوية . فلا يمكنه أن يبدع بنفس الكيفية .. وقد تكون نهاية الديكتاتور بمثابة نهاية عاجلة للكاتب . وهناك امثلة عديدة لهذا النوع من العلاقات ..

● هناك عدة مستويات للاشارة الى الحاكم المستبد فى الاعمال الابداعية . فقد يستخدم الكاتب الرمز الغامض ، أو الواضح ، حسب درجة سيطرة الديكتاتور على نشر الابداع فى البلاد . وغالبا مايحدث هذا فى حياة الديكتاتور . وهناك حالات اخرى يذكر فيها الكاتب اسم الديكتاتور مباشرة ، ويحدث هذا عندما يكون الحاكم المستبد بعيدا عن الكاتب ، إما زمانيا ، أو مكانيا . مثلما فعل البير كامى وهو يكتب عن « كاليجولا » وفويشتانجر الالمانى فى روايته « نيرون المزيف » .

أما أشهر النماذج التى لم تشر الى شخص الديكتاتور مباشرة فهناك رواية « خريف البطريرك » لماركيز .. و « ملاذ النظام » للكاتب الكوبى اليخو كاربنتير . و « السيد الرئيس » لميجيل اوستورياس .. وهم كما نرى من ادباء امريكا اللاتينية . هى روايات عن الديكتاتور دون ان نسميه بالاسم المعروف به فى التاريخ . ولذا فهى تصلح لتكون موجهة ضد كل طاغية .

● شارك الادباء العرب بالكتابة عن

الديكتاتور بدرجات مختلفة . من التلميح الى التصريح . وقد استخدموا الشعر والمسرح ثم الرواية . وقد استخدم البعض الميثولوجيا العربية وخاصة شخصية شهريار للاشارة الى الحاكم الديكتاتور ، مثلما فعل عزيز اباظة . وأحمد سويلم . اما على سالم فقد كتب عن صناعة الديكتاتور فى مسرحيته « بكالوريوس فى حكم الشعوب » .. والطاهر وطار فى « الحوات والقصر » وامين معلوف فى « سمرقند » ، وزهير الشايب فى « السماء تمطر ماء جافا » وسلمى الحفار سوريا فى « البرتقال المر » والكاتب العراقى جفون ايوب فى « الذكتور ابراهيم » ثم عبدالرحمن منيف فى « مدن الملح » والسورى هانى الراهب فى « شرخ فى ليل طويل » .

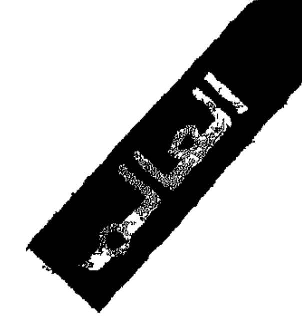
● موسوعة فى الديكتاتورية

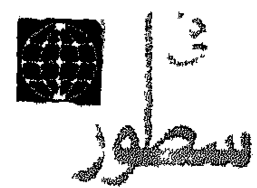
من الصعب حصر اغلب النماذج الادبية التى كتبت عن الديكتاتور ، ويهمنا هنا ان نذكر نموذجا هاما وهو رواية « خريف البطريرك » لماركيز . وحول هذه الرواية قدم حسين عيد دراسة نشرها فى كتاب يحمل عنوان « جارسيا ماركيز وافول الديكتاتورية » مؤكدا أن رواية « خريف البطريرك » تقدم لنا الوجه القبيح للسلطة . اذا أسيء استغلالها من الحاكم . فى ظل ظروف تاريخية معينة سمحت بهذا الاستغلال . كما يبين تأثير هذا القهر على الشعب فى بلد ينوء بمشاكل التخلف ..

وقد اختار الكاتب فى هذه الرواية ان يحكى تاريخ حياة طاغية . من المهد الى اللحد . مصورا قيام قوات الاحتلال البريطانى فى بلاده بدفعه للوصول الى أعلى المناصب السياسية عقب صراعات طويلة وحروب أهلية لاتنتهى . ويقول حسين عيد فى دراسته المشار اليها ان رواية « خريف البطريرك » تعتبر بمثابة موسوعة عن عالم الديكتاتورية القومى بكل بشاعاته ومتناقضاته . والكاتب يعرى كل سوءات الطاغية ببساطة رهيبة . كاشفا ما يختفى خلف غلاف الطاغية الانسانى من نزعات سلطوية مدمرة للآخرين باستمرار . ويكفى أن ندلل بمثال واحد فى شخصية الديكتاتور . وهو نظرته الى أعدائه . وهم كل من يخالفونه الراى أو يشكلون خطرا ما على سلطته . مثلما حدث فى اعقاب موته الأول (موت شبيهه باتريسيو) حين نفذ الحرس الرئاسى المهرجان الدموى باغتيال كل الموجودين فى قاعة الاجتماعات .

● الوجوه فقط .. تتغير

ستبقى العلاقة بين الحاكم المستبد وبين الكاتب بهذه الأشكال المشار اليها طالما ظهر الديكتاتور فى أية بقعة من بقاع الارض .. وطالما كان هناك كتاب يناهضون هذا الحاكم . ورغم اتساع رقعة الديمقراطية فى العالم . فان نصف البشر محكومون من سلطات ديكتاتورية فى بلاد وقارات عديدة .. ورغم ان الديكتاتور نفسه كائن زائل . فان الديكتاتورية كيان خالد . موجود منذ بداية البشرية . والكاتب المعارض لهذا المستبد يمكنه الوقوف بكل حزم امام ديكتاتوره المفضل .





سنتياجو

رواية من حوارى امريكا اللاتينية

حين صدرت روايتها الاولى « منزل الارواح » فى عام ١٩٨٢ احتفلت بها الاوسـاط الادبيـة والسياسية بشكل لافت للنظر . فهى اول كاتبة تصف من خلال تجربة ابداعية ماحدث فى مدينة سنتياجو بشيللى عشية استيلاء الديكتاتور السابق بينوشيه على الحكم ..

اسمـهـا ايـزابيـل الليندى . وهى ابنة اخ رئيس شيللى سلفـادور الليندى الذى قام ضده بينوشيه بانقلاب دموى فى عام ١٩٧٣ . وقد شهدت ايـزابيـل وقـائـع هـذا الانقـلاب . وكتبت عنه بصدق كبير ورغم الاحتفاء



ايزابيل الليندى

الذى لاقته الكاتبة وروايتها آنذاك ، فإن البعض ردد ان « منـزل الارواح » ستكون بمثابة بيضة الديك لايزابيل الليندى ..

ولكن فى خلال ثمانى سنوات ، أصبحت ايزابيل كاتبة مشهـورة ، ومحط اعجاب النقاد فى كل انحاء العالم . فرواياتها تترجم فورا الى لغات عديدة . ومن هذه الاعمال « الحب والظل » و « زمن توماس فرجاس » و « ايفالونا » التى صـدرت ترجمتهـا باللغة الايطالية فى الشهر الماضى ..

وتدور أحداث روايتها الأخيرة من خلال اعترافات ذاتية تخيلت الكاتبة ان امراة تدعى « ايفالونا » أو « حواء القمر » تدلى بها للكاتبة ـ وهذه المراة أقرب فى سيرتها وصفاتها الى الـرئيسـة الارجنتينيـة السابقة أيفا براون .. كيف كانت فتاة فقيرة . ثم أصبحت فنانة عشقها أحد رجال السياسة .. ثم كيف تحولت الى امراة لرئيس جمهورية .. وكيف حكمت بلدا باكمله فيما بعد ..

وتقول مجلة « اوربيو » الايطالية فى عرضها لهذه الرواية ان الكاتبة قد استخدمت تعبيرات شعبية عديدة لاتتردد سوى فى حـوارى مدن امـريكـا الـلاتينيـة . ولـذا فمن الصعب ترجمة أو فهم هذه الروايات عند ترجمتها إلى لغـات أخـرى وهـذه التعبيرات تعكس الكيفية التى يعيش بها الناس فى حيـاتهم اليوميـة . وقد سمعت الكـاتبـة هـذه التعبيرات فى بلادها منذ اربعين سنة . ولكنها لم تنسهـا وهى واثقة أن الناس لايزالون يتبادلون مثل هذه العبارات حتى الآن .

ولدت ايزابيل الليندى فى مدينة ليما ، عاصمة بيرو ، فى عام ١٩٤٢ . ثم انتقلت الى مدينة سنتياجو شيللى . واشتركت فى النضال مع عمها سلفادور الليندى . وبعد مصرعه فى الانقلاب الذى دبره بينـوشيـه هـربت الى فـرنسا . وعـاشت بهـا

ونشرت اولى رواياتها هناك فى عام ١٩٨٢ . وهى تكتب مباشرة بالاسبانية . وقد تصدرت كل اعمالها قائمة المبيعات فى كل اللغات التى ترجمت اليها . ورغم ان الكاتبة عبرت عن استيلاء بينوشيه على الحكم . فانها لم تفكر حتى الان ان تقدم عملا عن سقوطه قبل عامين .

نيويورك

مائة عام على ميلاد هنرى ميللر ..

يحتفل الأمريكيون هذه الايام ، بالذكرى المئوية لميلاد الروائى الامريكى هنرى ميللر . الذى عرف كواحد من اجرأ الكتاب فى القرن العشرين . ليس فقط فيما خطته يده من روايات . بل لحياته الحسية وعشقه للنساء حتى اللحظة الاخيرة من حياته وهو فى التاسعة والثمانين من عمره ..

صادق ميللر اجمل النساء فى صباه وشبابه وشيخوخته . وكانت الاديبة الامريكية اناييس



هنرى ميللر ..
الحياة امرأة حسناء

نين ، واحدة من اجرأ الكاتبات المعاصرات ، هى الاقرب اليه كرفيقة ابداع . وترجمت اعماله الى لغات عديدة وتحولت الى افلام سينمائية .

تزوج ميللر خمس مرات . وعاشر مئات الحسناوات . وكثيرا ماشوهد فى صحبة الفتيات الصغيرات . وكم كان يردد : « اعطنى قليلا من الامل . واعطنى قليلا من بركة السماء . لكن هبنى الكثير من الحب » .

وقد كتب عنه جورج بلمونت ، اشهر من ترجم رواياته الى اللغة الفرنسية عقب وفاته معلقا بهذه العبارة : « الآن حصل هنرى على امنياته الثلاث . الآن لايوجد حكم بشرى . ولاهمسات النساء . ولا الام المرض . ولامتاعب الشيخوخة . انه ينام الآن فى معسكر الموت » .

جعل هنرى ميللر من النساء موضوعه الاول فى كل ابداعه بدءا من « مدار الجدى » وحتى أخر اعماله .. ولم يكتف بالكتابة عن الجنس بل قام باعداد مجموعة من الدراسات العلمية حول الجنس . وتحدث باستفاضة فى الكثير من كتبه التى تناولت سيرته الذاتية عن النساء اللاتى عشقهن .

كتب عنه الدكتور لويس عوض أن « هنرى ميللر هو الذى حرر اللغة الانجليزية من تقاليد الاحترام فى التعبير فليس فى لغته الفاظ محرمة والفاظ محللة . ولعله النموذج الاول فى القرن العشرين الذى طمس الفوارق بين لغة الادب ولغة الحياة كتابة وكلاما دون أن يجعل دماءه السوقية تغضض من تعبيره » .

ولد هنرى ميللر فى أحد الاحياء الشعبية ببروكلين لابوين فقيرين فى عام ١٨٩١ . فنشأ الصبى فى



ظروف صعبة . وعمل موظفا فى مكتب تلغراف . وفى عام ١٩٢٤ تفرغ للادب . ونشر مجموعة من الروايات منها « الربيع الاسود » ١٩٣٦ . و « مدار السرطان » ١٩٣٨ . ثم « مدار الجدى » ١٩٣٩ وقد ظلت هذه الروايات ممنوعة فى الولايات المتحدة لاكثر من ربع قرن الى ان سمح بنشرها فى عام ١٩٦١ ..

ومنذ ذلك الوقت ذاع صيت هنرى ميللر : واعترف مؤتمر الكتاب الذى عقد فى عام ١٩٦٢ بمكانته . وقد اعلن مرارا انه لايملك فلسفة ، لا فى الجنس او غيره . وان كل هدفه فى الحياة هو ان يعود البشر الى حيواتهم البسيطة . فهو يود أن يمزق قناع الزيف الذى يغلف كل وجوه حيواتنا فيبعدنا عن الصدق والاصالة .

طوكيو

مساكين .. ابناء القرن العشرين

فقدت اليابان فى الاسابيع الأخيرة واحدا من المع كتابها المعاصرين . وهو الاديب ياسوشي اينوه ، الذى كتبت الهلال مقالا مفصلا عنه في مارس ١٩٨٧ ، عن عمر يناهز الثالثة والثمانين .. والمرشح الدائم لنيل جائزة نوبل عن الادب المكتوب باليابانية .

كان اينوه واحدا من الذين عشقوا تاريخ بلادهم عشقا لاحدود له . وقد حاول أن يعطى للتاريخ بعدا عميقا فى رواياته العديدة التى كتبها من خلال ماينطق به ابطال هذه الروايات من البسطاء . هم شخصيات تؤمن بما تقول . ويبحثون عن الحقائق الازلية التى تاه البشر فى الوصول اليها ..

بدأ اينوه حياته الادبية وهو فى الثانية والاربعين من عمره ، حين نشر روايته الاولى « بندقية الصيد » وقد حصلت الرواية على جائزة اكتوجادا الادبية فى عام ١٩٥٠ . وفيها يؤكد ان ابناء القرن العشرين يعيشون فى عزلة قاتلة . وان مثل هذه العزلة لم تكن موجودة فى ابناء العصور القديمة فقد كان على ابناء العصر الحديث ان يدفعوا الكثير من وجدانهم وانفسهم فى صورة عزلة وامراض نفسية ..


ياسوش اينوه

ويردد الكاتب أن هناك فجوة كبيرة بين العصر الذى نعيشه . وتلك العصور التى عاشتها الشخصيات التاريخية . لذا لم اعد استمد من العالم الذى يحوطنى أية مادة ادبية ، سوى ما يتعلق بوقائع شهدتها الحروب » .

من المعروف ان اينوه بدأ حياته كرياضى

مشهور . ونال الحزام الاسود فى لعبة الجودو .. من أهم اعماله : « حكاية أمى » و « البحر الجليدى » و « كوشى » ثم رواية « الذئب الازرق » التى رشحت فى شهر نوفمبر الماضى لنيل جائزة فيمينا الفرنسية ، ونافست كرواية مترجمة رواية « اصوات » للكاتب المصرى سليمان فياض . ولكن كلا من الكاتبين اليابانى والمصرى لم يحظيا بشرف نيل الجائزة ..

عندما احتفل اينوه بعيد ميلاده الثمانين راح يردد : « مشكلتى الاساسية ـ وانا فى هذه السن هو أن ارقب الزمن الذى بقى لى كى احياه » . ورغم هذا لم يكتف بمراقبة الحياة بل راح يكتب عنها . وازداد اقتناعا ان الانسان قد يتحول فى حياته الى روح حية لاتفنى أبدا ، مثلما حدث للحكيم الصينى كونفوشيوس الذى كتب عن شبابه روايته « كوشى » ويقول : « يكذب الانسان عادة فى لحظة الموت . لانه لايستطيع ابدا ان يصف مايحس به وصفا دقيقا . أكثر الناس يبالغون فيا يتعلق بالموت . لانه يجعلهم اكثر زهوا وحساسية مما تتطلبه الموضوعية بسبب مايجتاحهم من يأس . لذا فلا يوجد من يستطيع التعبير عن حقيقة مشاعره . او مايحس به فى لحظته الاخيرة . لحظة النهاية » .

ترى هل انتابت نفس الافكار الكاتب فى لحظته الاخيرة ؟ وهل كان كذابا كما قال .. ام ان للحظة الموت جلالتها الخاصة التى تعجز كل الالسنة عن وصفها .. ؟

باريس

حين تكون الغربة .. شعورا مزدوجا

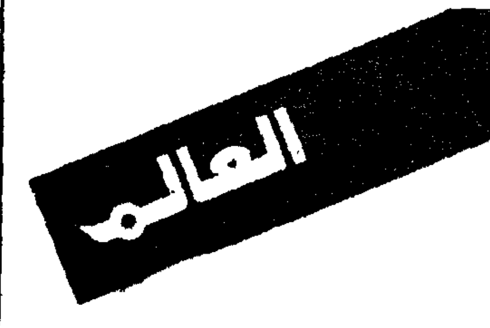
« غض البصر » عنوان الكتاب الذى صدر هذا الشهر للكاتب المغربى الطاهر بن جلون ، الذى فاز بجائزة جونكور للادب عام ١٩٨٧ عن روايته « ليلة القدر » ـ وتدور أحداثها بين مدينة طنجة المراكشية وهى « نقطة الذهب » الذى يقيم فيها العرب المهاجرون بباريس .



الطاهر بن جلون

وبطلة القصة زازى من طائفة البربر . ترحل الى باريس . ثم تعود مرة اخرى الى المغرب . ولكنها تحس انها امرأة غريبة فى بلدها . « من السهل ان يرحل المرء الى فرنسا . ثم يعود مرة أخرى الى قريته بعد عشرين عاما . ويقف امام البيوت والابواب كى تلتقط له الصور ، كأنه مجرد سائح » .

وترى مجلة لوبوان فى ١٤ يناير ١٩٩١ ان حالة زازى البربرية أشبه بحالة الكاتب طاهر بن جلون نفسه . فهناك خيطان داخل الكاتب . واحد منهما ينتمى الى الملك حسن



الثانى . والآخر الى الرئيس فرانسوا ميتران . وأن الكاتب يحاول ان ينتمى الى [illegible] معا مثلما فعلت زازى . فالمرأة فى باريس تحن للعودة الى قريتها . ولكنها ما إن تنزل بها حتى تحن مرة أخرى الى العودة إلى باريس .

وتقول المجلة - ان المهاجرين العرب يرون فى « زازى البربرية » وايضا فى الطاهر بن جلون نموذجا للنجاح الانسانى ضد الصعوبات التى تواجههم . فاغلب الذين هاجروا قد نجحوا ، أو سعوا اليه .. ولم يكن لزازى ان تحس بأنها غريبة فى وطنها الذى عادت اليه بعد عشرين عاما ، إلا بعد ان حققت نجاحا فى بلاد الغربة .. أو فلنقل بلاد الهجرة .

فطاهر بن جلون الذى ولد فى طنجة قبل ستة واربعين عاما سعى الى تعلم الفرنسية فى المدرسة ، بينما اهتمت امه أن يتكلم اللغة العربية فى البيت . ثم راح يكتب مجموعة من الروايات عن امه . لكن امه لم تقرأ رواية واحدة من هذه الروايات الكثيرة .. باختصار لانها لاتجيد القراءة ..

ميلانو

حين أصبحت ميلانو صحراء التتار

فى الفترة الاخيرة عاد اسم الكاتب الايطالى المعروف دينو بوتزاتى للظهور مرة أخرى الى الاضواء . ليس بالطبع لان ذكرى رحيله العشرين تقترب . ولكن لان بعض الباحثين قد عثر على مجموعة من الاوراق التى كتبها دينو بوتزانى عن مدينته التى ولد وعاش بها طويلا .. ميلانو ..

فميلانو هى المدينة التى استلهم منها الكاتب اغلب اعماله .. ورغم ان الاماكن فى الكثير من ابداعات بوتزانى الروائية والقصصية كانت مجردة تقريبا . فإن الكاتب قد عبر فى هذه الاوراق عن حبه العميق للمدينة ودروبها . وبدت ميلانو فى هذه الاوراق أشبه بحسناء جميلة . بلا رتوش . تلهم الكاتب فيقدم أجمل مالديه ..



دينو بوتزاتى

وتحت عنوان « عيد الميلاد القريب للسيد سكروج » نشرت مجموعة من قصص ديو بوتزاتى بالاضافة الى اوراقه عن مدينة ميلانو . وقد كتب بوتزاتى هذه الاوراق والقصص فى فترات متباعدة من حياته ..

من المعروف ان ديو بوتزاتى قد ولد فى عام ١٩٠٦ بأحد الأحياء الفقيرة فى ميلانو . وعمل فى اول حياته فى صحيفة « كوربيير ديلاسيرا » المسائية . وقد اعترف فى احدى اقاصيصه المعنونة « رسالة الى رئيس التحرير » انه لم يبدع فى حياته كلمة واحدة . وان

كل ابداعاته التى نشرها كانت بقلم رجل مغمور موهوب . وأنه نسب الى نفسه كتابة هذه القصص . ورغم اعتراف بوتزاتى بهذه الواقعة تحت اسمه الحقيقى . فان القراء والنقاد لم يأخذوا الامر على مجمل الحقيقة ..

حقق بوتزاتى شهرته العريضة بعد نشر روايته « صحراء التتار » عام ١٩٤٠ . وفيها اكد الكثيرون انها عمل كفكاوى من الدرجة الاولى . وتدور حول ضابط شاب يذهب الى قلعة فى حالة انتظار دائم لوصول جيوش الاعداء .. وتصيبه الشيخوخة ثم يموت دون أن يصل العدو .. وقد تحولت هذه الرواية الى فيلم اخرجه زورلينى عام ١٩٧٥ .

اما اول كتاب نشره بوتزاتى فكان فى عام ١٩٣٣ ، اى وهو فى السادسة والعشرين من العمر ، تحت عنوان « رجل الجبل » ثم تتابعت اعماله مثل « سر بوسكو العجوز » ١٩٣٧ . و « الرسائل السبع » ١٩٤٢ . و « السيد كاف » و « ستون حكاية » . وهى كلها مجموعات قصصية قصيرة . اما روايته الثانية « حب » المنشورة عام ١٩٦٣ . فلم تحقق نفس الصدى الذى حققته بقية اعماله ..

لم تترجم الى اللغة العربية سوى مجموعة قصصية واحدة لدينو بوتزاتى . كما ترجمت رواية « صحراء التتار » مختصرة . رغم انه واحد من أهم المبدعين فى القرن العشرين .

واشنطن

ضياء جونز ينبعث من الظلام

الفنان الامريكى المعاصر جاسبر جونز هو واحد من اولئك الفنانين الذين ساهموا فى تغيير تاريخ الفن سواء كمؤسس لفن استنساخ الايقونات [الرسوم المقدسة] او باعتباره احد الفنانين التشكيليين الذين تتخطى اسعار لوحاتهم حاجز المليون دولار .

لذلك فهو يتميز كثيرا عن غيره من فنانى ذلك العصر .. ولكن الى اى مدى هو - حقا - فنان مبدع ؟

يمكننا ان نعرف الاجابة من خلال اعماله الفنية التى واجهت اخيرا تحديا كبيرا لايواجهه الا فنان حقيقى .. فقد عرضت هذه الاعمال فى معرض واحد - جنبا الى جنب - مع اعمال فنانين عظماء مثل فان جوخ ، رمبرانت ، وسيزان . ونجح جونز فى مواجهة التحدى .

كانت القاعات الاولى من معرضه رائعة للغاية تبدو فيها تلك اللوحات الداكنة الحزينة للفن الحديث ساطعة براقة تشع دفئا حتى بدا لعشاق ذلك الفن ان اللوحات مفعمة بالضوء .

ان أعمال جونز الأولى امريكية الطابع ليست فقط فى موضوعاتها واهدافها الغامضة او فى الاعلام والخرائط الأمريكية التى لاتخلو منها اللوحات ، ولكن ايضا فيما يغلفها من حزن عميق ... ان لوحته "هدف ذو اربعة اوجه" التى رسمها عام ١٩٥٥ تبدو كما لو كانت ممرا مفضيا الى الظلام ..

رسالة روما

من : فريد كامل

العنف والجريمة

التجربة اجراها الاستاذ ستانلى ميلجرام ، ليعرض على طلبة السنة النهائية بجامعة هارفارد تاثير التعذيب على الانسان ، هكذا : أوصل قطبى جهاز يدوى لتوليد الكهرباء "تليفون ميدان" بجسد شخص ، وطلب من كل من طلبته ، على حده ، أن يدير مقبض الجهاز ليرسل فى الضحية صدمة كهربائية خفيفة ، لا تتجاوز ٤٥ فولتا ، محذرا من أن تجاوز هذا الحد كفيل بأن يسبب للضحية الاما مفرطة ، وقد يترك اثارا جثمانية .. فلم يلتزم ولا واحد من طلبته بهذا الحد ، بل تعدى بعضهم الخمسمائة فولت ، بينما الضحية يصرخ ويتقلص ويتشنج .. (وكان هذا ممثلا محترفا يقوم بتمثيل دور الشخص المعذب ، ولم تكن الأسلاك التى تحمل التيار من المولد الكهربائى متصلة بالقطبين المثبتين الى جسده ..)[١]

.. هؤلاء ، اذن ، هم طلبة احدى أكبر جامعات العالم واهمها ، التى تزهو بتدقيقها فى اختيار طلبتها وفق شروط متعنتة ، وعلى انتمائهم الى النخبة الاجتماعية الثقافية الاقتصادية للولايات المتحدة "أكثر دول العالم تقدما وتحضرا" طلبة السنة النهائية ، وهم على عتبة الدخول فى الحياة العملية ، يتلذذون بتعذيب انسان مثلهم ، لا يعرفونه ، وليس لديهم أى داع لمعاداته أو كراهيته ، ويصلون فى تعذيبهم له الى حد تعريضه للخطر !! .. فما بالك بما يمكن ان يفعله "الأشخاص المعتادون" من غير "النخبة" أو غير المتعلمين من اخواننا الذين نسميهم ، امتهانا لهم "الحثالة .. أو الرعاع" ؟؟! وما يمكن ان يعمله محترفو الاجرام والمجاذيب ، من سكان "ليمان طره" ، و"السراية الصفراء" ؟!! ..

والواقع أن التاريخ الانسانى ، فى كل مراحله وفى مختلف انحاء العالم ، غنى بالقسوة والعنف الدموى ، الجماعى منه (فى الحروب أو عند ابادة قوميات أو ازالة معارضين ... ويفوق عدد ضحايا القتل الجماعى والابادة فى العالم ، من "هولاكو" الى "هتلر" وما قبلهما وبعدهما من عصور ، الاف الملايين !!) . أو الفردى




هتلر

(لما ارتكبه فرد من جرائم ، او لمجرد شذوذه عن المجموع أو عن الولاء للسلطة) .. بل ان هذا القتل كان عادة استعراضا للترفيه ، كالسيرك مثلا ، فيعطى الناس أجازة عن العمل لمثل هذه المناسبات ، ويدور باعة الطعام والشراب والحلوى والقرداتى والساحر وقارئة الطالع .. الخ .. لتسلية المتفرجين حول منصة التربيع او الخوزقة أو الشنق او الخنق أو قطع الرأس[٢] (ويقول علماء اللغات ان اصل كلمة "جالا" الانجليزية - ومعناها احتفال أو مهرجان - هو "جالوز" .. اى شنق ..) .. لذا يمكننا أن نقول ، فلا نكون مخطئين ، أن تاريخ الانسان هو فى الواقع مسلسل للقتل والعنف المتواصل .. وانه اذا كان القتال بين وحشين من سلالة واحدة ينتهى اذا استلقى أحدهما مستسلما ، على ظهره كاشفا بطنه (وموطن ضعفه) للاخر ، فان الانسان لا يكفيه استسلام منافسه .. واذا كان الكلب "لا يعض اذن أخيه" كما يؤكد المثل ، فان الانسان ، على عكسه ، مستعد دائما (بل انه حريص أحيانا على) ان يذبح اخاه .. وان ياكله ..

★ ★ ★

.. ونرجع الى ما يقوله العلماء عن العنف والجريمة ..

نعرف ، منذ القرن الماضى ، أن مخ الانسان ينقسم الى نصفين : الفص الأيمن واختصاصاته العوامل الغريزية والذاكرة ، وبه ارشيفها ، فهو الذى يتعرف على الأشكال والفورمات ويسترجع الأحداث الماضية ويحكم العمليات الأوتوماتيكية المحفوظة ، كالسير مثلا .. (فهو اقرب نصفى المخ إلى الماضى والموروث) بينما يختص النصف او الفص الأيسر بالكلام والفكر والوعى والاستنتاج والتخطيط وملاحظة الواقع الخارجى المتغير (ثم يرسل ملاحظاته واستنتاجاته إلى النصف الأيمن لتخزينها) كما يحكم العمليات الجديدة غير المحفوظة (فهو اقرب النصفين إلى الحاضر والمستقبل) .. ونعرف أيضا بوجود تنسيق وتوازن نسبى بين نصفى المخ ، وقد يطغى أحدهما على الآخر مؤقتا وقليلا او بشكل واضح مستمر ، فتظهر كاعراض لسيادة الايمن على الايسر السرحان والابتعاد عن الواقع والاغراق فى الحلم والانطواء والانكباب على العادات الفردية والملل .. وكأعراض لسيادة الأيسر على الأيمن الافراط فى الواقعية وفى التخطيط ، والطموح الزائد احيانا إلى حدود ما لايمكن تحقيقه عمليا ..

ويرجع علماء النفس لفصى المخ أيضا الصراع الداخلي في الانسان بين قوتين أساسيتين متضاربتين هما التفجر والتحكم ، فتحاول الأولى الخروج عن النظام والتوازن الذى تفرضه الثانية ، التى تحاول بدورها كبت الأولى وتقييدها ..

ويعتبر العلماء أن المجرم في الأصل وعلى العموم ، هو أحد اثنين فرد يقرر أن لا يتحكم في تفجراته او أن يكبت نزواته وغرائزه ، على اعتبار أن ما يعانيه سببه خطأ خارجى عنه (اجتماعى مثلا) فلا يصح أن يعتبر مسئولا عن جرائمه (وضمن هذا النوع من يقتل تنفيذا لتعليمات رؤسائه "فضميره مستريح ولا لوم عليه" كجلادى النازى وقتلة العصابات الاجرامية ..) أو فرد آخر قرر ـ على العكس ـ أن من حقه المشروع أن يستخدم كافة الوسائل الممكنة لتحقيق غاياته لأنها "أهداف سامية" ولأنه على صواب .. والذين يعتبرون أنهم "دائما على صواب" أى أنهم معصومون من الخطأ ، يكيفون الواقع عادة ليظهروا صوابهم ويلقوا أضواء مشرفة على أنفسهم (أو يقوم "مدّاحوهم" بهذا الدور) .. ويمكنهم ان يصلوا الى آية حدود ـ كتوقيع "عقوبات عادلة" على الآخرين ـ مثلا ـ في سبيل انقاذ ماء وجوههم و"المحافظة على هيبتهم وكرامتهم ويكون خطر هؤلاء عظيما خاصة اذا وصلوا الى مواقع سلطة "فضمن هذا النوع من يأمر مرءوسيه بتنفيذ العدالة" .

يعتبر علماء النفس أيضا ان للانسان أربعة احتياجات أساسية : حاجة جسدية عضوية (للطعام أساسا) .. ثم حاجة للحماية والأمن (كمسكن) ثم حاجة للانتماء (أى الشعور بالارتباط بقبيلة او أسرة أو مجموعة .. إلخ تختلف عن القبائل والأسر والمجموعات الأخرى) .. ثم حاجة للتقدير (أن توجد حاجة له ، وأن يحترم ويقيم لشخصه وعمله) .. وتتصاعد بالنسبة للانسان مطالبه الأربعة هذه : فلا يشغله الملجأ ، مثلا ، إلى أن يملأ بطنه ، ولا يفكر في انتمائه حتى يجد سقفا فوق رأسه ، وهكذا .. وقد تصاعدت جرائم الانسان بنفس الأولويات أيضا : فحتى الجزء الأول من القرن الثامن عشر كانت أساسا لأكل العيش ، (جرائم جوعى) وحتى منتصف القرن زادت جرائم الأمن والطمأنينة (جرائم المنزل والأسرة والميراث ..إلخ) ثم انتشرت ، حول مطلع هذا القرن ، جرائم العاطفة (الجنس والغيرة ..) والانتماء (الطائفية والعنصرية ..) .. وظهرت في النصف الثانى منه ، جرائم القصاص حيث يعتبر المجرم أن المجتمع لاينصفه أو يقدره بالدرجة الكافية ، ولا يعطيه ما يستحقه من اعتراف وتكريم ـ أى أصبحت الجريمة وسيلة للاحتجاج .. كذلك تحولت من السرية الى العلنية ، فالمجرم يريد أن يلفت

انظار الناس (فى عصر التليفزيون والتكدس الاعلامى هذا) الى "قضيته" .. كالطفل الذى يصرخ ليستحوذ على انتباه والديه .. وظهر ايضا نوع من الجرائم بلا هدف أو مبرر : الجريمة للجريمة ، أو لمجرد العنف .. (ونذكر هنا ان الروائى اندريه جيد كتب فى ١٩١٢ قصة عن رجل يلقى فجاة من قطار شخصا لا يعرفه لمجرد فذلكة فكرية) .. اذا لم يوجد دافع للجريمة ، هل يمكن للمحقق البوليسى أن يحلها ؟؟ .. وكتب أوسكار وايلد بعده بقليل قصة عن رجل قتل زوجة أخيه "لأن كلحليها غليظان" !! ..[٣]

وينسب العلماء الجريمة ايضا الى ما يسمونه "حدود الأمن" . ويشرحون هذا قائلين : اذا تقدمت تدريجيا نحو حيوان غير أليف (أو نحو طفل) فانه سيراقب اقترابك باهتمام الى أن تصل الى بعد معين ، يشعر فيه انك قد بدات تهدد أمنه ، فينطلق مبتعدا (أو يبدا الطفل فى الصراخ) .. وقد اجرى العلماء تجربة فزادوا عدد الغزلان فى احدى الجزر تدريجيا حتى تخطى زحامها حدود أمنها ، فانتحر عدد كبير منها بالقفز فى البحر .. ويقدر العلماء ان الانسان ، ليستطيع ان يعيش ، يحتاج الى مساحة شخصية ، لا يشاركه فيها أحد ، تتراوح بين المتر والنصف والثلاثة أمتار المربعة (حسب طبيعة كل فرد ..) .. ويرجعون الى هذا العامل زيادة العنف وانتشار الجريمة فى المدن المزدحمة ، واحيائها الشعبية خاصة ..

دعينا للعشاء بمنزل صديق ببيروت حينما وصل بعض المعازيم بانباء ان سيارة مرسيدس لم تقف في نقطة تفتيش بشارع مجاور فاطلق عليها "آر بى جى" ومازالت تحترق بركابها السبعة ، وبينهم ثلاثة أطفال ، فاسرع بعض الضيوف بالذهاب "للفرجة" وعادوا بالتفاصيل يروونها بحماس وهم ياكلون ويشربون ويتمازحون .. هذا التصرف (والتذوق) السوداوى ، الذى حول التعذيب والاعدام من قبل الى مهرجانات شعبية ، يرجع الى "الانتماء" و"التميز" .. لذة الانتماء الى "نحن الأحياء" والتميز عن "هم الموتى" .. فالانسان مستعد دائما للانتماء الى جماعة واعتبار انها تتميز عن جماعة أو جماعات أخرى ، ولأن يقسم الناس الى "نحن" و"هم" .. وان يعتبر أن "هم" ليسوا مثلنا "نحن" فنحن على صواب ومعنا الحق وكل الفضائل ، أما هم فعلى خطأ وبهم كل الرذائل ، حتى اذا كان الفارق الوحيد بين "نحن" و"هم" هو اللغة أو لون البشرة او التقاليد او (كما يحدث فى لبنان مثلا) هو ان تصادف اسم والد أحدنا فى هويته عبدالنبي والاخر عبدالمسيح .. مما يبيح لكل منا ان يقتل الاخر وزوجته وأطفاله ـ حتى ولو غدرا : بالتقويض من مخبأ أو بسيارة ملغمة ـ وأن يقترف كل الوحشية البشعة عليهم أحياء وعلى رفاتهم موتى !!

وكان علماء النفس قد أجروا دراسة تفصيلية لمذبحة قامت بها فرقة من الجنود النازيين في قرية فرنسية أسمها

رسالة روما

بجامعة هارفارد الذين عذبوا "الضحية" بشحنات متزايدة من الكهرباء ..

"اورا دور سيرجلان" (كما عملت دراسات عن معسكرات الابادة النازية والسوفييتية فى الحرب العالمية الثانية ، والأمريكية فى حرب فيتنام) .. وكان النازيون قد جمعوا كل سكان القرية فى كنيستها وأحرقوها .. وكلما نجح بعض الأطفال فى الهرب ، جمعوهم ودفعوهم فى النار من جديد وهم يتمازحون (واستخدم الجنود اليابانيون في الحرب العالمية الثانية الأطفال الصينيين للتمرن على استعمال السونكى !!!) .. وكان لاكثر هؤلاء الألمانيين اطفال من نفس السن ، لا يختلفون كثيرا عن أطفال الفرنسيين فى الشكل والمضمون ، وكانوا يحملون صورهم فى محافظهم .. ودلت الشهادات على انهم كانوا اباء بررة "يعبدون" أطفالهم ويداعبون أطفال جيرانهم .. اطفال "نحن" ـ أما "هم" الذين تختلف "نحن" عنهم ونتميز ، فليسوا بشرا مثلنا !! (ويزداد حقدنا "نحن" عليهم ، واستعدادنا للفتك بهم ، اذا قيل لنا انهم يهددوننا فى احتياجاتنا الانسانية الاساسية ، فى طعامنا .. ومسكننا .. وامننا . وانتمائنا .. الخ .

هم ، اذن ، بيروقراطيون أطلقوا ، نتيجة لأوامر صدرت لهم ، غريزة التميز والعدوان ، فمن يختلفون عنهم ، مثلهم ، مثل طلبة السنة النهائية

اذا كان الكلب ـ على عكس الانسان ـ لا يعض اذن اخيه ، كما يؤكد المثل ، الا ان الانسان ، على عكس الكلب ، يربى صغاره ، وحينما نذكر عنف الانسان الدموى ، يجدر بنا ان نذكر ايضا ، كوجه اخر لهذه العملة ، معاناة الانسان لتربية أبنائه ، فالطفل (بعكس صغار الحيوانات الاخرى) يحتاج رعاية دائمة ، الى صبر وجهد ومتابعة تمتد لشهور طويلة ، حتى يبدأ اعتماده على نفسه .. يحتاج لمن يعد له طعامه المناسب ويطعمه ، لمن يربت على ظهره حتى يتجشأ ، وينظفه كلما لوث نفسه ، لمن يهدهده كلما بكى ويغير له ملابسه ، لمن يحميه ويجففه ويسقيه وينظف له أذنيه وأنفه ويقلم شعره وأظافره ، ومن يدغدغه ويغنى له ويرعاه كلما مرض ، ويتمشى به كلما أرق أو تألم .. لمن يعلمه ان يخطو أولى خطواته وينطق أولى كلماته ، ويبتسم لمستقبله .. يحتاج لمن يوفر له احتياجاته الانسانية الأساسية : الطعام والملجأ والأمن والانتماء .. الخ .. كل هذا يوما بعد يوم وأسبوعا بعد أسبوع وشهرا بعد شهر .. احتاج الى هذا كله كل من نما وكبر فاثمر (عن خير او عن شر) من هولاكو الى هتلر ، وما قبلهما وبعدهما من عصور : الأنبياء والعباقرة والخدم والفلاحون والأطباء واللصوص والمغنون والسفاحون ورجال الدين ، والعمال

والجند والجلادون وباعة الطعام والشراب والحلوى ، والدجالون ، ورواد الفضاء ، العمالقة والأقزام ، السادة والعبيد ، الزنوج والشراكسة ، ذوو الرءوس الصلعاء وذوو الشوارب .. كلنا : ايزنشتاين والامام احمد وحتشبسوت وملو تسى تونج وبيكاسو وسليمان الحلبى وام كلثوم .. وانت وانا .. وراء كل من نما وكبر منا جنود مجهولون يسهرون على رعايته وتنميته ، كدوا ليريحوه وشقوا ليسعدوه وضحوا له ، انتزعوا من انفسهم ليعطوه ، بلا انانية او طنطنة واعلان .

.. لعله يشفع للانسان ، نهر الرعاية والحنان المتدفق هذا من جيل الى جيل ، فى ساعة حسابه عن دمويته تجاه اخوته الادميين ..

الهوامش

(١) تزيد قسوة التيار الصاعق فى الاعدام بالكرسى الكهربائى عن الالفى فولت ، لذا تعصب عينا الذى سيعدم بحزام من الجلد يمنعهما من الانطلاق من محجريها لشدة الصدمة ..

(٢) التربيع هو تمزيق الجسد بربط اطراف الانسان الأربعة الى خيول تندفع فى اربعة اتجاهات مختلفة ، والخوزقة طريقة تعذيب تركية الاصل ، وكانت مكافاة الجلاد تزاد كلما زادت ساعات عذاب الضحية حتى يلفظ اخر انفاسه ، ويوجد وصف رائع لها فى رواية "جسر على نهر درينا" لليوغوسلافى الحائز على جائزة نوبل للأدب ايفو اندريش ، وتوجد ترجمة عربية ممتازة للرواية .. والشنق معروف ، وكان ديكتاتورا اسبانيا فرانكو قد احيا الاعدام بالجاروت ، وهو الخنق ببريمة حديدية حول الرقبة تدار باليد لتضغط على القصبة الهوائية تدريجيا .. واشتهرت محاكم التفتيش الكاثوليكية بحرقها علنا الالاف من "السلحرات والكفرة" .. والاعدام بقطع الراس ، وبالرجم ، علنا حتى اليوم فى الجزيرة العربية ، وكانت الثورة الفرنسية قد طورت تقنية قطع الراس بالمقصلة التى اخترعها الدكتور جيلوتين ، واستخدمتها فى اعدام حتى اطفال الأسرة المالكة والنبلاء ، فكانت لعدم ملاءمة حجمهم لها تطيح بنصف رءوسهم الأعلى .. ومن احدث الاعدامات العلنية ما حدث منذ شهور قليلة من تعذيب رئيس جمهورية ليبريا السابق صمويل دوى حتى الموت امام اجهزة التصوير التليفزيونى ، وقد عرضت التليفزيونات الاوربية والعالمية "مختارات" من هذا "الشريط" !! .. ويجدر ان نذكر هنا ايضا تقليد ترك جثث أو رءوس الذين قد اعدموا معروضة على الناس لأيام ، لتكون "عبرة لمن يعتبر" !!

(٣) تتنوع الجرائم جغرافيا ايضا ، فتنتشر فى فرنسا وايطاليا الجرائم العاطفية ، وفى انجلترا المعقدة محكمة التخطيط ، وفى المانيا الصادية ، وفى الولايات المتحدة المرتجلة .. وهكذا .



ثمة ـ دون شك ـ عامل الوراثة . لا عن والدى فحسب ، وعن أبيه العالم الأزهرى ، وإنما أيضا عن جدى لأمى الدكتور أحمد حمدى (توفى علم ١٩٠٣)/ صاحب المؤلفات الهامة فى الطب ، وأبيه محمد على باشا الحكيم (١٨١٣ ـ ١٨٧٦) الذى خلف كلوت بك فى مدرسة الطب فاصبح أول ناظر مصرى لها .

ثم البيئة .. فالمكتبة فى منزلنا تحوى أكثر من عشرة آلاف مجلد باللغتين العربية والانجليزية ، فى التاريخ والأدب والفلسفة وعلوم الدين الى اخره . وأصدقاء والدى وتلاميذه ومعارفه والادباء الناشئون من أمثال نجيب محفوظ يهدون اليه كل كتاب جديد يصدرونه . وهذه مكتبة النهضة المصرية التى تنشر كتبه يسمح والدى لنا بشراء اى كتب نريدها منها ثم تخصم المكتبة ثمنها من حسابه فى نهاية العام .. وحديث والدى الينا كما التقى بنا على مائدة الافطار أو الغداء او العشاء هو فيما يقرأ أو يكتب ، أو هو يقص علينا ذكرياته عن كبار المفكرين فى زمنه ، وطرائف عن الأدباء من اصدقائه ، أو عن مداولات مجمع اللغة العربية فى اللغة ، أو ينشدنا قصيدة راقية من شعر ابن الرومى أو شوقى . وأصدقاؤه الكتاب يزوروننا فى بيتنا فنجاذبهم أحيانا اطراف الحديث ، ونسألهم الأسئلة فيجيبون عليها فى صبر وسعة صدر ، وقد ينبرى توفيق الحكيم أو محمود تيمور فيوصينى بقراءة هذا الكتاب أو ذاك . وفى ايام الخميس نعود فنلتقى بهم مجتمعين فى الندوات الاسبوعية بمقر لجنة التأليف والترجمة والنشر التى يرأسها والدى ، والتى لا أزال أحمد الله الى اليوم سماحه لنا حضور ندواتها كلما شئنا ونحن بعد دون سن العاشرة .

وكنا ندرك منذ نعومة أظفارنا أن توقير الناس لوالدى واجلالهم اياه راجعان أساسا الى أنه مفكر ومؤرخ وأديب ، وهو ما انعكس أيضا على معاملة المدرسين لنا فى المدرسة . فكان أن غُرس فى وجدانى منذ طفولتى والى اليوم الايمان الراسخ بأنه ما من نشاط بشرى يفوق النشاط





توفيق الحكيم   نجيب محفوظ

الفكرى قيمة ، فلم أطمع فى يوم من الايام الى ممارسة غيره .

وثمة كذلك توجيه أبى اياى ، خاصة منذ أن لمس فىّ اقبالا شديدا على القراءة ، ونهما لا حد له الى دراسة التاريخ . ولم تقتصر هذا التوجيه على انتقائه للكتب التى يرى لى مصلحة فى قراءتها ، فتعداه الى ماهو أهم بكثير من ذلك ، وهو تدريبى على النقد والشك ، والنظرة العلمية الى المادة والمصادر ، ولفت نظرى الى ما قد يتحكم فى المؤلفين القدماء والمحدثين من اهواء مذهبية ، ونزعات سياسية أو عصبيات .. ولازلت الى اليوم أذكر إذ كنت فى الثالثة عشرة من العمر ، وطلب منى مدرس التاريخ اعداد بحث عن الصراع بين الأمين والمأمون لألقيه على طلبة المدرسة النموذجية مجتمعين ، فأعددت البحث ، وكان هواى فيه مع المأمون ضد الأمين ، ثم رأيت أن أقرأه على والدى قبل القائه بالمدرسة ، فإذا بى أسمع منه يومها درسا لم يبرح ذاكرتى الى اليوم عن كيف أن المصادر الرئيسية الوحيدة التى تعرضت لهذا الصراع بين الاخوين العباسيين هى اربعة : إما شيعية كابن طباطبا واليعقوبى . أو فارسية كالطبرى وأبى



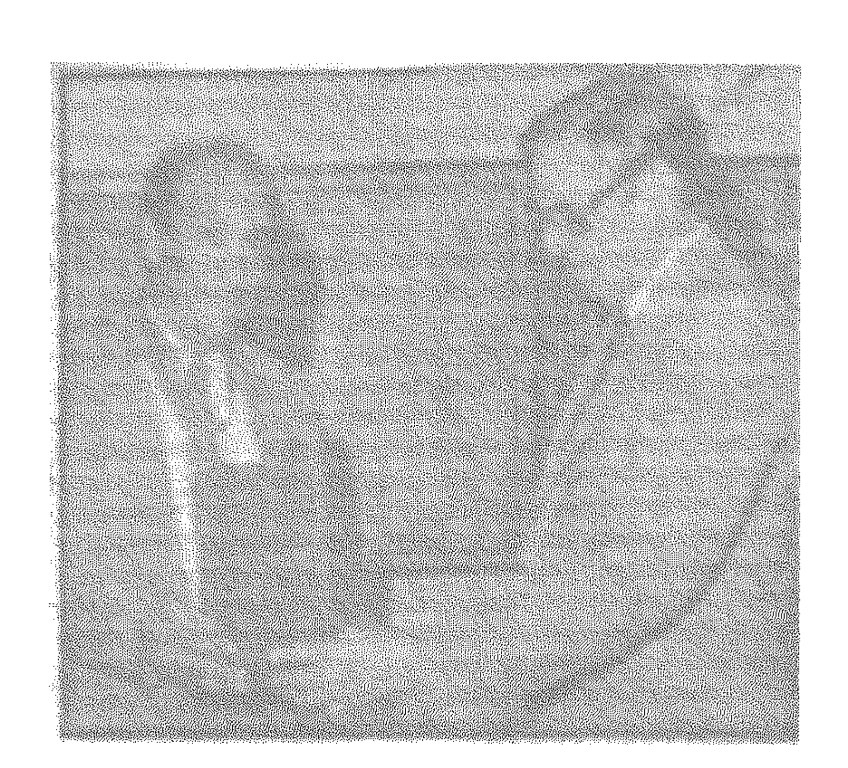
حنيفة الدينورى ، وهو ما يُلزم المؤرخ بالتزام الحذر والحيطة البالغين ، وبأن يدرك دائما أن غرض المصادر هو الاساءة الى سمعة الامين واعلاء شأن المأمون ، وأن الصورة النهائية لشخص الأمين لا يمكن على أى حال أن تكون بمثل هذا السوء أو التشويه الذى تبدو عليه فى تلك المصادر .

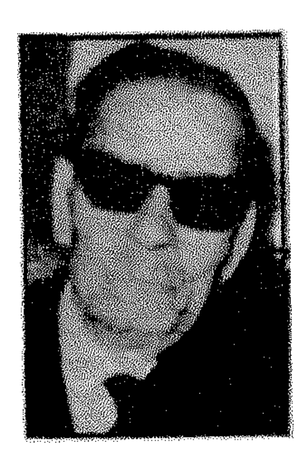
فى مثل ذلك الجو وتلك البيئة لم يكن من الممكن أن اقبل يوما على قراءة روايات الجيب والقصص البوليسية التى كان يتعاطاها غيرى من التلاميذ . وكانت اخف قراءاتى طرا فى السنوات الاولى من صباى روايات جرجى زيدان ومحمود تيمور ونجيب محفوظ ومسرحيات الحكيم ، سرعان ما انتقلت بعدها الى كتب العقاد وهيكل وطه حسين . غير أنه حدث فى يوم من الأيام (وهو من الأيام الحاسمة فى حياتى ، وكنت وقتها فى الثانية عشرة) أن اشتريت من مكتبة النهضة الترجمات العربية لرواية الفونس دوديه "الشىء الصغير" (أول رواية أقرؤها من الأدب العالمى) ، ولمحاورات افلاطون ، ولسير اعلام الأغريق والرومان لبلوتارك (وكانت الاخيرة تصدر وقتها عن مكتبة بالفجالة فى صورة ملازم ، كل ملزمة مفردة لأحد هؤلاء الاعلام) . وقد احدثت هذه الكتب فى حياتى وقراءاتى تغييرا جذريا ، إذ تبين لى أنه مامن شىء مما قرات فى الأدب أو الفكر المصرى الحديث يعدل هذه الكتب روعة وخصوبة . فانتقلت وقتها انتقالا كاملا الى القراءة فى الاداب الأوربية ، معتمدا فى بداية الأمر على ما صدر لمؤلفات منها من ترجمات عربية (كترجمة الدسوقى لمسرحيات جوتة وبرنارد شو وتراجم اميل لودفيج ، وحسن صادق لشيلر ولامارتين ، ولويس عوض لاوسكار وايلد وشيلى ، وفخرى أبوالسعود لتوماس هاردى) ، ثم على الأصول والترجمات الانجليزية لها .

وقد كانت عناية والدى منصبة أساسا على تعليمنا اللغات تعليما متقنا . فانتقى لنا مدرسا ممتازا للغة العربية ، وآخر لا يقل امتيازا للانجليزية ، وثالثا وسطا للفرنسية ، ظلوا مدة عشر سنوات يعطوننى واخوتى دروسا خاصة فى البيت فى تلك اللغات . ثم حدث ان تعرف والدى على جار مصرى لنا متزوج من المانية تعمل فى رقابة البريد ، فكان أن طلب منها ـ وقد لمس منى مدى غرامى بجوتة ونيتشة وهاينى ـ تدريس اللغة الالمانية لى حتى اتمكن من قراءة مؤلفاتهم فى الأصل .. وقد أضفت إلى هذه اللغات الأجنبية الثلاث فيما بعد ، اللغة الروسية حين عينت سكرتيرا ثالثا بالسفارة المصرية فى موسكو على مدى أكثر من أربع سنوات ، واللغة البرتغالية وقت عملى فى البرازيل قنصلا عاما فى ريو دى جانيرو .

● ● ●

ثم كان تعرفى على قصص انطون تشيخوف ومسرحياته فى سن الرابعة عشرة ، وانبهارى بها ، نقطة تحول أخرى فى مسيرة قراءاتى ، وأن كان قطعها لفترة من الوقت تعرفى أثناء مرحلة من التدين





طه حسين

عندما منح وسام جمهورية ألمانيا الاتحادية اعترافا بفضله كمفكر مصرى

الشديد مرت بى فى تلك السن على فتى فى فصلى يدعى خليفة (من شبيبة الإخوان المسلمين) كان له الفضل الأول فى إثارة اهتمامى بمؤلفات ابن تيمية والغزالى وابن حزم . وقد كانت هذه المؤلفات هى أول ماقرأت من كتب التراث ، وإن كانت عودتى إلى القراءة فيها تنتمى إلى زمن لاحق غير زمن التكوين .. المهم فى الأمر هو أننى لم أجد أبدا ، فى أية مرحلة من مراحل حياتى ، أية صعوبة أو معاناة من جراء تنقل قراءاتى من كتب التراث العربى القديم إلى كتب الفرنجة والمحدثين ، أو إزاء ما يسميه البعض بمشكلة التراث والمعاصرة . وهى مشكلة تعلمت من والدى منذ الصغر أن أنظر إليها باعتبارها مشكلة عقيمة لا اظن مجتمعات كثيرة غيرنا تعرف مثلها . فالغربى إن قرأ فإنما يقرأ توما الأكوينى اليوم ، وبرتراند راسل غدا ، ثم أفلاطون بعد غد ؛ كتبهم جميعا ضمن سلسلة واحدة ، على رف واحد ، فى مكتبة واحدة ؛ لا يقال عنه إنه تراثى إن فضل إسخيلوس ، أو أنه عصرى إن هو آثر دورينمات ، ويدخل كل هذا فى تكوينه ليجعل منه الإنسان الذى هو عليه .. لا مشكلة ولا حيرة ولا تناقض . أما عندنا ، فأساس المشكلة فى رأيى هو عجز المتفرنجين عن استساغة التراث ، ووصل ما بينهم وبين الماضى ؛ وعجز السلفيين عن المعاصرة والاستفادة من حضارات الغير بسبب جمودهم الفكرى أو قلة حصيلتهم من اللغات الأجنبية .. وقديما قالوا : إن سمعت أحدهم يتلو (ماعند الله خير وابقى) فاعلم أن لدى جاره وليمة لم يدعه إليها ! ثم إذا بهذا العجز من أولئك وهؤلاء يتبلور فى عداء كلى لموقف الطرف الآخر ، دون أن يحقق اى منهما الانسجام المنشود وهو فى رأيى انسجام ممكن متى اتخذنا من تراثنا ومن حضارات الغير موقفين متغايرين .

من تراثنا : بحيث لا يكون الهدف من الإقبال عليه الهروب من حاضر ثقيل الوطأة ، أو الترويح عن النفس ، أو



التفرج على أطلال العصور الخوالى ، وإنما هو الاستفادة من حكمة الأقدمين وتجارب الأسلاف فى أن نجعل من عالمنا المعاصر عالما أفضل ، وأن نهيىء لأنفسنا وأبنائنا مستقبلا أزهى ، لا نحترم الماضى لمجرد أنه ماض ، ولا السلف لأنهم سلف ، ولا نقتصر الحق فى التفكير على الأموات .

ومن حضارات الغير : بحيث لا يحكم موقفنا عقدة نقص أو فقدان الثقة بالنفس ، ولا يكون فيه أثر لإذعان مهين أو استكبار مشين ، حتى إذا ما اقتبسنا من نظمهم جاء هذا الاقتباس طبيعيا كما كان اقتباس معاصرى الجاحظ وأبى حيان التوحيدى وإخوان الصفا من الحضارات حولهم ، دون إحساس بخزى أو إستجداء ، بل ربما بدون أن نشعر بأننا فى سبيل الاقتباس ، وإن رفضنا من أساليبهم وقيمهم ما يأباه الطبع فينا ، جاء هذا الرفض دون تعصب أو استعلاء ، بل ربما دون أن ندرك ونعى أننا فى سبيل الرفض .

كذا كان موقف أبى وكذا هو موقفى : ماضينا وتراثنا وسلفنا ، وماضى الحضارات الأخرى وتراثها وأسلافها ، لا يعنينا منها إلا الجانب الذى ثبت لدينا أنه حى ، وأن يوسعه أن يثرى حياتنا وحاضرنا ، ويزيد من قدرتنا على مواجهة تحديات مستقبلنا ، ومن قدرة أمتنا على مواجهة تحديات مستقبلها .

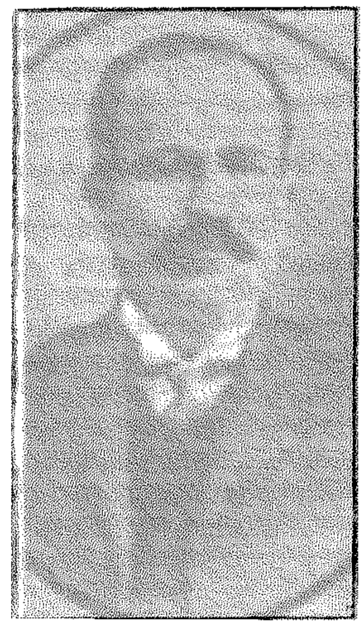
● ● ●

كانت قراءتى لقصص تشيخوف ومسرحياته مدخلى إلى الأدب الروسى الكلاسيكى الذى انغمست فيه بكليتى لسنوات عديدة ، والذى يمكننى القول فى ثقة ودون اضطرار إلى تواضع زائف أننى قرأته بأسره . نثرا كان أو شعرا .. وقد كان لليوتولستوى التأثير الأعظم بعد تأثير والدى فى تكوينى وفى تشكيل نظرتى إلى الحياة وتكييف قيمى الأخلاقية وغرس مفهومى عن الدين .. وهو تأثير ظل قائما معى ، ولم يترك مجالا لمنافس له فيه إلى حين قراءتى بعد لمقالات مونتنى ، ومؤلفات شوبنهاور ، وتاريخ جيبون ، ومسرحيات شكسبيز . وقد أضحى شكسبير اليوم هو حبى الأكبر فى هذه الحياة الدنيا ، لا تكاد تمر ليلة دون أن أستمع إلى تسجيل لفصل على الأقل من مسرحياته قبل أن أوى إلى فراشى .

وكان ثمة أمران يميزان دائما نشاطى فى ميدان القراءة فى مرحلة الصبا :

الأول : تحمسى المفرط لكل كاتب كبير جديد أتعرف على مؤلفاته ، لدرجة الإقبال على قراءة كل ماكتب ، ومعظم ماكتب عنه ، دفعة واحدة ، دون توقف ، ودون الانتقال إلى غيره إلى حين الانتهاء منه .. وكثيرا ما حدث فيما بعد أن فتر تحمسى هذا لمؤلفين كنت مفتونا بهم فى صباى (كما حدث بالنسبة لموبسان ، وبرناردشو ، وأندريه جيد ، ونيتشه ، وإبسن ، وجان جاك روسو ، بل وتشيخوف


محمود تيمور


جرجي زيدان


العقاد

نفسه) . وقد يتحول إعجابي إلى احتقار واستخفاف (كما حدث بالنسبة لإميل لودفيج ، وسارتر ، وشتيفان تسفايج ، وأناتول فرانس ، وستريندبرج) ، بل وحتى إلى كراهية عميقة (كما حدث بالنسبة لأوسكار وايلد ، وسمرست موم ، وبرتراند راسل) . وكل هؤلاء كانوا ممن وضعتهم في صباي في مصاف أنصاف الآلهة

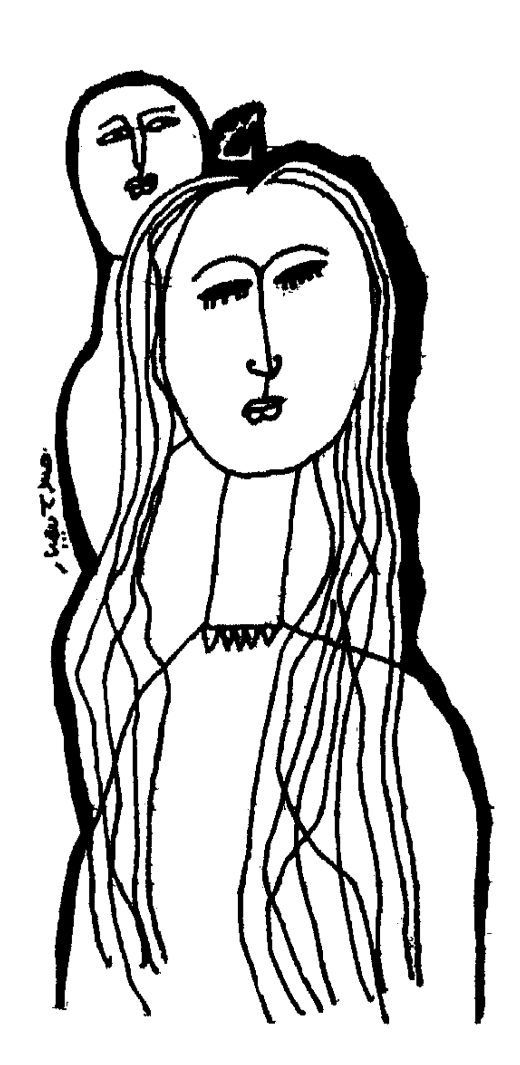
والثاني : إحساس دائم ومؤلم بأن ثقافتي لا يزال يعتورها قصور وخلل ، وأن ثمة من تفوق ثقافته ثقافتي ، وعلمه علمي . فكأنما هناك دوما من يقف ورائي يلهبني بالسوط ، ويحفزني على إكمال النقص .. إن رأيت صديقا لي ، أو حتى امرءا على شاطىء البحر يقرأ "الكوميديا الإلهية" لدانتي انتابني الفزع إذ لم أقرأها بعد ، فأبادر بشرائها وقراءتها وإن أورد صديق لأبي في حديث أمامي إشارة إلى كعب أخيل ، سألته عن معناها وأسرعت بقراءة الإلياذة وكتاب روبرت جريفز عن أساطير الإغريق لأعرف خلفية هذه الإشارة . وإن قرأت في صحيفة "التايمز" اللندنية مقالا يقول كاتبه ساخرا إن علم العرب بهذا الموضوع أو ذاك لا يزيد على علمهم بمسرحيات بومونت وفليتشر ، جزعت إذ أراني من بين من تشملهم هذه السخرية بالنظر إلى أني لم أقرأ بعد هذه المسرحيات ، فأبادر بالحصول عليها وقراءتها .

وقد كان هذا بالضبط هو ما حدث لي فيما يتصل بفنون التصوير والنحت والباليه والأوبرا ، وهي فنون لم يكن لأبي فضل يذكر في إثارة اهتمامي بها لضعف حد بلته منها ، وكان عليّ أن أعتمد اعتمادا كليا على نفسي من أجل تكوين ثقافتي وتربية ذوقي فيها ..

● قراء الجيل الجديد ●

● قرأت كثيرا من روايات الهلال ولكنى لم أقرأ مجلة الهلال سوى
مصادفة ففوجئت بأحلى المفاجآت التى حدثت لى لأستمتع بهذا الطبق
الدسم من الفكر والثقافة والفن وأعجبنى كثيرا اهتمامكم بمراسلات قراء
المجلة ولهذا قررت أن أكون أحد قرائها الدائمين ولن أكتفى بالقراءة ولكن
سأسهم فى الكتابة ، وهذه أولى مساهماتى ، وهى قصيدة بعنوان

« فقط لا أرغب » :



ارفض أن اسمع
او اقرأ حتى الأشعار
إنى مرهقة
أشواقى دوما فى عناء
تأخذنى الرغبة
ان أهوى
او أهوى للقاع
تدفعنى الكلمة
أن أبقى
او أمضى لضياع
فأنا
أرفض أن أسمع
او اقرأ حتى الأشعار
يارجلا أهواه بقلبى
يامن قيد لى عمرى
حررنى .. إطلقنى
إنى مغلولة من عنقى
ووجودك نار فى قلبى
مرفوض بقائق فى صدرى
بهدوء أترك ذاكرتى
حررنى ولتترك لى غدى
إنى مصدومة
إنى محمومة

ودوائى رحيلك فاتركنى
لن أبكى وأعذرنى
فقط لا أرغب
ان اسمع أو أقراء .

طارق عثمان عرابى
المنيب - الجيزة

• تعليق الهلال :

- نبدأ صفحات « أنت والهلال » بهذه الرسالة - من قارىء صغير السن ينتمى للجيل الجديد ، وقد سررنا لأنه اهتدى إلى « الهلال » بنفسه دون إرشاد أحد أكبر منه سنا ، وكان المدرسون فى الماضى يرشدوننا إلى الصحف التى ينبغى ان نقرأها ..

نشكرك يابنى .. أما « قصيدتك » فقد أدهشتنا لأنها على لسان فتاة لافتى ، وتتكلم بلسان « المؤنث » فهل يسرك أن تكون مجرد مقلد لنزار قبانى الذى يكتب بعض قصائده على ألسنة النساء ؟! .. أن نزارا له صنعة خاصة فى هذا الباب من كلام المذكر بلسان المؤنث ، أما أنت فتبدو فى غير مكانك الصحيح ، فلا تعد إلى مثل هذا الكلام الذى هو مجرد تقليد .. أما شعرك فتفعيلاته من بحر « المتدارك » وأكثرها صحيح وبعضها تفعيلات غير موزونة وبخاصة فى الفقرة التى لم ننشرها .. ومامعنى قولك : « مرفوض بقائق فى صدرى » .. لعلك تقصد : « مرفوض بقاؤك فى صدرى » فانقلبت الكاف إلى قاف ! ..

• تحية واقتراحات •

• إن احتفال دار الهلال ببلوغ هلالها العام المئوى فى يناير ١٩٩٢ ليعد ظاهرة جديرة بالاهتمام ..

إنى اتصور أن يكون ذلك الحفل الضخم الكبير ، باصدار سجل حافل شامل منذ ظهور اول أعداد مجلتكم الرائدة فى عالم الفكر والادب والثقافة وحتى تمام بلوغها المائة عام من عمرها المديد يحكى قصة النشاة والميلاد الى ان وصلت إلى ماهى عليه الآن من تطور ورقى وإلى ذكر مقتطفات مما نشر فيها عبر مراحل تطورها ... واحب ان اشير بإصدار سلسلة لما نشر بالهلال فى أعوامه المائة إما بتجميع موضوعات خاصة بكاتب معين او مقالات تتناول موضوعا واحدا لعدد من الادباء ليقف شباب الجيل الجديد على ثقافة القمم من ادباء مصر فى تلك الحقبة ..

في هذه المناسبة أيضا أرجو أن تعود أبواب الهلال القديمة مثل : بين الهلال وقرائه ، وأنت والهلال ، وباب الكتب الجديدة ، وباب العلم والاختراع ، وباب مجلة المجلات .

لقد كان الهلال يقدم لمشتركيه وقرائه جوائز ثقافية قيمة دهشت حين وقع نظرى عليها وفى الاعلان عنها بمجلتكم فى الثلاثينات من صدورها بما يبلغ خمسة كتب متنوعة الفكر والثقافة .

ثم اتمنى أن تكون هناك مشروعات ثقافية جديدة تليق باكبر مؤسسة ثقافية فى الشرق وهى ـ دار الهلال ـ من قيامها باصدار سلسلة تؤرخ لاعلام الفكر العربى واخرى لاعلام الفكر الغربى .

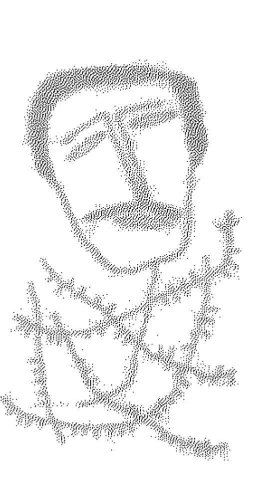
إننى ابعث بالتهنئة حارة الى دار الهلال وارباب الفكر فيها والى دورهم الريادى فى عالم الكلمة الرفيعة واعتذارى عن طول الحديث .

طه حسين سليمان
٤ شارع كنيسة الاقباط
الملاحين ـ الجيزة

● تعليق الهلال :

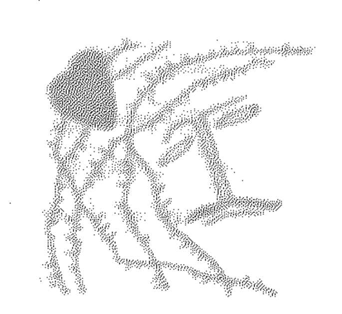
ـ نشكر لك هذه التحية ، ونرجو أن نصدر السجل الذى تقترحه وكذلك تجميع طائفة مختارة مما نشره الهلال فى مائة سنة ، أما الأبواب التى تقترحها فهى موجودة فعلا .. لأن باب « بين الهلال وقرائه » هو نفسه باب « أنت والهلال » وباب الكتب الجديدة تراه فى كل عدد ، وكذلك العلم والاختراع والمجلات الأجنبية .. أما أعلام الفكر فقد صدر عنهم عدد كبير من كتب الهلال ، ولانحتاج إلى سلسلة خاصة عنهم ، ثم إننا نكرر شكرنا لك ..

● أغنية للفراغ الكبير ●



لأن غنائى المصلوب فوق مثالب الأيام كررنى
فكنت فريسة التكرار
وأضجر (شاشة) التذكار
وكان القلب مبتئسا
وكان غنائى المثلوم سكينا على شفتى أنوء به
وكان بكائى الموصوم بالهذيان يعرفنى
مليا حدج العينين فى سمتى
وقد أعددت متكأى ، وأغنيتى
على عجل لمقدمكم
، يأتنى أحد

وفض الحشد من حولى
وحيدا قد أصخت السمع ، أرقبكم
وأجمع من صدى أيامنا الأولى
حطام القلب والروح
لأن رءوسكم مالت
لتعلن سلطة الريح



ماهـر عبدالمنعم حسن
المحمودية ـ البحيرة

● ندم ●

أنى عود الكبريت
مسرورا كنت افكر ان اعطيكم روحى
مافكرت بأن أبخل ...
مافكرت أفرّ بروحى من بين اصابعكم
فلقد كنت أرى موتى بين أصابعكم أجمل
قدمت إليكم عمرى حُبا فيكم
وتمنيت قدوم الموت لكى أمنحكم ..
ماتبغون من الأضواء أو النيران ...
ولذا طرت سرورا ساعة حان الوقت لكى اشعل ...
لكنى حين رأيت الموت حزنت على نفسى
وأنا ماكنت لأحزن إن ينتفض الجزء
الباقى من جسمى حين يرى رأسى المحروق ...
لكن أحزننى أن أتلقى
منكم ـ يامن كنتم أحبابى ـ هذا النكران ..
أحزننى أن أطرح ارضا مثل الشىء المستعمل



عبدالعزيز الشراكى ـ المنصورة

● لن أعود ●

يامن غدرتِ بقلبى
لاترقبينى .. فإنى
أصبحت حرا طليقا

وخنت كل العهود
أقسمت الا أعود
حطمت كل القيود

وصرت سيد نفسى
ولن أكون المسود
أضحى الشموخ شعارى
وديدنى - والصمود
فلست أرضى لذاتى
إلا العلا والصعود
ولست أغفر يوما
غدرا كغدر اليهود

محمد حسن الشافعى
مصنع ٨١ الحربى

● القارس .. والقارص ●

● من نافلة القول وتحصيل الحاصل أن أقرظ أو أن أمدح بابكم الممتاز « لغويات » فهو ليس فى حاجة إلى ذلك على الاطلاق ، بيد أننى لاحظت فى عدد يناير ٩١ ، وفى باب « لغويات » تصويبكم لكلمة البرد (القارص) وترفضون نطقها او كتابتها (بالصاد) والصواب - فى رأى سيادتكم - إنها (بالسين) ، ومن اجل هذا كانت رسالتى هذه إليكم التى أود أن اقول فيها لسيادتكم أن كلمة البرد (القارص) بالصاد ليست خطأ بل هى صحيحة مثل كلمة (القارس) بالسين ودليلى على ذلك مايلى :

١ - ..... قرصه البرد ، وبرد قارس : قارص
(أساس البلاغة الجزء الثانى ص ٢٤٤ مادة « قرص »
٢ - (قرَّص) مبالغة قرص الماء : برده حتى صار يقرص ببرده
(المعجم الوسيط الجزء الثانى ص ٧٥٤ مادة « قرص »)
٣ - يقول الاستاذ محمد العدنانى فى كتابه (معجم الأخطاء الشائعة) : -
.... وأجاز التاج لنا فى مستدركه ان نقول : قرصه البرد وبرد قارص
(معجم الأخطاء الشائعة لمحمد العدنانى ص ٢٠٢)
كما يؤيد صحة كلمة البرد القارص (بالصاد) كل من :
● د . احمد مختار عمر استاذ علم اللغة بجامعة الكويت فى كتابه (العربية الصحيحة ص ١٤٦)
● الدكتور اميل يعقوب استاذ فقه اللغة العربية فى الجامعة اللبنانية فى كتابه (معجم الخطأ والصواب فى اللغة ص ٢٢١)

إبراهيم عبدالكريم ناصر
محرر بجريدة الأهرام

● تعليق الهلال :

- نشكر لك هذه الكلمة ، وقد سرنا وجود « لغوى » فى إحدى الصحف اليومية

فى هذا الزمن الذى صار فيه مشاهير كتاب الصحف يخطئون فى اللغة أخطاء عجيبة .. مثل قولهم : « طفلان توأم » والصحيح « توأمان » لأن التوأم للواحد فقط ، ومثل قولهم : « يتواجد » والصحيح « يوجد » لأن التواجد هو إظهار الوجد ، ومثل قولهم « هزيع القنابل » والصواب « هزيم القنابل » .. أى صوت انفجارها ..

ماعلينا من هذا الهم الثقيل .. فلننظر فى ملاحظاتك الكريمة ..

١ ـ لم ترد كلمة « القارص » بمعنى « القارس » فى كلام أى كاتب بليغ من كتاب العربية القدماء كابن المقفع والجاحظ والمبرد وأئمة اللغة الآخرين ، ومفسرى القرآن الكريم والحديث النبوى .. ولم ترد حتى فى كتابات العقاد وطه حسين ومصطفى صادق الرافعى .

٢ ـ لم ترد كلمة « القارص » بمعنى « القارس » فى لسان العرب ولا فى القاموس المحيط ، ولكن مستدرك « تاج العروس » أجاز كلمة القارص فى هذا المعنى ، وصاحب هذا الاستدراك لغوى من المتأخرين فى العصر العثمانى ، فلاعبرة بما أجازه من الألفاظ العامية ..

٣ ـ فى كتاب « ماتلحن فيه العوام » للامام الكسائى تصحيح لأغلاط عوام بغداد فى القرن الثانى الهجرى ، وفيه يقول : قرس البرد .. ويومنا قارس بالسين ، واللبن قارص ، اذا كان حامضا » .

وكتاب « ماتلحن فيه العوام » وضعه الامام على بن حمزة الكسائى لأمير المؤمنين هارون الرشيد ، عن الألفاظ التى كان يتداولها عامة بغداد ، وليست فصيحة ، وكان هارون الرشيد يكره لحن العوام ويحب اللغة الفصيحة ..

وأنت تستطيع أن تقول : قرسه البرد ، أى اشتد عليه .. وقرس البرد أصابعه جعلها يابسة من التجمد .. فاذا قلت قرص فلان لحم فلان أو جلده فمعناه : لوى عليه إصبعيه حتى أشعره بالألم .. ولا تستطيع أن تقول : فلان قرس جلد فلان بإصبعيه ، وهنا يبدو لك الفرق بين القارس والقارص ..

ولاعبرة بالمعجم الوسيط وأمثاله من كتب المتأخرين الذين يقصدون إلى تسهيل اللغة ، ولايمكن الأخذ بكلام من ذكرت من الأساتذة الفضلاء ، فإن كونهم مدرسين لعلم اللغة أو فقه اللغة لايجعلنا نسلم لهم بالخطأ ..

والخلاصة ، أن الكسائى إمام اللغة فى القرن الثانى الهجرى قال للخليفة هارون الرشيد : إن « القارس » بالسين هو اللفظ الفصيح ، وأما القارص ـ فى معنى القارس ـ فلحن من العامة ! ..

فهل نأخذ بكلام الكسائى وطبقته أم بكلام الأساتذة المتأخرين ؟! ..

إن الكلمات العربية تتقارب فى حروفها إذا تقاربت فى معانيها ، والحركة الواحدة فى الحرف الواحد من الكلمة الواحدة تغير معناه ، فلا يصح خلط معانى الكلمات المتقاربة إذا كنا نتحدث عن اللغة الفصحى وأساليبها ..

● قصيدة نثرية ●

بعد التحية ،،، لا أعرف كيف أشكركم على نشركم لقصيدتى « باندورا القرن العشرين » واسمح لى أن أضيف « وتبنيكم لى »

لقد احترمتمونى ، احترمتم الكلمة .. الحرف .. حتى النقطة ، فشكرا جزيلا وارجو أن أعرف اسم حضرتك ورأيك الشخصى فيما تنشره لى (إن أمكن ذلك) .

وأرجو من حضرتك نشر هذه القصيدة :

غر يعشق كل الأكوان ، لايشعر إلا غرغرة ، تحتدم النار بباب مخدرة ...
يهديها كل صباح منشفة ، تهديها إليه ...
حسبت أن الشفق غى أو وجد ، كانت تموج ، وكانت الرؤيا :
جو غازلته النساء ، حاصرنه ليلا ...
قال : يارب ، ياصانع هذا الشىء ... ، لم يكمل وأغفى ...
أصبح أبا لكثير ، حجار تساقط ، لاندرى مصدرها ، تنفس طويلا ، واستلقى ...
« الله أكبر » لغط لم يعهده الراشدون ، لم تشبع أقواما للذنوب ـ هم ـ تترى ...
سرائر هذا الوجود ، يمحوها انتشاء بقاعة من تلك التى فى شارع الأهرام تقعى ...
وكان النيل ، النور ـ هذا الشيخ الوقور ـ جدنا ، قد علمنا السباحة .
كل الذى علمنا السباحة فيه !!

رافت أنور جسار
آداب القاهرة ـ دراسات كلاسيكي

● تعليق الهلال :

ـ قصيدتكم هذه تتضمن بعض التفعيلات الموزونة ، ولكن سائرها نثر بحت ، فهى إذن قصيدة نثرية ولا نستطيع أن نقدمها إلى قارئنا إلا بصفتها هذه ، فقد كثر الخلط فى الزمن الأخير بين قصيدة الشعر الموزون ، وقصيدة النثر ، ونحن نرحب بالجيد الناضج من كل لون ، مع التفريق الفنى الذى لابد منه بين المنظوم والمنثور .. أما قصيدتك النثرية الأخرى التى عنوانها « منال » فنعتذر إليك من عدم نشرها لأننا لم نستطع فهمها ، فقل مايفهمه الناس لاما تفهمه أنت وحدك ..

• الصبح •

قد أشرق الصبح وانجابت غواشينا
وعشش النور فى أهداب وادينا

زيح الظلام عن الأجفان فانطلقت
فى كل ناحية تشدو أغانينا

إذ بهجة الماء أنغام تهدهدنا
وبسمة الشمس أفراح تناغينا

وغبطة الطل بالأوراق يحضنها
كفرحة القلب إن غنى تلاقينا

إذاقنا الصبح أحلاما تداعبنا
فقبل النور نشوانا أمانينا

قد أورق الصفو وانسابت غدائره
خضراء تغرق ما ابقت ليالينا

رمضان عبداللطيف حامد
كلية الآداب ـ قنا ـ قسم اللغة الانجليزية

• مع أصدقائنا •

• نشكر للأصدقاء الذين كتبوا إلينا مهنئين بالعام الجديد ، والذين اتحفونا بنفثات اقلامهم ، ونسالهم المعذرة لضيق المجال ، ونخص بالشكر الجزيل السادة : يوسف عبدالحميد الثورى .. خلف أحمد محمود .. درهم جبارى .. مصطفى محمود مصطفى .. محمود عبدالمجيد احمد .. عاصم فريد البرقوقى .. عبدالرحيم الماسخ .. صلاح عبدالستار الشهاوى .. رفعت عبدالوهاب المرصفى .. نادية عبدالفتاح محمد محمد .. محمد فؤاد محمد على .. رمضان ابوغالية .. حجاج سعد طبزة .. السيد عبدالله الخولى .. حمدى محمد احمد مبارك .. على اغا .. نوبى حسانى محمود .. صلاح شفيع .. محمد امين عيسوى .. خالد السيد على محمد .. إيناس مصطفى الهلباوى .. ابو بكر محمد محمد حسانين .. ابراهيم سمير سعدة .. خليل ابراهيم القشوطى .. سعيد عبدالقوى محمد .. عبدالشافى داود .. محمد محمود بيومى .. سعاد الصاوى .. إيهاب رفعت رشيد .. احمد محمد علام .. رمضان الهجرسى .. وجيه عشم .. محمد محمود غدية .. عبدالحميد مصطفى الشيخ .. جمال محمد جمال طلحة .. حمدى محمد عبدالموجود .. فرج فيلبس القمص .. عاطف محمود محمد عبدالحليم .. موسى هلقو .. طارق عثمان عرابى .. احمد محمد على جامع ..

الكلمة الأخيرة

وماذا بعد الطوفان ؟

د . شكرى محمد عياد



لم تنته الحياة بعد الطوفان ، ولن تنتهى الحياة بعد حرب الخليج . بل على العكس : ستبدأ حياة جديدة . سيتغير تاريخ المنطقة .

لقد قال أحد القواد العسكريين غداة ١٧ يناير : اننا نصنع التاريخ وأحسبهم يصنعون الجغرافيا أيضا .

فى إسرائيل يشعرون أن "اسرائيل الكبرى" أصبحت فى متناول اليد . وفى تركيا من يفكر فى "محافظة الموصل" الغنية بالزيت . وايران لا تزال قلقة بين الخوف والطمع ، والأكراد سيجدون الفرصة سانحة حتما - للمطالبة بدولتهم .

العالم يتهيأ لصنع خريطة جديدة للشرق الأوسط ! والحمد لله أن حرب الخليج قد طالت أكثر مما كانوا يقدرون ، ولكنها لن تطول أكثر من الوقت الذى يمكننا فيه - بالكاد - أن نتدبر أمورنا ، ونلم شعثنا .

لماذا يظل تفكيرنا دائماً منحصراً فى الماضى ؟

ظلت "السياسة العربية" قروناً تتصارع حول من صاحب الحق فى الخلافة : ابو بكر أو على بن أبى طالب أو العباس بن عبدالمطلب ، بينما كان الواقع شيئا آخر . ونحن الآن نختلف ، لا حول "حق" ، بل حول "خطأه" : أى الخطأين أكبر : الاعتداء على الجار أم فتح الباب للأجنبى ؟

متى نفيق لواقعنا السياسى ؟

واقعنا السياسى ، من قديم ، هو أننا على ملتقى طرق العالم ، ولذلك لا نستطيع أبداً أن ننعزل عنه ونبنى عشنا فى هدوء . وقد أضيف إلى هذا الواقع القديم واقع جديد . واقع الثروة البترولية الهائلة فى جزء قليل السكان من منطقتنا ، جزء لا يملك فى الحقيقة مقومات الدولة الطبيعية ، ولكن أهله يخافون أن يقاسمهم جيرانهم الفقراء الثروة التى انبعها الله من أرضهم ، ولذلك بقى أكثرهم دويلات مستقلة ، ومتصارعة أحياناً .

مصر - ولمصر أكتب - غنية بما حباها به الله ، ولكنها لا يمكن أن تتجاهل دورها . وقد حان الوقت لتقول لجيرانها - دون أن تتخلى عن أدبها المعهود ! : إما اتحاد عربى حقيقى (جيش واحد ، تمثيل سياسى واحد ، مشروعات كبيرة مشتركة) وإما .. لكم طريق ولى طريق .


EGYPTAIR
مصر للطيران



ابريل ١٩٩١ ● ٧٥ قرشاً

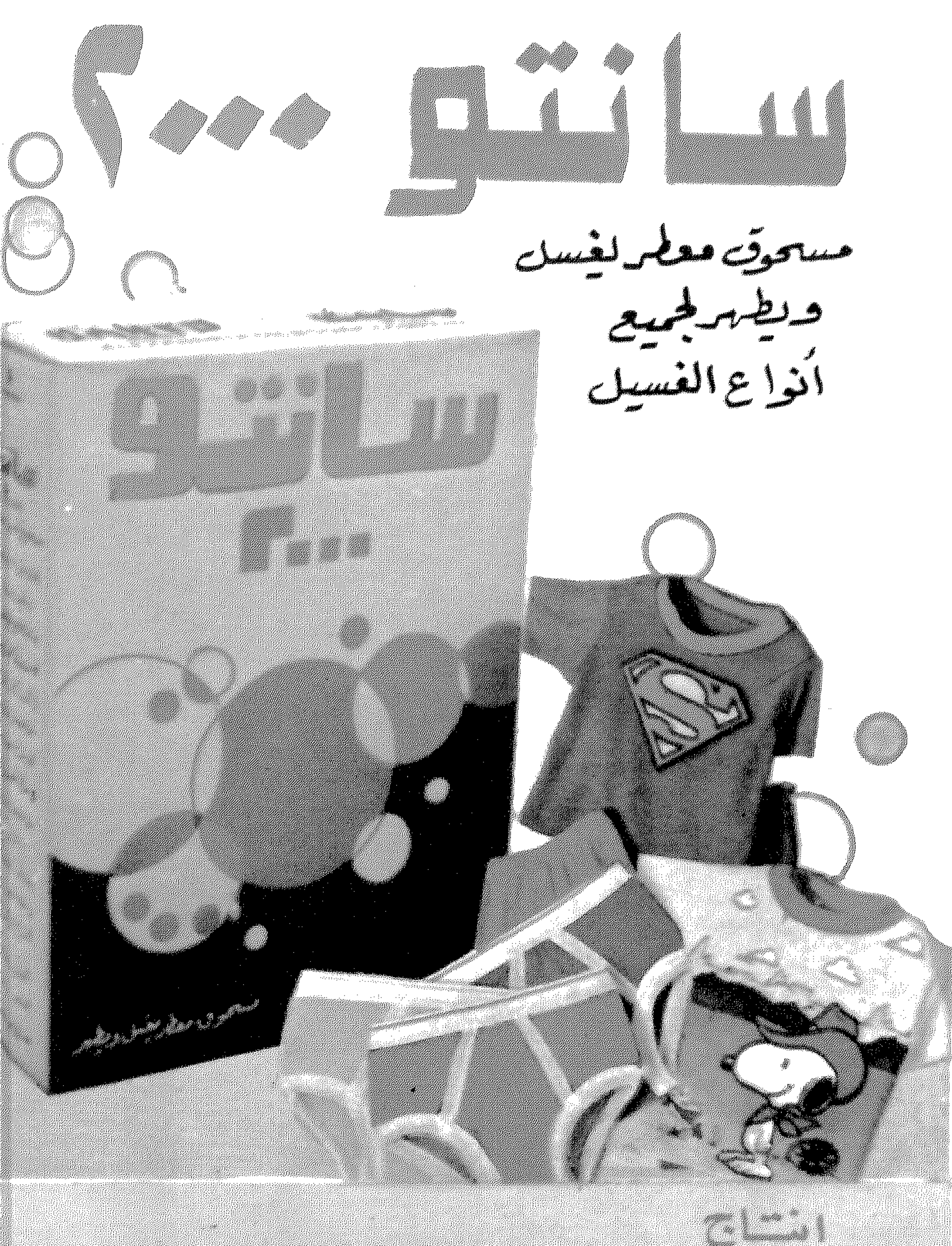
رمضان في المأثورات الشعبية

الخلل في الحركات الإسلامية المعاصرة

معمار ألف ليلة وليلة

ابيض وأسود

قصة قصيرة


سانتو ٢٠٠٠
مسحوق معطر لغسل
ويطهر لجميع
أنواع الغسيل

الهلال

مجلة ثقافية شهرية تصدرها دار الهلال
أسسها جرجي زيدان عام ١٨٩٢

السنة الثامنة والتسعون • ابريل ١٩٩١ • رمضان ١٤١١ هـ

الإدارة : القاهرة ـ ١٦ شارع محمد
عزالعرب بك (المبتديان سابقا)
ت : ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط)
المكاتبات : ص.ب : ٦١٠ العتبة ـ
الرقم البريدي : ١١٥١١ ـ تلغرافيا
المصور ـ القاهرة ج.م.ع.
مجلة الهلال ت : ٣٦٢٥٤٨١
تلكس : 92703 Hilal un
فاكس : FAX : 3625469

إن ألف ليلة وليلة بقدر ما فيها من إثارة ومتعة لدى قراءتها أو سماعها، تستأثر بالدراسات الفنية لكي تبرز الجوانب العديدة التي تحفل بها. وبذا فإن لها بريقا خاصا ومتعة بين عشاقها ودارسيها.

وألف ليلة وليلة أشهر كتب القصص الشعبي العربي، الذي كتب بلغة بين الفصحى والعامية يتخللها شعر مصنوع. تمتلئ قصصها ببيئات شتى خيالية وواقعية وأكثر هذه البيئات الواقعية بروزا مصر ثم العراق وسورية.

وفي هذا العدد يتناول د. كمال نشأت معمار الحكاية في ألف ليلة وليلة وهي دراسة تبرز أهمية الحدث والمكان والزمان. فضلا عن أن كاتب ألف ليلة وليلة لم يكن همه التحديد. فمن ناحية الزمان اكتفى كتاب ألف ليلة وليلة بنسبة الأحداث إلى الماضي لأن الحدث لا يقع بطبيعته إلا قبل روايته. ومن هنا كانت الابتداءات التي تقع في مفتتح أغلب حكايات ألف ليلة وليلة.

ولقد بين الكاتب أهمية الأسلوب الذي حبب من يقرأ ألف ليلة وليلة أو يسمعها فهو أسلوب بسيط يكاد يكون أسلوب الحياة اليومي، حين نقارن بينه وبين الأسلوب الأدبي الذي كان سائدا عبر العصور المختلفة.

في هذا العدد

فكر وثقافة

الغلاف تصميم
الفنان محمد ابو طالب



قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) في جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفي بلاد اتحادى البريد العربي والافريقي والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى . وفي سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفي الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دائرة الحوار

فنون

رسائل صحفية

قصة وشعر

الأبواب الثابتة

ثمن النسخة

الأردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ١٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، الجمهورية اليمنية ١٠ ريالات يمنية ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر ٧ ريالات ، الأمارات العربية المتحدة ٧ دراهم ، سلطنة عمان ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، انجلترا ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٧٠٠ ليرة ، الولايات المتحدة الأمريكية ٤٠٠ سنت ، كندا ٥ دولارات ، السودان ١٥ جنيها سودانيا .

شهر رمضان يجمع الشمل

شهر رمضان عند المسلمين جميعا هو الشهر الذى انزل الله فيه القرآن على نبيه الكريم ، لقوله تعالى : «شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» ..

ولكن المسلمين الذين يتفقون جميعا على ان رمضان هو الشهر الذى نزل فيه القرآن ، لم يتفقوا بعد على طريقة رؤية هلال رمضان ، وهي مسالة شكلية في الحقيقة ، لان رؤية الهلال بالعين المجردة هي نفسها رؤيته بالتلسكوب ، فالعين المجردة هي التي ترى من خلال التلسكوب ، كما ان الحساب الفلكي لظهور الهلال هو نوع من الرؤية بالعين المجردة ، لان الحسابات الفلكية لا يقوم بها العميان ، وانما يقوم بها اناس مفتوحو العيون والقلوب الى الحد الذى يمكنهم من رؤية الهلال قبل ظهوره بمدة طويلة ، ثم لا تكون رؤيتهم هذه ثابتة الا بعد النظر الى الهلال من خلال المناظير ، بالعين المجردة ! ..

هذه واحدة من المسائل الرمضانية .

والثانية ..

ان المسلمين لا يعرفون كما ينبغي تاريخ شهر رمضان خلال اربعة عشر قرنا ، هي تاريخ الاسلام والمسلمين ، وهي جزء هام من تاريخ البشرية كلها ..

ففي شهر رمضان — في اواخر الجاهلية وقبل ان يصبح شهرا للصوم — كان النبي عليه السلام يلزم غار حراء صائما متعبدا متاملا في ملكوت الله .

وفي شهر رمضان كان اول لقاء بين الملاك جبريل عليه السلام وبين النبي في غار حراء ، حيث اقراه اولى آيات القرآن : إقرا باسم ربك الذى خلق .

وبعد الهجرة ، كانت غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة ، وبها بدا الاسلام انتصاراته .

وفي رمضان انتهت الجاهلية في الجزيرة العربية بفتح مكة في السنة الثامنة للهجرة .

وفي السنة التاسعة للهجرة كانت غزوة تبوك ذات الأثر في تاريخ الفتوح الاسلامية ، وفي السنة نفسها بايع اهل الطائف رسول الله ودخلوا في الإسلام فكانوا اخر من بايعه في شهر رمضان من تلك السنة ، وهدموا صنمهم الكبير «اللات» بعد ان قاتلوا دونه قتال المحاربين الاشداء .

وحدثت في لقاء النبي مع وفد الطائف اول محاورة من نوعها بين وفد من المشركين يريد الاسلام ، وبين النبي ، فقد عرضوا عليه مطلبين : ابقاء صنم اللات قائما لمدة سنتين بعد دخولهم في الاسلام .. واعفاءهم من الصلاة .

ولكن هذه «المساومة» التي ارادها وفد الطائف لم تنجح لانها اصطدمت بمبادىء دينية لا مساومة فيها .. وكان اول عمل لهم صوم رمضان وهم ضيوف على الرسول في المدينة المنورة ، واقامة الصلاة والموافقة على هدم اللات ! ..

وكان النبي اذا جاء شهر رمضان ، قال لأصحابه : «قد جاءكم شهر مبارك كتب عليكم صيامه ، تفتح فيه ابواب الجنة ، وتغلق فيه ابواب الجحيم» ..

ولم يزل شهر رمضان منذ فجر الاسلام يشهد انتصارات المسلمين .. ولكن هزائمهم تكاثرت بعد مجدهم الاول في عصر النبوة والراشدين والأمويين والعباسيين ، حتى ان هلال رمضان لم يعد يطلع كل عام الا على هزيمة من هزائم المسلمين في الحرب او في السلم ..

ومن حسن الحظ ـ بلا مراء ـ أن حرب الخليج قد وضعت اوزارها قبل قدوم شهر رمضان هذا العام لكي يلتئم شمل المسلمين في الصوم ، ثم في الدعاء ليلة القدر ، ثم في الحج الى البيت الحرام ، ان شاء الله .. آمين ..

أحمد

الخلل في الحركات الإسلامية المعاصرة

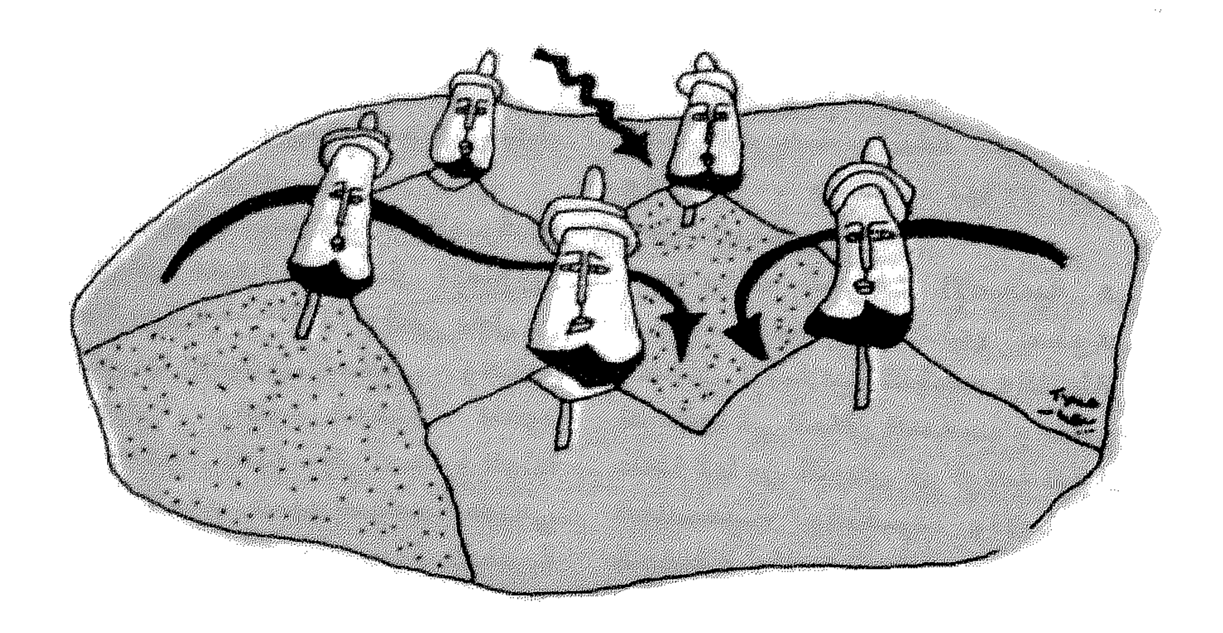
ضرورة لحسم
ثنائية :
والبديل وجدواها
والعلاقة بالآخر !

بقلم :
د. محمد عمارة

كاتب هذه الصفحات ، وإن لم يكن في يوم من الأيام قد انتسب إلى عضوية تنظيم من تنظيمات الحركات الإسلامية .. إلا أنه ليس غريبا عن أن يكتب في الموضوع .. وعلى الأقل من خلال الزاوية والجزئية التى اختار ان يفرد لها هذه الصفحات ..

فبحكم التكوين الفكرى الموروث ، الذى اتخذه سبيلا للتعلم والتعليم : الدراسة في الأزهر ودار العلوم .. وبحكم التخصص الأكاديمي في العلوم الإسلامية .. والتفرغ لقضايا الفكر الإسلامي .. كان الاهتمام بالحركات الإسلامية شاغلا اصيلا من شواغل كاتب هذه الصفحات ـ حتى في حقبة من تاريخه السياسي والفكرى كان فيها رافضا لطريق هذه الحركات ـ فبحكم العلائق .. وبحكم هذا الرفض ايضا ، كانت هذه الحركات في بؤرة الاهتمامات ..

● ولقد زادت هذه الاهتمامات ، فبلغت مستوى المتابعة للكثير من ادبيات الحركات الإسلامية .. ومواقفها ، وانشطتها ، والمد والجزر اللذين تناوبا على العديد من فصائلها .. زادت هذه الاهتمامات في الربع قرن الأخير .. وذلك منذ ان استخلص كاتب هذه الصفحات عقله ووجدانه وإسهاماته الفكرية لقضية البعث الإسلامي ، جنديا من جنود الفكر



الذين يجتهدون لتجديد دنيا المسلمين بتجديد الفكر الإسلامى ..

● ولقد تجسدت حصيلة هذه الزيادة من الاهتمام بفكر وانشطة الحركات الإسلامية المعاصرة فى عديد من الكتب والفصول والدراسات التى قدمها كاتب هذه الصفحات إلى المكتبة الإسلامية ..

فبعد دراسة الأصول التاريخية والجذور التراثية فى كتاب (تيارات الفكر الإسلامى) كانت الدراسة (تيارات اليقظة الإسلامية الحديثة) .. ثم جاءت الدراسات التى انجزتها عن الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م وجماعة الإخوان المسلمين ... وعن أبى الأعلى المودودى (١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ - ١٩٠٣ - ١٩٧٩م) والجماعة الإسلامية ... وعن سيد قطب (١٣٢٤ - ١٣٨٦ هـ - ١٩٠٦ - ١٩٦٦م) وتيار الرفض والغضب الإسلامى .. وعن جماعة الجهاد والفريضة الغائبة ...

وبعد انجاز هذه الأعمال الفكرية ، زادت اهتمامات الكاتب بادبيات فصائل تيار الرفض والغضب الإسلامى ، فاخذ يجمع هذه الأدبيات .

إذن .... فكاتب هذه الصفحات ، وإن لم يكن عضوا فى اى تنظيم من تنظيمات الحركات الإسلامية المعاصرة ، إلا انه يرجو ان تكون لديه مؤهلات الحديث فى هذا الموضوع ..

★★★

وإضافة إلى ماتقدم - وهى إضافة بالغة الاهمية - فإن الاهتمام بفكر ونشاط الحركات الإسلامية المعاصرة ، ليس لمجرد الدراسة .. وإنما هى اهتمامات مجاهد - سلاحه الفكر - بإخوة المعركة الواحدة ، ورفاق الخندق النضالى الواحد ، الذى نجاهد منه جميعا لبعث هذه الأمة وانتزاع استقلالها السليب ، وتحقيق نهضتها بالإسلام .. فهو ليس اهتمام «الأكاديمية - الحرفية» ، وإنما هو اهتمام العضو الذى يمتلك بالفكر ، اعلى مستويات الحساسية ، بسائر اعضاء الجسد .. جسد الطلائع التى تقف على أرض معسكر البعث الإسلامى الجديد ..

فهذه الحركات الإسلامية المعاصرة ، بالنسبة لي ، ليست مجرد «مادة» للدراسة .. وإنما هي :

● الأمل الإسلامي ، المرشح والمؤهل لقيادة النهضة الإسلامية المنشودة لهذه الأمة ، والتي نأمل أن تحقق لها الاستقلال الحقيقي .. والتقدم الحقيقي .. والقوة العادلة .. لتعود هذه الأمة .. ثانية ، إلى صدارة الدنيا وإمامة العالم ، تسهم إسهامها الطبيعي والمتميز في ترشيد مسيرة البشرية جمعاء ..

● وهي المالكة الوحيدة «للشوكة الفكرية» ، أي للفكر القادر وحده ، ودون سواه ، على تحريك جماهير الأمة ، وحشدها لتنتمي إلى الذات وتندفع العدوان عن هذه الذات ، ولتحقق المشروع الحضاري الذي تتحقق به وتزدهر هذه الذات .. ذات الأمة الإسلامية .. إنها المالكة لهذه «الشوكة الفكرية» ، لوقوفها ، إجمالا ، على أرض الهوية الحضارية الإسلامية .. ومن ثم فإنها المالكة لزمام حركة وتحريك الجماهير الإسلامية ، مادة وأداة التغيير .. وصاحبة المصلحة الأولى في التغيير الإسلامي المنشود .. ولذلك كان وسيظل الانعطاف الجماهيري الكبير وتعاطفها المتنامي نحو هذه الحركات .

● وهذه الحركات الإسلامية هي الناهضة بالفريضة الإسلامية الكفائية ، والمحققة للواجب الشرعي الاجتماعي .. فريضة وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. والتواصي بالحق والتواصي بالصبر على تبعات ومشاق طريق الحق .. أي أنها الطلائع الإسلامية ، التي تنهض بهذه الفريضة ، نيابة عن العامة والجمهور ، مستعينة بهؤلاء العامة وهذا الجمهور ..

● وهذه الحركات الإسلامية هي الوعاء التنظيمي الذي يستوعب الطاقات الإسلامية النشطة والفاعلة ، فيوظفها في المكان المناسب والنافع ، منقذا لها من التردي في أوعية تيارات العلمانية والتغريب والاستلاب الحضاري والمروق والإلحاد والانحلال واللامبالاة .. إنها العاصم لشباب الأمة - مادة المستقبل وعدته - من التواكلية والانحلال ، ومن السقوط في المستنقعات التي تمد التنظيمات العلمانية بالمدد الجديد والدم الجديد ..

● إنها نحن ... ونحن منها .. وبها .. ومعها .. نقف معا وجميعا في ذات الساحة ، وبذات المعسكر ، ونجاهد متكاتفين من ذات الخندق .. حتى وإن اختلفنا وخالفنا بعض فصائل هذه الحركات الإسلامية المعاصرة في بعض من الرؤى وعدد من السبل والبدائل والتصورات ..

★★★

ولذلك ... فإن النقد الذي تجتهد هذه الصفحات لتتلمس بعضا من جوانبه ، هو جزء من أداء كاتب هذه الصفحات لفريضة النصح والتناصح الإسلامية .. تلك الفريضة الكفائية ، والواجب الشرعي الاجتماعي ، الذي افترضه الله علينا تجاه هذه الحركات .. وهي تتعين على أهل الاختصاص والإمكانات ، استهدافا لتقويم المسيرة ، وترشيد المسعى ، ضمانا لبلوغ الأهداف .. "فـ

الدين النصيحة» ، لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم" ـ رواه البخاري ومسلم .. وهذه الحركات الإسلامية المعاصرة هي في موقع "الإمامة" «السياسية والاجتماعية والفكرية ـ شعبيا وجماهيريا ـ بالنسبة لأمة الإسلام وعامة المسلمين ..

ولأن هذا هو حال كاتب هذه الانتقادات لبعض من فصائل الحركات الإسلامية المعاصرة ، كان معيار هذا النقد ، الذي يحتكم إلى مقاييسه وضوابطه ، هو معيار المنهج الإسلامي ، وخصيصة النظرة الإسلامية : الوسطية الإسلامية الجامعة ، التي هي : عدل بين ظلمين ، وحق بين باطلين ، النظرة الإسلامية : الوسطية الإسلامية الجامعة ، التي هي : عدل بين ظلمين ، وحق بين باطلين ، واعتدال بين تطرفين ، وتوازن وموازنة ينفيان الخلل والاختلال ، ويضمنان النظرة الشاملة التي تبرأ من انحياز وتطرف وانغلاق النظرة الوحيدة الجانب ، التي لاترى في الظاهرة إلا أحد قطبيها ، والتي تعجز عن الجمع والتأليف بين عناصر الحق ومكوناته دونما ميل أو هوى أو انحراف .. وصدق الله العظيم إذ يقول «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» ـ البقرة : ١٤٣ ـ .. وصدق رسوله الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، إذ يقول : «الوسط : العدل «جعلناكم أمة وسطا» ـ رواه الإمام أحمد ـ ..

فمواطن «الخلل» ، التي تتلمسها وتنتقدها هذه السطور ، هي المواطن التي غابت فيها عن الحركات الإسلامية المعاصرة موازين الوسطية الإسلامية الجامعة ، سواء أكان ذلك في «الفكر» أو «الممارسة» لدى هذه الحركات ..

أما مواطن «الخلل» هذه .. فإننا نتخير منها نماذج ، هي ـ على سبيل المثال ـ :

١ ـ الخلل في فهم «التعددية» .. وفي الإيمان بجدواها :

إن الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة .. ولانبالغ إذا قلنا أكثريتها إنما تقف من مبدأ "التعددية" ، سواء في الرؤى الفكرية أو في الأوعية التنظيمية والتنظيمات الحركية ، موقف الرفض العدائي ، أو الريبة الشديدة أو الشك في شرعيتها أو في ضرورتها وجدواها ..

وهذا الرفض لهذه "التعددية" ليس نابعا من مجرد الرغبة في الانفراد بالفعل وبالقرار وبالجماهير في الساحة الإسلامية ـ وهي رغبة مفهومة ومقبولة ـ وإنما هو رفض نابع عن خلل جعل هذه الحركات لاتميز بين الأصول والمبادىء والقواعد الإسلامية التي لايجوز فيها الاختلاف ، والتي هي ، لخطرها وكليتها وثباتها ، والضامنة لوحدة الأمة ، في العقيدة والشريعة والروح الحضارية ... الخلل في التمييز بين هذه الأصول الجامعة ، وبين الفروع والجزئيات والسبل والوسائل المتعلقة بالمتغيرات ـ والمتغيرات الدنيوية على وجه الخصوص ـ وهي التي لاتضر فيها تعددية الرأى والمناهج وتعددية الدعوات والتنظيمات .. بل ربما تكون هذه التعددية ، في هذا النطاق ، مصدرا

للثراء الفكرى ، ودافعا على تحريك العقل نحو الاجتهاد والابداع ، ومنبها على الاخطاء والانحرافات ، ومرايا يرى فيها الجميع العيوب والأمراض ، فيسرعون الى علاجها والخلاص من مضاعفاتها .

لقد سن لنا تاريخ الفكر الاسلامى ، منذ عصر الصدر الأول ، سنة حسنة ، اهتدى فيها بمنهج الوسطية الاسلامية الجامعة ، وذلك عندما علمنا انه لااجتهاد فى الاصول والمبادىء والقواعد التى بنى عليها الاسلام ، اللهم الا الاجتهاد فى الفهم والتقعيد والحاق الفروع بالأصول .. فهذه هى مساحة واطار وحدة الأمة التى يمتنع فيها الاختلاف ، ومن ثم تمتنع التعددية .. أما فى الفروع التى تقام ابنيتها على هذه القواعد ، فهنا يصح ، بل ويجب الاجتهاد .. واذا كانت هذه السنة الاسلامية الحسنة قد علمتنا ان اجتهاد المجتهد غير ملزم للمجتهد الآخر ، وان لكل مجتهد مقلدين يسترشدون باجتهاداته .. فإن هذه السنة الاسلامية هى بعينها الاعلان الاسلامى عن شرعية ومشروعية التعددية الاسلامية فى هذه المساحات من الفكر وتطبيقاته ، وفى الأدوات اللازمة لذلك ومنها التنظيمات .

تلك هى سنة الاسلام التى شرعت وقننت لمبدأ التعددية فى الفكر الاسلامى وفى الممارسات الاسلامية منذ صدر الاسلام ، والتى بناء عليها وتطبيقا لنهجها كانت تيارات الاجتهاد الاسلامى مصدرا لثراء الفكر الاسلامى على عهد الازدهار الحضارى الذى سبق عصر التراجع والجمود ..

وغيبة هذه السنة الاسلامية الحسنة ، والمتميزة ، عن وعى اغلب الحركات الاسلامية المعاصرة ، هى فى تقديرى المصدر الأول فى هذا "الخلل" الذى جعلها ويجعلها تتخذ من التعددية ذلك الموقف المتراوح مابين التحريم والعداء والرفض والارتياب والنفور ! ..

واذا كانت الرؤية الصحيحة والواعية ـ نسبيا ـ لهذه القضية قد عصمت بعضا من الحركات الاسلامية المعاصرة من هذا العداء للتعددية كما هو الحال فى السودان وتونس مثلا .. فإن للاخوان المسلمين ، بمصر تجربة فى "التعايش" مع "الجمعية الشرعية" وهى ان لم تنبع من الايمان بالتعددية ، على النحو الذى نتحدث عنه الا انها تستحق الدراسة كنموذج لأفق يرى اتساع العمل الاسلامى فى الحركات ، التى تركز كل منها على ميدان لايكون موطن التركيز لدى الاخرى .. انها نماذج ايجابية ، لكنها تظل جزئية ، كما تظل الاستثناء الذى يؤكد سيادة قاعدة «الخلل» الذى أصاب ويصيب موقف الحركات الإسلامية المعاصرة فى هذا المقام .. مقام «التعددية»فى الرؤى وفى التنظيم .. وحظه من «الإسلامية» ، ومن «الضرورة» فى واقع العصر الذى نعيش فيه ..

٢ ـ الخلل فى علاقة «الذات» بـ «الآخر» :

لو أن «الواقع» فى ديار الإسلام قد ظل " إسلاميا خالصا ، يسود فيه منهج النبوة ، على النحو الذى حدث فى الصدر الأول للإسلام ، لما دعت الدواعى إلى قيام «الحركات الإسلامية»

لكن هذا التمنى هو مما تأباه سنن الله فى تطور المجتمعات ، كل المجتمعات ..

وفى حال «الواقع» الإسلامى ، فإن الفتوحات الجديدة قد أدخلت إلى الأمة والدولة والفكر «آخر» شاب نقاء المنبع الإسلامى بشوائب منها ماكان نافعا ومنها ماكان ضارا فأصاب التصورات الإسلامية والواقع الإسلامى بتشوهات أو غبن تفاوتت آثاره فى الخطر والتأثير ..

ولقد تزامل مع هذا الوافد ، الذى أتت به الفتوحات ومواريث أمم البلاد المفتوحة ، ثمرات القرون التى تتوالى ، والتى تأتى فى صورة بدع ومستحدثات تطرأ على العقائد والشرائع ، إن بالزيادة أو الانتقاص أو التحريف والتشويه .

فلما جاء الحين الذى تراكمت فيه هذه الآثار ـ وغيرها ـ فدخلت بعصر الازدهار للحضارة الإسلامية منعطف التراجع والجمود والفقر فى الابداع ، تصادف أن كانت السيادة على "الدولة" فى ذلك المنعطف للعسكر الترك المماليك فساد فى حضارتنا لعدة قرون ماتواجهه الحركات الإسلامية الحديثة والمعاصرة من تحدى «التخلف الموروث» ! ..

ثم حدث أن عاجلت الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة بواكير يقظة الإجتهاد الإسلامى التى نهضت لتخليص الأمة من هذا "التخلف الموروث" عاجلت الغزوة الاستعمارية بواكير يقظة الاجتهاد الاسلامى فاجهضتها ، ثم أضافت إلى شوائب «التخلف الموروث» شوائب «التغريب» التى رعتها سلطات الاحتلال ومؤسساته الفكرية والتعليمية والإعلامية .. فأضيف إلى تحدى التخلف الموروث تحدى الاستلاب الحضارى الذى يمسخ وينسخ ويشوه الهوية الإسلامية لفكر الأمة ولمواقعها . فكانت «البلوى» التى استنفرت حدتها ، عندما أوشكت على العموم ، ضمير الأمة وعقلها ووجدانها ، فردت عليها ذلك الرد الإيجابى الذى تمثل فى الحركات الاسلامية التى عرفتها ديار الإسلام منذ جمال الدين الافغانى و «العروة الوثقى» وحتى الحركات التى نعنيها بالحديث فى هذه الصفحات ...

إذن ... فالحركات الإسلامية المعاصرة لاتنفرد وحدها بالعيش والحركة فى واقع ديار الاسلام .. إنما معها «آخر» يزاحمها فى الفكر والواقع الذى تعيش فيه .. وهنا نلمح خللا فى علاقة هذه الحركات الإسلامية بهذا «الآخر» ..

وعلى سبيل المثال ... فإن هيمنة النموذج الحضارى الغربى على مؤسسات الفكر والتعليم والإعلام فى بلاد الإسلام ، قد صنع من أبناء هذه الأمة تيارا متغربا ، يتبنى مذاهب الغرب الوضعية ، ويدعو إلى علمانيتها .. وهذا الآخر ـ العلمانى ليس كل من فيه عميلا يسعى إلى إلحاق ديار الإسلام بالمركز الغربى ، ويعادى نهضة الأمة وقوتها واستقلالها ... فإلى جانب قلة من العملاء .. وإلى جانب قلة من العلمانيين الثوريين ، الذين تطمح علمانيتهم إلى نقض الدين والتدين ، وليس فقط إلى فصل الدين عن الدولة ـ والخلاف مع هؤلاء هو خلاف فى

الأصول ، وليس خلافا فى الفروع إلى جانب هذه القلة من العملاء ومن الزنادقة وأعداء الدين والتدين ، هناك ـ فى صفوف الآخر ـ العلمانى ـ كثرة سلكت ـ سبيل التغرب والعلمانية لأسباب كثيرة ، منها طبيعة النشأة والتكوين الفكرى .. ومنها رجحان كفة «الخيار الغربى» ، عندما قارنوه بصورة «الخيار الإسلامى» على النحو الذى كان سائدا فى عصر التراجع والجمود ـ ولقد حسبوه هو الإسلام ، وظنوا انه الخيار الإسلامى الوحيد .. ومنها ذلك «الاجتهاد الخاطئ» الذى اعتقد أصحابه أن استعارة «النموذج الغربى» هى السلاح لمواجهة الغرب ، ولاستخلاص الوطن والأمة من استعماره ..

وهذا القطاع من العلمانيين المسلمين هو الذى نقول إن علاقة الحركات الإسلامية المعاصرة به يسودها «خلل» كبير وأكيد ..

إن الأغلبية الساحقة من الحركات الإسلامية قد أسقطت هذا القطاع من العلمانيين من حساب «الإمكانات» التى عليها أن تتعامل معها وأن تجتذبها إلى صفوفها .. أو على الأقل الانتقال بهم من صفوف الأعداء إلى صفوف «الأصدقاء ـ المتفهمين ـ أو المحايدين» ! ..

لقد وقفت أغلب الحركات الإسلامية من هؤلاء العلمانيين ـ القابضين على أغلب وسائل التأثير والتوجيه فى الواقع الإسلامى ـ موقف الجهل بدوافعهم إلى العلمانية ، والتجاهل للإضافات الهامة التى يمكن أن يضيفوها إلى المشروع الإسلامى إن هم فهموا حقيقته .. فكان الانصراف عن الجهد المطلوب لاكتشاف نقاط الاتفاق ، وتنميتها ، محاصرة وتقليصا لنقاط الخلاف مع هذا الآخر ـ العلمانى ـ.

كذلك ، يسود هذا «الخلل» فى علاقة «الذات ـ الفكرية» لدى الحركات الإسلامية بـ «الذات ـ الفكرية» للآخرين .. فعلاقة الأغلبية الساحقة من الحركات الإسلامية بنظريات الآخرين ومناهجهم فى البحث والتفكير ، يسودها خلل الجهل أو التجاهل ، أو هما معا ! .. الأمر الذى يقف بهذه الحركات عن إطار وحدود «النقيض» و «رد الفعل» للحركات العلمانية ونظرياتها ومناهجها ، على نحو يتسم بالعموم و الاطلاق .. تجهل مايعلمون ، وتعلم مايجهلون ، الأمر الذى يكرس ويؤبد هذا الانقسام الذى فرض على عقل الأمة وطاقاتها ، والذى يجعل بأسها شديدا بين أبنائها ، كما يهدد طاقاتها بالتبديد عندما يقف الفريقان عند وضع «شد الحبل» هذا ، دون غالب أو مغلوب ؟! ..

والأمر الذى لاشك فيه هو وجوب خروج الحركات الإسلامية من وضع «رد الفعل» للحركات العلمانية ، إلى وضع «البديل» الذى لايقنع بالجهل والتجاهل لما لدى «الآخر» ، وإنما يسعى جاهدا لامتلاك الوعى بما لدى الآخر ، سواء منه مايدخل فى إطار «النافع» الذى يستلهم ، أو «الضار» الذى يعين الإدراك له على فعالية التحصن من الوقوع فى حبائله ، وعلى جدوى النقد له ، لننقذ من أسره الآخرين !

كذلك تشهد علاقة الحركات الإسلامية بـ «الآخر» ، الخارج عن عضوية تنظيماتها خللا متفاوت

الدرجات لدى هذه الحركات .. فمنها المغالى الذى يرى فى جماعته كل جماعة المسلمين ! .. ومنها المعتدل الذى يرى جماعته جماعة من المسلمين ، لكنه ينظر بالتجاهل أو التعالى أو الإهمال إلى كل من هو خارج دائر «التنظيم» ! ..

٣ – الخلل فى العلاقة بين «المحلية» وبين «العالمية» الإسلامية :

إن الكثير من «تصورات الفكر» لدى الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة قد خلطت بين وحدة الإسلام الدين ، كوضع إلهى فى العقيدة والشريعة ، لم ولن يعرف التعددية فى الأصول والقواعد والمبادىء والأركان .. خلطت بين هذا الإسلام الواحد ، وبين «تصورات الفكر الإسلامى» التى من الممكن ، بل ومن الواجب والطبيعى أن تتعدد لتعدد المكونات والمنطلقات التى تسهم – مع الإسلام الواحد – فى صياغتها وتحديد معالمها ..

فإلى جانب وحدة الإسلام ، التى تثمر وحدة الفكر الإسلامى فى العقيدة وفى الشريعة .. هناك «الفكر الإسلامى» الذى يدخل «الواقع الإسلامى» عاملا من عوامل إفرازه وتحديد معالمه ، وهو الفكر الذى تتميز تصوراته بتميز الواقع فى ديار الاسلام عبر الزمان والمكان .

لكن الخلل الذى أصاب ويصيب تصورات كثير من الحركات الإسلامية للعلاقة بين هذين المستويين من مستويات النسق الفكرى الإسلامى ، قد جعلت وتجعل الكثير من هذه الحركات ، فى «الفكرة» تنحو نحو «تجريد نظرى» يتصور – تبعا لوحدة دين الإسلام – عالم الإسلام وواقع دياره نسقا واحدا متسقا لا يعرف الفوارق فى مستويات التطور ولا الاختلاف فى الأعراف والعادات والمذاهب والتصورات ...

أما فى "الممارسة والتطبيق" ، فإن هذه الحركات تستغرق – إلى حد الغرق – فى «المحلية» التى تجعلها متكلفة على واقعها المحلى دون سواه ، حتى لتلف بأغلب اهتماماتها عند خصوصيات الإقليم الضيق الذى تعيش فيه ، فتعيد إلى عالمنا المتشابك صورة «القبائل» التى لا ترى أبعد من عالم مضارب الخيام التى تعيش فيها ؟! ..

وإذا كانت الحركات الإسلامية – وهى كذلك : طلائع أمة وليست طلائع طبقة ، وإذا كانت هذه الأمة تعيش فى وطن يمتد من «غانة» إلى "فرغانة" مشتملا على تمايزات فى الواقع والمواريث ومستويات التطور والمصالح والاهتمامات والطموحات والمشكلات والأعراف والعادات وطرائق العيش وأسبابه ، بل والمناخات .. إلخ .. إلخ .. فمن الطبيعى أن تكون هناك أهمية لعلاقة تبرأ من الخلل ، وتقيم التوازن بين ماهو «واحد» وما هو «متعدد» فى النسق الفكرى للإسلام والمسلمين .. وبذلك تتزامل «المحلية» و «العالمية – الملية – الإسلامية» ، دونما خلل أو إهمال لأى منهما لحساب الآخر أو على حسابه ، كما هو حادث الآن عند الكثير من هذه الحركات ..

التغلب على غواية

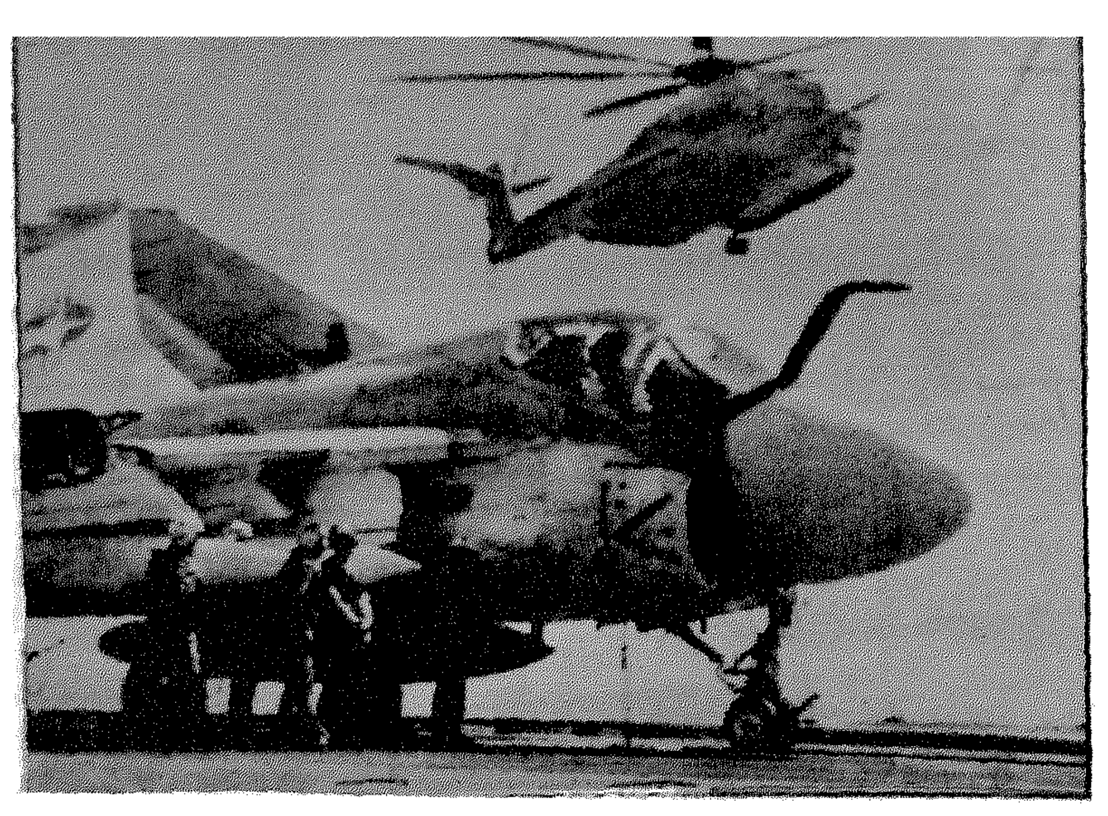
« غطرسة القوة »

بقلم: د. أحمد صدقي الدجاني

يدخل عالمنا المعاصر عقد التسعينات من القرن العشرين ، وقد انفردت الولايات المتحدة الامريكية عمليا بصفة «القوة الأعظم» بين دوله . وذلك بعد ان قادت تحالفا دوليا تحت علم الأمم المتحدة ومظلة الشرعية الدولية فى حرب منتصرة ضد العراق ارغمته فيها على الانسحاب من الكويت التى اجتلحها جيشه يوم ٢ /٨/ ١٩٩٠ . وقد بدات هذه الحرب يوم ١٧ /١/ ١٩٩١ وانتهت يوم ٢٨ / ٢ / ١٩٩١ . وكانت أول حرب تخوضها الولايات المتحدة بعد حدوث الانهيار للشيوعية فى أوروبا الشرقية وما يصطلح على تسميته بالعالم الثانى .

تضع صفة «القوة الأعظم» الولايات المتحدة أمام اختبار محدد ، واجهته جميع الدول التى تتابعت فى حمل هذه الصفة عبر مراحل التاريخ . وهذا الاختبار هو فى استخدام القوة هل ستستخدم لاقرار العدل أم للتجبر والطغيان ؟ أتكون قوة غاشمة تنكر القيم العلا الإنسانية ، أم قوة راشدة تذود عن هذه القيم العلا الانسانية بعد ان تستلهمها ؟

يعلمنا التاريخ أن الدول التى حملت صفة «القوة الأعظم» ، تعرضت دوما للوقوع فى غواية ما يسمى اليوم «غطرسة القوة» وهو ما كان يسمى هذا منذ القدم «الطغيان» . والغطرسة فى لساننا العربى «الأعجاب بالشىء والتطاول على الأقران والظلم والتكبر» ، والطغيان هو «مجاوزة القدر والغلو فى الكفر والعصيان» . ويعلمنا التاريخ ايضا أن عواقب الوقوع فى غواية «غطرسة القوة» وخيمة جدا .





بوش ريجان روزفلت

الأمر الذى يدعو الى العمل للحيلولة دونه . وهذا يقتضى بداية وقفة أمام هذا المصطلح .

يقترن مصطلح «غطرسة القوة» عندى «بوليام فولبرايت» عضو مجلس الشيوخ الأمريكى فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، الذى قدم عصارة تجربته عام ١٩٦٦ فى كتاب حمل هذا الاسم . واذكر اننى قرأت الترجمة العربية للكتاب آنذاك ورجعت إليه عدة مرات فى العقدين الماضيين . وحين نشبت أزمة الخليج وجدت المصطلح يبرز أمامى يوميا وأنا أتابع مجرياتها . وقد بدا لى اننا فى لحظة تاريخية تشهد تفاقم الاخطار الناجمة عن «غطرسة القوة» ، وتتطلب تضافر جهود «الحكماء» لحماية البشرية من تفجر هذه الأخطار . كما بدا لى أن رؤية فولبرايت المستقبلية كانت نافذة سابرة . ولم استغرب ذلك لأن الرجل كما يكشف سجله كان «انسانيا فى نزعته» ، وقد بلور رؤيته

التغلب على غواية « غطرسة القوة »

بعد أن خدم فى مجلس الشيوخ عضوا من الحزب الديمقراطى عن ولاية أركنساس ثم رئيسا للجنة العلاقات الخارجية لأربع فترات ، وكان قبلها عضوا فى مجلس النواب منذ عام ١٩٤٢ ، وهو الذى قدم مشروع قرار باسمه اعتبر أول دعوة لاقامة الأمم المتحدة ولمشاركة بلاده فيها .

لقد جاءت هذه اللحظة التاريخية التى تشهد تفاقم أخطار غطرسة القوة بعد ربع قرن من التحذير الذى اطلقه فولبرايت بشأنها . وجوهر هذا التحذير هو أن «الميل المعاصر فى السياسة الخارجية الأمريكية يتجه نحو مزيد من العنف والعدوان ، أى نحو السياسة الأقرب الى روح تيودور روزفلت بعيدا عن السياسة الأقرب الى روح ابراهام لينكولن» ، وأن «اللغة الوطنية الأمريكية تتغير تبعا لذلك فتركز على القوة وشئون الحرب ، وأن الديلوماسية هى الأخرى تتحول الى مجرد العناية بالصورة والشكل والى الحديث عن تفاصيل الحرب والمواجهة النووية والتصدى للثورة بدلا من التاكيد على خطط التحول الاجتماعى » كان فولبرايت قد وصل الى هذه الرؤية المستقبلية للسياسة الخارجية الأمريكية . بعد أن نظر فى حصيلة ربع قرن أمضتها الولايات المتحدة فى «السلطة الدولية» كقوة عظمى ، وبدا له أن بلاده شهدت خلال تلك الفترة توزعا بين اتجاهين بلغ حدا من الشدة جعله يرفع صوته قائلا : «إن هناك اليوم أمريكتين . امريكا لنكولن وادلاى ستيفنسون وأمريكا تيودور روزفلت وغلاة الوطنيين المحدثين . الأولى نزعتها انسانية والأخرى تحكمها الانانية وضيق الأفق . الأولى تنقد ذاتها ، والأخرى تؤمن بأنها دائما على صواب .. الأولى حكيمة متزنة والأخرى حمقاء فى استخدامها للقوة الشديدة» .

● ماهى «غطرسة القوة» ؟

نبدأ بتعريف فولبرايت لها مادمنا قد استحضرنا حديثه عنها . «إنها حالة نفسية تعترى الأمم التى تبدو اتباعها الامة فى حاجة نفسية الى أثبات أنها أكبر من أمم أخرى وأفضل وأقوى» . وهى لامفر مؤدية بمن تعتريه إلى خوض الحرب التى تعزى أسبابها الى الأرض والأسواق والمصادر الطبيعية والدفاع عن المبادىء العظيمة أو التمكين الخالد لها ، وهذه جميعها لاتعدو أن تكون أيضاحات أو معاذير لقوى محركة فى الطبيعة البشرية تتجسد فيما اسميه «غطرسة القوة» . وأحد الأمثلة التى ضربها فولبرايت من تاريخ بلاده الحديث إقدام الولايات المتحدة على الحرب عام ١٨٩٨ لما اسمته «تحرير كوبا من الطغيان الاسبانى» ، «الا انها بعد أن فازت بالحرب التى كانت اسبانيا تود لو دفعت ثمنا غاليا لتفاديها ، وضعت الكوبيين تحت حمايتها وفى الوقت نفسه ضمت اليها الفيلبين لأن الله ـ كما قال الرئيس ماكينلى ـ الهمه أن واجب امريكا تعليم ابناء الفيلبيين وتحضيرهم ونشر المسيحية بينهم ، وأن يفعل افضل ما يستطيعه لهم كرفاقنا الذين ضحى المسيح من أجلهم » !!!! وقد تابع

فولبرايت القول مطلقا «اليس من المثير حقا أن يكون الصوت منسوبا لله فى حين أن الكلمات هى لتيودور روزفلت وهنرى كابوت لودج والادميرال ماهان ، مستعمرى عام ١٨٩٨ الذين ارادوا أن تكون لأمريكا امبراطورية لمجرد أن بلدا قويا مثل امريكا لابد أن تكون له امبراطورية . ولقد عبر البرت بيفردج الذى انتخب بعد ذلك مباشرة لعضوية مجلس الشيوخ الأمريكى عن روح ذلك العصر بإعلانه ان الامريكيين جنس فاتح «ولابد أن نطيع دماءنا ونحتل اسواقا جديدة واراضى جديدة اذا لزم الأمر ، لأن فى الخطة القوة اللانهائية لابد أن تختفى الحضارات الوضيعة والاجناس المتعفنة أمام الحضارات السامية للانسان الأقوى والأعظم نبلا»

● المغامرة الاستعمارية

لعل أهم ما قام به فولبرايت فى دراسته لغطرسة القوة عام ١٩٦٦ هو تتبع جذور هذه الحالة فى الأمة الامريكية على مدى قرن من الزمان منذ الحرب الأهلية الامريكية ، ثم تشوفه لمستقبلها وتحذيره من تفاقمها كظاهرة . وقد تحدث بصراحة عن «الصليبيين المتعصبين» الذين عانى منهم الجنس البشرى أشد المعاناة بسبب ما فعلوه بالغير باسم «تحضيرهم» و«تطهير أرواحهم» و «ارغامهم على الخلاص» . وأوضح أن المجتمعات الغربية لديها فى تكوينها عناصر لمثل هذا اللون من التعصب الى جانب ما لديها من عناصر انسانية . وقد جاء هذا التعصب الى الولايات المتحدة مع المتعصبين الذين قدموا الى « نيو انجلاند » فى القرن السابع عشر ، واصبح اسلوبهم فى التفكير الذى يعدُّ «القلة بالخلاص ، ويفرض اللعنة على الكثيرين» قوة فكرية اساسية فى الحياة الامريكية وهكذا رأى فولبرايت أن هذه الحياة تشهد عنصر التعصب يتصادم مع عنصر التسامح والاعتدال والتجربة الذى حمله المستنيرون الاوروبيون المهاجرون .

لقد تجلت «روح امريكا الصليبية» كما يقول فولبرايت «فى المغامرة الاستعمارية عام ١٨٩٨ التى ادت الى الحرب مع اسبانيا ثم الى مبدء نصف قرن من التدخل الامريكى فى شئون كوبا الداخلية» واتضحت هذه الروح الصليبية فى صورتها الجديدة بعد دخول امريكا فى الحرب العالمية الأولى حيث تحول الرئيس ولسون من الحديث عن السلام الى الحديث عن «القوة ، والقوة فى اقسى مظاهرها وطاقتها واقصاها ، القوة دون هوادة وبلا حدود ..» ولم يسلم فرانكلين روزفلت المشهور بسياسته العملية من هذه الروح الصليبية ، كما يقول فولبرايت ، «فنسى إثر الهجوم اليابانى الغادر على بيرل هاربر أحد المبادىء التاريخية الامريكية وهو حرية البحار واصدر أمره الى كل السفن الامريكية فى الباسفيك بأن تقوم بشن حرب بالطائرات والغواصات غير محدودة ضد اليابان . وأغرقت الغواصات الامريكية ١٧٥٠ سفينة تجارية يابانية ، وأودت بحياة ١٠٥ الاف من المدنيين بين عامى ١٩٤١ و ١٩٤٥ ، وكم كان هذا الثمن فادحا لحرية البحار .

كان تحذير فولبرايت بلاده من أن تصبح رهينة اسر حالة «غطرسة القوة»

على المتغطرسين ، وتعبير عن استشعار خطر الغطرسة .

التغلب على غواية « غطرسة القوة »

شديداً . وأعتبر أن التحدى العظيم فى السياسة الخارجية الامريكية هو أن تتحرر من هذه الحالة وتتبنى التيار الانسانى وتركز همها على «بيتها الداخلى» ونظامه . وقد مضى على هذا التحذير ربع قرن بطوله حدثت خلاله أمور وأمور فى الولايات المتحدة أوصلتنا الى هذه اللحظة التاريخية التى تشهد تفاقم أخطار غطرسة القوة الى درجة تتطلب تضافر جهود «الحكماء داخل الولايات المتحدة وخارجها لحماية البشرية من تفجر هذه الأخطار ويكفى أن نشير من بين هذه الأمور الى اقتران الروح «الصليبية» العنصرية بالروح «الصهيونية» العنصرية فى فترة العهد الكيسنجرى إبان حكم نيكسون وفورد بين عامى ١٩٧٠ و١٩٧٦ ومقاومة الروح الصليبية الصهيونية العنصرية التى تولدت عنهما للدعوات المؤيدة لحقوق الانسان ابان حكم الرئيس كارتر بين عامى ١٩٧٦ و ١٩٨٠ ، والمجاهرة بالهيمنة المنفردة وبالرسالة «التحضيرية» وحكم العالم ابان حكم الرئيس ريجان بين عامى ١٩٨٠ و ١٩٨٨ . وهكذا اقتصرت اللغة المستخدمة على القوة والحرب ، وجاهرت الدبلوماسية باسقاط «العدل» من الحساب وبغرض القبول بما تعرضه والاستسلام غير المشروط . كما نشير الى تنامى التيارات ذات النزعة الانسانية فى اوساط امريكية عدة داخل المجتمع المدنى كرد

● الشرعية الدولية

إن هذه التيارات تنبه استمرارا لما فعل فولبرايت الى أن غطرسة القوة هى دليل على الافتقار الى الثقة بالنفس ، وليس كما قد يبدو للبعض وهم ينظرون الى السطح انها ناجمة عن افراط الثقة بالذات القومية . فهذا «الافتقار» الى الثقة بالنفس هو الذى يدفع صاحبه الى الانشغال عن معالجة أمور «بيته الداخلى» بالتدخل فى أمور الغير والقيام بمغامرات خارجية . وهو الذى يدفع صاحبه الى المغالاة فى تصرفاته . وقد توقف فولبرايت فى كتابه أمام أعلان الرئيس فرانكلين روزفلت فى يناير عام ١٩٤٣ إثر اجتماعه بتشرشل فى الدار البيضاء ، الذى قال فيه «إن الحلفاء سوف يقاتلون حتى يستسلم اعداؤهم دون أى شروط ، فاستغرب صدور هذه العبارة من رجل عرف بأنه عملى ، وعلق على قول روزفلت عنها بأنها «طفرت فى ذهنه لساعتها» بقوله «إنها طفرت من أعماق روح التعصب . وكان أساسها الاعتقاد بأن جانبنا فاضل وجانب الأعداء شرير ، ولايمكن لهم من ثم ان يتوقعوا بحكم العدالة بعد سقوطهم الا العقاب . ومبدأ الاستسلام غير المشروط مبدأ غير حكيم لأنه فضلا عن سلبيته كهدف من أهداف الحروب وحقيقة انه يطيل مدى الحرب فإنه عند التنفيذ غير عملى ، وكم من مرة تحول اعداء الأمن الى أصدقاء . وقد قارن فولبرايت بين دولتين اهملتا لفترة طويلة

البيت الداخلى وأمور تنميته وتنظيمه فى القرن الماضى وهما الدولة العثمانية والامبراطورية النمساوية فانهارتا ، وبين الولايات المتحدة التى انفقت القرن الماضى فى تنمية قارتها فظهرت قوة دولية فى القرن العشرين .

لابديل أمامنا إذا اردنا أن ننقذ أمن الارض من اخطار غطرسة القوة فى عصرنا عن أن يتحد اصحاب النزعة الانسانية ويعملوا معا كى تحكم القيم الانسانية العلا القوة ، فتصبح راشدة ، ويقر العدل فيسود السلام . ولابد لعملهم هذا أن يشمل جميع القضايا المطروحة فى عالمنا لمعالجتها وفق هذا المنظور ، على أن يكون التركيز فى بداية مرحلة ما بعد حرب الخليج على أكثر هذه القضايا الحاحا . وواضح أن هناك اجماعا دوليا اليوم على أنها قضية فلسطين والصراع العربى الصهيونى .

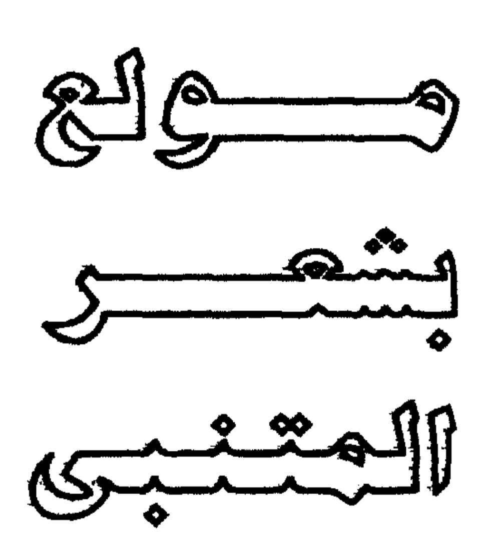
إن أنظار العالم متجهة اليوم الى الولايات المتحدة الأمريكية لترى كيف يكون تصرفها ازاء هذه القضية بعد أن حملت صفة القوة الأعظم فى عالمنا ، وخاضت حربا باسم «الشرعية الدولية» تبنت فيها شعار «التحرير» ، وتمسكت بتنفيذ قرارات مجلس الأمن التى أسهمت بنصيب وافر فى صياغتها تنفيذا كاملا . فهل ستعتمد الولايات المتحدة «الشرعية الدولية» فى قضية فلسطين ؟ وهل ستقبل تبنى شعار التحرير بشأن الأراضى الفلسطينية والعربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ؟ وهل ستستخدم قوتها الاعظم لإرغام اسرائيل على تنفيذ قرارات مجلس الأمن بشأن قضية فلسطين والصراع العربى الصهيونى !

هذا هو الاختبار المحدد الذى سنيتجسد فيه الجواب عن السؤال الكبير المطروح اليوم حول نجاح القوة الاعظم فى عالمنا فى تجنب الوقوع فى غواية غطرسة القوة . وإن بإمكان أصحاب النزعة الانسانية فى عالمنا أن يساعدوا الولايات المتحدة الامريكية على النجاح فى هذا الاختبار بمطالبتها بثلاثة أمور ملحة تتعلق بقضية فلسطين والصراع العربى الصهيونى .

أولها : دعوتها لتبنى شعار «تحرير الأراضى الفلسطينية والعربية المحتلة ، تعبيرا عن أعتبارها قضية فلسطين هى قضية تحرير وطن محتل وشعب يعانى من الاحتلال . وبدون هذا الأمر ستبقى الولايات المتحدة أسيرة لغة قديمة تعبر عن موقف غير عادل .

ثانيها : دعوتها لاتخاذ موقف رافض للتهجير الصهيونى لليهود من أوطانهم الى فلسطين ، تعبيرا عن أدراكها أن هذا التهجير عامل حاسم فى جر المنطقة الى حرب قادمة . وبدون هذا الأمر ستبقى الولايات المتحدة أسيرة موقف يواجه الوطن العربى بعداء .

الأخير : دعوتها لانهاء التحالف الاستراتيجى الامريكى الاسرائيلى بعد أن أظهرت حرب الخليج أخطاره على مصالحها وعدم جدواه فى حماية هذه المصالح .



مولع بشعر المتنبي



بقلم : د. محمود الربيعي

لا يعنيني ان يكون المتنبي منحدرا من اصل سقاء من سقائي الكوفة ، كما تذهب كثير من المصادر القديمة ، او ان يكون منحدرا من اصول علوية كما يذهب محمود شاكر ، لقد عير بالاولى في قول الشاعر :

اى فضل لشاعر يطلب الفضل — من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيع بالكوفة الماء — وحينا يبيع ماء المحيا

ولقد رفع عاليا بالثانية في المجهود العظيم الذي بذله محمود شاكر في كتابه الرائد الذي حاول فيه ، محبا وقادرا وصبورا ، ان يلحق المتنبي بنسب العلويين .

● اما انا فمولع بشعره ، كنت استمع اليه في الليالي القمراء في قريتي الصحراوية قبل ان اتجاوز العاشرة من عمري ، مترددا على السنة معلمي الكتاتيب والمدارس الابتدائية ، فاطرب للنغم ولا اعي الدلالة . ودرت حوله في مرحلة الطلب ، وحين لم استطع الولوج الى عالمه لضعف ادواتي ، اكتفيت بما قاله عنه الآخرون : طه حسين ، وعزام ، ومحمود شاكر ، والعقاد ، وحين واجهته ـ وكنت قد تجاوزت الثلاثين من

عمرى ـ هالنى ان الصورة التى طالعتنى من شعره مختلفة ـ كثيرا فى بعض الاحيان ـ عن الصورة التى استقرت فى ذهنى على طول السنين . كنت قد استنتجت مما سمعت وقرات عنه انه متكبر ، صلف مغرور ، وانا لا احب هذا الصنف من الناس . ولكننى الآن اعتذر اليه لأنه كان يعبر عن احساسه بالامتياز من حيث هو فنان مبتكر مبدع ، يواجه عالما لا يقدر الموهبة حق قدرها فتجنح به احاسيسه الى مثل قوله :

انى لافتح عينى حين افتحها
على كثير ولكن لا ارى احدا

او قوله :

امط عنك تشبيهى بما وكانه
فما احد فوقى ولا احد مثلى

وقد لاحظت انه يقرن احساسه بالامتياز عن غيره فى اغلب الاحيان ـ بطاقته الشعرية التى لا تقارن بها طاقة اخرى :

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى
واسمعت كلماتى من به صمم
انام ملء جفونى عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم

....

خليلى انى لا ارى غير شاعر
فلم منهم الدعوى ومنى القصائد

....

ان هذا الشعر فى الشعر ملك
سار فهو الشمس والدنيا فلك

....

ولاتبال بشعر بعد شاعره
قد افسد القول حتى احمد الصمم

....


محمود شاكر

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ
كلانا رب المعانى الدقاق
ومالقت من شعر كان بيوته
اذا كتبت يبيض من نورها الحبر
وما انا وحدى قلت ذا الشعر كله
ولكن لشعرى فيك من نفسه شعر

لقد وقفت طويلا امام ظاهرة اعتزاز المتنبى بنفسه وبشعره ، وسالت نفسى : احقا يكون هذا من الغرور والصلف والتكبر الممقوت ؟ وجاءتنى الاجابة مريحة وسهلة : اننى على استعداد لقبول ذلك من العباقرة وحدهم ، وقد كان المتنبى ـ بحق ـ احد هؤلاء العباقرة الأفذاذ . وحين اطمانت نفسى الى هذه الاجابة زدت فسالتها سؤالا آخر : اذا كنا نخلع على اصحاب المواهب المتوسطة القاب الفنانين والنجوم صباح مساء الا نقبل من المتنبى ـ وهو المتنبى ـ ان يقول عن نفسه وفنه ما يشاء ؟

مولع بشعر المتنبى

عاش المتنبى على ظهر هذه الدنيا نصف قرن من الزمان . كان سراجا كبير الشعلة فنفد زيته وشيكا . جاء وقد امتلأت بحيرة الشعر العربى واستقرت فكان حجرا كبيرا القى فيها بمجيئه ، فتموجت هذه البحيرة تموجا عاليا ، ولم تعد منذئذ الى ما كانت عليه . وهذا هو معنى القول المأثور : «ثم جاء المتنبى فملأ الدنيا وشغل الناس» . ولد سنة ثلاث وثلاثمائة هجرية ومات سنة اربع وخمسين وثلاثمائة هجرية ، وعاش فيما بين هذين التاريخين بين طلب العلم فى البادية وطموحات السياسة وكانت فرصة عمره تلك التى اتيحت له بالانضمام الى بلاط سيف الدولة فى حلب ، وهو فى الثالثة والثلاثين ، اى فى ذروة الاحساس بالحياة . قضى فى صحبة سيف الدولة عشر سنوات ثم فارقه الى مصر ، ومن مصر الى الكوفة مسقط رأسه ، ثم منها الى فارس ، ومن فارس الى العراق حيث وافته منيته فسقط مقتولا فى الطريق . وكانت حياته مضطربة واهدافه بعيدة المدى لخصها ـ واعتقد انه حققها كلها ـ بقوله :

ولا تحسبن المجد زقا وقينة
فما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتركك فى الدنيا دويا كانما
تداول سمع المرء انمله العشر .

عاش المتنبى ـ قبل اتصاله بسيف الدولة ـ فترة خاملة يقول فيها الدرر والحصى ـ على حد تعبير الشاعر احمد شوقى ـ او يصطاد ما بين الكركى والعندليب (على حد التعبير القديم) فلما إلتقى بسيف الدولة تفجرت عبقريته الشعرية فخلقت لنا تراثا عظيما هو مزيج من شعر الحرب والفروسية وشعر الاعجاب بالبطولة ، وشعر الود الشخصى الصافى . وكل ذلك عرف بالسيفيات ولهذه السيفيات خصائص يمكن اجمالها فيما يلى :

أولا : ان المتنبى يضع رأسه ـ فى هذه القصائد ـ بإزاء رأس سيف الدولة ، فشعره وموهبته يقارعان امارة الأمير وفروسيته .

ثانيا : ان السيفيات تعكس روح الاعجاب العظيم لا بشخص سيف الدولة ، وانما به من حيث هو رمز للبطولة والرجولة لكأن المتنبى كان يبحث عن نموذج كامل فى السياسة والحرب فوجده فى سيف الدولة . او هل اقول ان المتنبى كان يحن ان يكون هو نفسه هذا النموذج فوجد لنفسه معادلا موضوعيا فى سيف الدولة ، فتحقق له بذلك حلم حياته .

ثالثا : ان السيفيات تنضح بالود الذى يصل الى مرتبة المحبة . وهذا هو السبب فى انها تحفل بالمقاطع الطويلة التى يختلط فيها المدح بالغزل .

ليس حب المتنبى سيف الدولة حبا من اجل الحياة الناعمة التى يوفرها له ، وانما هو حب عقيدة ، حب لا يعمى بالمشاعر . وانما يصلح بالعقل :

احبك يا شمس الزمان وبدره
وان لامنى فيك السها والفراقد

وذاك لان الفضل عندك باهر
وليس لان العيش عندك بارد
فان قليل الحب بالعقل صالح
وان كثير الحب بالجهل فاسد

ولقد اصبح سيف الدولة سيفا وأسدا وبحرا ، ولكن هذه العناصر بما تحمل من ظلال توضع في سياق يجعلها تبرز في ضوء جديد :

تهاب سيوف الهند وهي حدائد
فكيف اذا كانت نزارية عربا
ويرهب ناب الليث والليث وحده
فكيف اذا كان الليوث له صحبا
ويخشى عباب البحر وهو مكانه
فكيف بمن يغشى البلاد اذا عبا

على ان هذا البحر الذى هو سيف الدولة ليس دائما مصدر خوف ، وانما هو كذلك في احيان فقط :

هو البحر غص فيه اذا كان راكدا
على الدر واحذره اذا كان مزبدا

وهكذا يتجلى معنى الحب الحقيقي : فهو حالة تتارجح بين الخوف والرجاء ، وبين السخط والرضا :

وبين الرضا والسخط والقرب والنوى
مجال لدمع المقلة المترقرق
واحلى الهوى ما شك في الوصل ربه
وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

ومع ذلك ترك المتنبي سيف الدولة الى مصر ! فلماذا تركه ؟ لقد اجتهد كثير من الدارسين في تعليل هذا الترك ، ولا اراه الا يكمن في نوع من الصراع الخفي بين عبقريتين متكافئتين متحابتين متنافستين تمسك احداهما بميزان القوة ، وتمسك الأخرى بميزان الابداع والابتكار وكان لابد ان تجيء اللحظة التي يصبح فيها الصدام حتميا وجهيرا . وقد حصل ، فجاء المتنبي الى مصر وقد تدنت روحه المعنوية لانه فقد المثير الذى يحفزه الى التحدى :

اقمت بأرض مصر فلا ورائي
تخب بي المطي ولا أمامي
وملني الفراش وكان جنبي
يمل لقاءه في كل عام
قليل عائدى سقم فؤادى
كثير حاسدى صعب مرامي
عليل الجسم ممتنع القيام
شديد السكر من غير المدام

وقد غاص في حالة تشاؤمية غريبة فقد فيها طعم الحياة ، وبدا وكأنه يتخلى عن كل شيء تدريجيا :

ولما صار ود الناس خبا
جزيت عن ابتسام بابتسام
وصرت اشك فيمن اصطفيه
لعلمي انه بعض الانام
يحب العاقلون على التصافي
وحب الجاهلين على الوسام
وانف من اخي لأبي وامي
اذا ما لم اجده من الكرام

وبلغت هذه الحالة البائسة حدها في اشعار للمتنبي من مثل قوله :

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا
وحسب المنايا ان يكن امانيا
تمنيتها لما تمنيت ان ترى
صديقا فاعيا او عدوا مداجيا

ولقد كانت قصيدة «الحمى» هي المعادل الفني لتلك الحالة اليائسة التي كان يعانيها ، وهي تتكون من اثنين واربعين بيتا منظومة في بناء هندسي بديع ، له مدخل ، وله صلب ، وله ختام ، وفي داخله اروقة واعمدة وردهات واسقف ، ومداخل . ومخارج ، فمدخلها تاملات في الناس والحياة ،

مـــولع بشعـــر المتنبي

وفحص لحالة نفس نشيطة كتب عليها الخمول ، ومراجعة بطيئة لمواقف ماضية . واستطيع ان اقول ان هذا المدخل يتكون من ستة عشر بيتا اولها :

ملومكما يجل عن الملام
ووقع فعاله فوق الكلام

وآخرها :

ولم ار في عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على التمام

ويتلو المدخل الصلب ، وهو يركز تركيزا هائلا في ثلاثة عشر بيتا . وقد بدت فيه الحمى التي تتناوشه كثيرا ويتناوشها قليلا . وأول هذا القسم قوله :

اقمت بارض مصر فلا ورائي
تخب بي المطي ولا امامي

وآخر قوله :

جرحت مجرحا لم يبق فيه
مكان للسيوف ولا السهام

أما الخاتمة فهي كذلك ثلاثة عشر بيتا . وهي تاملات من نوع جديد تكشف عن جذور الأزمة ، وترتاد بعين الخيال احوال المستقبل . هنا يتحول رمز الانثى السابق الى حصان اصيل . على ان هذا الجزء ينتهي بحديث الموت الذي يغطي على كل شيء من البشر والخيل وكل ما كان وما يكون . وأول هذا الجزء قوله :

الا ياليت شعر يدى اتمسى
تصرف في عنان او زمام

وآخره قوله :

فان لثالث الحالين معنى
سوى معنى انتباهك والمنام

● الحكمة سر الحياة

تتخلل الحكمة شعر المتنبي كما تتخلل عروق الذهب تربة المنجم . وهي تاتي الى النفس صافية رائقة كما تاتي الموسيقى الجميلة الى الاذن ، والمنظر البهيج الى العين ، والرائحة الطيبة الى الانف . الحكمة بعض شعر المتنبي ، وبوسعك ان تقول بل كل شعر المتنبي . يختزن المتنبي تجارب الدنيا المستخلصة من سلوك الناس ، ومن البصر بطبائعهم ، ثم يعبر عنها تعبيرا نافذا مصفى ، مكثفا ، موحيا ، من شانه ان يجعل سامعه يعيد النظر في امره وامر الآخرين جملة وتفصيلا .

وتتنوع حكمة المتنبي تنوع الحياة ذاتها . وهي قد تكون مدحا او هجاء او وصفا او غزلا او تهكما او دعابة . ولكن لها دائما هذا الوقع الذي يخرج بنا من الخاص الى العام ، ومن القشرة الى اللب ، ومن الفرع الى الاصل ونتيجة لذلك نجد انفسنا مع هذه الحكمة امام سر الحياة وجها لوجه . تلك الحياة ــ حياتنا ــ التي هي ملهاة تتزيا في زى ماساة ، او ماساة تتزيا في زى ملهاة ، او مزيج محكم منهما معا :

من الحلم ان تستعمل الجهل دونه
اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم
وان ترد الماء الذى شطره دم
فتسقى اذا لم يسق من لم يزاحم

ومن عرف الايام معرفتى بها
وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به
ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم

....

يرى الجبناء ان العجز عقل
وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم

....

هون على بصر ما شق منظره
فانما يقظات العين كالحلم
ولا تشك الى خلق فتشمته
شكوى الجريح الى الغربان والرخم
سبحان خالق نفسى كيف لذتها
فيما النفوس تراه غاية الالم

....

انا لفى زمن ترك القبيح به
من اكثر الناس احسان واجمال
ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته
ما قاته وفضول العيش اشغال

....

اذا اشتبهت دموع فى خدود
تبين من بكى ممن تباكى

....

افاضل الناس اغراض لذى الزمن
يخلو من الهم اخلاهم من الفطن

....

فرب كئيب ليس تندى جفونه
ورب ندى الجفن غير كئيب

....

حسبك فى حياتك من حبيب
نصيبك فى منامك من خيال

....

الف هذا الهواء اوقع فى الانفس
ان الحمام مر المذاق
والاسى قبل فرقة الروح عجز
والاسى لا يكون بعد الفراق

....

الفكرة الشائعة عن شخصية المتنبى انها شخصية عنيفة شديدة الاسر، طموحة، مجاهدة، متعالية، ولا مكان فيها للرقة العاطفية . وفى شعره ما قد يساعد على تكريس هذه الفكرة : أليس هو القائل :

ومن عرف الايام معرفتى بها
وبالناس روى رمحه غير راحم ؟

وأليس هو القائل :

وللخود منى ساعة ثم بيننا
فلاة الى غير اللقاء تجاب
وما العشق الا غرة وطماعة
يعرض قلب نفسه فتصاب ؟

وأليس هو القائل (وهو من اقسى الاراء فى المرأة) :

اذا غدرت حسناء وفت بعهدها
فمن عهدها الا يدوم لها عهد
وان حقدت لم يبق فى قلبها رضا
وان رضيت لم يبق فى قلبها حقد ؟

والشخص الوحيد الذى نقض هذه الفكرة هو محمود شاكر الذى اقام للمتنبى صرحا غراميا كاد يجعله اس حياته . وذلك حين قدم نظريته فى حب المتنبى خولة اخت سيف الدولة . ولن افصل القول فى الادلة المستفيضة التى ساقها محمود شاكر فهى موجودة فى كتابه عن المتنبى ولكننى اقول : وهب ان المتنبى لم يقع فى الحب من الناحية الفعلية أليس هو القائل :

ابى خلق الدنيا حبيبا تديمه
فما طلبى منها حبيبا ترده ؟

وأليس هو القائل :

مولع بشعر المتنبي

مما اضر باهل العشق انهمو
هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عيونهمو دمعا وانفسهم
فى اثر كل قبيح وجهه حسن ؟
واليس هو القائل :
لا تعذل المشتاق فى اشواقه
حتى تكون حشاك فى احشائه ؟
والم تحرك اقواله هذه نفوس الناس ، محبين وغير محبين ، نحو هذه العاطفة البشرية الراقية ، فى شتى البيئات والأزمنة ؟ واذا كان ذلك كذلك فما قيمة ان يقع المتنبى - الفرد - فى الحب او لايقع ؟

على ان وقوع المتنبى فى الحب شىء ، ورقته العامة شىء آخر . اليس هو صاحب هذا الاستفهام الغريب :
اصخرة انا مالى لا تحركنى
هذى المدام ولا تلك الاغاريد ؟
واليس هو القائل :
خلقت الوفا لو رجعت الى الصبا
لفارقت شيبى موجع القلب باكيا
واليس هو القائل :
انى لاجبن من فراق احبتى
وتحس نفسى بالحمام فاشجع
ويزيدنى غضب الاعادى قسوة
ويلم بى عتب الصديق فاجزع

وابن هى القسوة المزعومة لدى انسان يقول :
اصادق نفس المرء من قبل جسمه
واعرفها فى فعله والتكلم
واحلم عن خلى واعلم انه
متى اجزه حلما على الجهل يندم
رضيت بما ترضى به من محبة
وقدت إليك النفس قود المسلم ؟
ولدى انسان يقول :
ومنتسب عندى الى من احبه
وللنبل حولى من يديه حفيف
فهيج من شوقى وما من مذلة
حننت ولكن الكريم الوف
وكل وداد لا يدوم على الاسى
دوام ودادى للحسين ضعيف
فان يكن الفعل الذى ساء واحدا
فافعاله اللائى سررن الوف
ونفسى له نفسى الفداء لنفسه
ولكن بعض المالكين عنيف
فان كان يبغى قتلها يك قاتلا
بكفيه فالقتل الشريف شريف

● نهاية درامية

عاش المتنبى حياة قصيرة مضطربة ، ومات - بل قتل - بطريقة درامية . ولم تفارقه فكرة الموت قط ، فقد عبر عنها بطرق متفاوتة ، وفى مناسبات شتى . انه القائل :
واذا لم يكن من الموت بد
فمن العجز ان تموت جبانا
وانه القائل :

فطعم الموت فى امر حقير
كطعم الموت فى امر عظيم

وفى مرثياته العديدة لم يكن نادبا مجاملا ولم يكن تقليديا باكيا (او متباكيا) انما كان متسائلا بعمق حول طبيعة هذه الحياة التى تنعقد امام اعيننا بالميلاد . وتنحل امام اعيننا بالموت ، دون ان ندرك كنهها على وجه اليقين ، ودون ان نستطيع تغييرها قيد شعره :

وقد فارق الناس الاحبة قبلنا
واعيا دواء الموت كل طبيب
سبقنا الى الدنيا فلو عاش قبلنا
منعنا بها من جيئة وذهوب
تملكها الآتى تملك سالب
وفارقها الماضى فراق سليب

ان الشاعر الحكيم الذى قلب امر العيش على شتى وجوهه لم يستطع ان يقلب هذا الأمر الحيوى على اى جانب مريح :

ومن تفكر فى الدنيا ومهجته
اقامه الفكر بين العجز والتعب

وقد اقام احساسه بالدنيا – فى هذه الناحية – على خط دقيق بين التشبث والتسليم ، فلا هو راض عن الحياة ، ولا هو راغب عنها ، ولا هو قادر على الاحتفاظ بها :

واذا الشيخ قال اف فما مل
حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب
فاذا وليا عن المرء ولى
ابدا تسترد ما تهب الدنيا
فيا ليت جودها كان بخلا
وهى معشوقة على الغدر لا تحفظ
عهدا ولا تتمم وصلا

اما القصيدة التى بدا فيها المتنبى وكانه يرثى نفسه ، وتفلت فيها خيوط الحياة من يديه ، فهى تلك التى قالها فى رثاء عمة عضد الدولة . ولابد انه كان حينئذ فى حالة معنوية متدنية جدا ، وانه كان يحس ان دائرة المؤامرات تضيق حوله ، ومجيء نهايته المفجعة بعد ذلك بقليل دليل على ان جو الموت كان يحيط به من كل جانب ، وابيات هذه القصيدة مليئة بافاق الترقب ، والمعادلات ترتد فيها جميعا الى نتيجة واحدة تستقر عند درجة العدم :

لابد للانسان من ضجعة
لا تقلب المضجع عن جنبه
ينسى بها ما كان من عجبه
وما اذاق الموت من كربه
نحن بنو الموتى فما بالنا
نعاف ما لابد من شربه
تبخل ايدينا بارواحنا
على زمان هن من كسبه
فهذه الارواح من جوه
وهذه الاجسام من تربه
لو فكر العاشق فى منتهى
حسن الذى يسبيه لم يسبه
يموت راعى الضان فى جهله
موتة جالينوس فى طبه
وربما زاد على عمره
وزاد فى الأمن على سربه
وغاية المفرط فى سلمه
كغاية المفرط فى حربه

حلقات مفقودة
في تراثنا المطبوع

بقلم: د. محمود الطناحي

كان انجازاً حضاريا كبيراً ظهور المطبعة في القرن الخامس عشر الميلادى، على يد جوتنبرج الألمانى (١٣٩٧ - ١٤٦٨ م).

ولئن كانت الغاية من الطباعة هي تكثير عدد نُسخ الكتاب لكي تُتاح قراءته لكثير من الناس، فقد تحققت هذه الغاية بصورة محدودة عند العرب قديماً، بما تمثل في كثرة نُسخ الكتب المخطوطة، ورواج صنعة الوراقة والنساخة. ويذكر الجاحظ أن يحيى بن خالد البرمكى لم يكن في خزانة كتبه كتاب الا وله ثلاث نُسخ ويذكر المقريزى أنه كان في خزانة العزيز بالله ثلاثون نسخة من كتاب "العين" للخليل بن أحمد، ومائة نسخة من "الجمهرة" لابن دريد، وانه كان في خزانة كتب الفاطميين مائتان والف نسخة من "تاريخ الطبرى". والمشتغلون بعلم المخطوطات يعلمون ان هناك كتبا ذوات عدد، كثرت نُسخها كثرة ظاهرة، بحيث لاتكاد تخلو منها مكتبة من مكتبات العالم.

● وكأنما كان هذا الاختراع العجيب - اختراع الطباعة - من اجل فكرنا وتراثنا نحن العرب دون غيرنا من الامم. فقد دارت المطابع شرقا وغربا لاخراج علمنا من مخطوطات محدودة الى اسفار مطبوعة، بدأت بالمئين ثم انتهت الى مافوق الآلاف. ففى الغرب كان مهد الطباعة العربية فى إيطاليا - كما هو معروف - ومن اوائل ماطبع هناك متن "الكافية" فى النحو، لابن الحاجب، سنة ١٥٩٢ م. و"القانون" فى الطب، لابن سينا، سنة ١٥٩٣ م. ثم تعددت المطابع العربية فى اوربا، وطبع فيها مئات الكتب العربية، واكثرها فى لندن وباريس وليبزج وليدن وجوتنجن وروما وفينا وبرلين وبطرسبورج. ومن أشهر هذه المطابع الأوربية مطبعة بريل بمدينة ليدن بهولندة، وهذه المطبعة تشبه فى شهرتها مطبعة بولاق بمصر، لكن مايؤخذ على هذه المطابع الأوربية انها كانت تطبع نسخا محدودة من الكتب العربية، وكأنهم كانوا يطبعون لأنفسهم.

● اشهر المطابع

وفى الشرق كانت الأستانة (استانبول) عاصمة الخلافة العثمانية أسبق مدن الشرق الى الطباعة. وكان من

حتى يؤمر فينفخ والقرن شبه البوق ودائرة راس البوق كعرض السموات والارض وهو شاخص

خو العرش

ثم قال

صعق من في

ومن في الارض

شاء الله قال

عائشة رضي الله

قالت كان لا

سمعت رسول الله

اسمعيل عليه السلم

دبر جبرئيل وميكا

واسرافيل اما جبـ

وميكائيل فسمعت

في القران واما اسرا

اخبرني عن

كعب الاحبار ان لله

عظيم الشان له ار

اجنحة اجناح

المشرق والاخر

المغرب والثالث تسربل به من السماء الى الارض والرابع التستر به من عظمة الله تعالى قدماه تحت الارض السابعة وراسه

ينتهي الى اركان قوائم العرش وبين جنبيه لوح من جوهر فاذا اراد الله تعالى ان يحدث في عباده امرا امر القلم

ان يخط في اللوح الى اسرافيل فيكون بين عينيه ثم ينتهي الى ميكائيل عليه السلم وله اعوان في جميع العالم

حتى الاركان والمولدات يحفظونها ويدبرونها فيصيرونها وحرانا وذبانا وهم القوى التي

صفحات مفقودة في تراثنا المطبوع

اشهر مطابعها مطبعة الجوائب التى انشأها أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ ـ ١٨٨٧ م) ونشر فيها طائفة صالحة من الكتب . ثم المطبعة العامرة التى نشرت كتباً ذوات عدد ، منها شرح "كافية ابن الحاجب" للرضى الاستراباذى ، سنة ١٢٧٥ هـ ، و"الكليات" لأبى البقاء الكفوى ، سنة ١٢٨٧ هـ :

ثم كانت الصيحة المدويّة فى طبع الكتاب العربى ، فى مطبعة بولاق بمصر ، أو كما تُسمَّى أحيانا "المطبعة الأميرية" وهى قلعة ضخمة من قلاع المعرفة . لقد أخرجت هذه المطبعة مئات الكتب فى التفسير والحديث ، والأصلين : أصول الدين وأصول الفقه واللغة والنحو والصرف ، والبلاغة والأدب ، والتاريخ والطب والرياضة والطبيعة والفنون الحربية ، وغير ذلك من اصناف العلوم .. إلى ألف ليلة وليلة ، ورجوع الشيخ إلى صباه .. فأىُّ علمٍ كان فى ذلك الزمان !

وإلى جانب مطبعة بولاق ظهرت المطابع الأهلية ، مثل مطبعة جمعية المعارف ، والخيرية والعثمانية والأزهرية والشرفية أو الكاستلية والرحمانية والجمالية والمنار والمنيرية وكردستان العلمية وهندية والسعادة والتجارية وصبيح ثم المطبعة الميمنية التى كانت اساسا للحلبى بفرعيه : مصطفى البابى ، ومحمد . ومطبعة دار الكتب المصرية ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر .

وقد خرج من هذه المطابع آلاف الكتب فى كل علم وفن ، مما لم تعرفه أمة من الأمم ، ولم تشهده ثقافة من الثقافات .

● خمسة كتب فى كتاب واحد

وقد شاعت ظاهرة غريبة جدا فى طبع الكتب تلك الأيام . فقد جرى كثير من المطابع على طبع كتاب أو أكثر بهامش الكتاب الأصلى ، أو بآخره لصلة ذلك بالكتاب .. وكأن القوم كانوا فى سباق لنشر الفكر العربى واذاعته .. وهذه الظاهرة لم تعرف الا فى مطابع مصر واستانبول . ومن أطرف مايذكر هنا أن هناك خمسة كتب مطبوعة فى كتاب واحد ، وفى صفحة واحدة اجتمعت الكتب الخمسة - فى الصلب والهامش ، مفصولة بجداول ، دون ان يختلط بعضها ببعض ، وذلك هو الكتاب المسمى "شروح التلخيص" فى علوم البلاغة ، ويشتمل على ١ ـ شرح سعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح ، للخطيب القزوينى ٢ ـ مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح ، لابن يعقوب المغربى ٣ ـ عروس الافراح فى شرح تلخيص المفتاح ، لبهاء الدين السبكى ٤ ـ الايضاح ، للخطيب القزوينى ٥ ـ حاشية الدسوقى على شرح السعد . والثلاثة الاولى طبعت فى صلب الكتاب ، والاثنان الاخران بهامشه ، وهذا ماجعل بعض اخواننا الظرفاء يقول : لابد من فض الاشتباك بين هذه الكتب .

ثم توالى طبع الكتاب العربى فى بلاد اخرى خارج مصر ، مثل الهند . ومن أشهر مراكز النشر فيها تلك الدار الكبرى "دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن" ولهذه الدائرة نشاط ظاهر فى نشر علوم الحديث ومتونه وتاريخ رجاله ، الى مجلدات ضخمة فى علوم اخرى ، مثل كتاب "الحاوى فى الطب" لأبى بكر

الرازى ، فى ٢٣ جزءا ، ونظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى فى ٢٠ جزءا ، ومن قبل ذلك فللهند تاريخ قديم فى نشر الكتاب العربى ، فقد طبع بها "كتاب سيبويه بمدينة كلكتا سنة ١٨٨٧ م ، و"مغازى الواقدى" سنة ١٨٥٥ م ، و"حماسة أبى تمام" سنة ١٨٥٦ م ، و"تلقيح فهوم أهل الأثر فى عيون التاريخ والسِّير" لابن الجوزى ، بمدينة دلهى سنة ١٢٨٦ هـ .

وكذلك تعدّدت المطابع فى المغرب العربى ، والعراق وبلاد الشام ، واخرجت قدرا ضخما من علومنا ومعارفنا ، وفى السنوات الأخيرة دخلت الدول العربية الغنية الميدان ، فأنشأت المراكز التراثية التى جمعت صور المخطوطات ، ولنفقت بسخاء على تحقيق الكتب ونشرها . وتعددت دور النشر الصغيرة والكبيرة فى جميع البلدان العربية .

● الوفاء لتراثنا

إذن نحن امام قدر هائل من المطبوع العربى ملأ السهل والجبل فى كل علم وفن فهل يحق لقائل ان يقول : "امتلأ الحوض وقال قطنى" اى حسبى . ولسنا فى حاجة الى جمع المخطوطات والبحث عنها وتحقيقها ثم نشرها ، فإن مافى يدنا من مطبوع التراث فيه مقنع وبلاغ ، وبارك الله فيما رزق .

ونعم ... كان حسبنا هذا وكافينا لو ظل تعاملنا مع تراثنا كما هو الآن : حَسْوة الطائر وقَبْسة العجلان ، تأخذ حاجتك وتمضى لا تلوى على شىء . وليس الطريق هنالك ! ان اكبر الآفات عندنا اليوم اننا نتعامل مع كتبنا تعامل المراجع ، على قدر الحاجة ليس غير ، وكأنها تحلة القسم او ابرار اليمين ، وقلَّ من يقرأ منّا كتابا بأكمله . ومن هنا نقنع باليسير ، وتظل الصورة الحقة لتاريخنا وفكرنا مغيَّبة عنّا تماما .

ان الوفاء لتراثنا والكشف عنه ومعرفته يقتضى نفضه كله ومفاتشته كله ، وكما يصنع الورثة الذين يبذلون اقصى الوسع والطاقة لمعرفة ما دقّ وجلّ من تركة مورِّثهم حتى لاتفوتهم منه فائتة ، ولايسقط عليهم منه شىء ، كذلك ينبغى أن يكون بحثنا عما استودعه أهل العلم من أمّتنا بطون الكتب والدفاتر .

وفى هذا المجال ينبغى أن نستبعد من منهجنا مايشيع فى بعض الدراسات الحديثة من أن كتب التراث ذات الموضوع الواحد تتشابه فيما بينها ، وأن غاية اللاحق أن يدخل على ما تركه السابق ، يدور حوله ويردد مباحثه وقضاياه ، ثم افضى ذلك الزعم الى دعوة صاخبة تنادى بغربلة التراث وتصفيته ، بالإبقاء على النافع المفيد ، وترك ماعداه قابعا فى المتلحف ، كمومياء الفراعنة ، يذكِّر بتطور الخطوط وقواعد الرسم والكتابة وتاريخ صناعة الورق . وسوف نقول وقتها : إننا نحافظ على تراثنا من عوامل البلى والفناء ، ونتعهده بالمبيدات والكيماويات الحافظة ، فنؤكد بذلك انتماء كاذبا وولاء مدخولا ، ونكون كالذين يحتفظون فى بيوتهم بصحيح البخارى ؛ التماسا للبركة وطردا للعفاريت والارواح الشريرة .

وفى هذا المجال أيضا ينبغى أن نستبعد من منهجنا نظرية تقسيم عصور الفكر العربى إلى عصور علوٍّ وانحطاط ، وألّا ننظر إلى كتب المتأخرين واصحاب

حلقات مفقودة في تراثنا المطبوع

المختصرات والذيول والحواشي على أنها من الفضول والحشو. فلو لم يكن في تصانيف السّيوطي والبغدادي والخفاجي والمحبّي والشوكاني إلا أنها حفظت لنا كثيرا من علم الأوائل الذي اغتالته غوائل الناس والأيام ، لكان ذلك من أكبر الدواعي الى حفظها والعناية بها . على ان تراثنا لم يأخذ مكانه ـ عند التأمل والإنصاف ـ الا بما صنفه الأوائل ، مضافا اليه تلك الشروح والمختصرات والذيول والصلات والحواشي والتقريرات . وهذا حديث طويل .

وليست المختصرات عند علمائنا كما هي في تصورنا هذه الأيام : إيجازا وضغطا للكتاب الكبير ، بحذف الأسانيد والمكرر .. ونعم إنها قد تكون كذلك ، لكن مع الرؤية الخاصة للمختصر ، بإضافته او نقده . واليك مثالا واحدا على ذلك : كتاب "الاغاني" لأبي الفرج الاصبهاني ، اختصره ابن منظور صاحب "لسان العرب" فيما سماه "مختار الاغاني" . وفي الجزء الثالث من هذا "المختار" نجد ترجمة موسّعة جدا لأبي نواس ، تضمنت أخبارا واشعارا لأبي نواس ، لاتجدهما في الأصل "الأغاني" . وكذلك صنع ابن منظور في ترجمة "جميل بن معمر" حيث اورد له بعض أشعار وأخبار لم ترد في "الأغاني" .

● اهمية المكتبة العربية

وفي هذا المجال ـ ثالثا ـ ينبغي أن ننظر إلى المكتبة العربية نظرتنا إلى الكتاب الواحد . وذلك لأن كتب أهل العلم عندنا متشابكة الأطراف ، متداخلة الأسباب ، فمع الإقرار بنظرية التخصص في الاطار العام للتأليف ، فإنك قلّ ان تجد كتابا من هذه الكتب مقتصرا على الفن الذي يعالجه ، دون الولوج الى بعض الفنون الأخرى لدواعي الاستطراد والمناسبة ، وهذا يؤدي لا محالة إلى أن تجد الشيء في غير مظانه . وأمامي الآن أمثلة ذوات عدد على هذا الذي أقوله ، لا يتسع المقام لذكرها .. وأكتفي هنا بمثالين :

١ ـ كتاب "دلائل الاعجاز" للشيخ عبدالقاهر الجرجاني ، يُعدّ أصلا في علم البلاغة وإعجاز القرآن . وكان مما عالجه في كتابه هذا الرد على من يقولون : "ان الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات ، ولكن تظهر بالضم على طريقة مخصوصة" . وقد عرض الشيخ عبدالقاهر بأصحاب هذه المقالة في مواضع كثيرة من كتابه ، كان منها قوله : "واعلم ان القول الفاسد والرأي المدخول اذا كان صدره عن قوم لهم نباهة وصيت وعلو منزلة في نوع من أنواع العلوم غير العلم الذي قالوا ذلك القول فيه ، ثم وقع في الألسن فتداولته ونشرته ، وفشا وظهر ، وكثر الناقلون له والمشيدون بذكره ، صار ترك النظر فيه سُنة والتقليد دينا ..." ويسأل شيخنا محمود محمد شاكر ـ حفظه الله ـ : من يكون هؤلاء القوم الذي لهم نباهة وصيت .. ؟ يقول شيخنا ابو فهر : "وفتشت ونقبت ، فلم اظفر بجواب اطمئن اليه ، وتناسيت الأمر كله الا قليلا نحو من ثلاثين سنة . حتى كانت سنة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م وطبع كتاب "المغني" للقاضي عبدالجبار ، المتكلم المعتزلي في تلك السنة صدر الجزء

السادس عشر من كتاب "المغنى" فإذا هو يتضمن فصولا طويلة فى الكلام على "ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى اعجاز القرآن وسائر المعجزات الظاهرة عليه صلى الله عليه وسلم . فلما قرأته ارتفع كل شك ، وسقط النقاب عن كل مستتر ، واذا التعريض الذى ذكره عبدالقاهر حين قال : واعلم أن القول الفاسد والرأى المدخول .. لا يعنى بهذا التعريض وبهذه الصفة احدا سوى قاضى القضاة المعتزلى عبدالجبار" . ثم نقل شيخنا عبارة القاضى عبدالجبار من الجزء السادس عشر من "المغنى" وهى "ان الفصاحة لا تظهر فى افراد الكلام ، وانما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة" . وهى التى حكاها الشيخ عبدالقاهر ، ولم ينسبها لأحد على التعيين .

أرأيت ؟ هذا كتاب "المغنى فى ابواب التوحيد والعدل" كتاب فى اصول فكر المعتزلة وهو داخل فى علم الكلام ، فما ابعده فى تقسيم العلوم وفهارس الكتب عن علم البلاغة ! ولكن الكتب العربية تتنادى وتتواصل ، وهكذا يعلمنا استاذنا محمود محمد شاكر كيف تلتمس المعرفة من مظانها ومن غير مظانها ، ولن يكون ذلك الا بالذى ذكرته لك من النظر للمكتبة العربية على انها كتاب واحد ، ثم بالصبر على القراءة ، والاخذ فى الكتاب قراءة ودرسا الى غايته ومنتهاه .

٢ ـ والمثال الثانى : عرض لى فى بعض تحقيقاتى هذان البيتان الشهيران :

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا
إن بر عندك فيما قال او فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره
وقد أجلّك من يعصيك مستترا

وكانا عندى غير منسوبين فأردت نسبتهما . وأول مايهرع اليه المحقق فى ذلك كتب الادب ، لاسيما تلك التى تتحدث عن العفو والاعتذار . وفى مكتبتى كتاب بذلك العنوان ، "العفو والاعتذار" لأبى الحسن العبدى ، صاحب ابن دريد اللغوى . فنظرت فيه ، فوجدت البيتين ، ولكن بغير نسبة أيضا ، فأخذت فى البحث حتى انتهيت الى انهما لهلال بن العلاء الرقى ، وذلك فى ترجمته من كتاب "سير اعلام النبلاء للحافظ الذهبى (وينسبان على ضعف للبحترى) . وهذا كتاب "سير اعلام النبلاء" معدود فى كتب التراجم ، فمابعد مابينه وبين كتب الادب فى تصنيف العلوم !

واذ قد انتهيت من تقرير هذه الحقائق ، على سبيل الوجازة والاختصار اقول : ان هذا المطبوع من تراثنا ـ على ضخامته وازدحام المكتبات به ـ لايمثل الصورة الكاملة الحقيقية لتاريخ امتنا وقضايانا الفكرية . فمازالت الايام تظهرنا يوما بعد يوم على نفائس من تراثنا المخطوط كنا نجهلها أو نعدها من المفقودات . وكم فى الزوايا من خبايا .

وهذه المخطوطات التى تجود بها المكتبات الخاصة والعامة حينا بعد حين ينبغى ان تنتهى بنا الى الحذر فى إصدار الاحكام الحاسمة وقول الكلمة الأخيرة ، فإن القول الفصل فى قضايا الفكر والأدب لايصار اليه قبل استيفاء ادوات البحث واهم هذه الادوات ، بل عدتها الاولى : النصوص فى مختلف عصورها .

وقد اتاح لى عملى بمعهد المخطوطات ـ جمعا وفهرسة ـ وجلوسى الى اشياخ العلم ونشرى لبعض الكتب ، ثم اشرافى على عدد من الرسائل الجامعية التى تدور

حلقات مفقودة في تراثنا المطبوع

في فلك تحقيق النصوص - اتاح لي ذلك كله ان اقف على غرائب وعجائب في بطون المخطوطات تنقض كثيرا مما استقر عند الباحثين والدارسين في تاريخنا الفكري ، وذلك لاعتمادهم على مصادر محدودة ، وغياب تلك المخطوطات التي لم تنلها ايديهم .

وان في وجود هذا القدر الضخم من مخطوطاتنا التي تعج بها المكتبات العامة والخاصة شرقا وغربا ، والتي تنتظر الهمم لبعثها ونشرها ، مايدل على ان هناك حلقات مفقودة في تراثنا المطبوع .

وخذ مثلا "الكتاب" لسيبويه - وهو قرآن النحو ، كما يقولون . مضى على طبعه اول مرة اكثر من مائة عام . وفي "الكتاب" . من العسر والغموض على شداة العلم ماهو معروف ومتعالم ، بل ان بعض اشارات سيبويه ومباحثه تدق على الخاصة ، فكان ينبغي أن ينشر كل ما يتصل بهذا الكتاب الامام ، من شروح وتقييدات ، وقد نشر شيء من ذلك ، ولكن بقي أهم شرح له ، وهو شرح ابي سعيد السيرافي ، أليست الاحكام على سيبويه وعلى "كتابه ناقصة في غياب هذا الشرح الكبير ؟ ثم "ألفية ابن مالك" اشهر نظم نحوي ، نشر كثير من شروحها ، ولكن بقي أهم شرح لها ، وهو شرح الامام الشاطبي ، صاحب "الموافقات" و"الاعتصام" . وكتاب "التسهيل" في النحو ، لابن مالك ايضا ، نشر شيء من شروحه ، وبقي اضخم واحفل شرح له ، وهو شرح ابي حيان المسمى "التذييل والتكميل" .

وعلى كثرة ما نشر من كتب علم القراءات القرآنية ، فلا يزال هناك كتابان على غاية من القيمة والاهمية ، اولهما في القرن الرابع ، وهو كتاب "الحجة في علل القراءات السبع" لابي علي الفارسي ، والثاني في القرن العاشر ، وهو "لطائف الاشارات لفنون القراءات" للقسطلاني شارح البخاري . ويمثل الكتاب الاول قيمة كبرى في ميدان الدارسات اللغوية و النحوية والاشتقاق والاصوات ولهجات القبائل ، والى الثاني المنتهى فيما يتعلق بالقراءات العشر والاربعة الزائدة عليها ، وعلم الوقف والابتداء ، ومرسوم الخط العثماني ، مع ماعرض له من مباحث اخرى تتعلق بالذكر الحكيم .

● حلقات مفقودة

وفي ميدان تفسير القرآن الكريم مازالت هناك اسفار ضخمة تمثل خير تمثل تلك الحلقات المفقودة . ومن تلك الاسفار كتاب "البرهان في علوم القرآن" لابي الحسن الحوفي المصري المتوفى سنة ٤٣٠ هـ . وكتابه هذا ضخم جدا ، تقع مخطوطته في نحو ثلاثين مجلدا . ولا تقل ان "البرهان" للزركشي ، و"الاتقان" للسيوطي يكفيان ، فهذان بالنسبة الى كتاب الحوفي قطرة في بحر ، مع اختلاف المنهج والمادة العلمية ، ومنها "البسيط" في التفسير ، لأبي الحسن الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ هـ وكتابه كبير ايضا (والبسيط هنا بمعنى المبسوط الواسع ، فعيل بمعنى مفعول ، وليس على ما يظنه بعض العامة بمعنى الموجز المختصر) . ومنها "الكشف والبيان في تفسير القرآن" لأبي إسحاق النيسابوري الثعلبي المتوفى

سنة ٤٢٧ هـ وهو كتاب كبير ايضا . وقد رأيت منه نسخة نفيسة مكتوبة فى السنوات ٦٢٦ هـ - ٦٣٠ بمدينة الفيوم . وهذه النسخة المخطوطة محفوظة بالمكتبة المحمودية بالمدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة وازكى السلام ، وصورتها لمعهد المخطوطات بالقاهرة سنة ١٩٧٢ م .

وفى الحديث النبوى وعلومه مازالت هناك طائفة كبيرة من مخطوطاته تنتظر التحقيق والنشر . اما الفقه واصوله فلعلهما من اكثر علومنا غبنا فى ميدان التحقيق والنشر . والعجيب حقا اننا مازلنا نعيش على كتب الفقه التى طبعت بمصر منذ زمن بعيد ، مثل الأم للشافعى ، والمهذب للشيرازى ، والمجموع للنووى ، وبدائع الصنائع للكاسانى ، وشرح فتح القدير لابن الهمام ، وحاشية ابن عابدين ، وبداية المجتهد لابن رشد "الحفيد" ، والفروق للقرافى ، والمغنى لابن قدامة .. ثم تنظر فى فهارس المخطوطات فتجد مالايحصى كثرة من كتب الفقه واصوله التى لم تطبع .. ولا سبيل هنا الى ذكر اسماء تلك المخطوطات فهى الى الكثرة والتنوع ماهى !

وقل مثل هذا فى مخطوطات اصول الدين وعلم الكلام والفلسفة . واليك مثلا كتاب "ابكار الافكار" لابى الحسن الامدى . لماذا لم يطبع هذا الكتاب الى الان ؟ واساتذتنا وزملاؤنا الجامعيون يلجأون الى مخطوطات هذه العلوم ، ويجدون عناء باهظا فى الحصول على هذه المخطوطات ، وفى التعامل معها ، ويتمنون اليوم الذى يرون فيه هذه الاثار منشورة مطبوعة .

● مخطوطات تاريخية كثيرة

وتحتل كتب التاريخ مكانة عالية فى المكتبة العربية ، ولعل علم التاريخ اكثر ما صنف فيه من بين علومنا الاخرى ، حيث يتنوع التاليف فيه بين التاريخ العام ، كتصانيف الطبرى وابن الاثير وابن كثير ، وبعض تصانيف الذهبى والصفدى والعينى وابن شاكر الكتبى ، الى التاريخ الخاص ، وهو ما يعرف بكتب الطبقات والتراجم ، ثم التواريخ على البلدان كتواريخ مكة والمدينة والقدس وبغداد ودمشق ومصر . وتتسع بعض كتب الطبقات لمعارف تراثية اخرى غير التاريخ . كالذى نراه عند التاج السبكى فى "طبقات الشافعية الكبرى" .

ومع هذا القدر الضخم المطبوع من كتب التاريخ فلاتزال هناك اصول مخطوطة كثيرة من هذا العلم ينبغى ان تنشر وتذيع ، منها كتاب "عيون التاريخ" لابن شاكر الكتبى ، ثم ياتى على راس هذه الأصول التاريخية المخطوطة كتاب "تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام" لمؤرخ الاسلام الحافظ الذهبى . وهذا الكتاب اضخم مؤلفات الذهبى التاريخية ، ثم هو اوسع التواريخ العامة حتى عصره ، تناول فيه تاريخ الاسلام من بدء الهجرة النبوية حتى سنة ٧٠٠ هـ فحصر مادة ضخمة فى نطاقه الزمانى الممتد عبر سبعة قرون كاملة ، وفى نطاقه المكانى الشامل لجميع الرقعة الاسلامية التى امتد اليها الاسلام من الاندلس غربا الى اقصى المشرق ، وقد شمل الحوادث الرئيسة التى مرت بها الجماعة الاسلامية منذ هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وتعاقب الاحداث والدول فى

حلقات مفقودة في تراثنا المطبوع

شتى انحاء العالم الاسلامي حتى نهاية القرن السابع الهجري ، كما تضمن تراجم المشهورين في كل ناحية من نواحي الحياة ، ولم يقتصر على فئة معينة منهم ، وتقدر تراجم هذا الكتاب باربعين الف ترجمة ، كما ذكر الدكتور بشار عواد معروف . في دراسته عن "الذهبي" . وقد جمع مخطوطات هذا الكتاب العظيم ..

ونأتي الى كتب الادب . والمطبوع منها يملأ الارجاء ، بحيث يظن الظان انه لازيادة لمستزيد . لكن المعنيين بجمع الكتب والمشتغلين بعلم المخطوطات ، والمتابعين لما ينشر من فهارسها يعلمون ان هناك قدرا كبيرا من صغار كتب الادب وكبارها لم يعرف طريقه للمطبعة . ولندع صغار كتب الادب الى كبارها ونذكر ببعض المجاميع الشعرية والنثرية التي مازالت مخطوطة . فمنها كتاب جليل القدر هو "الجليس الصالح الكافي والانيس الناصح الشافي" لابي الفرج المعافي بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٠ هـ . ومنها كتاب جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام" للشيزري المتوفى نحو سنة ٦١٧ هـ . وهذا الكتاب مرتب على ستة عشر كتابا في الفنون الادبية ، وفي كل كتاب عشرة ابواب .

● اشهر مخطوطة شعرية

ومن احفل هذه المجاميع الادبية كتاب "السفينة" لابن مبارك شاه المصري المتوفى سنة ٨٦٢ هـ . وهو كتاب حاشد جمع فيه مؤلفه مختارات من دواوين الشعراء واخبارهم وتراجمهم ، ومن بدائع المنثورات والحكايات ومنتخبات من مئات الكتب الطريفة في شتى الفنون والعلوم . ويقع مخطوط هذا الكتاب في اربعة عشر مجلدا ضخاما .

ونأتي الى اشهر مجموعة شعرية مخطوطة ، وهي كتاب "منتهى الطلب من اشعار العرب" لمحمد بن المبارك بن محمد ميمون ، الذي كان حيا سنة ٥٨٩ هـ . قال في مقدمته : "هذا كتاب جمعت فيه الف قصيدة واخترتها من اشعار العرب الذين يستشهد باشعارهم . وجعلته عشرة اجزاء ، وضمنت كل جزء منها مائة قصيدة ، وادخلت فيها قصائد المفضليات وقصائد الاصمعي التي اختارها ، ونقائض جرير والفرزدق ، والقصائد التي ذكرها ابن دريد في كتابه الشوارد ، وخير قصائد هذيل ، والذين ذكرهم ابن سلام في الطبقات" .

وقد استفاد ناشرو الشعر من هذه المجموعة ، ورجعوا اليها في مخطوطتها عشرات المرات في جمع وتوثيق شعر الشعراء المقلين والمكثرين . ويوجد منها مجلدان مخطوطان .

وهذه المجموعات الادبية المخطوطة فضلا عما تحتويه من اضافة عزيزة لمواريثنا الادبية ، تكمل نقصا ظاهرا في بعض ما انتهى الينا من هذه المواريث ، فاننا لانعدم منها القطعة والبيت والبيتين والثلاثة من شعر الشعراء الذين طبعت دواوينهم المخطوطة ، لو جمعت جمعا .

وبعد ... فهذا حديث موجز مقتضب عن تلك الحلقات المفقودة من تراثنا المطبوع . وهي حلقات توجد مخطوطاتها مفرقة في مكتباتنا ومكتبات العالم ، تنتظر صلاح الازمان وهمم الرجال لنشرها واذاعتها .

أقــوال معاصـرة


حسنى مبارك


د. فؤاد زكريا


نجيب محفوظ


مرجريت تاتشر

● الصراع من أجل تحرير الكويت كان بين الشرعية والفوضى وليس بين المسلمين وغير المسلمين"

الرئيس حسنى مبارك

● "الانسان هو الذى يوجه النصوص ، وليست النصوص هى التى توجه الانسان"

الدكتور فؤاد زكريا

● "الانسان بما يتذكر"

الاديب الأمريكى "فيليب ديك"

● "ليس الموت هو ما أخشاه ، وانما طول العمر"

راقصة الباليه الانجليزية
مارجوت فونتين

● "المصريون هم بناة الأهرام"

دكتور زاهى حواس
مدير منطقة الأهرام الأثرية

● "الحل يبدأ بالديمقراطية الكاملة"

الاديب نجيب محفوظ

● الدفاع عن الحرية يعنى المخاطرة ليس فقط بالاموال ، بل كذلك بالأرواح"

مارجريت تاتشر
رئيسة الوزراء السابقة

● "المشكلة مستقبلا فى المنطقة هى الماء وليس الأرض"

تورجوت اوزال
رئيس جمهورية تركيا

● "لقد وهبنا صدام النصر السريع على طبق من ذهب"

الجنرال موريس شميث
رئيس اركان حرب الجيش الفرنسي

الطريق إلى علاج

اختلال اللياقة النفسية

بقلم : د . مصطفى سويف

عندما تنتشر الاضطرابات النفسية بين شرائح اجتماعية عريضة لايجوز ان نقتصر فى البحث عن اسبابها فى امور الحياة الشخصية لهذا الفرد او ذاك . بل لابد من ان نتجه مباشرة إلى البيئة الاجتماعية التى تحيط بهذه الشرائح جميعا نفتش فيها عن عوامل يمكن أن يكون لها هذا التأثير الممرض الشامل .

ولما كان اختلال اللياقة النفسية ينتشر انتشارا يقرب من ان يكون وبائيا بين افراد مجتمعنا ، لذلك كان لزاما على من يتصدى لإلقاء الضوء على أسبابه أن يبحث عنها بين ظروف الحياة العامة وعواملها فى المجتمع المصرى . فاذا تم له الكشف عن هذه الأسباب كانت الخطوة التالية هى تحديد كيفية السيطرة عليها وتعطيل فاعليتها بمعالجة البيئة قبل الفرد .

وبنظرة فاحصة يتضح ان اهم العوامل الاجتماعية التى تشيع هذا النوع من الخلل فى نفوس ابناء مجتمعنا المصرى عاملان هما اختلال الاستقرار بدرجات مختلفة فى الجانب الأسرى والجانب الاقتصادى من حياة المجتمع ، وتلاحق التغيرات الواسعة فى منظومات القيم الكبرى التى نعيش من خلالها . وبعبارة موجزة ان اضطراب عوامل الاستقرار المادى ، واضطراب عوامل الاستقرار المعنوى فى حياتنا الاجتماعية هما المسئولان أساسا عما نشهده من انتشار وبائى لاختلال اللياقة النفسية بين مواطنينا .

● الطريق إلى العلاج

فى بداية الحديث عن طريق الى العلاج



نجد لزاما علينا أن ننبه الى بضعة امور لن يستقيم امر العلاج اذا لم توضع فى الحسبان .. وفى مقدمتها ان جوانب العلاج التى سوف نقدمها تترابط معا فيما يشبه أن يكون خطة متكاملة ، اى ان الاخذ ببعضها واسقاط البعض الاخر يضعف من فاعليتها جميعا . والأمر الثانى هو ان خطة العلاج التى نقدمها فى هذا المقام لن تؤتى ثمارها بين يوم وليلة . ومن ثم فهى بحاجة الى مواصلة السير فى هذا الطريق والاصرار عليه لفترة زمنية طويلة نسبيا .

والأمر الثالث هو ان اجراء هذا العلاج مسئولية الجميع وليس مسئولية علماء النفس وحدهم ، ولا علماء الاجتماع وحدهم ، ولا رجال التربية ، ولا رجال القانون والتشريع . ولا افراد اية فئة من الفئات القائمة على اى تخصص من التخصصات التى تزخر بها الحياة الاجتماعية الراهنة ، ولكنها مسئولية الجميع كل فى موقعه ، والامر الرابع والاخير هو انه كلما استثير الوعى المناسب بصحبة اى من جوانب العلاج او خطواته كان ذلك اجدى فى رفع الحصيلة النهائية كما وكيفا وفيما يلى وصف موجز لهذه الخطوات .

الطريق إلى علاج اختلال اللياقة النفسية

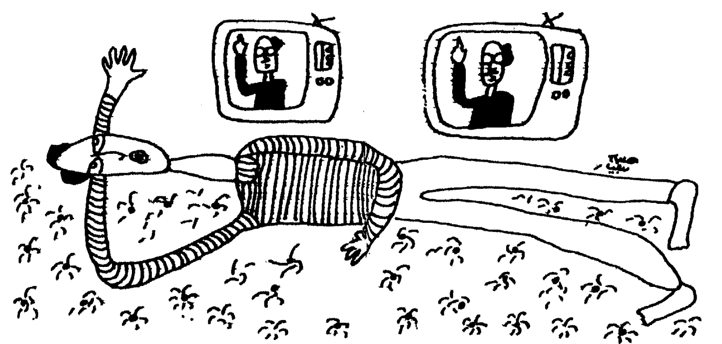
● الثوابت والمتغيرات

موضوع الثوابت والمتغيرات فى حياة الأمة مسألة بالغة الاهمية لان العواقب المترتبة على الخلط بينهما فى محاولات المصلحين والثائرين ان يغيروا وجه الحياة عواقب وخيمة حقا . والمقصود بالثوابت فى هذا السياق تلك الجوانب من حياة المجتمع التى لاتتاثر كثيرا بمجىء حاكم وزوال آخر ، فتمر عليها فترات زمنية طويلة دون أن تطرأ عليها تغيرات تذكر . ولابد من التفرقة فى هذا الصدد بين ثوابت طبيعية (او تلقائية) وأخرى ارادية او مدبرة . فأما الطبيعية فتمضى كأنها جزء من قانون الحياة دون أن ندبر نحن الأفراد لثباتها ، من هذا القبيل لغة الحياة اليومية ، والأعراف والتقاليد والوحدة الوطنية ، واما الثوابت المدبرة فنصيب الارادة الانسانية فى توفير ثباتها واضح . من هذا القبيل هيكل القانون وهيكل التعليم ، وبناء الاسرة ووظيفتها . وهناك علاقات معقدة بين النوعين من الثوابت من شأنها ان تحدث نوعا من التقوية او الدعم المتبادل بينهما ، من ذلك مانعرف جميعا من ان القانون يستلهم فى كثير من مواده الاعراف والتقاليد فيكسبه ذلك قوة وعمقا فى النفوس ، ومانعرف كذلك من أنه كلما اقتربت لغة التعليم من اللسان القومى للمتعلم كان ذلك ادعى الى ترسيخ العلم فى نفسه من ناحية ودعم الوحدة الوطنية واقعا وشعورا من ناحية اخرى . هذا عن الثوابت فى حياة الأمة .

اما المتغيرات فهى جوانب الحياة الاجتماعية التى يطرأ عليها العديد من التحولات شكلا ومضمونا بصورة ملحوظة فى فترة زمنية محدودة قد لاتزيد على عمر جيل واحد . مثال ذلك خدمات الأمن والاتصال وتدبير الطعام والشراب والخدمات الصحية ، وتدابير الدفاع عن الكيان السياسى للأمة وتنظيم علاقاتها مع سائر الأمم .

والسؤال الآن ، وماذا بعد ؟ ماذا بعد هذه التفرقة ؟

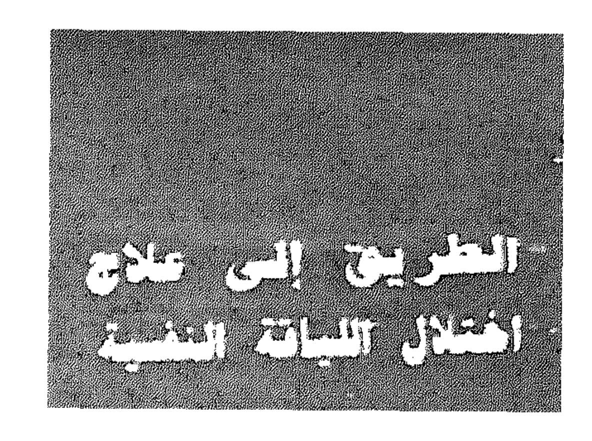
والاجابة أن الوعى بهذه التفرقة امر بالغ الأهمية كخطوة اولى فى الطريق الى مانحاول استحداثه من تغيير فى وجه الحياة . فمحاولات التغيير فى المتغيرات مسألة مقبولة ، بل ومطلوبة ، اما محاولات التغيير فى هيكل القانون ، او فى هيكل التعليم ، او فيما يمس بناء الأسرة ووظائفها الاساسية فمسألة تحتاج الى كثير جدا من التفكير والحذر ، بل والتردد . أكاد اقولها بصراحة : حكام العالم الثالث يلزمهم جميعا قدر من المعرفة بالعلوم الاجتماعية حتى لايؤذوا شعوبهم من حيث ارادوا لهم الخير ، ومع أن حكام العالم الأول ليسوا اكثر منهم علما بالقوانين الاساسية للحياة الاجتماعية فان موانع الضرر تأتى فى الدول المتقدمة من مجرد توفر التوازنات الدقيقة والقوية بين جماعات المصالح المختلفة فى تلك الدول مما يحد تلقائيا من احلام البطولة الهوجاء . اما فى دول العالم الثالث فالمناخ الاجتماعى والسياسى يسمح بكثير من هذه الاحلام ، فيختلط الثابت بالمتغير فى نظر الحاكم ، ويكون الفيصل فى قرار التغيير هو حلم الحاكم او اندفاعه هو وبطانته ، والنتيجة هزات اجتماعية لاتقل فى اثارها المدمرة عن الحروب والزلازل والأوبئة .



عندما ننظر بنظرة علماء الاجتماع فى مسألة الثوابت نجد أن وظيفتها فى حياة المجتمع بالغة الخطر فبدونها لايوجد مجتمع ، ولكن يوجد تجمع اقرب الى القطعان الحيوانية فى سيولتها الداخلية وفى ميوعة حدودها ، لكن هذه الثوابت التى نتحدث عنها هى التى تدخل على التجمع البشرى ، درجة من الهيكلة ، اى تجعل له هيكلا داخليا مفصلا فيتحول من تجمع الى مجتمع ، وتضمن لهذا الهيكل ان يقوم بعدد من الوظائف الاساسية تحفظ على هذا المجتمع تماسكه عبر المكان واتساقه عبر الزمان .

وعندما ننظر فى امر هذه الثوابت بنظرة علماء النفس الاجتماعيين وهم الذين يختصون بدراسة كل دقائق التفاعل بين الفرد والمجتمع ، نجد أن هذه الثوابت مسئولة الى حد كبير ، عن هيكلة الحياة النفسية للفرد ، فوظائفنا النفسية من ادراك وتنبه وتفكير وتذكر وشعور بالهوية الشخصية تعتمد فى قيامها اصلا وفى نشاطها وفى تنظيم هذا النشاط على حوار لاينقطع ابدا بين جذور بيولوجية كامنة فى تكوين جهازنا العصبى من ناحية، وعوامل كائنة فى صميم بنية المجتمع الذى نعيش فيه ، والوزن الأكبر فى جملة هذه العوامل لتلك الثوابت التى نتحدث عنها ، والنتيجة هذه الهيكلة النفسية المشار اليها ، وهى بالضبط التى اذا نظرنا اليها من منظور مستوى الكفاءة اسميناها باللياقة النفسية .

والخلاصة اننا اذا كنا نشكو من شيوع الخلل الشديد فى اللياقة النفسية بين



افراد مجتمعنا ، فالخطوة الأولى نحو العلاج هى فى سلوك كل السبل الى تصويب عملية الهيكلة النفسية ، ومن ورائها الهيكلة الاجتماعية ، وذلك باعادة الأمور الى نصابها فى الوعى بالتفرقة بين الثوابت والمتغيرات ، والالتزام بمقتضيات هذا الوعى فى أية دعوة او خطوة تنحو نحو التغيير .

● مزيد من الديمقراطية

ما يهمنا هنا بغض النظر عن جميع الملابسات السياسية والتاريخية ، هو الوجه الاجتماعى والوجه النفسى الاجتماعي للديمقراطية . الأول يتمثل فيما اصطلحنا على تسميته بالمؤسسات .

والثانى يتمثل فى شعور ينبع من واقع الممارسة ، ونعنى به شعور المواطن الفرد بأن يشارك فعلا فى اتخاذ القرار بجميع مستوياته من أدناها الى اعلاها، يشارك بصورة واضحة له ولمواطنيه ، ومن خلال قنوات محددة ، تحت انظاره وتحت أنظار مواطنيه ، هذان العنصران ، فاعلية المؤسسات والمشاركة فى اتخاذ القرار . هما جوهر العملية الديمقراطية فى تدبير امور المجتمع ، فاعلية المؤسسات ركن هام من اركان الاستقرار الاجتماعى لانها تجسد مفهوم القانونية فى حياة المجتمع ، وقد عرفنا ان القانونية احد الثوابت الكبرى فى الحياة الاجتماعية . والمشاركة فى اتخاذ القرار من اهم الطرق الى تنمية الشعور بالمسئولية فى نفس المواطن ، ومع زيادة جرعة القانونية فى المجتمع ، ونمو الشعور بالمسئولية لدى الفرد تزداد كفاءة عملية الهيكلة فى المجتمع والفرد على حد سواء ، فاذا بخلل اللياقة النفسية ينحسر واذا بمستواها يرتقى .

● الخطاب الاعلامى

عثر الحكام وبطاناتهم فى المجتمعات الحديثة ، والنامية على ضالتهم المنشودة عندما اكتشفوا ادوات الاعلام وتبينوا مدى سطوتها على عقل المواطن ووجدانه ، ونخص بالذكر هنا الاعلام المسموع واكثر منه بكثير الاعلام المرئى ، ومن ثم فقد استغل الحكام هذه الأدوات بطرق مختلفة ، وعلى مستويات متباينة من الكفاءة ، فى تصنيع عقول المواطنين ووجدانهم بصبها فى قوالب ذات مواصفات محددة . ولب الموضوع الذى يهمنا فى مقالنا الراهن هو أن أدوات الاعلام على اختلاف انواعها تنقل الى المواطنين دائما نوعين من الرسائل : رسائل مباشرة او صريحة ، واخرى غير مباشرة او ضمنية ، كل الرسائل التى ترسلها الاذاعات المسموعة والاذاعات المرئية تقع تحت هذا التصنيف . بمعنى ان الرسالة الواحدة ايا كانت هى رسالة مباشرة وغير مباشرة فى آن معا .

وقد تستطيع السلطة ان تتحكم فى الجانب المباشر من هذه الرسائل (وهذا ماتفعله السلطة فى الدول النامية حيث تملك معظمها الأدوات المسموعة والمرئية) وكذلك قد تتحكم فى جزء من الجانب غير المباشر من هذه الرسائل لكن هذا الجزء يظل محدودا نسبيا ، اما النصيب الأكبر فلا يمكن التحكم فيه ، ومع ذلك فهذا النصيب غير المباشر هو الذى يؤثر تأثيرا نافذا فى نفوس المواطنين .

اكتفى هنا بالاشارة الى عنصرين رئيسيين فى هذه الرسائل غير المباشرة : العنصر الأول هو التفاوت الذى يصل احيانا الى حد التعارض الصارخ بين ماتوحى به بعض المواد الاعلامية من رسائل غير مباشرة . خذ مثلا على ذلك بعض المسلسلات الاجنبية فى اعلامنا المرئى ، وما تنطق به او تصوره برامج اخرى فى هذا الاعلام نفسه فى رسائلها المباشرة المخصصة للحض على المواطنة الصالحة . هذا التذبذب بين قطبين متباعدين كل البعد، احدهما يكاد يكون كله نماذج للرذيلة ، فمعظم المواقف والعلاقات الانسانية المعروضة فيها مشبعة بالعنف او الجنس فى اقبح صورهما واشدها شراسة وفجاجة ، والثانى كله حث على الفضيلة بصورة يعجز عن تحقيقها البشر ، هذا عن العنصر الأول ، ومن الجلى ان دوره فى تعميق مصادر انفلات الفعل من قبضة الارادة الواعية (المسلسلات) وتكريس التهرؤ الوجدانى (التذبذب بين القطبين المتباعدين) لايحتاج الى مزيد من البيان ، أرجو ان اكون واضحا فيما اقصد اليه من هذا الحديث ، فلست ادعو الى الاكثار من برامج الحض على المواطنة الصالحة فتلك قضية اخرى تتناول موضوع اساليب الترغيب والتنفير فيما يقدم الى المواطن ، وكيف ان فجاجة التقديم (حتى فيما هو صالح) تفقد الموضوع جاذبيته المفترضة بل وكرامته . لست ادعو الى شىء من هذا ، ولكننى انبه الى بعد المسافة بين القطبين اللذين اشرت اليهما وادعو الى تقريب هذه المسافة بصورة افضل من ذلك بكثير .

اما عن العنصر الثانى من عناصر الرسائل غير المباشرة التى نتلقاها من وسائل الاعلام فهو عنصر التفاوت بين المضمون الذى تنقله الينا الرسالة صراحة والرواية التى يتلقاها المواطن عن الحدث نفسه من مصادر اعلامية اخرى ، كالاذاعات والصحافة العالمية الوقورة ، ولايستطيع المواطن الا ان يقف قليلا او كثيرا امام هذا التفاوت ، ويسأل نفسه اى المصدرين اجدر بالتصديق فى هذه الحالة ؟ والذين يقفون هذه الوقفة افراد ينتمون الى قطاعات عريضة من المواطنين وليسوا من مرتفعى الثقافة فحسب ، خاصة اولئك الذين يقفون امام الفروق بين اعلام سمعى بعينه واعلام سمعى اخر ومن اسف ان نتيجة هذه الوقفة تكون غالبا سيئة ، فاما التشكك فى مصداقية مصادر الاعلام المحلية ، واما تشوش الذهن والعجز عن الخروج بصورة واضحة عن حقيقة مايجرى فى الوطن وفى العالم من حولنا .

الطريق إلى علاج اختلال اللياقة النفسية



والخلاصة ان ترشيد الخطاب الاعلامى او انضاجه خطوة اجتماعية لابد منها اذا اردنا ان نعالج شيوع الخلل فى اللياقة النفسية بين المواطنين . فالاعلام جهاز شديد التأثير ، وقد ذكرت فى حديثى عنصرين ينبغى للترشيد ان يشملهما بشكل جذرى اذا اردنا ان نبدأ فى علاج قدر معقول من التهوش الوجدانى والتشوش العقلى وهما مظهران من اهم مظاهر اختلال اللياقة النفسية الشائعة ، ومع ذلك فهذان العنصران عينة محدودة من بين عدد كبير من العناصر التى لاتقل عنهما ضررا ، ولاتقشيا لهذا الضرر ، وهى جميعا تحتاج الى كثير من المراجعة والتصحيح .

● ترشيد الأداء

الفرق الاساسى بين العمل واللعب ، فى نظر علماء النفس هو فى الشعور بالمسئولية الاجتماعية المترتبة على النشاط الذى ينطوى عليه هذا العمل وليس فى طبيعة النشاط نفسه . فلعب الكرة يصبح عملا اذا ماترتبت عليه نتائج توجب الشعور بالمسئولية ، واكثر النشاطات خطرا يتحول الى لعب اذا لم ينتج عنه او يرتبط به اى شكل من اشكال المسئولية الاجتماعية ، وعلى اساس من

هذه التفرقة تترتب نتائج كثيرة فى حياتنا النفسية ، والنفسية الاجتماعية ، ويرى كثير من علماء الاجتماع وعلماء الحضارات ان العمل هو الجذر العميق الذى دفع الانسان فى طريق الرقى فوق المستوى الحيوانى ، وذلك من خلال ما ارتبط به من تقسيم اجتماعى للعمل وتوزيع للادوار بين الافراد حول مشروع العمل الذى يتعاونون فى انجازه بل ويرى بعضهم ان العمل هو الأصل فى نشأة اللغة بكل ماتتميز به من وظائف رمزية وتعبيرية تعلو بها على مستوى الاصوات الحيوانية البكماء .

لهذه الاسباب الاجتماعية البالغة الخطر (بالاضافة الى الاسباب

الاقتصادية التى لامحل للافاضة فى الحديث عنها) اصبح العمل مصدرا هاما من مصادر الهيكلة (بالمعنى الذى سبق ان اوضحناه) فى حياتنا الاجتماعية والنفسية على حد سواء ، وبالتالى اصبح العبث بموقعه فى المنظومة الاجتماعية الشاملة والمنظومات النفسية للافراد مخربا للتصيب الذى كان مقدرا لهذا النوع من النشاط ان يسهم به فى عملية الهيكلة ومانيشأ عنها من مستويات اللياقة المختلفة . ومن هنا كان لزاما علينا اذا صحت النية وأنعقد العزم على علاج اختلالات اللياقة الشائعة ان ندخل فى مخططنا لهذا العلاج ترشيد العمل ايا كان نوعه ومستواه وموقعه .

الابعاد الاجتماعية للعمل هى التى تهمنا فى المقام الأول فى هذا المقال . لايمكن ان يقوم العمل بدوره فى حياتنا الاجتماعية والنفسية بدون ان نربطه بالشعور بالمسئولية ، ولايمكن ان تقوم هذه الرابطة وتتوثق بدون ان يكون العمل منسوجا ضمن منظومة معينة من الممارسات والقيم ، تعرفها الانسانية وتلتزم بها منذ فجر التاريخ ، وكنا تعرفها ونلتزم بها حتى ماض قريب ، ومن لغو الحديث ان نعيد ونزيد القول فى ماهية هذه المملوسات والقيم ، تلك الممارسات التى تبدأ بكل مايكشف عن الانضباط فى صوره المختلفة ومستوياته المتعددة ، والتى تحترم آليات الثواب والعقاب لانها هى الجذر الاساسى لتصحيح الفعل والرقى به ، والتى تربط بين العمل الحقيقى والاجر ، والتى تنمى آليات التعاون والتخطيط ، وتنمى قيم الالتزام والوعد واحترام شروط التعاقد ، هذا بالضبط هو الموضع الذى يلزمه التدخل بالترشيد ، ترشيد العمل فى ابعاده الاجتماعية الاساسية بغض النظر عن مستواه التكنولوجى او غير التكنولوجى فالحديث الان فى التكنولوجيا ولاسيما التكنولوجيا المتقدمة يشبه ان يكون حديث خرافة مادام الجذر الاجتماعى للعمل مختلا على هذا النحو الخطير .

خلاصة القول ان علاج الانتشار الواسع لاختلالات اللياقة النفسية للافراد فى مجتمعنا انما يحتاج الى عدد من العلاجات الاجتماعية نجملها فى اربع نقاط رئيسية أولاها ضرورة التفرقة بين الثوابت والمتغيرات فى حياتنا الاجتماعية بحيث تحذر كل الحذر ان تمتد بمعاول التغيير المباشر الى الثوابت كانما هى والمتغيرات شىء واحد ، وثانيتها توفير مزيد من الديمقراطية الحقة حتى يبرز الدور الاجتماعى للمؤسسات والدور النفسى لشعور الفرد بالمسئولية ازاء مشاركته فى عمليات اتخاذ القرار ، وثالثتها ، ترشيد الخطاب الاعلامى بتنقيته مما يشيع فيه من تفاوت يصل احيانا الى حد التناقض الصارخ بين ماينطوى على قيم مقبولة وما ينطوى على قيم مرفوضة وكذلك بين الرسالة وحقيقة الواقع ، والأخيرة ترشيد الاداء فى ميادين العمل المختلفة ، على اساس ان الوظيفة الاجتماعية والنفسية الاجتماعية للعمل هى المشاركة فى هيكلة المجتمع وخاصة فيما يتعلق بجبهات التفاعل بينه وبين أفراده .

الإمام محمد عبده

بين المحافظ المتشدد والمجدد المتطلع

بقلم: د. محمد رجب البيومى

هذا النظام الإدارى الذى أدركه محمد عبده، قد جاء خلفاً لوضع آخر، حيث كان الطالب الأزهرى يقضى بالأزهر سنوات عدة يطلب فيها العلم على أساتذته كما يشاء فلا يتقيد بحضور، أو بأستاذ، أو بكتاب وإنما يختار ما أراد من العلوم ومن أحب من الأساتذة. ويظل يواصل دراسته، حتى إذا أحس بتمكنه العلمى، جلس للتدريس، وتحلق حوله الطلاب والأساتذة، يسألونه جميعا فى كل ما يعن لهم من العلوم، وعليه أن يجيب دون تلكؤ، فإذا اجتاز العقبة بسلام، هنىء وقرظ، وأصبح شيخاً يجلس ليعلم، وإذا كانت الأخرى، فعليه أن ينتظر حتى ينضج، ولن يعترف بنضجه إلا إذا جلس، وتحلق حوله الجمع المتحفز للسؤال العويص، ووفق للأجابة السديدة بإتقان.

وواضح أن الطريقة الأولى أصوب وأتقن، فقد يتعصب قوم فيلحّون فى الأسئلة، ثم يأبون الإقرار بالصواب، وقد يتساهل آخرون فيقرون بالفوز مسبقا عن تراض سابق، أقول قد، وهى للتقليل، لأن الأمر قد إطرد على العسر الشديد، فالطالب يستعد، ويبذل من العناء فوق ما يتحمل، والمناقش متحفز متربص كمن يقف على ثغرة خطره فى جبهة حربية، فهو يحاول أن يتقى الخطر ما استطاع، والناس أضن بالثناء فى موضعه، فكيف به فى غير موضعه، وقديماً قيل:

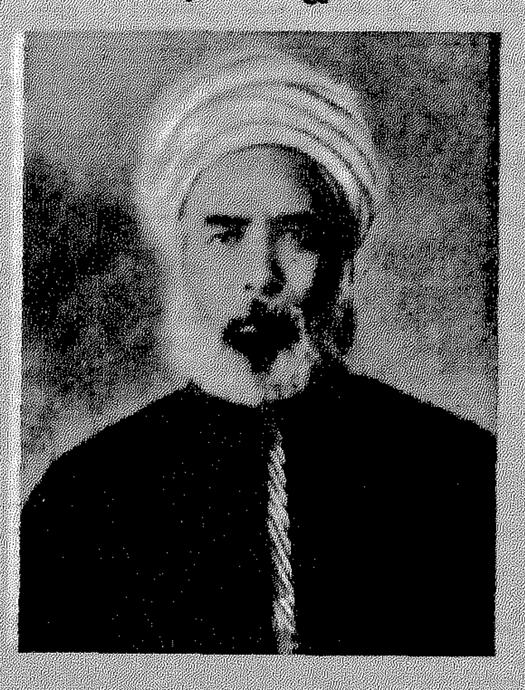
والناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً
مالم يروا عنده آثار إحسان

لم يكن محمد عبده الطالب الناشىء

قد يحس بعض الطلاب الناهضين ، بامنية تختلج فى نفسه ، إذ يشتهى أن تطوى سنى الدراسة بامتحان عاجل يقفز فيه إلى الصف النهائى فى وثبة ظافرة تتيح له أن ينال الاجازة العلمية دون انتظار ملول إلى تعاقب السنوات عاماً خلف عام ! هذه الأمنية المشتهاة كانت تتحقق فعلا لدى بعض الطلاب ، خلال بعض المراحل التعليمية الغابرة بالأزهر ، فقد كان من حق كل طالب مكث حقبة فى الأزهر طالت أو قصرت ، أن يتقدم لامتحان العالمية ، ومعه شهادة اثنين من العلماء مدونة فى كتاب يعرض أسماء العلوم التى درسها الطالب ، ويبين أسماء الكتب التى تضمنت هذه العلوم ، فإذا تم ذلك حدد للطالب موعد الامتحان فى مدى قريب ، واختيرت اللجنة التى يؤدى أمامها الامتحان شفويا فحسب ، فإذا وفقه الله فقد أصبح عالما مرموقا يجلس للتدريس بعد أن كان طالبا ، وإذا كبابه الحظ ، فلديه فرص متتاليات - لا تقف عند حصر - فقد يؤدى الطالب امتحان (العالمية) عشر مرات متتالية دون يأس ، لأن المنال عسير ، والمطمح بعيد ..



الشيخ الظواهرى



الشيخ محمد عبده

تلميذا مغمورا فى بيئته الأزهرية الخاصة ، أو فى مجتمعه المصرى العام ، فقد اشتهر عنه سداد المنطق ، وحرية التفكير ، إذ كان يناقش ما يقوله شيوخه فى اعتداد ، ويعارضهم كثيرا بما تضيق به صدور ألفت الطاعة والامتثال ، كما عُرف بمقالاته الناقدة فى جريدة الأهرام فى وقت كانت المقالات الصحفية لدى فريق من الشيوخ تعنى الانصراف عن المتون العلمية والشروح التقريرية والحواشى المشتهرة حول الشروح والمتون ، وكل



ذلك لا يتيح للطالب مجالا للعلم الحقيقى الذى يدرس فى الحلقات كما يزعمون هذا إلى شهرة محمد عبده بالتلمذة على جمال الدين الأفغانى ، والتشبع بآرائه الإصلاحية فى السياسة ، واتجاهاته العلمية فى دراسة الفلسفة والحكمة وما لم يؤلف فى الأزهر من قبل . فكان محمد عبده يناقش أساتذته فى ضوء ما استنار به من آراء جمال الدين ، فلا يرى الصدر المتسع ، والرد الصائب ، بل يسمع صيحات المروق والسعى إلى الفتنة ، وتقليد الملاحدة من أعداء الدين ، وفى زملاء محمد عبده من الطلاب من يحسدون مكانته ، ويقصرون عن موهبته ، فيسوءهم أن يكون ذا رأى واضح ، فى مجتمعه المصرى بعامة ، ويتمنون فى نفوسهم أن ينهجوا نهجه ، وقد حال ضعفهم العلمى ، واستعدادهم العقلى دون ما يبتغون ، هؤلاء "يفزعهم نشاط زميلهم النابغة ، فيختلقون عليه أكاذيب علمية" ليست بذات شأن لو ذاعت فى بيئة ممحصة تستمع إلى الاتجاهين ، وتزن المسائل بمعيارها الصحيح ، ولكن التلاميذ يختلقون ، والشيوخ يصدقون ، وفيهم من تأخذه الحماسة ، فيهدد الطالب فى مستقبله ، ويضيق بمرآه إذا شهده ، ويحذر منه زملاءه الشيوخ وأبناءه الطلبة إذ لا يستقيم للأزهر أمره إذا نجح فيه تلاميذ جمال الدين ، وأولهم هذا الذى يسير مرتفع الرأس ، ويناقش فى ثقة واعتداد .

● الشيخ محمد عليش صوت مسموع

كان الشيخ محمد عليش من كبار علماء عصره ، وله فى الأزهر صوت مسموع ، وقد نشأ على الدراسة التقليدية ، واعتنق آراء تناقلها عن أساتذته . وشرحها للطلاب كما سطرت فى كتب المتأخرين ، وقد جاءه أن جمال الدين الأفغانى يشرح كتباً غير التى تدرس بالأزهر ، وينادى بآراء لا تتفق وما ارتآه شيوخه فى الجامع الأثرى الخالد . كما جاءه أنه يفضل بعض آراء المعتزلة ، وهم لدى الشيخ عليش ممن لا يوثق بهم فى رأى ، فاشتعل غضباً على جمال الدين وتلاميذه ، وجعل يتعقبهم فى الحلقات ، ضاربا بعكازه تارةً ، وشاتماً بلسانه تارات ، وبعض الذين يكتبون عن الشيخ عليش ، ينحون عليه بالنقد الصارخ ، ويرونه مثالاً للجمود المتأصل ، وأنا أراه ظاهرةً طبيعية لابد أن توجد ، فالعلم يحتاج إلى المحافظ المتشدد . كما يحتاج إلى المجدد المتطلع ، فإذا تسرع الثانى حاول الأول أن يبصره عاقبة التسرع ، وإذا جمد المتشدد حاول المجدد أن يزحزحه قليلا عن مكانه ، وبذلك يسير الفكر فى طريق مأمون ، ولكن بعض

إعلان من مشيخة الجامع الأزهر

أنه بناء على الخالطة الصادرة من حضرة الشيخ محمد عبده خير الله المفتي الأزهري والاستعلام الصادر من هذا
الطرف في غاية ربيع [illegible] بما أن العالم حضرة المولوي الشيخ [illegible] المعقول والمنقول وعن أهليته واستعداده
للتدريس بالأزهر [illegible] وتفتيشها [illegible] فأدى الشهادة من حضرات أفاضل العلماء المدرسين
بالأزهر [illegible] قد تلقى من كتب الفقه على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة من ابتداء مراقي الفلاح إلى غاية
الدر المختار ومن التوحيد عقيدة السنوسي بحاشية الباجوري وشرح الهدهدي وشرح [illegible] وحاشية الدسوقي
على [illegible] اللقاني بحاشية الباجوري وشرح عبد السلام وحاشية الأمير عليه ومن الحديث الجامع
الصغير بشرح العزيزي وصحيح البخاري بشرح القسطلاني ومن التفسير تفسير الجلالين بحاشية
الجمل وشرح الخطيب ومن النحو من ابتداء شرح الكفراوي على الأجرومية لغاية الأشموني ومن
المنطق السلم بحاشية الباجوري وشرح الملوي مع حاشية الصبان عليه وإيساغوجي بشرح شيخ الإسلام
وحاشية الحفني عليه وشرح مختصر السنوسي ومن الآداب السمرقندية بحاشية الباجوري وشرح الملوي
وحاشية الأمير عليه وشرح السلم مع حاشية الصبان عليه ورسالة البيان ورسالة الدردير بحاشية
[illegible] الأفعال بشرح [illegible] وشرح تصريف العزي ومن [illegible]

المحافظين يشتطون . وبعض المجددين يتقمون ، فتتسع الهوة بين فريقين يحاربان في جبهة واحدة ، وما أحرى الهوة أن تضيق . بل ما أحراها أن تمنع أصلاً فلا توجد ، وقد كان الشيخ عليش رحمه الله ، لساناً صادقا من السنة الحق حين قامت الثورة العرابية فأيدها مفتياً وفقيها ، ونازل خصومها بأبلغ ما يملك من الرأى ، وحين دارت الدائرة على العرابيين لم يتنكر لهم ، بل دافع وعاند وتحدى ، ثم سيق إلى المحاكمة وهو في أواخر أيامه ، فأهمل وامتهن ، حتى لقى أجله في مستشفى لم يكترث بمقامه ، فدفن في مشهد ذليل ، دون أن يشيعه غير خدم المستشفى ، فهم وحدهم اهل الوفاء في زمن خاف فيه كل مسئول على نفسه ! أقول ذلك كله قبل أن أسطر خصومة الشيخ الكبير لمحمد عبده ، فقد بالغ وأسرف لقيه ذات مرة غاضباً متفعلاً ، وسأله : علمت أنك ترجح بعض آراء المعتزلة على ماقاله الأشاعرة ، وكان محمد عبده دقيق الإجابة فقال : إذا كنت لا أقلد الأشاعرة ، فأنا أيضا لا أقلد المعتزلة ! وهي إجابة تثير الشيخ عليش ، لأنه أشعرى ويرى تقليد الأشاعرة مما يجب ويلتزم والشيخ عليش طرفة أخرى مع تلميذ من تلاميذ جمال الدين هو ابراهيم الهلباوى ، فقد



قابله ذات صباح منفعلا : وقال له إن لم تترك مجالس جمال الدين فسيخرب الله بيتك ، وكان فى الهلباوى فطانة ذكية ، فابتسم الهلباوى ، وقال : لن يفعل ، فاحتد الشيخ وقال إن الله قادر على كل شىء ، فقال الهلباوى الست تقرر فى علم التوحيد أن قدرة الله لا تتعلق بالمستحيل ، وأنا ليس لى بيت ، فكيف يخربه الله ! فرفع الشيخ عكازه ، وطار الهلباوى من أمامه . وذاعت الطرفة فكان موضع السمر زمنا .

● الامتحان الأول

تقدم محمد عبده إلى امتحان العالمية سنة ١٨٧٧ وفقاً لقانون الامتحانات ، الذى صدر مرسومه عام ١٨٧٢ م وكان على الطالب أن يمتحن فى علوم الأصول والفقه والتوحيد والتفسير والنحو والصرف والمعانى والبيان والبديع والمنطق ، وقد هزىء به أساتذته الذين سيتولون امتحانه ، إذ لم يقفوا على مبلغ ثقافته المتعددة ، وظنوا أن من اشتغل بالمقالات فى الجرائد والخطب فى المساجد ، والمحاورات فى المجالس ، لن يبقى لديه وقت يتسع لدراسة هذه العلوم ، ومن هنا أخذ الشيخ عليش ومن لف لفه يشيعون أنه راسب لا محالة ، وأحسب أن مثل هذه الإشاعات إذا تداولت وانتقلت إلى الطالب فإنها تزعزع ثقته بنفسه ، ولكن محمد عبده استمسك بإرادته . وأيقن أن المعركة حاسمة ، ولن يخوضها بغير عزيمة صادقة تجتاح العوائق ، وجاء وقت الامتحان ، فتصدر شيخ الأزهر الأستاذ محمد العباسى المهدى مجلس النقاش ، ومن حوله أعضاء اللجنة . وكلهم يدور فى فلك الشيخ عليش الذى صمم على حرمان التلميذ مهما أجاب ، ودارت الأسئلة العويصة يوجهها من يعتقدون أن الطالب سينسحب حين يعجز ، ولكن المفاجأة كانت غير متوقعة ، إذ أجاب الطالب ، فقرر ما يرون ، وما سجلوه فى كتبهم . ثم عقب بالتفنيد الصارم لبعض المقررات ، وشيخ الأزهر فرح يتألق وجهه ، ولكن الأعضاء كانوا ينتظرون فى علمى التوحيد والفقه إجابة لا يتعداها الطالب فأخذوا بمن يقرر لهم ما يبتغون ، ثم يعقب عليه ببعض ما يراه ، وقد انتظر منهم أن يعقبوا على ملاحظاته ، فكانوا يتنقلون من مادة إلى مادة ، ليجدوا بعض ما يعجز ، ولعل مما أتاح للطالب أن يفوز ، أنه كان يفاجىء الأساتذة بما يلزمهم أن يردوا به عليه إذا خالفوه ، وقد تعودوا أن يقولوا السؤال المحفوظ ، ليسمعوا الجواب المحفوظ ، فما بالهم يسمعون ما يعرفون ثم يعقب عليه الطالب بما لا يتوقعون . لقد طال بلاؤهم بالطالب كما طال بلاء الطالب بهم ولعل محمد عبده

قد أفصح عن بعض ذلك حين قال :

"عـرضت نفسى على مجلس الامتحان فى ١٣ جمادى الآخرة عام ١٢٩٤ هـ ، وابتليت فى الامتحان أشر أنواع البلاء ، لتعصب الأكثر من أعضائه مع المرحوم الشيخ عليش ، وكان يعادينى على الغيب اتباعا لآراء

من لا رشد عندهم ، من بلداء الطلبة ، وكانوا قد أجتمعوا على ألا يمنحونى درجة ما فى العلم ، وجرت أمور قبل الامتحان يطول شرحها ، ولكن كان أمر الله أغلب ، فخرجت من الامتحان بالدرجة الثانية ، وصرت مدرساً من مدرسى الجامع الأزهر ، وأخذت أقرأ العلوم الكلامية والمنطقية" هذا ما قاله الشيخ محمد عبده ، أما كيف حصل على الدرجة العلمية ، فإن رئيس اللجنـة الشيخ محمـد العبـاسى المهدى ، وقد بهر بإجابات الطالب ، واعتراضاته ، وأظهر من دلائل القبول والارتياح ما ضاقت به اللجنة أكبر الضيق حتى إذا انتهى الامتحان ، وفرغت اللجنة للمداولة صرح الرئيس للأعضاء أنه لم يجد فيمن امتحن من قبل من يصل إلى مرتبة محمد عبده ذكاءً وعلماً واستنباطاً ، واستحقاقا للـدرجة الأولى ، فكثـر اللجاج ، وتعصب الشيخ عليش طالبا رسوب الطالب ، وحين سد الباب بإصرار الشيخ العباسى ، تقدم أحد الأعضاء بحل وسط ، فحواه أن يحرم الطالب من الدرجة الأولى إرضاء للشيخ عليش وجماعته ، وينال العالمية من الدرجة الثانية إرضاء للشيخ المهدى ، وكتب صاحب الاقتراح قرارا بما أهتدى اليه ، ووقعه فسارع الشيخ المهدى بالتوقيع ، وتبعه الأعضاء على كراهة ظاهرة ، وفاز الشيخ بأمنيته إذ أصبح معترفا به ، وله الحق أن يدرس بالأزهر وسواه .

● الامتحان الثانى

أما الامتحان الثانى فقد صار فيه الطالب الممتحن من قبل فى سنة ١٨٧٧ م أستاذا يمتحن تلاميذه بعد خمسة وعشرين عاما فى سنة ١٩٠٢ م وكان الطالب الذى يجلس ليؤدى الامتحان هو الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى الذى صار فيما بعد سنة ١٩٢٩ شيخا للجامع الأزهر ، ولطرافة ماجرى فى امتحان الشيخ الظواهرى نلم بشىء منه ، لنعرف الفرق بين امتحان وامتحان .

أصبح محمد عبده منذ رجوعه من منفاه علما من أعلام الاصلاح الدينى فى العالم الاسلامى ، وهذه الزعامة الاصلاحية لم تكن موضوع الارتياح من كثير من العلماء الذين تتلمذوا على أضراب الشيخ عليش ، فجمدوا على مقررات لاسبيل الى التنازل عنها ، ووقفوا بالمرصاد لسعى الأستاذ الامام فى اصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية والأوقاف ، وفتح باب الاجتهاد فى مسائل التشريع ، وتفسير كتاب الله العزيز على نحو توجيهى يرشد الناس الى الصراط المستقيم بعيدا عما يملأ كتب التفسير من مسائل نحوية

الإمام محمد عبده

وصرفية وكلامية وبلاغية ومنطقية تسدل حجابا كثيفا على معانيه ، ومن الذين عارضوا الامام فى منهجه الاصلاحى زميله الشيخ ابراهيم الظواهرى شيخ الجامع الأحمدى وأحد شيوخ التصوف الذائع بين المصريين فى نهاية القرن الماضى ، وأوائل هذ القرن ، هذا التصوف الذى يرتكز على إقامة الموالد ، وزيارة الأضرحة ، وتقديم النذور ، وترديد الكرامات المنسوبة للأولياء ، مما قام الأستاذ الامام بمحاربته ، ونعى على محترفيه ، والشيخ ابراهيم الظواهرى هو شيخ الجامع الأحمدى ، وله فى السيد البدوى اعتقاد كبير ، وقد نسب أصدقاؤه لبيته من الكرامات الذائعة مالم يصادف ارتياح الامام محمد عبده فتباعد مابين الرجلين على نحو يستعصى على الوفاق .

وحين تقدم الطالب محمد الأحمدى نجل الشيخ ابراهيم الظواهرى لامتحان العالمية ، وعرف أن الأستاذ الامام سيرأس اللجنة ، وقع فى حيرة شديدة ، فالطالب منسوب إلى اتجاه أبيه والامام ذو سطوة فى السؤال ورد الجواب ، والطالب كما يروى عن نفسه فى مهب الريح .

ترى ماذا صنع الامام مع تلميذه والأمر امره لأن جميع اعضاء اللجنة ، يتركون له توجيه الأسئلة ومناقشة الردود .

لقد تحدث الأستاذ الأكبر محمد الأحمدى الظواهرى فى مذكراته (عن السياسة والأزهر) مفصلا ما جرى يوم امتحانه ، فذكر أنه تهيب الموقف قبل ان يلج حجرة الامتحان ، وكان من عادة الطلاب ان يبدءوا بتقبيل ايدى الأساتذة قبل الجلوس ، فما كاد يلمس يد الأستاذ الامام حتى نزعها منه ، مكتفيا بلمس اصابعه ، ثم فاجأه بأن قال له : لقد سماك والدك الأحمدى نسبة لأحمد البدوى وسنرى ماسيكون من شأن هذا الولى معك .

قال الشيخ الظواهرى : كان لهذه العبارة مصحوبة بخطف يده منى أثناء محاولة تقبيلها اثر سيىء فى نفسى ، فانقبض صدرى ، واسودت الدنيا فى عينى ، ولما طلب منى ان ابتدىء الكلام تأخرت برهة ، ثم تماسكت وأجبت بطريقة غير طريقة زملائى ، إذ عمدت الى جوهر الموضوع دون تعلق بالحواشى الزائدة ، وايقنت انى حزت قبول الامام ، ولكن لم يظهر على وجهه مايدل على سروره ، فشق ذلك على نفسى ، وصممت أن انتزع منه الاعجاب ، فخطر لى ان اعاود الكلام مرة اخرى فى الموضوع نفسه ، فعندئذ قال الشيخ : لماذا تريد استئناف الكلام ، لقد تكلمت كلاما طيبا جيدا ، وعالجت البحث علاجا رائعا ، والأحسن ان ننتقل الى موضوع آخر ، فكانت عبارة الامام هذه كأنها البلسم الشافى ، فاندفعت اجيب

بالطريقة التى اخترتها فقال الشيخ : ان ترتيب بحوثك وطريقة العرض ، مما يعجب ويروق ، وسأتخذ معك فى ترتيب الأبحاث طريقا جديدا ، وأخذ يقلب أوضاع المسائل ويخرج من علم الى علم ، حتى طال النقاش بضع ساعات على غير المألوف ، وحتى ارهقت ارهاقا جسمانيا وعقليا ، فطلبت فى نفسى شربة ماء ، ولكنى سكت مهابة للشيخ ، ثم غلبنى الظمأ ، فطلبت من الشيخ ان يأمر لى بشربة ماء ، فقال الشيخ انت تستحق (شربات) لا ماء ، فقد احسنت كل الاحسان ، وارسل فى طلب كوب كبير من (الخرنوب) لأشرب مع اعضاء اللجنة على حسابه ، ثم قال ، لقد فتح الله عليك يا أحمدى ، والله انك اعلم من ابيك ، ولو كان عندى فرق الدرجة الأولى لأعطيتك اياها ، فكانت عبارته هذه حديث الناس فى الأزهر ، وأصبحت من أسباب سعادتى !

هذا ملخص ما قال الشيخ الظواهرى فى مذكراته ، وقد تأثر نفسيا بسلوك الامام بدءا حين نزع يده دون ان يقبلها ، ولم يدر انها عادة الامام مع الطلاب جميعا ، لأنه يريد ان يرتفع بهم عن مظاهر الخضوع ، ولو كانوا تلامذة له ، أما امتناعه عن التقريظ عند الاجابة الأولى فلا شىء فيه فقد تكون اجابة السؤال الأول مما يحفظه الطالب ويدرى أبعادها مصادفة ، فالأحرى بالممتحن أن ينتظر وقد انتظر الشيخ حتى تأكد ، فاندفع فى الثناء .

ومقارنة الامتحان الأول بالامتحان الثانى تدل على انصاف الامام ، وترفعه فوق الحزازات الشخصية ، وهذا ما غلب عن اللجنة الأولى حين ناصبته العداء ، وصممت على رسوبه لولا موقف شيخ الأزهر ! وشتان مابين الموقفين ! -

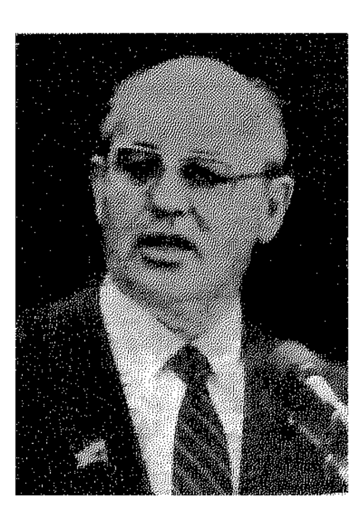
والطريف ان الأستاذ الاكبر الظواهرى قد تابع حديثه فذكر ان قول الامام له انك اعلم من ابيك صادف سرورا من والده وقال له : هذا مما يضاعف بهجتى اذ أتمنى ان تسبقنى يابنى - وسانذهب الى منزل الأستاذ فى عين شمس لاشكره ، وتعال معى ، فذهبا مسلم !

وقد يظن قارىء اليوم ان امتداد النقاش فى جلسة الامتحان بضع ساعات يحمل بعض التحامل ، ولا كذلك لأن الامتحان شفوى فقط ، وقد يمتد يوما كاملا ، بل قد تواصل اللجنة اجتماعها فى الغد ، لبعض الظروف الداعية لذلك ، وهو تدقيق يحمد ، فليتنا نلتزم الجد فى هذه المواقف الحاسمة ، لأن التساهل معها ، يضر كثيرا ، وقد شهدنا من يحملون الاجازات العلمية ، ثم يحارون فى البديهيات ، وما جاء ذلك الا بالتفريط المعيب !

هذه صفحة من تاريخ الأزهر القريب ، نذكرها اليوم لنفيد منها عبرة واعظة ، لمن يعى ويتامل . مترحمين على من جاء ذكرهم فى هذا المقال محافظين ومجددين .

وجذوره التاريخية ..

بقلم : عبد الرحمن شاكر


جورباتشوف


شيفرنادزة


خروشوف

من المجاعة التي تهدد الاتحاد السوفييتي ، إلى ثورة القوميات ، وتمرد بعض الجمهوريات المطالبة بالانفصال ، الى التغيرات الدرامية فى معاونى جورباتشوف ، بدءا من استقالة شيفرنادزة حليفه الأول ، الى اختيار "المتشدد" يانايف نائبا لرئيس الجمهورية بضغط مباشر من جورباتشوف على أعضاء البرلمان ، وهو المنصب الذى كان شيفرنادزة ذاته مرشحا له ... كل ذلك يعبر عن مأزق شديد تمر به البريسترويكا ومبدعها ميخائيل جورباتشوف ، ويجعله يواجه اختيارين أحلاهما مر : الأول منهما أن يستسلم للمتشددين عامة من رجال الحزب الشيوعى الذى لا يزال هو (اى جورباتشوف) امينه العام ، ومن يلف لفهم من العسكريين ورجال المخابرات ، وما يسمى بالمؤسسة الصناعية العسكرية على غرار نظيرتها فى الولايات المتحدة الأمريكية .. والثانى : أن يذهب جورباتشوف ذاته وتذهب معه كل سياسته فى البريسترويكا وتعود "الستالينية" فى صورة جديدة !

على أن مأزق البريسترويكا ليس وليد اليوم ، ولكنه ملازم للبريسترويكا منذ يوم مولدها من حوالى ستة أعوام ، وقد عبر عنه جورباتشوف تعبيرا كاملا فى كتابه الشهير ، الذى يحمل اسمها ، اسم البريسترويكا ، حيث قال إنها تأخرت كثيرا عن موعدها ، تأخرت جيلا كاملا من الزمان ! يتساءل جورباتشوف فى كتابه [ص ٤٦ من طبعة دار الشروق بالعربية] :

« ولكن لماذا حدث كل ما جعل البريسترويكا ضرورية ؟ ولماذا تأخرت ؟ ولماذا استمرت أساليب العمل القديمة فترة طويلة ؟ وكيف حدث التزمت العقائدى فى وعينا الاجتماعى وفى النظرية ؟ »

ويجيب على هذا التساؤل قائلا بعد سطور :

« كان المؤتمر العشرون للحزب البلشفى معلما هاما فى تاريخنا ، فلقد قدم إسهاما كبيرا لنظرية وممارسة البناء الاشتراكى ، وخلال المؤتمر وبعده بذلت محاولة هامة لتحويل دفة تقدم البلاد ، ولاعطاء دفعة للتحرر من الجوانب السلبية للحياة الاجتماعية ـ السياسية التى ولدتها عبادة شخص ستالين »

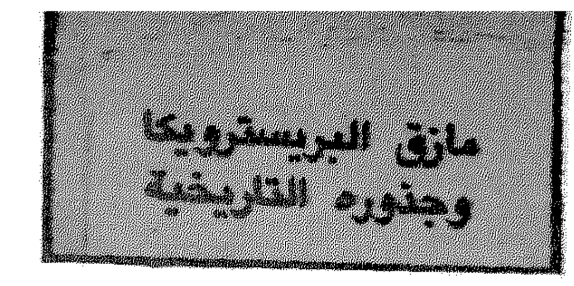
ويضيف فى هامش إلى هذه الفقرة قوله إن هذا المؤتمر « اكتشف مبدأ التعايش السلمى بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة كما ينطبق على الفترة الحالية » [أى الفترة التى بدأ فيها جورباتشوف سياسة البريسترويكا].

أما لماذا لم تصل سياسة المؤتمر العشرين الى مستوى البريسترويكا ، فيقول جورباتشوف فى الفقرة التالية مباشرة :

« وساعدت قرارات المؤتمر على مباشرة تدابير سياسية واقتصادية واجتماعية وايديولوجية هامة . بيد ان الامكانات التى ظهرت لم تستغل بشكل كامل ، ويجد ذلك تفسيره فى الأساليب الذاتية التى اقترفتها القيادة فى عهد خروشوف . وساد الارتجال الادارة الاقتصادية ، وجعلت افكار واعمال القيادة العنيدة والمتغيرة المجتمع والحزب فى حالة محمومة ، وادت الوعود والتوقعات الطموحة والتى لا تستند الى اساس ، ادت من جديد الى انفصال الاقوال عن الافعال » .

إن المؤتمر العشرين للحزب البلشفى ، الذى انعقد قبل البريسترويكا بحوالى ثلاثين سنة قد أدان عبادة الفرد فى عهد ستالين ، ولكنه لم يصل الى حد إقرار ضرورة الربط مابين الديموقراطية والاشتراكية كما فعل جورباتشوف .

وكذلك أقر هذا المؤتمر مبدأ التعايش السلمى بين الأنظمة الاجتماعية المختلفة ـ كما أشار جورباتشوف ـ ولكنه لم يصل الى حد سياسة البريسترويكا فى التخلى عن التدخل القسرى فى البلدان الاشتراكية الاخرى ، فقد تدخل خروشوف فى المجر ، وتدخل سلفه بريجنيف فى تشيكوسلوفاكيا ، وبذلك بقى التوتر العالمى على حاله ، حتى اسقطته البريسترويكا فى عام ١٩٨٩ ، الذى شهد تحولات واسعة فى شرق أوربا ، دون تدخل من الاتحاد السوفييتى ، وصلت ذروتها فى السماح باعادة توحيد المانيا .



لقد فشل المؤتمر العشرون فى الوصول بسياسته الجديدة الى نتائجها المنطقية ، فبالرغم من أنه أشار الى تحول تاريخى فى مجرى الثورة الاشتراكية العالمية ، حينما أعلن خروشوف فى تقريره لهذا المؤتمر ، أن هذا العصر هو عصر الانتصار العالمى للاشتراكية ، وسقوط النظام الاستعمارى العالمى للامبريالية بتحرر معظم المستعمرات السابقة ، وغلبة الايديولوجية الاشتراكية بتحول كثير من دول العالم الثالث اليها بعد تحررها ، إلا أنه لم يربط بين تقريره المذكور لطبيعة العصر ، وذات التحولات التى أدخلها فى السياسة السوفييتية بإدانة عبادة الفرد ، وما ارتبط بها من قمع وطغيان .

لم يبين خروشوف أن الستالينية كانت فى واقع الأمر تجسيدا شرسا للديكتاتورية الثورية ، أيام كانت الثورة مهددة من أعدائها الخارجيين والداخليين ، وبلغ هذا التهديد ذروته فى الحرب العالمية الثانية . وأنه بتحول الاشتراكية الى نظام عالمى لا يمكن قهره – على حد تعبير خروشوف ذاته فى التقرير المذكور – صار من الممكن الاستغناء ليس عن الطغيان الستالينى فحسب ، بل عن الديكتاتورية الثورية برمتها ، بل عن نظرية ديكتاتورية البروليتاريا ، كما صاغها لينين قائد الثورة ومؤسس الدولة السوفييتية ، والتحول عنها ، أى عن هذه النظرية الى الديموقراطية الاشتراكية الكاملة ، ليس فقط داخل الحزب الشيوعى ، بل فى المجتمع السوفييتى كله باقرار حرية التعبير وتعدد الأحزاب ، وفى المجتمع الدولى ، باقرار حرية كل دولة فى اختيار نظامها الاجتماعى دون تدخل ، حتى ولو تخلت عن الاشتراكية ، كما فعلت دول شرق أوربا أخيرا ، وأن تلك السياسة هى وحدها التى تؤدى – وقد أدت بالفعل فى عهد جورباتشوف – الى زوال الانقسام العالمى الى معسكرين ، يسودهما التوتر وسباق التسلح الرهيب الذى يهدد البشرية بأخطار الدمار الشامل ، ويستنزف الموارد الاقتصادية للدول المنغمسة فيه .

● الهوة التاريخية

كان عدم وصول سياسة خروشوف فى المؤتمر العشرين للحزب البلشفى الى مستوى البريسترويكا فى اقرار الديمقراطية محليا ودوليا ، سببا مباشرا فى المأزق الحالى الذى يواجه البريسترويكا ، تعبيرا عن الهوة التاريخية ما بين عصر خروشوف ، وعصر جورباتشوف ، وهى التى وصفها هذا الأخير فى كتابه بأنها فترة الركود ، الفترة التى ارتبطت باسم بريجنيف ، وفيها تورط الاتحاد السوفييتى فى حرب أفغانستان التى دامت عشر سنوات ، والتى أفقدت الاتحاد السوفييتى كل مصداقية له فى الكلام عن حق تقرير المصير لمختلف الشعوب ، بما فيها شعوب الاتحاد السوفييتى ذاته ، ولا يزال العالم يذكر هرب بعض أفراد القوات المسلحة السوفييتية ، القادمين من جمهورياته

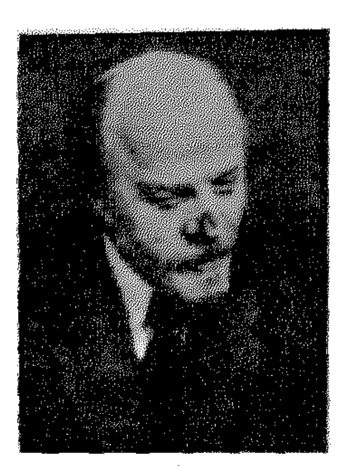
الاسلامية ، وانضمامهم الى القوات الاسلامية التى يحاربونها ! كذلك استمرت سياسة سباق التسلح مابين المعسكرين الدوليين وخاصة القوتين العظميين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى ، على نحو أضر بالاقتصاد السوفييتى اضرارا شديدا جعله على وشك الافلاس حينما بدأ الرئيس الامريكى السابق ريجان فى مشروعه "حرب النجوم" . وعجز الاتحاد السوفييتى وهو منهمك فى سباق التسلح عن اللحاق بركب الثورة التكنولوجية الجبارة التى تحققت فى بلدان الغرب الرئيسية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، واليابان ، والمانيا (الغربية) قبل توحدها مع الشطر الشرقى لها .

لذلك حينما أتت البريسترويكا الآن ، لكى تستكمل ما فات المؤتمر العشرين أن يحققه ، لم تستطع أن تستند الى نفس الدعوى التى قام عليها هذا المؤتمر من أن العالم يشهد عصر الانتصار العالمى للاشتراكية ! بل تبدو الاشتراكية وكأنها قد هزمت تماما فى الصراع العالمى ضد الراسمالية ، وأصبحت مجبرة على نحو ما بالتسليم لها :

● ففى أوربا الشرقية ، لم يقف التحول فيها الى الديمقراطية عند حد اقرار الاشتراكية الديمقراطية ، كما حاولت بعض الأحزاب الشيوعية فيها ، بل اعلن بعضها ، وخاصة فى بولندا عن توجهها للتحول الكامل الى الراسمالية .

● أما فى الاتحاد السوفييتى ذاته ، فقد أدى اطلاق حرية التفكير والتعبير وتشكيل الأحزاب السياسية ، الى تجاوز ادانة الطغيان الثورى فى عهد ستالين ، الى ادانة الثورة ذاتها ! واذا غضضنا الطرف عمن رفعوا رايات القيصرية فى الاحتفال الأخير بذكرى الثورة فى نوفمبر من العام المنصرم ، باعتبارهم أكثر المتهوسين الجدد تطرفا ، فإن غيرهم قد أدان لينين لأنه فض اجتماع الجمعية التأسيسية التى انتخبت فى أوائل أيام الثورة ، وألغى حرية تكوين الأحزاب السياسية بقضائه على حليفه فى الثورة وهو حزب الاشتراكيين الثوريين .

● وفيما يتعلق بالمسألة القومية ، فإن ما حدث فى أوربا الشرقية ، مضافا اليه



لينين



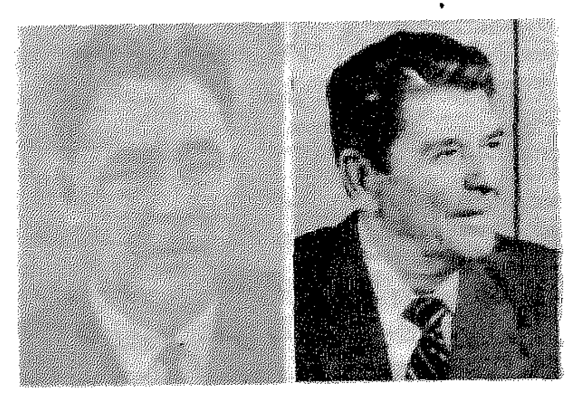
ستالين

مأزق البريسترويكا وجذوره التاريخية

عقدة أفغانستان ، قد أغرى كثيرا من القوميين ، بمن فيهم القوميون الروس ، الى التمرد على صيغة "الاتحاد" ، التى هى جزء أساسى من فكرة تشكيل "وطن الاشتراكية" على أنقاض "الامبراطورية الروسية" ، والذهاب الى أن الوجود الديمقراطى المنشود ، المزدهر على غرار دول أوربا الرأسمالية ، لا يكمله الا الاستقلال القومى ، الذى يعنى تعميمه ، تفكيك الاتحاد السوفييتى برمته !

● ويزيد مبدأ الاشتراكية ، وكل ما ترتب عليها من هزيمة ، اقرار جورباتشوف ، والبريسترويكا ، بضرورة التوجه الى اقتصاد السوق للخروج بالاقتصاد السوفييتى من حالة الركود ، التى وصلت الى حد المجاعة حاليا ، وطلبا للحاق بانجازات الثورة التكنولوجية فى الغرب عن طريق فتح الأبواب لتدفق الاستثمارات الاجنبية وخاصة من ألمانيا واليابان ، الأمر الذى جعل "الانفتاحيين" الجدد فى

ريجان — بريجنيف



الاتحاد السوفييتى لا يكتفون بما دعا اليه جورباتشوف من أن يكون التحول الى اقتصاد السوق أمرا شبيها بالسياسة التى اتبعها لينين ، بعد انتهاء حرب التدخل ، واطلق عليها اسم "السياسة الاقتصادية الجديدة" ، بل يريدون التحول الكامل الى النظام الرأسمالى ، واسقاط كل النظم الاشتراكية .

● المشاكل الجديدة

ولكن الاستجابة لكل ما يطالب به دعاة الرأسمالية الجدد فى الاتحاد السوفييتى قد تعنى خرابا كاملا لتلك الدولة الكبرى بما فى ذلك ، وفى مقدمته احتمال التفكك السياسى لتلك الدولة ذاتها ، وهو ما يحاول جورباتشوف حاليا دفعه ولو باستخدام القوات المسلحة ، التى أرسل فرقا منها الى الأطراف المتمردة فى غربه وجنوبه .

والسؤال الرئيسي الآن هو : من الذى يرث الاشتراكية إذا جرت تصفيتها ؟

● إن فكرة طرح بعض وحدات القطاع العام للبيع الى القطاع الخاص ، قد بينت أن كثيرا من مديرى تلك الوحدات ، من البيروقراطيين الذين كانوا ولا يزالون مسئولين عن سوء الأداء الاقتصادى فيها ، يزيدون بادارتها فسادا فى الوقت الحاضر ، وقد يختلسون اموالها ، وهم "يسنون أسنانهم" ، ترقبا لليوم الذى يشترون هم فيه أصول تلك الوحدات بأثمان بخسة ، ويتحولون من مديرين فاشلين لتلك الوحدات "الاشتراكية" الى رأسماليين يتملكونها !

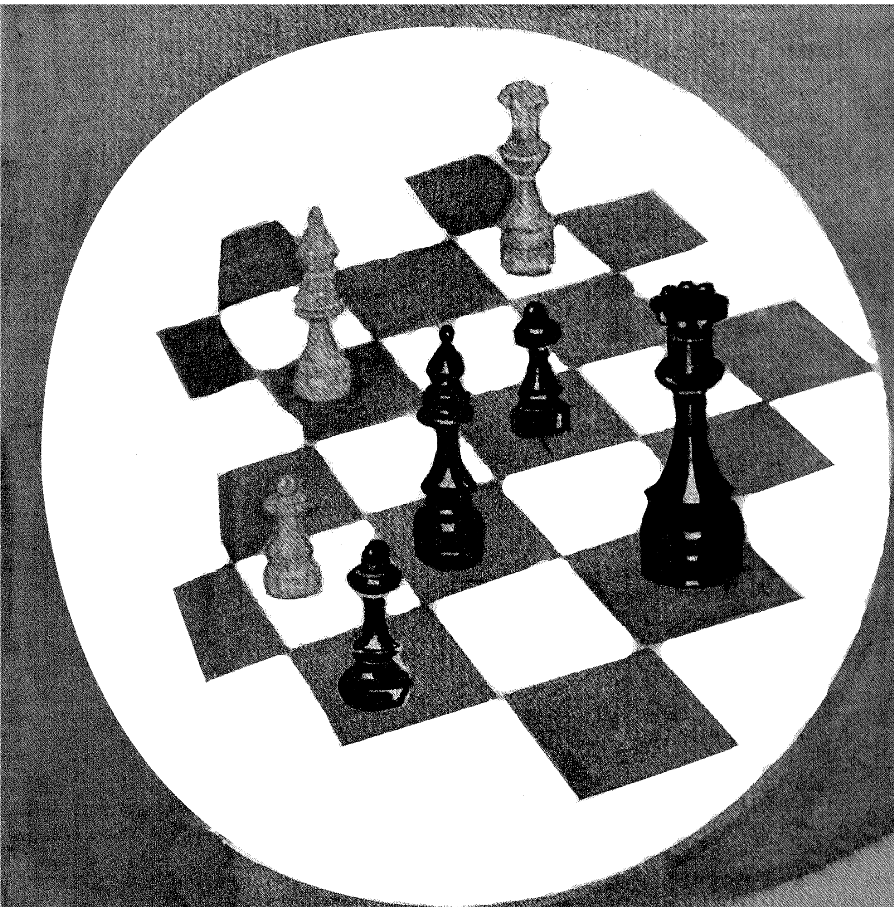
● وكذلك الحال بالنسبة للاراضى الزراعية : نعم، إن الفلاحين سوف

يرحبون بإعادة توزيع الارض عليهم ، لتكون بمثابة ملكية خاصة لهم ، ولكن السؤال يبقى هو : لمن تقدم الدولة جراراتها وغيرها من وسائل التكنولوجيا الحديثة ، اذا تفتت الأرض الزراعية ، التى كانت "سوفخوزات" أى مزارع للدولة ، أو "كولوخوزات" أى مزارع جماعية ، الى قطع صغيرة يملكها ويديرها فلاحون مستقلون ؟ إن اعادة تفتيت الملكية الزراعية قد يحمل فى طياته خطر ارتدادها الى مستوى الزراعة البدائية .

● وفى العلاقات الاقتصادية بين مختلف الجمهوريات : إذا كان الاقتصاد السوفييتى المعاصر ، قد بنى على أساس استفادة جميع الجمهوريات من مختلف الموارد الطبيعية والصناعية الموزعة على مستوى الاتحاد ، بما فى ذلك أنواع المحاصيل الزراعية ، والمواد الخام ومصادر الطاقة ، والمنتجات الصناعية من الآلات وسواها ، فكيف اذا استقلت كل جمهورية بمواردها ، وسعت الى طرحها فى السوق ، الداخلية أو الخارجية كيف تضمن الا يضار اقتصادها هى أولا بانقطاع ما لا تنتجه عنها ، مما كان يأتيها من أخواتها ؟ وقس على ذلك .

كل ذلك جعل جورباتشوف مضطرا الى وقفته الأخيرة ، التى طلب فيها الى البرلمان السوفييتى منحه سلطات واسعة ، لم ينلها "ديكتاتور" من قبل ، ولا ستالين ، على حد تعبير "المستقبل" شيفرنادزة"! وذلك لكى لا يتحول اقرار الديمقراطية ، والتحول الى اقتصاد السوق ، الى دمار شامل للاتحاد السوفييتى ، ومقومات وجوده ، الاقتصادية منها والسياسية والمعنوية . وغير بعيد أن أشار مدير المخابرات السوفييتية الى أيد كثيرة تلعب فى الخفاء ، منها ما يعمل لحساب قوى اجنبية ، ومنها ما يعمل لحسابه الخاص ، من المضاربين على هذا الخراب ، من تجار السوق السوداء والمختلسين والمرتشين ، وعصابات الاجرام على انواعها .. الخ وليست الصهيونية ببعيدة عن تلك الأيدى ، فمن المعروف شطارة اليهود فى التجارة العلنية والسرية ، وتكالبهم على جمع المال ، واستخدامه فى كل صنوف التآمر ، وللصهيونية مصلحة ظاهرة فى تخريب الاقتصاد السوفييتى ووضعه على حافة المجاعة ، لكى تغرى اليهود السوفييت بالهجرة الى اسرائيل ، وقد تدفق منهم مئات الألوف بالفعل على الأرض المحتلة فى الحقبة الأخيرة ولا يزالون ينتظرون البقية !

فهل ينجح جورباتشوف فى التصدى لتلك المشاكل ، ولأمثال تلك القوى المتآمرة ، بما حصل عليه من سلطات ؟ وهل يفلح فى اخراج البريسترويكا ، والاتحاد السوفييتى برمته من المأزق الحالى لها وله ؟ لقد أدخل جورباتشوف الديمقراطية الى الاتحاد السوفييتى ، وتلك مكسب لا تراجع فيه ، ولكنه أدخلها لكى تكون مكملا للاشتراكية ، وصولا الى وجه انسانى للاشتراكية وليس تدميرا لها ، وعليه أن يقود السفينة السوفييتية فى وجه كل العواصف الهوجاء التى تحيط بها والتى اطلقتها الديمقراطية ورياح التغيير والتجديد ، وعليه أن يثبت قدرته على الوصول بها ـ أى السفينة الى بر النجاة والأمان ، لكى يثبت أن الديمقراطية لا تعنى دائما حرية الاستغلال .. أو الموت جوعا !



أبيض وأسود

قصة : حسام فخر

ريشة : سميحه حسنين

كان الحر شديدا داخل العلبة ، وعساكر الشطرنج مع كل قطعه الأخرى كانت مكومة فوق بعضها تحت الغطاء ، لو حاول واحد الحركة تحك اكتافه فى سور الطابية ويقع الحصان فوقه فيكسر اضلاعه ، كانوا كلهم ثابتين من غير حركة ولا نفس ، والعسكرى الاسود مسح عرقه ونفخ :

ـ مش ممكن .. انا حران جدا .. لازم اخرج من هنا ..

بدا العساكر فى فتح الغطاء ، العرق الابيض ينزل على العساكر البيض والعرق الاسود ينزل على السود ، وكانوا ينفخون من التعب والحرارة لما انفتح الغطاء فتحة صغيرة هبت منها نسمة هواء ، احسوا ان الحكاية تستحق وزادوا الجهد فوقع الغطاء بضوضاء عالية ..

وطبعا خرجوا كلهم ، ناموا على ظهورهم بعيدا عن الحر وعن بعضهم ، وبعد الراحة جمعوا إلى اماكنهم ووقفوا ، صفين بيض وصفين سود فى مواجهة بعضهم ، لان كل واحد منهم يحب مربعه ولا يسمح لغريب بدخوله الا على جثته ولما يكون الواحد منهم فى مكانه يعمل ما يعجبه ولا يقول له لحد ثلث الثلاثة كم ..

الطابية لها اساس متين فلا تهمها الحركة ، والفيل حيوان ضخم ثقيل لا يحب الحركة ولكن اذا تحرك فيارحمن يارحيم الطف ، والعساكر عبيد ماموروين ، والوزير يحب الحركة ويخافها ، اما الملك ـ فككل الملوك ـ محدود القدرة وعاجز عن الحركة ومسالة بقائه من ذهابه تعتمد على جيشه ، اما الحصان فخفيف وجميل يعشق النط والقفز ، وكانت الاحصنة هى التى تململت من الوقفة الثابتة وظلت تحمحم وتحك الارض بسنابكها

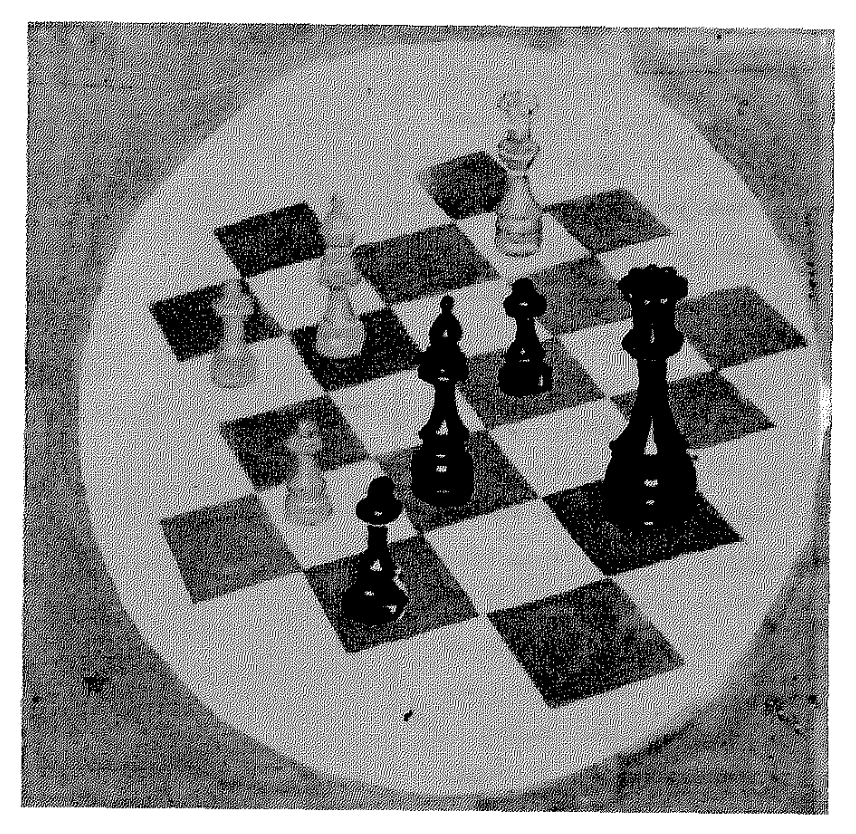
قصة قصيرة

أبيض وأسود

وتحفر الرقعة بحوافرها وتلح في ان تبدا الحركة.. والمعركة.. كان العسكرى الأسود الثالث من اليمين يفكر: "انا لست في المنتصف تماما وبالتالى لن اكون اول من يموت، وبموت رفاقى تنفتح امامى طرق ما كنت اظن انها موجودة، وانا ايضا لست على اى من الطرفين وهكذا فلا خوف على من الطوابى المجنونة التى تطحن الجنود، لو تفاديت الفيل والحصان ساصل الى المربع الثامن واصبح هناك وزيرا يتحرك بالطول وبالعرض وبالميل وساقود جيشى إلى النصر واقتل الملك الأبيض بيدى، الفيل الداهس والحصان القافز هما عدواى اللدودان اذن وعلى مثلى ان يستعين بالحكمة والحيلة امام القوة الغاشمة، يا مربعى الثامن.. انا فى الطريق.."

افاق من افكاره على صوت الفيل يامره ان يخلى الطريق حتى يستطيع الانطلاق، تقدم خطوة، كان في الحقيقة يريد ان يقطع خطوتين لكن صوتا بداخله همس: "في الثاني السلامة" فقنع بواحدة، في الطريق المائل خرج الفيل يدب بقدميه حتى اتخذ موقعا يصلح للهجوم، ثم قفز الحصان من فوق رأسه واصطدم بفيل ابيض في موقعة دموية ثار فيها الغبار و الصراخ سقط بعدها الفيل يتخبط في دمه واحتل الحصان مكانه متباهيا، وفي عز نشوة النصر تقدم عسكرى أبيض وشك الحصان بسيف في ظهره فوقع صارخا يلعن الغدر ويترحم على أيام الفروسية النبيلة، واشتعلت المعركة..

اختلط المقاتلون ببعضهم، ترددت أصداء صليل السيوف وسقط القتلى واحدا تلو الاخر، شن الجيش الأبيض هجوما كثيفا يستهدف رقبة الملك الذى جرى مذعورا الى اليمين واستبدل مكانه مع





الطابية واحتمى وراء صف العساكر، كان الوزير الأسود يعلم ان الهجوم خير وسيلة للدفاع فخرج فى حملة يشتت القوات البيضاء الغازية، قاتل ببسالة فى كل المربعات البيضاء والسوداء وفى انشغاله لم يلحظ أن فيلا يقف قريبا منه والطريق مفتوح، أصبح الوزير مكشوفا والموت يقترب منه بخطى ثقيلة مزعجة، صدر أمر للعسكرى الأسود إياه بالتقدم وسد طريق الفيل بأى ثمن، حتى ذلك الوقت كان صاحبنا يختفى وراء طابية أو بجوار حصان ويحاول بكل الطرق تفادى المعمعة والضرب الشغال، والهدف واضح، المربع الثامن وهو قطع أكثر من نصف الطريق، المربع الخامس لكن الأوامر أوامر، ضاع الأمل وضاعت الحياة نفسها، لن يقف فى مربعه بعد هذه اللحظة أبدا، لن يعرف المصارعة الودية مع زملائه أو خطف الطعام من أيديهم ساعة الغداء، انتهت الى الابد معسكرات التدريب والسهر حول النار، سيقان الفيل الغليظة ستطحن هذا كله تحيله الى مسحوق يطير فى الهواء، لكن الأوامر أوامر فتقدم ووقف فى الطريق ..

بازدراء شديد نظر الفيل ناحيته وفكر للحظة ثم قرر الا يضيع وقته وجهده فى قتل عسكرى لا وزن له وبدأ يعيد خطته لمهاجمة الوزير، سجد العسكرى على الارض فى وسط القتال وشكر الله على انقاذ حياته، الآن أصبح فى المربع السادس، واحد اثنين سيصبح وزيرا، قام، دون تردد استل سيفه وضرب عنق العسكرى الأبيض الواقف أمامه واحتل المربع السابع، حاصر الفيل والحصان وزيره الذى استغاث طالبا النجدة، لم ينتظر خلفه بل قفز الى المربع الثامن ..

جنى الشطرنج الحارس كان يجلس على كرسيه وكفاه على ركبتيه، خفى عن كل الأعين الا عينى من يقطع الطريق الى اخره، تجسد أمام عينى العسكرى بالتدريج كصورة لاتزال ترسم، ثم انحنى له وباركه وأعطاه كأسا من ماء القوة فتحول فورا الى وزير حل محل ذلك الذى سقط، جرى من جانب الى جانب غير متأكد كيف يستخدم القوة الجديدة، قاتل بشراسة ونجح فى قتل الوزير الأبيض دون أن يصاب الا بجرح صغير، أخذته نشوة النصر فطار وقفز وتنقل من جزء الى اخر يرد تحيات الجيش المهنىء، لم يدرك ان طابية وحصانا يقتربان منه من جانبين مختلفين، أصدر أمرا قاطعا لعسكرى أن يقف أمامه لحمايته فانقضت عليه الطابية - فى تحد سافر - ومزقته أشلاء - بخبرته القليلة كوزير لم يعرف أن واجبه هو التراجع فهاجم الطابية ودمرها، تطايرت أحجارها فى كل جانب وللحظة لم يتمكن أحد من الرؤية بسبب الغبار الذى ملأ الجو، وخلف هذا الستار تسلل الحصان ليأخذ موقعا يسد به الطريق أمام الوزير الذى تلفت مرعوبا يبحث عن مخرج للنجاة لكن كان الحصار محكما وكان هناك ثلاثة عساكر بيض بسيوفهم فى أيديهم يشقون الطريق الى المربع الثامن .. ولن يوقفهم شىء ..

المخابرات المصرية

أدوارهـــــا وأســـرارهـــا

بقلم: محمد سيد كيلاني

لقطة من كتاب "المخزون جامع الفنون" في الفروسية والحيل الحربية الذي ألفه ابن أخي حزام سنة ٨٧٥ هجرية

●● كثيرا ما يهمل التاريخ ذكر أناس لعبوا في حياة أممهم أدوارا خطيرة غيرت مجرى التاريخ . ومن هؤلاء المخابرات المصرية في عهد الدولة الأيوبية .

فحينما ألغى صلاح الدين الخلافة الفاطمية ، وتولى هو حكم مصر ، كانت القاهرة تموج بجماعات كثيرة من أنصار تلك الخلافة ، وممن كانوا ينعمون بخيراتها . يذكر صلاح الدين في تقرير أرسله إلى الخليفة العباسي ببغداد ما نصه : "ووصلنا البلاد ـ يعني القاهرة" ـ وبها أجناد عددهم كثير ، وسوادهم كبير ، وأموالهم واسعة ، وكلمتهم جامعة . وهم على حرب الاسلام أقدر منهم على حرب الكفر" .

● هذه هي الظروف التي أحاطت بصلاح الدين حين جاء إلى مصر ، وتولى أزمة الحكم فيها . فرأى بثاقب رأيه أن ينشىء إدارة للمخابرات ، ووكل إليها السهر على أمن الدولة في الداخل والخارج . ففرضت رقابة صارمة على كل من عرف بميوله للفاطميين من أدباء وشعراء وأمراء وكبار رجال الدولة السابقين .

وكان صلاح الدين حريصا على تلقي الأخبار في حينها فربط البلاد بشبكة من المواصلات بواسطة الحمام الزاجل وديوان البريد ، وعين رجالا ونساء في ديوان المخابرات على اختلاف ألوانهم . فكانت تجتمع لديه أنباء الأقاليم في إبانها . يقول أحد الكتاب عن الحمام الزاجل "... ولولا الغلو لقلت إنها ـ أي الحمام ـ من الملائكة لكثرة ما تأتي به من الأنباء" .

وقد حدث أن اجتمع بعض الفقهاء



مع بعض أرباب السيوف ، وشرعوا يتباحثون فى نظام الحكم ، وهل من حق صلاح الدين أن يلغى الخلافة الفاطمية ويدعو للخليفة العباسى ؟ فنقل رجال المخابرات أنباء هذه الاجتماعات وما يجرى فيها من مباحثات ، واقترح المسئولون عن أمن الدولة أن يبدى السلطان النصح لهؤلاء الفقهاء بالكف عن الحديث فى مثل هذه الموضوعات ، ومن لم يمتثل فإنه سوف ينفى إلى مكان بعيد .

وقد استطاع رجال المخابرات أن يجندوا بعض الإفرنج وخاصة الجنوبيين وبعض نصارى الشام للعمل لصالح حكومة القاهرة . ومع أن صلاح الدين انشا علاقات طيبة مع ملك بيت المقدس بلدوين الرابع وأرسل إليه مندوبا للتعزية فى وفاة والده عمورى ، حاملا رسالة مواساة ، جاء فيها :

"أما بعد ، فقد خص الله الملك العظيم حافظ بيت المقدس بالجد الصاعد ، والحظ الزائد ، وهناه من ملك قومه ماورثه" .

"إن كتابنا صادر إليه عند ورود الخبر بما ساء قلوب الأصادق ، والنعى الذى وددنا انه غير صادق ، بالملك العادل الأعز ، الذى لقاه الله خير مالقى مثله" .

"إن الله ـ سبحانه ـ قد هون الحادث بأن جعل ولده الوارث ، ورسولنا الرئيس العميد مختار الدين ، قائم عنا باقامة العزاء من لسانه ووصف ما نالنا من الوحشة لفراق ذلك الصديق . وكيف لا يستوحش رب الدار لفرقة جيرانه" ؟

"وليعلم انا له كما كنا لأبيه مودة صافية ، وعقيدة وافية ، ومحبة ثبت عقدها فى الحياة والوفاة ، مع مافى الدين من المخالفات" .

فليسترسل إلينا استرسال الواثق الذى لايخجل ، وليعتمد علينا اعتماد الولد الذى يحمل عن والده ماتحمل ، والله يديم تعميره ويحرس تاميره ، ويقضى له بموافقة التوفيق ، ويلهمه تصديق ظن الصديق" .

● حيلة ماكرة

أرسل صلاح الدين هذا الخطاب بموافقة المخابرات ، لأن مركزه كان ضعيفا ، وكان عليه أن يتودد للعدو ريثما يقوى ويعد العدة لمنازلته .

انخدع ملك بيت المقدس ، واعتقد أن صلاح الدين فى مركز ضعيف . وقد حدث أن سافر بعض انصار الخلافة الفاطمية إلى القدس وقابلوا الملك الصليبى واتفقوا معه على غزو مصر وإرجاع الخلافة الفاطمية . ورأى هذا الملك أن هذه فرصة طيبة يجب أن يغتنمها وينقض على البلاد المصرية . وكان له سكرتير خاص اسمه جورج ، يرسله من حين إلى حين إلى صلاح الدين حاملا رسالة مجاملة وبعض

الهدايا . جاء جورج فى آخر مرة حاملا كالعادة رسالة وهدية ، هذا فى الظاهرة ، وفى الباطن ليضع اللمسات الأخيرة مع المتامرين .

وهنا تلقى رجال المخابرات المصرية رسالة تحذير من احد عملائهم بالقدس ، جاء فيها "إن جورج يحمل رسالة مخاتلة ، لا رسالة مجاملة . ويحمل بلية ، لا هدية" .

فلما وصل جورج إلى القاهرة ، قابله بعض رجال المخابرات بالترحيب ، واكرموا مثواه ، واحتفوا به احتفاء عظيما ، حتى توهم العلج أنهم غافلون عن حقيقة امره ، فاطمأن وخرج ليلا تحت جنح الظلام ، وتقابل مع بعض المتامرين ، واتفق معهم على ان يجتمعوا به فى احدى الكنائس . وقد دست المخابرات بعض رجالها فاختلطوا بالمتامرين وسمعوا مادار بينهم من احاديث ، ونقلوها إلى المسئولين . وسرعان ما صدر الأمر باعتقالهم والتحقيق معهم ، فمنهم من اقر بذنبه طائعا ، ومنهم من اقر بعد ضربه . ثم قدموا للمحاكمة . وقد جاء فى صحيفة الاتهام ، وهى بخط القاضى الفاضل مانصه "... ولاتخلو سنة تمر ، ولا شهر يكر من مكر يجتمعون عليه ، وفساد يتسرعون اليه ، وحيلة يبرمونها ، ومكيدة يتممونها . وكان اكبر مايتعللون به ، ويستريحون إليه المكاتبات المتواترة ، والمراسلات المتقاطرة الى الافرنج - خذلهم الله - يوسعون لهم فيها سبيل المطامع ، ويزينون لهم الاقدام والقدوم" .

وقد صدر الحكم باعدامهم ، وكان منهم الشاعر عمارة اليمنى . وعلى اثر صدور هذا الحكم الرادع ، ادرك انصار الفاطميين أن رجال الأمن لم يكونوا عنهم غافلين ، واشتد بهم الخوف فرحل فريق منهم إلى اليمن ، ومنها إلى الهند حيث استقروا هناك ، وهم طائفة البهرة . ولما سئلوا فى الهند عن هويتهم اجابوا بانهم بهرة اى تجار فتركوهم وشانهم .

وفى ذلك يذكر صلاح الدين فى تقرير رفعه إلى دار الخلافة العباسية ببغداد "وشرعنا فى تلك الطوائف فاخرجناهم من القاهرة تارة بالأوامر المرهقة لهم ، والذنوب الفاضحة لهم ، وبالسيوف المجردة ، والنار المحرقة ، حتى بقى القصر - يعنى قصر الخلافة الفاطمية - ومن به من خدمه قد تفرقت شيعه وتمزقت بدعه" .

غير انه يؤخذ على صلاح الدين انه امر بإغلاق القصر على من فيه من النساء والاطفال كانه حكم عليهم بالسجن المؤبد دون أن يكون لهم ذنب ارتكبوه . وبمرور الزمن كبر الأطفال وصاروا رجالا وتفشت بينهم الأمراض . وكان بجوار القصر اصطبل وكان عمال الاصطبل يتسلقون الجدران . ويتصلون بمن فيه من النساء اتصالا غير برىء .

★ ★ ★

ولما اطمان صلاح الدين على سلامة الجبهة الداخلية ، انصرف إلى الشام لقتال الأعداء الذين كانوا يحاصرون ثغر عكا برا وبحرا . وكان المسلمون من سكان الثغر فى حاجة شديدة الى

◄ طالبان من شمال سوريا والعراق
لوحة مرسومة عام ١٢٢٩ ميلادية

لوحة مستمدة من مقامات الحريرى ..
مرسومة فى عام ١٢٤٧ ميلادية تصور
رحلة الحجيج واستطلاع الطريق





السلاح والغذاء والكساء والأموال . ولكن كيف السبيل الى وصول هذه الضروريات إليهم مع وجود هذا الحصار ؟

هنا انبرى رجال المخابرات للقيام بهذه المهمة الشاقة والخطيرة . وكان لديهم سفينة ضخمة من سفن الافرنج التى سبق أن وقعت فى الأسر ، فشحنوها بالسلاح والطعام والملابس والأموال . وكلفوا بعض البحارة المسلمين ان ينزلوا بزى بحارة العدو ، ويحلقوا لحاهم كما هى عادة البحار الافرنج ، وصحبوا معهم بحارا جنوبا يجيد اللغة اللاتينية . فلم يشك احد انهم صليبيون ، فقابلتها إحدى سفن العدو ، وحذرتها من دخول الميناء لئلا تقع فى أيدى المسلمين ، فتظاهرت السفينة الاسلامية بانها سوف تعود من حيث أتت ... وفى تلك اللحظة جاءت سفينة صليبية قاصدة الدخول الى الميناء ، ظنا منها انه وقع فى ايدى الافرنج ، واشتبكت السفينتان الصليبيتان فى مناقشة طويلة ، فانتهزت السفينة الاسلامية الفرصة وحولت قلاعها نحو الميناء وساعدتها الرياح فادت مهمتها على خير وجه ، وفرح بقدومها أهل عكا .

وكان رجال المخابرات مكلفين بمراقبة حركات العدو خارج الحدود ، يبلغون حكومة القاهرة عن هذه الحركات أولا بأول . وفى يوم من الأيام جاء الحمام الزاجل حاملا نبا خطيرا ، وهو ان العدو سيرسل اسطولا فى البحر الأحمر ، او بحر الهند كما كانوا يسمونه ، أو البحر الحجازى ، وانه أغار على ثغر عيذاب فنهب وأسر ، وخرب ودمر ، كما أغار على سواحل اليمن والحجاز ، وان العدو قد أشاع الخوف والفزع بين الناس ، بل كان فى نية العدو الاغارة على المدينة المنورة ، وهدم الضريح النبوى .

وسرعان ما صدرت الأوامر للأسطول المصرى بقيادة الحاجب لؤلؤ ، فابحر ، وباغت الصليبيين عند رابغ وسواحل الحوراء ، وحطم سفنهم فتركها العدو ، ونزل إلى الشاطئ واعتصم بالجبال ، فطاردهم المسلمون ، وقضوا عليهم قتلا واسرا ، بعد مطاردة استمرت خمسة ايام . وقد بلغت جملة الأسرى مائة وسبعين رجلا ، فقيدوهم بالسلاسل ، وأيديهم خلف ظهورهم ، وأرسلوا بعضهم إلى المدينة المنورة فذبحوا .

وأما الباقون فسيقوا إلى القاهرة فدخلوها راكبين جمالا ، ووجوههم متجهة الى ذيولها . وقد خرج أهل العاصمة لمشاهدة هذا المنظر ، فرحين مبتهجين . وقد طلب رجال المخابرات أن يذبح هؤلاء الكفار ، والحوا فى ذلك . ومما جاء فى مذكرتهم التى رفعوها الى ولاة الأمور " ... وليس فى قتل هؤلاء الكفار مراجعة ، ولا للشرع فى بقاءهم فسحة ، ولا فى استبقاء واحد منهم مصلحة . فليمض العزم فى

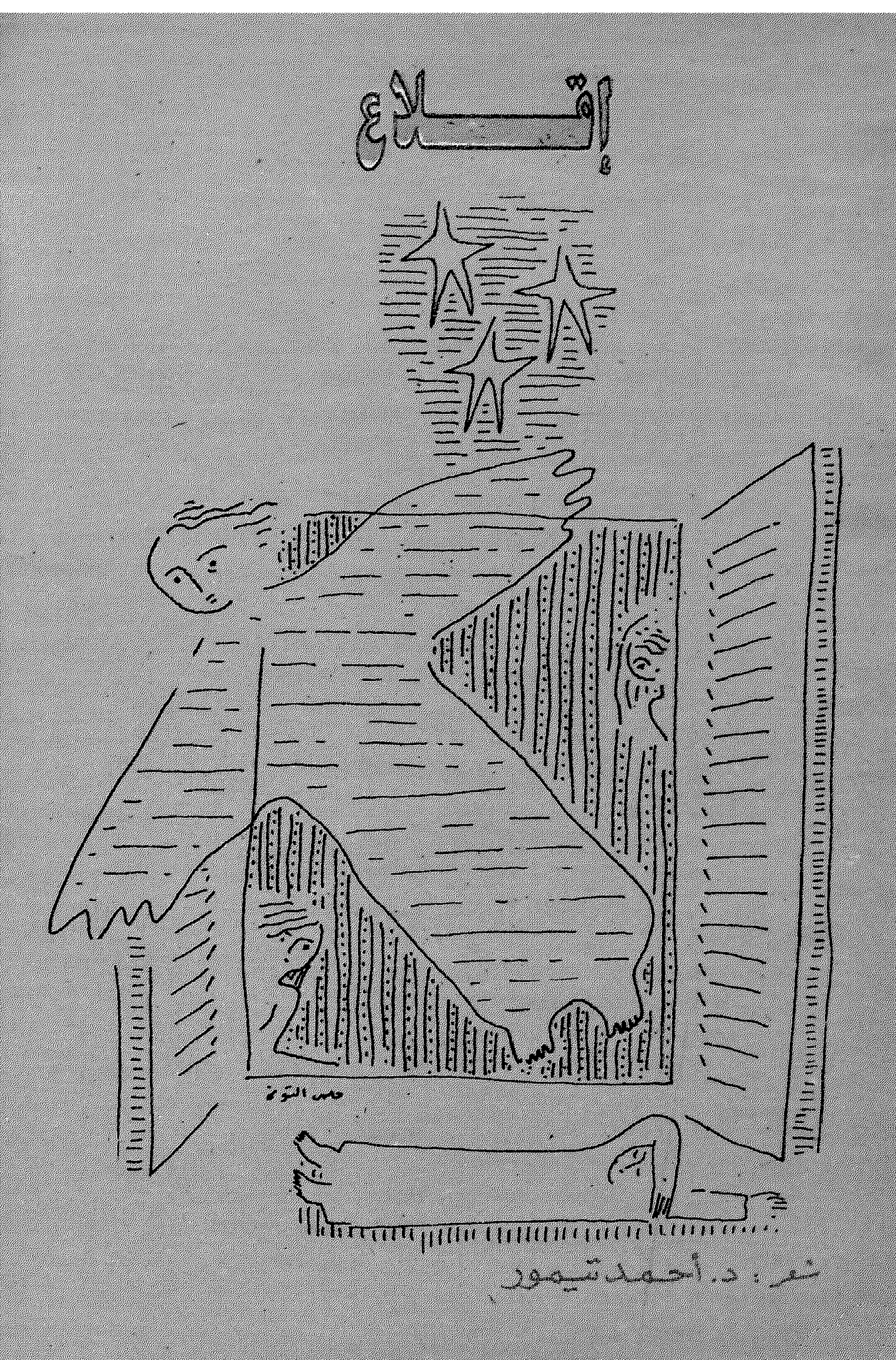


لوحة مستمدة من كتاب الأغانى مرسومة عام ١٢١٨ ميلاديه تصور ان عقل الانسان أهم شىء فيه

قتلهم ليتناهى أمثالهم عن فعلهم . وكانت عظيمة ما طرق الاسلام بمثلها" .

ورجال المخابرات الذين طالبوا بقتل هؤلاء العلوج كان معهم الحق كل الحق ، فهؤلاء لم يحاربوا جيشا نظاميا ، وإنما اغاروا على الآمنين وقتلوا النساء والأطفال ، ونهبوا ودمروا وأحرقوا ، وعرفوا الطرق والمسالك التى توصلهم الى المدينة المنورة لهدم الضريح النبوى ، فلم يكن من جزاء لهم سوى القتل .

اعتمدت فى هذه الدراسة على مجموعة رسائل القاضى الفاضل المحفوظة بدار الكتب ـ قسم المخطوطات . وقد ظن بعض الباحثين أن قيمة هذه الرسائل تعود الى مافيها من الأوجه البلاغية كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية أو المحسنات اللفظية كالسجع والجناس والطباق والمقابلة . وليس الأمر كذلك ، بل هى وثائق تاريخية ، يجب تحقيقها ونشرها .


إقلاع
حلمى التونى
شعر: د. أحمد تيمور

أقلعت من ملامحى
فى ذات ليلة
نجومها وشوشة حميمة
وعندما ارتطمت مرتين
بالخواطر القديمة
سقطت فوق حادث نسيته
وغنوة ذكرت نصفها
وبعض حلم يقظة
صحبته فى أول الشباب
★ ★ ★
مرت أسابيع قليلة
على الغياب
اطفئتها كشعلة الثقاب
بنفخة واحدة
وبعدها
حضرت شاهرا عصاى
مسدلا على زوايا منكبين
مثل منكبى
كل ما هجرته من الثياب
قرعت باب وردة
سكنتها من زمن
فلم أجب
قرعته بشدة
رجع الشذى اجاب
تجيئنى الأخبار
أننى حلمت بالسفر
وأننى سافرت
والمطر
يرتد عن مرآة وجهى القديم
للسحاب
★ ★ ★
عملت مثل هيئتى عجيبة
من العناصر التى أهملتها
على مفارق انتباه الذات
والسبات
علمتها فنون الانتشاء
فى غمار الاكتئاب
أجلستها بمقعدى
أمام مقودى
ودون شاشة التلفاز
فتها بلا التفات
سجلت فى شريط حلقها
لكل موقف مقالتين
من مديح وسباب
زودت وجهها بآلة
تغير السمات بالسمات
فى سرعة الأمواه عند الانسكاب
★ ★ ★
وعندما
عرضتنى على الصحاب
فى ليلة
نجومها همس قصى
مسائلا :
هل من مراهن علىّ
تطلعوا
- بلا اكتراث برهة وجيزة - إلىّ
ثم ... تضاحكوا لطرفتى
واكملوا الشراب .

«معمار الحكاية في ألف ليلة وليلة»

بقلم : د. كمال نشأت



لابد للحدث القصصي من "مكان" ، كما لابد له من "زمان" ، فهو لا يتم في فراغ ، والتشابك بين الحدث والمكان والزمان يكوّن فعلا انسانيا له خلفية واقعية ، ولكن يبدو أن كاتب او كتاب الف ليلة وليلة لم يكن همه او همهم "التحديد" ، فمن ناحية الزمان ، اكتفوا بنسبة الاحداث الى الماضي ، لأن الحدث لا يقع بطبيعته إلا قبل روايته ، من هنا كانت الابتداءات التي تقعَ في مفتتح اغلب حكايات الف ليلة وليلة تبدا هكذا : "قالت : بلغني ايها الملك السعيد ، انه كان في قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ، ملك يسمى الملك شهرمان" . "كان في قديم الزمان" .. هذه هي الجملة الكثيرة الاستعمال ، فلا تحديد مُعين لهذا الزمان بسنة او شهر او يوم او عهد او عصر ، كان يقال في سنة كذا ، او في عهد الملك او الخليفة فلان إلخ ..

هنا ندرك ان كاتب الحكاية او كتابها قد راوا ان عملية السرد مادامت قد تناولت احداثا حدثت في الماضي ، فيكفي هذه الجملة العامة "في سالف العصر والأوان" . ربما احس كاتب الحكاية انه ليس مؤرخا يهمه التحديد الزمني قدر اهتمامه بذكر الوقائع المكونة لحكايته ، وما يسرى على الزمان يسرى على المكان ، فالمهم لديه هو الاحداث وتتابعها ونسبتها الى ارضيتها ليس مهما ، ومثلما قال "في سالف العصر والاوان" فقد كان يذكر اسم مدينة عربية مثلا فيقول "دمشق" او "بغداد" او "الاسكندرية" كتحديد سريع لأرضية الحكاية ، ولذلك قال مثلا :

"ومما يحكى ايضا ان رجلين كانا في مدينة الاسكندرية ، وكان احدهما صباغا واسمه ابو قير" .. وفي الليلة (٦٥١) نرى الحكاية تقول "ثم سار الماردان وطارا الى اليمن .." وفي الليلة (٧٠٢) نرى الحكاية تقول "نحن ناس تجار من الموصل" ظاهرة

معمار الحكايـــة
فى ألف ليلة وليلـة

آخرى تحدد سمة او خصيصة من خصائص أسلوب الف ليلة وليلة ، هى تضمين الشعر فى الكتابة النثرية السردية ، وهى طريقة معروفة فى تاريخ ادبنا العربى حينما لجأ الكتاب

كان ياماكان .. ساحر شرير يركب الجواد الطائر





معمار الحكايـــة في ألف ليلة وليلـة

الى تزيين كتاباتهم بمقتبسات من القرآن الكريم ، أو الحديث الشريف ، او الاقوال الماثورة . فالذى دوّن الليالى وكتبها تابع الطريقة التعبيرية نفسها ، وإن كان قد اقتصر فى الغالب على الشعر يرويه البطل او البطلة ، والملاحظ أن الشعر لايروى إلا فى الازمات الشديدة ، ومواقف الانفعالات الحادة ، وكأن كاتب الليالى قد احس بفطرته الصافية ان الشعر فى امثال هذه المواقف هو الاقدر على استيعاب الانفعال ، وقد سال احدهم الشاعر المسرحى "اندرسون" عن السبب الذى جعله يبدأ مسرحيته "مارى ملكة اسكتلنده" بالنثر ثم ختمها بالشعر فقال : "يبدو أنه من الاقرب الى الطبيعة أن يكتب الحوار بالنثر ، الى ان تبلغ المسرحية مستوى معينا من الانفعال .. ان الشعر وسيلة اقرب الى الطبيعـة من النثـر للتعبيـر عن الانفعالات العليا ..

ولعل السبب فى هذا كله ان الليالى كانت تحكى شفويا فى اول امرها قبل ان تدون ، والاقتصار على ذكر اسم مدينة ، والاشارة الى أن الحكاية قد حدثت فى الماضى دون تفاصيل ، والى الاعتماد على الشعر للتاثير فى المستمع حين يحتد الانفعال ، كان كل ذلك مما يتفق مع الرواية الشفوية ، فالحدث فى هذه الحالة هو المهم ، وتتابع الاحداث فى السياق العام يجب الا يوقفه شىء ، ويبدو أن الوقفة لقول الشعر حين يحتد الموقف كانت تحسب جزءا من السياق الحيوى والاصيل للحكاية ، لا وقفة من الممكن أن تجمد تتابع الاحداث ، فالقصد هو تشويق السامع وابهاره .

● حكايات لكل النـاس

إن اسلوب الف ليلة وليلة عامة ، اسلوب بسيط ، يكاد يكون اسلوب الحياة اليومى ، حين نقارن بينه وبين الاسلوب الادبى الذى كان سائدا عبر العصور المختلفة ، وإذا كنا عللنا بساطة اسلوبنا الحديث وسهولته باثر الصحافة فيه ، بعد أن كان حفنى ناصف وتوفيق البكرى والمويلحى والرافعى يحتذون النموذج الاسلوبى التراثى ، فإن بساطة اسلوب الليالى ترجع الى انها حكايات شعبية كتبت لكل الناس ، وانها قصص فارسية ، وهندية ، وعربية ، وعربية مصرية لم يسجلها ادباء رسميون ، وانها لم تخلق اصلا إلا لعامة الناس على مختلف مستويات الثقافة ، من هنـا كانت سهولتها وبعدها عن الزخرفة والالفاظ النادرة الاستعمال التى ظن بعض الادباء فى فتره من فترات الادب العربى انها دليل التمكن من اللغة ومعرفة غريبها ، ولعلنا نلاحظ هذه البساطة والسهولة فى هذا الجزء من حكاية "الملك شهرمان وابنه قمر الزمان" .

● قصص مغامرات

تقول الحكاية :

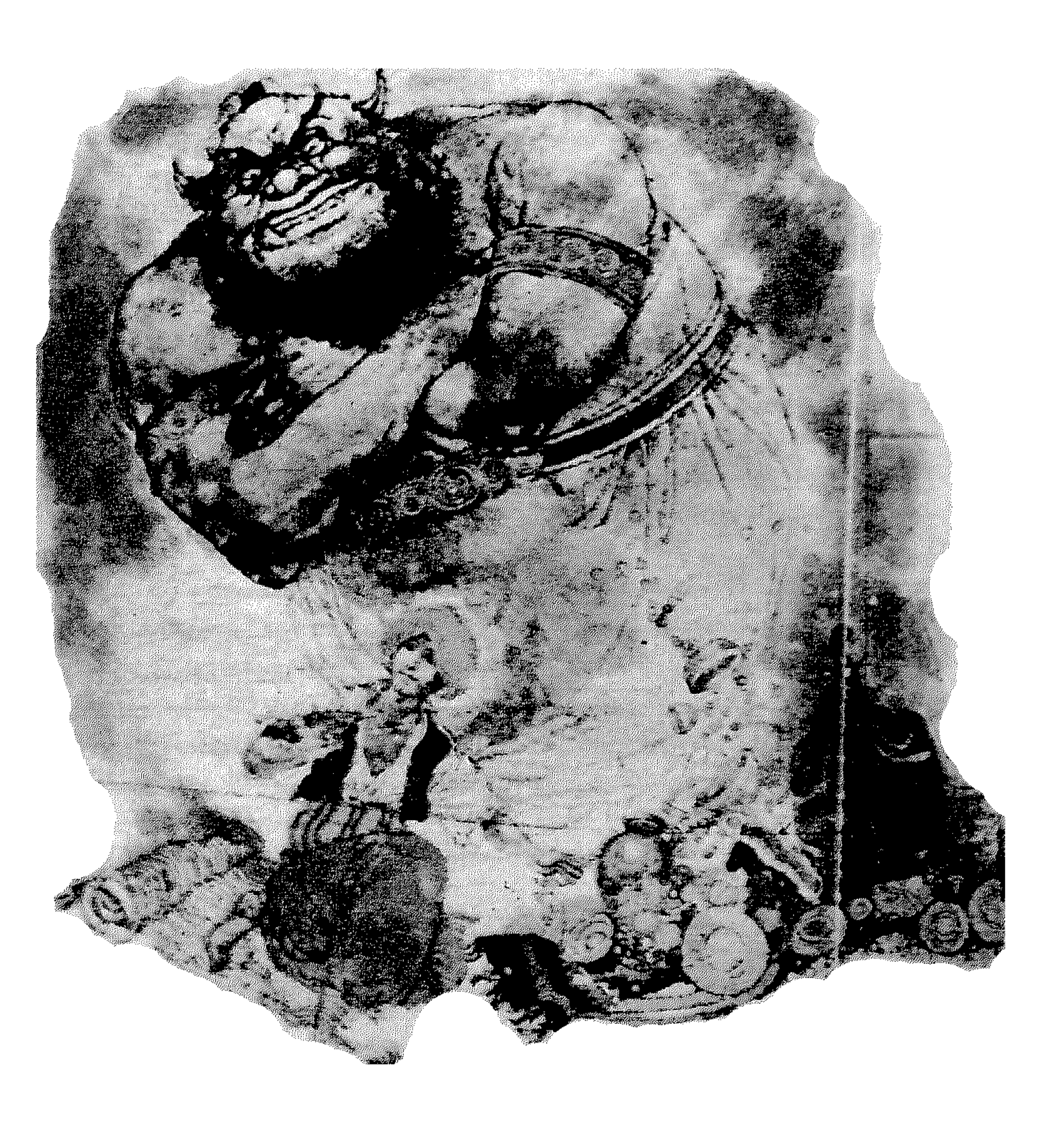
وأما ما كان من امر الملكة مرجانة ، فإنها اخذت الاسعد ودخلت به القلعة ، وفتحت الشبابيك المطلة على البحر ، وامرت الجوارى أن يقدمن الطعام ، فقدمن لهما الطعام فاكلا ، ثم امرتهن بأن يقدمن المدام فقدمنه ، فشربت مع الاسعد ، والقى الله سبحانه وتعالى محبة الاسعد فى قلبها ، وصارت تملأ القدح وتسقيه حتى غاب عقله .. فقام يريد قضاء حاجة ، ونزل من القاعة فرأى بابا مفتوحا ، فدخل فيه وتمشى ، فانتهى به السير الى بستان عظيم ، بجنب الفسقية التى فى البستان ، فاستلقى على قفاه ، فضربه الهواء ، فنام ودخل عليه الليل" .. ولعلنا نلاحظ بعض الإلفاظ العامية بل والتعابير العامية كذلك ، مثل "جنب الفسقية" و"ضربه الهواء" و"دخل عليه الليل" ، والوجه المقابل لحكايات الليالى ، والمناهض له من ناحية اسلوب التعبير هو المقامات ، سواء للحريرى او لبديع الزمان ، ومع انها قصص مغامرات ، والاعيب احتيال ، فهى لا تحتوى الثراء فى المضمون مثلما نرى فى الليالى ، وإن كانت تحمل القصة المشوقة ، والحيلة البارعة ، والنكتة الظريفة ، ولكنها مع ذلك لم تكتب للعامة ، وهنا مجال المفارقة بينها وبين الليالى ، فالليالى حكايات شعبية رويت ثم دونت ، وهى مجهولة القائل ، والكاتب الذى سجلها ، ولكن المقامات نمط من الكتابة ذات الاسلوب الراقى الذى لا يفهمه إلا المتمكن من العربية وبلاغتها ، فقد كانت معرضا لقوة العارضة اللغوية البلاغية ، والليالى اغزر تجربة ، واوسع افقا ، واعمق حكمة ، واكثر تشويقا ، ولاشك فى أن اسلوبها البسيط هو الذى وسع المجال امام انتشارها ، فضلا عن انها عكست الواقع الاجتماعى ، وترجمت عن اللاشعور الجمعى ، المقامات إذن كانت ادبا للصفوة ، وهم فى كل جيل قلة ، اما الليالى فهى ادب شعبى ، قيل وكتب لكل الناس ، من هنا كانت ترجمة عن رغبات مكبوتة ، وتطلع الى حياة اخرى تخلو من القهر والاضطهاد والتسلط ، ومن خلال تتابع احداثها ، ومنها الواقعي والخرافي ، والملون بفانتازيا الرغبة فى الخروج من فقر الحياة وجفافها ، الى غنى المظهر ، ورفاهية المآكل والمشارب ، وحياة القصور ، والخدم ، والحشم ، نرى الموعظة الحسنة ، ومصارع المحتالين والجبابرة الظالمين ، انها صورة لما يموج به الوجدان الشعبى من تطلعات ، وما يحمله اللاشعور الجمعى من رواسب الموروثات ، والاساطير ، وقد خرجت كلها من ثنايا الحكايات واتخذت اطارا من البيئة الاسلامية ، واذا كان التطلع الى حياة الرفاهية رغبة نقيضة لما هو واقع ، فإن الشق الاخر قد تمثل فى حركة الزهد واعتزال الناس كرد فعل للانغماس الحاد فى الترف والتكالب على اللذات كما يستعلن بها العصر العباسى .

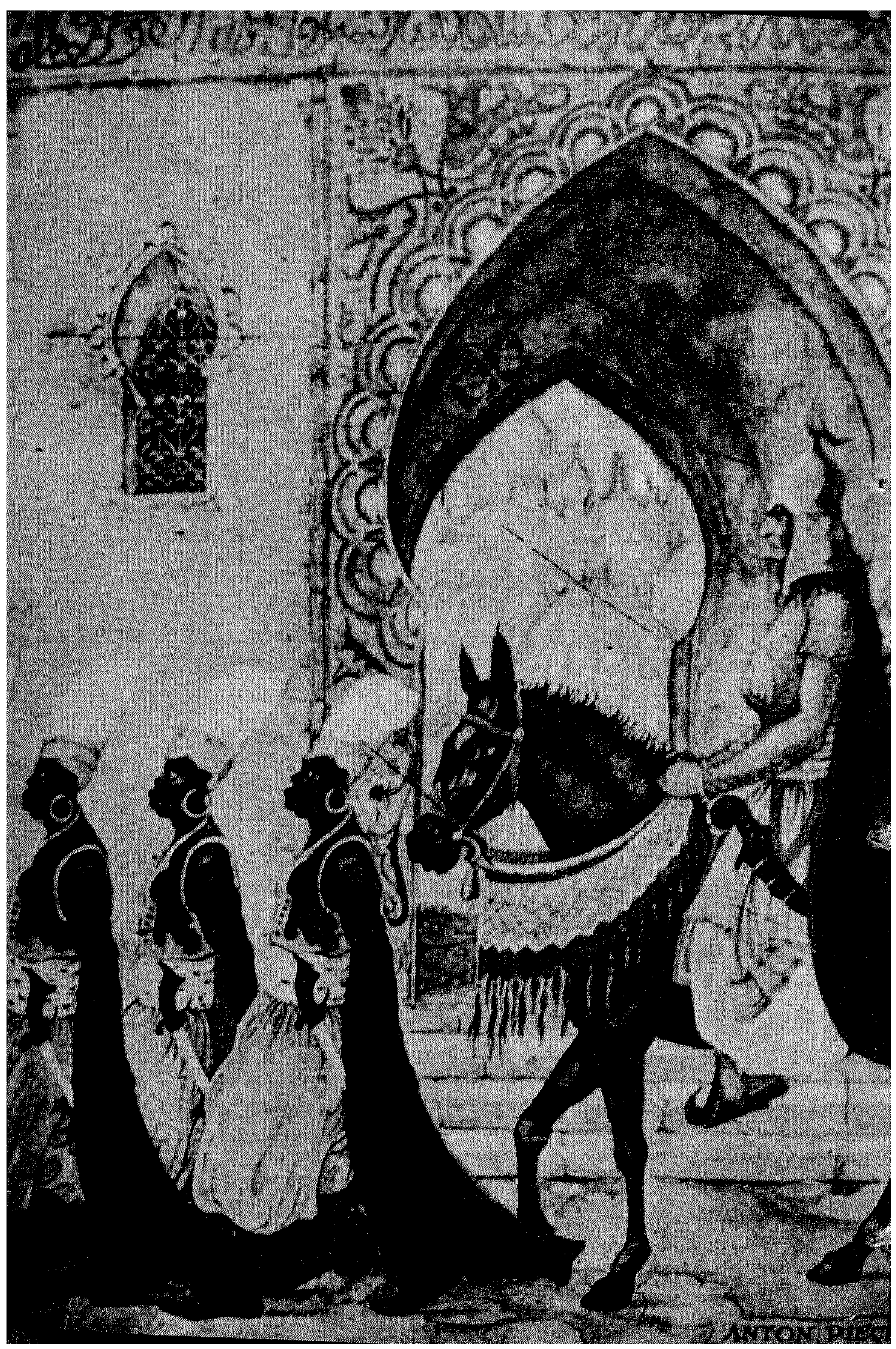
إن الليالى "تؤنسن" الاشياء والحيوانات والطبيعة ، فتخلع عليها جميعا طبائع الانسان ، وميوله ،

معمار الحكايــــة
فى ألف ليلة وليلــة

وامتلأت قصص الف ليلة وليلة بحـكايـات الجـوارى والاسـرى ➤

شبيك لبيك .. خادمك المطـيـع بين يـديـك




ANTON PIEC

معمار الحكايــــة في ألف ليلة وليلة

وشهواته ، وهي ظاهرة بدائية تمتد منذ الانسان الأول ، بحيث تشكل نظرة طفولية يسقط فيها الانسان ذاته على الاشياء المتمركزه خارج هذه الذات ، وتتصل بظاهـرة "الانسنة" فكـرة التحول من انسان الى حيوان او الى شجرة .. إلخ .. بفعل السحر ، وهي فكرة كثيرة الدوران ترجع الى فكرة "التناسخ" وهي من الافكار الهندية القديمة التي تسربت الى شعوب كثيرة فدخلت في نسيج كثير من الخرافات والمعتقدات والحكايات الشعبية ، اما ابطال الليالي ، فقدراتهم لا حدود لها ، فهم يناقضون العجز لدى الناس ، إنهم يمثلون ما يسمى بـ (التماهي) ومن هنا كانت قدراتهم الخارقة ، وهم وإن كانوا بشرا من البشر إلا انهم يملكون قدرات معجزة ، ولديهم من الذكاء مثلما لديهم من قوة جسدية ، وقوى روحية غريبة ، تضمن لهم الانتصار والنجاح على الاعداء ، وهم يمثلون التصور الشعبي القائم على الاخلاقيات ، من هنا كانت استجابتهم لكل مظلوم ، ودفاعهم عن كل مظلوم ، إذ انهم من خلال كل صفاتهم التي ذكرناها يمثلون رغبة الانسان المسحوق في امتلاك القدرة على مجابهة القهر والظلم ، ومن خلالهم يتنفس الناس ، ويمارسون ما يقوم به هؤلاء الابطال عن طريق التماهي ، وبعض هؤلاء الابطال من الشخصيات التاريخيـة المعروفـة ، وبعضهم من الشخصيات الخيالية .

● تشكيل الواقع

ولقد توسلت الليالي الى عرض فلسفتها الشعبية في كل القضايا التي تعرضت لها ـ وما اكثرها ـ بوسائل التشويق العجيبة ، فهي لم تدخر جهدا في اتخاذ الحيلة البارعة ، او الرد المسكت ، او الخرافة المذهلة ، او الموقف النبيل الشجاع ، او المفاجاة المحيرة ، او الاسطورة العجيبة .. إلخ .. وقد تناولت الواقع فشكلته واقعا جديدا ، جمع بين الحقيقة ، والخرافة ، ولم تترك عظة ، ولا عبرة او تجربة تتصـل بالحب ، او الـزواج ، او الصداقة ، او الخيانة ، او السلطة ، او الشر ، او الخير ، او التامر ، او الاعتراف بالفضل .. إلخ .. إلا وكان من مادتها ، بحيث شكلت الحكاية فيها موسوعة عجيبة ، وكونا جمع بين الواقع والفانتازيا ، مما جعل المطلعين عليها مبهورين ، مشدوهين ، وهي الى جانب ذلك تعتمد فلسفة اسلامية ، والجمل ذات المضمون الاسلامي كثيرة عبر اغلب حكاياتها ، ومع ذلك فقد غلب "الفحش" على بعض هذه الحكايات ، ويبدو أن ما يعاب عليها من ذلك ، لم يكن يؤخذ كما ناخذه نحن اليوم ، فالظاهرة الملموسة هي ان كثرة من كبار

مفكري وكتاب العرب ، على علو مكانتهم ، وسموق اخلاقهم "وكان منهم عدد كبير من الفقهاء والعلماء لم يتورعوا عن الخوض في مسائل الجنس ، والعشق والغرام ، على اعتبار انها من حقائق الحياة ، فلا خجل من الخوض فيها ، وكثير من كتب التراث تخوض في امثال هذه المسائل ، ولا يجد مؤلفوها - وهم كبار ومحترمون - شيئا من الحرج يمنعهم من ذكرها او الكلام فيها .

لقد كانت الليالي مثل الحلم المعبر عن مخيلة الانسان ، من هنا كانت ترجمة صادقة عن نفسية الشعب دون مواربة ، وهي مثل كل الحكايات الشعبية صورة لما يجول في نفوس الناس وهي صورة لا تعرف خجلا ، ولا مداراة ، او تحريفا ، ومن هنا ايضا يجب ان ينظر الى ما فيها من خروج على الآداب المتفق عليها اجتماعيا او دينيا في ضوء هذا التفسير ، ولقد احسن بعض ناشريها حين طبعوا منها طبعات نزعوا منها الحكايات الخارجة ، وبذلك اتيح لاجيال من الشباب ان تقراها فلا تحرم من كنز قصصي عالمي كان له تاثيره في فنون القصة ، والرواية ، والسينما ، والمسرح ، والفنون التشكيلية .. إلخ ..

والملاحظ ان حكاية الليالي على بساطة عرضها تلجا الى شيء من "التركيب" ، فهي تتفرع الى قصص اخرى كالشجرة التي تقوم على جذع واحد ، ولكنها تمتد الى اغصان كثيرة مختلفة الاتجاه ، وهذا "الشكل" الفني لا نلاحظه الا في القصص ذات الاصل الهندي غالبا ، وهي سمة فارقة بينها وبين الحكاية العربية الاصل ذات الشكل البسيط .


وكانت الليالي مثل الحلم المعبر عن مخيلة الانسان

دائرة الحوار

طه حسين والحركة الصهيونية

فى ثلاث رسائل حول رسالة جامعية

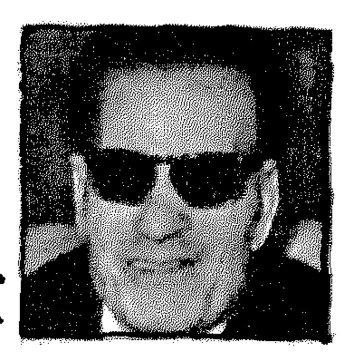
بقلم: أنور الجندى

هذه ثلاث وثائق تاريخية اقدمها للقارىء الكريم وله ان يحكم فى ضوئها على القضية المثارة حول علاقة الدكتور طه حسين بالصهيونية واهديها الى الدكتور مصطفى عبدالغنى .

أولا : كتاب تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام تأليف اسرائيل ولفنسون - وهو رسالة دكتوراه من جامعة القاهرة باشراف الدكتور طه حسين - ١٩٢٧ .

قال الدكتور طه فى المقدمة التى كتبها للرسالة وتصدرت الكتاب :

الموضوع فى نفسه قيم جليل الخطر بعيد الأثر جدا فى التأريخ الأدبى السياسى والدينى للأمة العربية ، فليس من شك أن هذه المستعمرات اليهودية قد أثرت تأثيرا قويا فى الحياة العقلية والأدبية للجاهليين من أهل الحجاز ، وليس من شك أن الخصومة كانت عنيفة اشد العنف بين الاسلام ويهودية هؤلاء اليهود وفى أنها قد استحالت من المحاجة والمحاولة الى حرب بالسيف إنتهت باجلاء اليهود عن البلاد العربية ولم يكن تاريخ هؤلاء اليهود فى بلاد العرب قبل الاسلام معروفا على وجهه وانما هى طائفة من الأخبار والأحاديث ترويها القصص فاذا كان عالمنا الشاب (يقصد اسرائيل ولفنسون) قد وفق الى الخير فى هذا الكتاب الذى قدمه الى الجامعة المصرية ونال به شهادة الدكتوراه الذى أقدمه الآن الى القراء سعيدا مغتبطا بتوفيقه فضاعف ذلك لأنه وفق الى تحقيق أشياء كثيرة لم تكن قد حققت من قبل ، وقد وفق الى أن يبسط تاريخ اليهود فى البلاد العربية قبل الاسلام وأبان ظهوره بسطا علميا أدبيا لذيذا ممتعا فى كتاب كانت اللغة العربية فى حاجة اليه



طه حسين



د. مصطفى عبد الغني

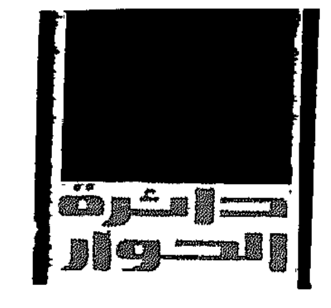
فأظفرها بهذه الحاجة" .

★ ★ ★

ثانيا : جريدة الشمس عدد ٤٧٢ فى ١٩٤٣/١٢/٣١ قالت جريدة الشمس :

ألقى دكتور طه حسين محاضرة فى دار المدارس الاسرائيلية بالاسكندرية قال فيها : "عندما أجلى الرومان اليهود عن فلسطين تفرق هؤلاء فى البلاد المجاورة واستقروا فى شمال وجنوب الجزيرة العربية ولاسيما بجوار المدينة ويبدأ اليهود يصبغون مضيفيهم بثقافتهم الدينية وفضائلهم حتى أصبح كثير منهم مستعدا لقبول الاسلام ولكن بجانب هذا تأثر اليهود بالعرب فأخذوا اللغة وبعض العادات وقرضوا الشعر كما يقرضه العرب ولكن الشعر اليهودى أمتاز بالحث على الفضائل وأنكار الذات ، وكان معظم مراميه أن "الحياة وسيلة لا غاية" وامتاز اليهود بين اخوانهم العرب بالوفاء وطلب المثل الأعلى كما نلاحظ ذلك فى شعر السموأل واخذ العرب عنهم فلسفتهم فى أن الحياة وسيلة لا غاية ، ولكن اختلفوا عنهم فى أن تكون الحياة للفرد ثم ظهر الاسلام فوجد بالقرب من المدينة قبائل الأوس والخزرج وكانت متأثرة بتعاليم اليهود فكانت أقرب العرب استعدادا لقبول الدين السماوى الجديد ثم صدر قرار عمر بن الخطاب الذى أجحف باليهود والنصارى معا وهو انه لا يمكن أن يكون بالجزيرة الا دين واحد فأجلوا عن الجزيرة أو أسلم منهم كثيرون .

وقد كان اليهود الدماغ المدبر للمالية والاقتصاد فى ذلك العصر وكان منهم طائفة كبيرة من العلماء فى الاسكندرية وكان اليهود المستقرون فى بلاد النصارى يعاونون ابناء عمومتهم على الفتح والاستعمار ومن الانصاف ان نذكر أنهم كانوا عنصرا اساسيا فى غزو بلاد الأندلس ومساعدة طارق بن زياد ضد القوط وأن العرب فى كل مراحل الغزو فى شمال افريقيا وأوربا وحتى فلسطين كانوا يقدمون جيوشهم وكان اليهود يتعاونون معهم فى ادارة البلاد سياسيا واقتصاديا بل وفى تسهيل السبل لصد



هذه الجيوش الغازية ولولا هذا التعاون الوثيق لما كانت الامبراطورية العربية الضخمة .

ومن نوابغ اليهود فى الاقتصاد وفى ادارة أعمال الخزينة يعقوب بن كلس الذى وفد على مصر أيام كافور الأخشيدى وظل يتقلب فى مناصب الدولة حتى أصبح وزيرا فرئيسا للوزراء وتظم المالية المصرية بخدمة وكياسة ردحا طويلا من الزمن وكان متواضعا رفعته أعماله ولم ينل منه حساده شيئا وأسلم فى اخر أيامه وأصبح إماما يخطب المسلمين فى الجوامع ويناشدهم الاستمساك بالفضائل والبر والأخلاق .

أما فى أسبانيا فكانت جهود اليهود جبارة هائلة أيام الدولة الأموية وبعدها وكان نشاطهم كالسيل الجارف ، وكان اليهود هم الذين نقلوا ثقافة العرب

لويس عوض



توفيق الحكيم



وتراث العرب الى أوربا فاشعلوا الفتيل الذى التهب عن الحضارة الحديثة فى كل مناحيها فاليهم يرجع الفضل فى جعل الأدب العربى أدبا عالميا عن طريق الترجمة الى العبرية ثم الى اللاتينية أو الترجمة الى اللاتينية مباشرة . أ . هـ .

ومما يذكر أن الدكتور طه حسين قد تناول ذلك قبل ذلك بسنوات فى المجلد الأول من مجلة الجامعة المصرية سنة ١٩٢٦ وعلقت جريدة الشمس فى ١٩٤٤/١/٧ على المحاضرة فقال محررها اليهودى :

"كانت محاضرة الدكتور طه حسين عن اليهود والأدب العربى اية على يقظة الشرق وعنايته بتراثه ومظهرا عمليا من تعاطف وتساند بين أبناء العروبة وقد جاءت فى الوقت المناسب تذكر بما كان لليهود فى العصور الخوالى من أياد بيضاء وفضل عظيم فى نشر النور والعرفان وكانوا الواسطة إلى نقل ثقافة اليونان الى الشرق كما نقلوا ثقافة العرب الى أوربا ولكن العنصر السامى الكريم الذى علم الانسانية الايمان والمثل العليا جوزى من الغرب جزاء سنمار وما وقع لليهود فى أوربا فى العصور القديمة والحديثة يدل على أن المثل العليا التى بشر بها الشرق لم تأت بالغرض المقصود منها ، ولاتزال الجماعات اليهودية لا تجد الراحة فى الغرب واليهود عنصر كريم من الجنس السامى الذى يعرف

اليوم بالعربى وصلات اليهود بسكان جزيرة العرب تعود الى عصور قديمة جدا وكان لهم شأن كبير وقد تركوا فينا تراثا وقصارى القول أن اليهود ليسوا غرباء عن العروبة أو الأدب العربى وهم يعتزون ويفتخرون بانتسابهم الى الدول العربية ويعملون على تجديد ذلك الماضى المجيد" ا . هـ .

* * *

ولقد رد على الدكتور اسرائيل ولفنسون كثيرون وجاء فى مقولاتهم مجموعة من الحقائق :

أولا : ليس لوجود اليهود فى الحجاز تاريخ مضبوط بالتحقيق وغاية ما علم أنهم التجأوا مرارا فى عصور مختلفة قبل الميلاد بنحو ١٥٠٠ سنة ، فى عهد صمويل ١١٠٠ ق . م فى عهد بختنصر ٦٠٦ ق . م .

ولقد هاجر اليهود الى جزيرة العرب خائفين هاربين بعد خراب الهيكل .

ويقول ياقوت أن يهود يثرب عرب تهودوا ، ويقول الاصفهانى لما ظهرت الروم على بنى اسرائيل جميعا فى الشام فوطئوهم وقتلوهم ونكحوا نساءهم خرج بنو النضير وبنو قريظة هاربين الى الحجاز كما غلبهم الروم على الشام .

ثانيا : لم يكن اليهود فى بلاد العرب مشهورين بالمعارف بل كانوا مشهورين بالمحافظة على دينهم بحرص شديد بلغ بهم الى درجة التعصب واكثرهم كانوا يجهلون اللغة



د . عواطف عبد الرحمن   د . سهير القلماوى

العبرية التى دونت بها كتبهم وتفاسيرهم فكانوا يتناقلون عقائدهم بما يتلقونه من الأفواه من القصص والروايات بلا نقد ولا تمحيص ولذلك التبست عليهم الخرافات التى كانت من أساطير الأديان الاخرى القديمة وهى المعبر عنها بالاسرائيليات .

وبضاعتهم لم تكن الا (نظريات مقتبسة) من تعاليم شتى يمسك بها اليهود بتأثير القرون فاكسبتهم الانانية والاحتكار للهداية الالهية لقد زعموا ان "الدين بدأ بهم وختم بهم" ا . هـ .

كذلك فقد دحض الباحثون دعوى ظلم عمر بن الخطاب لليهود النازحين كما كشف كثيرون تآمر اليهود على المسلمين فى مختلف مراحل علاقاتهم فى القديم والحديث .

ثالثا : كتاب الصحافة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ـ ١٩٥٤ للدكتورة عواطف عبدالرحمن قالت المؤلفة :

(وبينما الأحداث تتصاعد فى فلسطين فوجىء المصريون بمجلة ثقافية جديدة تصدر فى أكتوبر ١٩٤٥



ويرأس تحريرها الدكتور طه حسين بينما تتولى تمويلها احدى العائلات اليهودية الثرية وهى عائلة هرارى ومنذ البداية ثارت الشكوك حول المجلة التى حملت اسم (الكاتب المصرى) والتى تخصصت فى نشر الدراسات الأدبية والنقدية وضمت طائفة من الكتاب الأوربيين والأمريكيين الى جانب الكتاب المصريين أمثال توفيق الحكيم ولويس عوض وسهير القلماوى وحسين فوزى ونجيب الهلالى وقد تعرضت (الكاتب المصرى لحملة عنيفة من جانب بعض الصحف الوطنية المصرية مثل صحيفة (مصر الفتاة) متهمة أياها بالخضوع لسيطرة الصهيونية وأن الهدف من اصدارها هو العمل على استقطاب المثقفين المصريين لصالح الحركة الصهيونية وشراء صمتهم ازاء الصراع العربى الصهيونى فى فلسطين .

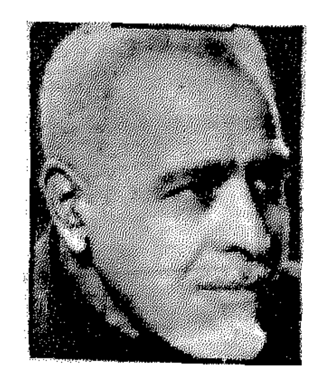
وقالت المؤلفة : ان متابعة اعداد المجلة تثبت بالفعل نوعا من التجاهل للقضية الفلسطينية أو معالجتها كحادث هامشى لا يحتل أكثر من عمود أو اثنين من أعمدة المجلة بينما كانت الصحف المصرية كلها مشغولة بمتابعة القضية . وتضيف المؤلفة ان ذلك لا يمكن ارجاعه الى الجهل بالقضية الفلسطينية لأنها كانت انذاك فى ذروة تصاعدها وتصف المؤلفة النغمة التى كانت تعالج بها المجلة هذه المشكلة بأنها نغمة حيادية حتى خلال معالجتها للتطورات المصيرية فيها مثل قرار التقسيم ١٩٤٧ .

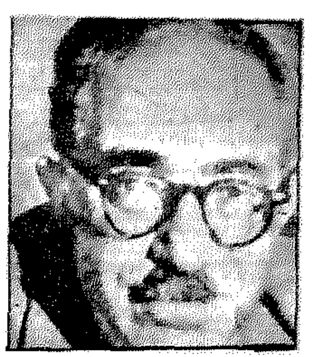
وقالت : "أن معظم من شاركوا فى هذه المجلة كانوا من التيار المؤمن بالقومية المصرية : هذا التيار الذى عبر عنه لطفى السيد فى أوائل القرن العشرين ثم محمد حسين هيكل وأحمد أمين والعقاد والحكيم وطه حسين فى العشرينات والثلاثينات" أ . هـ

هذا وقد أوردت الدكتورة سهام نصار فى بحث تقدمت به لنيل الماجستير سابق على هذه الرسالة ما يؤيد هذه المعانى ويؤكدها .

هذه هى الوثائق الثلاث التى نضعها بين يدى القارىء الكريم .

ولا يفوتنا أن نقدم هنا تعليق الدكتور فؤاد حسنين على كتاب اليهود فى بلاد العرب للدكتور اسرائيل ولفنسون بما يكشف بعض الدعاوى التى ادعاها هذا الباحث وأيده فيها أستاذه الذى أستقدمه من باريس ومكنه من اعداد رسالة تحمل جميع افكار ودعاوى الصهيونية والتى عجزوا عن أذاعتها فى البلاد العربية حتى


د . حسين فوزى


د . محمد حسين هيكل

مكنهم الدكتور طه بهذه الرسالة من اذاعتها .

يقول الدكتور فؤاد حسنين :

ان معظم ما أورده (اسرائيل ولفنسون) وأعانه عليه الدكتور طه حسين المشرف انما هو كل ما أرادت الصهيونية اذاعته من اراء فى هذا البحث وكان حلقة من حلقات الدعاية الصهيونية وما نقله ولفنسون فى رسالته من اراء كان القصد منها اطلاع اليهود الشرقيين وقراء العربية على ما جاء فى المصادر الأجنبية التى يجهلها القارىء اليوم فى الشرق .

وهذه الرسالة مشحونة بالأخطاء التى لا تصدر من طالب مبتدىء فى البحث وهى صدى للاراء التى كثيرا ما رددها الدكتور طه حسين فى الجامعة ، فضلا عن أن المراجع العبرية لا تمت الى البحث بصلة والدكتور طه حسين المشرف على الرسالة لا يعرف العبرية وقد أخذ بالنتائج التى قدمها الباحث دون التحقق منها ودون الاستنارة ببعض الذين يجيدون هذا النوع من الدراسات والأمانة العلمية تقتضى غير ذلك (كان الدكتور فؤاد حسنين فى مقدمة المتخصصين فى الدراسات اليهودية القديمة) .

وليس صحيحا أن لليهود فضلا على العرب بل الفضل الحقيقى للعرب على اليونان واليهود ولم تكن لغة اليهود حين نزلوا الجزيرة العربية الا لغة ركيكة هى خليط من العبرانية والكلدانية واليونانية واليهود هم الذين أخذوا من العرب فن الكلام والنطق الصحيح وفصاحة التعبير وقد أحسن الاسلام معاملة اليهود . هذه هى الحقيقة التى نسوقها الى الدكتور طه حسين وتلميذه الدكتور "اسرائيل ولفنسون" النص ورد فى مقدمة كتاب (شمس الله تشرق على الغرب) .

وبعد فهذه الوثائق نضعها بين يدى القارىء الكريم احقاقا للأمانة العلمية وبدون تعليق .



حول مقال « فى علم المستقبليات »

مستقبل مصر ليس قدرا ...
والتفاؤل لا يتحقق إلا بوضوح الرؤية

بقلم : راجى عنايت

وقبل ان اناقش بالتفصيل بعض ماجاء في مقال د . رشدى سعيد ، احب ان أطرح بعض التوضيحات التى تجيب على كثير من تساؤلاته ، وتقرب ما بين افكارنا ومواقفنا :

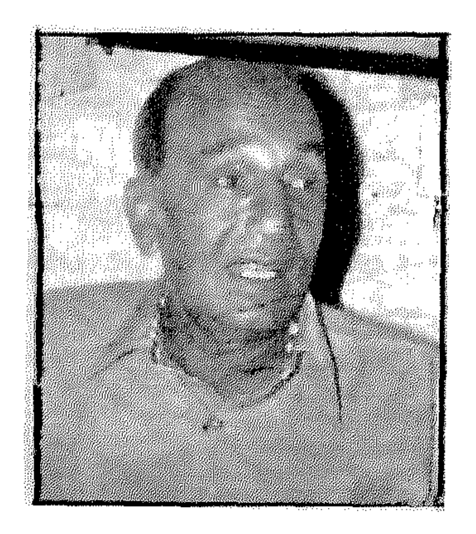
(١) حديثى عن ثورة المعلومات والنظم المجتمعية التى تفرضها ، ليس حديثا عن مدينة فاضلة أدعو اليها ، وأبشر بها . وقد كتبت اكثر من مرة أقول أن مجتمع المعلومات حافل بالاحتمالات الايجابية والسلبية معا ، وأن ثورة المعلومات تزحف على العالم ، مسقطة الحواجز والحدود بين الدول ، وأن واجبنا أن نفهم دقائقها ، حتى نستفيد من ايجابياتها ، ونتدبر وسائل مقاومة سلبياتها .

(٢) وهذا يعنى ان مستقبل مصر ليس قدرا محتوما نستسلم له . وحقيقة الأمر اننا تواجه عدة مستقبلات متباينة . ومستقبل مصر يتحدد وفقا لمدى فهمنا ، ولطبيعة رؤيتنا ، ولبدائل اختياراتنا .

(٣) التفاؤل الذى تكشف عنه كتاباتى - والذى يبدى د . سعيد تحفظا عليه - ليس تفاؤلا عاطفيا . ولكنه ينبع من ادراكى - فى ظل ظروف التحول المجتمعى الذى يمر به العالم - أن بامكاننا أن نمسك مصيرنا بايدينا لاول مرة منذ زمن بعيد ، وأن نتجاوز هوة التخلف الصناعى وهوة التخلف المعلوماتى ، حتى نتحرك من موقع افضل عندما ندخل الى القرن القادم . تفاؤلى نابع من يقينى بان ابناء مصر لا يعشقون التخلف ، ولا يغرمون

كم اسعدني ان يهتم مفكر ومثقف عربي مرموق مثل د . رشدي سعيد ، الذي يعيش في واشنطن ، ويمضي معظم وقته استاذا زائرا في جامعات امريكا واوروبا .. ان يهتم بمتابعة ما اكتب حول المستقبل والرؤية المستقبلية . وتضاعفت سعادتي عندما وجدته يهتم بمناقشة افكاري في عدد فبراير من مجلة "الهلال" ، مناقشة تعكس استنارته وملاحقته للمستجد من المعلومات ، وتعكس اتساع افقه بما يتيح له أن يتجاوز تخصصه ، وهو الرائد في العلوم الجيولوجية .

واذا كان د . رشدي سعيد قد استجاب الى دعوتي لمناقشة مستقبل مصر ومشروعها القومي في ضوء ما يمكن ان يحمله المستقبل من تغيرات ، فانني اندهش أن تجيء الاستجابة من استاذ يعيش معظم وقته خارج مصر ، بينما يحجم معظم كتاب ومفكري مصر المقيمين عن مناقشة ما ادعو اليه ، ويغرقون في ترديد افكارهم التقليدية ، وتناولاتهم الجزئية ، ويصرون على البقاء كجزر منعزلة ، يقاومون الحوار ، ويكرهون أن تتراكم الافكار .



د. رشدي سعيد

بالتبعية ، ولا يتوقون الى أن تستغلهم باقي دول العالم ، ويقيني أنهم لا يفتقدون القدرة على الفهم ، أو ارادة التقدم .

(٤) من الخطأ ان نتصور ما يجري في العالم على انه مزيد مما كان يحدث على مدى ما يقرب من قرنين ، خلال عصر الصناعة . ركوننا الى هذا التصور ينبع من استسهالنا الاعتماد على العقائد والايديولوجيات والافكار التي تعودنا عليها ، والتي نبع معظمها من عصر الصناعة ، وينبع من تخوفنا من اسقاط المعايير والمقاييس التي اخذنا بها على مدى سنين طويلة ، والاضطرار الى البحث عن المعايير والمقاييس الجديدة التي تفرض نفسها . لن يجدينا الحديث عن الثورة التكنولوجية ، أو الصناعة التكنولوجية ، أو الصناعة العلمية ، فهذا لن يقود الا إلى المزيد من الخلط والحيرة . اننا تمر بمرحلة تحول حضاري عظمى ، كالتي مرت بها البشرية عند التحول من المجتمع



الزراعى الى المجتمع الصناعى . اذا لم نفهم هذا ونقبله ، سنظل ندور فى حلقات مفرغة .

(٥) لم يحدث أن قلت فى أى يوم اننا نعيش عصر المعلومات . ما قلته ـ واقوله ـ اننا نمر بمرحلة تحول من مجتمع الصناعة الى مجتمع المعلومات . ومرحلة التحول التى اتحدث عنها تتضمن بروز ارهاصات المجتمع الجديد ، وتتضمن فى نفس الوقت مقاومة شرسة من المستفيدين من المجتمع الصناعى . وكما حدث عند الانتقال من الزراعة الى الصناعة ، لن يكون الانتقال سهلا أو سلميا . كما أن مرحلة التحول تختلط فيها ـ على غير المدقق ـ ارهاصات المجتمع الجديد الذى يتشكل ، بتحايلات اقطاب المجتمع القديم ، وجهودهم المستميتة لاستيعاب هذه الارهاصات ومحاولة الاستفادة منها .

● بها صناعة ، وليست صناعية !

انتقل بعد هذا التمهيد الى مناقشة بعض الافكار التى جاءت فى مقال د . رشدى سعيد .

يقول فى مقاله "يمكن أن يوصف عالم الغد بانه عالم الصناعة العلمية ، وفى ظنى أن هذا الوصف الذى اعطى لهذا العصر منذ اكثر من ثلاثين عاما ، عندما حلت تباشيره بازدياد توجيه البحث العلمى ناحية السوق ، وتطبيق نتائجه فى عمليات الانتاج على أوسع نطاق ، هو أدق وصف لهذا العصر" .

هذا التعريف لاصطلاح "الصناعة العلمية" الذى يتمسك به د . سعيد ، ينسحب على عصر الصناعة منذ أن بدأ ، وحتى مرحلته الأخيرة التى نعيشها ، ومجرد ازدياد الاستفادة من البحث العلمى لا ينقلنا الى عصر جديد . ومن ثم فان من الصعب أن يوصف "عالم الصناعة العلمية" بانه "عالم الغد" .

ويظهر سر تمسك د . سعيد بهذا المصطلح عندما يقول انه يفضل هذا الوصف ، ليس فقط لانه يصف العصر المقبل ، ولكن "لانه ينفى ذلك الانطباع الخاطىء الذى قد يتبادر للذهن من مسميات أخرى ، من أن حضارة المستقبل سوف تقضى على الصناعة" . وهل قال أحد أن حضارة المستقبل ستقضى على الصناعة ؟ الذى يقال هو أن مركز الثقل سينتقل من الصناعة الى المعلومات ، بالضبط كما انتقل مركز الثقل قبل قرنين من الزراعة الى الصناعة . فهل اختفت الزراعة من المجتمع الصناعى ، وهل قال أحد أنها ستختفى ؟. عندما انتقل مركز الثقل من الزراعة الى الصناعة ، جرت اعادة صياغة كل شىء فى الحياة بما يتفق مع مصالح الصناعة

والتصنيع : شكل الأسرة والتعليم والانتاج والعمالة والاقتصاد والثقافة والممارسة الديمقراطية . نفس الشيء بدأ يحدث الآن . ولعل السر فيما نراه في عالم اليوم من خلط واضطراب وقلاقل ، أن ما يجرى هو اعادة صياغة كل شيء في الحياة بما يتفق مع صالح مجتمع المعلومات . والمسألة ليست مصنع يقلم ومصنع يغلق ، أو نظام معلومات يستحدث ، أو تكنولوجيا اتصال جديدة يجرى تعميمها ، اننا نتكلم عن الاوضاع المجتمعية الجديدة التي تتشكل وفقا لهذا التحول .

ومن هنا لختلف مع د . رشدى سعيد عندما يقول .. "فحقيقة الأمر هو أن حضارة الغد ستكون حضارة صناعية في الأساس ، تدار الصناعة فيها بطرق جديدة ، بفضل التقدم الهائل في ميدان علم المعلومات"

لختلف معه في قوله أن حضارة الغد ستكون حضارة صناعية في الأساس ، واتفق معه في أن تحولا هائلا سيحدث في اسس العمليات الصناعية ، التكنولوجية والانتاجية والادارية ، وفقا لما يفرضه مجتمع المعلومات من مبادىء وعقائد جديدة تتناقض مع مبادىء وعقائد عصر الصناعة .

● ماذا حدث للزراعة ؟

لهذا ، فانني سأعتبر كل ما يوجهه د . سعيد من نقد ، لما اسماه بالصناعة العلمية ، هو في الواقع نقد حقيقي ومبرر لآخر مراحل عصر الصناعة ، ومن ثم لا ينسحب على ما نتحدث عنه باسم مجتمع المعلومات الزاحف . فالنواقص التي يعددها للصناعة العلمية هي نواقص عصر الصناعة ، أو المظاهر الاخيرة لهذه النواقص : فتح شهية الانسان على الاستهلاك ، الاثر السلبي على البيئة ، تبديد مصادر الثروة الطبيعية غير المتجددة . زيادة كمية النفايات ، استغلال دول العالم الثالث . هذه بعض نواقص عصر الصناعة منذ أن بدأ وحتى الآن . وهذه النواقص تعتبر عاملا من عوامل التحول الى عصر المعلومات .

ومن بين مظاهر هذا التحول ، ما جرى على الصناعة نفسها من تحول ، فهي في عصر المعلومات ستكون غيرها في عصر الصناعة . بالضبط كما تطورت الزراعة في عصر الصناعة ، وادخلت عليها اساليب الميكنة ، وكما هي آخذة في التطور خلال عصر المعلومات بادخال معارف الهندسة الوراثية .

ان مايراه د . رشدى سعيد من تطور في المصانع بادخال الروبوت ونظم المعلومات والادارة الرقمية ، هو أحد المؤشرات الأولى للدخول في عصر المعلومات . إلا أن هذا التطور في الصناعة ليس هو غاية التحول الذي نشهد بداياته . فالصناعات التقليدية التي عرفها عصر الصناعة تتراجع أمام زحف صناعات جديدة



بازغة ، ليست لها مداخن تلوث البيئة ، ولا تستهلك الا القليل من المواد الخام والطاقة ، وتعتمد أساسا على العمالة العقلية . كما أن الصناعات القديمة الحالية ، اذا ما واصلت وجودها ، فلن تعتمد فى ذلك على الاساليب التى عرفتها خلال عصر الصناعة ، بل ستتغير شكلا ومضمونا نتيجة التكنولوجيات المتقدمة فى تخليق المواد .

● عمالة عقلية جديدة

أما ما يتحدث عنه د . سعيد فيما يتصل بوجود أزمة عمالة فى الولايات المتحدة الأمريكية حاليا ، فهذا أمر طبيعى ، نتيجة لتطور الولايات المتحدة اكثر من غيرها فى عمليات التحول الى صناعات المعلومات . أى أن هذه ظاهرة متوقعة ، رغم سلبيتها ، باعتبارها من الظواهر المؤقتة المتصلة بفترة التحول . العمالة التى تعتمد على الجهد البدنى ، التى كانت الجسم الأكبر للعمالة فى عصر الصناعة ، سيقل الطلب عليها مع التطور . ولهذا يطالب المفكرون باعادة النظر فى العملية التعليمية بشكل جذرى ، وباعطاء أهمية كبرى بمراكز تدريب العمال ، واعادة التدريب ، لمواجهة هذه التطورات فى مجال العمل ، ولتفادى ازمات البطالة التى يمكن أن تستفحل مستقبلا .

وانا لم افهم ما يقصد اليه د . رشدى سعيد بقوله "كان عامل الانتاج هو عصب الطبقة المتوسطة فى عالم الصناعة التقليدية" ، فالذى أعرفه أن هذا العامل كان عصب الطبقة العاملة وليس الطبقة المتوسطة . كما لا أدرى لماذا يصر د . رشدى سعيد كلما تحدث عن مجال الخدمات ، على أن يشير الى "المهن المتواضعة فى عالم الخدمات" . ولا أتفق معه فى أن أغلب الوظائف الجديدة التى نشأت فى العقد الأخير فى كل من الولايات المتحدة وانجلترا كانت وظائف الحد الادنى للأجور ، وان هذه أسوأ سمات عصر الغد ، وانها تهدد بخطر العودة الى النظم الفاشية .

التوسع فى قطاع الخدمات هو من السمات الايجابية لمجتمع المعلومات . والتطور الذى تمر به الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية والاعلامية والسياحية والثقافية ، لا يوفر فقط وظائف الحد الأدنى للاجور ، بل يوفر نسبة عالية من وظائف الأجر المرتفع ، وبخاصة الوظائف التى تعتمد على الادارة الرقمية أو استخدام الكمبيوتر والاجهزة الالكترونية . كل مافى الأمر أن العالم وهو يدرك ازمة العمالة المتصاعدة لم

يتحرك بالسرعة المطلوبة لتعليم وإعداد وتدريب العمالة القائمة بما يتيح لها أكبر فرص فى الاعمال الجديدة ، ومن ناحية أخرى تطوير برامج التعليم وأسسه وأهدافه لاعداد العمالة العقلية التى سيتزايد عليها الطلب .

الموقف الحالى الذى يثير التشاؤم لدى د . رشدى سعيد ، الا يكون من المحتمل أن يقود الى التعجيل بعمليات الاصلاح فى التعليم والتدريب ، بدلا أن يقود الى عودة النظم الفاشية ؟!.

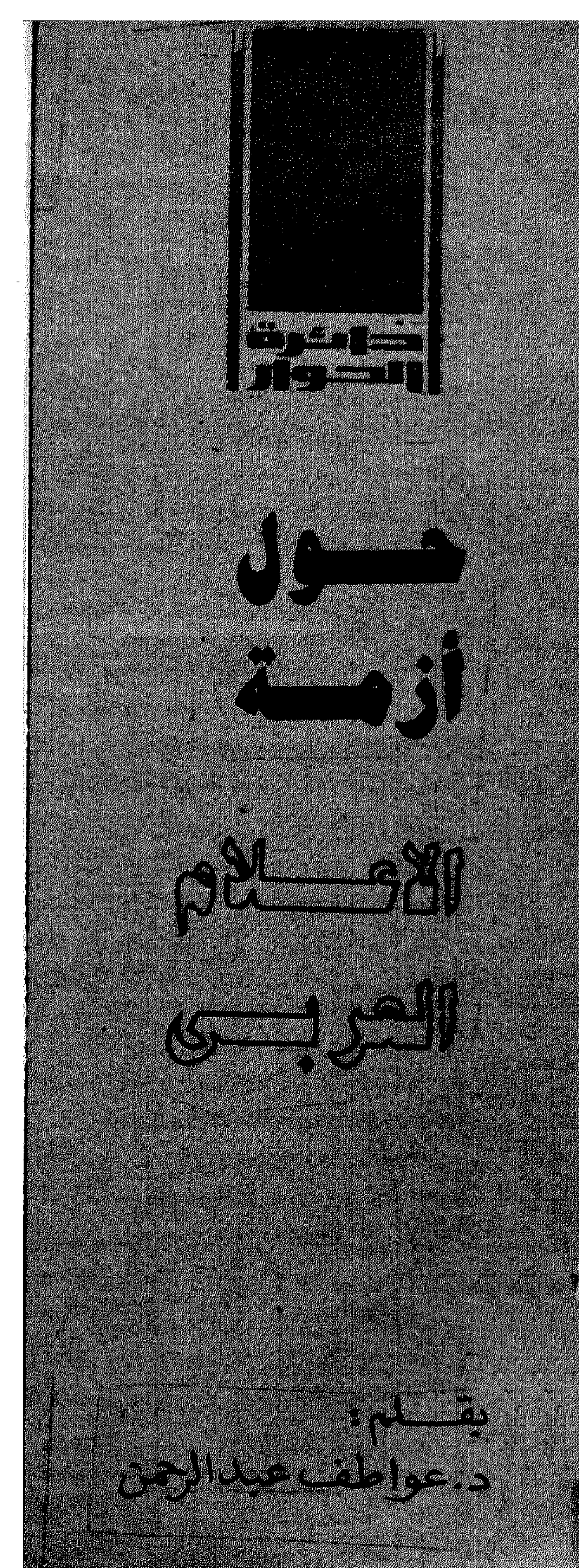
● مخاطر التناول الخطى

أما ما طرحه د . رشدى سعيد حول تضاؤل دور الحكومة المركزية ، فلا أعتقد أن المجال يسمح باعادة الحديث عن هذا الموضوع ، خاصة وقد طرحته بالتفصيل ، أكثر من مرة ، فى "المصور" ويكفى فى هذا المجال أن انبه الى أن التناول الاحادى أو الخطى للظاهرة ، قد يوقعنا فى استخلاصات غير صائبة . مثال ذلك تصور اننا نمضى فقط نحو التنوع والتجزئة والمشروعات الصغيرة . أن الظاهرة التى نحن بصددها اكثر تركيبا ، فهى تتضمن التنوع فى الكيانات الصغيرة داخل الكيان الاكبر ، أو التنوع داخل الوحدة . أى المشروعات الصغيرة ذات الاستقلال النسبى داخل الكيانات الكبرى .

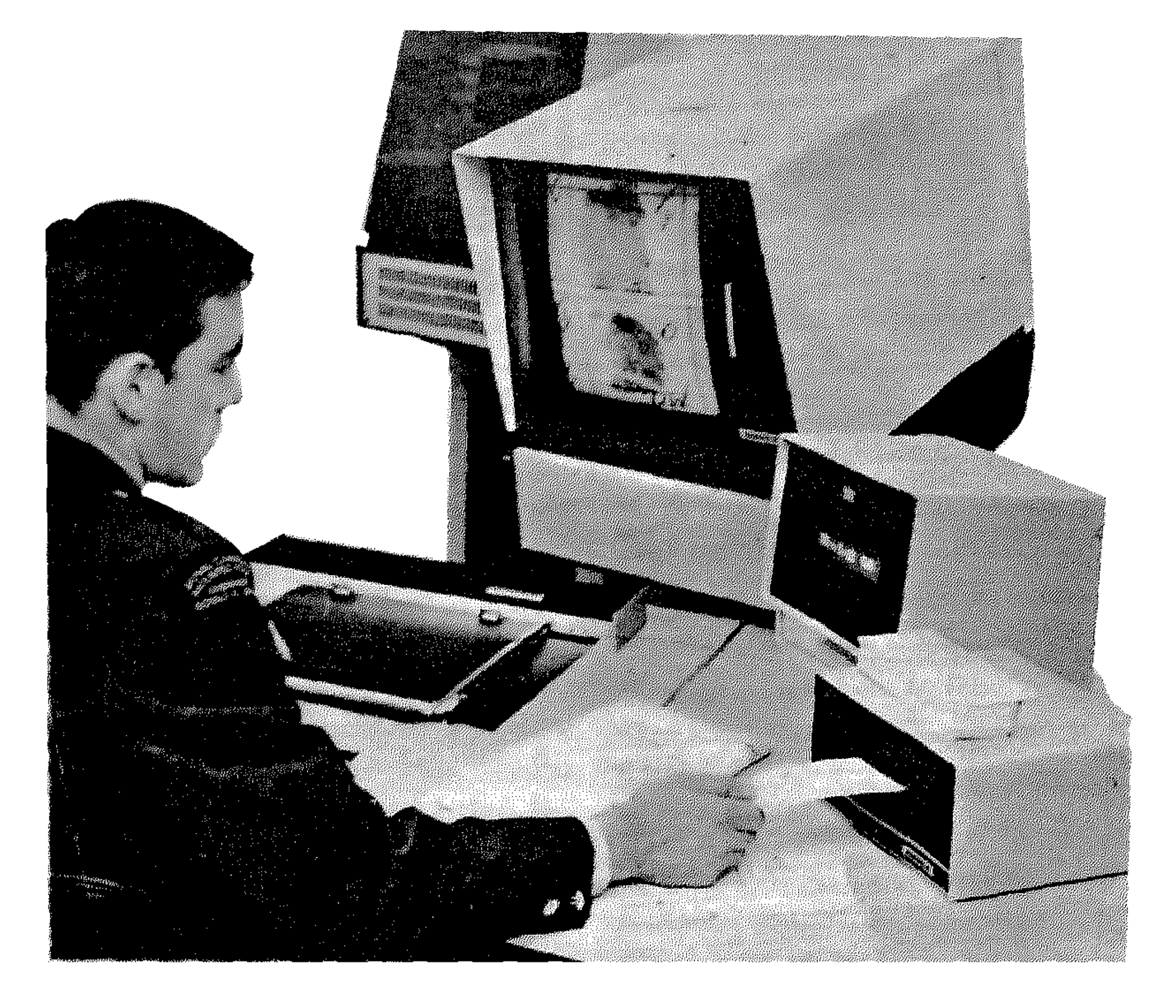
وعندما تحدثت عن مستقبل الحكومة المركزية ، قلت انها ستفقد صلاحياتها الحالية نتيجة أمرين ، شيوع ممارسات ديمقراطية المشاركة التى تسحب الى أسفل نسبة من سلطات اتخاذ القرار التى تحتكر الحكومة المركزية معظمها ، وتعاظم المؤسسات والمنظمات والنشاطات العالمية التى تسحب الى أعلى نسبة أخرى من تلك السلطات . وأن الحل الأمثل للحاكم فى الغد القريب ، أن يتحول من حاكم آمر الى منظم وميسر يسهل على القواعد اتخاذ قراراتها .

أما ما يشير إليه د . رشدى سعيد من دمج للشركات الكبرى حاليا ، فهو ليس مؤشرا للمستقبل ، ولكنه إحدى وسائل مواجهة هذه الشركات لمحنة تداعى الاسس التى قام عليها الاقتصاد الصناعى . مرة أخرى ، دعنا لا نخلط بين ما يجرى خلال قدران التحول وزلازله ، وبين المؤشرات المتنامية للتحول الى مجتمع المعلومات .

وأخيرا ، أورد ما جرى فى ختام مقال د . رشدى سعيد ، والذى اتفق معه فيه كل الاتفاق ، اذ يقول "اننا نكون واهمين اذا تصورنا أن ثورة المعلومات التى يتحدثون عنها ستكون فى متناول أيدينا ، دون أن نخطط للحصول عليها ، حتى ندخل العصر الجديد ولنا مكان فيه" .



●● كشفت احداث الخليج ، ضمن ماكشفت عنه ، تقصيرا بنيويا فى الواقع العربى الراهن ، وعن ازمة الإعلام العربى ، التى لم تكن وليدة حرب الخليج ، وجاءت الأحداث المحلية والاقليمية والدولية لتؤكدها خلال العقدين الأخيرين ، وهناك العديد من الأمثلة التى يمكن الاستشهاد بها ، ولعل الغزو الاسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ والحرب العراقية الايرانية (١٩٨١ - ١٩٨٩) والانتفاضة الفلسطينية منذ ١٩٨٧ حتى الان سبق ان سجلت احداث هذا الغياب الكامل لوسائل الاعلام العربية فى مواجهة وسائل الإعلام الغربية التى تصنع الصورة الاعلامية بما يتلاءم مع مصالحها وتوجهاتها علاوة على نقل الاحداث الساخنة بشكل يبرز تفوقها وتميز ادائها الإعلامى ●●



وقد تناولت بعض الاقلام الصحفية مظاهر القصور الإعلامى فى حرب الخليج ، واكتفت بالرصد الجزئى والمعالجة السريعة التى تغلب عليها الرؤية الانطباعية وان كان يذكر لها انها تصدت بشجاعة فيما يشبه النقد الذاتى لهذه القضية وفتحت ملف الاعلام العربى من جديد ، واذا كان لنا أن نضيف جديدا فى هذا الموضوع فهو التذكير بداية بضرورة عدم الوقوف عند مظاهر الأزمة وتجاوزها الى الجذور حتى نتمكن من تشخيص الأزمة ، وكل الملابسات فى محاولة للوصول الى افق جديد يطرح امكانية الحلول من واقع الامكانيات .

والواقع ان تأمل الخريطة الإعلامية الراهنة فى الوطن العربى بكل ماتزخر به من تراث حضارى وثقافى ودينى وبكل ماتتضمنه من تناقضات اجتماعية وصراعات سياسية وايديولوجية وما تنطوى عليه من امكانيات بشرية وموارد طبيعية واهمية استراتيجية تطالعنا مجموعة من المعطيات يمكن أن نوجزها على النحو التالى :

أولا : ان هناك تفاوتا ملحوظا فى توزيع وسائل الإعلام والاتصال ، فى بعض الدول التى تتجاوز حد الاشباع الإعلامى مثل الدول الخليجية وفى نفس الوقت فان بعض الدول العربية التى لاتصل الى الحد الادنى من البنية الاساسية المطلوبة لعمليات الاتصال والاعلام ، ويترتب على هذه الحقيقة حرمان قطاعات كبيرة من الجماهير العربية من حقوقها فى الاتصال والاعلام ، وفى الوقت نفسه توجد قطاعات اخرى تشكو من التخمة الاعلامية ولاشك ان هذا الخلل الاعلامى لايمكن علاجه الا من خلال خطة قومية تعمل على اعادة



ترتيب الأولويات وسد النقص الذى تعانى منه بعض الدول العربية بعد ان ثبت انه من غير المجدى ان ينحصر التفكير فى النطاق الوطنى او القطرى دون النظر الى مايحدث فى المنطقة العربية ، ودون قدر من التنسيق ان لم يكن من التكامل فى عصر اصبح فيه العالم قرية صغيرة وأصبحت العزلة فيه مستحيلة .

● تكامل إعلامى عربى

وتأتى الاهمية الملحة للتنسيق والتكامل الاعلامى بين الدول العربية فى ثلاثة مجالات على وجه الخصوص تتصدرها تكنولوجيا الاتصال ، وسواء كان الهدف نقل التكنولوجيا ، او توظيفها لصالح الاحتياجات المحلية فى العالم العربى فمن الضرورى ان تتوافر مقومات وشروط لايمكن توافرها لدى دولة عربية واحدة بينما يمكن توافرها بسهولة من خلال التنسيق والتعاون داخل الاطار القومى العربى وتزداد اهمية هذه القضية فى ضوء ادراكنا لخطورة التبعية التكنولوجية واعتماد العالم العربى بصورة شبه مطلقة على استيراد الاجهزة الاتصالية من الاسواق الغربية .

اما المجال الثانى فهو يتعلق بمصادر الانباء وضرورة التنسيق والتعاون الاعلامى بين الدول العربية فى هذا المجال الحيوى حيث تبرز الاهمية المتزايدة للتعجيل بانشاء وكالة انباء عربية تعمل على المستوى القومى وذلك اسوة بوكالة انباء دول عدم الانحياز او وكالة يانا الافريقية أو وكالة انباء دول امريكا اللاتينية والكاريبى أو وكالة الانباء الاسيوية خصوصا بعد أن اكدت الاحداث القومية ، والعالمية القصور الاعلامى لوكالات الانباء الوطنية العربية ، حيث ثبت انها تقوم بدور الوكيل لوكالات الانباء الغربية فضلا عن استخدامها فى تغذية الخلافات السياسية بين الحكومات العربية وانشغالها بالترويج للحكومات ، مما افقدها دورها المفترض ، وأخلى الساحة تماما للوكالات الاجنبية وهنا لابد ان نشير الى وكالة انباء دول الخليج كمشروع اقليمى يمثل خطوة هامة على الطريق نحو استكمال المشروع القومى لوكالة الانباء العربية .

اما المجال الثالث الذى يستلزم تعاونا عربيا مدروسا فهو مجال التدريب وبحوث الاتصال وبحوث الرأى العام ، وتبرز اهمية انشاء روابط عربية مشتركة بين الاكاديميين والممارسين فى مجالات الاعلام والاتصال ، وهذا الدور يمكن ان تقوم به الجامعة العربية فى تشجيع ، وتمويل البحوث الاعلامية ذات الطابع القومى سواء مايتعلق منها بالصحافة العربية وتاريخها وتطور علاقاتها بالنظم الحاكمة وتأثير ذلك على المشروع

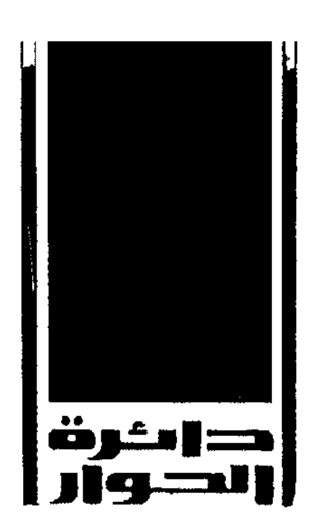
الحضارى العربى او البحوث الخاصة بالقراء والمشاهدين العرب وتأثير البرامج التليفزيونية والاذاعية على الهوية الثقافية فى الوطن العربى .

● معايير للنقد

ثانيا : سيطرة الحكومات العربية على وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية اذ تمارس هذه الحكومات رقابة مشددة على وسائل الاعلام وخصوصا الصحافة حيث تتخذ الرقابة اشكالا متنوعة ، تكون مقصورة فى بعض الاحيان على موضوعات معينة مثل الامور الدينية او المسائل الحساسة فى العلاقات الدولية والشخصيات الاجنبية البارزة ولكنها كثيرا ماتشمل الموضوعات التى تمس امن وسلامة الحكومات العربية . ويلاحظ بوجه عام ان الحكام العرب يعتبرون اى نقد يوجه للحكومات على انه موجه للأمة وغالبا ماتستند الرقابة على الصحف العربية إلى قوانين مدونة ولكنها فى كثير من الأحيان تستند الى السلطة التقديرية للحكومات .

وتتوافر لدى الدول العربية قوانين للرقابة تطبق اثناء فترات الطوارىء ولعل اخطر اشكال الرقابة الشائعة اليوم فى وسائل الاعلام العربى هى الرقابة الذاتية ، التى يمارسها رؤساء التحرير والصحفيون من تلقاء انفسهم دون الحاجة الى رقيب رسمى ، والواقع أن أغلب الصحف الحكومية فى العالم العربى تنطوى على اتجاه واحد لسريان الاعلام من السلطة الى الجماهير ونادرا ماتنشر الاراء المخالفة لرأى الحكومات وفى الحالات التى يسمح فيها بالنشر تتعرض المواد الاعلامية للعديد من التعديلات على ايدى رؤساء التحرير ونوابهم وتمر بعدهم بمراحل اخرى حيث تتعرض للتنقيح والتحوير ، والاضافة واحيانا للتلفيق والاقتصار على مصادر اخبارية معيّنة دون سواها وذلك بهدف وصولها فى النهاية الى القراء فى صورة ترضى الحكومات وتدعم سلطتها الفكرية والسياسية ونفس الشىء يحدث بالنسبة للاذاعات والتليفزيون ونادرا مايسمح باذاعة برامج خاصة عن المعارضة او تحمل رؤية نقدية للحكومات .. وقد اكدت احداث الخليج هذه الحقيقة بصورة جلية اذ التزمت كل الوسائل الاعلامية بتوجيهات حكوماتها وحرمت الجماهير العربية من معرفة حقيقة مايدور فى جبهات القتال الا بالقدر الذى لايتعارض مع مصالح دول التحالف الغربية لقيادة الولايات المتحدة . ولعل هذا يفسر ابرز اسباب القصور الاعلامى العربى اثناء الحرب عن نظيره العالمى .

ثالثا : التبعية الاعلامية للدول الغربية التى مازالت موجودة الى الان ، وتتعدد مظاهر هذه التبعية بدءا بالتكنولوجيا الاتصالية التى تشمل بنوك المعلومات وصناعة الورق والمطابع ومرورا بالوكالات الاعلانية الأمريكية التى توجد لها فروع رئيسية فى كل من مصر ولبنان والسعودية وتونس والتى تعمل على ترويج الانماط الاستهلاكية المعادية لخطط التنمية القومية وانتهاء بالبرامج التليفزيونية المستوردة من الدول الغربية والتى يتم



بواسطتها ترسيخ صور وقيم الحياة الاستهلاكية السائدة فى الغرب مما يعرض الثقافة القومية للتشويه والمسخ والاغتراب الحاد الا ان اشدها خطرا يتعلق بمضمون الرسائل الاعلامية الغربية ، والتى تعمل على سلب الرأى العام العربى القدرة على الرؤية النقدية من خلال تزييف وعييه السياسى والاجتماعى ، الى درجة شيوع وانتشار النموذج الأمريكى للتنمية الاقتصادية فى الوطن العربى ، والذى انتهى الى تكبيل الوطن خلال عقدين من الزمان بسلسلة الديون اللعينة واصبحت النظريات الأمريكية فى الاعلام بمثابة الانجيل والقرآن بالنسبة لاساتذة الاعلام فى الجامعات العربية بعد ان حرص اغلبهم على ترجمة هذه النظريات واقتباسها حرفيا وفرضها على الاجيال الجديدة من الطلاب والباحثين وافتقدت هذه المناهج الاعلامية بالمعاهد العربية الرؤية القومية الشاملة لمتطلبات واحتياجات الوطن العربى اعلاميا ، وتركت اثارها السلبية على تكوين الكوادر الاعلامية وانواع البحوث المقدمة بحيث يلاحظ الافتقار الى وجود فلسفة عامة تحددها اولويات المستويين القطرى والقومى .

كما تبرز تبعيتها المنهجية فى اعتمادها على مناهج واساليب البحوث الغربية وخصوصا الامريكية وفى ضوء ذلك يمكن القول ان الاعلام العربى قد قام بدور رئيسى فى ترويج فكر وايديولوجية التبعية وفى تزييف الوعى السياسى والاجتماعى للجماهير العربية لصالح النخب الحاكمة فى الداخل ولخدمة السوق الرأسمالية العالمية فى الخارج .

● أزمة الاعلاميين العرب

رابعا : واذا كانت الانشطة الاعلامية فى الوطن العربى تضم بضعة الاف من الاعلاميين الذين تستوعبهم المجالات المختلفة فان الصحفيين والكتاب يشكلون القوة المؤثرة داخل هذه الفئة بسبب تميزهم عن سائر الاعلاميين الذين يعملون كموظفين فى اجهزة الاعلام الاخرى ، وقد شهد العقدان الماضيان اشكالا وصورا عديدة من الضغوط والاغراءات مارستها الحكومات العربية من اجل احتواء الاعداد الهائلة من المثقفين العرب وعلى رأسهم رجال الاعلام واذا كانت هذه الحكومات قد نجحت فى استقطاب الكثيرين من هؤلاء الاعلاميين الذين تحولوا الى ابواق للأنظمة العربية القائمة وسخروا اقلامهم لتبرير كل الممارسات اللاديمقراطية التى اقترفتها هذه الحكومات ضد شعوبها الا ان هناك العديد من الصحفيين والكتاب الذين قاوموا وانضموا الى صفوف المعارضة وتعرضوا بسبب مواقفهم لكل اشكال المطاردة والتشريد والسجن مما

دفع أغلبهم إلى الهجرة وترك الوطن ومن أبرز السلبيات التى يعانى منها الاعلام العربى فى المرحلة الراهنة ذلك الدور الذى يقوم به عدد من قادة الرأى الاعلاميين وخصوصا رؤساء التحرير وكبار الكتاب العرب فى الدفاع المستميت عن مواقف الحكومات واعلان الخصومة شبه المطلقة للجماهير العربية ومصالحها القومية والاجتماعية مضافا الى ذلك اصرارهم على تشويه المعلومات وتزييف الحقائق وتضليل الرأى العام العربى وتعديل مساره بما يضمن خدمة مصالح الحكام (وحلفائهم من القوى الاجنبية) وذلك دون مراعاة للحد الادنى من الاصوليات التى تنص عليها مواثيق الشرف الصحفى وسائر المواثيق الدولية والمحلية فضلا عما تقتضيه المصالح الوطنية والقومية ، ويمكن الاستشهاد فى هذا الصدد ببعض الدراسات التى قمنا باجرائها والتى تناولت الكتابات اليومية لرؤساء تحرير الصحف المصرية فى مسألتين محوريتين هما الصراع العربى الاسرائيلى والتنمية والتحول الى الاشتراكية وقد كشفت هذه الدراسات عن التذبذب الواضح فى مواقف واتجاهات هؤلاء الكتاب ازاء هاتين القضيتين وذلك من خلال مقارنة ارائهم فى الستينيات ورصد التحول الملحوظ الذى طرأ على وجهات نظرهم فى السبعينيات ازاء نفس القضايا .

والان هل تساعد هذه المعطيات على خلق نظم اعلامية عربية قادرة على مواجهة تحديات العصر فضلا عن اداء مهامها المهنية فى ظروف السلم ولا اقول الحرب ؟

لاشك ان ذلك ليس مستحيلا ويمكن ان يتحقق من خلال :

● توفير وسائل الاتصال والاعلام لجميع القوى الاجتماعية فى الريف والحضر دون تمييز بسبب الجنس او الدين او الانتماء السياسى .

● تحقيق اكبر قدر من المشاركة الجماهيرية فى عمليات الاتصال والاعلام بحيث لايقتصر دور الجماهير على التلقى والاستقبال السلبى للوسائل الاعلامية .

● عدم احتكار سلطة صنع القرارات الاعلامية بتركيزها فى ايدى الفئات البيروقراطية من العاملين فى حقل الاعلام .

● اعادة النظر فى التشريعات الاعلامية السائدة فى الوطن العربى والعمل على تنقيتها من كل العوائق والقيود التى تعوق الاعلاميين وتحول دون قيامهم بمسئولياتهم المهنية والوطنية والمقصود بذلك توفير الأمان الكامل لهؤلاء الاعلاميين سواء من حيث ضرورة منحهم حق تشكيل الروابط والنقابات المهنية التى تتولى الدفاع عن حقوقهم المهنية والانسانية أو ارساء التشريعات الكفيلة بعدم الاعتداء على مايمس استقرارهم المهنى .

■ ■ ■

الصالونات الأدبية

فـــى مصـــر

بقلم : أمـانى فـريـد

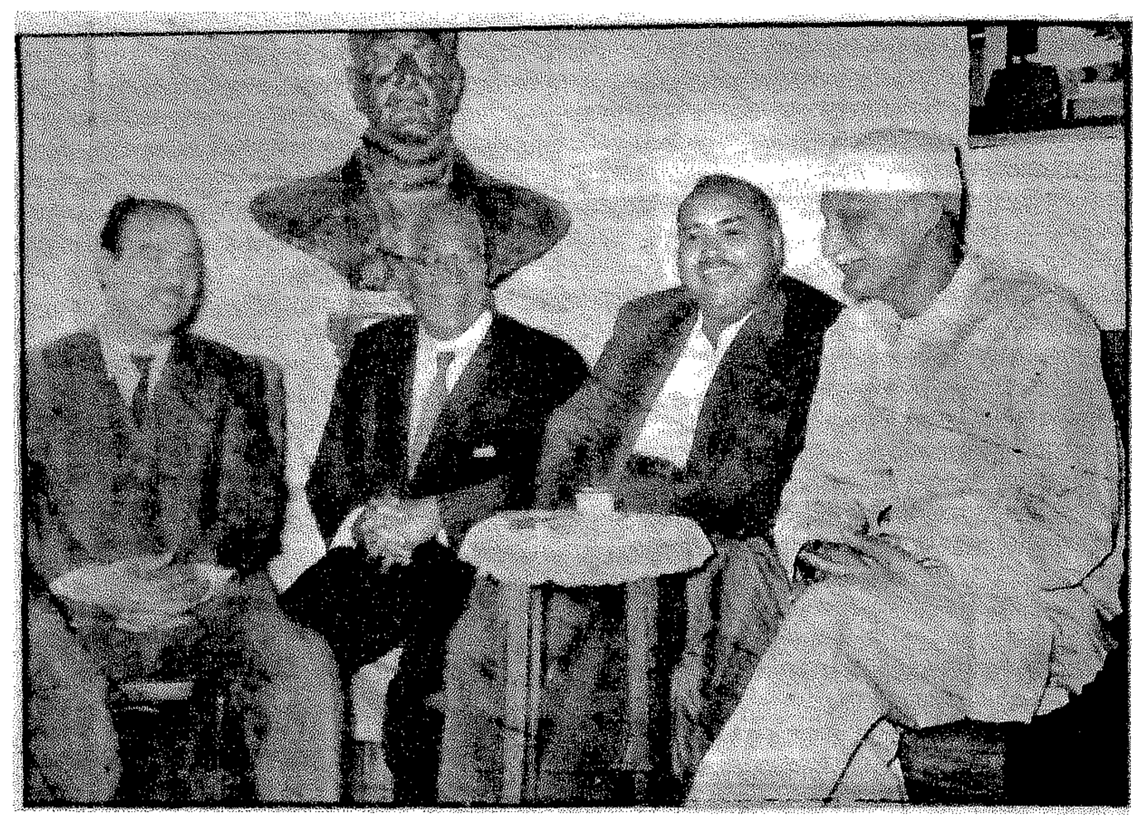
إذا أردنا ان نؤرخ للصالونات الأدبية فى مصر خلال قرننا هذا وما كان يحدث فيها لاحتجنا الى صفحات كثيرة لنكوّن صورة صادقة لحياتنا الأدبية فى مصر .. ولكن حسبنا ان نذكر هنا فى عجالة بعض هذه الصالونات فى مطلع هذا القرن ثم فى منتصفه وأخيرا فى عهدنا المعاصر ـ ولعل أشهر هذه الصالونات فى النصف الأول من قرننا صالون الأديبة النابهة "مارى زيادة" المعروفة باسم "مى" والذى كان يجمع أشهر أدباء عصرها ومفكريه .

كان يزخر بأسماء لامعة فى عالم الصحافة والأدب كالعقاد وانطون الجميل رئيس تحرير الأهرام ومصطفى صادق الرافعي وغيرهم . وكانت المساجلات الأدبية تدور فيه بين مى وضيوفها ، ومن أطرفها ما كان بينها وبين الرافعي المعجب المتيم بها والذى ردت على كلمات اعجابه ببيتين طريفين من الشعر تقول فيهما .

زمانـك قبلى انتهى
وهل يرجع المنتهى
فحسبى ان أُشتَهى
وحسبـك ان تشتهى

وكان لعباس العقاد تلاميذ ومريدون يجتمعون صباح كل جمعة فى منزله بمصر الجديدة حيث يتدارسون ويناقشون العديد من الآراء والاتجاهات الفكرية والأدبية فى مصر وغيرها من دول العالم المتحضرة ويعتبر أنيس منصور من اخلص مريدى وتلاميذ العقاد ولعل هـواية الأديبين وهى القـراءة والبحث والاطلاع المستمر فى شتى الاتجاهات الأدبية هى التى جمعت بينهما .

وكان للشعر ايضا صالوناته ومجالسه . كان من اشهر ماعاصرته صالون على محمود طه فى اواخر أيامه وهى الأربعينيات من هذا



صالون العقاد .. صباح يوم الجمعة

الصالون الادبي لمي زيادة

فى مصر

القرن ، فقد تعرفت عليه بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وبدأت جيوش الحلفاء ترحل عن مصر ، وكان على محمود طه الذى اشتهر بشاعر الجندول يستقبل فى داره أدباء وشعراء شتى من مصر وغيرها من الدول العربية فرأيت فى داره التى كان يطلق عليها اسم "حانة الملاح التائه" نسبة الى واحدة من قصائده ـ العديد من الأدباء مثل الكاتب العراقى الكبير روفائيل بطى والشاعر السورى صلاح الأسير والأديب المتمكن أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة وغيرهم من شتى الانحاء ، ولكن اطرف ما شاهدت فى هذا الصالون لقاء بين شاعر الجندول وبين بعض المجندات البريطانيات اللائى كن فى طريق عودتهن الى بلادهن وقام الزميل فؤاد السيد المحرر بالمصور انذاك بتنظيم ندوة تجمع بينهن وبين شاعرنا الكبير سجلتها عدسة دار الهلال ونشرت على صفحات جرائدها ، ومن أبهج ما رأيت فيها هذا الحوار الشعرى الذى دار بين إحدى المجندات البريطانيات وشاعرنا المصرى فكانت تلقى شعرها بالانجليزية ويقوم هو بالرد عليها بالعربية ويشترك بعض الحاضرين فى ترجمة المعانى بين الطرفين .

وثمة لون آخر من الصالونات الأدبية التى كانت تأخذ صورة مهرجانات أدبية وشعرية كبيرة وأشهرها فى نهاية الأربعينيات صالون الوزير الأديب ابراهيم دسوقى اباظة باشا وكان يطلق على جماعة هذا الصالون "أدباء العروبة" ، وكان مقر الصالون جمعية الحج التى كان يرأسها الدكتور الأديب محمد وصفى أحد أعضاء الصالون ، ولكن نشاطها الكبير كان فى زيارة المحافظات المختلفة وإقامة الندوات الكبرى المفتوحة والتى شارك فيها شعراء وأدباء ومفكرون كبار من امثال الدكتور ابراهيم ناجى والدكتور سليمان عزمى باشا والعوضى الوكيل وعبدالله شمس الدين وطاهر أبوفاشا وأحمد الغزالى ومحمد مصطفى جمعه وخالد الجرنوسى والدكتور الأديب فخر الدين السبكى والكاتب الاسلامى طه عبد الباقى سرور والجمبلاطى وغيرهم ممن لا تعيهم الذاكرة الى جانب الوزراء والساسة الذين كانوا يصاحبون ركب الوزير من الأحرار الدستوريين والسعديين وكانوا ينزلون فى ضيافة مديرى المديريات ـ المحافظون الآن ـ ويطوفون بمحافظات الفيوم والدقهلية



مصطفى صادق الرافعي



مى زيادة

أحمد حسن الزيات

والشرقية واسيوط ، ويتبارون فى الشعر ويناقشون القضايا الادبية ، وكانت قصص العدس الأباظى والكرم الأباظى مما شمله التندر فى هذه المجالس . واذكر انني في لقاء الفيوم القيت قصيدة نقلتها انذاك اسلاك الاذاعة في مصر قلت فيها :

فرع ومن يشدو عليه بلابل
إن العروبة أيكة وخمائل
ياواحة الفيوم جاءك وافد
المجد فى ركبانه يتمايل
حان على الشعراء مد ظلاله
فهمو هناك حمائم وبلابل

وثمة صالون ادبى نسائى ارستقراطى يذكرنا بصالون الأميرة عين الحياة ، ولكنه في هذه المرة كان للسيدة "قوت القلوب الدمرداشية" الواسعة الشهرة والثراء والذى كان يقام فى قصرها المطل على النيل والقريب من ميدان التحرير وكان يجمع بعض الساسة والادباء والمفكرين منهم الوزير حفنى محمود والشاعر كامل الشناوى والصحفى الكبير مصطفى امين وغيرهم من نابغي هذه الفترة . ويقال ان السيدة قوت القلوب كانت تنظم الشعر بالفرنسية ـ والشىء بالشىء يذكر طالما تحدثنا عن الصالونات النسائية ، فقد كان للشاعرة جميلة العلايلى صالون ايضا فى مدينتها المنصورة كان يختلف اليه عدد من الشعراء الشباب فى هذه المدينة في مطلع حياتهم الأدبية كصالح جودت والهمشرى ، ولكن الصالون اغلق ابوابه بانتقال صاحبته الى القاهرة .

● ندوات ابوللو

وجاءت ثورة يوليو بعد ذلك فتوقف كل شىء وتغيرت الأوضاع والمفاهيم ، فلما أستقرت الامور بعد استقرار الثورة بدات الحياة الادبية تعاود صورتها وظهرت الندوات المختلفة فى الجمعيات الأدبية والفكرية التي حاول بعضها أن يسير على غرار ندوات جماعة

الصالونات الأدبية

فى مصر

"ابوللو" التى اسسها أبو شادى وانبثقت منها ندوات شعرية مختلفة كندوة ابراهيم ناجي وندوة جمعية الشبان المسلمين وندوة جمعية الشبان المسيحية ، وهى بدأت قبل الثورة ، وتوقفت حتى استقرت الأمور بالبلاد لتعاود نشاطها كما قلت ، وكانت هناك ندوات لجماعة الأدب الحديث وشعراء العروبة فى صورتها الجديدة بعد أن رأسها الشاعر خالد الجرنوسى ومن بعده عبدالله شمس الدين ثم ندوات لجمعيات أدبية مختلفة تحمل الأفكار والمتغيرات الجديدة التى جاءت بها الثورة - وظهرت ندوات نسائية جديدة فى الستينيات كان من أشهرها ندوة الأديبة السنغافوريه المولد والمصرية الاقامة خديجة السقاف والتى كانت تعقدها بدارها فى الزمالك ويؤمها عدد من الأدباء والشعراء والفنانين من الجنسين من بينهم الأديب أنور أحمد الذى قام بتمثيل دور مصطفى كامل فى أحد الأفلام السينمائية والوزير الشاعر وليم نجيب سيفين ومديرون للاذاعة والتليفزيون وغيرهم من المسئولين الاعلاميين مثل عبد الرحيم سرور وبعض الدبلوماسيين المصريين والأجانب المهتمين بالأدب ، ولقد عملت هذه الندوة على ربط اواصر الفكر المصرى والعربي بفكر واراء بعض الأدباء . وأحدث هذه الندوات تلك التى يقيمها المستشار الشاعر جمال عبدالحليم في داره بمصر الجديدة مساء الأربعاء حيث يجتمع فى صالونه العديد من المهتمين بالصحافة والأدب والفن وتلقى فيها اشعار الشعراء واغاني المطربين واراء المفكرين ، ولقد استمعت لواحدة من قصائده الأخيرة والتى قامت بتلحينها وغنائها المطربة لوردكاش ، وسوف أورد بعض أبيات منها هنا .

يقول المستشار جمال عبدالرحيم في قصيدته "سيدتى"

سيدتي سحرك قد جاوز النصاب
يفتك بالقلوب ويسحر الألباب
كبركان فتى أخشى منه اقترابا
لكننى ظمآن واشتهى الصعاب
فوق الجبين بدر يتحدى السحاب
وعلى الشفاه ارى تمرا واعنابا
وفي عينيك بريق يضيء الشهاب
والشعر منسدل يغازل الأهداب
اين كنت حين كان الفؤاد شبابا
والحسان من حولى يشربن الانخاب
ليس خمرا معتقا ولكن رضابا
تاخرت ، مضى الزمان والشعر شاب

وهكذا نجد أن ايامنا هذه قد كسبت شاعرا من أسرة القانون والقضاء بعد أن كانت قد كسبت من قبل شعراء من أسرتى الطب والهندسة .



كتاب «القيان» للاصبهاني ومسألة توليف النصوص

بقلم: عبده جبير

بداءة أؤكد على انني اخترت كلمة "توليف" الواردة في عنوان هذه المقالة قاصدا قصدا الى ماتدل عليه من معنى محدد ، وكل الذي ارجوه الا يحس احد بانتقاص هذا الجهد ، فالمولف نفسه يذكر بالتفصيل انه قام بهذا الفعل مع سبق الاصرار والترصد .

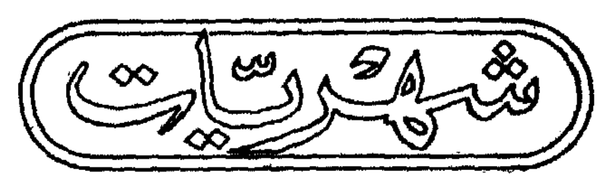
يقول وهو يصف كيف تعرف على نصوص "القيان" اثناء رحلة بحثه :

وقد اشار - ابو الفرج الاصبهاني - اثناء كتابة "الاماء الشواعر" الى كتاب آخر له يدعى "القيان" ذكر الخطيب البغدادي - المؤرخ المعروف - انه اهداه الى ملوك الاندلس .

ويضيف :

"استهواني اسم "القيان" لطرافة موضوعه ولاهميته في كشف خفايا المجتمعين : الاموي والعباسي ، فحاولت العثور عليه باى ثمن ، فلم اوفق ، وكنت اعتقد بانني سأعثر عليه بسهولة ، وسبب ذلك انه تبين لى ان "حاجى خليفة" صاحب كتاب "كشف الظنون" والمتوفى سنة ١٠٦٧ هـ قد اطلع عليه ، وعندما فقدت الامل فى ذلك نشطت لجمع نصوصه المتناثرة من ثنايا كتب التراث ، ومن حسن التوفيق ان يتولى عدد من المؤلفين الاحتفاظ بهذه النصوص ، بل ان بعضهم صرح بالنقل منه مباشرة ، ونتيجة دراستى اسلوب ابى الفرج ، تبين لى انه يكرر بعض الأخبار ، فقد لاحظت ان كتاب "الاماء الشواعر" - مثلا - يضم بعض الأخبار الموجودة فى الأغانى .

● ولقد اعتمدت على مجموعة من المخطوطات والمصادر النادرة والاصيلة فى صنع هذا الكتاب ، وتيسر لى بعد جهد وعناء جمع اخبار اربعين قينة من قيان العصرين الاموى والعباسى حيث حفلا



بعدد كبير منهن واشتهرت المدينة والطائف ومكة والبصرة والكوفة وبغداد واليمامة بالمحسنات الظريفات منهن.

● هو يصرح اذن بانه نشط لجمع نصوص الكتاب المتناثرة من بين ثنايا كتب التراث .

● وهو يصرح ايضا بانه اعتمد على مجموعة من المصادر النادرة فى (صنع) هذا الكتاب .

● ثم يصرح ثالثا بانه قام ، بعد جهد وعناء ، بجمع اخبار اربعين قينة من قيان العصرين الأموى والعباسى .

وهذا كله يؤدى الى مانريد ان نؤكد عليه وهو ان كتاب "القيان" هذا الذى بين ايدينا (طبعة رياض الريس ـ لندن ـ بلا تاريخ) ليس هو بعينه نص كتاب القيان الضائع لأبى الفرج الاصبهانى ، وهو بالتالى ليس "مخطوطة" تم "تحقيقها" لهذا الكتاب الضائع ، وانما هو "توليف" مبنى على "فكرة" ابى الفرج الاصبهانى كما تكونت لدى المؤلف ، وعلى "خبر" عن الكتاب كما ورد اليه ، وقام بجمع نصوص منقولة عن الكتاب الاصلى من مصادر متعددة .

اى انه فى الحقيقة موسوعة : الفضل فى فكرتها للاصبهانى ، اما النصوص نفسها فهى مجموعة من هنا وهناك بجهد "المؤلف" نفسه .

لذا فان كلمة "تحقيق" وهو فعل معروف الصفات والطرق ، لم تكن موفقة ، وكان الأولى ان يصرح الباحث والناشر معا بذلك ، فهذا من الناحية العلمية هو الادق وهو الاصح ، ولانجد عذرا لكليهما الا ضرورات تتعلق بالتسويق والرواج وهو على مافيه من ذكاء فيه أيضا قدر من العيب .

القيان .. وتوجيه المجتمع

على اية حال اصبح بين ايدينا الان نص جميل ، موسوعة بالاحرى عن اربعين قينه من قيان العصرين الأموى والعباسى ، والقينة كما يعرفها المؤلف هى الجارية المغنية ، وكان لها فى هذين العصرين اثر كبير فى توجيه حياة المجتمع عموما ، والظرفاء والشعراء خصوصا ، وجهة عابثة ، ترهف الحس بالجمال والفن ، وكان لبعضهن كما يقول ، أكبر الاثر فى توجيه بعض القادة والخلفاء الذين انهمكوا بالملذات والمجون ، متناسين مسئولياتهم الخطيرة ، غير اننا كما يؤكد ، لايمكن ان نتجاهل فضلهن فى نهضة الأدب عموما والشعر بشكل خاص ، ففيهن ابدع الشعراء ، فوصفوا وتغزلوا ، وكان حصاد ذلك ظهور الوان ادبية جديدة تقوم على المساجلة ، وساهم بعضهن فى وضع الحان موسيقية ، وقد اشتهرت عريب ، وبذل ، ومتيم ، بوضع الحان غناها أشهر نجوم الغناء فى قصور الأمراء والخلفاء .

نقول ان مابين ايدينا الآن موسوعة اكثر من كونه كتابا يقدم صورة تفصيلية لأجواء القيان والحياة التى عشنها ، ولأن ما قدمه هو مقتطفات من هنا وهناك ، مقتطفات غفل ، بلغتها الكلاسيكية ، وحرفيتها الضيقة ، لذلك لم تعرف الأجواء التى كانت تحيط بالقيان ، كما لم نعرف كيف هى صورة حفلات الغناء فى الأبهاء والقصور او المنتديات ، كما لم نعرف الأجواء العامة التى كانت سائدة فى هذا



المحيط الذى كان من الممكن ، بشىء من القدرة على الوصف ، ومن خلال النصوص نفسها ، وربما بالاستعانة بالخيال الخلاق ، ان يكون بين ايدينا نص ابداعى حى فقال : وهذا ما يفتقده القارىء الملهوف ، بل يصدمه ، بعد ان يطوى الصفحات وراء الصفحات ليجد روحه فى حالة جفاف ، وهو الذى كان يمنى النفس بمتعة ، ويمنى العين بالمناظر الملونة

نعم ، ربما يحس القارىء بشىء من الغيظ بعد الانتهاء من القراءة ، كما يحس بالغيظ امام اصرار المؤلف على ان ما اورده هى نصوص أصيلة مؤكدة النسبة للاصبهانى ، وان كتابه المزعوم غاية فى الأهمية :

● ولأهميته فقد عول عليه كل الذين الفوا فى النساء واخبارهن فى وقت لاحق ، فنقلوا منه ، والتزم بعضهم الأمانة العلمية فاعترف بالنقل منه .

ان المؤلف هنا يستند فى جمع هذه النصوص ، خاصة بالنسبة للمقتطفات غير المسندة بشكل غير مباشر لابى الفرج ، على معرفته "باسلوب" ابى الفرج .. الواضح له .. وهو امر قد يقود الى مغامرة ، يقود الى اخطاء عديدة ، لان باحثين اخرين سوف يقتطفون من هذا الكلام ويسندونه بشكل قاطع لابى الفرج ، وهو امر غير مؤكد فالحدس هنا لايمكن ان يوصل للحقيقة المقطوع بها .

والآن نتساءل : ما الذى كان يمنع الاستاذ المحقق "جليل العطية" ان يقدم القصة الحقيقية والكاملة لما يقدمه للقارىء ، ويوفر على نفسه وعلينا هذه المحاولة المتعسفة فى اعتبار كل هذه النصوص منسوبة لابى الفرج .

كان بامكانه ان يوفر على نفسه هذه المحاولة اليائسة لاسترداد نص تراثى ضائع ، ويقدم الحقيقة كاملة ، فالفكرة والاسم لابى الفرج نعم ، وبعض النصوص مؤكدة النسبة له ايضا لكن بقية النصوص لايوجد دليل علمى على نسبتها اليه ، الا قدرة المحقق على معرفة اسلوب ابى الفرج ، وهو امر ملقى على علاته ، لان اسلوب ابى الفرج ليس مختوما بخاتم رسمى يمكن تمييزه من بين الاساليب ، فهو على اى حال صاحب اسلوب ميز عصرا ، وان لم يميز كاتبا .

فماذا لو اكتشف محقق اخر ، وبشكل علمى ومؤكد ، ان بعض هذه النصوص لمؤلفين اخرين غير ابى الفرج ؟

الن يضع هذا محققنا فى موقف محرج ، ثم الا يؤدى هذا الى لبس نحن فى حل منه .

لكن الذى لاشك فيه ان الاستاذ جليل العطية قد بذل مجهودا شاقا فى جمع هذه النصوص ، وفى عمل الفهارس المفصلة ، وهو جهد محمود على اية حال .



• شعر •

سعد ظلام في ديوانه « أرواح وأعاصير »

شعر: جليلة رضا

عندما بدأت قراءة ديوان "أرواح وأعاصير" للشاعر الدكتور سعد ظلام، كنت على يقين بأني سألتقي عبر صفحاته بصنف معين من الشعر.

فالذين يعرفون هذا الشاعر شخصيا يعرفون أن أبرز سماته هي الشفافية والايمان والنزوع الى الخير. ثم يأتي بعد ذلك الاقتصاد في العبارة وعدم المبالغة وقوة التركيز.

وهذه السمات كلها هي التي دار حولها ديوانه. إنها مرآة لانفعالات الشاعر بتجاربه وذكرياته .. فهي تعد وثيقة قيمة لجوهر شخصيته بما فيها من توازن وصفاء وصبر وقوة فكر وارادة.

إن هذه المجموعة الشعرية وان اختلفت في المضمون فانها تشترك في صدق الاحساس.

وعلى ذلك فالمتعمق فيها يجد مجالا خصبا لتعرف طبيعة الشاعر الدكتور سعد ظلام.

وأول ما يلمس فيها القارىء هي تلك الحساسية المسرفة الثائرة حينا والمتفائلة أخرى مع تواضع ونبل. ولقد تخيرت موضوعات منوعة منها الصوفي والوطني والوجداني حتى لا اقتصر على نوع بعينه كي أعطي للقارىء فرصة الافادة مع الامتاع.

والديوان يدور حول مدار واسع رحيب، ويعج بالأحداث وبحقائق الدنيا الزاخرة بالعواطف السامية، عواطف العدل والرحمة والتسامح.

بيد أن قسوة الناس وأخطاء المجتمع ومرارة الذكرى أضفت على بعض القصائد نقدات اجتماعية لاذعة ربما أراد بها الشاعر مداواة الانحراف وربما أيضا أراد بها الترفيه النفسي. مثال ذلك في قصيدة "أنا ياحبيبي عاشق":

النـاس ما جنوا عليّ
فطرقت بابك ياابني
النـاس قد فهموا الحياة
مظاهرا وهوى شذى
لا يؤمنون بما سواه
فقدسوا الرجل الثرى

فإذا مشى أو قام أو
قد مر أو حضر الندى
وقفوا وحيوا فى جلال
ركبه فهو الحفى

ويتساءل الشاعر : ما ضر الناس لو اذعنوا للحق وفاءوا .. وعرفوا أن المحبة والسلام هما التقدم والرقى - وأن الغنى هو غنى النفس .

انا ياحبيبى عاشق
وهواك عندى كل شىء
وأنا الفقير على المدى
وبحبكم ابدا غنى

وتنتاب الشاعر ثورة يأس فى ظروف طارئة وينظر حوله فإذا بالبلبل الحزين يحاكيه صمتا وحزنا ..

حاكت شكاتك فى الحياة شكايتى
وحكى جراحى حالك المتقلب
البؤس وحّدنا وآخى بيننا
والأسر جمّعنا جراحا تكتب
الحب .. هاهو فى الحياة ذبيحة
والأمن زور والأمان مصلب
انا بين أحبابى غريب منهم
وأذل من يحيا الغريب الأغرب

بيد أن الشاعر مؤمن بالانسان المصرى وبطيبة قلبه وبطاقاته الكامنة ، مؤمن بقلوب الأوفياء الذين منحوه أخلص الحب فى عهد صباه وفى المعهد الدينى حيث تلقى العلم فى "كفر الشيخ" فيقول فى قصيدة "أهواك يابلدى" :

أهلوك هم أهلى وصفوة رفقتى
وأحبتى وهم هم اخوانى
فيهم نشأت .. كسبت من أفراحهم
ورضعت من عطف ومن تحنان
هم ادفأونى كالقطا بجناحهم
وأظلنى فى القيظ قلب حانى
"المعهد الدينى" فيه ترعرعت
أوتار قلبى واخضرار بيانى
ورأيت فى علمائه كل الذى
أرجو فكانوا لى المنار الثانى
ماذا أقول وكل لحنى منهم
بم قد أفى ؟ وأنا الأسير العانى

وهكذا نرى أن الشاعر سعد ظلام يعتمد فى شعره قبل كل شىء على الصورة الحركية والسمعية مع حيوية اللفظة .

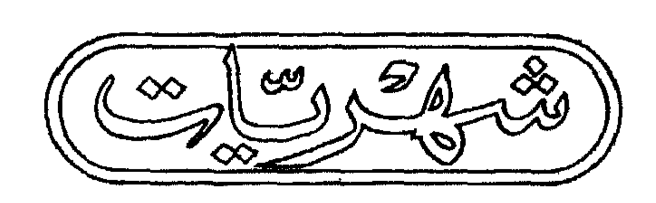
ويبدو ذلك جليا فى قصائده الدينية التى تتوج الديوان حيث يخاطب الحبيب الأعظم فى جلال وخشوع وحيث يفرغ حمولته من آلام وتوترات نفسية ليعرضها أمام ربه فى تلقائية بعيدة كل البعد عن التكلف .

ولنستمع اليه فى قصيدة "يارب" :

يارب انك فى دمى وكيانى
نور أغر يذوب فى وجدانى
أنا ياإلهى ان ظمئت فليس لى
إلا نداك اذا أراد سقانى
أنا ان مرضت فما الأنام بنافعى
لو شاء رب العالمين شفانى
يارب ذكرك فى فمى أغرودة
نعمت بها روحى وفاض لسانى

ولقد اتسع الشاعر للرسول الكريم فى حب فياض عارم أكثر صفحات الديوان ، فكان أن اتحفنا بقصائد رائعة مثل "محمد صديق الحياة" و"بشير الضياء" و"النور المهاجر" وغيرها . ولا غرابة فى ذلك فالدين عند شاعرنا هو أحد الحوافز النفسية التى أضفت على نفسه القلقة أمنا وسلاما .

وفى قصيدة "ابتهال فى محاريب الضياء" وهى لاشك رائعة الديوان - ابدع



الشاعر واجاد ووفق التوفيق كله .. وهى تحتوى على ثمانين بيتا معبرا عن خوالج النفس البشرية ودافعا لخير المجتمع .. ولنستمع اليه حيث يخاطب هلال شهر رمضان المعظم :

أشرق على الدنيا هدى وضياء
وانشر على الأكوان منك دواء
واسكب بكل ثنية أو ربوة
أملا يفيض راحة ورجاء
وتلمس الأجواء .. أعماها القذى
لا تبعد الأنواء والأضواء
الأرض دونك ياهلال .. قوامها
اخمد جراحات عظمن وداء

ويتجه الشاعر بفكره الى أمة المسلمين "احسن أمة أخرجت للناس" وما تعانيه من تمزق وجراح وما تقترفه من ذنوب وآثام

انى اتجهت فثم شعب ضائع
عفن الحياة ممزق أشلاء
الدين فيهم كالغريب مضيع
ينأون عنه ترفعا واباء
ما بالنا والكون فى ذرواته
تمضى فتقذفنا الغيوب وراء
نبنى المنى فى كل رابية ضحى
فتهدها كف الخطوب مساء
المسلمون بكل أرض ضيعوا
واحسرتاه .. تفرقوا أهواء

★ ★ ★

وأقبل الشهر الكريم لكن القوم فى جهالتهم حسبوه فتنة ووليمة فيهتف الشاعر فى قصيدة .. ابتهال فى محاريب الضياء :

حسبوك يارمضان مائدة تقام
لدى الغروب وسهرة حمراء
كلا وربى .. ما لذلك خالقى
فرض الصيام وما بذلك جاء
الصوم معناه الكبير تسامح
يدنى القلوب فتلمس الارضاء
الصوم أن يهبوا الفقير ويمسحوا
دمع اليتيم ويرحموا الضعفاء
ماذا يفيد الصوم والدنيا هوى ؟
وقلوبنا ملئت غوى ورياء
ماذا يفيد الصوم ؟ جوع منافق
ولسانه آذى الورى وأساء
ماذا يفيد الصوم ! لوثة عابد
وفؤاده بالحقد فاض غباء
ماذا يفيد الصوم طول عبادة
والقلب يضمر للورى البغضاء
ماذا يفيد الصوم ؟ مانع نفسه
أكل الحلال .. ويأكل الفقراء

لقد أطلت فى شرح هذه القصيدة وتلكأت فى وقفتى أمامها لأبرز حقيقة كبيرة هى الكشف عن شفافية روح الشاعر أولا ثم إبداء وحدة التجربة الشعرية واستواء أبياتها وانسجام موسيقاها .

أجل ان شعر سعد ظلام مستقل بعيد عن شعر أهل الصنعة .. ان له خصائصه المنفردة وأسلوبه المميز .

ولم يقتصر الشاعر على التعبير عن مشاعره الصوفية بل شمل الوطن أيضا فى "أهواك يابلدى" وفى "نحن نعشق الحياة" وهى فى أعقاب نكسة يونيو وفيها مزج الشاعر الأمل بالايمان .

لأننا مع الاله ومؤمنون بالاله

مهما طغى الطغاه مهما طغا البغاه

لابد أن ننتصر لأننا مع الاله

وفى مأساة فلسطين يصور لنا الشاعر أحزان اللاجئين وما يتردد فى حناياهم من مشاعر جريحة كما فى "أمسيات عائد"

وهذه القصائد الوطنية هى ثمرات توازنه النفسى ونضــج شخصيته وتجـاربه الصادقة . وفى قصيدة "أين الطريق" فى مؤتمر البحوث الإسلامية المنعقد فى رحاب الأزهر يهتف الشاعر وقلبه يكاد يطفر فرحا وحبا :

أحبابنا .. انى أتيت وبى هوى
وفؤادى الحانى أتى يستاف
تتعانق الآمال بين جوانحى
وتغرد الأطيار والأطياف
يامرحبا بالمسلين يضمهم
فى "قبلتيه" "الأزهر" المضياف
نادى فلبى الصادقون وأحرموا
وسعوا له مثل الحجيج وطافوا

★ ★ ★

وعلى هذا المنوال تسير القصيدة بايقاع لفظها المتوائم ورجعه المستحب .

ياأزهر الأمجاد يامهد السنا
ياخير ما أبقى لنا الأسلاف
طوبى لعمرك فى الوجود مخلدا
ياكم تقاس بعمرك الآلاف
جاهدت كالمصباح أقبية الدجى
وزرعت فيها النور وهى عجاف
مرت عليك الحادثان ولم تهن
حتى طواها السير والتطواف

★ ★ ★

واضح اذن مما سبق ذكره أن ديوان "أرواح وأعاصير" يعتمد على الصياغة التقليدية من ناحية الأصالة والجزالة والاناقة والسير على النهج التقليدى وان لجأ الشاعر فى الوقت نفسه الى الروح المعـاصرة الـوثابـة المتحركـة والى المصطلح اللغوى السهل المتساوق مع الحياة الحاضرة .

وكما يلجأ الشاعر الى السلاسة وتنوع الموسيقى وتآلفها مع الفكرة فى مرونة وحيوية .

يبتعد أيضا عن الصور الضبابية التى تتطلب الجهد والحيرة فى الكشف عن الغموض الذى يخلف قصائد بعض الشعراء .

لذلك لم يعد هناك مجال للملل أو التحلل عند قارىء هذا الديوان .

ان القصيدة تدور حول موضوع بعينه لا تخرج منه والموضوع يعبر عن فكرات مترابطة قوية .

كل ذلك فى نضج فنى أصيل .

بيد أنى لاحظت أن الشاعر سعد ظلام لا يعترف بجمال الطبيعة ذلك لأنه لا يعترف بالطبيعة اصلا .

لقد نسيها تماما فى مجموعته الشعرية التى هى ترمز فى عنوانها "أرواح وأعاصير" الى ما تحوى الطبيعة من خصائص ذاتية .

وهذا هو المأخذ الوحيد الذى نأخذه عليه . وإلا فأين سحر الغصون والزهور والجداول ..؟ أين أغانى الطير والندى والشذى وكل ما يجعل الوجود نشيدا مقدسا تباركه السماء قبل الأرض .. أليست الطبيعة هى الأخرى من عمل الخالق الأعظم ؟.. وكيف لا ونحن نذيب فى أعماقها المتوهجة شجوننا وترتفع فى حماها فوق ضغط الحياة ووطأتها .

أقول ذلك لأنى أرى فى أعماق الطبيعة ما يتصل بواقعية الديوان بما فيه من بذور رومانسية متوغلة . نلمسها فى شعره الوجدانى العذب الرقيق حيث يكشف لنا الشاعر عن أدق خلجات قلبه فى صدق صادق .

وسط تهويمات خيالية توحى بقدرة الشاعر على وصف الطبيعة فى سهولة ويسر .

وقد لمسنا رومانسية قصائده فى "أماه" و"سحر" و"ولد الهوى والحب" و"الى ولدى" وكلها قصائد وجدانية ذاتية



حيث يقول فى قصيدة "أماه" :

أماه : تلك محبتى شيعتها
وبفنت فى مثواك كل رجائى
ودفنت فى برديك أسمى منية
كانت تغرد فى شفيف سمائى
الناس كل الناس فى مغناهم
وأنا أهلت الترب فوق غنائى

ويقول الشاعر فى قصيدة "سحر" حيث يهدى شعره الى ابنته وأدفأ حب وأحنى انسان وأولى انغام اللحن واطهر آيات الحياة .

أحبك ياحلم أحلاميه
وخفق فؤادى وايمانيه
وياجنتى وربيعى النضير
وأزهار عمرى وأوراقيه
وياكل ما ارتجى فى الوجود
وتصبو لمرآه أماقيه

واما قصيدة "ولدى الهدى والحب" فيهديها الشاعر الى زوجته الوفية الطيبة ويهتف فى حب واعتزاز :

دنياى ياأملى وياأفراحى
يافجرى الحانى وشمس صباحى
ماكنت أدرى قبل حبك ما الهوى
ما النور .. ماهذا الجمال الضاحى
كانت حياتى لا تنير ولا ترى
وكأنها بيت بلا مصباح
وحدى مع الأيام لا خل معى
أشكو له همى واسع جراحى

وقد وصف الشاعر حياته قبل لقائه بالزوجة وصفاً طريفا صادقا فخرجت لنا القصيدة رافلة فى أبهى صور النجاح ووفق الشاعر فى انتقاء الفاظها وفى التعبير عن أحداثها الحية المعاشة .

وأجد نفسى مازلت مساقة الى عرض بعض أبيات منها ويصف الشاعر كيف كان يعيش وحده الا .. من :

إلا بقايا مكتب وبراعة
وقصائد عجزت عن الافصاح
وجرائد صفراء غيّرها البلى
من طول ما لاقين من الماحى
وكتيبات من هناك ومن هنا
قد بعثرت بددا بكل نواحى
ولربما طلع الصباح ولم أزل
يقظان أشكو وحدتى لصباحى
ولقد يمر الشهر ليس يزورنى
فى منزلى روح من الأرواح
حى .. ولا حى وبين جوانحى
عض النيوب كمبضع الجراح

ثم يشرق على شاعرنا فجر جديد وتهل الزوجة :

وأتيت كالأحلام يحرسك الهوى
وتحوطك الآمال كالأفراح
جادت بك الأيام وهى بخيلة
وشدت بك الدنيا على أرواحى

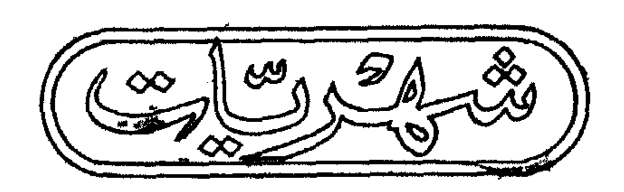
وبعد مازلت أقول ، انها خطوط عامة لصورة الشاعر سعد ظلام تتطلب من القراء ابرازها على حقيقتها فى الوان ثابتة .

ان ديوان "أرواح وأعاصير" يعد نخيرة طيبة وصورة صادقة لمشاعر صاحبه .

فيه قوة وفيه عمق يشهدان له بالموهبة والأصالة .

ويشيران إلى شاعر يكتب الشعر لأن روح الخلق والتأمل تسيطر عليه كفنان ملهم .

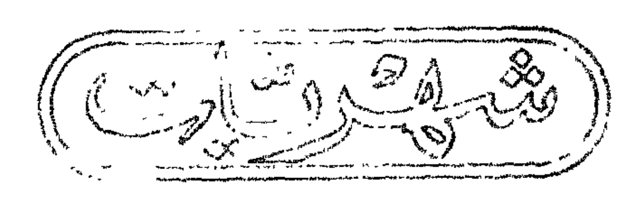
أخرج لنا من اعماق وجدانه ما يثبت ذلك .. فأضاف الى المكتبة العربية مازادها إثراء ببديع النغم .



المنصورة تحتفل بذكرى أم كلثوم

متى يقام متحف لتراثها الفنى ؟

عـاطف مصطفى

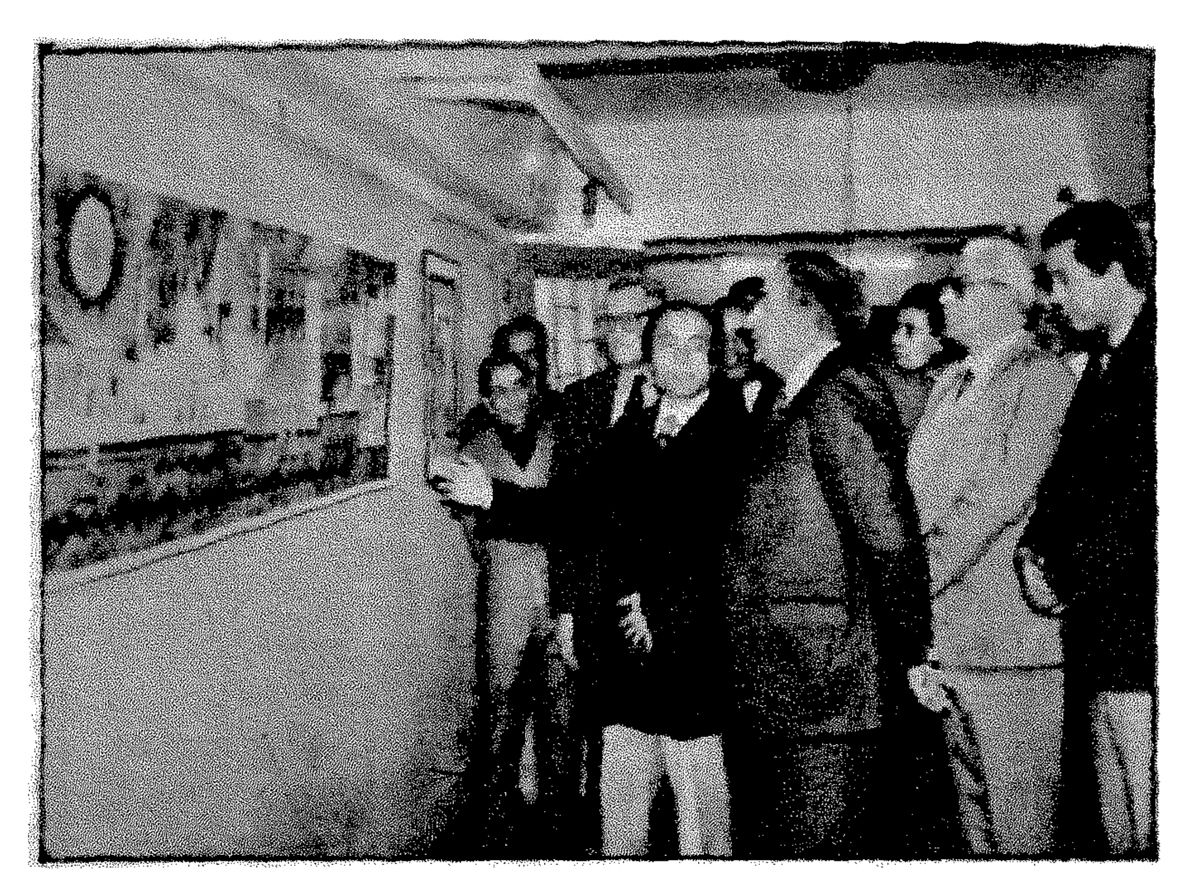


إحتفلت المنصورة بذكرى أم كلثوم ، وهو تقليد يتم فى كل عام ، وفاء لذكرى مصرية عبقرية يعرفها العالم بأسره ، كان صوتها ولازال يملأ الأسماع ، كما حققت للغة العربية رواجاً بين العامة والخاصة ، من خلال قصائدها التى ترنمت بها وتغنت بها ومنها نهج البردة ، ولد الهدى ، رباعيات الخيام ، مصر تتحدث عن نفسها وغيرها ..

والاحتفال فى حد ذاته يتيح نوعا من التفاعل الثقافى بين أدباء الدقهلية ونظرائهم خاصة الشعراء والباحثين ، حيث تضمن احتفال هذا العام مشاركة عدد من الشعراء فى أمسية شعرية من بينهم فؤاد بدوى ود. كمال نشأت وأحمد سويلم وعبد العليم القبانى وحياة أبوالنصر ، فضلاً عن عدد كبير من شعراء المنصورة ، وكلهم تقريباً ألقى شعراً عاطفياً أو سياسياً ، ولم نجد بين الشعراء من يهتم بالمناسبة التى من أجلها أقيمت الأمسية ، سوى شاعر مخضرم من المنصورة هو محروس السلاموني وزجال المنصورة عبد العزيز طه .

أيضا قدمت فرقة الموسيقى العربية بقيادة سليم سحاب حفلاً فنياً قدم فيه عدد من الأصوات الواعدة ، والتى شدت بأغانى أم كلثوم فى محاولة أن نرى من بينهن واحدة ، ربما تملأ الفراغ وهذا الغياب الذى نشعر به وعلى مدى ستة عشر عاما ، وليس بعيدا أن يكون ذلك قريبا ، فالدقهلية أنجبت عشرات الأعلام نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر على مبارك ، أحمد لطفى السيد ، د. محمد حسين هيكل ، محمد التابعى ، المثال محمود مختار ، المهندس أحمد عبده الشرباصى ، رياض السنباطى ، زكريا الحجاوى ، على محمود طه ، كامل الشناوى ، محمد عبد المعطى الهمشرى ، أحمد حسن الزيات ، والإذاعى محمد فتحى ، والعالم الجليل محمد متولى الشعراوى .

لم يتوقف المهرجان عند تسجيل أسماء وقصائد على المستوى الرسمى ، وإنما انفعل الأدباء والشعراء بالمناسبة واعتبروا مهرجان أم كلثوم مناسبة قومية ، حتى وإن لم يتوافر تقديم أعمالهم خلال المهرجان ، ففى دراسة أعدها ممدوح المغربى عن أم كلثوم تناول من خلالها حياتها ، جوانب غامضة لم يتطرق إليها غيره من قبل ، فبدأ كتابه كيفية اكتشاف تاريخ ميلادها الحقيقى فى ٤ مايو عام ١٩٠٤ ، كما أفرد فصلا بعنوان أم كلثوم والإسلام ، وذكر جانباً مهملا عن حياتها فى تلك الفترة ، تحدث عن أساتذتها فى حفظ القرآن والإنشاد الدينى وعلى رأسهم الشيخ أبو الفتوح



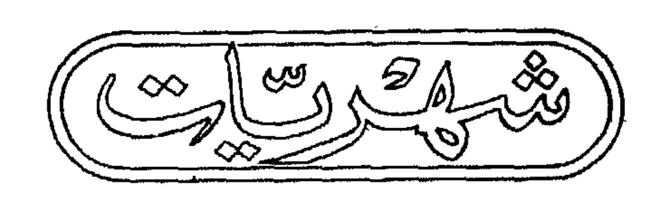
اللواء محمد حسين مدين يفتتح معرضا فنيا فى مناسبة الاحتفال بذكرى ام كلثوم

الشرقاوى ، كما تحدث عن علاقتها بشيخ المقرئين الشيخ محمد رفعت ، وكيف كان يؤدى أغانيها فى جلساته الخاصة ، وعلاقتها بوزارة الأوقاف وشراء المصاحف وإهدائها للمساجد . أيضا تحدث عن كيفية انتقاء أم كلثوم لأغانيها الدينية ، وحرصها على الألفاظ المؤدية لما تحس به ، حتى لو اضطرها إلى تغيير لفظة ، وحدث ذلك فى نهج البردة والهمزية ورباعيات الخيام وسلوا قلبى وإلى عرفات الله .

ويقف عند شاعرية أم كلثوم لتثبت هذه القصة الطريفة التى ذكرها الكاتب ، حيث ذكر أن أم كلثوم ردت على الشاعر حسن الحليم حينما كان عضوا بنادى التجاريين بالقاهرة ، ورفض أن يدفع جنيها ونصف ثمن تذكرة حفل أم كلثوم بالنادى ، وقال لبعض أصدقائه إنه سيدفع بعض مليمات ثمناً للكهرباء ويسمعها عبر الإذاعة ، ويشاء القدر أن ينقل هذا الحديث لأم كلثوم ، فما كان منها إلا أن ذهبت إلى نقابة التجاريين فى إحدى المناسبات ، وطلبت من الشاعر حسن الحليم ـ بعدما أخرجت ورقة مالية كبيرة من حقيبتها ـ أن يعطيها جنيها ونصف الجنيه لكى تكافىء العمال ، فدفعها الشاعر ، ولم يدر بخلده شىء ما ، حتى تبين له أن أم كلثوم ترد عليه فيما سبق أن قاله بظرفها ودعابتها المعهودة ، فأمسك بقلمه وكتب لها قصيدة يطالبها بماله وفوائده يقول فيها :

قلت التى بغنائها سلبت قلوب السامعين

لاتسلبيهم مالهم بوشاية المتمردين



يكفيك أنك قد ملكت عقولهم لو تعلمين
بددت مالى عنوة ومضيت لا تتلفتين
وتركت فى قلبى لهيبا محرقا لو تعرفين
سبحان من أعطاك سحرا نافذا فى كل حين
يدع العنيد مسلما والصلب من عجب يلين
ردى نقودى والفوائد تربحى طول السنين
إنى حلفت عليك من دعوات موتور حزين
لا تسمعى قول الوشاة فلن يكونوا مخلصين
ثم ابعثى لى بالنقود لتكسبى دنيا ودين

وما أن وصلت الرسالة ..... إلى أم كلثوم حتى ردت عليها بنفس الوزن والقافية .. تقول فيها :

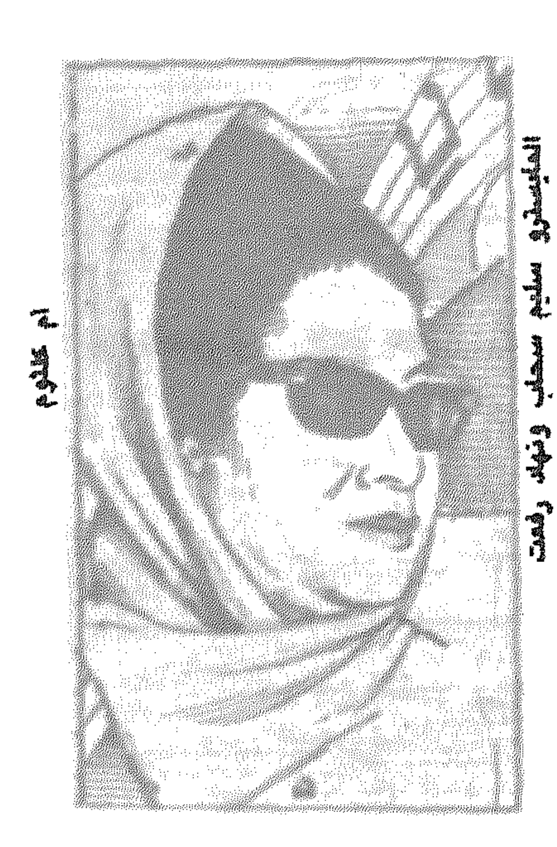
عجبا تطالبنى وايم الحق من منا المدين
أنا التى أشقى لكسب العيش من عرق الجبين
أم أنت حين تعيش محظوظا بمال الآخرين
وترى سماعى «دون دون» بالشمال أو اليمين
وأخذت حقى بعد جهد ثم صرنا خالصين

تضمنت الدراسة أيضا علاقة أم كلثوم بشعراء مصر ، وذكاءها المفرط ودعابتها التى لم تكن تفارقها ايضا ، كما تناول علاقتها بثوار يوليو ودورها الكبير بعد نكسة علم ١٩٦٧ .

والشعراء الذين تناولوا أم كلثوم فى أشعارهم من المنصورة كثيرون ومنهم الشاعر محمد محمود عبد العال ، الذى كتب أكثر من ثلاثة دواوين منها فى محراب أم كلثوم ، وكتب مقدمته الشاعر الراحل أحمد رامى وديوان آخر صدر عن المجلس المحلى بالسنبلاوين منذ فترة .

وفى هذا العام يطل علينا الشاعر محروس السلامونى من خلال قصيدته بعنوان "كوكب الشرق" والتى نجتزىء منها هذه الأبيات :

يا أم كلثوم وإن غادرتنا ... رهن الشجون ودامى العبرات
وهجرتنا يابلبل الأيك الذى ... قد كان بدرا يؤنس السهرات
أعييت سلطان البيان فخاننى ... أما القريض فصار غير مواتى
يامن جعلت الليل فى ظلماته ... عذبا شجيا عاطرا النسمات
قد أقبل الليل الذى ضمنا ... يحيى الفؤاد الصب بالهمسات
نادى من الغيب الغفاة ترنما ... كأس المنى قدم إلىّ وهات



أم كلثوم

الدكتور سليم سحاب ونهلة رفعت
صوت واعد من المنصورة

إلى أن يقول :

يابنت مصر لك الجميل صنعتــه	أسـديته فـى أحلك الأوقـــات
جبت البسـيطة بالغناء تطــوى	أبناء جيـش صـادق العزمات

أما الأديب فؤاد نور فقد كتب مسرحية بعنوان "سفيرة من طماى" تناول فيها حياة أم كلثوم من مولدها حتى وفاتها ، والجديد فى هذه المسرحية أنه اتصل بأهلها ورفاق عمرها فى طماى الزهايرة ، وأخذ عنهم الكثير من المعلومات التى اعتبرت مرجعا هاما لهذه المسرحية .

والجدير بالذكر أن اللواء محمد حسين مدين محافظ الدقهلية قد أعلن خلال مهرجان أم كلثوم أن عام ١٩٩١ هو عام القرية والتى ينبغى أن توجه إليها قوافل الثقافة والعناية بها ، وأن العام الماضى كان عام الثقافة ، وحقق إنجازات طيبة .

وكل ما نرجوه أن يحظى الدكتور منصور فهمى إبن قرية شرنقاش بالتكريم هذا العام ، فهذا الرجل له فضل كبير على قريته ، حيث حرص فى حياته على أن تنتهى الأمسية بين أبناء بلدته ، فى الوقت الذى وصلت فيه نسبة الأمية الآن على مستوى مصر أكثر من سبعين فى المائة ، فضلا عن أن للرجل جهوده على المستويين الثقافى والفكرى ، غير جهوده البارزة بالمجمع اللغوى .

ونحن ننتظر هذه القوافل الثقافية التى تنطلق فى ربوع قرى محافظة الدقهلية التى ازداد عدد سكانها ليصل إلى خمسة ملايين نسمة بقيت ملاحظة أخيرة وهى أننا فى كل عام نكتب آراء وكلاما كثيرا حول أم كلثوم ، ولعل أفضل تكريم لها هو عمل مشروع متكامل إما فى المنصورة أو فى قريتها طماى الزهايرة ، يتضمن تراثها الفنائى وكل ما يهم الدارسين للتعرف على شخصيتها الفذة ، لتظل ذكراها ماثلة حية أمام الأعين ، بدلا من كلمات وقصائد تتوه فى زحمة الحياة ، وفى ظل ظروف متغيرة .



حول مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته السابعة والخمسين

عادل عبد الصمد

المجامع الادبية والعلمية قديمة قدم الحضارة والثقافة ومن المعروف ان المجامع اللغوية بمعناها الدقيق من صنع التاريخ الحديث ، واول ما عرف منها الاكاديمية الفرنسية التي ظهرت في اول الثلث الثاني من القرن السابع عشر ، وكان هدفها جعل اللغة وافية باغراض العلوم والفنون وعلى غرارها انشئت عدة مجامع لغوية في الغرب والشرق .

● اخذت البلدان العربية منذ القرن الماضي وخاصة مصر ، تفكر في تأسيس مجامع ترعى العربية وتصوغها وتحافظ عليها وتعمل على اعدادها للوفاء بالحاضر وتطورات العلم المعاصر مع الاعتداد بماضيها وتراثها .

وحول انشاء المجمع وانتاجه وتوصياته يضيف الدكتور شوقي ضيف الأمين العام للمجمع أنه في أواخر القرن الماضي اتخذت طائفة من ادباء مصر ومفكريها من دار "آل البكري" بالخرنفش - في القاهرة - منتدى لهم يتبادلون فيه الرأى ، بما يكفل للعربية ضبطا دقيقا لمفرداتها وتنقية لها من الشوائب ، وصيانة من اللحن .

ومن الخير ان يتكون لذلك مجمع لغوى ، يعنى بهذه الجوانب كما يعنى بوضع معجم لغوى حديث ، وتكون المجمع سنة ١٨٩٢ وضم صفوة من اعلام العصر منهم "الشيخ محمد عبده" والعالم اللغوى "الشنقيطى" .

ثم فكر بعد ذلك أحمد لطفى السيد فى تكوين مجمع لغوى واقترح ان يكون اهليا لاحكوميا ، ويسمى مجمع "دار الكتب" وتولى رياسته الشيخ سليم البشرى شيخ الازهر فى ذلك الوقت واول ماعنى به المجمع الالفاظ الدالة على مسميات الحضارة والحياة العامة وانفض هذا المجمع مع قيام ثورة سنة ١٩١٩ .

● **انشاء المجمع**

وظلت فكرة انشاء المجمع تجيش

بصدور صفوة المصريين حتى تحقق الامل فى ١٩٣٢ بصدور مرسوم بانشائه ثم اخذ المجمع فى التطور والنمو بفضل اعضائه الذين اسسوه ومن خلفوهم واصبح المجمع مستقلا فى شئونه بعيدا عن التيارات السياسية وغير السياسية ، والتزم بالأهداف التى انشىء من اجلها ساعيا دائما الي تحقيق الغايات التى ارادها مؤسسوه لنهضة العربية وملاءمتها للعالم والحضارة .

ونوضح ان هناك جهودا مبذولة لخدمة اللغة والعلوم والفنون بكل الوانها ، ولكن كيفية الاستفادة بهذا الجهد والأخذ بتوصيات المجمع يتوقف على الجهات العلمية الأخرى ، لأن المشكلة الاساسية التى نعانى منها اننا سلطة تشريعية علينا ان ندرس ونخرج توصيات ولانستطيع الزام الجهات الأخرى بتنفيذها لأن هذا اختصاص السلطات التنفيذية ، وهذا روتين يعطل كثيراً من قرارات المجمع ولايجعلها تخرج الى النور .

وقد حرص المجمع منذ انشائه على ان يكون من بين اعضائه صحفى نابه مثل احمد لطفى السيد واسماعيل مظهر ـ وانطوان الجميل ـ المازنى ـ طه حسين ـ العقاد ـ د . محمد حسين هيكل ـ محمد توفيق دياب ـ احمد زكى ـ احمد امين ـ محمد زكى عبدالقادر وقد تم ترشيح مصطفى امين فى هذه الدورة وفاز باغلبية الاصوات كما هو متبع ليكون حلقة الوصل بين توصيات وقرارات المجمع وبين لغة الصحافة ولغة الكتابة اليومية فقرارات المجمع تحتاج دائما الى وسائل الاعلام المختلفة لكى يتعامل معها القارىء على مختلف مستوياته وابلاغ الناس بما تم



د . شوقى ضيف

انجازه داخل المجمع ، وإلا يعتبر المجمع برجا عاجيا .

والأمل كبير فى ان يضم المجمع عددا من الصحفيين اللامعين ليكونوا الجسر الجيد لتوصيل اعمال المجمع العلمية واللغوية الى الجمهور ولربطها بلغة الحياة ، ونحن نتصل بلغة الحياة اليومية من خلال الصحافة ووسائل الاعلام المختلفة .

● انتاج المجمع

وتعد محاضرات المجمع ومؤتمراته كنوزا نفيسة فى اصول اللغة وقواعدها الكلية والتفصيلية ، ويرفع من شأن هذه الكنوز مادار خلالها من جدل ونظرات صائبة لأعلام اللغة فى مصر والعالم العربى فهناك بحوث كتبت عن المولّد ـ وعن اسم الآلة ـ وعن الاشتقاق من اسماء الاعيان ، وعن تكملة المادة اللغوية بذكر نواقصها التى لم تسجلها المعجمات ، بالاضافة الى المصطلحات فى كل علم



وفن وفلسفة ، مما وضعه علماؤنا النابهون المتمكنون فى العربيـة وفى اللغات الاجنبية .

ولعل من اهم ماتم ايجازه لاعمال لجنة الاصول فى هذا المؤتمر :

● صيغتا : فعلة (بفتح الفاء) وفعلة (بكسر الفاء) : لجواز القياس عليهما فيما يحتاج اليه من معان مستحدثة وخاصة فى مجال المصطلحات العلمية منها : المصدر (رحم رحمة) واسم المرة من الفعل الثلاثى المجرد (جال جولة) واسم الجنس (بلدة ـ قرية) والعلم (طلحة ـ حمزة)

وتستخدم صيغة فعلة (بكسر الفاء) لعدة وجوه منها :

المصدر (حج ـ حجة) واسم الهيئة من الفعل الثلاثى المجرد (جلس جلسة الامير) ومن غير الثلاثى والجمع .

● متن اللغة

اللغة العربية لغنى اللغات بمفرداتها ، وكثرة اشتقاقاتها وابنيتها وميل اهلها الى التخصص وابتكار الكلمات الدالة على ادق الدقائق فى الاشياء .

وقرر المجمع ان اللغة ملك للمتخاطبين بها ، ولهم ان يتصرفوا فيها بقدر حاجتهم ، واطلق القياس ليشمل ماقيس ومالم يُقس من قبل ، وتوسع فى الاشتقاق ما امكن

واهتدى اعلام المجمع اللغويون منذ اول الامر الى تذليل مايعترض وضع المصطلحات العلمية وتعريبها من صعوبات فحاولوا مخلصين تيسير ذلك بالتوسع فى اقيسة اللغة حتى تصبح اداة صالحة لحمل المصطلحات العلميـة الحديثة ، ويوضح هذا الصنيع مجموعة القرارات العلمية ، التى سجلها كتاب "فى اصول اللغة" وهو فى ثلاثة مجلدات" وجميعها تصور ماقرره المجمع من القواعد المكملة لقواعد النحاة وعلماء الصرف وهى قواعد من شأنها ان ترفع العقبات الكثيرة التى تعترض العلماء حين يضعون مصطلحات العلوم .

● المصطلحات العلمية والفنية

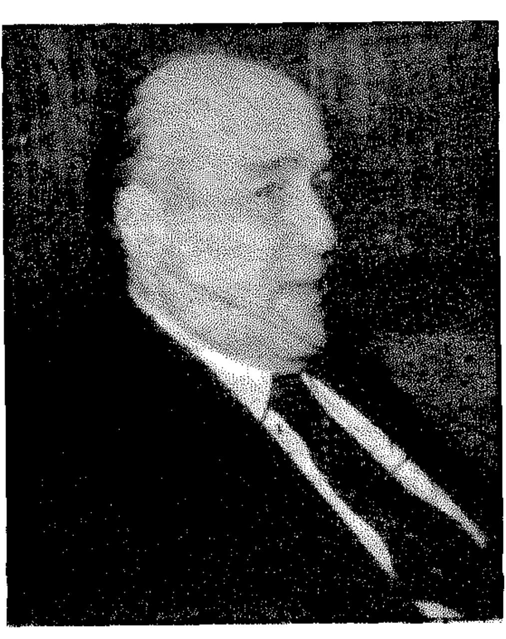
المصطلح العلمى هو اللفظ او العبارة الاصطلاحية فى اى فرع من فروع المعرفة ، ولايمكن تصور علم او فن بدون مصطلحات تحدد مدلولات الفاظه وتعبيراته بحيث تعين على تصوره وفهمه ولذا كونت اللجان التى تشمل العلوم والاداب والفنون ، واثبتت اللغة العربية مرونتها ، وقابليتها لتلك المصطلحات ، مما يدل على مرونتها ، ومرونة اهلها ، وتميزها بالسعة فى اشتقاقاتها .

ومنذ الدورة الاولى للمجمع ووضع المصطلحات العلمية يعد الشغل الشاغل له ، بل يعد اهم اعماله واعظمها خطرا حتى تصبح العربية لغة علمية بالمعنى الدقيق ، مثلها فى ذلك مثل اللغات العالمية ، وحتى تصبح اللغة السائدة فى تعليم العلم وتدريسه بالجامعات العربية ، واستقر فى نفوس المجمعيين ، وجوب الوصل بين المصطلحات العلمية والعربية التى استخدمها الاسلاف ومصطلحات العلم الحديث ، وتوالت القرارات تؤكد ذلك





د . ابراهيم مدكور



مصطفى امين

وتكونت اللجان ، واخذ المجمع يتوسع فى هذا النشاط بما فرّع فى اللجان العلمية ، وبما أكب عليه من وضع المصطلحات في كل فرع من فروع العلم .

وقد استطاع المجمع ان ينجز مصطلحات لبعض الفروع كما فى القانون واستطاع تحقيق بعض المعجمات فى الفلسفة والجغرافيا والفيزيقا ، والالكترونيات ونشر الجزء الاول من المعجم الجيولوجي ، ومعجم الفاظ الحضارة ..

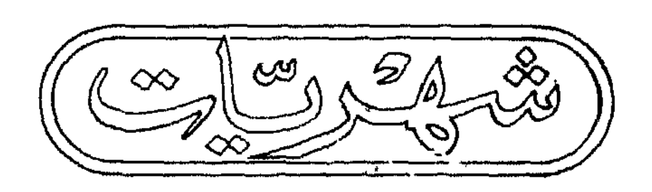
ويرفع المجمع فكرة توحيد المصطلحات العلمية شعارا له ، حتى يعيد للعرب وحدتهم العلمية .

ويؤكد هنا الدكتور شوقى ضيف على ان العلماء فى مصر والبلدان العربية يتقبلون تقبلا حسنا مايقره المجمع من مصطلحات علمية ، وهى تنيف الآن على ستين الف مصطلح ، ويدل بوضوح على هذا التقبل ان علماء العرب على اختلاف بلدانهم واقطارهم يستخدمونها فى مترجماتهم ومؤلفاتهم ، ومؤتمراتهم وايضا يستظهرونها فى المعاجم العامة والمعاجم العلمية وخاصة فى الرياضيات والطب كل ذلك يدل على ان ماتصبو اليه البلاد العربية من تعريب التعليم الجامعى يوشك ان يكون قاب قوسين او ادنى .

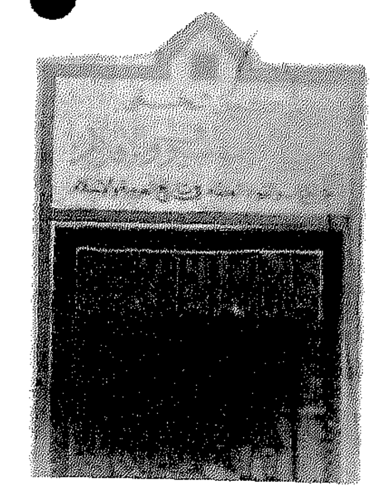
● المجمع والمعاجم

كان وضع المعاجم العربية احد الاهداف الاساسية للمجمع منذ تاسيسه ولذلك وضع المجمع ثلاثة معجمات : وجيز ووسيط وبسيط

وتم وضع معجم وسيط ينتفع به الطلاب فى التعليمين الثانوى والعالى ، ثم تم وضع معجم لالفاظ القرآن الكريم ثم عنى اخيرا بوضع معجم وجيز مدرسى ينتفع به الناشئة فى التعليم الثانوى - وتم وضع معجم الجيولوجيا ، ومعجمات اخرى للجغرافيا والفيزيقا، النووية والمعجم الفلسفى .



• مكتبة الهلال •



الكتاب : يوميات ارباب السيوف والاقلام
تاليف : كمال النجمى
الناشر الصقر العربى للابداع - قبرص
١٤٤ ص

بعد كتابه الناجح "يوميات المغنين والجوارى" يكتب لنا الاستاذ كمال النجمى هذا الكتاب الجميل ، وهذه المرة يكتب لنا عن "يوميات ارباب السيوف والأقلام" الذين يرى انهم كونوا فريقين من ابرز المشاركين فى صناعة التاريخ العربى الاسلامى فالكتاب - يقول - كانوا عقل الدولة ولسانها الناطق بفكرها وسياستها ، ومن صفوف الكتاب جاء الوزراء ، فصار الكتاب والوزراء والقواد طبقة واحدة فى الحقيقة ، وتساوى رب القلم ورب السيف فى المكانة والنفوذ والاثر فى مجريات الامور .

ومن خلال تتبعه لما ورد فى كتب التراث عن حياة هؤلاء من صفحات طوال زخرت بها صاغ باسلوبه المميز هذه اليوميات وهى شكل فنى اختص به كاتبنا ، مع التزامه الكامل بالحقائق التاريخية ولم يضف اليها الا اقل القليل من الخيال مع نبذه للاساطير والمبالغات التى حفلت بها الكتب القديمة .

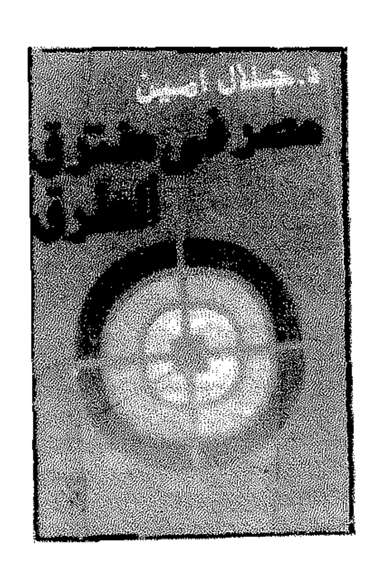
لقد احال كاتبنا الاخبار المطولة الجافة الى حكايات واقاصيص على شكل يوميات بسيطة يروى فيها "البطل" حياته وكأنه يناجى بها القراء ، او يتحدث بها الى نفسه .

لكن - يضيف الكاتب - "اليوميات" هنا ليست اياما متتابعة ، فقد يجيء احد الأيام بعد اليوم الذى سبقه بشهر او سنة ، او اقل من ذاك او اكثر وقد تجيء قصة فى احد الأيام ، تتلوها قصة فى يوم آخر ، وبين اليومين سنة او سنتان فيتسع مابين الايام او يضيق بحسب سياق الاحداث على اننا لن نجد فى هذا الجزء الأول من اجزاء ستليه ، تشمل التاريخ العربى على اتساعه فى مختلف انحاء الدولة العربية الاسلامية التاريخية التى امتدت من الهند الى الاندلس لن نجد هذه القفزات الزمانية ، فحوادثه متقاربة ، يتوالد بعضها من بعض بلا انقطاع .

لقد اعتمد الكاتب فى هذا الكتاب على المراجع الاساسية للتاريخ العربى الاسلامى ككتب الطبقات ، وتاريخ الطبرى ، والمسعودى ، وابن الاثير ، والفهرست ، والاخبار الطوال ، وعيون الاخبار ، وانساب الاشراف ووفيات الاعيان ،

والامامة والسياسة ، وصبح الاعشى ، والعقد الفريد ، والبيان والتبين ، وغيرها من الكتب الامهات التراثية بما فيها كتب الفقه والتفسير والحديث فضلا عن دواوين الشعر .

انه عمل جليل مفيد للقارىء المعاصر لانه يقرب ما بينه وبين تراثنا الذى اصبح لاسباب عديدة عسير المنال .



الكتاب : مصر فى مفترق الطرق
تاليف : د . جلال امين
الناشر : المستقبل العربى
١٤٤ ص .

يتميز الدكتور جلال امين من بين اساتذتنا الاكاديميين ، علاوة على علمه الواسع فى مجال تخصصه ، برحابة فكره ومشاركته الفعالة فى قضايا مجتمعه ، مشاركة لاتتميز فقط بمجرد الغيرة الوطنية ، انما التحليل العميق للمشاكل العامة ، وكشف ابعادها ، والاشارة بقوة الى الاخطاء ، وتبيان الطريق الذى يراه هو طريق الخلاص للخروج من الأزمة .

وفى كتابه هذا يرى الدكتور امين ان مصر تدخل حقبة التسعينات وهى تواجه ثلاثة طرق مسدودة : الطريق الذى تسير فيه بالفعل ، وهو مايمكن تسميته باليمين ، والطريق الذى يمثله التيار الغالب بين التيارات الدينية الجارية ، والطريق الذى يمثله اليسار التقليدى الذى يجد من الصعب مواجهة المتغيرات الدولية . بفكر يسارى جديد .

هو اذن يبشر بما يسميه : اليسار الجديد فما هو فى تصور كاتبنا ؟ يقول :

وقد يبدو اليسار الجديد غامضا كل الغموض ، ولكن عناصره اخذة فى التشكل على نحو لايدع مجالا للشك فى انه سيولد عما قريب فالقوى المضادة للحرية . والكرامة الانسانية .

اصبح لها من الحدة والانتشار مالايمكن ان يخطئها ذو عينين ، مهما اشتدت قوى التضليل وغسيل المخ ، نحن جميعا مقهورون ليس فى مصر وحدها ، بل وعلى نطاق العالم بأسره : الفقير والغنى ، المحروم من ابسط ضروريات الحياة ، والغارق حتى اذنيه فى الملذات ، والقوى التى تمارس القهر لم تكن فى أى عصر من العصور اكثر غموضا مما هى اليوم ، ومن ثم فان التصدى لها عمل اصعب من كل ما عرفه الانسان من قبل من محاولات للوقوف ضد الظلم نحن فى حاجة الى يسار جديد لامحالة ولكن الشرط الاساسى لوجوده لم يعد هو كما كان فى الماضى ، الشجاعة والاستعداد للتضحية ، بقدر ماهو الفهم الصحيح لما يحدث فى العالم .

اليسار الجديد فى رأى الكاتب اذن هو ليس اليمين السائد الآن وليس التيارات الدينية المنتشرة ، وليس اليسار الذى يدين بافكار القرن التاسع عشر ، وانما هو ذلك الذى يرى الأمور بشكل جديد من منطلق العدل ، والابداع فى مجال البحث عن الحلول الاكثر انسانية .

قد يقول البعض ان هذا التعريف يحتاج الى تفسير

اكثر ، وهو مانرجو كاتبنا ان يقدمه لنا فى مستقبل الايام ، ونظن أنه قادر على ذلك .

الكتاب : ذكريات على الشاطىء
تاليف : عبد القادر حميده
الناشر : الكتاب الذهبى - روزاليوسف
١٣٨ ص ، ١٥٠ ق م

هذا هو الكتاب الثامن للشاعر الاديب عبد القادر حميده الذى تنوعت نتاجاته بين القصة القصيرة ، والمجموعات الشعرية والمسرحيات المترجمة وهو هنا يكتب مذكرات ادبية كانت روحه تموج بها منذ سنوات طويلة عبر تجاربه العملية وتأملاته وترحاله واسفاره .

يكتب ذكرياته عن زكريا الحجاوى حين كانا يعيشان سويا فى "قطر" ويقدم من خلالها شهادته عن الايام الاخيرة للحجاوى فيقول :

فى تلك الليلة الاخيرة من شهر نوفمبر ١٩٧٥ كان زكريا الحجاوى على بعد ثمانية أيام من الموت .

كان يرتدى جلبابه الأبيض كشهيد فى حفل ذكراه الأولى وكان وجهه فى ضوء مصباح مدخل البيت ، مشوبا بحمرة صافية ، كمولود قادم لتوه من عالم الرحم .. صبوحا .. بريئا .. وبلا ذكريات .

على شفتيه ابتسامة وسيمة الصمت والدهشة كنا بالأمس قد قدرنا العودة نهائيا للقاهرة .

لكن .

فى تلك الليلة الاخيرة من شهر نوفمبر .. كان زكريا الحجاوى غيره بالامس عصفت به فى منتصف الطريق الى بيتى اغماءة فلم يستسلم لها ، ولم يخلف الموعد .. وفى الحادية عشر تماما ، تهيأ للانصراف .

كان الحجاوى فى تلك الصباح يودع اصدقاءه وداعه الأخير دون ان يدرى أحد وفى المساء ذهب الى مكتبه ليشرف على تدريبات فرقة الفنون الشعبية التى انشأها منذ ثلاث سنوات .

يقول لى صديقه ومرافقه على الدوام المغنى الشعبى القطرى "مرزوق العبدالله"

- كنت مع الاستاذ فى مكتبه فلما سمع بعض اللغط من بنات الفرقة فى غرفة التدريب طلب منى ان اسكتهن فخرجت لهذه المهمة ، ولما عدت بعد قليل .. وجدته منكفئا على مكتبه .

ولعل زكريا الحجاوى فى هذه اللحظة كان قد قرر ان يغادر هذه الدنيا بلؤمها ، وشرورها ، وصراعاتها غير الانسانية ، وغير العادلة هكذا يسرد عبد القادر حميده اللحظات الأخيرة لرائد الفنون الشعبية الكبير زكريا الحجاوى الذى وافته المنية وهو يقوم بواجب كبير هو انشاء الفرقة القومية القطرية التى لازالت تحمل بصماته المؤثرة .

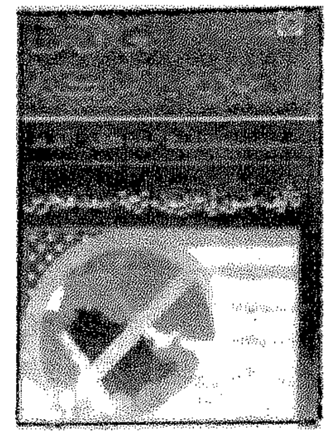
وهى شهادة ضمن شهادات عديدة لايمكن تلخيصها وننصح بقراءتها فى هذا الكتاب الجميل .

الكتاب : كانت لنا أوطان
شعر : فاروق جويدة
الناشر : مكتبة غريب
١٢٦ص ٢٠٠ ق م .



هذه هى المجموعة الثانية عشرة للشاعر الرقيق فاروق جويدة ، تتنسم فيه ملامحه الشعرية المميزة له منذ ديوانه اوراق من حديقة اكتوبر وهذه المجموعة الجديدة ، تتميز بمواكبتها للأحداث الاجتماعية والسياسية التى مرت بها مصر والبلاد العربية فى فترة كتابتها ، بل انه مد اهتمامه لإحداث سياسية عالمية فى قصيدته من اغانى مانديلا التى يقول فيها :

حدقت فى رأس
فلاح الضوء وسط الليل فيه
ساءلت نفسى
اى شىء يافؤادى تشتهيه
أوطانك الخضراء اجهضها
خريف القهر والزمن السفيه
فالناس باعت اجمل الايام
فى سوق الجوارى
....
ياموطنى مهما تغربنا
وضاعت فى الدروب هويتى
ميعادنا آت .. فضوء الصبح
يرفع كل يوم .. جبهتى



الكتاب : العلاقات السعودية الامريكية
تأليف : بنسرن لى جريسون
الناشر : سينا للنشر
١٥٤ ص.

يعد هذا الكتاب واحدا من الكتب القليلة التى تناولت موضوع العلاقات بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية بطريقة هادئة ، وبلا تشنج او اتهامات صارخة لهذا الطرف او ذاك انما هو يتتبع الوقائع والاحداث واحدة واحدة كما حدثت وفى الوقت الذى حدثت به وكذلك المكان والشهود والجو المحيط بكل واقعة على حدة .

من هنا يجد القارىء شبهة تاريخ قائمة فى صلب هذا الكتاب ، فهو فى الحقيقة تاريخ للعلاقات السعودية الأمريكية ، وان كان هو يرى ان النفط هو المحور الرئيسى لهذه العلاقة منذ البداية من مجمل مايقوله المؤلف نجد ان هذه العلاقة علاقة ضرورة .

فنجد آل سعود يركنون فترة طويلة على انجلترا حتى تحلل نفسها من العلاقات الخارجية التى تحتاج الى معونات ، فاذا بآل سعود يتحولون الى الولايات المتحدة باعتبارها الدولة العظمى الخارجة من الحرب العالمية منتصرة وتتطور هذه العلاقات حتى تصبح السعودية اكبر دولة ـ بعد اسرائيل ـ تحتل مكانة متميزة فى جدول اعمال السياسة الخارجية الأمريكية المعاصرة .

ورغم ذلك ـ كما قالت الصحافة الأمريكية فى تأبينها للعاهل السعودى الملك فيصل انه مامن احد ـ منذ الزعيم النازى ادولف هتلر ـ الحق اضرارا بالمصالح الأمريكية مثلما فعل الملك فيصل .

والمقصود طبعا قراره بايقاف ضخ البترول للغرب اثناء حرب اكتوبر ١٩٧٣ تضامنا مع مصر .

رمضان في المأثورات الشعبية

وداد حامد

كلما هلت بشائر شهر رمضان الكريم ، وبدأ الناس يتهيئون لاستقباله استرجع قولا ، ظل باقيا في ذاكرتي منذ الصغر ، كانت امي « رحمها الله » تردده في هذه المناسبة .. كانت تقول (رمضان عشر اكلات وعشر خلجات[1] وعشر حلقات) ..

وربما كان هذا القول في أصله جزءا من حكاية شعبية أو حكمة تعبر عن عادات قديمة متوارثة أو غير ذلك من الأشكال الشعبية المأثورة في مصر .

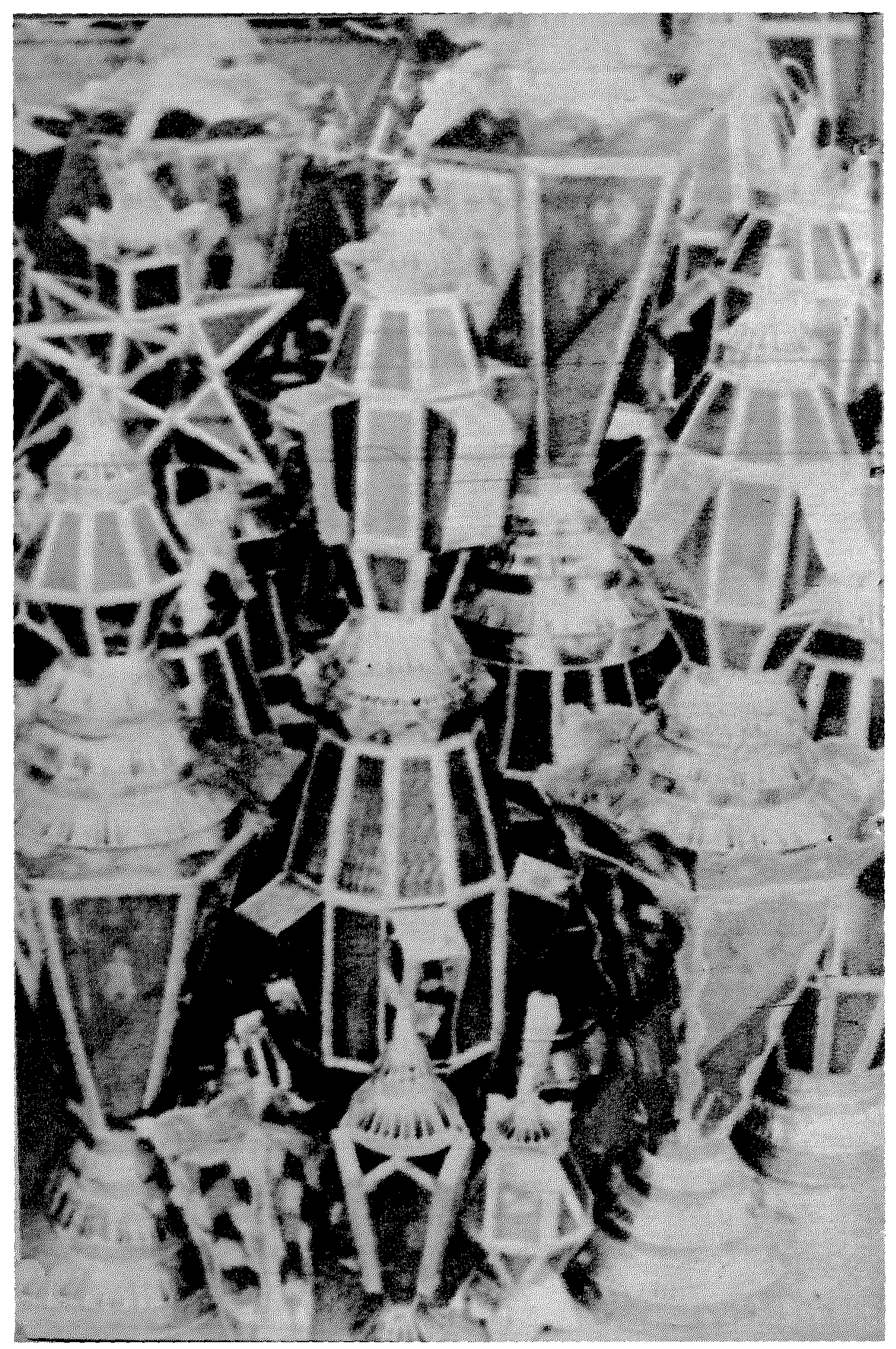
□ □ □

ومنذ عهد بعيد ، جرت العادة ان يولي الناس ، في الأيام العشرة الأولى من شهر رمضان ، جل اهتمامهم لاعداد انواع من المأكولات الخاصة والمتميزة .. وما ان تنقضي هذه الأيام العشرة ، أو الثلث الأول من الشهر ويبدأ الثلث الثاني ، حتى ينشغلوا في اعداد الملابس الجديدة (الخلجات) لجميع افراد الأسرة استعدادا لعيد الفطر .

اما الأيام العشرة الأخيرة أو الثلث الثالث من الشهر فكان يخصص لعمل « كحك العيد » الذى تشكله الفلاحات ـ في معظم القرى على هيئة حلقات ..

---

١) جمع خلجة : وهي تعني الثوب وتنطق هكذا ، بالعاميه بين اهل الصعيد في مصر



رمضان
فى المأثورات الشعبية

وقبل ان نستطرد فى الحديث ، تفصيلا ، عن العشرات الثلاث التى يتكون منها شهر رمضان ـ حسب ما جاء فى المأثور الشعبى ـ تشير الى انه كانت تسبق هذا الشهر مقدمات تبشر بقدومه ، فكانت اسواق المدن والقرى تدب فيها الحياة منذ أواخر الشهر السابق عليه ـ شهر شعبان ـ فتمتلىء تلك الأسواق وتعمر بشتى الوان الماكولات والأطعمة من خضراوات وفاكهة وحلوى ولحوم .. الخ ..

وكلما اقترب حلول شهر رمضان او حسب التعبير الشعبى « الموسم » ازدادت تلك الأسواق ازدهارا وازدادت حركة البيع والشراء وكان اليوم السابق لبداية شهر رمضان مباشرة يسمى فى بعض المناطق بيوم « الشك » أو يوم « الشكك » بالفتح ، ذلك أن احتمال صيام المسلمين فى اليوم التالى يظل معلقا وغير مؤكد الى ان تثبت رؤية الهلال ..

وفى هذا اليوم تنظم المواكب الاحتفالية المعروفة بمواكب الرؤية .. ونعود للعشرات الثلاث : الأكلات والخلجات والحلجات ..

* * *

يعتبر المسلمون شهر رمضان ، شهر اعياد وايامه جميعا ايام خير وتوسعة .. لذلك نجد الناس يهتمون بعمل اصناف خاصة من الطعام ـ الى جانب الأطعمة اليومية المعتادة كما ان هناك اصنافا يقبل عليها الناس اكثر من غيرها ..

ومما يجدر ذكره فى هذا المجال انه فى بعض المناطق ، وخاصة فى قرى محافظات الفيوم وبنى سويف والمنيا ، يحرص الأهالى على أن يكون افطارهم فى اليوم الأول من ايام الصيام معتمدا بشكل اساسى على نوع معين من الطيور مثل البط والأوز والدجاج .. الخ ..

وربما لهذا السبب يعرف هذا اليوم بيوم « الرفرافة » فى هذه المناطق ..

● حلوى واطعمة مميزة ..

ومن المعروف أيضا ان الكنافة والقطايف تعتبران من الأكلات المميزة التى ارتبطت بهذا الشهر .. فما ان يعلن عن بدء الصوم حتى ينتشر بناء الأفران الخاصة بصنعها ، وفى الماضى القريب ، قبل نهاية النصف الأول من هذا القرن ، وعندما كانت طوائف الحرفيين تشارك فى مواكب رؤية رمضان حيث يطوفون فى احياء المدن او القرى يعرضون نماذج من حرفهم محملة على عربات « كارو » إبتهاجا بهذا الشهر ، كان من المعتاد أن تسير العربة التى تحمل الكنفانى فى مقدمة الموكب .. وكان الكنفانى يظهر مرتديا فوطته الحمراء التى يتميز ارباب هذه المهنة بارتدائها وامامه فرن الكنافة و« ماجور » العجين ، و « الكوز » و « المغرفة » والأدوات الأخرى الخاصة التى تستخدم فى صناعة الكنافة ..

وقد عرف المسلمون الكنافة والقطايف منذ زمن طويل .. ويقال ان طهاة حلب كانوا قد قدموها لسليمان بن عبد الملك ليتسحر بها . وكان ذلك فى اوائل المائة الثانية من الهجرة .

وكان الخلفاء الفاطميون يهتمون بشهر رمضان اهتماما كبيرا حتى انهم انشاوا « دار الفطرة » التى كان من مهامها ـ فى الأيام الأولى من الشهر ـ ان تقدم للشعب هدايا من الفطائر والياميش والسكر والحلوى وخلافه .

كما كان من عاداتهم ان يرسل الخليفة الى كل امير من الأمراء وارباب الرتب ، بل الى كل ابن من ابنائهم وكل زوجة من زوجاتهم ، فى اول شهر رمضان طبقا به حلوى وفى وسطه صرة من ذهب

وكانت الاسمطة تقام وبها انواع الأطعمة الفاخرة ، وكان يدعى الى حضورها الامراء وعامة الشعب ..

واستمرارا لعادة السلف ، فى الاحتفاء والتوسعة خلال هذا الشهر الكريم ، نجد الموسرين فى المدن ، يمدون الموائد للافطار ، فى الشوارع وامام المنازل والحوانيت ليشاركهم كل فقير او عابر سبيل ..

وقد تستمر هذه المآدب خلال الشهر كله فى بعض الأحياء ، هذا بالاضافة الى ما يحدث فى القرى ـ حيث ينتهز الرجال هذه المناسبة للتآنس والمسامرة فيما بينهم ـ وان اكل كل منهم من طعامه الخاص .. فبعد صلاة المغرب ، تخرج الفتيات من البيوت .. حاملات « الطبالى »[٢] او صوانى « العشاء » النحاسية الكبيرة ، محملة باشهى انواع الطعام ، حيث يضعنها فى « المنادر »[٣] او فى الحارات ـ خارج الدور ليشارك فيها الرجال وضيوفهم واى غريب يتصادف مروره بالبلدة وقت الافطار .

ويسعد الاطفال فى القرى بشكل خاص بحلول شهر رمضان حيث تكون امامهم فرصة للعب خارج الدور ، تمتد منذ وقت الافطار الى وقت السحور ، فهم على الأقل موقنون ان كل العفاريت مقيدة طوال شهر رمضان ، ومن ثم فما ان يؤذن لصلاة المغرب حتى يخرج كل منهم من بيته ومعه صحن مملوء بالطعام ليلحق باقرانه الصغار ـ فيجلسون على اعتاب بيوتهم ـ فى الحارات ـ واثناء ذلك يرددون الاغنيات للتسرية عن انفسهم حتى يحين موعد الافطار ..

ومن هذه الاغنيات :

يا رمضان ـ غيتنا اللا الجوع والعطش موتنا .

او

يارمضان يا ابو الشريف يا ابو

---

٢ ـ الطبالى جمع طبليه ـ وهى مستديرة يستخدمها اهالى القرى والاحياء الشعبية عدة استخدامات اهمها وضع اطباق الطعام ـ بدلا من المنضدة ـ عند الأكل .

٣ ـ المنادر :
جمع مندره ـ وهى غرفة لاستقبال الضيوف .

مسجد الإمام الحسين في ليال رمضانية . عادة شعبية قديمة لدى المصريين



رمضان
فى المأثورات الشعبية

التوب نضيف نضيف
يارمضان يا ابو صحن مرصع .. يا دايرع الناس تتقصع .
او .
يارمضان ياعود كبريت ..
يامقيد كل العفاريت ..
وهكذا يستمر الأطفال فى لعبهم طوال الليل - وحتى يحين موعد السحور .

وعموما - فخلال شهر رمضان تسود الغربة صلات أجتماعية حميمة ففى أمسيات الأسبوع الأول بشكل خاص يتزاور الأهالي للتهانى وللمشاركة فى تناول طعام الفطور أو السحور .

فى الثلث الثانى من شهر رمضان يبدأ إعداد "كسوة العيد" . وهو تقليد يحظى باهتمام بالغ من جانب الجميع وبخاصة الجماعات الشعبية ، إذ من الملاحظ أن هناك حرصا شديدا من جانب أعضاء الجماعات الشعبية على إرتداء الملابس الجديدة ، حتى ليكاد الجميع يرتدون ولو شيئا جديدا رمزيا .

فى القرية مثلا ، يقوم رب الأسرة بشراء كميات من الأقمشة المتنوعة التى تغطى احتياجات كل أفراد أسرته . وغالبا ما تختار تلك الأقمشة من ألوان زاهية وخاصة فيما يتعلق بالنساء والاطفال . ويتولى توزيعها على رجال ونساء واطفال العائلة .

ويسعد الأطفال ، ويستقبلون هذه المناسبة بفرحة غامرة تنعكس فى كلمات أغنياتهم الشائعة والمعروفة ، مثل أغنية :

يابرتقال أحمر وجديد
بكرة الوقفة وبعده العيد
يابرتقال أحمر وصغير
راح نلبس جديد ونغير
... الخ

★ ★ ★

واتساقا مع مناخ الرحمة والتعاطف الذى يصبغ علاقات الناس طوال هذا الشهر بالذات ، نجد أن الموسرين يبادرون بتقديم عطاياهم للفقراء وللعاملين الأجراء لديهم - مثل المدراوى والقبانى والسقا ... على شكل ملابس جديدة الى جانب اجورهم المعتادة .

وربما كان اعتياد الناس على إرتداء الملابس الجديدة فى عيد الفطر بالذات استمرارا لتقليد قديم ، ذلك أنه فى أيام الدولة الفاطمية - كان هناك اهتمام خاص بارتداء الملابس الجديدة فى عيد الفطر ، حتى أنه كان يسمى أحيانا "عيد الحلل" فقد كان الخليفة يخلع الحلل على طبقات الشعب جميعا

الأغنياء والفقراء ، أما في غيره من المواسم فكانت الحلل للأعيان فقط . وكانت الكساوى ترسل الى الناس كل حسب مرتبته ، وكانت العادة ان يرسل الخليفة مع كل كسوة رقعة من ديوان الانشاء يوجه الخطاب فيها الى من خلعت الحلة عليه .

★ ★ ★ ★

فى الثلث الأخير من الشهر يبدأ الناس يعدون لعيد الفطر . وأكبر مظاهر العيد هو (كحك العيد) .

ويقال إن عادة صنع الكعك ترجع الى القدماء المصريين ، حيث كانوا يضعونه مع الموتى داخل قبورهم وأهراماتهم ، إعتقادا منهم بالحياة الأخرى ، كما كانوا يحسنون به على الفقراء وكانوا ينقشون على الكعك صورة الشمس التى عبدوها فى وقت من الأوقات .

اما فى الأعياد فكانوا يشكلونه على هيئة عرائس ويقدمونه لأطفالهم . وهذا التقليد مازال متبعا فى بعض مناطق الريف المصرى ، حيث تصنع الأم عددا من عرائس العجين بعدد أطفالها لتقدمه لهم فى العيد .

ـ كما يروى أن عادة صنع الكعك عرفها المسلمون منذ القرن الأول من الهجرة . ومما يؤثر عن أبى بكر محمد بن على المادرائى - وزير الدولة الاخشيدية ، أنه كان يأمر بصنع كعك يحشى بالدنانير الذهبية أطلقوا عليه وقتئذ (افطن له) .

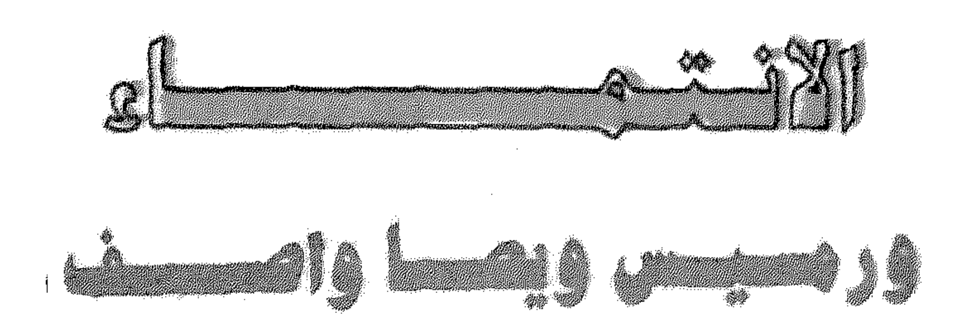
وقد أصبحت عادة صنع الكعك ـ عادة شائعة ـ توارثتها الأجيال حتى الآن . فما ان تدخل منزلا لتهنئة أهله بيوم العيد ، إلا وقدموا لك أطباقا متنوعة من الكعك .

ومن العادات الشائعة أيضا فى القرى وفى الأحياء الشعبية فى المدن ، أن ترسل الأم لابنتها المتزوجة حديثا ، سلة مملوءة بالكعك تسمى "الزيارة أو العيدية" وذلك عشية قدوم العيد .

وفى القرى يشكل الكعك عادة على هيئة حلقات مغطاة بالسكر . وهم يقدمونه لجيرانهم ، كما يتصدقون به كحسنة للفقراء وذلك عند ذهابهم لزيارة موتاهم صبيحة اول أيام العيد . وهو مايعرف عندهم بـ "طلعة العيد" .

وهناك معتقد عند بعض الريفيات أن كل كعكة تمنح لفقير كحسنة على روح المتوفى ، يقوم "ملاك الخير" بتعليقها من منتصفها فى أحد فروع شجرة حسناته كعلامة .

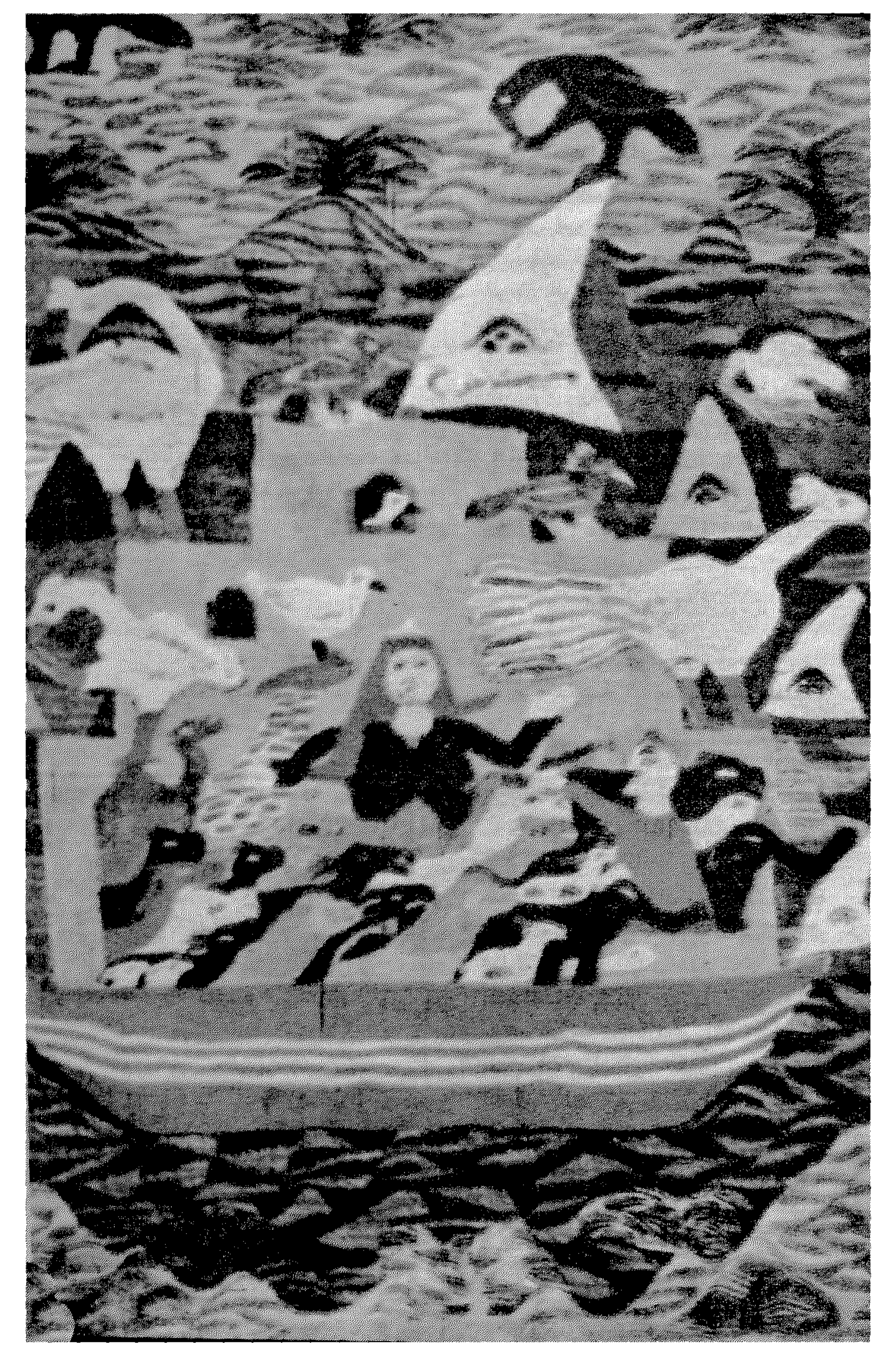
وربما كان ذلك مبررا لاعتقادهم بضرورة أن يصنع الكعك على شكل حلقات ـ حسب ماجاء فى المأثور الشعبى .



بقلم: د. صبري منصور

لم يحظ المعماري الراحل رمسيس ويصا واصف (١٩١١ - ١٩٧٤) بما يستحقه من التقدير والإهتمام في دوائر الثقافة المصرية ، ولم تلق على أعماله الإبداعية - في مجالات فنية متنوعة - الأضواء الكافية . وبعد تلك السنوات التي مرت على رحيله لم نجد على كثرة صفحاتنا الثقافية ، وبرامجنا الإعلامية ، من يذكر إسمه ومدرسته في فن العمارة أو ما حققه في مجال السجاد اليدوي ، لقد أفنى عمره في حب مصر ، وكان منهجه الإبداعي يرمي إلى إحياء ثقافتها ، وتقديس تراثها ، والمحافظة على شخصيتها ، وكان يجب أن يكون تقدير المصريين له مماثلاً لما قدمه لوطنه من عطاء .


شجرة الحياة



الأقـمـــــــاع

ورمسيس ويصا واصف

● البداية

كان واحداً من خمسة أخوة نشأوا فى بيت عريق ، وكان لوالدهم المحامى ويصا واصف مواقفه البطولية الشهيرة فى مواجهة السلطة ومقاومة الإنجليز . وكان البيت ملتقى للسياسيين والفنانين ، والذى كان من بينهم مثال مصر محمود مختار ، الذى ترك فى نفس الفتى اليافع أثراً كبيراً ، مما جعله يتمنى أن يصبح نحاتاً مثله . ولكن أباه أقنعه بأن العمارة هى أم الفنون .. وقد قام بدراستها فى مدرسة الفنون الجميلة بباريس ، وأثناء دراسته هناك لم يكن يقتنع بالحلول الهندسية الجاهزة ، وإنما كان يبحث دائما عن الحلول الجديدة التى وجدت من أساتذته تشجيعاً ورعاية ، كما كان دائم الفخر بالطراز المعمارى المصرى ، مما دعاه إلى اختيار مشروع تخرجه عن منزل الخزاف فى حى مصر القديمة ونال عنه تقدير الامتياز . وعندما عاد رمسيس إلى وطنه شيد منزله على الطراز المصرى القديم الذى لم يجد قبولاً عند المواطنين بسبب عادات الزواج والرغبة فى تأثيث المنزل على النسق الأوربى ، وكان الأهالى فى ذلك الوقت يتفاخرون بامتلاك كل ماهو أجنبى .

ولقد عمل رمسيس بعد عودته من باريس فى قسم العمارة بكلية الفنون الجميلة ، فكان من رواد هذا القسم مع الرائد الراحل حسن فتحى ، واستمر فى التدريس فترة طويلة ، وبدأ يجتذب تلاميذه لتذوق الطابع المصرى القديم ، وكان من بين تلاميذه السينمائى الراحل شادى عبدالسلام ، ولعل أثر معلمه واضح فى اتجاهه وأسلوبه السينمائى ، بل وفى اختيار موضوعات. أفلامه نفسها (المومياء ـ الفلاح الفصيح) .

● العمارة المصرية

حين كلف رمسيس ويصا ببناء مدرسة خاصة فى حى مصر القديمة عام ١٩٤١ ، فى منطقة يحوطها المتحف القبطى والكنائس القديمة الرائعة التى شيدت منذ القرن الرابع ، لم يدر بخلده أن يلجأ للأساليب الحديثة فى البناء ، وكذلك فقد كان ضد استنساخ الطرز القديمة بحذافيرها . وفى هذه الأثناء أتيح له زيارة أسوان ، ومشاهدة بلاد النوبة التى فاجأه جمال بيوتها ، وأيقن أن طرق البناء لم تتغير منذ العصور الفرعونية الأولى ، فقد ظلت تلك العمارة الشعبية مستمرة خلال الفن القبطى وأيضا الفن الإسلامى ، ومن تلك الزيارة جاءة فكرة البناء بالطوب اللبن ، وأحضر بنائين من أسوان

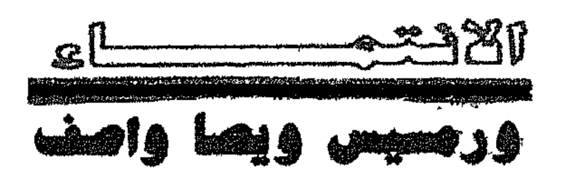
قاموا ببناء المدرسة مع الاستعانة ببعض الحرفيين الموجودين بالقاهرة فى أشغال الزجاج المعشق وأشغال الخشب ، وجاءت المدرسة فى النهاية بناء متوافقاً تماماً مع البيئة المحيطة .

ولقد ظل رمسيس ويصا مخلصاً لما ارتآه وآمن به كمهندس معمارى له وجهة نظر إبداعية ، فكان يؤمن بأن الفنان المعمارى يجب عليه أن يحترم التراث القديم فى حدود معينة ، إذ يجب عليه تطويره بما يتناسب مع الحياة العصرية الراهنة . وكانت أعمال رمسيس ويصا نموذجاً حياً على امكانية المحافظة على شخصيتنا الفنية ، وتنمية التراث القديم باستخلاص بعض قيمه التى تصلح لحياتنا الجديدة ، ومن أهم أعماله كنيسة مارى جرجس بمصر الجديدة ، وكنيسة السيدة العذراء بالزمالك وقد نال عنها جائزة الدولة التشجيعية فى العمارة ، ومتحف محمود مختار ، ومتحف حبيب چورچى ، ومركز الفن بالحرانية وهو مقر إقامته ونال عنه جائزة أغاخان الدولية فى العمارة الإسلامية عام ١٩٨٣ ، ومنازل خاصة عديدة بينها منزلا الفنانين آدم حنين ومحيى حسين بقرية الحرانية ، بالاضافة إلى جامع بقرية أبو رواش .
إن المبنى فى رأى رمسيس ويصا هو قطعة من فن النحت ، يجب أن يأتى مكملاً للطبيعة المحيطة لكى يكون جزءاً من نسيجها ، فهو كائن حى قادر على التفاعل مع كل ما حوله .. والعمارة هى حصر فراغ لازم لأداء دور معين .. كما كان يرى بأن مواد البناء يجب أن تكون محلية كى يسهل الحصول عليها وتقليل تكاليف البناء ، وحتى يمكن لكل انسان أن يبنى وفقاً لاحتياجاته لأن المنزل هو جزء لا يتجزأ من شخصية صاحبه واستجابة لمتطلبات حياته لذلك فهو حين أراد أن يبنى منازل لفنانى الحرانية العاملين معه فى مدرسة السجاد فإنه أعطى لكل واحد منهم قطعة أرض ، وطلب منه أن يشكل منزل أحلامه ، وكان دوره هو أن يوجد الحلول المعمارية لرغبات كل فرد .

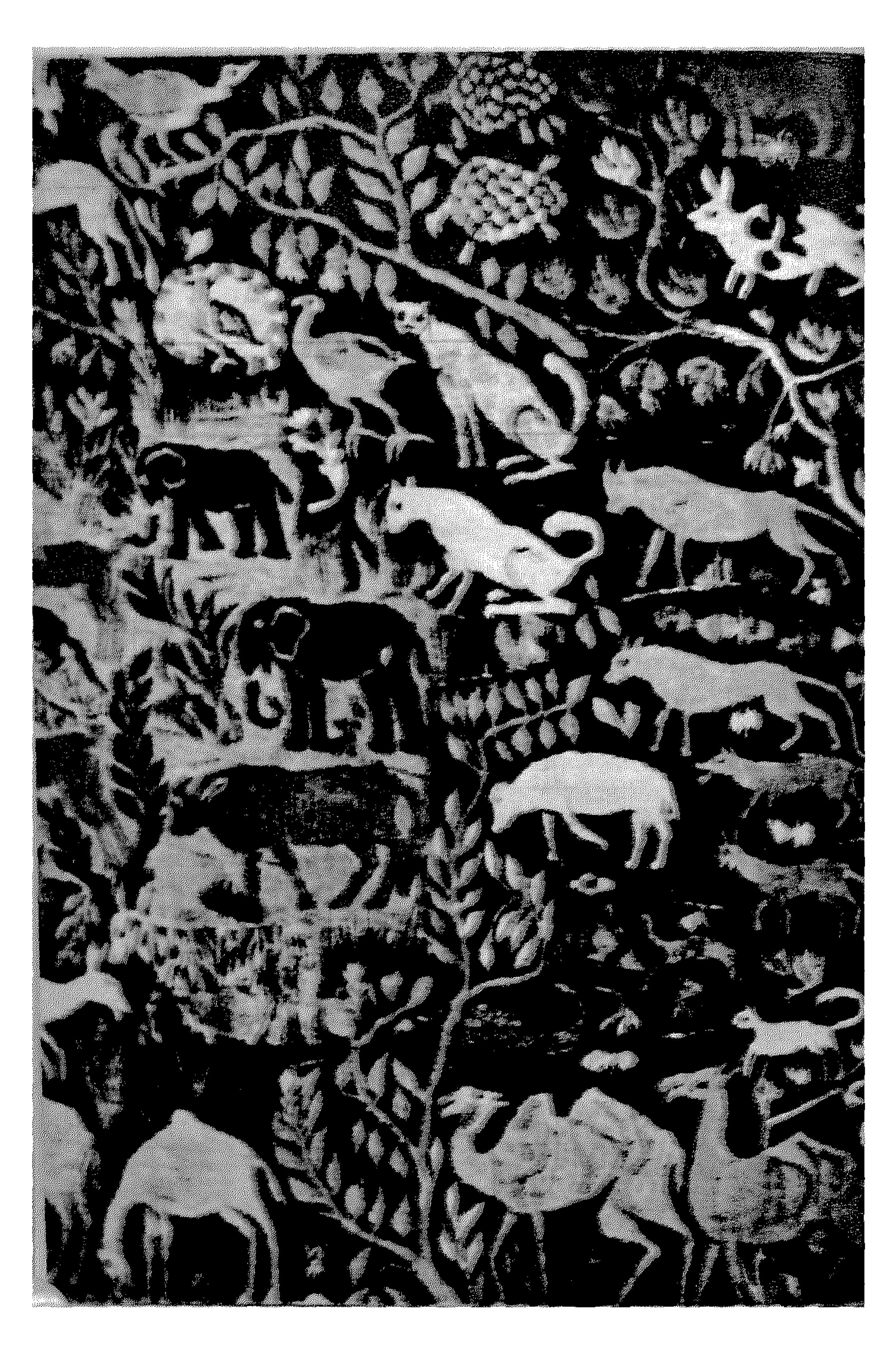
ومثل المصريين القدماء آمن رمسيس ويصا بأن المهندس عليه أن يكون بناءً لكى يشعر بالمادة التى بين يديه ، فكان إذا قام بتصميم أى مبنى ، فإنه ينحته أولاً من مادة الصلصال ، ثم يرسمه على الورق ، ويحضر تنفيذه خطوة بخطوة ، وقد يغير أثناء التنفيذ ماهو مرسوم على الورق وفقاً لإحساسه الفنى .. لذلك فإن أدوات العمل فى رأيه كلما كانت أبسط فإن النتيجة تكون أجمل ، لأن تأثير لمسة اليد تكون أوضح فتضفى إنسانية على البناء .

● القبة والقبو

ومن أهم السمات فى عمارة رمسيس ويصا الابتعاد عن الخطوط المستقيمة فى الممرات والأماكن غير المسقوفة ، حتى لا يكون الهواء والضوء مباشراً حاداً ، فهو يتحكم فى



شجرة وحمام عند الغروب



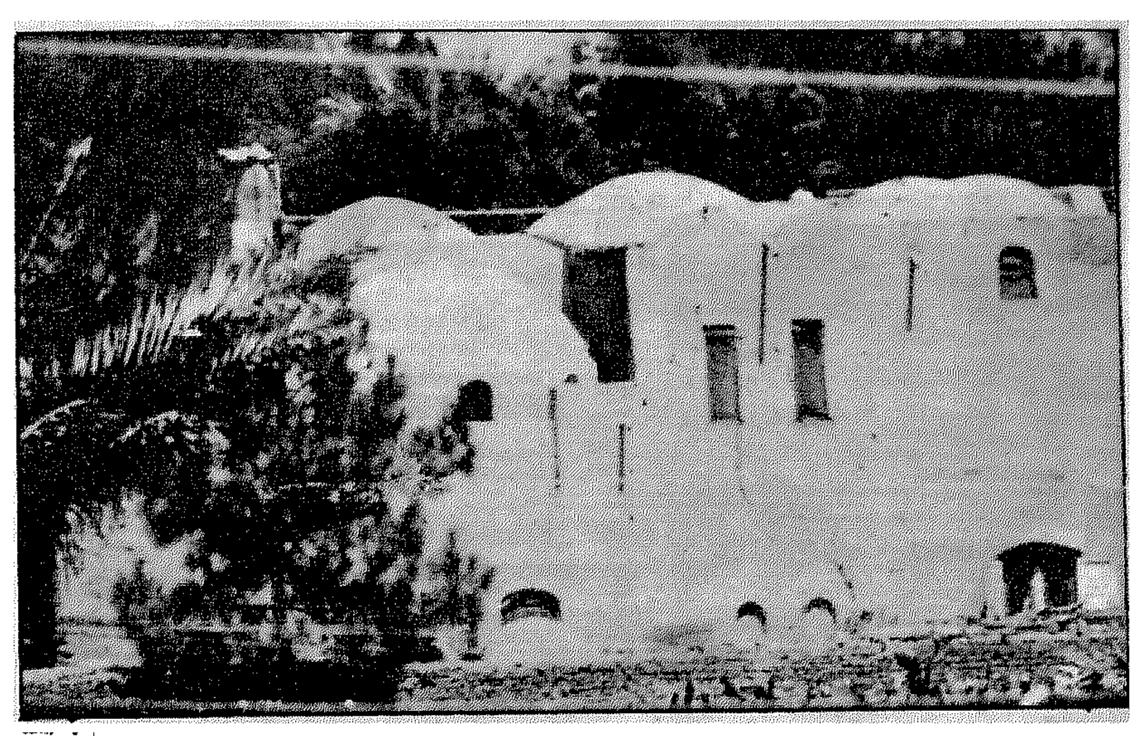
الانتمـــــــاء
ورمسيس ويصا واصف

كمية الضوء الداخلة للفراغ ، ولم يكن يتقيد بالنسب التقليدية المحفوظة للشبابيك والفتحات ، بل إنه كان يسخرها لإدخال القدر المطلوب من الضوء والهواء .. كما كان يكره التماثل والتكرار ، واعتمد فى عمارته على استعمال القبة والقبو ، فقد كان يرى فيهما امتداداً لشكل جمالى وفنى له جـذوره فى العمارة المصـريـة ، بالاضافة إلى فائدتهما فى تكييف الهواء وجعله منعشا رطباً ، ولقد أوجد حلولا للقبة بحيث يمكن بناء الدور الثانى والثالث فوقها ، وعند انتهاء المبنى تكون القباب ظاهرة من الداخل فقط ، ويكون ظهورها من الخارج إذا أريد لها ذلك .

وكأن اهتمامه بعنصر الخضرة فى أحواش المنازل سبيلاً للمحافظة على العلاقة الوثيقة بين الانسان والطبيعة .

لقد حمل رمسيس ويصا واصف رسالته فى فن العمارة التقليدية ، وجاء تأثيره إلى جانب الرائد المعمارى حسن فتحى على مجمـوعة من المعماريين مازالوا يعملون سواء فى مصر أو خارجها ، ويقدمون نموذجاً معمارياً ناجحاً مازال فى حاجة إلى تقديمه وتعريفه للجمهور العريض ، ليس فى مصر وحدها وانما فى العالم الإسلامى أيضاً .


مركز الفنون بالحرانية



● السجـاد اليـدوى

ارتبط اسم قرية الحرانية برمسيس ويصا واصف ارتباطاً وثيقاً ، فلقد اختارها كمكان يقيم فيه ويبدأ منه تجربته التعليمية الرائعة .. وعلى اتساع حوالى خمسين ألف متر مربع خارج قرية الحرانية على بعد كيلو مترات من الجنوب الغربى للقاهرة ، وحيث تُرى واضحة جلية على مدى الأفق أهرام الجيزة ، شيد رمسيس ويصا مركزه الذى أطلق عليه مركز رمسيس ويصا واصف للفن . وقد بناه بخامات محلية وبمشاركة الفلاحين ..

وكانت بداية تجربته فى النسيج اليدوى حين حصل على تصريح من ادارة المدرسة التى بناها بحى مصر القديمة عام ١٩٤١ بوضع عدد من أنوال النسيج لكى يستعملها الأطفال بعد ساعات الدراسة ، واستدعى لهم نساجاً من الحى يعرفهم طريقة النسج ، وكانت النتيجـة . مشجعة للغـايـة ، ممـا أقنعـه بضـرورة الاستمرار ، فاستعان بثلاثة تلاميذ بعد تخرجهم من المدرسة ليقوموا تحت اشرافه بالنسج له .. وأقام عدة معـارض لأعمـالهم فى القـاهـرة والاسكندرية والاسماعيلية .. ولقد صمم على استمرار التجربة بين الفلاحين حين اختار قرية الحرانية التى كانت بمنأى عن أى تأثير للمدينة ، وفى عام ١٩٥٢ ابتاع حوالى ثلاثة أرباع فدان خارج القرية بجوار قناة صغيرة تمتلىء بمجموعات من البط والأوز ، وبدأت علاقته الانسانية بأطفال القرية ، حيث كان يزورها مرة كل اسبوع ، فعرف أسماءهم وشاركهم العابهم ، وذات يوم سأل الأطفال إذا كانوا يرغبون فى عمل بسيط لقاء أجر فوافقوا على الفور .. فى نفس الوقت كان العمل يجرى فى بناء الورشة التى استخدم فى بنائها بنائى أسوان الذين سبق أن شيـدوا مدرسـة مصر القديمة .. ومنذ ذلك الحين بدأت مدرسة الحرانية للسجاد اليدوى فى انتاجها الذى مرّ بمراحل عديدة .. وتعدت شهرته مصر إلى خارجها ، حيث عرض فى مدن أوربية كثيرة من أهمها المعرض الذى أقيم بمتحف الفن الحديث فى استوكهلم عام ١٩٦٠ ، والمعرض الذى طاف بمدن امستردام وأوسلو وكوبنهاجن عام ١٩٦٢ والمعرض الذى أقيم فى متحف الفن الزخرفى بميونيخ عام ١٩٦٣ ، ومعرض فى متحف الفن الزخرفى فى باريس عام ١٩٦٥ . وفى كل تلك المعارض كان إعجاب الجمهور الشديد بطريقة التعبير البسيطة والمخلصة لأطفال الحرانية .

● الابـداع الفنـى

إن تجربة مدرسة الحرانية تجربة فريدة فى الحياة الثقافية والفنية فى مصر ، وهى تجربة تعليمية فى المقام الأول ، تقوم على الايمان بحرية الانسان عندما تدفع القوى الخلاقة فى



بيت من تصميم رمسيس ويصا

الطفل إلى العمل والإبداع . وكان رمسيس ويصا يعتقد بأن جميع الأطفال لديهم الملكة الخلاقة التى تسفر عن قدرات تثير الدهشة ، لهذا فإنه لم يكن يفرض على أطفال مدرسته أساليب فنية بعينها ، بل تركهم يشكلون رؤياهم ويرسمون أحلامهم بكامل حريتهم ، وكان على هؤلاء الأطفال أن يتصرفوا بتلقائية وبدون الاستعانة بأى رسم تحضيرى ، فهم ينفذون أشكالهم على النسيج بطريقة ارتجالية ، معتمدين على واقع انطباعات الحياة اليومية على نفوسهم ، وبدون اللجوء إلى خطة معينة ، وحتى فى تلك القطع الضخمة التى تحتاج إلى شهور فى إنجازها ..

ولقد لاحظ رمسيس ويصا - كما كتب بنفسه - أن المجهود المطرد فى التنفيذ مباشرة على المادة قد قاد هؤلاء الفنانين الصغار إلى التغيير المستمر فى نوع العمل ، وأن التصرف الحرّ لقوتهم الخلاقة يبدأ فى اللحظة السحرية التى ينزل فيها على الطفل وحى الصورة التى ينوى نسجها . وكان دور رمسيس مع أطفال مدرسته هو الاحتضان والرعاية ، وتوفير المناخ الملائم لابداعهم ، وبذل المساعدات المادية والمعنوية لهم ، وتقديم كل التوجيهات العملية الممكنة والتى تساعدهم على المضى قدماً فى اخراج تلك الصور البسيطة والمفعمة بالإنسانية والنقاء .

لقد وضع رمسيس ويصا لنفسه هدفاً وهو أن يخلق صنعة أو مهنة فنية ، وربما يثار تساؤل عن أهمية إحياء أسلوب يدوى فى العمل قد انتهى أوانه .. ويجيب رمسيس ويصا بأن الفنان الحديث فى رأيه فنان مصطنع ، فالعلاقة بين الفن والصناعة أصبحت مؤثرة ، وربما نجد عمارة حديثة متنوعة الخامات ، لكنها تظل فقيرة فى التعبير ، وهو يرى أن حياتنا أضحت منسقة وأنيقة لكنها بدون روح ، ونحن إذا أردنا أن نعيش الحلم ونسمو بأنفسنا فإننا يجب أن نتصل بالأعمال الفنية فى أزمان قديمة ، وعلى الرغم من أنه كان يعتقد بأن السجاد اليدوى ليس فناً شعبياً بمعنى الكلمة ، فقد مضى وقت طويل على اقتفاء الفن فى هذه المنطقة ، ومع ذلك فإن الإنسان يستطيع أن يلمح انعكاساً غامضاً لتقاليد فنية قديمة مازالت مستمرة عبر السنين .

وهكذا فإنّ فكر رمسيس ويصا واصف المهندس المعمارى يكتمل بما استطاع استخلاصه من اشكال ورؤى جمالية تتسم بالبراءة والنقاء من خلال اطفال الحرانية ، فهو فى كلا المجالين - العمارة والنسيج - يدور فى فلك الروح المصرية المبدعة والخلاقة ، ويؤكد على انه بإمكاننا كمصريين ان نثبت وجودنا الحديث ، ونثرى عالمنا المعاصر برؤى وافكار لها ثقلها الثقافى وكيانها المستقل .

لا أرى .. لا أسمع .. لا أتكلم

عرض للمحترفين .. وعرض آخر للهواة !

بقلم: مهدى الحسينى

من قبيل التعسف عقد مقارنة بين عرضين مسرحيين لنص واحد .. اولهما لمحترفين انفق عليه بضع عشرات من الوف الجنيهات .. والآخر لهواة انفق عليه لربعة آلاف لا أكثر ، الأول لفرقة المسرح الكوميدى بالعاصمة بنجومها الخبيرة اللامعة .. والثانى لفرقة الانفوشى بعناصرها الهاوية الطامحة ، غير ان لنا ان نقيس بمعيارين متفاوتين مراعين الفوارق ، الا فيما يتعلق ببديهيات العمل المسرحى ، الا وهى : اختيار النص ، وطريقة معالجته ، وكيفية التوجه الى المالك الأصلى لهذا الفن .. وهو الجمهور .

● بــــلا مقــارنة

حفل عرض المسرح الكوميدى بالقاهرة بمجموعة من الممثلين الاكفاء ، فاجتهد (محيى اسماعيل) فى تقديم شخصية عصفور الاستثنائية ، محاولا لأم صدعها الخلقى وجمع شتاتها من خصوصية طابعه الادائى المميز ، وتوتره الذى هو طبيعة فى شخصه ، ويبرز (محمد الصاوى) بعفوية جميلة تدخل السرور الى القلب فى كل لحظة كان يقف فيها على المسرح ، ونجح (حسن حسين) فى تقديم ماتوفر لديه من ملامح الشخصية بل أضفى عليها من سمنته وخفة ظله الكثير ، وكذا (سعيد رضوان) فى انكساره وانسحاقه امام زوجته الطاغية وطروقه القاسية ، واذا كان (عبد الهادى أنور) قدم شخصيته بشىء من التشنج فانما يرجع ذلك الى الرسم المتعسف والمفتعل لها ، ونجحت (ناهد اسماعيل) فى اداء شخصية الزوجة بنت الطبقة الوسطى الانانية المتطلعة ، كذا كانت (ماجدة زكى) بشخصيتها القوية الرزينة الراسخة حيث تحمل الحب وخفة الظل والطيبة كلما ظهرت على المسرح فاختفت الكثير من عيوب الشخصية ، اما (سوسن بدر) فممثلة لم تأخذ حقها فى المسرح المصرى حتى اليوم ، لانها لم يسند اليها الدور الذى يحترم طبيعتها ويفهمها (وهى التى اسند لها الراحل شادى عبد السلام دور الملكة نفرتيتى فى مشروعه اخناتون) فهى غادة من غيد هذا الفن إذا ما وضعت فى دور يناسب امكانياتها ويفجر طاقاتها ويزكى



حسن حسين ومحيي اسماعيل وسوسن بدر . "لا ارى لا اسمع لا اتكلم"

أحاسيسها الكامنة ، ولعلها هنا في اسوأ حالاتها الفنية ، فالدور لايناسبها ، فضلا عن انه بلا ملامح ، اذا كانت تؤديه بفتور لا مناص منه . اما (طارق الباجوري) زعيم الخريجين فهو ممثل واعد بحق ، يتميز بالخفة والتحكم وعمق الصوت ومرونته ، وكذا كان باقي الممثلين .

استغرق العرض مايزيد على اربع ساعات رغم الديكور الرائع للفنانة نها برادة ، بسبب الترهل والاطالة والاضافات والنكت ضد قطاع عزيز من شعبنا (بلا كرامة رغم ان النص حافل بالحديث عن الكرامة !!) ولا حديث عن الاخراج سوى انني اذكر المخرج بمقولة المهندس عن صحيفته الخاسرة (ياترى العيب فينا .. ولا في القراء ؟ انا احترت) فارجوه الا يقول (يا ترى العيب فينا .. ولا في الجمهور ؟ .. انا احترت) فالاخراج الجيد ، يبدأ قبل بروفة القراءة .. ولا ينتهي بعد الانتهاء من رسم الحركة واتقان الاداء .

اما عن عرض الاسكندرية ، فلم اشهد منه الا شريطا تليفزيونيا لبروفة جنرال ، وفي طموح لاثبات الوجود ، قدم المخرج الجديد ، (مصطفى رزق) نفس المسرحية في ساعتين ونصف كيف ؟ ولعل ذلك راجع إلى احجام هؤلاء الهواة المتواضعين عن منافسة القطاع الخاص في اساليبه الرخيصة ، اللهم إلا بعض النكت التي اغرت الساعي (رضا ادريس) عن اهلنا من ابناء الصعيد ، هذا وقد بدأ العرض نشيطا سريع الايقاع ذا طابع كاريكاتيري ، واضحا من اللحظة الاولى ، فمدير التنفيذ (بلبل أبو المجد) الثغ في الراء ومساعده (احمد سعد) مصاب

بالفالج ، لذا لايصلحان لتقديم النشرة ، وليس امامهما سوى (محمد عبده) معد الاخبار ، الذى ادى دوره بجدية فتى أول وليس ككوميديان ، غير انه لم تفته ذبابة التليفزيون الشهيرة ، وحين انتقلنا الى الدار الصحفية ، فاننا نفاجأ بـ (امال رمضان) السكرتيرة المصابة باحباط عاطفى نظرا لتأخرها فى الزواج ولضياع عمرها مع المهندم (وجدى مرسى) الذى ادى دوره على نحو لا بأس به الا انه لايقارن طبعا بالممثل (حسن حسين) وتألقهم الساعى الذى اختار اللـون الصعيدى ليقدم به الشخصية فكان اختيارا موفقا اعطى طعما حريفا لها ، وتألقت آمال فى النكت (الصدامية) حين يخبرها الساعى (ماسمعتيش .. صدام لغد الكويت) فتضرب بيدها على صدرها مأخوذة (على مراته ؟) ولايوفق المخرج فى اختيار وتدريب الممثل الذى قام بدور المريض بالتلوث (شريف حسين) بينما يكون صديقه فتحى (عبد العزيز عاطف) افضل من مثيله فى القاهرة ، كذا لم يدرس المخرج حركة مجموعة الشباب ولم يستفد من قوة تأثيرهم على المسرح والجمهور ، وان كان زعيمهم (سعيد صالح) لا بأس به ، والمطلوب زيادة عددهم وضم فتيات اليهم ، ورسم حركتهم التعبيرية على نحو افضل ، وقد غير المخرج اسم الزوج من وجيه الى ايمان (فهمى شتيوى) والزوجة من سلوى إلى عطية (يسرا ابراهيم) ليضيف الى علاقة الخنوع التى يرضخ لها الزوج تجاه زوجته بعدا فروديا جديدا فاتقنه المؤديان اما الطبيب (حسن حافظ) فهو ممثل قدير ، لايخيب امل مخرج فيه ابدا ، فقد سبق لى ان شاهدته فى أدوار صامتة خطف فيها الانتباه اكثر من الناطقين ، حيث جسد شخصية الطبيب فى صورة كوميدية ساخرة ، كسفاح نهاب للمال بلا رحمة .. اما الفتاة الصغيرة اجلال (فيفى عطية) فقد اعطت لونا مغايرا للشخصية حين تكتسب حضورها من عاطفيتها وخفة روحها وذكائها . هذا وقد انهى المخرج المسرحية بميلاد لطفل جديد حملته اجلال لتواجه به العالم ، طفل يرى جيدا ويسمع جيدا ويتكلم فصيحا .. بينما يتحلق حوله شباب الخريجين العاطلين مرددين مقولة عصفور (ان الم اى انسان بيعانى مسئولية كل انسان سليم) بقى ان يعيد المخرج النظر فى امرين : ان يلغى اغانى الربط لانها بلا ضرورة ، او يغيرها الى مونولوجات فكاهية ساخرة تمهد للمشاهد المقبلة وتعلق على المشاهد الماضية ، وكذا الديكور الذى يبدو تلفيقا من هنا وهناك بلا رؤية ولا طابع ولا جمال .

والنص هو حجة ملكية البيت (اى العرض المسرحى) ولكنه ليس البيت نفسه ، فالمخرج هو الذى يقيم البنيان ويستعين بالبناة من مصممى ديكور وازياء واثاث واكسسوار واضاءة وفنيين وعمال ومساعدين ، ثم يقوم بتسكين السكان واستضافة الضيوف ، كل فى مكانه بحركاته وسكناته ، متيحا لهم فرص التعارف والتحاور والتفاعل .. بل والصراع والتصادم ايضا ، واحيانا يدير لهم أشرطة الموسيقى والمؤثرات ليثيرهم او ليهدىء من اعصابهم ، وحين يتأكد المخرج ـ اخيرا ـ من سبك عمله واتقانه واتساقه .. فانه ينزع الحائط الرابع فى هذا البيت ، اى أنه يرفع الستار ..

ورغم ان عمل المخرج يجىء فى المرتبة الأولى من الأهمية ، فإننا

مضطرون لمناقشة اختياره ، أى اختياره للنص المسرحى ، حيث هو المسئول عنه ، والسؤال هو : هل كان موفقا .. أم غير موفق ؟ هل تفاهم مع المؤلف حول أوراقه وتفاعل معه كما تفاعل اورسون ويلز مخرجا مع تنيسى وليامز مؤلفا ، وايليا كازان مع آرثر ميللر ؟ أم أنه سلم بما كتب له ؟ أراني أتطرق الى نقطة حساسة بعض الشيء ، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بكاتب شديد الحساسية مثل (بهيج اسماعيل) ، ألم يكن من الأفضل أن يشترك مع المخرج (محمد أبو داود) فى حوار يدور حول المزيد من بلورة موضوع النص وقضيته ، والمزيد من تحديد اطاره وايضـاح ميدانـه ، وتعميق مـلامـح شخوصه ؟ فيعود المؤلف ـ بكل ما يحمله من صدق مع النفس ومقدرة فنية ـ فيعيد صياغة مسرحيته فى صفحات ناصعة البياض ، لتصبح أسرع ايقاعا وتداخلا وحرارة واقل طولا ، ولتكون المع فكرا وأوضح موضوعا وأعمق تأثيرا ، ولتنبض شخوصها فتصبح (أدوارا) يستمتع بها ممثلوها فيمتعون ـ بدورهم ـ بهـا جمهورهم ؟

● "أحلام وهمية"

يبدأ النص المسرحى من فرضية محتملة ، وهى ان مذيع نشرة أخبار التليفزيون واحتياطيه قد تغيبا فجأة واكتشف مدير التنفيذ ذلك قبل موعد النشرة ببضع دقائق ، فيضطر الى الاستعانة بمعد النشرة ـ رغم كراهيته له لأسباب لم يذكرها المؤلف ـ وهكذا يذيع المعد (حازم عصفور) مجموعة من الأخبار الجنونية أو غير الواقعية على انها اخبار صحف الغد ..

مصرع ستمائة فى الجنوب الامريكى ومقتل خمسمائة فى الشمال الافريقى وغرق اربعمائة فى البحر الادرياتيكى ـ ذبح ثلاثمائة فى اسيا الكبرى وسلخ مائتين فى اسيا الصغرى ـ تسمم مائة .. وانفجار خمسين .. واختناق عشرة ـ أصدرت الحكومة القرارات التالية بمناسبة العلم الجديـد .. أولا : تشجير كـل محافظات الدولة بزرع مليون شجرة لكل محافظة حرصا على خلق جو صالح للتنفس الادمى ـ منع جميع الكلاكسات والميكروفونات نهائيا حرصا على اعصاب المواطنين وتقليلا لمعدلات الجريمـة والجنون ـ زيادة مرتبات جميع العاملين بالدولة بنسبة ٢٠٠٪ مع تثبيت ثمن السلع ـ تقرر بشكل عاجـل تطويـل بنطلونات عساكر الشرطة والمرور حرصا على مظهر الدولة العام) !!! هنا تأمر جهة عليا بقطع الارسال فورا .

وفكرة هذا المشهد الافتتاحى صيد ثمين اصابه مؤلف كوميدى موهوب ، الا اننا بتحليل نصوص هذه الاخبار غير المعقولة لانستطيع الوقوف على قصد المؤلف من صياغتها على هذا النحو ، خاصة وأنه يتوقف عليها نوع المشاكل والمواقف والشخصيات التى سوف يعرض لها عصفور بطل المسرحية ، أو بالمعنى الحرفى : يتوقف عليها صيغة ومسار ومحتـوى المنحنى الدرامى للحـدث الرئيسى حتى نهاية النص المسرحى . هل يقصد المؤلف ان عصفور هذا شخصية جنونية ؟ أم مريضة نفسيا ؟ أم متوترة عصبيا ؟ واذا كان الاخيرة .. فلماذا ؟ واذا عرفنا السبب .. فهل هو متشائم أم متفائل أم متضارب ؟ ثورى ام مخرب أم

متمرد أم شخص مغتاظ؟ حالم أم شاطح؟ حالم ذاهل أم حالم ساخر أم حالم رومانسي؟ أقصد انه لو عُني المؤلف بالاجابة على مثل هذه الاسئلة أو ما شابهها .لرسم لنا شخصيته كالقذيفة أو ككرة الثلج تكتسح كل مايقابلها ولعل غياب هذا التقييم الدرامي للشخصية الرئيسية هو الذي اربك المشاهد فجعله يعجز عن تفسير كل ماتلا ذلك من أحداث ، لذا أجدني مضطرا هنا .. لنفي شائعة مؤداها ان الكوميديا تتعارض مع المنطق ، فمن المعروف ان الجمهور يستقبل الكوميديا أساسا بعقله ، وبالعودة الى (موليير) نجد أن (لامنطقه) ممنطق ، وبالرجوع الى (بيكيت) نجد نفس الامر .. رغم انه قد اطلق على مسرحه اسم (العبث) .

ولكن لنمض قليلا في سطور النص لعلنا نثبت عكس وجهتنا ، حيث نجد دارا صحفية رئيس مجلس ادارتها ورئيس تحريرها (صلاح المهندم) في اجتماع مع اعضاء مجلس الادارة التسعة خلف باب مغلق ، ثم سكرتيره (نُها) ثم ساع (عبد الغني) تقوده السكرتيرة الى الاجتماع حاملا ١١ كوبا من الشربات لأن الرئيس يشرب كوبين ، غير أن المهندم يخرج من الحجرة فجأة مستئذنا – بصوت عال – مَن بداخلها ومستديرا للسكرتيرة قائلا أنهما سيسهران في نسخ قرارات المجلس ، فيفرح الساعي لأنها ستكون قرارات مكافآت وحوافز ، ثم يدلف غفلة إلى حجرة الاجتماع ليقدم الشربات ، فينزعج المهندم (وهو فيه حد جوّه؟) فتبدى السكرتيرة دهشة حقيقية !! ويواصل الرئيس (ما إنتي عارفة إن مفيش حد .. هي دي أول مرة أعمل فيها اجتماعات مفيهاش حد؟) هنا يخرج الساعي ماسحا فمه بكفه بعد أن شرب كل الشراب وحده !! .

وباختصار ان قصد المؤلف ان المهندم يدير الدار بمجلس ادارة وهمي ، وان السكرتيرة تتغافل عن ذلك ، وان الساعي يلعب الاعيبه كي يشرب المشروبات ويحصل على العلاوات ، وهكذا يبدو هذا الموقف مثل كذبة – على المشاهدين – لم يحبكها قائلها ، فكيف والدار الصحفية تتبع مؤسسة للدولة أو القطاع العام أو المجلس الأعلى للصحافة يمكن ان يديرها مجلس ادارة وهمي؟ واذا كان هذا يحدث فعلا .. فلماذا؟ أو لماذا اضطر المهندم ان يكذب هذه الاكذوبة؟ ومن الذي تسامح معه من رؤسائه في هذا؟ وازاء من يكذب؟ الدولة؟ أم نقابة الصحفيين؟ أم المحررين؟ أم القراء؟ وما الداعي لهذا أصلا؟ واذا فرضنا تمرير هذا حتى لانعطل المؤلف عن التأليف والمخرج عن الاخراج .. وأيضا الممثلين عن التمثيل ، فإننا نقترح صياغة أدق لهذا الموقف على علاته – على النحو التالي : ان هناك حالة تواطؤ مكشوف ومتبادل بين الثلاثة : المهندم كي ينفرد بادارة شئون الصحيفة لحسابه ، ونها لانها سكرتيرة المدير، وعشيقته والمستفيدة من مخالفاته ، والساعي الذي يلعب دور كاتم الأسرار الصغيرة كي يبتزهما ليأخذ مكانة ممتازة فيصبح (البيه الساعي) .. هكذا تقوم علاقات التواطؤ الاضطرارية على أساس من الضرورة ، فلا خلاص لأحد من أحد ، وهنا في اطار هذا الثالوث المتحد المتناقض ترد المعلومات الخاصة بافلاس الصحيفة ، وضعف التوزيع ، وقلة الاعلانات ، وتوقف

المطابع ، والشروع فى اصدار مجلة اسبوعية بدون مبرر ، عندئذ يكون دخول عصفور - بعد تعميقه وايضاحه وتعديله - دخولا مثيرا ومؤثرا ، ليبدأ رحلته فى عالم الصحافة والرأى والخبر .

● « ميدان الصراع »

إلا أنه قبل الدخول فى النقطة التالية ، يستوقفنى عدم تحديد هوية تلك الدار الصحفية العجيبة ، وخاصة بعض الجمل التى وردت على لسان رئيسها مثل (مش عاوز المحررين يحسُّوا بحاجة والا يسحبوا الثقة منى) هل هذا التظلم موجود فى صحافتنا ؟

ويقول ايضا (باضطر أقول للمحررين إن الجرنال بيكسب .. واطلّع الميزانية آخر السنة كسبانة مية فى المية .. ولوزع مكافآت وبدل جلسات مجلس ادارة وحوافز .. كل ده واحنا بنخسر .. وعمال أعمل اجتماعات .. واجتمع بالكراسى القلمشية .. واطلع قرارات وتوصيات قلمشية ..) أليس هذا تجافيا مع الحقائق ؟ الا يستطيع اى محرر - مهما قل شأنه او عقله - أن يعرف اذا كانت صحيفته تكسب أو تخسر ؟ توزع أو لاتوزع ؟ تزحمها الاعلانات أم تعوزها ؟ وما حاجة المحررين لقراءة الميزانية السنوية إن الجهة المالكة الصحيفة هى وحدها صاحبة الشأن لذا فالمؤلف الدرامى يجب عليه ان يتحرى موضوعه جيدا قبل أن يكتبه ، يتحرى عناصره وتفاصيله ثم يأخذ فى كشف المفارقات الكوميدية الموجودة فى ثناياه إما بالمبالغة أو بالكاريكاتورية أو باظهار التناقض أو بالهجاء الساخر وغير ذلك من الاساليب الكوميدية .. لا بالتجاوز عن الحقيقة فالحقيقة نعالجها بالهزل فى الكوميديا ، كما نعالجها بالجد فى المأساة .

ويدخول عصفور الى المسرح نعرف انه نقل بقرار من المؤسسة الى الدار الصحفية بعد ان صدق ان المهندم سيصدر مجلة باسم (المستقبل) ستكون جديرة باسمها ، وتقابله السكرتيرة ثُنا والساعى عبد الغنى باعجاب وترحيب كنجم تألق فى التليفزيون ، رغم أن ماورد بالنص كما أسلفنا لايدعو الى الاعجاب ولا الترحيب ولايشى بذلك ، وبصعوبة يقبل رئيس التحرير المحرر الجديد فقط كمسئول عن بريد القراء الذى كان قد الغى - كما تقول ثُنا - بسبب جنون محرره السابق .

● الصحافة والتليفزيون

ولكن ما هو الموضوع بالضبط ؟ الحقيقة والخيال ؟ الواقع والحلم ؟ الحلم والوهم ؟ الخيال الطبيعى والخيال الجنونى ؟ وما هو الميدان الذى يدور فيه هذا الموضوع إن وجد ؟ هل هو ميدان الواقع القاسى الذى نراه ونسمعه ونحادثه ؟ أم هو ميدان الاعلام (التليفزيون والصحافة) ؟ وكيف أن ثمة تباعدا ما مع الواقع وتزييفا للحقيقة وهروبا من المسئولية ؟ وليس الميدانان من هذه الناحية سواء ، فقد اختار المؤلف بالفعل . أمكنة لأحداثه الأساسية : ستوديو أخبار بالتليفزيون ، ودار مجلة المستقبل ، كما اختار لبطله ميادين النشاط التالية : اعداد نشرة أخبار التليفزيون ، قراءتها ، محررا لبريد مجلة المستقبل ، كاتبا فى صحف الخليج ومجلات قبرص ، اذن فموضوعنا فى اطار اعلامى وفى ميدان الخبر والرأى

والاعلان ، ولكن ما هو الموضوع بالضبط ؟ يحسن الا نتعجل .. ولنسر مع النص خطوة فخطوة .

وبالرغم من أن أبواب البريد بصحافتنا اليوم تعج بالحوارات الساخنة والعميقة والهامة أو ذات الدلالة ، بل عامرة بالتعليقات الساخرة البليغة والمفارقات التى تصلح مادة لكوميديات ناجحة . فإن حوارا دار بين محررنا الهمام وبين الساعى الواعى ، يتسم بالبراءة والتفاؤل ـ ولا أقول السطحية والسذاجة ـ من جانب الأول ، وبالقلب والطاعة والتضحية من جانب الثانى ، فعصفور يعد عبد الغنى بسيارة ، وعبد الغنى يعد عصفور بعدم الكذب !! ، ويحدد المحرر الجديد ولجبات العمل بأنها سهر بالليل وعمل بالنهار وفقا لمبدأ : (إن الم أى إنسان بيعانى مسئولية أى انسان سليم ، يا عبد الغنى .. روح هات آلام الناس .. روح هات شكاويهم .. حاسب لحسن جواب يقع .. دول مش جوابات .. (دول بنى أدمين) ويشرح أن مهمته ليست كتابة تعليقات تريح أصحاب المشاكل .. ولكنها تحقيق راحتهم بالفعل .. فاليائس يعطيه أملا .. والعاطل يعطيه عملا (!!؟) ، ثم نقابل ثلاث مشاكل مصاغة على نحو درامى ما ، ينص المؤلف على مشاهدتها داخل أطر أشبه بأطر خطابات البريد الجوى : الأولى لمدرس شاب فى الثانية والعشرين .. رياضى .. ظهرت عليه فجأة أعراض الشيخوخة .. ذهب الى الطبيب .. فنصحه بتقليل التدخين من مائة سيجارة يوميا الى عشر سجائر فقط حتى لايموت بسبب التدخين .. مع أنه لم يدخن أبدا .. ويرجو نشر قصته .. ورد صحته .. والتوقيع لـــ (زند الشبراوى) الذى يدخل فى اطاره البريدى مستندا على كتف جاره موظف المعاش المشغول أبدا بقراءة صحيفة ما . ان المؤلف هنا يلعب على محور التلوث وآثاره على الطبيعة والبشر ، غير انه طرحه على نحو فردى وبشكل غير شامل بحيث يفوقه اى تحقيق صحفى عن التلوث فى النيل أو فى ميدان الاسعاف ، ولم يطرحه كمشكلة جماعية للانسان والبيئة والحاضر والمستقبل كأن يتحول الناس الواحد تلو الآخر فيصبح "زند الشبراوى" يجسد حالة ما من حالات التلوث حتى يصبح الانسان لايرى ولا يسمع ولا يتكلم ولا يسير ولا يقف ولايجلس ولا يقرأ ولا يكتب ولا يفهم (انظر مسرحية الخرتيت ليونسكو) هنا يتمكن الكاتب من ادارة القضية على محور المسافة الشاسعة بين الحقيقة الحقيقية .. والحقيقة الاعلامية .. فيلم بكل أبعادها وجوانبها وعناصرها .. فتصبح قضية النص كله أى موضوعه .

والمشكلة الثانية لمجموعة شباب من خريجى الجامعات حليقى الرأس تماما ، يجمعهم برواز مستطيل ، يشد الاطار من الامام امين شرطة ، ويحرسه من الخلف امين شرطة آخر .. حتى ليبدو اطار الخطاب كأنه قفص حجز (بدا الاطار على المسرح كعارضة كرة قدم مزخرفة) .

● ● ●

أما المشكلة الثالثة فتدور بين زوجة محامية (سلوى) وزوجها المحاسب (وجيه) حيث تطلب منه الطلاق بسبب اصراره على اقامة اخته (اجلال) معهما فى نفس الشقة ، ويلاحظ عصفور ان وجيه ضعيف الشخصية :

حازم ـ والعيال موقفهم ايه من النزاع

اللى بينكم ده ؟ .. محايدين والا منحازين ؟ .

وجيه ـ متفرجين .. وساعات منحازين لامهم .. مع انى ابوهم برضه .

سلوى ـ مين قال ان انت ابوهم ؟

وجيه ـ (فزعا) امال مين ؟ مين ابوهم ياسلوى ؟

سلوى ـ اللى بيربيهم من وراك .. اللى بيقعد معاهم طول النهار يملا ودانهم وانت غايب . وانت فى الشغل ولادارى .

وجيه ـ (فى شك) مين ده ؟

سلوى ـ التليفزيون .

هذه المنطقة من اجمل المناطق الحوارية فى النص واخفها ظلا .. وتشير مباشرة الى قضية ان الاعلام احد ادوات القهر ـ فإذا كان الضرب .. قهرا للجسد ، فالالحاح والتعمية والتزييف وتجاهل الحقائق والتلقين الخاطىء .. قهر العقل ـ وكان من الممكن للمؤلف ان يتوسع فى هذه القضية لتصبح قضية النص واطاره وموضوعه ، وليكشف لنا الخلل فى استخدامنا للاعلام عامة والتليفزيون خاصة ، واثر ذلك على التربية والاسرة والقيم الاجتماعية والعلم والبيئة .

ولو ان المؤلف اختار موضوعا واحدا من الثلاثة ، لجعل الموضوعين الآخرين تمهيدا مساندا ، ولأتاح له ذلك تغيير منطوق نشرة الاخبار ايامًا فى اتجاه محدد ، ولوضع لبطله هوية واضحة نستطيع التعاطف والاشتباك معها من اول وهلة .. وحتى آخر المسرحية .

واخيرا بطريقة الانقاذ فى آخر لحظة يجىء الـ "حب" على لسان اجلال التى تلقى مونولوجا لايعبر عن لسان حالها ، بل لسان حال المؤلف (انا حاسة انك بتتولد من جديد دلوقتى .. بتشتغل من جديد .. اقوى .. واجمل .. واحسن .. ايدك دى اللى اجروها تكتب كلام كتب لحد ماوقفت .. حتبقى اقوى مع الحق .. عنيك دى اللى من كتر ماشافت صور الظلم لحد ما بطلت الشوف .. حتبقى اقوى مع العدل .. ودنك دى اللى من كتر ماسمعت وعود كدابة لحد مابطلت تسمع .. حتبقى اقوى من سمع الحقيقة .. لسانك اللى من كتر ما حس ان الكلام مامنوش فايدة .. حيبقى اقوى مع الصدق) .

وكما ان شخصية اجلال لا يأتى منها هذا الكلام الذى لايشكل نتيجة لكل ماورد من مقدمات ، فشخصية عصفور تمرق عبر النص فى غفلة من فن الكتابة المسرحية والنقد واعين المشاهدين واقتناع الممثلين ، وكذا الامر بالنسبة لنها ورئيس التحرير وزند الشبراوى ، والوحيد المقنع الى حد ما هو شخصية عبد الغنى الساعى لانها تعوم حسب منفعتها .. هنا او هناك ، فالشخصيات غير المرسومة بدقة وحنكة لايمكن ان تقوم بينها علاقة محكمة مصاغة من الوحدة والتناقض ، وهكذا تفسد الدلالة المقصودة من وراء تركيب الاسماء : نها اى التعبير ، والمهندم أى المزيف ، وعبد الغنى اى الفقير إلى الله ، وعصفور اى الحر الطليق .. الى آخره ، واذا كان هذا هو حال الشخصيات ، يكون هو نفسه حال بنية النص .. مقدمات .. لاتؤدى الى النتائج ، ونتائج .. بلا مسببات او ركائز ، وان دل هذا كله على امر ايجابى ، يكون هو اننا امام كاتب موهوب خصيب ، قادر على ابتداع الحكايات والاقاصيص والخطوط والمواقف ، دون نظمها فى قالب فنى وفى محتوى فكرى واضح ومحدد .. انها فوضى الخصوبة .. او خصوبة الفوضى .

نظرة على العرب

فى السينما الامريكية

بقلم : مصطفى درويش

كل سينما فى العالم تقوم على بعض مسلمات لا تحيد عنها فى اغلب ما تنتج من افلام ، ومن مسلمات السينما الامريكية رسم صورة العربى بشكل قبيح ، كريه يثير الاشمئزاز فى النفوس ، ومصداقا لذلك الافلام الامريكية التى اتيحت لنا فرصة مشاهدتها على مر الزمان .

فلو الححنا فى استرجاع عدد منها على شاشة الذاكرة ، لاستبان لنا ان صورة العربى فى معظمها قد رسمت على وجه مشوه ، بحيث نكاد لا نرى اى عربى فيها الا مرتكبا لاثم جسيم لابد وان تنتهى به معاقبا عنها اشد عقاب وهنا يحق لنا ان نتساءل لماذا كل هذا الاصرار ؟

لورانس .. تشويه للتاريخ



● الماضي المجهول

معروف عن السينما ، وبالذات في الولايات المتحدة ، انها اداة ثقافية ذات تاثير كبير ، بموجبها يتشكل وعي الشباب الامريكي بالعالم .

ولو تاملنا جمهورها المولع بها ، المقبل على مشاهدتها سواء على الشاشات الكبيرة او الصغيرة ، لوجدناه في عمومه من جيل الشباب القابل للتاثر ، وذلك بحكم انه لا يزال غضا في مقتبل العمر .

وفي الحق ، فجيل الشباب هذا لا يلتقي بالعربي الا من خلال صورته التي يراها فيما يعرض على تلك الشاشات وليس من شك ان كل هذا لابد وان يسفر عن بذر بذور الاحتقار الممتزجة بالخوف من كل ما هو عربي في قلوب الشباب .

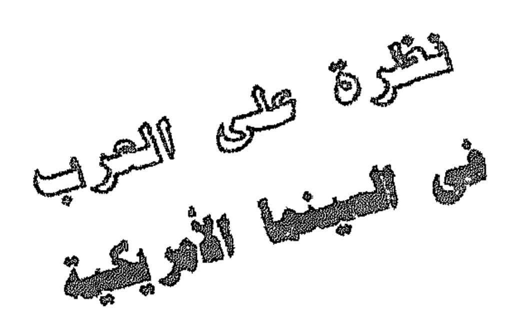
ومن هنا خطورة ظاهرة تصوير العربي مشوها على الوجه سالف البيان ، وخطورة عدم الوعي بها ، وعدم مواجهتها بما تستاهل من بحث ودراسة وتاصيل .

والغريب انها ظاهرة قديمة قدم السينما ، فعندما انشا توماس اديسون اول استديو للفيلم في الولايات المتحدة (١٨٨٣) كان فيلم "رقصة الاقنعة السبعة" واحدا من اوائل الافلام التي انتجها ذلك الاستديو .

وخلال عقد العشرينات انتجت السينما الامريكية التي كانت قد احتلت مكان الصدارة عالميا ، ما لا يقل عن سبعة وثمانين فيلما تدور موضوعاتها بشكل او باخر حول العرب .


مارلين ديتريش .. "قسمة"


لوريل وهاردى في "الفرقة الاجنبية"



ولقد كان بعضها من النوع الفكاهى الذى يصورنا نحن العرب مهرجين اخيارا تارة واشرارا فاسدين تارة اخرى .

وكان البعض الاخر - وهو اكثر شعبية - من نوع المغامرات الميلودرامية التى تجرى احداثها فى الصحراء .

● البحث عن اللذات

ولعل اشهر افلام النوع الاخير هما "الشيخ" (١٩٢١) و"ابن الشيخ" (١٩٢٦) اللذان قام باداء دور البطولة فيهما "رودلف فالنتينو" . ذلك الممثل الذى اصبح نجما معبودا بفضل هذين الفيلمين . ولا يكتمل اى مجلد دعائى عن السينما الامريكية ، الا بصورة له مرتديا عباءة عربية ، ومختطفا امراة اوروبية .

وإجمالا - فصورة العربى التى تبقى مترسبة فى ذهن كل متفرج على تلك الافلام الاولى ، هى صورة كائن همجى يروع بالعنف والشهوات .

والغالب على حبكة تلك الافلام ، لاسيما ما كان منها موضوعه يدور حول الفرقة الاجنبية ، هو ثنائية التضاد الذى يجعل من العرب والاوروبيين اعداء على الدوام وربما خير مثل على ذلك فيلم "بوجست" حيث نرى الاوروبيين محاصرين داخل قلعة تائهة وسط الصحراء ، يتهددهم الموت فى صورة موجات متتالية من عرب قتلة مقنعين ، ممتطين الجياد ، شاهرين السيوف .

وغالبا ما تنحدر تلك الافلام بارض العرب الى مجرد صحراء جرداء ، وآية ذلك فيلم "اغنية الصحراء" (١٩٢٩) حيث تتحول جبال الريف فى المغرب العربى بسحر ساحر الى ارض خراب عارية تماما الا من كثبان الرمال .

● لص بغداد

ومع ذلك ، فعرب تلك الافلام الموغلة فى القدم ، ليسوا اشرارا الى آخر مدى .

"دوجلاس فيربانكس" فى لص بغداد ، وان كان كسولا الا انه بهلوان خفيف الدم .

وفالنتينو ، وان كان شيخا يفور بالشهوات ، الا انه شريف يرعى الحرمات .

وهكذا يمكن القول بان عربى تلك الافلام قد اجتمعت فيه خرافة الانسان الطبيعى الذى لم تفسده الحضارة بوجهيها القائل بهما" جان جاك روسو ونقيضه "جون هوبز" الأول يزعمه ان الانسان فى حالته الطبيعية كائن متوحش نبيل ، والثانى بذهابه الى حد اعتبار الانسان فى حالته تلك سفاحا ومتعطشا للدماء .

● القناع

واغرب ما نعجب له من امر العربى الخير في تلك الافلام انه لا يستمر عربيا

حتى الختام !!

فما ان تقترب الاحداث من النهاية حتى يفصح عن هوية البطل ، فاذا بها غير عربية ، ولنما اوروبية .

وهكذا تتجنب حبكة تلك الافلام حرج اختلاط الاجناس الناجم عن وقوع الحسناء الاوروبية البيضاء فى حب عربى ، ذلك انه ولئن كان خيّرا فإنه من جنس اكثر انحطاطا .

فمثل هذا الحرج لابد وان يزول اذا ما اتضح للمتفرج ان المحبوب الذى كان يظنه عربيا ، هو الآخر من نفس جنس المحبوبة الحسناء ، اوروبى زكى الدماء .

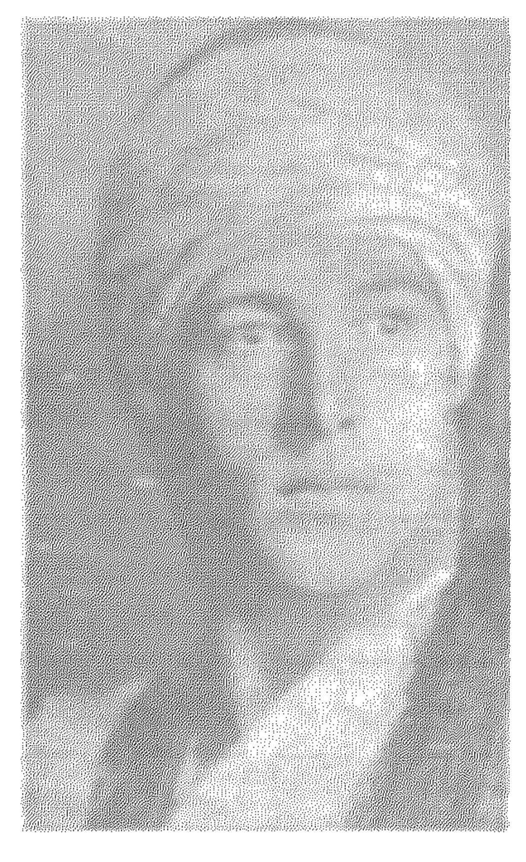
وعند تلك النهاية السعيدة المفتعلة لفيلم "الشيخ" كتب محرر جريدة النيويورك تايمز يطمئن قراءه قائلا "ولن يتاذى شعورك بزواج فتاة بيضاء من عربى لا لشيء سوى ان "الشيخ فى حقيقة الامر ليس من ابناء الصحراء" .

● مومياء هوليوود

وما ان تكلمت السينما الامريكية ثم تلونت ، حتى تغيرت على وجه يمكن القول معه انها قد تحولت من حال الى حال .

ورغم ذلك ، فالموضوعات المتصلة بالعرب ظلت بنفس وصفتها اللئيمة لا تتغير ، حتى ان فيلم "قسمة" (١٩٢٠) قد اعيد إنتاجه بعد ذلك ثلاث مرات (١٩٣٠ ، ١٩٤٤ ، ١٩٥٥) .

وكذلك الحال بالنسبة لكل من "لص بغداد" (١٩٢٤) الذى اعيد انتاجه هو الاخر ثلاث مرات (١٩٤٠ ، ١٩٦٠ ، ١٩٧٨) و"بوجست" (١٩٢٦) الذى



رودلف فالنتينو فى فيلم "الشيخ"

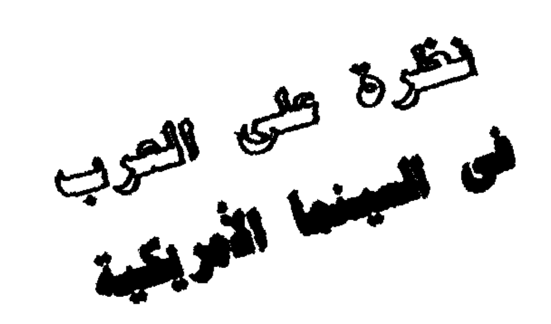
اعيد انتاجه مرتين (١٩٣٩ ، ١٩٦٦) .

ومن الافلام العلامة فى تشويه صورة العربى ابان عقد الثلاثينات فيلم "المومياء" الذى بفضلة ادخل "بوريس كارلوف" على السينما الامريكية نوعا جديدا كتب له طول البقاء .

فبموجب تنويعات على نفس الاسم "قبر المومياء" (١٩٤٢) .

و"شبح المومياء" (١٩٤٤) و"لعنة المومياء" (١٩٤٥) ، ثم "مرة اخرى "المومياء" (١٩٥٥) تكرر هذا النوع المرعب من الاعلام .

والاحداث فيها جميعا تدور فى شرق عربى متاكل يستبد به الموت والشيخوخة والاضمحلال ، يتحكم فيه



الظلم والجور والفساد ، تسيطر عليه الخرافات والخزعبلات .

وعلى العكس من ذلك تماما علماء الآثار القادمون الى هذا الشرق المريض، من الغرب .

إنهم يمثلون العلم والديمقراطية ، الشباب والحيوية ، وهم بوصفهم كذلك ينجحون فى اختراق كل شىء ، حتى الأماكن المحرمة كبيوت العبادة والحريم والمقابر .

● الموجة الجديدة

ولعلى لست مغاليا اذا ما قلت ان فيلم "الخروج" (١٩٦٠) قد بدا به نوع سينمائى جديد ، موضوعه الصراع العربى ـ الاسرائيلى من خلال ميلودراما تاريخية يتصارع فيها الأخيار الاسرائيليون مع الأشرار العرب .

والاكيد ان افلام هذا النوع التى جرى توزيعها فى الولايات المتحدة خلال عقد الستينات ، هذه الافلام لا يقل عددها عن عشرة افلام من بينها "جوديث" (١٩٦٦) و"القى بظله الضخم" (١٩٦٦) و"النجاة" (١٩٦٨) و"رحلة الى اورشليم" (١٩٦٨)

ومما لوحظ على تلك الافلام ان الاسرائيليين فيها لا يختلفون عن الاوروبيين فى شىء .

اما العرب فقتلة ملثمون ، لا ينفرد اى منهم بصفة يتميز بها عن القطيع .

وهم جميعا مثل الجنود العرب فى "القى بظله الضخم" قساة يقهقهون مهللين مكبرين ، وهم يطلقون الرصاص على امرأة حبيسة سيارة فى اسفل واد لا تستطيع منه نجاة .

واذا ما اكتفينا بالقاء نظرة متسرعة على افلام هذا العقد ، فقد تجنح بنا تلك النظرة الى اعتبار عدد منها منصفا بعض الشىء للعرب .

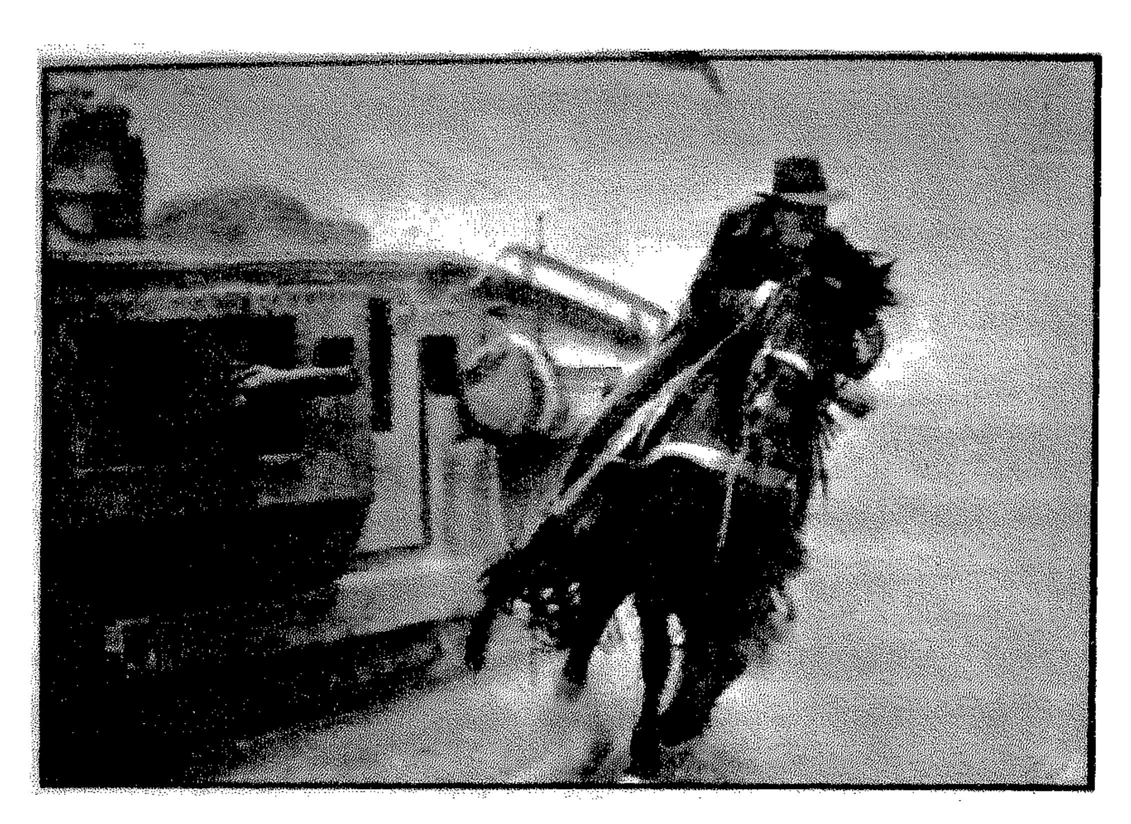
● الوهم والحقيقة

فمثلا "لورنس العرب" (١٩٦٢) لصاحبه "دافيد لين" يظهر الانجليز وقد تراجعوا عن وعدهم منح العرب الاستقلال فضلا عن انه يبدو وكانه فيلم قد حقق لصورة العربى فى السينما الامريكية بعض التقدم ، فالعرب فيه ليسوا جميعا من فئة الاشرار .

وهذا ولاشك خطوة الى امام اذا ما قورن "لورنس" "بالخروج" حيث العرب جميعا ليسوا الا اشرارا .

غير انه اذا تعمقنا النظر فى عرب "لورنس" لوجدناهم جميعا اما اناسا يمارسون عنفا لا مكسب من ورائه ، او اناسا غير اكفاء لا يحسنون تصريف الامور ، او اناسا منقسمين على انفسهم بحكم انتسابهم الى قبائل متناحرة على الغنائم والأسلاب .

وفضلا عن ذلك فدمشق عندما سقطت فى ايديهم ، لم يستطيعوا الاحتفاظ بها لاكثر من يوم او يومين ، وذلك لعجزهم عن ادارة مرفق المياه والمستشفيات ثم اذا بهم ينسحبون منها فجاة ، ليتركوها نهبا للانجليز .



انديانا جونز   مجموعة مشاهد ضد العرب

وغنى عن البيان ان كل ما جاء فى "لورنس" عن دخول العرب دمشق ثم خروجهم منها بعد يومين . وذلك لفشلهم فى إدارة مرافقها . كل ذلك لا يعدو ان يكون هراء وتحريفا صارخا للتاريخ فالعرب حكموا دمشق مدة عامين لا يومين . ولم يخرجوا راضين . بل مكرهين تحت ضغط الجيش الفرنسى الذى كان يسعى الى احتلالها استكمالا لخطة تقسيم المشرق العربى بين الاستعماريين البريطانى والفرنسى .

وهذا الذى قيل عن تحريف التاريخ فى "لورنس" يمكن ان يقال كذلك فى حق فيلم "الخرطوم" (١٩٦٦) . ففيه تاريخ الثورة المهدية قد جرى تحريفه تبريرا للغزو الاستعمارى للسودان .

وفيه لا يظهر انصار تلك الثورة الا بمظهر القتلة المتعصبين ضد رسل التقدم والرخاء .

● الاصرار .. لماذا ؟

ومما يثير الدهشة انه كلما مرت الايام . ازدادت صورة العربى فى السينما الامريكية سوءا .

فخلال النصف الثانى من عقد السبعينات . والنصف الاول من عقد الثمانينات . بلغ التشويه لصورة العربى فى تلك السينما ذروة . ما اظن ان لها مثيلا فى السينما على مر العصور .

فالإرهابى فى فيلم "الاحد الاسود" (١٩٧٧) عربى يتآمر من اجل قتل المتفرجين . بما فيهم رئيس الولايات المتحدة بواسطة تفجير قنبلة شديدة التدمير فى مدرج رياضى وتاجر العبيد



"بيتر استينوف"" في فيلم "اشانتي" (١٩٧٩) عربي يختطف زوجة "مايكيل كين" الانجليزى من اجل بيعها لزبونه الثرى العربي "عمر الشريف" ، وتاجر عبيد آخر في فيلم "الجنة" - وهو بدوره عربي - يطارد فتاة انجليزية في الصحراء ، ولا ينقذها من براثنه سوى صبي شجاع - اسمه بالمناسبة "دافيد" - بأن يصوب اليه سهما ، فيرديه قتيلا ، وملك وقائد ثورى ، وكلاهما عربي ، يسعيان فى فيلم "الخطا الصحيح" (١٩٨٢) الى تفجير قنابل ذرية فى كل من نيويورك واسرائيل .

وتمضى السينما الامريكية قدما فى طريق تشويه صورة العربي حتى في افلام موضوعاتها منبتة الصلة بشرقنا العربي ، افلام مثل "شبكة التليفزيون" (١٩٧٧) و"المهر الاسود" (١٩٧٩) و"غزاة صندوق العهد المفقود" (١٩٨١) و"الحياة والموت فى لوس انجليس" (١٩٨٥) وشرلوك هولمز الصغير" (١٩٨٥) و"العودة الى المستقبل" (١٩٨٥) نراها وقد حشرت فيها جميعا شخصيات عربية كريهة ، لا لشيء سوى تشويه صورة العربي بحيث ينتهى الامر بالمتفرج الى الاستسلام الى الدعاية التى تقول له تلميحا وتصريحا ان من الواجب عليه ان يرى الشر كل الشر ، والنكر كل النكر في كل ما يصدر عن العرب من افعال .

● لحظة الحقيقة

والآن ماذا بعد ماساة غزو العراق للكويت ؟

اغلب الظن ان السينما الامريكية ستعود الى "قسمة" "لص بغداد" و"بوجست" و"المومياء" بدل المرة مرات .

واغلب الظن انها ستستوحى من احتجاز الرعايا الاجانب فى الكويت والعراق كرهائن ودروع بشرية ضد الغارات ، ومن تعذيب الطيارين اسرى الحرب واهانتهم امام اعين الكاميرات ، ومن تلويث البيئة بالسرطان الاسود يلقى به فى مياه الخليج دون اكتراث ، ومن تدمير جميع حقول بترول الكويت تقريبا باشعال الحرائق فيها قبل الهروب الكبير ، ومن التهديد باستعمال الغازات السامة وما شابهها من اسلحة الدمار والفناء .

ومن طريق العار تفترشه دبابات وعربات "أم المعارك" المحملة بالمسروقات وقد تحولت الى حطام ، من كل ذلك ستستوحى افلام لا تعد بالعشرات ، وانما بالمئات .

وأغلب الظن انها ستجد فى وصف نجيب محفوظ صاحب جائزة نوبل لطاغية بغداد بانه جعجاع ، قليل الادب ، سيىء الراى والسلوك ، لص ، غادر ستجد فيها معينا لا ينضب لمسلسل لا ينتهى من الافلام ترسم صورة العربي وفق ما تهوى وتشاء .

بقلم : د. محمود على مكى

أوكتافيو پاث

الشاعر الناقد المكسيكى

الفائز بجائزة نوبل للأدب ١٩٩٠

الأديب المكسيكى أوكتافيوپاث Octavio Paz هو خامس من يفوز بجائزة نوبل العالمية من أدباء أمريكا اللاتينية ، وهو عاشر من يفوز بها من الناطقين باللغة الاسبانية . وفى ذلك تكريم جديد لهذه اللغة التى تعد ثانية لغات العالم فى الانتشار بعد الإنجليزية ، إذ يتخذها وسيلة وحيدة للتعبير نحو أربعمائة مليون من البشر . لاسيما وأن الفائز بجائزة العام الماضى كان أيضاً أديباً إسبانيا هو الروائى كاميلو خوسيه ثيلا .

ولا بأس فى بداية هذا الحديث من أن نعرض فى إيجاز لحياة هذا الأديب الذى اختارته الأكاديمية السويدية من بين أدباء أمريكا اللاتينية الذين كانوا مرشحين لنيل هذه الجائزة الكبرى .

● ولد أوكتافيو پاث فى المكسيك سنة ١٩١٤ ، وكان أبوه واحداً من أعوان بطل الثورة إميليانو ثاپاتا Emiliano Zapata نصير الفلاحين والفقراء وأول من نادى بالإصلاح الزراعى ، وهو الذى تحول فى نظر الشعب إلى أسطورة من أساطير البطولة منذ أن قاد ثورة الفلاحين فى جنوب المكسيك سنة ١٩١١ . وقد ارتبط والد أوكتافيو پاث بهذا الزعيم الثورى ، فكان أحد ممثليه فى نيويورك ، غير أن أديبنا وإن كان فى سلوكه مخلصاً لقضية الحرية مدافعاً عنها فإنه لم يبد من الحماسة لتلك الثورة البدائية ما كان يبديه جيل والده . وقد هيأت له ظروف أبيه

رسالة اسبانيا

الميسرة فرصة السفر إلى أوربا وهو فوق العشرين بقليل . وفى مدريد شهد بداية اندلاع الحرب الأهلية الإسبانية فى عام ١٩٣٦ ، وكان ـ شأنه فى ذلك كشأن الشاعر الشيلى نيرودا ـ متعاطفاً مع فريق الجمهوريين الذين خسروا الحرب فى النهاية أمام قوات الجنرال فرانكو ، ثم تقلب فى العديد من المناصب الديلوماسية فى الخارج : فى أوربا وكثير من بلاد الشرق ، ولاسيما الهند التى اقام فيها نحو اثنى عشر عاماً قبل أن يستقيل من عمله الحكومى فى سنة ١٩٦٨ احتجاجاً على المذبحة التى أوقعها رجال الأمن بطلبة الجامعة فى "تلاتيلولكو" . وبفضل هذه الإقامة الطويلة فى بلاد الشرق استطاع أن يستوعب كثيراً من عناصر ثقافات هذه البلاد حتى أصبحت جزءاً من تكوينه الأدبى ، وهو فى هذه الناحية يشبه صديقه وسلفه فى نيل جائزة نوبل : بابلو نيرودا . كذلك قضى سنوات فى الولايات المتحدة ومكنه هذا الاحتكاك المتصل بمختلف البيئات الحضارية الأجنبية من تحصيل زاد ثقافى وأدبى وفير متنوع ، ومن الاطلاع الواسع على أحدث الاتجاهات الأدبية والنقدية .

★ ★ ★

الإنتاج الأدبى لأوكتافيو باث موزع على جانبين : الشعر والمقال ، ولاسيما المقال النقدى . فهو إلى جانب كونه من أبرز الشعراء الطليعيين فى أمريكا اللاتينية يحتل أيضا مكانا مرموقاً باعتباره كاتباً وناقداً على قدر عظيم من نفاذ النظرة وعمق التحليل ، سواء فيما يكتبه فى مجال الدراسات الأدبية والفنية أو فى كتاباته السياسية والاجتماعية .

أما فى ميدان الشعر فقد بدأت موهبته فى التفتح فى حرارة الاحتكاك بالمذاهب الطليعية التى تعاقبت موجاتها فى أوربا وفى فرنسا بصفة خاصة بعد الحرب العالمية الأولى . وكانت السيريالية هى المستحوذة عليه منذ شبابه المبكر . فتأثر بمذهب أندريه بريتون رائد هذا المذهب ، غير أن سيرياليته تختلف عن سيريالية أستاذه بعض الشيء . لقد كان كلاهما مفتوناً بالصور المنتزعة من تهاويل الرؤى والأحلام ، ولكن باث لم يكن يرى هذه الصور غاية فى حد ذاتها كما كان الأمر لدى أستاذه ، وإنما كان يوظفها فى خدمة تعبيره ، ولهذا فقد أتت صوره على غرابتها متسمة بقدر من الوضوح بعيدة عن ضبابية السيرياليين الأوربيين . ويقول أحد النقاد فى ذلك إنه "حمل إلى السيريالية شمس بلاده المشرقة اللاهبة" .

على أن باث لم يقتصر على متابعة التيارات الأدبية الحديثة التى عاصرها




اوكتافيو باث



كاميلوخوسيه ثيلا



بابلو نيرودا

في شبابه ، وإنما شملت مساحة واسعة من الثقافة الأدبية الإسبانية والأجنبية ، القديمة والحديثة ، ففي إجابة له عن سؤال وجه إليه في مجلة "إنسولا" (يولية ـ أغسطس ١٩٦٨) حول أعمق الأدباء السابقين تأثيرا في أدبه كانت إجابته كما يلي :

"قبل كل شيء ممثلو الثورة الشعرية الكبرى في الشعر الإسباني من الجيل الذي برز بين سنتي ١٩٢٠ و ١٩٣٥ . وأخص بالذكر ما يسمى بجيل سنة ١٩٢٧ ثم الجيل الطليعي الذي يرتبط باسمي بابلو نيرودا وبيثنتي أويدوبرو Yicente Huidobro (١٨٩٣ ـ ١٩٤٨) (وهذا الأخير هو رائد المذهب الذي دعي بالخلقية أو الإبداعية Creacionismo) ، فقد مهد لنا هذان الشاعران الكبيران الطريق وفتحا أمامنا ـ ونحن في دور المراهقة ـ أبواب عالم شعري بالغ الغرابة والسحر - وعليّ أن أذكر فضل جيل عام ١٩٢٧ ـ جيل لوركا وخورخي جيين والبرتي ـ في إعادة اكتشاف التراث الشعري القديم : شعر العصر الباروكي ، وفي نفض الغبار عن علمي ذلك العصر في إسبانيا : لويس دي جونجورا (١٥٦١ ـ ١٦٢٧) وكيبيدو (١٥٨٠ ـ ١٦٤٥) .. وقد أوصلني ذلك إلى العكوف على نتاج شعراء اسبانيا خلال العصور الوسطى . وأذكر أنه قبل أن تنشب الحرب الأهلية في إسبانيا بقليل ـ كان باث آنذاك في نحو العشرين من عمره ـ كان قد ظهر كتاب للشاعر والأستاذ الجامعي داماسو الونسو هو "مختارات من شعر العصور الوسطى الإسباني" . وقد أثار هذا الكتاب اهتمامي ، فكنت أحمله معي حيث توجهت ، وكنت أستظهر ما تضمنه من نصوص ، بل إن هذا الكتاب هو الذي كشف لي ببدائية أشعاره وخشونتها ما شق أمامي طريق الشعر الحر والإيقاع الداخلي للألفاظ . على أنني أدين

كذلك لاتجاهين أجنبيين كان لهما بالغ الأثر فى تغيير مسيرتى الشعرية : الأول هو الشعر الإنجليزى ، شعر إليوت وعزرا باوند ووالاس ستيفنس وكمنجز ، والثانى هم الشعراء السيرياليون الفرنسيون" .

● وعى بالحضارة

غير أن هذه الثقافة الأدبية الواسعة التى تتابع أحدث التيارات والاتجاهات المعاصرة لم تحل بينه وبين تأمل تاريخ بلاده القديم وإنعام النظر فى جذور شعبه واستنطاق ماضيه الحضارى السابق على اكتشاف كريستوبل كولون والاستعمار الإسبانى للقارة الأمريكية . وإلحاح باث وكثير من رفاقه على ذلك يرجع إلى رفضهم الفكرة الشائعة ، وهى أن تاريخ بلاد أمريكا اللاتينية يبدأ فى عام ١٤٩٢ وأن ثقافة شعوب الشطر اللاتينى من القارة إنما هى مجرد امتداد للثقافة الإسبانية . صحيح أنهم يسلمون بأن إسبانيا أورثتهم لغتها وكثيراً من عناصر ثقافتها ، ولكنهم يرون أنه لا شعوبهم هى امتداد لشعب إسبانيا ، ولا ثقافتهم أو أدبهم فروع أو أغصان من شجرة الثقافة الإسبانية . فالاستعمار الإسبانى لم يقض على الشعب الهندى الذى كان يعيش فى البلاد ، بل اختلط الفاتحون بهذا الشعب وامتزجت دماؤهم بدمائه على نحو ماتم من قبل على أرض إسبانيا نفسها ، حينما امتزجت العناصر العربية الفاتحة بأهل البلاد ، وبهذا تولدت عن ذلك الاختلاط معظم شعوب أمريكا اللاتينية على تفاوت فيما بينها فى نسبة الأصول الهندية ، فهى تقل فى الأرجنتين وأورجواى وشيلى بينما تزداد فى المكسيك وبلاد أمريكا الوسطى وفى إكوادور وبيرو وبوليفيا . أما الثقافة فإن لدى أهل تلك البلاد اليوم وعياً عميقاً بحضارتهم القديمة التى حجبتها الحضارة الأوربية القادمة من إسبانيا وإن لم تستطع طمسها تماماً . ويزداد هذا الشعور قوة فى البلاد التى ازدهرت فيها حضارات هندية قديمة على درجة عالية من النمو مثل المكسيك ودول أمريكا الوسطى وبيرو . فكان بحث أوكتافيو باث ورفاقه فى ماضى هذه الحضارات بمثابة محاولة لتعرف جذور كيان شعوبهم واستكشاف طفولتها ، تأصيلاً لذاتيتها الخاصة .. هو بحث أشبه باستقصاء الابن الضال عن أبويه اللذين فقدهما منذ أمد طويل ، ولا يرى كيانه الإنسانى مكتملاً إلا إذا تم عصوره عليهما .

ولعل مما يرمز إلى هذه المحاولة قصيدة لباث كتبها فى بيركلى (كاليفورنيا) عام ١٩٤٤ بعنوان مناجاة فى منتصف الليل" .

ويتحدث فيها عن طفولته التى يبحث فيها عن جذور كيانه ، فيقول :

"طفولتى .. طفولتى الدفينة

براءتى الوحشية التى روضوها بالكلمات

وبما لقنوها من تعاليم

بكلمات طالما عكرت صفاء الأرواح النقية

كما يتعكر الماء بعد أن كان فى صفائه

مرآة تنعكس عليها صور الشجر والسحاب !"

فكأن الشاعر يرمز بنفسه التى كانت فى صفاء الماء إلى شعبه الهندى القديم الذى "روضته" الثقافة الأوربية الوافدة فأفسدت عليه براءته الوحشية الأولى . وإذا كانت "الكلمات والتعاليم" هى التى تروض الأرواح وتقيد حريتها فإن أوكتافيو باث قد أخذ على عاتقه تحرير "الكلمة" من قيودها حتى لا تصبح أسيرة ما يلقنه التعليم التقليدى ويودعه الأرواح من مفاهيم تفسد عذريتها البدائية البريئة . والمفارقة الغريبة فى الأمر هى أن باث بعد كفاحه ضد التعاليم الملقنة قد انتهى إلى أن يصبح أحد المفكرين القليلين الذين ساهموا فى صياغة نظرية أدبية هى فى واقع الأمر ضرب من "التعاليم" . وذلك فى كتابه "القوس والقيثارة" (El arco Y la Lira) (١٩٥٦) ، وهو كتاب حول طبيعة الشعر وتاريخه ، وهو يتخذ منطلقه فى هذه الدراسة من الشعر الحديث الذى يشمل الرومانسيين الألمان والشعراء الفرنسيين : رامبو وأبو للينير والسيرياليين . وهو يرى أن الشعر ملك الفنون جميعا ، بل ملك كل ألوان الإبداع التى أنتجتها القريحة البشرية ، وأن الصياغة الشعرية ليست تحكماً فى الكلمة ، بل هى إطلاق لها من إسارها والعودة بها إلى سحرها البدائى القديم ، إذ يقول :

"الكلمات والأصوات والألوان وسائر أنواع المادة لا تكاد تدخل فى دائرة الشعر حتى تتغير طبيعتها تغيراً جذريا" .

وتحرير الكلمة الذى يعنيه الشاعر المكسيكى من الاتساع إلى حد أنه يعنى انعتاقها من "المنفعية" أو "الوظيفية" التى تجعل منها أداة للتواصل . يقول فى ذلك :

"فى لحظة ما تترك الكلمة مكانها باعتبارها حلقة فى سلسلة الخطاب ، وتسطع وحدها لتحتل مكاناً فى منتصف الطريق بين الصرخة والفكر الخالص . إن الشعر هو القادر على أن يعيدها إلى أصلها وطبيعتها" . أما التجربة الشعرية فهى التى تنتزع القارىء من سيرة الزمن وتعيده إلى ما يسميه "الزمان الأصلى الأول" ، إذ يقول :

"التجربة الشعرية مثل التجربة الصوفية .. هى وثبة انتحارية فى الفضاء .. هى تحول فى الطبيعة أو

عودة إلى طبيعتنا البدائية الأولى"

الشعر حتى ولو نسينا كلماته لا يزال كامناً فى نفوسنا .. هو "المد العالى الذى يحطم سدود تتابع الزمن" .

وپاث لا ينكر المظاهر التاريخية والاجتماعية للشعر ، ولكنه يولى اهتمامه الأكبر للاتجاهات الحديثة التى تبدأ بوليام بليك William Blake (١٧٥٧ - ١٨٢٧) وهولدرلين Holderlin (١٧٧٠ - ١٨٤٣) ونرفال Nerval (١٨٠٨ - ١٨٥٥) ورامبو Rimbaud (١٨٥٤ - ١٨٩٣) منتهية بأعلام المذهب السيريالى ، وهى اتجاهات كانت ترى فى الشاعر نبتاً على هامش المجتمع .. رجلاً يدافع عن قيم تبدو مدمرة للأسس التى يقوم عليها البناء الاجتماعى .

وقد عاد پاث ليكرر كثيراً من آرائه فى كتابه الثانى "تيار متقطع" (Corriente alterna) ، ولو أنه يوجز آراءه فى عبارات مكثفة أشبه بما كان شعراء اللاتينية يسمونه الإبيجراما Epigramma . فى مثل قوله :

- الإيقاع هو الصورة الشعرية الأصيلة التى تتضمن كل شىء .

- تعاقب الزمن هو التكرار .. الزمن هو اللازمن .

- كل قارىء للشعر إنما هو شاعر آخر ، وكل قصيدة إنما هى قصيدة أخرى .

- القصيدة فى تغيرها الدائم لا تتقدم .

- الشعر هو وسيلتنا الوحيدة لمقاومة الزمن ذى الخط المستقيم .. أى لمقاومة التقدم .

- الشعر هو كفاح مستمر ضد الدلالة . هما طرفان متناقضان : القصيدة تضم جميع المعانى .. هى معنى كل المعانى . ولكن القصيدة فى الوقت نفسه تنكر كل دلالة للغة المتواضع عليها . وفى عصرنا الحاضر كانت أولى المحاولات لطرح هذا المفهوم هى محاولة مالارميه . والثانية هى التى تتمثل فى مذهب "الدادائية" Dadaism .

ومن أهم ما يتسم به فكر پاث إصراره على أن "الزمن" الشعرى شىء مختلف عن الزمن الذى نعيشه ، وأن لغة الشعر ينبغى أن تكون على درجة عظيمة من التنوع ، بل لا مانع أن تسجل ما يعترى التجربة الشعرية من تناقضات .

وفى سنة ١٩٦٠ ينشر پاث ديوانه "الحرية بضمان الكلمة" (Libertad bajo Palabra) ، وهو يتضمن أشعاره المنظومة بين سنتى ١٩٣٥ و ١٩٥٧ ، وفيه يعبر عن الهموم التى كانت تشغله فيما يتعلق بالحب والزمن والعزلة ، والشعر باعتباره كشفاً وإلهاماً ، والكلمة بصفتها مفتاح الحرية الإنسانية .

يقول :

"إزاء الصمت والضجيج علىّ أن أخلق الكلمة

والكلمة هى التى تخلقنى كل يوم من جديد" .

ونلاحظ أن موضوع العزلة أو الوحدة هو الذى يسيطر على النتاج الشعرى لأوكتافيو باث منذ بواكيره الأولى . وعزلة الإنسان أو غربته هى التى قادت باث إلى تصوره أن الكشف الشعرى هو وسيلة التحرر .. نرى هذا فى قصائده الأولى التى تحمل عناوين "ليلة" و"أرق" و"مرآة" . ولنخر نموذجاً لهذا الشعر فى قصيدته "الشارع" فى مجموعته التى اتخذ لها عنوان "الباب الملعون" :

"هو شارع طويل يلفه الصمت

وأنا أسير فى ظلامه المستحكم ، فاتعثر واسقط

ثم انهض وأطأ بخطواتى العمياء

أحجار الطريق الصماء ، وأوراق الشجر الجافة .

وأحس بشخص ورائى يطأ تلك الأوراق

فإذا توقفت توقف هو أيضا ،

وإذا جريت لاحقنى بالجرى .

وأتلفت ورائى فلا أرى أحداً .

كل شىء غارق فى الظلام ولا مخرج .

وأدور فى سيرى من ناصية إلى ناصية ،

ولكنى أنتهى دائما إلى نفس الشارع ،

حيث لا ينتظرنى أحد ولا يتبعنى أحد ،

حيث أتبع أنا رجلاً يتعثر ثم ينهض ،

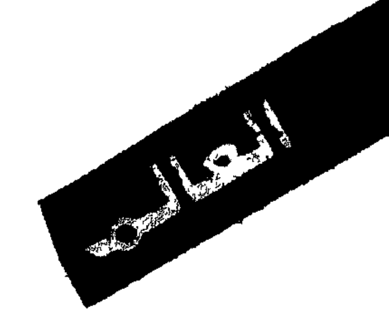
ثم ينظر إلى وهو يقول : لا أحد !" .

ونرى فى هذه القصيدة كيف يعبر الشاعر عما يشبه الكابوس ، فهو تابع ومتبوع بشبح لا يراه ، والذى نستشفه من الأبيات هو استحالة التواصل بين الشاعر وبين من يحيطون به ، حتى إن "الأنا" يتحول إلى "لا شىء" .

وعزلة الإنسان التى عبر عنها باث فى هذه القصيدة هى التى تسيطر على ديوانه "الفصل العنيف La esta-cion Violenta" (١٩٥٨) ، وهو يفتتحه بقصيدة "نشيد بين الأطلال" (Himno entre ruinas) حيث يقدم لنا صوراً متضاربة بين أوربا التى دمرتها الحرب العالمية والمكسيك الذى لا يزال بدائيا وحشيا .

ويبلغ باث قمة نضجه فى ديوانه "حجر الشمس" (Piedra de sol) ، وهو يعنى به الحجر الذى نقش عليه شعب "الأزتيك" الهندى القديم تقويمهم الفلكى . والديوان قصيدة واحدة طويلة تأثر فيها بموسيقى توماس إليوت فى "رباعياته الأربع" (Four q uartets) .

هذا عن أوكتافيو باث الشاعر ، أما بصفته كاتباً وناقداً فلذلك حديث آخر يلى هذا بإذن الله .

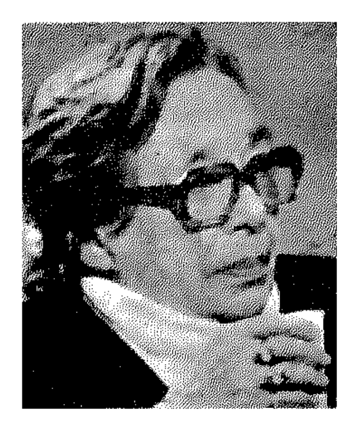


هوليود

● الحياة الخاصة للأدباء .. على الشاشة

في السينما ، لم يهتم المخرجون وكتاب السيناريو ، باقتباس ونقل الأعمال الابداعية للكتاب فقط ، بل شغفوا بصناعة افلام عن الحياة الخاصة لعشرات الادباء ، ايمانا ان الكثير من الكتاب قد عاشوا حياة خاصة لا تقل أهمية وإثارة عن تلك التي اتسم بها أدبهم .

وعلى شاشات السينما ، تعرض هذه الأيام أفلام عديدة عن حياة ادباء معروفين مثل فرانز كافكا ، وارنست هيمنجواي ، ومارسيل بانيول ، وهنري ميللر ، وايزابيل ابرهارو وانايس


مرجريت دوراس ـ العاشق

نين ، ورومان جاري وغيرهم ، بالاضافة الى افلام اخرى عديدة ماخوذة عن روايات ادبية مشهورة ..

لعل هيمنجواي هو الكاتب الأكثر دفعا للنقر في مخيلة المبدعين السينمائيين ، سواء فيما يتعلق بحياته كمغامر ورحالة ، أو بموته الغامض في عام ١٩٦١ ، وقد قارب عدد الأفلام المستلهمة من حياته الخاصة نفس العدد المأخوذ عن ابداعه ، فبينما لم يتم اعادة اخراج اي من رواياته مثل "وداعا للسلاح" .. و"الشمس تشرق ايضا" .. و"لن تقرع الأجراس" فان ثمانية افلام تم انتاجها عن حياة هيمنجواي على مدى ثلاثين عاما ، واشترك في بطولتها جورج سكوت ، وستاسي كيش اخر من جسد دور الكاتب الذى عشق الحياة بشكل لا نظير له .. ومات في ظروف غريبة قيل انها انتحار ، وقيل انها طلقة خاطئة من بندقية .

وبعد ان قدمت السينما الأمريكية مغامرة مشابهة للكاتب الأمريكي امبروس بيرس في فيلم "الأمريكي العجوز" المأخوذ عن رواية للمكسيكي كارلوس فوينتس . قدم الايطاليون حياة كاتبهم المسرحي كارلو جولدوني في فيلم "الفينيس الأحمر" .. وجسدت البولندية فاليريا كابريسكي دور ميلينا حبيبة الأديب التشيكي كافكا في فيلم "العشيقة" من اخراج الفرنسي فرنسيس جيرو ، أما الصداقة المتينة التي ربطت بين الأمريكيين هنري ميللر وانابيس نين فقد دفعت المخرج الفرنسي كلود شابرول الى تجسيدها مرة اخرى في فيلمه الأخير "هنري وجين" والمعروف ان الكاتبين يعتبران من اجرا كتاب الأدب المكشوف في القرن العشرين .

وعن حياة الكاتبة السويسرية ايزابيل

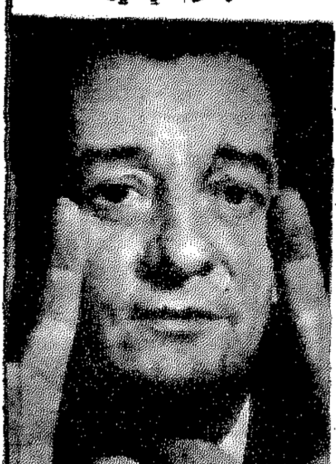
ايرهارد التى عاشت فى الجزائر سنوات طويلة واعتنقت الاسلام ودفنت هناك ، قدم المخرج الفرنسي ايان برنجل فيلمه الأول الذى قام ببطولته بيتر اوتول والفرنسية ماتيلدا ماى تحت عنوان "سجينة الصحراء" .

أما المخرج والكاتب الفرنسى المعروف مارسيل مانيول فقد كانت طفولته موضوعا جذابا لثلاثية فيلمية ، عرض منها الفيلمان الأول والثانى "مجد أبى" و"قصر أمى" من اخراج صديقه ايف روبير .

الجدير بالذكر ان بانيول مؤلف مسرحية "فانى" و"طوباز" والتى اقتبسهما المسرح والسينما فى مصر عشرات المرات .

وكما عاش هيمنجواى حياة غامضة فان الكاتب

مارسيل بانيول



الروسى الأصل هومان جارى عاش تجربة أكثر غرابة ، فقد عمل فى الاستخبارات ، وفى الكتابة الأدبية والاخراج السينمائى ، وتزوج من الممثلة جين سبرج ، ثم ارتكب أكبر فضيحة أدبية فى عام ١٩٧٦ حين دفع الى أحد دور النشر رواية باسم كاتب شاب هى من تأليفه فازت بجائزة جونكور فيما بعد .. ثم انتحر فى عام ١٩٨١ فى ظروف غريبة أيضا .. وقد جسد دور جارى الممثل الفرنسى فيليب نواريه ..

وعن تجربة الكاتبة الفرنسية مرجريت دوراس التى عاشتها فى فيتنام عام ١٩٣٢ ، وسجلتها فى رواية "العاشق" عام ١٩٨٤ ، تستعد الكاتبة لتحويلها الى فيلم جديد يخرجه جان جاك آنو .. أما الممثل الأمريكى كيفن كوستنر المرشح لنيل جائزة اوسكار هذا الشهر فقد انتهى من تجسيد شخصية الكاتب الامريكى "سالنجر" الذى اعتزل الناس والأدب فجأة فى عام ١٩٦٥ دون سبب ظاهر وذلك فى فيلم يحمل عنوان "حتى نهاية الحلم" .

الجدير بالذكر ان الهلال قد افردت صفحات عديدة طوال السنوات الماضية حول هؤلاء الكتاب وحياتهم الغامضة والمثيرة ، والملاحظ ان هذه الظاهرة ، تحويل حياة الكاتب الى فيلم ، ليست جديدة ، ففيما قبل انتجت السينما افلاما عن حياة اليابانى ميشيما و والأمريكى فيتز جيرالد و والفرنسى زولا والأسبانى سيرفانتس . والروسى دوستويفسكى .. لكن السينما المصرية لم تقترب كثيرا من حياة الكتاب المصريين الا فى تجارب قليلة للغاية عن طه حسين ، وتوفيق الحكيم

[illegible]

● رجل من عصر الديناصورات

«حديقة جوراسيك» : عنوان الرواية التى صدرت اخيرا للكاتب الامريكى مايكل كرايتون مؤلف رواية "أكلة الموتى" عن رحلة ابن فضلان ورواية "الغيبوبة" .. وتدور احداثها فى احدى الجزر

العالم في سطور

المعزولة . حيث يعيش عالم يقوم باجراء تجارب سرية . انه يحاول اعادة الحياة الى الحيوان التاريخي العملاق «الديناصور» من خلال قوانين الهندسة الوراثية . هذا العالم هاموند يؤمن ان للعلم قدرات هائلة . وانه يمكن ان يحقق الكثير للبشر ، وينجح في تأسيس حديقة كبيرة . تتوالد فيها حيوانات الديناصور داخل جزيرته المعزولة . ويؤمن ان هذا سيجعل منه ثريا كبيرا . لكن أحد المغامرين يصل الى الجزيرة ويحاول احباط عملياته . ويكتشف ان هذه الحيوانات لم تبعث من الماضي . وانما هي مخلقة محليا وعصريا .

من الواضح اننا امام رواية مغامرات مصاغة في اطار من الخيال العلمي . وهو نفس الاتجاه الادبي الذي يميل اليه مايكل كرايتون منذ روايته الاولى



مايكل كرايتون

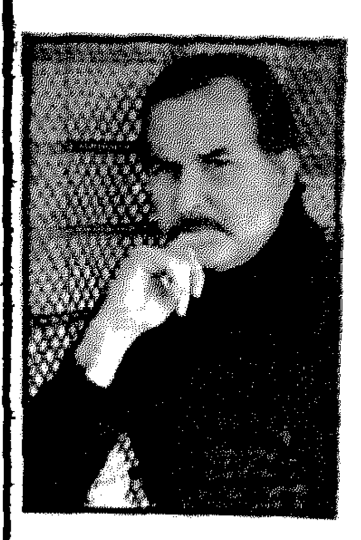
«خلية اندروميدا» التي حولها الى فيلم سينمائي في عام ١٩٧١ أخرجه روبرت وايز ـ فكرايتون هو احد الذين يعشقون العلوم . واكتسب شهرته كروائي ثم كمخرج سينمائي . ومن اشهر رواياته في مجال الخيال العلمي «الرجل الأخير» و«مهندسي الصوت» و«كونغو» . و«غيبوبة» . وله رواية تاريخية عن رحلة العالم العربي ابن فضلان الى بلاد الشمال تحمل عنوان «أكلة الموتى» ترجمتها روايات الهلال قبل ثلاثة اعوام . كما انه باحث علمي اكاديمي ففي عام ١٩٨٣ نشر كتابا عن علوم الحاسب الآلي تحت عنوان «حياة إليكترونية» .

ولد مايكل كرايتون في مدينة شيكاغو عام ١٩٤٢ . حصل على بكالوريوس الطب من جامعة هارفارد عام ١٩٦٣ . ولم يشأ ان يعمل في مهنة الطب فهجرها الى الادب . ثم السينما .. ورغم شهرته كمخرج الا انه لم يهجر الادب . وهو ، في السنوات الاخيرة معروف كروائي بنفس القدر كمخرج . والجدير بالذكر أنه قدم افلاماً متميزة منها «الغيبوبة» وسرقة القطار الكبرى» . و"عالم الانسان الآلي" .

نيومكسيكو

● «أرضنا» بيضة لكرستوفر كولمبس

«كرستوف وبيضته» عنوان احدث رواية صدرت للكاتب المكسيكي المعروف كارلوس فونتس التي تتناول فيها السيرة الذاتية للرحالة المعروف كرستوفر كولومبس - والذي سيتم الاحتفال بذكرى مرور خمسة قرون على اكتشافه المكسيك في العام القادم .



كارلوس فوينتس

صاغ فوينتس أحداث روايته فى صورة يوميات لرحلة كولومبس وهو فى طريقه الى الارض الجديدة ثم وصوله الى ارض المكسيك . ومغامرته فوق جزيرة أكابولكو .

ويرمز فوينتس الى الارض التى جاءها كولومبس من الشرق ناحية الغرب بأنها بيضة . غامضة يجب على المرء ان يكسر قشرتها الخارجية كى يعرف ما بداخلها . ويشير الناقد بول جان فرانشسكينى - مجلة الاكسبرس ٢٢ فبراير ١٩٩١ - ان كرستوفر هو الاسم اللاتينى ليسوع عليه السلام - وان العناية الالهية وحدها هى التى هدت الملاح المغامر للوصول الى المكسيك . وان السفينة التى ركبها بدت وكأن لها جناحين . طارت فوق المياه نحو هدف محدد .

كارلوس فوينتس كاتب معروف بالرجوع ، عند الكتابة الى تاريخ بلاده واستلهام قصص الرجال الذين اثروا فى مسيرته واعادة صياغة هذه القصص من خلال منظوره الفنى الراقى ومن هذه الكتب على سبيل المثال «الامريكى العجوز» الذى تناول سنوات الثورة الكبرى التى حدثت فى المكسيك فى العقد الثانى من القرن العشرين .

وفوينتس الذى بلغ الحادية والستين من العمر يؤكد ان التاريخ يكرر نفسه ، وان ما حدث فى الماضى قد يتكرر فى عصرنا ، أو فى الزمن القادم من خلال وجوه جديدة . وان «ارضنا» - وهو عنوان الرواية الشهيرة التى نشرها عام ١٩٧٨ - تدور حول نفسها وقد تكررت على اسماعها نفس الحواديت والقصص .

الجدير بالذكر ان فوينتس هو احد الادباء الذين لعبوا دورا بارزا فى السلك الدبلوماسى لبلادهم فمن المعروف ان العديد من الدول فى امريكا اللاتينية ، حاولت استقطاب إرضاء ادبائها المرموقين - فأسندت اليهم وظائف دبلوماسية كبيرة فى سفارات اوروبا . وقد قيل ان هذه الظاهرة قد انتشرت لأسباب اخرى عديدة منها إبعاد الكاتب عن مشاكل وطنه . او لجعله صوتا يتحدث باسم سياسة بلده الذى يعارضه فى الكتابة . وقد شغل العديد من الادباء المعروفين منصب سفير لسنوات طويلة منهم اوكتافيوباث واليهوكاربنتير . وخوليو كورتثار ولخرون .

• البحارة لا يعودون الى البرتغال

«ابن العم الصغير»

هذا هو الاسم الذى يطلقه الناس فى امريكا اللاتينية على الادب المكتوب فى اسبانيا والبرتغال . ورغم ان الادب فى القارة اللاتينية مكتوب باللغتين الاسبانية والبرتغالية الا ان الظروف الحياتية والاجتماعية ولدت

العالم في سطور

ادبا ادهش العالم . بينما بقى الادب المكتوب فى البرتغال واسبانيا اقل اهمية وشهرة . قياسا الى المكتوب بنفس اللغتين فى غرب الاطلنطى ..

إثير هذا التساؤل أخيرا بمناسبة صدور رواية «عودة البحارة» ، للكاتب البرتغالى انطونيو لوبو الذى حاول ـ كما يقول دومنيك فرنانديز فى مجلة لونوفيل او بسرفاتور ـ الا يكون ابن العم الصغير . بل عليه ان يستعيد لغة البرتغاليين الى البرتغال .

وقد حاول الكاتب ان يذكر ابناء العم فى امريكا اللاتينية . انهم يتكلمون لغة وطنه . من خلال سرده لقصة المستكشف البرتغالى بدرو الفارس كابرال الذى اكتشف البرازيل . وكأنه انطونيو لوبو بذلك يكتب رواية مضادة لرواية «كريستوف وبيضته» للكاتب



انطونيو لوبو

المكسيكى كارلوس فونتس التى تحدثنا عنها فى فقرة سابقة .

ويقول الكاتب أن كابرال البرتغالى قد رحل الى البرازيل بحثا عن مغامرة صيد . وللقيام ببعض الاعمال التجارية . وفى أثناء رحلته التقى بالرحالة فاسكو داجاما الذى كانت تربطه صداقة قوية بالملك مانويل الأول .

تجىء طرافة رواية «عودة البحارة» أن انطونيو لوبو قد صاغها فى اطار فنى متميز . وتنقل أبطالها بين العصور المختلفة وجعل كابرال ، مكتشف البرازيل قبل عدة قرون ، ينزل الى ريو دى جانيرو فى القرن العشرين . ويعيش مغامرات عديدة . فتقبض الشرطة عليه . ويودعونه السجن بتهمة تخريب المدينة . ولذا فانه يسعى للهرب من المدينة التى تعرض فيها لاحداث عنف لم يشاهدها من قبل عندما حطت سفينته على الشاطىء . وراح يتوغل فى المجاهل والادغال .. ولذا انتابه الشعور بالندم لانه اتاح لهؤلاء الناس ان يقيموا فى المكان الذى كان اول من يحضر اليه . ويردد انهم جاحدون .. لم يطلقوا اسمى على المدن . ولا على البلد مثلما فعل الامريكيون مع امريكو فوسبتش ..

ورغم الاحباط الذى تعرض له كابرال فى البرازيل . الا انه لم يفكر فى العودة الى البرتغال مرة أخرى خوفا ان ينكره الناس هناك مثلما فعل سكان البرازيل .

لندن

● طوفان من الكتب عن العرب

كان غزو العراق للكويت فرصة انتهزتها دور النشر في الغـرب ، تطـرح بمنـاسبتها العـديد من الكتب التي تعرض لازمة الخليج ، والصراع العربي الاسرائيلي بل ولتاريخ العرب على مر العصور .

ومن بين هذه الكتب « اغتصـاب الكـويت » لصاحبه « جان سلسون » و« صدام حسين والازمة في الخليج » لصاحبيه « جوديث ميللر » و« لوري ميلـروي » و« درع الصحراء كتاب الحقائق » لصـاحبـه « فـرانـك شادويك » و« كيف نهزم صدام حسين » لصاحبه « تـريفـور ديبـوي » و« جمهـوريـة الخـوف » لصاحبه « سمير الخليل » و« سلام ينهي كل سلام » لصـاحبـه « دافيـد فرومكين » و« الجائـزة » لصاحبه « دانيل يرجين » و« ارضهم المـوعـودة » لصـاحبيـه « مـارشينـا كـوتستـل » و« جـوزيف البرليت » .

ويـلاحظ على بعض الكتب انه ليس بجديد ، بل اعيد طبعـه استغـلالا للاقبال منقطع النظير على كل ما يكتب عن الوطن العربي جيدا كـان ام رديئا .

وقد يكون اهم هذه الكتب غيـر الجـديـدة « الاستشراق » لصاحبه ادوارد سعيد الامريكي المنحـدر مـن اصـل فلسطينـي و« المـأزق العربي » لصاحبه « فؤاد عجمي » .

وعلى كل فلعل اكثر ماهو جديد من بين تلك الكتب قيمة ودواما هو « تاريخ الشعوب العربية » المؤرخ البريطاني المنحدر من اصل عربي « البرت حوراني » .

وفي الحق « فحوراني » واحد من تلك الفئة القليلة من المتخصصين التي في استطاعتها ان تؤلف عن تاريخ العرب بدءا من فجر الاسلام حتى يومنا هذا كتابا من خمسمائة وإحدى وخمسين صفحة لا تزيد .

ومـع ان معـالجتـه لمـوضـوع يمثـل تلـك الاتساع زمانا ومكانا كان لابد وان تمر على بعض امور التاريخ مر الكرام الا ان مرورها على هذا الوجه لم يكن من ذلك النوع السطحي باي حال من الاحوال .

وصـاحب الكتاب لا يكتفي بتنـاول التاريـخ السياسي بل يتطرق كذلك الى الثقـافة والمجتمـع والاقتصاد والفكر .

وقد لا اكون بعيدا عن الصواب ، اذا ما جنحت الى القول بان هذا الرحيق المصفى هو افضل ما في الكتاب من حسنات .

والفكرة السائدة عند صاحبه ، هي انه ولئن كانت وحدة العالم العربي سياسيا لم تدم الا قليلا ، الا ان وحدة العرب الثقافية ، والشعور بالانتماء الى امة واحدة يحكمها القرآن ، وتعبر عن نفسها من خلال اللغة العربية ، تلك الوحدة الاخيرة قائمة لا تزال حتى هذه الساعة .

وفي رايه ان هزيمة مصر وسوريا والاردن في حرب ١٩٦٧ ، كان من نتائجها ان بدأ عصر من الانقسام في العالم العربي فضلا عن ازدياد الاعتماد على قوة او اخرى من بين القوتين الاعظم .

وعن هذا يقول صاحب الكتاب متسائلا : « اذا كان العرب قد هزموا هكذا بسرعة ، وبشكل مطلق وعلني ، الليس في كل هذا ما يشير الى شيء ما فاسد في مجتمعاتهم ؟»



مادام الحديث عن « التكوين » فلأحاول أن أتجنب أسلوب السيرة الذاتية. أعنى أنى سأقاوم ما استطعت ذلك الميل الطبيعى إلى إعطاء « تأثير » معين عن نفسى. إذا كنت قد قرأت «الاعتبار» لأسامة بن منقذ أو « التعريف » لابن خلدون فستفهم قصدى بدون حاجة إلى شرح كثير. أما إذا كان هذان الكتابان لم يمرا عليك بعد فإنى أختصر لك المعنى فى كلمات قليلة. كان أسامة وابن خلدون يقرران وقائع مرت بهما، فى حياد المؤرخ، ولا يتخذان موقفاً من القارئ، ولا يحاولان أن يستميلاه إلى موقف. من الصعب جداً، فى أيامنا هذه، أن تكتب بهذا الأسلوب. ولكنى سأحاول.



فى كلية الاداب ـ جامعة القاهرة .. فى الصورة د . طه حسين . د . سهير القلماوى

لماذا احاول تلجيم انفعالاتى وإخضاع ذكرياتى لهذا النظام الصارم ؟ أصارحك القول إنى صممت أولا أن اكتب عن مسلكى فى الحياة لأتطرق منه إلى الكلام عن تعليمى وقراءاتى ومنهجى فى التفكير .. فالتكوين العقلى وحده لايصنع الإنسان . وكم من الناس فى بلادنا لم يتعلموا كثيرا فى المدارس ـ أو لم يتعلموا أصلاً ـ ولم يتح لهم أن يقرءوا الكثير من الكتب أو لم يألفوا القراءة يوماً ، وهم لاشك يفكرون ، لأنهم بشر يملكون عقلاً ، ولكنهم لا يفكرون فى تفكيرهم ، أى انهم لا يملكون منهجاً . فهل تسقطهم هذه النواقص مجتمعة من حساب الإنسانية ؟ عندى أن إرادة الوجود هى ما يصنع الإنسان . وإرادة الوجود ليست إرادة الحياة فحسب . بل قد تكون إرادة الحياة ، مجرد الحياة ، مناقضة لإرادة الوجود ، إرادة الوجود تعنى شعور الإنسان بذاته ، ومحاولته المستمرة لتشكيل مصيره . وهذه الإرادة هى التى تصنع ـ بين ما تصنعه ـ التعليم والقراءة ومنهج التفكير .

● الثقة بالله

ودون أن انزلق إلى شىء من الترجمة الذاتية ، أقول إن هذا الاقتناع قد نما معى منذ وعيت . لقد نشأت فى أسرة ريفية متوسطة ، وامتلأت حياتى ، مثل ملايين المصريين ، بالمخاوف والمكاره ، وأنا الآن ، على عتبة السبعين ، أتذكر كم وقفت على حافة العوز أو المرض أو الجنون أحيانا ، وكم حاق بى من ظلم ، وأحسب أنى ، فى هذا كله ، مثل ملايين المصريين أيضا . ولكننى تعلمت من هذه التجارب



أشياء :

تعلمت أولاً أن أثق برحمة الله . وبلغت من هذه الثقة حداً أوشك أن يوقعني في الهلاك . لا أعني الإسراف في الاتكال ، بل أعني الوهم بأن الله يوليني ، أنا بالذات ، عناية خاصة ، كأن له غرضاً من الإبقاء على حياتي ، أو تخليصي من محنة ، أو - حتى - عقابي على خطأ ارتكبته . وما انقذني من هذا الغرور المويق إلا آيتان كريمتان : "فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن . وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن" كان ذلك الوهم واحداً من الخواطر المجنونة التي خالجتني في بعض الأوقات ، وأحسبني ما كنت أستطيع أن أمضي في الحياة لولا الشعور المبهم بحضور شخصي لله في حياتي ، ولكن ذلك الشعور لو بلغ حد الاعتقاد بأن الله أفردني باللطف من دون سائر خلقه لفسدت عليّ حياتي أيضا . هكذا تعلمت أن الاعتدال - حتى في علاقتي الدينية - يجعلني أقرب إلى الله .

وتعلمت ثانيا أن الصبر هو أس الفضائل كلها . "واستعينوا بالصبر والصلاة" فمرتبته في الأخلاق كمرتبة الصلاة في العبادات ، ولا أعني بالصبر مجرد احتمال الأذى ، فذلك وجه واحد من وجوه الصبر ، ولعله أقلها شأنا ، فأما أعظمها وأكرمها فالصبر على قضاء الحقوق ، والسعي في طرق الخير ، وانتظار حسن العاقبة وإن طال المدى . ولا أقول إني بلغت من هذه الفضيلة ما أتمنى أن أبلغه ، فربما جزعت للأمر الهين ، وربما غضبت حيث لا موجب للغضب ، وربما أذهلني الشر الظاهر عن رؤية الخير الباطن ، وربما عجزت عن تصحيح الخطأ وعن التسليم به فلجأت في مقاومته إلى الضحك المدوي ، أو السخرية المريرة ، وما أدري إن كانت هذه الخصلة جديرة بأن تعد من الصبر .

وتعلمت ثالثا - وكان هذا أصعب ما تعلمت من دروس - أن أشفق على من يظلمني . ولعل أول مرة شعرت فيها شعوراً حقيقياً وحاداً بالظلم كانت يوم أن صفعني أبي أمام أغراب . ولم أكن صغيرا ، كنت قد جاوزت الرابعة عشرة ، ولم يكن من عادته أن يضربني ، بل لا أذكر أنه ضربني قبل هذه المرة إلا مرة واحدة وأنا طفل صغير ، وكانت صفعة على الوجه أيضا ، لم أحتملها فوجدت نفسي ملقى على الأرض ، وكان سببها أنه وجدني خارج البيت في وقت متأخر حسب تقديره ، ولم يكن كذلك ولا كان خارجاً عن مألوف عادتي ، أما في تلك المرة الثانية فقد كان عذره أضعف ، وكانت الإهانة أشد ، ولبثت أياما لا أكلمه حتى بدا عليه الشعور بالندم ، فتذكرت أنه شيخ مريض ، وتألمت لحاله ، وغفرت ظلمه لي وإن لم أنسه حتى اليوم

وما وقع علي ظلم بعد ذلك إلا تأملت حال من ظلمني فوجدته أحق بالشفقة مني ، فأجاهد وأنا أعمل لدفع الظلم ألا أبلغ حد الانتقام ؛

ولا تحسبن انى اقول ما اقول لأزكى نفسى ، فالحق أن هذه العادة أصبحت عندى أشبه بالرذيلة ، فأنا مع قلة صخبي لم أسكت عن حقى مرة ، ولكنى كنت دائماً انظر إلى من هم فوقى بنوع من الاستعلاء ، ولا أحاول إخفاء ذلك وإن لم أخرج عن حدود الأدب المعتاد . ولا أدرى كيف كان الكبار والرؤساء ينظرون إلىّ ، ولكننى على كل حال لم أكن أرجو عطفاً من أحد ، كيف وأنا أراهم أحق بالعطف منى .

خلاصة هذا كله أن العيش على الحافة - حافة العوز أو حافة المرض أو حافة الجنون أو مايشابهها وهو كثير - ليس بذى خطر فى نفسه إذا استطاع المرء أن يحافظ على توازنه . ويأتى بعد ذلك دور المعرفة أو الثقافة فى تكوين عقله وذوقه . وقد كانت سيرتى فى هذين الجانبين أشبه بسيرتى فى سلوكى العملى : حاولت منذ وعيت أن أكون مالكاً لأمرى ، وأن أحصل ما أستطيع تحصيله بمجهودى . ولاشك أنى اعتمدت فى طفولتى على أبوى ومعلمى ، ولكن هذه المرحلة كادت تنتهى عندما بلغت سن العاشرة ، وهى السن التى حصلت فيها على الشهادة الابتدائية . وقد شاء حظى أن يكون معلمى فى مادة الحساب طوال المرحلة الابتدائية رجلاً غريب الأطوار ، كان معروفاً عنه فى المدرسة كلها أنه متزوج باثنتين ، ثانيتهما كانت خادمته ، وكان حاد الطبع لا يصبر على إفهام صغار التلاميذ ، وربما علا صوته أثناء الشرح فيشعر بعضهم - وأنا منهم - بالخوف . وكان كمعظم الناس فى ذلك الزمن وفديا ٪ وكانت وزارة محمد محمود فى الحكم ، وتبعتها وزارة اسماعيل صدقى ، فكان يضيع معظم وقت الحصة كلاماً فى السياسة ونحن - بالطبع - لا نفهم ما يقول ولكننا نخرج فى المظاهرات كى يرضى عنا . وهكذا تقدمت إلى امتحان الابتدائية سنة ١٩٣١ وحالتى فى مادة الحساب بالذات لا تبشر بخير وكان نجاحى راجعاً إلى مصادفة سعيدة لم تتكرر إلا بعد ثلاثين سنة تقريباً ، وهى أن أسئلة الامتحان « تسربت » كما يقال ، ولم يكتشف ذلك إلا قبل الامتحان بيوم واحد ، فسوى امتحان الحساب على عجل ، وجاءتنا أوراق الامتحان مطبوعة على "الرونيو" بدلاً من أوراق المطبعة الأميرية حسب العادة ، وقد حلت محل الكسور المعقدة والمسائل المعقربة أشياء سهلة أمكنتنى أن أحصل فيها على درجة واحدة فوق درجة النجاح أى على ستة وعشرين من خمسين ، فى حين أن التلاميذ المتوسطين كان فى استطاعتهم أن يحصلوا بسهولة على الدرجة النهائية . فلما جاءت الشهادة كان ترتيبى حول الخمسة الآلاف من عشرة آلاف تقريبا هم تعداد الحاصلين على الابتدائية فى ذلك العام . ومع ذلك قبلت بالمجان فى مدرسة المساعى المشكورة الثانوية لصغر سنى ولأن أبى كان مدرساً فى الجمعية .

● بداية جادة

كان أبى يدرس اللغة العربية والدين فى المدارس الابتدائية التى أنشأتها جمعية المساعى المشكورة فى كل مركز من مراكز مديرية المنوفية أو محافظة المنوفية كما تسمى الآن . ومادمت قد شرطت على نفسى أن أبتعد عن أسلوب السيرة الذاتية فلن أتحدث عن حبى له أو ذكرياتى ، ولكنى أذكر فقط ما يتصل بسياق « التكوين » العلمى . لم يكن أبى يولينى عناية خاصة فى اللغة العربية ، لا



فى الفصل ولا فى البيت ، وإنما كنت أسأله عن بعض أشياء فيجيبنى ، وكانت عنده كتب قليلة بدأت أقرأ فيها عندما انتقلت إلى المرحلة الثانوية ، أذكر منها "إحياء علوم الدين" للغزالى ، و"حياة الحيوان" للدميرى ، و"المواهب الفتحية" للشيخ حمزة فتح الله ، أما بدايتى الحقيقية فى التعليم - بعد المقدمات الضرورية التى حصلتها فى المدرسة الابتدائية - فقد كانت فى "مقعد" من "المقاعد" الثلاثة فى منزلنا القديم فى البلد .

ولابد هنا من بعض الايضاحات اللغوية . فأما "المقعد" فهو حجرة فى الطابق الثانى من الدور الريفية المتوسطة ، سقوفه غالباً بالبوص ، وأمام المقاعد مساحة خالية غير مسقوفة تسمى "الحضير" ويسرح فيها الدجاج وربما خصص أحد المقاعد للخزين ، أو حتى لتربية الأرانب ، مع أن الأصل فيها أن تكون للنوم فى فصل الصيف ، بينما تتخذ "قاعة الفرن" للمبيت فى الشتاء . وأما "البلد" فهو الاسم الذى نطلقه على الموطن الأصلى ، أو "مسقط الرأس" والذى نعود اليه فترات تطول أو تقصر ، حين يقتضى عمل رب الأسرة أو دراسة الأبناء أن تكون الإقامة الدائمة فى بلدة أخرى .

فى أحد "المقاعد" وجدت صندوقاً كبيراً من تلك الصناديق القديمة المزينة من أعلاها وجوانبها بصفيح ملون ، والتى كانت تكون مع السرير الحديد كل جهاز العروس لدى الأسر المتوسطة الحال فى الريف . عندما فتحت ذلك الصندوق القديم فى تطلع الأطفال وجدت كومة من الأوراق ووجدت بينها أعدادا من "الهلال" فى سنواتها الأولى (لابد أنها كانت من مقتنيات أبى أيام دراسته فى الأزهر - وقد عرفت فيما بعد كم كان متمرداً على التعليم الأزهرى ، حين لاحظت أنه يعرف الكتاب المعاصرين ، ويعجب - مثلا - بأسلوب محمد التابعى) . وكان العدد من "الهلال" عبارة عن كراسة صغيرة من ملزمة أو ملزمتين ، وكلها تقريباً محررة بقلم جورجى زيدان صاحب الهلال . كان فى كل عدد من هذه الأعداد ترجمة لواحد من مشاهير الشرق أو الغرب ، وأذكر أن أقوى هذه التراجم تأثيراً فى نفسى كانت ترجمة أوليفركرومويل ، ذلك الثائر المتطهر الذى حول بلاد الانجليز لفترة قصيرة من تاريخها إلى النظام الجمهورى ، ومحمد رضا بهلوى ، ذلك الجندى البسيط الذى تصدى لأطماع الدول الغربية فى أرض فارس واستطاع أخيراً أن يجلس على عرش الأكاسرة . ووجدت فى هذه الكومة أيضا كتاب "سر تقدم الانجليز السكسونيين" لديمولان (ترجمة أحمد فتحى زغلول) ، وأذكر أنى قرأته بشغف ، وعرفت فيه شيئاً عن "التربية الاستقلالية" ، وآمنت بأن الانسان (لا أقول الطفل ، فلم أعد أعتبر نفسى طفلاً) إذا بلغ مرتبة الوعى أصبح مسئولاً عن نفسه . ولم يكن أقل الأشياء التى وجدتها فى هذا الصندوق العجيب تشويقاً ولا فائدة لى فى مستقبل أيامى مجموعة من



فى كلية الاداب ـ جامعة القاهرة مع بعض الطلبة
الافارقة والعرب .. وفى الخلف د عبد المحسن طه بدر

الخطابات المتبادلة بين أبى وأخوى الكبيرين (وكانا فى تلك الآونة قد أتما دراستهما العالية وأصبح أحدهما محاميا والآخر موظفاً إدارياً . ولا تعجب لأن أباً غير ميسور الحال حرص فى تلك الأيام ، قبل مجانية التعليم بزمان ، على أن يعلم أولاده جميعاً تعليماً عالياً ، أبى على كل حال لم يبعث أحد أولاده إلى أوربا كما فعل الشيخ رجب فى "قنديل أم هاشم") . وكان معظم هذه الخطابات قديما يرجع إلى الفترة التى تلقيا فيها تعليمهما الثانوى فى طنطا لأن محافظة المنوفية كلها لم يكن فيها مدرسة ثانوية واحدة . كانت هذه الخطابات تتناول أموراً عادية جداً مثل إرسال نقود أو ملابس أو بعض الأثاث ، ولكن هذه الموضوعات العملية اليومية كانت تتناول بطريقة أعجبتنى ، وأحسب أنها كانت النموذج الأول الذى حببنى فى الكتابة الواقعية . وكانت هناك أيضاً خطابات قليلة من بعض زملاء أخى الحقوقى ، وهذه كانت كلها فى السياسة وقد أثارت إهتمامى أيضا ، ولعل بعض الفضل فى ذلك راجع إلى المدرس الغريب الأطوار الذى جنى علىّ فى مادة الحساب .

من هنا بدأ تكوينى ! ولا إكتمك أنى حين دخلت المدرسة الثانوية كنت قد بدأت استخف بالمدرسة وما تعطيه . وكان لى خال صحفى وزجال ، علم نفسه بنفسه ، فكنت أحسده لأنه نجا من سخافة التعليم الرسمى ، ولا أجرؤ أن أصارح أهلى بهذه الأفكار إذ كانت المدرسة والشهادة هما السبيل الوحيد إلى حياة كريمة مستقرة . وقد شاء الحظ أن أمرض فى أول السنة الأولى ، وأن يطول مرضى أكثر من أسبوعين ، فلم يكن لى بد من أن



أعتمد على نفسى لفهم دروسى من الكتب المقررة (كانت الدروس الخصوصية فى تلك الأيام شيئاً نادراً ، لا يلجأ إليه إلا التلاميذ الخائبون أو المدللون) .

● الاعتماد على النفس اولا

وسرعان ما عرفت الطريق إلى مكتبة البلدية . وسرعان ما أصبحت أهم عندى من المدرسة التى كانت تستأثر بوقتى معظم السنة ، وقد حرصت على أن أداوى تخلفى فى الرياضة - ولم يكن جميع مدرسيها كذلك الذى بغض إلىّ اسمها فى المرحلة الابتدائية - وتقدمت دون عناء حتى وجدتنى ابتداء من السنة الثانية أحتل المركز الثانى أو الثالث فى الفصل (كما يقولون اليوم عن الفرق الرياضية) ، وربما كان من الممكن أن أحتل المركز الأول ولو فى بعض المرات لولا أن إبن أحد مدرسى المدرسة شغله منذ هذه السنة الثانية (ولا أزعم أنه شغله بغير حق) إلى أن تركنا المدرسة .

على كل حال لم يكن الأمر يعنينى كثيراً ، فقد كان رأيى فى المدرسة هو رأيى ، وكانت عطلة الصيف لاتكاد تبدأ حتى أصبح جليس المكتبة ، أقف على بابها قبل أن تفتح ، صباحاً ومساء ، ولا أغادرها إلا بعد أن ينبهنا الساعى إلى إنتهاء الوقت . وأصبحت أضيف إلى ساعات المذاكرة ، أثناء العام الدراسى ، ساعة قبل النوم أقرأ فيها فصلاً فى كتاب من الكتب التى كانت مكتبة المدرسة تسمح بإعارتنا إياها .

فى تلك السنوات قرأت كل ما وجدته فى إحدى المكتبتين من الأدب الحديث ، أى معظم ما نشر منه قبل سنة ١٩٣٦ ، وقرأت - بالطبع - ألف ليلة وليلة وكثيراً من الروايات المترجمة . وأتقنت طريقتين فى القراءة : القراءة المتمهلة المتأنية والقراءة السريعة القافزة . بعض الروايات المترجمة كنت أفرغ منها فى جلسة واحدة لأنى كنت أقرأ أكثر من ستين صفحة فى الساعة ، وكأنى لا أقرؤها بل ألتهمها بخيالى . ولكن ثمة روايات كنت أقرؤها متمهلاً وبجدية تامة . أذكر منها "آلام فرتر" و"روفائيل" من ترجمة الزيات و"غادة الكاميليا" من ترجمة أحمد زكى . أما روايات المنفلوطى فكانت فى منزلة وسطى . وكانت هناك كتب أقرؤها للدراسة ، كما أقرأ كتب المدرسة ، منها كتاب "العقل الباطن" لسلامة موسى ، و"الاشتراكية" لنقولا حداد ، وكتاب فى علم النفس من ثلاثة أجزاء لعطية الأبراشى وحامد عبد القادر . وأذكر أن المدرس الذى كان يعلمنى اللغة الانجليزية فى المدرسة الابتدائية دخل المكتبة ذات يوم فوجدنى أقرأ فى الترجمة الانجليزية للكتاب المقدس فنظر إلىّ مستنكراً وقال : ألا تعلم أنه altered ؟ ولابد أنه خاف على دينى ، أما أنا فقد حمدت الله على أن المكتبة لا تنصحنى ولا توجهنى .

ولم تكن هذه هى النصيحة الوحيدة التى تلقيتها من مدرسىّ الرسميين . فقد اتفق أن أحد الطلاب - ونحن فى أواخر

المرحلة الثانوية - سأل مدرس اللغة العربية عما يحسن أن يقرأه من الأدب الحديث؟ فقال : اقرءوا "صهاريج اللؤلؤ" البكرى . وذهبت إلى المكتبة واستعرت "صهاريج اللؤلؤ" فإذا هى قطع من النثر المسجوع المتكلف . وكان هذا المدرس هو أوسع مدرسى اللغة العربية فى مدرستنا أفقا وأحسنهم ذوقا . وحين عزمت على أن أتوسع فى قراءاتى بالانجليزية ، ونحن نستعد لاستقبال العطلة الصيفية التى تسبق الجامعة ، سألت مدرس اللغة الانجليزية ماذا ينصحنى أن أقرأ؟ فقال : إقرأ جون ميزفيلد . فوضعت هذا الكاتب فى أول برنامجى ، واستعرت ثلاثة من كتبه ، دفعة واحدة ، من مكتبة الجامعة ، فكاد يصرفنى عن الأدب الانجليزى كله .

● أنا ومجلة الهلال

وكان إهتمامى بإتقان اللغة الانجليزية راجعاً ، مرة أخرى ، إلى مجلة الهلال . فقد قرأت فى أحد أعدادها استفتاء لبعض كبار الكتاب عن الثقافة التى يجب أن يحرص الأديب على تحصيلها . فقال محمد حسين هيكل أن الأديب العربى لا يمكنه أن يستغنى عن القراءة بلغة أجنبية واحدة على الأقل . فأكد هذا القول شعوراً سابقاً عندى بأنى يجب ألا أقنع بالمستوى الذى بلغته فى المدرسة من معرفة الانجليزية أو الفرنسية ، وكان الطبيعى أن أبدأ بالانجليزية إذ كانت هى لغتى الأوربية الأولى . فجمعت عدداً من الروايات التى كانت مقررة فى السنوات السابقة على طلاب السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية أو السنة الأولى فى



ريو دى جانيرو . أنا وأسرتى عام ١٩٦٤

الجامعة ، لأنى كنت أجد الكلمات الصعبة مشروحة على هوامشها بأقلام الطلاب السابقين ، فعكفت على قراءتها وحفظ معانى كلماتها طوال عطلة الصيف .

وقد التحقت بكلية الآداب يجذبنى اسم وحيد : اسم طه حسين ، رغم أنى كنت أعرف كذلك أحمد أمين وعبد الوهاب عزام من خلال مقالاتهما فى مجلة الرسالة ، ومن خلال "فجر الإسلام" و"الشاهنامه"

ومن ثم كان اختيارى لقسم اللغة العربية اختياراً جازماً لا تردد فيه . وكان التخصص يبدأ من السنة الثانية ، ومرت السنة الأولى بغير عناء ، وكان معظم وقتى موقوفا على القراءة بالانجليزية وحفظ معانى الكلمات ، والفضل لمعجم "القرن العشرين" الذى كنت أقرأ حروفه الدقيقة على لمبة جاز . وعدلت عن جون ميزفيلد إلى الأدب الروسى وإلى طاغور ، اللذين أصبحت لى علاقة حميمة بكل منهما . وفى



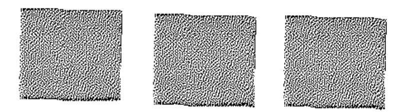
عطلة الصيف قرأت تفسير النسفى والبيان والتبيين للجاحظ (أحد الكتب الأربعة التى عدها ابن خلدون أساس الدراسة الأدبية) استعداداً لدخول قسم اللغة العربية . وفى الوقت نفسه بدأت أترجم قصصاً من طاغور نشرت فى مجلتى "الرسالة" و"الرواية" كما نشر لى الزيات قصة فى "الرواية" .

● صدمة !

وكان هذا كله حسناً ، أما قسم اللغة العربية فكان - ولا أكتمك أيها القارىء - صدمة . لم أجد على "الجدول" اسماً واحداً من الأسماء التى جذبتنى اليه . ولم يكن الأساتذة الذين درسوا لى الأدب العربى فى تلك السنة يفضلون كثيراً صاحب "صهاريج اللؤلؤ" . بعد ذلك - بطبيعة الحال - نلت عاقبة الصبر وجلست بين يدى أولئك الأعلام . ولكن ...

تبين لى بعد قليل أن ما أتعلمه من كتبهم خير وأبقى مما أتعلمه بين أيديهم ، لا أستثنى من ذلك طه حسين نفسه ، وإن كان له "حضور" رائع ، لسحر شخصيته وخلابة عرضه وموسيقية صوته حين يحاضر . وكنت أرى من زملائى من يصطنع سؤالاً أو يبدى تعليقاً ليلفت نظر الأستاذ إليه ، وربما لحق به مهرولاً بعد المحاضرة وفى يده قلم وكراسة ليدون ما يلقيه اليه وكأنه يلتقط الدر . فتقشعر نفسى .

ولعل الدين الكبير الذى أشعر به نحو أستاذين بالذات - أمين الخولى وإبراهيم مصطفى - راجع إلى أنى لم أجد فى كتبهما ما ينوب عن شخصيتهما . فأما إبراهيم مصطفى فكتابه "إحياء النحو" - ولا أعرف له غيره - لا يمثل إلا جانباً صغيراً من علمه بالنحو وذوقه فيه ، فضلاً عن أنه قارىء للشعر القديم خبير بدروبه الخفية ، ولا شك أن العناية بالدقائق عادة عقلية عند النحاة ، فإذا انضمت إليها حساسية بالفروق والدلالات خرج النحوى عن مجرد كونه نحوياً وأصبح شارحاً للشعر - ولاسيما الشعر القديم - قديراً على كشف غبار الزمن عن جماله الغريب . وأما أمين الخولى فكان دائماً "يحاور" ، وكان دائماً "يحاول" .. وكان بمحاوراته السقراطية يكسر قشرة الموضوع عن لبابه ، ويعلم طلابه أن يحذوا حذوه . وكان فى جميع مشروعاته العلمية يحاول غاية هو أول من يعلم أن دركها بعيد ، ومن ثم يبقى باب الاجتهاد مفتوحاً لمن بعده . وقد وجدت نفسى قريباً من هذين الأستاذين الجليلين دون أن أتمسح بهما ، أو أهجم بجهلى على علمهما . واستمرت صلتى بأمين الخولى وتوثقت إلى أن لحق بربه ، وعندما عدت إلى الجامعة لأتعلم من جديد مع طلابى سرت على دربه ، حتى أذن الله فعدت مرة أخرى وأخيرة إلى حبى الوحيد : الكتاب .



كتاب
الهلال
يقدم

القلق في حياتنا الشخصية والاجتماعية

تأليف:
د. عبد الستار ابراهيم

يصدر
٥ ابريل ١٩٩١

روايات الهلال
تقدم

دروس التنفس

تأليف:
آن تيلر

ترجمة:
عبد الحميد فهمي الجمال

تصدر
١٥ ابريل ١٩٩١

● مع الرسول فى شهر الصوم ●

● نعيش الشهر المبارك مع رسولنا الكريم حيث علمنا أن الصوم أسلوب تربوى ووسيلة هامة للتوبة وتغير العادات الخاطئة والسلوكيات الفاسدة فهذا الجو الروحى والسمو النفسى يولد بالعقل عراكا حيا لمراقبة النفس حول ما تعمله .. فيسهل على النفس إقتلاع الكثير من عاداتها وسلوكياتها الفاسدة . وأول ما يعلمنا الرسول أن "الصوم نصف الصبر والصبر نصف الإيمان" (رواه الترمذى والبيهقى) وروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس بالخير وأجود ما يكون فى رمضان . وكان عليه السلام إذا رأى هلال شهر رمضان يقول :

"اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام . ربى وربك الله . هلال رشد وخير" (رواة الترمذى) .

وقال عليه السلام عن نية صوم شهر رمضان : "من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" (رواه أحمد والشيخان) .

قال رسولنا الكريم : "إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم" (أخرجه الشيخان) .

وقال صلى الله عليه وسلم : "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه" (رواه البخارى وأبو داود والترمذى) .

وفى منزلة الصيام والقرآن يقول رسولنا صلوات الله عليه وسلامه :

"الصيام والقرآن شفيعان للعبد يوم القيامة . يقول الصيام رب منعته الطعام والشراب بالنهار ويقول القرآن منعته النوم بالليل .. فشفعنى فيه .. فيشفعان" (رواه أحمد) ويقول عليه السلام : "لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر" (رواه البخارى ومسلم) .

وعلى الصائم إذا افطر أن يقول كما كان الرسول الكريم يقول : "اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت" (رواه أبو داود عن معاذ بن زهرة) .

وكان الرسول صلوات الله عليه وسلامه يتناول سحوره بالقرب من الفجر فالسنة فى تأخير السحور ، قال صلى الله عليه وسلم : "تسحروا فإن فى السحور بركة" وقد اختار الله سبحانه وتعالى هذا الشهر المبارك للصوم مع أن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا لأنه عند الله طيب مبارك فقد بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وفيه نزل القرآن "شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان" (سورة البقرة الآية ١٨٥) .

وفى هذا الشهر ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر .. قال تعالى : "ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر .. سلام هى حتى مطلع الفجر" (سورة القدر الآية ٣ ـ ٥) .

وصدق رسولنا الكريم إذ يقول : "إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين" (رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة)
تقبل الله منا ومنكم صيامنا وقيامنا وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

صلاح عبد الستار الشهاوى
دمشيت ـ طنطا ـ غربية

● اقتراح لشهر رمضان ●

● اقترح على الدول الإسلامية أن تحدد المناسبات العظيمة فى شهر رمضان وتحتفل بها كل عام عند حلول هذا الشهر الكريم لاحتفالات تعم الأقطار الإسلامية والعربية كلها ، وتكون من أوثق أسباب الاتحاد والتعاون بين هذه الأقطار ، ومن هذه المناسبات التى كان لها أثر على المسلمين جميعاً :

ـ موقعة بدر الكبرى .
ـ موقعة عين جالوت التى انتصر فيها المسلمون على التتار فى القرن الثالث عشر الميلادى .. والقرن السابع الهجرى .

فضلا عن تحديد ليلة للاحتفال العلم فى بلاد الإسلام بيوم نزول أول سورة من القرآن الكريم ، وهل هى ليلة القدر ، أم ليلة أخرى ، وإن كان الأرجح أنها ليلة القدر لقوله تعالى : إنا أنزلناه فى ليلة القدر .

إن الاحتفالات بمناسبات كثيرة مشتركة بين الأقطار العربية من أندونيسيا شرقاً إلى المغرب غرباً ، ومن أوزبكستان شمالاً إلى اليمن والصومال جنوبا ، وما بعدهما من جزر المحيط .. إن هذه الاحتفالات المشتركة ستكون حافزا للعمل المشترك لصالح الإسلام والمسلمين .

محمد عبد الرحمن سليمان
أبو تيج

● الآذان فى رمضان ●

سرى الأذان فى دمى
ففك روحى التى تجمدت
فرفرفت إلى منازل الصفا .
"بلال" يرفع الأذان فى الصحابة الأول
"محمد" ينظم الصفوف ، الجهاد ، الصلاة ..
يمنح المقيمين ـ بالبعاد ـ فسحة الأمل

فيتشرون هديه على المدى
يسلم الأذان للأذان من بداية الزمان ..
صاعدا يطامن الأجل !!
سرى الأذان بى وحين عاد بى
رأيت طائر الأسى يرف ...
والسنا يجف غائما فيحكم اغترابنا
ومن هنا أعادنا الأذان للحمى ..
ولف ـ بالسماء ـ أرضنا !!

عبد الرحيم الماسخ ـ سوهاج

• الفارس •

طالعاً فى كل يوم غرة الصبح وحيدا
طيب القلب .. نقيا .. وتقيا .. وعنيدا
شاهرا قلبك مهرا ..
وأمانيك شهودا
راشقاً سيفك فى رحم الليل ..
ثريات .. وأطفالا .. وعيدا
وعبيداً حطموا القيد فعادوا عبيدا
كل يوم تعتلى صدر المنابر
والطريق إلى المقابر
تصفع الأحساب والأنساب والدهر المكابر
فارسا كنت ..
وأشياخ القبيلة .. يعرفونك
فارسا كنت ..
وأصحاب الفضيلة .. يعرفونك
فارسا كنت .. وها أنت
على سور المدينة
يحتويك الصمت .. والنسيان
والدم .. والضغينة
والمواعيد الحزينة
مزق التاريخ أوصال الرواية .. والرواة
وامتطى فيك هواه



صرت تهيأ للحواة
والروايات المهينة

محمود عبد الحفيظ عبد العزيز
كفر صقر - شرقية

● العيوب العروضية ●

● كتبت قصيدة من بحر البسيط ، وأنشدتها على بعض الأساتذة فقالوا : إن أوزانها صحيحة ولكن فيها كثير من "الخبن" .. فهل وجود الخبن فى الوزن عيب خطير ، وما هو الخبن من الناحية العروضية ؟! .

الشاعر الناشىء
حسيب هبة الله رجب
الإسكندرية

● تعليق الهلال :

- لا نظن أن هؤلاء الأساتذة قصدوا أن ينتقدوا أوزانك فهى صحيحة ، ولكن معانيك مازالت تحتاج إلى نضج .. وليس "الخبن" عيبا فى الوزن ، وإنما هو حذف الثانى الساكن نحو "متفعلن" بفتح التاء وإسكان الفاء فى "مستفعلن" .. ونحو "فعلن" بكسر العين فى "فاعلن" .. وستجد الخبن فى كل الشعر الجيد ، ومن ذلك قصائد كثيرة من بحر البسيط الذى تقول إن الأساتذة أعجبتهم قصيدتك فيه .. وقد كنا فى صبا نحفظ قول أمير الشعراء شوقى :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

و"الخبن فيه" ظاهر ، وطبيعى جدا ، ولا يعده عيبا إلا عروضى جاهل ! .. ويدهشنا اشتغال بعض الناس بهذه التفاهات الآن ! .

● شموس الهجر ●

... وصعدت إلى رأس الهرم الأكبر
وكتبت (أحبك) بالحبر الأحمر
لكن القلب يسطر من دمه

وشموس الهجر تبخر ما سطر

عبد العزيز الشراكى - المنصورة

● مجلة أسبوعية ●

● اتمنى ان ارى الهلال مجلة اسبوعية حتى لاينتظر القراء شهراً كاملاً حتى يأتى العدد الآخر لأن ذلك يسبب لنا نحن القراء نوعاً من الحزن فى الوقت الذى تملأ المجلات الهابطة سوق الصحافة .

فارس عبد الشافى عطية
مدرسة شبراخيت الثانوية

● تعليق الهلال :

- نشكرك يابنى ، والحقيقة ان اهتمام طالب فى المرحلة الثانوية بقراءة المجلة الثقافية شىء نادر فى ايامنا هذه .. ولكن لابد من التنبيه إلى أن العالم كله يعرف المجلات الشهرية التى لايمكن أن تتحول إلى مجلات اسبوعية ، فالمجلة الشهرية غير الأسبوعية وغير الجريدة اليومية ، وهذا من بديهيات علم الصحافة وصناعتها .. وقد نشأت "الهلال" شهرية منذ مائة عام تقريباً ، فهل تظن أنها لبثت غير قادرة على الصدور أسبوعيا طول هذه المدة المديدة ؟! .. كلا ، وإنما هى مجلة شهرية بمادتها ومنهجها .. وعندما أراد أصحاب مجلة "الهلال" - أبناء جورجى زيدان - إصدار مجلات اسبوعية فإنهم أصدروا مجلات أسبوعية كثيرة ، إختفى بعضها ومازال بعضها يصدر عن دار الهلال مثل المصور وحواء والكواكب وسمير وميكى وغيرها .. والخلاصة ان المجلة الشهرية مجالاً غير مجال المجلة الأسبوعية ..

● ذكرى يمامة ●

ويمامة ..
حطت على غصنى الندى
نقرت على أوراقه
فأخضرت النسمات تحت شجيرتى
وتناثر الأحباب تحت أريجها النقى ،

قراوا كتاب البهجة ..
كانت عيونهم طيور محبة
ترنو لظل النور فى قلبى الذى
مذ كان طفلاً
يستظل بدمعتى !

يوسف عبد العزيز على
قنا - كلية الآداب

• بــوح •

مسافر أنا
يركب نورك المدى
وعائد مع الصدى ... مسرمدا
فلا يجوز للسراج أن يظاهر الوهج ؟
ولا يحل للربيع أن ينافر العبق
ولا تعيش نجمة بلا أفق
ولا ... ولا
ياعمرى الذى مضى
دمى الذى همى
وأرضى التى تخضبت بلون عرسنا الكذوب
حلمنا اللعوب قائم على الجمار والنصل
وهل دمى المراق
يستطيع أن يقيم صهوتى التى كبت ؟
وفورتى التى خبت ؟
وأمرى الذى انقضى ؟
وهل لمثلى أن يراود الفناء
بعد ما تشرب الخلود
من نبعك الجذور والوطن ؟
كل الذى بدأته معك
حررته .. وقفته عليك
أعيده ...
فلنستعيد عشنا الذى احترق
وطيرنا الذى انطلق
ولم يحط



أنا لديك مامضيت رغم ما مضى

رفعت عبد الوهاب المرصفى
القاهرة ـ حدائق شبرا

• أمى •

أمى لها فى الحياة ...
عادات قديمة ..
وحزن مخيف ..
كحزن الجنائن حين الخريف
تبعثر اوراقها الذابلة
وفرح طفيف ..
يبدل أثوابها القاحلة
أمى تخاف ..
تعشق صمت الشفاه .. وبعض الركوع
أمى تخاف ..
وعند المشايخ .. تطلب منى الهداية ..
وبعض الخضوع ..
لكيلا تضيع الحياة ..
يضج بعمقى أزيز السكوت
فيلهب منى لسانى .. أصرخ
يخرج منى كلامى .. فقاعات غاز سخيف ..
تسقط أمى ..
المح بعض البياض .. يزحف فى رأسها
وبعض انكسار الزمان ... في عينها ..
أهتف ..
يخرج منى هتافى .. سحابات غيظ كثيف ..

السيد ابراهيم عطية
كفر صقر ـ شرقية

أنت والهلال

● مع الأصدقاء ●

● سومة خليل حسين ـ مدرسة مواد تجارية بمدرسة كفر صقر :
ـ نشكرك على زجلك الذى مطلعه "السمرا الحلوة المصرية سحرتنى عيونها العسلية" .. ونحن مجلة للعرب جميعا ولهذا ننشر الكلام المكتوب باللغة الفصيحة فقط ، أما الشعر العامى فلا تتسع له صفحاتنا مع الأسف ..

● السيد ابراهيم عطية ـ كفر صقر :
ـ قصتك القصيرة "المشهد" تنقصها عناصر القصة ، ونحن نراك تكتب شعرا ، فلماذا لا تركز جهدك فى الشعر ؟!

● إسلام فارس حواس ـ كلية التربية الموسيقية :
ـ اكتب إلينا ما تريد كتابته وسننشره إن كان يتفق ومنهج الهلال ..

● السادة الأساتذة : محمد علي بكر جميل .. ايمن حسين عبد المنعم .. طه فخرى فرج .. عاطف محمد عبد الموجود الجزار .. محمد ابراهيم الفرحاتى .. صلاح عبد الستار الشهاوى .. هيثم عزت على سويلم .. سعاد الصلوى .. احمد محمود المالح .. شحاتة ابراهيم محمود .. درهم جبارى .. جمال الدين عبد العظيم .. ابو بكر محمد حسانين .. عماد رفعت السيد بكر .. زارع عبد الراضى رضوان .. فارس خليفة حافظ .
ـ نشكر لكم نفثات اقلامكم فى الشعر ، ونسألكم مزيداً من الاهتمام بالأوزان ، لأن الأوزان شىء أساسى فى الشعر ، سواء كان شعراً تفعيلياً أو مكتمل البحور ..

● ونذكر بالشكر اصدقاؤنا السادة الفضلاء : رمضان عبد اللطيف حامد .. السيد عبده السمرة .. خالد السيد على .. عاصم فريد البرقوقى .. فارس عبد الشافى عطية .. عماد عارف الشيمى .. الحسينى الهادى خلف .. عمرو محمود على .. احمد خضير .. محمد امين عيسوى .. تمام سليمان مخلوف .. محمدى حسن الشافعى .. خالد لطفى .. خالد حمدان محمد ..

الكلمة الأخيرة

صديقي الرئيس

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا



رئيس المؤسسة التى اعمل بها مثل الكثيرين من الرؤساء ، رجل من الصعب ان تعرف ماذا يدور فى رأسه بالتحديد ، يميل الى الصمت ، يجيد الاستماع ، اكثر كلماته اسئلة منتقاة او تعقيبات موجزة تفتح افاق النقاش ، لاتعرف ماذا يريد الا بعد ان يصبح قرارا نافذ المفعول !

من خلال قراراته كنت اكتشف ان ما اطرحه من اراء او ملاحظات خلال الاجتماعات يلقى قبولا عنده ، ويحتل مكانا فى سلم اولوياته وقراراته ، وكان هذا يعنى اننا نقترب اكثر ، ونتحاور اصدق واعمق ، متى بدأت اكتشف ان رئيسى فى المؤسسة يقترب منى كصديق ؟؟

ربما حين بدأ يأخذ ارائى فى أمور تكاد تكون شخصية ويحكى هموما تكاد ان تكون خاصة ، ولم اكن فى حاجة الى ذكاء كبير لادرك ان رئيسى يتحول الى صديق ، ذات يوم دعانى رئيسى فى المؤسسة الى لقاء فى بيته ، اعرف انه كان يلتقى فيه بعدد من اصدقائه القدامى من ابناء جيله يتحدثون فى أمور لاعلاقة لها باى عمل ، وكنت اشعر انه يريد بهذه الدعوة ان يبلغنى رسالة موجزة معناها اننا اصبحنا بالفعل اصدقاء ، رغم انف علاقة الرئيس بالمرءوس ، ووجدتنى اعتذر عن تلبية الدعوة بقدر هائل من اللباقة والاسى !

كنت بدورى اود ان اوصل له ردا على رسالته اقول له فيه "من الصعب ياصديقى الرئيس ان نكون اصدقاء ، رغم ما بيننا من توافق رائع فى منحى التفكير ، وفى منظومة القيم التى تشكل الكثير من نظرة كل منا للأمور ، فلازلت انت تملك فى يدك اشياء كثيرة لااملكها لكى اصبح صديقك !

فانت لازلت تؤثر ان تملك حق ان تبدأ اى حديث ، وان تضع نهاية له !

ولازلت انت الذى يقرر متى يكون الحديث جادا ومتى يسمح المقام بالهزل او بالسخرية ؟

لازلت انت الذى يحدد متى يكون النسيان عذرا بشريا مقبولا ومتى يكون اهمالا مهينا شنيعا لايغتفر ؟ !

متى يكون الاعتراف بالخطأ شجاعة ادبية ، ومتى يكون مجرد اعتراف بالذنب !

لازلت انت الذى يضبط الجرعة والايقاع ويحدد المعايير النهائية فى كل ماليس بشأنه اتفاق واضح مسبق !

تفعل هذا فى امور الصداقة ـ وربما دون ان تقصد ـ كما تفعله فى امور العمل !

انت الرئيس ياسيدى وستبقى كذلك طالما بقيت رئيسا !"

ترى هل يمكن ان تصل رسالتى بهذا الوضوح الى صديقى الرئيس حين يبلغه اعتذارى عن دعوته .. ؟ لا اظن لكنها يمكن ان تصل الى الصديق الذى لن التقى به ابدا !!


EGYPTAIR
مصر للطيران

مايو ١٩٩١ • ٧٥ قرشا

الهلال

إحراق كاتب

زواج المتعة

جولة مع مماليك مصر

الهلال

مجلة ثقافية شهرية تصدرها دار الهلال
أسسها جرجي زيدان عام ١٨٩٢

السنة الثامنة والتسعون • مايو ١٩٩١ • شوال ١٤١١ هـ

الإدارة : القاهرة - ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا)
ت : ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط)
المكاتبات : ص ب : ٦١٠ العتبة
الرقم البريدي : ١١٥١١ - تلغرافيا المصور - القاهرة ج . م . ع .
مجلة الهلال ت : ٣٦٢٥٤٨١
تلكس : Hilal 92703
فاكس : FAX : 3625469

حرية الكاتب ، وحرية الفكر والتعبير هي التي يستمد منها الكاتب مكانته ، ويتمكن على أساسها من ابداء رأيه ، وطرح فكره حتى اذا كانت هذه الاراء ليست على هوى البعض ، او لاتروق لبعض دوائر الرأي العام ، كان مصير الكاتب التعذيب حتى الموت .

وهكذا كانت مأساة لسان الدين الخطيب الذي لم يكن على هوى السلطان ، فكان جزاؤه كتم انفاسه وقتله خنقا ، ثم اخراج رفاته في اليوم التالي لدفنه واحراق جثته .

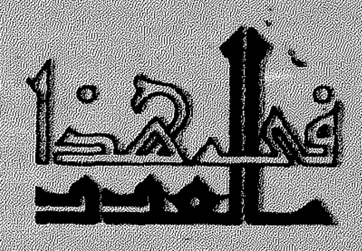
نفس الشيء حدث مع الشيخ علي عبد الرازق ، لكنه كان بشكل مختلف حيث صودر كتابه « الاسلام وأصول الحكم » الذي هز الحياة الفكرية في مصر فضلا عن كتاب « في الشعر الجاهلي » لطه حسين .

اتهم الأزهر علي عبد الرازق بالزندقة ، ومنع من التدريس ، بالرغم من انه احد الذين نجحوا في ارساء دعائم الفكر الحر في الاسلام . ومع هذا الارهاب الذي تعرض له الرجل ، فقد تأثر به المفكرون ولعشرات السنين .

ذلك الارهاب حدث للشاعر الكوبي أرماندو فالادار حيث غيب في السجن لمدة ثلاثة وعشرين عاما مقابل قصيدة واحدة ، كما دفع حياته ثمنا لكتابه « ذكريات السجن » .

نتناول في هذا العدد ثلاثة موضوعات تلقي الضوء على ان الكاتب لايمكن ان يبدع بدون الحرية ، ولكن أي حرية تلك التي يدفع حياته ثمنا لها ؟

إنها المبادىء والمثل والقيم التي لا حيا كاتب او شاعر او مفكر بدونها .



فكر وثقافة



الغلاف بريشة الفنان :
محمد ابو طالب

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحاد البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر أنحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية أو حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

رسائل صحفية

فنون

شعر وقصة

الأبواب الثابتة

ثمن النسخة

الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ١٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، الجمهورية اليمنية ١٠ ريالات يمنية ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر ٧ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم ، سلطنة عمان ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، انجلترا ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٧٠٠ ليرة ، الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ سنت ، كندا ٥ دولارات ، السودان ١٥ جنيها سودانيا .

« الربيع على تخوم العرب والمسلمين »

في مايو – أيار – يولد الربيع الحقيقي ويبدأ في الاستقرار بعد ولادة متعسرة طويلة تمتد شهر ابريل كله ، ويجرى خلالها مايشبه القتال بين البرد والحر ، والنسيم العليل والعواصف العاتية .. يريد كل من الشتاء والربيع ان ياخذ مكان الآخر ، ولكن السنن الكونية تنتصر ، فينهزم الشتاء ويجيء الربيع ، وتستمر صيرورة الحياة الدائمة ! ..

هل هذا "السيناريو" هو مايشهده العالم الآن ، وما تشهده مصر والأمة العربية والإسلامية من انحسار نظام عالمي قديم ، وزحف نظام عالمي جديد ، واشتباكهما في جدل تاريخي يتراوح بين المد والجزر ، أشبه بالجدل الذى شهدناه بعيوننا هذا العلم ، وفي كل علم ، بين الشتاء والربيع ؟! ..

إن الطبيعة تكرر نفسها كل علم ، في فصولها الاربعة ، ولكن التاريخ لا يكرر نفسه ، وليس له فصول أربعة ، ولا توجد نهاية للتاريخ كالنهاية الوهمية التى سارع بعض الدجالين في الغرب إلى تبشير العالم بها بعد انهيار الأنظمة الماركسية في شرقي أوربا وفي الاتحاد السوفييتي ..

فإن التاريخ الذى سحق هذه الأنظمة بعد سبعين عاما من قيامها واستقرارها ، لن يجامل الأنظمة الأخرى في العالم ، إذا توافرت عوامل انكسارها وانحسارها ، بل إنه لن يجامل امة من الأمم بملايينها الكثيرة إذا توافرت أسباب انقراضها وزوالها ، فليست أمة الهنود الحمر هي الأمة الوحيدة التي أزالها التاريخ ، وليست الأمة العربية في الأندلس هي الأمة الأخيرة التى صارت تاريخا اهمله التاريخ ، بل إن "سيناريو"

النظام العالمى الجديد يمكن ان يؤدى فى النهاية إلى زوال امم وقيام امم اخرى .. وليست هذه نبوءة ، وليست صرخة ياس ، ولكنها صيحة بشير ونذير لنا نحن العرب وقد خرج فريق منا منتصرا من حرب الخليج ، وخرج فريق آخر منهزما ..

إن اكبر مايهدد الأمة العربية والأمة الإسلامية جمعاء اليوم ، هو حسبان القضية الفلسطينية فى الجانب الذى انهزم ، لأن هزيمتها فى صراعها مع الوحش الصهيونى ، هى ـ فى الواقع ـ هزيمة للفريقين المنتصر والمنهزم فى حرب الخليج !" .

ويحمل إلينا الفاتح من شهر مايو عيداً عالميا هو عيد الطبقة العاملة فى جميع انحاء العالم تقريبا ، وقد حمل إلينا شهر ابريل من قبل عيداً إسلاميا هو عيد الفطر المبارك .. ولهذين العيدين معاً فى هذا العام بوجه خاص معنى تاريخى لايخطىء رؤيته اهل البصر والبصيرة ..

فإن عيد العمل يجىء وقد سقطت الدعوة التى قامت باسمهم وانهارت "منظومة" الدول الساطعة التى كانت ترفع راياتهم ..

والغياث بالله تعالى ، والعياذ به وحده ، من أن يبلغ تفكك العرب والمسلمين درجة الانهيار والزوال وهم يواجهون التقلبات التاريخية الجديدة العاصفة ! ..

إن عيد الفطر بما حمله إلينا من المعانى ، قد ارشدنا إلى الطريق الصحيح .. فهل نميل إلى هذا الطريق ـ وهو طريق النجاة ـ ونسير فيه مشتدين إلى غاياتنا ، حتى نرى ازهار الربيع وانواره على تخوم الأمة العربية والإسلامية .. ام نتوقف مشدوهين حتى ننهار وينادى فينا لسان حالنا بقول شاعرنا ابى الطيب المتنبى ، مخترقا اسماعنا من وراء الف سنة :

[عيد باية حال عدت ياعيد

بما مضى ام لأمر فيك تجديد]



نصف قرن فى محراب العلم

ليست تجربتى وحدى ولكنها رحلة ومعاناة جيل!

بقلم : د. رشدى سعيد

فى هذا العام يكون قد انقضى على تخرجى من كلية العلوم جامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقا) خمسون عاما قضيت اكثر من نصفها فى التدريس بالجامعة وعشرا منها رئيسا لمؤسسة التعدين والمساحة الجيولوجية المصرية وباقيها استشاريا لعدد من المنظمات الدولية حاولت فيها خدمة المهنة الجيولوجية فى مصر.

وليست فترة الخمسين عاما فى خدمة فرع واحد من العلوم بالفترة القصيرة فهى تمثل جل الفترة التى عرفت فيها مصر هذا العلم - كما انه وباستثناء عدد يعد على اصابع اليد الواحدة فقد كنت واحدا من اوائل المصريين الذين دخلوا ميدان الجيولوجيا بل لعلى اكون اطولهم خدمة واصرارا على البقاء فى سلكها - وقد رايت ان استغل هذه المناسبة لاسجل بعض انطباعاتى التى خرجت بها من سنوات خدمتى لهذا العلم وما اعتراه من تطور يعكس بكل صدق نبض الأمة وجديتها فى الدخول الى ميدان التنمية فالعلم « الجيولوجيا » صلة وثيقة ببناء الصناعة التحويلية وتخطيط المنشآت الكبيرة والتوسع العمرانى فى صحارى مصر.

وعندما بدأت عملى بمهنة الجيولوجيا كان قد انقضى على تحجيم مصر محمد على مائة عام بالتمام قضتها مصر راسخة تحت اغلال الديون فالاستعمار وفيها تم هدم الصناعة التى كان قد تم بناؤها فى اوائل القرن التاسع عشر وتم اقناع المصريين بأن بلادهم زراعية فى الاساس وليس لاهلها أن يدخلوا ميدان الصناعة بأى شكل من الاشكال - وحتى العام الذى تخرجت فيه لم يكن ينظر الى كلية العلوم إلا أنها كلية لاعداد مدرسى العلوم للمدارس الثانوية أو لتزويد بعض الأجهزة الحكومية المحدودة العدد والحجم والتى انشئت فى اوائل القرن العشرين لرقابة الأسواق كمصلحة الكيمياء أو التمغة والموازين.



د . رشدى سعيد فى المعرض الصناعى عام ١٩٦٨ مع السيد حسين الشافعى ود . عزيز صدقى

كانت درجتى بمرتبة الشرف الأولى تؤهلنى لأن أكون معيدا بالكلية ولكن الانكماش المالى الذى زامن الحرب الكونية الثانية لم يتح للكلية أن تقوم بتعيينى بها كما لم تكن أحوال السوق المعتمدة أساسا على الزراعة التقليدية مناسبة لايجاد وظيفتين لاثنتين لخريجى قسم الجيولوجيا الوحيد بمصر عام ١٩٤١ فقد كانت عمليات التعدين والبترول استخراجية وبغرض التصدير فى الأساس كما كانت كلها بأيد أجنبية ـ على أن هذا العام شهد دخول ايطاليا الحرب مما أدى الى حراسة ممتلكاتها والتى كان من بينها شركة القصير للفوسفات التى كانت تستخرج حجر الفوسفات من جبال البحر الأحمر المطلة على القصير وتصدره وكذلك الى التحفظ على رعاياها مما ترك الشركة دون قيادة فقد كانت كل وظائفها وحتى مستوى رؤساء العمال بأيدى الايطاليين ـ وقد اتصل حارس الشركة زكى الأبراشى ، الذى كان يعمل ناظرا للخاصة الملكية ، بعميد كلية العلوم على مصطفى مشرفة فرشحنى وزميلى مصطفى عزت لملء هذا الفراغ وهكذا أوجدت الظروف لى وظيفة ولو كانت على غير ما تمنيت ـ كان قلبى كله مع اتمام دراستى العالية والقيام بالبحث العلمى الذى شغفت به ولذلك فقد قمت بتسجيل نفسى كطالب بحث بالكلية واحتفظت بعلاقة وثيقة بأساتذتى وعلى الأخص أستاذى الجليل نصرى شكرى الذى كان قد عاد لتوه من بعثة بالخارج مليئا

بالحماس ومحبا للعلم والبحث ـ وقبل أن انتهى من رسالة الماجستير التى كنت اعد لها تم تعيينى معيدا بكلية العلوم فى مارس ١٩٤٣ ومن هذا اليوم بدأت رحلة حياتى الحقيقية التى كنت اتمناها .

● حقائق الحياة العلمية ..

على أن العام والنصف الذى قضيته بشركة القصير للفوسفات كانت من أخصب سنى العمر إذ تفتحت فيها على حقائق الحياة العملية وتطبيقات العلم وكذلك على حقيقة مأساة المصرى وغربته فى بلده فقد كان عصب العمل بشركة فوسفات القصير هو عمال التراحيل الذين كانوا يساقون من بلادهم بالصعيد للعمل تحت السطح وعلى اعماق سحيقة فى ظروف شاقة وقاسية وكانت ساعات العمل ثمانى لم تكن تحسب فيها ما يأخذه النزول والصعود الى ومن تحت السطح من وقت (وكان يزيد عن الساعة فى الكثير من المناجم) ـ وكان الأجر اليومى للعامل قرشين ونصف القرش تدفع عن ايام العمل فقط .. ولم يكن للعامل تأمين من اى نوع فضلاً عن حق الشركة فى فصله فى اى وقت تشاء دون تعويض أو مكافأة عن نهاية الخدمة أو المعاش ـ كان كل ماتوفره الشركة للعامل عنابر مؤقتة للسكن ونصف صفيحة من الماء العذب فى اليوم وكانتين متواضع تباع فيه اساسيات الحياة من دقيق وسكر وشاى وانواع المعسل وبعض المعلبات الرخيصة الثمن ـ ولم يكن يسمح للعامل بأن يصحب معه امرأته أو عائلته التى كان يتركها فى الريف يعودها بين العام والعام وعند نهاية خدمته الشاقة التى كانت تجهز عليه ولما يتجاوز الخامسة والثلاثين من العمر على الاكثر ..

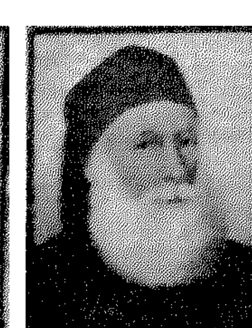
كانت شركة القصير للفوسفات تستخرج الخام بطرق نصف ميكانيكية فبعد تفجير حوائط المنجم يتم جمع الخام المفتت فى زنابيل تعبأ ، فى عربات حديدية تجر فوق قضبان الى خارج المنجم بأوناش وكان متوسط مايجمعه العامل حوالى مائة الى مائة وعشرة أطنان فى العام كان ثمنها فى ذلك الأوان حوالى مائتى جنيه كان نصيب العامل منها أقل من ثمانية جنيهات اجر فى العام ـ كانت شركة تدر ذهبا يذهب كله الى خارج مصر التى لم يكن من نصيبها اكثر من ضرائب رمزية ومكافآت عضو أو اثنين من كبار رجالات مصر الذين كانوا يجلسون بمجلس الأدارة لتسهيل مهام الشركة مع الحكومة .

هكذا كان حال مصر عندما بدأت حياتى العملية : شعبا مقهورا محصورا فى واديه الضيق لايستطيع الخروج منه دون تصريح ـ أراضيه الزراعية ملك لعائلات محدودة العدد تأخذ خيرها لتنفقه فى سفه مظهرى وشركاته الصناعية القليلة وامواله فى ايد اجنبية تنزح ارباحها الى خارج الحدود ـ كان التوسع الاقتصادى ضئيلا ولم تكن الوظائف متاحة إلا لمن لهم « الواسطة » التى كانت تنتهى فى نهاية المطاف الى دار « المندوب السامى » البريطانى الذى كان يقبع فى سفارته على شاطىء النيل بقصر الدوبارة يحرك كل خيوط السياسة فى مصر .

* * *

كان تعيينى بكلية العلوم فى وقت بدأ فيه الضغط الشعبى لزيادة فرص التعليم فى مصر وقد كان حتى دخولى الجامعة

محدودا لدرجة كبيرة فلم يزد عدد من قبلوا بكلية العلوم الوحيدة فى عام ١٩٣٧ عن سبعين طالبا على أن هذا بدأ فى التغير اعتبارا من عام ١٩٣٨ حين زيدت الأعداد المقبولة فى الجامعة وحين بدأ التفكير فى انشاء جامعة الاسكندرية التى افتتحت فى عام ١٩٤٢ ـ وقد قوبل صدور هذين القرارين باعتراضات شديدة من مسئولى ـ الجامعات فى ذلك الوقت ، فقد رأوا فيهما دون أن تقابلهما اعتمادات مالية مناسبة هبوطا بمستوى التعليم ـ كما أن انشاء جامعة الاسكندرية جاء فى وقت الحرب الكونية الثانية حين كان من العسير استجلاب الأساتذة من أوروبا ولم يكن بمصر فى ذلك الوقت فيض حاملى الدكتوراه الذى نراه الآن ـ وقد ظلت قضية التوسع فى التعليم الجامعى شاغلة للأذهان منذ ذلك التاريخ ـ تزيد القيادة السياسية اعداد المقبولين فى الجامعة وتتوسع فى انشاء الجامعات تحت الضغط الشعبى وتقبل القيادات الجامعية تلك القرارات على مضض وفى ململة واضحة وبدون ان تحرك ساكنا او تنظر فى مواجهة نفسها مع متطلبات هذه الزيادات ـ وقد اتيحت لى فرصة التنبيه الى هذه القضية فى عام ١٩٦٤ عندما شغلت لفترة تقل عن العام مسئولية التنظيم السياسى بالجامعات فقدت حملة دعوت فيها الاساتذة لمناقشة مشكلة ماينبغى ان تقوم به جامعة « الاعداد الكبيرة » من تطوير لمواجهة مافرضه العصر والآمال العريضة التى جاءت بزيادة فى اعداد طلاب الجامعات فغيرتها من مؤسسات للصفوة الى مؤسسات للشعب ـ ولخصت افكارى فى مقالين طويلين نشرا فى جريدة الأهرام وعلى الرغم من الاستجابة الطيبة





محمد على — جمال عبد الناصر

فإن الكلام والطرح لم يحز رضا بعض التيارات السياسية الخفية والتى كانت نشطة تحت السطح ايام حكم الرئيس عبد الناصر فقامت بالدس لى ثم بطردى من أمانة التنظيم السياسى واحلت محلى الدكتور رفعت المحجوب ..

وفى عام ١٩٦٥ حاول الدكتور عزت سلامة وزير التعليم العالى تطبيق بعض مقترحاتى ومستخدما نفس المصطلحات الجديدة التى ادخلتها فى مقالاتى ولكنه لقى نفس مصيرى ـ

والآن وبعد اكثر من خمس وعشرين سنة على اثارة هذه القضية فاننا نجد أن قضية التوسع فى التعليم الجامعى قد حسمت دون أن يواكبها توسع مماثل فى النمو الاقتصادى للبلاد وبدون أن تتطور الجامعات لمقابلة هذه الأعداد فأصبح الحال على مانراه : خريجون بدون عمل وعلى مستوى متحدر ..

لقد أصبحت معظم جامعاتنا اليوم ناقصة فى اساسيات عملها فى المكتبات والمعامل مكتظة بالطلاب بل وبالاساتذة الذين شغلتهم هموم الحياة يتسابقون للحصول على الحوافز والانتدابات والاعارات لدول الخليج ..

● اخصب سنى حياتى العلمية ..

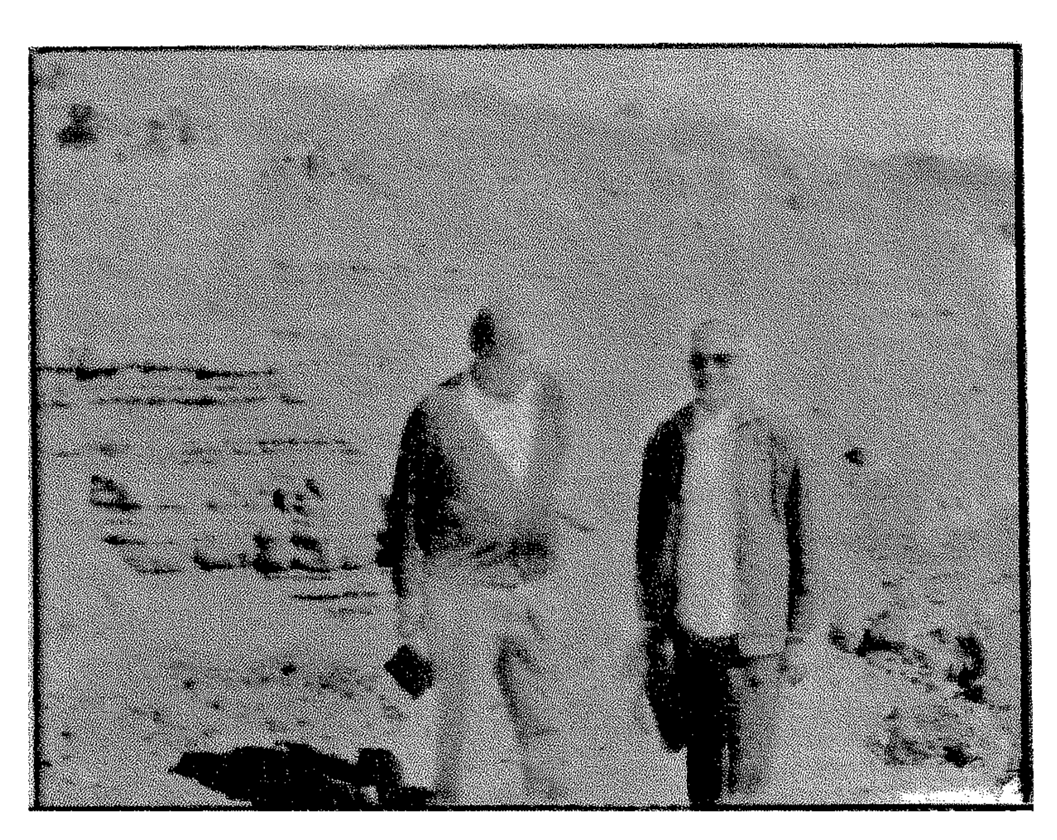
رشحت فى اعقاب تعيينى معيدا بكلية

العلوم لبعثة لاتمام دراستى بالخارج على أن يتم ايفادها حين تضع الحرب اوزارها وبالفعل تم ايفادى الى سويسرا فى شهر يونيه ١٩٤٥ بعد ستة اسابيع من استسلام المانيا - وقد وصلت مرسيليا على ظهر باخرة متهالكة اقلعت من بورسعيد كانت تقل جنودا فرنسيين وسنغاليين وهم فى طريقهم من الشرق الاقصى الى فرنسا - كانت اوروبا فى حالة يرثى لها من الفاقة وسوء التظلم وروح اليأس والثورة وعدم الرضا كما لم يكن بالجامعات السويسرية تخصص علم البترول الذى رغبته فلم يكن لسويسرا اهتمام بمادة البترول التى كانت حتى نهاية الحرب الكونية الثانية مادة الوقود الاساسية فى الولايات المتحدة الامريكية وعصب تقدمها الصناعى الكبير - وقد اقتنعت كلية العلوم بذلك وقررت نقل بعثتى الى الولايات المتحدة حيث التحقت بجامعة هارفارد التى حصلت منها على درجة الدكتوراة فى عام ١٩٥٠ قضيت بعدها عاما فى التدريس بتلك الجامعة كانت من اخصب سنى حياتى العلمية ففيها قمت بعدد كبير من الأبحاث التى نشرت فى امهات المجلات العلمية العالمية وذاع اسمى واصبح فى قوائم التبادل العلمى مع اساتذة العلم الذين زودونى بأبحاثهم عن طريق التبادل فأصبحت بذلك مكتبتى واحدة من المكتبات النادرة فى فرع العلم الذى تخصصت فيه وعندما تم التحفظ علىّ فى عام ١٩٨١ وكنت أقضى اجازتى خارج البلاد واضطررت أن أترك مصر لعدة سنوات لم اجد من يحفظ هذه المكتبة النادرة او يرغب فى اقتنائها فى مصر أو البلاد العربية بعد أن غضب على رؤسائها - على أنى وجدت هذه الرغبة من اجانب كانوا قد تأثروا بأبحاثى العلمية وكتاباتى - وهكذا تم نقل مكتبتى الى قاعة خاصة تحمل اسمى بمعهد الدراسات الافريقية بجامعة برلين فى علم ١٩٨٣ -

لم تكن حياتى الجامعية سهلة او ممهدة فمند عودتى فى عام ١٩٥١ وتعيينى مدرسا بالكلية كان تدريس مادة الجيولوجيا فى ايدى اساتذة لم ينل معظمهم حظ التعليم الحسن أو التدريب على الكتابة العلمية المبنية على الموضوعية والحكم المجرد - ولاشك أن وصولى الى الجامعة بهذا الكم الكبير من الأنتاج العلمى المميز كان صدمة لهؤلاء الاساتذة الذين لم يكونوا قد خبروا طريق البحث العلمى فسببوا لى الكثير من الصعوبات ..

كان همى كله هو بناء قسم رفيع المستوى للجيولوجيا يصبح ندا لاعرق الجامعات ولم يكن ذلك متاحا إلا ببناء الكوادر القادرة على القيام بالبحث العلمى - ولم يكن ذلك الأمر هينا تحت قيادات القسم فى ذلك الوقت والتى انشغلت لصرف طلاب الأبحاث عن العمل معى ولابعادى عن التدريس ولحجب الأموال والأجهزة عن معملى ولايكاد ان يكون هناك طالب بحث اتم دراسته العالية تحت اشرافى إلا وقد دخل فى معركة لاتمام تسجيله معى ..

على أن هذه المضايقات لم تضرنى على المستوى الشخصى بل على العكس من ذلك كانت حافزا الى العمل بل وأن بعضها كانت ذات فائدة - وأذكر مثالا لذلك ماتير فى علم ١٩٦١ لتنحيتى عن التدريس إلا من منهج صغير لايزيد عن محاضرة واحدة فى الأسبوع خلال الفصل الثانى من السنة - وقد استفدت



فى مشروع فوسفات ابو طرطور علم ١٩٦٩ وترى طبقة الفوسفات قبل تنميتها فى بدء المشروع .

من هذه الأجهزة الأجبارية احسن الاستفادة فقد اتاحت لى فرصة العمل المتصل لتأليف كتاب « جيولوجية مصر » الذى صدر من واحدة من اعرق مؤسسات النشر العالمية فى اوروبا وامريكا فى وقت واحد فى علم ١٩٦٢ وسرعان ما اصبح مرجعا ذاع صيته وترجم الى عدة لغات - اما على المستوى العلم فقد كان جو المكائد هذا بلاء على الكلية والجامعة والمهنة عامة فها اننذا بعد كل هذه الأعوام التى قضيتها آملا فى بناء جامعة رفيعة المستوى مرموقة المركز فإننى ارى ان الوضع قد تقهقر الى مستوى يثير الاسى فقد احتل اولئك الذين كانوا يدفعون الى تدبير المكائد مناصب الاساتذة كما انهم منحوا الامتيازات والأعارات الى جامعات الجزيرة العربية فتعثر نموها هى الاخرى وخاب الأمل فيها على الرغم من ثرائها الفاحش .

لقد تمت هزيمة جيلى على مستوى الجامعة بلا ادنى شك وكانت ملامح هذه الهزيمة قد بدت لى فى علم ١٩٦٨ عندما قررت أن اترك الجامعة بل وقبل تلك بسنوات .. كان قرارى لترك الجامعة نتيجة ظروف طريفة اثبتت لى بأنه لم يعد لى مكان فيها - ففى الستينات كانت وظائف الاستاذية محدودة بكراسى تنشأ بقرارات جمهورية ولما كانت كراسى جامعة القاهرة مشغولة فقد اضطررت لقبول كرسى الجيولوجيا العامة بجامعة الاسكندرية والذى وعدت عند قبوله بأنه سيتم ندبى الى جامعة القاهرة حتى استمر فى معملى الذى كان يحمل اسمى وذاع صيته بين المشتغلين بالعلم -ولكن

هذا الندب لم يتم لتصميم رئيس القسم حينئذ ليس فقط على عدم عودتى الى معملى بل وعلى حرمان الطلاب حتى من متابعة محاضراتى التى كنت قد بدأتها معهم فى اول العام الدراسى - ولم يكن قرار رئيس القسم هذا مستغربا فقد كان من قيادات جماعة الأخوان الذى كان نشاطه الاساسى وجهاده الأكبر هو فى تجنيد الطلاب عندما يصلون الى الجامعة فى تنظيمات الأخوان عندما كان ذلك ممكنا او فى تأليبهم على اساتذتهم من غير الأخوان عندما اصبح الأنضمام الى هذه التنظيمات محظورا وجالبا للأخطار - أما عن مقدرته العلمية فكانت شبه معدومة وهكذا تم ندبى الى جامعة عين شمس والتى ظللت فيها ضيفا دون مكتب لمدة عامين وفى هذا الوقت الذى اغتربت فيه عن الجامعات المصرية وبدأ اليأس فى قلبى وعلامات الهزيمة واضحة تلقيت دعوة من الجمعية الجيولوجية الأمريكية لالقاء سلسلة من المحاضرات بالجامعات ومؤسسات البحث العلمى الامريكية وهى دعوة توجه الى اثنين من علماء العالم من خارج الولايات المتحدة كل عام ويعتبر توجيهها تشريفا رفيعا ..

فقررت قبول الدعوة وبالفعل تم حجز مكان لى بالطائرة إلا أن اتصالا هاتفيا قبل ميعاد السفر بأربعة ايام غير من برنامجى فقد طلب منى الدكتور عزيز صدقى الذى رشح وزيرا للصناعة فى عام ١٩٦٨ أن اقبل رئاسة مؤسسة التعدين والأبحاث الجيولوجية . وهكذا ألغيت سفرى وبقيت فى مصر..

● فى مؤسسة التعدين

كانت مؤسسة التعدين فى حالة يرثى لها عندما وصلت اليها فى مايو سنة ١٩٦٨ - كانت حرب ١٩٦٧ قد تسببت فى ان تفقد مصر عددا كبيرا من مناجمها التى كانت تقع فى سيناء واجبرت حوالى ثلاثين الف عامل كانوا يعملون بمناجم المنجنيز والكاولين والجبس والرمال والفحم على العودة الى مصر بعد أن فروا امام العدوان الاسرائيلى واضطر من لم يكن له منهم مسكن بالقاهرة من قبول المبيت والعيش فى فناء المساحة الجيولوجية المصرية بحى العباسية بالقاهرة وقد ظل هؤلاء على هذه الحال وبدون أى عمل يذكر حتى وصولى بعد قرابة العام من عدوان ١٩٦٧ وفى هذه الأثناء تحول مبنى المساحة الجيولوجية المصرية الى « سويقة » بكل ماتعنيه هذه الكلمة من معان - كان فناء المؤسسة يفرش بالخيام للمبيت ليلا - وكانت الطرقات مليئة بقدر الفول وبائعى الامشاط ..

كان الجو كئيبا حقا ، مؤسسة انهارت معظم مقوماتها المادية ، وعاملون فى حالة اكتئاب وشكوى مستمرة دون أن يجدوا احدا ليهتم بامورهم ، او يستمع اليهم - كان هناك أرامل المفقودين فى الحرب والذين قطعت عنهم المرتبات ولم تحل مشكلة معاشهم وكان هناك مديرو المصانع الذين كانوا يعتمدون على الخامات التى تصلهم من سيناء ، والذين جاءوا الىّ يستغيثون من ان مصانعهم قد توقفت وكان هناك آلاف الموظفين الذين لم يرقوا لسنوات طويلة وكان لكل منهم شكوى ووراء كل واحد مأساة كما كان هناك آلاف العمال المؤقتين الذين عينوا على مكافآت يعيشون وهم خائفون من الفصل - ولم يكن لهيئة الأبحاث الجيولوجية هيكل تنظيمى

او حتى سجل بأسماء العاملين طبقا لتخصصاتهم ـ وفوق كل ذلك كانت المخازن مكدسة دون أى نظام بالكثير من محتوياتها فى صناديق لم تكن قد فتحت بعد ومكومة فى منطقة خلاء عرفت باسم « المنطقة المسورة » وكانت الخرائط والكتب واللفات والعدد فى كل مكان فوق الأسطح وفى الطرقات وفى صناديق مغلقة بالأحواش تركت وحالها منذ نقلها الى مكانها الجديد بالعباسية قبل ذلك بسنوات . كان كل شىء فى فوضى عارمة والناس فى روح معنوية واصلة الى الحضيض فقد حطت عليهم كارثة يونيه ١٩٦٧ وما سببته من بلاء للمشتغلين منهم بالصحراء فأفسدت معنوياتهم الى أدنى درك بعد أن انحدرت فى اعقاب تحقيقات كانت المخابرات الحربية قد أجرتها بالمؤسسة فى عام ١٩٦٤ لجمع بيانات عن بعض رؤساء شركات التعدين من رجال الجيش السابقين تصفية لحسابات بعض قيادات الجيش فى ذلك الزمان .. وقد أدت هذه التحقيقات الى تجنيد العملاء وسقوط الكثيرين الى هاوية الدسيسة والأيقاع بالغير مما اضاع بهيبة الادارة وترك قيادات المؤسسة عاجزة عن اتخاذ القرار ايثارا للأمان .

وجدت المهمة امامى عسيرة وفوق الأحتمال إلا أن مالقيت من حماس الجيل المتوسط من العاملين بالمؤسسة والذى تتلمذ الكثيرون منهم على يدى للمساهمة فى البناء شحذنى على العمل للخروج من هذا البلاء فوضعت خططاً للتنفيذ أوكلت أمر القيام بها إلى هذه القيادات المتوسطة وشملت هذه الخطط حصر الموارد البشرية المتاحة وتنظيمها فى سجلات ثم تسكينها فى هيكل وظيفى تم وضعه ليناسب ما كان فى تصورى من شكل نهائى للمؤسسة وجهازها البحثى الذى اردته جهازا مركزيا يكشف ويقيم خامات مصر المعدنية بل ويقوم بدراسة جدواها ثم تنميتها للاستخراج والاستخدام ـ كما شملت الخطط اعادة تنظيم مبنى المساحة الجيولوجية بالعباسية وبناء مخازن جديدة فى المنطقة المسورة ، واعادة توزيع حجرات المبنى .. وتجميل مداخله ـ اما من الناحية الفنية فقد وضعت خططا تنفيذية لبرنامج طموح للكشف عن معادن مصر وخاماتها والبدء فورا فى تقييم وتنمية خامات بديلة لتلك التى كانت فى سيناء وكان بعض هذه الخامات مجرد تسجيلات علمية خلال الأبحاث العلمية التى كنت اقوم بها فى صحارى مصر عندما كنت بالجامعة وهكذا امكن فتح مناجم جديدة فى اقل من العام لتحل محل تلك التى فقدت فى سيناء ، وفى نفس الوقت اعدت احياء مشروعات تعدينية كانت قد توقفت او تعثرت كما بدأت فى تنفيذ برامج طموحة لتطوير شركات التعدين ودراسة احتياطياتها وتحسين انتاجها كما بدىء فى دراسة جدوى مشروع ضخم اصبح بالنسبة لى حلما من الأحلام هو مشروع فوسفات ابو طرطور الذى كانت خاماته تسجيلا فى بعض الأوراق العلمية المغمورة ـ وقد ادت كل هذه المشروعات الى الاستفادة الكاملة من كل العمالة المعطلة بل وتم انشاء مالايقل عن الفى وظيفة جديدة ـ وهكذا اعيدت للمؤسسة روحها ـ كانت الصحراء تعج بالعمل بها ثلاثمائة وخمسون جيولوجيا ومهندسا يخدمهم اكثر من ضعف هذا العدد من العمال والفنيين والاداريين ينتظمون فى بعثات متعددة توزعت فى كل

انحاء الصحارى وفى اعمق اعماقها وكانت تخدم هذه البعثات مئات السيارات التى كانت تحمل لهم المؤن والماء والبريد وتنظم سفرهم وراحتهم - وكانت تخدم هذه السيارات والعدد المنجمية العاملة ورش امتدت على طول الصحراء - وكان للبعثات نظام لتسجيل اعمالها وشئونها المالية حتى يمكن معرفة تكلفة كل واحدة على حدة كما كان لها نظام لتسجيل ملاحظاتها العلمية ومراجعة بياناتها واستخراج النتائج منها ثم توثيقها فى مركز اسس خصيصا للمعلومات ، أصبح فى خلال سنوات واحدا من اكثر هذه المراكز نظاما واعطيت للبعثات فرصة عرض نتائج اعمالها فى محاضرات عامة كانت تنظم كل عام فى قاعة محاضرات جديدة اعددتها خصيصا لهذا الغرض وكانت احسن التقارير والنتائج تشجع بالمكافآت المالية وشهادات التقدير - كما تم تأسيس حولية علمية لنشر أهم البحوث التطبيقية التى كانت المؤسسة تقوم بها لكى تكون اعمالها فى متناول الجميع واعيد نشر التقرير السنوى للأعمال حاويا لاهم المنجزات سجلا يرجع اليه الباحثون فى مستقبل الأيام .. وخلال هذه العملية التنظيمية سبقنا الكثيرين فى ادخال الكومبيوتر فى اعمال الهيئة لضبط حساباتها وتنظيم سجلات العاملين فيها كما ادخلنا نظام ايام العمل الخمسة فى الأسبوع قبل أن تتبناه الكثير من الهيئات بسنوات طويلة .

وهكذا تم نقل هيئة الأبحاث الجيولوجية الى هيئة ذات برنامج طموح ودور هام فى تنمية موارد البلاد التى كانت تحتاج اليها لتخطيط صناعاتها وارتفعت هامات رجالاتها ووجدوا انفسهم بعد ضياع وكنت قد قررت فى عام ١٩٨١ أن ازيد من هذا الوجود وأن ابين للابناء والرأى العام التاريخ المجيد لهذه الهيئة وما أدته من أعمال عبر تاريخها الطويل فقررت انتهاز فرصة مرور خمس وسبعين سنة على تأسيس « مصلحة » المساحة الجيولوجية للاحتفال بهذه المناسبة وتم الاحتفال بالفعل فى نفس مبنى المساحة الجيولوجية الذى سبق ووصفت صورته وبعد تطويره وفى قاع المحاضرات الجديد ودعوت للاحتفال مسئولى الصناعة بمصر وكل من عمل بالهيئة فى سابق زمانها وكذلك مديرى المساحات الجيولوجية فى العالم - وقد بهرت الهيئة فى شكلها الجديد المدعوين - وعلى الأخص مديرى هيئات البلاد العربية الذين سعوا الينا فيما بعد لتطوير هيئاتهم وقد فعلنا ذلك فعلا فى بعض من هذه البلاد بكل الاعتزاز ..

على أن هذا الحال من الجدية فى العمل لم يدم طويلا فما أن حطت حرب ١٩٧٣ اوزارها حتى بدأت سياسة الدولة فى التراجع عن بناء الصناعة أو تعزيزها ورأت فى تهجير العمالة والتركيز على النشاط الخدمى والسياحة والتوسع فى الاستدانة مخرجا من الأزمة المالية التى تلت هذه الحرب وهكذا تبدلت السياسة العامة للدولة تدريجيا حتى بلغت ذروتها بابعاد القيادات القديمة وتصفية المؤسسات الصناعية واهمال اجهزة البحث العلمى الوطنية اعتمادا على الخبرات الأجنبية التى بدأت تتوافد على مصر بشكل لافت منذ منتصف السبعينات ..

● ● ●

انقسمت السنوات العشر التى قضيتها رئيسا للمؤسسة الى فترتين تتساويان فى المدة :

تميزت الفترة الأولى وحتى عام ١٩٧٤ بالتركيز على بناء الصناعة الوطنية فى محاولة لبناء جهاز انتاجى يعتمد على الخبرة الوطنية وكان ذلك عاملا هاما فى تشجيع مؤسسات البحث العلمى وفى هذه الفترة أصبح لمهنة الجيولوجيا مكان مرموق فقد كان عليها ايجاد الخامات المناسبة لقاعدة الصناعات التحويلية التى كانت تعتمد عليها عملية التنمية فى الستينات - اما الفترة الثانية فقد تبدلت النظرة فيها واصبح مخرج مصر ومستقبلها هو فى حقل الخدمات والاعتماد على رءوس الأموال والخبرة الأجنبية وفيها ذوت الصناعة ، وعملية التنمية ومراكز البحث العلمى وانحدر الحال بالمؤسسات الوطنية فى هذا الجو العام وكان علم الجيولوجيا بغير فائدة وفى هذه الفترة رأى احد كتاب الأعمدة اليومية فى الصحف القومية ان يقوم بحملة يدعو فيها الى اغلاق اقسام الجيولوجيا بالجامعات وقد زاد الطين بلة ما اشاعه بعض الافاقين الذين بدأ سيلهم يصل الى مصر فى منتصف السبعينات من ان الاقمار الصناعية الامريكية وما ترسله من صور من الفضاء يمكن ان تحل محل علم الجيولوجيا فهى قادرة على الكشف عن المعادن ومكامن البترول ومخازن المياه الجوفية وكل ما تشتهيه الانفس فالتكنولوجيا الأمريكية قادرة على كشف الاسرار وحل المعضلات دون تعب - ومن أسف ان هذه الدعوة لاقت قبولا فاستطاع واحد من هؤلاء الباعة ان يؤسس بداخل أكاديمية البحث العلمى المصرية وحدة مستقلة باع بها « الترام » لبعض المسئولين الذين كانوا يسلكون مسالك العوالم وهم يحيلون دراسات جدوى مشروعاتهم الى هذه الوحدة التى لم يكن لنتائجها او تقاريرها اية فائدة دون أن تسندها اعمال المختصين الذين يستطيعون الاستفادة من هذه الصور ..

وقد صاحب التغير فى السياسة العامة للدولة فى منتصف السبعينات انتشار الفساد والصفقات المشبوهة على مقاييس واسعة ، فلم استطع على سبيل المثال تنظيم قرار ادخال القطاع الخاص فى عمليات التعدين بأى شكل من الاشكال فقد فشلت محاولتى فى جعله منتجا وعاملا فى اطار يحفظ الثروة المعدنية من التبديد وحاميا لاصحاب رءوس الأموال الذين كانت تنقصهم الخبرة ، ولكن هذه العمليات التنظيمية لم تفلح فقد كانت تأتينى الضغوط من كل جانب وحتى من الوزراء لتقسيم لترك الأمر « سداح مداح » وكانت النتيجة فسادا منقطع النظير هناك من يأتيك طالبا ترخيصا لاستخراج معدن ما فى مكان معين وعندما تبلغه بأن هذا المكان لايحمل من المعدن كميات اقتصادية وأن دراسات المؤسسة اثبتت بما لايدع اى مجال للشك ان مشروعه فاشل مائة فى المائة فإنه يصمم ويلح للحصول على الترخيص ويأتيك بتقارير عن جدوى مشروعه ممهورة بإمضاء بعض اساتذة المركز القومى للبحوث فيسقط فى يدك وتعطيه الترخيص وانت آسف لحاله - ولكنك تعرف فيما بعد ان الأمر لم يكن إلا عملية نصب كبرى - يأخذ الرجل الترخيص ومعه التقرير الذى اعده الاساتذة الى البنك لتمويل مشروعه ويحصل على القرض وينشأ شركة تقوم ببعض الأعمال المظهرية التى تنتهى - كما كنت اتوقع - بالفشل ولكن فى خلال هذه العملية يكون هذا المستثمر الظاهر قد نزح الأموال من البنك الى جيبه الخاص

بعد ان أصبحت معدومة لدى البنك ..

● فساد .. وجشع

كما امتد الفساد ايضا الى القطاع العام تحت جشع رجال المقاولات - واذكر على سبيل المثال ما حدث لمشروع فوسفات ابو طرطور وهو المشروع الذى بدأته فى عام ١٩٦٩ ووضعت خطة الكشف عنه وتنميته ودفعت العمل فيه الى اقصى حد حتى اصبح بالنسبة لى شخصيا والمؤسسة التى كنت أحاول نقلها الى مؤسسة كبرى مشروعا مفضلا : قمنا برفع خرائطه التفصيلية واثبات احتياطياته ودراسة خواصه وأحسن الطرق لتركيزه وفتحنا فيه الانفاق وحفرنا فيه آلاف الآبار وقمنا بآلاف التحاليل المعملية ووضعنا تصوراً لشكله النهائى - وبينما نحن فى وسط هذه الدراسات إذا بقرار يصدر من احد وزراء الصناعة الذين كانوا يأتون ويذهبون فى السبعينات ينقل فيه تبعية هذا المشروع الى الجهاز التنفيذى لمجمع الحديد والصلب دون أن يبلغنا ، ومنذ ذلك التاريخ سقط المشروع فى ايدى المقاولين واخصائيى دراسات الجدوى من الأجانب الذين كانوا يختبئون وراء بعض المكاتب الهندسية المصرية فاقيمت المبانى السكنية والعمارات الشاهقة واحيلت تقاريرنا التى كلفناها مالا يزيد على ربع مليون جنيه الى بيوت خبرة لمراجعتها بمبالغ تزيد على أربعة ملايين جنيه استرلينى - وهاهو المشروع بعد اثنتين وعشرين سنة من بدء العمل فيه ولما ينتج حبة واحدة من خام الفوسفات ولكن الأهم من ذلك هو أن المقاولين وبيوت الخبرة الأجنبية قد ملأت خزائنها بالأموال دون اى عائد للبلاد ..

كان نقل مشروع ابو طرطور ضربة قاسية للمؤسسة وعلامة اكيدة لفساد الحال ولانعدام الوفاء فما أن تم نقل المشروع حتى اختفى اسم المؤسسة فى مؤامرة صنعت محكمة وكأنى كنت اقرأ الغيب عندما تنبأت غداة زيارتى الأولى لموقع المشروع فى عام ١٩٦٩ ، وكانت ارضا بلقعا دون حركة فى قلب صحراء مصر الكبرى ، بأن المكان سيشهد نشاطا كبيرا وانه سيكون موقعا لاكبر منجم مصرى - ثم وقلت « وعندما يتم ذلك فإنى لن أكون بين المدعوين عندما يتم افتتاحه » وقد استنكر الحاضرون ذلك - ولكن ما توقعته قد حدث بل والأسوأ منه أن الجهاز التنفيذى لمجمع الحديد والصلب قد تحول الى واجهة يختفى وراءها المقاولون وبيوت الخبرة الاجنبية التى انفقت الأموال دون عائد يذكر ..

كما كان نقل مشروع فوسفات ابو طرطور خطوة فى تقليص اعمال المساحة الجيولوجية تم على حساب تزايد نفوذ المقاولين على متخذى القرار فى مصر وقد تلت ذلك خطوة اخرى فى تقليص اعمالنا بدت اول الأمر بريئة وهى خطوة سحب حق البحث عن الخامات النووية من المساحة الجيولوجية الى هيئة جديدة انشئت تحت اسم هيئة المواد النووية .. وبدأ قرار انشاء هذه الهيئة غريبا فقد تم فى تكتم وعلى الرغم من اعتراضنا وفى وقت تقلصت فيه اعمال البحث عن المعادن فى مصر وفى بلاد نامية من العسير تصور انشاء جهازين متوازيين لعمل ذى طبيعة واحدة .. ولكن سرعان ما انكشف الأمر عندما استفيد من هذه الهيئة الجديدة فى حفر انفاق طويلة فى احد جبال البحر الاحمر فى عمق الصحراء

الشرقية بعيدا عن الانظار بغرض تقييم خام اليورانيوم الذي قيل لنا انه تم اكتشافه هناك ، و لم يكن هناك دليل على ذلك او مبرر فني يمكن ان يصلح اساسا للقيام بهذه الأعمال الضخمة والمكلفة والتي غرقت في ارباحها شركات المقاولات - ولدى الآن شعور بأن غرض حفر هذه الانفاق لم يكن وراء البحث عن خام اليورانيوم قدر ماكان لاغراض اخرى فقد تزامن الحفر مع قبول المسئولين استخدام صحارى مصر لدفن النفايات الذرية الأوروبية التى كان يحتاج أمر التخلص منها إلى انفاق مثل تلك التى تمت - ولعله من المفيد أن نتذكر ان السبعينات شهدت مهزلة تعهد كبار مسئوليها بالخلاص من النفايات الذرية لدولة النمسا .

وقد ادت كل هذه التطورات وانحدار مستوى الوزراء وسحب السلطات منهم ونقلها الى جهات خفية غير معروفة الاختصاص وخارجة عن الرقابة الى يأس من امكان القيام بعمل مفيد وهكذا تقدمت باستقالتى من منصبى الى وزير الصناعة فقبلها فى الحال وبعودة البريد وحتى قبل أن يرفعها الى رئيس الوزراء كما كانت تقضى بذلك القوانين .

● تقدير من خارج مصر !

وهكذا انتهت علاقتى بالحياة العامة شغلت بعدها بأعمالى الخاصة بمصر حتى جاءتنى ازمة سبتمبر ١٩٨١ حين دخلت فى قوائم التحفظ دون توقع فاضطررت للبدء فى مستقبل جديد وكان عمرى آنئذ قد ناهز الستين - كانت حياتى العامة كلها جهادا لتحقيق أهداف آمنت بأنها يمكن أن تحقق لمصر الرخاء ولابنائها السعادة والنماء ودخلت من اجل ذلك معارك كثيرة مع قيادات لم يكن همها إلا تحقيق مصالحها الآنية والذاتية - فى فترة الجامعة كنت مع ترسيخ قواعد البحث العلمى الرفيع المستوى وقواعد السلوك التى تؤكد العدل وعدم التحيز والحكم الموضوعى ودخلت فى عداوات فرضت علىّ عندما رأيت تلك القواعد وهى تنتهك والدرجات العلمية ووظائف التدريس تعطى لمن ليس له الحق فيها - وفى فترة خدمتى بالصناعة وبعد وقت قصير من العمل المثمر بدأت صراعا مع الذين جاءوا مع تراجع العمل الصناعى وقد رأيت منهم الجاهل والخبيث الذى سخر عمله لصالحه الشخصى والكثير منهم اثروا ثراء غير مشروع .

وعندما خرجت من الحياة العامة كنت اشعر بغربتى ولم تتلنى الدهشة عندما قبل الوزير استقالتى بالفرحة او ان تقديرا واحدا لم يأتنى من داخل مصر بعد عام ١٩٦٢ عندما سلمنى الرئيس جمال عبد الناصر وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى - أما من خارج مصر فقد جاءنى التقدير تلو التقدير ومن كل مكان - وفى السنوات العشر الماضية منحت درجة الدكتوراة الفخرية من جامعتين من اعرق الجامعات وهما تكساس بالولايات المتحدة (١٩٨٣) وبرلين التقنية (١٩٨٦) وقلدت وسام ناختيجال من الجمعية الجغرافية الألمانية (١٩٨٦) وانتخبت زميلا فخريا بالجمعية الجيولوجية الافريقية (١٩٨٠) والجمعية الجيولوجية الأمريكية (١٩٨٩) كما دعيت لارفع المعاهد العلمية لالقاء المحاضرات او الاشتراك فى ندوات على أعلى المستويات وكان آخر تكريم لى هو ما فعلته المجلة الألمانية لعلوم الأرض عندما أهدت مجلديها الصادرين فى عام ١٩٩٠ لى

بمناسبة بلوغي سن السبعين وكنت اتمنى ان يقفل ذلك محور حولية المساحة الجيولوجية المصرية التي قمت بتأسيسها في عام ١٩٧٠ ..

الأعوام الخمسون التي عشتها مع علم الجيولوجيا عكست بكل صدق نبض مصر فقد كان هذا العلم هاما عندما كانت الصناعة تبنى وانحسر حاله منذ منتصف السبعينات حتى تقلص عدد طلاب الصف الأول الذين يرغبون في دراسة هذا العلم الى طالبين اثنين في قسم يزيد فيه عدد الاساتذة على الثلاثين ـ كما انحسر الحال بهيئة المساحة الجيولوجية حتى اصبحت رئاستها تشغل بالانتداب بالاضافة الى اعمال اخرى مما يعطى الانطباع الاكيد بأن المسئولين لايرون لهذه الهيئة فائدة تذكر ـ

● هزيمة !

وهكذا دار الزمن وعدنا من حيث بدأنا ـ فقد منى الجيل الذى انتمى اليه بالهزيمة في محاولاته لبناء جامعة رفيعة المستوى تقف نداً لجامعات العالم كما منى بالهزيمة في محاولاته لتنمية بلاده وانشاء صناعة تحويلية قابلة للمنافسة والتصدير التي يمكن أن تزن بها ميزان مدفوعاتها وموارد العملة التي تعطى الوظائف التي تتطلبها اجيالها الجديدة ومنشطة للبحث العلمي لمجابهة تحديات المنافسة العالمية ـ وكلما امعنت التفكر في الطريق الذي ينبغي على مصر أن تسلكه ان ارادت ان تتفادى مستقبلا مثل الذي نراه اليوم في بنجلاديش فإنني لا ارى طريقا غير التركيز على بناء قاعدة سليمة للصناعة التحويلية فهي الوحيدة القادرة على توليد الثروة وخلق الوظائف التي يحتاجها تشغيل الآلاف الذين يفدون الى سوق العمل كل عام وهي الكفيلة بأن تعطى معنى لمؤسسات البحث العلمي الوطنية التي ارى لها دورا اساسيا في عملية بناء الصناعة المتطورة والموائمة لخامات مصر وظروفها وليس لدى شك في ان هناك فائدة يمكن أن تجنى من التوسع في مجال الخدمات او السياحة او حتى الصناعة العقلية التي يسود نمطها في الوقت الحاضر

وتنفرد فترة الستينات بكونها الفترة الوحيدة التي بدأ وكأن بها عملا جديا للتنمية الذاتية ففيها بنى السد العالى وانشئت مصانع كثيرة تم تمويل الجزء الاكبر منها من قروض استدينت بفوائد قليلة وشروط ميسرة من الاتحاد السوفييتي وسددت بكاملها من منتجاتها كما نقلت بمعونة وخبرة نقلت في يسر في عصر كانت الحرب الباردة في ذروتها والاتحاد السوفييتي ، الذي أمدنا بالمال والخبرة في قوة لم تكن تقل عن قوة الولايات المتحدة .

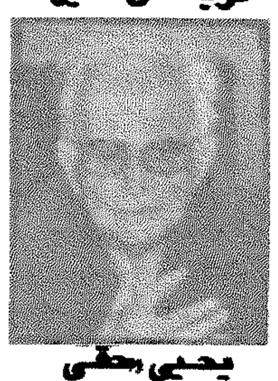
كانت فرصة الستينات لذلك نادرة وكان من الممكن لو أننا بنينا على ماكان لدينا أن تكون لنا فرصة الخروج من ربقة التخلف والدخول في عداد الأمم ذاتية الحركة والقادرة على التفاعل مع هذا العالم المتغير شأننا في ذلك شأن الهند أو اليونان ـ الأزمة المالية التي نعيشها الآن ليست آخر المطاف فهناك ذلك الأمل الذي نستخلصه من التجربة التي رويت طرفا منها في هذا المقال وقصة المؤسسة التي انهارت بكاملها ثم عادت كالعنقاء الى الحياة والصحة والنماء وفي اقل من سنتين وتحت ظروف صعبة وبدون ميزانيات تذكر ـ حقا ان المصريين قادرون إن وجدوا القيادة وعرفوا الهدف ، على تحقيق اكبر المعجزات ـ وليست هذه تجربتي فحسب بل هي تجربة مصر عبر العصور ..

اقوال معاصرة


چورج بوش


د . محمود محفوظ


دوجلاس هيرد


يحيى حقى

● "هذا هو وقت التفكير بشكل جديد"

الرئيس الامريكى چورج بوش

● "لو استطعت لاخترت ان اكون يهوديا ، واصحت باعلى صوتى اننا من شعب الله المختار" !!

الرئيس البولندى ليخ فاونسا

● "لا تنمية بلا تراجع سكانى"

الدكتور محمود محفوظ
وزير الصحة الاسبق

● "احلم دائما بمواصلة العمل دون اى انقطاع"

المخرج الايطالى
فيديريكو فيلليني

● "كل موضوع يثور حوله الجدل ذو جوانب ثلاثة : جانبك وجانبى والحقيقة"

مالتينو انجل
مراسل جريدة الجارديان فى حرب الخليج

● "لا السلام الامريكى ، ولا السلام الالمانى لهما مكان"

دوجلاس هيرد
وزير خارجية بريطانيا

● "ليس فى وسع مفكرى القرن الماضى توفير حلول المشاكل اليوم"

الدكتور جريجور جيزى
آخر رئيس الحزب الشيوعى فى المانيا الشرقية

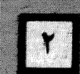
● "ما ان تشاهد رئيس الوزراء على شاشة التليفزيون ، حتى تبادر بالمطالبة باستقالة الوزارة فورا""

ستانسلاف شاتالين
مستشار جورباتشوف الاسبق للشئون الاقتصادية

● "احمق الناس من يزعم – فى مجال الفن – ان رأيه وحده هو الحق"

الاديب يحيى حقى

من مظاهر الخلل فى الحركات الاسلامية المعاصرة



علاقة التاريخ بالعصر والموروث بالابداع

بقلم: د. محمد عمارة



كثير من الحركات الاسلامية المعاصرة ، تسيطر على نظرتها الى التطور التاريخي فكرة "التراجع التاريخي" ونظرة التدنى والهبوط لخط بيان التطور والتقدم عبر هذا التاريخ ..

وبعض الباحثين يقف فى تعليل هذه النظرة الخاطئة الى خط سير التقدم عبر التاريخ ، لدى هذه الحركات عند التفسير الذى تقدمه هذه الحركات للحديث النبوى الشريف الذى قال فيه الرسول ، صلى الله عليه وسلم : "خير امتى القرن - (اى الجيل) - الذى انا فيه" - رواه مسلم وابو داود والامام احمد - ..

ورغم صدق هذا التعليل الا ان هذا السبب ليس الوحيد فى تكوين نظرة هذه الحركات التى تؤمن بتراجع التقدم والخيرية عبر التاريخ وبمرور قرونه ..

فمع خطأ هذه الحركات فى تفسير معنى هذا الحديث الشريف ، تقف وتتزامل اسباب اخرى منها المقارنة التى تجريها هذه الحركات بين حال الأمة اليوم وبين حالها فى عصر صدر الاسلام ، وهى مقارنة توهم بصدق هذه النظرة التى تؤمن بتراجع الخيرية والتقدم بمرور الزمن وتقادم التاريخ ..

وفى اعتقادى ان مراجعة هذه النظرة بكشف الأخطاء القائمة فى اسبابها ومنطلقاتها ، هو الكفيل بتصحيح الخلل السائد فى فكر الكثير من الحركات الاسلامية ، التى تعيش فى الماضى دون الحاضر ، او اكثر منه .. والتي تستفتى "الأموات" فى كل شئون "الأحياء" مهملة التمييز فى القضايا الفكرية بين "الثوابت" وبين "المتغيرات" ، والتى تقدس "الموروث" على النحو الذى يقلل الى حد الازدراء ، من شأن "الابداع" ! .. بل والذى يخلط بين "البدعة فى الدين" وبين الابداع فى الحضارة " فيرفضهما معا !! ان هذه المراجعة ضرورية لتصحيح هذا الخلل الملحوظ والسائد لدى قطاعات كبيرة فى كثير من هذه الحركات ..

فبالنسبة لتدنى المستوى الحضارى للأمة الاسلامية اليوم عن نظيره فى عصر ازدهارها الحضارى وهو امر غير منكور - فانه تدنى قد نبع وارتبط بتخلف شروط النهضة والازدهار الحضارى ، اى انه عارض يزول بزوال اسباب التخلف ، وليس "قدرا تاريخيا" ولا "حتمية" من حتميات توالى القرون ..

اما عن الحديث النبوى الذى يقطع بان خير اجيال الامة هو جيل الرسول ،عليه الصلاة والسلام ، فهذه الحقيقة ، التى تحدث عنها هذا الحديث ، تحتاج الى عرض والى تفسير ، قد يفضيان بنا الى فهم اخر غير الذى فهمته منه هذه الحركات المؤمنة بتراجع الخيريه والتقدم بمرور التاريخ ..

وفى اعتقادى ان هذا الحديث النبوى لايستأثر بالخيرية "المطلقة" لجيل الرسول ، عليه الصلاة والسلام .. وانما هو يتحدث عن خيرية "التاسيس لقواعد النموذج الاسلامى" .. وهى خيرية للثوابت والقواعد ، لاتنفى خيرية الفروع والأبنية التى يقيمها الخلف على هذه

القواعد والاسس ، مع بقاء خيرية الاسس متميزة ، باعتبارها هى التى تمنح الفروع والمستجدات الروح والصبغة التى ميزت الاسس ، فكأنما خيرية الجديد ـ وهى غير منفية ـ مستمدة من خيرية الأساس ! ..

ويشهد لهذا التفسير الذى نقدمه لهذا الحديث النبوى مانراه من شهادات اخرى تزكيه وتدعمه ، عندما تقول ان النظرة "التقدمية" لخط سير التقدم عبر التاريخ ـ وليست النظرة "التراجعية" ـ هى المعبرة عن حقيقة موقف الاسلام فى هذا المقام ..

فنظرة الاسلام الى خط سير التطور الانسانى منذ ادم الى محمد ـ وعبر رسالات الرسل ونبوات الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ، تؤكد النظرة المتقدمة والمتصاعدة لخط سير الخيرية والتقدم عبر التاريخ .. فالانسانية قد بلغت برسالة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، سن الرشد ، بعد ان كانت خراقا ضالة فى فترات سبقت ذلك التاريخ .. وموقف الاسلام المتميز من ادلة "العقل" و "الكون" شاهد على هذا الارتقاء الانسانى بمرور التاريخ .. بل ان ختم الرسالات السماوية برسالة المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، والاعتماد فى الجديد الدينى وتطوير القانون الاسلامى على الاجتهاد الانسانى هو اصدق الادلة على ان هذه النظرة هى النظرة الاسلامية الحقة فى هذا الموضوع ..

ثم .. ان الابنية الحضارية التى تزهو بها امة الاسلام ، وان قامت على الاسس التى شهدها عصر البعثة ، الا انها قد جاءت تالية لجيل الرسول عليه الصلاة والسلام .. فعلوم الدين والدنيا ، التى مثلت جماع ابداع الانسان المسلم ، متأثرا بالوحى ومسترشدا بمنهج النبوة ، قد تبلورت جميعها بعد عصر صدر الاسلام .. وكذلك الحال مع الفتوحات الاسلامية التى نهض بها المسلمون .. ومع تحقيق وتجسيد عالمية الاسلام ودعوته بنشر الاسلام فى مشارق الأرض ومغاربها .. كل ذلك خير وخيرية ارتبطا بتقدم وبتوالى قرون التاريخ ..

وايضا .. أليس رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هو القائل ـ ايضا ـ فى معرض الحديث عن تلقى فكره النبوى : "رب مبلغ اوعى من سامع" ؟ ـ رواه البخارى ومسلم وابن ماجه والترمذى والدارمى والامام احمد ـ ... وهو حديث لايحصر الخيرية فى الصحابة والشهود ..

واخيرا .. فمن من الحركات الاسلامية ينكر ان حال الصحوة الاسلامية اليوم خير منه فى عقد الخمسينات من هذا القرن العشرين ؟ .. وان وضعها منذ ثلاثينيات هذا القرن هو خير منه يوم عموم بلوى الاحتواء الاستعمارى وسيادة العلمانية والتغريب حتى لدى الاحزاب التى تقدمت لمقاومة الاستعمار ، فى الحقبة التى شهدت زوال رمز الخلافة سنة ١٩٢٤ ؟ ! ..

اذن .. فالخيرية التى تحدث عنها الحديث النبوى هى خيرية الجيل المؤسس .. خيرية القواعد والاسس والسوابق الدستورية ، وفضلها لاينكر حتى على الجديد الذى يرفعه الخلف فوق ماصنع الجيل المؤسس من قواعد واركان .. كما ان خيرية الجديد ، بل وتعاظمها ، لا تناقض بينها وبين خيرية الاسس والمؤسسين .. والا فمن الذى

ينكر علو مقام الخير فيما انجز عمر بن عبد العزيز من العدل الاجتماعي ـ وهو قد انجزه بعد ان ساد الظلم والجور وعمت الأثرة ـ علو مقام الخير في هذا الانجاز على نظيره في عهد الراشد الثاني العادل عمر بن الخطاب ، والذي كان عدله استمرارات لعدل النبي والصديق ، وفي مناخ موات يعيش عليه الصحابة الأبرار ؟! ..

ان التعارض غير قائم .. وكل خير يقدر بقدره ، بصرف النظر عن الظرف التاريخي الذي انجز فيه" .. ومن ثم فان جهدا فكريا يجب ان يبذل من قبل الكثير من الحركات الاسلامية المعاصرة لتصحيح هذا الخلل السائد في نظرتها الى علاقة خط بيان التقدم بمرور الزمن وتوالي قرون التاريخ وهو الخلل الذي جعلها ويجعلها تعيش في "الماضي" مديرة ظهرها في احيان كثيرة ، "العصر" وتحكم "الاموات" في "الاحياء" وتميل بالكفة لحساب "الموروث" على حساب "الابداع" !

الخلل في علاقة "الحركة" بـ "الفكر" :

الحركات الاسلامية المعاصرة هي ، في جملتها ، انما تمثل فصائل الصورة المعاصرة لحركة وتيار ودعوة الاحياء واليقظة والتجديد التي عرفها الشرق الاسلامي منذ دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ ـ ١٧٠٣ ـ ١٧٩٢ م) والتي خطت خطوات نوعية في الوعي والتأثير والعموم والعقلانية منذ تيار "الجامعة الاسلامية" الذي قاده الرائد جمال الدين الافغاني (١٢٥٤ ـ ١٣١٤ هـ ـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧ م) .. ولذلك ، فلقد تراوحت وتفاوتت مواقف هذه الحركات من "الفكر ـ المجدد" و"العقلانية ـ المجتهدة" فمال بعضها الى نصوصية الوهابية ، وزادت لدى بعضها جرعة العقلانية على نحو مما كان عليه الأمر في تيار جمال الدين .. ولقد لعبت البيئة ، حضرا او بادية والموروث المذهبي ونهضت طبيعة التحديات بعملها في تحديد موقع الحركة من "النصوصية" ومن "العقلانية" الى حد كبير ..

لكننا نلحظ ـ ضمن مظاهر "الخلل" الذي تعاني منه اغلب هذه الحركات المعاصرة ـ تزايد جمود النصوصيين ، وتدني جرعة العقلانية لدى العقلانيين ، وخاصة في العقود الأخيرة من هذا القرن العشرين .

. وفي اعتقادي ان عوامل عديدة تقف امام ميل ظاهرة "الفكر ـ العقلاني" الى الذبول في هذه الحركات ، بوجه عام .. فالعقلانية قد تألقت في حركة الاحياء الاسلامي يوم ان كانت حركة "صفوة" .. و"نخبة" على عهد جمال الدين الافغاني .. فما استدعت ضرورات مواجهة التغريب والعلمانية والاستلاب الحضاري استنفار الجماهير والعامة لتنخرط في موكب الداعين الى شمول الاسلام الدولة والواقع وسائر مناحي الحياة وذلك منذ مرحلة الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ ـ ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩م) وجماعة الاخوان المسلمين ، هبطت هذه العقلانية في هذه الحركة لتتناسب مع مستوى العامة والجماهير .. كذلك ، كان في اشتداد خطر التغريب والاستلاب الحضاري ، وفي تبني الأحزاب القومية النموذج الحضاري

الغربى تعاظم للخطر على الهوية الاسلامية استدعى من هذه الحركات الاسلامية ان تقدم سبل ووسائل الجمع والتأليف على اسباب الجدل والافتراق ، فكانت "الحلول الوسط" و"الصياغات الفضفاضة" التى يتجنب اصحابها ، عادة التفكير العقلانى الذى يثير ، بجرأته الكثير من المشكلات ! .. كما كان لتزايد التفسخ الاجتماعى والأخلاقى والتشوه المعرفى ، والتى حدثت بفعل هيمنة النموذج الغربى على قطاعات واسعة من مصادر ومراكز التوجيه الفكرى والثقافى

والتعليمى والاعلامى .. كان لتزايد هذا التفسخ دور "الفعل" الذى جعل بعض هذه الحركات الاسلامية تنفر من كل ماله شبه او صلة بالحضارة الغربية ـ والتى تعلي من مقام العقل الى حد المغالاة ـ فلم تميز هذه الحركات بين "العقـلانية الاسلامية" التى وعت "النقـل" بـ "العقل" ، كما حكمت "العقل" بـ "النقل" فى المواطن والعوالم التى لاتستقل بادراكها العقول .. لم تميز بين هذه "العقلانية الاسلامية" وبين عقلانية الغرب ، المتحررة من ضوابط "النقل" الدينى ، منذ جاهليتها اليونانية وحتى نهضتها الأوربية فى العصر الحديث .. فكان ان نفرت ، الى حد كبير من العقل والعقلانية باطلاق وتعميم ! ..

ولقد انعكس هذا الموقف من العقل والعقلانية ـ والذى تراوح بين الاهمال او النفور او العداء او التحجيم ـ انعكس فى صور كثيرة ، يهمنا ان نشير هنا الى انعكاسها فى صورة تقلص مساحة "الفكر" اذا ما قيس بـ "الحركة" والنشاط العلمى .. وصغر حجم الجهد المبذول في "الاجتهاد والتجديد" إذا ماقيس بحجم الجهد المبذول فى "المواعظ" ذات الاساليب الشعرية والخطابية .. وتوارى مؤسسات الفكر وأعلامه ، من كثير من هذه الحركات ، لحساب "الدعاة" و "الحركيين" .

ولقد زاد من وضوح هذا الخلل ، وضاعف من تأثيراته عجز الكثير من هذه الحركات ، حتى الآن ، عن إقامة العلائق والخيوط التى تصنع وتقنن للتمايز بين "مؤسسات الفكر وأعلامه" ، وبين تنظيمات "الحركة وجمهورها" على النحو الذى يتيح لأهل الفكر المناخ المهيىء لجرأة التجديد والأبداع كما يتيح لأهل "الحركة" إمكانات الاستفادة الكاملة من ثمرات هذا التجديد والابداع ..

نعم .. لقد وازنت بعض الحركات الاسلامية بين "الحركة" وبين "الفكر" ، فبرأت من هذا الخلل .. لكننى أخشى أن يكون سبب نجاحها هذا هو تصادف أن زمام قيادتها قد كان بيد مفكر مبدع ومجدد ، اكثر من أن يكون السبب هو الاهتداء إلى القواعد المنظمة للعلاقة الصحية بين "الحركة" واهلها وبين "المفكر" وصناعه ! .. لذلك أراه خللا قائما يستدعى بذل الجهد لعلاجه ، ولاقتلاع الآثار القاتلة التى يفرخها بقاؤه فى هذه الحركات .

● **الخلل فى علاقة "التربية الروحية" بـ "التربية السياسية" :**

لأن هذه الحركات الإسلامية المعاصرة تؤمن بشمولية الإسلام لكل مناحى حياة الإنسان ، فى البدء .. والمسيرة .. والمصير .. ولأنها تدرك أن النهضة التى تتغياها إنما تحتاج إلى إعادة صياغة هذا

الانسان صياغة إسلامية تنقذه من التشوه المعرفى والسلوكى اللذين أصاباه تحت هيمنة التغريب .. كانت تلك السنة الحسنة التى استنتها هذه الحركات عندما اهتمت بالتربية الروحية لهذا الانسان .. فبهذه التربية الروحية تصاغ الكتائب المعدة الإعداد المناسب لها أمام أصحابها من معارك ومشكلات وتحديات ..

لكننى أعتقد أن قصورا وتقصيرا قد حدثا فى "التربية السياسية" لأغلب "كوادر" هذه الحركات .. إما بدعوى تأجيل ذلك لحين الحاجة اليه يوم أن تكون الدولة والسلطة قاب قوسين أو أدنى من قبضة هذه الحركات ـ وإما بسبب فقر هذه الحركات فى الفكر وقلة بضاعتها من صناعته وصناعه .. وإما لانغلاق هذه الحركات عن الفكر السياسى ونظرياته وجيرانه لدى العلمانية والعلمانيين ـ وهو مزدهر وغنى فى هذا الميدان .. وإما لهذه الأسباب مجتمعة ـ مع غيرها مما قد يكون أقل أهمية منها ..

لكن ثمرة هذا الخلل فى علاقة "التربية الروحية" بـ "التربية السياسية" قد ظهرت للعيان ، فقعدت بكثير من "كوادر" هذه الحركات عن بلوغ مؤهلات وإمكانات البراعة فى السياسة وميادينها ..

وإذا كان طراز "الساسة والسياسة" المجردين من قيم الدين وضوابطه الأخلاقية ، هو مما لايرضاه الاسلام ، ولا يصح أن يوجد فى الحركات الاسلامية .. فإن صورة التدين الذى يفقد صاحبه الكياسة والمهارة والحذق والدهاء ، هى صورة غريبة عن التدين المطلوب لكوادر الحركات الإسلامية .. فالتدين الذى لا تصاحبه تربية سياسية وحذق لنظرياتها ومعرفة بتياراتها ودروبها وفنونها ، قد يثمر غفلة ، إن ناسبت بعض طيبى القلب فإنها لا تناسب الذين يتحملون مسئوليات مصائر الأمم فى هذه الميادين .. وقديما حبذت كل تيارات الفكر السنية إمامة وخلافة المفضول دينيا إذا كان أفضل فى حذق شئون الدنيا وأبرع فى الإمكانات التى تعينه على أداء رسالة الخلافة والإمامة ، وأقدر على مواجهة مايفرضه عصره على أمته من تحديات .. إن رهبان الليل ، فى الحركات الاسلامية ، لابد وأن يكونوا ـ بحق ـ فرسان النهار ، وأن يكونوا الساسة المهرة أيضا ! ..

والذين يدرسون حركة الاحياء الاسلامى ، كما تمثلت فى مدرسة "الجامعة الاسلامية وجمعية العروة الوثقى ، يرون كيف تخلق اعلامها بخلق الاسلام ، حتى لقد استعانوا بلون من اساليب الصوفية وقدر من مجاهداتهم فى تهذيب النفوس .. والذين يتأملون الفكر السياسى فى مقالات جريدة "العروة الوثقى" التى عبرت عن فكر هذا التيار يرون ذلك المستوى الراقى والعميق والحصيف فى فهم السياسة والدراية بمسالكها ومنعرجاتها ودروبها ، محلية كانت تلك السياسة ام دولية ، فى تلك الحقبة التى تعقدت فيها شئون تلك السياسة بتزايد مطامع المد الاستعمارى الغربى وتعدد أطرافه ، وتنامى التناقضات والمصادمات والمؤامرات بين هذه الأطراف ..

انه نموذج يستحق الدراسة من الحركات الاسلامية المعاصرة ، لترى وتحدد السبل الكافلة لصناعة رجل السياسة المسلم ، ذلك الذى لايكون التدين لديه مساويا او مفضيا تصبيه

الغفلة .. ولا تكون السياسة لديه ميكيافيلية مجردة من اخلاقيات الاسلام .. حتى نتجاوز ذلك الانقسام البائس والشاذ الذى اشار اليه ابو العلاء المعرى عندما قال :

الناس صنفان : ذو عقل بلا دين ، وآخر دين لاعقل له ؟ ! ..

● الخلل في علاقة "الطاعة" بـ "الحرية" :

ان الكثير من الحركات الاسلامية المعاصرة قد بالغت فى ترويض اعضائها على طاعة القيادات اكثر مما دربتهم على محاسبة ونقد وتقويم هذه القيادات .. وليس يكفى ان يقال انها طاعة فى غير معصية ، ذلك ان الخلل فى علاقة "الطاعة" بـ "الحرية" على النحو االذى لاينمى فى الاعضاء ملكات النقد والفحص وشجاعة الاعتراض ، عند توفير دواعيه ان هذا النمط فى تربية اعضاء هذه الحركات هو بالقطع معصية من معاصى التربية فى هذه الحركات ، لأنها تثمر ــ ولقد اثمرت ــ وجدانية الرأى ، رأى المرشد والأمير والامام .. بل واثمرت العديد من الوان التفكك والقصور والتشرذم التى اصابت العديد من هذه الحركات عندما غاب المرشد فغاب عنها الرشد ، لافتقارها الى قيادات مدربة وحكيمة وحصيفة فى صفوفها التى تقف وراء المرشد والأمير والامام ــ الصفوف الثانية والمتوسطة والقاعدية ــ ..

ان هذا الخلل الذى اصاب ويصيب الكثير من الحركات الاسلامية المعاصرة هو آفة شرقية قديمة جعلت العامة تعلق كل الآمال وتضع كل الأحمال على عاتق "القطب" و" الوتد" الذى يصبح هو المفكر الأوحد والزعيم الملهم الوحيد .. وليس غير تراث الاسلام فى الشورى ، وتراث المدرسة النبوية فى تربية الرجال وصناعة القادة منبعا اسلاميا تستلهمه الحركات الاسلامية لعلاج هذا الخلل ، والبرء من هذا المرض الفتاك ..

لقد كان المعصوم ، صلوات الله وسلامه عليه ، اكثر الناس مشاورة لأصحابه .. واول الناس التزاما بالشورى .. بل انه هو القائل لأبى بكر وعمر : "لو اجتمعتما فى مشورة خالفتكما" !

ان تراث الاسلام ، وتراث مدرسة النبوة فى صناعة الرجال وتدريب القادة ، معين لاينضب وهو الكافل بمعالجة هذا الخلل القاتل والمتفشى فى الحركات الأسلامية المعاصرة اما ان تظل هذه الحركات تروض اعضاءها على "الطاعة" دون الحرية بدعوى ان بيعه هؤلاء الأعضاء للمرشد والأمير والامام انما تقتضى ذلك ، انطلاقا من حديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الذى يقول فيه : "من اطاع اميرى فقد اطاعنى ، من عصى اميرى فقد عصانى" ــ رواه مسلم .. او من حديثه الذى يقول فيه : "من رأى من اميره شيئا يكرهه ، فليصبر ، فانه من فارق الجماعة شبرا ، فمات فميتته جاهلية" ــ رواه مسلم ــ ..

اما ان تظل هذه الحركات تقتل فى اعضائها ملكات الحرية والنقد والابداع والقيادة ، استنادا الى مثل هذه الاحاديث ، فانه هو الآخر لون من الخلل فى تنزيل النصوص فى غير منازلها ... فالاستدلال

بمثل هذه الأحاديث على طاعة امراء الحركات الاسلامية او امراء الدول الاسلامية هو قسر للنصوص على ان تشهد فيما لم تنشأ للشهادة عليه وفيه .. فأمراء الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذين طلب لهم هذه الطاعة ، كانو اهم أمراء الجند وقادة الحرب والقتال ، وغير متصور عندما يحتدم القتال ويحمى وطيسه ان تخضع اوامر أمراء القتال للشورى والأخذ والرد وعد اصوات المطيعين والمعترضين ؟ ! ..

هؤلاء هم الأمـراء الـذين الحت الاحاديث على طاعتهم ، حتى وان رأينا منهم ، كجنود ، ما نكره .. وتلك هى مواطن هذه الطاعة التى وجبت لهؤلاء الأمـراء .. اما امـراء وقادة الـدول والتنظيمات ، فان سنة الاسلام وسنة نبيه فى الشورى وتربية القيادات هى المنبع والأسوة لمن شاء الورود والاقتداء ! ..

ان هذا الخلل ، الذى يغلب "الطاعة" على "الحرية" قد غدا ، فى الحركات الاسلامية المعاصرة السبيل الى فقرها الشديد فى القيادات المشاركة لأمرائها ومرشديهـا ، والمؤهلة لمـلء الفراغ النـاشىء عن غيبـة هؤلاء الامـراء والمرشدين .. كما غدا السبيل الذى يدفع رافضيه والمتمردين عليه الى الانشقاق على هذه الحركات .. الأمر الذى أشاع ظاهرة الانقسام والتشرذم فى كثير من هذه الحركات ..

تلك بعض من اهم مظاهر "الخلل" فى الحركات الاسلامية المعاصرة ، اشرت الى معالمها ونبهت على آثارها ، وفاء ـ كما اسلفت ـ لفريضة النصح والتناصح التى فرضها الله سبحانه وتعالى ، على المؤمنين ، فريضة "كفائية ـ اجتماعية" تبلغ فى الاهمية والتأكيد المستوى الذى يعلو على فروض "العين ـ الفردية" .. ذلك ان تخلف "فرض العين" انما يقع اثمه على ذات الفرد دون سواه ، اما تخلف "الفرض ـ الكفائى ـ الاجتماعى" فان اثمه واقع على الأمة جمعاء .. وهذه الفروض الكفائية انما تتعين على اهل الاختصاص حتى تؤدى وتؤتى مالها من ثمرات ..

فاذا اسهمت هذه الصفحات فى الوفاء بشىء من ذلك ، واذا اسهمت فى ترشيد مستقبل الحركات الاسلامية المعاصرة ، ورفعت من كفاءة اداتها ، كان ذلك فضلا نحمد الله على التوفيق فيه ..

لقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم .. ولما كان خلاص هذه الأمة من التحديات التى تمسك بخناقها ـ تخلفا موروثا كانت هذه التحديات استلابا حضاريا وافدا ـ ان خلاصها ونهضتها معلقة اماله على رشاد الحركات الاسلامية المعاصرة ، وذلك حتى لاتصاب فصائلها باحباط جديد ، كما حدث لسابقين سبقوهم على ذات الطريق ..

من هذا المنطلق .. ولهذه الغاية .. وبهذه الروح كانت الاشارات التى قدمتها الى هذه المظاهر لمواطن الخلل فى عدد من هذه الحركات الاسلامية المعاصرة ..

والله اسأل ان ينفع بهذا النصح .. انه سميع مجيب .

القفز على الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

صانع التماثيل

ملأ الطفل كفه بطمي النيل ، وعجن الطمي بالتراب حتى جمد ، فكوّره كارغفة العجين ، وصور امرأة بثديين ، ورجلا يلتف ثعبان على ذراعيه ، وبقرتين بضرعين ، وجملا يدور فى ساقية ، وفارين على كتفيهما نير يسوقهما طفل بيده رخو يفرقع به ، وطائرا براسين وجناحين مفرودين ، ومهرة مجنحة .. واحرق تماثيله بالنار ، ثم جمع قرون الصمغ من اشجار السنط ، وصمغها فالتمعت ، ثم قال لجده مفاخرا :

ـ بص ياجدى .

فوضع الجد يده على عينيه وزرر حاجبيه ، وتامل باخر بصيص للنور يطل من خلاله على الدنيا :

ـ هيه ..

ـ تماثيل .

فرد الجد : اصنام . شغل كفرة ..

ولكنه ابتسم ، وسال :

ـ انت من عملها ؟

اجاب الطفل :

ـ طبعا ياجدى .

فقال الجد :

ـ والله براوة عليك ياله .. ناقصها الروح وتنطق .

سعيد الكفراوى هو ذلك الطفل ، الذى لايزيده السن إلا تعمقا فى طفولته ، لا يعنيني ان تكون التجارب التى ينسبهـا القصـاص للطفـل "عبدالمولى" هى تجارب القصاص نفسه ، فليس "الواقع" هو المهم فى القصة ، بل القصة ، وكل ما يصوره الفنان او القاص هو صور ذاتية له ، هو صور لاعماقه التي يحاول ان يستكشفها دائما ، فيفشل مرة بعد مرة ، او على الاصح ينجح فقط بالقدر الذى يغريه بتكرار المحاولة ، هو نجومه التي تنتثر من قلبه ، والتي يظل يتتبعها حتى اخر عمره ، كما يقول سعيد فى قصة اخرى :

"سدرة المنتهى" ـ دار الغد ١٩٩٠ ، قصة "الطين" ، قصة "تلة الملائكة" .



سعيد الكفراوى

عالم الطفولة هو عالم الرؤى التي تستحوذ على الواقع وتلونه بلونها، الرؤى التي لا تعرف معنى الزمن لان الزمن يتكثف حول صورة شبقية مبهمة، صورة فاتنة اومفزعة، صورة الموروث الاسطورى الذى نحاول، ونحن "نكبر" ان ننساه او نقمعه وهو لايزال يدفعنا كل يوم الى الخطا والجنون، ويغوص فيه الفنان وحده مبهورا بانواره وظلماته، طامعا ان تقبض يده، وهو يرتطم بين الموجة والموجة، على جوهره المستحيل، سر الوجود ومعناه :

يقول الجد لحفيده مداعبا :

- حائر على البقرتين، والمهرة ذات الجناحين، وجمل الخمول، الدار علوزاهم .

- هم من طين ياجدى .

- كلنا من طين ونفخ فينا ربك الروح .

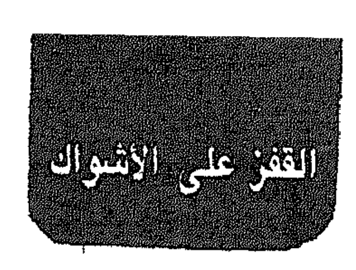
- الروح ؟

- "الروح ياجدى" .

(وسرت مع دمى كلمته، وظلت فى عروقى حتى شاب منى شعرى، لها رجع جليل كبقبقة ينبوع، تتردد بداخلى، حتى انتى وبسبب كلمته هذه، وحكاياته الاخرى لى، والتى جعلتنى بعد فوات كل هذا العمر اتاكد انه لا يوجد بين الناس كلهم من يشبهنى) .

● الزمن

هل لاحظت هذه الجملة الآخيرة المكسورة ؟ هل تقول إن هذا الكسر راجع الى خطا فى الطباعة ؟ اما انا فاراه جزءا من اسلوب الكاتب، يحاول - قاصدا او غير قاصد - ان يمسك تيار الزمن الذى يجرى افقيا فى الجملة القصصية ويرده الى الاعماق حيث الزمن كتلة واحدة لا يتميز فيها الماضى من الحاضر او المستقبل، القصة تتحول الى تمثال حين يتحول الزمن النهر الى زمن بئر تتقطر فيه تجارب البشرية التى لاتختلف فى جوهرها بين انسان عاش منذ الاف السنين وإنسان يولد اليوم او يموت فى قرية مصرية . فالولادة والموت ايضا لا فرق بينهما فى الزمن البئر،



والزمن البئر هو مفهوم الفنان للخلود ، والخلق ، والروح ، والحضارة ، وتاريخ الانسان . هو دين الفنان ، وهو مرتبط بالدين كما يعرفه كل الناس ، مثلما ان عالمه الاسطورى مرتبط بالعالم اليومى الذى يعيشه كل الناس فالدين كالماثورات الشعبية لا يفرق بين الحقيقة والمجاز ، ولا بين الجسد والروح ، ولا بين عالم البشر وعالم الارواح ، وكذلك عالم الفنان .

● تيمة متكررة

الموت "تيمة" رئيسية عند سعيد الكفراوى .. والموت قد يكون خالقا او مخادعا ("كل تلك الفصول" ، "البحر .. لآخر مدى" .. سدرة المنتهى) .. وقد يكون مجرما وقاتلا ، ("الارض البعيدة" ــ سدرة المنتهى) ، ولكنه ليس ابدا نقيضا للحياة ، بل هو متمم لها ، إلا انه اجل منها واروع ، كجلال الجد ، الذى يقف عند عتبات الموت ، ويحادث الغائبين ، "الطين" ، او كجلال الام الثكلى ، التى ترحل بإرادتها ، مدركة ان امتلاك العمر حلم مستحيل ، كل تلك الفصول ، والحياة فى قمتها ، فى فعل الاخصاب ، يمكن ان تكون تافهة زرية ("العروس" ــ سدرة المنتهى) ، كما يمكن ان تكون قاسية بدون مبرر ، ("عشب مبتل" ــ سدرة المنتهى) ، وفى مثل هذه الحالات يفقد "الفعل" معناه الطبيعى ، الذى ينتمى الى معنى الخلود ، وقد يستحيل الى قوة مدمرة "الارض البعيدة" ، ولكن قوة الاخصاب تصبح قوة كونية حين تلتقى بالموت الجليل ، ("زبيدة والوحش" ــ ستر العورة ــ مختارات فصول ع ٦٣) .

الموتى هم "الغائبون" او "المفارقون" لاغير .. وعالمنا يعج بالارواح فى صور لا نهاية لها ، ولكنها صور كامنة تظهرها ومضة ، والقصاص يتتبع هذه الومضات حتى يلتقطها فى بعدها اللازمنى ، وسواء كنا فى عالم الاحياء ام فى عالم الموتى فثمة وميض الروح ، وسواء اكانت الروح طيبة ام شريرة ، وسواء سكنت جسم انسان ام حيوان ، فهى التى تمنح القصة معناها .

فى قصة "الامهرى" يقدم لنا سعيد الكفراوى "شخصية" لا تبدو لنا مختلفة فى مظهرها او سلوكها عن "نموذج" نصادفه كثيرا ، طارق بليل ، يضطر راوى القصة الى استضافته على غير معرفة لانه ــ اى الراوى ــ يقيم بصفة مؤقتة فى مسكن صديق له يعيش الآن خارج القاهرة ، والزائر زوج لاحدى قريبات صاحب الشقة ، وهو يستضيف صاحب الشقة واسرته حين يذهبون الى الاسكندرية فى الصيف ، وهاهو ذا الآن مضطر الى قضاء الليلة فى القاهرة ، فهو يأتى الى شقة نسيبه حسب العنوان الذى وصفته له زوجته .

فى دهشة اليقظة المفاجئة بدا الزائر ، على نور السلم ، "هرما وموغلا فى السواد ، يرمقنى بعينين ضيقتين اشبه بعيون السحالى ، يرتدى على راسه بيريه ازرق ويلف حول رقبته كوفية من القطن ، بينما معطف اسود

من الصوف ينسدل على بدنه النحيل كخيط" .

وبعد التعارف يجلس الضيف "على الحبشي" ـ مستأنسا ، انه يعمل سائقا خصوصيا . وقد قدم الى القاهرة مع مخدومه . يتعشى ويشرب الشاى بينما يتأمل الصور المعلقة على الحائط : "صورة طه بخط مذهب" . وصورة شخصية لصاحب الشقة . ومستنسخ لصورة من عصر النهضة لأحد القديسين . حول رأسه هالة من النور وخلفه تل مضاء بزهور صفراء . وامامه بساط ازرق ينام فوقه طفل رضيع عار يرفع قدمه الى اعلى ويمد كفه الصغير الى الامام ويبتسم .

يتبادلان حديثا عاديا عن تغير أحوال الدنيا وأخلاق الناس . وفجأة يغرق الضيف في الصمت . ثم يعود الى تأمل الصور على الحائط . وينطق بهذه الجملة :

ـ انا فاكر زمان . زمان قوى .. كان ده وانا صغير .. لما باعونى .. إنه لا يتذكر إلا انه كان يرعى الغنم عندها . وكنيسة كان يدخلها كل يوم أحد . وينشد مع المنشدين . وعندما يسأله مضيفه :

ـ لكن ياعم على هو انت مش مسلم ؟

يرد مفزوعا : طبعا انا مسلم وموحد بالله . واسكندرية كلها تعرف كده . ويطلب من مضيفه مرة أخرى ان يعد شايا "وكأنه يريد ان يتركه وحيدا ولو لحظات" . وحين يعود . يجد الرجل الغريب واقفا امام صورة القديس . يجهش بالبكاء . ويتمتم كلمات بالامهرية .

والخيال القصصي الذى يحوم حول تجليات الروح يقبل بسهولة الخرافى والمعجز . لأنه ينتمي الى نفس العالم الذى ينتمي اليه القصص الشعبي . حيث يتجاور الواقع اليومي بتفاصيله المحددة مع الاسطورى والخارق في تآلف تام . وهكذا نجد الأمكنة والشخوص المألوفة التى يلتقى بها الفتى رمزى ("زاد من رمال" ـ سدرة المنتهى) في آخر مرحلة من رحلته الليلية الى وطنه بعد غياب طويل . تسلمه في آخر المطاف الى ملكة الجان التى "تتجسد بكامل هيئتها .. من غير ما وهم . من غير آية أكذوبة من أكاذيب التكار . تتلفع بثدييها الهائلين . وتمشط شعرها الطويل كالليل . يجلجل صوتها في الليل بالغناء . عروسة ياعريس . فيما القادم من زمن مقضي عليه بالزوال يقف فاغرا فاه من الدهشة كالمهابيل . عاجزا عن فهم ما يتجلى امامه" .. ويسبغ هذا التجلي المحسوس لعالم الخفاء دلالته على المشاهد الواقعية السابقة . والشخصيات المألوفة التى تنبعث من الماضي . بل على رحلة الغياب والعودة كلها . وعلى هذا النحو ترفع حكاية الحاد في المقطع الأخير من "مأوى الطيبين" سدرة المنتهى على العم بشكله المادي الذى عرفناه في أول القصة ("بدنه الضعيف الذى هو من عظام وجلد" و"ثوبه الابيض الذى يرتديه في الشتاء والصيف") من عالم الزوال الى عالم الخلود . ياابني ! مارأيته لا يصدقه الخيال . ولا خطر على قلب بشر . كان عمك كاملا كمن دخل البارحة . لم يبل منه الكفن . ووجهه كان مكشوفا . ينام في وقاره . أخذتني

القفز على الأشواك

الدهشة عندما رايت فى سقف المقبرة ، فى فجوة ليست عميقة ، قرصا من عسل النحل ، يطن النحل ويدور فى دورات ، رايت الخلية تطفح عن آخرها عسلا شهيا اضاء بالنور المتسلل من فتحة القبر فبدا وانا اتامله كقطع من البلور المصفى ، كان العسل ينساب فى خطوط حلوة ، ويساقط من سقف المقبرة الى فم عمك المفتوح" .

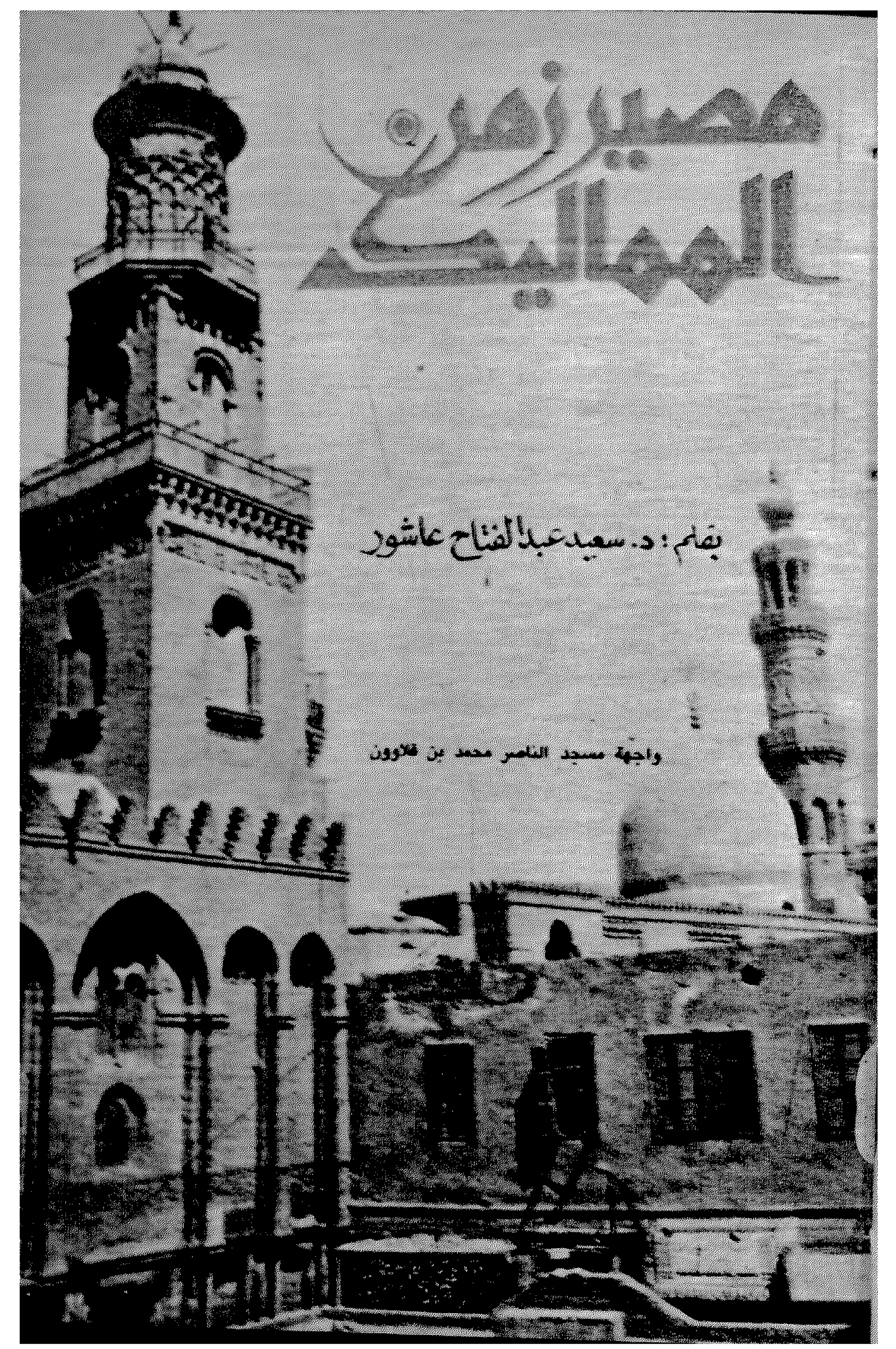
وفى كثير من قصص هذه المجموعة "سدرة المنتهى" تقوم السدرة ـ شجرة النبق المعروفة فى الريف المصرى ـ وتتحلق حولها الاحداث والشخصيات ، وكانها تجذبهم نحو عالم غريب وسدرة أخرى ، نحو "سدرة المنتهى" التى لا نصادفها قط الا فى العنوان ، كعلامة فى السماء السابعة .

يسلك سعيد الكفراوى نحو نجومه كل سبيل ويركب كل مركب ، ولكنه فى جميع احواله لا يعرف الهزل ! عالمه عالم فاجع مهما يكن بسيطا او مسكينا ، قصة "الصفطى" الفلاح الفقير الذى تسرق جاموسته فى السوق لها كل ابعاد المأساة لانها لا تحكى مجرد سرقة جاموسة بل تحكى عذاب الروح المهانة ، التى لا تنسى ثارها ولا عجزها حتى بعد ان تغادر عالم الاحياء "سترة العورة" وقصة "ضربة قمر" قد تبعث الابتسام بنهايتها حيث يلين الزوج فجاة امام اصرار زوجته على زيارة قبر زوجها الاول الذى مات شابا ، غير ان يقين هذه الزوجة بصواب ما تعمله وإن كان دعوة من عالم الغيب يمكن ان تدمر حياتها ، يرفعها الى افق بطولى "سدرة المنتهى" .

ولكن سعيد الكفراوى ينقلنا نقلة صعبة فى قصة واحدة "زبيدة والوحش" ـ ستر العورة" .. لا اقول بين عالمين ، فعالمه واحد لانه يشمل الكون ، بل بين "وسيلتى انتقال" متباعدتين تباعد "الحنطور" الذى يخطر بنا بين الحقول ، فنتامل الزرع والشجر والحيوان والناس من حولنا ، والصاروخ الذى ينطلق بنا فى الفضاء حيث لا نشهد الا الكواكب والنجوم سابحة فى ملك الله . يسمى سعيد قصته هذه "رؤية فى نصين" ، فاما النص الاول فقصة "واقعية" عن "فحل طلوقة ، يرهقه صاحبه حتى الموت ، وعن الارملة الشابة التى ترعاه" ، قصة الخصوبة المهدرة والخصوبة المستنزفة ، حيث يتحول اللقاء الاسطورى بين المراة والوحش الى تجارب يومية مالوفة لا تخرق العادة ولكنها لا تزال مشبعة بالمعنى . اليس الفحل "فاتح الدار وطاعم العيال" ؟ اما النص الثانى فشىء مختلف كل الاختلاف كتابة يمكننا ان نقول عنها ، باصطلاح المذاهب الادبية ، انها سيريالية ، ولكننى افضل ان اتصورها كصلاة لإله الخصوبة مستوحاة من نقش قديم .

★ ★ ★

سعيد الكفراوى واحد من كتاب السبعينيات ، كتاب عصر الجفاف ، كتابه الحقيقيين لا صعاليك الكتابة الذين يزحمون "هيئة الكتاب" بتفاهاتهم ، له ولزملائه احنى الراس احتراما ، واضرع الى الله الا تسكت اصواتهم ابدا .



واجهة مسجد الناصر محمد بن قلاوون

●● يتصف التاريخ المصرى عبر العصور بالحيوية والاستمرار ، حتى فى احلك الأوقات التى مرت بها هذه البلاد ، لم تتوقف مسيرة التاريخ ، ولم تفقد مصر حيويتها ، وإنما استمر أهل البلاد يواصلون نشاطهم ، محافظين على أصولهم والطابع العام الذى ميزهم عبر عصور التاريخ

ومن بين الدول العديدة التى تعاقبت فى حكم مصر على مر آلاف السنين ، تحتل دولة سلاطين المماليك أهمية خاصة ، بحيث انها تمثل حلقة فريدة فى طابعها وخصائصها تتميز عن غيرها من الدول السابقة أو اللاحقة التى ارتبط بها التاريخ المصرى . وترجع هذه الاهمية الى عوامل شتى منها النهضة الكبيرة التى عبرت عن وجه مصر الحضارى ، والتى جعلت من مصر عندئذ المركز الرئيسى الكبير للحضارة الاسلامية ، بعد أن أصيبت هذه الحضارة بضربات قاسية فى الشام على أيدى الغزاة الصليبيين . وفى العراق على أيدى التتار وفى الأندلس والمغرب على أيدى القوى المسيحية التى استيقظت فى الغرب الأوربى معلنة ان ساعة الثأر من الاسلام والمسلمين قد حانت .. بحيث لم يبق بعيدا عن تلك الاخطار وفى مامن من بطشها سوى مصر ، فهاجر إليها كثير من علماء المسلمين من المشرق والمغرب جميعا ليسهموا فيما اطلق عليه الباحثون اسم "النهضة الثانية فى الاسلام" .

● احتكار التجارة العالمية

ولما كانت اية حركة حضارية فى حاجة إلى مال يدعمها ويدفع مسيرتها إلى الأمام ، فإن الظروف شاءت ان يتصف عصر سلاطين المماليك فى مصر بالثراء الواسع الذى لانظير له فى معظم حلقات التاريخ المصرى السابقة او اللاحقة . أما مصدر هذا الثراء فكان النشاط التجارى ، اذ غدت مصر فى ذلك العصر حلقة الوصل فى التجارة العالمية بين الشرق والغرب . حقيقة أن هناك عدة طرق أخرى للتجارة العالمية بين الشرق والغرب عرفت فى تلك العصور منها الطريق البرى الشهير عبر آسيا الوسطى وهو الطريق الذى يربط بين الصين وشرق القارة الآسيوية من جهة وغرب آسيا وشرق اوربا من جهة أخرى . ومنها الطريق البحرى الموصل من شرق آسيا وجنوبها إلى بحر فارس ثم تحمل

المتاجر شمالا فى اقليم الرافدين ومنه غربا الى موانى الشام المطلة على البحر المتوسط أو إلى آسيا الصغرى فالقسطنطينية ولكن جميع هذه الطرق قطعت فى عصر سلاطين المماليك، وهو العصر الذى بدأ فى منتصف القرن الثالث عشر للميلاد. نتيجة لحركة التتار التوسعية. ولما كانت التجارة تحتاج دائما إلى جو من الأمن والسلام والاستقرار، فان التجار لم يجدوا امامهم سوى طريق واحد هو طريق البحر الأحمر ومصر لممارسة النشاط التجارى بين الشرق والغرب بعيدا عن سيطرة التتار وهمجيتهم. وهكذا احتكرت مصر التجارة العالمية بين الشرق والغرب فى عصر سلاطين المماليك مما عاد على المماليك ودولتهم بثروات ضخمة، ظهر اثرها فى المجتمع المصرى من ناحية وفى المنشآت والمؤسسات المتباينة التى خلفها ذلك العصر والتى مازالت تعتبر اثمن ماتزدان به البلاد من آثار اسلامية من ناحية أخرى.

● حماة الاسلام

ثم إن المماليك برزوا منذ وقت مبكر فى صورة حماة الاسلام، المدافعين عن سلامة البلاد والعباد ضد القوى المعتدية التى وفدت من اقصى الشرق أو من اقصى الغرب لتهديد الوطن الاسلامى فى منطقة الشرق الأدنى. فمع قيام دولة سلاطين المماليك كان التتار قد اجتاحوا معظم الجناح الشرقى من العالم الاسلامى حتى وصلوا إلى نهر الفرات غربا واسقطوا الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. وكانت الخطوة التالية أمام التتار هى ابتلاع بلاد الشام فمصر، ولكن دولة سلاطين المماليك الوليدة تصدت لهم. واستطاع السلطان قطز ان ينزل بهم ضربة لاذعة عند عين جالوت فى جنوب بلاد الشام. ولم يقف الأمر عند حد طردهم من هذه البلاد، وانما وقف المماليك لهم بالمرصاد كلما أطلوا برءوسهم عبر نهر الفرات محاولين غزو الشام مرة اخرى، وبذلك جعل المماليك من نهر الفرات خطا دفاعيا حرصوا على حمايته من خطر التتار كلما حاولوا النفاذ الى بلاد الشام.

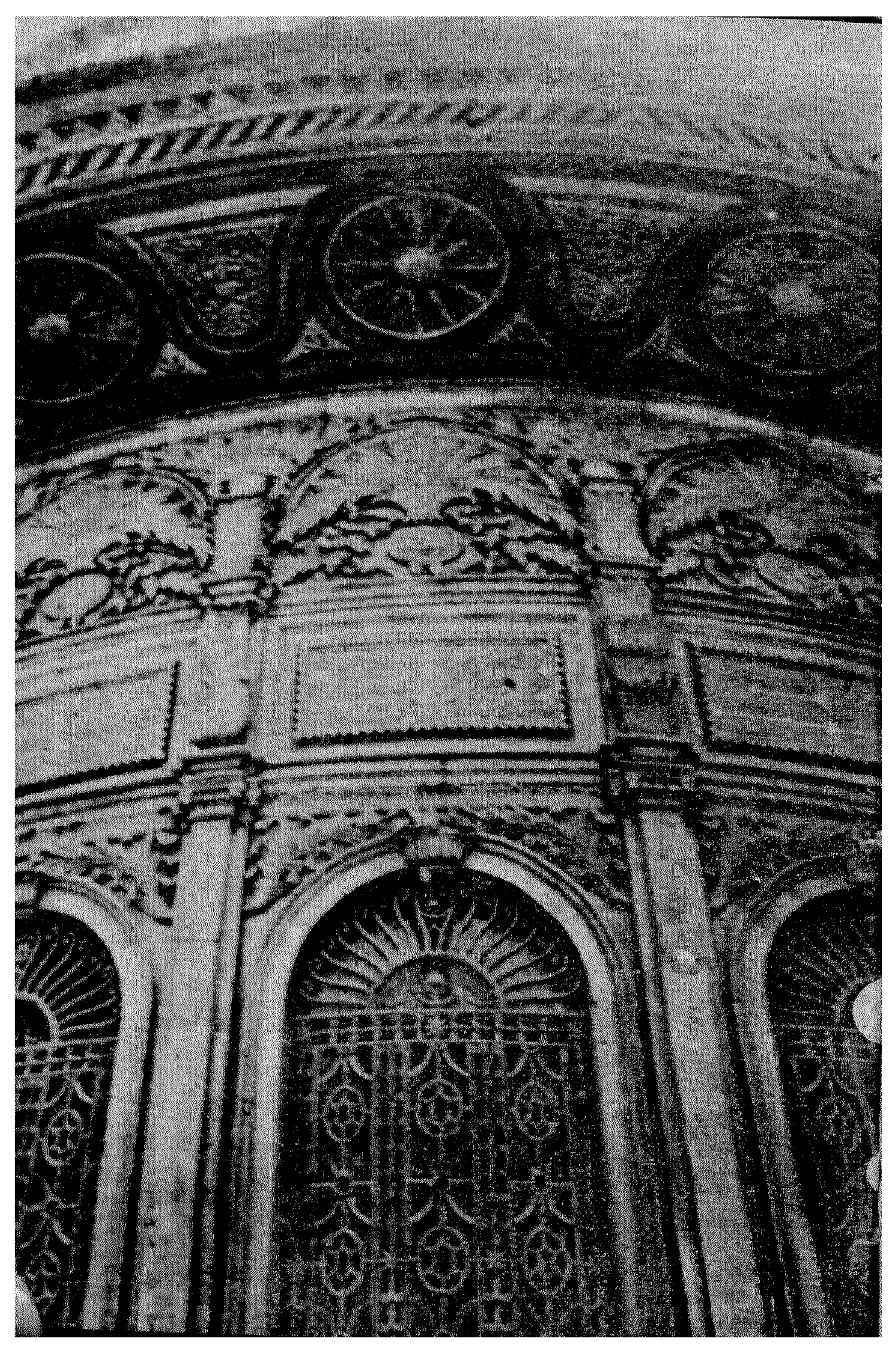
ومن ناحية أخرى، فإن دولة سلاطين المماليك قامت عند منتصف القرن الثالث عشر للميلاد والصليبيون الوافدون من غرب أوربا وجنوبها يهددون منطقة الشرق الأدنى الاسلامية - وبخاصة الشام ومصر تهديدا خطيرا. ولكن المماليك اثبتوا منذ قيام دولتهم - بل قبيل قيام دولتهم - انهم يمثلون قوة الردع التى تصدت لهذا الخطر على مدى قرنين ونصف حتى قضت عليه نهائيا فى شرق حوض البحر المتوسط، ثم سلمت مهمة الجهاد بعد ذلك فى اجزاء اخرى إلى العثمانيين الذين حلوا في اوائل القرن السادس عشر محل المماليك فى زعامة العالم الاسلامى.

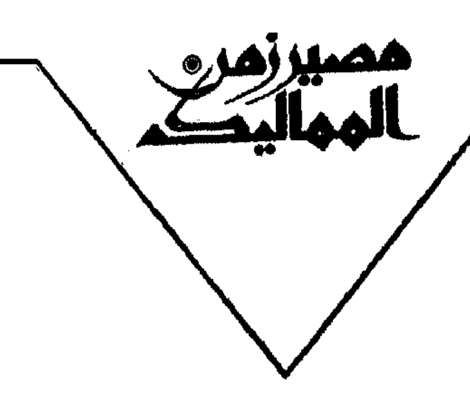
وقد شاءت الظروف ان تولد دولة سلاطين المماليك على أرض مصر،

صحن مغطى لمسجد الناصر محمد
بن قلاوون ويحيط به الاروقة

نمط معمارى مميز للعصر المملوكى
تظهر عليه براعة ودقة الحرفى الذى
اتقن هذا النوع من الزخرفة . ➤







والبلاد تئن من حملة صليبية كبرى غزت البلاد بزعامة لويس التاسع ملك فرنسا واستولت على دمياط وزحفت جنوبا فى اتجاه القاهرة حتى المنصورة . ولكن المماليك ـ قبيل قيام دولتهم مباشرة ـ لذلك الخطر ، فانزلوا الكسرة بمقدمة الجيش الفرنسي فى المنصورة ، ولما تراجع الصليبيون فى اتجاه دمياط ، لحق بهم المماليك وانزلوا بهم هزيمة كبرى قرب فارسكور ، حيث سقط الجيش الفرنسي بين قتيل وجريح وأسير ، وكان من جملة الأسرى لويس التاسع نفسه الذى اعتقله المماليك فى دار القاضى ابن لقمان بالمنصورة . وقد صحب هذه الأحداث قيام دولة سلاطين المماليك بعد مقتل تورانشاه آخر سلاطين بنى أيوب فى مصر سنة ١٢٥٠ . وهنا لم يكتف المماليك باسترداد دمياط وتطهير أرض مصر تماما من آثار تلك الغزوة الصليبية ، وإنما وضعوا سياسة بعيدة استهدفت القضاء على الكيان الصليبى فى بلاد الشام .

ذلك أن دولة سلاطين المماليك قامت فى منتصف القرن الثالث عشر للميلاد ، وللصليبيين كيان راسخ كبير يمتد من شمال بلاد الشام الى جنوبها . ففى منتصف القرن الثالث عشر ، كانت هناك امارة صليبية كبرى فى انطاكية وأخرى فى طرابلس ، فى حين نقلت مملكة بيت المقدس الصليبية مقرها الى عكا بعد ان استرد صلاح الدين بيت المقدس ١١٨٧ . يضاف الى هذا العديد من الحصون والقلاع والموانى والمدن المتناثرة فى شتى انحاء بلاد الشام والتى ظلت بأيدى الصليبيين .

● شجاعة المماليك

ولم يكد يستقر الحكم للسلطان الظاهر بيبرس حتى شرع فى شن حرب على الكيان الصليبي ببلاد الشام ، ولم تنته هذه الحرب سنة ١٢٩١ الا باقتلاع آخر البقايا الصليبية من تلك البلاد وذلك على عهد السلطان الاشرف خليل بن قلاوون ، وبذلك احتفظ المماليك فى التاريخ لأنفسهم بشرف تطهير ارض الشام من أولئك الغزاة الغربيين . على أن الحروب الصليبية لم تنته من صفحة التاريخ بطرد آخر البقايا الصليبية من بلاد الشام فى أواخر القرن الثالث عشر للميلاد ، وانما استمرت هذه الحروب طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، فتعرضت بلاد المغرب الاسلامى لعدة هجمات ذات طابع صليبى ، واتخذت حرب الاسترداد فى حين دأب الغربيون على شن هجمات بحرية بين حين و آخر على بعض موانى المسلمين وبخاصة فى مصر والشام . وكان ان تصدى المماليك فى شجاعة لصد هذه الهجمات وحماية البلاد من المعتدين ، بل لقد ارسلوا الحملات فى مصر لغزو القواعد

الصليبية فى شرق البحر المتوسط مثل قبرص ورودس . وبلغ من اتساع شهرة المماليك كحماة لبلاد الاسلام ان المسلمين فى المغرب والاندلس استنجدوا بهم ، ولكن بعد المسافة وصعوبة الطرق البحرية والبرية ، وتعرض دولة سلاطين المماليك فى خريف عمرها لأزمات داخلية ... كل ذلك حال دون قيام المماليك بدور ملحوظ فى جبهة المغرب .

وهكذا ظهرت مصر فى عصر سلاطين المماليك فى صورة القوة الحضارية والسياسية والحربية الكبرى على مسرح العالم الاسلامى ، مشرقه ومغربه ، وظهر المماليك انفسهم فى صورة حماة الاسلام واهله وارضه ، حتى لقد أطلق عليهم المؤرخ المعاصر ابن واصل اسم "داوية الاسلام" اى ابطاله وفرسانه المدافعون عنه ، تشبيها لهم بفرقة فرسان الداوية ، وهى جماعة أو منظمة صليبية جمع افرادها بين حياة السلم والحرب ، وقاموا بدور بارز ملحوظ فى حماية الكيان الصليبى والذود عنه .

● زعامة مصر

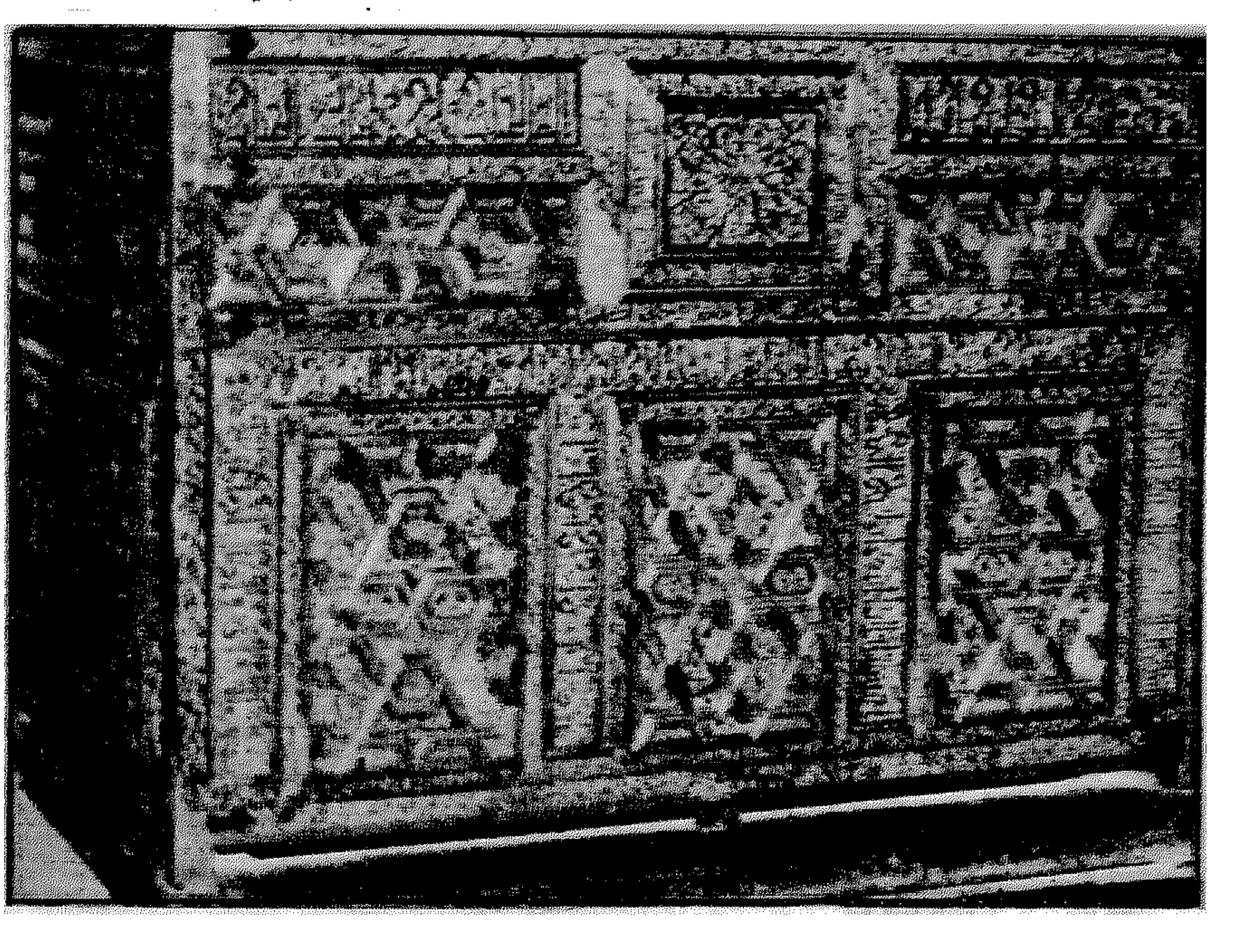
ولم يكن هذا وحده مصدر اهمية مصر وزعامتها فى عصر سلاطين المماليك ، وانما لجا المماليك فى أحياء الخلافة العباسية فى مصر بعد سقوطها على ايدى التتار فى بغداد . ويبدو ان المماليك فى بداية دولتهم احسوا بنوع من النقص بسبب اصلهم غير الحر ، الأمر الذى جعل البعض يانفون من الخضوع لحكمهم ويرددون عبارة "كيف نرضى بحكم أناس قد مسهم الرق" ، لذلك ارادوا أن يضفوا على حكمهم صبغة شرعية تجعل هذا الحكم مقبولا من الناس . وكان ذلك فى الوقت الذى أحس المسلمون بفراغ كبير بعد ان أسقط التتار الخلافة العباسية وتركوا العالم الاسلامى - لأول مرة منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام - بلا زعامة روحية تتمثل فى شخص خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم فى حكم المسلمين . لذلك استدعى السلطان الظاهر بيبرس - المؤسس الحقيقى لدولة سلاطين المماليك - أحد سلالة بنى العباس الى مصر ، وبعد التاكد من صحة نسبه بويع بالخلافة فى حفل كبير ضم جمعا من الأمراء ورجال العلم والدين . وهكذا بعثت الخلافة العباسية فى القاهرة بعد سقوطها فى بغداد ، فقام الخليفة العباسى بدوره بتقليد السلطان "الديار المصرية ، والبلاد الشامية ، والديار بكرية ، والحجازية واليمنية والفراتية ، ومايتجدد من الفتوحات غورا ونجدا" ومعنى هذا ان سلاطين المماليك غدوا منذ ذلك الوقت أصحاب حق شرعى فى الحكم ، لانهم يشغلون منصب السلطة بتفويض من الخلافة العباسية صاحبة الولاية الشرعية على كل المسلمين .

ومهما يقل من ان الخلافة العباسية فى مصر كانت محدودة النفوذ والسلطان تحت هيمنة المماليك وسطوتهم ، وان الخليفة العباسى عاش

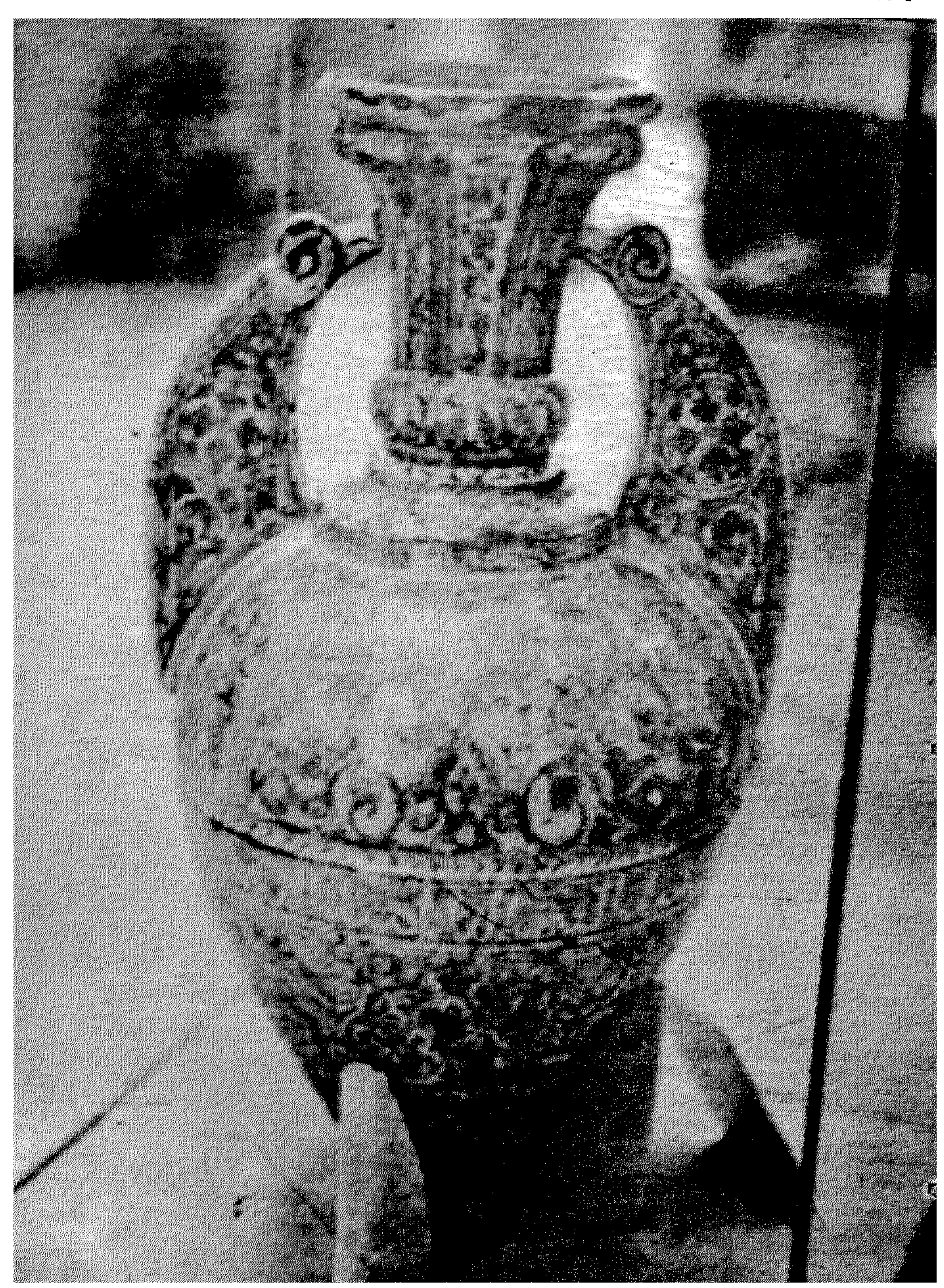
في مصر ، وخلافته "ليس فيها امر ولا نهي ، وحسبه ان يقال لـه امير المؤمنين" على قول المؤرخ المعاصر المقريزي ، فإن فكرة قيام الخلافة العباسية في مصر ، جعل منها قبلة انظار المسلمين جميعا في مشارق الأرض ومغاربها ، فارسل بعض حكام العالم الاسلامي السفراء إلى القاهرة لطلب تفويض من الخليفة العباسي بحكم بلادهم ، وذلك لاضفاء صبغة شرعية على انفسهم وعلى حكمهم . هذا إلى ان كثيرين من العلماء ورجال الدين هجروا بلادهم وانتقلوا الى مصر ليعيشوا الى جانب الخلافة وعلى مقربة منها ، مما جعل مصر قمة النشاط العلمي والديني في العالم الاسلامي .

وقد عبر عن ذلك المؤرخ السيوطي بعبارة نصها "إعلم ان مصر من حين صارت دار الخلافة عظم أمرها ، وكثرت شعائر الاسلام فيها ، وعلت فيها السنة ، وعفت منها البدعة ، وصارت محل سكن العلماء ومحط رحال

صندوق من الخشب محلى بزخرفة اسلامية وخطوط عربية بسيطة



زهرية من الخزف مزخرفة بالبريق المعدني تحمل شعار دولة بني الاحمر في الاندلس "ولاغالب الا الله" .



الفضلاء ، وهذا هو بعض السر فى كثرة المؤسسات العلمية والدينية على اختلاف أنواعها ، وما صحب كل ذلك من نشاط دينى وعلمى واسع ، ترك أكبر الأثر فى المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك .

● الحياة الاجتماعية

والواقع أن المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك يستحق منا وقفة خاصة طويلة ، لأن بناء المجتمع وأركانه من جهة وحياة الناس الخاصة والعامة من جهة أخرى ، هى التى ترسم الصورة الواقعية لأية حقبة من حقب التاريخ .

فمن ناحية البناء كان هذا المجتمع طبقيا ، تألف من عدة فئات وطوائف أهمها المماليك أنفسهم ، ثم طائفة المعممين ، فالتجار ، وأهالى المدن من أرباب الحرف والعوام ، والفلاحين ، والعربان ، والأقليات الاجنبية .. هذا بالاضافة الى أهل الذمة من المسيحيين واليهود ، وقد انتشروا فى المدن وكثير من انحاء الريف . وكان لكل فئة من هذه الفئات وضعها الاجتماعى الذى جعل منها طبقة واضحة المعالم فى بناء المجتمع المصرى فى عصر المماليك .

أما عن المماليك ، فكانوا يشكلون طبقة محاربة ، لها من الامتيازات ما مكنها من السيطرة على البلاد وأهلها .

وكان للمماليك فى أصلهم ونشاتهم وطريقة تربيتهم واسلوبهم الخاص فى الحياة وعدم اختلاطهم بأهالى البلاد .. لهم فى كل ذلك سياج احاط بهم وجعلهم يعيشون - الى حد كبير - فى عزلة عن أهل البلاد . ولم يكن المماليك جميعا من اصل واحد ، وإنما انتموا إلى اصول متباينة ، فكان منهم التركى والمغولى والرومى والصقلبى بل الألمانى . هذا وان كانت غالبية المماليك فى دولتهم الأولى من الترك ، وغالبيتهم فى دولتهم الثانية من عنصر الجركس .. ومعظم هؤلاء المماليك جلبهم الى مصر تجار الرقيق . وان كانت هناك قلة اتت عن طريق الأسر فى الحروب او عن طريق الأهداء .. وينسب المملوك عادة الى استاذه ، اى سيده الذى اشتراه صغيرا ، وتعهده بالتربية والعطف حتى شب وكبر فاعتقه وحرره وجعل منه درعا يدافع عنه ويعتمد عليه وقت الشدائد . وبناء على هذه النسبة كان يقال المماليك الأشرفية والظاهرية والناصرية ، نسبة إلى الأشرف والظاهر والناصر . وربما انتسب المملوك إلى تاجره الذى جلبه ، وبخاصة إذا كان هذا التاجر معروفا بحسن بضاعته وانه لايجلب إلا الممتازين من صغار المماليك والحسان من الجوارى ، مثل المماليك العثمانية الذين ينسبون الى تاجر مشهور اسمه عثمان . كذلك ربما نسب المملوك إلى قيمته التى اشترى بها ، اذا كانت هذه القيمة مرتفعة تدل على ما فى المملوك

من مواهب ، مثل قلاوون الألفى الذى اشترى بالف دينار فى الوقت الذى كان متوسط ثمن المملوك العادى مائة وعشرين دينارا .

وقد حرص سلاطين المماليك على تربية مماليكهم تربية قومية ، وفى الوقت نفسه لم يضنوا عليهم بالعطف والرعاية ، حتى اذا ماشب المملوك وتحرر ارتقى فى سلم الامارة وصار من أرباب الاقطاعات ، وربما وصل الى منصب السلطنة بفضل ما يتهيا له من مواهب .. وبفضل هذا النظام المحكم ظل المماليك يمثلون نظاما متماسكا نجح فى توجيه سياسة البلاد فى الداخل والخارج . ولم يكن ذلك الا فى القرن الخامس عشر عندما اختل نظام المماليك وفسدت احوالهم مما ادى إلى تدهور دولتهم تدهورا سريعا انتهى بسقوطها فى أوائل القرن السادس عشر على أيدى العثمانيين . ويقارن المؤرخ المعاصر ابن تغرى بردى ـ وهو من أصل مماليكى ـ بين المماليك فى اول عهدهم ، عندما "كانوا على حظ وافر من الأدب والحشمة ، والتواضع مع الأكابر ، واظهار الناموس ، وعدم الازدراء بمن هو دونهم .." وبين ما صار إليه امرهم على ايامه ـ فى أواخر عهدهم فى القرن الخامس عشر ـ عندما غدوا "ليس لهم صناعة الا نهب البضاعة ، يتقوون على الضعيف ، ويشرهون حتى فى الرغيف ، جهدهم الاخراق بالرئيس وغزوهم فى التبن والدريس !!" .

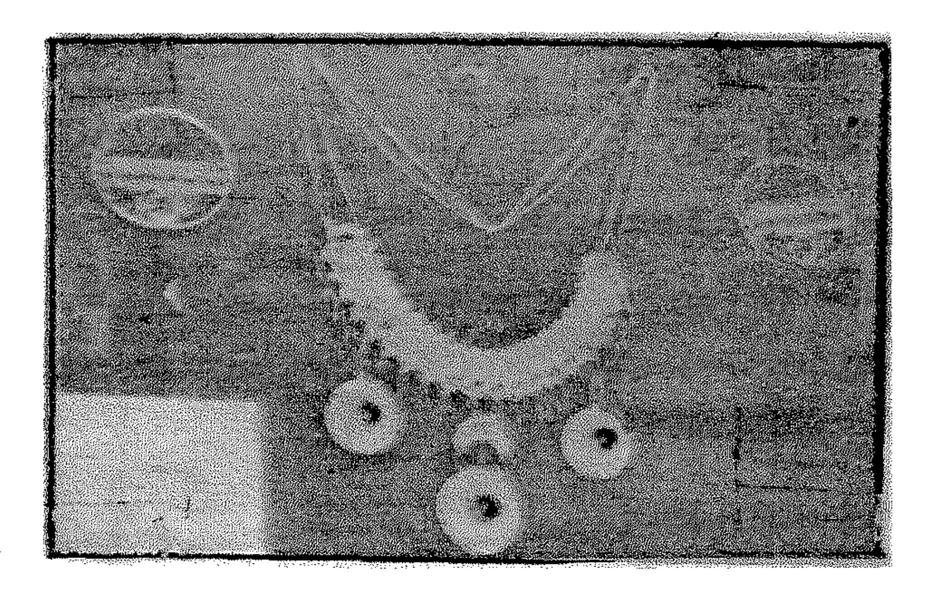
وبالاضافة الى المماليك الذين اكسبوا ذلك العصر طابعه الخاص المميز ، وجدت طوائف اخرى اسهمت فى بناء المجتمع المصرى ، منهم المعممون ـ أو أهل العمامة ـ وهم الفقهاء والعلماء والأدباء والكتاب وغيرهم من أرباب القلم ، تمييزا لهم عن أرباب السيف وهم المماليك ، وقد حظى المعممون بمكانة خاصة مميزة منها حرص سلاطين المماليك على احترامهم ، واضفاء الانعامات عليهم ، أو لأن بهم عرفوا دين الاسلام وفى بركتهم يعيشون" ..

اما كبار التجار فقد عاشوا فى ذلك العصر ـ وهو عصر التجارة والمال كما اسلفنا ـ عيشة منعمة ، حتى أن السلاطين كانوا احيانا ـ فى أوقات الشدة ـ يقترضون منهم . وكان المعاصرون اذا ارادوا مدح شخص وصفوه بانه "من بيت تجارة ووجاهة" على قول السخاوى .

● الزعر والحرافيش

وبالاضافة الى صغار التجار والصناعة وأرباب الحرف الذين كثيرا ما كونوا نقابات تنظم كيانهم وترعى شئونهم ، ولكل نقابة منها رئيس او شيخ يكون بمثابة حلقة الوصل بين اهل الحرفة من ناحية والحكومة من ناحية أخرى ... اكتظت المدن المصرية فى عصر سلاطين المماليك باعداد كبيرة من السوقة والباعة والسقائين والمعدمين ونحوهم . وقد اطلقت

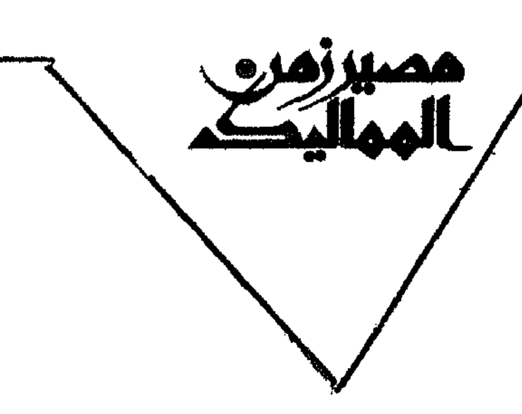
كرسى من النحاس منشور الشكل مكفت بالفضة بزخارف مخرمة وكتابات نسخية باسم السلطلت الناصر محمد بن قلاووى .



مجموعة حلى من العصر المملكوكى

صحن مكشوف لمسجد الناصر محمد بن قلاوون وحوله الاروقة





المصادر المعاصرة اسم "العامة" على هؤلاء ، أما الفئة المنحطة من هؤلاء العامة ، فقد عرفها المقريزى باسم "اوباش العامة" ، وتشمل من عرفوا فى المصادر المعاصرة ايضا باسماء "الزعر" و"الحرافيش" و"البلاصية" وجميعا وصفوا بانهم "أهل صلابة وجوه ودعارة" . ومن الواضح ان مدينة كبيرة فى اى زمان او مكان لاتخلوا من امثال هؤلاء المفسدين الذين كانوا كثيرا ما يستغلون اوقات الفتن والاضطرابات للتخريب والسلب والنهب .

فاذا انتقلنا الى خارج المدن ، وجدنا غالبية أهل البلاد من الفلاحين الذين يعملون بالزراعة وفى ظل نظام اقطاعى صارم ، كذلك النظام الذى طبقه المماليك فى مصر ، عاش الفلاح المصرى مغلوبا على امره ، محروما من كثير من اساسيات الحياة الكريمة ، يكد ويشقى ليشبع مطالب الحكام وبطونهم . وقد اشارت بعض المصادر المعاصرة الى الفلاح عندئذ ، فوصفته بالجهل وسوء الحال - وأنه فى افخر ماكوله لا ياكل الا الشعير والجبن القريش والبصل . أما القرية المصرية فى ذلك العصر تحتفظ بطابعها القديم فظلت من حيث أزقتها الضيقة وبيوتها المشيدة من اللبن . وأطفالها الحفاة .

وربما زاد من البلاء الذى حل بالفلاح عندئذ انتشار العديد من قبائل العربان على مشارف الأراضى الزراعية ، وهؤلاء استعلوا على الفلاحين ، ودابوا على الاغارة عليهم وعلى قراهم لسلبها ونهبها بين فينة وأخرى ، دون أن توجد قوة تكبح جماحهم وتحد من بطشهم .

وكانت القلعة دار الملك ومركز الحكم فى عصر سلاطين المماليك فيها مقام السلطان وحريمه ومماليكه ، ودور لخواص الأمراء ونسائهم واولادهم ومماليكهم ، بالاضافة الى دار الوزارة ، وعدد من القاعات والمساجد والأحواش وغيرها . واتصفت الحياة الرسمية داخل القلعة بالفخامة والتعظيم وما يمكن ان نسميه الحرص على قواعد البروتوكول ، فاحاط بالسلطان عدد كبير من امراء المماليك لكل منهم رتبته ووظيفته ولقبه

أما القاهرة فى ذلك العصر فاتصفت بفخامة مافيها من منشات ومؤسسات دينية كالمساجد ، وتعليمية كالمدارس والمكاتب واقتصادية كالوكالات والقياسر والأسواق واجتماعية كالحمامات والسبل والبيمارستانات وغير ذلك واتصفت القاهرة عندئذ - حسبما ذكر الرحالة الأجانب الذين وصفوها - باكتظاظها بالسكان وكثرة بيوتها ، وضيق دروبها ، وازدحام طرقاتها بالمارة والسوقة والدواب . فالخيول المطهمة يركبها المماليك ويركضون بها وسط الطرقات والاسواق المزدحمة وهم يضربون الناس يمنة

ويسرة ليفسحوا لهم الطريق ، والجمال العديدة تحمل قرب الماء ويطوف بها السقاءون على البيوت والحوانيت ، والحمير قامت بدور سيارات الأجرة فى عصرنا ، فعنى اصحابها بتطهيمها ليستاجرها الناس فى قضاء حوائجهم .

ولم يفقد اهل مصر روح المرح ، حتى فى أشد الأوقات صعوبة وقسوة ، كاوقات الأزمات الاقتصادية او الفتن والاضطرابات وقد دفع ذلك المؤرخين المعاصرين الى وصف اهل مصر "بالامعان فى الملاذ وكثرة الاستهتار وعدم المبالاة" على حد قول المقريزى أما ابن خلدون ـ وهو معاصر ايضا ـ فقد وصف اهل مصر عندئذ بأنهم "كانما فرغوا من الحساب" ، اى أنهم فى حالة من راحة البال مثل الشخص الذى اتم الحساب وفرغ من الامتحان ولم يعد يتخوف من المساءلة .يذكر المؤرخ المعاصر ابن تغرى بردى انه شاهد الناس فى القاهرة أثناء الوباء الذى انتشر سنة ٨٥٣هـ وحصد الآف من الافراد شاهدهم يضحكون ويهزلون ويحمدون الله "الذى جعل من المزاح سلوة الهم والارتواح !!"

أما فى الأعياد الدينية ، فكان الناس يبالغون فى الماكل والملبس والمشرب وتوزيع الصدقات ، ويهرعون إلى المساجد حيث تعقد حلقات الذكر ويتنافس المنشدون فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن تلاوة القرآن الكريم والاكثار من الأضواء . وفى عيدى الفطر والأضحى بالذات يكثر خروج الناس الى اماكن الأنس ، وبخاصة القرافة ونهر النيل .

وهكذا زخر عصر سلاطين المماليك فى مصر بنشاط حافل على كل الاصعدة مما اكسب ذلك العصر طابعه المميز فى التاريخ .



واجهه لقصر بشتاك



مِصْرُ القَدِيمَة

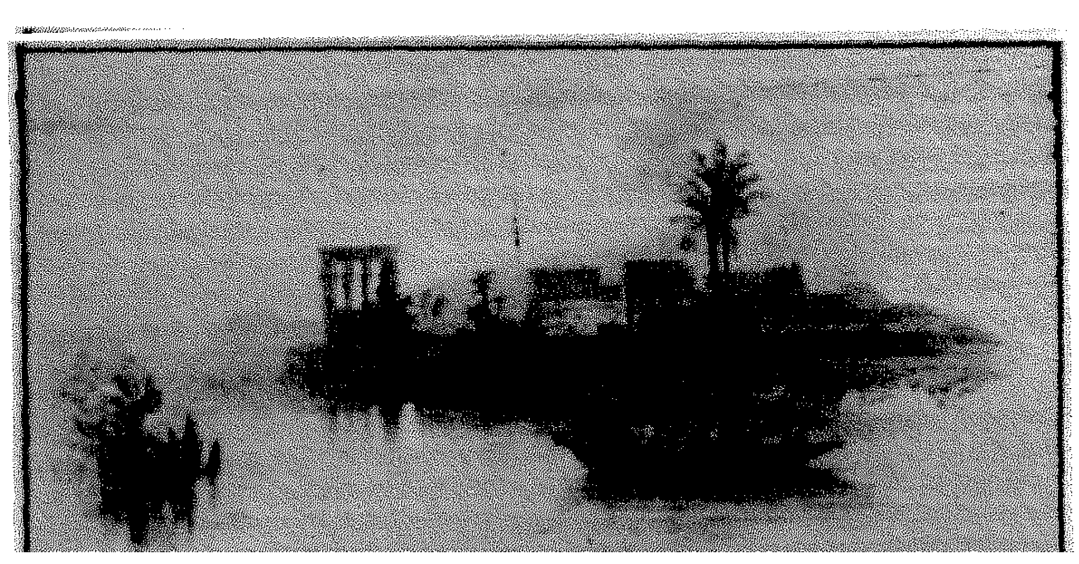
فى أعمال نجيب محفوظ

بقلم: بهاء طاهر

● يشبه تاريخ مصر القديم في مجراه العام مسرحية من ثلاثة فصول ، لها كالدراما عند أرسطو بداية ووسط ونهاية . ففي الفصل الأول .. أو المرحلة الأولى من هذا التاريخ المدوّن ، كان هناك خط من الصعود المستمر .. بدأ بتوحيد شمال مصر وجنوبها في حكومة مركزية قوية ، وتطور على أيدى ملوك شموسى ، أشرق على مصر في عهدهم نور العلوم والفنون بصورة لم يعرفها العالم القديم من قبل ، وظلت أهرامهم الرواسي صروحا شامخة تشهد على ذلك المجد ، وعن تلك المرحلة بالذات ـ مرحلة بناء الهرم ـ يكتب نجيب محفوظ أولى رواياته "عبث الأقدار" ●

غير أن بذرة الصراع الدرامي في ذلك العصر كانت بادرة برغم كل تلك القوة ، وتمثلت في النزاع الذى بدأ على استحياء بين الملوك والكهنة منذ الأسرة المالكة الرابعة ـ أسرة بناة الأهرام ـ واشتد في ظل الأسرتين الخامسة والسادسة فعصف بالحكومة المركزية ، وانتهى الفصل الأول بانفجار بدا وكأنه دمر كل شيء ، حيث تفتتت الوحدة التي صنعها مينا أول الملوك الأقوياء ، ونشبت ثورة لعلها أول ثورة شعبية مدونة في التاريخ ، حطمت الملوك والكهنة على السواء ، وتمردت على كل قيم الدولة المستتبة ، وعن الصراع بين الملوك والكهنة يكتب محفوظ روايته الفرعونية الثانية "رادوبيس" .

ثم يمر حوالى مائتى عام قبل أن يبدأ الفصل الأوسط من هذه الدراما التاريخية ، تسترد مصر الموحدة نفسها ، وتتطور الحضارة والمعرفة ، ولكن بذرة الصراع تأتى هذه المرة من الخارج ، من قبائل البدو القادمين من الشرق والذى احتلوا أرض مصر ، أو معظم أرضها ، حيث ظل أقصى الجنوب مستقلا ، وخاض الجنوبيون معارك كثيرة خاسرة ضد الغزاة الذين تفوقوا عليهم بفضل تكنولوجيا لم يكن للمصريين علم بها ، هى استخدام الحصان ، ذلك الحيوان الحربى الأصيل الذى لم تعرف سلالاته الأولى مع الأسف طريقها إلى وادى النيل قبل أن يدخلها غازيا ، ولما استوعبت مصر الجنوب هذه الوسيلة الحربية



مصر القديمة في أعمال نجيب محفوظ

الجديدة ، انتصرت على غزاتها ، واستطاع أحمس مؤسس الأسرة الثامنة عشرة أن يطردهم من الأرض كلها ، ولهذا ظلت له عند المصريين دائما مكانة المحرر العظيم ، وخلد محفوظ حياته وصراعه في روايته الفرعونية الثالثة "كفاح طيبة" .

وفي الفصل الثالث والأخير ، من تاريخ مصر القديمة ، المعروف باسم الدولة الحديثة التي اسسها أحمس ، تبلغ تلك الدراما المصرية ذروتها ، تبلغ الذروة في كل شيء .. في الاستقرار والقوة اذ تتوسع حدودها في الشرق والجنوب ، والذروة في العلوم والفنون - فها هو معبد الكرنك بضخامته المهيبة يتحدى أي بناء معماري اخر اقامه الانسان ، بينما ينافس معبد الدير البحري الصغير المقابل لمعبد الكرنك ، بمقاييسه الدقيقة وتناغمه مع الجبل الذي يولد في جفنه التصورات الاغريقية التالية للعمارة ، ويبلغ الصراع أيضا ذروة بين الفراعنة والكهنة ، يداريهم بعض الفراعنة بالهبات والعطايا فيزدادون ثروة وقوة ، ويعالجهم فراعنة اخرون بالسياسة حين يضربون بعض الكهنة بالبعض الاخر ، حتى يصل اخناتون .. اخناتون الفرعون الشاعر الذي انشق انشقاقا كاملا عن مؤسسة الكهنة ، وقدم أول ديانة للتوحيد في العالم ، يرى فرويد في اخر كتبه "موسى والتوحيد" أن العقيدة الموسوية كما نعرفها من العهد القديم قد تأثرت بها تأثرا قويا ، ولكن فترة الحكم السعيد لأخناتون تنتهي نهاية مأسوية كما نعرف ، إذ يهجره أعوانه بمن فيهم زوجته الجميلة نفرتيتي ، ثم يرغم في النهاية على التنازل عن العرش ، ويموت أو يقتل وحيدا في قصره ، وتكون هذه المأساة موضوع آخر روايات محفوظ الفرعونية (العائش في الحقيقة) ، وهو اللقب الذي اختاره أخناتون لنفسه

تلك هي ابرز ملامح الدراما الفرعونية كما تناولها نجيب محفوظ ، ذلك انه بعد الذروة يأتي الهبوط من الذروة ، يتتابع على العرش في الدولة الحديثة بعد أخناتون ملوك ضعفاء ، ويظهر بين الحين والاخر ملوك اقوياء ، ولكن عوامل الفساد كانت تنخر في الداخل ، وتهديد الدول الجديدة الفتية يزحف من الخارج ، فيهبط بالتدريج ستار من الظلام على تلك الحقبة من تاريخ مصر ، قبل أن تدب الحياة من جديد على مسرحها بشخوص جديدة ورؤى جديدة .

● حكاية الطفل المقدس

يقول نجيب محفوظ في خطاب تسلمه لجائزة نوبل انه ابن حضارتين : الفرعونية والاسلامية ، والواقع انه قد جمع في شخصه وعمله على نحو فريد بين هاتين الحضارتين الكبيرتين لنحاول أن نستكشف شيئا من ذلك بالتركيز على الحضارة الأقدم .

كتب نجيب محفوظ أولى رواياته "عبث الأقدار" فى عام ١٩٣٩ ، عشية الحرب العالمية الثانية ، وكانت مصر تخوض منذ وقت أبعد حربها الخاصة بمحاولة التخلص من الاحتلال الانجليزى ، وفى هذا الصراع الطويل كان المصريون يرجعون الى تاريخهم القديم ، يستمدون من لحظاته المجيدة الثقة بأنفسهم ، وتأكدت هذه النزعة بعد ثورة ١٩١٩ الكبيرة ضد الانجليز ، فراح "مختار" أشهر مثال مصرى معاصر يستلهم فى أعماله الباكرة فن النحت المصرى القديم ، استقى منه تجريد الخطوط والتعبير بالكتلة لا بالتفاصيل ، وراحت أيضا مدارس الفن التشكيلى المصرى الجديدة تبحث فى الفن المصرى القديم عن مصادر لالهام عصرى ، وذلك شبيه الى حد ما بما حدث فى عصر النهضة فى أوربا ، باستلهام المصادر اليونانية والرومانية .

ولم يكن غريبا فى هذا المناخ النفسى أن يكون أول اختيار لنجيب محفوظ هو أزهى فترات ذلك التاريخ القديم : أى لا أقل من مرحلة بناء الهرم الأكبر .

وتبدو "عبث الأقدار" حتى من مجرد عنوانها عملا ميلودراميا يليق بسن الشباب ، وهى تستند فى خطوطها العريضة الى اسطورة تاريخية حفظتها بردية شهيرة معروفة ببردية "ديستكار" ، فلقد مثل بين يدى خوفو قبل اكمال بناء هرمه الكبير بعشر سنوات ساحر خارق القدرات ، بشره بطول العمر والمجد ، ولكنه تنبأ له فى الوقت نفسه بأن الحكم سيخرج من سلالته الملكية ، ذلك أن طفلا مقدسا قد ولد لكاهن الاله رع فى احدى مدن الجنوب هو الذى سيرث العرش بعد حين ، وتغضب هذه النبوءة الملك خوفو وولى عهده القاسى فيمضيان على الفور على رأس حملة الى الجنوب ، ويقصدان الى بيت الكاهن ، الذى ينتحر لعلمه بمقصد القادمين ، وهناك يجدان طفلا رضيعا وأمه فيسلّ ولى العهد السيف ويقتل بضربة واحدة الأم والطفل دون أن يسمع تفسيرا أو يقبل دفاعا ، ويرجع خوفو وولى العهد مطمئنين الى عاصمة الملك ، أما نحن فنعرف بطبيعة الحال أن الطفل المقتول ليس هو الطفل المنذور للمجد ، فقد هرب الكاهن ذلك الرضيع وأمه مع احدى الجاريات الى قريته الأصلية ، ولكن فى الطريق تهاجم العربة قافلة من البدو ، وتتمكن الخادمة من الهرب بالطفل ، وتتشرد الخادمة الوفية بطفلها حتى تصل الى العاصمة ، وهناك يعطف عليها بشارو مفتش بناء الهرم ، أو مدير مستخدميه بلغتنا العصرية ، ثم يتزوجها ويتبنى طفلها ددف ، وفى مسار القصة يقترب ددف خطوة خطوة من تحقيق النبوءة التى لا يعرف شيئا عنها ، وتبدو حتى من هذه القصة الأولى ، مقدرة نجيب محفوظ الهائلة على صياغة الأحداث الروائية المتماسكة والمشوقة ، ولن يستطيع سرد هذه الأحداث بطبيعة الحال ، ولكن القصة تنتهى بأن ينقذ ددف الملك خوفو من مؤامرة دبرها ولى العهد الذى نفد صبره من طول فترة حكم الملك الشيخ ، ثم بأن يعلن الملك الجريح على فراش الموت أنه يعطى العرش من بعده لددف بن بشارو ، كما يزوجه من ابنته ، ولكن قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة تظهر الأم الحقيقية ، ويعرف خوفو أن ولى عهده هو الطفل الذى حاول فى البدء أن يقتله وأن كل صراعه ضد القدر كان عبثا .

سيلاحظ القارىء على الفور التشابه الذى لا تخطئه الذاكرة بين هذه القصة الفرعونية التى سجلتها أوراق البردى قبل

مصر القديمة

فى أعمال نجيب محفوظ

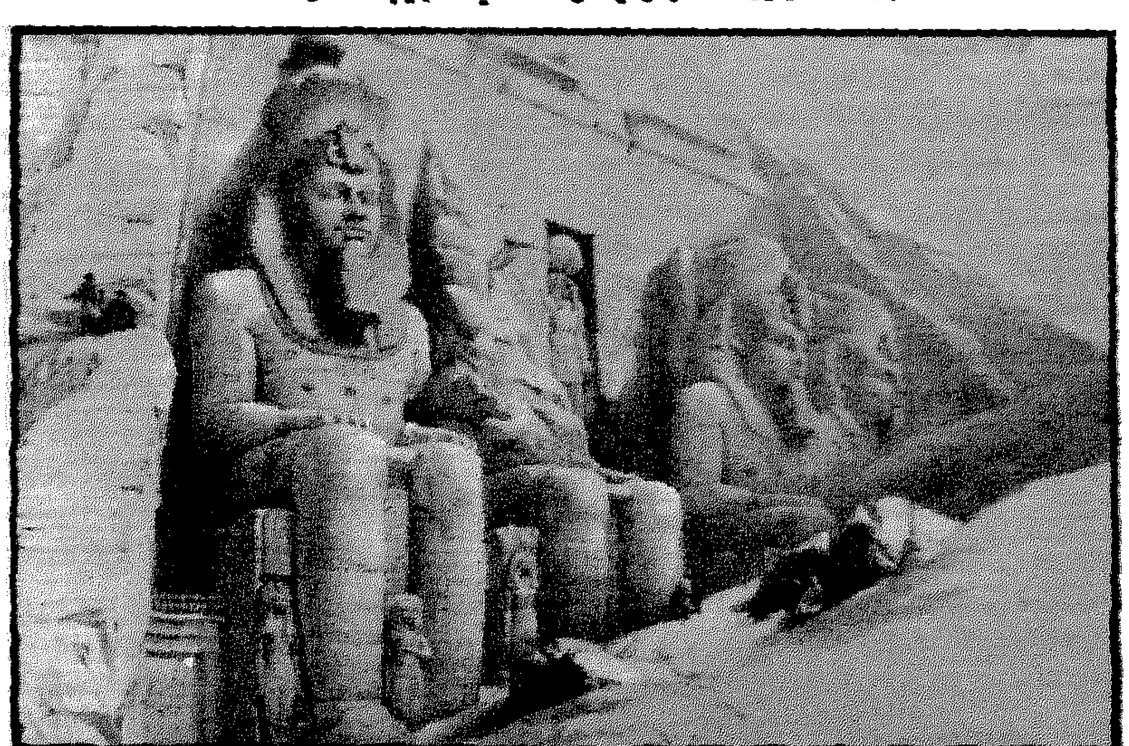
خمسة الاف عام ، وبين قصة نبوءة اخرى تالية وشهيرة فى تاريخ الأدب ، نبوءة الطفل الذى قيل انه سيحكم بدلا من أبيه ، فيحاول الأب قتله وليدا ، ولكن الخادم المكلف بالقتل يهربه فينشأ بعيدا وغريبا ، ثم ينتهى بأن يقتل على غير علم منه اباه ويتزوج امه ويتولى العرش (وهو يحاول ان يهرب منه عندما تكررت على سمعة النبوءة) ، وحين يكتشف الحقيقة يفقا عينيه وينفى نفسه من المدينة ... وذلك هو اوديب الملك الذى اصبحت قصته على مدى التاريخ الأدبى رمزا للصراع ضد القدر منذ سوفوكليس اليونانى وحتى اندريه جيد الفرنسى قصة هذا الصراع عند اولهما هزيمة تنتهى بالتكفير والغفران ، وعند الثانى هى تمرد يحقق غايته فى ذاته بمعنى ان اوديب قد انتصر على القدر بمجرد ان قرر الا يستسلم له ، وبمجرد أن حاول ان ينجو من النبوءة رغم سقوطه فى براثنها وهو يحاول النجاة ..

● انه لملك رجيم

هذان مفهومان للقدر ، فما هو مفهوم نجيب محفوظ المصرى فى "عبث الأقدار" :

ان الاجابة التى يقدمها نجيب محفوظ تجمع بين التراث الذى حفظته الأسطورة ، اذ يكرر فى الرواية بالنص تلك الحكمة

انا ابن حضارتين : الفرعونية والاسلامية نجيب محفوظ



المصرية القديمة "لا ينجي حذر من قدر" ، وبين تأثره الواضح بالفلسفة الاسلامية التى درسها فى الجامعة والتى يشغل مفهوم الجبر والاختيار محورا رئيسيا فيها : هل الانسان مسير فى افعاله أم انه مخير بارادته الحرة ؟ .. وتنصهر المؤثرات فى بوتقة فكر نجيب محفوظ ليقدم رؤيته الخاصة : فالقدر عنده حقيقة رافعة وحرية الانسان حقيقة واقعة ، وهناك عدالة الهية تفرض على الانسان قدره بناء على ما يفعله بارادته الحرة ، فلقد سمع خوفو نبوءة العراف وحاول ان يهرب منها بارتكاب جريمته ، واستحق بارتكابه لهذه الجريمة أن ينفذ فيه قضاء القدر .

وها هو فرعون يقول على فراش موته بلسان محفوظ "أعلنت على الأقدار حربا شعواء ، فجردت جيشا صغيرا سرت على رأسه بنفسى لقتال طفل رضيع ، وظننت أننى نفذت ارادتي وأعليت كلمتي ... واذا بالرب يصفع كبريائي ، وها انتم ترون كيف انى اجزى طفل رع على قتله ولى عهدى باختياره خلفا لى على العرش ، فانظروا" .

ذلك التسليم الأخير من خوفو يختلف كثيرا عن تفجع أوديب اليوناني بعد ان ادرك الحقيقة ففقأ عينيه ، فلمرة أخرى يقر فرعون بندمه الذى انتابه بعد الجريمة ، ويراه مبررا للعقاب الذى حل به ، ولمرة اخرى يدرك ما كرره من قبل "ان فعال الالهة قد تلبس رداء الوحشية ولكنها فى جوهرها حكمة سامية" ترى ما هى الحكمة فى حالتنا هذه ؟ لقد كان ددف عند محفوظ ، وهو الجندى المفكر القارىء ، الرحيم والوفي ، أحق بالعرش من ولى العهد الانانى والمتوحش .

تلك اجابة اخلاقية ، قاطعة ومباشرة تليق بالسن وبالمرحلة اللتين كتب فيهما محفوظ روايته ، ولكن هناك ايضا اجابة اخرى غير مباشرة وابعد دلالة ، فمحور الرواية هو بناء الهرم ، فما الذى يدل عليه ذلك البناء عند محفوظ ؟ هو يتصدى أولا فى الرواية ، وبمنطقه الروائى ، للرد على تلك الشائعة التاريخية التى كان مصدرها هيرودوت عندما قال ان خوفو سخر المصريين واستعبدهم لبناء الهرم ولم يكن هيرودوت معاصرا لبناء الهرم ولكنه سجل رأيه بعد عشرين قرنا من ذلك البناء فتوارثه الكتاب كما لو كان حقيقة تاريخية .

وعند محفوظ ان ذلك الصرح العظيم عمل يليق بالأحرار لا بالعبيد ، ويساند رأى محفوظ كل ابحاث المؤرخين الجادين الذين تناولوا تلك الفترة ، فقد كان الهرم معبدا كأى معبد اخر ، لأن الفرعون كان ينضم للالهة الخالدة بعد وفاته مباشرة ، وقد بنى سنفرو والد خوفو هرما ضخما هو الاخر ولكنه كان من أكثر الملوك شعبية وظل يعرف عند الأجيال التالية باسم "الملك الرحيم والفرعون المحبوب" ، لقد كان الايمان لا السخرة هو الحافز وراء ذلك البناء العظيم .

● حين تكون الأسطورة واقعا

يتفق ذلك التفسير تماما مع هدف محفوظ وجيله من بعث التراث المصرى كحافز على الاعتزاز بالذات وكمحرك للنهضة ، ولكن لبناء الهرم دلالة أخرى تتفق مع مفهوم محفوظ عن القدر فى تلك المرحلة من اعماله ، إن خوفو يثبت أمام القدر ، لا بمحاولاته للهرب من النبوءة التى انذرت بالقضاء على سلالته ومجده ، بل باصراره على تشييد الهرم ، فالرواية تسجل ايضا تردده أمام هذا المشروع الذى بدا طموحا مستحيلا أمام الجهد البشرى ، وصراعه مع اليأس ، وتغلبه على الوسواس التى تصرفه عن اكماله حتى يقيم فى النهاية كما

مصر القديمة

فى أعمال نجيب محفوظ

يقول محفوظ "شعار مصر الخالد .. فهو وليد الصبر .. وهو مثال العبقرية التى جعلت من وطننا سيدا على الأرض تسبح الشمس فيه مع خوفو فى السفينة المقدسة" .

وبعيدا عن الغنائية وعن الوطنية المبررتين ، فان محفوظ يريد ان يقول شيئين محددين : ان خوفو الذى فشل فى تحدى القدر وارتكب جريمة لانقاذ عرشه ، هو نفس الفرعون الذى بنى الهرم وثبت امام القدر بانجاز يبرر حياته . والشىء الآخر وهو وثيق الصلة بذلك ان الانسان ـ خوفو فى حالتنا هذه ـ هو مرتكب الجريمة وهو صانع الخير ، فهو ليس بريئا وليس مذنبا ولكنه البرىء المذنب .

وستظل فكرة القدر التى بدأ اهتمام محفوظ بها فى الاطار المصرى القديم فكرة تشغله فى أعماله التالية الواقعية واللاواقعية على حد سواء ، وسيكتسب أبعادا جديدة يحارب أبطاله ضدها فينتصرون أو يسقطون ، ولن يكون فى هذه الاعمال هو القدر الميتافيزيقى وحده ، بل سيصبح قدرا اجتماعيا أو سياسيا أو حتى قدرا نفسيا نابعا من داخل الأبطال ، ففى رواية من احب رواياته الى قلب القراء وهى "بداية ونهاية" ، نرى صراع البطل ضد واقع اجتماعى راسخ يحاول ان يقفز فوقه ، ولكننا نكتشف معه ان لهذا الواقع صلابة القدر وحتميته ، ويتكرر هذا الصراع فى روايات اخرى لعل اشهرها "حضرة المحترم" ، ونجد للمحددات النفسية طابعا قدريا ايضا فى رواية "السراب" وفى شخصية "ياسين" الأسرة فى اشهر أعمال محفوظ وهى الثلاثية القاهرية ، ويرسم القدر "السياسى" مصير كثير من الشخصيات فى هذه الثلاثية وفى "زقاق المدق" وفى روايات اخرى .

وثمة مؤثر اخر بدأ عند نجيب محفوظ فى "عبث الأقدار" ، ولكنه سيلعب دورا أكبر فى أعماله التالية ، فاذا كان المزج بين العنصرين الأسطورى والواقعى فى هذه الرواية يسير فى خطين متوازيين نبوءة الساحر الأسطورية ومسار الأحداث الواقعية ، فان هذا التداخل سيصبح اكثر تماسكا فيما بعد ، وسنرى الواقع فى بعض الاحيان يتخذ شكل الأسطورة كما فى روايته الجميلة "الحرافيش" .

وبعد هذه الاشارات العابرة التى لا يسمح المجال باكثر منها نرجع الى عالم محفوظ الفرعونى ، بعد ان يكتب المؤلف ثلاث روايات فرعونية فى مستهل حياته هى أول ما كتب ، ينصرف عن التاريخ القديم قرابة أربعين سنة يكتب فيها اكثر من أربعين رواية ثم يرجع برواية "العائش فى الحقيقة" ، وقد اشرنا من قبل الى ان بطلى تلك الرواية هما اخناتون الملك الشاعر وأول الموحدين المعروفين ، وزوجته نفرتيتى التى شاركته فى مرحلة من ثورته الدينية ، والتى اصبح تمثالها النصفى الجميل رمزا لمصر القديمة لا يقل شهرة عن الهرم ، وكان لاخناتون ـ فى التاريخ الواقعى ـ قد انطلق من فكرة الاله الواحد وعشق الحقيقة لكى يحدث ثورة فى كل القيم فى عصره ، فقد نبذ القوة ورفض أن يستخدم الجيش خارج بلده ، وابتدع ثورة فى الفن فأصبحنا لأول مرة نرى صور الفرعون وتماثيله فى بعد انسانى لا تحوطه العظمة الشكلية ، بل تعمد أن تظهر صوره ملامحه البعيدة عن الجمال ، وبطنه المنتفخة وساقيه النحيلتين ، وعن ذلك

يقول محفوظ فى روايته على لسان اخناتون للفنان الذى يصوره "خلق الاله الأشياء فلا تعبث بها ، انقلها بأمانة ، ابرزها بتقوى ، إعكس كل ما بى من نقص فى الوجه والجسد ليتجلى جمالك فى الحقيقة" .

تختلف اللغة والبناء الروائى فى هذه الرواية اختلافا كبيرا عن عبث الأقدار ، فهى هنا أكثر بساطة وسلاسة ، واذا كان المؤلف قد عنى فى الرواية الأولى بحبكة القصة على حساب شخصياتها ، فقد افاد مع اخناتون من خبرته الروائية الطويلة لكى يقدم عملا لا تنفصل فيه الشخصية النابضة بالحياة عن الحدث المتدفق . وفى الوقت الذى لا يبتعد فيه محفوظ كثيرا عن السجل التاريخى لاختناتون ، يحاول أن يتلمس فى روايته اجابات على الألغاز التى احاطت بحياته . لماذا انشق على الديانة المصرية التقليدية ؟ .. كيف استطاع وهو المثالى المسالم أن يقاوم الكهنة الأقوياء أكثر من عشر سنين ؟؟ .. ماذا كانت علاقته بأمه الملكة "تى" التى حاولت أن تصرفه عن ثورته الدينية وبزوجته الجميلة التى كانت أكثر منه حماسا للدين الجديد ؟ ولماذا هجرته نفرتيتى فى اخر حياته عندما بدأ أعداؤه يحاصرونه ؟ .. هل كانت مجرد زوجة غادرة أم انها ، على العكس ، قامت بتضحية كبيرة لمحاولة انقاذه ؟ .. ولماذا انتصر أعداؤه من الكهنة فى النهاية وحطموا عاصمته المنشقة وديانته السامية وحياته ذاتها ؟

● أنشودة المثالية

بينما يغوص محفوظ فى قصة "اخناتون" بكل غموضها ، فان الرواية تكاد تكون أنشودة تمجيد للمثالية ورثاء لها فى الوقت نفسه ، ورغم انها تحفر حفرا فى شخص اختناتون من اولها الى اخرها على لسان كل من عرفوه من افراد حاشيته الأحياء فهى فى جوهرها ذلك التساؤل الذى تطرحه المربية البسيطة "كان هو النبل والصدق والحب والرحمة فلم لم يبادله الناس نبلا بنبل .. لماذا انقضوا عليه كالوحوش يمزقونه ويمزقون ملكه كأنه عدو لئيم ؟" .

لا تجيب الرواية على هذا السؤال وان طرحت كل اجاباتـه المحتملة ، ولكن القارىء سيلاحظ أن محفوظ يكن لهذا الفرعون المثالى نفس الاعجاب الذى يكنه لفراعنة القوة ، وهو يعطيه فى كتابه الحوارى الذى يحاكم فيه كل حكام مصر ، أى "أمام العرش" نفس المكانة السامية التى يعطيها لجده المحارب ومؤسس الامبراطورية المصرية القديمة تحتمس الثالث ، كيف ؟ .. هل هناك تناقض فى فكر نجيب محفوظ بين تمجيد القوة وتمجيد المثالية ؟ ... وهل هناك تناقض فى ثلاثيته الشهيرة ، مثلا ، بين فهمى عبدالجواد البطل الفعال الذى انضم لثورة ١٩ وقتله الانجليز ، وبين شقيقه كمال عبدالجواد المثالى الحالم ، الذى رأى فيه الكثيرون سيرة شخصية للمؤلف نفسه ! .. لابد من قراءة كاملة لأعمال محفوظ لتعرف كيف زاوج فى فكره وعمله بين نيتشه وغاندى .. أو فى الحقيقة بين خوفو واخناتون .. وكأنه قد الغى التناقض بين هذين الجانبين للوجه الانسانى .

ترى هل ورث نجيب محفوظ تلك الثنائية أيضا من الفكر المصرى القديم الحافل بالثنائيات ، والذى كان الها الخير والشر فيه أخوين شقيقين ؟

ان يكن فى ذلك هو الجواب فان مصر القديمة تكون قد قدمت مفتاحا اخر لفهم عالم محفوظ المركب والغنى بالدلالات ..

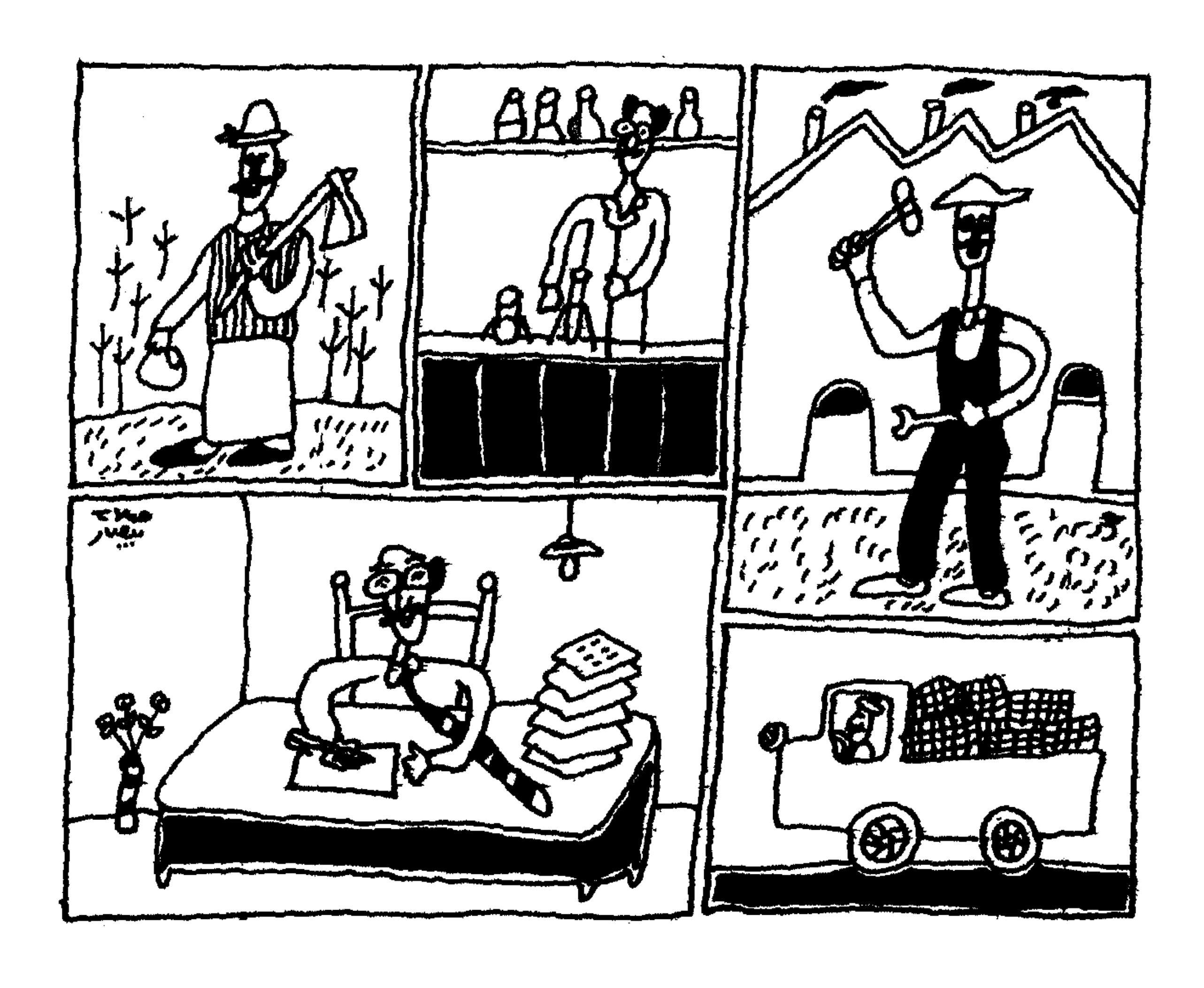


في حياة المواطن المصرى

بقلم : د . مصطفى سويف

هذا حديث أهديه الى وطنى وقومى ، بمناسبة اعياد اول مايو .
يحتل موضوع العمل فى حياة أى مواطن ، فى مصر او فى اى بلد آخر ، مكانة مرموقة ، وذلك بغض النظر عما اذا كان المواطن يعايش هذه الحقيقة بشعوره ووجدانه ام لا ، وبغض النظر عما اذا كان متنبها لكل مضامينها ومايترتب عليها ام لم يكن ..

أما فى مصر فهناك مشكلة معقدة حول علاقة المواطن بالعمل .. وتبدو بعض معالم هذا التعقد من خلال الأزمة الاقتصادية الراهنة .. ومع أن لهذه الأزمة جذورا متشعبة .. يتمثل بعضها فى اوضاع عالمية بعينها ، ويضرب البعض الآخر بجذوره فى السياسات غير الحكيمة التى اتبعتها عدة حكومات متوالية ، مع ذلك فإن قدرا من جذور الأزمة لايمكن التهوين من شأنه يتمثل فى العمل كما يبذله المواطن المصرى كما وكيفا .. ويشعر كثير من كتابنا ومفكرينا بهذه الحقيقة ، وفى سبيل القاء الضوء على الدور الذى تسهم به فى تعقيد الأزمة ، وفى سبيل الانطلاق منها الى اقتراح الحل الأمثل للمشكلات الاساسية التى يعانى منها الاقتصاد والاجتماع المصرى يصوغ كتابنا فروضا متعددة توزع المسئوليات بين القطاع العام والقطاع الخاص ، كأطر تنظم النشاط الاقتصادى للمواطن المصرى ، وفروضا اخرى تلقى بالمسئولية على عاتق هذا المواطن الذى لاينتج بقدر مايستهلك او بقدر ما يحب أن يستهلك .. ومهما تكن الاسباب فهناك علامة استفهام كبرى تتعلق بالعمل .. تشغل حيزا لايستهان به فى وجدان المواطن الذى يعنيه الهم العام .. لذلك رأينا أن نكرس هذا المقال لموضوع



« العمل » ، لعلنا نسهم بذلك فى تجلية بعض غوامض هذا المجال ، وغنى عن البيان أننا سنقتصر فى حديثنا هذا على الجوانب النفسية ، والنفسية الاجتماعية التى تربط العامل بالعمل ، ونتائج هذا العمل ، لأن هذا الميدان ، ميدان العوامل النفسية والنفسية الاجتماعية هو الذى يمكننا أن نأمل فى الاسهام فيه برأى قد يكون مفيداً ..

● العمل والحياة الانسانية ●

من وجهة النظر النفسية الاجتماعية يعتبر عملا كل نشاط يصدر عن الفرد بصورة منظمة ويؤدى بطريق مباشر أو غير مباشر الى انتاج سلعة او تقديم خدمة ..

ويستطيع المتأمل فى هذا التعريف أن يفهم لماذا يعتبر كثير من علماء النفس وعلماء الاجتماع أن للعمل دورا كبيرا فى تشكيل الحياة النفسية للفرد ، والحياة الاجتماعية للمجتمع ، بل ويستطيع أن يفهم لماذا احتفل به تراث الانسانية على مر العصور كما تكشف عن ذلك اساطير شعوب الأرض المختلفة ، واعداد كبيرة من طقوسها . ذلك أن العمل ، حسب التعريف الذى ذكرناه يعتبر قناة اتصال بين الفرد والمجتمع تفوق فى اهميتها أية

العمل
في حياة المواطن المصرى

قناة اتصال اخرى (بما فى ذلك اللغة . والعضوية فى الاسرة) ..

فهو من ناحية يضخ الدم فى جسم المجتمع فيحفظ عليه حياته (بما يقدمه من سلع وخدمات) ، كما انه ينشط نموه (بما يقدم من ابتكارات فى هذه السلع والخدمات قد تثور الحياة فيه) ، وهو من ناحية يعود على الفرد الذى قدم هذه السلع والخدمات بأنواع من العائد او المردود تحفظ عليه هو ايضا حياته وتنشط نموه وتثرى كيانه .. وبعبارة اخرى إن العمل يقيم بين الفرد والمجتمع علاقة تبادلية بالغة الاهمية بالنسبة لكل منهما ، لانها فى نهاية الأمر هى الدعامة التى تحفظ لكل من الطرفين كيانه (اى هيكله ، وما يتفاعل داخل هذا الهيكل من وظائف) ، وتضمن له نمو هذا الكيان . على هذا الاساس نستطيع ان نفهم كيف ان فيلسوفا اقتصاديا بارزا مثل هنرى دى سان سيمون (وقد عاش فى جنيف فى اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر) يقول إن فرنسا تخسر كثيرا اذا فقدت ثلاثة آلاف من ابنائها العاملين فى ميادين الصناعة والعلوم والفنون ، ولكنها لاتخسر شيئا ذا بال اذا فقدت ثلاثين الفا من وجهائها .

كذلك نستطيع أن نفهم كيف ان السلطان سليم الأول الذى فتح مصر سنة ١٥١٧ ليضمها الى الامبراطورية العثمانية اصابها فى مقتل حينما أمر بعد الفتح بنقل العمال المهرة منها الى الاستانة ، ونستطيع ان نفهم كيف ان هجرة العاملين المصريين المهرة باعداد متزايدة خلال العقدين الأخيرين تمثل خطرا كبيرا على حاضر مصر ومستقبلها المنظور .. نقول هذا رغم ترحيب من حكوماتنا بهذه الهجرة ، ولكن السبب وراء هذا التفاوت بين رؤيتنا ورؤيتهم هو انهم يفكرون فى المستقبل القريب ونحن نفكر فى المستقبل البعيد المجتمع المصرى .

على ان هذه الرؤى الثلاث ، رؤية الفيلسوف الاقتصادى النابه ، وما ينطوى عليه الحدث التاريخى الأول (بالنسبة لماضينا) ، والحدث التاريخى الثانى (بالنسبة لحاضرنا ومستقبلنا القريب) انما تصور احوال المجتمع وشدة اعتماده فى حياته وحيويته على العمل .. ولكننا نترك هذا الجانب الى الجانب الآخر من القضية ، لانه فى رأينا لايحظى بالاهتمام اللائق به ، ونعنى بذلك الطرف الخاص بالعلاقة بين العمل والفرد ..

● العمل والحياة النفسية للفرد :

تشير كثير من البحوث النفسية الحديثة الى ان العمل آثارا متعددة الجبهات والمستويات على العاملين انفسهم .. وان من هذه الآثار مايمس الصحة النفسية ، بل والبدنية العامل ، ومنها مايسهم بشكل أو بآخر فى تحديد مستوى لياقته النفسية .. ومن هنا يستطيع القارىء أن يدرك سبب اهتمامنا بهذا الموضوع . والقضية التى تعنينا بالضبط فى هذا الصدد يمكن ان تصاغ على النحو الآتى : إن العمل بمعناه الحقيقى المنتج لايلقى

فى حياتنا الراهنة الاهتمام اللائق به ، ومن هنا تأتى شكوى رجال السياسة والاقتصاد (متمثلة فى الحديث الذى لاينقطع عن الانتاج) ، ولكن من هنا ايضا تصدر شكوى أخرى ، هى شكوى المعنيين بأمور الصحة عامة والصحة النفسية بوجه خاص .. ومعنى ذلك أن اهدار العمل (المنتج) لاتقتصر أضراره على شح الثروة الاقتصادية فى المجتمع (وهو أمر بالغ الخطورة فى حد ذاته ، وفى نتائجه السياسية القريبة والبعيدة) ولكنها تمتد كذلك الى الاضرار بالصحة النفسية للأفراد ، والى تشويه لياقتهم النفسية ايضا ..

وسوف نحاول فى الفقرات التالية أن نوضح القضية بدءا من جذورها السوية ، فنبين كيف أن العمل فى نفوس الأفراد أثارا بالغة العمق ، وشديدة التعقد ، لأنه هو المسئول الرئيسى عن الهيكلة النفسية للأفراد ..

● البنية الاساسية للشخصية

هناك مستوى عميق فى بنائنا النفسى ، ربما كان أعمق مستويات تنظيم الشخصية ، وفيه يكون التأثير من نوع يشبه ما نسميه فى حياتنا اليومية وضع قواعد البنية الاساسية لاى بناء (بناء المدن مثلا) ، حيث يقوم العمل بدور المربى الذى يكسب الفرد مجموعة الخصال الاساسية التى تمثل الحد الأدنى لقبوله عضوا فى المجتمع .. وفيما يلى ذكر اهم هذه الآثار :

أ ـ قدر معين من ضبط الأداء : ويبدو ذلك فى اكساب الفرد مجموعة من المهارات اللازمة للقيام بأداءات بعينها ، وما تستلزمه هذه الاداءات من تشغيل محسوب لمختلف الوظائف الذهنية والحركية التى لابد منها للوفاء بحق هذه الأداءات ، كالادراك الدقيق ، وتركيز الانتباه ، والتحكم فى الحركة ، ويستطيع القارىء أن يتخيل انواعا مختلفة من الأعمال ، بدءا من الأعمال اليدوية البسيطة كالنسج على الأنوال اليدوية ، الى الأعمال الاعقد قليلا كالكتابة على الآلة الكاتبة الى الأعمال الاشد تعقيدا من ذلك كقيادة السيارات والطائرات . جميع هذه الأعمال تقتضى للتدريب عليها اكساب المرء قدرات التشغيل المحسوب لوظائف الادراك الدقيق ، وتركيز الانتباه والتحكم فى الحركات الغليظة والدقيقة بكفاءة عالية ، وتدخل هذه الوظائف جميعا فى علاقات متبادلة فيما بينها لاتلبث أن تتبلور فى شكل قوالب الفعل تزداد رسوخا فى نفس صاحبها مع استمراره فى اداء تلك الأعمال .. بحيث نستطيع أن نتكلم ، اذا ما بلغ الرسوخ مبلغا معينا ، عن اتقان للأداء رفيع المستوى ..

ب ـ قدر معين من الانضباط الذاتى : ويتجلى فى تدريب الشخص على المواءمة بين مطالب العمل والعادات الشخصية .. من ذلك مثلا الارتباط بمواقيت محددة للعمل ، وتطويع عادات الشخص وموازين المفاضلة لديه لما تقضى به ظروف العمل ، والحياة مليئة بالأمثلة الموضحة لهذه النقطة ..

وتقوم معظم هذه الأمثلة على مبدأ التنازل الطوعى او ما نسميه لحياتنا بالتضحية بالرغبات او النزوات اللحظية ، لا لشىء إلا لأنها تتعارض مع بعض



في حياة المواطن المصرى

مقتضيات العمل . كان أتنازل عن سهرة ممتعة حتى أستطيع الاستيقاظ مبكرا وفى حالة مزاجية وعقلية طيبة تضمن لى حسن الأداء فى عملى صبيحة اليوم التالى .. أو كأن يتنازل العاملون فى محطات خدمة البنزين عن تدخين السجاير مادموا فى اوقات العمل داخل محطاتهم التى يعملون فيها .. وأمثلة أخرى ابسط من ذلك او اعقد .. لاتقع تحت حصر ..

جـ ـ تنمية قدرات التعاون مع الغير بالصورة التى تلائم نوع الخطوات التى ينقسم اليها العمل الذى يسهم الفرد فى القيام به مع غيره من الأفراد .. ويتطلب ذلك من الشخص درجة معينة من الالمام بالهيكل الكلى للعمل ، ومن الادراك لحدود الدور الموكول اليه هو شخصيا داخل هذا الهيكل ، وكلما ارتقت قدرات التعاون لديه كان ذلك ايذانا بمزيد من الاتقان للدور الذى يقوم به ، لنفرض مثلا أنه ، حرصا على مزيد من التعاون استمر الشخص مبقيا على قنوات الاتصال مفتوحة بينه وبين زملائه المشاركين معه فى اقامة هيكل المشروع (أو العمل) المشترك ، يطلب مشورتهم او يستمع الى ملاحظاتهم التلقائية من حين لآخر ، اكبر الظن أن هذا السلوك سوف يؤدى به الى اعادة النظر فيما انجز من عمل خاص به وادخال سلسلة من التعديلات والتصويبات من شأنها ان تزيد من احتمالات الاتساق او التناسق بين الجزء الذى يقوم هو بانجازه وسائر الأجزاء التى يحمل مسئوليتها الآخرون .. واكبر الظن كذلك أنه ، وقد رأى ايجابية النتيجة المترتبة على حرصه على الاستزادة من التعاون سوف يزداد حرصا على تحقيق مثل هذا التعاون فى اعماله المقبلة .

د ـ تنمية قدرات التخطيط للمستقبل ، وهذه مجموعة من القدرات يقتضيها أى عمل من الأعمال التى نقوم بها فى حياتنا الاجتماعية ، سواء أكان هذا العمل ذا طبيعة ادارية أم صناعية أم تجارية . وتنطوى هذه القدرات على عدد من الوظائف ، يأتى فى مقدمتها وظيفة التصور اى تكوين صورة ذهنية للناتج كما نتخيله فى المستقبل ، ثم توجيه خطواتنا بدءا من اللحظة الراهنة صوب تحقيق هذا التصور .. وقد نزيد على ذلك تصورا لجدول زمنى محدد لانجاز العمل .. كما نصوغ تصورا للتكلفة المادية التى يتطلبها الانجاز .. وربما وضعنا كذلك تصورا للفوائد التى سوف تترتب على تحقيق هذا العمل ، وآخر لما يحتمل أن يظهر من اثار جانبية (غير مرغوب فيها) للمشروع ، وللاسلوب الذى يمكن اللجوء اليه لمواجهتها .

هـ ـ تنمية آليات تصحيح الفعل : هناك مجموعة من العمليات شديدة التعقيد ، تعرف باسم آليات تصحيح الفعل ، بعضها نفسى الى حد كبير ، والبعض الآخر نفسى اجتماعى ، والبعض الثالث اجتماعى فى المقام الأول ، وعندما تنشط

هذه العمليات تجدها تلتقى جميعا فى اتجاه تصحيح الأفعال التى نقوم بها ، أيا كانت طبيعة هذه الأفعال (ذهنية او حركية) .

وايا كان مستواها من البساطة والتركيب . وهى عمليات بالغة الاهمية فى حياتنا ، لأنها هى التى تكمل العملية الكبرى والرئيسية فى حياتنا بأسرها ، الا وهى عملية التوافق مع ظروف البيئة المحيطة بنا ومطالبها ، وتأتى فى مقدمة هذه الآليات التصحيحية خمس عمليات ، هى : عمليات المردود ، وعمليات النقل والتعميم ، وعمليات المحاكاة والاقتداء ، ثم التقويم ، واخيرا عمليات الثواب والعقاب .. والمردود هو الصدى المباشر لأى فعل نقوم به ، صداه فى نفوسنا ، هذا الصدى قد يكون حسيا (كما يحدث عندما نسمع صوت محرك السيارة يرتفع فى اعقاب الضغط بالقدم على بدال السرعة) ، او عضليا (كما يحدث عندما نضغط ازرار الصعود او الهبوط بالمصعد فنشعر بثقل جسمنا وهو يحمل الى اعلى ، او وهو يسقط الى اسفل) .

وقد يكون المردود فكريا ، وقد يكون وجدانيًا ، أما عمليات النقل فهى التى تضمن انتقال اثر ما تعلمناه فى موقف معين الى ماليليه من مواقف مشابهة ، وبذلك يحدث ما نسميه بالتعميم ، وأما المحاكاة والاقتداء فهى عمليات التقليد التى نقوم بها لما يصدر امامنا عن القدوة .. وأما التقويم فهو مجموعة العمليات التى ينطوى عليها النظر فيما انجزناه لمضاهاته بما كنا نستهدفه ، وتقدير مواضع التفاوت بين النموذجين والحكم لهذا التفاوت او عليه ، واخيرا فإن معنى الثواب والعقاب معروف ..

وهما فى اغلب الاحوال من طبيعة اجتماعية اذ يفعلان علينا بفعل الآخرين ممن يحيطون بنا ، اردنا ذلك أم ابينا .

● نحن والبنية الأساسية للشخصية

والآن وقد حصرنا هذا العدد من الآثار التى ينفذ بها العمل فى نفوس القائمين به لوضع دعائم البنية الأساسية ، نعود إلى جوهر القضية التى تعنينا ، والتى أوضحناها فى صدر هذا الحديث ، ومؤداها : أن العمل بمعناه الحقيقى (المنتج) لايلقى فى حياتنا الراهنة الاهتمام اللائق به .

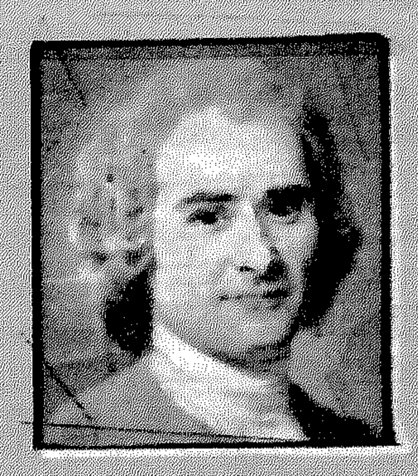
وأن ذلك أمر لاتقتصر اضراره على تقليص حظ المجتمع من الثروة الاقتصادية ، بل يمتد ليوقع الضرر بالصحة واللياقة النفسية ، نعود إلى هذه القضية لنواجه السؤال الذى يطرح نفسه ، وكيف يقع الضرر ؟

ماذا يعنى إهدار العمل المنتج ؟ ماذا يعنى تفويت الفرصة على انفسنا ان نتعرض لعمليات ضبط الأداء ، والانضباط الذاتى ، وشحذ قدرات التعاون ، وتنمية قدرات التخطيط ؟ وماذا يعنى ضياع فرصة تنمية آليات تصحيح الفعل فى نفوسنا ؟

هذه اسئلة نفرد للاجابة عليها حديثا قائما بذاته ..

دعوة لإلغاء المدارس !!

بقلم : د . سعيد إسماعيل على



جان جاك روسو



ايفان ايلتش

●● لو ان واحدا حاول ان يحصى ماكتب عن « المدرسة » تقديرا واهمية ، ووظيفة وقيمة ، فلربما احتاج الى الألوف المؤلفة من الصفحات مما قد تنوء بحمله طاقته الزمنية والبدنية ، ذلك انها حظيت بما لم تحظ به مؤسسة اجتماعية من التقريظ ، حتى ان شاعرنا عندما اراد أن يمدح « الأم » التى أكد الرسول صلى الله عليه وسلم أن الجنة تحت أقدامها ، لم يجد هذا الشاعر اكثر قيمة واهمية وتاثيرا من « المدرسة » كى يشبهها بها .

وفى مجال التمييز بين المجتمعات المتخلفة والمجتمعات المتقدمة ، نجد من بين العديد من المعايير ، يجىء مدى انتشار المدارس فى المقدمة ، حتى ان البعض يكاد يكتفى بهذا المعيار مؤكدا ان التعليم الذى تقوم به ، هو الذى يكفل القضاء على سائر النوائب والبلايا كالفقر ، والمرض ، واكد بعض آخر اننا كلما فتحنا مدرسة ، فإننا نكون بذلك قد اغلقنا سجنا ، أو على الاقل الغينا فرصة افتتاح سجن جديد على اساس ماتقوم به المدرسة من غرس القيم الاخلاقية والتنوير الاجتماعى والوعى القانونى ●●

لكن هذا التقدير الذى يكاد ان يكون بلا حدود « للمدرسة » ، يأبى القرن العشرون ان يطوى صفحاته دون ان يصب على رءوسنا دلوا باردا من الافكار التى اراد بها اصحابها أن يزعزعوا عددا من المعتقدات التى استقرت فى العقل الانسانى عبر القرون ، وذلك بدعوتهم الى ان تصبح مجتمعاتنا « بلا مدارس » ، علما بأن المقصود « بالمدرسة » هنا كل مؤسسة تعليمية نظامية اقامها المجتمع سواء سميت « مدرسة » أو « معهد » أو « كلية » ، او « جامعة » ، أو غير هذا وذاك من تسميات .

ومع ذلك فمن الانصاف ان ننبه الى أن موجة الهجوم على المدرسة كانت لها ارهاصاتها فى القرن الثامن عشر وعلى يد المفكر الشهير « جان جاك روسو » ١٧١٢ - ١٧٧٨م فقد رأى ان التعليم النظامى الذى نقدمه فى معاهد التعليم يفسد الاطفال بما يبثه فيهم من قيم اجتماعية هى فى معظمها لاتشكل صفاء الحياة وطهر الانسان ، وانما تمتلىء بصور ومظاهر افسدتها طبيعة الحياة الاجتماعية من الكذب والغش والنفاق والاتكالية والمداهنة والخداع ، وان افضل مايمكن ان نؤديه من خدمة لاطفالنا ان ندعهم يواجهون الطبيعة مباشرة ، فهم بطبيعتهم الخيرة ، وهى بطبيعتها الجميلة ستنتج طفلا مستقل الذات يعتمد على نفسه ، يسلك وفق ما تمليه عليه نوازعه الطيبة التى لم تدنسها مفاسد المجتمع .

وقبل ان نمضى لنكشف عن صور ومظاهر الهجوم المعاصر والحديث على المدرسة ، علينا الا ننسى « المسرح الاجتماعى » الذى ظهر عليه اصحاب هذا الهجوم ، فالنظر الى المتغيرات المختلفة التى تشكل هذا المسرح يبرز الاسباب والمبررات ، ومن ثم يحمل التفسير والتعليل ، فالمجتمعات الصناعية المتقدمة اذا كانت تشهد من مظاهر وصور التقدم ما هو مذهل حقا كما ونوعا فهى تجلب معها ايضا من صور ومظاهر الخلل مايفزع الفلاسفة والمفكرين الذين يأخذون على عاتقهم مهمة دق اجراس الخطر ، وفى غمرة هذا ، تنبعث اصوات هنا وهناك بالنقد اللاذع للحضارة الغربية ومحاولة البحث عن الاسباب التى ادت الى صور الخلل .

وقد تعددت بطبيعة الحال اسباب الخلل بتعدد زوايا الرؤية واجتهادات الفلاسفة والمفكرين والظروف المحيطة ، ومن بين هذه الأسباب ، تصور البعض منهم ان « المدرسة » هى المتهم الرئيسى الذى يجب ان يمسك بتلابيبه ، وقد امسك هؤلاء بتلابيب هذا المتهم بالفعل وحاكموه ، ولم يتضمن حكمهم عليه اية محاولة لاصلاح شأنه وتعديل حاله كما يفعل مع الكثيرين من المنحرفين والمجرمين ، وانما كان الحكم القاطع بضرورة الاعدام !!

واذا كان ممثل الادعاء الرئيسى هنا هو « ايفان ايلتش Ivan Illich فإن هناك عددا اخر مهد له او آزره فى نفس الدعوى ، نذكر منهم : « نيل » Neill و« ب . جودمان » P. Goodman ا . ريمر E . Reimer و« ج . دينسون » G . Dennison و« ج . هولت » J . Holt و« و . جلاسر » W . Glasser .

● اهمية المرحلة الأولى

والغريب حقا ان كثيرا من صور الهجوم ، انما استثارتها فكرة تعدها

دعوة لإلغاء المدارس !!

مختلف المجتمعات والأمم « املا » يسعون الى تحقيقه ورفع حده الأعلى ، ونعتبره جميعا معيارا من معايير التقدم ، الا وهى فكرة « التعليم الالزامى » ، على اساس أن « المواطنة » فى عصرنا الحاضر تستلزم قدرا مشتركا بين ابناء الوطن الواحد من المفاهيم والمعارف والمهارات والاتجاهات ، فمثل هذا القدر المشترك هو الذى ييسر سبل الاتصال والتواصل بين ابناء المجتمع ، وهو السبيل الى وحدة الموقف المطلوبة فى كثير من الأمور والشئون ، وكلما ارتقت الحياة الاجتماعية اتسعت مساحة القدر المشترك المطلوب ، ومن هنا حرصت معظم المجتمعات على أن يمثل تعليم المرحلة الأولى الوعاء الاساسى والسبيل الرئيسى لتقديم هذا القدر المشترك وبدأت بعض المجتمعات تزيد من فترته بحيث لاتكتفى بأن تكون ست سنوات كما هو شائع .

وموضع الهجوم عند هذا النفر من المفكرين الذين نشير اليهم هو ماينطوى عليه هذا من « اكراه » و« ارغام » ، فها هنا تطل علينا الفلسفة الليبرالية والنزعة الراسمالية لتتمثل فى عالم التربية والتعليم فى صورة حرية الفرد فى أن يقرر بنفسه هو متى واين وكيف يتعلم !! تنطلق هذه الصيحة فى اغلب الاحوال بعد منتصف القرن العشرين ، وبصفة خاصة فى ثلثه الاخير فى مجتمعات تشبعت بالتعليم وبتعدد لامثيل له فى وسائل ووسائط التثقيف ، حتى اصبحت هذه المجتمعات مما يطلق عليه « المجتمع المتعلم المعلم » بحيث يمكن للانسان ـ دون الاعتماد على وسائط التعليم النظامى ـ ان يحصل على الكثير مما هو بحاجة اليه من مهارات ومعلومات واتجاهات ليحسن التعامل مع المعطيات المجتمعية المختلفة .

لكن ماذا عن مجتمعات العالم الثالث المتخلفة فى معظمها ؟ انها مجتمعات غير متعلمة وغير معلمة ، وانما على العكس من ذلك يمكن ان تكون تربة خصبة لغرس قيم التخلف والجمود الفكرى والتفكير الخرافى والعديد من صور القهر والاستغلال ، فضلا عن فقرها المدقع فى المعرفة والثقافة ، ومن هنا كانت اشارتنا الى اهمية التنبه دائما ونحن نتعرف على مثل هذه الاتجاهات الى طبيعة « المسرح الاجتماعى » الذى ظهرت عليه .

ولما كان تطبيق الالزام يحتاج الى « سلطة » تفرضه ، وتوقع العقاب بمن لا يلتزم بهذا الحد من التعليم ، هاجمه « دينسون » على اساس « أنه ليس مجرد قانون يفرض على الشبان بل هو ايضا فعل تسلطى يفرض على حياة الناس جميعا ، « غى ـ افانزينى : الجمود ، والتجديد فى التربية المدرسية ، ترجمة عبد الله عبد الدايم ، ص ٤٣٥ » يضاف الى ذلك سوء الحال الذى نلاحظه اليوم بالنسبة للفصول المدرسية من حيث مايمثله الفصل من بيئة كئيبة فقيرة الامكانات والمثيرات مما يجعل الطالب يكره مكان التعليم ويحلم باللحظة التى يغادره فيها ، ولو كان الأمر عكس ذلك ، اى لو ان اسكنة التعليم تمثل بيئة جميلة منظمة بهيجة متنوعة ثرية الامكانات ، فهنا يمكن أن يصبح فعل « الالزام » محتملا .

وهكذا يؤكد هؤلاء المفكرون على اهمية التخلي عن اكراه الطلاب على التعلم ، فهذا هو « هولت » يقول : اننا لانستطيع ان نوفر تعليما حقيقيا في المدرسة مادمنا نفكر بأن من واجبنا وحقنا ان نفرض على الطلاب ،ماينبغي تعلمه » الجمود والتجدد ، ص ٤٣٦ ، ان علينا الا نقدم درسا الا اذا كان موضوعه يستجيب لرغبة الطالب ، ذلك الطالب الذي يملك من النضج مايتيح له ان يتمناه ، وما يجعل من حقه ايضا ان يرفضه .

● النقد مطلوب

ان مثل هذه المقدمات لا تؤدى بالضرورة الى تلك النتيجة التى انتهى اليها « اللامدرسيون » اى المطالبون بالغاء المدرسة ، ذلك ان النقد هنا منصب على فكرة « الالزام » وهى فكرة حديثة التطبيق ومع ذلك فوجود المدرسة امر شهده التاريخ منذ عصور سابقة طويلة ، ونحن نعرف ان هناك مثلا ـ دولا عربية ، كالمملكة العربية السعودية ، لاتعرف تشريعا للالزام ، ومع ذلك فحركة انتشار مؤسسات التعليم هناك قائمة على قدم وساق ، على اساس ان اهتمام الناس بالتعليم والاقبال عليه وطلبه قد بلغ درجة لاتستوجب « اجبارهم » عليه .

كذلك فإن تعليم الطلاب « مايرغبون فى تعلمه » مبدأ سبق ان نادى به مفكرون كثيرون وعلى رأسهم « فروبل » و« بستالوتزى » و« ديوى » وهو امر لا يستتبع بالضرورة ايضا الغاء المدرسة ، فالحوادث التى تجرى للسيارات ـ مثلا ـ والطائرات ، لاتستوجب الغاءها ، وانما تستحث التفكير فى سبل مبتكرة لمزيد من الطمأنينة على الطريق او فى الجو .

وربما لايجد الانسان مفرا من التسليم مع النقاد للمدارس بعدد غير قليل من النقود ، وفى مقدمتها ذلك الطابع التكرارى النمطى الممل للحياة المدرسية ، من توزيع منتظم لساعات الدروس ، ومن خطة دراسية محددة سلفا ، وتجرى على شاكلة واحدة مطوحة برغبات الأفراد ، ومن وظائف اجبارية ، ومن درجات مدرسية من شأنها ان تحيى من جديد ضروب الذل التى فرضت من قبل ، و« الشهادات » التى ترسل الى اولياء الأمور لتخبرهم بنتائج تحصيل ابنائهم ، ومن اعداد للامتحانات بكل ماتحمله من مظاهر القلق والخوف والتوتر .

انه لمن الخطأ غير الهين الظن بأن الفن التعليمى يمكن ان يصبح واحد الشكل وعلى نمط واحد ، رغم مابين الشخصيات الفردية من تفاوت ولكن اذا كان من الصحيح ان مدى العمل الفكرى متناسب فى الرغبة فى التعلم ، فان التقنيات التعليمية ، مهما يكن شأنها ، لا يمكن ان تحل محل هذه الرغبة ، واى تنميط وتقنين يتجاهل ايقاع كل فرد وما يبديه من مقاومة لايمكن ان يكون مجديا وفعالا ، فليست التقنيات هى التى تستطيع فى حال من الأحوال ان تزيد من البواعث او ان تجود الاداء « الجمود والتجديد ص ٤٤٠ » .

واذا كنا قد اشرنا الى مفكرين نادوا بضرورة اقامة العمل التعليمى على رغبات الطلاب وميولهم ،فإن « دينسون » يخشى من أن تستغل ميول الطلاب ورغباتهم فى الوصول بهم الى اهداف اخرى حددها غيرهم من الكبار ومعدة سلفا ، وهو احتمال راجح لان العمل التعليمى يهدف

دعوة لإلغاء المدارس!!

الى الاعداد للحياة او التكيف مع المجتمع ، ذلك الهدف الذى يسخر منه « دينسون » على أساس انه يحول الطلاب الى مجرد ادوات ووسائل لتحقيق حياة اجتماعية تقوم على التحكم ، وهو اذ يقول هذا يضع نصب عينيه على مجتمع الولايات المتحدة الأمريكية وما يقوم عليه من سيطرة عدد من المؤسسات المهيمنة التى توهم الافراد بانها تعمل من اجلهم بينما هى تعمل من اجل اصحابها .

ومما يمكن ان يلاحظه المرء بغير صعوبة عند استقراء مثل هذه الأمثلة للنقد الذى وجه الى المدرسة ، وهناك بالطبع غيرها ، اننا لانجد عند هؤلاء المفكرين ملامح مذهب شامل ينطلق من نقد الواقع الى رسم صورة البدائل التى يمكن ان تتلافى مواطن النقد وتدفع بالعمل التربوى الى خطوات تقدمية ، مثلما رأينا عند مفكرين وفلاسفة سابقين ، بغض النظر عما اذا كنا نقتنع بالبدائل المطروحة ام لا مادامت تجيء فى صورة مذهب شامل تتسق عناصره بعضها مع البعض وتجيء النتائج كخطوة ضرورية لازمة عن مقدماتها .

● دور المؤسسات

ويعتبر « ايفان ايلتش » بحق الزعيم الاشهر للاتجاه الذى اصبح يعرف باسم « اللامدرسية » وهو الاتجاه الذى يعنى فى صورته المعتدلة ، عدم الاعتماد كلية على المؤسسات التعليمية النظامية فى القيام بمهمة التربية والتعليم واستثمار كل القوى والمؤسسات التى يمكن ان يكون لها دور فى تربية الانسان ، اما فى صورته المتطرفة التى نركز عليها هنا فهى المناداة بالغاء هذه المؤسسة النظامية ليكون المجتمع كله هو المدرسة الكبرى للجميع .

واذا كان ايلتش قد اصاب الكنيسة الكاثوليكية بصفة خاصة بكثير من سهام نقده ، فإنه لمما يثير الدهشة حقا هو دراسته المتعمقة للاهوت ، بل واشتغاله بالعمل الكنسى ، فلقد ولد فى علم ١٩٢٦ بمدينة « فيينا » بالنمسا ، ثم درس اللاهوت والفلسفة فى الجامعة الجريجورية بمدينة روما بايطاليا ، ثم توجه الى سالزبورج ليحصل على الدكتوراه من جامعتها فى التاريخ ، وفى عام ١٩٥١ توجه الى الولايات المتحدة حيث عمل قسا فى نيويورك فى منطقة تعج بمواطنين ايرلنديين وبورتريكيين ، اهله هذا العمل لان ينتقل الى « بورتريكو » نفسها مديرا مساعدا للجامعة الكاثوليكية فى المدة ٥٦ ـ ١٩٦٠ ، وكان نشطا للغاية فأنشأ مركزا كبيرا لتدريب القساوسة الأمريكيين فى الثقافة الأمريكية اللاتينية ، وساهم ايلتش كذلك فى تأسيس « مركز توثيق الثقافات المتداخلة » Center for intercultural Pocumentation فى « كيرناقاكا » بالمكسيك ..

ولم يكن ايلتش وحده فى تزعم الدعوة الجديدة ، فقد شاركه ايضا « ايفرت ريمر » .

وكان ريمر يعمل ايضا فى بورتريكو ، وتنبه الى ان « المدرسة » ان هى الا اداة فى يد الطبقات البورجوازية لكى تحكم سيطرتها على المجتمع عن طريق تسييد

ثقافتها وقيمها ومعاييرها ، واصدر ريمر كتابه المعروف « وفاة المدرسة » . School is diel اما ايلتش فقد سمى اشهر كتبه بـ « مجتمع بلا مدارس » Dschooling Society ترجمه الى العربية يوسف نور عوض وزميله .

ويدين ايلتش بالفضل فى اهتمامه بقضية التعليم العام الى « ريمر » ، حيث لم يكن يخامره شك حول قيمة التوسع فى التعليم الالزامى كى يعم كل الجماهير ، وذلك قبل أن يلتقيا فى بورتريكو عام ١٩٥٨ ، الى أن بدأ يراجع مثل هذه الافكار مراجعة جذرية .

وكتاب « مجتمع بلا مدارس » يشمل الدراسات التى ناقشها ايلتش مع ريمر فى مركز كيرنافكا عام ١٩٧٠ ، اما فصله الاخير ، فقد اداره حول تأملات عنت له بعد مناقشة جرت بينه وبين « ايريك فروم » .

وكان ايلتش منذ عام ١٩٦٧ يلتقى بانتظام مع ريمر فى مركز توثيق الثقافات المتداخلة ، وكانت تشترك فى الحوار مع كليهما ، « فالنتين بوريمان » مديرة المركز التى ظلت تحث ايلتش على اختبار افكاره فى ضوء ظروف امريكا اللاتينية وافريقيا ، وكانت ترى ان « اخلاقيات » المجتمع وليس مؤسساته هى التى يجب ان ينهى (تمدرسها) Schooling . لقد وضح تماما ان التعليم الالزامى هدف يستحيل تحقيقه عن طريق المدرسة ، وسيكون من المستحيل ايضا تحقيقه بواسطة مؤسسات بديلة تقوم على نظرية المدارس الحالية نفسها (مجتمع بلا مدارس ، ص ٢١) .

فخلافا لما تدعيه الايديولوجية الرسمية ، لم تقم المدرسة الالزامية اصلا من أجل خير الاطفال ، بل قامت بسبب الظروف الاقتصادية التى سادت فى الغرب ، اذا استلزم العمر الصناعى الذى بدأ فى القرن التاسع عشر انطلاقة ثقافية تجعل المواطنين قادرين على تلبية المطالب التقنية والتكنولوجية المتزايدة ولكن دون ان يبلغوا مستوى عاليا من التأهيل ، ولما كان التعليم قد عمم لهذه الغاية وحدها ، فمن الطبيعى الا يكون وسيلة للمساواة الاجتماعية الحقة ومن هنا كان فشله صارخا ، اذ ان ١٠٪ من الطلاب على احسن تقدير ، وهم أولئك الذين ينتسبون الى بيئات محظوظة مفضلة ، هم الذين يبلغون خاتمة المطاف فى التعليم الثانوى ، ان ديمقراطية التعليم اذن لايمكن تحقيقها عن طريق التعليم المدرسى الالزامى ، والقول بأن هنالك فرصا متكافئة يستوى فيها الجميع امام التعليم هو قول يعتبره ايلتش قولا كاذبا .

● ديمقراطية التعليم

ونحن اذا حاولنا ان نقف على مثل هذا فى مصر ، فسوف نجد انه من بين ما يقرب من مليون طفل يلتحقون بمدرسة التعليم الاساسى ، لايصل منهم الى التعليم العالى اكثر من ثمانين الفا على وجه التقريب اى بنسبة تصل الى ١٢,٥٪ تقريبا ، لكننا مرة اخرى لانستطيع ان نساير ايلتش فى استنتاجه بأن هذا يعنى استحالة ان تحقق المدرسة الالزامية ديمقراطية التعليم وانما على العكس من ذلك ، فما دامت هى التى تعلم اكبر عدد من ابناء الناس ، وقدرا مشتركا من

دعوة لالغاء المدارس !!

التعليم ، فهى اذن التى تتحقق فيها ديمقراطية التعليم ، واذا كان لايصل من جملة طلابها الى التعليم العالى الا هذه النسبة الضئيلة فهذا لايقلل من ديمقراطيتها بل من ديمقراطية المرحلتين التاليتين : الثانوية والعالية ، وان كان البعض يرفع حجة لها وجاهتها بأنه اذا كان من الضرورى لكل الناس ان تتعلم هذا القدر المشترك الذى تقدمه مرحلة التعليم الاولى ، فليس من المحتم على الجميع ان يحصلوا على القدر التالى الا بالنسبة التى يحتاج اليها المجتمع .

ولم يكن هجوم ايلتش على المدرسة يستهدف هذه المؤسسة وحدها فى حد ذاتها ، وانما كان ذلك فى إطار عام من النقد للاتجاه (المؤسسى) فى المجتمع الغربى الصناعى ، اننا فى مجتمعات العالم الثالث نتحرق شوقا الى ان يظلل هذا الاتجاه حياتنا بحيث لاتترك الأمور للأهواء الذاتية والنزعات الخاصة والعلاقات القرابية والوسائط والمصالح الشخصية ، ولن يتم هذا الا بالقدر الذى تنحو فيه حياتنا الاجتماعية نحوا موضوعيا يكون فيها الحكم للقانون والمؤسسات ، لكن هذا الاتجاه فيما يبدو ، قد بولغ فى اهميته وضرورته ، فهذا هو ايلتش يؤكد ان مناخا مؤسسيا مثل هذا انما يسحق الحرية الفردية ويبتلع شخصية المواطن .

ان المجتمع الغربى الصناعى المتقدم الذى تحكمه المؤسسات يتحول فى نهاية الأمر الى تحكم فئات قليلة تبتكر العديد من الوسائل الشيطانية باسم العلم والتكنولوجيا لتوهم الانسان انه هو الذى يختار وهو الذى يقرر ، بينما هى التى تشيع مناخا يلعب دورا حاسما فى تحديد الاختيارات وصياغة العقول ، والمتأمل فى مؤسسة (الاعلام) على سبيل المثال يستطيع ان يلمس كيف ان وكالات الاعلام او وكالات الانباء وما ماثلها يتحكمان بطريقة غير مباشرة فيما نحب ونكره ، فيما نرى ونقرر ، وما المدرسة الا (اخطوبوط) معاصر يقوم بنفس الدور .

● مهارات مطلوبة

إن غالبية الناس يحصلون على معظم معارفهم خارج النظام المدرسى ، ولا ينفى ذلك انهم يحصلون على بعض معارفهم فى المدرسة ، المؤسسة التى اصبحت تستخدم فى كثير من الدول الغنية كمكان لاعتقال التلاميذ جزءا متزايدا من حياتهم ويمكننا ان نقول ان معظم التعليم يتم بطريقة عشوائية ، وحتى ذلك التعلم لايحدث عادة نتيجة التدريس المبرمج ، كما نلاحظ ان الاطفال العاديين يتعلمون لغتهم الأولى بطريقة عشوائية ، ولاننكر انهم يتعلمون بسرعة اذا ما اهتم بهم أولياء أمورهم ، ومع ذلك هناك مهارات كثيرة يستطيع الطالب ان يتعلمها اذا كانت لديه الدوافع فى عدد قليل من الشهور حتى بالطريقة التقليدية ، ويصدق هذا على معرفة الشفرات وفك الرموز كما يصدق على تعلم اللغة الثانية أو الثالثة وتعلم القراءة والكتابة واللغات الخاصة كالجبر وبرمجة الكمبيوتر ، والتحليل

الكيميائى والمهارات اليدوية مثل الطبع على الالة الكاتبة وصناعة الساعات والسباكة وتوصيل الاسلاك واصلاح التليفزيون وقيادة السيارات والقفز الى الماء .

لقد ظهرت حاجة فى عام ١٩٥٦ لتعليم اللغة الاسبانية بسرعة من أجل خدمة عدة مئات من المدرسين والعمال الاجتماعيين والمطارنة فى نيويورك حتى يتمكنوا من التخاطب مع البورتريكيين ، فاعلن صديق لاليتش من خلال اذاعة بالاسبانية انه يحتاج الى متحدث اصيل لهذه اللغة من حى هارلم ، واصطف فى اليوم التالى حوالى مائتين من الصبية امام مكتبه اختار من بينهم ثمانية واربعين ، وكان معظمهم من الذين رسبوا فى المدارس ، لقد بدأ تدريبهم على استخدام كتيب التمارين الاسبانى الخاص بالمعهد الأمريكى للخدمة الخارجية ، وهو الكتيب الذى اعده عدد من اللغويين لاستخدامه بواسطة الخريجين ، وبعد اسبوع كان المدرسون يقومون بمجهودهم الشخصى ، اذ اصبح كل منهم مسئولا عن اربعة نيويوركيين من الذين يريدون ان يتكلموا اللغة الاسبانية ، وانتهت المهمة خلال ستة اشهر ، فأى برنامج مدرسى يمكن ان يواكب هذا (مجتمع بلا مدارس ، ص ٤٢) .

ان هذا الذى يذهب اليه ايلتش معروف وملموس فى مواقع عدة عندما يكون الأمر امر تدريب على مهارات عملية لمواجهة حاجات ومتطلبات سوق العمل .. فنحن نلاحظ ـ على سبيل المثال ـ مراكز ومكاتب ثقافية إجنبية مثل الجامعة الأمريكية بالقاهرة والمجلس الثقافى البريطانى والمركز الثقافى الفرنسى ينظمون برامج قصيرة لتعليم اللغة الانجليزية او الفرنسية ، بحيث يمكن للملتحق بها ان يتعلمها فى عدة شهور بينما نلاحظ ان الطالب في مدارسنا يتعلم اللغة الانجليزية طوال سنوات الاعدادى والثانوى ، اى ست سنوات ومع ذلك يتخرج من الثانوية العامة دون ان يستطيع التحادث باللغة الاجنبية .

ان هذا دليل حقيقى على قصور فى التعليم المدرسى ونجاح مؤكد للتعليم اللا مدرسى ، ولكن النتيجة التى نخرج نحن بها هى ضرورة بحث ودراسة اوجه القصور فى تعليم اللغة الاجنبية فى المدرسة وضرورة الاستفادة من طرق التعليم التى تمارسها تلك المراكز الثقافية ، ولاتكون النتيجة ـ كما نكرر دائما هى الغاء المدرسة .. ذلك ان وظيفة المدرسة لاتقف عند حد (النقل) لما هو متوارث من معارف ومهارات ثقافية وحضارية ، وانما وظيفتها ـ وخاصة فى المراحل المتأخرة من التطيم فى الجامعة ـ ان تضيف الى الموروث الحضارى وتطوره ، وهذا لايتم بمجرد أتقان مهارات التعامل مع الاخرين ، والا ، فقياسا على ذلك ، يمكن لنا الاكتفاء بما نراه بالنسبة لمن نسميهم (الترجمانات) فى المناطق الاثرية المصرية فهم يستطيعون ان يحادثوا الزوار الاجانب بلغتهم ويفهموا منهم دون ان يتعلموا هذا فى مدارس او جامعات .. ان التطوير والاضافة انما يمكن ان يتم بمعرفة (النظريات) و(الاسس) الاكاديمية والمذاهب المتعددة فى مجال التعليم ..

حديث عن ...

تجاوز المحنة

بقلم: عبد الرحمن شاكر

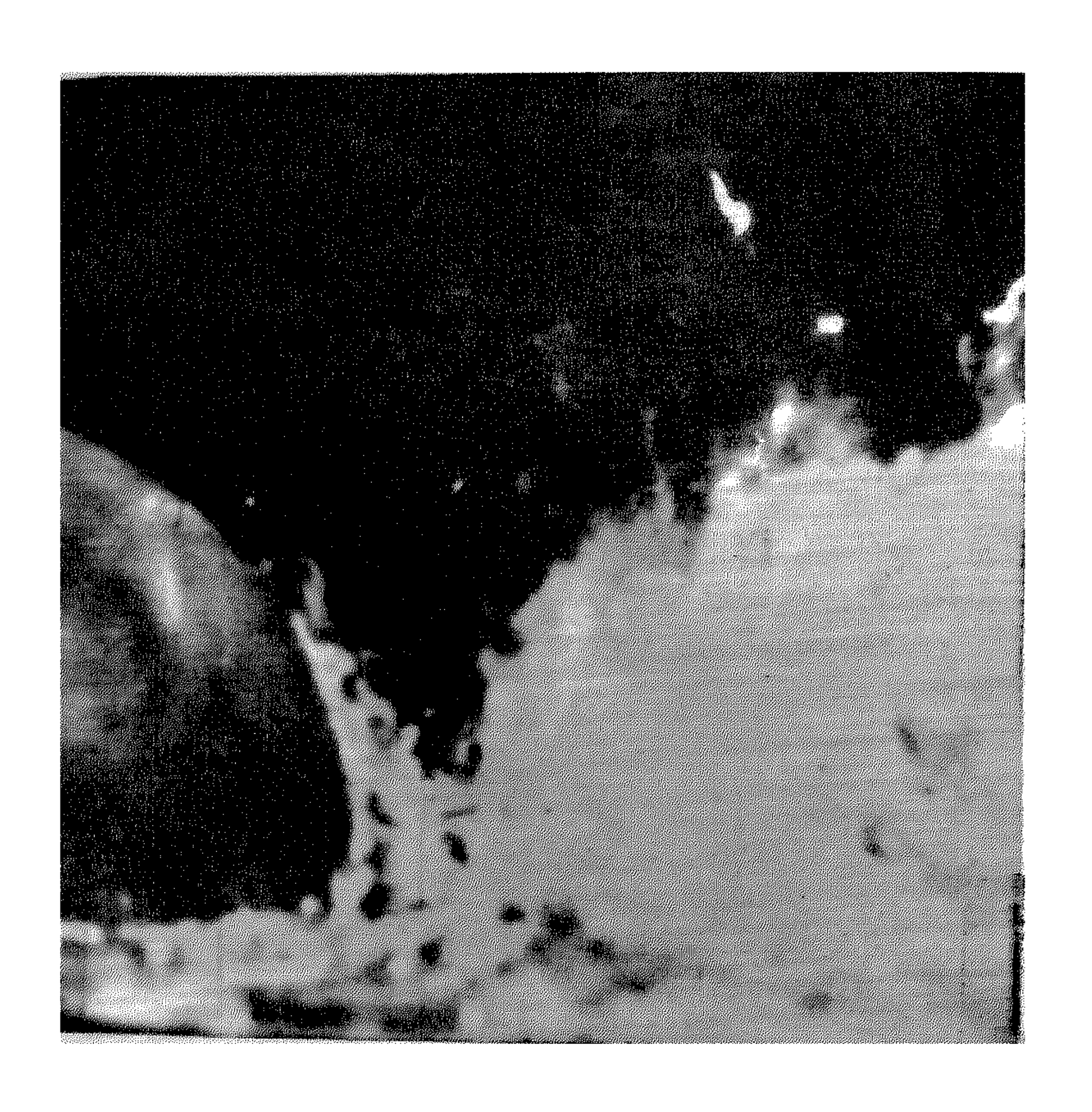
أما الحديث فقد بدأ عند انعقاد مجلس جامعة الدول العربية فى القاهرة فى اواخر شهر مارس الماضى ، بحضور ممثلين عن كل الدول العربية اعضاء الجامعة بمن فيهم من يمثل العراق .

أما المحنة - عند من اداروا هذا الحديث فكانت الغزو العراقى للكويت ، فى ٢ اغسطس فى العام المنصرم ، ثم الحرب الضروس ، التى ادارتها قوات التحالف الدولى ضد العراق ، بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية لاجباره على الانسحاب من الكويت ، وما ترتب على تلك الحرب من دمار شامل ليس للعراق وحده قواه العسكرية ومرافقه العمرانية ، ومن هلك من ابنائه ، بل الكويت ايضا ، بآبار النفط المشتعلة فيها كواحدة من الآثار الجانبية لتلك الحرب ، ما يعتبر اهلاكا لثروتها الاساسية من جانب وإفساد البيئة الطبيعية فيها من جانب اخر ، على نحو يهدد الحياة بشكل خطير ، ويمتد الى ما يجاورها فضلا عن النفط الخام المتسرب فى مياه الخليج ، ولا يزال يتسرب حتى كتابة هذه السطور !

ولكن الدمار لا يشمل هذا الجانب المادى فحسب ، بما فيه من احتمال انتشار الاوبئة فى العراق مع المجاعة وشحة الحياة النقية ودمار شبكات الصرف الصحى ، وانتشار امراض العيون والجهاز التنفسى والسرطان فى الكويت بسبب دخان النفط المشتعل هباء فى الجو ، واحتمال تعطل كثير من محطات تحلية مياه الخليج ، التى تعتمد عليها دويلات الخليج كلها فى الحصول على الماء الصالح للشرب .. وكافة الاثار التى ترتبت على الحرب التى حذر علماء البيئة من اندلاعها فى تلك المنطقة التى تضم اكبر مخزون عالمى للنفط .

الدمار اوسع من هذا ليشمل النفوس والقيم والعلاقات الانسانية . وكرامة الانسان العربى وحاضره ومستقبله .

فعلى الصعيد العربى لك ان تتخيل الاحقاد المتبادلة ما بين الكويتى والعراقى والفلسطينى والسعودى واليمنى ، مروراً بالمصرى والاردنى



والسوداني . ومواقف اهل المغرب العربي وتناقضها مع كثير من اهل الشرق .. لذلك اعتبر اجتماع هؤلاء جميعا مرة اخرى ، في مجلس جامعة الدول العربية خطوة اولى في تجاوز المحنة .

وعلى الصعيد المحلي ، دارت حرب اهلية ما بين الحكومة العراقية ورعاياها من الشيعة في الجنوب ، والاكراد في الشمال ، وذلك فور توقف القتال في حرب الخليج الثانية او حرب تحرير الكويت التي انتهت باحتلال القوات المتحالفة شطرا من ارض العراق يبلغ سدس مساحته ورغم انتهاء تلك الحرب الاهلية التي دامت قرابة شهر باستعادة الحكومة العراقية سيطرتها على معظم البلاد ، فقد بقيت لها ذيول شنيعة من الاعداد الهائلة من الفارين واللاجئين ، الى تركيا وايران المجاورتين للعراق ، وخاصة من بين الاكراد الذين يتعرض منهم الملايين للضياع والمجاعة والهلاك من البرد .

ويكفي في بيان حجم المأساة ان التحالف الدولي ، او المجتمع الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لايزال يرتكز على تلك الوقائع ليمضي في اذلال العراق وجعله عبرة لمن يعتبر .

● فقد شنت ضده اكبر حرب من نوعها ربما بعد الحرب العالمية الثانية لاجباره على الانسحاب من الكويت .

● ثم فرضت عليه اقسى شروط ضمها قرار لمجلس الامن ، وذلك لتحويل وقف اطلاق النار الى وقف دائم ، ومن بين تلك الشروط تخليه منفردا دون سائر دول المنطقة بما فيها اسرائيل . عما يملكه من اسلحة للدمار الشامل وصواريخ متوسطة المدى .

● واخيرا ، تتخذ من قضية الاكراد ذريعة لدفع الامم المتحدة الى التخلي عن التزامها بعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الاعضاء فيها ، وتجعل المعونات التي تقدمها الولايات المتحدة وحلفاؤها من اغذية وأدوية واغطية الى اللاجئين الاكراد مشفوعة بحملة عسكرية لضمان وصول تلك الامدادات ويدور الحديث عن انشاء منطقة امنية في شمال العراق لحماية هؤلاء اللاجئين اى بعبارة اخرى بانشاء محمية تقطع من العراق يسكنها الاكراد وتدافع عنها الولايات المتحدة وحلفاؤها .. وذلك بالرغم من كون الحكومة العراقية قد اعلنت العفو العام عمن قاتلوها من الاكراد والشيعة ودعوتها لهم للعودة الى ديارهم باستثناء من ارتكبوا جرائم القتل والسرقة والاغتصاب كما دعت الامم المتحدة الى ارسال بعثة للتحقيق .

ويدور الحديث ، او يتجدد عن انشاء دولة كردستان لولا مخاوف تركيا وايران من ان تمتد النار لتشمل ما فيهما من اكراد .. ولكن الولايات المتحدة يعز عليها ان تتخلى عن قوم اسقطوا صور صدام حسين ، ورفعوا بدلا منها صور بوش وشوارتسكوف .

وذلك خلال الايام القلائل التى سيطروا فيها على بعض المدن في شمال العراق !

● وماذا عن فلسطين ؟!

وفى الوقت الذى تتقدم فيه بريطانيا التى لاتزال تعتبر نفسها مهندسة المنطقة العربية او الشرق الاوسط كما يحلو لهم ان يسموه باقتراح انشاء الجمعية الكردية الى مجلس الامن الدولي رغم تعارض ذلك مع الشرعية الدولية وسيادة عضو في الامم المتحدة هو العراق .. فان الحليفة الكبرى ، اى الولايات المتحدة لاتزال ترفض فكرة اقامة دولة فلسطينية بالرغم من كون ميتران الرئيس الفرنسي ، والحليف الثالث في التحالف الدولي الشهير ، قد ذكرها بان انشاء دولة فلسطينية هو مجرد تطبيق لقرار قديم للامم المتحدة هو قرار تقسيم فلسطين (التى كانت تحت الانتداب البريطاني وقت صدور القرار) وبدلا من ذلك تسعى الولايات المتحدة اولا الى الحصول لاسرائيل على اعتراف كامل بها من جانب دويلات الخليج الست ، الأمر الذى يتيح لها الاشتراك في نعمة التعمير التى تقدر بعشرات المليارات من الدولارات ، والتى يجيء دورها في الكويت بعد الحرب وذلك مكافأة لها اى لاسرائيل

على امتثالها لطلب الولايات المتحدة ـ إبان عملية الحرب ـ بعدم الرد على الهجمات العراقية بالصواريخ عليها ! اما حل القضية الفلسطينية فيبقى فى اطار ما تعرضه اسرائيل من حكم ذاتى محدود للفلسطينيين فى « المناطق » وهى التسمية التى تطلقها اسرائيل على الأرض العربية المحتلة فى فلسطين بعد حرب ١٩٦٧ ، اى الضفة الغربية وقطاع غزة ، باستثناء القدس التى اعلنت اسرائيل ضمها اليها واعتبار القدس بشطريها الشرقى والغربى عاصمة ابدية موحدة لدولة اسرائيل ! اما الحكم الذاتى المقترح للفلسطينيين فلا يكاد يصل الى ما يعرضه العراق ، وهو الدولة ذات السيادة على الاكراد ، وقد سبق الاتفاق عليه عام ١٩٧٠ ، وكان من الممكن ان ينجح لولا التحريض الايرانى المتصل للاكراد بالثورة على الحكومة العراقية وخاصة خلال حرب الخليج الاولى التى وقعت ما بين العراق وايران بعد الثورة الخمينية فى هذه الاخيرة .

ان القياس بمعيارين لدى الولايات المتحدة الأمريكية لم يتبد فحسب فى موقفها من قضية فلسطين ، ازاء قضية احتلال العراق للكويت ، بل ايضا ازاء قضية الاكراد داخل العراق ذاته ، ولله فى خلقه شئون !

● الخروج من المحنة

المحنة اذن قائمة باقية ، من قبل احتلال العراق للكويت ، ومن بعدها على صور اخرى متعددة ، ولايكفى اجتماع واحد لجامعة الدول العربية لكى يعتبر خروجا منها ، ولا اجتماع اخر على مستوى وزراء الخارجية من المقرر عقده فى منتصف مايو الحالى ، ينتظر اختيار وزير خارجيتنا الدكتور عصمت عبدالمجيد ، امينا عاما للجامعة بعد عودتها الى مقرها الاصلى فى مصر .

أهم من ذلك ان نعود الى المقترحات التى تناثرت وكثر الحديث عنها خلال احتدام ازمة الاحتلال العراقى للكويت عن تطوير جامعة الدول العربية على النحو الذى يجعلها قادرة على التعبير الصادق ، عن الارادة العربية الموحدة ، وضمان مستقبل افضل للامة العربية .

واول عناصر هذا التطوير ، هو جعل قراراتها ديمقراطية اى باغلبية دول الاجماع ، بحيث تصبح ملزمة للجميع ، بما فى ذلك المعترضين على القرار او الممتنعين عن تاييده .

وفى هذا الجانب اثيرت فكرة ان الدول العربية حتى وان تساوت من الناحية الشكلية فهى شديدة التفاوت فيما بينها ، وخاصة من حيث عدد سكانها وتصبح الديمقراطية عندئذ صورية بحتة ، لو تكتلت الدول ذات الكثافة السكانية المحدودة عند التصويت على قرار معين ـ ضد الدول الأخرى ذات الكثافة العالية ، التى قد تساوى احداها ، البقية مجتمعة !

لن يكون القرار فى هذه الحالة معبرا عن الارادة الحقيقية لمجموع الشعب العربى ، ولا للاغلبية السائدة فيه لذلك طرحت فكرة البرلمان العربى لكى يكون اداة الديمقراطية العربية الوليدة ، على غرار البرلمان الاوربى .

ولا نستطيع ان ننكر على انفسنا ان

نغمة الديمقراطية تتصاعد في مجتمعاتنا العربية بعد محنة الخليج وحربها ، ورب ضارة نافعة فالكويت بعد اميرها بالديمقراطية واجراء انتخابات نيابية تشترك فيها المرأة ، وذلك مما كانت تطالب به المعارضة .

اما العراق ، فان حكومته تعد ايضا بالديمقراطية واقرار التعددية الحزبية .. والفلح ان صدق : هذا او ذاك !

والى جانب الديمقراطية وهي اساسية وهامة في التوصل الى صيغة للارادة العربية الموحدة تنطلق صيحات اخرى تقربنا من الهدف :

فالكويت مرة اخرى ـ يتحدث قادتها عن انشاء سوق عربية مشتركة ـ على غرار السوق الأوربية التي كانت الخطوة الاولى في توحدها .

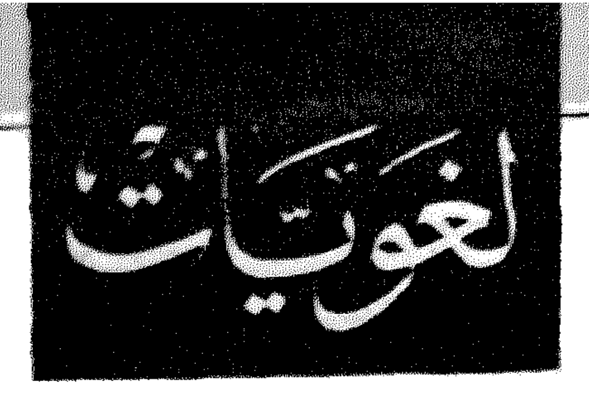
ولاشك في اهمية تلك الخطوة لو نفذت بصدق ان السوق الاوربية ـ استطرادا في المقارنة ـ قد انطوت على الغاء الحواجز الجمركية وحرية تنقل الافراد ورءوس الأموال والسلع المعروضة في السوق داخل الجماعة الأوربية باسرها . وذلك بالطبع امر يستبعد مسألة تصاريح السفر والاقامة ، فضلا عن الصور العجيبة التي ابتكرتها بعض مجتمعاتنا العربية مثل الحاجة الى كفيل محلي لكي يعمل ويقيم مواطن عربي ، في بلد عربي اخر !

الأمر الثالث ، الذي يصب في التيار الوحدوي ، لو نفذ بنية سليمة هو الأخر ، هوالنص في اتفاق دمشق ، ما بين مصر وسوريا ودول مجلس التعاون الخليجي ، على اقامة قوة عسكرية مشتركة على امكانية اشتراك دول عربية اخرى في هذا الاتفاق وفي تشكيل تلك القوة ان هذا النص عند اعماله بجدية ، قد يفضي الى نوع من التوحد العسكري للجيوش العربية . وبالتالي تسليحها والتوسع في الصناعات العسكرية العربية التي تخدمها .

هذه العناصر الثلاثة : التوحد السياسي من خلال الديمقراطية والتوحد الاقتصادي من خلال السوق المشتركة والتوحد العسكري من خلال تطوير اتفاق دمشق . هذه العناصر الثلاثة يمكنها ان ترفع من جامعة الدول العربية الى مستوى اتحاد الدول العربية ، او دولة العرب الموحدة وغير كثير على امتنا المنكوبة مثل هذا الحلم في عصر تتوحد فيه قارات باكملها من اجل مكان لها تحت الشمس ، في عالم لا مكان فيه للكيانات الهزيلة والهامشية .

على ان تحقيق مثل هذا الحلم ليس منوطا بالحكومات العربية وحدها ، ما لم يساعدها رأى علم عربي حقيقي . بل ان هذا الرأى العلم هو صاحب القدرة الحقيقية على انجازه وفرضه على الاوضاع التي تقاومه ، وتشكيل الرأى العلم وتوجيهه هذه الوجهة او سواها ، هو مسئولية قوى الفكر والعمل السياسي في كل المجتمعات العربية ، ولابد لهذه القوى من التواصل في حوار جاد من اجل مستقبل افضل لهذه الامة .

والا .. فان الحديث عن تجاوز المحنة .. سوف يبقى مجرد حديث !!



● "رمضان" شهر الصوم ، يجمعه العامة على : رمضانات ، ورماضين .. وهما جمعان صحيحان فصيحان .. ومثلهما فى الفصاحة اللغوية : أرمضة وأرمضاء ..

● وإذا أقبل شهر رمضان ، رَمْضَنَ الناسُ الصوم ، أى عقدوا النية على الصوم ..

● وأصل «الرَّمَض» ـ بفتح وتشديد الراء وفتح الميم ـ شدة حر الصيف ، وكذلك الرَّمَضَانُ ، أى تواصل القيظ ودوامه ، ومنه اسم شهر رمضان ، سواء صادف بردا أو قيظا ، لأن الجوع يُرْمِضُ جوف الصائم ، أى يحرقه ..

● وإذا احترق الرجل غيظا ، قيل : إنه قد رَمِضَ ، بفتح الراء وكسر الميم .. وفى هذا القول استعارة ..

● وارتمض من الحزن ، معناه احترق من الحزن ..

● والرمضاء : الأرض الحامية من شدة حرارة الشمس عليها ، وكانت العرب تصف بها الأرض الرملية المكشوفة للشمس صيفاً .. وحرارة الرمضاءِ عندهم أشبهُ بحرارة النار .. قال الشاعر : "كالمستجير من الرمضاء بالنار" ! ..

● والعامة فى مصر يصفون الشخص الحاد اللسان أو الحاد الذكاء بأنه شديد «اللماضة» .. وهذه الكلمة ـ فيما نظن ـ محرفة عن كلمة «الرَّمَاضَة» ـ بفتح وتشديد الراء ـ وهى الحدة والشدة ..

● وكل رمضان وأنتم طيبون ، وأبقاكم الله إلى رمضانات ورماضين وأرمضة وأرمضاء لا تعد ولا تحصى ، إن شاء الله .. آمين ! ..

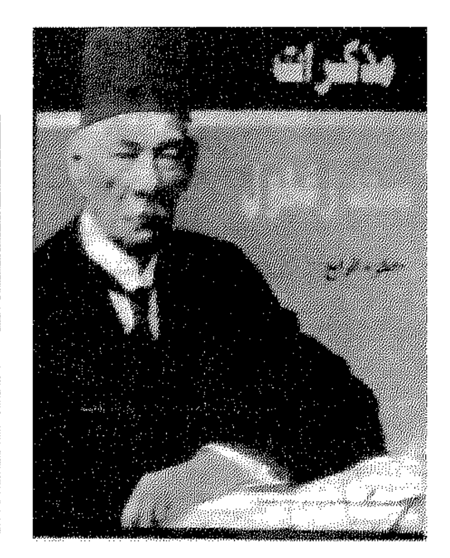
سعد زغلول
بين الانصاف والهجوم

بقلم: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

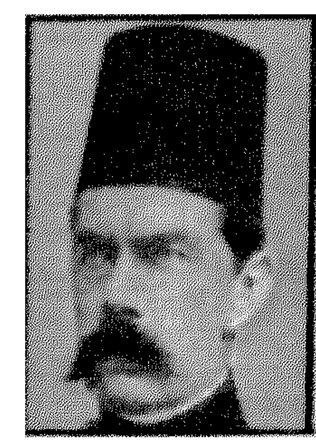
يتناول هذا الجزء من مذكرات سعد زغلول الفترة الممتدة بين ٢٢ يناير ١٩١٠ و ٢٦ سبتمبر ١٩١٤ . وقد شهدت هذه الفترة أحداثا هامة بالنسبة الى تاريخ مصر الحديث سنتناولها حسب سياقها الزمني

ففى فبراير ١٩١٠ اغتيل رئيس الوزراء القبطى بطرس غالى على يد احد شباب الحزب الوطنى الذى اعتقد ان حكومة غالى قد فرطت فى حقوق البلاد .

فهو الذى وقع اتفاقية ١٨٩٩ التى اشركت بريطانيا مع مصر فى حكم السودان على اثر استرجاعه وذلك حين كان وزيرا للخارجية ، وهو الذى اصدر قرار تشكيل المحكمة المخصوصة التى اصدرت الاحكام القاسية على المتهمين فى حادثة دنشواى وذلك حين كان وزيرا للعدل بالنيابة ورأس هذه المحكمة بنفسه . وفى مارس ١٩٠٩ اعاد العمل بقانون المطبوعات القديم الذى ادى الى تعطيل وايقاف عدد كبير من الصحف الوطنية والحكم على محرريها وكتابها بالسجن . كما اصدر غالى قانون النفى الادارى الذى وضع فى يد السلطة حق نفى الاشخاص الذين ترى خطورتهم على الامن العام الى جهة نائية بالقطر . وآخر اعماله دخوله مع شركة قناة السويس فى مفاوضات لمد اجل امتيازها اربعين سنة اخرى فى مقابل اربعة ملايين من الجنيهات ونصيب سنوى من الارباح . وقد ادى مقتل بطرس غالى الى اثارة فتنة طائفية ، اذ ذهب الاقباط الى ان مقتله راجع الى كونه اول رئيس للوزراء من الاقباط فهاجت خواطرهم وتداولوا فى شكلواهم ودعوا الى انعقاد مؤتمر قبطى اجتمع فى اسيوط فى ربيع ١٩١١ وحدد مطالبهم التى كان من اهمها جعل العطلة الاسبوعية يومى الجمعة والاحد وشغل الوظائف طبقا



كتشنر



بطرس غالى



للكفاءة وحدها ورد المسلمون على ذلك بعقد مؤتمر «مصرى» حضره بعض الاقباط وانشغلت البلاد بتبادل الشكاوى والاتهامات ولا يستطرد سعد زغلول فى تناول هذه الاحداث ، بل يقتصر على القول بان المعتمد البريطانى سير الدون جورست بذل جهدا من اجل الحيلولة دون انعقاد المؤتمر فى اسيوط الا ان وزارة الخارجية البريطانية نصحته بترك الاقباط وشانهم .

وفى اواسط عام ١٩١٢ حل كتشنر محل جورست وكان رجلا عسكريا يحتقر السياسة ويرى ضرورة تقوية سلطة الحكومة خاصة وان سياسة الوفاق التى سار عليها جورست حين تقرب الى الخديو عباس الثانى قد ادت الى فصم عرى الصلات التى سبق ان قامت بين عباس والوطنيين . وبرر انصار الاحتلال سياسة كتشنر ازاء عباس بفساد اتجاهات هذا الاخير فى ظل سياسة الوفاق وبالتالى سعى الى الضرب على يديه وبخاصة فيما يتعلق باراضى الاوقاف واخذ يتجول فى الاقاليم والمدن ويصر على ان تكون مقابلاته للخديو فى التشريفات وحده وعباس يتململ بعد ان اسرفت الحكومة فى اضطهاد خصوم الاحتلال واسرف هو فى التنكر للمعتدلين ومنهم سعد زغلول وقاسم امين ولو انه اتفق مع كتشنر على التخلص من سعد بابعاده عن منصب وزير الحقانية الذى كان يشغله وهو ما تم فى اخر مارس ١٩١٢ حين اضطر الى الاستقالة بعد تعرضه لبعض المضايقات .

وبعد خروج سعد من الوزارة امتلات مذكراته بالشكوى من تنكر الناس له وسعيهم الى التقرب من المعتمد البريطانى واشار الى انهم «يعدون من التشرف ان يلتفت اليهم (كتشنر) بأى نوع من انواع الالتفات وهم يتسابقون فى هذا المضمار وقد اصبح الاتصاف بالوطن والوطنية والحرية من الأمور التى يرغب عنها ويهرب منها . وقل دوران كلمة الأحزاب على الالسنة الا مقرونة بالاحتقار والابتعاد عن الانتساب اليها» . وازاء الفراغ الذى كان سعد يشعر به خطر بباله ان يرحل عن مصر ولو انه لم يستقر على مكان يتجه اليه ومن ثم

اتجه الى القراءة والى تدوين ما يعن له ولكنه سعى الى الخروج من الحالة التى هو فيها اما باستعطاف كتشنر او باسترضاء الخديو للحصول على منصب يشغل فراغه فرشح نفسه لعضوية مجلس ادارة شركة قناة السويس ، وسعى صهره مصطفى فهمى باشا رئيس مجلس الوزراء الى مساعدته على التوصل الى ذلك . ولكن كتشنر لم يتحمس لذلك مفضلا ان يتم شغل المنصب الذى خلا بوفاة شاغله الفرنسى بشخص أليق من سعد وانسب بالوسط الاوروبى منه خاصة وان سعدا كان له اعداء حاسدون كثيرون ورغم ان مصطفى فهمى نوه بكفاءته وصدقه فى القول واخلاصه فى العمل واشار الى ان صداقته مفيدة بالرغم من صلابته وغلظته فان كتشنر تمسك بموقفه منه مما جعل سعد يعزو ذلك الى الوشايات ويعلق بقوله : «يظهر انه لا يصح لى من الآن ان انتظر من جهة الانجليز خيرا على الاقل مادام كتشنر عنيدا والخديو حانقا ورئيس الوزراء عدوا . فماذا يجب على نفسى فى هذه الحالة ؟ هل ابقى معاديا لهذه السلطات او استميل بعضها ؟ وما هو ذلك البعض كل واحدة العن من اختها ولابد من استرضاء سعيد[1] لانه لا يفيد وقد يضر وليس من الشهامة استرضاء اللئام واما الخديو فثمن الاسترضاء كبير جدا وهو الذمة والاستقامة» .

● تعطيل الأجراءات

وقد واتت سعد فرصة جديدة للتفتيش عن طاقته وملء فراغه وذلك بالترشيح لعضوية الجمعية التشريعية التى تقرر ان تخرج الى حيز الوجود لتحل محل مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ويبدو ان كتشنر لم يتجه الى ان يخلع على الجمعية الجديدة مسئوليات واسعة ، بل ان كل ما كان يبغيه هو ان يزيد فى مهامها الاستشارية وقدرتها على عرقلة وتعطيل الاجراءات التى لا تقرها . وربما كان هدفه من اعادة تشكيل الحياة النيابية الصورية هو ان يوصد ابوابها امام فئات السياسيين وان يجعلها اداة لتمثيل اصحاب المصالح الزراعية الذين لا يتاثرون بالتهيج السياسى مما يؤدى الى تغليب الاعتدال على علاقاتها بالحكومة فيكون استعمالها للسلطات الممنوحة لها استعمالا معقولا ورشح سعد نفسه لدائرتين من دوائر القاهرة

ونجح فى كلتيهما . ومما يدل على مكانته ، فى تلك الفترة ان الطرفين اللذين عملا على تنحيته عن الوزارة اصبحا يخطبان وده ويلتمسان القرب منه ، ولو انه قرر الا يصبح رجل الخديو او رجل الاحتلال بل «رجل الحقيقة ولا ابغى عنها حولا» .. رجل الامة والبلاد التى رفعتنى الى هذا المكان وانابتنى عنها للدفاع عن صوالحها فاذا اتحدت مع صالح الخديوى كنت من المخلصين له وخدمت هذا الصالح المشترك ، وان اختلفت كنت مع الامة . وكذلك الامر فى الاحتلال نعم ان عندى اسبابا كانت تحملنى على الانتقام لان كتشنر لم يقدرنى قدرى .. ولكن مصلحة الامة عندى فوق كل شهوة وانى اضحى جميع شهواتى للصالح العام» .

وبعد ان نجح سعد فى الانتخابات علق عباس بأن سعدا قد نفخ فى الانتخابات روحا عظيمة ،فقد كانت مهملة قبلك فلما ظهرت فى الميدان التفت الناس لها وتسابقوا فى الترشيح» .. وترتب على ذلك انتخاب كثير من الاكفاء ورغم تملق الخديو له لكى يكتسبه الى جانبه فانه كما سبق ان قلنا ـ كان قد حدد موقفه الخاص بالا يكون اداة فى ايدى الانجليز او فى يد الخديو وان يتوخى الحذر ويعرض عن السياسة والسياسيين ويركن الى الشعبية التى احرزها فى الانتخابات وبذلك مهد للدور الوطنى الذى لعبه فيما بعد بعدم انحيازه الى فريق دون اخر من الساسة المتصارعين وكانت اجراءات القمع التى جرت بعد مقتل بطرس غالى قد ادت الى التجاء الوطنيين الذين اصبحوا اعضاء فى الجمعية التشريعية[٢] الى الاساليب القانونية وضغطهم على الحكومة دون هوادة ومن ثم تحولت الجمعية من كونها هيئة استشارية الى اداة قوية للمعارضة برزت فيها كتلة الوطنيين الدستوريين من المحامين والاعيان التى اسلمته زعامتها ولم يمض وقت طويل حتى انتقلت القيادة فى الجمعية من الاعيان الى المحامين الذين ما لبثوا ان استقلوا بذاتهم بعد النجاح الذى احرزوه والسمعة الشعبية التى حصلوا عليها . وهكذا اصبحت الجمعية التشريعية اداة لتدريب رجال السياسة البرلمانيين الذين تزعموا ثورة ١٩١٩ وتصدروا الحياة السياسية فى اعقابها .

وكان اهتمام المصريين بالمسائل السياسية قبيل الحرب العظمى راجعا الى تطور التعليم ونمو الصحافة الشعبية مما استتبع ازديادا فى اعداد المصريين الواعين باهمية موارد بلادهم وبالغايات السياسية القصوى التى يحق لهم ان يطمحوا الى تحقيقها وبالتالى كانت السياسة تشغل تفكير الناس فى هذه الفترة وخلال الحرب وفى اعقابها فكانت ثورة ١٩١٩ التى قيض لسعد ان يتزعمها كانت فى طى هذه الفترة مما يفسر قيامها دفعة واحدة بعد اعلان الهدنة ورفض الانجليز للمطالب المعتدلة التى تقدم بها سعد ورفقاه .

وقد عرضنا فيما سبق لاهم ماورد فى الجزء الرابع من مذكرات سعد . واذ ارحب بالجهد الذى بذله المحقق ومساعدوه ارجو ان يواصلوا العمل فى نهايته وبذلك يتوفر للباحثين والقراء فرصة الاطلاع على خواطر ومذكرات احد ابرز زعماء مصر فى القرن العشرين خاصة وان سعد زغلول صريح مع نفسه وصادق فى تصوير نواحى قوته وضعفه وبخاصة خلال الازمات التى مر بها .. وقد تكون محاسبته لنفسه التى تملأ كثيرا من صفحات الجزء الرابع من العوامل التى جعلته يتجنب بعض المزالق التى وقع فيها مما مهد للدور الوطنى الذى لعبه خلال العقد الاخير من حياته .

---

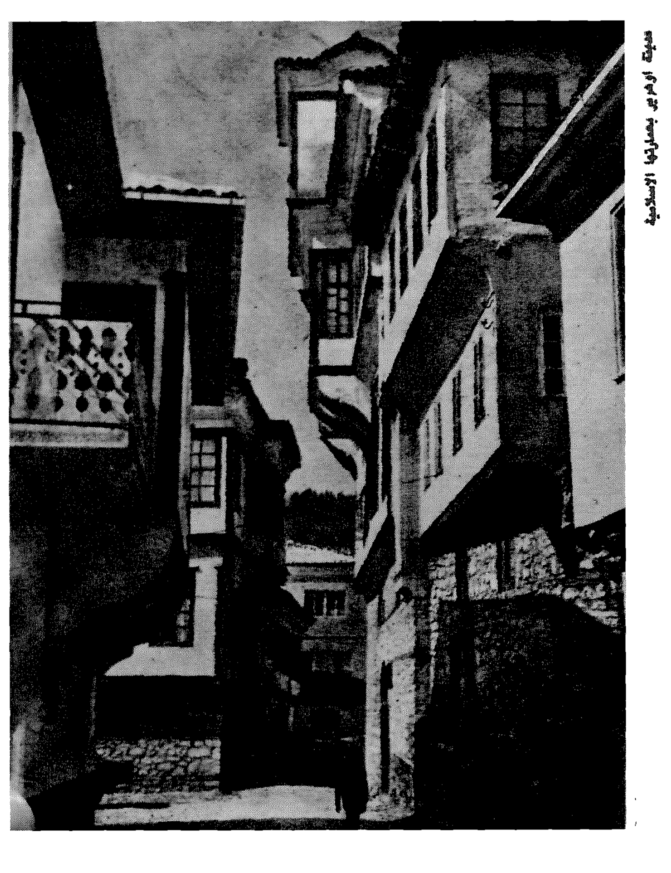
(١) يقصد رئيس الوزراء محمد سعيد باشا

(٢) اجتمعت من ٢٢ يناير الى ١٧ يونيه ١٩١٤ ثم توقفت اجتماعاتها على اثر نشوب الحرب العظمى .

هل هناك قوميون مصريون في يوغسلافيا ؟!

بقلم: د. جمال الدين سيد محمد

اعترفت يوغسلافيا أخيرا بالاقلية المصرية التى تعيش فى الأجزاء الجنوبية من يوغسلافيا واعتبرتها إحدى الجماعات الغربية الثلاثية التى يتالف منها الشعب اليوغسلافى ماهو حقيقة هذا الأمر ؟


مدينة أوهريد بمعالمها الإسلامية

لقد بدأت الواقعة بان تقدم حوالى مايربو على الف وأربعمائة مواطن يوغسلافى من منطقتى أوهريد وستروجا بتوجيه التماس إلى البرلمان الجمهورى فى مقدونية وإلى المجلس البرلمانى الاتحادى اليوغسلافى مطالبين بان يتم عند اجراء التعداد السكانى فى العام القادم ادخال عمود جديد باسم المصريين لكى يسجلوا أنفسهم فيه . ويستندون فى التماسهم هذا إلى المادتين ١٦٦ و١٧٠ من الدستور اليوغسلافى الذى يكفل لكل مواطن حرية الراى والاختيار ويضمن المساواة بين الشعوب والقوميات فى يوغسلافيا .

وبالاضافة إلى الالتماس الذى تم توجيهه إلى كل من برلمانى مقدونية ويوغسلافيا فقد شكلت هذه المجموعة من المواطنين رابطة لليوغسلاف المصريين برئاسة المهندس حسنى زيموفسكى تهدف فى الأساس إلى تحقيق هذا المطلب العادل فيما يتعلق بالتعداد السكانى بغرض حصولهم على التكافؤ والمساواة مع باقى الشعوب والقوميات فى مقدونية ويوغسلافيا .

● قومية خاصة

ومما يذكر ان هؤلاء المصريين اليوغسلاف من مدينتى اوهريد وستروجا قد حاولوا فى التعداد السابق أن يعربوا عن أنفسهم على انهم جماعة قومية خاصة ، اى على أنهم مصريون ولكن نظرا لأنه لم يكن

هل هنك قوميون مصريون فى يوغسلافيا ؟!

يوجد عمود باسمهم فقد تم إدراجهم تحت اسم « آخرين » أو « غير معروفين » وفقا للتقريرالرسمى للهيئة الجمهورية للتعداد والاحصاء . وكان المبرر لهذا التصرف من جانب الجهات الرسمية للتعداد والاحصاء بانه ينبغى اولا إثبات وجود هؤلاء المصريين اليوغسلاف اثباتا علميا ثم تتم بعد ذلك الموافقة على هذه المطلومة ومايستتبعها من اجراءات .

وفى كل يوم يفد إلى مقر الرابطة مواطنون من مختلف أنحاء يوغسلافيا ، وعلى الأخص من المناطق المقدونية ، ويذكر المسئولون بالرابطة بانه يعيش فى مدينة أوهريد مايربو على ثلاثة آلاف مصرى ، وفى ستروجا مايزيد على الف مصرى . وتوجد أعداد قليلة منهم فى مدن ريش وديبار ويتيولا وجيفجيليا وغيرها .

واكد رئيس هذه الرابطة أن المصريين اليوغسلاف لن يقوموا بأى ضغوط وليست لهم أى طموحات سياسية . والهدف الفعلى من وراء طلبهم هو أن يكفلوا لانفسهم ولغيرهم من المواطنين الذين يشعرون بانهم مصريون إمكانية ان يستردوا هويتهم القومية وأن يعبروا عنها بكامل حريتهم ويحافظوا عليها . وهم يرفضون رفضا تاما المحاولات الرامية إلى دمجهم مع الألبان ومع الروميين . وهم يشددون على انهم يوغسلاف مصريون لهم هوية عرقية تم انكارها واغفالها على مر السنين ، ومن اجل تصحيح الخطا يطالبون بالسماح لهم بالتعبير عن انفسهم كمصريين او « إيجوبتسى » لانهم ليسوا من الغجر او الالبانيين او الاتراك وانما جماعة عرقية اصيلة من حيث عاداتها وتقاليدها ويوجد منهم المسلمون والمسيحيون .

ويحلو للغجر فى يوغسلافيا أن يسموا انفسهم بالروميين على اعتبار أن لقب « الغجر » مرتبط بصفات ومميزات وطباع غير مقبولة لدى الكافة . وقد أخذوا اسمهم هذا من البطل « راما » وهو الشخصية الرئيسية فى ملحمة « رامايانا » ومن هنا فهم يعتبرون أنفسهم من أبناء راما . وإلى عهد قريب كان هؤلاء اليوغسلاف يسمون بالايجوبتسى أى المصريين إلا أن المسئولين عن رابطة المصريين اليوغسلاف ينكرون هذا الافتراض ويؤكدون انه لاتوجد صلة لهم بالغجر ويذكرون أنهم لم يكونوا على الاطلاق من القبائل الرحل مثل الغجر بل انهم اشتهروا كحرفيين ، وأنهم فى المقام الأول حدادون وقد أتوا إلى هنا من مصر . وحتى الآن لم يتم العثور على مستندات مكتوبة او وقائع تاريخية محددة تؤكد هجرتهم إلى الأراضى اليوغسلافية وذلك لانه ـ وفقا لرايهم ـ ابتداء من القرن الثامن

عشر فحسب بدأ الحديث بشكل جاد عن أن هؤلاء المصريين اليوغسلاف ليسوا من الغجر .

● من اين اتوا ؟

وفيما يتعلق بالسبل التى جاء عن طريقها هؤلاء المصريون اليوغسلاف إلى هنا يقال انه توجد احتمالات ثلاثة لذلك :ـ

وأولها أنهم جاءوا إلى هنا فى زمن الاسكندر الأكبر (٥٣٦ ـ ٣٢٣ ق . م) ايام أن كانت مقدونية تابعة للامبراطورية اليونانية .

الاحتمال الثانى لقدومهم إلى منطقة البلقان حدث فى منتصف القرن التاسع الميلادى حينما حاصر العرب مدينة دوبروفنيك لمدة عام ونصف .

وثالث الاحتمالات يرجع إلى الوقت الذى كانت فيه هذه المناطق تابعة للامبراطورية البيزنطية .

إلا ان كل هذه ليست إلا محض افتراضات لم تقدم الأبحاث والحقائق التاريخية اية ادلة على صحتها حتى وقتنا هذا .

والحقيقة أنه فى يوغسلافيا ومقدونية لايوجد إلا عدد قليل من الباحثين والعلماء الذين يشتغلون بدراسة أصل وتاريخ وحياة وثقافة الروميين الذين يطلق عليهم عامة الشعب تجاوزا « الغجر » ونادرا مانجد من هذه القلة من يجسر على التأكيد بان « الايجوبتسى » هم الروميون والدكتور ترايكو بتروفسكى الذى يعد واحدا من اكبر العالمين ببواطن هذه الأمور وهو أيضا باحث فى معهد الفنون الشعبية « ماركو تسيينكوف » فى سكوبلى بمقدونية ، ومن الروميين ويقوم فى هذا المعهد بالتدريس فى قسم القوميات ـ لايعتقد شخصيا فى صحة الادعاء القائل بان الايجوبتسى فى ستروجيا وأوهريد ليسوا من الروميين .

ويؤيد نفس الرأى الكسندر ستويانوفسكى الباحث بمعهد التاريخ القومى والمتخصص فى الشئون التركية ، ويرى أن الزاعمين بهذا الادعاء لم يقدموا دليلا واحدا او إثباتا صحيحا فيما عدا تفسيرهم السطحى الذى يناسبهم ويوافق اهواءهم ويفرضون رأيهم بالربط بين كلمة « إيجوبتسى » وبين كلمة مصر .

ويوافق الدكتور ترايكو بتروفسكى على أن كلمة « إيجوبتسى » التى تطلق على الروميين مأخوذة بتحريف من كلمة مصر ، ولكنه يؤكد الحقيقة المعروفة التى لايستطيع احد أن ينكرها او يدحضها فى العالم والتى تفيد بان جماعات معينة من الروم قد هاجرت من مواطنها الأصلية فى الهند وآسيا متجهة إلى أوروبا عن طريق

هل هناك قوميون مصريون فى يوغسلافيا ؟!

مصر . وبناء عليه فمن قبيل الوهم الكامل الزعم بأنهم مصريون .

ولكن عبرالتاريخ كانت ـ كلمة « إيجوبتسى » تثير فى أغلب الأحيان لدى المستمعين حيرة وارتباكا فيما يتعلق بالاسم الحقيقى لهؤلاء القوم ، ولذا فقد سهل على عدم المطلعين على الوقائع التاريخية تسميتهم نتيجة لذلك بالمصريين . كما تم بسبب لونهم الأسمر تسميتهم خطأ بالتتار . ويذكر آخرون أن الروميين حضروا إلى أوروبا من « مصر » التى تقع بالقرب من جزيرة كريت . وهذه المعلومة تشير إلى وجود منطقة فى اليونان تسمى « مصر الصغيرة » هاجر الغجر عن طريقها إلى أوروبا وإلى باقى أنحاء العالم .

وتوجد فى الكتاب اليوغسلافى « لغة وثقافة الروميين » أبحاث متعددة مستفيضة تثبت بالدليل العلمى القاطع أن الأصل المصرى للروميين أمر لايمت إلى الحقيقة التاريخية بصلة وأن أصلهم هندى ، وتبين بجلاء أن اللغة الرومية تتبع فرع السانسكريت وهو من اللغات الهندية . وتؤكد أنهم تركوا الهند فى موجات من الهجرة الجماعية فيما بين القرن التاسع والحادى عشر الميلاديين . وقبل رحيلهم إلى اوروبا مكثوا فترة طويلة فى فاس وآسيا الصغرى وسوريا ومنها عبر مصر وشمال أفريقيا توجهوا إلى أسبانيا ومن آسيا الصغرى رحلوا إلى البلقان ووادى نهر الدانوب ثم إلى أوروبا بل وإلى أمريكا .

وتذكر بعض المراجع الاسطورة المعروفة باسم « لورا » الواردة ببعض الكتب الايرانية القديمة ومفادها أنه بناء على طلب الملك « باهرم جور » وصل إلى فارس عشرات الآلاف من اللور من مغنيين وعازفين . والحقيقة أن الغجر توجهوا أولا إلى ايران بعد مغادرتهم للهند . وكانت قبيلة اللور هى أقدم وأول قبيلة من قبائل الغجر وصلت إلى ايران فى القرن الخامس الميلادى وتبعتها قبائل غجرية أخرى . واشتهرت تسمية الغجر فى ايران « باللور » وتحول هذا الاسم إلى « نور » وهو الاسم الذى يطلق على الغجر فى سوريا ومصر .

ومن المعلوم أن يوغسلافيا تتألف من شعوب وقوميات وجماعات عرقية ، إلا أن الدستور اليوغسلافى لايعترف للروميين بالوضع المتميز الذى تتمتع به باقى الشعوب اليوغسلافية وذلك لانه لاتوجد لهم دولة قومية فى العالم تجمعهم وتحمل اسمهم ، ولذا فانهم يبحثون عن بلد وعن شعب ينتسبون إليه ، وربما كان هذا هو السبب لاعلانهم فى الآونة الأخيرة عن أصلهم المصرى وعن انتسابهم إلى مصر

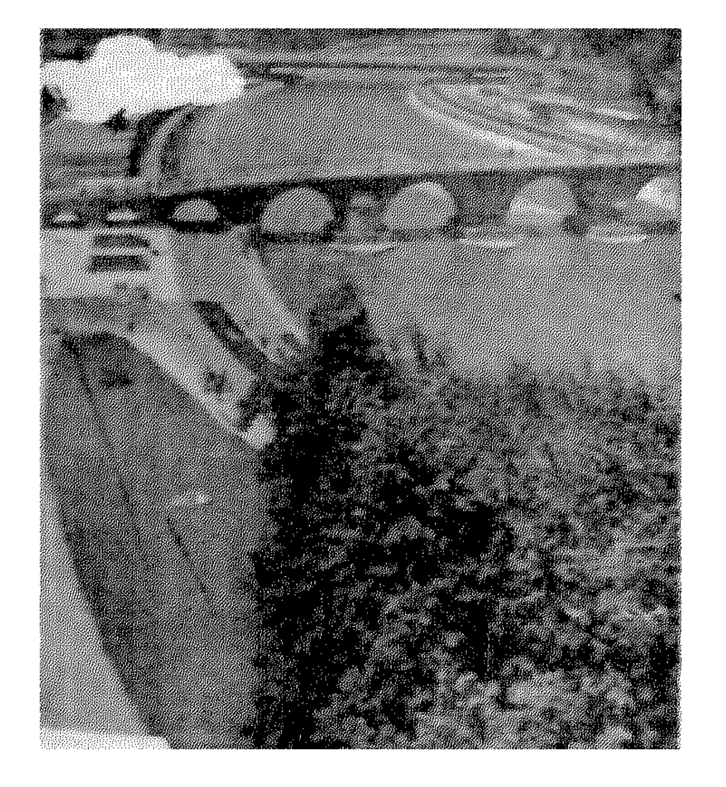
وذلك حتى يتمتعوا بالحقوق التى يكفلها الدستور اليوغسلافى للشعوب اليوغسلافية المختلفة .

● قضية القوميات

ولكى نتفهم هذه القضية بكل أبعادها وأهدافها فلابد أن ندرك أنها مرتبطة أولا وقبل كل شىء بقضية القوميات فى يوغسلافيا ومرتبطة كذلك بتصفية الحسابات القديمة بين أصحاب النزعات القومية والانفصاليين والزعماء السياسيين فى صربيا وكرواتيا ومقدونية وكوسوفو . كما تتعلق بشكل مباشر بمطالب معظم الجماعات العرقية فى يوغسلافيا - فى الوقت الحالى - بالحصول على مزيد من الحقوق والامتيازات وبالتالى باقامة كيان مستقل ودولة قومية بكل منها .

وإذا سنحت الفرصة لهؤلاء الروميين بالاعراب عن أنفسهم كمصريين فى التعداد السكانى المقبل فان هذا سيغير الاحصائيات التى تبين الحالة العددية لبعض القوميات الأخرى فى مقدونية بالذات .

وهذا أيضا يدخل فى إطار العمليات الحسابية والتوليفات والتوقعات التى يقوم باعدادها أولئك الذين يتمنون أن يروا فى يوم من الايام جمهورية مقدونية اليوغسلافية دولة مستقلة



مدينة سكوبى الواقعة على نهر فاروا

تجمع كل المقدونيين الموجودين خارج البلاد ، وعلى الأخص أولئك الذين يعيشون فى اليونان وبلغاريا .

وبناء عليه ، فإلى أن يحين الحين ويتم قطع الشك باليقين واثبات الأمر بالحجج والبراهين فهذه القضية لاتعدو إلا أن تكون دعائية لتسوية حسابات داخلية ، وهى حتى الآن لاتمت إلى مصر وإلى المصريين بأية صلة من قريب أو بعيد !



زواج المتعة

حلال أم حرام ؟ !

بقلم : محمد سيد كيلاني

لا جدال فى أن الدين الإسلامى جاء متماشيا مع الطبيعة الإنسانية إلى أبعد الحدود فمن ذلك قوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم .... الخ .... (البقرة - ١٧٩) .

وفى آيات كثيرة من القرآن الكريم تجد مثل قوله تعالى .. يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا (النساء - ٢٧) أو - ذلك تخفيف من ربكم (البقرة ٧٧) .

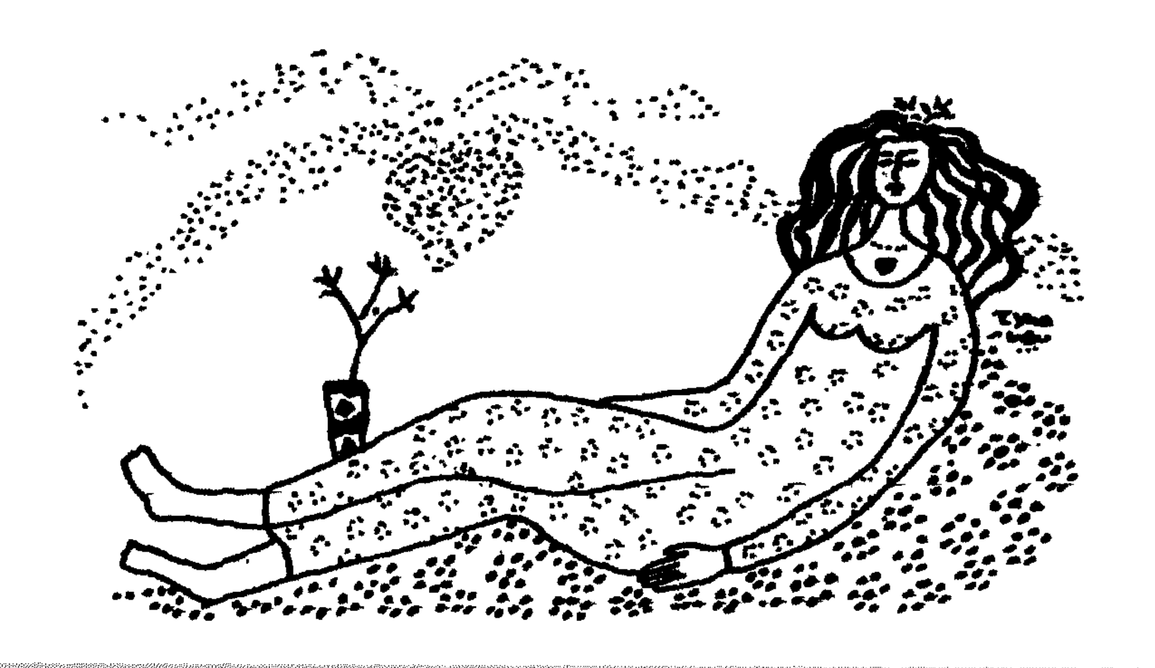
ويدخل فى باب التخفيف موضوع نكاح المتعة وذلك فى قوله تعالى : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة » (النساء - ٢٣ ، ٢٤) .

وعن عمران بن الحصين أنه قال : نزلت المتعة فى كتاب الله ، ولم تنزل بعدها آية تنسخها ، وأمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات ولم ينهنا عنها ، ثم قال رجل برأيه ما شاء ، يريد عمر بن الخطاب الذى نهى عنها ، فهذه الآية مقصورة على نكاح المتعة ، ولم ينكر أحد على ابن عباس وأبى بن كعب قراءتها بإضافة - إلى أجل مسمى إلى آخر الآية فكان اجماعا .

وأيضا أمرنا بإيتاء الأجور لمجرد الاستمتاع ، وقدم الاستمتاع أولا ، ثم بعد ذلك تدفع الأجور ، وقالوا : أما فى النكاح المطلق فيلزم دفع الأجر ، أى المهر بكتابة العقد وأيضا جاء فى سورة النساء - فانكحوا - فتناسب أن تحمل هذه الآية على نكاح المتعة لئلا يلزم التكرار فى سورة واحدة ، والحمل على حكم جديد أولى .

وأكثر الروايات أن النبى صلى الله عليه وسلم أباح نكاح المتعة فى حجة الوداع وفى يوم الفتح ، وذلك أن أصحابه شكوا إليه يومئذ طول العزوبة فقال : « استمتعوا من هذه النساء » .

وقول من قال أنه حصل التحليل بذلك مرارا ، والنسخ مرارا ضعيف ولم يقل به أحد



من المعتبرين إلا الذين أرادوا إزالة التناقض عن هذه الروايات .

ونهى عمر عن نكاح المتعة يدل على أنه كان ثابتا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان ثابتا فى عصر الرسول لا يمكن نسخه بقول عمر ، كما أشار إلى ذلك عمران بن الحصين [انظر هامش الجزء الخامس من تفسير الطبرى] .

وجاء فى تفسير الفخر الرازى (ص ١٩٢ من الجزء الثالث) ما نصه « وأما القول إن المراد بهذه الآية حكم المتعة ، وهى عبارة عن أن يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم إلى أجل معين ، فيجامعها ، فقد اتفقوا على أنها كانت مباحة فى ابتداء الإسلام ، روى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة فى عمرته ، تزينت نساء مكة ، فشكا أصحاب الرسول طول العزوبة فقال : استمتعوا من هذه النساء ، واختلفوا فى أنها نسخت أم لا » .

ولو كانت نسخت لما احتاج الأمر إلى أن ينهى عنها عمر ، ويقول : لو علمت أن رجلا أتى هذا الأمر لأجريت عليه حد الزنا .

وقد كان سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ شديدا ، وهو الذى كان يسأل النبى صلى الله عليه وسلم ويلح عليه فى أمر الخمر والميسر والزنا وغير ذلك ، وهو يميل إلى الردع والزجر .

وكان أحيانا يخطىء فى اجتهاده ، وقد اعترف مرة على نفسه بالخطأ فقال : « أصابت امرأة وأخطأ عمر » .

وعمر استنكر من حسان بن ثابت أن ينشد الشعر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ بأذنه وقال : أرغاء كرغاء البعير ؟ فرد عليه حسان بما معناه أنه كان ينشد الشعر فى هذا المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتركه عمر وانصرف إلى حال سبيله ، وهذا دليل على أن عمر كان يفعل ذلك من تلقاء نفسه .

وقد اختلط العرب بالفرس فى عهد عمر ، وأكثروا من اقتناء السرارى والإماء ، فلم

تكن بهم حاجة إلى نكاح المتعة لتوافر النساء الجميلات ، ولتدفق الخيرات على العرب الفاتحين فأصبحوا أغنياء موسرين .

أما نحن الآن فالحياة عندنا معقدة ، بل انها تزداد كل يوم تعقيدا ، فالشاب مضطر إلى كبح جماح الشهوة حتى ينتهى من الدراسة ، ومن أداء الخدمة العسكرية ، وقد يبقى حتى يصل إلى سن الثلاثين أو يتخطاها دون أن تمكنه ظروفه من الزواج ، وعندنا موظفون صغار ، وعمال وصناع لا يمكنهم دخلهم من تكوين أسرة فى هذا الوقت الذى ارتفعت فيه تكاليف الحياة من مأكل وملبس ومسكن .

فإن كان القدماء قد اجتهدوا وفكروا - مع سهولة المعيشة فى أيامهم ، فلم نقفل نحن الباب على أنفسنا ، ونزج بأنفسنا فى سجن ضيق مظلم .

أنا بهذا نعرض أنفسنا إلى الهلاك ، ونعرض الأخلاق إلى الفساد والمجتمع إلى الانحلال ، فالشبان قد يخطفون النساء ، وهذه جريمة يعاقب عليها القانون الوضعى والسماوى فيضيع مستقبل هؤلاء الشبان ، وقد يلجأ بعضهم إلى مزاولة « العادة السرية » ويدمن عليها حتى فى حالة ما إذا تزوج ، وحينئذ لا يستطيع مباشرة زوجته فتلجأ إلى طلب الطلاق أو تنحرف هى الأخرى ، وأمام المحاكم الشرعية ألوف القضايا لطلب الطلاق ، والسبب فى ذلك أن الزوجة لا تحصل على حقها الطبيعى من الرجل ؟

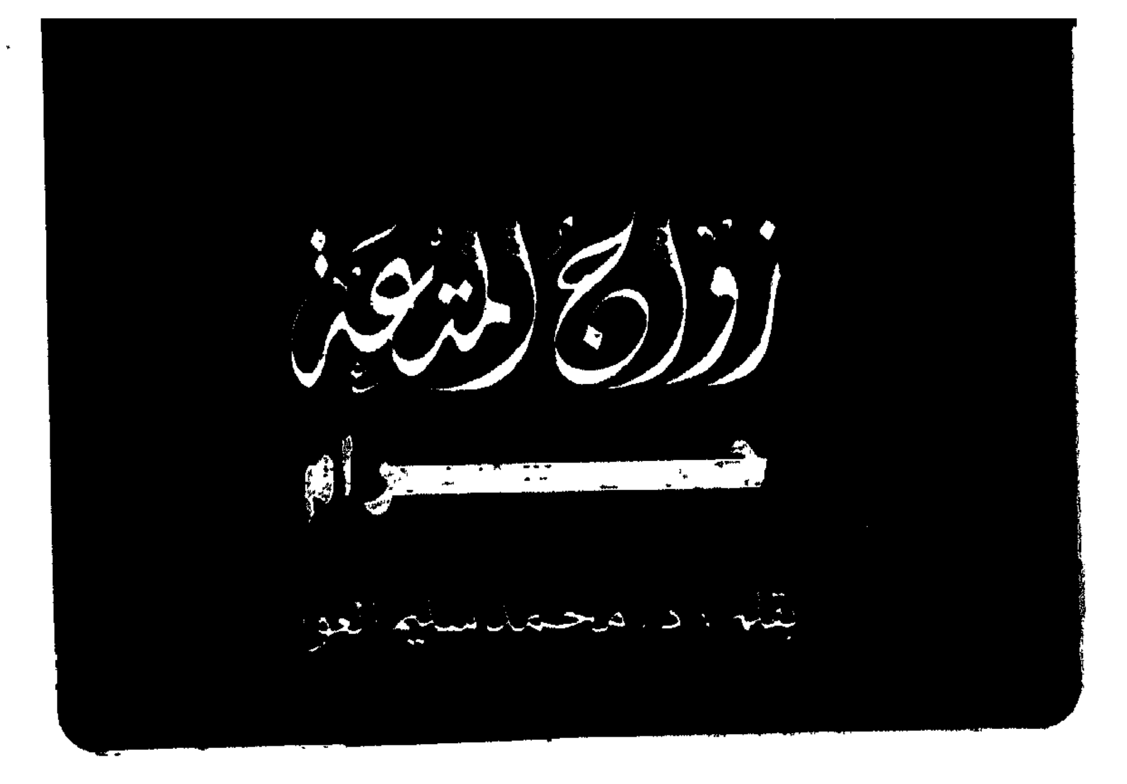
فلنجتهد ولنحكم عقولنا ، لا عواطفنا وأهواءنا ، وليقدر الكبار منا ظروف الشبان الذين يعيشون فى وسط كله اغراء على الفسق والفجور ، ولنختر أهون الضررين ، « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا - يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وشيوخنا لا يريدون أن يفهموا ذلك ، وهذا خطأ عظيم وضلال كبير ، وليس هذا الأمر مقصورا على المسلمين فى أيام الرسول وبعدها ، ولكن كان الأوربيون يدركون مدى خطورة الكبت الجنسى منذ أيام الحروب الصليبية .

جاء فى « البداية والنهاية » لابن الأثير - حوادث سنة ٥٨٦ هـ - ما نصه ومن هن - أى نساء الفرنج - من تأتى بنية راحة الغرباء لينكحوها فى الغربة فيجدوا راحة وخدمة وقضاء وطر ، قدم إليهم مركب فيه ثلاثمائة امرأة من أحسن النساء وأجملهن بهذه النية فإذا وجدوا ذلك ثبتوا على الحرب والغربة ، حتى أن كثيرا من فسقه المسلمين تحيزوا لهم - أى للافرنج - من أجل هذه النسوة واشتهر الأمر بذلك ، ولم ينكر أحد من رجال الدين المسيحى ذلك .

قلت : ولم نصف هؤلاء المسلمين بالفسق ، إذ ربما كانت علاقتهم بنساء الفرنجة على طريقة نكاح المتعة .

وقد كان الشبان من طلبة الأزهر يترددون على بيوت الدعارة الرسمية ويتصلون بالعاهرات اتصالا جنسيا على ان العاهرة تهب نفسها للرجل ، ويسمى زواج الهبة ، وهكذا يتحايل الانسان من يوم ان خلقه الله على الأرض .



تفضلت "الهلال" فطلبت منى التعقيب على مقال كتبه الاستاذ محمد سيد كيلانى بعنوان : "زواج المتعة أهو حلال أم حرام" ؟

والكلام فى هذا الموضوع يحتاج الى بيان حقيقتين مهمتين قبل الخوض فى حل نكاح المتعة أو تحريمه :

الحقيقة الأولى : أن العلماء المجتهدين يختلفون فى الرأى فى مئات المسائل ، وهم ينطلقون من مبدأ الاجتهاد المشروع فى الاسلام ، وهو سر خلود الفقه الاسلامى وقدرته المتجددة على العطاء .

وهذه الخلافات الفقهية تناقش بحرية تامة ، وبموضوعية متجردة بين أهل العلم وطلابه النابهين ، وفى الكتب والموسوعات المتخصصة فى الفقه الاسلامى ، فلا تثير فتنة ، ولا تورث ضغينة ولا تفتح باب شر على الأمة : التى لديها من الشرور والفتن ما يكفى أهل الأرض جميعا .!!

وقد أدركنا من علمائنا الاجلاء أجيالا وجدناهم على قول واحد فى عدم الخوض مع العامة ، والمبتدئين من طلاب العلم ، فى مسائل الخلاف المشكلة ، تجنبا لما يؤدى اليه هذا الخوض من أضرار علمية وسلوكية لاتخفى .

وعلى هذا النهج ينبغى أن يحافظ العلماء وقديما قيل "إن نفيس العلم يضن به على غير أهله" !!

والحقيقة الثانية : أن الخلاف بين العلماء المجتهدين تحليلا وتحريما لايعنى أن الأمر المختلف فيه يجوز فعله وتركه بلا فرق بين المسلكين ، وأنما يعنى أن المسلم - لو كان من أهل العلم - وجب عليه البحث عن أقوى الرأيين دليلا ،

زواج المتعة حرام

واصحهما منهجا ، واقربهما الى مقاصد التشريع الثابتة فى الكتاب والسنة ، واشبههما بأصول الأحكام الثابتة بالنصوص .. فيعمل به . وأن كان المسلم من غير أهل المعرفة بالعلم الشرعى فعليه أن يسأل الموثوق بدينهم وورعهم من العلماء ويعمل بفتواهم ، لقول الله تبارك وتعالى : "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" (الانبياء ـ ٧) .

فإذا قبلنا هاتين الحقيقتين ، فإن موضوع المتعة مما لم يكن "يحسن ـ أصلا التعرض له فى مجلة دورية ذائعة الانتشار ـ كالهلال ـ والرأى الذى أختاره صاحب المقال لاينهض لصحته دليل صحيح من كتاب ولا سنة ، فالعمل به لايجوز ، وكان الأولى أن يناقش صاحب الرأى رأيه مع العلماء المختصين بالفقه الاسلامى قبل أن يعرضه على الكافة .

وحقيقة الخلاف فى مسألة نكاح المتعة أن أخواننا من الشيعة الامامية يرونه جائزا ، وجميع أهل الاسلام من أصحاب المذاهب ، وغيرهم منا لمجتهدين ، على خلال رأى الامامية ، فيرونه محرما حرمة تامة ثابتة بنصوص الكتاب والسنة .

وليس المقام هنا مقام مناقشة اخواننا من علماء الشيعة الامامية فى أدلة مذهبهم ، فليست هذه هى المسألة المثارة ، وليس هذا المذهب دليل صاحب المقال ، وانما يستدل ببعض النصوص التى اقتطعها من سياقها فى بعض كتب التفسير ، وبما يراه محققا بعض المصالح "المتوهمة" ويريد بذلك أن يقبل الناس نكاح المتعة .

ولذلك فإن تعقيبنا يتناول هذين الأمرين فحسب ، مع إشارة موجزة الى مقصد التشريع من تنظيم الزواج .

● مقصد الاسلام من تنظيم الزواج :

لم تخل شريعة سماوية من تنظيم الزواج ، فقد ذكر القران الكريم زواج ادم : "وهو الذى خلقكم من نف[illegible] واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها ، فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به ، [illegible] اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتينا صالحا لنكونن من الشاكرين" الاعراف ـ [illegible])

وأشار [illegible] بم كذلك الى زواج جميع الرسل (سوى عيسى ويحيى عليهما السلام لاس[illegible] [illegible]صه فى كتب التفسير ، فيقول الله تعالى : "ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وج[illegible] [illegible]ذرية" (الرعد ـ ٣٨) .

والزواج هو فرق ما بين الانسان الذى كرمه الله بالعقل والتفريق بين النافع والضار ، وبين أكثر أنواع السوائم والبهائم والحيوانات التى لامقصد لها من لقاء الذكر والانثى الا قضاء الوطر الذى يؤدى الى استمرار النوع .

أما الانسان فقد ميزه الله سبحانه بجعل الرغبة فى الزواج رغبة فى السكن والأنس والمعاشرة المستمرة الودودة الحانية ، وجعل الزوج مختصا بزوجته ليسلم العالم من شر "الاباحية" ، ومن طغيان الشهوات التى تجعل الانسان حيوانا لايعرف معنى العائلة ، ولايفقه معنى الرحمة ولا يفطن لسر المودة .

وقد عنى الاسلام عناية خاصة بعقد الزواج وأضفى عليه قدسية جعلته فريداً بين أنواع العقود ، فتولاه القرآن الكريم بالتنظيم مباشرة من مبدأ التفكير فيه الى أن ينتهى بموت أحد الزوجين أو بالطلاق حين يقع موجبه ، ولم يهتم القرآن الكريم بعقد سوى الزواج مثل هذا الاهتمام (بتصرف واختصار من : العلامة محمد مصطفى شلبى ، أحكام الأسرة فى الاسلام ، الطبعة الأولى ١٩٧٣) .

والفقهاء فى مختلف مذاهبهم يقررون أن عقد الزواج يشترط فيه (التأبيد) ويفسده (التأقيت) إلا أن الشيعة الامامية يبيحون الزواج المؤقت بشروط مفصلة فى كتبهم . وجماهير علماء الامة على أن التأقيت ينافى مقصود الشارع من الزواج .

والثابت من مجموع النصوص الشرعية أن الزواج المؤقت المسمى بنكاح المتعة أبيح لضرورة خاصة فى وقت معين ثم بين النبى صلى الله عليه وسلم تحريمه الى يوم القيامة ، وهو ما سنبينه فى الفقرات التالية فى تعقيبنا على مقال الاستاذ محمد سيد كيلانى .

● الاستدلال بنقول ناقصة

١ ـ نقل الاستاذ كيلانى فى أول مقاله قريبا من عشرين سطرا من تفسير الطبرى ذكر فيها نصوصا منسوبة الى بعض الصحابة تفيد أنهم كانوا يقولون بحل نكاح المتعة .

وفات الاستاذ أن يكمل قراءة الموضع نفسه من تفسير الأمام الطبرى الى نهاية الكلام فى الموضوع الذى يبحثه ، حيث يقول الطبرى ـ رحمه الله ـ بعد ذكر حديث صحيح السند يفيد أن الصحابة لم يفهموا من لفظ (الاستمتاع) فى النص الذى نقل بعضه الاستاذ كيلانى إلا (التزويج) ـ يقول الطبرى بعد ذلك : "وقد دللنا على أن المتعة على غير النكاح الصحيح حرام فى غير هذا الموضع من كتبنا ، بما اغنى عن اعادته فى هذا الموضع" .

وأما ماروى عن أبى بن كعب وابن عباس من قراءتهما : (فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى) فقراءة بخلاف ماجاءت به من مصاحف المسلمين . وغير جائز لأحد أن يلحق فى كتاب الله تعالى شيئا لم يأت به الخبر القاطع العذر عمن لايجوز خلافه" (التفسير جـ ٨ ص ١٧٨ ـ ١٧٩ . والمقصود بالجملة الأخيرة : ثبوت نص القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

٢ ـ نقل الاستاذ كيلانى عن تفسير الامام الفخر الرازى كلاما ذكره الأمام الرازى فى مطلع بيانه لمعنى الآية الكريمة ، فنقل الاستاذ كيلانى مقدار أربعة أسطر من كلام الرازى وترك بعدها أربع صفحات ونصف الصفحة كلها سيقت لاثبات بطلان نكاح المتعة ، وحجج الامام الرازى فى الانتصار لمذهب أهل السنة الذين يسميهم (اكثر علماء الأمة والسواد الاعظم من الأمة) ناصعة البيان فى أن صحيح النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم يفيد تحريم نكاح المتعة . (الجزء العاشر ، طبعة عبد الرحمن محمد ، ١٩٣٨ ، ص ٤٩ ـ ٥٤)

٣ ـ واحتج الاستاذ كيلانى بقول عمر رضى الله عنه : "لا أوتى برجل تمتع بامرأة إلى أجل إلا رجمته" والأمام الرازى فى الموضع الذى أشرنا اليه فى الفقرة السابقة يبين وجه هذا الرأى ويبين أن نهى عمر عن المتعة لم يكن الا تأكيدا لما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنها ، وأن الأمر لو كان بخلاف ذلك ـ أى لو كان النهى من عند عمر رضى الله عنه وفى دين جميع الصحابة الذين سمعوه أو علموا بنهيه عن المتعة ومنهم كبار الصحابة كعثمان وعلى وطلحة والزبير وعشرات ـ بل مئات ـ غيرهم . (الرازى ص ٥٠) .

وهكذا فإن جانب (النقل) فى مقال الاستاذ كيلانى جاء مبتورا لاقتصاره على سطور من صفحات فى المراجع التى رجع اليها ، ولاقتصاره على ماظنه مؤيدا لرأيه ـ رغم ضعفه ـ دون ماينقض هذا الرأى ويرد عليه ، وهو ثابت فى المصادر نفسها وفى المواضع التى راجعها منها .

وقد جاء هذا النقل معيبا أيضا من ناحيتين أخريين ، أحداهما تتصل بنصوص ثابتة فى المصادر الاسلامية تثبت لابن عباس رضى الله عنه الرجوع عن قوله فى المتعة ، والثانية تتصل بالمنهج وتتمثل فى اغفال المصادر الفقهية المتخصصة عند التعرض لأحكام فقهية كحل نكاح المتعة أو حرمته .

● حقيقة رأى ابن عباس

يقول الأمام الرازى فى تفسيره (ص ٤٩) : أما ابن عباس فعنه ثلاث روايات : أحداهما : القول بالاباحة المطلقة .. الثانية : أن الناس لما ذكروا الاشعار فى فتيا ابن عباس فى المتعة (أى فى السخرية منها والتنديد بها) قال ابن عباس : قاتلهم الله ، إنى ما أفتيت بإباحتها على الاطلاق ، لكنى قلت : انها تحل للمضطر كما تحل الميتة والدم ولحم الخنزير له . والرواية الثالثة أنه أقر أنها منسوخة .

وفى الصفحة نفسها من المصدر نفسه رواية عن ابن عباس أنه قال عند موته : "اللهم إنى أتوب اليك من قولى فى المتعة والصرف" .

فأى آراء ابن عباس نأخذ به ؟ وحين ينفرد عالم جليل صحابى مثله برأى ، ويتفق مع

سائر الصحابة فى رأى آخر ، وكلاهما فى مسألة واحدة ، فهل يجوز أن نقبل رأيه في الانفراد ونرفض رأيه فى جماعة الصحابة ؟

★ وليس النقل عن ابن عباس برجوعه عن رأيه فى المتعة وارادا فى كتب أهل السنة فقط ، بل أن الشيعة الزيدية ينقلونه عنه كذلك .

ففى كتاب الروض النضير للسياغى (جـ ٤ ص ٢١٦ـ ٢١٧) يعد أن ناقش الروايات العديدة عن ابن عباس قال : وبهذا يتضح أن جميع ما روى عن ابن عباس من القول بالمتعة إما أنه رجع عنه ، وإما أنه خصه بحالة الضرورة الشديدة فى السفر" .

وفى هذا المصدر نقول عن أئمة الشيعة الامامية ساقها بسندها تنسب اليهم قولا مماثلا لقول عامة العلماء فى كراهة المتعة أو تحريمها .

وفى المصدر نفسه (ص ٢١٤) رواية أخرجها البيهقى بسنده أن عليا رضى الله عنه قال لابن عباس : "انك امرؤ تائه (يعني تاس)، إن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة ، وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر "قال البيهقى :"فلولا معرفة على بن ابى طالب بنسخ نكاح المتعة وأن النهى عنه كان البتة بعد الرخصة ، لما أنكر على ابن عباس" .

● فى المنهج

من المعلوم لدى المشتغلين بالعلوم الاسلامية أن لكل علم كتبا تخصصت فى بيان مسائله وشرح مباحثه ومناقشة قضاياها .

ومما يعلمه العلماء للمتبدئين من طلابهم أن الفقه لايؤخذ من كتب التفسير ، وأن الحديث لايؤخذ من كتب الفقه ... وهكذا لأن العلماء ناقشوا المسائل من زوايا مختلفة ، وبعض هذه المناقشات يسوق استطرادا الى أن تدخل بعض مسائل علم معين فى مناقشات علم آخر ، وهذه المناقشات الاستطرادية لايعول عليها ، ولاينسب بها قول الى فقيه أو محدث أو مفسر ، مالم يكن هذا القول صريحا صحيحا عنه فى كتاب من كتب العلم الذى يتصل به .

والاستاذ كيلانى ترك كتب الفقه الاسلامى بمذاهبه كافة ، وتصيد نقولا ابتسرها من سياقها ليقول إن المتعة حلال .

وكتب الفقه ـ سوى كتب لخواننا الامامية ـ تجمع على تحريم المتعة .

١ ـ وقد نقلت فى الفقرة السابقة تحريم الزيدية لها ، بل إن السياغى فى الروض النضير (٢٢١) يرى أن هذه المسألة ليست من باب الاجتهاد ، وإنما قال المبيحون بالاباحة حين لم يبلغهم الدليل الناسخ فهم معذورون لجهل الناسخ ، فالمسألة لا اجتهاد فيها بعد ظهور النص" .

وفيه أيضا الاستدلال على نسخ المتعة بمشروعية "الزواج والتوارث بين الزوجين" لتعارض الآثار المترتبة عليها من المقاصد المطلوبة شرعا فى الزواج الصحيح .

زواج المتعة حرام

٢ ـ والامام الشوكانى فى كتابه "السيل الجرار" يقول : "لاخلاف فى ثبوت الحديث المتضمن للنهى عنها (اى المتعة) الى يوم القيامة ، وليس بعد هذا شىء ، ولاتصلح معارضته بشىء مما زعموه" (جـ ٢ ص ٢٦٨) .

ونقل الاجماع على تحريمها فى المصدر نفسه عن "ابن المنذر ، والقاضى عياض وابن بطال والخطابى ولم يقل بإباحتها الا بعض الشيعة "يعنى الامامية" لأن الزيدية يحرمونها تحريما قطعيا والكتاب من مصادر فقههم .

٣ ـ والامام ابن حزم فى كتابه المحلى يقول : لا يجوز نكاح المتعة ، وهو النكاح الى اجل ... ونقتصر من الحجة فى تحريمها على خبر ثابت هو ... "فإن الله قد حرمها عليكم الى يوم القيامة" . (وذكر حديثا باسناده الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، هذا هو موضع الشاهد فيه) ثم قال : "ماحرم الى يوم القيامة فقد أمنا نسخه" (جـ ٩ ص ٥١٩ـ ٥٢٠) .

٤ ـ والامام القرطبى فى احكام القرآن يقول : "وسائر العلماء والفقهاء من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين على أن هذه الآية (٢٤ من سورة النساء) منسوخة وأن المتعة حرام" (جـ ٥ ص ١٣٣) .

وقد تعمدت أن أقتصر فى النقول الفقهية على غير كتب أصحاب المذاهب الأربعة وفقهائها لأن النقل عن هؤلاء متواتر فى القول بتحريم نكاح المتعة فهو لايحتاج الى بيان .

ولو رجع الاستاذ الكيلانى الى كتب الفقه الاسلامى قبل كتابة مقاله لكفى نفسه ـ وكفانا مئونة البحث عن جديد فى أمر أطبق على تحريمه رأى الفقهاء ونقول المحدثين منذ قرون حتى لقد خصص الامام ابن حجر فى كتابه فتح البارى ثمانى صفحات من القطع الكبير فى إيراد أدلة نسخ إباحة هذا النكاح (جـ ٩ ص ١٤٣ ـ ١٥١) .

* شبهات مردودة :

وفى مقال الأستاذ الكيلانى شبهات ينبغى ردها :

الشبهة الأولى :

ان نكاح المتعة لو كان نسخ لما احتاج الامر ان ينهى عمر عنه ، وأن هذا من تشديدات عمر التى ضرب لها مثالا نهيه حسان بن ثابت عن إنشاد الشعر فى المسجد .

والحق ان الثابت بالنصوص الصحيحة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ووصفه هذا النهى بأنها : حرمت الى يوم القيامة . ولذلك قال الفخر الرازى ـ فى الموضع الذى احلنا اليه من تفسيره ـ إن عمر انما نهى عنها لما علمه من تحريمها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الصحابة الحاضرين سكتوا على قوله ، وهم

جمهرة الصحابة فمن المعلوم انهم كانوا على عهد عمر يقيم جلّهم فى المدينة المنورة ، لانهم علموا ماعلم من النهى النبوى عنها .
والقول بغير ذلك طعن شنيع فى دين عمر ودينهم ، ونحن نوقن ان اى مسلم لايقبل قولا يترتب عليه الطعن فى دين كبار الصحابة وعلمائهم وهم نقلة الاسلام الينا - بل الى الدنيا كلها - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الشبهة الثانية :

إن اباحة المتعة تحقق بعض المصالح التى أشار اليها الأستاذ كيلانى فى مقاله . وهذه المصالح متوهمة لاحقيقية . ومن المقرر فى الفقه والأصول ان المصلحة التى الغاها الشارع وأهدرها لايجوز ترتيب حكم عليها . فلايجوز لأحد إباحة الزنا لمصلحة استمتاع الزناة ، ولا إباحة الربا لمصلحة إغناء المرابين ، ولا إباحة زواج المحارم لمصلحة إبقاء الثروات بين الأسر المالكة لها .. إلخ .
والمصلحة التى يتوهم ترتبها على نكاح المتعة من هذا النوع . هى مصلحة ملغاة بالتحريم ، ومهدرة بنهى الرسول صلى الله عليه وسلم . فكيف نقول انه تحقق مصلحة للشباب الذين لايمكنهم الزواج ؟!

الشبهة الثالثة

انه يترتب على اباحة المتعة حماية نفوسنا من الهلاك ، وحماية المجتمع من الانحلال ، وحماية الاخلاق من الفساد ، ومنع الشباب من خطف الفتيات .. الخ .
وهذه الشبهة من غرائب مافترات . ويكفى للرد عليها ان نسأل الاستاذ : أى مجتمع غربى مما يباح فيه كل نوع من انواع الصلة بين الرجل والمرأة قد انقطعت منه هذه الجرائم ؟ وما علاقة نكاح المتعة باجرام المجرمين ؟ وهل المجرمون ليس بينهم متزوجون زواجا شرعيا صحيحا ، وهل كلهم ممن لايجدون نكاحا ، حتى نقول إن إباحة المتعة ستمنع هذه الجرائم ؟
ان للاجرام بصورة كافة اسبابا كثيرة يدرسها علماء الاجتماع وعلماء الاجرام وعلماء النفس ، ولم اجد احدا قال إن من بينها عدم إباحة زواج المتعة !!
والله تبارك وتعالى رسم طريق العلاج للذين يريدون النكاح ولايقدرون على تبعاته وتكاليفه ، فقال سبحانه : « وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » (النور - ٣٣) .
والرسول صلى الله عليه وسلم يوجه الشباب الى طريق الاستعفاف فيقول لهم : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج .. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » (يعنى وقاية من الوقوع فى الحرام) .
فأى السبيلين أهدى : ان نوجه شبابنا وبناتنا بتوجيه ربنا وسنة نبينا ، أم أن نفتح لهم ولهن بابا من الحرام لايدرى احد متى يكون اغلاقه ؟

زواج المتعة
حرام

وليس أدل على قبح نكاح المتعة وأنه ليس في مشروعيته كالزواج الصحيح من ان اخواننا الامامية كرهوه للفتيات البكارى (شرائع الاسلام للمحقق الحلّي ، جـ ٢ ص ٣٠٤ ط بيروت ١٩٨٣) ٩وفى حاشية المصدر نفسه عن بعض ائمتهم أن العلاقة

الشبهة الرابعة

ان الصليبيين فعلوا مايشبه نكاح المتعة فى ايام الحروب الصليبية (!) والحق ان هذه الواقعة ـ إن صح فهم الاستاذ كيلانى أنه كان نكاح متعة ـ توجب تأييد القول بتحريمه لا بتحليله .

ويتصل بهذه الشبهة ماوصفه الاستاذ نفسه من حال الشيعة بالعراق وإيران ، ويبدو انه كلام منقول من مصدر لم يذكره ، لأن بلاد اخواننا الشيعة الامامية فى ايران ولبنان وسوريا والعراق والبحرين والسعودية لاتعرف من نكاح المتعة إلا مافى الكتب . اما انه يمارس بالطريقة التى ذكرها الاستاذ كيلانى ، فهو ماينكره علماء الشيعة وعامتهم .

الشبهة الاخيرة

ان نكاح المتعة يحمينا من الانفجار السكانى اذا سمحنا « للفتاة بتناول حبوب منع الحمل » (!) وهذه شبهة أعجب من سابقاتها ، لأنها توحى للقارىء ان الذين ينجبون ويسببون الانفجار السكانى هم غير المتزوجين زواجا شرعيا ، فهل هذا صحيح ؟ وهل المتزوجون زواجا شرعيا لاينجبون ؟؟

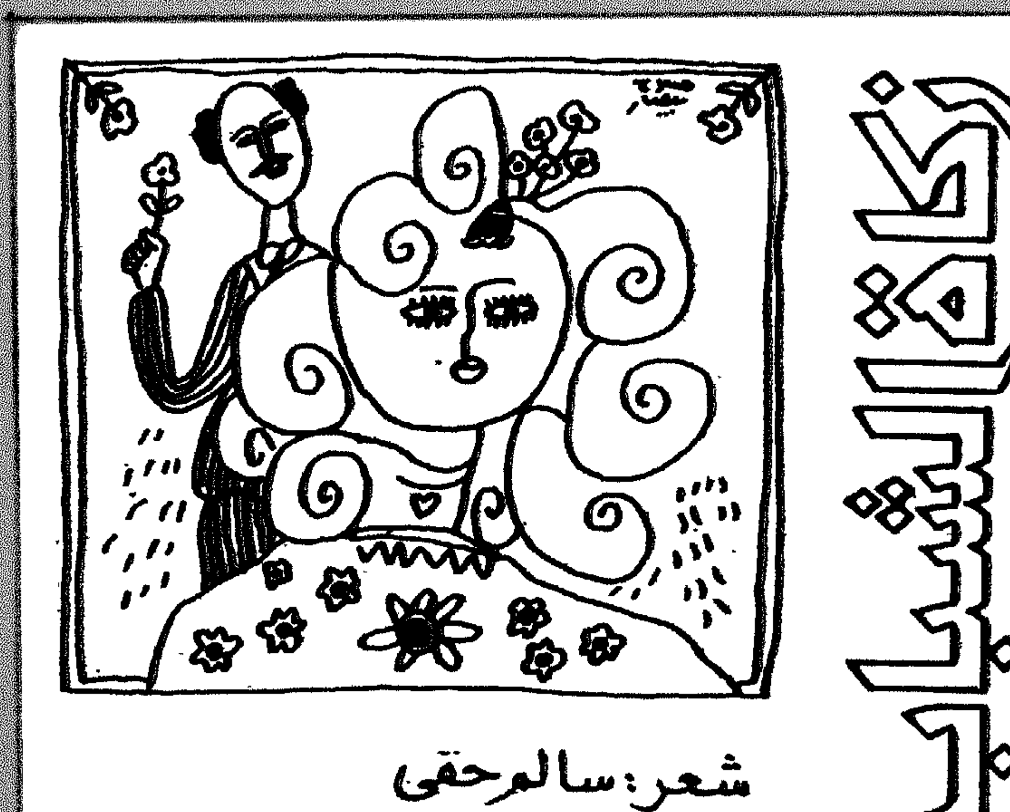
ثم ماشأن زواج المتعة بما يحكى الاستاذ ان طلبة الازهر كانوا يفعلونه ؟ وهل التعميم بهذا الشكل يصح ، علميا أو تاريخيا ؟

● كلمة أخيرة

ان البحث العلمى شىء ، والدعوة الى اباحة الحرام شىء آخر . ولاشك ان مقال الاستاذ الكيلانى يتضمن دعوة صريحة الى تحليل نكاح المتعة ، ولكن نصيبه من البحث العلمى يجعل دعوته غير مقبولة ، ويحول بين المسلم وبين مشايعتها أو مسايرتها .

ولازلت أرى أن بحث هذه المسائل العلمية المشكلة ليس مجاله الكتابة فى المجلات الدورية ولا فى الصحف ـ من باب أولى ـ لأن الضرر فى هذا البحث اكبر من الفائدة . والله تعالى أعلم وأحكم .

زكاة الشباب



شعر: سالم حقى

يـاراقـلاً .. فـى الشبـاب
وفـى الجمـال المصفى
امـا علمـت بـامـرى ؟!
وان قلبـى المـعنى
رغـم ابتـعـاد الشبـاب !
فقـد تـرق لحـالـى
ولا يـؤرق ليلـى
ولا يخـاصـم شيبـى
ولا احس بـذنبـى
لواه .. ممـا الاقـى !
يـاسيـدى .. وحبيبـى !
ولـم تـرق فـؤادا
يـاليـت تمنـح قلبـى
لـعـل يجـزيـك ربـى

وفـى الامـانـى الـعـذاب !
وعبقـرى الارهـاب
امـا قـرات كتـابـى ؟!
يـعيـد عـهـد التصـابـى !
رغـم انطفـاء الشـهـاب!
فـلا يطـول اغتـرابـى
ولايطيش صـوابـى
حسـن المـلاح الكـعـاب !
وغلطتـى فـى الحسـاب !!
واه .. مـن حـر مـابـى !
قـد طـال فيـك عتـابـى
ولـم افـز بجـواب !
زكـاة .. غضّ الشبـاب !!
عنـى .. جميـل الثـواب ..

إحراق كاتب

بقلم: مصطفى نبيل

وعادة يدفع المفكر ثمن موقفه السياسى ، حتى يكون أمثولة لغيره من الكتاب ، وكأنها دعوة صريحة للمفكرين للانصراف عن الحياة العامة ، وتجنب التصدى للقضايا الحقيقية .

كما تعكس مأساة لسان الدين الخطيب فى أحد جوانبها أزمة العلاقة بين العالم والسلطان ، وأزمة الحياة الفكرية ، فى عصره ، الناتجة من الشقاق والفتن ، ومن تكالب العلماء على الدنيا ، والرضا بالجمود الفكرى ، وتظهر قصته قدم توق الانسان إلى الحرية ، وأن اعظم وأنبل الأعمال والأقوال تلك التى تأتى من أولئك الذين يعملون فى حرية واستقلال .

وأخطر ماتفصح عنه حكايته . مايواجه المجتمع عندما تتوحد فيه السلطات وخاصة السلطتين الزمنية والدينية ، مما يضفى القداسة على تصرفات الحاكم ، ويتحول مايراه ويصبح الحق كله وماعداه هو الباطل والضلال .

● ذروة المأساة

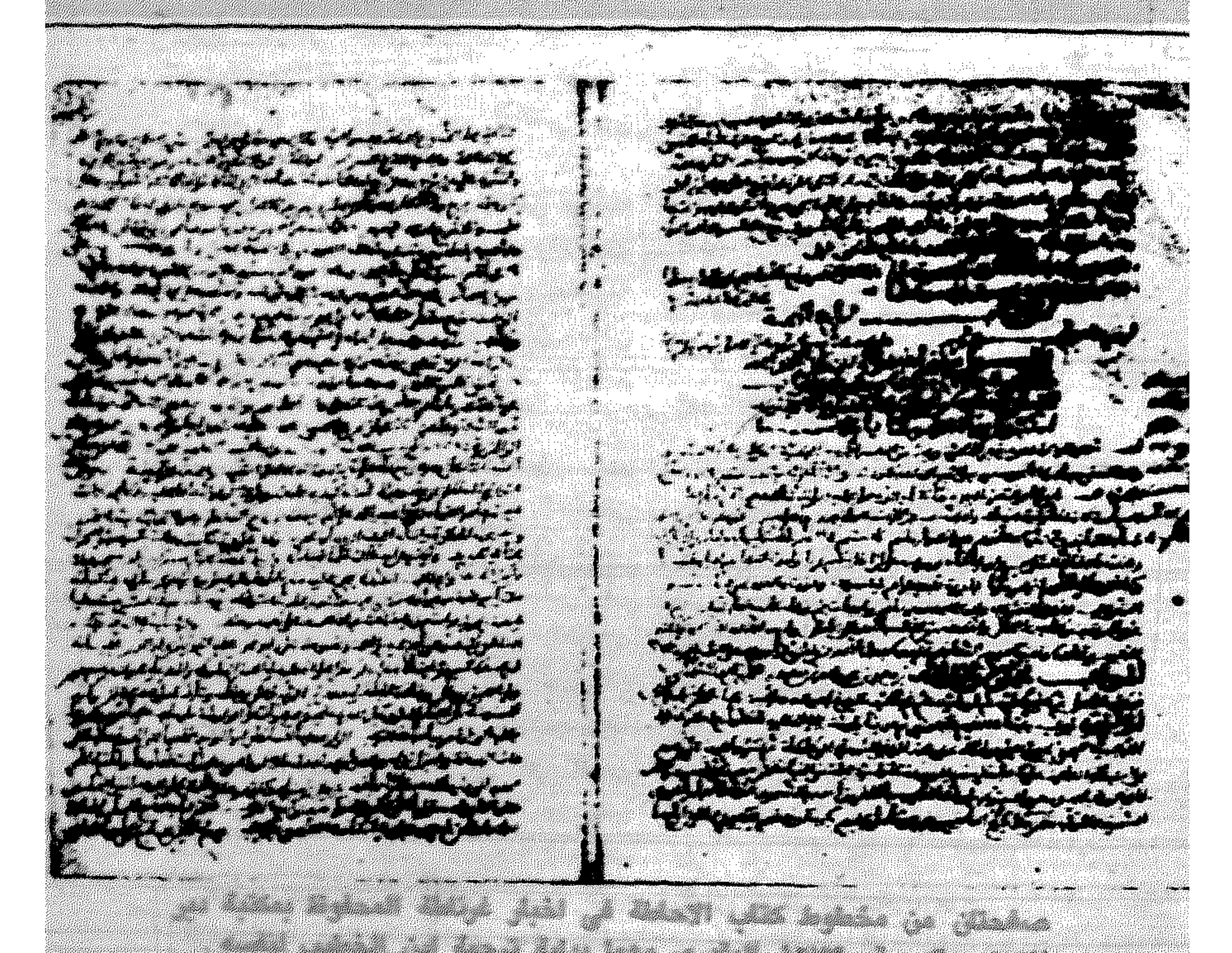
ويساعد على رسم تفاصيل المأساة ، ماتركه لنا لسان الدين الخطيب من ترجمته الذاتية موزعة على مؤلفاته ، وخاصة كتاب « الاحاطة » الذى يتضمن الجزء الرئيسى منها ، ونرى خلالها كيف يذهب المفكر ضحية الجهل والتعصب والأكاذيب ، وكيف تمكن أعداؤه من الخلاص منه ! ..

ذروة المأساة .. يهجم الأوغاد والعامة وعلى رأسهم سليمان بن داود من حاشية بلاط غرناطة ، ويطرقون سجنه ليلا ، ويزدحمون على حراسه ، مؤيدين بسلطان فاس ورجاله ، ويفتح باب السجن العتيد ، لا لكى يفرج عن رب السيف والقلم ، والذى يملأ إسمه السمع والبصر ، ولكن لكى يكتموا أنفاسه ويقتلوه خنقا ، ولعلهم خافوا بعدها أن يشهر قلمه ويفضح دوافعهم ، وصغار نفوسهم ، فعادوا فى اليوم التالى ، وقد ملأ الحقد والغل قلوبهم

من القيم الأساسية لارتقاء الانسان وتقدمه ، حرية الفكر والتعبير ، وهما اللتان يستمد منهما الكاتب مكانته ، ويتمكن على أساسهما من إبداء رأيه وطرح فكره ، حتى إذا كانت هذه الآراء ليست على هوى البعض أو لاتروق لبعض دوائر الرأى العام ..

وسط أوروبا العصور الوسطى الظلام والتخلف ، عندما غابت حرية الفكر ، وتعرض أصحاب الرأى لصور شتى من الاضطهاد ، ودفع الكثير منهم حياته ثمنا لمعتقداته ، ولم يكن الشرق إستثناء فى كثير من الأحوال .

ومأساة الكاتب والشاعر والوزير اللامع لسان الدين الخطيب مثال ناطق ، عندما دفع حياته ثمنا لأفكاره ، وقتل خنقا وأشعلت فيه النيران ، بعد أن أحرقت مؤلفاته فى ميدان عام ، واتهم بالإلحاد والزندقة وهو المفكر والفيلسوف والطبيب والمؤرخ ..



مستخلص من مخطوط كتاب الاحاطة فى أخبار غرناطة المحفوظة بمكتبة دير الاسكوريال برقم ١٦٧٣ المغربى وهذا بداية ترجمة ابن الخطيب لنفسه

إحراق كاتب

وأخرجوا رفاته من القبر واشعلوا فيها النيران من جديد ... « فاحترق شعر الراس ، واسودت البشرة ، ثم أعيد إلى القبر قبل أن تأتى عليه النار » ويكمل ابن خلدون ... « إنه الهالك شهيدا بسعاية أعدائه ، وكان فى ذلك إنتهاء محنته ، وعجب الناس من هذه السفاهة التى جاء بها هؤلاء الأعداء ؟!

لقد لاحقه بعد سراره من غرناطة رجال السلطان ، واستغلوا الظرف السياسى الطارىء ، بعد أن تربع أحمد بن السلطان أبى العباس عرش المغرب بمساعدة سلطان غرناطة ، وحان وقت قبض الثمن ! فكيف له أن يخرج من أراضى ولى النعم ؟!

يفسر الخطيب دوافع رحيله من غرناطة برغبته فى التفرغ للعلم والدرس والابتعاد عن السياسة والاعيبها ، ويفسره خصومه بالسعى لتوحيد غرناطة مع المغرب حتى يتمكنا معا من صد الغزاة ووقف الهزائم المتلاحقة ...

وأيا كانت دوافعه فى الرحيل ، فهو لايستحق هذا المصير ، وعقد السلطان أبو العباس مجلسا لمحاكمة لسان الدين الخطيب ، لكى يعفيه هذا المجلس من المسئولية ، وحشد فيه رجال الدولة ، وريدوا على مسامعه التهم التى سبق أن وجهت إليه ، والمتعلقة بالانحراف الفكرى ، والزندقة والمروق عن الدين والخروج على الشريعة ، واحتجوا عليه بكتابه فى الحب الالهى « روضة التعريف بالحب الشريف » وهو احد كتب التصوف ، وينقل إلينا المقرى فى كتابه نفح الطيب جانبا من هذه المحاكمة ، يقول .. « لما قلبت الأيام ظهر المجن لابن الخطيب .. أكثر أعداؤه فى شأنه الكلام ، ونسبوه إلى الزندقة والانحلال من ربقة الاسلام ، بتنقص النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ، والقول بالحلول والاتحاد ، والانخراط فى سلك الالحاد ، وسلوك مذاهب الفلاسفة فى الاعتقاد ! »

وليس لدينا معرفة بما دار فى هذه المحاكمة الصورية ، ويمكن لنا أن نتصور أن كاتبنا قد ألزمهم الحجة ، لما عرف عنه من رباطة الجأش وقدرة عالية وثقافة واسعة وتأثير كبير على مستمعيه ، ومن الضرورى أنه كاد أن ينجح فى تحويل دفة محاكمته وإلا ماعذب بعد هذه الجلسة على الملأ ، وما أرسل مخفورا إلى السجن ، وما اقتحم عليه الغوغاء محبسه بليل ، وكتموا أنفاسه ، ولم ينتظروا أن تقوم السلطات الرسمية بتنفيذ حكمها ..

وذكر لنا ابن خلدون .. « أن الأقوال التى قيلت فيه أثارت من حوله عاصفة من السخط .. » !!

ويعلق عبدالله عنان الذى حقق كتاب « الاحاطة » وكشف النقاب عن المفقود من تراثه ، قائلا .. « حاولنا العثور على شىء مما ذكر يصلح سندا للاتهام ، ولم نجد شيئا من ذلك ، بل على العكس ، رأينا روضة يانعة حافلة بمزيج رائع من الآراء والنظريات ، التى تشع بالايمان والخشوع ، وتشهد لصاحبها بسلامة العقيدة ، وصدق الطوية ، والبعد التام على كل مايمكن أن يوسم صاحبها بالخروج أو الالحاد .. »

ولعل ذلك هو الذى دفع خصومه ، قبل مصرعه ، إلى إحراق دليل براءته ، وموضع تمكنه ومحل إمتيازه ، فأحرقوا

مؤلفاته فى أحد ميادين غرناطة .. « بمحضر من الفقهاء والمدرسين والعلماء .. » !!

وكان أغرب إتهام وجه إليه ، وهو المؤرخ ، أن تراجم الأحياء والأموات إنما هى أحد صور الغيبة المحرمة ! ، وإذا أخذ برأى المحكمة ، لكان عليها أن تلغى علم التاريخ ، من الطبرى وحتى إبن خلدون ، فماذا يبقى للفكر الانسانى بعد إلغاء الفلسفة والتاريخ ؟!

● الهزائم والفتن

ولنبدأ القصة من أولها ، بعد أن تابعنا ذروة المأساة التى تنال من حرية الفكر والتعبير .. عاش لسان الدين الخطيب فى عصر مضطرب ، تتوالى فيه الهزائم والفتن ، وهو ذات العصر الذى عانى فيه ابن خلدون ، وذات الظروف التى قرر فيها الرحيل إلى القاهرة والانصراف إلى المعرفة ، وذات العصر الذى دفع بابن بطوطة إلى آخر العالم ..

يقدم ابن خلدون هذا العصر بصورة شائقة وعجيبة ، فغرناطة البلدة الوحيدة التى نجت من حركة الاسترداد ، وهى بلدة صغيرة تقع وسط ثلاث دول معادية تفوقها قوة هى قشتالة وأرجوان والبرتغال ، مما جعلها فى حالة إستنفار دائم وقتال مستمر ، ويشير الخطيب إلى ذلك .. « الصبيان تدرب على السلاح ، وتعلم المثاقفة ، كما يعلم القرآن فى الألواح .. »

ويأتى هذا العصر بعد أن دام حكم الاسلام فى الأندلس حوالى ثمانية قرون من سنة ٧١١ م حتى سنة ١٤٩٢ م ، وعاش كاتبنا فى غرناطة آخر هذا العصر ، وحقا مايقوله ابن خلدون « لكل أمة ميقات ، ولكل دولة عهد نمو وازدهار ثم ذبول وهزم وانحلال ، فبين سنة ١٢٣٨ م و١٢٦٠ م ، فتح فرديناند الثالث ملك قشتالة ، وجايم الأول ملك أرجوان مدن بلنسية وقرطبة واشبيلية ومرسية ، وتراجع العرب وتزايدت مشاعر الفشل والاحباط وفقدان التوازن ، والذى كان كاتبنا ضحية له وشاهد عيان ! ..

ويصف شاهد العيان الخطيب أهل غرناطة ... « الغناء بمدينتهم فاش حتى فى الدكاكين التى تجمع كثيراً من الأحداث ، وحريمهم حريم جميل موصوف بالسحر وتنعم الجسوم ، واسترسال الشعور ، ونقاء الثغور ، وخفة الحركات ، ونبل الكلام ، وحسن المجاورة ، إلا أن الطول يندر فيهن وقد بلغن من التفنن فى الزينة والتماجن فى أشكال الحلى إلى غاية نسأل الله أن يغض عنهن فيها عين الدهر .. »

وفى موضع آخر يعبر عن عصره بعدم الثقة فى إخلاص العامة وحسن ولائها ووجوب الحيطة والحذر من حركاتها ، ويصفهم بالدهماء قتلة الأنبياء وعبدة الأهواء ـ وكأنه يتنبأ بمصيره ـ فقد قام الشعب فى أيامه بأكثر من تمرد غيرت مصير السلطان وبدلت الملك ، وكان الخطيب رجل البلاد القوى ، يوجهها ويسهر على مصيرها ، وكانت سياسته كما سجلها هى .. « مداراة عدو تكالب على البلاد ، وسياسة بلاد قد صم عن الملام ، وتعدى حدود النهى والاحلام .. »

● الكاتب لسان الدين

هذا هو العصر الذى شهد ظهور

الخطيب ، فقد ولد ببلدة لوشه غربي غرناطة سنة ١٣١٣ م ـ ٧١٣ هـ ، وأعطى لقب لسان الدين تقديرا وتكبيرا ، والوزير هو رئيس الوزراء بتعبير هذه الأيام ، ينوب عن السلطان ويهيمن على شئون الدولة ،

ويشرف على الكتابة وديوان الانشاء ، وذو الوزارتين أى الذى يجمع بين السيف والقلم ، وعرف بما يتمتع به من قوة الاقناع والتأثير الشخصى ، فهو أحد النماذج العلمية والادبية الباهرة ، والذى كان مزيجا من مواهب متعددة ، واختلط عمله كرجل دولة ووزير وسياسى بصورته كمفكر وكاتب وشاعر ، فهو رجل دولة بالنهار وكاتب ومفكر بالليل ، مما اعطى خصومه وسيلة الخلاص منه !

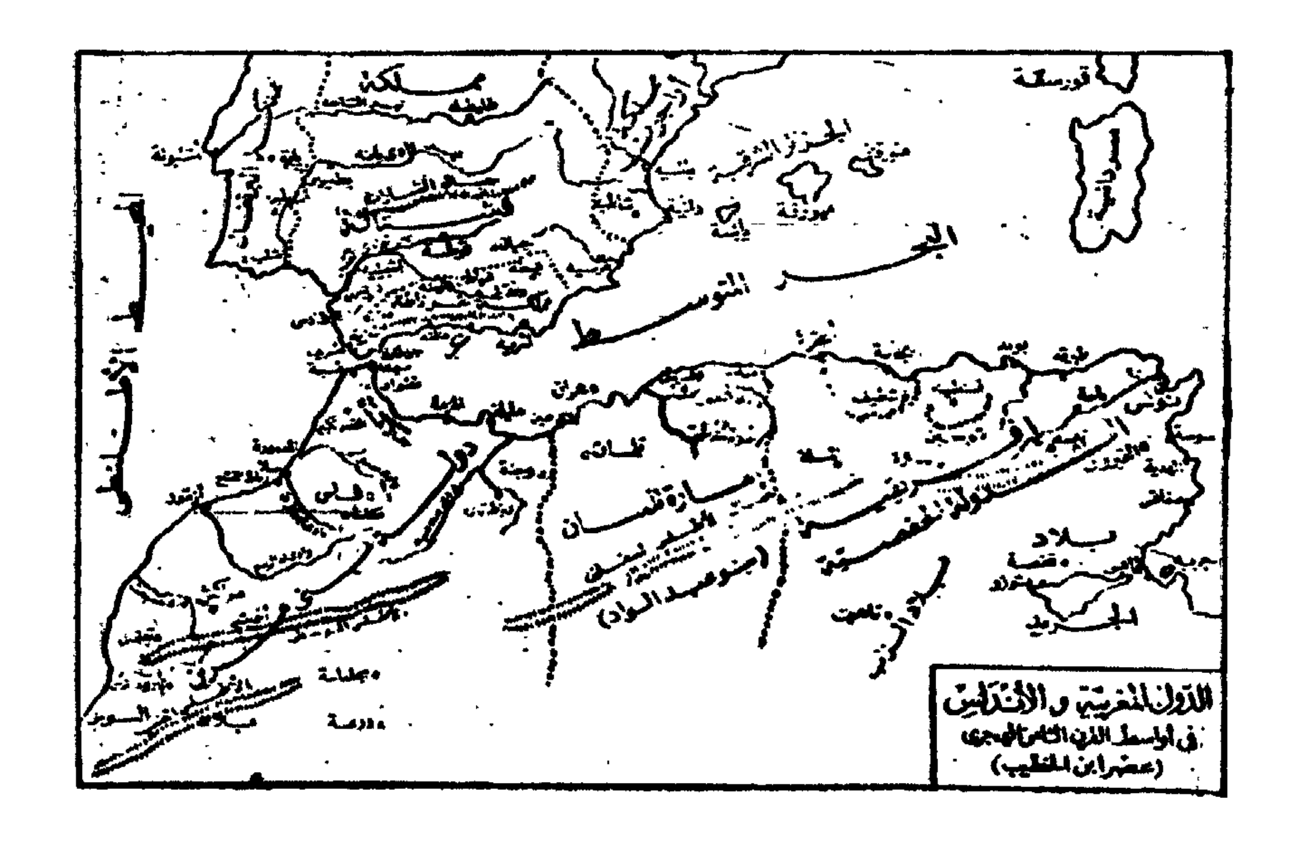
ويصف لنا الخطيب فى سيرته الذاتية مركزه فى الوزارة وما أعطاه السلطان من ثقة ... « قلدنى السلطان سره ولم يستكمل الشباب ، ويجتمع السن ، معززة بالقيادة ورسوم الوزارة ، واستعملنى فى السفارة إلى الملوك ، واستنابنى بدار ملكه ، ورمى إلى يدى بخاتمه وسنيه ، وإئتمننى على صوان حضرته ، وبيت ماله ، وسجوف حرمه ، ومعقل إمتناعه .. »

ويمضى شارحا الاعمال التى كان يؤديها فى عهد السلطان محمد الخامس ... « الوقوف بين يدى السلطان فى المجالس العامة ، وإيصال الرقاع وفصل الأمر ، والتنفيذ للحكم ، والترديد بينه وبين الناس ، والعرض والانشاء ، والمواكلة والمجالسة ، جامعا بين خدمة العلم ولقب الوزارة ، منفردا بسر السلطان ... وبلغت الحظوة منتهاها ، والدرجة التى تؤمل بأبواب الملوك إلى الأماد اقصاها ، إلى أن وقع الكياد على الدولة .... ولما هلك السلطان يعنى ـ أبو الحجاج ـ ضاعف ولده حظوتى ، وأعلى مجلسى ، وقصر المشورة على نصحى ، إلى أن كانت عليه الكائنة ، فاقتدى فى أخوة المتغلب على الأمر به ، فسجل الاختصاص وعقد القلادة ثم حمله أهل الشحناء من أعوان ثورته ، على القبض علىّ ، ونكث ما ابرم من أمانى .. »

وهو يشير هنا إلى الانقلاب الذى فقد خلاله السلطان محمد ملكه عام ١٣٥٩ م ، ونفى إلى المغرب ، وتولى أخوه اسماعيل مكانه ، ولحق الوزير سلطانه المخلوع ، واستمر النفى حوالى ثلاث سنوات عاد بعدها السلطان إلى عرشه بعد حروب وخطوب .

● سجنه الأول

ونعود إلى رواية الخطيب الذى يحكى ماوقع له بعد الانقلاب يقول .. « أعتقلت بحال ترفيه ، بعد أن كبست المنازل والدور ، واستكثر من الحرس ، وختم على الاغلاق ، وأبرد إلىّ ملناى ، فاستؤصلت نعمة لم تكن بالأندلس من ذوات النظائر ولا ربات الأمثال ـ يقصد أملاكه ـ » ... ويضيف .. « وخرجت ـ من الأندلس » لا أملك إلا نفسى ، وبفضل ربى ، ملطوفا بى باستصحاب أهلى وولدى .. » وقضى فترة النفى هذه فى المغرب ، وإذا كانت سيرته الذاتيه موزعة على كتبه والجزء الرئيسى منها فى كتاب « الاحاطة » إلا أنه يصف المغرب وحياة أهلها ورحلاته فى ربوعها



فى كتاب « نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب » وهو وصف فيه حيوية دافقة وملاحظة دقيقة ويتسم كله بروح الدعابة .

يروى مثلا صعوده إلى أحد جبال الأطلس ، جبل هنتاته ، وينسب إلى قبيلة هنتانة التى تسكنه أنها فرع من قبائل حموده .

ويصف معيشة شيوخ قبيلة هنتانة وحسن استقبالهم له ، ويصف صنوف الطعام التى قدموها له .. فرحب وأسهل ، وارتاح واغتبط ، والطف وقدم ، وصعدنا الجبل إلى حلة سكناه المستندة إلى سفح الطور .. محترم عند سيده الأحامرة الثلاثة اللحم والمسك والخمر !

● المحنة الثانية

وتعرض بعد محنته الأولى ، وعودته مع السلطان إلى محنة أشد ، فهل استفاد من محنته الأولى ، أم مسته المرارة ؟ وهل اكسبته المزيد من الخبرة.. ؟ واستوعب الدرس القاسي .. وهل يستعين على الدهر بالتجارب ؟ . هذا مايجيب عليه الفصل الثانى من حياته .

فقد تولى منصب الوزير من جديد ، ورد إليه السلطان سائر املاكه .. « التى خلصت بالشرع موجباتها ، ووضحت فى سبيل الاستحقاق بياناتها » بل وأعفى من الضرائب عليها . وكانت ولايته هذه المرة مطلقة يستأثر فيها بالنفوذ ويتمتع بثقة السلطان ، ويصف هذه الفترة ، بأنه سار مراعيا ربه ، حذرا من النقد ، ووجه عنايته إلى « روم الثغور » وتثمير الجباية وانتصاف الحماة ، ومقارعة الملوك

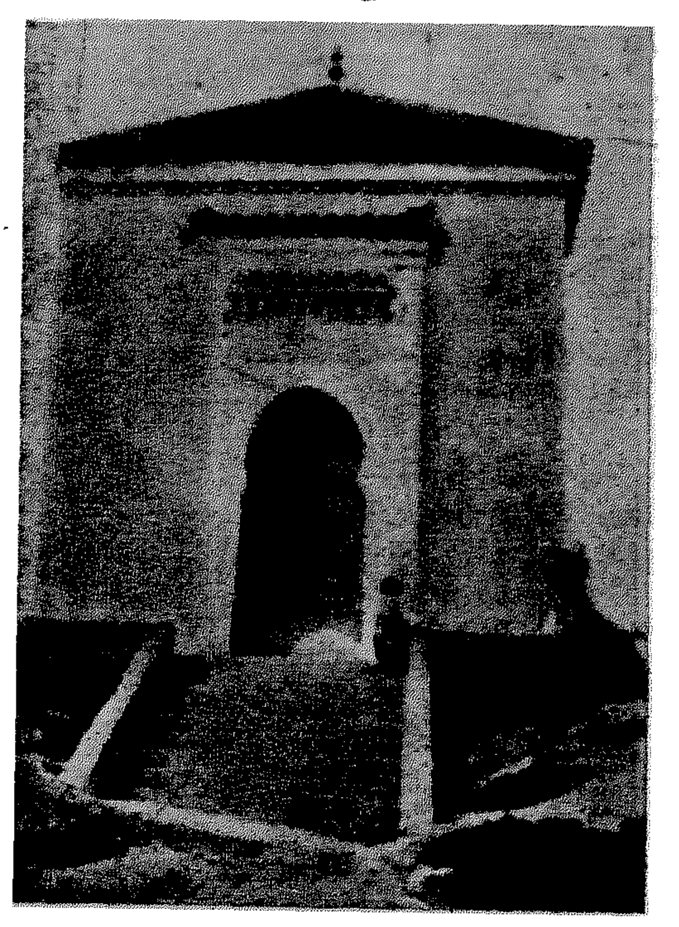
المجاورة ، وإصلاح بواطن الخاصة والعامة ، واستعنت بالله ، وعاملت وجهه ، من غير تلبس بجراية ، ولاتشبث بولاية ، مقتصرا على الكفاية مشفقا من الغرور ، هاجر الزخرف ، صادعا بالحق فى أسواق الباطل ، وصرفت الفكر لبناء الزاوية والمدرسة والتربة .. »

وبدأت مؤامرات القصور ، وتتابعت الصراعات والفتن ، ويشهد على هذه المرحلة إبن خلدون ويتهم الخطيب ، أنه جنح هذه المرة إلى الاستئثار بالسلطة ، والانفراد بالحل والعقد ، ودفع إلى تدبير المملكة ، وخلط بنيه بندمائه وأهل خلوته ، وانصرفت إليه الوجوه ، وعلقت عليه الآمال ، وغشى بابه الخاصة والكافة ، وغصت به بطانة السلطان وحاشيته ، فتوافقوا على السعاية فيه ..

وظهر من ينافس الخطيب على الحظوة والسلطة ، قائد الجيش عثمان بن أبى يحيى ، الذى ساهم فى إسترداد السلطان لملكه ، واحتدمت المنافسة ، وكسب الخطيب ، ورغم ذلك يذكر الخطيب .. « لم أعدم الاستهداف للشرور ، والاستغراض للمحذور ، والنظر الشذر المنبعث من خزر العيون .. » وانتهى الأمر بأن زهد فى المنصب ورغب فى الافلات من أسره .. « لما اشتهر عني ما إشتهر من الانقباض عن الخدمة والتيه على السلطان والدولة ، والتكبر على أعلى رتب الخدمة ، وتطارحت على السلطان ، فى إستنجاز وعده برحلة الحج ، ورغبت فى تبرئة الذمة ، ونفرت عن الأندلس بالجملة .. » وكان فى مقدمة خصومه رجلان ، أحدهما تلميذه ومعاونه أبو عبدالله بن زمرك ، وقاضى القضاة أبو الحسن النباهى .

ويروى الخطيب أحد حلقات القصة .. « وثاب لى النظر بإزماع الفرار ، ومصانعة السلطان بالتأنى له ، والإنحطاط فى هواه ، وشرعت فى عقد السلم مع العدو لسنين ، ورتبت الأمر ترتيب الآباء للبنين ، وقلت أحج نفسى وأقضى فرضى ، وأشغل الناس بغيرى ، فاقتضيت من المولى أبن فارس عبدالعزيز ـ سلطان المغرب ـ وقد إتصل بى فضل دولته ، وطهارة نشأته ، عهدا بخطه ، ضمن لى المشاركة فى أعراضى من إقامة .. »

ضريح ابن الخطيب خارج مدينة فاس تجاه باب المحروق



● الفرار !

وخرج الخطيب من غرناطة وكأنه يتفقد الثغور الغربية فى كوكبة من الفرسان ، واتجه إلى جنوب حتى دخل جبل طارق ، الذى يتبع سلطان المغرب ، وأبرز إلى قائدها عهد السلطان عبدالعزيز ، فرحب به وجهز السفن لنقله إلى سبتة ، واستقبل فيها بحفاوة كبيرة .. « فاهتزت له الدولة ، وأركب السلطان خاصته لتلقيه ، وأحله بمجلسه محل الأمن والغبطة ، ومن دولته مكان الشرف والعزة » كما علق ابن خلدون على وصول الخطيب .

ويعود الخطيب ويضيف .. « فارقت الأهل والمال والولد ، والجاه الذى بلغ الأبد ، لا لدنيا ثانية .. ولا لخدمة نستأنفها عوض تلك .. ولا لفرار أمام جناية ، ولا لفتكة فى مال جباية ، ولا لتفويت معقل لعدو الملة ، ولا لسفك دم يطالبنى بتبعة ، ولا لخيانة فى أهل ، ولا لسعى على ملك ، نبرأ إلى الله من ذلك كله ، إنما تلخص قصدى فى الفرار إلى الراحة ، والتفادى من حمل الكلفة ، والاشتغال بما يعنى ، لكن فى ظل العافية ، وتحت سحاب النعمة ، وذمة الحرمة ، نسأل الرقيب على مخفى القلوب ، إن كنت قد شابتنى فى ذلك شائبة ، أن لايمتعنى بالبقية ، ولايمن علىّ بحسن الخاتمة .. »

وتهتز غرناطة لفراره ، ويحكم على لسان الدين الخطيب بالموت ، ويلاحق بلاط الخطيب فى فاس ، ويرسل القاضى رسالة إلى السلطان عبدالعزيز ، يبلغه حكم الموت ، ويرد سلطان فاس بقوله .. لماذا إذا كان زنديقا لم تنفذوا فيه الحكم وقد كان لديكم ، وأنتم عالمون بما كان عليه ؟! بل وزاد السلطان فى اكرام ورعاية الخطيب ، وكرر سلطان غرناطة المحاولة ، وأرسل هدية فخمة من الأمتعة النفيسة والذخائر الأندلسية ، والبغال الفارهة ، والعلوج والجوارى ، ويصف الهدية ابن خلدون بأنه لم يسمع بمثلها .. والتمس الرسل تسليم الخطيب ، ويأبى السلطان مرة أخرى ، ويعكف الخطيب على البحث والتأليف فى دعة ، حتى توفى السلطان عبدالعزيز ، والذى كان إيذانا بامكان تحقيق غرناطة هدفها .. ونكر الخطيب .. « ثم دك الجبل العاصم من الطوفان والممسك للأرض عند الرجفان ، فكان موت المولى الذى أوينا إليه ، وعولنا عليه ، ووثقنا بوعده ، وتمسكنا بعهده . » وأدرك الخطيب أن النهاية اقتربت ، وسرعان ما أودع لسان الدين الخطيب السجن ، وبعث ابن الأحمر تلميذ الخطيب وخلفه فى الوزارة عبدالله بن زمرك ، لكى يتولى المهمة ويضمن هلاكه !

● العالم والسلطان

ويتغير الميزان بين العالم والسلطان ، عندما تتردى العلاقات بين العلماء ، ويدس بعضهم للبعض الآخر ، وينتهى بهم الحال إلى ضعفهم جميعا ، وتقلص دورهم ، وتدهور مكانتهم .

وهذا ماتؤكده مأساة لسان الدين الخطيب ، فأدوات القضاء عليه ، ومن نسج خيوط المؤامرة التى أودت بحياته ، امسك باطرافها غيره من العلماء .

ونلاحظ بداية ، تدهور العلاقات التى كانت قائمة بين ابن خلدون وابن الخطيب

أكبر علماء عصرهما ، بعد أن ارتبط الصديقان بعلاقات عميقة ، فهما متشابهان ولديهم إهتمامات مشتركة رغم فارق السن بينهما ، فبدأت العلاقة بينهما وابن خلدون فى شرخ الشباب وابن الخطيب فى طور الكهولة ، يتجاوز فارق العمر بينهما العشرين ربيعا . يخاطب ابن خلدون صديقه بقوله .. « سيدى مجدا وعلوا ، ومحل والدى برا وحنوا » ويرد ابن الخطيب .. « سيدى وولبى وأخى ومحل ولدى ..

يلتقى العالمان لأول مرة فى فاس ، عندما كان الخطيب لاجئا إليها بعد الانقلاب السياسى الذى أطاح به ، وعبدالرحمن بن خلدون من كبار رجال الدولة فى فاس ، ومنذ اللقاء الأول ، وهما يتبادلان المواقع ، وانتهى الأمر بنجاح ابن خلدون من الرحيل ، إلى القاهرة ، وحجز إبن الخطيب ، وكان إبن الخطيب يتفوق على إبن خلدون فى بيانه ويتفوق عليه ابن خلدون فى حسه التاريخى .

وتمضى الأيام وتزداد العلاقات بينهما توثقا ، ويعود الخطيب ظافرا إلى بلاده ، ويتبادلان الرسائل ، وعندما يتعرض ابن خلدون فى فاس لمحنة مشابهة ويفقد حظوته ونفوذه فى بلاطها ، يرحل إلى الأندلس ، ويستقبله ابن الخطيب ويحتفى به ، ويبالغ السلطان فى الترحيب به ، معرفة لقدره ، ويرسله فى سفارة إلى ملك قشتالة ، ولكنه لم يلبث أن شعر بانقباض السلطان عنه .. « ثم لم يلبث الأعداء وأهل السعايات أن خيلوا للوزير ابن الخطيب ملابستى ، واشتماله على ، وحركوا له جواد الغيرة فتنكر ، وشممت منه رائحة الانقباض .. ولم يبق محل لاطالة الاقامة ولامناص من الرحيل » !

ومن جديد يدور الزمن دورته ، ويعود ابن خلدون لسابق نفوذه ، ويتآكل نفوذ لسان الدين الخطيب ، ويتعرض للخطر ، ويكتب لابن خلدون ويعجز ابن خلدون عن تقديم العون له ، ولكنه يسجل بقلمه مأساته وينقل قصيدة حزينة أنشدها الخطيب قبل مصرعه ، تقول كلماتها :

وكنا عظاما فصرنا عظاما
وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا
غربن فناحت عليها البيوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب
وفات ومن ذا الذى لايفوت
فمن كان يفرح منهم له
فقل يفرح اليوم من لايموت

وتلقى لسان الدين الخطيب الطعنات القاتلة من كل من الوزير ابن زمرك وقاضى القضاة النباهى ، وهما رجلان جمعت بينه وبينهما الصلات ، حتى لقد ترجم لهما ابن الخطيب فى كتابه « الاحاطة » ويصف ابن زمرك بأنه من مفاخر غرناطة ، وينوه بذكائه ، أما النباهى فكان للخطيب الفضل فى توليه هذا المنصب عندما سعى إلى تعيينه قاضيا وخطيبا للمسجد الجامع وأسبغ عليه الثناء وجميل الصفات وأحسنها ، بل وظفر من جده بأكرم النعوت والخلال ، وبادله النباهى المدائح ، فقد وصف لسان الدين الخطيب بأنه الآية البالغة ، وقد طمست الأعلام والعزة الواضحة ، وقد تنكرت الأيام ، والبقية

الصالحة ، وذهب الكرام وهو بالنسبة إليه الركن الذى مازلت أميل على جوانبه ، ولا تزيد الأيام إلا بصيرة فى الاقرار بفضله والاعتداد به !

والنباهى هو الذى أعد وثيقة الاتهام ضد الخطيب ، وهو الكاتب الذى كثيرا مايجد الطغاة أمثاله لكى يقوم بالأدوار القذرة ، واصبح كلام الخطيب عنده .. « حشو كثير من كلام إقذاع وفحش بعيد عن الحشمة والحياء ، وأن فرار الخطيب هو غدر بسلطانه ، ويوجه حديثه لابن الخطيب .. « مددتم إلى التمتع بغيرها اعينكم ، فلم يكن فرارك من الاندلس الى الله بالتوبة المكملة والاستغفار مع الانقطاع فى أحد المواطن المكرمة وهى طيبة أو مكة أو بيت المقدس .

... وتبين أنه لغير وجه الله كانت نية هجرته .. !! » ويضيف .. « ولولا انكم سافرتم قبل تقلص ظل السلطة عنكم ،

لكانت الأمة المسلمة ، إمتعاضا لدينها ودنياها ، قد برزت بهذه الجهات لطلب الحق منكم ، فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خدام الدول ، ماصدر عنكم ، من العبث بالابشار والأموال ، وهتك الأعراض ، وإفشاء الأسرار ، وكشف الأستار ، واستعمال المكر والحيل ، والغدر فى غالب الأحوال .. »

ويصل النباهى فى ختام رسالته ، بعد تحويله الموقف السياسى المعارض إلى إنحراف أخلاقى ، إلى التنديد بنشأة الخطيب المتواضعة ، ووضاعة أصله ، وحداثة عهد عائلته فى المال والنعمة ، ويكفى أن أستاذه إبن الجياب أنف من مصاهرته . وأن إعتداده بملاذ الدنيا من ثراء وطعام ولباس ، إنما هى خسة وصغار . »

ويصفه لسان الدين الخطيب وهو يرد عليه بالقزم الدميم « الجعسوس » ويسخر منه قائلا . « النباهى الشيخ القاضى اليوم بغرناطة .. أطروفة الدنيا وأضحوكتها شكلا وعلما وخلقا .. » ثم وضع رسالة خاصة فى هجوه سماها « خلع الرسن فى التعريف بأحوال أبى الحسن ، يصور فيها خصمه فى سخرية وتندر فهو « فى الطرف والاستظراف يسلى الثكالى » !

فهل يمكن أن يترك هذا القلم طليقا ؟!

ويصف ابن زمرك بقوله .. « وان نفذ القدر المكتوب ، فأنا المعتوب ، إذ إصطنعته ودوجته ، ولغيرى ما أحوجته ، فاتبع الطريقة ، وغاص بلجتها فاستخرج الدرر الغريقة ، فهو اليوم صدر العصبة ، وغير تلك النصبة ، وآدابه مستحيلة ، ومحاضرته خميلة ، وخلقه لولا الخبث والغدر جميلة ، ينظم وينثر ، وعلى القبور يعثر ، وأكثر أجادته فى القصائد التى تطول ، ويلوى يديها الطبع المطول .. »

وذهب لسان الدين الخطيب شهيدا للكلمة ، واثبت أن على الكاتب أن يبدع بشجاعة ، ويشارك فى الحياة العامة ، وانه لا يستطيع الكاتب أن يقدم شيئا على بياض لأى كان ، فكثيرا ماتكون جسارة الكاتب أن يرفع صوته ضد التيار ، وأن يطير فى غير سربه ، وأن يعطى ظهره لشبكات المصالح والعلاقات العشائرية ..

فإذا كان من حق المثقف أن يخطيء ، فليس من حقه أن يدافع عن آراء متناقضة فى وقت واحد أو فى أوقات متقاربة .



صدر هذا الكتاب فى إبريل سنة ١٩٢٥ ، اى قبل عام واحد بالضبط من صدور كتاب "فى الشعر الجاهلى" لطه حسين (ابريل ١٩٢٦) . وقد كان فى تتابع صدور هذين الكتابين اللذين اثارا ضجة عظيمة فى العالم الاسلامى والحا فى ان يهزا الحياة الفكرية فى مصر هزا ، دلالة على خصب الفكر المصرى وحيويته فى الثلث الأول من القرن ، وعلى ما كان يمكن ان تكون عليه ثمار هذه النهضة وهذا الاتجاه العلمى الخالص لو كان قدر لهما ان يزدهرا .

غير ان الرجعية وانصار القديم اتخذوا من هذين الكتابين الصغيرين ، او المقالين الطويلين ، موقفا نجح فى ارهاب صاحبيهما . فأحجم على عبدالرازق عن اعادة طبع كتابه بعد محاكمة الازهر له ، واتهامه بالزندقة ، ومنعه من التدريس ، فى حين اضطر طه حسين الى حذف فصول من الطبعات التالية لكتاب الشعر الجاهلى ، وتغيير عنوانه ، بعد الطعن فى دينه ، ومطالبة الازهر بفصله من الجامعة ، واضطرار الحكومة إلى حسم الامر عن طريق طلب اقتراع بالثقة فيها فى البرلمان . فإن كان طه حسين قد زعم

فيما بعد فى مقال نشره بالفرنسية فى باريس عام ١٩٤٧ تحت عنوان "الاتجاهات الدينية فى الأدب المصرى الحديث" ان كتابه وكتاب الشيخ على عبد الرازق "قد نجحا فى ارساء دعائم الفكر الحر فى الاسلام بصورة حاسمة" ، فإن الواقع هو انه قد ترتب




الشيخ علي عبد الرازق

الإسلام وأصول الحكم
بحث في
الخلافة والحكومة في الإسلام
تأليف
علي عبد الرازق

علي الارهاب الذي تعرض الرجلان له ، إرهاب غيرهما ، فلم يقدم المفكرون بعدهما لمدة تقرب من ستين عاما على تجربة مماثلة ، ونشر بحوث تتمتع بما تمتع به بحثاهما من حرية ، الى ان ظهرت في الثمانينات كتابات الدكتور فؤاد زكريا ، والمستشار محمد سعيد العشماوي ، والدكتور سيد القمني ، وكاتب هذا المقال .

وقد وصف علي عبد الرازق كتاب "الاسلام واصول الحكم" بانه لم يتعد مراحل البحث الأولي ، وبانه مجرد تمهيد لما وعدنا به من مواصلة له . غير انه لم يواصل ، بالرغم من انه عاش بعد ذلك اكثر من اربعين سنة جديبة صامتة . وهو امر كفيل وحده بان ينبهنا إلى مدى الخسارة وقتل المواهب اللذين تحملهما ولايزال يتحملهما الفكر بسبب إرهاب اناس لاينتجون ويسوؤهم ان ينتج الناس ، لايفكرون ولايطيقون ان يروا غيرهم يفكرون . قد اراحهم قفل باب الاجتهاد من مهمة ارهاق الذهن ، فان ارهق غيرهم ذهنه ارهقوه وكرهوه وحاربوه واسكتوه .. واى وسيلة انجح في سبيل الاسكات لدى شعب امي من الاتهام بالكفر والمروق من الدين ؟ واى امرىء اسوأ حالا من عاقل يجرى عليه حكم جاهل .

لم يفلح اذن حرص علي عبد الرازق (كما ذكر في مقدمة كتابه) على الاكتفاء باشارات ربما خفيت على صنف من القارئين جهتها ، وبتلويحات قد تلوتهم دلالتها ، وبكنايات توشك ان تصير عليهم الغازا ، وبمجاز ربما حسبوه حقيقة ، وبحقيقة ربما حسبوها مجازا . فهم - على غبائهم - يتمتعون بحاسة شم خارقة ، وبذكاء نفاذ يداني العبقرية في مجال واحد لا مجال غيره : مجال التنبه الى كل نبوغ يمثل إدانة دامغة لخمول ذكرهم ، ونصب الكمين لصاحب كل نشاط هو بمثابة اصبع اتهام تشير إلى تقصيرهم . ولايزال

كتب مصادرة

البعض إلى يومنا هذا يتهمه بانه الف كتابه بوحي من اسياده الانجليز المستعمرين، او ان الانجليز القوه ودفعوه اليه حتى ينشره باسمه!

● فؤاد والخلافة

وقد ذكر علي عبد الرازق في المقدمة ان توليته القضاء الشرعي عام ١٩١٥ حفزته على البحث في تاريخ القضاء، ثم في اركان الحكومة الاسلامية، ثم في نظام الخلافة. وان اشتغاله بالبحث في هذه الموضوعات سبق اتمام الكتاب ببضع سنين. غير ان الأرجح لدينا، إن لم يكن من المقطوع به، ان اتجاه البعض الى تنصيب الملك فؤاد خليفة للمسلمين بعد إلغاء تركيا لنظام الخلافة عام ١٩٢٤، كان الحافز الأكبر وراء اتمام البحث ونشره على النحو الذي نجده بين أيدينا، وذلك بالرغم من توفر اشارات في الكتاب تدل على ان الخلافة في تركيا لم تكن بعد قد الغيت وقت كتابة الفصول الأولى منه فقد كان هدف الرجل ان يقطع على الملك فؤاد السبيل الى تحقيق غرضه. كذلك فانه مما لاشك فيه ان الملك كان اشد الناس حنقا على هذا الكتاب، واول من دفع علماء الأزهر وغيرهم إلى مهاجمته وتكفير صاحبه، وذلك بالنظر إلى ان الكتاب قد افلح فعلا في ان يسهم في تبديد الفكرة، وتعطيل القصد.

فالكتاب رغم انه يبدو في صورة البحث العلمي الخالص، كان وراءه غرض عملي محدد، هو الحيلولة دون تنصيب الملك خليفة للمسلمين. لذلك اتجهت كافة مناحي البحث وحججه إلى بيان الفكرة التالية: ان "الدين الاسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون، وان الخلافة ليست من الخطط الدينية، وانما هي خطة سياسية صرفة، وانه قد كان من مصلحة السلاطين ان يروجوا ذلك الخطأ بين الناس حتى يتخذوا الدين دروعا تحمي عروشهم، وتذود الخارجين عليهم، وحتى يوهموا الناس ان طاعة الأئمة من طاعة الله، وعصيانهم من عصيان الله. وتلك جناية الملوك واستبدادهم بالمسلمين، اضلوهم عن الهدى، وحجبوا عنهم مسالك النور باسم الدين، وباسم الدين ايضا استبدوا بهم واذلوهم، وحرموا عليهم النظر في علوم السياسة، وباسم الدين خدعوهم وضيقوا على عقولهم، في حين ان وظائف الحكم ومراكز الدولة لا شان للدين بها، ولاشيء في الدين يمنع المسلمين ان يسابقوا الامم الاخرى في علوم الاجتماع والسياسة كلها، وان يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا له واستكانوا اليه، وان يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على احدث ما انتجته العقول البشرية، وامتن ما دلت تجارب الامم على انه خير اصول الحكم".

تلك اذن هي النتيجة الأساسية التي اراد علي عبد الرازق ان يخلص اليها وان يروجها بين الناس. وهو هدف عملي ومشروع. غير انه، كاي هدف عملي مقصود لذاته، عرضة لأن يميل



الملك فؤاد

بالباحث العالم الى انتقاء الحجج التى تخدم غرضه دون سواها ، وتدعم دعواه دون التى تضعف منها . وقد كان هذا هو شأن على عبد الرازق فى كتابه على روعته وقوته واهميته فى تاريخ الفكر الاسلامى . فهو فى رأينا تعامى عن أمور لانشك لحظة فى انها كانت ماثلة امام عينيه ، بيد انه ارتأها موهنة لحجته فاسقطها ، ودار حولها دون يتعرض لها بالمناقشة .

● هل جمع النبى بين الرسالة والملك ؟

لقد ظن المؤلف من أجل اثبات براءة الاسلام من نظام الخلافة ان أهم سبيل الى تحقيق غرضه هو التدليل على ان النبى لم يجمع بين الرسالة والملك ، ولم يؤسس بالاسلام دولة سياسية مدنية كان هو سيدها . "فإن كان فى الحكومة النبوية بعض مايشبه أن يكون من مظاهر الحكومة السياسية واثار السلطنة ، فهو شىء خارج عن حدود رسالته ، ولم يكن جزءا مما بعثه الله له وأوحى به اليه" .

واقوى ما استند اليه على عبد الرازق لاثبات رأيه هذا ، آيات قرآنية تنكر ان يكون للنبى شأن فى الملك السياسى ، وتتضافر على بيان ان عمله السماوى لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معانى السلطان . ومن بين هذه الآيات : (لاإكراه فى الدين) ، (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن) ، (فذكر إنما انت مذكر لست عليهم بمسيطر) ، (افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟) (وما جعلناك عليهم حفيظا ، وما انت عليهم بوكيل) ، (فإن اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ، إن عليك إلا البلاغ) .

هذه الآيات وغيرها اتخذها على عبد الرازق دليلا على ان القرآن صريح فى ان محمدا لم يكن له الحق على امته غير حق الرسالة ، ولا من عمله شىء غير ابلاغ رسالة الله الى الناس ، وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاء به ، ولا ان يحملهم عليه . فكتاب الله يمنع ان يكون النبى حفيظا على الناس أو وكيلا أو مسيطرا ، ومن لم يكن حفيظا أو وكيلا أو مسيطرا فليس بملك ، لأن من لوازم الملك السيطرة ، ومن لم يكن وكيلا على الامة فليس بملك ايضا .

● اختلاف الوضع بعد الهجرة

غير أن الذى نلاحظه ان معظم هذه الآيات التى استشهد بها على عبد الرازق ايات مكية ، نزلت قبل ان يهاجر النبى الى المدينة ، وقبل ان يؤسس فيها حكومته ذات الطابعين الدينى والسياسى معا ، وقبل ان توحى اليه

كتب مصادرة

آيات مثل : النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم) . (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم . ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) . (من يطع الرسول فقد اطاع الله) . (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى) . (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) . (ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض) . (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض) . (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) . إلى آخره .

وينتظر القارىء ان يتصدى على عبد الرازق فى تفنيده لمزاعم القائلين بانه قد كان للنبى زعامة الملك فى المدينة الى جانب زعامة الرسالة . بالحديث والتفسير لآيات مثل (فإن لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) . (ياايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) . (ياايها النبى حرض المؤمنين على القتال) الخ . غير ان الكاتب . للغرابة الشديدة . يغفل ذكر هذه الآيات وامثالها اغفالا تاما . وهى التى نراها حجة قوية فى جانب القائلين بان النبى كان مؤسس حكومة . وان ولايته على قومه لم تكن ـ كما زعم على عبد الرازق ـ ولاية روحية بحتة كتلك التى كانت لاخوانه من الرسل الذين لم يخطر ببالهم قط تاسيس دولة او تنظيم حكومة . وفى زعمى ان السبب فى اغفال على عبد الرازق لذكر هذه الآيات هو انها تنتقص من قيمة الرأى الذى يذهب اليه . فلو ان النبى كان مبشرا ونذيرا لقومه فحسب . وليس عليهم بوكيل . وليس عليهم بمسيطر . وليس عليه الا البلاغ . وليس له ان يكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . لما اشرف بنفسه على تطبيق حكمى قطع يد السارق وجلد الزانى وعلى جمع الزكاة وقسمة الغنائم وتعبئة الجيوش ومصادرة املاك بنى قريظة .

● هل ثمة تناقض ؟

المشكلة إذن هى مشكلة التوفيق بين مجموعة الآيات المكية التى استند اليها على عبد الرازق لاثبات ان النبى لم يجمع بين الرسالة والملك . وبين مجموعة الآيات المدنية التى استندنا نحن اليها فى تدليلنا على انه كان ثمة حكومة ونظام ملك .

لا اقول إن روح الآيات الأولى مناقضة لفحوى الآيات الاخيرة . فليس ثمة تناقض فى القرآن كل ما هنالك (وهو ما يغفله البعض فيتوهم تناقضا) . هو حدوث تطور فى الظروف والملابسات التى نزلت فى خلالها الآيات . وفى طبيعة الدعوة والرسالة . وفى وضع النبى بعد الهجرة الى المدينة .

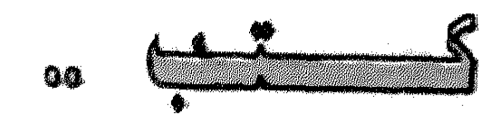
لقد كان النبى فى مكة فى قلة قليلة من المؤمنين . فلم يكن يعقل ان تنزل

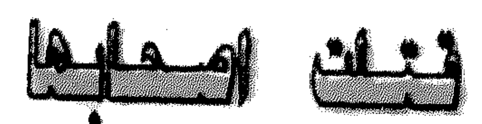
انذاك آيات تدعو الى حرب الذين لايؤمنون بالله والى قتلهم وصلبهم وقطع ايديهم وارجلهم او نفيهم من الارض . ولا كان للنبي وقتها سلطة جلد زان او قطع يد سارق ، وما كان بوسعه غير ان يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وغير ان يعرض عمن اتخذ إلهه هواه واشرك بالله .. والمؤكد ان الرسول لم يكن يهدف من وراء تبليغه رسالة ربه الى السيطرة على قريش . غير ان قريشا ادركت في وقت مبكر ان من شان اعترافها بمحمد رسولا لله ان يمكنه من فرض سيطرته السياسية عليها ، مادام هذا الاعتراف يتضمن الاقرار بان مايبلغهم اياه من احكام واوامر هي من عند الله ولا سبيل الى مخالفتها . وهو امر كان سيسفر لا محالة عن تغيير جذري في اوضاع مكة السياسية ، وفي موازين القوى داخل عشائر قريش .

ثم حدث في اواخر الفترة المكية ان لقيت مفاوضات النبي مع ممثلي اهل يثرب النجاح ، وهم الذين كانوا في حاجة ماسة الى زعيم سياسي قوي يضع حدا للفوضى وللصراع الدموي المتواصل بين الاوس والخزرج ،

ويعيد تنظيم علاقات اجتماعية خربتها النزاعات القبلية . والغالب ان يكون اهل المدينة قد ادركوا مالم يدركه علي عبد الرازق (او ادركه ولم يبح به) من ان الانصياع للرسالة الدينية من شانه ان يسفر عن قيام حكومة وزعامة سياسية . وهو بالضبط ماحدث في اعقاب هجرة النبي الى المدينة ، وبالاخص منذ انتصار جيشه في موقعه بدر . فقد بتنا الآن ازاء مجتمع تبلورت معالمه واضحى في حاجة الى احكام تنظيمه ، وامة متجانسة ذات اغراض دنيوية لابد لقائدها ان يسعى من اجل تحقيقها .

فليس ثمة تناقض اذن في الآيات او تعارض ، وانما هي نقلة وتطور وتغير في الأوضاع . والغريب ان الاكثرية من المسلمين رغم اخذها بمفهوم التطور بصدد بعض الآيات والأحكام ، (كتحريم الخمر الذي جاء تدريجا لابصورة مباغتة) ، تابى قبول هذا المفهوم في الحالات الأخرى ، وتابى تفسير الأحكام القرآنية على ضوء تطور احداث السيرة النبوية ، وهو مايدفع البعض الى ان يتوهم وجود التناقض . وقد عجز الشيخ علي عبد الرازق او هو تغافل عن اخذ مفهوم تطور الدعوة النبوية في الحسبان . فان كان عجزا فهو عجز تشاركه فيه الأكثرية من افراد امة المسلمين ، إما لطبع توارثوه يحول دون تقبلهم لفكرة التطور ، او لخشية من ان يؤدي القول بتطور الدعوة الى انكار المصدر الالهي للقرآن ، (وهي خشية لا اعرف ما هو ادعى منها للسخرية) ، او بسبب عدم ترتيب السور والآيات في المصحف بين ايدينا وفق تاريخ النزول ، فإذا السورة المدنية تعقبها مكية تعقبها مدنية ، وإن السورة الواحدة تتضمن من الآيات ماهو مدني وماهو مكي ، واذا المنسوخ وقد تلا الناسخ ، والدعوة الى الصفح عن المشركين وقد اعقبت الدعوة الى قتلهم . وهو امر لاشك في انه ساهم في حجب مفهوم تطور الدعوة النبوية عن المسلمين .







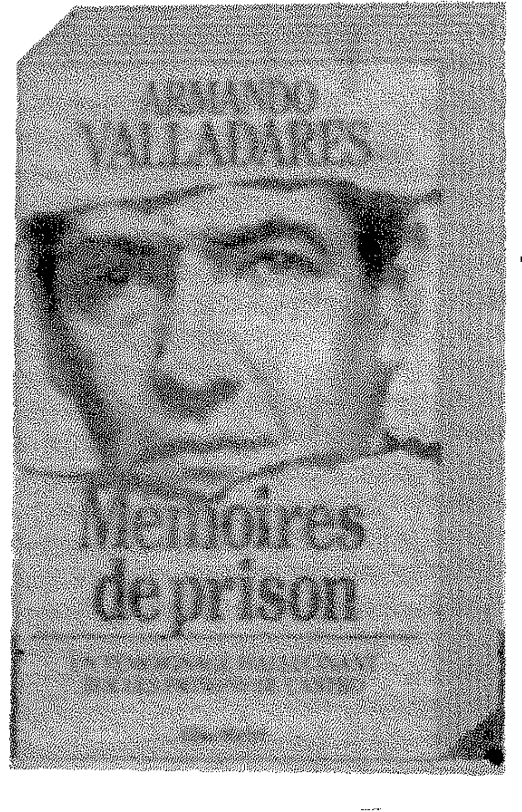
ارماندو فالادار

ثلاثة وعشرون عاما فى دروب السجون الرهيبة مقابل قصيدة واحدة .. وطلقة رصاص غامضة المصدر وكدمات ولكمات فى البطن وتشويهات فى الجسم ثم ضرب مبرح ادى الى الموت ثم "قيدت ضد مجهول" .. مقابل نشر كتاب عن ذكريات السجن .
هذه هى نتيجة علاقة الشاعر الكوبى ارماندو فالادار بالكتابة ..

فى علم ١٩٦٠ قبضت السلطات الكوبية على شاعر شاب فى الثانية والعشرين من العمر راح لمدة عام ونصف يبارك الثورة الكوبية الجديدة التى اطاحت بالديكتاتور باتستا ثم رأى ان الثورة عليها ان تجدد نفسها فكتب قصيدة سلخنة عن وجوب هبوب رياح التغيير .. وبكل اندفاع الشباب وفورته ، راح يرددها فى المحافل الادبية والمنتديات .. لكنه فوجىء ان رجال الشرطة السريين يقومون بالقبض عليه .. ويلقون به فى غياهب السجون دون محاكمة قرابة ربع قرن . بعد ان كتبوا فى تقاريرهم الامنية ان هذه الابيات بالغة الخطورة على الامن القومى فى البلاد .. وانه يجب ابعاد صاحبها عن الناس .. بل وعليه ان يدفع الكثير لانه تجرأ ونظمها ..

كان على ارماندو فالادار ان يعيش فى اقبية السجون اللاآدمية .. او كما اطلق عليها انها كانت بمثابة "مقبرة حية" ذات نوافذ مظلمة لاتطل سوى على مجهول ، ولايمكن للمرء منها ان يستكشف شيئا عما يدور فى العالم .. فهل لاتزال الكرة الارضية تلف وتدور حول نفسها وهل لايزال هناك بشر حقيقيون خارج هذه الجدران .. بل هل لاتزال الشمس تشرق كالعادة من ناحية الشرق وتغطس فى

بقلم: محمود قاسم



ذكريات السجن

المساء داخل الافق الغربي .

قضى الشاعر السنوات التسع الاولى من حياته ينتقل بين السجون ، دون ان يتمكن من رؤية احد من اقاربه خاصة امه وابيه ، فقد منعت عنه الزيارات خشية ان يسرب من خلالها قصائده الجديدة التي كتبها داخل الجدران المتوحشة .

وفي عام ١٩٨٢ ، ودون سابق انذار ، تم اطلاق سراح ارماندو فالادار ، وسمح له ان يغادر كوبا في زيارة ترفيهية الى بعض البلاد الأوربية .. لكن سرعان ما استدعاه السفير الكوبي في باريس وابلغه ان عليه ان يقطع رحلة العلاج وان يعود مرة اخرى ، وعلى وجه السرعة الى هافانا .

كان ارماندو يعرف اى مصير ينتظره فما فعله اثناء رحلة العلاج ، يستحق من وجهة نظر السلطات ان يدفع ثمنا غاليا .. فقد دفع الى مجلة "الاكسبريس" في عام ١٩٨٣ بمقال طويل عن ذكريات السجن اثار ضجة لدى الاوساط الادبية والسياسية العالمية .. وتوقع الكثيرون ان يعود الشاعر مرة اخرى الى السجن .

لكن يبدو ان السلطات لم تشأ ان تتصرف بعنف ازاء الشاعر او لعلها كانت تنتظر الوقت المناسب فقد كسب ارماندو فالادار شعبية كبيرة ، وتعاطفا في انحاء متفرقة من العالم ، خاصة انه عندما خرج من السجن لم يكن يتحرك بشكل طبيعي وكان يجلس فوق مقعد متحرك ..

● ضرب شاعر .. حتى الموت

رغم الرقابة الشديدة التي كانت تحيط بارماندو في هافانا .. فان الناشر المعروف البان ميشيل نشر في عام ١٩٨٦ كتابا يحمل عنوان "ذكريات السجن" . ووضعت على غلافه



في امريكا اللاتينية وحدها بل ربما في التاريخ البشري ..

كتب قتلت اصحابها

صورة الشاعر فالادار وتضمن الكتاب مجموعة من الصور لما يدور في السجون الكوبية . لم يعرف احد حتى الآن كيف تسللت هذه الصور خارج البلاد ولا كيف تم التقاطها .

يبدو ان السلطات رأت ان على ارماندو ان يدفع الثمن مقابل هذه الشجاعة الغريبة التي اصابته ولأن السجن لم يكن بمثابة "اصلاح وتهذيب" .. لافكاره طوال قرابة ربع قرن فقد كان على الشاعر ان يدفع الثمن بطريقة اخرى ..

في بادىء الامر اختفى ارماندو وبدا الامر غريبا على شخص قعيد . لايغادر مقعده المتحرك الا من اجل النوم .. ووجدت زوجته نفسها محكوما عليها بالصمت .. وحاول الناس ان ينسوا انه قد اختفى شاعر ومتمرد .. لكن يبدو ان مراسل مجلة "حدث الخميس" .. الباريسية قد تمكن من التسلل الى هافانا .. ومعرفة مصير فالادار ..

نشرت المجلة في ١٥ ديسمبر الماضي ووسط انشغال الصحافة العالمية بأزمة الخليج تحقيقا عن "الكتاب الذى قتل صاحبه" الكتاب بالطبع هو "تذكريات السجن" اما فالادار فقد عثر عليه مضروبا برصاصة في ساقه ، وكأنه كان يهرب ــ وهو القعيد ــ من مطارديه ، وبدا كأن اشخاصا قد ظلوا يضربونه بقسوة مما ادى الى وفاته ..

وقد اكدت المجلة ان التقارير الطبية قد تضاربت ، وان اقوال الشهود المبتورة ، والمليئة بالتردد ، تؤكد ان فالادار قد دفع حياته ثمنا لكتابه .. وذلك كظاهرة نادرة ليس

● الرءوس .. صفائح مشطورة

لكن ، ترى ماذا جاء في الكتاب الذى قتل صاحبه ؟

قبل ان نتحدث عن بعض مما جاء في "تذكريات السجن" يهمنا ان ننشر احدى القصائد التي نظمها فالادار داخل محبسه الطويل ، والتي استطاع ان يسربها في سرية شديدة خارج السجن نشرت هذه القصيدة مجلة الاكسبريس في ٧ اغسطس ١٩٧٩ ، اى قبل اطلاق سراحه بثلاثة اعوام :

يخرج المساجين الواحد تلو الآخر
يطلقون تنهيدة عميقة .
ويلطخون الجدران بدمائهم
وتتفتح في رءوسهم صفائح مشطورة
يركلها الجنود لمسافات طويلة
وهم يرفعون البنادق
ويطلقون الرصاص
ويحسون بمتعة
حين يسقط العديد من الضحايا
ببارودهم المدخن
الاشبه بالسحب البيضاء

● الله معى .. في السجن

يقول فالادار في كتابه "في ديسمبر ١٩٦٠ ، قبضت عليَّ الشرطة السياسية ، ولم اكن قد ارتكبت اية جريمة يعاقب عليها القانون فتشوا منزلى ولم يجدوا شيئا لامتفجرات ولا اسلحة ، ولاوثائق خطيرة ، ومع ذلك راح الضباط يطرحون عليَّ الاسئلة واعلنوا ليَّ انه رغم غياب الادلة ، فانهم مقتنعون انني عدو لدود للثورة . في الحقيقة فان السبب الرئيسى لسجنى هو

انني احرض بقصائدي ابناء وطني ضد الشمولية ، وانني استخدم عقلي كي اعبر عن افكاري ، قضيت في السجن السياسي اثنين وعشرين عاما كان عليَّ ان اعيش داخل عزلة موحشة وكان على روحي واناملي ان تحتفظ بآثار الماضي .

ويقول انه في بلاده الغيت كل حقوق الانسان مثل حرية التعبير والفكر ، والتنظيمات النقابية والسياسية وايضا حق الخروج مرة واحدة من السجن لزيارة الاقارب اثناء فترة العقوبة .. في بلادي يحكم الديكتاتور منذ قرابة ربع قرن ، ويسيطر على المكان بالدبابات والالحاد والرعب الذي يلهم الشرطة السياسية .

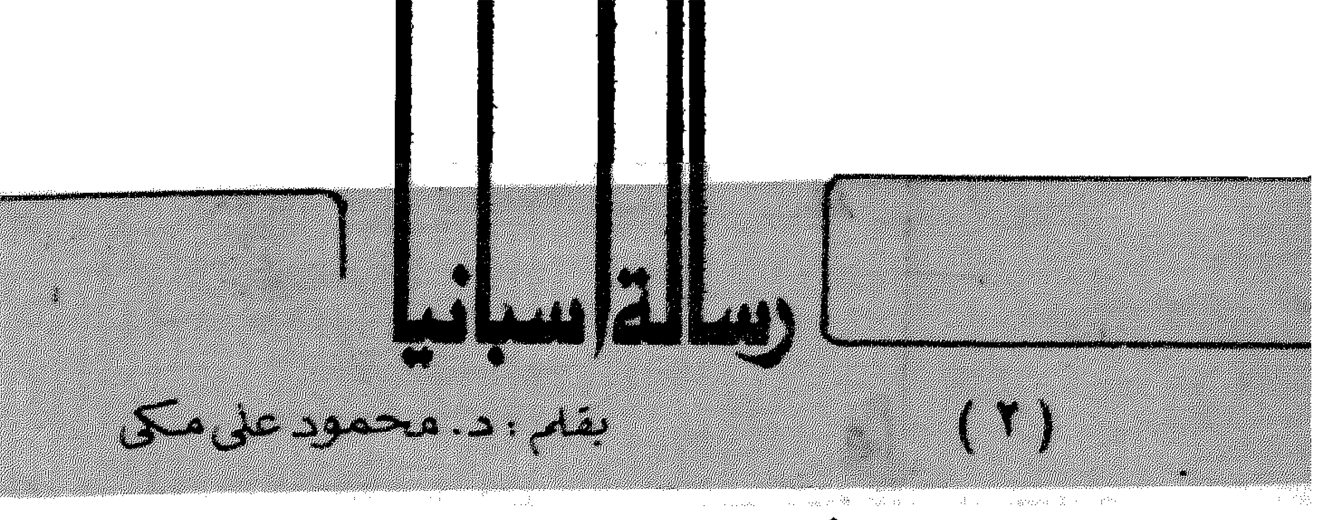
وقد تحدث فالادار انه "فيما يخصني فقد قضيت اغلب وقتي تحت حراسة مشددة في سجن كابانا الذي نقلت اليه في يناير ١٩٦١ وهناك كان يتم اعدام مجموعات المساجين السياسيين لكنني لم ابق في سجن كابانا سوى بضعة ايام ، ثم انتقلت الى سجن في جنوب البلاد يحمل اسم "جزيرة الصنوبر" ، عملت ردحا طويلا من الزمن في المعسكرات الزراعية وهناك عانينا كضحايا الضباط المسئولين - وبعد سنوات نقلوني الى سجن بونياتو في الاقليم الشرقي حيث الابواب والنوافذ مسيجة بالاسوار الحديدية امر من زنزانة لاخرى ، وبي الامل في ان اطويها كانت تلك اصعب فترات حياتي لم احس انني معزول ، لانني احسست ان الله معي في هذا الجحيم ، كنت على صلة مباشرة به ، يكفيني ان اغلق عينيّ كي املأ نفسي بضيائه ولاكتشف الشمس التي لايمكن ان تختفي والافق الذي لايصل اليه احد فحالة كهذه لاتحدث سوى بالحب حب الله ..

● الاجابة .. نعم

تجيء خطورة هذا الكتاب ان فالادار قد كشف مايدور بداخل السجون للمساجين السياسيين ، فقد اكد الشاعر ان الزنزانات المجاورة كانت تضم العديد من الثوار والمعارضين والمثقفين وزعماء نقابات ونساء ناضلن ضد الحاكم باتستا واخرين ناهضوا كاسترو .. وقد عزف الكاتب على النغمة الدينية التي تبدو امرا حساسا لدى البشر ، فهو يؤكد انه في السجون التي حُبس فيها كان الكتاب المقدس ممنوعا من التداول ، وان السلطات قد حبست يوما احد الحرس لانه يملك كتابا مقدسا .. كما تحدث ان المحكومين عليهم بالاعدام محرومون من مقابلة القساوسة في لحظاتهم الاخيرة ..

ويقول فالادار في كتابه انه لم يكن من حق عائلات السجين السياسي ان يتوجهوا الى السلطات لطرح اسئلة عن ابنائهم كما انه ممنوع عليهم معرفة اماكن المساجين او زيارتهم .. ،

والكتاب الذي نشره فالادار ضخم الحجم وهو بمثابة وثيقة عما شاهده كسجين سياسي ، وشاعر ، طوال قرابة ربع قرن .. ومن الصعب بالطبع عرض الكثير مما جاء في الكتاب .. لكن مما عرضناه لاشك انه يثير حساسية السلطات .. ويمكن لصاحبه ان يدفع الكثير ثمنا لجرأته .. لكن هل يمكن لهذا الثمن ان تكون حياة الشاعر الذي لم يقترب بعد من السادسة والاربعين يبدو ان الاجابة بنعم .. وان على ارماندو فالادار ان يدفع حياته .. مقابل كتابه ..



فى النقد ..

لا تجنى من الشوك العنب !

■ أوكتافيوباث الشاعر والناقد المكسيكى الفائز بجائزة نوبل للأدب ١٩٩٠

لم يكتسب الشاعر أوكتافيوباث قيمته الادبية فقط كشاعر من شعراء الطليعة فى عالم امريكا اللاتينية الأدبى ، بل يبقى ان نتحدث عنه بصفته ناقدا له موقفه المتميز .

وعلينا ان نبين منذ البداية ان نشاطه النقدى لم يقتصر على الميدان الادبى ، بل امتد الى الأوضاع السياسية والاجتماعية لافى بلاده فحسب ، بل كذلك فى عالم امريكا اللاتينية باسره .

وهنا نسجل ايضا مفارقة تلفت النظر ، وهى أن اسلوب أوكتافيوباث إذا كان يتميز فى شعره بالغموض الذى يعد سمة من سمات المذهب السيريالى الذى ينتمى اليه فإن أسلوبه فى النقد الذى يتخذ من الكتابة النثرية مادته يتسم بوضوح الفكر ونصاعة التعبير الى حد بعيد ، ولهذا فقد كانت مواقفه السياسية واضحة حاسمة لا لبس فيها . ويكفى ان نذكر للتدليل على ذلك أنه قضى شطرا كبيرا من حياته مرتبطا بالنظام السياسى الحاكم فى بلاده ، وهو نظام الحزب الواحد الذى حكم المكسيك منذ انتصار الثورة فى مطلع هذا القرن ، ونعنى به « الحزب الثورى التأسيسى» Partido Reuolucionario Institucional) ويرمز له بالحروف P R I . فباشر كثيرا من المناصب الكبرى سفيراً


لوكتافيو باث

لبلاده فى الخارج على مدى سنوات طويلة تحت مظلة هذا الحزب ، غير أنه لم يتردد فى الاستقالة من كل مناصبه والتنديد بسياسة هذا الحزب حينما تفجرت ثورة الطلبة على دكتاتورية تلك المؤسسة وما نخر فيها من فساد . وكانت عوامل السخط والتذمر تتجمع منذ سنوات سابقة بين الطبقات الشعبية على ما أصاب الحزب الوحيد الحاكم من جمود واهتراء حتى انفجرت فى النهاية فى ثورة الطلبة والعمال فى اكتوبر سنة ١٩٦٨ ، وهى المعروفة بثورة تلاتيلولكو Tlatelolco أو ميدان الثقافات الثلاث Peaza de las tres culturas وكان ما لجأ إليه النظام الحاكم من القمع الإرهابى لتلك الثورة هو الذى حمل أوكتافيو باث على الاستقالة من مناصبه ومهاجمة حكومة بلاده فى شجاعة يتمثل فيها التزام الأديب برسالته إزاء وطنه ومجتمعه .

أما جهود باث فى ميدان النقد الأدبى فنلاحظ أنها تتسم بالتناثر ، ونعنى بذلك أنها تتمثل فى ملاحظات ومقالات متفرقة سجلها حول عدد من المؤلفين أو الأعمال الأدبية التى استرعت نظره ، ثم ضمها فى كتب . ومن أمثلة هذه الكتب «الكمثرى من شجر الدردار» (Las peras del olmo) (١٩٥٧) . وهذا العنوان مأخوذ من مثل إسبانى يضرب للشىء المتعذر أو المستحيل (وهو يشبه مثلنا العربى : إنك لاتجنى من الشوك العنب) ، وفيه يحلل أعمال عدد من الشعراء المكسيكيين منهم تابلادا Tablada ولـويث فيلاردى Lopez Velarde ، كما يضم مجموعة من الدراسات حول بعض روائع الفن التشكيلى ومما يذكر أنه من أكثر الأدباء اهتماما بفنون التصوير ، وله فى ميدان هذا النقد جولات تدل على عمق حسه الفنى وتمثل نظرته المتكاملة إلى سائر الفنون وإلى علاقة بعضها ببعض . ويلى هذا الكتاب كتابان آخران : «أبواب مفتوحة على الحقل» (puertas al campo) (١٩٦٦) ثم «تيار متقطع» (Corriente alterna) (١٩٦٧) . وفى مقدمة هذا الكتاب الأخير يدافع عن منهجه فى هذا النقد القائم على جزئيات متفرقة فيقول : «أنا أعتقد أن التجزئة هى أصلح ما يمكن أن تتمثل فيه الحقيقة المتحركة التى نعيشها والتى تشكل حياتنا وكياننا . فالجزئية التى نقوم بنقدها وتقويمها ليست بذرة تلقى لكى تستقر فى الأرض ، وإنما هى أشبه بذرة هائمة متحركة لايحدد كيانها إلا إذا أدرجناها الى جوار غيرها من الذّرّات» . ومثل هذا النقد ليس أكثر ولا أقل من التنبيه الى مجموعة من العلاقات . والحقيقة أن الكتاب أو النص ليس بدوره إلا نسيجا من العلاقات . وعلى الرغم مما يبدو من التبعثر الظاهرى فى تلك المقالات النقدية فإن هناك فيما بينها تجانسا داخليا يكشف عن وحدة موضوعية وفكرية . وكثير من الموضوعات التى تناولها فى تلك

الدراسات القصيرة السريعة لم يلبث أن تحول إلى أبحاث مطولة بعد ذلك فى كتب تالية على نحو أنضج وأكثر تفصيلا .

● اهتمام بالشعر المعاصر

وقد أولى باث اهتماما كبيرا للشعر المكسيكي ، ولكنه لم يحاول أن يكتب تاريخا منظما لهذا الشعر . وكانت عنايته بالانتاج الشعرى لبلاده تشغل مساحة زمنية واسعة تبدأ من مذهب الحداثة (el modernismo) الذي يؤرِّخ له في تاريخ الأدب الاسبانى بظهور ديوان «أزرق» (Azul) لشاعر نيكاراجوا روبن داريّو Ruben Dario فى (سنة ١٨٨٨) ، على أن اهتمامه الأكبر كان منصباً على الشعر المعاصر بصفة خاصة . كذلك كانت لباث جولات فى نقد الأدب الروائى والقصصى . والملاحظ انه لم يكن متحمسا كثيرا للأدب القصصى الخاص بالثورة المكسيكية التى بدأت فى سنة ١٩١١ ، مع انه يعد من أغنى الآداب الثورية ، وذلك لأنه كان يرى فيه من الخطابية والدعاوى السياسية ما يباعد بينه وبين القيم الأدبية الحقيقية .

أما موقفه إزاء وظيفة النقد الأدبي فقد كان فيه حريصاً على ترسيخ الوعى برسالة الناقد . ففى كتابه «أبواب مفتوحة على الحقل» يعلن رفضه لذلك النقد الصحفى القائم على الحماسة الفجة والثناء الأجوف ، وهو دائم الحملة على ما يسميه «تعهير النقد» (Prostitucion de la critica) على يد السياسة او التجارة . كذلك يعبر عن معارضته لتلك التصنيفات المدرسية التى تلجأ اليها كتب تاريخ الأدب والبلاغة التقليدية . وعلى الرغم من اعترافه بأهمية البلاغة ودراسة الأساليب وما تقدمه لدارس الأدب علوم مثل علم الاجتماع او علم النفس أو غير ذلك مما يساعد على فهم النص الأدبى فإن هذه العلوم ـ كما يقول فى كتابه «القوس والقيثارة» ـ لايمكن أن تفسر لنا على نحو مُرْضٍ الطبيعة الحميمة للنص الأدبى .

وفى الصفحات التى يفردها باث للمصور المكسيكى المشهور رفينوتامايو Rufino Tamayo يقول إن التجربة الجمالية تهدف قبل كل شيء الى احداث المتعة بالعمل الفني . وهذه المتعة هى التى ينبغى أن تكون منطلق كل عمل نقدى . وعند التقويم يجب أن تتفاوت الحواس والفكر ، الشعور والتأمل الذهنى . وعلينا أن ندرب حواسنا حتى تصبح أكثر توقداً واستثارة وقدرة على لمس مواطن الجمال . والحكم المتوازن ـ وهو الشاهد الذى لايرتشى ـ ينتهى بنا الى أن نميز بين الفن والصنعة الفنية . وينهى باث حديثه بقوله : « حينما أتستع بعمل فنى فإننى أصدر حكمى عليه ، وحينما أصدر حكما عليه فإنى أتمتع به ، فأنا أعيش حينئذ تجربة شاملة يشارك فيها كيانى كله » .

وفى مقال آخر يـرد فى كتابـه «تيارمتقطع» بعنوان «حول النقد» يقول فى تحديد العلاقة بين الأدب والنقد : «إن النقد هو الذى يتألف من مجموعه ما يسمى أدبا ، وهو لايعنى المجموع التراكمى للأعمال الأدبية بقدر ما يعنى

نظاما للعلاقات فيما بينها ... هو ميدان ندرس فيه التماثلات والمفارقات . ومهمة النقد ليست الا تلمس العلاقات بين الاعمال الادبية ومحاولة اكتشاف موضع كل منها من المجموع والاهتداء الى الخط الفكرى والشعورى الذى يسير فيه كل منها . وعلى هذا النحو يمكن أن يتحول النقد نفسه الى عمل ابداعى» . ونحن نرى فى هذا الخلط بين النقد والإبداع كما نرى فى منهجه النقدى القائم على الذوق والانطباع تشابها واضحا بين فكر اوكتافيوباث وفكر اديبنا الكبير طه حسين كما يتجلى فى مقدمة كتابه عن الادب الجاهلى وفى كثير من مقالاته النقدية .

وفى نقده للأدب المكسيكى يعرض باث فكرة أخرى كثيرا ما يلح عليها فى دراسته الأخيرة . لقد كان فى البداية يعتقد ان بوسعه تحديد ما سماه بـ « المكسيكية» فى ادب بلاده ، اى فى الخصائص والسمات التى تميزه عن غيره من آداب القارة الأمريكية اللاتينية ، غير أنه بعد مزيد من البحث تبين أن تحديد مفهوم للمكسيكية فى الأدب أعسر بكثير مما كان يبدو .

فهو يتساءل فى كتابه «الشعر فى حركة» (Poesia en mouiniento) : «ما الذى يربط بين شعراء ينتمون إلى بيئات متباعدة مثل المكسيكى لوبث فيلاردى والارجنتينى ليوپولدو لوجونس Leopoldo Lugones ؟ لايمكن ان يكون هذا الجامع هو عبقرية المكان أو الوطن ، وإنما هو روح العصر » ثم يضيف إلى ذلك قوله : «من المشكوك فيه أن نتحدث عن شعر فرنسى أو ألمانى أو إنجليزى ، ولكن الذى يستند الى اساس أقوى من المنطق هو الحديث عن شعر باروكى أو رومانسى أو رمزى ، وليس معنى ذلك أنى أنكر التقاليد القومية أو الطابع الخاص الذى يميز هذا الشعب أو ذاك ، غير أنى أؤكد أن الأساليب أو المذاهب الفنية دولية ، بل عالمية . أما ما نسميه التقاليد القومية فليس الا تفريعات ، من مذاهب كانت من قبل عالمية . وفى النهاية كل عمل أدبى جيد لاينبغى أن ننظر اليه بصفته مجرد نموذج ينتمى إلى مذهب بعينه ، وإنما يجب أن ينال حقه بصفته عملاً إبداعياً متفرداً ورؤية فردية خاصة . وكلما تميز العمل الأدبى وارتفعت قيمته لم نعد نرى فيه تلك الظواهر العامة النابعة من التقاليد المشتركة أو المذاهب السائدة . إن الفن الحقيقى هو الذى يطمح الى الشفافية !» . وفى كتابه «أبواب مفتوحة على الحقل» يقول : « إن الذى يحدد قيمة العمل الأدبى ليس ذلك الطابع القومى الذى يصعب على المرء الإمساك به ، وإنما هو الصوت المتفرد المتميز لكل فنان ، وهو صوت كثيراً ما نراه فى صراع مع قومه ومع بيئته . ومن ناحية أخرى فإن الحدود بين الأساليب من السعة بحيث يمكن أن تندرج فى ثناياها أجيال كاملة من الأدباء ينتمون الى شعوب عديدة وبلاد مختلفة» . ونلاحظ أن القضية التى عالجها باث فى هذا الجانب من جهده النقدى شبيهة بالمشكلة التى يواجهها الدارس وهو يتأمل واقع أدبنا العربى بين الوحدة المتمثلة فى لغته وتراثه وتقاليده الأدبية المشتركة بين أقطار العالم العربى والتنوع الناجم عن السمات الإقليمية التى يتميز بها كل من

هذه الأقطار ، وهى سمات يسرف بعض نقادنا فى تخيلها من منطلق عصبية قومية ساذجة يغلب عليها الافتعال وضيق الأفق .

ذكرنا من قبل أن أوكتافيوباث لم يقنع بأن يكون ناقدا أدبيا يجمع الى سعة الثقافة ذلك الحس الفنى الدقيق الذى وهبه الله كبار الشعراء ، وإنما شمل نقده كل مظاهر الحياة حوله ، فهو متأمل حصيف يحاول أن يغوص فى تاريخ بلاده ويتأمل الأغوار النفسية لشعبه . وإذا كنا قد نوهنا من قبل بشكه فى مسألة «مكسيكية» الأدب فى بلاده ، فإنه كان على النقيض من ذلك فى نظرته الى مجتمع بلده ، إذ حاول أن يتبين خصائص الشخصية المكسيكية ، ويفسر ردود فعل المكسيكى فى صلاته بالحياة وبالعالم . وقد أودع ذلك كتاباً يُعَدُّ من أحسن ما كُتب فى ميدان تحليل نفسيات الشعوب ، ونعنى به كتاب «متاهة العزلة» (El Laberinto de soledad) وهو ينتمى إلى ميدان الدراسات الاجتماعية الفلسفية ، غير أنه بما اشتمل عليه من تصوير شعرى ولغة هى مزيج من العلم والفن قد تحول إلى عمل أدبى من الطراز الأول . وهو بما فيه من دقة النظر وعمق التحليل يذكرنا بتلك الدراسات التى قام بها فى تحليل النفسية الاسبانية أنخل جانيفيت angel Ganiuet فى كتابه Idearium espanol أو ذلك الجيل من المفكرين العظام الذين اصطلح على تسميتهم بجيل سنة ١٨٩٨ من أمثال أونامونو Unamuno وانتونيوماتشادو Antonio Machado وبيوباروخا Pio Baroja .

ويقول أوكتافيوباث فى تقديمه لكتابه هذا : « إن الاهتمام ببيان الخصائص المميزة لشعبنا المكسيكى مما يفرده عن غيره من الشعوب – وهو ما أشارك فيه الكثيرين بإحساسى – يبدو لى مع ذلك عملا قد يؤدى إلى كثير من المزالق والمبالغات . فالذى يميز شعبنا عن غيره – ولنبتعد هنا عن الدعاوى القومية الفجة – لايتمثل فى مزيد من «الاصالة» التى حتى لو سلمنا بها فإنها لاتعدو كونها ثمرة ظروف وملابسات معينة لا يؤمن أن تتغير خلال مسيرتنا التاريخية ، وإنما هى التى ينبغى أن نستخلصها مما حققه شعبنا من منجزات . ولست أزعم أننا أسمى أو أدنى من غيرنا ، وإنما قد نكون مختلفين وهذا الاختلاف يجب أن نستخلصه مما حققناه فى ميدان الحضارة من أعمال إبداعية سواء أكانت عظيمة أم متواضعة » .

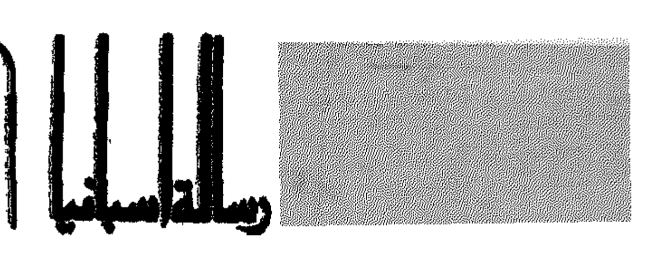
ومما يجدر بالذكر أن باث ألف كتابه هذا خلال سنتين قضاهما فى مدينة «لوس انجليس» بالولايات المتحدة . ولعل هذه الإقامة بعيداً عن بلاده هى التى أعانته على تأمل أحوال وطنه بصورة أكثر شمولاً وموضوعية . لاسيما وأن هذه الإقامة سمحت له بالاحتكاك المستمر فى كاليفورنيا بوجه خاص بمجموعات من الأمريكيين يبلغ عددهم نحو المليون ممن ينحدرون من أصول مكسيكية ، وهم الذين يطلق عليهم الأمريكيون اسم «تشيكانوس» (Chicanos) . أما علة أصول هؤلاء

المكسيكيين فهى أن المناطق الجنوبية من الولايات المتحدة - من كاليفورنيا الى فلوريدا - كانت جزءاً من المكسيك منذ كشف هذه البلاد حتى سنة ١٨٦٥ حينما استطاعت الولايات المتحدة أن تنتزعها وتضمها إلى أراضيها عن طريق التهديد أو الرشوة .

وعلى الرغم من تشكك باث فى إمكان القطع بخصائص يتفرد بها الشعب المكسيكى وفى التعميمات التى أشار إلى ما تؤدى إليه من مزالق الخطأ فإنه حاول أن يبين ما رآه من بعض ما يتميز به شعب بلاده من صفات ، نذكر منها حب الإسراف فى الزينة وحدة الانفعال وسرعة الاستثارة والإهمال والتكاسل والتحفظ إزاء الغريب ويفرد باث الفصل الأول من كتابه للحديث عن طائفة غريبة من البشر تعيش فى كاليفورنيا ، وهى منحدرة من أصول مكسيكية أى أنهم من أولئك الذين يطلق عليهم اسم «التشيكانوس» . ولهذه الطائفة التى يسميها الأمريكيون «الباتشوكوس» Pachucos ملامح خاصة تميزهم حتى عن سائر المواطنين ذوى الأصول المكسيكية . فهم جماعات من الشباب ينفردون عن غيرهم من الشباب الأمريكى بزى خاص وسلوك معين ، وطريقة فى الكلام مميزة . وهم متمردون بطبيعتهم على المجتمع الذى يعيشون فيه ، ولهذا فما أكثر ما يتعرضون للاضطهاد من جانب عتاة العنصريين من أهل الولايات المتحدة . ومع أن سلوكهم نابع من إرادة عنيدة مصممة على التميز عن المجتمع الذى يعيشون فى وسطه فإن ذلك لايقودهم إلى أى عمل إيجابى ، فهم مجرد متمردين بالفطرة ، لايريدون أن ينتموا الى المجتمع الأمريكى ، وهذا المجتمع نفسه يرفضهم ويعاملهم بقسوة شديدة ، ولكنهم فى الوقت نفسه لايريدون أن يعودوا الى أصولهم المكسيكية ، ذلك لأنهم فقدوا كل عناصر تراثهم القديم من دين ولغة وعادات ومعتقدات . وكثيرا ما يعبر «الباتشوكو» عن رغبته فى التميز إما بإذلال النفس حتى يصبح ضحية تستثير الشفقة أو ببلوغ الشهرة عن طريق الجريمة التى يتمثل فيها تحدى المجتمع ولايأس فى أن تضمن له مكانة متميزة هى مكانة البطل الذى يقترن اسمه باللعنات .

● والعزلة والتفرد

« الباتشوكو» يمثل التفرد أو «العزلة» عن المجتمع ، لكن هذه العزلة التى حرص المؤلف على أن يتخذ منها عنواناً للكتاب ليست شيئا يختص به هذا النبت الغريب فى مجتمع الولايات المتحدة ، وإنما هى صفة تكاد تكون من سمات المكسيكى حتى فى داخل بلده ، بل يقاسمه فيها كثير من أهل قارة أمريكا اللاتينية ، ولنتذكر أن كاتبا آخر حصل على جائزة نوبل أيضا منذ سنوات (فى ١٩٨٤) وهو جابرييل غرسيا ماركيز Gabril Ganrcia Marquez قد اتخذ لأشهر رواياته عنوانا يلح بدوره على هذا المعنى : «مائة عام من العزلة» ! والعزلة التى يشير إليها باث فى دراسته ويرمز لها ماركيز فى روايته ليست انقطاعا ماديا عن المجتمع وإنما هى عزلة نفسية .. هى نوع من الاغتراب يحس معه المرء بأنه وحيد منعزل حتى وإن كان يخالط الناس



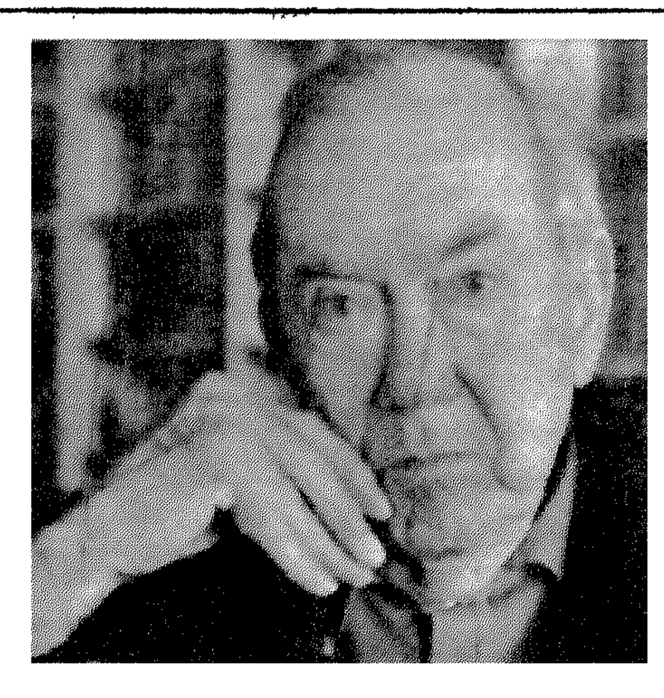
ويخالطونه . المكسيكي ـ ولعل بعض مواطني بلاد أخرى في أمريكا اللاتينية يشاركونه في هذا الشعور ـ يحس بأنه صاحب حضارة قديمة عريقة يجدر به أن يعتز بها ، ولكن الفتح الاسباني قضى على هذه الحضارة قضاء شبه كامل ، ثم أورثه الشعب الإسباني لغته ودينه ومعتقداته وثقافته بعد أن سحق ماضيه وأفقده كل تراثه القديم والمكسيكي نفسه ليس الا ثمرة التزاوج بين العنصر الاسباني الأبيض والعنصر الهندي الأحمر ، أي ثمرة المصاهرة بين الغالب والمغلوب . ولهذا فإنه يحس ـ بوعي أو بلا وعي ـ بما يعتمل في داخل نفسه من صراع : بين ماضيه الذي فقده إلى غير رجعة ، وحاضره الذي فرض عليه فرضا . ومن هنا كانت النفسية المكسيكية مليئة بالمتناقضات ، فنحن نجد المكسيكي ينتقل من الصمت الطويل الساهم إلى الصراع المدوي ، ومن الحزن العميق إلى المرح الصاخب ، ومن التدين الكاثوليكي المتزمت إلى طقوس وثنية أو شبه وثنية تظهر في الأعياد والاحتفالات بصفة خاصة .

والفكاهة المكسيكية تختلف عن فكاهات سائر الشعوب ، فهي ليست باسمة متفائلة ، بل هي قاتمة تستحضر صورا رهيبة مخيفة . فالمكسيكيون يحتفلون بيوم الثاني من نوفمبر من كل عام ـ وهو يوم الموتى ـ احتفالا غريبا ، إذ يعدون فيه فطائر وألوانا من الحلوى في صور عظام وجماجم ، وإذا زاروا قبور موتاهم فإنهم يحيلون هذه الزيارات الى حفلات صاخبة لاتخلو من طعام وإسراف في الشراب قد ينتهي بضروب من العربدة والعراك .

وقد نبه باث في كتابه إلى بعض الخصائص التي لم يستبعد كونها مما ورثه المكسيكي عن طباع المسلمين الاندلسيين ، فقد كان كثير من الفاتحين الاسبان الداخلين الى بلادهم ينتمون الى أصول اندلسية امتزجت بدماء العربية . ومن هذه الصفات الطقوس المعقدة لعبارات التحية والمجاملة ، وحب الإنتقال من الزخارف الهندسية أو ما يسمى في مصطلح العمارة الإسلامية بـ «التوريق» (Arabesque) ، وما يشبه ذلك من الإعجاب بجمال الصياغة الشكلية والجرس الموسيقي في الشعر .

ويفرد باث صفحات للحديث عن المرأة في نظر المكسيكي فيقول إن أهم صفة يقدرها المكسيكي في المرأة هي صفة العفاف والشرف ، وهي صفة يتفق فيها مع الإسباني ، والأرجح أن هذا الاهتمام لدى الإسبان بشرف المرأة موروث عن العرب الذين استقرت حضارتهم على أرض اسبانيا على مدى قرون طوال . ولهذا فإن المكسيكي يعتد دائما بحشمة المرأة وإخلاصها لرجلها ، على أنه لايرى بأسا بأن يطلق لنفسه عنان شهواته .

وبعد ، فهذه لمحات من كتاب أوكتافيو في تأملاته حول شخصية المكسيكي ومقومات نفسيته وهو كتاب يعد من أجمل ما ألفه هذا الكاتب وأحقه بالقراءة .



آخر قصة قصيرة كتبها جراهام جرين

قليلون ، هؤلاء الذين يعرفون ان الكاتب البريطانى جراهام جرين (١٩٠٤ - ١٩٩١) قد ترك رصيدا من القصص القصيرة ينافس عطاءه فى الرواية ، وقد كتب جرين هذه القصص على فترات متباعدة من حياته ، وكانت أخر هذه الاقاصيص تلك التى نشرها فى علم ١٩٨٩ تحت عنوان "ذاكرة رجل عجوز" . والتى ترجمتها مجلة "حدث الخميس" الفرنسية تحت عنوان "يوم ان انفجر النفق" .

ويسعد الهلال ان تقدم هذه الاقصوصة بمناسبة رحيل جرين ، الذى كتب الرواية ، والمسرحية والدراسة الادبية والكتاب السياسى وعاش حياة مزخومة بالأحداث المثيرة التى عبر عنها فى ابداعه فمن المعروف ان جرين قد عمل فى مكتب العلاقات الخارجية البريطانى التابع لوكالة الاستخبارات سنوات طويلة ، وربما لهذا السبب وقف اعضاء اكاديمية ستوكهولم له بالمرصاد حتى لايفوز بجائزة نوبل ، رغم ان هناك كتابا اقل اهمية فازوا بهذه الجائزة ، وطال انتظار قراء جرين ان يعلن عن فوزه بها .. اما هو فقد اعلن مرارا ان هناك ثلاثة من اعضاء الاكاديمية قد اقسموا انهم لن يمنحونه اياها ، حتى ولو فوق جثثهم .

وجرين ليس غريبا على القارىء العربى فقد ترجمت معظم رواياته فى القاهرة وبيروت ودمشق وبغداد ومن اهمها "الرجل الثالث" ، "عميلنا فى هافانا" ، و"الكابتن والعدوى" ، و"الرجل العاشر" ، و"القنصل الفخرى" ، و"المندوب السرى" ، و"القوة والمجد" .. وغيرها ..

الملاحظ ان الاقصوصة التى نقدمها اليوم تنتمى الى "ادب الخيال السياسى" ، وقد تخيلها الكاتب قبل توحيد دولتى المانيا ، وقبل إستقالة رئيس الوزراء البريطانى السابق السيدة مرجريت تاتشر وايضا قبل احداث الخليج الاخيرة .

ذاكرة رجل عجوز

اكتب في عام ١٩٩٥ ، والعواجيز ذاكرة ضعيفة عن الحروب التى تندلع وتخمد حتى موتى مدينتى غزة وبيروت الذين اثروا فينا كثيرا ابان عقد الثمانينات يبدون ، من ناحية ، كأنهم اصبحوا فى ذمة التاريخ ولكننى اشك فى ان عام ١٩٩٤ سيكف دائما عن تخويفى فاحداث هذا العام تتسم بالكابوسية والموتى فى الظلام . الموتى فى نهد البحار العميقة ، موتى من الغرق والتشويه ، وجثث متعفنة لضحايا لم تتحدد هويتهم يستريحون الآن فى مكان أو آخر من قاع المانش .

لقد اعدت الاحتفالات المخصصة لافتتاح النفق فى قاع المانش بعناية تامة ونُظمت بطريقة تجعل القطارين اللذين سيفتتحان الخط فى وسط بحر المانش مثلما حدث فى باريس ابان الاحتفالات بالذكرى المئوية الثانية للثورة عام ١٨٨٩ ، تشهد انجلترا ، بالتأكيد بعض التمردات مثل الاضراب الذى يشهده ريف "كنت" فوق الطرق السريعة التى تربط بين لندن ومدينة دوفرز ، ولكن عندما يخرج اول قطار مترو من محطته الاولى باريس متجها الى دوفرز فسيصبح الرافضون ندرة ، تقف السيدة تاتشر ، التى حققت انتصارها الاربعين فى الانتخابات كى تستقبل القطار الفرنسى الذى يخرج من البحر ويتوقف فى دوفرز ، كى ينضم الى الاحتفال السفير الفرنسى حاضرا بالتاكيد ولاسباب .غير مفهومة فان وزير الدفاع يقف فى صحبة السيدة تاتشر ، ربما ان الامر يتعلق بحفنة من المعارضين الذين يتذكرون فشل هتلر فى غزو بريطانيا ، بعد حروبنا من دنكرك ، ترى هل لديهم الوقت لتفجير النفق لو تم انجازه ؟ وهل ستندلع الحرب ، من جديد او دمروه ؟

فى عام ١٩٩٤ تم اعداد كل شيء لم اكن فى دوفرز فمن الاسهل على ما اعتقد ، ان اتابع الحدث فى التليفزيون . [illegible] خرج القطار الفرنسى من النفق - عُزف لحن المارسيليز ، ثم النشيد القومى البريطانى "الحكم البريطانى" وليس ليحفظ الله الملكة ، ربما لان الشكوك كانت تساور الملكة فى بعض الامور ، لكن السيدة تاتشر تتصرف بحدة ، وتعيش حالة بعث الحكم البريطانى ، اما على الجانب الآخر من المانش فان الرئيس الفرنسى يستعد لاستقبال القطار البريطانى ، وهذا امر لم يحدث من قبل فالخبر يذاع فى نفس اللحظة وحين القت السيدة تاتشر خطابا اعد بصورة جيدة ، فان قنابل انفجرت تحت المانش ، دمرت القطار البريطانى قبل ان يصل الى مدينة كاليه ولم يبق احد على قيد الحياة .

من يكون الارهابيون ؟ نتوقع ان يكون الانفجار ناتج عن استخدام مادة السمتكس التى استخدمت فى الكوارث الجوية فى سنوات الثمانينات كان يكفى ثلاثة جرامات من السمتكس فى مسجل لتفجير طائرة فوق قرية اسكتلندية لقد حدثت تطورات هائلة منذ ذلك الحين ، واصبح من الممكن برمجة الشحن المتفجرة ليس لساعات قليلة ولكن لايام طويلة ، لقد تم انتاج المتفجرات المعنية قبل ان يعبر القطار البريطانى القضبان المحفورة تحت المانش . بالتاكيد فان الشكوك سوف تتجه الى الجبهة الايرلندية الشعبية بسبب نشاطها فى المانيا فهم يعرفون السمتكس كما ان الايرانيين لم يغفروا لبريطانيا ابدا انها ساندت سلمان رشدى ولا للامريكيين انهم دمروا طائرة الضحايا فقد كان هناك الكثير من الامريكيين فى القطار .

من يعرف ، ايضا فى اى مكان وضعت القنابل ، فطوال اربع سنوات ، قام مئات العاملين بتشييد النفق ، وهذه دعوة للارهابيين لارتكاب المزيد ، ووسط المئات من هؤلاء الرجال هل كان من الصعب ايجاد رجل ، او اثنين يقبل مكافأة ضخمة مقابل الكشف عن بعض خطط النفق وايضا اخرين لاختيار احسن مواقع فى النفق توضع فيه المتفجرات .

هناك الكثير من اللغط فى الصحف حول اجراءات الامن التى تبعد المسئولية ، تماما عن البنائين ، فقد كانت الحقائب تفحص جيدا بالاشعة السينية ، وعلى كل عابر ان يمر تحت تقويسة .موجودة فى مطاراتنا ، لقد تم تحديد كل شيء بدقة لكن كيف كان يمكن ان تاخذ كل الاعتبارات الممكنة حتى اعماق المانش ؟

لم يكن الارهابيون على عجالة ، فلديهم الوقت اربع سنوات كاملة للاعداد من اجل اجراء الاختيارات لافساد كل شيء .

اليوم ، مر عامان ، لم يتم القبض على احد ، ولكن المفاجأة الحقيقية للارهابيين ، ان شركات الانفاق الاوروبية ، قد تشجعت ، بتأييد من المساهمين والحكومتين البريطانية والفرنسية ، واعلنت ان النفق سيعاد افتتاحه ، وبدأت الاعمال التى يجب ان تنتهى فى عام ١٩٩٧ وستكون تكاليفها اعلى بكثير من المرة السابقة .

اتكلم كرجل عجوز ، ضعيف الذاكرة ، واتساءل عما اذا كان عام ١٩٩٧ سيشهد [illegible] شخصا واحدا لديه ذاكرة اكثر ضعفا كى يوافق ان يُحجز له مكانا فى العربة التى ستنتقل فى اعماق المانش الاول انطلاقا من نفق موت [illegible] حيث يوجد الكثير من [illegible] والعديد من الجثث الراقدة تحت القضبان

ملهاة أوسكار ..

أو الرقص مع الذئاب ..

بقلم : مصطفى درويش

إنتهت ملهاة اوسكار السنوية التي يحلو لهوليوود ان تلونها وتضفي عليها ظلالا من عندها بتسميتها « جوائز الأكاديمية » .

والآن الاسئلة المطروحة كثيرة ، من بينها على سبيل المثال ، لماذا خرج « الأب الروحى » ، جزء ثالث ، صفر اليدين من اية اوسكار حتى ولو صغيرة ، وذلك رغم انه كان مرشحا للعديد منها ، بما في ذلك اوسكار افضل فيلم ومخرج « فرانسيس فورد كوبولا » ؟

ولماذا لم يكتب لفيلم « الرفاق الطيبون » ان يفوز الا بجائزة يتيمة ، الا وهى اوسكار افضل ممثل مساعد « جوبيسكى » ، مع ان مخرجه هو « مارتين سكورسيزى » صاحب « سائق التاكسى » و « الاغراء الاخير للمسيح » وروائع اخرى خلاصة ماساة الانسان ازاء الأقدار ؟

لماذا اصبحت ليلة ملهاة الاوسكار ، ليلة « الرقص مع الذئاب » ، بخروج ذلك الفيلم منها فائزا بسبع جوائز من بينها اوسكار افضل فيلم ومخرج مع انه اول عمل سينمائى يخرجه « كيفين كوستنر » ، ذلك الممثل الذى كان حتى عهد قريب انسانا مغمورا ، الى حد ان المخرج « لورنس كازدان » ، قام اثناء عملية توليف فيلمه « البرود الكبير » (١٩٨٣) بحذف جميع اللقطات التى اتيح لكوستنر ان يظهر فيها ، وذلك دون مراعاة منه لشعوره عندما يرى الفيلم ، وقد جاء خاليا تماما من اى ذكر له ، ولو اسما .

● تجليات وشائعات

والأدهى والأمر ان المخرج الراحل « جون هستون » ، وهو من الفئة القليلة المشهود لها بحسن اختيار الممثلين لما هو مناسب لهم من ادوار قد رفض قبل اختفائه من مسرح الحياة بأيام ، ترشيحا لكوستنر من قبل المنتج « راى ستارك » ، كى يؤدى الدور الرئيسى امام « انتونى كوين » فى فيلم « الانتقام » ..

ووبى جولدبرج . اول ممثلة سوداء تفوز باوسكار منذ " ذهب مع الريح"



ملهاة أوسكار

ولم يكتف بذلك ، بل انه اثر لقاء قصير فاشل مع الممثل ، ذهب في سخريته منه الى حد الاقتراح على ابنه المخرج « داني هستون » ان يسند اليه احد الأدوار في فيلمه القادم « الدكتور نورث » ، وان يراعي في اختيار الدور ان يكون صاحبه مريضا بداء الايدز (ص ٢٤ كتاب « ال هستون » تاليف لورنس جروبل - الطبعة الأمريكية ١٩٨٩ - دار نشر ماكميلان) ..

وهذه السمعة السيئة المصاحبة لبدايات « كوستنر » مع السينما ، كان لابد وان يكون لها تاثير كبير على المناخ العام المحيط بالرقص مع الذئاب ، ذلك الفيلم الذى شارك في ابداعه لا بالاخراج فحسب ، وانما كذلك بالانتاج وتمثيل الدور الرئيسى على امتداد ثلاث ساعات او يزيد .

فلقد انطلقت شائعات تتحدث عن عقبات لا سبيل للتغلب عليها ، وتوقع الجميع للفيلم فشلا ذريعا على مستوى فشل « بوابة النعيم» « للمخرج مايكل شيمينو » ، والذى كان سببا في اعلان الشركة المنتجة له « الفنانين المتحدين » افلاسها ..

● لعنة المال

وهنا افتح اول قوس فاقول انه ولئن كان قد جرى ترشيح « الاب الروحى » و « الرفاق الطيبون » الى ثلاث عشرة اوسكار فيما بينهما ، الا انهما لم يحصلا منها الا على اوسكار واحدة كانت من نصيب الفيلم الاخير ..

والفيلمان وان كانا لم يفشلا في الشباك ، الا ان ما حققاه معا من ايرادات اقل من تلك التى حققها بمفرده « الرقص مع الذئاب » ، وهى ايرادات كانت قد وصلت قبل الملهاة الكبيرة وبقليل الى مائة وتسعة وثلاثين مليون دولار ، مع ان تكاليف انتاجه تقل عن عشرين مليون دولار ..

ويلاحظ هنا ان تكاليف الانتاج التى تحملتها شركة بارامونت صاحبة « الاب الروحى » قاربت الخمسة والخمسين مليون دولار .

وكان فشله النسبى جماهيريا ، في اعقاب فيلمين مكلفين « ثماني واربعون ساعة اخرى » و«ايام الرعد» جاءت ايراداتهما مخيبة لما علقته تلك الشركة عليهما من امال كبار ، سببا في قيامها باصدار قرار برفت « فرانك مانكوزى » رئيسها على امتداد سبعة اعوام ، وذلك قبل بث وقائع الملهاة عن طريق الاقمار الصناعية بسبعة ايام ..

وفى الحق ، فبارامونت ، وهى اكثر شركات هوليوود نجاحا خلال النصف الثانى من عقد الثمانينات - ليست اسوأ حالا من شركات اخرى منافسة تعانى نفس الضائقة .. ارتفاع تكاليف الفيلم وانخفاض الايرادات ..

فمثلا متوسط تكلفة الفيلم الذى تنتجه هوليوود قد ارتفع الى مبلغ ستة وعشرين مليون وثمانمائة الف دولار ، اى بزيادة اربعة عشر في المائة عن عام ١٩٨٩ ، ومائة وخمسة وثمانين في المائة عن عام ١٩٨٠ ..

فاذا ما اضيف الى ما تقدم مبلغ احد عشر مليوناً وستمائة الف دولار مقابل

نفقات الدعاية وطبع النسخ ، فإن متوسط تكلفة صنع الفيلم فى هوليوود ، بما فى ذلك نفقات الاعداد لتوزيعه وعرضه ، ترتفع ، والحالة هذه ، الى مبلغ ثمانية وثلاثين مليون دولار ..

● الصعود الى الهاوية ..

ومن المناسب هنا ، الاشارة الى مذكرة رئيس استديوهات « والت ديزنى جيفرى كاتزبرج » التى كتبها قبل اربعة شهور ، محذرا فيها من مغبة تصاعد موجات ارتفاع التكاليف والمنافسات الحادة الحمقاء ..

مطالبا اولى الامر فى هوليوود اخذ تحذيره ماخذ الجد ، لا الاستهانة والا انتهى الامر بصناعة السينما الى الوقوع فى هاوية كارثة ليس لها مثيل ..

والبادى ان اصحاب الامر والنهى فى شئون اوسكار اخذوا تحذير « كاتزبرج » ماخذ الجد عند توزيع غنائم اوسكار ..

ومن هنا استئثار فيلمى « الرقص مع الذئاب » و « شبح » ، وهما الاقل تكلفة بين الافلام الخمسة المرشحه لاوسكار افضل فيلم ، استئثارهما فيما بينهما بتسع جوائز ، اغلبها من ذلك النوع الذى ترنو اليه ابصار المتنافسين .

واذا كان هذا شان « الرقص مع الذئاب » و « شبح » ، فان الافلام الاخرى التى كانت متنافسة معهما على تلك الاوسكار الهامة ، وهى « الأب الروحى » ، و « الرفاق الطيبون » و « اليقظة » كان لها شان آخر ، فقد اقتصر نصيبها فيما بينها على اوسكار هزيلة ليس لها وزن كبير ..

● اقوال النجوم ..

وهكذا اريد لهذه الأفلام الثلاثة الا تخرج من ملهاة اوسكار متوجة باكاليل الغار ..

ولا غرابة فى هذا ، فهى من هذا النوع الضخم من الافلام الذى لا قيام له الا بنجم ساطع او حشد من النجوم .

فمثلا بطولة « الاب الروحى » يتقاسمها اكثر من نجم « ال باشينو » ، « ديان كيتون » ، « اندى جارسيا » .

وبطولة الفيلمين الآخرين انفرد بهما النجم « روبرت دى نيرو » الذى كان مرشحا لاوسكار افضل ممثل رئيسى عن ادائه لدور معوق فى فيلم « اليقظة » ..

ومعروف ان آفة صناعة السينما فى هوليوود هى النجوم فارتفاع تكلفة الافلام ناشىء فى المقام الأول من اجورهم الخيالية التى تزداد صعودا على مرّ الايام .

« فارنولد شفارزنجر » و « وجاك نيكلسون » يتقاضى الواحد منهما مقابل التمثيل فى اى فيلم مبلغا فلكيا يصل احيانا الى عشرة ملايين دولار ، فضلا عن نسبة مئوية من الأرباح قد تتجاوز الاجر بكثير ..

وفى ضوء هذا ، فليس محض صدفة ان جوائز اوسكار الاربعة المخصصة للتمثيل لم تكن من حظ اى نجم ، وانما كانت من حظ اربعة ممثلين وممثلات ليس لهم صيت النجوم الكبار ، آية ذلك « كاثى بيتس » ممثلة المسرح البديئة التى اريد لها ان تفوز باوسكار افضل ممثلة رئيسية عن ادائها البارع فى فيلم « ميزرى » لصاحبه « روب راينر » ..

ملهاة اوسكار

● الصبر والصمت ..

فإذا ما انتقلنا الى الممثلة الاخرى الفائزة باوسكار افضل ممثلة مساعدة عن دورها في « شبح » وهي « ووبي جولدبرج » لوجدنا انفسنا امام فنانة متعددة المواهب ، تحسن اداء جميع الادوار التي تسند اليها ، سواء ما كان منها فكاهيا ام مأساويا ..

ولقد سبق وان رشحت لاوسكار افضل ممثلة رئيسية عن ادائها الرائع في فيلم « اللون الأرجواني » لصاحبه المخرج « ستيفن سبيلبرج » ..

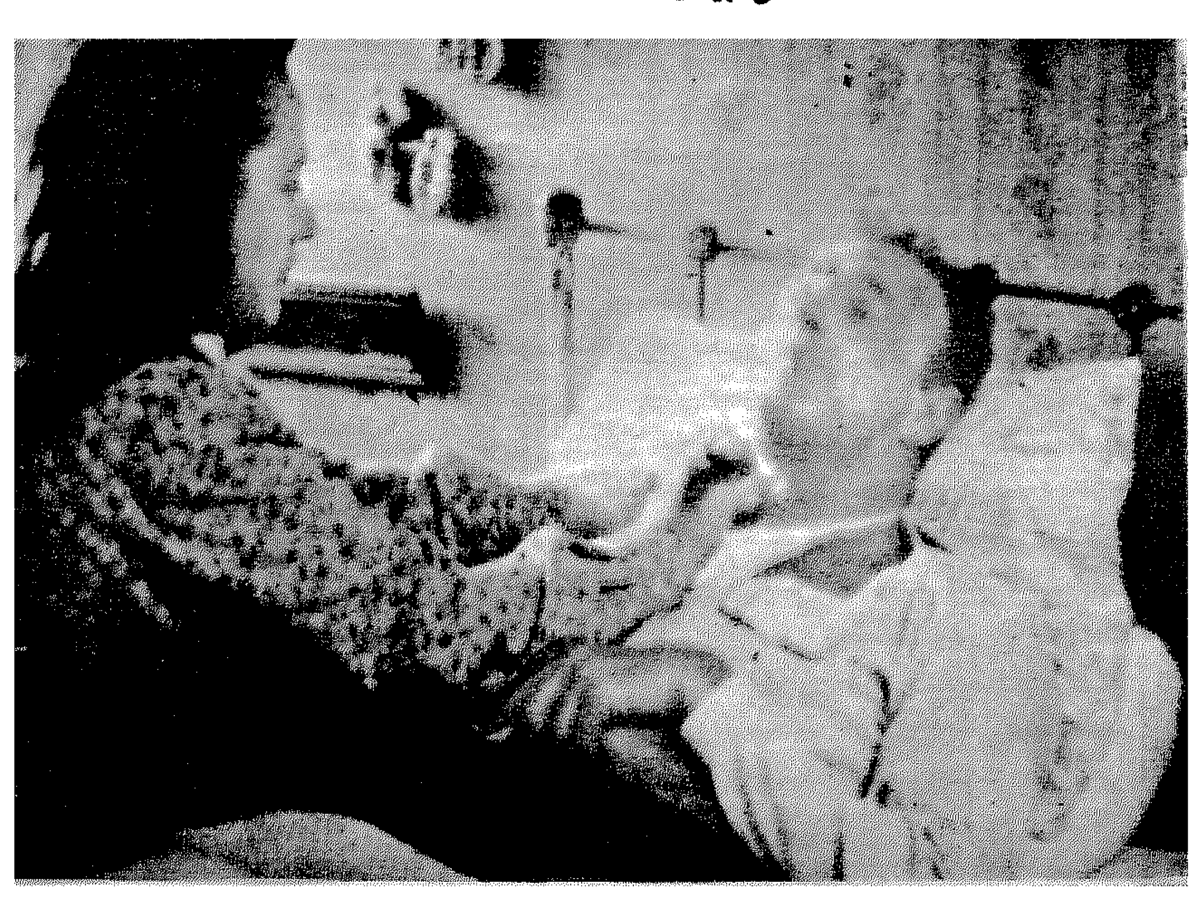
بيد انه ، كان عليها ان تنتظر اكثر من خمسة اعوام ، حتى تفوز باوسكار اقل قيمة .

وهنا يحسن التنبيه الى ظاهرة ذات دلالة كبيرة وهي انتظار جميع الممثلات الملونات زهاء خمسين عاما ، حتى يراد لواحدة من بين صفوفهن ان تفوز باوسكار ..

فمنذ فوز « هاتي ماكدونال » باوسكار افضل ممثلة مساعدة عن ادائها لدور خادمة سوداء وفية لاسيادها البيض ملاك العبيد في فيلم « ذهب مع الريح » (١٩٤٠) ، واوسكار ممتنعة تماما عن اية ممثلة سوداء .

وهنا اقفل القوس لاقول ان « الاب الروحي » و « الرفاق الطيبون » لم يهزما امام « الرقص مع الذئاب » فحسب ، وانما هزما كذلك امام فيلم آخر مسل خفيف الظل « شبح » قوامه فكرة استهلكتها هوليوود من قبل ، هي البقاء وفيا للحبيبة حتى بعد الاختفاء

كاتي بيتش . احسن ممثلة مساعدة



بالموت ، وليس له من ميزة اخرى سوى انه حقق ايرادات مذهلة تجاوزت الاربعمائة مليون دولار..

● الحلم الامريكي ..

وتلك الهزيمة المدوية في مضمار الصراع من اجل اوسكار ، انما ترجع الى اسباب كثيرة اخرى ، من بينها ان الفيلمين يدوران حول « المافيا » ذلك الموضوع الاثير لدى هوليوود ، لا لشيء سوى ان الجمهور دائم الانجذاب الى رجال العصابات الاجرامية وما يسيل على ايديهم من دماء تغطي الشاشة البيضاء ولا يستطيع لا المقاومة لكل هذا العنف ، ولا الفكاك حقا ، قد يثير العنف الدموي الذي من هذا القبيل الرعب في القلوب مثلما هو الحال في بعض لقطات « الرفاق الطيبون » .

غير انه رغم ذلك ، يطلق الكامن من اشتهائنا البدائي للتسلط الفردي المتحرر من القيود ..

واغلب الظن ان المطروح في الافلام التي تعرض لعالم هؤلاء الرجال الخارجين عن القانون ، ليس ثمة علاقة بينه وبين فكرة الجريمة والعقاب ..

المطروح شيء آخر ، هو الفرد المنتمي للعصابة او المافيا باعتباره بطلا ماساويا ، نرى فيه النقيض لمجتمع متفائل سعيد يسوده وهم العيش في ظل العدل والمساواة والاخاء ..

وعلى كل .. فالبطل الذي من هذا القبيل ، يعتبر في نظر اصحاب الفكر الجانب المظلم للحلم الامريكي ..

وقد يكون الاب الروحي باجزائه الثلاثة اصدق افلام المافيا تصويرا لذلك الجانب ..

الرقص مع الذئاب .. الفيلم الفائز



ملهاة أوسكار

ولعلنا نذكر، في هذا الخصوص ان «الأب الروحي» جزء اول (١٩٧٢) قد فاز باوسكار افضل فيلم وسيناريو، فضلا عن فوز «مارلون براندو» باوسكار افضل ممثل رئيسي عن ادائه لدور «دون كرليون» الاب الروحي الذى هرب صبيا من صقلية الى نيويورك حيث نجح في بناء امبراطورية تقوم على الأجرام.

بعد ذلك بعامين، كانت المفاجاة الكبرى، عندما خرج «الاب الروحي» جزء ثان من معترك الصراع على اوسكار فائزا بجوائز افضل فيلم واخراج وسيناريو وموسيقى تصويرية وتمثيل لدور مساعد «روبرت دى نيرو»..

وكانت هذه هى المرة الاولى التى يكتب فيها لعمل سينمائى مجزأ ان يتوج باوسكار افضل فيلم مرتين..

ومهما يكن من امر فاحداث الجزء الثالث لاتبدا من حيث انتهت احداث الجزء الثاني، وانما بعدها بحوالي عقدين من عمر الزمان..

● الماضي المجهول

فها هو ذا «مايكل كورليوني» (ال باتشينو) يخطو نحو الشيخوخة وحيدا، وليس امامه، بعد ان اختار ابنه «توني» ان يكون مغني اوبرا، مفضلا تلك المهنة الرقيقة على تهيئة نفسه لوراثة عرش الاسرة الدموى، ليس امامه اذن سوى ان يعلق كل الآمال على «فنسنت» (اندى جارسيا) ابن شقيقه (سوني) الذى ارتأى فيه صورته ايام الشباب.. الحيوية، والعنف المفاجيء، مع صوت خفيض يخفي شخصية لاتلين امام المهام الجسام..

والفيلم يبدا به، وهو يحاول ان يضفي على استثمارات العائلة طابع الشرعية، حتى يقطع كل صلة بينها وبين عالم الأجرام.

ولقد ذهبت به الظنون الى تصور ان خير وسيلة لاكتساب الشرعية والاحترام، هى استثمار ثروة العائلة الطائلة في الأراضي وشبكات التليفزيون، بدلا من الكازينوهات وعمليات القمار والرهان.

وكان من بين مشاريعه الطموحة، ان يعقد صفقة عقارات كبرى مع بنك الفاتيكان..

ولكن غاب عنه ان ماضيه الذى لايستطيع ان يتحكم فيه، يمكن ان يؤدي الى تحطيم كل ما احكم تدبيره من تخطيطات..

وفعلا، سرعان ما يعصف هذا الماضي بسعيه نحو حياة شريفة امنة تقوم على سيادة القانون فيطوح بكل شيء الى النقيض الى حياة متصلة بالماضي الأجرامي الاثم.. حياة لاتقوم الا على سفك الدماء.

● إرادة التغيير..

والظاهر ان الجمهور قد مل هذا النوع من الافلام الذى يجنح الى التركيز على عالم الاجرام..

والظاهر كذلك ان الدوائر الحاكمة قد

نفضت يديها من الافلام التي تسلط الاضواء على الجانب المظلم للحلم الامريكي ، مؤثرة عليها مالا يظهر من سراديب هذا الحلم الا ما كان مشرقا .

وفي الحياة الامريكية اكثر من صورة مضيئة تصلح لمثل هذه السينما البناءة ، فثمة مثلا محاربة الاضطهاد العنصرى لاسيما ما كان منه موجها ضد السود والهنود ، واثارة التعاطف مع الاقليات ، وبخاصة بعد ان اصبح قطاع السكان البيض المكون من طائفة البروتستنت المنحدرة من اصل انجلوسكسوني ، والمسمى « الواسب » اختصارا ، اصبح اقلية في اغلب الولايات والمدن الكبرى ، ومن ثم لايستطيع الاحتفاظ بهيمنته على السلطة الا من خلال تحالفات مع اقليات اخرى ، لعل اهمها الاقلية اليهودية وذلك بحكم ثرائها الواسع ، وبحكم سيطرتها على جانب لايستهان به من اجهزة الثقافة والاعلام ..

ومن هنا نجاح « الرقص مع الذئاب » جماهيريا بالاقبال على مشاهدته اقبالا منقطع النظير بالنسبة لفيلم طويل ، جاد ، واكاديميا بخروجه من مضمار اوسكار متوجا بسبع جوائز هي اوسكار افضل فيلم واخراج وتصوير وسيناريو مستوحى من عمل ادبي وموسيقى تصويرية وصوت وتوليف .

ولن احكي تفصيلا احداث الفيلم ، وانما اكتفي بان اقول انها تدور وجودا وعدما حول ضابط ابيض « دنبار » (كيفين كوستنر) ابلى بلاء حسنا اثناء الحرب الاهلية بين الشمال والجنوب الامريكي القديم ، فكان ان عرض عليه ، مكافاة له ، ان يختار من اماكن العمل في الجيش مايشاء ..

واذا به يختار مخفرا بكرا قصيا ، منفصلا عن الحضارة تماما ، لانه يريد ان يراه قبل ان يختفي » ..

وبداءة صاحب - وهو في وحدته - ذئبا ، ثم اتبع ذلك بلقاءات مع افراد من قبيلة « سيبوكس » ، وهي من اشد قبائل الهنود الحمر باسا ..

وفي نهاية المطاف تتبناه القبيلة بحيث اصبح وكانه واحد من ابنائها ، وبحيث اختارت له اسما اخر « الرقص مع الذئاب » ..

● سر الانتصار ..

والفيلم اية في جمال البساطة ، راعى صاحبه الا يسند ادوار الهنود الحمر الا لمن كانوا هنودا لحما ودما ، والا نسمعهم يتكلمون طوال الفيلم الا بلغة قبيلة « السيبوكس » ..

ومفاجاة الفيلم هي في قلب الادوار ، بحيث نرى الهنود ، وهم الذين اعتدناهم في السينما الامريكية اشرارا ، نراهم وقد اصبحوا في عمومهم اخيارا ..

اما البيض ، فعلى العكس من ذلك ، وباستثناء البطل بطبيعة الحال ، فلا نراهم الا اشرارا ..

وعندى ان اهم ما في « الرقص مع الذئاب » ، هو ما اراده لنا صاحبه من ان نعمل على اكتشاف الاخر في انفسنا ، ولا نكتفي بذلك ، بل نعمل على الاندماج فيه حتى الفناء ، وهو امر اراه اقرب الى المحال .

قصة قصيرة

دعوى نسب

بقلم : حسني سيد لبيب

ريشة الفنان : محمد أبو طالب

قصد أول مقهى صادفه .. انتقى كرسياً قابعاً فى ركن ناء ، بعيداً عن لاعبى النرد ومدخنى النرجيلة ، وضع الملف على الطاولة ، وطالع عناوين الجريدة ، لا جديد تحت الشمس ، سوى القتل والعنف والارهاب ، فى كل الدنيا ، طوى الجريدة واسترسل فى هواجس خفية .. بدا فيلسوفاً يتناول ابسط الأشياء بامعان وتدبر .. اشعل لفافة دخان مع فنجان القهوة ، وراجع الأوراق ورقة ورقة .. تأكد انها كاملة ، كطلب محامية .. استعاد ماقاله المحامى الأنيق عن الاجراءات التى سيتبعها .. سيرفع دعوى نسب ، قضية ادارية مضمونة ، أو هى اجراء شكلى يحكم فيه القاضى بالنسب الصحيح .

تجاوز الأربعين ، تخرج فى الجامعة وعمل وتزوج وانجب ، ثم يفاجأ بما لايرد فى حسبانه .. حين اخطرته ادارة شئون العاملين بضرورة احضار مستخرج رسمى لشهادة الميلاد ، موضحاً به اسم الأم ، لأن الاسم غير واضح بالشهادة البالية .

فوجىء بموظف السجل يثبت اسم امه بالمستخرج : بدرية على ناصف .. يؤكد له أن اسمها : شفيقة أحمد حسنين .. لكن .. لاحياة لمن تنادى .. يشخص الى وجهه مستغربا .. أيصدقه ويكذب ماهو مكتوب ؟

ـ أنا اعلم بالحقيقة من أوراقك الباردة ..

ـ قد تكون صادقاً ، ولكنى أؤدى واجبى من واقع الأوراق ..

أوراق .. أوراق .. أوراق ..

انهى الموقف قائلاً للموظف بتهكم :

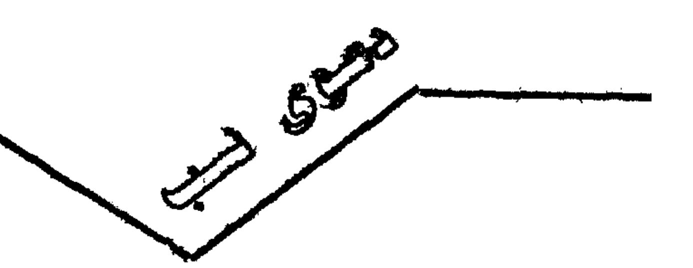
ـ سأحضر امى العجوز لتقول لك أن اسمها شفيقة أحمد حسنين .

ابتسم الموظف فى وقار :

ـ لا تحرجنى .. الاسم كله غير مطابق .

كأنه فى حلم مزعج ، تمنى أن يفيق منه .. لا .. قد وقع فى مأزق مضحك .. اتستطيع أيها الموظف أن تلغى أحاسيس اربعين سنة مضت ؟ انها امى بلحمها وشحمها ، حملتنى وارضعتنى وربتنى .. كافحت مع أبى حتى صرت رجلاً ، لاينكر فضل ابويه .. وتمنى أن





يطبق بكفيه حول رقبة الموظف وينهي المسألة ..

- أريني الدفتر ..

حملق في سطور مكتوبة باهمال ، وأطراف الأوراق قرضها فأر متلصص على أحوال الناس ، فعبث بالنسب والتاريخ والعنوان ، وقرض ما لايعجبه منها ! ثبت أصبعه على اسمه ، ثم حرك أصبعه المرتعشة على نفس السطر ، فقرأ الاسم الخطأ لامه (بدرية على ناصف).. من بدرية ؟ أتزوجتها في السر ؟! ماحكايتك يا أبي ؟..

رجع الى أبيه وخيل اليه أنه يعيش أحداث فيلم مصري قديم ، وتوقع أن تبوح أمه بالسر ، وتصدمه بأنها ليست أمه التي أنجبته !

أفاقه الرجل الجالس بجانبه :

- لو سمحت الجريدة ..

- تفضل ..

- وعاد الى شروده .. ألهذه الورقة قيمة كبيرة ؟ عمل بالمصلحة قرابة العشرين عاما .. أيضيع كفاح العمر من أجل ورقة ناقصة ! عاد الى أمه وردد على مسامعها الاسم الجديد . بدرية على ناصف ..

- تذكري يا أمي .. تذكري جيدا ..

رجعت الأم الى عشرين سنة خلت من عمرها ، منذ أربعين عاما ، ربما أكثر .. حين كانت تعيش في بيت العائلة القديم ، في زقاق ضيق بحي بولاق ..

آه تذكرت يا ابني ، بدرية هذه جارتنا .. وضعت وليدها معي في نفس اليوم ، لكنه لم يعش أسبوعا .. هل كتب اسمها بدل اسمي ؟

صاح في لهفة :

- وجدتها ..

ورجع فرحا الى الموظف جامد الملامح ..

- وجدت حلاً لمشكلتي ، فمنذ أربعين سنة ..

- دنيا .. من ينكر حال الدنيا من أربعين سنة ؟

صاح محتدا :

- الأمر بالغ الحساسية ، أرجو أن تسمعني .. منذ أربعين سنة ، أخطأ الموظف وكتب اسم امرأة أخرى ..

ابتسم مشفقاً ، وقال ينهي المسألة :

- التعليمات صريحة ، بألا أجور بقلمي على السجل .. انه وثيقة هامة ، لا أستطيع أن أراجع فيها شيئا ..

- ماذا ؟ وثيقة ! عجباً لك .. أتفرض عليّ أماً لم تلدني ؟!

تذكرت حين جالس أباه ذات مساء ، وتوسل اليه أن يصارحه بالحقيقة .. نظرات شك من الابن لأبيه :

يجب أن تصارحني .. من بدرية ؟

- أتحاكمني ؟

ثم استرسل نافضاً التراب عن صفحات الماضي البعيد :

- بدرية كانت جارتنا ..

مازال اسم بدرية محفوراً في وجدان أبي العجوز ، وليس مجرد اسم كتب خطأً وسهوا .. أشفق أبوة على حاله وعرض عليه أن يذهب الى الموظف ويفهمه نفسه ..

- لا داعي يا أبي .. انه لايقر بشهادة الشهود ..

انه أشبه بمومياء من موميلوات الفراعين ، ساكت فى مكانه لايغير من الأمر شيئا .. وسجله أشبه بأوراق بردى خلفها قدماء المصريين ، ثم آلت اليه ، فاحتفظ بها وسط هالة من التبجيل والتقديس ..

الجالس بجانبه ، افاقه من شروده يناوله الجريدة شاكرا .. حمل الملف والجريدة ، قاصداً محاميه .. تسلم منه الأوراق وطمأنه الى انها قضية عادية ، ينبغى ألا يشغل نفسه بها .. ومن خلال نظارته السميكة ، قال وبين يديه التوكيل :

– مادام التوكيل معى ، لاتشغل نفسك بشىء .. اجراءات عادية نتابعها نحن المحامين ..

بدا القلق فى نظرات عينيه .. داعبه المحامى متظرفا :

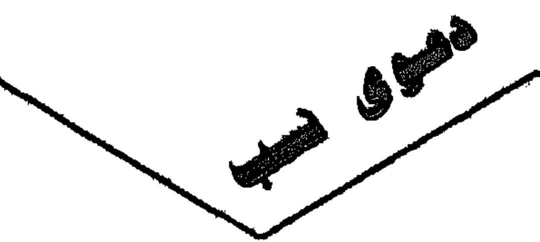
– لماذا سموك « المنسى » ؟

فرد دعابته فى ملل ..

– هذا قدرى ، أن أكون منسيا ..

وهرول الى الطريق عائداً الى بيته .. تسأله الزوجة متعجلة النتائج ، فلم تجد لديه ما يطمئنها بأن الموضوع انتهى .. انتقلت بحديثها الى مصاريف الأولاد وعدم اطاعتهم لما تقول .. فطلب منها أن ترجىء مثل هذه الأمور حتى الصباح .. لكن النوم لم يزر عينيه .. ظل مؤرق الخاطر ، مشتعل الوجدان .. انسحق الى سنى الماضى البعيدة .. ودب الشك فى قلبه ، حتى نادرة المحامى صار لها معنى يلح على ذهنه .. وفى جوف الظلام حيث تغط الزوجة فى نومها .. لاتحرك ساكنا ، إتسعت حدقتا عينيه كأنها تتلمس ملامح صورة الست بدرية .. متى تكون ؟ فيرسم خياله اشباحاً هيلامية ، وحلقات ضوء تتسع وتصغر .. اتعبه التحديق فأغمض عينيه ، فاذا بالاشباح وحلقات* الضوء مازالت ترتسم فى خاطره .. انزعج وقضى ليلته حتى الفجر ينفث دخان اللفائف فى الصالة حتى أعياه السهر ، فنام على كرسيه مرهقاً مكدودا ، حتى افاقه صوت المؤذن فجراً .. وبعد أن صلى ، اعتزم أن ينفذ فكرة راودته .. أن يتجه الى الحى القديم ، الى البيت الذى ولد فيه ببولاق .. والمسافة من (ميت عقبة) الى (بولاق) ليست بعيدة .. اجتازت السيارة نهر النيل المتفرع الى فرعين بيتهما جزيرة (الزمالك) نزل عند مسجد السلطان (أبى العلاء) سار على قدميه يساراً حيث شارع (بولاق الجديد) ، ثم (درب نصر) أخيراً وصل الى (درب شماخ) حيث البيت العريق المبنى منذ اكثر من ستين عاما .. لا أحد يعرفه .. خطاه خطى غريب ! رغم أنه عاش أحلى سنوات الطفولة والصبا هنا .

على الناصية ، كان يوجد محل لبيع عيدان القصب .. وكان يشترى من البائعة قطعة ذات عقلتين أو ثلاثة .. تحول المحل الى معرض يضم العطور والخردوات والمعلبات ولفائف الدخان وأصناف شتى .. وعند وصوله الى بيت الأسرة القديم ، تردد فى الدخول .. يقصد من ؟ من يعرفه هنا ؟ صوت واهن



كأنه صادر من حب عميق :

ـ أهلا يامنسى ..

اتجه الى مصدر الصوت ، فاذا بعجوز أناخ عليها الدهر بكلكله .. شخص اليها مبتسماً ابتسامة صفراء لاتنبىء عن شيء ..

ـ الا تعرفنى ؟

طيب خاطرها ..

ـ الملامح انكرها ..

ـ تفضل يا ابنى ..

دخل حجرتها أو قبوها المظلم ...ردت على تساؤله الأخرس ..

ـ أسكن هنا من زمن ، وحضرت ولادتك ..

انتفض كمن لدغته عقرب .. هاهى تبدأ بيت القصيد ، نهضت تعد قدح الشاى .. انها تعدت السبعين ، اشفق عليها ، وأن تركها تقوم بالواجب .. تملى الحجرة الأرضية الرطبة .. سألت :

ـ كيف حال والدتك ووالدك ؟ بخير ؟ والنبى تبعث لهما بسلامى ..

وردت على صمته ، بكلمات قاطعة كأنها تجيب على أسئلة لم يقلها :

ـ لا تعرفنى ونسيت اسمي .. الا تذكر (أم حمامة) ؟

ـ اهلاً ياحاجة .. ربنا يطيل عمرك .

ـ اكثر من هذا ، غير ممكن ، الوحدة مريرة يا ابنى .. فقدت زوجى من سنين ، وبناتى تزوجن وعشن فى شقق بعيدة .. ابنى سامى يسكن معى فى نفس البيت ، ويسأل عنى من وقت لآخر .. وان كنت اسمع صوت رجله وهو يمر من أمام حجرتى ، متحاشياً السؤال .. المهم يامنسى .. يارجل يا

أمير .. سامى يسأل عنى كل جمعة ..

كاد ينسى ماجاء من اجله .. هاهى أم حمامة تكاد تجيب على سؤاله المخير ، فقد حضرت ولادته .

أين تعيش بدرية ؟

ـ بدرية ؟

صدمه قولها ، ثم هيمتها المغلف بالغموض .. كأنه يسقط من حالق .. امسك بقدح الشاى وصبه فى جوفه .. وتضاحك متصنعا اللامبالاة .

ـ هذا الاسم اذكره .. أصل ياحاجة والدى يردده حين نتذكر البيت القديم .

ـ ربنا يطيل عمره ..

ولانت بالصمت .. الذاكرة تعييها .. لم تعد تتذكر التفاصيل .. واصابتها نوبة (توهان) فنست الماضى .. هكذا خيل اليه ، حينما غيرت الموضوع :

ـ أين تعمل ؟ وكيف حال الاولاد ؟

رد باجابات رتيبة .. ثم عاد يسأل مستفزاً اياها كى تتذكر :

ـ الا تتذكرين بدرية على ناصف ، وأنا ياحاجة أذكرها وأعرفها ؟!

ـ نعم تذكرتها .. كانت ساكنة هنا مع أسرتها .. والدها رجل طيب .

استرجعت العجوز شريط الماضى .. التزمت الصمت لحظات .. بينما يطوف بخيال المنسى شريط آخر حول قصة اختلقها .. من أن اباه كان على علاقة ببدرية ، وكان هو الثمرة .. ثم اختفت بدرية .. ربما قتلها أبوها ، أو تزوجها أبوه فى السر ليكفر عن خطيئته .. ثم طلقها ، وتزوج من جارته الثانية شفيقه ! لابد أن أباه يغالط فى رواية الحقيقة ، وأمه اعتزمت من زمن أن تقر ببنوته ، حفاظاً على ... وصدق خياله .. وتجسد حقيقة ماثلة ، تعجل الأمور ، وصدق هواجسه ، فسأل العجوز .

ـ الا تعرفين أين تسكن ؟

ـ تتحدث عن من ؟

يبدو أن العجوز قد أعياها الحديث ، ولاتقوى على تذكر أية تفاصيل !

ـ عن بدرية .. بدرية على ناصف ..

ـ آه .. بنت على ناصف ، الرجل الطيب ... تزوجها فلاح قريب لها ، وعاشت هنا سنة أو سنتين ، ثم سافرت معه الى دمنهور .. ولم تعد تجىء الى هنا ، لم أرها الا حين مات المرحوم والدها .. كان ذلك من عشرين سنة !

طال حبل الصمت الممدود بينه وبين أم حمامة .. يبدو أن العجوز ملت الحديث ، فلاطفها :

ـ أرجو أن تبعثى بسلامى الى ابنك سامى .. لو كان الوقت متاحاً لزرته ..

ـ كيف حال الست والدتك ؟

ـ الحمد لله .. أتعرفينها ؟

استتقرها السؤال ، فزعقت فيه :

أتظننى نسيت .. مازالت بخير يامنسى .. الحمد لله .. الست أنت ابن شفيقة ؟

فرح بالاجابة التى ردت الروح الهائمة الى جسده ..

ـ نعم .. نعم ... عفواً يا حاجة .. أقصد المزاح

دعوى نسب

معك .. ان شاء الله أزورك مرة ثانية ومعى زوجتى والأولاد والحاجة الوالدة ..

ـ اهلاً بهم ..

ـ سلام عليكم ..

وقفل عائداً الى سكنه ، بعد أن حصل على اجابة أراحته ، وان لم تكن شافية .. لكن العجوز اكدت له أنه ابن شفيقة .. هذا يكفيه ، وليمح من الذاكرة المكدودة ماشاب خياله من اتهام لأبيه ، وتمزق وجدانه بين سيدة ربته هى أمه ، وبين سيدة لايعرف حتى شكلها أو ملامحها .. يتردد بين جوانحه شك فى أن تكون امه التى ولدته !

انطلق من قبو العجوز المظلم المسمى حجرة الى النسيم البارد .. وتنفس الصعداء .. لقد اطمأن الخاطر بعض الشىء .. ولابد من مواجهة أمه وأبيه ، وجهاً لوجه .. انه مجرد باحث عن الحقيقة .. أم يترك نفسه فريسة الوهم ؟ ليدع المحامى يستكمل اجراءاته ، ويستصدر حكماً اداريا بصحة النسب ! لكن الواقع الذى لايزيف .. لابد أن يصل اليه ، مهما كلفه من كد وتعب .

ذهب الى بيت العائلة .. وجلس الى ابيه وأمه ، يسترضيهما ويحكى لهما ماتم من اجراءات لتصحيح الاسم ، وما قاله المحامى.. واغفل ذكر شىء عن رحلته الى بولاق ، الحى القديم .. وتفكه فى القول مع أمه ..

ـ أبوح لك بسر قاله ابى ذات مرة .. انه كان يحب بدرية ..

مصمصت الام شفتيها وهى تسترجع ذكريات الماضى ، وقالت للمنسى ..

ـ ولدتك فى ليلة شتائية ارعدت فيها السماء وابرقت ..

ما أروع الميلاد يا أمى ، حين تؤكدين على حملك لى داخل رحمك .

تنفس الصعداء .. لم يخالجه شك فى كلمات عفوية تنطقها أمه .

هدأ خاطره واستراح .. سكنت زوابع الشك التى أهاجت نفسه .. وعاش أيامه منصرفاً الى أولاده وطلبات زوجته ، وانتظم فى عمله .

وبعد أسابيع قليلة ، اتصل بمحاميه ليعرف منه اخبار القضية ..

ـ صدر حكم بتشكيل لجنة ثلاثية ..

ـ لجنة ...!

قص عليه حديث (لم حمامة) وحديث امه وابيه ، وقال انها أحاديث قطعية تدعم القضية ..

لكن المحامى لم يهتم بتفاصيل ما قال ، واجابه بأنه سيرفع دعوى يسأل فيها المحكمة : متى يتم تشكيل اللجنة ؟ وطمأنه خيرا .. مجرد اجراءات قضائية تستغرق وقتا ، لكن المشكلة ستحل بإذن الله .

وطلب منه الا يشغل نفسه بهذا الموضوع !

باريس :

رجل من القرنين الثالث .. والعشرين

امين معلوف .. كاتب يعشق الحفر في دهاليز التاريخ ..

فبعد ان فتش عن سيرة الرحالة العربي حسن الوزان في روايته "الأسد الافريقي" عام ١٩٨٤ . وأرخ لحياة الشاعر والعلامة الفارسي عمر الخيام في روايته الثانية "سمرقند" .. هاهو ينقب في التاريخ للمرة الثالثة من خلال روايته الجديدة "حدائق الضوء" ..

لم يذهب معلوف هذه المرة الى التاريخ العربي . لكنه توغل في تاريخ مجهول للكثيرين من خلال شخصية ما اسماه ، بالنبي "ماني" الذي عاش في القرن الثالث الميلادي



امين معلوف

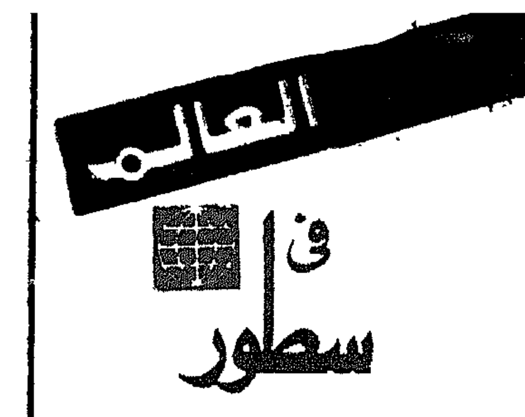
.. وهذه الشخصية ثرية فنيا ، مثل شخصية عمر الخيام ، فهو لم يكن مجرد حكيم ، او نبي ، واجه حكام عصره .. بل كان شاعرا وفيلسوفا وطبيبا .. ورساما .. وكاتبا . ولد في الرابع عشر من ابريل علم ٢١٦ في ميزوبوتامي .

إذن لقد وجد معلوف شخصية ثرية . يمكن لن يعزف عليها الكثير من من الاشكال الدرامية والتي سبق أن كتبها في روايته السابقة "سمرقند" فقد عاش "ماني" سبعة وعشرين عاما . في منطقة تمزقها الصراعات الدينية العرقية والاجتماعية . واعدم في ٧ مايو عام ٢٧٤ في بيت لابات الواقعة الآن على الحدود العراقية الايرانية .

يقول معلوف في حديث اجرته معه مجلة لوبوان ـ ١٨ مارس ١٩٩١ ـ ان العالم عند "ماني" قد جاء ومن جانبين هامين الاول عالم النور والثاني هو عالم الظلمات . في البدء كان هناك النور والظلمة ثم بدا الاثنان يمتزجان معا بدرجات مختلفة . وبأساليب متباينة . ومن هذا المزيج ولدت كل المخلوقات الانسان والحيوان . والطبيعة والجسم المقدس . وكل هذه الاشياء ذاهبة في النهاية الى الظلمات والنور ..

ويقول معلوف أن "ماني" عاش في فترة ، كان يسيطر على العالم اربع امبراطوريات الأولى هي الحبشة . ثم الصين وروما وفارس التي كان يحكمها شهبور . اقوى رجال القرن الثالث الميلادي . وقد شهد في العصر مواجهة كبرى بين ماني وبين شهبور ورجاله خاصة الى الماجوسي الاكبر كيردير .

ويرى معلوف ان العالم لم يتغير كثيرا بين القرن الثالث وبين القرن العشرين فهذه المنطقة قد عرفت العديد من المشاكل الاقتصادية والسياسية . والامبراطورية في القرن الثالث . والصراع بين الرومان والفرس . وأيضا



الصراعات الدينية بين المجوس والمسيحيين فى تلك السنوات وبعد اعدام مانى بسنوات قليلة أصبحت المسيحية الديانة الرسمية فى روما على ايدى قسطنين الاكبر. وفى تلك السنوات أيضا ، كما يقول معلوف ، لم يكن الناس يحسون بالرضاء .. أما القرن العشرون . فترى هل يختلف كثيرا عما حدث قبل سبعة عشر قرنا .. الإجابة بالنفى طبعا ..

بلجراد :

وقائع سنوات الحرب "زمن الشر" "الصياد والهرطقى" و"المؤمن" عناوين ثلاثة كتب دوربيستاشوستيش



صدرت أخيرا للكاتب اليوغسلافى "دوربتساسوسيتش" ٧٠ عاما أحد أعمدة الأدب الحديث فى منطقة البلقان . والذى بدأ حياته الأدبية قبل أربعين عاما من خلال ثلاثية روائية عرفت تحت عنوان "زمن الموت" ثم صدرت له ثلاثية اخرى ، تحمل عنوان "انقسامات" ثم ها هى ثلاثيته الجديدة التى يؤكد النقاد أنها واحدة من أهم الروايات فى القرن العشرين .

جاءت أهمية الكاتب أنه اعتبر فى فترة المد الاشتراكى واحدا من ابرز الكتاب الاشتراكيين فى يوغسلافيا . فهو عضو بارز فى الحزب الرسمى فى الصرب .

بدأ دروبتسا حياته كفلاح فقير يعانى الكثير من اجل توفير لقمة العيش . وفتح عينيه على الفارق الهائل بين الاغنياء والفقراء . ثم اتجه للكتابة . ويقول انه اتجه الى كتابة ما يسمى بالرواية النهرية ، وهى رواية ضخمة الحجم تتناول حياة كاملة لاسرة كثيرة الابناء ، وذلك لانها تعبر عن الاحداث الضخمة فى يوغسلافيا تحت حكم الزعيم تيتو وايضا ماشهدته يوغسلافيا من وقائع فى سنوات الحرب .

وعن وقائع هذه الحرب تدور أحداث ثلاثيته الأخيرة "زمن الحرب" تبدأ ذات ليلة عام ١٩٣٩ فى بلجراد من خلال مجموعة من المناضلين المعجبين بستالين . ويقول الكاتب : "اخترت أن افتتح الرواية بواقعية شاعرية وحساسة فالاشخاص يجهلون مصائرهم . وهم يعملون فى الظل . ويتخيلون أنهم سوف ينقذون العالم . وفى أخر صفحة من الثلاثية . فإن كاتيك يحتضر وهو يترك خلفه بابا يطل على الفراغ .

والرواية حول اسرة كاتيك الذى اطلق الجنود النيران على ابيه وهناك عاشقان يتعرضان للمتاعب مع رجال الجستابو الذين احتلوا منطقة الصرب .

وزمن الشر عند الكاتب هو سنوات الحرب العالمية الثانية التى مات فيها الكثير من ابناء يوغسلافيا مذبوحين . ثم هو ايضا زمن الحرب الأهلية والحرب الدينية والعرقية «حاولت ان اصف ماحدث فى واحدة من الثورات العالمية الحديثة» .

ويقول الكاتب أن وقائع هذه الرواية حقيقية وإنه كمبدع لم يقبل شيئا سوى تسجيل هذا الواقع وإنما هكذا اصبحت شاهدا على مايحدث فى يوغسلافيا .

بروكسل

أوراق الماضى المتناثرة

فى عام ١٩٨٣ ، فوجىء بعض الزائرين للمتحف الرومانى بالاسكندرية . بسيدة عجوز ، تدخل المتحف . وتتفحص المقتنيات بعينين فاحصتين . وتدون بعض الملحوظات . وتلتقط الصور .. ثم غادرت المتحف .. وتوجهت لتوها الى السفينة الراسية على الميناء .. كى تستكمل رحلتها فى منطقة البحر المتوسط ..

فى تلك الفترة ، كانت الكاتبة مرجريت يورسنار (١٩٠٢ - ١٩٨٧) ملء الابصار والأسماع فى كل انحاء العالم ، منذ اختيرت كأول سيدة عضو فى الاكاديمية الفرنسية .. لقد قامت مرجريت بجولة طويلة ، وسط احتفالات الناس بهذه المناسبة لدراسة جوانب مجهولة من التاريخ الاغريقى والرومانى ، ويبدو أن الكاتبة قد دونت يومياتها فى منطقة الشرق الأوسط فى يومياتها الخاصة ، حيث عثرت دارجليمار على هذه الأوراق ونشرتها اخيرا تحت عنوان «برج السجن» ..

قد يكون الامر غريبا على امرأة فى الخامسة والثمانين ان تقوم بمثل هذه الجولة الشاقة . لكن الامر ليس غريبا على مرجريت يورسنار بالذات . فهى عاشقة متيمة بالتاريخ الرومانى . كتبت عنه الكثير من الدراسات والروايات . وترجمت الكثير من الاعمال الابداعية والاغريقية والرومانية الى اللغتين الانجليزية والفرنسية .

وفى يومياتها تقول الكاتبة انها كانت مستعدة ان تذهب الى اطراف العالم من أجل البحث عن باشو احدى الشخصيات الهامة فى التاريخ الاغريقى . لقد سجن باشو فى احدى القلاع ، وعاش هناك حالة من النقاء الخاصة جعلته يكتب واحدا من الكتب الفلسفية التى ضاعت اصولها ..

سبق أن تتبعت



مرجريت يورسنار

مرجريت يورسنار حياة الفيلسوف زينون ، وصاغتها فى رواية هامة تحمل عنوان «العمل فى الظلام» والتى تحولت فى عام ١٩٨٨ الى فيلم اخرجه اندريه ريلتر . وعرضت فى مهرجان كان من نفس العام ..

تقول الكاتبة آن بونس فى مجلة الاكسبريس - ١٥ مارس ١٩٩١ - ان مرجريت يورسنار قد علقت على تدوين هذه اليوميات بين عامى ١٩٨٣ و١٩٨٧ . وانها لم تكن متفرغة تماما لها . فقد انتهت من تأليف أربعة كتب أخرى .. ولكنها كانت تعود بين آن وآخر الى عالم باشو الشاعر الضال وكأنها تستعد لتأليف رواية ضخمة عنه ..

حدث كل هذا والكاتبة فى الثامنة والخمسين من عمرها .. واديها الاحساس انها سوف تكتب وتكتب

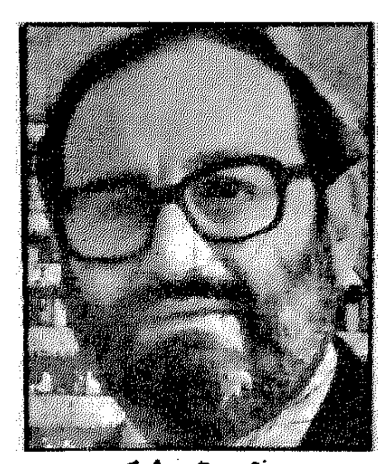
وانها لن تتوقف عن الكتابة يوما .. ويتوقع النقاد ان يتم العثور على اوراق هامة اخرى سجلتها الكاتبة بين اوراقها الخاصة .

عواصم غربية عديدة

وقت للاجازات ووقت للقراءة

عانت دور النشر العالمية كثيرا من قلة توزيع الكتب الادبية والابداعية أثناء أحداث الخليج . خاصة أن هذه الأحداث تلازمت مع موسم الجوائز الادبية من ناحية ، ومع موسم القراءة بشكل عام ..

وبينما هبطت أرقام التوزيع لاغلب الكتب الفائزة بالجوائز الادبية فى انحاء متعددة من العالم ، فإن توزيع الصحف والمجلات قد غطى تماما على توزيع الكتب الادبية .


امبرتو ايكو

وما إن انتهت حرب الخليج ، حتى بدأ الناشرون يراهنون على عناوين كتب جديدة موجودة فى المطابع باعتبار ان الناس تنتظر دائما كل ماهو جديد . ولذا راح الناشرون يؤكدون أن المرحلة القادمة افضل ويعدون قراءهم بعناوين متميزة فى الشهور القادمة ..

من بين الكتب المنتظر صدورها فى الاسابيع والشهور القادمة . والمتوقع أن تعوض الناشرين عن خسارتهم فى حرب موسم الخليج . رواية " المسافر السرى" للكاتب البريطانى جون لوكاريه . اشهر من كتب روايات التجسس فى القرن العشرين . أما الروائى الفرنسى المعروف باتريك موديانو فسوف تنشر له رواية "زهور الاطلال" ويبدو أنه سوف يستكمل فيها مسيرته فى الغوص داخل صندوق ذكرياته المتدفق .

وفى الولايات المتحدة تستعد المطابع لاصدار ثلاث روايات لكل من ويليام بويد تحت عنوان اشاطىء برازاڤيل" وجون ارفنج تحت عنوان "حرية الذئاب" .. وستيفن كنج .. "ذكريات" .

وفى رومانيا سوف تصدر رواية جديدة من خلال سيرة ذاتية حول الديكتاتور السابق شاوشيسكو من تأليف ادوار دبير .

وفى الصين يصدر الكاتب لوسيان بودار ، الذى يعيش فى فرنسا منذ أمد طويل كتابا عن مجلة ماوتس تونج المعروفة بأنها زعيمة عصابة الأربعة تحت عنوان "السيدة ماو" .

وفى المانيا عثر على بعض الأوراق الخاصة بالكاتب توماس برنارد ، مات عام ١٩٨٩ ، تحت عنوان "البديل" وهى عبارة عن مجموعة قصص كتبها برنارد الذى عاش طريح الفراش ، اكثر من ثلاثين عاما ..

وفى جاميكا يقدم

الكاتب ف . س نابيول ، الهندى الأصل روايته الجديدة ، "رجال من قش" وكتابا أخر يحمل عنوان "لغز الوصول" .

أما ايطاليا فإنها تستعد برواية جديدة للكاتب المعروف أمبرتو ايكو صاحب "اسم الوردة" وحتى الآن لم يعلن عن اسم هذه المفاجأة .. كما أن هناك محاولة لطباعة جديدة لرواية "العالم ينقذه الاقزام" التى كتبتها السامورانته عام ١٩٦٨ .. وهى واحدة من أهم الكاتبات فى ايطاليا . تزوجت من البرتو مورافيا لسنوات . وماتت فى عام ١٩٨٥ .

بهذا سوف ينتقل موسم القراءة الحقيقى من الخريف والشتاء ، ربما لأول مرة الى الصيف ، حيث من المعروف أن الناس فى بلاد عديدة ، يتعاملون مع القراءة بشكل جدى .. وليس على سبيل التسلية .. وقضاء وقت الفراغ .. فهناك وقت للاجازات . ووقت للقراءة .

وما شابه اباه ..

ابن الوز غالبا مايكون عواما ..

وفى عالم الابداع ، ففى بعض الاحيان يكون ابن الكاتب مبدعا مثله .. ربما يفوقه شهرة وقد يظل يحاول أن يطال اباه فى شموخه .. لكنه لا يحتفظ من هذا الاب سوى اسمه ..

وفى أغلب الاحيان ، فإنه قليلا مايقوم الابناء بالكتابة عن هؤلاء الاباء .. ليس بالطبع مقالات او اشارات فى كتاباتهم . بل كتبا ضخمة وخاصة ابداعات .. وليس هناك تفسير محدد لهذه الظاهرة .. هل هو سباق المشاعل الذى سينتظر فيه الجيل الجديد دائما للامام ، دون الالتفاف للخلف ، أم أن الكاتب الابن يحاول أن يؤكد أن :

"حق الفتى من لايقول كان ابى لكن يقول هاانذا" .

الكاتب الفرنسى الايطالى الاصل ، دومنيك فرنانديز ، الفائز بجائزة جونكور علم ١٩٨٣ ، كسر هذه القاعدة ، حين نشر فى الشهر الماضى رواية ضخمة تحمل عنوان "مدرسة الجنوب" عن ابيه الكاتب رامون فرناندیز الذى تمتع بشهرة لابأس بها فى النصف الأول من القرن العشرين ..

تجىء أهمية هذه الظاهرة فى أن فرنانديز كتب عملا ابداعيا عن ابيه فى خمسمائة صفحة تقريبا . تابع فيها مسيرة ابيه منذ ميلاده فى عام ١٨٩٤ وحتى وفاته فى اوائل الخمسينات .

ويقول فرنانديز ان اباه ينحدر من اصل مكسيكى وأن أمه فرنسية . وقد عاشت الأسرة سنوات طويلة فى ايطاليا تبعا لعمل عائلها كدبلوماسى . وبعد رحيل الأب . عاش رامون سنوات فى مدينة صقلية . وهى نفس المدينة التى ولد بها ايضا ابنه دومنيك فيما بعد .

ويرى الابن أن هذا التنقل . قد أكسب رامون ، خصوبة فى التجربة الانسانية . وجعله يشعر كأنه شجرة راسخة فى ارض وقد أطلقت فى الجو العديد من الافرع المزهرة ..

رامون فيرنانديز





محمود مختار

فنان مصر القومى

بقلم : د. صبرى منصور

يظل محمود مختار مثال مصر العظيم ظاهرة فذة في تاريخنا الفني والثقافي الحديث ، ليس لانه فقط يعد باعث فن النحت المصرى المعاصر ، واول مثال مصرى صميم يتناول الازميل منذ عصر الفراعنة ، ولكن لانه ايضا ـ رغم هذه الريادة وفضل السبق ـ استطاع خلال حياة فنية قصيرة ان يهدى لبلده قيمة ثقافية وفنية رفيعة المستوى ، حتى لنستطيع ان نزعم انه وبعد مرور اكثر من نصف قرن على رحيله ، فإن احدا لم يتجاوز عظمة ابداعه ونبوغ فنه .

● المــيلاد ●

ومثله مثل زعامات مصــر ورواد نهضتها الفكرية والادبية ، كان مولده فى ريف مصــر الأصيل ، وفى قرية نشا من قرى مدينة المنصورة ، وعلى ضفاف ترعتها تعلمت يداه كيف يصوغ من طينها اشكاله الأولى ، وامتلأت عيناه بمشاهد الريف والطبيعة المصــرية فى انقى مظاهرها ، وترسبت فى وعيه العناصر التى ظلت محور اعماله ، وكانت الفلاحة المصــرية هى ملهمته الاولى والدائمة لمــوضــوعــات شتى ـ نهضة مصــر ـ الخماسين ـ بائعة الجبن ـ نحو الحبيب ـ الفلاحة تملأ البلاص ـ عند لقاء الرجل ـ العودة من النهر ـ حارس الحقول ـ عروس النيل ـ مناجاة الحب ـ الفلاحة ـ العودة من السوق .

وفى الوقت الذى كانت فيه اسرة مختار تعده للدراسة فى الازهر الشريف كعهد الاسر المصــرية فى ذلك الحين ، فان القدر يشاء له ان يكون اول طالب مصــرى يلتحق بمدرسة الفنون الجميلة التى انشئت عام ١٩٠٨ ، وتجذب موهبته انتباه مديرها الفرنسى المثال " لابلانى " الذى يزكيه لدى مؤسس المدرسة وراعيها الامير يوسف كمال ، فيوفده الامير لاستكمال دراسته فى باريس حيث تبدأ هناك مرحلة جديدة من حياته الابداعية .

● مختار فى باريس ●

اتيح لمختار ان يصقل موهبته ويشحذ ملكته الفنية فى بلد الفن والنور ، ومن خلال زياراته الدعوية لمعارضها ومتاحفها العديدة ، واختلاطه بالفنانين والمثقفين استطاع ان ينمّى حسه الجمالى ويرتقع بمستوى اداته الفنى ، وان يلم بدقائق وخفايا فن النحت ، ولقد واجه مختار صعوبات قاسية فى تدبير معيشته بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى وفقدانه مورد رزقه ، مما اضطره لامتهان اعمال متواضعة لكسب لقمة العيش ، الى ان استطاع ، تقديرا لنبوغه ـ ان يحصل على وظيفة مدير فنى لمتحف مدينة جريفان وهو موقع لايحظى به فى باريس الا النابهون والمرموقون .

واستمر مختار محافظا على التقاليد الفنية التى اتصل بها اثناء دراسته للفنون الجميلة فى مصــر ، تلك التقاليد التى تنتمى لتيار المدرسة الفرنسية التقليدية فى فن النحت ، وكان مثلها الاعلى هو الفن الاغريقى مع الالتزام بالواقع المرئى ، ففى باريس تتلمذ على المثال " كوتان " وكان من اصحاب النزعة التقليدية ، ومع ذلك فقد اثرت فيه اعمال كبار النحاتين الفرنسيين وعلى راسهم المثال الشهير " رودان " الذى كان قد وصل فى تلك الاثناء الى قمة انتاجه الفنى .. ومع ذلك فإن مختار لم يكن بعيدا كل البعد عن التيارات الجديدة فى الفن التى كانت تســود باريس حيــنــذاك ، فالســاحــة التشكيلية تمتلىء بنزعــات التجديــد والتحديث .. والرغبة فى تحطيم كل ما هو تقليدى ثابت .. لكن فناننا كان صادقا واميناً مع نفسه ، فلم ينجرف تحت لواء اية نزعة ، وانما كان يبحث عن نفسه ، ويحقق اسلوبه الفنى الذى جمع بين رقة المدرسة الفنية التقليدية وقوة الكتلة ورصانتها فى الفن الفرعونى .

● نهضة مصــر ●

وفى تلك الفترة كانت مصــر تعيش جوا

محمود مختار

مفعما بالثورة والامل فى ميلاد جديد ، والجماهير تحلم بالاستقلال والحرية ، ومختار الذى كان منذ شبابه المبكر واثناء دراسته فى مصـر طالبا ثائرا مهتما بشئون الوطن ، مشاركا فى المظاهرات التى يملأ هتافها سماء القاهرة من اجل المطالبة بالدستور والحريات ، لم يكن بعيدا عن روح بلاده ، فقد كانت اثناء وجوده فى باريس تشغل عقله وتملأ قلبه ، وهو فى لقاءاته مع زملائه من الدارسين المصريين يشعر بالحاجة الى التغيير والى صنع الميلاد الجديد لوطنه .. فى تلك الاثناء واتته الفكرة الاولى لتمثال نهضة مصـر ، فكان نقطة التحول الفنية الرئيسية فى حياته ، وكانت بداية مرحلة جديدة فى اتجاهه ، فلقد اقترب فى التمثال من تحقيق ذاته حين تحلل من تعاليم المدرسة الكلاسيكية ، وتوجه نحو فن بلاده القديم يستقى منه عناصر البعث الجديد .. ولقد عكست فكرة التمثال اليقظة القومية السائدة التى اشعلها الادباء المفكرون فى العشرينات ، ويمكن اعتباره تجسيدا ممتازا للفكر القومى السائد .. وقد استمد عناصر التمثال من الطبيعة الريفية الصميمة ممثلة فى الفلاحة المتطلعة ، ومن التاريخ المصـرى القديم ممثلا فى ابى الهول .. وفى جزء من نشيد وضعه مصطفى صادق الرافعى عام ١٩٢٠ يمكن لنا ان نلحظ بعض الصورة التى كانت تملأ وعى المثقفين حينذاك والتى جاء تمثال نهضة مصـر اصدق تعبير عنها .

رسا ابوالهول ركينا ربض
ربضة جبارة على الارض قبض
فالفزع الاكبر يوما لو نبض

ونفذ مختار تمثال نهضة مصـر من الرخام ، وشارك فى المعرض الفنى العام فى باريس حيث حاز على اعجاب النقاد وتقدير الجمهور .. وحين شاهد الوفد المصـرى التمثال فى باريس تبنوا فكرة الدعوة لاقامته فى مصـر . وبدأ اصحاب الاقلام الادبية والصحفية نشر المقالات التى يدعون فيها لاكتتاب الامة فى اقامة التمثال . فكانت كتابات امين الرافعى ، وواصف غالى ، وويصا واصف ، وحافظ عفيفى ، وربما كانت تلك هى المرة الاولى والاخيرة التى يلتف فيها رجال الادب والفكر والسياسة ومثقفو الامة حول عمل فنى باعتباره تجسيدا حيا عن وجدان البلاد ، ومعبرا عن تطلعاتها القومية .

وحين يعود مختار الى مصـر فانها تستقبله بكل التقدير والعرفان ، ويصبح حديث المنتديات والصحافة ، ويطلق عليه لقب النابغة ، ثم تجد فكرة الاكتتاب لاقامة تمثال نهضة مصـر صدى واسعا ، وترحيبا شديدا من فئات عديدة . ولنا ان نعجب اليوم حين نجد انه كان من بين تلك الفئات - الى جانب المثقفين - صغار العمال والبسطاء ورجال الدين ، وبهذا حقق العمل الفنى فى لحظة نادرة الحدوث وحدة الشعب حول الفكرة القومية التى يمثلها اصدق تمثيل .

واستجابة لرغبة الشعب ، وافقت الحكومة على اقامة التمثال بمدخل مدينة القاهرة وشاركت فى نفقات اقامته . وحين يتجه مختار لتنفيذ تمثاله من حجر الجرانيت الصعب الذى ابدع منه قدماء المصريين آثارهم



محمود مختار

الخالدة فان في هذا الاختيار دلالة لاتخفى على احد ، فهو برهان على استمرارية الابداع وتواصل العطاء ، ورغبة في الاتصال بالماضي العظيم .

ويقابل مختار اثناء تنفيذ التمثال صعوبات مالية عديدة ، وتعاقبت عليه وزارات عدلى يكن وثروت باشا وسعد زغلول ، وهو يعمل في عزم واصرار ، فلقد كان يرى في التمثال رسالة قومية عليه ان يتمها على أحسن وجه " الفن قوة قومية ، وكل قومية تتطلب من فنها ان يعبر بوضوح عن مميزاتها وخصائصها " .

الراحة لمختار .



وبعد حوالى ثمانى سنوات هى ازهى سنوات العمر ، يزيح الملك فؤاد في ٢٠ مايو عام ١٩٢٨ الستار عن تمثال نهضة مصر ـ وقد اقيم في ميدان المحطة ـ في احتفال مهيب ، يلقى فيه رئيس الوزراء خطاب الدولة ، ويتسابق فيه الشعراء للاشادة بهذا الاثر الخالد .

● جماعة الخيال ●

ولم يكن مختار مجرد فنان مشغول فقط بخبايا فن النحت ، ولكنه كما اشرنا كان ممتلئا بالوطنية ، حتى لقد سجن في شبابه عند مشاركته في احدى المظاهرات المطالبة بالدستور ، كما كان في نفس الوقت متطلعا لخدمة القضايا الثقافية ، وعاملاً من عوامل الدعوة للتغيير والتقدم الاجتماعى ، وهو يسلك كل السبل المؤدية الى تشييد دعائم النهضة الفنية الحديثة ، ويجاهد في سبيل نشر افكاره التقدمية ، ومن اجل العمل العام وخدمة الحياة الثقافية ، يلتقى مع رفاقه من محبى الفن الذين جمعتهم فكرة الفن القومى ، وتكونت منهم جمعية الخيال التى رأسها وانضم اليهم مجموعة من الفنانين المصريين والاجانب مثل راغب عياد ومحمود سعيد وشاروبيم ومارثان واينوشنتى ، واتخذوا من احياء الفن المصرى ونشره بين الجماهير رسالة لهم ، عن طريق التعليم ووسائل الدعاية واقامة المعارض المصرية في الخارج ، وكان من رأى مختار انه :

" يجب ان يتساند الكل في احياء

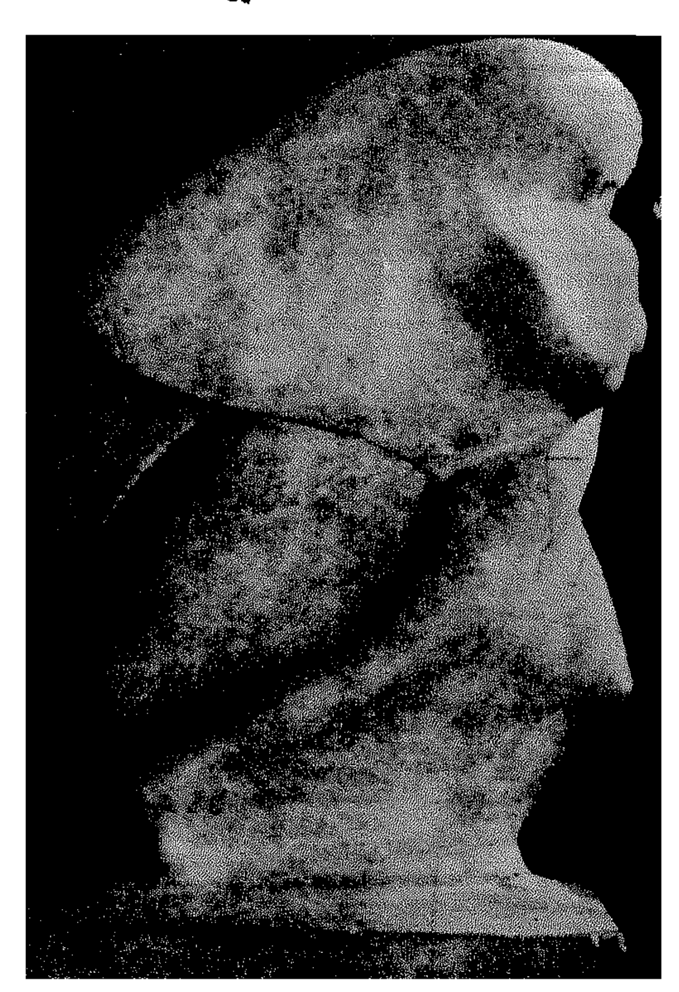
النهضة الثقافية للشعب ، ولايخفى عليك اهمية الفن فى حياة البشر " .

والتف حول جماعة الخيال مجموعة من رجال الفكر والادب ، وامتلأت مقالات هيكل والمازنى والعقاد والاديبة مىّ بالدعاية لاعضاء الجماعة والتبشير بفنهم ، واقيم المعرض الاول لجماعة الخيال عام ١٩٢٧ ، لكنها لاتعمر طويلا برحيل زعيمها مرة اخرى الى باريس .

● تماثيل مختار فى باريس ●

وفى عام ١٩٣٠ يقام لاعمال مختار معرض هام فى قاعة برنهيم يضم معظم انتاجه الفنى ليكون محل تقدير واعتراف بالفن المصرى ، بل وتقتنى الحكومة

الخماسين .



الفرنسية احد اعماله " عروس النيل " لتضمه لمقتنيات متحف " جى دى بوم " بقصر التويللرى الى جانب اعمال اخرى تمثل المذاهب الفنية المختلفة ، ويشيد النقاد باعمال مختار كطليعة مبشرة بفن مصرى جديد ، ويكتب احد النقاد .

" ان هذا المثال الشاب يمثل باسلوب نبيل - فى دائرة الفن البنائى العظيم الدلالة - اولئك الفتيات الفلاحات فى بلاده ، ذوات المشية المملوءة جلالا ، واللواتى يحملن اوانى اللبن فوق رءوسهن ، ويسرن بها فى خطو منتظم ، فهو على ذلك رجل العصر الحاضر الذى يروض الحياة المحيطة ويختزلها فى اشكال محددة ، وهو فى الوقت نفسه سليل فنانى العصور القديمة والقرون الوسطى ، ومختار ليس مثالا خارجا على جنسه بل هو على العكس مصرى صميم المصرية ، ينتسب الى اقوى الاصول ، وينحدر من قومية صحيحة ناصعة .

● تمثالا سعد زغلول ●

وبعد فترة من وفاة زعيم الامة سعد زغلول ، استقر رأى الحكومة المصرية على تخليد الزعيم باقامة تمثالين له ، ويستدعى محمود مختار من باريس فيعود الى الوطن عام ١٩٣٠ ، فقد كان سعد بالنسبة له ليس مجرد انسان عادى ، بل هو زعيم امة ورمز لكفاحها وطموحها الحضارى ، لهذا فان مختار يتناول تخليده ، كرمز وطنى ، فتمثاله فى الاسكندرية جاء معبرا عن العزم والارادة ، حين مثله مختار فى وضع يمثل القوة والتقدم لتحطيم القيود ، وفى التمثال الذى ينصب فى القاهرة فان الوقفة

محمود مختار

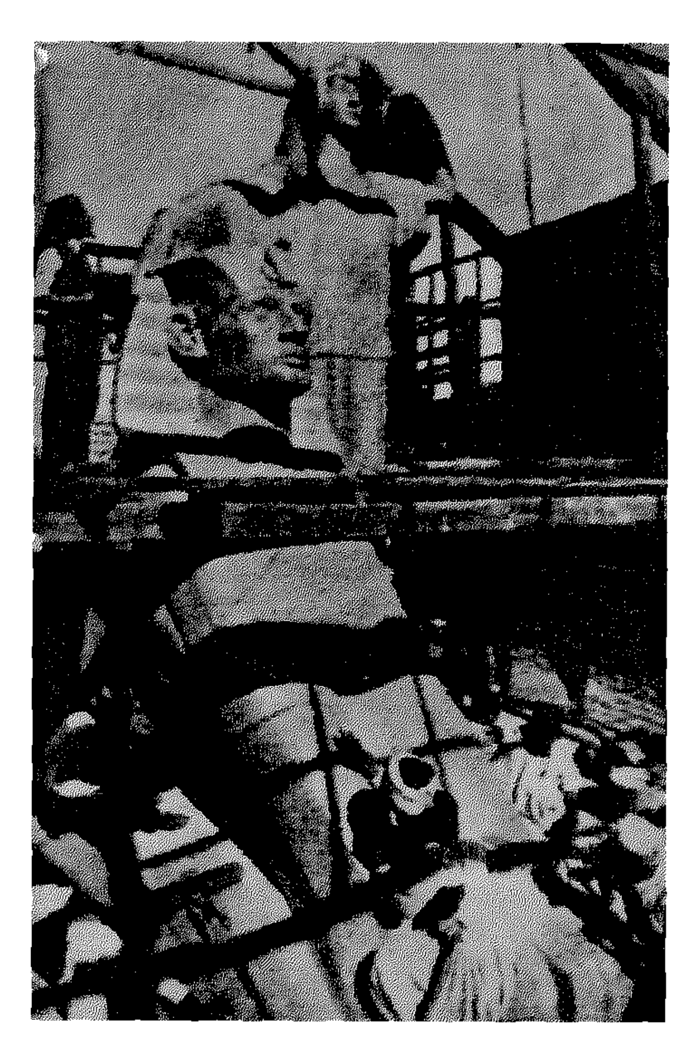
الشامخة واليد المرفوعة نحو مطالع الطريق تبدو كإيماءة البعث والانتصار ، كما ان فيها مباركة للجماهير التى ارتبطت به وارتبط بها فى فترة غالية من فترات الكفاح الوطنى .. ويصوغ مختار تمثالى الزعيم من حجر الجرانيت المصرى الصميم ـ الذى سبق وان نفذ منه تمثال نهضة مصر ـ بحلول فنية تتسم بالقوة والتبسيط ، وتذكر بجلال الفن المصرى القديم .

● الخماسين ●

واذا كان تمثال نهضة مصر هو دعامة فن مختار ونقطة انطلاقه نحو فن بلاده ، فإن تمثال الخماسين يعد قمة تطوره ، وذروة ابداعه ، واثراً فذا من اثار الفن المصرى الحديث قل أن نجد له نظيراً ، فالكتلة المتماثلة المندفعة للامام قد صيغت بحساسية فائقة ، وتقدم نموذجا رفيع المستوى على امكانية التعبير الفنى المستقل ، المرتبط بروح البلاد . وتحمل عبقا من تاريخها ، وهى تعطى الدلالة المباشرة للتمثال من مجرد مقاومة امرأة لرياح الخماسين ، لتشى بمعان اوسع وارحب ، تمتد لتشمل كل انواع الكفاح ومصارعة الاقدار .

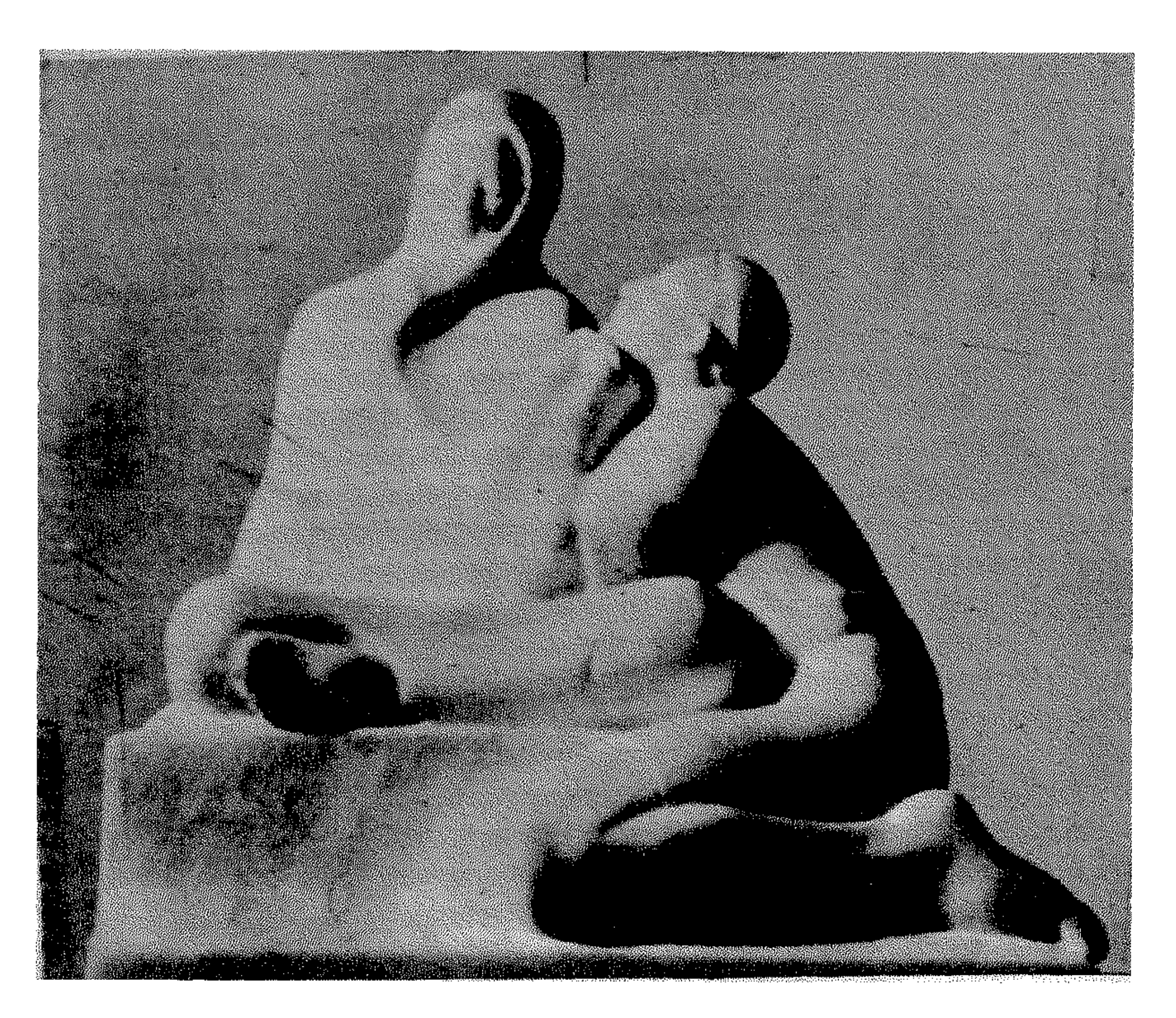
● مختار رائد من رواد البعث الثقافى ●

لقد كان مختار صاحب رؤية ثقافية واجتماعية وسياسية ، وداعية ليقظة الوعى القومى مجسدا لحساسية الامة ،



نهضة مصر

وهو قد عاش فترة من ازهى فترات يقظة الوعى بعد طول غياب ، وعلى المستوى الفنى ، رغم حياة قصيرة ـ استطاع ان يكون امتدادا اصيلا وصادقا لروائع الاعمال التى تشكل تراثنا الفنى ، وانتقل بفن النحت من قاعات المعارض والقصور الى الميادين العامة وان يربطه بالقضايا الوطنية .. وقد تنبه وهو اول من ارتاد الطريق ـ الى ان الفن يجب ان تستمد ملامحه من روافد التراث الى جانب البيئة المحيطة والملامح العصرية ، وانتاجه فى شموخه لا يقل فى نظرنا عن الاعمال الفنية الخالدة لرواد النهضة الثقافية المصرية امثال سيد درويش وطه حسين واحمد



مناجاة ابيض : من اعمال الفنان مختار

شوقى ، وليس من الغريب على مثقفى الفترة التى عاشها مختار ان يضعوه فى المكانة اللائقة به ، فقد كانوا مثقفين حقا وصدقا ، وهل هناك كلمات تقال عن مختار واثره وقيمته ابلغ من كلمات عميد الادب العربى طه حسين .

"انه من العسير على شباب اليوم ان يتصور ما استولى علينا من دهشة ومن عجب عندما بدأ الحديث عن مختار ، فنحن وان كنا قد اخذنا الان نتحدث عن الفن وندرسه وننظم له المعارض ، ونناقش ونصدر الاحكام ، الا ان امور الفن كانت غريبة من قبل على الشباب ، لقد كان مختار معجزة ادهشتنا حتى اسميناه النابغة ، وعلى شباب اليوم ان يعلموا تماما انه اذا كان الفن الان شيئا معترفا به تشجعه السلطات الرسمية ، فإننا ندين بذلك لمختار ولن ينسى له هذا الفضل احد " .

ولكن يبدو لنا اليوم ان طه حسين كان متفائلا اكثر مما يجب ، فلقد مرت السنون ، وتاه عن وعى المصريين محمود مختار ، فقل مايتذكروه ، ونادرا مايحتفى باعماله ، ولولا جهد اسرته ما اقيم متحفه الحالى بالجزيرة ، ولم يصدر حتى اليوم الكتاب اللائق بعظمة فنه ، ولم تجد اعماله الرائعة السبيل الى نفوس الشعب الذى من اجله ابدع ، ومن ملامحه صاغ تماثيله التى تعد بحق مفخرة فنية للمصريين فى العصر الحديث .



• مسرح •

ثمن الغربة

بقلم: فوزية مهران

هذه مسرحية
مونودراما موحية ومؤثرة

نسافر وراء الرزق والمال .. وأدوات الحياة العصرية وتلقى الفتات - لعندما تحيط بنا .. تخفض من أجورنا .. تنقص من أقدارنا - نخلف وراءنا أهم ما لدينا .. نهجر الأرض والأحباء وصغارنا .. نفقد التوازن - تدور فى دوامة مضنية - وتظل الأخطار محدقة بنا .

تلهث .. نقتر على أنفسنا - كى نبنى بيتا .. نقيم سقفا .. نحضر أجهزة كهربائية .. وتجرفنا الدوامة .. نغوص ولا أمل فى الخروج - فى العودة - وتتقطع بنا أسباب المحبة والمودة .

وقد لا نعود أبدا .. ربما نرجع نعوشا طائرة .. أو صناديق مثقوبة - نترك من خلفنا ذرية ضعافا .. ونساء موءودة .. وقوما بورا .

الكاتبة "ليلى عبد الباسط" والفنانة "مديحة حمدى" والمخرج "زوسر مرزوق" قدموا لنا وثيقة فنية تاريخية مبدعة .

صرخة « بدرية » الفلاحة المصرية تطلقها المؤلفة بحسها الدافىء وكيانها الملتحم بمشكلات مجتمعها . وتجىء ملائمة لروح العصر وهى أكثر من عذابات خاصة وأكبر من مجرد نقد اجتماعى .

هكذا تلقاها الفنان زوسر - جاءته صرخة جامعة (من عمق الجراح وأرض مصر الطيبة) وصدرها لنا وثيقة احتجاج ودفاع عن حق البسطاء فى حياة عادلة ومستوى إنسانى لائق من العيش .

بدرية هى غالبية النساء .. غاب عنهن الرجال فى رحلة نفطية سوداء (هل تساوى أدوات العصر ومفرداته السحرية أو حتى لقمة العيش كل هذا الهوان ؟)

وهل ضاقت بنا الأرض بما رحبت .. حتى لانجد طعاما .. أو قرارا إلا عن طريق هذا الانتحار الجماعى ! .

المهم وجدت الكاتبة فى هذه الأحداث المعاصرة مادة أولية جذابة وهامة .. عروس ريفية يسافر عنها زوجها - يحدث ذلك كثيرا فى الريف والمدن وبين أزقة العاصمة وأنحائها المترفة .

كزوجة تعانى من البعاد والهجر - غاب عنها ثمان سنوات - وكإنسانة تشكو



لقطة من مسرحية « ثمن الغربة »

الوحدة والقهر وضغط الظروف المحيطة وجشع الناس والسحلر العلم - كأنها لقمة سائغة للافتراس دائما - حددت ليلى عبد الباسط ثالوث الغربة المضنية - البعاد عن الأرض والحبيبة والولد - الغربة الشوهاء غير المنتظمة والتي يلقى الفرد فيها مصيره دون ثمن أو احتلم أو تملص .

ثالوث الغربة والفزع - عندما يلفظك رحم الوطن .. وتهجر حبيبتك .. ولا تعرف وجه وليدك - ماذا تبقى لك من الانتماء .. ومن الإنسانية ومن دورة الحياة الطبيعية .

• • •

تبدأ البطلة في نشيد المناجاة .. وتداعى الذكريات كما ترد على الذهن مباشرة ببساطة وعفوية مرسلة - وهي لا تحلل مشاعرها وإنما تتصرف وفقا لإحساسها وإيقاع ذكرياتها .

تنتقل من الوقائع البسيطة إلى وقائع القرية كلها .

الكاتبة عقدت مقارنة بين بطلتها والأرض - تعاني من الاهمال والبوار - في حاجة إلى الاهتمام والري والسقيا - هي الكرامة والعزة والسكن والمجتمع يزين لها التفريط والاستسلام وقطع الجذور والاعراض عنها ربيعها المرأة تشتد وتقوى عندما تتذكر الأرض .. (وحتى عندما يمثل للاستجابة لكلمات معلم القرية المعسولة .. تتساءل من أين يأتي بكل هذه الكلمات الحلوة الدافئة - مثل الأرض الولادة تطرح فل وياسمين .

تتذكر الأرض .. تعود صلبة صامدة .. أبدا لن تخون .. لن تفرط في عرضها أو أرضها) .

هذا الجو يليق بالفنان يسر مرزوق -



عميق الحس .. متأجج الوجدان .. يعيش معاناة الناس .

ينحت دائماً فنا صادقا .. يقيم تمثالا شاهقا يضمنه حركة حقيقية وإشارة مسموعة .. وموسيقى كامنة ومرئية) .

يدرك أبعاد المأساة .. يعرضها ساخرا منها ـ مجرد حالة عرضية يشكو منها مجتمعنا ـ ليست مصر العظيمة بكل تاريخها ومجد إنسانها ـ يضع الضحكة بجانب صرخة الألم .. المزحة وسط الشجن .

أدار العرض ببساطة وطبيعية مدهشة .. جعل كل شيء فيه متناسقا ومتداخلا . اختار بطلته "مديحة حمدى" وجعل الدور "يخلق" من أجلها .. أعانها على اكتشاف نفسها .. فمن الواضح أنها لم توجه مثل هذا التوجيه من قبل .. الموقف كله قائم على شخصية بدرية أو مديحة حمدى (فمن العسير إقامة حد فاصل بين الدور والأداء) .

تعيش الدور حقا .. تهب نفسها لنا كل ليلة على المسرح .. (كانت عشرات النساء فى مواجهة المأساة) تستحوذ علينا تماما وحتى المشهد الأخير .

تتنقل بين مشاعر متباينة فى لحظة واحدة .. تبدو يائسة وقوية .. تذوب شوقا وعتابا وتضج بالغضب والعويل .. وكان تصوير ليلى عبد الباسط عميقا وواضحا فهى تغمس قلمها بين أدق خلجات النفس وأحاسيس المرأة الكامنة .. كشفت عن جوانب عديدة فى الشخصية .. المرأة المحرومة .. والحالمة .. تكاد تستجيب للغواية .. عنيفة صامدة مثل الأرض العسيرة .. تذود عن كرامتها بضراوة وتقف على حافة الانهيار .

تنتقل من لحظة الى أخرى ومن عاطفة إلى نقيضها بسهولة واتساق .. ترقص مع إيقاع أغنية شعبية ساذجة وتبدو بدائية مضحكة .. وتحلم بكلمات شاعرية وغزل موجه لها فتتمايل مع ملابسها الهفهافة والأضواء والايقاع الحالم تقترب من خفة الباليه ..

غليظة حتى لتمارس كيد النساء والتباهى ..

رهيفة حتى لتناجى صورته وتخجل من مداعباته لها .

مشيتها .. حركتها .. انزوائها .. خوفها تبدو متسقة تماما مع نفسها وجديدة (فقط كنت لا أريدها أن تتحدث إلى الجمهور .. وتوجه بعض كلماتها لأحد مباشرة وتكثر أحيانا من هذه الظاهرة بحيث تجهض شحنة الاستيعاب والتفكير)

ولأن المخرج هو فنان الديكور لذا أقامه على أساس ارتباطه بمقتضيات السرد .

كنا نشاهد عرضا خارجيا لما يدور بالداخل ـ داخل النفس والبيت والحدث ـ ووظف كل امكانياته لابراز الحركة الداخلية للشخصية وخلق الجو المحيط اللازم لها .

ديكور داخلى مغلق على صاحبته وهى تغوص داخلها وتسكب بين أيدينا معاناتها ومشاعرها .

"السرير" هو أهم ما فى حجرة النوم ـ نجده متفرج الأطراف من أعلى .. مختنق عند الوسط ـ هل يمكن أن نقول هذا التعبير ـ هذا التشويه المتعمد للسرير يمكن أن نطلق عليه "القبح الجميل" .. فى أعلاه يمثل انفراجة الحلم والرغبة فى السعة والانطلاق ـ ولكن الأرجل شوهاء والواقع مرير .. يتكفن بالحرير ولكنه "غابة الشوك" لها .

قفص العصافير يذكرها ايضا بوليفها وهو كانما قضبان أحيطت بها .. شماعة الملابس وثياب الحرير هو كل ما جد فى حياتها هل يساوى الثمن ؟

استعمل مفردات الديكور فى تقوية المفارقة ـ بدرية انتقلت من مرحلة النوم على ظهر الفرن إلى سرير مفروش بالحرير ولكن .. كانت دائما خائفة .. مقهورة .. مفزعة .. تركهم الأب وغاب ـ المسافر لايعود ابدا ـ وهى طفلة تنام على خوف ومذلة .

وأحبت وتزوجت .. فراش العرس وثيابها .. وتجد نفسها وحيدة .. خائفة .. طرقات الباب ونباح الكلاب ووقع الأقدام وهياج الطيور ـ إيقاع حركى (لسمير جابر) كل ذلك يدق رأسها ويهزم صمودها .

ويؤدى الباب المغلق دورا .. من خلفه يكمن الخطر .. والنذير دائماً النافذة فى الحجرة الضيقة تفتحها ليصل صراخها واستغاثتها من الخارج .. تغلقها تحتمى خلفها .



مديحة حمدى زوسر مرزوق

وقد تعود لفتح طاقة الأمل والتواصل واللقاء ربما .

موسيقى أحمد الشابورى كانت مناسبة تماما .

والمخرج يجمع كل الاشياء كأوركسترا درامى حقيقى محيط بها يعزف ألحان الترقب والفزع .

* * *

فى المسرحية المنشورة فى كتاب .. كانت الكاتبة تسمعنا صوت الزوج وتجعله أحيانا يبدو كخيال المآتة خلف ستارة شفيفة أو يضرب بفأسه . ورغم حلاوة التشكيل .. فإن المخرج أخلص لرسالة المسرح .. ودمج صوته مع صوت البطلة .. فجاءت أجمل .

أحيانا كانت الشخصية تضيق إلى حد العزف المنفرد .. لماذا لم تنظر بدرية إلى الجانب الآخر .. من وجهة نظر الزوج وما تعرض له .. المرأة حقا وطن لكن المأساة محيطة .. ويضيف إليها أن تبدو مجسدة .. حقا بدت إشارات لذلك ولكن ظلت مجرد إشارات .

هل يجتمع هذا الثالوث الرائع لعمل قادم .. نرجو أن يكون ذلك قريبا .

شهريات • شعر •

الشاعر نزار قباني في ديوانه : « أحلى قصائدي »

بقلم : الشاعرة جليلة رضا

من تحت الماء اكتب هذه الرسالة الى الشاعر الكبير « نزار قباني » اجل . من تحت الماء اكتبها .. لا لأني اغرق ، اغرق .. كما يقول في قصيدته المشهورة . ولكن لان الماء هو الدرع الوحيدة التي ستقيني قنابل الملايين من انصار شاعرنا الكبير .

سامح الله نزار . فمن زمن الأزمان . والازمان عندى كثيرة وفيرة شربتنى وشربتها .. من زمن الازمان وانا اهم بالكتابة عنه .. لا اليه .. عنه . هذا الشاعر الذى طوت شهرته الحدود والافاق ، وهزمت جيوش شعرائنا القدامى والمحدثين ، بلا ذنب ، اوجريرة ، فاذا بنا نراه هو « نزار قباني » فوق جواده العربى الاشم من ورائه الميدان الواسع الرهيب ، ومن أمامه الشرق باكمله ، وعلى جانبيه جثث الضحايا من الشعراء المهزومين ، ولأجل من ؟ لأجل شاعر المرأة .

ولقد يسألنى سائل من انا حتى اكتب عن نزار الذى كتب عنه أكبر ادباء وشعراء العرب فأجيب .. نعم انا سيدة ضعيفة لاحول لها ولاقوة . ليس لديها من انصار ولا حواريين ، سيدة تحب العزلة والانطواء ، تسكن فى المحارات السحيقة .. وتتطلع من المشربيات العتيقة الى دنيا البشر . قد أكون شاعرة .. ولكننى شيء كبير أخر .. انا المرأة ، اذن امثل كل امرأة عند شاعر المرأة . « نزار قبانى » انا الملهمة لدواوينه الثلاثين ، انا الأميرة والجارية واخيرا الشهيدة .

اكتب عن لسان كل إمرأة قرأت له ، عن لسان المرأة التى عاش الشاعر عمره ينهش لحمها ويرميه للكلاب بلذة السادية المريضة . عن لسان المرأة التى وصفها فى شعره وعدّ حركاتها وسكناتها وخلجاتها وحياتها الداخلية الصميمة دون تردد وترو . وبغير أن يدور فى خلده يوما أن يسألها ولو مرة واحدة هذا السؤال



جليلة رضا



نـزار قبانـي

الصادق : أحقيقة ياسيدتي ما اكتبه عنك ؟ فاذا وجدت أمرأة ما اجابته بنعم فهي « بغي » والبغايا عندنا نحن النساء ليس لهن اسم في لوحة البشر .. انهن كالمتخلفين عقليا ، لا يحاسبون على مايقولون او يفعلون .

ان نزار قباني شاعر كبير ، لا انكر ذلك ، بل اعرفه تماما واقدر مدى شاعريته ، بل اني لا اجد غضاضة اذا اعترفت باعجابي الشديد بشعره ، ولكني ارى كل ديوان له يمثل صندوق جواهر ثمينة .. مدفونا في اعماق الأرض ، تحف به من كل جانب اقاع واحناش .

ان شعر نزار قباني زهور سامة مسمومة .

وموسيقاه الطفولية البريئة تعزفها انامل شيطان .

● الرسم بالكلمات

ان بين يدى الآن ديوانه ، « احلى قصائدي » واني لاعطي الكثير من اغلى ماعندي لو كان لدى من غال ، أعطيه في سبيل ان المس أحاسيس أي رجل ترك المراهقة بعيدا وبلغ الخمسين او أكثر من العمر ، اثناء قراءته اشعار نزار .

وليس شك في أن الرجال مختلفون طبيعة وشعورا وفهما ، ولكني اتكلم عن الرجل المثقف وقد بات الجنس لديه شيئا على هامش حياته ، شيئا عاديا يؤديه مجبرا حينا وراضيا على فتور حينا اخر .

اى احساس يعترى هذا الرجل حين يقرأ هذه الأبيات من قصيدة الرسم بالكلمات :

لم يبق نهد ابيض او أسود
إلا زرعت بأرضه راياتي
لم تبق زاوية بجسم جميلة
الا ومرت فوقها عرباتي
فصلت من جلد النساء عباءة
وبنيت اهراما من الحلمات

ولهف نفسي اين وضع هذه الأهرامات الحلمية ؟ ايتها المراة ! كم تحملت من اهانات سامح الله نزار .

ولقد اعترف نزار بنفسه عما اصابه من تخمة وقرف :

الجنس كان مسكنا جربته
لم ينه احزاني ولا ازماتي
كتشابه الأوراق في الغابات

لقد انتقمت اذن من الشاعر تلك المرأة الضعيفة التي نهشتها ريشته كما يقول :

اليوم تنتقم النهود لنفسها
وترد لي الطعنات بالطعنات

فلكم ساءلت نفسي ماذا يريد هذا الرجل العربي من المرأة العربية ؟ ان كان يريد حريتها في الجنس فقد اعترف هو مرارا ان الجنس عند الغرب المتحرر ليس الا عملية عقلانية تفسح الطريق لعمل أهم .



سامح الله نزار ..

فلقد مرت الأعوام ونزار ذلك الشاعر الموهوب الذى كنا سنقدس اشعاره لولا مالصق بها من طين ووحل . مرت الأعوام وتوالت الحروب اثر الحروب واستشهد على ارضه وارض مصر الغاليتين الوف الرجال وترملت النساء وتيتم حتى الاجنة ونزار هو نزار مازال مشغولا بالاهم .. لم يزل يرسم النهود بالكلمات ويبنى اهراما من الحلمات .

ومن الغريب انه يناقض نفسه فى اغلب قصائده وكأنه طفل غرير . ففى قصيدة الى اجيرة فى ديوانه « أحلى قصائدى » يقول :

حطمت عزتك المنيعة كلها بدراهمى

اين اعتدادك أنت ألوع فى يدى فى خاتمى

اى المواضع منك لم تهطل عليه غمائمى

خيرات صدرك كلها من بعض بعض مواسمى .

فهل يظن الشاعر الذكى انه حطم عزة اجيرة ؟ وهل لمثل هذه الأجيرة اعتداد وأنفة . لقد حطمت هى عزته الشاعرية حين جعلته يشترى حبها بالمال والحرير ، وهل تستحق اجيرة ان يكتب عنها بفخر وزهو وغرور شاعرنا العملاق ؟

أما فى قصيدة « نهدان » فقد صب نزار كل مقدرته الفنية فى وصف النهد الذى هو عنده « نبع اللذة الحمراء » ، « المتمرد على السماء » « الصنم العاجى » « النهد الوحشى ذو الظفر المجرم » والذى هو « كرة من زغب حرير » و« أجمل لوحة فى المرسم » .

وهنا يبدو نزار كالكاهن الواعظ ، ينصح ربه هذا النهد ان تسكبه فى دنيا فمه ، وان تنعم بأصابع شاعرها ورعونته ، ولتفكر جيدا فى مصير نهدها بعد موت الموسم ، وكأن مصيره يرتبط بمصير الأمة العربية ! سامح الله نزار ..

وقبل أن اختم رسالتى من تحت الماء ، دون ان التفت الى « القصيدة الشريرة » و« المتوحشة » وغيرها وغيرها .. لى همسة عتاب فى اذان شعرائنا المصريين الذين تركونا نحن « المرأة » تحت رحمة من لم يرحمها طوال ثلاثين عاما . ولكنى اعذرهم فربما اثروا الصمت ، وعملوا بالمثل القائل « الباب اللى بيجى منه الريح ، سده واستريح »

غير انى بعد ذلك اقدرهم كل التقدير ، فما شاعر فى ارض الأزهر الشريف والألف مئذنة فكر يوما أن يكتب بيتا واحدا من الشعر يخل بشرف المرأة العربية او يدنسها ويشوه قيمتها الانسانية على الاطلاق .

ان شعراءنا يعلمون جيدا ـ حتى الذين هم فى سن المراهقة ـ ان المرأة بالنسبة لهم هى الأم والأخت والزوجة والابنة ، هى المدرسة التى يتعلمون منها الحياة الأفضل .

وانا لا أطلب من نزار ان يقتصر على قصائد الشرف والفضيلة والدين والاخلاق ، ويغطى شعره الأشقر الجميل الذى عبثت به يد الزمن بعمامة بيضاء ويسمى نفسه .. « شاعر ال البيت » كلا .. بل اضم صوتى الى صوت كل امرأة عربية ان يكف نزار عنا لعناته العارمة وغزواته الواهمة

● كتاب جديد ●

أدب الطفولة

أصوله .. مفاهيمه .. رواده

د. حسين علي محمد

(ادب الطفولة) جنس ادبى نشأ ليخاطب شريحة عمرية لها حجمها العددى الهائل ، ومع هذا لم يظفر بدراسات مماثلة ترصده صعودا وانكسارا ، وتألقا وخفوتا، ومن هنا تجيء اهمية هذه الدراسة التى كتبها ناقد شاب هو الدكتور احمد زلط .

ويقع الكتاب فى مقدمة وثلاثة ابواب :

● فى المقدمة يذكر المؤلف ان كتابه « لاينفصل فى مقاصده وبعض افكاره عن الجهود المتميزة لاصحاب المؤلفات التربوية او الاكاديمية او الدراسات العامة التى سبقته ويذكر جهود سهير القلماوى فى (الف ليلة وليلة) وعبد العزيز عبدالمجيد (القصة فى التربية) وعبد العزيز صالح (التربية والتعليم فى مصر القديمة) ومصطفى الجوينى (حول ادب الاطفال) وهدى قناوى (وسائط ادب الاطفال) وهادى الهيتى فى كتابيه (ادب الاطفال) و(ثقافة الاطفال) .. وغيرهم .

● والباب الاول وعنوانه (جذور ادب الطفولة فى التراث العربى والإسلامى) يقع فى فصلين :

١ ـ مدخل إلى ادبيات الطفولة .

٢ ـ اشكال التعبير الشعرى والقصصى للطفولة .

والدكتور احمد زلط يؤيد الراى القائل حول نشأة ادب الطفولة « بأن بذور ميلاده قد ألقيت فى تربة الأدب الشعبى ، ثم تولى الأدب الرسمى مهمة انباته ورعايته وانمائه » ويرى ان اشكال ادب الطفولة تقع فى دائرتين :

اولاهما : دائرة الشعر : وتضم الامهودات (اغانى المهد) ، واغانى الترقيص ، واغانى اللعب ، والمنظومات الشعرية ، والمحفوظات التعليمية ، والدراما المبسطة (المسرح الشعرى للطفل) والقصة الشعرية على لسان الحيوان .



وثانيتهما : دائرة النثر : وتضم الحكايات القصصية والأساطير ، والحكاية على ألسنة الطير والحيوان ، والأمثال ، والوصايا ، والألغاز الأدبية ، والأحاجي اللغوية ، وغيرها (ص ٤١) .

● فى الباب الثانى وعنوانه (شعر الطفولة فى التراث العربى والاسلامى) يتناول المؤلف فى الفصل الأول (صورة الطفل فى التراث الشعرى العربى) ويقدم عددا كبيرا من النصوص الجاهلية والاسلامية .

فمن الشعر الجاهلى يتناول نصا لأمية بن أبي الصلت ، يقول فيه مخاطبا ابنه :

غذوْتك مولودا وعلتك يافعا
تعل بما أدني إليك وتنهل
اذا ليلة نابتك بالشجو لم أبت
بشكواك إلا ساهرا اتململ
كأنى انا المطروق دونك بالذى
طرقت به دونى وعينك تهمل

ومن الشعر الاسلامى يتناول اشعارا كثيرة لحطّان بن المعلّى ، وابن الرومى ، وابن رشيق القيروانى ، وغيرهم ، ولعل اشهرها قصيدة حطان بن المعلى وهو شاعر اسلامى قرشى مخزومى التى يقول فيها :

وانما اولادنا بيننا
اكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عينى عن الغمض

ولعل الباحث الدكتور أحمد زلط لو وضع (صورة الأبناء فى التراث الشعرى العربى) بدلا من (صورة الاطفال) لكان محتوى الفصل اكثر صدقا ، واكثر تعبيرا .

- وفى الفصل الثانى وعنوانه (الشعر للأطفال فى التراث العربى والاسلامى ، اغانى الترقيص والأشعار القصار) قدم الباحث عددا من النصوص المهمة فى هذا الباب ، ومن هذه النصوص قول (الشيماء) اخت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له ، وهو طفل :

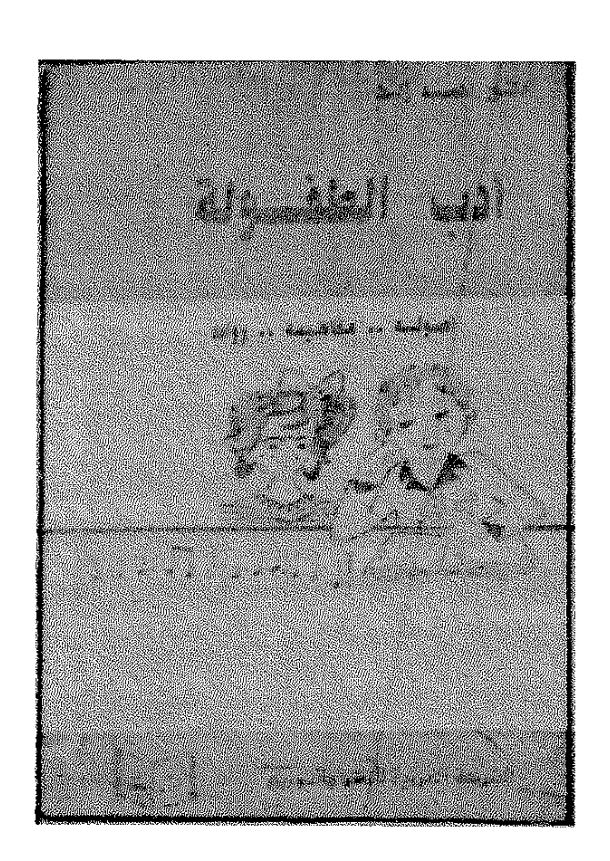
هذا أخ لى لم تلده أمى
وليس من نسل ابى وعمى
فأنمه الله فيما تنمى

ولعل الصواب (فيمن تنمى) .

ومنه قول (الحسن البصرى) يرقص ابنه :

ياحبذا ارواحه ونفسه
وحبذا نسمه وملمسه
والله يبقيه لنا ويحرسه
حتى يجر ثوبه ويلبسه

وقد افاد المؤلف فى هذا الباب من المصادر القديمة والحديثة ، فمن المصادر القديمة ، (الاغانى) لأبى الفرج الاصفهانى ، و(الأمالى) لابى



على القالى و(البيان والتبيين) للجاحظ، و(العقد الفريد) لابن عبد ربه ، و(الفهرست) لابن النديم ، و(محاضرات الأدباء) للراغب الاصفهانى و(المستطرف فى كل فن مستظرف) للأبشيهى .. وغيرها ، كما افاد من المراجع الحديثة مثل كتاب (الغناء للأطفال عند العرب) للدكتور احمد عيسى بك ، و(أطفالنا فى عيون الشعراء) لاحمد سويلم ، و(أدب الأطفال) لهادى نعمان الهيتى . وغيرها .

● وفى الفصل الثالث - والأخير - وعنوانه (روّاد أدب الطفولة المحدثين فى مصر) نرى فصلين .

١ - دراسة تاريخية .

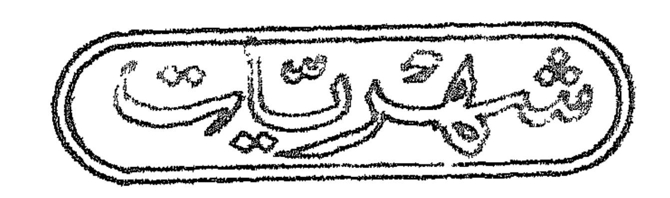
٢ - أدب الطفل بين الواقع والطموح .

وفى هذا الباب نرى المؤلف يدرس رواد ادب الطفولة فى مصر - من خلال بعض المصادر المهمة ، مثل الطبعة الأولى - الحجرية - من كتاب « العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ » لمحمد عثمان بن جلال ، و« المرشد الأمين » لرفاعة رافع الطهطاوى ، ومجلة روضة المدارس وغيرها .

★ ★ ★

لقد ظفر ادب الاطفال من قبل ببعض الدراسات الأدبية والتربوية مثل كتاب « القصة فى التربية » لعبد العزيز عبد المجيد ، و« التربية والتعليم فى مصر القديمة » لعبد العزيز صالح و« فى ادب الاطفال . الأدب وبناء الانسان » لعلى الحديدى كما ظفر بكتابات اخرى للدكاترة والاساتذة نفوسة زكريا ، هادى الهيتى، هدى قناوى ، عبد التواب يوسف ، احمد سويلم ، اسامة عبد اللطيف ، ابراهيم شعراوى ، فاروق يوسف العربى بنجلون ، عبد العزيز المقالح ، وغيرهم ، لكن هذا البحث الذى بين ايدينا يتميز بعدة مميزات .

اولا : انه جزء من بحث اكاديمى نال عنه مؤلفه درجة الدكتوراه واستمر فى اعداده اربعة اعوام (١٩٨٦ - ١٩٩٠) فمن الطبيعى ان يختلف نتاج الاكاديمية عن نتاج الصحافة



والمنتديات والحلقات البحثية التي مهما انفق صاحبها من وقت وجهد في اعدادها فسوف تظل بحاجة الى المراجعة والمناقشة وإعادة النظر فيها .

ثانيا : ان الكتب السابقة تتناول ادب الطفولة وفق واحد من منظورين :

ا ـ دراسات علم النفس والتربية وتطبيقها عمليا على الأطفال (هدى قناوى ، اسامة عبد اللطيف ، كافيه رمضان .. وغيرهم) .

ب ـ دراسة مختارات من ادب الطفولة المعاصر (عبد التواب يوسف ، احمد سويلم ، كمال ابو رية ، هادى الهيتي .. وغيرهم) .

لكن مؤلف هذه الدراسة الاكاديمية ارخ لهذا الادب كجنس ادبي متميز في

د . سهير القلماوى



مظانه الكثيرة منذ العصر الجاهلي حتى ابداعات عبد العليم القباني ، واحمد سويلم ، واحمد زرزور ، وسمير عبد الباقي ، وغيرهم .

ثالثا : استطاع المؤلف ان يعثر على بعض المصادر المهمة مثل الطبعة الأولى ـ الحجرية ـ من كتاب « العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ » لمحمد عثمان جلال ، واستطاع برجوعه الى غيره من المصادر الأولى مثل كتاب « المرشد الأمين » لرفاعة رافع الطهطاوى ومجلة روضة المدارس ، ودواوين احمد شوقي ، وابراهيم العرب ، وكامل الكيلاني ، ومحمد الهراوى وغيرهم ، الى ان يصل الى صورة ـ شبه كاملة ـ عن الأدب الخاص بالطفل .

رابعا : توقف الباحث بالدرس والتحليل في ادب الطفولة عند ظاهرتين أولاهما : (الترجمة) والاقتباس والمحاكاة عن الاداب الاجنبية في الشعر والنثر .

ثانيتهما : (التأليف) الشعرى والقصصي والمسرحي.

وقد توقف الباحث (الذى وضع على غلاف كتابه من الداخل : دراسات في ادب الطفولة : ١) عند محاولته الجادة التاريخ للظاهرة ، وتاصيلها والحديث عن روّادها . ونامل منه في كتبه القادمة ان يكمل مسيرته الجادة بدراسة مبدعي ادب الطفولة من شعراء وقصاصين ومسرحيين .

الكشف والانعتاق

حول بعض « تراثنا » المظلوم ومن باب النكاح فى الفقه الاسلامى

بقلم : عبده جبير

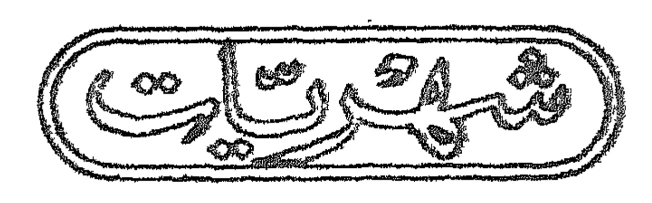
كثيرا ماسمعنا وقرانا التهمة الموجهة إلينا ، معشر المشتغلين بالكتابة الروائية بالذات ، عن قصورنا جميعا او البعض منا ، في توجهنا نحو التراث العربي الاسلامي ، وكانت التهمة طبعا آتية من جهة « اصحاب » هذا التراث الذين بسبب من مواقفهم المتشبثة بالماضى وحده ، اعتقدوا ان المتشبثين بالحاضر ، المتطلعين الى المستقبل : لايقرءون ولايعرفون هذا التراث ..

والحقيقة أن هذه تهمة ظالمة باطلة ، لأن محاولات المبدعين العرب الجادين ، وكتاب القصة والرواية فى مقدمتهم ، لم تتوقف فى تعاملها مع أى « تراث » سواء كان هذا تراثا عربيا اسلاميا « ماضيا » أو تراثا حاضرا من تراث العالم أو « تراث » العرب .

بالعكس ، يعانى هؤلاء المبدعون العرب من أن « أصحاب » هذا التراث الماضى ، لايقومون بالواجب الضرورى تجاه هذا التراث نفسه ، ونعنى الخطوة البديهية الأولى ألا وهى « إيجاده من العدم » بتحقيقه ونشره ، وتوفيره للمبدعين ليكون تحت أيديهم ، منه ينطلقون الى آفاق الحوار ، ثم الاستفادة الظاهرة فى عملهم الابداعى .

ونعتقد أن تقصير هؤلاء الأصحاب نابع أساسا من موقف الكثيرين منهم تجاه هذا التراث نفسه ، فهم لاينطلقون من موقف موضوعى فى تعاملهم مع هذا التراث (أولا وكما ذكرنا حالا بنشره وتوفيره) بل انهم ان سعوا الى هذا التراث سعوا من موقف « عقائدى » مسبق ، أى انهم يتجهون الى الجانب الذى يخدم قضية « ماضويتهم » كما يقول اخوتنا المغاربة ، أى كونهم يعيشون فى الماضى ، ويتحمسون لكل مايدفع الى التشبث بقيمه ، بإعتبارها « المثال » و « النموذج » .

هم إذن انتقائيون تجاه هذا التراث ، لذا فانهم يهملون بعضه ويتحمسون لبعضه ، لأهداف فى الغالب سياسية



مرحلية تخدم خطواتهم فى معركة الواقع .

وهذا هو فى الغالب السبب الذى حدا بوجود تصور إبتعاد المبدعين من العرب عن هذا التراث ، لكن الشاهد أن هؤلاء المبدعين يقومون بحركة بحث شاقة فى اتجاه التراث ، ليجدوا منه أو فيه مايمكن استلهامه فى عملهم الفنى .

بل إن بعضهم اضطر للقيام بمهمة الأصحاب ، فعمل على تحقيق نصوص ، أو نشر أخرى ، أو الدعوة الى هذا النص المطبوع أو ذاك ، أو الركض ليل نهار وراء المخطوطات المهملة للاستفادة بها ما امكن .

وفى رحلة البحث هذه يكتشف المبدع انه على الرغم من أن « أصحاب » التراث هؤلاء ، ينطلقون الآن من موقع المعارضة للدول القائمة ، فإن حماسهم التراثى ينصب على « التراث » المشهور المعروف الذى كان قد نشأ وتربى وترعرع فى ظل الدول السابقة ، أى فى ظل السلطة ..

وهو مايسميه بعض ظرفاء عصرنا « بالطراش » !

وهذه فى رأيى اشكالية كبيرة فى وجه هؤلاء التراثيين ، بل انهم فى موقفهم العدائى تجاه « التراث » الخارج على سلطة الدولة القديمة ، يلتقون مع السلطة الراهنة فى عدائهم تجاه جانب حى وثورى ومبشر بسلطة اكثر عدلا واقرب الى الجماعة من المصالح الضيقة لرجال السلطة السابقين .

وحتى نقترب خطوة من « القضية » التى نحن بصددها فى هذه المقالة نقول :

إن من بين أهم أبواب الفقه الاسلامى باب عرف باسم « باب النكاح » درسه كاتب هذه السطور شخصيا على المذهب الحنفى بالأزهر الشريف ، وعبر عدد من السنوات فى البداية بشكل اجمالى ، ثم الى تفاصيل التفاصيل من هذا النشاط الذى يضعه الاسلام فى مقدمة أنشطة انسانه ، لذا ، فانه وعلى المستوى المعرفى يخوض الاسلام فى الموضوع دون وجل أو خجل ، حتى يربى أهله تربية جنسية صحيحة وانسانية ، قائمة على المعرفة وعلى الخبرة الانسانية النبيلة .

وبجوار هذا الباب المشهود ، وهو مشهود لانه ليس عبثا ، كانت هناك ، وضمن تراثنا العربى الاسلامى ، العديد من المؤلفات التي خصصت من قبل أدباء أو متأدبين عن نفس باب النكاح .. لكن الجميع من المتسلطين وأصحاب التراث على حد سواء ، المحدثين والمعاصرين بالذات ، وقفوا تجاه هذه الأدبيات موقف الرافض المحارب ، أى اللاغى ، لذا وضعوا هذا التراث فى العدم ، مع اننا اذا رجعنا الى أصحاب القول فى هذه المسألة وجدنا منهم ، ومن هو منهم فى مرتبة الامام الحافظ يضع الأمور فى نصابها الصحيح .

فها هو الامام الحافظ ابن قتيبة الدينورى يقول فى مقدمة كتابه « عيون الأخبار » :

« واذا مر بك حديث فيه افصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة ، فلا يحملنك الخشوع أو التخاشع على أن تصعر خدك ، وتعرض بوجهك ، فإن أسماء الأعضاء لاتؤثم وانما المؤثم فى شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب » .

وفى الحديث الشريف « النكاح سنتى فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى » وهناك الكثير من الأحاديث والأقوال المعتمدة فى هذا المضمار .

والحقيقة أننا لانود بهذا الاستطراد اللجوء الى حجج « هزلية » أو كوميدية للكلام عن موضوع ثانوى ، بل اننا نقول بشدة أن الموضوع غاية فى الخطورة ، وغاية فى الأهمية ، ونحن هنا مع ما قالته باحثة جادة هى « هالة العدوى » فى تقديمها لكتاب « الاسلام والجنس » .

« أنه فى حين مر الزمن .. واختلطت المفاهيم الاسلامية بالعادات والأعراف السابقة على الاسلام .. بات من الصعب لدى العامة وربما الخاصة ايضا ، التمييز بين هذه وتلك ..

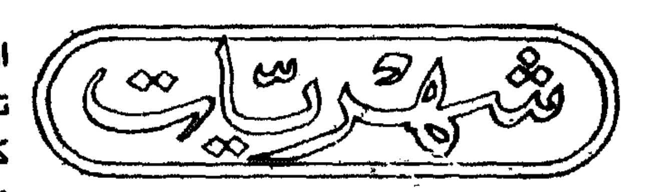
اما فى العصر « الاسلامى » الأول فلم تكن تسمية الأشياء إلا بصورتها الحقيقية ، فكانت الشهوة تذكر باسمها ، وتقرن بنتيجتها ، أى التناسل دون حرج أو تكلف .. وذلك يعود ولاريب الى قوة المجتمع وازدهاره فضلا عن رسوخ دعائمه ، فلا يضيره طرح مختلف صنوف الفكر ماشذ منه واستقام ، ولكن يتبدل الحال حين يدب الضعف فى المجتمع وتتهاوى الدعائم فيخشى الفكر ويتأصل الوجل .. ويستعاض عن الصراحة والدقة بالالتواء والتخفى ويتوخى طريق الستر وإيثار السلامة عوضا عن الخير الذى يأتى به الفكر والبحث .. ومن ثم يسدل الحجابان العقلى واللفظى .

لِمَ وصلنا الى هذا الحد ؟

تقول : لأنه « .. كان مما استقر فى وجدان الجماهير العامة أو الخاصة ارتباط الجنس بما ينافى الأدب أو الخلق السوى مما جعله موضع احتشام وتحرج واستنكاف حتى أن الفاظه ومعانيه صارت الالفاظ المجازية أو الكنايات بعيدة عن التصريح بالألفاظ المكشوفة التى هى الأسماء الحقيقية للحياة والجنس ، وما ذلك إلا تأثرا بما غشى الجنس من ظلمات جعلته على الرغم من طهارته وقدسيته بعيدا عن الأضواء مغرقا فى ليل المجاز ، ولكم كان لهذه المفاهيم من أثر مدمر فى حياة الأفراد والمجتمعات ، إذ دمر فى نفوسهم معانى كريمة وأهدافا شريفة نتيجة لوطأة التقاليد والأعراف الشعبية نحو الجنس ومفاهيمه » .

أما مؤلف كتاب « الاسلام والجنس » الدكتور عبد الوهاب بوحديبه نفسه ، فلا ننساه أبدا وهو يؤكد على أن القضية خطيرة ، وهى تخص الاسلام بالذات فيقول :

« والدين الاسلامى .. يضفى .. على الجنس معنى رفيعا ويجلله بالايجابية الكاملة ، الأمر الذى يزيل أى اثر للشعور بالاثم أو الخطيئة ، وتبعا لهذا المنظور فإن الاسلام يسمح للغريزة أن تتجلى ببهجة وصفاء ، بحيث تصبح الحياة صيغة متكاملة .. تسعى جاهدة للحصول على رضاء الله من جهة ، وممارسة الجنس وفقا لأخلاقيات راقية من جهة أخرى ، مما يعنى فى الجوهر أن حياة المسلم اليومية تتضمن فى جوهرها حوارا مستترا ومستمرا مع الله فى جانب ، وحوارا ثانيا بين الذكر وانثى فى الجانب الآخر ، بغية أن تعتبر الحياة محاولة دءوب ومتصلة لدفع الدين والجنس فى المجتمع ، وبعبارة أخرى ان التاريخ يعكس علاقة جدل ذات ثلاثة محاور ، غير انها لاتحول دون دخول العوامل الاقتصادية والثقافية الأخرى وتأثيرها فى الأخلاقيات الذاتية



للجماعة على المستويين الديني والجنسي وذلك عبر مسيرتها التاريخية » .

لكن مادفعنا لكتابة هذه المقالة هنا ليست هذه القضية بكل ملابساتها وتشعبها ، وعلى الرغم من خطورتها ، وانما صدور هذا الكتاب التراثي الهام ، في أول طبعة محققه له بشكل علمي ، وهو كما يقول محققه أحد أربعة كتب في تاريخ البشرية في موضوعه .

انه كتاب « الروض العاطر في نزهة الخاطر » لمؤلفه الشيخ العارف أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن علي النفزاوى (توفي عام ١٣٢٤ م) ولتبيان اهمية هذا النص الذى كان مهملا يقول محققه الأستاذ جمال جمعة :

« تمتلك الشعوب الكلاسيكية أعني أصحاب الحضارات المؤثرة ، أربعة كتب أساسية في الحب الجنسي ، أو الفن الايروتيكي ، الشبقي « EROTIC ARE » وهذه الكتب ـ الملاحم تمثل الطراز الرفيع الذى ارتفعت اليه الحضارات التي أبدعتها في التعامل مع المسألة الجنسانية التي يرى « فرويد » انها الدافع الغريزى الأساسي للأفعال الانسانية العامة ، والكتب على التوالي حسب العرف الغربي الذى احتضنها هي ملحمة أوفيد « فن الهوى » والملحمة الفارسية ، انتجنجرانجا ، والملحمة الهندية الشهيرة ، كاما سوترا » ثم كتاب الشيخ النفزاوى « الروض العاطر أو المعروف بـ « The perfumed garden » « الحديقة العطرة » أو الروض العاطر ، عند كل قارىء غربي تقريبا بنفس حجم الجهل الذى يرزح به كتاب الشيخ في الوسط الثقافي العربي ، فالعجيب أن هذا الكتاب الذى ترجم الى العديد من اللغات الحية العالمية كالفرنسية والانجليزية والالمانية ، ومنذ نهايات القرن التاسع عشر الى الآن وبطبعات متكررة ، لم يحظ سوى بطبعة تجارية عتيقة وبلا تاريخ ولا دار نشر ، أى طبعة سرية تماما ، أعيد تصويرها في بعض الأماكن مع تعديلات على النص زادته تخريبا على تخريب ، وذلك في المغرب ، والأغرب منه أن المثقفين الذين تعاملوا مع نص النفزاوى ، وهم قلة ، تعاملوا مع النص المترجم لا الأصل سواء بالدراسة أو الاقتباس ، وحتى أنا شخصيا كان أول تماس لي مع الكتاب بترجمته الدانماركية لا العربية » .

ونعرف من المحقق أن كتاب النفزاوى كتب في النصف الأول من القرن الثامن الهجرى ، النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى وهو يتناول تفاصيل النشاط الجنسي بشكل صريح وواضح متخذا صيغة الخطاب الديني الرجولي أسوة بجميع الكتب الفقهية والأدبية ومواصلا لتأسيس نمط جديد في الحضارة العربية ، نمط وجل ومقموع يمكننا أن نسميه الأدب الجنسي أو أدب النكاح كما يدعوه الفقهاء ورجال الدين .

ونعرف منه أنه وحتى عام ١٨٥٠ م كان الكتاب مجهولا الى أن جلبه من الجزائر أحد الجنرالات الفرنسيين الى فرنسا وقام بترجمته وطبعه في ٣٥ نسخة وزعها على أحد أصدقائه من محبي الأدب العربي .

لكن الطبعات توالت وبكل اللغات الحية حتى أصيب الكتاب بنكسة في طبعتيه

الألمانية والدانماركية فعاش « حكاية ماساوية ضمن المأساة التى لحقت البشرية إبان صعود النازية الى الحكم فى المانيا ، فقد تم سحب الكتاب بعد محاكمته وادانته بتهمة الاباحية ، ومن ثم حرقه أسوة بآلاف الكتب التى كانت تمثل ثمرة التفتح الانسانى نحو الكشف والانعتاق ، وسنجد فى النسخ التى تضمها المكتبة الوطنية بباريس آثار الاتلاف التى لحقت بالنسخ الاخرى ، فقد طالتها أيدى النازية فى الاحتلال النازى لفرنسا .

● كتاب ادبى وطبى

ولمن لم يقرأ الكتاب أو يطلع عليه ، أو لمن لن يتمكن من الاطلاع عليه فى القريب العاجل ، فقد منع الكتاب فى طبعته الأخيرة من دخول البلاد العربية قاطبة ، نقول مع المحقق ان كتاب الشيخ النفزاوى هو علاوة على كونه كتاب تثقيف (تقنى) فى الجنس بخطاب دينى استند الى الآيات القرآنية وأحاديث الرسول ﷺ ، فهو كتاب أدبى - طبى كذلك ، فالشيخ الذى يصوغ وجهات نظره حول الجنس من خلال تجربته الخاصة وتجارب الآخرين التى اكتسبها طوال فترة اشتغاله بمنصب قاضى الأنكحة فى تونس ، يرصف حكايات شديدة الصلة بالسياق الارشادى الذى دأب عليه ، حكايات شبيهة بحكايات ألف ليلة وليلة وماصيغ على غرارها ، يقوم فى الوقت نفسه بوضع أدوية وعلاجات طبيعية تتعلق بالعجز الجنسى والعقم والاجهاض !

ونعرف من النفزاوى فى تمهيده للكتاب بأن نصف (الروض العاطر) ماهو الا تطوير لنص مختصر آخر أسماه (تنوير الوقاع فى أسرار الجماع) ، وذلك بناء على رغبة الوزير محمد بن عوانه الزواوى بعد اطلاعه على كتابه الصغير الأول فقدم له النصائح والارشادات لتطويره تلخص جوهر العلاقة التبادلية بين السلطة والمبدعين آنذاك .

ويقول المحقق باعتقاده « بأن الشيخ لم يكتب كتاباً آخر غير الروض العاطر .. فالنص الذى بين أيدينا نص مطور موسع لا نص ثانيا كما يعتقد ، ويمكننا أن نرى حجم الرؤية المتقدمة ، ضمن عصره ، فى مايختص بالجماع والتمهيد له والاهتمام بتهيئة الشريك وايصاله للذروة وحتى النزول الناعم الرقيق بعد الانتهاء « عن يمينك برفق » أى من جهة قلب المرأة .

ونحن على أية حال لانملك الا مجرد الاشارة الى ماعرضه النفزاوى فى مصنفه الجميل .

فهو كتب عن المحمود من الرجال والمحمود من النساء وبين أوصافهما بالتفصيل ، كما كتب عن المكروه من الجنسين ، كما كتب عن كيفية الجماع ومضراته ، وكتب عن منافع للرجال وللنساء ، وعن أسباب شهوات الجماع وما يقوى عليه ، وعن مايستدل به على أرحام النساء العقر وعلاجهن ، وباب آخر « فى مايزيل بخورة الابط وبابا فى علامات الحمل وماتلده الحامل ، أما فى بابه الاخير فكتب عن منافع وأشربة تعين على الجماع .

وهذه ماهى الا اشارات عابرة لموضوعات الكتاب ففات من لم يطلع عليه البهجة بالتفاصيل والتمتع بالأسلوب الكلاسيكي المتهوم فى عرض الصورة والفكرة والحركة والاغراق ، إلا من متعة تفوت .



• المكتبة •



الكتاب : احسان عبد القدوس (امس واليوم وغدا)
اعداد : نرمين القويسنى
الناشر : دياسيك ـ ١٩٩١

فى طبعة فخمة وانيقة . صدر كتاب لاحسان عبد القدوس .. وعنه يتضمن مقالات . وصورا وأحاديث وبيانات بأعماله .. والكتاب وثيقة تم فيه اختيار مجموعة من أهم مقالات احسان عبد القدوس السياسية التى نشرها عن الاسلحة الفاسدة . وازمة مارس ١٩٥٤ . ثم مقالات اخرى متناثرة كتبها العديد من النقاد الصحفيين عن احسان عبد القدوس . ثم مختارات من كلمات عديدة كتبت عن احسان . خاصة فى تأبينه . وبعد مماته ..

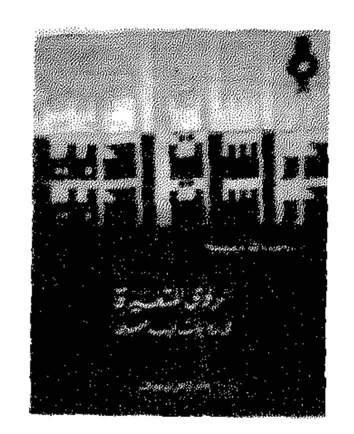
من الواضح أن جهدا ميذولا بشكل جيد فى اختيار المقالات . واعداد القائمة البلوجرافية عن الكاتب وانتقاء صور جذابة وجميلة .. بذلته السيدة نرمين القويسنى التى عملت خمسة وثلاثين عاما مديرة لمكتبه فى روز اليوسف وفى أخبار اليوم وفى الاهرام . فضلا عن علاقة مصاهرة وعلاقة عمل .

وقد كنت اتصور أن تقوم السيدة نرمين باعداد كتاب له نفس الضخامة عن "احسان" نفسه فكما عشق الكاتب ، فى حياته ، أن يكتب عن نفسه . وعن مشاكله مع الكتابة والصحافة . ومنها مقالات نشرها الهلال عام ١٩٦٢ فقد كان يمكن إعداد كتاب عن نفس الموضوعات بقلم سيدة "عرفت الكثير عنه" ومثل هذا النوع من الكتب نادر فى المكتبة العربية لكنه فى بلدان كثيرة نوع بالغ الاهمية لانه يلقى الاضواء الحقيقية على خلفيات كثيرة تتعلق بكل كلمة ابداع كتبها الكاتب .

ولأن احسان عبد القدوس كاتب مقروء بشكل منتشر الامس واليوم وغدا .. فقد تصورت كقارىء قديم وحديث له . أن السيدة نرمين سوف تكشف لنا هذه الحكايات وأنها لن تكتفى فقط بتجميع مقالات وصور يمكن لأى شخص أن يجمعها .

لكن هذا لاينفى أن لمُعدة الكتاب حاسة متميزة فى اختيار أجود ما كتب عن احسان عبد القدوس بقلم غالى شكرى ورجاء النقاش ود . الطاهر مكى ود . أحمد عبدالرحيم مصطفى . ثم مقالات احسان نفسه خاصة المقالات السياسية . ونحن فى انتظار الكثير مما تحمله جعبة السيدة نرمين القويسنى عن الجانب

الآخر من احسان عبد القدوس الذى لايعرفه الناس .



الكتاب : الرؤى المتغيرة فى روايات نجيب محفوظ .
تأليف : عبد الرحمن ابو عوف .
الناشر : هيئة الكتاب - ١٧٦ ص ، ٣ ج م .

يضم هذا الكتاب مجموعة من الدراسات والعروض والمقالات الأدبية التي كتبها واجراها الناقد المعروف "عبد الرحمن أبو عوف" مع وحول أديبنا الكبير نجيب محفوظ .

وهي تعد متابعة دقيقة لحال كاتبنا الكبير ، حين يصدر رواية تستحق الدرس والنقد نجد ناقدنا يقوم بالمهمة ، وحين يصبح من الضرورى معرفة رأيه فى قضية عامة أو قضية فنية فإنه يدير معه حوارا ليستخلص هذا الرأى .

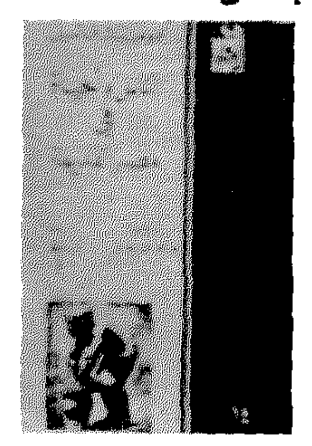
من هنا فإن جزءاً هاما من هذا الكتاب يدخل في باب الوثائق المهمة للغاية التي تعكس آراء صريحة لكاتبنا الكبير ، منها رأيه في جمال عبد الناصر وفترة الرقابة وكيف أن عبد الناصر امر بنشر "ثرثرة فوق النيل" على الرغم من أعتراض أجهزة السلطة وأجهزة الاتحاد الاشتراكي .

ويمكن بشكل عام تقسيم نوعية الدراسات المنشورة الى مجموعتين :

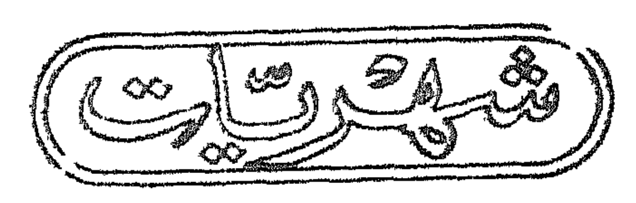
الأولى : تضم الدراسات العامة أى التي تتناول قضية عامة كقضية الزمن الروائي عند كاتبنا الكبير ، وقضية الرؤى المتغيرة ، ومصداقية شهادة نجيب محفوظ على مرحلتي عبد الناصر والسادات ومشكلة الجنون في قصص الكاتب الكبير ، ونمط المثقف اليسارى فى رواياته ، وصورة المرأة فى أدبه .

المجموعة الثانية : دراسات تطبيقية لأعمال بعينها كما فى "بعدى الواقع والفن فى رواية افراح القبة" ، "وحضرة المحترم .. الرؤية الفكرية ومستوى إبداعها" و "الواقع والحلم فى حكايات حارتنا" و "الواقع والاسطورة في ليالي الف ليلة وليلة" ، بالاضافة الى دراسات عن و"المرايا" و"تحت المظلة" و "خمارة القط الأسود" ..

ويبقى القول بأن هذا الكتاب واحد من أهم الكتب التى صدرت عن نجيب محفوظ فى الفترة الأخيرة ، خاصة بعد فوزه بجائزة نوبل حيث أمتلأت أرفف المكتبات بكتب عديدة سريعة ، لذا فإن هذه العجالة عنه لاتكفى ، ولايعوضها سوى قراءته بأمعان .



الكتاب : الناس والحياة فى مصر القديمة .
تأليف : دومينيك فالبيل
ترجمة : ماهر



• المكتبة •

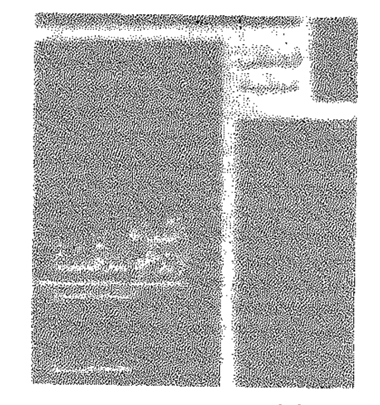
جويجاني ، وزكية طبوزادة .
الناشر : دار فكر - ١٧٦ ص ٤ ج م .

مؤلفة هذا الكتاب عالمة الآثار الفرنسية الدكتورة "دومنيك فالبيل" أستاذة الآثار والتاريخ المصرى بجامعة "ليل" بفرنسا ، وترأس حاليا بعثة تنقيب فى شمال سيناء ، وقد عاشت فى مصر فترة طويلة نسبيا وباشرت أهم الحفائر التى تمت فى دير المدينة بالبر الغربى من الاقصر .

إهتمت الكاتبة فى هذا البحث بجانب حى ومثير من جوانب الدراسة التاريخية الأثرية لمصر القديمة ، فكان أن انصب إهتمامها على عالم العلاقات بين البشر والطبيعة المحيطة بهم ، وعلاقات البشر انفسهم مع بعضهم البعض ، وكيفية تعاملهم مع المؤسسات التى نظمت حياة مجتمعهم ، وذلك من خلال دراستها وعرضها للنصوص والصورة المنقوشة أو المرسومة على جدران المعابد ، أو ماسلم من محتوياتها من أعمال النهب والسلب ، وتقول :

"تبعا للعصر وأمكاناته الشخصية ووظيفته كان المصرى يختار بعناية مايود تسجيله على جدران الدار التى ستصبح بعد وفاته ، دارا للأبدية ، فيصور أهم أحداث حياته ، والمقربين إليه من افراد أسرته ، والعاملين معه ، وأعز ما يمتلك ، كما كان المصرى القديم يروى أهم أحداث حياته ، ويسترجع ذكرياته المهنية ، ويسجل ماقد يكون له من علاقات بفرعون أو أحد الأعيان ، كما احتوى المتاع الذى يرافق جنازة المتوفى الى جانب البياضات على الاثاث والأدوات والأطعمة . ومنذ نهاية الدولة القديمة وحتى بداية الدولة الحديثة أضيفت الى هذه الايضاحات التصويرية التى تغطى الجدران نماذج مصغرة من المبانى والانشطة الحرفية والزراعية .

الباحثة إذن إهتمت اساسا بحياة الناس اليومية ، وعاداتهم وشمائلهم فى دراسة أكثر جدة من الدراسة الكلاسيكية الشهيرة "المصريون القدماء عاداتهم وشمائلهم" للين ، وهى بذلك تكون قد أضافت خطوة هامة على هذا الطريق .



الكتاب : اشياء لاتدعو للدهشة
تأليف : محمد صدقى
الناشر : هيئة الكتاب - ١٢٤ ص - ١٥٠ ق م

هذه هي المجموعة الخامسة للأديب المعروف محمد صدقى بعد مجموعاته الأربع الأولى "الانفار" ، "الايدى الخشنة" ، "شرخ فى جدار الخوف" ، "لقاء مع رجل مجهول" ، "الجدار والبلاب" .

وهو منذ مجموعته الأولى التى صدرت عام ١٩٥٥ وهو يواصل رحلة طويلة فى الكتابة التى تنطلق من فكرة الواقعية الاشتراكية فى الأدب والفن .

وعلى الرغم من أن الطريقة القصصية ظلت محتفظة بشكلها الاول فإن تجارب الحياة الواسعة دفعت بعالم هذا القصاص الدءوب الى أن يمد ويوسع فى عوالمه بحسب التجربة الجديدة ، وبحسب الخبرة التى تراكمت عبر السنين .

فى هذه المجموعة الجديدة سبع قصص قصيرة هى "أشياء لاتدعو للدهشة" و"حرف القاف" و"الكاتب والكلاب" ، و"قال الخريف" ، و"فى انتظار الساعة الثالثة" ، و"الخوف من الخريف" ، و"العزيزة" .

ونلمح من خلال أسلوبه كيف يهتم بالجو المحيط بالشخصية ليعكس البيئة التى تعيش فيها وهو ماله دلالة كبرى فى قصص هذا الكاتب .



الكتاب : رحلة الى مصر
تأليف : نيكوس كازانتزاكيس
ترجمة : محمد الظاهر ومنية سمارة .
١٥٢ ص ، ٢٥٠ ق . م .

قام الكاتب اليونانى المعروف "نيكوس كازانتزاكيس" بزيارة الاراضى المقدسة فى فلسطين ومصر ، وذلك بتكليف من جريدة يونانية فكانت حصيلة الزيارتين اللتين تمتا عامى ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، مجموعة من المقالات التى نشرتها الجريدة ، ثم نشرت بعنوان "ترحال" لأول مرة عام ١٩٢٧ فى الاسكندرية ، لكن هذه الطبعة لم تكن تروق للكاتب الفنان الفذ ، فأعاد صياغة الكتاب بما يعرف بالاغريقية الشعبية بدلا من اللغة المصطنعة التى كان قد كتبها بها فى البداية .

لكن الطبعة المنقحة للكتاب نشرت فى اليونان عام ١٩٦١ ، بعد وفاة الكاتب ، وهى الطبعة التى إعتمد عليها المترجمان فى نقل الجزء الخاص بمصر عنها .

كتبت هذه المقالات بصيغة المتكلم ، بصورة أصلية مباشرة وطرية ، ولو انها مضطربة أحيانا ، لأن المؤلف لم يقصد إعطاءها شكلا فنيا، ومع ذلك فقد اشتملت على أفكار ذات نظرة ثاقبة وعميقة للتاريخ ، وكشفت لنا عن مصر فى منتصف العشرينيات ، وهى تشهد نمو بذور الثورة فى هذا الشعب الذى عرف على الدوام بأنه سلس القيادة .

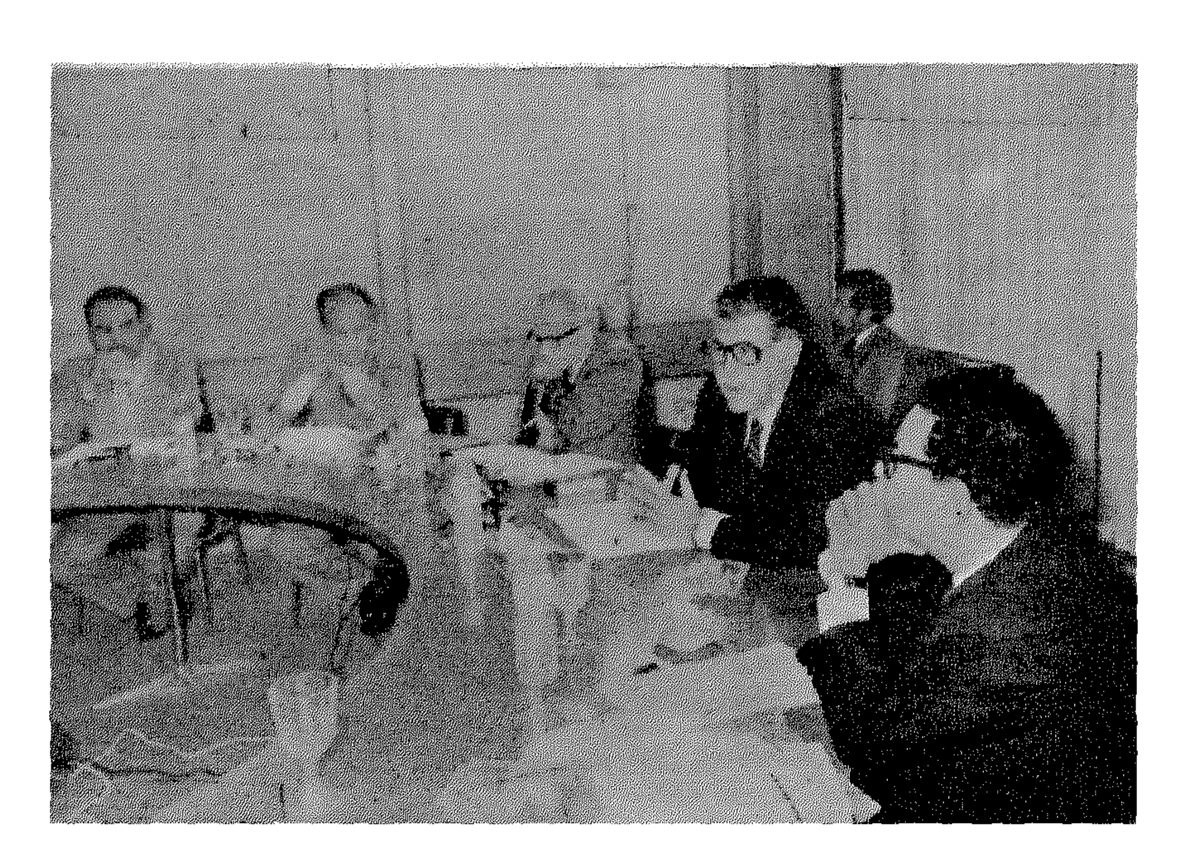
إن وصفه الواقعى هذا عمل فريد ونادر قلما يخرج عن الحتمية التاريخية ، لقد نظر الى هؤلاء الناس ، والى هذه البلاد ، نظرة شاملة تعتمد دمج الماضى فى الحاضر ، من أجل تصوير شكل المستقبل .



(١)

يصعب الحديث عن "التكوين" دون ان يمتد الكلام الى الذكريات ، ولازلت رغم تقدم السن بى معلق البصر بالمستقبل وما يصلح به وما ينبغى فعله ، وهذا التوجه لايتلاءم مع الالتفات الى الماضى واستدعاء الذكريات ولاتزال اجهزة الاستقبال لدى اقوى من أجهزة الارسال .

ومن جهة اخرى لم اعتبر التفكير فى نفسى ، ارى ذلك نوعا من اطالة النظر فى المرآة مما لا احبه ، والموقف المثالى فى ظنى ان تنظر فى شأن آخر ، اى ان "تفنى" (بتعبيرات الصوفية) فى موضوع تدرسه او عمل تؤديه ، حتى وان



ندوة عقدها المركز القومي للبحوث الجنائية والاجتماعية علم ١٩٨٤ ويظهر بالصورة من اليمين الاستاذ احمد بهاء الدين ، والأستاذ احمد خليفة ، د . وليم سليمان ، الاستاذ طارق البشرى ، د . محمد عمارة .

كان عملا يدويا ، ومن باب اولى لا اسيغ الحديث عن نفسى ، يركبنى الحياء واشعر بعدم الجدوى ، وأنى استنفذ جهدى ووقت الآخرين فيما لاينفع وما كنت اقم على هذا الموضوع لولا ان حيائى من "مجلة الهلال" غلب حيائى من الكتابة .

ثلاثة امور اتصور انها كانت بالنسبة لى "بداية التكوين" او هى التكوين بمراعاة ان ماجاء بعدها كان نموا وتكمله وليس "التكوين ذاته" ، لأولها طابع وجدانى خالص ، ويتعلق ثانيها بالبيئة الخاصة المنزلية والأسرية ، واما الامر الثالث فهو تفتح الادراك على قضايا المجتمع ، هى ثلاث نقلات ، من لفائف الطفولة المطوية فى مشاعر ماقبل التمييز ، الى بداية التفاعل مع البيئة المحيطة ، الى بداية قراءة الواقع الاجتماعى العام .

(٢)

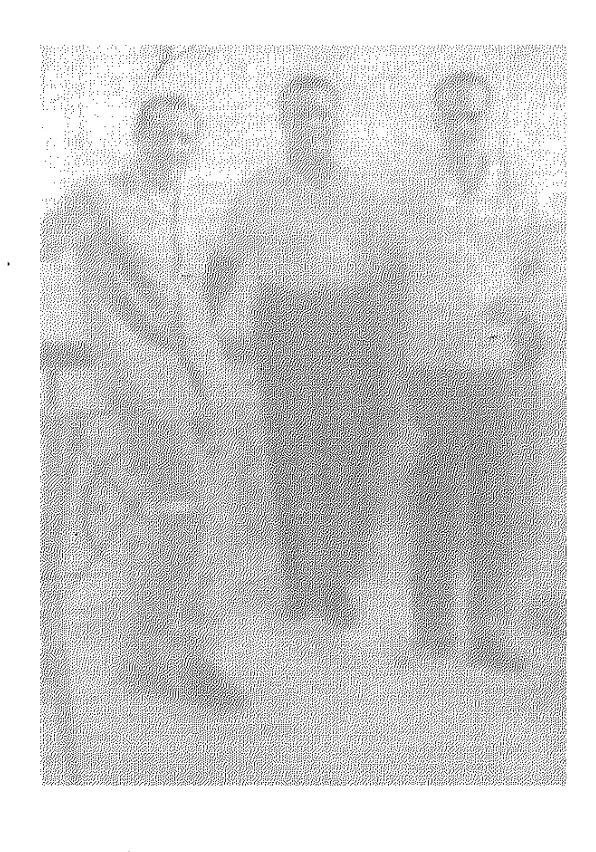
اول ما استطيع ان استدعيه من قاع ذاكرتى ، عدد من الصور المتناثرة عشت حتى اواسط العمر لا اعرف معناها ولا اذكر سياقها ، ولاتنتظم مفرداتها فى حادث بعينه ، صورة لصوانى العشاء الكبيرة الملونة ، وصورة بيتنا الكبير وحديقته الواسعة الجرداء (الا من بعض شجرات الكافور الضخمة) مضيئة بالليل ، وصورة ابى فى حلته الكاملة يقف بالنهار تحت احدى نوافذ البيت ودموع تسيل على خده دون ان تهتز له خلجة ، وصورة ابن عم لى شاب وسيم يقف على



عتبة السلم بين شقتنا وشقته وتعبير الالم يعتصر وجهه ، ثم صورة عمتى فى شقتها الارضية تجلس على احد سريرى غرفة نومها وتستند بكفيها على ذراعيها وتتمايل بجزعها كله يمينا ويسارا وتطلق اهة متحشرجة تنخلع لها القلوب .

ولاننى لم استطع ان افسر هذه الصور ولا ان اجمعها فى حادث بعينه ، بقيت صورا متناثرة ترد الى ذهنى كل منها وحدها فلا تنزاح عنى الا وانا فى حالة من الاسى والحزن من شىء غامض وخفى .

فهمت بعد ذلك الأمر بالمصادفة ، بعد ان شارفت الاربعين ، كنت فى دار الكتب بباب الخلق اطالع صحف الثلاثينات اعدادا لدراسة تاريخية اكتبها ، وكان امامى "الاهرام" عدد ١٢ ديسمبر ١٩٣٧ ، ولفت نظرى صورة عم لى منشورة مع خبر وفاته ونبذة عن تاريخ حياته ، وفجأة ظهرت كل تلك الصور القديمة وتشكل منها الحدث الذى وقع وانا فى الرابعة من عمرى ، وعرفت بعد ذلك ان مازاد حدة الالم يومها ، ان الملك فؤاد بعث من الشرطة من يفتشون منزل المتوفى يبحثون عما عسى ان يكون من رسائل الخديو عباس ، وكان لعمى صلة وثيقة به ادت الى نفيه من مصر سنين طويلة ، ولكن الشرطة وكان معهم رئيس النيابة ، حاولوا ان يقوموا بمهمتهم البغيضة باكبر قدر من المجاملة والذوق واللباقة واكتفوا بالجلوس طالبين اية ورقة تثبت فقط انهم قاموا بمهمتهم ، الا ان دخول الشرطة بيتا لتفتيش فى اوراق رجل مات لتوه وبين اسرته ، وفى ظروف تماسك اسرى وثيق ، وحكاية المتوفى بين اسرته واخواته وشعورهم بما ناله من ظلم حيا وميتا ، كل ذلك زاد الالتهاب لهيبا ، ولحقت براعم الطفل مالحقها من اثار هذا اللهيب .



رحلة لمشاهدة السد العالى

عذبنى ايما تعذيب - فى طفولتى وصباى - هذا الشعور الحاد الحزين العميق بما وصفه القرآن الكريم بانه "مصيبة الموت" وزاد من ذلك ان غالب من نشأت بينهم كانوا كبارا فى السن ، كان فارق السن بين ابى واكبر اعمامى يصل الى خمس وعشرين سنة ، فكان الاعمام والعمات من جيل الاجداد ، واولادهم من جيل الاباء او اقل قليلا ، وبينى وبين ابى اربعين سنة او يزيد ، فلم ادرك صورته الا بملامح شيخ وحركة شيخ

وامراض شيخ ، وهكذا الآخرون من باب اولى . كل ذلك دعم الشعور بالخوف من "مصيبة الموت" وانه امر قريب يمكن أن يقع بين وقت واخر .

عزلنى هذا الشعور عن ان استمتع بما يستمتع به الأطفال ، من الجرى واللعب وماشابه ، وحد كثيرا من قدرتى على مجاراة زملاء المدرسة والجيرة فى هذا الوقت المبكر ، وحفزنى على التفكير فيما لا اطيق من مشاكل وامور تكد عقل الصبي . وقد يكون لكل ذلك اثره فى اننى صرت الى الكتمان والى الخطاب الداخلى ، وصار خوفى على الآخرين اقوى كثيرا من خوفى على نفسى ، وانغرزت فى وجدانى عادة الاكثار من الدعاء لله سبحانه ، وادعوه جهره ، وادعوه همسا ، وادعوه سرا ونجوى ، وادعوه بالنقش على القلب دون ان يتحرك اللسان ، لازمنى ذلك وصار عقدا موثقا بينى وبين الله سبحانه مهما رمتنى الرياح بعيدا ، وصار زورق نجاتى من موج يعلو كالجبال يحول بينى وبين رؤية مايحيط بى . وكنت فى صباى اجهد فى احكام صياغة الدعاء بما يضبط اللفظ على المعنى بغير التباس ، ودرب هذا عقلى على الصياغة اللفظية للمعانى والقدرة على استخلاص المعنى من اللفظ وعلى التأويل .

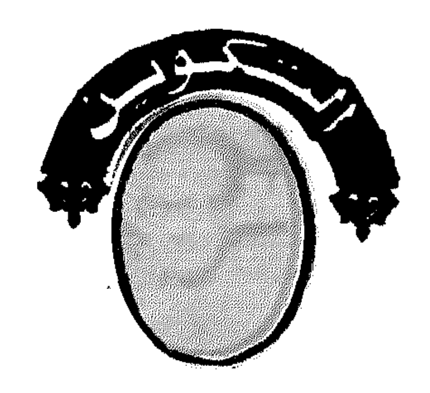
نقطة اخرى ، وهى ان كبر فارق السن ، الذى جاوز الاربعين مع الاب وشارف الستين مع العمة والجد للأم والاعمام ، وراوح بين العشرين والاربعين مع الام واولاد العم ، وجاوز المائة عام مع الجد للأب ، كل ذلك جعل لدى الطفل امكانية ان يراقب ثلاثة اجيال معا ، جيل شباب بداية القرن وشباب ثورة ١٩١٩ وشباب الثلاثينات ، وسمع من ذكريات هؤلاء جميعا ومن وقائع حياتهم ، فتكونت لديه ذاكرة ممتدة ومركبة ، واكسب ذاكرته عمقا خاصا واكسب مشاعره الفة خاصة مع وقائع هذه الدهور الثلاثة ، فصار كما لو كان عاشها جميعا .

وكنت رابع الاخوة واصغرهم ، وكنت ارد دائما فى النهاية من اى ترتيب يتبع ، حتى امراض الطفولة ، كنت صاحب التجربة الرابعة ، ناهيك عن الدراسة وغيرها ، ومع تصميم الاب على التعامل بقاعة الترتيب بانتظام واضطرار وثبات ، اكسبنى هذا طواعية وتقبلا للأنتظام والاندراج فى الترتيب متى كان ذلك باسس موضوعية ، هذا عن العنصر الاول .

(٣)

العنصر الثانى اننى قضيت طفولتى وصباى حتى بداية سنى الشباب فى العشرين من عمرى ، اى فترة الدراسة كلها حتى تخرجت من كلية الحقوق ، قضيتها كلها بين العمامة والطربوش ، وبين المدينة والريف ، ولست استخدم المجاز فى ذلك ولكنها الحقيقة ذاتها .

اما العمامة فكانت لجدى لابى الذى كان شيخ الأزهر ، ولسبعة من الاعمام تخرجوا جميعا فى الأزهر وعملوا به ولجدى لأمى الذى تخرج فى الأزهر ثم عاد الى قريته ، واما الطربوش فكان لأبى اصغر اخوته واول من انتقل الى المدارس الحديثة فتخرج فى كلية الحقوق واشتغل بالقضاء الأهلى ، ثم لأولاد الاعمام جميعا الذين سلكوا بلا استثناء الى المدارس الحديثة فى العلوم والمهن المختلفة ، ثم لكل من اتصلت بهم على مسيرة الحياة من

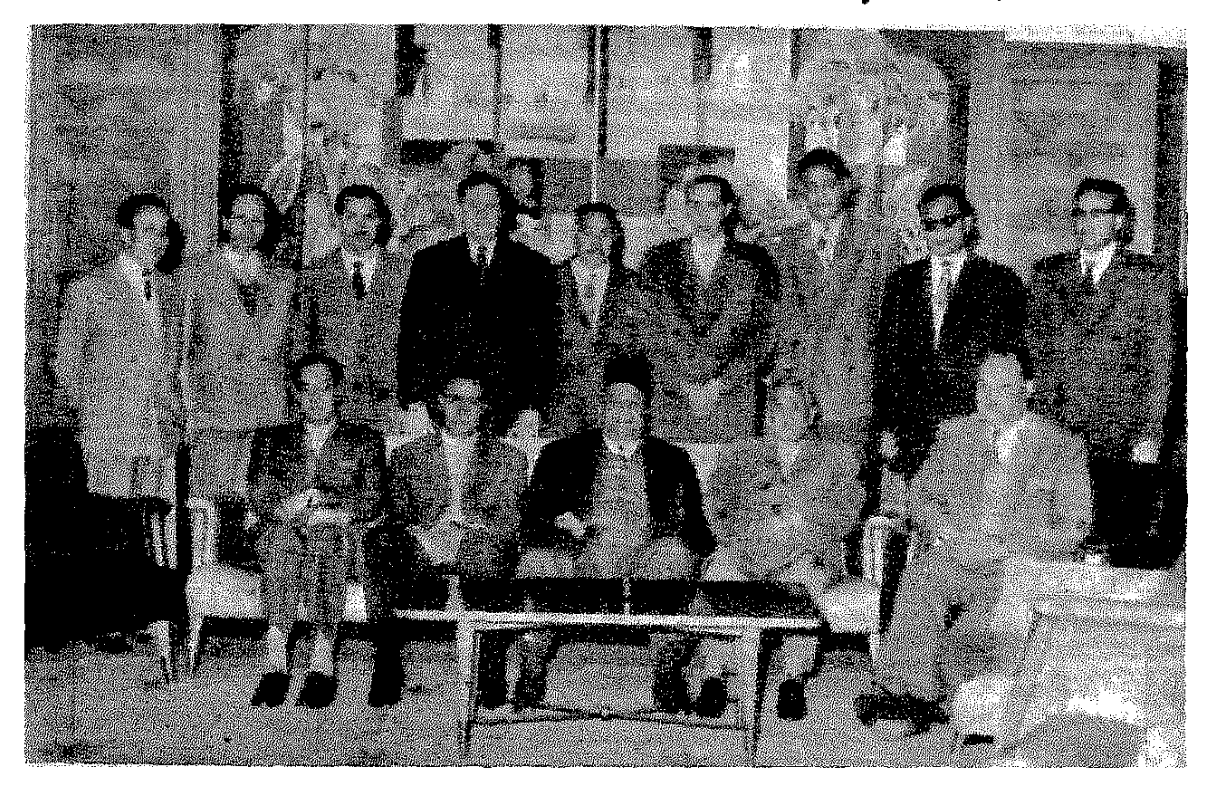


مدرسى المدارس الى غالب اساتذة الجامعة الى الزملاء والقرباء وآباء الاصدقاء وغيرهم . هى ذات الشرعية الاجتماعية تنتقل من نوع تعليم الى نوع آخر ومن عادات عيش الى عادات اخرى . وقد شاهدت هذا الانتقال بدرجاته وصوره فى الملابس والمساكن ونوع السلوك ، وهذه الدرجات والتنويعات والظلال التى تشغل طريق الانتقال من حال الى حال .

وعرفت كيف يكون نظر الانسان مشبوبا الى مستقبل يحقق صور الحياة التى تملأ الرءوس المطربشة من حيث التقدم والرفاة بالصور التى رأجت بين جيل ابناء المدارس الحديثة من شباب ١٩١٩ ، وكيف يعود الى العمامة ، ولسان حاله يردد مع الشيخ مصطفى عبد الرازق ، عندما عاد من اوروبا بالباخرة ، وفى ليلة الدخول الى الاسكندرية رجع الى ملبسه الأزهرى وشعر ازاء زملاء الحجرة انه انتقل من جيلهم الى جيل آخر ، ولكنه اشاح عن الاسى وقال "ايتها العمامة عزيزة انت رغم كل شىء" (او كما قال) .

عرفت هذا وذاك وعرفت ان اجل ما كان فى جيل المطربشين من شباب ١٩١٩ ، انهم رغم شعورهم بالتفوق على ذوى العمائم فى حاضرهم ومستقبلهم ، ورغم ما اندس اليهم من وجوه الانبهار بحاضر اوروبا ، واقصد بالانبهار هذا الشعور

صورة بمناسبة تكريم المستشار السيد على السيد رئيس مجلس الدولة واول مجموعة عمل اشتغلت معها منذ عام ١٩٥٤ .



بالاعجاب الذى يبلغ حدا يميل بالجمهور الى التقليد ويضعف لديه المقدرة على التوازن فى الاختيار ، رغم كل ذلك فقد كان موصول العروق بالرءوس المعممة ، مقرا ومعتزا بنبوته لهؤلاء ، وظل جيلا مشمولاً فى غالبه بفكرة "القداسة" وان العمل لايقابل الاجر فقط ، وانما يقوم اداء "للرسالة" لذلك لم يكن غريبا ان يتردد على السنتهم وصف "القاعة المقدسة" سواء على دار البرلمان او دار القضاء او دار التعليم ، لأنه وصف استصحبوه من المهام التقليدية للمسجد ، تشريعا وقضاء وتعليما ، ورغم ان الموصوف بالقداسة لديهم كان من المؤسسات الوضعية الحديثة ذات النظم الوافدة ، فقد كانوا يجتهدون فى اخضاعها للهضم الفلسفى الحضارى الموروث .

(٤)

كان الشيخ سليم البشرى شيخا للازهر من ١٩٠٠ الى ١٩١٧ ، مدة طويلة تخللها نحو اربع سنوات فصل فيها من المشيخة ، بسبب مواجهة حادة جرت بينه وبين الخديو عباس ، وجرت علنا بين المصلين بعد صلاة الجمعة ، وكانت تتعلق فى عمومها باستمساك الشيخ باستقلال الازهر فى شئون تعيين واختيار رجاله .

لما كبرت وقرأت فى التاريخ فهمت المهمة التى قام بها الشيخ سليم البشرى فى هذه الفترة ، وفى ايجاز شديد ، كان الانجليز عندما احتلوا مصر فى ١٨٨٢ قد تركوا ثلاثة مجالات لم يأذنوا لانفسهم ان يتدخلوا فيها تدخلا سافرا ، وهى الأزهر والمحاكم الشرعية والأوقاف . ومع نهايات القرن ظهر لهم من استقرارهم ما شجعهم على طرق هذه المجالات ، وبدأوا بالمحاكم الشرعية ، وكانت معركة سياسية انتصر فيها الشيخ حسونة النواوى شيخ الأزهر ومفتى الديار المصرية وقتها ، وتراجع الانجليز عن مسعاهم ، ولكنهم سعوا فعزل الشيخ النواوى من منصبه ، وفصل بين مشيخة الازهر ووظيفة الافتاء التى تبعت لوزارة الحقانية لتكون تحت اشراف المستشار القضائى الانجليزى ، وتولى مشيخة الازهر الشيخ عبد الرحمن قطب ، وتولى الافتاء الشيخ محمد عبده وذلك فى ١٩٠٠ .

عاجلت المنية الشيخ قطب بعد شهر من توليه ، فبادر رجال الأزهر بترشيح الشيخ البشرى للمشيخة ، وبادر الخديو بتعيينه قبل ان يجمع الانجليز امرهم على الضغط لاختيار من يناسبهم .

واغلق الشيخ البشرى الازهر فى وجه النفوذ الانجليزى ، وفى وقت كان النفوذ يتمدد ويتوغل فى كل مكان فى الحياة المصرية . وكان المجتمع الاوروبى قد اعترف وسلّم بالأمر الواقع لبريطانيا فى مصر .

كما قام الشيخ بحراسة الازهر من دعوات الاستشراق ونزعات التغريب ، وكان شديد الحساسية تجاه تدخل السلطات فى شئون الأزهر ، ومن هنا جاءت المواجهة بينه وبين الخديو وعبر بحدة عن رفضه تدخل الخديو فى اختيارات بعض الشيوخ بالازهر . وفقد بذلك تأييد سلطة الخديو ، وكان فاقدا من الأصل تأييد سلطة الانجليز ، فعزل من المشيخة فى ١٩٠٣ ، وبعد نحو اربع سنين او خمس عاد الى المشيخة وفقا لشروطه كما جاء بكتاب "الازهر الشريف فى عيده الالفى" وبقى فيها حتى توفى فى ١٩١٧ . وكما جاء فى هذا الكتاب



ايضا كانت مواقفه تشهد بالشجاعة وبما يرفع من شأن الأزهر علماء وطلبة وانه قاد الحركة الاصلاحية

هذا كله تاريخ عرفته لما كبرت ، أما فى طفولتى وصباى ، فقد كانت بردة الشيخ تلف بيته بعد وفاته لأكثر من عقدين من السنين ، وكانت قصة فصله تتنقلها الروايات ، اكثر مما تحكى قصص وجوده ، وان سبب فصله هو الغيرة على استقلال الازهر وكرامة العلم والعلماء ، وانه فقد دخل شيخ الازهر كراتب وحصص أوقاف ، ولم يبق له الا راتبه كشيخ للسادة المالكية ، وهو لايصل الى بضعة عشر جنيها فى الشهر ، لاتكفى اسرة متوسطة العدد من الطبقة الوسطى الدنيا ، ناهيك عما يلزم لاسرة كبيرة جدا والشيخ كان فى مثل سنه ومنصبه السابق وله اتباع "وبيته فتوح" ولكنه كان عازفا عن المال وعن الدنيا ، ولما عاد الى المشيخة براتبها وحصصها لم يفكر فى ان يكون اى ثروة وتوفى بعد نحو عشر سنوات ، ولا اعلم انه ترك مايورث الا بيته ، والاقدم فى حارة الشيخ سليم بالبغالة فى السيدة زينب والأحدث فى شارع البشرى بحلمية الزيتون ، حين ولدت ونموت الى سن التاسعة عشرة .

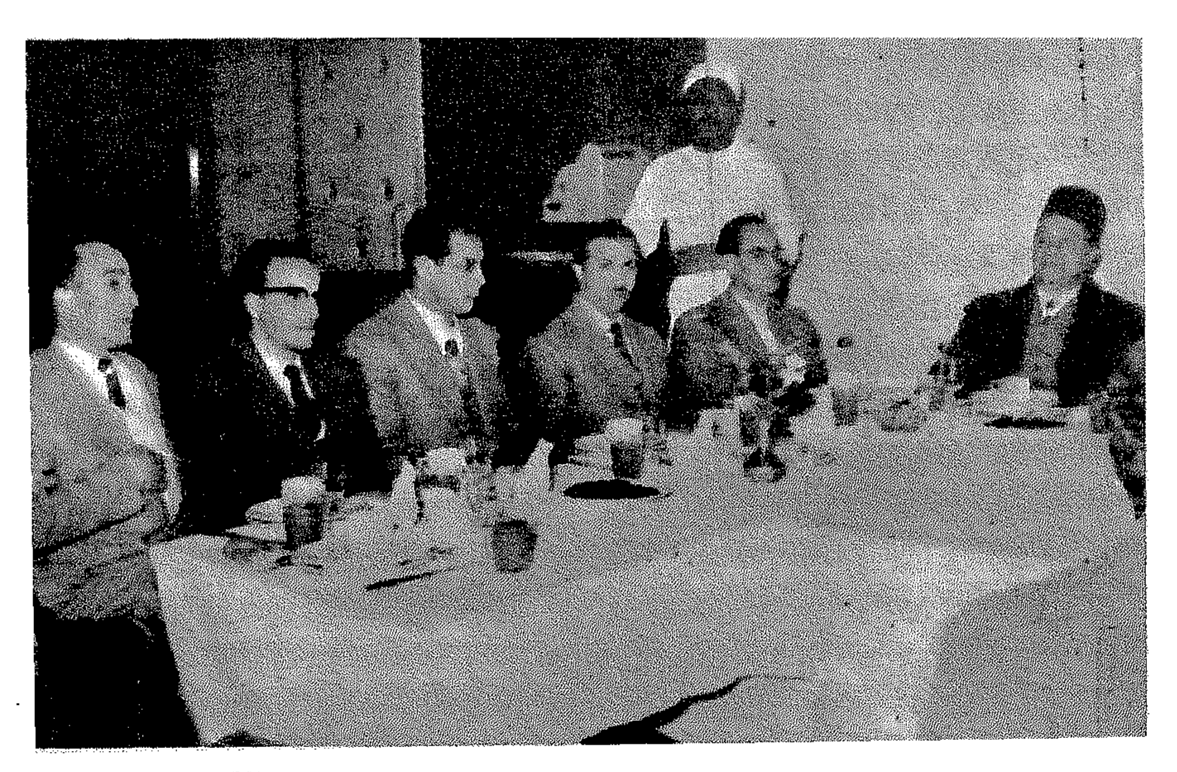
رضعت فى طفولتى وتغذيت فى صباى بقصص تصور هذا الأمر ، وتدور حول معنى المعاناة والشموخ ومراعاة كرامة العلم وتبعة خدمة الدين ، وصار اشبه بالبداهات عندى ان القيمة الاجتماعية هـى قيمة العلم والموقف ، وليست قيمة المال ولا السلطان ، كانت مسألة محسومة لاترد عليها شبهة ، قد يكون الواقع مع كر السنين اظهر تحفظات هنا وهناك ، ولكن بقى "التكوين" مرتبطا بالمرعى الروحى والقيمى الأول

(٥)

وعن المدينة والريف ، فقد اتفق ان كانت "المدينة" تتمثل فى ضاحية حلمية الزيتون ، وكان الريف يتمثل فى قرية "الدير" بجوار شبين القناطر وهى بلدة جدى لامى ، وبين هذه المدينة وهذه القرية مالايزيد عن ثلاثين كيلو مترا يقطعها قطار الضواحى او السيارة فى زمن لايصل الى الساعة الواحدة . فلم تكن اى اجازة تزيد على يومين الا ونقضيها فى القرية .

عرفت هذا الثالوث الذى تقوم عليه الحياة ، الدين والزراعة والاسرة الممتدة . وفهمت بدور حركات الطرق الصوفية فى ايصال الثقافة الدينية والتربية الوجدانية لكل المستويات الشعبية ، حتى ادناها مالا وتعليمـا وعملا .. ورأيت نمطين من التعليم ، نمطا يعطى الريف ويضيف اليه ونمطا ياخذ منه وينقص . الأزهر يجذب الريفى ليعلمه قدرا يكثر أو يقل ثم يعيده الى قريته ليشكل بؤرة اشعاع ثقافى بين اهله ، والتعليم الحديث طريق الالتحاق به هو طريق الابتعاد عن الريف ابتعادا لا رجوع بعده . الازهـر يربى للقـرية صفوتها ، والتعليم الحديث يجرد القرية من صفوتها .

وعرفت المجتمع الثقـافى الريفى بشيوخه المقيمين ورجـال الطرق ، وبالبعض من عابرى السبيل من الغرباء



طارق البشرى مع عدد من زملائه فى حفل تكريم احد كبار رجال القانون فى مصر

الذى يطرقون بابك بليل ، او بالاصح يدخلون بلا طرق لان الباب مفتوح ، فيجدون المأوى والمأكل والمبيت وكلمة الترحيب ، دون ان يسأله احد من هو ومن اين أتى الى اين يذهب ، الا ان يتكلم طواعية . وهم فى الغالب فقراء ، ولكن فيهم انصاف متعلمين او اكثر ، من الحديث مع بعض هؤلاء ، عرفت فى صباى لاول مرة من هم العرب العاربة أو العرباء ومن هم العرب المستعربة ، وان اسماعيل عليه السلام كان من المستعربة ، وسمعت عن قحطان وعدنان وجدهم ، ومنهم من يروى من شعر الصوفية .

كان مايتردد على الافواه مما يتناقل بالرواية عن المناقب والمعجزات ، وفصلتنى عنه السنون ، اذا بى افاجأ عند قراءاتى ادب الصوفية بعد نحو عشرين عاما ، افاجأ به فى كتب امثال الامام عبدالوهاب الشعرانى . الى هذا الحد كانت المعارف تنتشر بالتفاعل لتصوغ العقول والنفوس والقلوب ، الأزهر والصوفية والموالد كلها اواصر الربط الثقافى بين الثقافة التقليدية والاحياء القديمة فى المدينة والريف .

وفى الجانب الآخر ، كانت ثقافة المدينة الحديثة ، نجدها فى النخب الاجتماعية الجديدة ، واساليبها الحديثة فى نشر الثقافة والمعارف ، والصحافة وما تنقله من صور المجتمع الغربى ، والاذاعة والاغانى العاطفية ونغمات الموسيقى الاوروبية ، والمسرح وتراجم الادب الاوروبى ، والسينما ، السينما الامريكية التى استهوت شباب الاربعينات بعد الحرب ثم جاءت بجوارها السينما الفرنسية والايطالية مع بدايات الخمسينات .

من مدرسة الزيتون الابتدائية بحلمية الزيتون الى مدرسة مصر الجديدة



الثانوية الى كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، اى من السابعة من العمر الى التاسعة عشرة والنصف ، اى من اكتوبر ١٩٤٠ الى مايو ١٩٥٣ ، كان هذا طريقى فى مؤسسة التعليم ، طريق عادى ليس فيه جديد عن زملائي ولا غريب ولا شاذ ، بدأته اقرب للعزلة والانطواء ، وانهيته وقد تجاوزت هذين الامرين تقريبا ، ولكن بقى لدى منها ولايزال ، عرفت اتقاد العواطف وتوهج الوجدان ، ولم اجد ملاذا لى معهما الا الادب العربى ، سواء الشعر او النثر الفنى ، ثم الموسيقى الغربية ، اما الادب العربى فكنت اتلقاه واحاول معالجته بينى وبين نفسى ويمنعنى الحياء ان اظهر احدا على ما اكتب . واما الرسم فكرهته وكرهنى ، وكان مدرس الرسم يكثر من ضربى فى المرحلة الدراسة الاولى ، ولم اعرف قط هل كانت قسوته بقدر فشلى او اكثر او اقل كل ما اعرفه انه ترك لدى شعورا بغربتى التامة عن هذا المجال ، ولعل ذلك ماصرفنى بكل توهجى الوجدانى الى الفنون الكلامية وحدها ، فصارت هى وسيلة التعبير الوجدانى الوحيد .

ومنذ الثانية عشرة بدأت اعرف فى القرية شعر شوقى حافظ ، وسقط الزند لابى العلاء وديوان المتنبى وديوان الحماسة ، وصهاريج اللؤلؤ للسيد توفيق البكرى وكتابات طه حسين والعقاد وزكى مبارك وعبد العزيز البشرى ، ومنذ الرابعة عشرة بدأ اختيار الاصدقاء يجرى واهم عناصره العنصر الثقافى .

فى الثانوية العامة درسنا كتاب "اوروبا فى القرن التاسع عشر" لمحمد قاسم وحسن حسنى ، وكان من اروع الكتب التى تغذت بها عضلاتنا الفكرية ، ورؤيتنا للتاريخ والمجتمع ، وخاصة احداث الثورة الفرنسية ووحدة ايطاليا والمانيا ، وكان من يدرسة لنا الاستاذ محمود خفيف رحمه الله ، وهو مؤرخ وشاعر واديب ، وكان وطنيا وكان ديمقراطيا وكان شجاعا ، وكان شامخا ، الا ما اعذب الشموخ .

ثم جاءت مرحلة الجامعة وكلية الحقوق ، احببت القانون ، واخترته دون تفكير فى غيره ، فكان كالقدر ليس له بديل ، ولقد لقينى ولقيته ، واحببته واحبنى . ما من استاذ درست عليه الا نفعنى الله بعلمه ، ولكن يظل للشيخ عبد الوهاب خلاف اثر خاص ، اثر تغلغل فى نسيج الدماغ وفى عضلة المخ ، ولايزال ، لم يعرفنى قط ولم يرنى قط من بين المئات الذين يحضرون له ، ولكن هكذا اثره . كان جادا دائما فيه صرامة منهج وفقه ، وفيه دقة موازين الذهب فى اختيار اللفظ ، وفيه اقتصاد هائل فى استخدام الالفاظ ، ومقاصد كالشمس واضحة .

اثناء الدراسة ، كان يوم نزهتى فى الثانوية العامة يوم اقرأ فى كتاب "اوروبا فى القرن التاسع عشر" ويوم نزهتى فى الحقوق يوم اقرأ فى كتاب الشيخ خلاف .

(٦)

لم يعد ثمة حيز للحديث بالحجم المناسب عن العنصر الثالث الخاص بقضايا المجتمع ولعلى اتناوله فى مرة قادمة ، وهو اقل العناصر ذاتية . والحديث فيه ينسينى نفسى ولا يذكرنى بها ، وهذا اسلس .

● الهلال فى تونس ●

● ان مجلة " الهلال " ليست غريبة عنى ، اذ كنت أراها منذ طفولتى ضمن المجلات التى يحرص والدى ، توفيق بوغدير على تكوين مجموعة منها ، لابحكم مهنته كصحافى (وهو اليوم عميد الصحافيين التونسيين مهنة وسنا) بل كقارىء يحسن تقييم المجلات والكتب التى تقع بين يديه ، فيختار منها الافضل والارقى . ولئن اتجهت (انا) وجهة غير وجهة والدى المهنية ، اذ اخترت السينما هواية ثم تدريسا بالجامعة التونسية وإخراجا ، فان مجلتكم الراقية لم تغب عنى بمقالاتها المحررة باقلام نخبة من الكتاب المتضلعين فى فنون الادب والبحوث التى يعالجونها ، مما جعل مجلتكم تحافظ ، بين المجلات الاخرى على مكانتها المتميزة ، وتحتفظ بقرائها جيلا بعد جيل ، على مدى كل هذه السنوات الطويلة التى بلغت القرن عدا .

وكم كانت المفاجأة السارة عظيمة وأنا أطالع عدد فبراير ١٩٩١ من مجلة " الهلال " ، وقد خصصت بعض صفحاتها للحدث عن الشريط السينمائى " الحلفاوين " ، الذى قمت بإخراجه ، والذى عرض فى " مهرجان القاهرة السينمائى الدولى لعام ١٩٩٠ ـ وقد نال جائزة " الجمعية المصرية لفن السينما " كأحسن فيلم عربى لعام ١٩٩٠ ـ كان الحديث عن فيلمى فى المجلة ضمن مقال بعنوان (القبيح والجميل فى السينما العربية) كتبه الاستاذ مصطفى درويش .

ولقد غمرنى سرور كبير وأنا أطالع المقال لما لمسته فيه من دقة ملاحظة وموضوعية ، وعمق حس فنى وتقييم نزيه ، بعيدا عن العاطفة والمجاملة ، الأمر الذى يكسب الناقد مكانة مرموقة ومتميزة بين نقاد العصر وليس ذلك بغريب عن مجلة " الهلال " التى عودتنا على مر السنين بنشر المقالات الجادة والبحوث والتحليلات المعمقة البعيدة عن الاسفاف والسطحية مما جعلها تضاهى ارقى المجلات الادبية والعلمية فى العالم .. فشكرا لكم وتقديرى مجددا لكاتب المقال .

الدكتور فريد بوغدير
مخرج سينمائى واستاذ محاضر بالجامعة التونسية

● اين الحقيقة ●

يـريـك انظـر اليـا .. مـقـدار صاحبتيا
تصنعـة الله تبدو .. عليهمـا وعليـا

فكيف تهمل حسنى … ولا تراه مليا ؟ !
تركت للفكر عقلى .. … جعلت قلبى شقيا
ولست اعرف ذنبى .. … وما الذى بيديا
لست القبيحة حتى .. … تضن يوما عليا
اين الحقيقة قل لى .. … وأى عيب فيا ؟ !
هل افزعتك هموم .. … تطل من عينيا ؟ !
اذن لماذا تزيد الـ .. … هموم هما قويا ؟ !
حسبى من الحزن حسبى .. … قد هدنى ما لديا
فاعدل بربك هيا .. … فاعدل بربك هيا

عبد العزيز الشراكى - المنصورة

● الأدباء ومشكلة النشر ●

● فقد انتهيت للتو من قراءة كتاب ارسكين كالدويل ، ورغم عظمة هذا الكتاب وحلاوته ، فاننى لست ابالغ لو قلت انه اصابنى بألم عظيم وجعلنى ارثى لحالى انا واخوانى الكتاب ، اذ يتعذب واحد مثلى عاما وراء عام لأجل نشر رواية واحدة ضمن اربع روايات محتجزة فى دور نشر مختلفة (من بينها الهلال طبعا !!) وحاصلة على موافقة بالنشر .. دون جدوى .. وقد بلغت من العمر اكثر من ثمانية واربعين عاما !

ومن العجيب اننى اكتشفت فى نفسى المثابرة والنظام اللذين اتبعهما ارسكين فى حياته ومازلت متمسكا بهما .. فانا مثله احبذ ملاحقة الناشرين بخطاباتى على لقائهم الذى اشعر فيه بالحرج الشديد ، واعتقد انك لو احصيت خطاباتى اليك منذ عدة اعوام لوجدتها لاتقل عن عشرين خطابا على وجه التقريب .

كما احتفظ فى مكتبى بسجل تاريخى لحركة قصصى بين المجلات والجرائد المختلفة وازيد على ذلك باننى اخصص خانة لمصر المكافآت المالية حتى اعرف كم جنيت من الأدب فى نهاية كل عام لأقارنه بما جناه علىّ (وعلى اللى جابونى !!) اما عن كميات الطوابع البريدية التى كان يحتفظ بها ارسكين لمراسلاته فمن المؤكد انها كانت تقل بكثير عن طوابعى التى مازلت مواظبا على شرائها والتعامل المباشر من خلالها .

كما اكتشفت اننى اتفوق عليه بمسافة كبيرة فى سباق الصبر الذى يعتبره ارسكين العامل الأول فى نجاح الكاتب الروائى .. وأظنك من أوائل الشاهدين

فى مصر على صبرى هذا !! ("على" بفتح اللام وليس بكسرها) !

ويبدو يا اخى انه من الضرورى ان تنشأ فى مصر مهنة جديدة هى مهنة "الوكيل الادبى" فمثلى من الكتاب المرتبطين اضطراريا بوظائفهم ، هم فى امس الحاجة الى هذا الوكيل ، ولكن اين نجده ، وان وجدناه فهل سيثق بالكتاب ومعظمهم مفلسون ؟! .. يقول وكيله الادبى ص ١٢٢ "المؤلف يجب ان تُطبع اعماله والا توقف عن ان يكون مؤلفا نشطا" .. واعتقد ان هذا الوكيل قد سطح المسألة ببساطة شديدة فانى ارى ان عدم نشر انتاج الكاتب لفترات طويلة لايحرم المؤلف من النشاط فحسب وانما يحرمه من السعادة تماما ويقذف به الى متاهات الاحباط والتعاسة واهتزاز الشخصية والاحساس بالفشل الذريع فى تبرير وجوده على قيد الحياة .. المسألة اكبر بكثير من النشاط والكسل ، انها مسألة مصير دون ادنى مبالغة ، والدليل على ذلك اننى مازلت نشطا رغم اننى لم انشر رواية واحدة بمصر منذ سبع سنوات ، بل واننى عرضت نفسى لخطر كبير بالاشتراك فى مسابقة ادبية رغم خوفى من مآسى المسابقات واحمد الله انْ فزت اذ كان دافعى الأول والأخير من الاشتراك هو ضمان النشر .. والله يا اخى انى ارى فى كتاب مصر غير المحترفين ابطالا بالقياس الى كتاب الغرب ومنهم ارسكين هذا الذى يعتبر بقاؤه فى مكان واحد لمدة خمسة اشهر شيئا مملا .. ونحن نساق كالسجناء فى كل يوم الى مقار اعمالنا التافهة ولانملك حتى مجرد تغييرها قبل الاحالة الى التقاعد او الموت ـ لقد تجمدنا وتوحدنا مع الملل فكيف نرعى موهبتنا دون فرص متنوعة واعمال مختلفة متاحة وكيف نتخلص من ازمة الاسكان لو فكرنا فى الانتقال الى مدينة اخرى .. فاذا انتج احدنا رواية جيدة وسط هذه الظروف الحياتية الخانقة لاقوى الموهبة فهو حقا بطل .

واخيرا فانى ـ كقارىء للسلسلة ـ اشكركم على حسن اختيار كتاب هذا الشهر الذى امتعنى وألمنى واستفدت منه كثيرا كقارىء وككاتب فى آن واحد ..

سعيد سالم ـ الاسكندرية

● مشكلة شاعر ●

● لم اتعلق بالهلال كما تعلقت بها هذه الايام ، لقد تعرفت على "الهلال" واقتنيتها وانا عمرى ستة عشر عاما ، اى منذ خمسة اعوام مضت لقد اصبحت شغوفا بالهلال بعد ان ايقنت انها مدرسة ومنشأة ثقافية كبيرة ،

وخاصة باب انت والهلال المعلم الأول فلقد كنت اكتب متجاهلا كل قواعد اللغة العربية ، وهذا ليس خطئى وانما خطأ المناهج الدراسية وخاصة فى المدارس الثانوية ، فقد كنت اجهل تماما اى شىء عن قواعد الشعر من عروض واوزان وبحور مع انى منذ صغرى ادرس اللغة العربية بنحوها وبلاغتها لذلك اتمنى ان تدرس مادة العروض فى الثانوية العامة لأنه قلما تجد من يعرف او يسمع عن هذا العلم من دارسى المعاهد والكليات غير المتخصصة أننى خريج معهد فنى صحى قسم اشعة طبية ولقد سعدت جدا بعد ان لفتم نظرى الى هذا العلم وقمت جاهدا اجمع قليل القليل المعروف عنه والمتوفر فى المكتبات لذلك اشكركم من صميم قلبى على ارشادكم للجيل الجديد وعدم التخلى عن دوركم الريادى كاكبر واعرق مجلة عربية .

واذ أقوم بإهدائكم اول انتاج اعتقد فى نظرى انه سليم عروضيا لعله يلقى قبولكم وينشر .

هى والأصدقاء

هى ذا لكم نفع وضر ... هى ذابكم خير البشر
هى المقادير قد بدا ... من حسنها عدل السير
عدك لكم فاغتنموه ... فكم اخطات وكم قدر
هى ذنب من ذا يغفر ... سره لى لكم قد غفر

صلاح الشهاوى
دمشيت ـ طنطا

● تعليق :

ـ نشكركم على حسن ظنكم ، ولكن الشعر لايسلس قياده لأحد بمجرد دراسته للعروض ، فقد يدرس احد الناس العروض ويفهمه ويبرع فيه ثم لايكون شاعرا ، فاجعل همك فى قراءة دواوين الشعر العربى البليغ لا قراءة كتب العروض فقط ، وهى كتب كثيرة لاكتب قليلة كما تقول .. واما ابياتكم هذه فينقصها الوزن ، ولكن فيها شطرتين لهما وزن وهما قولك : من حسنها عدل السير .. وقولك : " هى ذا بكم خير البشر " .. ولكن كان يجب ان تقول : هى ذى ، لأن "هى" مؤنثة فيلزمها " هذه " او " ذى " .. واما " ذا " فتستعملها حين تقول : " هو ذا " .

• اقـــرأ •

الحمد لله الذى خلق الوجود من العدم
قد انزل القرآن فيه من الهداية والحكم
واضاء للناس الطريق لتنجلى كل الظلم
وهدى الى خير السبيل ، ونوره فى الكون عم
فى ليلة غراء من شهر الهداية والكرم
فى الغار ، فى حضن الطبيعة ، فى السكون المنسجم
نزل الامين على الامين يبثه خير الكلم
اقرأ .. فان الله قد اوحى وعلمٌ بالقلم
قد نظم الكون الفسيح بقوله "كن" .. فانتظم
اقرأ .. فان العلم نور للشعوب وللأمم

محمدى حسن الشافعى
مصـنع ٨١ حربـى

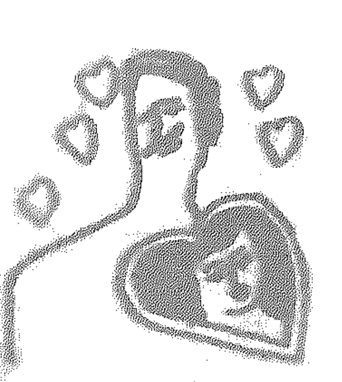
• عريس .. ايل للسقوط •

شيخ تزوج من ضنى وحنين
يمشى الهوينى خلفها متعكلا
غراء فارعـة القوام .. كيـانها
عجبـا ! يمس جبينها فتـرده
(فالشيخ) مشغول بلعق جراحه
ونصحته قبل الزواج فصدنى
وبسطت من عطفى عليه ارده
وقصصت آيات الحياة ليرعوى
قلت : اتئد .. واذكر عيالك اننا
مسكين لايشكو سوى نظراتها
فـالام يلعق حسنها بخيالـه
وهت العظام لديه وهى غزالة

اما العروس فترتدى (البكينى)!
وشبـابـهـا متفجـر التكـوين
يغرى ولمح اللحظ كـالاسفين
بتنـهـد .. وتغيظ .. وانيـن !
ويكاد من عجز يقول : خذونى
متحديا فوصلت من يقصينى
عن غيـه وغـروره الملعـون
فاهتز يزجرنى باسم الدين !!
شبنا وقد كدنا .. فهل تعصينى ؟
فـالشـك صيـره الى مجنـون
وكأنه من مـدمنى الأفيون ؟؟
نفرت ! فهل تبقى بدون قرين ؟؟

السيد مصطفى الجرف
المحامى - طنطا

● نداء الحب ●



منذ صار الحب مسكوبا بقلبينا .. وصرنا
لانرى في جنة الآمال - للاحزان معنى
اذ تباعدنا كثيرا عن زمان ليس منا
جاء يهدينا الى دائرة اليأس ويمضى
تاركا للمهتدى ليلا طويلا دون ومض
فمن الثلج - الذى ينساب - نستخفى ببعض
فاذا الحب ينادينا الى فجر اللقاء
فانسلخنا ، كل قلب يبتغى عرش الصفا
بينما يحوسه عمر طويل من عطاء
فاذا حاد عن الدرب الى الدرب اعيد
كى يلاقى - فى رياض القرب .. ازهار النشيد
تنسج الاتى من الايام عيدا اثر عيد

عبد الرحيم الماسخ - سوهاج

● مع الاصدقاء ●

● نضال اسعد - روما :

- انك تقرأ بعض مقالاتنا بحساسية شديدة غير واقعية ، فنحن لانمجد العنصر المصرى لحساب اى "عنصر" عربى اخر ، ولانعترف اصلا بشىء اسمه "عنصر" .. ولكن لكل قطر عربى مشاكله التى لابد له ان يناقشها .. اما كلامكم حول "الشخص الحاكم" فى كل بلد عربى ، فهذا مايعرفه كل عربى ونرجو ان تنتهى المرحلة التاريخية التى حجبت الديمقراطية لحساب اشخاص الحكام فى اى مكان !

● ابو الهيثم المجدلى - غزة :

- لم نفهم ماذا تحاول ان تقول تعليقا على كتاب الاستاذ يحيى حقى "خليها على الله" الذى نشرته اخيرا سلسلة كتاب الهلال .. اسلوبكم غامض

، وكذلك خطكم ، اما قصيدتكم التى اولها : سلاما ايها الجحش الكبير" .. فنعتذر اليكم من عدم نشرها ولانستظرفها كتعليق منكم على قول يحيى حقى ساخرا : "وجدت سعادتى بين الحمير" !

● **رجب عبد النظير الجنيدى ـ سمهود ـ قنا :**

ـ قصائدكم التى قراناها صحيحة الأوزان الا هنات قليلة ، ونرجو لكم التوفيق ، ونرحب بتلقى رسائلك دائما ..

● **عبد الرحمن محمد احمد عبد المولي ـ كرموز ـ الاسكندرية :**

ـ قصيدتكم فى ذكرى صديقكم الشاعر عبد المنعم الانـصارى ، تحتوى ابياتا جيدة واخرى اقل جودة ، وعيبها انها طويلة ولم نشأ اختصارها ، وحاول ان تكون قصائدك التى تبعثها الى الصحف غير متعلقة بمناسبات شخصية ..

● **السيد عبد الله الخولي ـ صنافيد ـ غربية :**

ـ المشكلة كما فهمتها انت بالضبط .. فمجال النشر ضيق ، ولا نستطيع نشر كل شىء بسبب هذا المجال ..

● **محمد على بكر ـ كلية الآداب بجامعة القاهرة :**

ـ قصيدتكم التى تقولون فيها : "تحملها الايدى اذ تطو .. تندفع اليها العين .. فتصده .. ترتد الى الخلف .. ترتطم بجمجمة الراس .. يسيل الدم .. يضيق الصدر" .. الخ ... هذه القصيدة التلغرافية الاسلوب تدل على موهبتكم ، وتدل كذلك على ان هذه الموهبة تحتاج الى نار هادئة طويلة لكى تنضج فوقها ..

● **رافت انور جسار ـ اداب القاهرة :**

ـ ليست مهمتنا يابنى ان ننقل الى قرائنا مالا نفهمه من المحاولات الشعرية غير الناضجة .. ننصحك ان تكون اكثر تواضعا ، فانك مازلت فى اول الطريق وتحتاج الى من يرشدك ! .. ونعتذر اليك من عدم نشر قصيدتك المسماه "نبوءات" والتى تتحدث فيها عن اثرياء العرب الذين يشمون الهيروين ، ضمن كلام اخر غير مترابط يستعير قاموسه واسلوبه من شعراء كثيرين ..

● **مصطفى احمد ابراهيم حسين ، وخالد على البدرى :**

ـ نعتذر إليكما من عدم نشر زجليكما ، لأن الهلال تخاطب الوطن العربى كله باللغة القومية المشتركة وهى اللغة الفصحية ، ولن نجد الازجال العامية من يفهمها الا فى مسقط رأسها المحلى المحدود .



الكلمة الأخيرة

فى الزمن الشحيح بالمحبة

قبل أربعين عاما .. وقعت فى هوى شاعر الهند العظيم طاغور ، ولم أكن قرات له حرفا ! كانت مكتبة دار البلدية فى مدينة دمنهور – حيث ادرس وأقيم بمفردى – مزارى اليومى فى أوقات محددة . من فهارسها خطفتنى عشرات العناوين لكتب قراتها ، ومئات العناوين لكتب حلمت باقتنائها وقراءتها ، وفيها تعرفت على الكاتب القاص أمين يوسف غراب ، الذى كان يعمل "امينها" حينذاك ، والذى قربنى منه كابن بعد ان لفته ترددى واستغراقى فى القراءة الى ان تغلق المكتبة ابوابها

فى احدى زياراتى تلك .. حدثنى امين يوسف غراب عن طاغور كان حديثا عذبا شيقا عن انسان ، وفيلسوف ، ومفكر ، وشاعر وقاص ، وروائى ، وكاتب مسرحى ، وممثل ، وفنان تشكيلى وموسيقى ، ومغن ! كنت انصت مشغوفا ومسلوبا من فضولى وانبهار ودهشتى : كيف اجتمعت فى فرد واحد كل هذه العبقريات ، وبكل هذا الفيض الانسانى الهادر بمحبة الله ، والانسان ، والكون ؟ ولست ادرى لماذا ازدحمت ذلك المساء البعيد بوهج لاحدود لمداه ، من النو والصفاء والسكينة ، الى تلك الدرجة التى يصبح فيها الأرق ، اشهى متعة من الغرق فى سكينة النوم العميق ! ولست اذكر فيما بعد ، ا انى شغلت بالتنقيب عن اثار طاغور ، دون ان يروى ظمأى ال الاحاطة به فورا ، مصدر من مصادر البحث ! حتى كان العام ٥٨ وقد استقر بى المقام فى القاهرة – حين وجدتنى امام خمس مجموعا من اشعار طاغور ثم راحت تتوالى اثاره فى طريقى ، والى مكتبتى اكثرها باللغة الانجليزية ، واندرها بالعربية ولعلىَّ هنا مدين بالتنو والامتنان للشاعر القاص الروائى السورى الدكتور بديع حقى ، الذ ترجم "روائع طاغور فى الشعر والمسرح" قبل اكثر من ربع قرن ا لغة عربية شفيفة رفيعة الذوق والعذوبة .

وهاانذا ، بعد اربعين عاما من العشق لعالم طاغور الانسانى الرح ، مازلت اهرع الى قراءته بكل عنفوان بكارة الدهشة الأولى ، و يجسد لى مثالا فريدا من الشعراء الانسانيين ، الذين يرتفع بصداقتنا لهم الى ذروة يصعب ان نتدلى منها الى مراتب ادنى الصداقات ، باولئك الذين نقرأ لهم ، او نلقاهم فى الحياة ، وياله ال من ساحر اكثر .. احلى مذاقا ، وادعى الى التطهر والتجرد واشا الألم النبيل ، ونحن نقرؤه فى زمن شحيح بالمحبة ، انطفأت ف المصابيح بين الانسان .. والانسان الآخر !!

يكتبها هذا العدد

عبد القادر حميده




EGYPTAIR
مصر للطيران

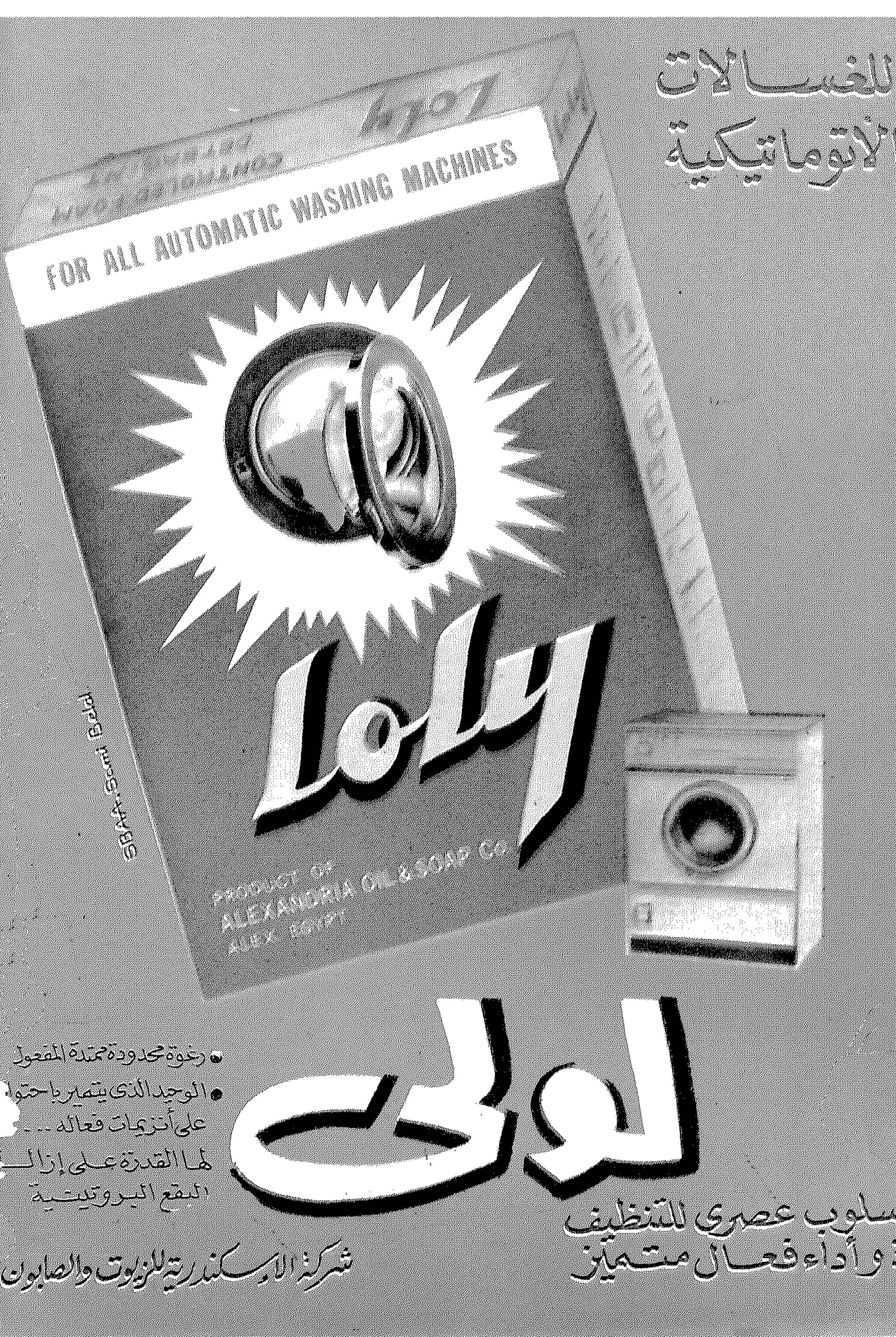
يونية ١٩٩١ ● الثمن ٧٥ قرشاً

الهلال

النهر الخالد

الموسيقار محمد عبد الوهاب

■ حارة نجيب محفوظ



للغسالات
الاتوماتيكية
FOR ALL AUTOMATIC WASHING MACHINES
لولى
PRODUCT OF
ALEXANDRIA OIL & SOAP CO.
ALEX. EGYPT
لولى
• رغوة محدودة ممتدة المفعول
• الوحيد الذى يتميز باحتوا
على أنزيمات فعاله ...
لها القدرة على إزال
البقع البروتينية
سلوب عصري للتنظيف
وأداء فعال متميز
شركة الاسكندرية للزيوت والصابون

الهلال

مجلة ثقافية شهرية تصدرها دار الهلال
أسسها جرجى زيدان عام ١٨٩٢

السنة الثامنة والتسعون • يونيه ١٩٩١ • ذو القعدة ١٤١١ هـ

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

نائب رئيس مجلس الإدارة
عبد الحميد حمروش

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المستشار الفنى
محمد أبو طالب

مدير التحرير
عاطف مصطفى

المشرف الفنى
محمود الشيخ

سكرتير التحرير التنفيذى
عيسى دياب

برحيل فنان الأجيال محمد عبد الوهاب .. فقدنا هرما شامخا .. ادى دورا مميزا لايطاوله احد فى مجال الموسيقى والغناء كما وكيفا . بل انه سجل رقما قياسيا فيما لحنه وفيما غناه بل وفى القيمة الفنية الرفيعة التى وصل اليها . وشهد بها محبوه .

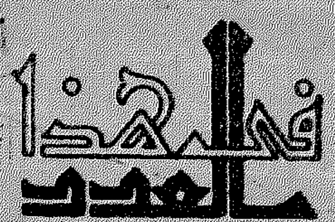
والسؤال الذى يطرح نفسه الآن : هل سنظل نكتب صفحات التأبين والرثاء لعبد الوهاب نصف فيها أياديه البيضاء على الموسيقى ، وعلاقته الوطيدة بالشعراء بل وبرؤساء الدول العربية قاطبة ؟

أظن أن مرحلة جديدة .. وكتابات متأنية سوف تظهر عن عبد الوهاب ، خاصة وأن الكثيرين - فى حياته - لم يكونوا يقتربون منه . نقدا أو حتى تلميحا لشبهة من النقد .

وظل عبد الوهاب بعيدا عن هذه المعارك بل إنه شخصيا كان يحرص أن يكون فوق النقد من خلال فن متميز فى الموسيقى والغناء يقدمه لعشاقه من الخليج إلى المحيط .

فى هذا العدد قدمنا ثلاث مقالات تتناول عبد الوهاب من زوايا مختلفة .. بل تنقد عبد الوهاب نقدا موضوعيا .. أى أننا بدأنا هذه المرحلة .. والتى سوف تشهد جدلا كبيرا حول فن عبد الوهاب . وما قدمه على مدى سبعين عاما .. هى عمره الفنى .

الإدارة : القاهرة - ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا)
ت : ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط)
المكاتبات : ص . ب : ٦١٠ العتبة -
الرقم البريدى : ١١٥١١ - القاهرة
المصور - القاهرة ج . م . ع .
مجلة الهلال ت : ٣٦٢٥٤٨١
تلكس : 92703 Hilal un
فاكس : FAX : 3625469



الغلاف بريشة الفنان
حلمى التونى

فكر وثقافة



قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحاد البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

الثمن

الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ١٠٠٠ فلس ، السعودية ريالات ، الجمهورية اليمنية ١٠ ريالات يمنية ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر ٧ ريالات ، الأمارات العربية المتحدة ٧ دراهم ، سلطنة عمان ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، انجلترا ١٢٥ بنساً ، ايطاليا ٢٧٠٠ ليرة ، الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ سنت ، كندا ٥ دولارات ، السودان ١٥ جنيها سودانيا .

٥ يونيو: لا تستسلموا!

منذ أربعة وعشرين عاما اتخذ شهر «يونيو» من كل عام طابعا مأساويا، وهو فى ذلك مثل المأساة الاغريقية التقليدية، تتصاعد مرحلة بعد مرحلة حتى تبلغ ذروتها، حتى لتبدو بدايتها كالملهاة البسيطة بالقياس الى مراحلها المتصاعدة فى نهايتها أو قرب نهايتها ..

كانت هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ مأساة الأمة العربية، وبعد عشر سنوات تبين أن ٥ يونيو ١٩٦٧ كان الضربة الأولى، وأن الضربة الثانية أشد، وبعد عشر سنوات أخرى، ثم بعد خمس عشرة سنة، ثم بعد مايقرب من خمس وعشرين سنة، يقف الانسان العربى مرتاعا، وقد توالت عليه هزائم رهيبة خرجت كلها من معطف ٥ يونيو ١٩٦٧ وتوالت متتابعة حتى أصبح الانسان العربى هو الانسان المهزوم فى القرن العشرين!

فى ٥ يونيو ١٩٩١ يقف هذا الانسان الذى كانت أحلامه ناضرة مزدهرة قبل ربع قرن، وهو لايستطيع حتى أن يحلم، لأن الواقع الذى يصطلى بناره أفدح من أن يسمح له باغفاءة قصيرة يحلم فيها نائما، أو بصحوة هادئة ينعم فيها بدقائق خاطفة من أحلام اليقظة!

ولنتذكر مشروعات «السلام» التى كانت مطروحة على الساحة سنة ١٩٦٧، ثم فيما تلاها من السنين الطوال، نجد تنازلا لاينقطع من دركة الى دركة، أو صعودا مستمرا الى هاوية بعد هاوية، حتى بلغت امتنا المغلوبة على أمرها، وهى مكتوفة الأيدى من المحيط الى الخليج، موقفا مصيريا كمواقف أبطال المآسى الاغريقية، لاتملك فيه الا كلمة واحدة، هى أن تنتهى، أى تخرج من ساحة التاريخ، وتقول لعدوها الصهيونى الامبريالى: تفضل أيها السيد .. أذبحنى!

هذا هو المعنى الذى يفهمه كل من ألقى السمع وهو شهيد ، من مناورات «السلام» الصهيونى التى تحاول تعميم الهزيمة على جميع شعوب الأمة العربية ، وفى مقدمتها شعوب الخليج والشعوب العربية الأخرى التى انتصرت فى حرب الخليج !

يقول العرب : الأرض مقابل السلام ، كما تقضى مقررات الأمم المتحدة ..

فيقول الصهيونيون : بل السلام مقابل تنازل العرب عن أرضهم ! ..

ثم لايكتفى الصهيونيون بأخذ الأرض ، فقد أخذوا فعلا أرض فلسطين وأرض الجولان ، وأرض جنوب لبنان منذ أمد بعيد ، والآن جاء دور النفط !!

الصهيونيون يريدون الآن أرض العرب ونفطهم وأموالهم ! ..

ذلك هو الموقف اليوم .. ذروة التداعيات المأساوية ليوم ٥ يونيو ١٩٦٧ .. لقد تضخم هذا اليوم المشئوم ، فقفز من حجم الفأر الى حجم الفيل فى أربعة وعشرين عاما ، ولم تستطع أمة العرب أن تحتفظ حتي بحجمها الذى كان لها عندما تلقت هزيمتها التاريخية فى ذلك اليوم المشئوم ! ..

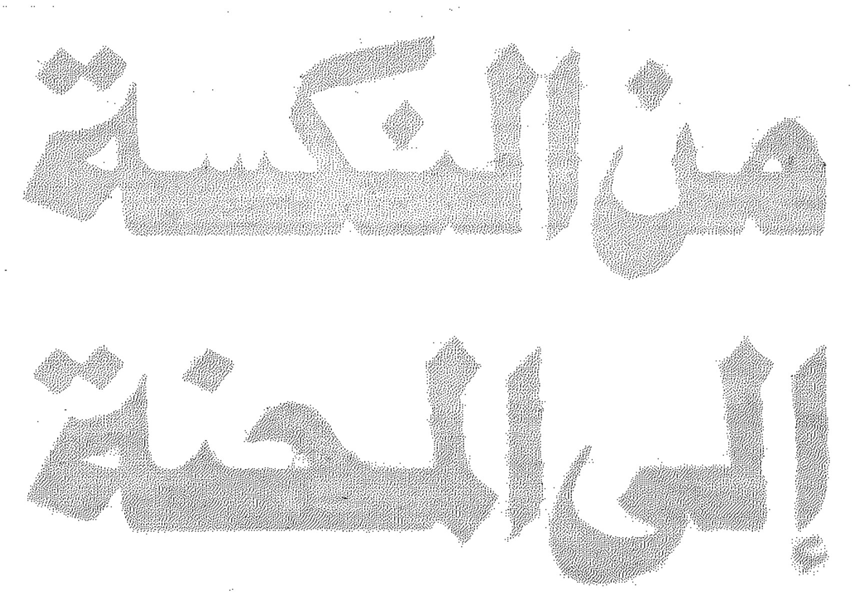
عزيزى القارىء ......

إن شهر يونيو ، بيومه الخامس الكئيب ، قد أظلنا بغيومه القائظة العقيمة من المطر ، و شواظ ناره فوق رءوسنا .. ولكن ذكريات يومه الخامس ، هى أكثر عقما من غيومه ، وهى أشد شواظا من نار شمسه الحارقة !

عزيزى القارىء ......

مع ذلك ، لايمكن أن يتوقف البحث عن طريق ، ولايمكن لشراهة العدوان أن تبتلع أمة تمتد أرضها من المحيط الى الخليج .. ولايمكن أن نقول لأبناء الانتفاضة وبناتها فوق أرض فلسطين العربية : استسلموا بل نقول لهم : استمروا .. لاتستسلموا ..





هزيمة الثورة والثروة معا !

بقلم: عبد الرحمن شاكر

فى الخامس من يونيو فى كل عام، منذ عام ١٩٦٧، تعود ذكريات النكسة وآلامها، وتنطلق التحليلات والتفسيرات، من مختلف التيارات والاتجاهات، فى محاولة لتبين أسباب تلك النكسة وعللها، والآثار التى ترتبت عليها، وتلمس الخروج من تلك الآثار، بإزالتها أو بالتخفيف من وقعها. ولكن ذكرى النكسة فى هذا العام، تأتى ولها مذاق مختلف ! . تأتى وقد أضيفت إليها مأساة عربية جديدة، يكاد يتم الاصطلاح على تسمية تختص بها، وهى « المحنة » . المحنة التى بدأت فى الثانى من أغسطس فى العام الماضى، باحتلال العراق للكويت، وانتهت، أو الفصل الأول منها بالحرب التى شنها التحالف الدولى على العراق، ذلك لأن لهذه المحنة ذيولا لم تنته بعد، أبرزها مشكلة الأكراد فى شمال العراق، ومشكلة الشيعة فى جنوبه، والآثار المحتملة لدماره الشامل، وآبار النفط التى لاتزال مشتعلة فى الكويت، ثم سائر التداعيات على مستوى المنطقة العربية كلها.



وإذا كانت هزيمة عام ١٩٦٧ ، تعتبر هزيمة لحقبة كاملة ، عاشها الوطن العربى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وهى حقبة الثورة ، فإن محنة ١٩٩١/٩٠ كانت هزيمة لحقبة أخرى تلتها ، هى حقبة الثروة ، المتمثلة أساسا فى النفط العربى ، وفى منطقة الخليج بالذات ، ولكل حقبة من هاتين ملامحها الخاصة ، على تداخل لامفر منه بينهما ، من حيث كونهما حلقتين متتاليتين من تاريخ متصل .

● حقبة الثورة

بدأت حقبة الثورة ، كما تقدم ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، بالحركة التحريرية ، التى بدأت فى مصر أساسا ، وجعلت منها مركزا لتلك الحقبة ، حيث بدأ الشعب المصرى بعد انتهاء الحرب ، بالمطالبة بجلاء القوات البريطانية عن البلاد ، استكمالا للاستقلال الشكلى الذى حصلت عليه مصر بموجب معاهدة ١٩٣٦ ، والتى أصبح إلغاؤها مطلبا بارزا من مطالب تلك الحركة ، وتحقق على يد حكومة الوفد ذاتها ، التى وقعت تلك المعاهدة ، وكان للنحاس باشا زعيم الوفد ورئيس الحكومة فى كلا الموقفين قول مشهور : « بيدى وقعت معاهدة ١٩٣٦ ، وبيدى امزقها فى عام ١٩٥١ » .

على أن الحركة الوطنية التحررية التى اندلعت فى مصر فى تلك الفترة ، لم تقف عند مطلب الجلاء ، وتحقيق وحدة وادى النيل ، بل احاط بهذين المطلبين اللذين كان ينعقد عليهما الاجماع الوطنى مطالب اخرى ، من بينها مطلب « العدالة الاجتماعية » ، الذى كان يتجاوز مطلب

من النكسة إلى المحنة

الوفد التقليدى فى « الديمقراطية السياسية » ، وكان ذلك بسبب تفاقم المشكلة الاقتصادية الداخلية ، ومن سماتها البارزة ، بطالة المتعلمين ، التى كانت بدورها ، ظاهرة شاذة فى مجتمع يشكو التخلف وقلة التعليم وسيادة الأمية ، إذا قورن بالمجتمعات الاخرى ، التى توصف بكونها متقدمة ، وكان من وراء مطلب العدالة الاجتماعية التيارات اليسارية ، التى كانت امتدادا عضويا ، وصدى لخروج الاتحاد السوفييتى من عزلته الدولية ، باعتباره احدى القوى الرئيسية المنتصرة فى الحرب ضد النازية ، وصولا إلى كونه إحدى القوتين العظميين فى العالم ، يقود معسكرا دوليا ضخما هو المعسكر الاشتراكى ، وخاصة بعد انتصار الثورة الصينية فى عام ١٩٤٩ .

وعلى الجانب الآخر ، أو جانب اليمين ، إذا كان ولابد من هذا اللون من التصنيف ، التيار الاسلامى ، المتمثل أساسا فى حركة الاخوان المسلمين والذى كان يستشعر روابط مصر التقليدية ، خارج حدودها ، ولا يرى فى « وحدة وادى النيل » فحسب ، غاية أحلامه « الاقليمية » ، بل يتطلع إلى وحدة إسلامية شاملة ، العرب جميعهم بالتأكيد جزء منها ، بلا حاجة إلى النقاش حول ما إذا كانت الوحدة المنشودة عربية أو إسلامية ، وكان شعار هذا التيار الآية الكريمة : [إن هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون] .

وكان الحوار ما بين هذين التيارين وبعضهما البعض ، والتيار الوطنى التقليدى الذى يمثله الوفد يدور على قدم وساق داخل الحركة الوطنية العارمة التى شملت الجميع ، ويصل أحيانا إلى حد التصادم والعنف ، وعزز من مكانة التيار اليسارى الوليد ومطلبه فى العدالة الاجتماعية بروز الاتحاد السوفييتى كقوة مساندة لمطلب التحرر الوطنى وجلاء القوات البريطانية ، الذى عبر عنه مندوبه جروميكو فى مجلس الأمن فى عام ١٩٤٦ ، ولكن مالبث هذا التيار أن انخفضت أسهمه كثيرا وارتفعت أسهم التيار الاسلامى ، حينما أيد الاتحاد السوفييتى فى عام ١٩٤٧ قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما يهودية ! ولم يكن من شأن ذلك التأثير على علاقات التيارات السياسية فى الداخل فحسب ، بل القى على الحركة الوطنية فى مجموعها عبئا إضافيا وهو المسئولية « القومية » لمصر ، عن تحقيق حرية الشعوب العربية كلها على الأقل ، وفى مقدمتها شعب فلسطين ، حيث أصبحت الصهيونية قرينة للاستعمار ينبغى النضال ضدها بنفس القدر الذى يجرى به النضال ضده .

وكان قرار الحكومة المصرية مع الحكومات العربية الست الأخرى ، المستقلة ولو شكليا فى جامعة الدول العربية ، بدخول الحرب ضد « العصابات الصهيونية فى فلسطين » والتى انتهت بهزيمة الجيوش العربية ، واستيلاء دولة اسرائيل ،

على قسط اكبر في ارض فلسطين . مما قرره لها مشروع او قرار التقسيم ! وكانت النتيجة عكس ماأراده النظام الملكي الحاكم في مصر ، من ان ينقذه تحقيق انتصار قومي في فلسطين ، من الثورة الداخلية عليه ، بتهمة التواطؤ مع الاستعمار والخضوع له تارة وبمطلب تحقيق العدالة الاجتماعية تارة أخرى ، او حتى مجرد تحقيق قدر اكبر من الديمقراطية ، كما كان يطالب الوفد .. لتمتد الثورة إلى ذات الجهاز الذي يحمي النظام والذي ذاق اكثر من سواه مرارة الهزيمة في فلسطين ، وهو الجيش المصرى ، وخاصة في صفوف ضباطه الشبان .

وكانت ثورة ١٩٥٢ ، التي كانت من حيث الشكل انقلابا عسكريا ، ومن حيث المضمون ، استئنافا لتقاليد الجيش المصرى من أيام عرابى فى التعبير عن الام الأمة وأمالها ، وكانت شعاراتها ، وربما التكوين العضوى لقيادتها ، انعكاسا للشعارات والتيارات التي يضطرم بها الشارع السياسي الثائر في مصر .

وقد نجحت الثورة فى تحقيق المطلب الوطني الأول وهو جلاء القوات البريطانية عن مصر فى عام ١٩٥٤ ، وصدها للعدوان الثلاثى عليها عام ١٩٥٦ ، الذى وقع من جانب انجلترا وفرنسا واسرائيل بسبب توجهاتها الاقتصادية والاجتماعية فى الداخل .

واستعادت الثورة من التيار اليسارى شعاراته فى العدالة الاجتماعية ، واستخدمت اداته التقليدية فى التأميم لتحقيق اغراضها الاجتماعية والتنموية ، وتوسعت فى ذلك إلى حد إعلان الاشتراكية هدفا ونظاما اجتماعيا فى عام ١٩٦١ ، وإن كانت لم تصل به الى حد الالتزام بالماركسية على غرار المعسكر الاشتراكى .

أما من الناحية القومية ، فقد قنعت ، أو اقنعها التجاوب العظيم للشعوب العربية الأخرى مع معاركها ، وخاصة بعد العدوان الثلاثى ، باحتضان شعار الوحدة العربية ، باعتباره شعارا معقولا وممكن التطبيق بدلا من شعار الوحدة الاسلامية ، خاصة بعض الدول الاسلامية المجاورة لم تظهر نفس القدر العربى من الحماسة لقضية فلسطين قضية العرب الأولى ، بل اعترفت مبكرا باسرائيل وتعاونت معها ، ومن أجل هذه القضية كان من أهداف الثورة بناء جيش قوى والحصول على السلاح من أى مكان متاح ، واختلطت أهدافها الاقتصادية والتنموية وخاصة فى مجال الصناعة ، بهذا الغرض .

أما المسألة الديمقراطية ، فقد أرجئت لأسباب عدة تأتى فى مقدمتها الطبيعة العسكرية للحكم الثورى ، وعلقت نظريا ، على غرار المجتمعات الاشتراكية على تحقق العدالة الاجتماعية أولا .

● أثار الهزيمة

وكان من آثار الهزيمة التى وقعت فى علم ١٩٦٧ ، أن تراجعت الثورة فى مجالات عدة :

- بالنسبة لمصر عاد مطلب الجلاء عن ارضها هو الهدف الوطنى المباشر ويقصد به هذه المرة جلاء القوات الاسرائيلية عن سيناء المصرية .

- تراجعت بنفس القدر مطالب تحرير

فلسطين كلها من الصهيونية الى القناعة بجلاء الجيوش الاسرائيلية عن الأرض التى احتلتها عام ١٩٦٧ .

وتراجعت معها فكرة الوحدة العربية الشاملة بزعامة مصر ، وخاصة بعد موت جمال عبدالناصر زعيم الثورة بعد سنوات ثلاث من النكسة .

- تراجعت الخطط الاقتصادية الطموح فى بناء صناعات ثقيلة إلى تشجيع صناعات خفيفة مثل السياحة والفندقة وما إلى ذلك لمواجهة المشكلات العاجلة للاقتصاد المصرى ، الذى بدأت الديون وخاصة العسكرية تنال من متانته .

● وبعد النجاح المتاح للجيش المصرى فى حرب ١٩٧٣ ، فى استرداد قدر من الكرامة العربية التى اذلتها الهزيمة ، كان طريق التفاوض هو الأسلوب الوحيد الذى أمكن به تحقيق جلاء القوات الاسرائيلية عن أرض سيناء ، بما انطوى عليه من اعتراف بدولة اسرائيل ، وقطيعة مع سائر البلدان العربية الى حد تعليق عضوية مصر فى الجامعة العربية .

بالاضافة الى ذلك ، كان من آثار حرب ١٩٧٣ ، ارتفاع أسعار النفط الى مستويات جديدة عالية حيث كان قطع النفط عن الدول المؤيدة لاسرائيل إبان الحرب واحدا من أهم وربما آخر مظاهر التضامن العربى ، الذى حل شعاره محل الوحدة ، بما يرضى الحكومات التقليدية الرافضة لهذا الأخير فى المنطقة العربية .. وكان ذلك ايذانا بدخول المنطقة مرحلة جديدة هى مرحلة الثروة ، المتمثلة أساسا فى النفط ، بدلا من حقبة الثورة المندحرة على كثير من الأصعدة .

● حقبة الثروة

سادت قيم جديدة بل ود أحلام قوية » جديدة ، خلال فترة تدفق الثروة النفطية وخاصة فى منطقة الخليج وحلت بشكل فظ محل قيم الثورة وأحلامها .

أصبح التطلع الفردى إلى حيازة الثروة ، أو نصيب منها يبدو وكأنه هو المسلك الوحيد المعقول ، حتى بالنسبة « للثوار » انفسهم من مختلف المستويات ، بمن فيهم المناضلين « بالروح والدم » لتحرير فلسطين !

على مستوى الأحلام القومية ، علقت المشروعات التنموية فى بلدان الكثافة السكانية وفى مقدمتها مصر على استعداد دول الخليج الغنية لامدادها بالأموال اللازمة لسداد ديونها أولا ، وبناء مدنها المهدومة ثم صناعاتها بما فيها العسكرية ثانيا ، وتشجيع السياحة فيها ثالثا ! شريطة أن ترضى تلك الدول الغنية عن المسلك الاجتماعى لمهد الثورة ، خاصة فى مدى قربها أو بعدها عن الشعارات الاشتراكية ! وقد تم بالفعل التراجع عن كثير من تلك الشعارات طلبا لذلك الرضا .

وكانت فرصة ذهبية لمجتمعات النفط الغنية فى التحلل من كل التزام بمساندة الاقتصاد المصرى المثقل بالديون والمشكلات ، وأن ظلت العلاقات الفردية على ماهى عليه لتحقيق مزيد من التحلل الداخلى فى المجتمع المصرى من شعاراته الثورية السالفة !

وبلغت أحلام الثورة على المستوى القومى ، حد تصور أن المال العربى فى البلدان الغربية يمكن أن يكون ندا ومنافسا للمال الصهيونى في التأثير على المجتمعات الغربية وشراء كثير من مؤسساتها وبالتالى سياستها !

ولكن كمينا كان ينتظر أمثال تلك الأحلام ، وهو ظهور مليسمى بالثورة الاسلامية فى ايران ، حيث أعيد ترتيب كثير من الأوراق السياسية فى المنطقة ، بما فيها أوراق ما يعرف باسم التيارات الاسلامية فى البلدان العربية ، حيث مالت بعض عناصرها الى اعتبار الثورة الايرانية المثال الذى ينبغى أن يحتذى ، ووصلت الى حد احتضان المذهب الشيعى الذى يسود إيران ، ويوشك أن يصبح هو المطابق الموضوعى لما أطلق عليه الغرب اسم « الأصولية الاسلامية » ، وتحتدم الاضطرابات داخل مختلف المجتمعات العربية ، وتبلغ ذروتها فى تفجر الحرب العراقية الايرانية ، التى التهمت جانبا كبيرا من الثروة النفطية ليس للعراق وحده ، بل لمختلف المجتمعات النفطية العربية التى ساندته فى تلك الحرب مثل الكويت والسعودية .

فلما انتهت تلك الحرب بعد سنوات ثمان داميات ، استدار العراق المثخن بالجراح الى جارته الصغرى الكويت ، يطالبها بأن تساعده فى سداد ديونه ، ويتهمها بالاستيلاء على بعض نفطه ، والتآمر مع دولة الامارات على خفض سعر ذلك النفط ، بتجاوز الحصص فى انتاجه .. الخ تلك المقدمات التى اتخذها النظام العراقى ذريعة لاحتلال الكويت فى ٢ أغسطس ١٩٩٠ ، مفتتحا بذلك عهد المحنة ، التى التهمت ـ أو أوشكت ـ ما تبقى من الثروة النفطية بعد الحرب العراقية الايرانية ، وهو كثير ، التهمت الكيان الاقتصادى والعمرانى فضلا عن الكيان العسكرى للعراق ذاته ، والقسم الأكبر من المدخرات الكويتية من أجل التحرير ، وحاليا التعمير ، ولايزال أصل الثروة ذاته مهددا بالدمار فى صورة آبار النفط المشتعلة ، وآخر الأنباء أن البنوك الغربية تتردد حاليا فى اقراض الحكومة الكويتية لاعادة ماتهدم من بنائها لشكها فى قدرة تلك الحكومة واقتصادها على السداد ! أما السعودية التى انطلقت الحرب من أراضيها وتحملت العبء الأكبر من تكاليفها فقد هددها الأمريكان بدورهم بعدم تسليم شحنات السلاح المتعاقد عليها ، نظرا لنقص السيولة النقدية لديها ، وعرضها سداد ثمن بعض تلك الشحنات بالنفط الذى يبدو أنه لم يعد مرغوبا فيه تماما كما كان من قبل ، لأسباب عدة أهمها انتهاء الحرب الباردة ، التى كان من شأنها اذا تحولت الى ساخنة أن يبلغ النفط فيها كوقود للمركبات العسكرية ذروة الاحتياج إليه !

وبذلك ضاع قسط كُبّير من الثروة العربية النفطية ، وهزمت حقبتها كما هزمت من قبل حقبة الثورة ..

ويدخل الوطن العربى حقبة جديدة ، أعتقد أنها سوف تكون حقبة « إعادة النظر » فى كل شيء من جديد !

دور المثقف فى العالم الثالث

● « انتهى العصر الذى يمكن ان يقال فيه ان هذه النظرية هى احكم النظريات »

بقلم: فؤاد كامل

●● لا ضير فى ان نتوقف من حين الى اخر لنتساءل : ماهى رسالة المثقفين فى العالم الثالث ؟ ولماذا يكون التسؤل منصبا على رسالة المثقفين فى العالم الثالث دون غيره ؟ اتختلف رسالة المثقفين باختلاف المكان الذى تقع فيه رسالتهم ، وباختلاف الزمان الذى يقضون فيه اعمارهم ؟

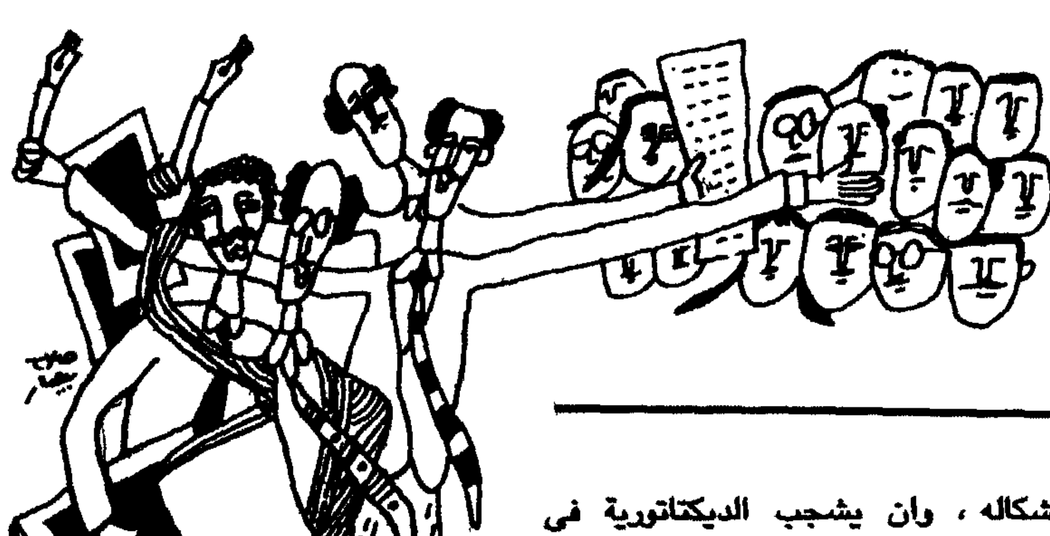
يقول لنا علماء الاجتماع ان العالم منقسم الى مجتمعات متعددة ولا يتكون من مجتمع واحد . ويقول لنا التاريخ ان الزمان يجرى فى احقاب وعصور واجيال . وقد كان من قدرنا ان نعيش هذا العصر من التاريخ ، وهذه الآونة من الزمان فى مجتمعات نامية اطلقوا عليها اسم « العالم الثالث » للتفرقة بينها وبين عالم الصناعة المتقدمة ، وعالم الرفاهية والوفرة والرخاء .

وليس من شك ان المثقفين ينتشرون فى كل انحاء الارض : فى البلدان المتقدمة والبلدان المتخلفة على حد سواء ، وانهم يحملون على كواهلهم رسالة اينما كانوا ، وحيثما انتسبوا ، ولكل رسالة – ايا كانت – اعباؤها الثقيلة ، وتكاليفها الباهظة ، غير ان رسالة المثقفين التى يقتصر حديثنا عنها فى هذه المقالة ، واعنى بها رسالة المثقفين فى العالم الثالث ، فانها تصطبغ منذ البداية ، بالاضافة الى اعبائها الثقيلة وتكاليفها الباهظة ، بصبغة مأساوية ، وكثيرا ماتنتهى ايضا بفاجعة !

ذلك لان رسالة المثقفين فى العالم الثالث تبدأ بالكفاح من اجل الحصول على الشروط اللازمة لاداء رسالتهم ، تلك الشروط المتوفرة لمثقفى العالم المتقدم ، ومن هنا كان الاختلاف جليا بينا بين كل من الرسالتين .

● السعى إلى الحرية

على المثقف فى العالم الثالث اذن ان يناضل فى السعى الى اكتساب الحرية له ولمواطنيه ، والسعى الى ارساء جو ديمقراطى يتسم بتعددية حقيقية لا زائفة ، تعددية تتبادل مواقع السلطة فيما بينها من حين الى اخر . وعلى المثقف فى العالم الثالث ان يناهض الشمولية فى كل صورها ، وان يحارب الاستبداد فى شتى



اشكاله ، وان يشجب الديكتاتورية فى جميع مظاهرها ، وان يفضح الفساد فى كل مجاليه ومساربه .

ان الظاهرة السائدة فى نظم الحكم فى العالم الثالث هى ان معظم هذه النظم تتسم بشمولية ظاهرة او مستترة ، صريحة او مضمرة ولعل اخطرها جميعا تلك النظم التى تتقنع بديمقراطية زائفة ليس لها من الديمقراطية سوى اسمها ، وتتوارى خلف تعددية لا قيمة لها ولا غناء فيها ، وعدمها خيرا من وجودها .

لا مهرب للمثقف فى مثل هـذه المجتمعات التى يعشش فيها التخلف وتحكمها الشمولية ويستشرى فيها الفساد من ان تكون له رسالة ، ولا مندوحة له من ان يوطن نفسه منذ البداية على تحمل المشقة والعناء ، وعلى ان يبذل من التضحيات ماقد يصل به احيانا ، الى حد الاستشهاد .

واذا قلنا ان على المثقف تجاه وطنه فى العالم الثالث رسالة كنا بذلك نضعه بين شبكة من العلاقات والمواقف والواجبات التى تقتضيها هذه الرسالة ، فلابد للرسالة من رسول ، واعنى بهذه العلاقة الاولى التى هى علاقة المثقف بنفسه مرحلة اعداد المثقف لنفسه لكى يكون صاحب رسالة ، والعلاقة الثانية هى العلاقة التى بينه وبين من يوجه اليهم رسالته ، اى علاقته بمواطنيه ، والعلاقة الثالثة هى علاقته بالسلطة الحاكمة فى وطنه ، وهذه هى اخطر العلاقات جميعا ، ثم هناك علاقة رابعة واخيرة ، وهى علاقته باقرانه من المثقفين .

● الثقافة جهد خلاق

اما العلاقة الاولى التى هى علاقة بين المثقف ونفسه فهى مرحلة التكوين والاعداد ليكون صاحب رسالة ، وفى هذه المرحلة يكون المثقف مبدعا . ذلك ان تحصيل الثقافة فعل « خلاق اولا واخيرا ، هو الفعل الذى نصل به الى » "الوعى

الذاتى" . فالثقافة ليست ترفا ، وليست زهرة بديعة نضعها فى عروة السترة ، انما هى جهد خلاق مستمر لاينقطع ، ويقظة لا تعتريها سِنَة او غفلة ، فى عالم يموج بتغيرات متلاحقة تتدافع بعضها اثر بعض ، وعلينا ان نحدد مواقفنا فى هذا العالم المتغير الذى لاينى يتقدم ويتطور ، وان نصوغ رؤانا ووجهات نظرنا وفق هذه المتغيرات المتدفقة كالسيل ، وعلى المثقف اذن ان يكون واعيا بموقع خطاه فى هذا السيل . فثمة جانب معرفى لاغنى عنه للمثقف فى صياغة رؤيته . معرفة ببنية مجتمعه الذى يعيش فيه ، معرفة بموقع وطنه من احداث العالم ومتغيراته والقوى المؤثرة فيه ، والاستراتيجيات التى تتحكم فى مصيره ، معرفة بالقضايا العامة التى تشغل الاذهان فى وقته الراهن ، معرفة بتاريخ شعبه وامته ، اى معرفة بالتراث ، ذلك أن المثقف لايعيش عمره فحسب ، بل يعيش تاريخه ايضا ، معرفة بالايديولوجيات المنتشرة فى عصره ، ومدى نجاحها او فشلها فى البلدان التى حرصت على تطبيق ايديولوجية معينة ، مطلوب منه ايضا الاطلاع على التيارات الفكرية السائدة فى زمانه ، وخلاصة القول ان المثقف مطالب بتكوين رؤية ، لا اقول ثابتة او سكونية (استاتيكية) وانما رؤية ديناميكية ، ان صح هذا التعبير لاتتهيب التكيف مع تغيرات العصر وانقلاباته . ذلك ان من شجاعة المثقف ايضا الا يلتزم برؤية او بفكرة اثبتت التجربة خطأها او فشلها عند التطبيق .

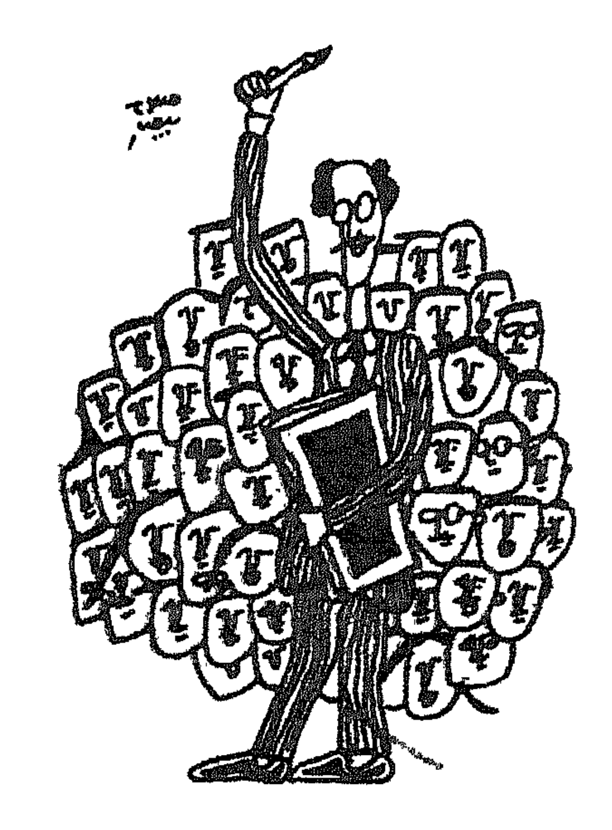
● المثقف والوعى الذاتى

اذا اتيح للمثقف ان يصل الى هذه الدرجة من « الوعى الذاتى » والتى بدونها لا يستحق لقب المثقف سواء عن طريق المعرفة التى لاغنى عنها فى هذا العصر ، او عن طريق تجربة حية معيشة خاضها فى تلك المرحلة من تكوينه ، اذا اتيح له ذلك ، كان لزاما عليه ان ينقل هذا « الوعى الذاتى » الى المجتمع الذى يعيش فيه ليصبح « الوعى الذاتى » وعيا جماعيا .

وهنا تأتى ايضا مرحلة من اصعب المراحل فى رسالة المثقف فى العالم الثالث واعنى بها مرحلة « التوصيل » أو « الاتصال » المثقف فى هذه المرحلة يخرج من « قوقعة الذات القلقة » الى علانية الاتصال السافر الصريح ، فيكون معلقا وسط هدة ، أو بين شقى رحى : من فوقه السلطة ، ومن تحته الجماهير وفى هذا الموقف ينقسم المثقفون قسمين : قسم يمالىء السلطة ويتواطأ معها ، وقسم اخر يناهض السلطة ويعارضها ويتمرد عليها ، وهنا يكون المحك الحقيقى لرسالة المثقف ، اهو من اولى العزم الحريصين على اداء الرسالة ، ام هو من ذوى القلوب الخفيفة التى ترتاع من اول صدمة ، وايا كانت ثقافة المثقف ومعرفته من الاتساع والعمق ، فانها لاتكفى ان لم يرد لها صاحبها ان تكون فاعلة ومؤثرة ، اى ان تنتقل من الامكان الى الفعل ، ومن السر الى العلن ، ومن الكمون الى التفتح والازدهار .

على ان المفارقة الواضحة فى هذه المرحلة هى ان المثقف قد يلقى من الجماهير التى يتوجه اليها برسالته مقاومة اشد وطأة على نفسه من المقاومة التى يلقاها من السلطة . ذلك ان المثقف يكون فى معظم الاحيان نتيجة للوعى الذاتى الرفيع الذى بلغه سابقا لعصره ، وبالتالى سابقا لعقلية الجماهير التى لم تبلغ مثل ذلك الوعى . المهمة اذن عسيرة كل العسر .. ان يكون المثقف قادرا على تجنب الاصطدام بالسلطة الشمولية المتنمرة حتى يتمكن من اداء رسالته ، وان يكون قادرا على توصيل وعيه الذاتى لجماهير ابعد ماتكون عن فهم لغته !

على المثقف اذن ان يجد اللغة التى يصل بها الى مخاطبة الجماهير ليجد اذانا صاغية ، وان ينقل الى تلك الجماهير اعقد الحقائق واشدها تشابكا وصعوبة فى صورة مبسطة سلسة لا تعقيد فيها او التواء .. وتلك لعمرى مهمة من اشق المهام التى يواجهها المثقف فى العالم الثالث .



ولابد للمثقف ايضا فى هذه الفترة من الحذر الشديد واليقظة المستمرة هى فترة محاولات الاغراء والاحتواء والترهيب ، والترغيب ، وهى فترة لا مندوحة من ان يتعرض لها كل صاحب رسالة ، والامثلة التاريخية على ذلك يصعب حصرها وتفصيلها .

ولما كان « الوعى الذاتى » معناه الاعتراض على الحقائق الراهنة التى تحيط بنا ، وكانت رسالة المثقف تهدف الى تغيير الحاضر الى مستقبل افضل واصلاح شتى مجالات الحياة فى المجتمع ، فان الانسان فى مرحلة انتقال « وعيه الذاتى » الى « وعى جماعى » جماهيرى ، فانه فضلا عن تلك اللغة المتميزة التى ينبغى ان يخاطب بها الجماهير يحتاج الى عقلية نقدية من الطراز الاول ، تتيح له ان يضع اصابعه على مواطن الخلل فى حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وان يكون قادرا على تقديم بدائل بالتعاون مع غيره من المثقفين .

فالمثقفين فى العالم الثالث يتالفون من شتى الطبقات الاجتماعية وتربط بينهم بعض الافكار ، وان تعددت بهم المهن ، واختلفت اوضاعهم الاقتصادية ، غير ان ابرز مايشتركون فيه هو رغبتهم الخارقة فى الاصلاح ، والحلم بمستقبل افضل ، وهم فى حاجة الى رابطة تجمعهم فى وحدة متماسكة ، فهناك اشخاص مثقفون ، ولكن لا وجود لبيئة مثقفة ، والامية تفتك

دور المثقف فى العالم الثالث

بالجمهرة العظمى من شعوب العالم الثالث ، والطبقات الفقيرة سادرة فى الجهالة والكسل ، وطبقة الموظفين والعاملين التى يتألف منها شطر كبير من الشعب غير مثقفة ، وان كانت متعلمة ، ويفتقر اكثر افرادها الى اى من الاهتمامات الراقية بالحياة . ولهذا كان على المثقف فى العالم الثالث ان يكافح على مستويين : مستوى محاربة الاوهام والاساطير وتبديد الخرافات ، والاكاذيب التى استقرت فى نفوس الكثرة الكاثرة من الناس ، ومستوى بناء الواقع بناء جديدا قائما على الوقائع العلمية الصحيحة ، وعلى الايمان الدينى المستنير ..

ولا تستطيع حفنة قليلة من المثقفين ان تقوم وحدها بهذا البناء ، بل لابد من تضامن المثقفين جميعا فيما بينهم ، وهنا تظهر تلك العلاقة التى اشرت اليها فى مستهل هذا المقال ، الا وهى العلاقة بين المثقف واقرانه من المثقفين ، وهذه العلاقة تحتاج الى حوار مستمر ، فقد انقضى ذلك العهد الدجماطيقى القطعى الذى يمكن ان يقال فيه ان هذه النظرية او تلك هى احكم النظريات ، او هى الحل النهائى لجميع المشكلات ، اننا نعيش عصر التعددية فى وجهات النظر والنسبية فى القيم ، والانفتاحية فى الفكر والاقتصاد .

وللحوار شروط مسبقة لابد من الالتزام بها واحترامها بين المثقفين المتحاورين اولها : « لا تتخذ رأيا ابدا ، دون ان تكون بواعث الراى المناقض حاضرة فى ذهنك » .. وهذا معناه الاقبال على الحوار بنية حسنة وقلب مفتوح ، وثانيها : النظر الى الطرف الاخر على انه « ند » ، وان يكون ثمة احتمال بانه توصل الى حقائق قد تكون افضل مما توصلت اليه ، وثالثها : الا يكون هناك مايحول دون تعديل موقفى ، وفقا لما سمعته من الاخرين ، والا يكون فى ذلك اية مدعاة للخزى او الخجل ، ورابعها : ان يقر فى ذهن المتحاورين انهم يسعون الى شىء يفوقهم جميعا ، شىء اعلى من كل شىء ، وهو الحقيقة .

واذا كانت رسالة المثقف فى العالم الثالث تقوم على ركنين اساسيين هما المستوى المعرفى الذى يؤدى الى الوعى الذاتى ، والقدرة على توصيل هذا الجانب المعرفى والوعى الذاتى الى الانسان العادى ، فان الوضوح ، فى هذه الحالة يصبح فضيلة ضرورية .

ودور المثقف ينبغى ان يكون واضحا : وهو مقاومة كل مساومة على الفكر النقدى ، على ان يكون دائم الاستعداد لتقديم بدائل لما يدعو الى تغييره او هدمه ، وان يضع الواقع نصب عينيه ، فتكون رؤيته واقعية ، لا طوبلوية ، وممكنة التحقق ، لاممعنة فى الخيال ، او سادرة فى الاحلام .

أقــوال معاصرة


د. محمد شرف


الامير تشارلز


فيديل كاسترو


د. اسماعيل صبرى

● "العمود الفقرى شجرة حياتك ، فلتحترمها !!"
مارتا جراهام
راقصة ومصممة الباليه الأمريكية

● "البدانة مرض يصيب الفقراء أكثر من الأغنياء !"
الدكتور محمد شرف
مدير مستشفى الساحل الاقليمى لعلاج السمنة

● "فى فرنسا حتى زوجة رئيس الجمهورية إمرأة حرة !"
دانييل ميتران
حرم رئيس جمهورية فرنسا

● "واحد من كل سبعة أطفال على أرض شكسبير يحصل على الابتدائية ولا يزال اميا !"
الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا

● "يجب الا نقلل ابدا من قدرة الرجل على التقليل من قدرة المرأة !"
النجمة الأمريكية كاتلين تيرنر

● "الولايات المتحدة تتصرف اليوم ، وهى تشعر انها تسود العالم !"
الزعيم الكوبى فيديل كاسترو

● "العدو هو عدم الاستقرار !"
فرانك ويزنر
سفير الولايات المتحدة السابق فى مصر

● "التنمية هى القدرة على انتاج المعرفة وليس على تقبلها فقط !"
الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله
وزير التخطيط الأسبق

● "شعوب العالم الثالث يتلمى العصر !"
الدكتور على على حبيش
نائب رئيس اكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا

العمل

ركيزة للصحة النفسية

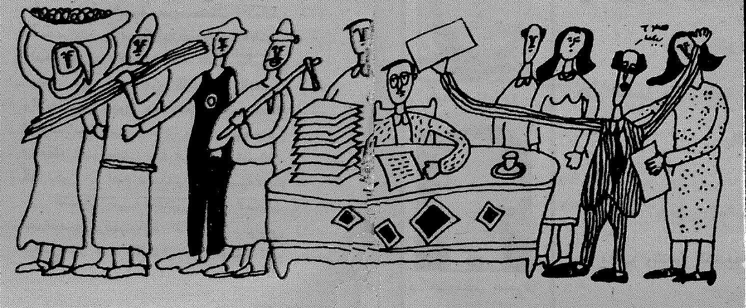
بقلم:
د. مصطفى سويف

الحديث عن العمل حديث عن ميدان بالغ الاتساع ، يمكن أن يمتد ليشمل الاقتصاد والاجتماع والتاريخ والحضارة والسياسة ، وكل مايتعلق بالإنسان . بل إن بإمكاننا أن نعيد على أساسه تعريف الإنسان فنقول إن الإنسان حيوان عامل ؛ ذلك أن الإنسان يتفرد دون سائر أعضاء المملكة الحيوانية بالقيام بالعمل ، من حيث إن العمل نشاط منظم (أى يمضى حسب خطة تصورية قائمة فى ذهن فرد بعينه أو عدد من الأفراد) . يهدف الى انتاج سلعة أو خدمة ويستتبع بناء على ذلك مسئولية . ومايقال عن وجود « العمل » فى خلية النحل أو قرية النمل إنما هو من قبيل المجاز فقط ، لأنه فى حقيقة الأمر مجرد سلسلة من النشاطات الغريزية العمياء ، لاتحمل خصائص العمل الإنسانى بأى حال من الأحوال .

● ومع جلال شأن العمل على هذا النحو فقد أحاطت به الشوائب فى بعض المجتمعات ، وفى عدد من مراحل التاريخ ، بحيث شوهت صورته وسيرته فى نفوس أعداد غفيرة من البشر ، فلم يعد يذكر الا مقرونا بالشقاء ، وربما بمعانى الذل والهوان ايضا . ويكفى أن نتذكر فى هذا الصدد تاريخ اقترانه بالعبودية ، وبالسخرة وبكثير من اشكال القهر والاستغلال التى برع الانسان القديم والحديث على السواء فى ابتكارها .

وفى هذا الخضم تشير كثير من الدلائل الى أن كثرة من مواطنينا قد فسدت العلاقة بينهم وبين العمل لأسباب تكمن فى الظروف المحيطة به ، كظروف التنظيم الادارى الملىء بعناصر التثبيط والتعقيد والمعاكسة ، وقيادات العمل التى لاتعرف شيئا عن اصول القيادة السليمة ، ونظام الأجور الذى لم يعد فيه مايغرى أو يرضى ، والنتيجة ان اصبح الكثيرون وقد غلبت عليهم مظاهر النفور من الالتزام بمعظم متطلبات العمل ، ناهيك عن مقتضيات اتقانه . واصبحت علاقاتهم به شديدة السطحية ، وشديدة الشكلية بحيث يمكن القول بأن الناس ، فى نفورهم من الظروف المحيطة بالعمل اصبحوا نافرين من العمل نفسه . وهنا يكمن عدد من مؤشرات الخطر الذى يتهدد مستقبل الصحة النفسية فى مجتمعنا .

ومع ذلك فعلى الرغم من هذا الركا التاريخى الهائل فى الماضى ، ووطأ الظروف المعاكسة فى الحاضر ، يظل للعمل ، امام النظرة الفاحصة بريقه الذ يدل على قيمته الحقيقية كبريق الماس ف ظلمات مناجم الفحم الكثيبة . فالعمل كم يتضح من واقع دراسات الأمراض النفسية يعتبر واحدا من أهم المعايير الت تقوم عليها التفرقة بين اقتراب الشخص من الصحة النفسية وابتعاده عنها نح المرض النفسى . وهو كذلك واحد من أه الأدوات واكثرها فعالية فى الوصول ب الى مستوى اللياقة النفسية ، التى تع على مجرد الخلو من المرض ، وقد رأ ان نكرس جهدنا فى المقال الراهن لبيا الأوجه المتعددة للعلاقة بين الع والصحة النفسية فى أدنى مراتبها حي ينتفى المرض ، وفى أعلى درجاتها حي تتوافر اللياقة النفسية .



● العمل والصحة النفسية

للعمل علاقات متعددة بالحالة النفس للفرد فى تأرجحها بين الصحة والمرض واول هذه العلاقات وأوضحها أن ارت الشخص بالعمل يعتبر معيارا هاما المعايير التى يرجع اليها الطبيب المعالج النفسى فى تقويمه لحالة مرضا وذلك من ناحيتين ، اولاهما الانتا



وثانيتهما تاريخ الاستقرار فى العمل ، فأما عن الانتاج فمن أهم الاسئلة التى يطرحها الطبيب على المريض النفسى او على أهله السؤال حول ما اذا كان المريض مواظبا على عمله (الذى يحصل منه على أجره أو دخله) . ومنتجا فيه (بمعايير الانتاج السائدة) ، فاذا كان مواظبا ومنتجا فهذه علامة طبية تحسب للمريض ، اما اذا كان قد انقطع عن العمل واثر البطالة او العزلة او الشرود فتلك علامة سيئة وذات وزن كبير فى سوئها وأما فيما يتعلق بمسألة تاريخ الاستقرار فى العمل فأحد الاسئلة التى لايغفلها الطبيب اثناء استقصائه تاريخ مريضه ان يسأله حول تاريخه فى العمل او الاعمال التى اشتغل بها ، والى اى مدى ينبىء هذا التاريخ بأستقرار او بتغييرات متوالية على فترات قصيرة نسبيا ، ومع التسليم بان الاستقرار وحده قد لايكون دائما مؤشرا صادقا لحالة صحية طبية ، فان كثرة التغييرات المتوالية للعمل فى فترة زمنية محدودة تعتبر مؤشرا صحيحا الى وجود اضطراب نفسى او استعداد للاضطراب النفسى لايمكن اغفاله .

ثم هناك علاقة ثنائية بين العمل والمرض النفسى ، خلاصتها ان العمل يتخذ احيانا ، اى فى بعض الحالات المرضية ، وفى بعض مستويات المرض النفسى ، يتخذ اداة (بين عدد من الأدوات الأخرى) للعلاج النفسى . ومن هنا نجد ان كثيرا من المصحات النفسية تضم قسما لما يسمى صراحة « قسم العلاج بالعمل » . ويتلخص هذا العلاج بالعمل فى جعل العمل وسيطا بين المعالج والمريض ، وذلك بدلا من الكلام الذى يسود فى كثير من انواع العلاج النفسى المعتادة . وفى هذا الصدد يحاول المعالج استكشاف اقرب الاعمال الى قدرات المريض واهتماماته أو هواياته ، ثم يحاول ان يدفعه الى ممارسة هذا العمل فى سياق برنامج من المسئوليات المحددة ، التى تتدرج من حيث المدة التى يستغرقها الأداء والدقة التى يتطلبها على أن تصحبه عناصر الحفز والتشجيع والمكافأة وقد يكون سياق العمل فرديا او جماعيا . الى اخر الشروط التى تمليها اعتبارات علمية محددة ، والمفروض ان تنطلق فى اثناء ذلك ، ومن خلال العلاقة التفاعلية بين المريض وعمله عدة عمليات نفسية يكون من شأنها اقرار حالة الشفاء والصحة النفسية المنشودة .

ثم هناك علاقة ثالثة بين العمل والاضطراب النفسى كذلك ، مؤداها ان العمل يتخذ طريقا رئيسيا فى اطار مايسمى ببرامج « اعادة التأهيل » تطبق على نسبة كبيرة من مدمنى تعاطى المخدرات والمسكرات . فمن الأمور المعروفة ان الادمان اذا اشتد بالمدمن اوقعه فى قدر من التدهور النفسى والاجتماعى يكون من اهم مظاهره تفكك الروابط بينه وبين عمله ، وكذلك بينه وبين محيطه الاجتماعى بما فى ذلك اسرته ، كما يكون من اهم مصاحباته النفسية نوع من التسيب فى التفكير وفى العادات الشخصية والضوابط الأخلاقية . وليس افضل من هذه الأحوال من اللجوء الى

برامج اعادة تأهيل الشخص بتدريبه على التوافق مع مقتضيات مواقف عمل محددة تعين له حسب مواصفات يحددها اهل الاختصاص تراعى فيها درجة تدهوره، كما تراعى فيها البقية الباقية لديه من مهارات العمل الذى كان يشتغل به قبل الادمان، ومدى استعداده للعودة الى تعلم هذه المهارات واتقانها واضافة الجديد المطلوب اليها. ومن شأن هذه البرامج اذا احسن تطبيقها ان تعيد الى المدمن الناقه روابطه مع العمل والأسرة، كما تعيد اليه مستوى من الانتظام والانضباط النفسى لابأس بهما.

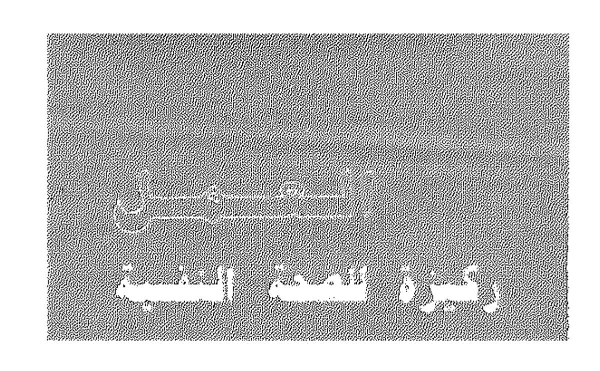
● العمل واللياقة النفسية

يشير مفهوم اللياقة الى مستوى من التناسق وكفاءة التشغيل بين الوظائف النفسية الكبرى، يعلو على مستوى الخلو من المرض. والسؤال الان، وقد فرغنا من الحديث عن العلاقة بين العمل والبرء من الأمراض، هل هناك علاقة بين العمل واللياقة النفسية؟ وكيف تنشأ وكيف ترسخ هذه العلاقة؟

والجواب المباشر، هو نعم توجد علاقة. فاللياقة النفسية احد النواتج الهامة او مانسميه بالنواتج الاضافية المترتبة على العمل. بعبارة اخرى شارحة هناك على اقل تقدير ناتجان يترتبان على اى عمل اقدم عليه، الأول هو السلعة او الخدمة المستهدفة اصلا من العمل. والثانى هو ماطرأ علىّ وما اكتسبته من خبرات اضافية (تضاف الى ما كان عندى من قبل) اثناء مرورى بخبرة القيام بهذا العمل. فأما الناتج الأول فهو من اختصاص المشتغلين بالاقتصاد. واما الثانى فهو من اختصاص علماء السلوك، وعلماء النفس والاجتماع منهم بوجه خاص. هذا الناتج الثانى هو الذى يدخل فى صميم تكوين اللياقة النفسية فكيف يكون دخوله ورسوخه؟

ينفذ تأثير العمل الى نفوسنا من خلال خمسة منافذ رئيسية هى: التعرض لاليات ضبط الاداء، والتعرض لاليات الانضباط الذاتى، ثم التعرض لعمليات التعاون مع الغير، ثم التعرض لعمليات التخطيط للمستقبل. واخيرا التعرض لاليات تصحيح الفعل، ومن خلال هذه القنوات الخمس الكبرى ينفذ تأثير العمل فى نفوسنا، بأن ينشط لدينا مجموعة الوظائف النفسية الاساسية (كالإدراك - وتركيز الانتباه، والتذكر، والتخيل، وردود الأفعال الوجدانية والتحكم الحركى. الخ). وفى الوقت نفسه ينسق بين هذه التنشيطات المختلفة فتنطلق معا فيما يشبه تناسق العزف السيمفونى، مما يرسى مزيدا من دعائم عمليات «التحكم المحسوب» (أى التحكم الذى يمنع التضارب بين نشاط الوظائف النفسية المتعددة، ويعمل لحساب تكامل هذا النشاط). وفيما يلى شرح موجز للكيفية التى يتم بها هذا التنشيط والتحكم السيمفونى المعقد:

أولا: التعرض لآليات ضبط الأداء: عندما نؤدى عملا معينا ونحاول اتقان خطواته فإننا نضطر فى هذا السبيل الى تنشيط عملية تركيز الانتباه فى الأجزاء التى نعمل على انجازها، كما نعمل على تنشيط الإدراك الدقيق لخصائص هذه الأجزاء، والأجزاء الأخرى التى أنجزناها من قبل. كذلك نعمل على مزيد من التحكم فى حركاتنا التى نستخدمها فى اتمام هذا



العمل . تصور مثلا اننا مكلفون بتقليد صورة مرسومة وذلك بأن نرسم صورة مماثلة لها ، أو اننا مكلفون بصنع منضدة بناء على أوصاف مكتوبة او مرسومة أمامنا . فى هذه الأمثلة البسيطة تستطيع

أن تدرك دلالة العمليات السلوكية التى نشير اليها . وهى تركيز الانتباه ، ودقة الادراك ، والتحكم فى حركات اليد والأصابع .

ثانيا : التعرض لآليات الانضباط الذاتى : كثيرا مانتعرض أثناء قيامنا بالعمل لتيقظ رغبات معينة فى نفوسنا طلبا لأمور قد تسعدنا ، ولكن لا صلة لها بالعمل الذى بين أيدينا . كأن أتذكر مثلا صديقا أود ان آراه وليس لهذا اية علاقة بالعمل الذى اقوم به ، فأقرر فورا ان اعطل هذه الرغبة فى اللحظة الراهنة على أن أشبعها فى لحظة اخرى مناسبة ، وذلك منعا من تعطيل العمل ، واستمر فى عملى الذى أنا بصدده .

ويتكرر ذلك من حين لآخر ، ومن خلال هذا التكرار ازداد تمكنا من التحكم فى رغباتى ونزواتى فى سبيل مزيد من التنسيق بين مطالب العمل ومطالب الذات .

ثالثا : التعرض لآليات التعاون مع الغير : هنا تنشط عندى مجموعة من العمليات تدور حول إدراك دور الطرف الاخر الذى أتعاون معه ، وذلك لكى أعرف أين ينتهى دوره وأين يبدأ دورى ليتكامل معه فى الناتج الأخير ، وكلما كان إدراكى لمهمة الشخص الأخر دقيقا كان ذلك ادعى إلى أن أؤدى مهمتى المكملة لوظيفته على وجه أفضل ، اى دون تضارب معه ، بل ومع مراعاة قواعد النسبة والتناسب بين دورى ودوره فى هذا السياق وأمثاله ينمو التدريب على ادراك مانسميه « الادوار الاجتماعية » كما تنمو القدرة على قيامنا بما يخصنا من هذه الأدوار ، وتهذيب هذا الجـزء الذى يخصنا .

رابعا : التعرض لآليـات التخطيط للمستقبل ، ومن خلال هذه القناة تنشط وتنمو وظائف التصور أو التخيل ، ويكون النمو فى هذه الحالة صحيا لأنه يكون محكوما بمقتضيات العمل ، فهو نمو داخل اطار محكوم ، وليس نشاطا هـلاميا كشطحات الخيال فى احلام اليقظة المرضية التى تنطلق دون ضوابط من الواقع المحيط بنا .

خامسا : التعرض لآليات تصحيح الفعل : ومن خلال هذا المنفذ تنمو لدينا قدرات الملاحظة المنعكسة على ذواتنا ، فنتعلم كيف نرصد كل صغيرة وكبيرة مما يصدر عنا من افكار ومشاعر وافعال ، وكيف ننظر فيها بنظرة ناقدة ، وبالتالى كيف ندخل عليها اقدارا متفاوتة من التغيير والتعديل من حين لاخر حتى يستوى لنا أفضل اداء ممكن ، هنا تجتمع لنا وتتضح معنا مجموعة من القدرات تصب فى وظيفة كبرى نسميها « وظيفة التعديل الذاتى المتواصل » وهى وظيفة تقوم فى جوهرها على أن نكون فاعلين ومنفعلين فى الموقف الواحد ، وفى اللحظة الواحدة .

على هذا النحو تنطلق لدينا فى مواقف العمل مجموعة من العمليات الاساسية ، بعضها فى اتجاه التنشيط ، تنشيط الوظائف النفسية المختلفة ، وبعضها فى اتجاه التحكم فى سرعات هذا التنشيط ، وفى تحقيق اعلى مستويات التكامل بين المسالك المختلفة لهذا التنشيط . والبعض الثالث فى اتجاه مزيد من وعى مركز التحكم (الذى هو الذات الفاعلة) وذلك بتنمية قدرته على مزيد من التحكم بحيث تصبح قدرة على التحكم فى التحكم .

● قيمة العمل

هذا هو مسار آثار العمل فى نفوسنا ونحن فى حال الصحة ، نلخصه فيمايلى :

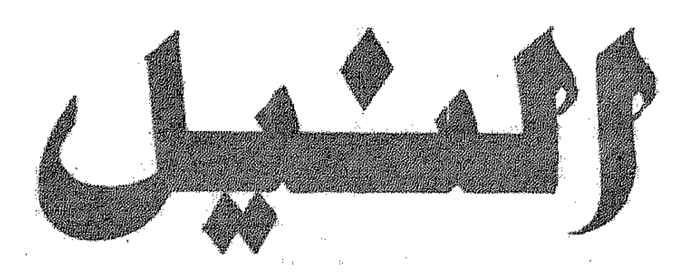
التدريب على تنشيط الوظائف ، وعلى التحكم فى نظام التنشيط ، وعلى مزيد من الوعى بدورنا الفعال فى تحريك عمليات التنشيط وعمليات التحكم معا . هنا فى هذا الموقع بالضبط تتمثل قيمة العمل كركيزة اساسية للصحة النفسية بأشمل معانيها ، فى هذه البؤرة حيث تتجمع عمليات التنشيط ، والتحكم والوعى بهذا التحكم . وهذا بالضبط هو الشيء الذى نخسره عندما نهمل العمل . ونحن نخسره بدرجات متفاوتة ، تتناسب مع مستوى السطحية أو الشكلية الذى نأخذ به العمل . وقد قلنا من قبل ان جوهر اللياقة وهى أعلى مستويات الصحة النفسية ، يتمثل فى عملية الهيكلة ، اى فى اكساب النشاط النفسى هيكله الداخلى ، فتنطلق لدينا عمليات (أو منظومات) الفكر ، والعاطفة ، والفعل ، وقد احتفظت كل منها بقسماتها الداخلية واضحة مفصلة ، وبتناسقها فيما بينها بدرجة عالية من الكفاءة ، ونضيف الان ان العمل يعتبر من اهم الادوات القائمة فى حياة الانسان لتحقيق هذه الهيكلة لأنه من أقوى المؤثرات التى تحرك فى نفوسنا عمليات التنشيط وعمليات التحكم والوعى بها جميعا .

من أجل ذلك يعز علينا ، نحن المختصين بدراسة هذه الموضوعات ، (ولذلك ندرك هذه الصلة بين العمل والصحة النفسية فى ادنى مستوياتها وفى أعلاها بهذا الوضوح) ، يعز علينا ان نرى الكثرة الغالبة من مواطنينا (وهى كثرة غالبة فعلا ولاسبيل الى المجاملة الضارة فى هذه الأمور) يتخففون من كثير من التزامات العمل ومقتضياته ، وذلك فى غمرة غضبهم على بعض عناصر السياق الاجتماعى المحيط بالعمل . يعز علينا ان نرى هذه الكثرة الغالبة وهم يسعون بخطوات متسارعة ، نحو الإخلال بصحتهم النفسية ، وبالبقية الباقية لديهم من مقومات . اللياقة النفسية ، وهو سلوك يوشك أن يكون سلوكا انتحاريا .

أما الطريق الى الوقاية من عواقبه فيبدأ بالوعى بضرورة التفرقة بين العمل من ناحية ومايحيط به من عناصر مثيرة لمشاعر الغضب والاحباط من ناحية أخرى ، فاذا افلحنا فى ارساء هذه الخطوة الأولى فسوف يكون علينا ان نتبعها بخطوات اخرى تمضي كلها نحو مزيد من توثيق علاقتنا بالعمل ، رغم كثرة الظروف المعاكسة وتكاثرها ، لأن العمل يستحق منا ذلك وأكثر .

القفز على الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد



لن يتوقف عن الفيضان

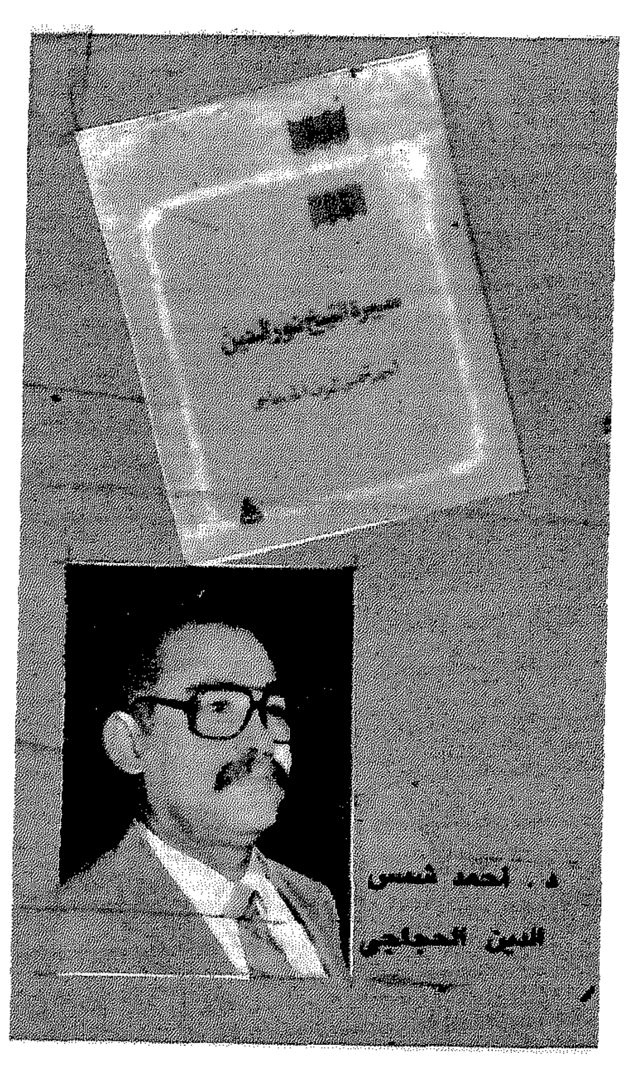
إذا صح أن العالم المعاصر يتغير بسرعة مذهلة. فعالمنا العربي يتغير بسرعة تدير الرأس ليس فينا إنسان واحد، كبير أو صغير، يمكنه أن يدعي أنه مسيطر سيطرة حقيقية على الظروف المحيطة به فالتغيرات السياسية والاجتماعية تشمل الجميع. فالزلازل بدأت منذ نصف قرن تقريبا. عندما كانت الحرب العالمية الثانية "في عنفوانها، وكتب الماركسية اللينينية تربنا من انجلترا. حيث كانت تقوم بترجمتها ونشرها دور نشر صغيرة. وتباع في مصر في مكتبات يملكها بعض صهاينة يدعون اليسارية، وبعض أساتذتنا الإنجليز "في الغالب كانوا يعملون في المخابرات" يهمسون في آذاننا: بريطانيا العظمى لم تعد عظمى، استعدوا فالاستعمار الامريكي قادم. ومصطفى أمين "مصمص" يكتب "أمريكا الضاحكة" ومجلة المختار من ريدرز دايجست.. توزع مائة ألف نسخة، والكوكاكولا بدأت تغزو الأسواق. لا أظننا فهمنا حتى الآن كيف يُبنى هذا العالم الجديد، ولا أيهما المستهدف أولا: ثروتنا النفطية أم عقولنا، ولا كيف تصنع الأحداث الكبرى في عالمنا العربي، بأيدينا أم بمخالب القطط.

نصف قرن ، معناه أنه لا يوجد فى العالم العربى جيل واحد سلم من الدوار والحيرة ونوبات القلق والاكتئاب . وصدقونى اذا قلت لكم انى لا اكتب فى السياسة ، إنما أنا ناقد ادبى يبحث عن تفسير لهذا الكم الهائل من الاشعار والقصص والروايات التى تهرب من الواقع او تلعنه او تمزقه او تعبر صراحة عن الضياع والاغتراب وفقدان الهدف . نوع من تفريغ شحنة التوتر والسخط .

ولكن بين يدى رواية من نوع أخر ، رواية تغمرك فى جو من الايمان : الايمان بالدين ، الايمان بالوطن ، الايمان بالقومية ، الايمان بالانسان ، الايمان بالماضى ، الايمان بالمستقبل . هل يمكن ان يوجد فى بلادنا كاتب ، او انسان ، يؤمن بهذه الاشياء كلها ، ولا سيما فى هذه الايام التى اصبح "الشك" فيها هو التعبير المهذب عن شعور معظم الناس بالاحباط وخيبة الأمل ؟ قرأت قديما قصة قصيرة لأناتول فرانس يصور فيها معجزة لاحد القديسين . قيل لاناتول فرانس : كيف كتبت هذه القصة "وكان لا ادريا معروفا" فقال : حين كتبتها كنت اومن بها !

● الغوص فى الماضى

وما اظن أن احمد شمس الدين الحجاجى ، كاتب هذه الرواية ، قد وهب مناعة خارقة تجعله محصنا ضد الاحباط ، واليأس ، والقرف ، وسائر هذه الأمراض النفسية المتوطنة التى نسلم بها كأمر واقع ، ولكنه كتب هذه الرواية بايمان عميق ، لانه كتب فيها فلكلور مدينة الاقصر وأسرته الحجاجية بالذات ، بعبارة اخرى عاد الى الماضى ، بل غاص فيه ، والماضى عامر بالايمان ، ولكى يبعدنا ، من اول الامر ، عن تقاليد الرواية الواقعية سمى روايته هذه "سيرة" : "سيرة الشيخ نور الدين" . هيأ ذهننا بذلك لكل الخوارق التى ألفناها فى السير الشعبية ، واستعار لغة القاص الشعبى التى تحفل بالتفاصيل العادية (وكأنها تقيم نوعا من التوازن مع الاحداث العجيبة) ولو انه يفصل بين الجمل كما يصنع الروائيون المحدثون ـ اولئك الذين يكتبون للصحافة بوجه خاص . اقرأ هاتين الفقرتين بعد ان تضيف حروف العطف بين الجمل ولاحظ النتيجة :



د . احمد شمس الدين الحجاجى



"ركب حماره وانطلق الى قرية الدير ، وحين اقترب منها كان واضحا ان الفجر قد اقترب فقد اخذ الظلام ينكسر . سار بحماره ببطء حتى جاور ساحة الشيخ احمد ابو شرقاوى . فكر ان يتوقف قليلا امام البيت قبل ان يطرقه فهو لا يريد أن يوقظ احدا غير أنه وجد حميرا تسير فى إتجاه الساحة أدرك أنه لن يكون بمفرده فالناس قادمون لصلاة الفجر . دخل الساحة فوجد الشيخ ابوالوفا ابن الشيخ أحمد ابو شرقاوى جالسا يقرأ ورده . نظر اليه الشيخ وابتسم" . (ص ١٦ ـ ١٧) .

● ● ●

عاد بفرسه الى المنزل وجد والده وعمه جالسين على دكة امام البيت . نزل من على الفرس .. سلم على والده وانحنى يقبل يده . ثم تركه ليعود بالحصان الى الحوش . قفل باب الحظيرة . خطا خطوات نحو والده . ظل واقفا دون ان يأذن له بالجلوس لم يكلمه فى شىء . طلب الاذن فى الذهاب الى الساحة ، ابتعد خطوات ناداه والده .. يانور الدين استعد للسفر حتسافر بعد اسبوع لمصر" (ص ٦١) .

● اسلوب المونولوج الداخلى

اما بناء الرواية ففيه مشابه واضحة من الف ليلة وليلة ، فالقص يبدأ من مشهد فى الزمن الحاضر وتقوم مختلف الشخصيات باستحضار صفحات من الماضى . ولكن الروائى المعاصر يعدل فى هذا البناء تعديلا مهما ليجعله قريبا من بناء الرواية الحديثة حين يجعل المساهمات التى تقوم بها الشخصيات مركزة كلها على سيرة البطل نور الدين ، ويعزز هذا التعديل باستخدام اسلوب المونولوج الداخلى بدلا من القص المباشر .

هذا الاطار الفنى يسمح للكاتب ان يتجاوز بروايته مشاهد الحياة اليومية فى صعيد مصر ليحملنا معه الى عالم اسطورى يلوح فيه نور الدين كأننا نتمتع بقوة فوق قوة البشر . ويستخدم القاص جو الاقصر ـ تلك البوتقة التى انصهر فيها التراث الفرعونى والقبطى والعربى الإسلامى ـ لينشر فى ثناياها ذلك المعنى الخفى الذى يشكل منطق الاساطير وعالم الاساطير : معنى الوحدة الكونية التى تربط الحاضرين بالاسلاف والمجتمع البشرى بالعالم المادى والارض بالسماء . وبطله نور الدين قادر على ان ينهض بعبء هذه الدلالة المركبة لانه مزيج من الفارس ذى القوة الخارقة والولى صاحب الكرامات .. واذا كان الفلكلور العربى قد احتفل كثيرا بالنموذج الاول ـ نموذج عنترة وابى زيد الهلالى سلامة اللذين يرد ذكرهما كثيرا فى الرواية ـ فان الفلكلور غير المكتوب ربما كان اكثر احتفالا بالنموذج الثانى الذى استمر ممثلوه فى الحياة حتى الزمن الحاضر . ويتحد النموذجان فى شخصيات قليلة مثل شخصية السيد احمد البدوى مع ان جذوره ممتدة فى التاريخ الاسلامى الى الامام على كرم الله وجهه اما التاريخ الحديث فقد عرف هذا النموذج المركب فى شخصيتي عبدالقادر الجزائرى وشامل الداغستانى ، ويوشك هذا المركب ان يبرز الى ساحة الاحداث المعاصرة فى صور مختلفة .

ويجعل القاص لنور الدين "نجما" يظهر حين تتم له الولاية ويختفى حين

يموت . وقصة ارتباط حياة انسان ما بنجم تعبر عن ذلك المنطق الاسطورى الذى يجعل البطل ممثلا قوة كونية مسكنها فى السماء . وهى - فى اغلب الظن - عنصر مهم فى تلك الاسطورة العالمية التى وحدت - ولا تزال توحد - بين مختلف شعوب الارض ، بدليل ان مختلف اللغات تربط بين ظهور النجم وارتفاع المنزلة ، والكليشيه "ارتفع نجم فلان" اوضح واصرخ - وان كان كثيرا من القراء قد لا يستريح الى تصوير نجم نور الدين نجما ذا ذنب ، والمعروف عن المذنبات - فلكيا - انها لا تظهر الا فى فترات متباعدة جدا ، ولا تستمر فى الظهور مدة طويلة ، اما فى معتقدات الشعوب فان ظهورها لا يعد علامة خير .

هذا المنظر السماوى ، الذى يؤكد القاص ارتباطه بحياة نور الدين - كحقيقة موضوعية - من خلال شخصيتين من شخصيات الرواية : بصيرى صديق نور الدين ورفيقه الملازم ، الذى ولد معه فى يوم واحد ، ولكنه يختلف عنه فى الصفات كل الاختلاف ، ومحمود اصغر ابنائه ، الذى يرى فيه الكثيرون مشابه من والده - هذا المنظر السماوى لا يبدو لنا مهما فى الحقيقة الا حين يصف بصيرى كيف سقط نوره على "نور الدين" وهو واقف وحده فى الصحراء بينما كانا عائدين من رحلة طويلة الى السودان لجلب الجمال التى يتاجر فيها بصيرى . ويحتاط القاص لميل القارىء الحديث الى تكذيب مثل هذه المزاعم فيجعل بصيرى وحده هو الذى يرى ما يزعم انه رآه ، بينما نور الدين نفسه لا يشعر بان شيئا غريبا قد حدث له . يحتاط القاص ايضا - فى وصف هذه الرحلة التى كانت حافلة بالغرائب والمفاجآت - حين يتجنب الدخول فى اية تفاصيل عن الكيفية التى استطاع بها نور الدين - بمفرده - ان يسترد مئات الجمال من الهمباتا ، لصوص الصحراء الذين "يكونون دولة داخل الدولة" .

● منطق الاسطورة

ولكن كاتب "سيرة الشيخ نور الدين" لا يعتمد على منطق الرواية الواقعية بل على منطق الاسطورة . وعندما نصل الى قصة الرحلة الى السودان - وهى آخر القصص التى يرويها رفاق الشيخ وشهود سيرته من حيث مكانها فى السرد الروائى وان كانت من اوائلها من حيث الزمن - نكون على استعداد لتقبل هاتين الواقعتين الخارقتين فى السماء والارض . فقد مهد لهما الكاتب تمهيدا متصلا وهو يمزج الجو الواقعى بالاسطورى مزجا جريئا لولا اعتماده على "تيمات" عميقة الجذور فى اللاوعى الجماعى ، واحب ان اقف وقفة خاصة عند الفصل الثامن الذى يبدأ بتصوير نهوض محمود من فراشه ليتبع اباه الى صلاة الفجر فى مسجد جدهما الاكبر "الشيخ ابو الحجاج" ، باسلوب السرد المألوف الذى تعوده القارىء الان .

"اخذ الدجاج والاوز والبط فى الجانب الايسر من الحوش فى الحركة ومحمود لم تغفل له عين وما ان اخذ يتابع اصوات هذه الطيور حتى سمع صوت الباب يفتح ثم يغلق عرف ان والده ذاهب لصلاة الصبح فقام من سريره وانتعل حذاءه ولم يغير من جلباب نومه وفتح باب الحوش واخذ يجرى حتى وصل الى ابيه ثم سار خلفه بمقدار خطوة الى ان وصلا الى مسجد الشيخ ابوالحجاج " .



ولكن العناصر الاسطورية تدخل فى القص فى شكل تيمات من الادب الشعبى حين يفرغ الاب والابن من الصلاة خلف الامام ويتفقد الابن والده فلا يجده . ثم يلمحه وسط الجبانة يملأ منديله من ترابها . ويدرك محمود ان أباه يريد ان يصنع شيئا بمفرده . فيتبعه عن بعد بحيث لا يراه . حتى يصل الى شاطىء النيل "عند الجميزة التى كثيرا ما حدثته عنها امه فهى ترتبط فى ذاكرة اهله بوفاة عمه عبدالرحيم" . كان عبدالرحيم قريبا من سن المراهقة حين غرق عند هذه الجميزة . وجزع ابوه جزعا شديدا فدعا له شيخ الطريق : اللهم اجبر كسره بنور الدين ابو البركات . وامره ان يذهب الى بيته . وكما يحدث دائما فى القصص الشعبية فى مثل هذه الحالة جامع زوجته وعندما اتمت اشهر الحمل تسعة اشهر بالتمام والكمال ولدت نور الدين . الا ان القاص المعاصر يجب ان يراعى حال القارىء المعاصر ، ولذلك يعدل قليلا فى العبارة "انهم يقولون ان عدد الايام التى مرت منذ هذه اللحظة حتى ميلاد نور الدين تسعة اشهر كاملة لا تزيد ولا تنقص" .

واذا اصبحنا مؤهلين للدخول فى الجو الاسطورى ، يكشف لنا القاص سر المنديل المملوء من تراب الجبانة . فقد خلع الشيخ ملابسه ونزل فى النيل فى هذا المكان الذى يقول اهل المدينة انه مسكون بالجن . وكان يمسك المنديل بيده اليمنى ويده اليسرى تضرب فى الماء ، حتى وصل الى منتصف النهر فاعتدل واقفا وهو يحرك قدميه ليحتفظ بتوازنه وكأنه واقف على اليابسة ، وقد اخذ يستخدم كلتا يديه وهو يفتح المنديل وينثر تراب الجبانة وهو يقرأ ياسين ثم يلقى بالمنديل ويدعو الله "يارب النيل . ورب الارض .. ورب البشر .. ورب كل حى وجماد .. ورب ما يعلم وما لا يعلم .. خفف عنا الضر .. وارفع عنا البلاء .. وارفع الماء لنا منة وثوابا منك" .

لا تنتهى الطقوس الاسطورية بنثر تراب الجبانة فى الماء . فى الاساطير دائما زيادة . مناشدة للقوى الكونية كى تجيب الدعاء . وهذه الطقوس التى يخترعها الشيخ نور الدين او يخترعها راوى قصته لابد انْ تتم فى الماء فهذا الشيخ يستمر فى السباحة حتى يصل الى الشاطىء الاخر ، ثم لا يتوقف ، ويسبح عائدا وابنه خائف على الشيخ الذى جاوز السبعين الا تحتمل قواه هذا المجهود كله . ويختفى الشيخ فى وسط النهر ويهم محمود بالصياح لعل احدا ينقذ والده . واذا بماء النيل يرتفع . "وكأنه حوض مغلق فتح عليه صنبور ماء" ، واذا بالشيخ يقفز فى الماء قفزات متوالية "وكأنما هو قطعة من المطاط تلقى فوق الصخر لترتفع ثم تعود لتسقط" ويعود الشيخ الى الشط سابحا ، وابنه ينظر اليه لا يشعر انه ينظر الى جسد ابيه بل الى اله فرعونى قادم من عالم اللانهاية" .

ولكن هذه الجمل الفنية كلها قد لا تكفى لتحويل القارىء المعاصر من عالم الاحباط واليأس الى عالم البطولة والقوة .

فنحن باقون فى هذا العالم المعاكس ولابد ان يكون لنا موقف منه . ان الرواية كلها تدور فى هذا العالم المعاكس . هذا هو بعدها الواقعى الذى يتمثل فى الاتحاد القومى وانتخابات مجلس الشعب وجهود وزارة الثقافة لتنشيط السياحة ولو بعرض جثث اجدادنا على الأجانب . ووراء هذا كله محمود - اصغر ابناء الشيخ - ورفاقه الذين تخرجوا هذا العلم من كلياتهم الجامعية . وراءه صليب وحسن ومشكلة كل منهما - التى لا يحلها غير الشيخ - انه يحب فتاة - زميلة له منذ الصبا - تفوقه فى المنزلة الاجتماعية . وهناك الجيل الاوسط : اخو محمود الاكبر الحاج حجاجى الذى ينتقل الى المدينة بعد موت والده ويأخذ مكانه وسمته . وابن عمهما دياب الذى تعلم فى الازهر وسافر فى بعثة الى انجلترا حيث تعرف الى فتاة قاهرية وتزوجها وابتعد عن اهله ، ولكنه يعود الى اصوله بفضل الشيخ .

هناك الكثير من الشخصيات والصور "الايجابية" والاخرى "السلبية" كلها تدور حول نقطة واحدة ينسلخ عندها عالم جديد من عالم قديم ، ويرمز لها هدم الساحة والجبانة .

هذه رواية تعليمية مافى ذلك شك . والفن له طرق خفية للتعليم . واحمد شمس الدين يعرف هذه الطرق ويحسن استخدامها . ليس الفن التعليمى او التعليم بالفن ان تكون ماهرا فى الوعظ . بل أن ترجع الى الاصل المشترك فى الفن وفى التعليم جميعا ، وهو ان يكون الماضى حيا فى الحاضر .

"الساحة هدمت .. والجميزة ستقطع . والنهر سيتوقف عن الفيضان" ... ولكن .

"ابوزيد الهلالى سلامة لم يمت .. ونور الدين لم يمت . ولم يهزم النهر احد . والجميزة لن تموت . ستبقى جذورها فى النهر قوية لتلد اشجارا اخرى . ربما ليس فى هذا المكان ولكن فى مكان اخر" .

قالوا فى المرأة

- ما اروع المرأة اذا اكتست بأردية الإخلاص البراقة اللامعة .
- أعظم صفات المرأة ليس انها تخدعك ، ولكن ان تخدع نفسها بانها تحبك !
- المرأة اعقل : تعلم القليل وتفهم الكثير .
- المرأة قلقة على الرجل الذى تحبه النساء ، تعيسة مع الرجل الذى تكرهه النساء !
- قد يروق المرأة ان تقول لها ، انت كالقمر ، ولكن يروقها اكثر ان تقول لها "ما القمر إلا انت ثم رفعوه إلى السماء لتحظى برؤيته جميع العيون !"

حكايات قديمة



بقلم : فاروق خورشيد

هل حقا مر ربع قرن كامل على وفاة أمين الخولى » كيف حدث هذا .. ومتى ؟ وهو معنا فى كل يوم ، وكل حدث ، وكل قرار ؟

انًا نوجه الفكر فهناك امين الخولى ، يقود الخطى ويوجه الفكر ، ويحفظ السير حتى لاينحرف ولا ينزلق ..

اين حدث هذا ومصرنا مفعمة دائما بروح الخولى ، تسخر من عبث الأغبياء الذين لايفهمون البعد من صدى اصواتهم العريضة الثقيلة المريضة ، المليئة بالتسطيح والغباء .. فيحذرون وينذرون اننا ايام ردة الى حيث مماليك الصالح ايوب ، وقوبلاى اغا .. وبقايا خدم العثمانيين من بكوات وخشداشيات واغوات. هل غاب امين الخولى حقا كل هذه الأعوام ؟ .. يبدو انه عاش واننا نحن الموتى ، فما من حدث الا ويستدعى قولا له ، وموقفا وعزة وكرامة .



عبد المنعم شميس



صلاح عبد الصبور



شكرى عياد





امين الخولي .. حياة جامعية متدفقة



احمد حسين الصاوى





احمد رشدى صالح

وفى ليالى ضياعك المخيفة كان يزورني ليقول : لا ياولد ، اما علمتك ان لا يقهر المرض الرجال ، أو لا يقهر الياس ابناء الغد المكرمين ، وانا ابنى منكم جيلا من الاقوياء ..

وفى جنازته صاح شكرى عياد ؟

- مات آخر الرجال .

ويهدئه صلاح عبد الصبور ، ووضع راسه على كتفى وهو يقول :

- الآن مات ابى ..

وبكيت ، فابوه كان لايزال يعيش ، ولكن الغصة استحوذت على قلبى ساعتها فامتلا خوفا ومرارة .

حقا ، كيف يكون العالم بعد ان يغيب عنه امين الخولى ؟

فى الجنازة المهيبة ، كان هذا هو السؤال الذى يراود كل المشيعين - احقا مات امين ؟ .. ثم من لنا بعد امين ؟

هل انطفا السراج حقا ، وأظلمت المنارة ؟

تباكينا وتساندنا ، وسرنا فى جنازة املنا وحبنا ، ومثلنا الأعلى الذى نشيعه الى مثوى لن يعود منه ابدا ..

وبكى عبد المنعم شميس كالطفل وهو يستند الى كتف عبد المنعم مراد ، الذى لم يكن يستطيع ان يقيم جسده ليحتمل ثقل حزنه ، وثقل حزن شميس معا .

وانحنى العملاق عبد الله خورشيد ، وانطوى بعضه على بعضه ، وهو يجفف دمعة خلف النظارة السميكة ، حتى يستطيع ان يرى وقع اقدامه على الطريق ، وصاح عبد المنعم الصاوى وسط الجموع :

- علمنا ان نكون رجالا - فكونوا رجالا .. ذهب الجسد ، ويبقى الرجل ..

وتمالك بعضنا ، واستمرت مسيرة الجنازة الوئيدة الغريبة ، لاتنسى ابدا .. كان وقع الاقدام من مشيعيها ، ضربات على ارض ، تريد ان تقول لها : تذكرى هذا اليوم المخيف ، تذكرى هذه اللحظات يا ارض مصر ، فهذا مصرى عظيم .. يودع ارضك الى ترابك .. والى الابد .

ياحزننا التعيس ،

ويالوعتنا الطفلة الحزينة ،

وياصوت العقلاء منا يذكرنا ان نكون اكثر تماسكا .. رشدى صالح يبكى دمعا ودما وهو يقول :

- راح الخولى ، ولكنه تركنا نحن ، ولن نضيع نحن ان تذكرنا الخولى ، وتركناه فى قلوبنا وجودا دائما ..

● نهاية حزينة

وسرنا حتى نهاية المطاف ، نهاية حزينة مغلقة عند شارع مغلق ضيق لا معنى له ولا قيمة ، وسلم الكل على الكل ، وارتفع نعش الخولى فوق عربة ، وسار ، وغادرنا الى الابد .

وتفرقنا .. كل الى طريق ، عبد المنعم مراد يقود عبد الحميد يونس ، وشكرى عياد يهيم كمن فقد بصره الى طريق مجهول ، وانا يقودنى محمود ذهنى الى مقهى فى باب اللوق اجتمعنا


عبد المنعم الصاوى

فيه مع عز الدين اسماعيل ، وصلاح عبد الصبور ، وعبد الرحمن فهمي ، وعوني عبد الرعوف .

وقال صلاح :

ـ الكل انصرفوا .

قال عوني :

ـ والجنازة انتهت ، والجثة حملت الى مدفن بقريته .

وبكى صلاح وهو يقول :

ـ الى التراب اذن .

همست :

ـ ونحن وراءه الى التراب ياصلاح .

قال صلاح فى اندفاع وغضب :

ـ نحن لاشيء يا اخي .. نروح الى التراب لن يحس تعبنا احد ، أما هو ؟

وصمت واهنف وبكى .

وقال محمود ذهنى فى صوته العاقل الرصين :

ـ المسألة تحتاج الى تعقل .. فهل نتركه يمضي من بيننا دون ان نخلق استمرارا لوجوده ، ورسالته ؟

قال عبد المنعم شميس الذى كان منكبا على قدح قهوة لم يشربه :

ـ سأصدر عددا من مجلة الأدب عنه وعن أعماله .. وساحاول ان استمر فى اصدار مجلة الأدب حتى لاتضيع ذكراه .

قال عبد الله خورشيد :

ـ الأدب من غير امين لاشيء .. ولكن لابأس من عدد فيها عن ذكراه فهذا شيء سينتفع به اولاده وتلاميذه من بعده .

قال صلاح :

ـ نحن الآن يتامى ـ وما نقوله تكرار لما قاله ابناء ضعاف عجزه من قبل ، عندما يواجهون بموت ابيهم وعائلهم ، ووجودهم كله .

وساد الكل وجوم وصمت .

وهمس ذهني :

ـ انت شاعر يا صلاح ـ وحسك جمع كل معاناتنا في كلماتك .

وقال عبد الغفار مكاوى وكان لم يتحدث ابدا من قبل :

ـ سأجمع هذا الحزن فى قلبى ، واقطره قطرات على الورق .

طاح به احمد حسين الصاوى :

ـ اهذا وقته ياعبد الغفار ، الرجل مات والكلمات لن تفيده .

ودفعه حسين نصار بيده ، فسكت احمد الصاوى وقال حسين نصار :

ـ لانحن كلنا يجب ان نحاول ان نعيده ، ندرسه ، نكتب عنه ، نتصدى لجهده ومنهجه ومدرسته بحثا ومناقشة ودرسا .

تدخل عبد العزيز الدالى قائلا :

ـ بالفعل ينبغى ان نقسم انفسنا منهجيا على اعماله ، ليتناول كل منا جزءا من عمله ليدرسه ويعمقه ، ويقدمه للأجيال القادمة .

قال عونى عبد الرعوف :

- افلح ان صدق ؟
قال صلاح :
- صدق ياعونى ، فما كل مانقوله نفعله ، وأخشى أن تاتى الأيام تمر علينا يد من النسيان ، فنحن وجود ينسى وهو لهذا ينسى .
ووجمت .

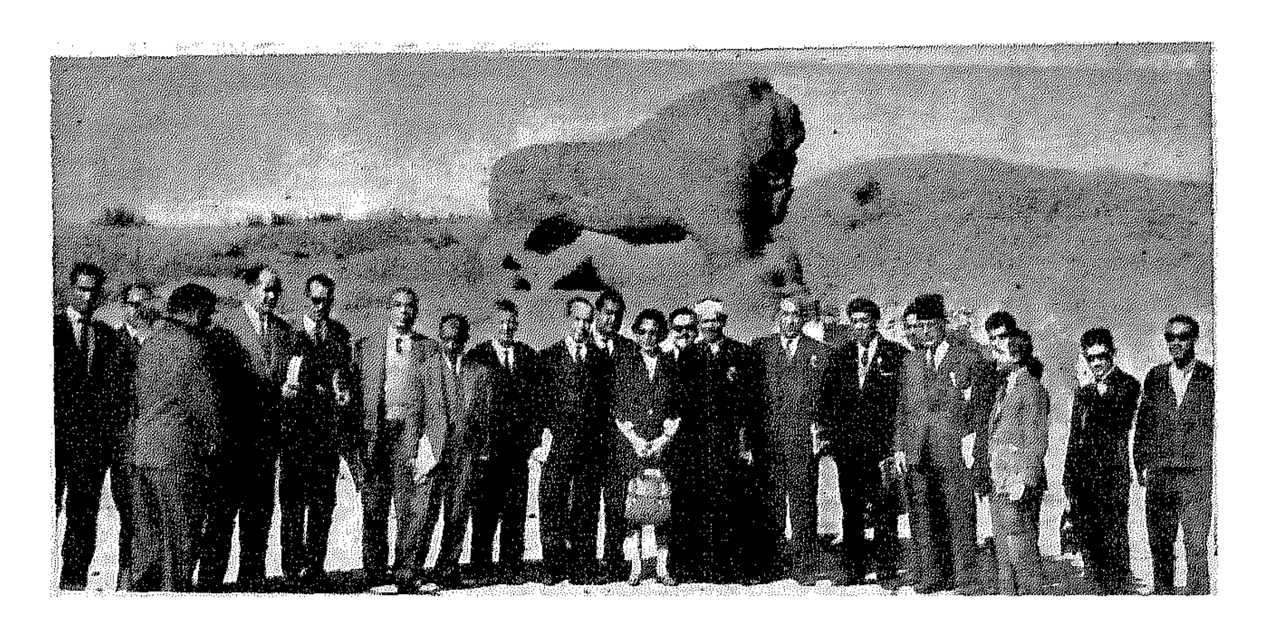
وقمنا من القهوة - وتفرقنا - وفى كل ثقل فى قلبه لايرحمه ولايعزيه .
ومضت السنوات ، واستمرت الدنيا فى عطائها .. خمسة وعشرون عاما مضت منذ هذا اللقاء - ولم يتحقق أمل واحد فى تحقيق تراث او فى تاصيل سيرة أو فى ابراز عبقرية الرجل الراحل .

● ربع قرن حزين !

مات منا احمد رشدى صالح وسامى داود ، وعبد المنعم الصاوى ، وصلاح عبد الصبور وعبد الحميد يونس ، وعبد الله خورشيد وعبد العزيز الاهوانى .

ومضى ربع قرن كامل من الزمان ، ونحن لا ندرى كل هذه الأحزان ، والأحداث ، والافكار والرؤى التى غدت عقيمة ، بمقاييس العصر الجديد ، والرؤى الجديدة ، والمقاييس الجديدة .. واسال نفسى ، واسال من بقوا على قيد الحياة بعد ربع القرن هذا الذى مضى - ماذا قدمنا - وماذا قدموا

امين الخولى وعائشة عبد الرحمن . رحلة مع الزملاء ..




عز الدين اسماعيل

ليكونوا جديرين ان ينتسبوا الى امين الخولي العظيم .. ؟

اشهد .. اننا ظلمناه وظلمنا انفسنا بالانتماء اليه ، واشهد انني احسه ساخطا علينا وعلى وجودنا الفكرى والثقافي كل السخط ، وانه يواجهنا الآن بـابتسامتـه الساخطـة المرة الساخرة ، قائلا :

ـ انتم جهلة ، اكلتكم الحياة .

ونحن جهلـة .. ونحـن اكلتنـا الحياة .. ونحن يارجل الرجال خونة لك .. ولعهدك .. ورسالتك ولكن من منا قبض فى رسالتك على معنى الكرامة والعزة ، والمصرية ، احرقه ماقبض عليه بين راحتيه ، فكاد ان يضيع فى الحريق .

ولكن من منا ربط كلماته بمعنى الأمانة ، وان يكون كريما على نفسه ، ساخت كلماتها فى الرمـال واكلها مسئولون جـدد لايعـرفـون معنى الرسالة ، ولا معنى الكلمة ، ولا معنى ان يكون المصرى كريما على نفسه ، فابتلعت رمال العصر الغريب كلماتنا ، واملتت صرخاتنا ، وصرنا فى خيالات متلاهثة فى عالم يترك للغربان ان تاكل كل بذور الحقل ، ولا تريد لأحد أن يحمي الحقل من صقور الطغاة القادمين من الغرب اللعين ..

ماذا اقول لك ..؟

بعد ربع قرن ، لا قول ولا قوم ، الا ان نشهدك معنا على المأساة .. ؟

مات خير من فينا ..

والباقون اكلتهم الحياة ، فعاشوا فى بلاد الأرض يؤمنون وجودهم وحياتهم ، وقوت اولادهم ، وغدت مصر فى الخلفية من رؤاهم واحلامهم ..

والآخرون طحنتهم المارد الجهنمى ، فاكلوا السحت ، وتحملوا الضنك ، حيث علمتهم الصمت والصمـود والكرامة ..

والكل آخر الامر فى واحد ـ رفعوا اصواتهم على استخذاء وحياء ينبض قولك ، وغرقوا فى فيض قولك فماتوا صمتا وخجلا عارا ، وتعاسة ..

ياسيدى .. وانت تخاطبنا ، بأبناء الغد المكرمين ـ لم نكن نعرف أن الغد لايحمل ابدا للمكرمين مكانا ، ولا لأبنائك مجالا ، يتحدثون بالقول والفعل فيه ، ليحققوا ما كنت ترجوه من ابناء الغد المكرمين .. كنت تحلم بغد مشرق ، فاذا الغد ملىء بغيم أنسى الكثيرين من ابنـاء الغـد المكـرمين المسيـرة والرسالة ..

ومن ظل منهم على العهد طحنته تروس مخيفة لم تقدر انت انها ستوجد وتكون ، لتمتص عصارات حياتهم ، وتحطم عظام بقاياهم ، ليصبحوا رمادا احوى ، تمر عليـه اقدام السفلـة العملاء ، وحثالة هذا الغد الذى كنت

تحلم به ، فلم يفرز الا المهزومين والتعساء .. والمنسحبين من معركة الوجود والحياة ..

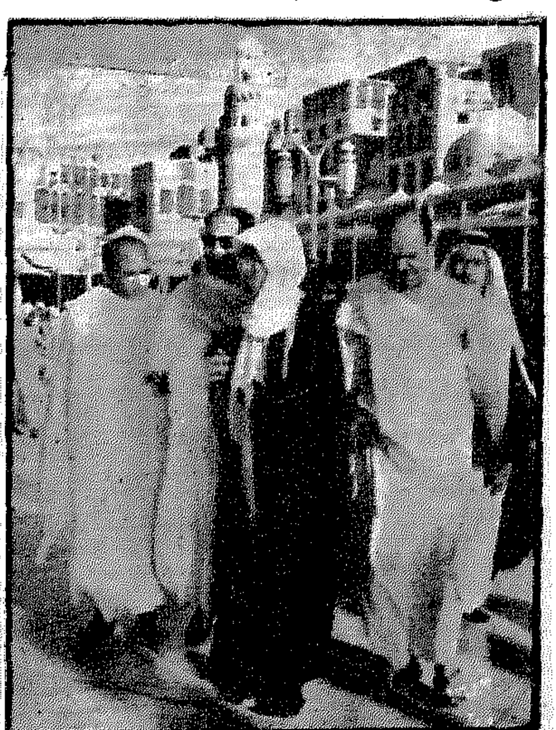
ياسيدى .. لاتغضب منى .

بعد ربع قرن .. زالت الكرامة ، وانقضى عهد الفرسان .. وشاهت القيم ..

ياسيدى .. لاتغضب منى .

بعد ربع قرن .. لا مجال لشعارك (كريم على نفسى) فقد هانت كل النفوس ، وتشققت وانتكست لو رأيتها ياسيدى لرضيت بقبرك ، وبانك تركتها منذ ربع قرن من الزمان وكلك الأمل ،

امين الخولى .. الحج
مع طه حسين عام ١٩٥٦



والوعد والرغبة فى حياة ابناء الغد ..

ما اتعس ان يكون الغد هو هذا الذى احمل رسالته اليك .. ولكنه الحقيقة ، وانت علمتنا ان نذكر الحقيقة ولا نخاف ..

تعس ما اقوله لك ..

ولكن لو عدت بعد ربع قرن لرفضتنا وعدت مختارا الى قبرك .

سيدى ـ يا امين ، ضاعت الأمانة ، وانشق القلم فغدا يتكلم بلغتين ، ويكتب بلهجتين ، ويتحدث بلسانين .. فماتت القيمة .. وشاعت ..

سيدى يا امين ـ ضاعت الرجولة ، وهزم الرجال ، هزمهم مال ورمال ونوال ، وعاشوا فى احلام الثروة والجاه ، وغدت كل متطلباتهم رفاهيات العصر ، وراحة البال من هموم العصر ، والاستسلام للقوة المؤثرة الحاكمة فى العصر .

(والعصر .. ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر) صدق الله العظيم .. وهؤلاء الـ (الا) تناقصوا وقلوا ، بل وكادوا ينقرضون تماما .

سبحان الله . حتى منهجك فى التفسير القرآنى يركبنى الآن فلا اعرف منه فكاكا .

ـ ياسيدى .

فى ربع قرن ـ شاهت الاشياء وتغير كل شىء ..



ياسيدى بعدك مات ابناؤك الاكرمون ، اولاد الرعوس كما كنت تسميهم ، واراد قدرنا الباغى الظالم ان نعيش بعدك وبعدهم ، لنتقف الحنظل ، ولنجتر المرارات .

آه لو أن حلما واحدا من احلامك الوقادة تحقق ، آه ، لو أن املا واحدا من امالك المستشرقة كان له وجود متحقق ، آه لو ان هذا كان .. لهانت الحياة علينا ، ولشققنا صحراواتها ، بمداد القلم ، وعناد الفكر ، وجهد الحياة .. ولكن جفاف النهيرات .. وتحجر البحيرات ، وضياع الأقدام فى الرمال السائخة ، يشى بأن ربع قرن من الزمان ، أضاعه النسيان ، واضاعه الجبن ، والفقر فى الروح والوجود والحياة ـ وأننا مع المازنى حين قال مع الجامعة بين داود : الكل باطل وقبض الريح ..

آه يا ابى - ياحبى .

ماذا نفعل ، الصمت غدا صوتا .. والصوت غدا ريحا وغثاء احوى .. ماذا نفعل والقلب التاث مع زعزعات القهر والضياع ..

الرمال السائخة طريقنا ، والقمر الخادع المخدوع غدا دليلنا الى الطريق ـ ولا طريق هناك .

ربع قرن من الزمان يامولانا .

والناس ازدادوا سيرا عكس الزمان ، والرجال ازدادوا نكوصا نحو الهوان ، والكلمة شاهت ، وغدت لعبة مجموعة من الجهلة والصبيان ، ولعقة القصعة الخاوية فى آخر الزمان .

ابى يا امين .. نم هنيئا هناك .. ولاتحاول ان تنظر الينا عبر الزمان ، فنحن صور شوهاء ممزقة لاتصلح ان تكون من ابنائك اصحاب (الغد الواعدين) فالغد لم يعد شيئا يرغب فيه ابناء الغد الواعدون .. غدا شيئا مشوها ضيقا يخافه ابناء هؤلاء ويهربون منه .. وهم انفسهم لم يعودوا ماعهدتهم ومارببيتهم ، وما املت فيهم ابناء غد واعد ما ، ضاع الغد منهم ، فضاعوا ، واختل الطريق .

ضاعوا يا امين .

مخيفة هى الحقيقة ، ومخيف ما اقوله لك ، ولكنك غرست فى ان اقول ، وان اقول لك انت بالذات ، صلب الحقيقة وجوهر القول .

اليوم بعد خمسة وعشرين عاما ـ نحن ضعاف ، وأضعنا رسالتك ، وعشنا فى الوهم .

واعزيك فى اولادك .. وفى احلامك فيهم ، واشهدك على همومنا وهزيمتنا وضياعنا الذى نعيشه دون امل فى امين جديد ..

كيف نخرج من

الاعتماد على الديون ؟

بقلم : د. محمود عبد الفضيل

تنشط مصر هذه الأيام نشاطا واسعا ومكثفاً لمحاولة تخفيض جانب هام من الديون الخارجية التى تراكمت على عاتق الاقتصاد المصرى خلال الخمسة عشر عاما الماضية إذ يشير تقرير التنمية الدولى الصادر عن البنك الدولى لعام ١٩٩٠ إلى أن حجم الدين العام الخارجى قد بلغ ٤٢ بليون دولار أمريكى عام ١٩٨٨ أى مايوازى ١٢٣ ٪ من حجم الناتج القومى الإجمالى ، مقارنة بمبلغ ١,٧ بليون دولار عام ١٩٧٠ (أى مايوازى ٢٢,٥٪) من حجم الناتج القومى الإجمالى .

وليس هناك من شك أن تصاعد حجم الدين الخارجى المصرى مسألة تشكل مصدر قلق للدوائر الرسمية والشعبية ، لاسيما وان الاعباء السنوية لخدمة الدين الخارجى تشكل عبئا ثقيلا على استخدامات النقد الاجنبى المحدودة التى تتنافس عليها الواردات الغذائية وقطع الغيار والمعدات والسلع الرأسمالية .. اللازمة لتيسير عجلة الحياة الاقتصادية اليومية وتسيير دولاب الإنتاج .

وإذا كان الطرف الدولى قد غدا مناسبا لإسقاط جانب من الدين الخارجى المصرى ، وإعادة جدولة بقية الدين الخارجى على النحو الذى سوف تسفر عنه مفاوضات نادى باريس التى جرت فى نهاية شهر مايو ١٩٩١ ، فإن السؤال المستقبلى الهام والملح هو : كيف يمكن أن نخرج من دائرة إدمان القروض ونتوقف عن عمليات «إحلال الديون القديمة بديون جديدة» ؟

والإجابة على هذا السؤال المصرى الذى يعتبر من صميم «المسألة المصرية» اليوم ، يرتبط بمدى كفاءة استخدام القروض الخارجية لدفع عمليات النمو والتنمية فى مصر ... ومدى جدية وفعالية دور المشرع وأجهزة الرقابة والمساءلة الشعبية فى عمليات إبرام واستخدام القروض الخارجية . ودعونا نعالج هذين الجانبين بقدر من التفصيل .



الرئيس حسنى مبارك .. حوار مع وفد البنك الدولى

كفاءة استخدام القروض الخارجية لأغراض التنمية .

حذر نفر هام من ثقاة الإقتصاديين من مجال التخطيط والتنمية ـ وعلى رأسهم الإقتصادى النرويجى الكبير راجز فريش الحائز على جائزة نوبل فى العلوم الإقتصادية واحد العلماء الذين ساهموا فى إعداد الخطة الخمسية الأولى للتنمية الاقتصادية فى مصر ـ من خطر الاقتراض من الخارج دون ضابط أو رابط .. وأنه لابد من وضع سقوف على الحمولة القصوى للدين الأجنبى التى يمكن أن يتحملها إقتصاد معين ، وفقا لطاقته التصديرية ، وقدرته على خدمة الدين الخارجي دون آثار ومضاعفات سلبية على مسيرة النمو والتنمية .

ورغم التحذيرات الصادرة عن هذا النفر من العلماء فى بداية الستينات ، فقد أغرت شروط الإقتراض السهل والميسر خلال حقبة الستينات ، العديد من قادة بلدان العالم النامى على التوسع فى عملية الاستدانة الخارجية بحجة توفير موارد تمويل إضافية تسمح بقفزة تنموية لاتسمح بها المدخرات المحلية المحدودة . ورغم الكتابات العلمية النظرية التى وضعت بعض الشروط التى تحدد نوعية المشروعات والبرامج التى يمكن تمويلها بأسلوب الإقتراض الخارجى ، والتى يتولد عنها عائد سنوى (بالنقد الأجنبى) يفوق مقدار سعر الفائدة المدفوع على القرض الذى يتم تمويل به المشروع ، فإن معظم بلدان العالم النامى ـ ومن بينها مصر ـ لم تتمسك بتطبيق هذا المعيار .. وتم الإقتراض فى أحيان كثيرة لسد حاجات إستهلاكية عاجلة

او لدعم ميزان مدفوعات متعثر ، أو لإنشاء مشروعات للمظهرية والتفاخر التى تدر عائدا تنمويا محدودا .

وإذا إنتقلنا لحالة مصر ، فرغم أن حجم الدين العام الخارجى قد تطور من ١,٧ بليون دولار عام ١٩٧٠ إلى نحو ٤٢ بليون دولار عند نهاية الثمانينات .. لايوجد حتى الآن كشف حساب واضح يشير إلى أوجه استخدام وانفاق تلك القروض الخارجية الجديدة ، وبالتالى تقييم مدى كفاءة استخدامها من منظور الإنماء طويل الأجل .. وبالتالى إمكانية تخفيض عبء الديون فى المستقبل .

وقد أمكن لنا إعداد بيان إحصائى عن اسلوب التصرف فى القروض الخارجية التى حصلت عليها الحكومة حتى عام ١٩٨٥ ، والتى يبلغ حجمها نحو ٢٥ بليون دولار أمريكى – بخلاف «الدين العسكرى» – راجع الجدول المرفق . وهو بيان وإن كان غير محدث حتى نهاية الثمانينات ، فهو يعطى بعض المؤشرات حول نمط إنفاق جانب هام من القروض الخارجية التى تم الحصول عليها حتى منتصف الثمانينات .

والمتأمل فى بيانات هذا الجدول ، يلاحظ أن الجانب الأعظم من المنفق من القروض الخارجية خلال تلك الفترة ، قد ذهب بالدرجة الأولى إلى المجالات التالية :

مجمال النشاط	النسبة المئوية من جملة القروض
(١) مشروعات البنية الأساسية	
الطاقة / الكهرباء ، النقل البحرى	١٦,٢ ٪
السكك الحديدية / الاتصالات السلكية واللاسلكية	
(٢) البنوك ومشروعات دعم القطاع الخاص	١٥, – ٪
(٣) قطاع الصناعة	١٠,٦ ٪
(٤) مشروعات الزراعة واستصلاح الأراضى	٣,٣٪
(٥) الخدمات الاجتماعية : إسكان / صحة / تعليم	٥,٥٪

أواجه استخدام القروض	المبالغ المخصصة بالمليون دولار	التوزيع النسبـى
	بالمليون دولار	النســبى
الزراعة	٢٣٠	٠,٩ ٪
استصلاح الأراضى	٢٧٤	١,١ ٪
الرى	٣٢٢	١,٣ ٪
الصناعة	٢٦٤١	١٠,٦ ٪

البترول والثروة المعدنية	٤٦٨	٪ ١,٩
الطاقة والكهرباء	١٧٢٩	٪ ٦,٩
النقل والنقل البحرى	٧٥٩	٪ ٣,٠
السكك الحديدية	٩٦٩	٪٣,٩
الاتصالات السلكية واللاسلكيـة	٥٨٦	٪ ٢,٣
استيراد السلع الغذائية	٥٧٦١	٪ ٢٣,١
الخزانة	٩	٪ ,٠٤
الاقتصاد والتجارة الخارجية	٢٧	٪ ,١
الاسكان	١١٢٦	٪ ٤,٥
الصحة	٢١٨	٪ ,٩
التأمين الاجتماعى	٧	٪ ,٣
التعليم	٢٦	٪٠,١
نفقات بحوث وتطوير (Rsi)	١١٩	٪ ٠,٥
★ العلاقات العامة	١٤١	٪ ٠,٦
السياحة	٣٢	٪٠,١

الطيران المدنى	٢٠٣	٠,٨ ٪
الإنتاج الحربى	١٤٥	٠,٦ ٪
محليات	١٤٠	٠,٦ ٪
قناة السويس	٧٨٠	٣,١ ٪
البنوك والقطاع الخاص	٣٧٤٩	١٥ , ـ ٪
قطاعات أخرى	٢٣٥	٠,٩ ٪
التزامات عامة ★★	٤٢٩٨	١٧,٢ ٪
الجملة	٢٤٩٩٣	١٠٠

★ يقصد «بالعلاقات العامة»: المنفق على الدعاية ، والإعلان ، والحفلات ، والاستقبالات ، والندوات .

★ ★ تشمل ، ضمن ماتشمل ، الدعم العاجل لميزان المدفوعات وغير ذلك من الالتزامات العامة .

المصدر : بيانات غير منشورة لوزارة التخطيط

وإذا كان لنا من تعليق على هذا النمط لإستخدام وإنفاق أموال القروض الخارجة ، فإننا نرى أن هذا النمط من الاستخدام «غير صحى» ولايؤدى للخروج من «دائرة القروض الأجنبية» . إذ أن الملاحظ أن نحو ربع هذه القروض (٢٣٪) قد استخدم لاستيراد سلع غذائية ، أى لمواجهة إحتياجات إستهلاكية عاجلة .. ولم تخصص لاستثمارات ذات آثار إنمائية بعيدة المدي . كذلك تم تخصيص ١٧ ٪ من أموال القروض لمواجهة إلتزامات عامة عاجلة للدولة المصرية ، وهى إلتزامات وإن كانت ضرورية .. فهى ليس لها عائد إنمائي محدد . كذلك تم تخصيص ١٥ ٪ من أموال القروض لدعم البنوك ومشروعات القطاع الخاص مقابل تخصيص ٠,٥٪ فقط من أموال القروض لنفقات البحث والتطوير وهى النفقات التى لها أهمية مؤسسية كبرى فى عمليات رفع الإنتاجية وتطوير الأداء الإنمائى ورفع القدرة التنافسية للصادرات المصرية .

وفى المقابل ، نجد أن ماتم تخصيصه لمشروعات البنية الأساسية والمرافق ـ الذى مادام كثر الحديث عنه ـ لم يتجاوز ١٦ ٪ من جملة اموال القروض ، وهى مشروعات على أهميتها .. فهى تظل مشروعات مساندة للبنية الإنتاجية .. وعائدها التنموى يكون بطيئا ويعود على الاقتصاد القومى بشكل غير مباشر . أما ماتم تخصيصه للقطاعات السلعية الرئيسية (الزراعة والصناعة) ، فلم يتجاوز ٨,٨ ٪ من جملة المنفق من أموال القروض . وهى مبالغ ضئيلة للغاية بالنسبة لحجم التحديات التى تواجه الإقتصاد المصرى ، فى مجال تطوير «القدرة التصديرية» لقطاع الصناعة .. وتحقيق درجة أعلى من الاكتفاء الذاتى من الحبوب الغذائية فى قطاع الزراعة ، للتخفيف من تزيف العملة الصعبة المنفق على الواردات الغذائية خلال العشر سنوات الأخيرة .. الأمر الذى يؤدى إلى تفاقم عجز ميزان المدفوعات .. ويؤدى إلى الاعتماد المتزايد على التمويل بالقروض الخارجية .

القروض الخارجية والديمقراطية والمحاسبية

إن قضية القروض الخارجية ونمط إنفاقها أخطر بكثير من أن تترك للمفاوضات والصفقات فى حجرات مغلقة .. لأنها تتعلق بمصائر الأمم والشعوب . ويعتبر من صميم الممارسة الديمقراطية إحكام الرقابة الشعبية على القروض الخارجية فى كل مراحلها :

(ا) مراحل التعاقد على القرض الخارجى .
(ب) مراحل استخدام القرض الخارجى .
(ج) مراحل المتابعة الخاصة بسداد القرض وخدمة الدين الخارجى

وفى تقديرى ، أنه يجب توجيه عناية خاصة لعملية إبرام القروض ، وحماية الاقتصاد القومى عند المنبع .. من خلال إحكام رقابة مجلس الشعب (كهيئة تشريعية) على إبرام العقود ، وتدقيق نصوصها ، والتأكد من الأهداف الإنمائية المخصصه لها أموال القروض. ففى أحوال كثيرة ، صادق مجلس الشعب على اتفاقيات قروض لجنبية خطيرة بناء على الترجمة العربية لإتفاقية القرض "وليس على النص الاصلى باللغة الأجنبية" والتى لم تكن فى بعض الاحوال ترجمة دقيقة . هذا بينما تكون الوثيقة التى يعتد بها الطرف المانح للقرض هى تلك الاتفاقية المصاغة باللغة الأجنبية ، مما ينتج عنه خلافات هامة فى المستقبل عند تفسير النصوص عند نشوب المنازعات القانونية .

ونود أن نتساءل ختاما ، أليس من حق وطننا علينا أن يصدر تشريعا ، يجرم التعاقد على قرض خارجى لايخصص لاغراض إنمائية ، مضمونة العائد .. وتسمح بخدمة أعباء الدين على أساس منتظم ! وذلك حتى لاتتراكم الديون ، وتتفاقم أعباء خدمتها .. وندق أبواب جماعة الدائنين عاما بعد عام ، نسألهم الرحمة والشفقة بعباد الله المصريين .

الموجات فوق الصوتية

سلاح جديد فى الطب

بقلم : د. محمد بهائى السكرى

منذ فجر التاريخ والطبيعة مصدر إلهام وتعليم لبنى الانسان . والكائنات الحية المختلفة من اكبرها حجما لأصغرها شأنا اساتذة للجنس البشرى الذى يقف وسط غابة المخلوقات مثل طفل صغير مشدوه يتلفت حوله ، ويقلب فكره فيما يرى ، ويحاول ان يقلده او يتشبه به .

أعجب الانسان بالطيور تحلق فى السماء باسطة أجنحتها تنساب فى الهواء ، وترفوف فتعلو وتميل ذات اليمين والشمال .

وحاول الانسان أن يتخذ جناحين من ريش يطير بهما ففشل ، ولكنه لم ييأس . ومرت العصور والأزمان وحلق الانسان فى أجواء الأرض بالطائرات والمناطيد والأشرعة ، ونفذ فى أجواز السماء بالصواريخ .

وتأمل الانسان فى كل المخلوقات يدرسها ويصنفها ويقارن بينها ، ويستشف كيف تفكر وكيف تحس ، ويبحث كيف تتخاطب وكيف تتحرك ، وكيف تتغذى ، وكيف تستفيد من البيئة حولها وتتلاءم معها وتتقى شرها .

وانفتحت للانسان مع تلك الدراسات آفاق جديدة .

وبدأت مخترعات كثيرة للانسان تظهر وفيها لمسات معلّمه الأصيل الكائنات الحية . الطائرة مثل طائر أسطورى ضخم ، الغواصة مثل حوت كبير ، المنسوجات ما رق منها مثل بيت العنكبوت وما أحكم بناؤه مثل شرنقة دودة القز ، والأشكال الهندسية البديعة مثل بيوت النحل وشمع العسل ، والأنفاق مثل مسارب النمل ، والمقابض والكلابات مثل أذرع سرطان البحر .

قائمة طويلة لاحصر لها ولانهاية مع امتداد الدراسات ، وتقدم وسائل البحث وتعمق الفهم وزيادة الولع والشغف بدراسة المخلوقات .



● كائن غريب

وكان الخفاش أحد الأساتذة الكبار فى مدرسة الطبيعة ، تعلم منه الانسان كيف يتخاطب بلا صوت مسموع أو بالموجات فوق الصوتية .

ودرس العلماء هذا الكائن الغريب الذى له جسم فأر وأجنحة بلا ريش ، يلد ويرضع الصغار مثل الثدييات ، ويتعلق فى فروع الأشجار مثل الطيور . له آذان خاصة دقيقة تسمع مالا يسمعه الانسان من موجات يطلقها هذا الكائن الغريب بنفسه فتنتشر حوله وتصطدم بما يحيط به ثم ترتد إليه فيسمعها دون غيره من المخلوقات ، وبها يتلمس طريقه فى الظلام ، ويرى ماحوله من الأشياء بسمعه دون بصره فيحس بما حوله وهو يطير فى الظلمة الدامسة فلا يصطدم بشىء ولو كان خيطا دقيقا أسود ممتدا فى ليل بهيم !

ومن هذا الكائن تعلم الانسان كيف يصنع الرادار وكيف يستخدم الموجات غير المسموعة فى تحديد أجرام الأشياء فى الظلام ، وسبر أحجامها وأشكالها وتقدير أبعادها سواء كانت تطير فى الجو أو تغوص فى أعماق الماء .

ويتساءل المرء لماذا تسمع موجات ولاتسمع موجات أخرى ؟ . إن الموجات تنتشر من مصدر انبعاثها على شكل كرات أو دوائر مثل مايحدث عندما يسقط حجر صغير على سطح ماء ساكن فى بحيرة رائقة فيحدث سقوط الحجر هزة فى سطح الماء تنتشر فى كل إتجاه على شكل دوائر تتلاحق وتتسع شيئا فشيئا حتى يضعف تأثيرها وتتلاشى فيما حولها . فإذا كانت هناك مثلا ورقة شجر طافية على سطح الماء بالقرب من موقع سقوط الحجر نجد انها تهتز صعودا وهبوطا مع تتابع الموجات التى انبعثت عند سقوطه .

ويعرف عدد المرات التى تهتز فيها ورقة الشجر على سطح الماء نتيجة لسقوط الحجر فى وحدة زمنية واحدة بالتردد الموجى .

ونعود إلى الموجات التى تنبعث فى الطبيعة بطريقة مشابهة فنقسمها إلى قسمين حسب قدرة الأذن البشرية على التقاطها طبقا لسرعة ترددها . فإذا كانت سرعة التردد الموجى فى نطاق ٢٠ إلى ٢٠ر٠٠٠ ذبذبة فى الثانية أمكن للأذن

الموجات فوق الصوتية

التقاطها وسماعها وأن تميز بينها فتسمع الموجات ذات سرعة التذبذب المنخفض على هيئة أصوات غليظة جاشة والموجات ذات سرعة التذبذب المرتفع على هيئة أصوات حادة ثاقبة بصرف النظر عن شدة الصوت أو ضعفه فقوة الصوت تتوقف على خاصية أخرى وهى إرتفاع الموجة لا سرعة تذبذبها .

وإذا كانت سرعة التذبذب أكثر من ٢٠٫٠٠٠ مرة فى الثانية لايمكن سماع تلك الموجات وتعرف بالموجات فوق الصوتية . وهذه الموجات غير المسموعة للانسان يمكن لبعض الكائنات الأخرى مثل الكلب أو الخفاش سماعها .

وقد أمكن استحداث صفارة خاصة لاستدعاء الكلاب تحدث ذبذبات عالية التردد لايسمعها الانسان فلا يلحظ أحد غير صاحب الكلب أنه قد استدعاه .

وفى العشرينات من أوائل هذا القرن بدأ استخدام الموجات فوق الصوتية فى دراسات أعماق البحار واكتشاف الغواصات .

ثم وجدت الموجات فوق الصوتية منذ منتصف القرن الحالى لها مكانا فى عالم الطب أولا فى مجال التشخيص ثم فى مجال العلاج .

فمع تقدم التقنية الحديثة أمكن توليد الموجات فوق الصوتية والتحكم فى معدلات تذبذبها عن طريق مرور تيار كهربائى فى بلورات خاصة يتغير شكلها وتهتز عندما تسرى فيها الكهرباء . وأمكن التحكم فى مسار تلك الموجات وتوجيهها بحيث تنفذ خلال مناطق معينة من الجسم البشرى فترتطم بجدران الأعضاء الداخلية الصلبة ثم ترتد مرة أخرى فتلتقطها أجهزة إستشعار تحدد كنه الأجزاء داخل الجسم التى ارتطمت بها الموجات وترسم لها صورة محددة تبين شكلها وسمكها وحركتها وخواصها .

وقسمت الموجات فوق الصوتية أيضا الى قسمين : قسم منخفض الطاقة بطىء التذبذب نسبيا (يتذبذب بسرعة تقرب من ٢ الى ٣٫٥ مليون ذبذبة فى الثانية) لايحدث ضررا فى أجزاء الجسم التى يرتطم بها ويستخدم هذا النوع من الموجات فى التشخيص الطبى من أجل رسم صورة لاعضاء الجسم الداخلية كالقلب والكبد والطحال والكلى تشابه فى دقتها صور الأشعة السينية بل وتتفوق عليها فى تجسيم الأعضاء وتحديد معالمها وسمك جدرانها ومدى حركتها . كما تستخدم أنواع منها فى دراسة سريان الدم فى العروق وتجاويف القلب حيث ترتطم بكرات الدم الحمراء السابحة فى بلازما الدم وتنعكس مرة أخرى مبينة سرعة تحرك تلك الكرات واتجاهها .

والقسم الثانى من الموجات عالى الطاقة سريع التذبذب بدرجة كبيرة وإذا تم توجيهه بدقة متناهية لهدف معين داخل الجسم مثل حصوة فى الحالب أو فى كيس المرارة أمكنه تحطيم هذا الهدف . وعادة يتم إطلاق هذه الموجات على فترات زمنية قصيرة متلاحقة حتى تحدث التأثير المطلوب فى الجسم المقصود بعينه ولايمتد تأثيرها إلى ماحولها من انسجة .

ويحتاج ذلك بالطبع إلى دقة متناهية فى التصويب وتحديد زمن التعرض للموجات بما يتناسب مع الغرض ودون إحداث تلف فى الجسم . وتلك الحسابات الدقيقة تستلزم استخدام الحاسب الآلى « الكمبيوتر » وتنبنى على دراسات دقيقة مستفيضة تأخذ فى الاعتبار طبيعة الأنسجة التى تمر بها الموجات وصلابة الحصوات والمواد المكونة لها وبعدها عن سطح الجسم وبالتالى عن مصدر الموجات

فمن المعلوم بالنسبة للموجات فوق الصوتية أن قدرتها على النفاذ تقل كلما زادت سرعة ذبذبتها ، كما انها لا تستطيع النفاذ خلال أنسجة صلبة مثل عظام الأضلع . أما بالنسبة للحصوات فكلما احتوت على مادة الكالسيوم زادت صلابتها ومقاومتها للتفتت ، كما أن نواتج تفتتها بصفة عامة قد تنزلق من مكانها وتؤدى إلى إنسداد بعض القنوات مثل القناة المرارية فى حالة حصوات كيس المرارة .

● مجالات مجهولة

والكثير من هذه الأمور مازال محل البحث والدراسة وبالتالى يعتبر استخدام الموجات فوق الصوتية فى مجال العلاج وتفتيت الحصى فى طور التجريب ومازال هناك الكثير فى هذا المجال .

وبالرغم من ذلك فإن استخدام الموجات فوق الصوتية فى تفتيت الحصى فكرة جذابة تستحق الكثير من الجهد فى الدراسة والبحث خاصة أن هناك عادة قابلية فى الجسم لتكوين حصوات جديدة وتزداد تلك القابلية كلما كان هناك التهابات فى كيس المرارة أو المسالك البولية . كما أن اختلال تركيب سوائل الجسم وزيادة الأملاح أو المواد العضوية فى حالات مرضية معينة يساعد على ترسيب الحصى فى البول أو فى عصارة الصفراء .

ولكى تدرك مزايا الأسلوب العلاجى الجديد نتصور مريضا يعانى من آلام رهيبة نتيجة لحصوة فى الحالب أو المثانة يدخل المستشفى فتجرى له التحاليل المعتادة والفحوص بالأشعة السينية والموجات فوق الصوتية التشخيصية من أجل تحديد مكان الحصوة ونوعها . ثم يبدأ بعد ذلك العلاج بالموجات فوق الصوتية عالية الطاقة فتتفتت الحصوة فى جلسة واحدة دون تخدير أو استخدام لمبضع الجراح وبلا الم . ويعود المريض إلى سابق نشاطه بعد قليل . إن مثل ذلك العلاج ليشبه السحر ولكن من ورائه كم هائل من البحث والدراسة والمعرفة الدقيقة والاجهزة المتقدمة والمهارة فى الاستخدام والتطبيق وليس فيه تعاويذ السحر وشعوذته .

ومازال ذلك السلاح الطبى الجديد بين يدى علماء الطب والهندسة يتفحصونه ويطورونه ويدرسون مزاياه وعيوبه .

ولكنه بصفة عامة يفتح آفاقا جديدة ويوقظ آمالا رائعة وإن كان لابد من التريث حتى نعرف تماما ابعاده وحدوده وانسب الطرق لاستخدامه وحتى يصبح فى متناول من هم بحاجة إليه ويمكنهم الاستفادة منه .

زواج المتعة

فــى ايــران

بيــن التحليــل المكــروه شرعــا والـــرفـــض إجتمـــاعيـــا

بقلم : د . ابراهيم الدسوقي شتا

لحل مشكلة فقهية من المشكلات المختلف عليها بين السنة والشيعة لم تثر من الجدل ما اثارته مشكلة زواج المتعة او الزواج المؤقت او الزواج المنقطع ، وزواج المتعة بالذات من النقاط التي يعيب اهل السنة الشيعة عليها كثيرا ومن مواطن التشنيع عليهم ، ولا جدال في ان الأمر يستحق ، فهي مشكلة تتعلق بالانساب والاخلاق العامة واستقرار الاسرة والاحداث فضلا عن ارتباطها ارتباطا وثيقا بمركز المراة وقيمتها في المجتمع ، وارتباطها اكثر بتلك المشكلة التي قليلا ما تطرح وهي مشكلة الشباب والجنس .

وكل هذه الأمور لا تطرح في الجدل السني ـ الشيعي ، وكل ما يطرح هو هل المتعة حلال او حرام ، وهو امر خليق بان يصل بالقضية الى طريق مسدود ، فتنتهي دائما باصرار السنة على انها حرام ، واصرار الشيعة على انها حلال .

وحتى عند مناقشة القضية من الناحية الفقهية هناك جوانب عديدة يغفلها الفريقان ، وعلى وجه الاجمال

رئيس قسم اللغات الشرقية ـ كلية الآداب جامعة القاهرة .

يستند الشيعة على ان زواج المتعة منصوص عليه في القرآن الكريم في الآية الكريمة «فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة» (النساء/٢٤) ويحتج اهل السنة بان المقصود بالآية هو نفقة المتعة للمطلقة وينقل الشيعة حديثا ورد في صحيح البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه في بعض حروبه «قد اذن لكم ان تستمتعوا فاستمتعوا ايما رجل وامراة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال فان احبا ان يتزايدا تزايدا او ان



يتركا تركا» وورد فى صحيح مسلم «انما تمتعنا على عهد رسول الله وابى بكر وعمر ثم نهانا عنها عمر» ويحتج الشيعة جميعا بان الذى نهى عنها هو سيدنا عمر رضى الله عنه ومن ثم فنهيه لاقيمة له لأن ما احله نبى لا يحرمه غير نبى ، ويغفل اهل السنة عند ردهم روايتين فى غاية الاهمية : الاولى وردت فى فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ان نكاح المتعة قد نسخ وحرم فى حياة رسول الله بعد الاذن به ، والثانية وردت فى المغنى لابن قدامة رواية عن الامام الشافعى رضى الله عنه «لا اعلم شيئا احله الله ثم حرمه ثم احله ثم حرمه الا المتعة» وتبقى عدة نقاط فقهية فى حاجة الى تفسير من الشيعة : اذا كان الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه وهو الذى اعاد تشريعها فما هو نص الفتوى التى احلها بها ، ولماذا لم ترد كلمة واحدة فى نهج البلاغة عنها ؟ ولماذا يتزوج الامام الحسن رضى الله عنه كثيرا دون ان يروى انه تمتع مرة واحدة ؟ ومن هم اعلام الشيعة الذين لم يعملوا بفتوى عمر رضى الله عنه على عهده وعهد عثمان رضى الله عنهما ؟ ولا تروى كتب الشيعة عن معارضة فعلية للفتوى الا معارضة من عبد الملك بن عبد العزيز ثم يقفزون اكثر من قرن من الزمان ليحتجوا بعبارة للخليفة المامون الله يعلم بمدى صحتها ، ومعنى ذلك ان زواج المتعة عند الشيعة الاثنى عشرية لم يقنن ولم توضع له احكام ـ ولا اقول ضوابط لأنه لا ضوابط تذكر هناك ـ الا على عهد واضع الفقه الشيعى الاثنى عشرى الكبير الامام جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه والمتوفى سنة ١٤٨ للهجرة والذى ينسب اليه المذهب الاثنى عشرى فيطلق عليه ايضا اسم المذهب الجعفرى . وهو رضى الله عنه ما يروى عنه انه قال : «لولا ما نهى



عنها عمر ما زنا الا شقي» وليت الفقيه العظيم رأى ايران قبيل الثورة الاسلامية وقد استشرى فيها البغاء استشراء يكفي ان يطالع في شانه بحث حجة الاسلام محمد علي التسخيري الجيد «الثورة الاسلامية ضد الفساد الاخلاقي» (طهران ١٩٨٥) ليدرك ان وجود نكاح المتعة لم يقف ضد موجة الفساد والبغاء التي اجتاحت المجتمع اجتياحا وبائيا .

● الفقه وزواج المتعة

وهناك صورة عن نكاح المتعة عند اهل السنة سواء المثقف منهم والعامي هي على سبيل الاجمال ان نكاح المتعة ما هو الا مجرد صيغة تتلى فتجعل الانثى المقصودة ايا كانت حلالا بلالا لك ولأي وقت تشاء ، وربما شاعت هذه الصورة الساخرة عند بعض الشرائح الشبابية ذات الطابع الخاص التي تعاني صعوبة الزواج مما ادى الى شيوع انواع غريبة من معاشرة التراضي يسمونها زواجا وما هي من الزواج من شيء . وعلى كل حال فالصورة الفقهية عن زواج المتعة تختلف عن هذه الصورة كثيرا ، كما انها تختلف ايضا عما يرد في شطر من الردود الفقهية الشفهية التي قد تتلقاها من بعض فقهاء الشيعة المعاصرين ان لم يقلبوا الأمر هزلا وسخرية كما رد على احدهم قائلا : اليست افضل على كل حال من نكاح اليد ؟ فكما ان الصورة عند اهل السنة متسيبة الى ابعد الحدود ولا ضوابط فيها ، فهي عند اصحاب الردود الشفهية منضبطة الى ابعد الحدود لا يفرقها عن الزواج الدائم الا النص على المهر او الأجر والنص على المدة في العقد . وهذا ما لا تقره كتبهم الفقهية المعتمدة «الكافي» و «من لا يحضره الفقيه» و«تهذيب التوضيح» وما يقوله كبار فقهائهم المعاصرين بداية من آل كاشف الغطاء الى عبد الحسين شرف الدين الموسوي وكبار باحثيهم بداية من محمد حسين طباطبائي الى محمد جواد مغنية .

● المتعة حرام !

والصورة الموجودة في كتب فقه الشيعة تجعل هذا الزواج اقرب الى الكراهة مع وجود التحليل : فهي اي المتعة حرام على من جهلها اي من ليس مؤمنا بها عارفا باركانها وهي حرام مع الكواشف اي معروفات البيوت والدواعي اي «البغايا» اللائي يدعين الرجال اليهن والصبايا اللائي قد يخدعن ويغرر بهن والابكار . والسبب بالنسبة للفئتين الاوليين معلوم والفئة الثالثة منطقي . اما السبب الذي سيق بشان تحريم الابكار فهو ينسف التحليل من اساسه وهو «ان ذلك يعيب اهلها» فاي حلال هذا الذي يعيب ؟ ويقول المدافعون شفهيا : ان للمتعة عدة وتقول كتب الفقه : عدتها حيضتان

وقيل حيضة واكثر ما قالوا خمسة واربعين يوما ويقول المدافعون شفهيا : زوجة المتعة ترث وينسب الولد لابيه وتقول كتب الفقه انها لا ترث الا اذا اشترطا ، ولا تطلق بل يفسخ العقد بانتهاء المدة ولا خير هناك عن شهود او اعلان بل سرية وسرية مطلقة معترف بها فى كتب الفقه ، ويقول المدافعون شفويا : انه كلما قصرت المدة كان ذلك ادعى الى الكراهة وقد سبق ان ذكرنا الحديث النبوى الشريف الذى يروونه ثم وينص على ان اقل وقت لها ثلاثة ايام ، ثم تقول كتب الفقه : يتم نكاح المتعة من اجل عرد وعردين اى مرة او مرتين اى اتصال او اتصالين ولا يقال ساعة او ساعتين لان العرد قد يستمر اكثر من ذلك ، ويقول المدافعون شفهيا : ان عدد زوجات المتعة محدود ، وتقول كتب الفقه بل بلا حصر ولا عد ، ناهيك عن ان المتمتع بالنثى قد ينفسخ عقدهما ثم يعقد الى ما شاء من مرات ، وتسوق كتب الفقه سببا غريبا جدا ينسف المتعة من اساسها ايضا ويجعلها اقرب الى ملك اليمين او التسرى ، فللرجل فيها بتعبير ابى جعفر محمد الباقر الامام الخامس : له فيها كم شاء وكيف شاء ليس هذه مثل الحرة هذه مستاجرة وبمنزلة الاماء ولقد عبر فقيه شيعى كبير هو الفضيل ابن يسار عن هذا صراحة بقوله : هن كبعض امائك .. ترى هل اذا قام فقيه مسلم الآن وقال لنا على زعم ان الذى حرمها هو عمر رضى الله عنه وليس محمدا عليه الصلاة والسلام : حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة ، والرق لم يحرم فى الاسلام فهيا استرقوا ان استطعتم ، هل يطيعه مؤمن ؟ وهل الحلال حلال لانه حلال او لأنه نافع ؟! وتدل روايات كثيرة يضيق المجال عن ذكرها ان كبار الشيعة كانوا يفاتحون الائمة بانه يداخلهم من المتعة اشياء .

وفى هذا المجال بالذات مجال ان الذوق يمجها والحر يستنكف عنها ، هناك روايات عديدة وردت فى امهات كتب الشيعة ، فقد روى ان عبد الله بن عمير الليثى جاء الى ابى جعفر رضى الله عنه وقال : ما تقول فى متعة النساء ؟ قال : احلها الله فى كتابه وعلى لسان نبيه فهى حلال الى يوم القيامة فقال : يا ابا جعفر مثلك يقول هذا وان حرمها عمر ونهى عنها ؟ قال : وان كان فعل ، قال : انى اعيذك بالله من ذلك ان تحل شيئا حرمه عمر ، قال : فانا على قول رسول الله وانت على قول صاحبك ، فاقبل عبد الله بن عمير وقال : يسرك ان بناتك واخواتك وبنات عمك يفعلن ؟ فاعرض عنه ابو جعفر عندما قال ذلك ، وقول احد كبار الشيعة وهو على السائى لابى الحسن رضى الله عنه : إنه نذر لله عدم زواج المتعة لكنه يفتقر الى ما يتزوج به فى العلانية ، ثم تلك الرواية المشهورة المذكورة فى كتب الشيعة ايضا ان ابا حنيفة سال ابا جعفر محمد ابن النعمان صاحب الطاق قائلا : ابا جعفر ما تقول فى المتعة اتزعم انها حلال ؟ قال : نعم ، قال : فما يمنعك ان تامر نساءك ان يتمتعن ويكتسبن عليك ؟ قال : ليس كل الصناعات يرغب



فيها وان كانت حلالا وللناس اقدار ومراتب .

ونظـرة الى الكلمتين الأخيرتين فحسب ، مما يدل على انها طبقية ، وقد ظلت هكذا كما سنرى . ويضيق المجال على ايراد روايات اكثر في هذا المجال .

● صورة زوجة المتعة

واذا انتقلنا الى ايران المعاصرة ، يمثل نكاح المتعة او الصيغة كما يطلق عليه في اللغة الفارسية فصلا شديد المأساوية من فصول تاريخ المجتمع الايراني من مطلع القرن ، ويكفي ان يطالع القارىء صورة المجتمع الايراني عند رواد الرواية الفارسية المعاصرة بداية من صادق هدايت ومحمد علي جمالزاده وصادق جوبك وعلى محمد افغاني ومحمود دولت ابادى وساعدى وصادقي وغيرهم ، ليميز صورة زوجة المتعة او الصيغة ليدرك الى اى مدى يمكن ان يصل الهوان بالانسان وليدرك في حركة المجتمع كيف ان هذا النوع من الارتباط بين الرجل والمراة لا يزيد كثيرا عن دور خادمة الفراش المنتشر في بعض المجتمعات وليدرك كيف انه مرفوض في المجتمع رفضا تاما ، ويكفي ان نقول ان المشكلة تكاد تكون فقهية وتاريخية فحسب ، فهذا النوع يختفى مـع التطور ومـع التقـدم الاقتصادى .. ولست ادري من اين جاء احد شيوخنا بتلك المعلومة التي ذكرها في محاضرة عامة القاها ابان قمة المد العدائي لايران الاسلامية عند احتدام الحرب الايرانيـة العراقيـة ، كانت محاضرته عن ذكرياته في ايران وقت الطلب ، فقال غفر الله له ان هناك مكاتب في مدن ايران الكبرى لزواج المتعة مثل مكاتب «المخدمين» في مصر قديما ، ولقد زرعت ايران طولا وعرضا اكثر من مرة ولم اشاهد اثرا لهذه المكاتب المزعومة ، ولست اظن انها وجدت في يوم من الايام فالأمر برمته ان تم في نطاقه الضيق يتم كسر يحرص المرء على اخفائه عمن يهمه امرهم ،

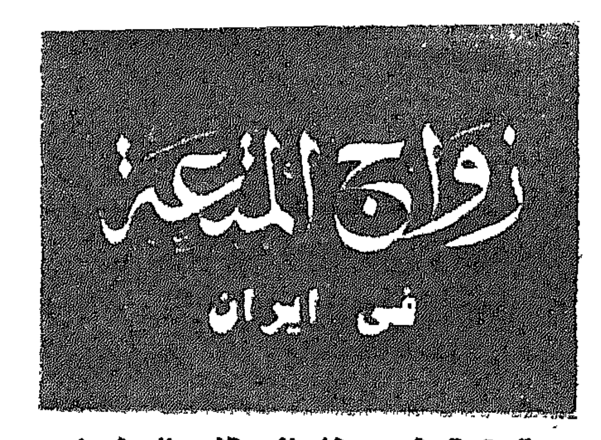
كان هناك احد الطلاب الايرانيين يحضر لدرجة الدكتوراة فى مصر ، وكان يتردد عليّ كمشرف على رسالته ، وعاد من ايران ذات عطلة بزوجته ، وجاء بها الى منزلي ، وتعرفت على اهلى واتصل ما بينها وبين زوجى بحبل من المودة كانت صغيرة بريئة على الدرجات الأولى من سلم الحياة الزوجية قليلة الخبرة في فنون البيت فكفلتها زوجى كما اكفل زوجها علميا ، ومرت الايام وسافرت الى ايران بعد الثورة بسنوات فاذا بكل معارفى من الايرانيين الذين كانوا فى مصر يحيطونني بصنوف من المودة والحب ويدعونني الى منازلهم اللهم الا صاحبنا الذى كان الصق بى منهم جميعا فى القاهرة ، كان يرافقني في كل زيارة لكنه لم يدعني قط الى منزله وقلت فى نفسي : لعلها ظروف خاصة ، حتى اقترب منى احد الصحاب

ذات يوم قائلا : اتدرى لماذا لا يدعوك فلان الى منزله ؟ قلت : لعلها ظروف ، فقال وابتسامة خبيثة تعلو شفتيه : انه يخشى ان تقابل زوجته وتغلط امامها ، قلت : لكنى اعرفها ، قال وقد اتسعت ابتسامته : لا ليست هى ، تزوج الآن من «بنت ناس» اما الأخرى فكانت «صيغة» قلت : والا تعلم زوجته الحالية ؟ قال : لو علمت ما مكثت معه يوما واحدا ولو كان اهلها يعلمون ما زوجوها إياه قلت : لكنه حلال ؟ قال : اجل لكنه مكروه ، قد يستطيع الشاب الزواج مهما كان فيه من عيوب الا ان يكون قد «تمتع» كثيرا فهذا يعنى انه ذواقه لا تكفيه انثى واحدة ، وانه معتاد على احتقار النساء ». وادركت يومها لماذا كنت كلما سالت احد الاصدقاء الايرانيين عن زواج المتعة احمر وجهه وسكت ، أو قلب الأمر الى مزاح وهزل .

والغريب فى الأمر هنا ان المجتمعات الآخرى للشيعة لا تعرف هذا النوع من الأرتباط لا الزيدية فى اليمن ولا بقايا الاسماعيلية من بهرة واغاخانية فى الهند ولا النصيرية او كما تسمي الآن العلوية فى سوريا ، ولا حتى مجتمعات الشيعة الاثنى عشرية خارج ايران «فى لبنان او المنطقة الشرقية من العربية السعودية» بحيث يرجح بعض الباحثين ان زواج المتعة فى إيران يعد بديلا لنوع من الزواج كان موجودا فى ايران الجاهلية ، اذ كان للمرء ان يرتبط بنوعين من الزوجات : النوع الاول الزوجة الرئيسية او الشرعية او الملكة : (زن باد شائيها) والنوع الثانى : الزوجة التابعة او الخادمة او المتعة (زن جاكريها) ، وبالرغم من اننى لست من المدرسة التى ترد كل تشيع ايران الى تراثها قبل الاسلام وأراه تجنيا كبيرا لا صلة له بالموضوعية أو بالعلم ويدل على سطحية فى الفهم ، فإن المقارنة بين وضع الزوجة التابعة قبل الاسلام وزوجة المتعة بعد الاسلام تترك المرء فى حيرة شديدة فكلتاهما لا تكون الا من احط الطبقات ومن المعرضات للزنا بحكم حاجتهن او وضعهن او احتياجهن لرجل فى الرزق من خادمات البيوت والنسوة الشابات من الفلاحات عند السيد الاقطاعى ، او العاملات الفقيرات عند صاحب العمل ، وقد تعيش زوجة المتعة مع الزوجة الدائمة تحت سقف واحد لكن يظل اتصال زوجها بها سرا يحتاج الى «تقية» .

● رفض للمتعة

ومما له دلالة فى هذا المجال انه فى بداية الثورة الاسلامية ، عندما كان شاب وفتاة يضبطان فى وضع مخل ، كان يعرض عليهما ان يصلحا من وضعهما بزواج متعة بدلا من التعرض للتعزير للفعل الفاضح ، كانت الاغلبية الساحقة من الفتيات يفضلن التعرض للتعزير والعقوبة التى كانت تصل الى الجلد بحسب درجة «الوضع» على هذا الحل المهين وهو ان يصبحن «صيغة» مما كان يضع الشاب الذى يؤمن بدوره بان زواج المتعة هذا ما هو الا «قلنسوة» شرعية بالتعبير الايرانى توضع على شىء مكروه ومقزز لكى يجعله مقبولا كان يضعه فى موقف حرج ، فيطالب بان يتزوج صاحبته زواجا دائما ، ولم اسمع ان احدا رضى



بالمتعة فى هذا الموقف المخجل .

ومما يدل على ان هذا النوع من الزواج يتعرض الآن فى ايران نفسها للانقراض وانه يكاد يكون مجهولا عند الشباب المعاصر تلك الحملة التى تجرى منذ حوالى اربعة شهور لتعريف الشباب بزواج المتعة او ما يسمونه بالزواج المنقطع او المؤقت ، وذلك كحل لأزمة الزواج والمسكن فى ايران والزيادة المحتمة لعدد الاناث الراغبات فى الزواج عن عدد الشباب بعد النزيف البشرى الذى احدثته الحرب الايرانية العراقية ، والأزمات الاقتصادية التى تعانيها دولة خرجت من حرب ضروس وفى حالة تطور ، وما ورد فى جريدة كيهان (عدد ٢٩ جمادى الاول سنة ١٤١١ هـ) يدل على ان هناك جهلا شبه تام بهذا النوع من الزواج بين شباب ايران «خارج الحوزة الدينية» اليوم ولن بعضهم يعتبره نوعا من تراث الماضى ، وبعضهم لا يصدق انه حلال ، وبرغم تقنين زواج المتعة فى القانون المدنى الايرانى ومن اهم ما ورد فيه (المادة ١١١٣) التى تنص على ان زوجة المتعة لا حق لها فى النفقة ليس بعد الفسخ فهذا مقرر شرعا بل اثناء المعاشرة وهو امر يجعل الزواج مجرد علاقة فراش واشباع للرغبة الجنسية ، ومازال تسجيل زواج المتعة اليوم يواجه مشكلة ، فكيف يسعى من يفعل شيئا فى السر الى تسجيله وهناك حالات فردية امام المحاكم الشرعية لاثبات نسب «ولد» جاء من زواج متعة ، وهناك ايضا اعتراض متوقع من الاطباء ، ذلك ان محاولة احياء هذا الأمر ونشره سوف يؤدى من جديد الى شيوع الأمراض السرية فى ايران .

ويتبنى هذه الحملة لاحياء زواج المتعة اية الله يزدى الرئيس الاعلى للهيئة القضائية ، والشريحة التى راسلت الصحف حول هذا الموضوع من الشباب ترى ان المشاكل اعمق من ان تحل بزواج المتعة ، انها ـ حسب تعبيرهم ـ مشاكل ثمانى سنوات من الحرب والبطالة والغلاء وصمت بعض المسئولين عن جهل ، وكان رد بعض الشباب انه حل لا بأس به «مادام الدين قد امر به» وتدل اجاباتهم على انهم كانوا لا يعرفون انه حلال شرعا ، بينما انكر الفتيات الأمر انكارا تاما واستنكرنه دون هوادة وقالت فتاة انه من المحال ان تقبل زواج متعة حتى ولو عاشت طوال عمرها دون زواج ، انها ان فعلت فسوف تظل ـ كما تقول زوجة متهمة تنتقل من هذا الى ذاك الى ان تموت او تذبل زهرة شبابها ولا يبقى فيها ما يغرى الرجال ، وليست هناك ذات كرامة وحرة تقبل على نفسها هذا الوضع المهين ثم اذا كان زواج البكر زواج متعة لا يتم الا بموافقة ابيها ، فاى اب هذا الذى يقبل على ابنته هذا الهوان ؟ (جريدة رسالت عدد ٣٠ جمادى الاولى سنة ١٤١١ هـ) .

ليت آية الله يزدى والمسئولين فى ايران الثورة الاسلامية يتركون زواج المتعة يمضى الى حال سبيله مع ما مضى من «حلال» مع تيار التاريخ .

شكسبير يظهر فى القاهرة

بقلم : مهدى الحسينى

هذا مقال عن ٤ عروض شكسبيرية ، شهدها جمهور المسرح فى القاهرة ، إثنان منهما انجليزيان للفرقة الملكية ، بدار الأوبرا المصرية ، الأول « الملك لير » يومى ١٣ ، ١٦ ديسمبر الماضى للمخرجة « ديبورا وارنر » والثانى « ريتشارد الثالث » يومى ١٤ ، ١٥ ديسمبر ١٩٩٠ للمخرج « ريتشارد إير » ، والعرضان الآخران مصريان : فالثالث « ماكبث » لفرقة المسرح القومى للمخرج « شاكر عبداللطيف » والرابع « الملك لير » لفرقة مسرح الطليعة للمخرج « محمد عبدالهادى » ، وقد قُدما خلال شهرى مارس وإبريل ١٩٩١ ، وإن دل هذا على شىء ، فإنه يدل على ان عاصمة مصر ، كانت ومازالت من كبرى عواصم الثقافة فى العالم ، فقد اختارتها الفرقة الملكية ضمن جولتها فى خمس عشرة من عواصم العالم ، ولعل جدلا ـ لم يقصد فى حد ذاته ـ هو الذى دفع بهيئة المسرح إلى وضع مسرحيتين شكسبيريتين فى برنامجها لهذا العلم .



ماكبث

شكسبير

● إهتمام مصر بشكسبير

غير أن العارف بتاريخنا الثقافي المعاصر، يعلم أن اهتمامنا بالمسرح العالمي عامة والشكسبيري خاصة مرتبط بارهاصات النهضة القومية، حيث يقول الباحث المسرحي الأستاذ سمير عوض [ولم يلتفت المترجمون إلى شكسبير إلا في أواخر العقد التاسع من القرن الماضي بداية بـ « شهداء الغرام » (روميو وجوليت) التي ترجمها الشاعر نجيب الحداد نحو ١٨٨٩، ثم توالت مسرحيات شكسبير المترجمة منذ هذا التاريخ] كما يذكر المؤرخ المسرحي د. رمسيس عوض في كتابه « شكسبير في مصر » كيف أن العروض الشكسبيرية بدأت بفرقة اسكندر فرح وبطولة سلامة حجازي ١٩٠٠، ثم لحقها جوق قرداحي الذي قدم عطيل في أسيوط ١٩٠٦، ومن حينها لم تتوقف فرق المسرح في مصر عن تقديم مختلف أعمال شكسبير، وهذا يؤيد ما ذكره « د. مصطفى بدوي » في بحث القاه في جامعة أكسفورد (يونيه ١٩٦٤) من أن المصريين عرفوا شكسبير لأول مرة عن طريق المسرح وليس عن طريق الكلمة المكتوبة، وهذه ملاحظة هامة سوف تلقى بظلالها على ما سوف أتعرض له حين الحديث عن العرضين المصريين.

● ريتشارد .. النازي

يبني المخرج « ريتشارد إير » تصوره للمسرحية على المزاوجة الخشنة بين زمنين : زمن ريتشارد الثالث في القرن السادس عشر .. وزمن أدولف هتلر في الثلاثينات من قرننا، فاتخذ من الألوان الرمادية والأزياء العابسة التي تميز بها النازيون علامة على الثلاثينيات، ومن الفخامة الاليزابيثية والألوان الحمراء والزاهية علامة على القرن السادس عشر، ثم أخذ ينتقل بين العصرين انتقالات حادة تقوم على التناقض الصارخ إلى حد المصادمة، كي يحقق أثرا فكريا مقصودا، هو أن ينتبه المشاهد إلى حقيقة عصور الطغيان، فلم ينحرف المخرج وراء ميلودرامية هجائية تلخيصية، تبتسر معالم الصراع والشخصيات، بل سعى إلى تحليل يقظ لدولة تقوم على الإرهاب، فإذا نحن نراها في مراحل التكوين والنمو، شائهة دموية معوجة، ثم نتتبعها نحو الخاتمة المحتومة المدانة، كما يسعى ايضا إلى تقنين حجج الطغاة وكشف أساليبهم البراجماتية غير الانسانية وأغراضهم الميكافيلية غير الأخلاقية، وتكوينهم الأناني العدواني المريض، ولعله رأى أن هذا التفسير المعاصر للنص أجدى لتقريب مفاهيمه الى الجمهور، بدلا من الحفاظ على المسرحية في إطار مذهب فخم حائل، وهكذا لعب مصممو الديكور والملابس والاضاءة، دورا حاسما في « التعبير » عن فلسفة المخرج.

ولقد بلغ تأثر المخرج بجماليات التغريب البريشتي حدا، انه صاغ

مشهدين فى لحظة مسرحية واحدة ، كانا متوازيين متزامنين متناقضين ، تربطهما ، علاقة جدلية عميقة غير ظاهرة ، وفى ذات الوقت لا علاقة مباشرة بينهما ، كل تلك القسوة الباردة كى يطرح ، أو يشرح ، خطر الدكتاتور العسكرى الدموى .. حتى على أقرب الأقربين له . فما بالنا والأمة بأسرها ؟ أو كما يقول ريتشارد الثالث : [**إنى ألبسُ نذالتى العارية ، أسمالا عتيقة أسرقها من الكتب المقدسة ، فأبدو قديسا وأنا فى صلب قيامى بدور شيطان**] . باختصار : إن هذا العرض درس ثمين فى مكتسبات النزعة التغريبية البريشتية ، وفى آثار المدرسة التعبيرية الألمانية ، على فن المسرح ، يعجز معهدنا العالى للفنون المسرحية فى تدريسه لطلابه المساكين .

أما الممثل « **إيان ماكيللين** » الذى قام بدور « **ريتشارد ـ هتلر** » فقد طغى أيضا على جميع الممثلين الآخرين ، بما فيهم الممثل الفذ « **برايان كوكس** » الذى قام بدور السياسى المتآمر الانتهازى دوق باكنجهام ، وقام بدور « **لير** » فى مسرحيته ، كذلك مجموعة الممثلات : « **سوزان انجل أو كلير هيجنز وايف مايتسون أو هيلين كفيل وچويس ريدمان** » اللواتى يحملن جميعا تاريخا حافلا من الأعمال الفنية الهامة . لقد أدى ماكيللين دوره بوعى تام وحيوية ديناميكية فائقة متنقلا بمقدرة بين ريتشارد وبين هتلر عبر إيقاع غنى وسخرية مُرّة وقسوة باردة ولا مبالاة وتصميم فى الاتجاه نحو الهدف ، فأنت تتعرف عليه وتتبينه وتحلله وتعيه وتمقته .. ثم تتخلص من سيطرته عليك ، كان ذلك هدف المخرج الذى أبدعه الممثل العبقرى ، لذا فقد استحق لقب « سير » الذى منحته الملكة إياه بعد عودته من القاهرة .

● لير انجليزى ولير مصرى

لقد سبق أن قدمت المخرجة « **ديبورا وارنر** » هذه المسرحية بالقاهرة منذ أكثر من ٥ سنوات على مسرح الجمهورية القاهرى ، برؤية تجريبية واختصار واشترك فيها ١١ ممثلة وممثلا ، حيث قامت بدور المهرج نفس الممثلة التى قامت بدور كورديليا ، غير أنها عادت هذه المرة لتقدم لنا النص كاملا ، بعد تحقيقه فى أدق صيغة له ، فأخلت المنظر من الديكور تماما عدا ستارة سوداء فى الخلفية لتصبح بابا وخيمة ، وعلامة على المأساة ، وستارة ثانية بيضاء مزقها « **إدموند** » كاشفا عن نواياه ، وستارة ثالثة لتعبر عن الانتقال إلى « دوفر » وهكذا أخلت المكان تماما للممثلين فى حركة أكثر حرية ، فهم الوسيلة التعبيرية الأساسية للمخرجة ، مع تعاون تام مع « **برايان كوكس** » الذى قام بدور الملك بأداء يتسم بعذاب المتصوفين ، فكأنه يسعى إلى غاية مرسومة ، وكذا التصميم القدرى الذى مضت فى طريقه كل من « **سوزان انجل** » و« **كلير هيجنز** » فى أدائهما الماهر الكاسح المدمر لكل ما يقف فى طريقيهما .. حتى نفسيهما ، و« **ريتشارد بريمر** » الذى أدى دوره كمراقب أكثر منه طرفا فى الصراع ، وبنقاء مسيحى ساخر أكثر منه صاحب وجهة نظر ، وقدم « **ديفيد برادلى** » دور المهرج بأسلوب مضحك مُرّ يفيض ألماً من فرط اخلاصه للملك ، أما « **إيف ماتيسون** » التى أدت دور « **كورديليا** »

فقد كان صوتها تجسيدا كاملا لمقولة لير نفسه : « **كان صوتها ناعما رقيقا خفيضا** » حقا كان الغناء هو رنين الكلمات المهموسة من شفتيها .. يظل عالقا بالأذن زمنا عذبا ، يبقى الممثل النيجيرى الأصل « **حكيم كاى كاظم** » الذى أدى دوره بمهارة وحيوية مشبعة بروح ساخرة ، فنتوقف أمام اعتراف ضمنى من مخرجة بيضاء بالجمال الذكرى للجنس الافريقى ، مستندة إلى نص شكسبير ، إلا أننا لا نبرئها من تهمة العنصرية حين اسندت دور وغد إليه ، هذا وقد اعتمدت المخرجة على تنوع الملابس من حيث التصميم والطرز والألوان ، حتى لا يحصر المتفرج الأحداث فى زمن محدد ، فضلا عن إثراء الشكل وتجديد إيقاعه وتغيير مشاهده ومساعدة المشاهد على متابعة تقدم الحدث ، ودعمت هذا المنحى بقليل من الاكسسوارات والأبواق والمقاعد المنقولة ، وتجلى أسلوبها المتقشف هذا فى مشاهد العاصفة خاصة ، حيث أطلقت حرية الحركة للممثلين كى يمضوا فى مسار متعرج لجماعة تتوقى المطر والرياح فى موكب مزجت فيه الشحوب الكابى بالبرق الخاطف بالدوار بصوت الرعد بالعرى بالفزع بالارتعاد بالجنون معا ، وكأن المسرحية تلقى بصفوة أبطالها فريسة لتلك الغضبة الكونية ، الأمر الذى جعلنا نتساءل عن الفحوى الاجتماعى والانسانى لتلك المأساة ، نتساءل عن صرخة لير المحتجة فى وجه العاصفة :

[أيها المساكين العرايا أينما كنتم كيف تحتملون وقر عاصفة لا ترحم ، ببطون خلوية ، ورءوس عارية لا يظللها سقف أو ماوى ، وثياب ممزقة لا تغنيكم فى هذا البرد] ، لقد عادت المخرجة بمأساة لير إلى نظرة قدرية إغريقية تكتسى سمتا صوفيا تعرّى من الزمان ومن المكان . إلا أن الجانب الكونى أو البعد الميتافيزيقى المتعلق بالموت وغضب الطبيعة فى هذه المسرحية لم يوجد إلا ليضاهى اختلال الحياة الانسانية بسبب مطامع البشر وأنانيتهم وجبروتهم ، فليتسق البشر كإتساق الفلك .. أو ليضطربوا .. فللطبيعة الحق فى الغضب فإنه لمن المفارقة ان يخاطب لير والأبطال الخسوف والكسوف والعواصف ويتغاضون عما يواجهونه من قوى إنسانية متجبرة ظالمة ، وإذا ما غضبت الطبيعة فإنهم لا يتعلمون من غضبتها بل يكتفون بالصراخ ، بينما يغنى البهلول أغنية الأمل الانسانى : **[ثم يأتى يوم ـ يا سعد من يعش ليراه ـ يسير الجميع فيه على اقدامهم ، ولا تجد جنديا مكبلا بالديون ولا فارسا فقيرا ، ولا شائعة ولا نميمة ، ولا نشالين فى الزحام ، يوم يحصى المرابى ماله امام الجميع ، وتتوب بنات الهوى ، والقوادون يبنون الكنائس]** ،

هذا بعد إنسانى (اجتماعى) آخر من ابعاد المسرحية ، لكن من يعطى البهلول سلطة ليحقق أحلاما إنسانية ؟ ولا يدرك لير حكمة رجل الدولة الأريب « **لورد كنت** » إلا بعد فوات الأوان : **[وداعا .. مادمت لن تحتفظ من الملك إلا بالمظهر]** ففى سلسلة من لحظات التنوّر يكشف لير هوية السلطة بصفته ملكا سابقا : [اما



ريتشارد الثالث

رأيت كلب الفلاح ينبح شحاذا ؟ ورأيت الرجل يجرى من الكلب ؟ هاك خير صورة للسلطة .. أعط الكلب سلطة تجد من يطيعه ألفا من الناس . وأنت أيها الخفير .. لم تجلد العاهرة ؟ ظهرك أولى منها بالسياط لأنك تشتهى ما تجلدها بسببه . القاضى المرابى يكشف عن الشرور مهما صغرت .. أما الثياب الغالية وشارات العز فتخفى كل

ماتحتها . إذا صُفّحَتْ الذنوب بالذهب تكسرت دونها حراب العدالة ، أما إذا تحصنت بأسمال ممزقة صرعتها قصبة فى يد قزم] وحين يختلى بابنته كورديليا أسيرين يهمس لها [هيا بنا إلى السجن ، سنغنى وحدنا كعصفورين فى قفص ، نضحك من رجال البلاط الأغبياء ، يلمعون لفترة قصيرة ثم يختفون كالفراشات المذهبة ، ونسمع أخبار القصر من نزلاء السجن

التعساء ، نتحدث معهم عمن خسر ومن كسب ، ومن فى السلطة اليوم ومن خرج ، ونتداول أمور الدنيا وأسرارها كأننا عيون الآلهة الموكلون بالسرائر ، من سجننا العالى نرقب علْيَةَ القوم ، كل فرقة منهم يعلو نجمها ثم يأفل ..] ، وكذا فإن طرد ابنتيه له ، ليس مجرد عقوق أو جريمة أخلاقية مخالفة لتعاليم الرب ، وليست قدرا من الطرز الأوديبى ، إنما هو صراع « سلطة » ، فالابنتان يدفعهما الخوف من أبيهما أن يغير قراره ، أو أن يستعيد سلطته سيما وأنه يحتفظ فى خدمته بمائة فارس مدججين بالسلاح ، وكذا أيضا كان صراع بين دوق إلبانى ودوق كورنول ليس مجرد صراع بين الطيبة والشر وإنما هو صراع حول من يملك ومن يحكم ، وكذا إدجار وأدموند وأزوالد ، وملك فرنسا ، وكان كنت رجل الدولة هو الحكم ، ولم يتجرد من هذا الدنس سوى شخصيتين هما البهلول

وكورديليا لذلك فإن أى إخراج لـ « الملك لير » يتجاهل فكرة الدولة وصراع الأطماع البشرية حول الملكية والسلطان ويتجه الى التفسيرات الميتافيزيقية أو الصوفية الكونية ، أو الأخلاقية وحدها هو إخراج أحادى الجانب لا يفسره ولا يكمله ولا يعطيه جوهره ، سوى الارتكاز على تحليل شكسبير للطبيعة البشرية داخل حاجاتها المباشرة وغير المباشرة والتى نعيشها نحن جميعا على مدى أعمارنا ، وكل يوم ، وكل لحظة .

● لير المصرية

أما « محمد عبدالهادى » مخرج « لير » المصرية التجريبية بقاعة صلاح عبدالصبور بمسرح الطليعة ، فإنه بدأ بفرضية معقولة جدا من عندياته : [**لو ؟ كان الملك لير قد طلب من البهلول قبل أن يموت أن يقص حكايته ، كما طلب هاملت من هوراشيو .. ترى كيف كان يقصها البهلول علينا ، نحن جمهور النصف الثاني من القرن العشرين ؟**] ولأننا أمام رؤية بهلولية للمأساة الخالدة ، فقد عنونها المخرج بأنها : مَهْزَلَةٌ . مَسْخَرَةٌ . مَضْحَكَةٌ . ثم قام بتقسيم شخصياته إلى مُقَنَّعَةٌ (مزيفون ومخاتلون) وهم : جونريل – ريجان – كورنول – إلبانى – إدموند – أوزوالد – دوق – برجندى . وشخصيات بلا أقنعة (بشر طبيعيون) وهم : البهلول – ملك فرنسا – جلوستر – كنت – لير – إدجار . وهكذا اختصر عدد الممثلين – بفضل الأقنعة – إلى ٦ فقط يقومون بتقديم ١٤ شخصية ، فحقق بهذه الوسيلة أهم أغراضه وهو تدمير الايهام المسرحى بتدمير الشخصيات ، فكل شخصية مقنعة لعبها أكثر من ممثل ، كل ممثل جزء منها ، وكل ممثل لعب أكثر من شخصية .

ويكاد يكون المخرج قد التزم التزاما تاماً بالنص ، فلا اختصار وبالطبع لا زيادة ، ولا تقديم ولا تأخير ولا إعادة ترتيب ، لكنه – فى ظنى – لهذا السبب بالذات لم يحقق غرضه الفكرى ولا الفنى من مغامرته : كيف ؟ والسؤال هو : السخرية من من ؟ ومن ماذا يسخر العرض ؟ أو سخر المهرج ؟ أو سخر المخرج ؟ لقد وضع نصب عينيه هدفا ولم يصوب إليه ، وافترض طريقا ثم لم يسر فيه . بل أجابنى على سؤال لى : لماذا لم توغل فى السخرية ؟ قال : [خوفا وجبنا لا أكثر .. وخاصة وأننى أتعامل مع جمهور يضع شكسبير فى قدس الأقداس] وسألته لماذا كان العرض طويلا رغم الاعداد ؟ قال : [**لأننى لا أريد أن أفقد شكسبير**] . إذن لماذا غامر بالتجربة وهو لم يزل كجمهوره – يضع شكسبير فى قدس الأقداس ؟ فى ظنى أن الحلول كانت فى يده لو كان أكثر شجاعة وأكثر قدرة على المغامرة وتتمثل فى ثلاثة أمور :

أ – يوجد فى المسرحية ذاتها أكثر من مهرج فبالاضافة إلى الأصلى يمكن اعتبار لير نفسه مهرجا يتسم بالحماقة منذ خلع التاج والسلطة والمملكة وعرض عليه المهرج طرطوره ، ومنذ عبثت به ابنتاه فاعلنا مناقصة على امتيازاته وفرسانه ، ومنذ خاطب عناصر الطبيعة عوضا عن مواجهة خصومه ، ومنذ اختفى المهرج فى دوار جلوستر ، وهام لير على وجهه فى دوفر مكللا بالزهور البرية والأعشاب ، متحدا مع الطبيعة كاشفا فى سخرية

عميقة من لعبة السلطة والسلطان والبلاط . وكذا يمكن اعتبار إدجار أيضا مهرجا حين تقمص شخص « توم المسكين » متنكرا يلقى بالوصايا العشر والحكم فى ثنايا صرخات تتحدث عن العفاريت والشياطين التى تلبسته ، وكذا كنت فى لحظة من لحظات التجلى حين سلخ الضابط أوزوالد بسخرياته وهجائه ، هؤلاء الأربعة يشكلون فرصة سانحة لمسخرة مسرحية كبرى .

ب ـ هناك مكان ما فى النص الشكسبيرى كان من الممكن أن يكون ميدانا لهذه المهزلة ، موجود تحت عنوان : (حجرة فى دوار مجاور لقصر جلوستر) وفيها أنشأ لير محاكمة جنونية وهمية أدارها ضد خصومه الحقيقيين والمتوهمين ، وقد شكل هيئة المحكمة من « إدجار » المتخفى فى شخص « توم المسكين » ومن « البهلول » ومن « كنت » رجل البلاط المتخفى فى شخص تابع للملك ، وكان يمكن لعبدالهادى أن يدير مهزلته هنا ، أو فى مكان آخر ـ مادام الأمر افتراضاً فى افتراض ـ هو قصر لير ذاته بعد أن هجره حين تنازل عن مملكته وسلطته ، ومن هنا كان يمكن اختصار النص ليؤكد المهزلة ، فنرى فقط الجانب المثير للسخرية فى كل شخصية : الحمق فى لير ، والغباء فى جلوستر ، والشهوانية فى جونريل وريجان ، والعدوانية فى دوق كورنول ، وزعم الطيبة فى دوق إلبانى ، والدناءة فى أوزوالد ، وروح الهجاء عند كنت ، والخيانة فى ادموند ، والنذالة فى دوق برجندى .. كل ذلك مقارنا مع براءة كورديليا والمهرج . إن صيغة المحاكمة الهزلية ، هى انسب الصيغ لتحقيق فرضية عرض مسخرة لير ، وقصر لير المهجور هو انسب الأماكن .

حـ ـ كان الصوت غير واضح بسبب السقف الجمالونى غير اللائق بدار مسرحية ، إلا أن الأقنعة أيضا كانت كاتمة للصوت ، خاصة أن بعض الممثلين لم يتقنوا الصوت المستعار أى التقنع فى الأداء الصوتى ، باختصار اثرت الأقنعة على نقاء الصوت ووصول الألفاظ واضحة إلى آذاننا ، كان لابد من دراسة الخامة المصنوع منها الأقنعة وعمل الثقوب اللازمة ، وتدريب الممثل طويلا على انفاذ صوته عبر القناع ، كما شلت الأقنعة الجانب الايمن من كل ممثل لأنه كان يمسك قناعه بيمناه ، فاختل توازنه ، وحرم من التعبير بنصف من جسمه ، لقد تعطلت نصف طاقته التعبيرية .. بل وتشوهت ، ولماذا لم يتمثل مصمم القناع عنصرين : خبيئة الشخصيات من الناحية النفسية والأخلاقية والفكرية وعنصر الكاريكاتور لأن المسرحية تروى من منظور البهلول ؟ وقد أحدثت عملية تبادل الأقنعة بين الممثلين فى الشخصية الواحدة ارتباكا لدى المشاهدين ، الذين لا يحفظون نص شكسبير عن ظهر قلب ، وقد زاد ذلك الخلط أن جسم الممثل كان مكشوفا يمكن تمييزه لقرب المسافة .

● « ماكبث » .. الميلودرامى !!

تبدو لى مسرحية « ماكبث » مثل لوحة مرسومة ـ على المستوى النفسى ـ بكل درجات الأسود والرمادى الممكنة .. حتى الأبيض فيه تشوبه عتمة ، ودقة المخرج وحساسيته ، تتجلى فى تبينه لهذه الدرجات العديدة جدا ، وإبرازها على منصة العرض ، فليدى ماكبث وماكبث ـ جدليا ـ يشكلان شخصية واحدة فى شخصيتين ، لأن انهيار الليدى الداخلى

شكسبير

يكشف بقسوة عن الهزيمة النفسية الساحقة التى يعانيها زوجها (عندما أعرف مافعلت . اتمنى لو اننى لا أعرف نفسى) وقسوتها الظاهرة المتبدية فى أوج تحقق حلمها الطموح تكشف عن شقاق وقلق حين تتحدث بصيغة الجمع [حيثما تتحقق منا الأمنية ولا يتحقق الرضا ، نَكُنْ لا شيئا كسبنا ، وانفقنا كل شىء ، إنه لَأسْلَم لنا ان نكون ما نُحطِّمْ من ان نقوم بتحطيم الأخرين فى فرح ملىء بالريب] فهكذا يتسرب المزيد من الشر الى نفس كل منهما كلما تسرب المزيد من اليأس ، مزيج من اليأس والشر فى نفس الليدى أدى إلى الجنون والموت لأنها امرأة ناقضت طبيعتها [انزعى جنسى عنى .. تعالى إلى ثديى المرأة منى ، وابدلى حليبهما بعلقم] ومزيج من اليأس والشر فى نفس ماكبث أدى إلى القاتل المقتول لأنه مقاتل ناقض واجبه الوطنى والانسانى [لماذا اراني استسلم لذلك الايحاء ذى الصورة المرعبة ، ينتصب لها شعرى وتجعل قلبى المستكين يقرع اضلاعى ، شذوذا عن طبيعتى ؟] .. وهكذا كان موت الملكة مقدمة لاندحار الملك الذى نراه قبل مقتله (ما الحياة إلا ظل يمشى ، ممثل مسكين يتبختر ويستشيط ساعته على المسرح ، ثم لا يسمعه احد ، إنها حكاية يحكيها معتوه ، ملؤها الصخب والعنف ولا تعنى اى شىء) فاية عدمية ومرارة وهزيمة داخلية وعذاب ـ بعد صراع داخلى عنيف وصامت ـ يعانيها البطلان ؟ كل هذه المعانى والأحاسيس والصور ، لم يعكسها عرض المسرح القومى .

ويحق لى أن أحيل القارىء إلى مقال « د . نهاد صليحة » بمجلة المسرح بعدد مارس ١٩٩١ ، لأننى أتفق مع ماورد به بخصوص الرؤية فيما قدمه المخرج « شاكر عبداللطيف » [جرد النص من كل دلالاته الفلسفية والوجودية العميقة وحوله إلى مجرد قصة عن طاغية دموى يعتلى العرش ويسدر فى غيه حتى يهلك ، ولم ينتبه المخرج أيضا الى البعد النفسى لمأساة ماكبث فهى خيانة النفس والطبيعة ، والانقسام على الذات الذى يفضى الى سعى هذه الذات لتدمير نفسها ، فجرائم ماكبث ليست ضد الآخر فقط ، بل هى أولا وقبل كل شىء جرائم ضد ذاته ، وسعى انتحارى] ، وأيضا ما ورد بالنسبة للتمثيل . [إن ليدى ماكبث كما قدمتها فردوس عبدالحميد لا يمكن بحال من الأحوال ان يخالجها الندم وأن يعذبها الضمير .. ففى مشهد المخدع الذى يضطرم بالجنس ويلتهب بالدماء فيحول طعنة الخنجر التى ترجوها منه إلى معادل مجازى للفعل الجنسى ، ارتدت فردوس ثوبا اسود وقورا وحذاء يدق كعبه الأرض فى ثبات !!، وتحلى صوتها بتؤدة ورزانة مغيظة !!، ولم يفصح جسدها عن اية درجة من التوتر او الانفعال !!] ، ولم يكن اداء عبدالله غيث باذكى أو افضل ، فقد كشّر عن انيابه فى البداية ، وظل مكشرا عنها حتى النهاية ، وضاعت فى تضاعيف وجهه المربد العابس كل ملامح الشخصية] ، إلا أننى أنفى الاتهام الموجه له باقتناص لحظة تاريخية (حرب الخليج وصدام) والاتجار السياسى

الرخيص بها ، وأبرىء المخرج منها حيث أننى أعلم علم اليقين أن إخراج ماكبث بالنسبة لـ « شاكر عبداللطيف » مشروع قديم قدمه منذ كانت الفنانة سميحة أيوب مديرا للمسرح القومى وألح فيه على كل المديرين بعد ذلك ، وقد حدثنى عنه شخصيا أكثر من مرة ، لذا لم يكن ينبغى على المختلفين معه فى رؤيته أو فى أسلوبه أو فى اختيار الممثلين أن يستبدلوا الحوار الفنى - وهم قادرون عليه - بالاتهام السياسى أو الأخلاقى ، خاصة أن المخرج له عذر فى هذه المشابهة بين « ماكبث » وحكم العسكر البوليسى الذى ترزح تحت نيره أغلب شعوب بلدان العالم الثالث ، بل لعل شكسبير أيضا (راجع ريتشارد الثالث وماكبث) لا يوصى بالسلطة المدنية لرجل خاض فى الدم (الحرب) بحكم مهنته ، فربما لا يفرق بين معاملة الأعداء ومعاملة بنى وطنه .

غير أننا فى عرض ماكبث بالمسرح القومى لا نشهد هذا التحليل العميق للتحولات المضنية التى تحولها كل من ماكبث وليدى ماكبث ، فلم تتحول الملكة من سيدة شابة فى مطلع العمر لديها قدر من الطموح المشروع وقدر آخر من الطموح غير المشروع .. الى نزق الطمع فى كبر شأن بعلها الى لذة السلطة والمباهاة بها .. الى الانهيار المفاجىء (وهو فى الحقيقة ليس مفاجئا فقد مهد له تماسكها الظاهرى حين أنهار ماكبث أمام عينيها وأمام البلاط فى مشهد المأدبة) فالمرض العقلى فالموت ، وكذا تحول الملك من مقاتل فتى يعرف أصول القتال فى صف الوطن ، فتخاطبه هلوسات الطموح فى صورة الساحرات المتنبئات ، فيرقيه الملك ترقيتان مباغتتان دفعة واحدة ليزكى فيه شياطين الطمع ، التى تتلاقى مع أحلام زوجته الضاربة ، ثم يدفعه اختيار نجله خلفا له على الملك ، فينفصل ماكبث نفسيا فى ولائه للتاج .. وهكذا حتى يتحول الى قاتل ، فقط ، شهدنا فى عرض القومى قاتلين من البداية إلى النهاية .. أى أننا شهدنا ميلودراما .. ولم نشهد مأساة لا بالمعنى الكلاسيكى ، ولا المتحفى ، ولا الحديث ، وإنما ميلودراما محملة بالخطابة والمباشرة ، لا يهم فيها الديكور الذى كان إطارا فارغا بلا معنى ولا وظيفة ولا دلالة ولا طرز ولا جمال ، ولم يكن للملابس أى قيمة جمالية أو طرزية أو درامية ، اللهم إلا قيمة مضادة كملابس فردوس فى مشهد المخدع ، أما ملابس اللوردات فكانت أكثر زراية من ملابس الشحاذين . وقد يعيب البعض حداثة الموسيقى ، وفى ظنى أنها لا عيب فيها ولا ميزة لأنها تتفق مع المسرحية كميلودراما .

وفى هذا الزحام الذى أنشأه المخرج فى ١٥ يوما للبروفات فقط (!!!) لا ننسى تلك اللحظات الانسانية التى منحها لنا كل من « سعيد الصالح » فى مشهد البواب ، « وأشرف طلبة » و« خالد الذهبى » و« أحمد عبدالحليم » فى المشهد الثالث من الفصل الرابع (قبل نهاية الجزء الثانى من عرضنا) لقد منحونا فرصة للتأمل ، فلحظات الصمت الدرامية فى هذا النص لها اهمية الكلمات .

تحية للمسرح القومى لأنه أعاد فى برنامجه إهاب المسرح الجاد ، وتحية لجميع الأطراف لأنهم تسببوا فى معركة فكرية ، فما أحوج حياتنا الفنية إلى معارك فكرية حول الفن بعد أن أغرقته مياه الخليج الملوثة بالبترودراما .

الفاطميون مصريون

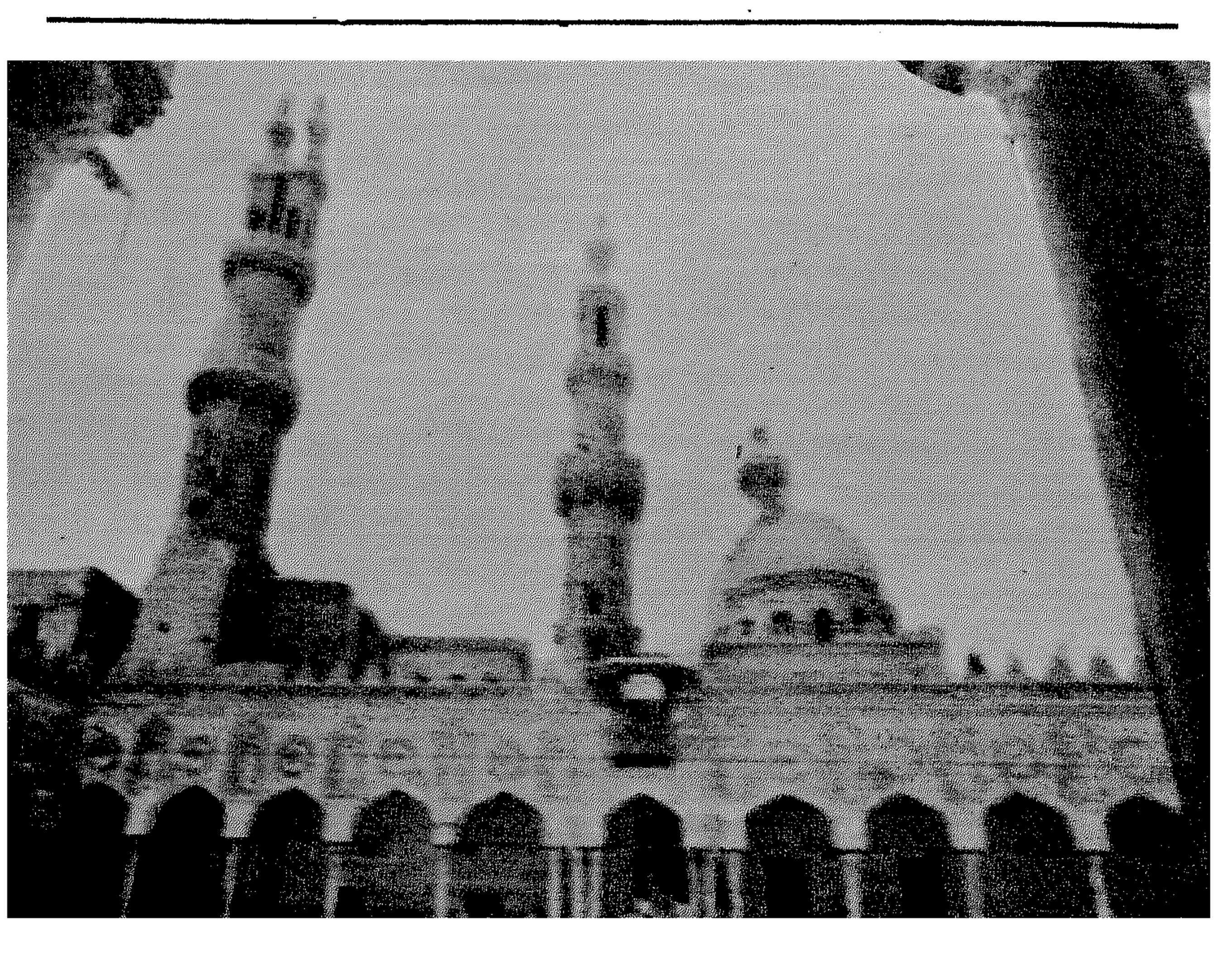
بقلم : د. عبدالمنعم ماجد

من الخطأ الفادح إعتبار خلافة الفاطميين غير مصرية ، وهى التى حكمت فى مصر زهاء قرنين من الزمان ، من ٣٥٨ الى ٥٦٧هـ/٩٦٩ ـ ١١٧٠ م فتظهر هويتهم المصرية ، فيما أنجزوه من منجزات فى الكم والمقدار من أجل مصر ، وفى الربط بين تاريخها القديم ، وبين تاريخها فى الاسلام . ومن اليقين أن الفاطميين هم الذين جعلوا اسم مصر يبرز من جديد ! فقد تبوأت فى عهدهم مكانة مرموقة فى الشرق الاسلامى ؟ فلأول مرة جعلوها قاعدة لخلافة عريضة ، حكموها كخلفاء مستقلين ، بحيث أصبحت مصر فى عهدهم مركزا لأمبراطورية كبرى : أعادت روح الحضارة المصرية الفرعونية وروحها من جديد .

والفاطميون منذ الحاكم بأمر الله ، ثالث خلفاء الفاطميين فى مصر الى نهاية دولتهم ، ولدوا جميعهم فى مصر ، وأصبح ماء النيل يجرى فى عروقهم مجرى الدم ، وترسبت فى نفوسهم تقاليد مصر وعاداتها وقد لاحظ المؤرخون المعاصرون لهم ذلك ، فاشتهرت خلافتهم فى كتبهم : بخلافة المصريين ، وسمى الخليفة منهم : بالخليفة المصرى ، وحتى بصاحب السودان ، على أساس أن السودان أمتداد دائم لمصر ، وأن المصريين اعتبروها دولتهم ، فسميت بدولة المصريين أيضا .

ولا مِراء ؟ فإن الفاطميين جاءوا من المغرب الى مصر بناء على دعوة المصريين أنفسهم ، فلم يكن المصريون سعداء فى ظل حكم ولاة العباسيين الاخشيديين . فيذكر المقريزى أن من أسباب مجىء الفاطميين مصر الضنك

● أستاذ التاريخ الاسلامى والخبير الوطنى لمركز الدراسات البردية بجامعة عين شمس



الاقتصادي الذي ساد مصر بعد موت كافور، وهو نوبي حكم باسم الاخشيديين، وكان يلقب بالاستاذ أي الأمير: مما جعل كثيرا من المصريين يكتبون للمعز لدين الله الخليفة الفاطمي بالمغرب، حيث قامت دولتهم منذ عام ٢٩٧/ ٩١٠ فقد وقعت فيها مجاعات وتعثر وجود الأقوات، وكان جند العباسيين وهم من الترك يتحاربون فيما بينهم ؟ فقتل خلق كثيرون من المصريين، وانتهبت الأسواق والبيوت، وأحرقت، وضاعت أموال الناس، كذلك كان للفاطميين أنصار من بين المصريين، يعتبرونهم المنقذين لهم من الحكم العباسي، وأن دولتهم دولة فتية، ويتطلعون إلى مستقبل جديد، يدعون له، ويبشرون به، ليبنو مصر الاسلامية، التي لاتقل عن مصر الفرعونية. فوجدوا الفرصة سانحة، فطلبوا إنقاذ العسكر، وقالوا له: إذا زال الحجر الأسود، ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها، ويقصدون بالحجر الأسود كافورا هذا.

فلما وصل جيش المعز لدين الله الفاطمي الى نواحي الاسكندرية، سارع المصريون بإرسال وفد منهم الى جوهر قائد جيشه، باتفاق جميع طبقاتهم، كالقائد والكاتب، والقاضي والتاجر، والمسلم، والقبطي، وذلك بتروجة بلدة

قرب الاسكندرية . فكتب لهم جوهر كتابا طويلا ، التزم فيه أن يحترم ملة أهل مصر - ويقصد المذهب السنى - إذ الاسلام سنة واحدة وشريعة متبعة ، وأن لا يتعرض لأملاكهم ، وأن يعتنى بأحوال بلادهم الاقتصادية بتجويد العملة ، وأن يجاهد الروم - وهم البيزنطيون - الذين غزوا فى الشام وبلاد الجزيرة ولم تقاومهم الخلافة العباسية ، وأن يؤمن الحج ، الذى أنقطع ، بسبب الفوضى التى كانت فى الحجاز نفسها .

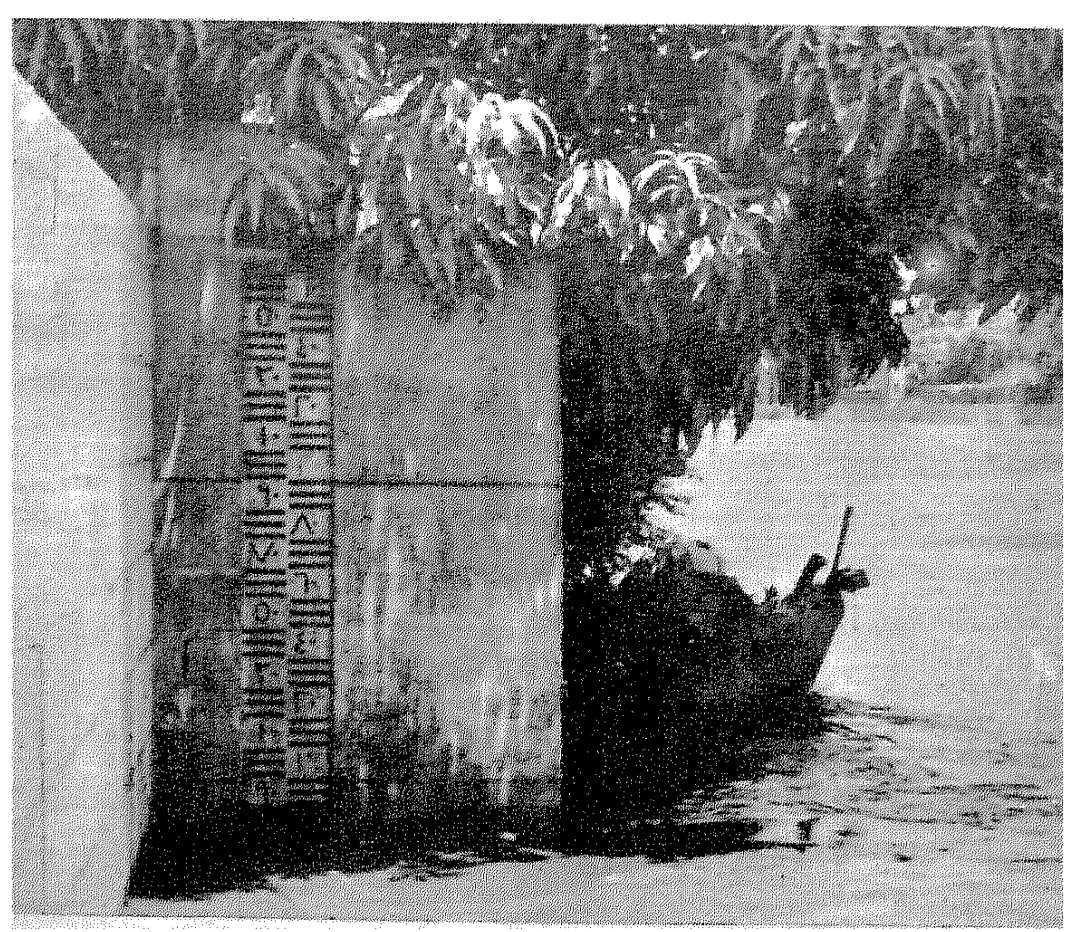
كذلك سهل المصريون لجيش جوهر التغلب على بقايا الاخشيديين والكافورية ، ومعظمهم من الترك كما ذكرنا ؟ فجعل جوهر المصريين يحرسون له شاطىء النيل من ناحية ؟ بحيث أضطر الاخشيديون والكافورية الى الهرب الى الشام . وحينما دخل جوهر الفسطاط عاصمة البلاد ، بطبوله وبنوده ، فى منتصف شعبان فى ٣٥٨هـ/ ٥ يوليو ٩٦٩ ، أستقبله المصريون بترحاب كبير ، فيذكر المؤرخون المعاصرون ، مظاهر دفء هذا الاستقبال ، فقد نشر كل من كان عنده بند - أى راية - من المصريين بندا ، عليه اسم المعز لدين الله . ولما طالب المصريون جوهرا بتجديد الأمان جدده لهم ، كما كتب لأهل الريف والصعيد أمانا ثالثا ، ونص على إجراء أهل الذمة وهم القبط ، على ماكانوا عليه . وبذلك ، أخذ جوهر مصر بلا ممانعة ، وبترحيب من أهلها ، كما لاحظ المؤرخون ، وانتهى الحكم العباسى فى مصر ، بعد أن أستمر حوالى ٢٣٥ سنة .

بات المصريون فى أمان ؟ فلما أصبحوا ، وحضروا للتهنئة فى المكان الذى نزل فيه جوهر وجنوده ، وهو ماسموه بالمناخ السعيد ، مما يبين أنهم قبلوا قدوم الفاطميين برضاء تام ، وجدوا أنه وضع أساس عاصمة جديدة ، بما فيها الجامع والقصر ، سماها جوهر فى أول الأمر المنصورية ، ربما تقربا الى سيده وخليفته المعز ، بإحياء ذكرى والده المنصور ، فظلت تعرف بذلك حتى قدم المعز من المغرب ، حاملا معه توابيت آبائه الذين ماتوا فيها ، ليقيم دائما فى مصر ، واعتبارها وطنا دائما له ولابنائه ، فسماها : القاهرة تفاؤلا بأنها ستقهر الأعداء ، وهى المدينة التى سماها الأوربيون بالاسم المعروف : Cairo أو Le Cairo ونسبت الى المعز نفسه ، فسميت أيضا : القاهرة المعزية ، أو حتى : مدينة المعز كما تظهر فى نقوش العملة فى وقته ، وتوجد تقريبا فى مكان عاصمة مصر القديمة منف عند رأس الدلتا ؟ وأصبحت من يومها عاصمة للآن ، حيث شبهت القاهرة بيد المروحة : Boutan de L'avemtail لوقوعها عند ملتقى فروع النيل وقنواته . وهذا يؤكد من جديد على أن قصد الفاطميين الربط بين مصر القديمة ، ومصر فى عهدهم .

● منافسة الخلافة العباسية

وللحقيقة ؟ فإن الفاطميين ، وهم أسرة علوية ، أعتبرت خلافتهم فى نظر المصريين خلافة شرعية ، منافسة للخلافة العباسية ، التى كانت تحكمهم قبل

مقياس النيل بالروضة



مجىء الفاطميين ؟ ذلك لأن المبدأ الدستورى القائم وقتذاك ؟ كان ينص على أن الخلافة الشرعية تكون فى أسرة النبى ، وعصبيتها فى قريش ، وهو ماينطبق على الفاطميين الذين هم من سلالة النبى ، عن طريق فاطمة وعلى . ولذلك لم يكن يطمع المصريون ، مثل غيرهم من شعوب الاسلام ، فى حكم أنفسهم بأنفسهم ، فهذه الافكار فى الوطنية لم يكن لها وجود فى وقت الفاطميين ، والفكرة المسيطرة على

المسلمين أن تعمهم شرعية الحكم .

حقا ، إن الخلافة الفاطمية قد تميزت بالمذهب الشيعى ، إلا أنه منذ قيامها بالمغرب ، ثم انتقالها نهائيا الى مصر ، لم يعد يسمى بالمذهب الاسماعيلى ، وأنما بالمذهب الفاطمى ، وأصبح فى إطار مختلف غير الاطار السابق ، فقد كان المذهب الفاطمى واقعيا ، تأقلم مع روح مصر ، وانعكس على كل مظاهر الدولة والحياة ، ومع ذلك ، فبقى المذهب السنى ، الذى كان مذهب غالبية المصريين مع المذهب الفاطمى فى دولتهم ظاهر الشعار بملاحظة المؤرخين ؟ بحيث أصبح وجود المذهبين الكبيرين معا فى أرض مصر تجربة رائدة ، ولاسيما أن المذاهب الاسلامية فى ذياك الوقت كانت تحرك كل شىء .

باب زويلة او بوابة المتولى

جزء من سور القاهرة القديمة



● إبراز الانتماء المصرى

ومما يؤكد على إرادة الفاطميين ابراز الانتماء المصرى وجعله ظاهرا وحقيقة ورغبة منهم فى استمالة المصريين فى الوقت ذاته ، فإنهم وإن جعلوا الدواوين - وهى المصالح الحكومية - فى القصر الفاطمى ، أى تحت إشرافهم المباشرة إلا أنهم أبقوها فى أيدى الموظفين المصريين . ولدينا أمثلة كثيرة تشير الى استخدام القبط فى مختلف الدواوين ، وفى أعلى المناصب الادارية ، وأنه زاد عددهم عن ذى قبل ، ومع أن منصب الوزير يعتبر المنصب التالى للخليفة الفاطمى ، فإن كان يتولاه المصريون ، من المسلمين أو القبط ، بحيث أن أغلب وزراء مصر كانوا من هؤلاء ، فى العهد الأول من حكم الفاطميين .

ومن الطريف أن نذكر أن دولة الفاطميين كانت تمنح الألقاب لسائر موظفيها بجميع طبقاتهم ، القبط والمسلمين على السواء . فكانت بعض الألقاب تميز كل منصب عن الآخر . والواقع ، أن الألقاب فى عهد الفاطميين

الفاطميون مصريون

أنتشرت بشكل لم يحدث من قبل ، وان بعضها كان يصل الى عشرة القاب ، أو أكثر .

كذلك ، كانت من نظم الجيش فى دول الاسلام الاعتماد على عناصر متعددة من أجناس مختلفة ؟ حتى يوجد التنافس فى الاخلاص للحكام ، إلا أن المعز لدين الله ، مؤسس الخلافة الفاطمية فى مصر ، شرط على ولاة الأعمال ، البحث عمن يظهر مهارة حربية قبل أوانها بين أولاد "الناس" ـ يقصد المصريين ـ و أدخلهم حجرا فى قصره ـ أى ثكنات ـ يعلّمون فيها الفنون الحربية ، فسموا بسبب سكناتهم فى هذه الحجر باسم : "صبيان الحجر" أو "غلمان الحجر" وعرف منهم : "الحجرية الكبار" و "الحجرية الصغار" واستمر نظامهم قائما الى آخر عهد الدولة : فكانت الحجرية من دون بقية طوائف الجيش الأخرى ، متمرسة بشئون الحرب وفنونها ، وتحت إشراف الخلفاء الفاطميين المباشر ، بحيث أصبحت عصب الجيش الفاطمى الدائم ، ثم أن عامة المصريين ، كانوا يعتبرون أيضا **منبعا لاينضب للجيش الفاطمى ، حينما تتأزم الأمور ويهدد الخطر البلاد ، فقد أوجد الفاطميون التعبئة العامة ، فى مصر بما سموه : "النفير فى الناس" . فيأتى المصريون من الاسكندرية الى أسوان** . بل إنه فى آخر أيام الفاطميين ، نسمع كثيرا عن العسكر المصرى ، والأمراء المصريين أى القوات ، ولم نعد نسمع عن طوائف أخرى فى جيشهم .

● نظام أقتصادى دقيق

ولاشك أن الفاطميين فى حكمهم لمصر ، كانوا يستهدفون تنمية مواردها المالية ، بحيث تدفق المال على دولتهم ، من روافد مختلفة ، نتيجة للتنظيم الدقيق والفهم الواعى لمسائل الاقتصاد فى ذلك الوقت ؟

حتى أنهم كانوا يحرصون على تقديم ميزانية دولتهم كتابة ، لاحصاء قدر الارتفاع والنفقات ، كما عملوا على تجويد العملة ، وجعلوها ذهبية وفضية ، خالية من البهرج والزيف ، وكانوا قد وعدوا بها المصريين ، بحيث عم الرخاء مصر ، دولة وشعبا .

فنلاحظ أن الفاطميين بنوا جميع عمائرهم فى مصر بالذات ، من دون الأقاليم الأخرى فى خلافتهم الواسعة التى أمتدت من المحيط الى الخليج ؟ حيث أشتهر العصر الفاطمى فى مصر بغنى آثاره المعمارية ، التى لاتزال تحت نظرنا للآن ؟ بطرازها العربى الفريد ، فالفاطميون فى مصر ، كانوا مثل الفراعنة من قبل بنائين ، حتى عرفت دولتهم فى وقتهم ، بسبب كثرة القصور التى بنوها فى القاهرة ، بالدولة العلوية القصرية ، ويكفى أن نذكر أن الخلافة الفاطمية ؟ كانت قد خصصت فى ميزانية الدولة المكتوبة ، حوالى مائة ألف دينار سنويا ، للانشاء والتعمير .

● عمارة لا تبلى

فمن اهم مبانيهم الباقية فى مصر ، الجوامع ، مثل جوامع الخلفاء : كالازهر الذى بنى فى أول نشأة القاهرة فى عهد المعز ، وتم فى عهد المعز بالله ، وجامع

الحاكم أو الحاكمى ، الذى كان يسمى الانور ، وجامع الآمر أو الأقمر ، الذى سمى هكذا نسبة للقمر أو القُمرة ، وهو خليط من اللونين الابيض والأخضر ، ومن جوامع وزرائهم : جامع العطارين بالاسكندرية ، الذى بناه بدر الجمالى ومشهده المسمى بالجيوشى ليدفن فيه فوق جبل المقطم ، ثم مشهد الحسين الذى بناه الوزير طلائع لكى يدفن فيه رأس الحسين ، التى دفنت فى الشام بعد مقتله على يد الأمويين ، فأحضرت الى مصر خوفا عليها من الصليبيين ، ثم جامعه المعروف باسم : جامع الصالح طلائع . هذا فضلا عن المشاهد لنساء علويات من بنات على : كمشهد السيدة رقية ، والسيدة زينب ، والسيدة نفيسة . ثم مبان غير الجوامع : كمقياس النيل بالروضة ، وأسوار القاهرة وأبوابها ؟ مثل : باب زويلة ، وباب النصر ، وباب الفتوح ، وهذه الأسوار تعتبر أعجوبة وقتها ، بسراديبها ، والممرات المقبية داخلها ، وبمشربياتها وفتحاتها ، التى كانت ترسل منها على المهاجمين سهام وشواظ من نار .

● التنقيب عن آثار مصر

ومن الطريف أن نذكر أن مصر فى عهد الفاطميين ولأول مرة أهتمت بكنوز مصر الدفائن ، من آثار مصر القديمة ، إذ كان أغلب حكام مصر الاسلامية قبلهم ؟ يسعون الى التنقيب عنها ، إلا أنه منذ عهد الفاطميين ، نظمت عملية التنقيب عن الآثار المصرية القديمة . ويبدو أن ذلك كان فى عهد الحاكم بأمر الله ؟ أول خليفة فاطمى يولد فى مصر ، بحيث كون الباحثون عن الدفائن القديمة نقابة حقيقية من نقابات الحرف . فكان الخليفة الفاطمى ، يأخذ الخمس منها ، يدفعه له شيخ الباحثين ، وهو برتبة أمير ، يكون تحت يده الحفارون ، أو ماكان يسمى : بالمطالبين . وفى سبيل ذلك - مثلما هو الحال فى وقتنا - فإن الخليفة الفاطمى كان يأتى برجال من المغاربة والمصريين وأهل الشام - أشبه ببعثات أجنبية للتنقيب عن الاثار - ينفقون المال الكثير ، ويتحملون المشاق فى تلال مصر ومحاجرها ، فأحيانا يجدون الدفائن والكنوز ، وأحيانا لايهتدون ، ومن كثرة ماجمعه منقبو الاثار فى عهد الخليفة المستنصر بالله فإنه لما نقلت ثروة أحد زعماء الحفارين الى خزائنه ، استمر النقل مدة شهرين . بل إن بعض المصريين العلماء كانوا يسعون الى فك رموز اللغة الهيروغليفية مثل المتصوف الكبير ذى النون المصرى (ت ٢٤٥/٨٤٩) ، وهو من أبناء أخميم .

● احتفاء خاص بالنيل

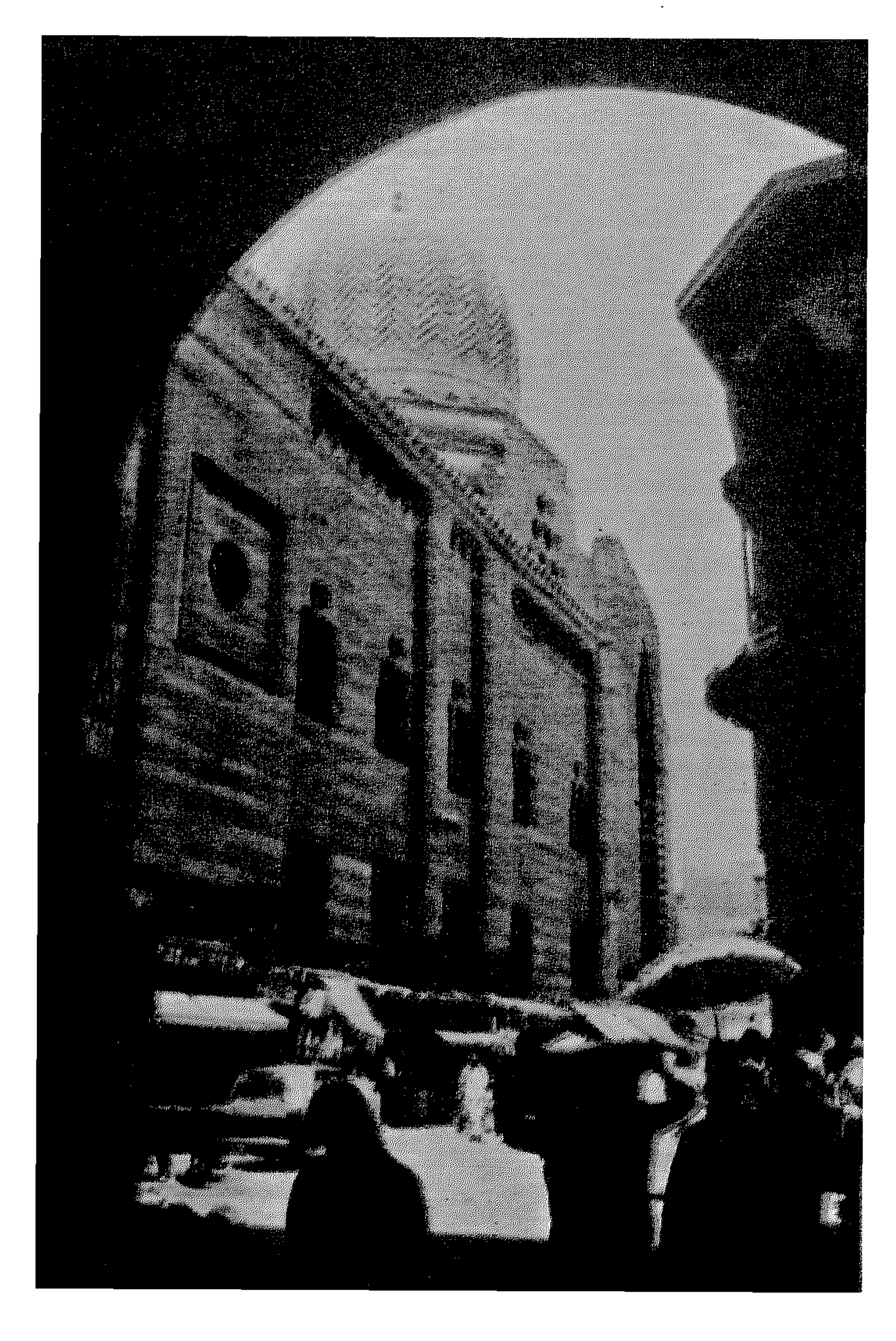
وتأكيدا لهوية الفاطميين المصرية ، فإن النيل قد أصبح شغلهم الشاغل ، مثلما كان الحال فى أيام الفراعنة ، بتوفير مياهه اللازمة لسقى أرض مصر ، وبالتالى تستقبل البلاد الخير ، فأقاموا العديد من السدود ، والخلجان والمقاييس والقناطر والجسور ، كما كان همهم قطع دابر المجاعات عن أهلها ؟ حتى أن الخليفة الحاكم بأمر الله ، حينما سمع أن عالما فى العراق ، اسمه أبو على ابن الهيثم ، نبغ فى الهندسة ، وأنه قال : لو كنت فى مصر ، لعملت فى نيلها عملا يحصل به

النفع ، فى كل حالة من حالاته ، من زيادة ونقص . فأرسل الحاكم اليه جملة من مال ، وحثه على المجىء الى مصر . فلما وصلها ، خرج الحاكم بنفسه للقائه ، وأمر بأنزاله واكرمه . وسيره مع جماعة من الصناع فى طول الاقليم المصرى ، حتى وصل الى أسوان . ولكن ابن الهيثم ، لم يستطع أن يقوم بشىء - بسبب طبيعة أرض أسوان الجرانيتية - واعتذر عن عجزه ، فأبقاه الحاكم معززا مكرما فلعل هذا الذى كان يقول ابن الهيثم عن نيل مصر ، هو أول تفكير لاقامة خزان أو سد عال فى أسوان ؟ لحجز المياه وقت زيادة الفيضان أو نقصانه .

كذلك اندمج الفاطميون بتلقائية فى الاحتفال بأعياد مأخوذة من تقاليد مصر الفرعونية ، وبأعياد قبطية ، بالاضافة الى الاحتفال بالأعياد الاسلامية والمذهبية الشيعية ؟ وهو ما أطلقوا عليه لفظة . "الرسوم" .. فكانت هذه الأعياد ولاسيما المصرية منها ، فرصة لهم للاعلان عن عظمة دولتهم ؟ على أساس أن دولتهم أكبر دولة ظهرت فى مصر منذ أيام الفراعنة ، بما يظهرونه من بذخ ، وبما يوزعونه من الملابس ، من السروال الى العمامة ، وبما يسكونـه من عملات تذكارية ، وغير ذلك بحيث تصبح هذه الأعياد تأكيدا للمشاركة الواسعة بين الدولة والشعب .

فمنذ قيام الدولة الفاطمية فى مصر ؟ فإن الاحتفال بوفاء النيل دخل لأول مرة فى رسوم الدولة ، التى تتبع بدقة فى الأعياد الرسمية لها ، اذ يقول المؤرخ المصرى ابن تغرى بردى إن المعز لدين الله أول خليفة فاطمى فى مصر ، هو الذى أستن جميع رسوم الخلافة ، فكان الاحتفال بوفاء النيل يدخل فى رسوم الدولة بإحتفالين ، هما : ركوب تخليق المقياس ، ثم ركوب فتح الخليج .

فعن الأول ، فإن الخليفة الفاطمى كان يركب فيه بهيئة المواكب العظام أو ما كان يسمى بالركوبات أيضا ، وسط إبتهاج شعب مصر الزائد ، ليعطر المقياس بالعطر المسمى الخلوق ، وليس بإلقاء عروس فى النيل ، أو القاء ورقة بردية ، فيها أيات قرآنية ، فكان المقياس غاية الموكب الخلافى هو مقياس الروضة ، لوقوعه فى جزيرة الروضة بمصر ، حيث أصبح على يد الفاطميين معلما من معالم النيل ، لايزال باقيا بهيئته وشكله الى الآن ، فعرف بالمقياس الكبير أو الجديد . فكان موكب الخليفة الفاطمى يخرج بمظاهره الفخمة من ميدان بين القصرين الكبير والصغير ، الذى يتسع لعشرة آلاف شخص من موظفى الدولة والقصر ورجال الجيش والأسطول ، حيث تميز كبار الأمراء منهم وهم القواد بلبس الطوق حول العنق على الطريقة الفرعونية ، فعرفوا بالأمراء المطوقين ، وقد منحهم الخليفة الخلع الفاخرة من ملابس بيضاء وغيره ، إذ البياض رمز الدولة الفاطمية ، والآلات الملوكية التى شرفهم بها . فإذا خرج الخليفة اليهم ، من قاعة الذهب بالقصر الكبير ، واتجه الى فرسه ، وبيده قضيب الملك ، وهو عود طوله شبر ونصف مرصع بالدر وملبس بالذهب وكأنه فرعون لمصر ، وقد ظهر رجل بجواره هو حامل المظلة التى تعتبر من شارات الخلافة الفاطمية الهامة ، وتشبـه الخيمة ، ومـرصعة



جامع المؤيد

بالأحجار الثمينة، وهو يبالغ فى ألا يزول عن الخليفة ظلها ، ضرب رجل بالبوق المشهور باسم : الغربية ، الذى له صوت عجيب ، وهو بوق معوج الرأس ، مصنوع من الذهب ، فتضرب بقية البوقات ، حينئذ يبدأ تحرك الموكب بحسب رسوم دقيقة من باب النصر ، أحد أبوابها الهامة ، ثم يتجه الى شوارع مصر ، وهى الفسطاط وسط تهليل الناس . فإذا وصل الخليفة الى منظرة دار الملك – وهى استراحه – الواقعة على النيل قرب المقياس ؟ فإنه يركب منها بعد أن يستريح قليلا ، ومعه الوزير وبعض كبار رجال الحاشية فى العشارى الخاص الذهبى ، وهى سفينة نيلية ؟ ليحملهم الى المقياس .

فإذا دخلوا المقياس صلى هو والوزير ركعتين ، كل منهما بمفرده ، ثم يضع الخليفة بيده الزعفران والمسك فى إناء خاص ، يناوله الى موظف كبير ، الذى يناوله بدوره الى الموظف القائم بأمور المقياس . فيلقى هذا الأخيرة بنفسه فى فسقية المقياس ، ويتعلق بالعمود برجليه ، وبيده اليسرى فيخلق المقياس أى يعطره بيده اليمنى . وفى أثناء ذلك يتناوب قراء الحضرة – وهم القراء الرسميون – قراءة القرآن . وبعدها يخرج الحاضرون من فورهم ، وعلى رأسهم الخليفة الى العشارى ، الذى يعود بهم الى المنظرة .. فيكون فى النيل فى ذلك اليوم ألف مركب ، مشحونة بالناس للتفرج واظهار الفرحة ، فإذا وصل الخليفة الى المنظرة عاد بموكبه الذى كان ينتظره الى القصر .

أما الموكب الثانى ، فى الاحتفال بوفاء النيل ، فيعرف باسم : ركوب فتح الخليج ، وذلك فى اليوم الثالث أو الرابع من يوم التخليق ، وهو الخليج الذى يقع فى غرب القاهرة ، وكان يوجد من أيام الفراعنة ، ويصل مابين القاهرة وخليج السويس ، وأعاد حفره البطالمة ، ثم حفره المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب ، فعرف بلقبه : خليج أمير المؤمنين ، ثم أعيد حفره ، فى عهد الحاكم بأمر الله فعرف باسمه : الخليج الحاكمى ، أو بأسم : خليج مصر .

ويبدو أن هذا الركوب هو أبهج الركوبات وأبهاها ، فقد كان ينصب للخليفة على حافة الخليج خيمة عظيمة تشبه القصر المستدير ، فيقام فيها سرير الملك ، ويوضع عليه مرتبة عظيمة ليجلس عليها كما يوضع للوزير كرسى ، أما كبار رجال الدولة ، فيقفون صفين من سرير الملك الى باب الخيمة . فكان الاحتفال يبدأ بالاستماع الى القرآن الكريم من قراء الحضرة ، فإذا فرغوا القى شعراء الدولة قصائدهم العصماء ، وهم جماعة كثيرة لها رواتب ثابتة ، نجد من بينهم شعراء من كل مذهب ، مما يدل على عدم تعصب الخلافة الفاطمية نحو المذاهب الأخرى . فكان الحاضرون ينقدون لكل شاعر ما يقول ويحسنون ماحسن ، ويوهنون ما وهن .

فإذا أنقضى هذا الحفل فى السرادق غادره الخليفة ومعه الوزير الى منظرة قريبة ، يقال لها السكرة – استراحة تطل على الخليج ، وقد هيئت بالفرش الفخمة فى ذلك اليوم ، بينما يبقى وجوه الدولة فى خيام عديدة مختلفة الأشكال والألوان على قدر مراتبهم . فيطل من المنظرة أستاذ من أساتذة القصر الكبار ، لينقل أمر الخليفة

بفتح الخليج ، الذى ينهدم أمام الحاضرين تحت ضربات المعاول ، فتضرب من البرين الطبول والأبواق التى زيد فيها أربعون بوقا ، فإذا انساب الماء فى الخليج دخلت العشاريات الملكية وهى السفن النيلية تتهادى فيه ، وهى مزينة بأحلى زينة ، وهى من مختلف الألوان منها الذهبى والفضى والأصفر والأخضر ، فترسو فى حوض خاص على بر المنظرة التى فيها الخليفة ، فكان كسر هذا الخليج هو الرمز لكسر بقية خلجان مصر جميعها ، وكسر السدود ، ليفيض النيل على بطائح أرض مصر ، إذ كانت هذه السدود تسد أبتداء النيل بالتراب والخشب على أفواه المشارب المائية .

بعد ذلك ؟ يقدم طعام خفيف يحضره صاحب المائدة الملكية بنفسه فى موكب يتكون من مائة رجل ، ومعهم الطعام محمولاً فى صوان "طيافير" كبيرة مذهبة ، وهى مغطاة بالطرح النفيسة ، وريح المسك والتوابل تفوح منها فيوزع الطعام على الجميع على قدر مراتبهم وكانت تقدم لهم تماثيل ـ لعلها من الحلوى ـ على موائد " مصنوعة من اشكال مختلفة من الغزلان والسباع والزرافات . فإذا إنتهى الاحتفال صلى الخليفة صلاة العصر ، ولبس ثيابا جديدة غير التى كانت عليه فى أول النهار ، وغير المظلة لتكون مناسبة للون ثيابه ، فيركب الى قصره على الرسم المعتاد فى المواكب العظام .

● محبة متبادلة للفاطميين

وبإجمالية ، فإن الفاطميين احبوا وطنهم مصر وأهله ، يظهر ذلك من قول العزيز بالله ، ثانى خلفائهم فى مصر : "أحب أن أرى النعم عند الناس ، ظاهرة وأرى عليهم الذهب والفضه والجوهر ، ولهم الخيل واللباس ، والضياع والعقار ، وأن يكون ذلك كله من عندى" . لذلك كان لالغاء صلاح الدين خلافتهم ، وإعلانها للعباسيين وقع أليم وأسى عند المصريين ، بحيث أن المؤرخ ابن تغرى بردى يقول : إن نفوس المصريين كادت تزهق ، حزنا لانتهاء دولة الفاطميين ، فقام المصريون بثورات متعددة ، كان أكبرها ثورتهم فى العاصمة عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م ، أشترك فيها جمع كبير منهم ، بمن فيهم القاضى ، والداعى ، والكاتب ، والأمير ، وأستاذ القصر ، والعوام من الشعب ، وأهل ثلاث ديانات من المسلمين والقبط واليهود ، وحتى السودانيون فى مصر ، ولكن صلاح الدين تمكن من إخمادها ، وشنق المحرضين عليها ثم مالبث أن أشتعلت ثورة أخرى فى الصعيد عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م ، وكان على رأسها صعيدى من أسوان ، يلقب بالكنز ، كان من قواد الفاطميين ، قتل فيها ثمانون الفا من المصريين . وقد أحس صلاح الدين بعداء المصريين له ، بسبب الغائه خلافة الفاطميين ، ورغبتهم فى التخلص منه ؟ فيذكر فى مراسلاته لنور الدين أن أهل مصر وجندها أعداء ، ولاشك أن ثورات المصريين هى تأكيد لاتصال خيوط المحبة بينهم وبين الفاطميين ، الذين أدركوا شخصية الأمة المصرية ، فسعوا على صحوتها ، وحركوا مافى مصر من طاقات كانت نائمة ، فربطوا بين تاريخها القديم وتاريخها فى الاسلام ، فاكتسبوا الصفة المصرية ، وأعتبروا أنفسهم بحكم المواطنة مصريين .



مرحبا بعالم الوصول

قصة قصيرة

بقلم: حسام فخر
ريشة: محمد أبوطالب

- ١ -

حضرة قاضى الشريعة

الإمام الشافعى

مصر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فالعارف لا يعرف والشكوى لأهل البصيرة عيب ، توسلت إليك ياقاضيا بين أبويك وأنت فى المهد وناطق بلسان الحق فى الصغر أن تأخذ لى حقى من الرجل الحاج عبدالكريم بن فاطمة عمى سارق مال اليتامى فبعد وفاة والدى ورآنى هذا الرجل عقد بيع وشرا للحداشر قيراط ملك أبويا وشهد على العقد نسيبه محمد كاتب الجمعية وأنا رحت للناس كبيرهم وصغيرهم أقول لهم يساعدونى على اللى افترى علىّ ويردوا لى أرضى وكانوا يقولوا أن العقد سليم والأرض خلاص بقت أرضه وأنا ليس لى فيها حاجة والعقد ده والله العظيم مزورينه هو ومحمد على راحتهم لأن والدى لم يكن يعمل أى شىء من غير شورى وأنا عارف انه لم يبيع الأرض وأنا فى رقبتى ثلاثة يتامى وأمهم وهذا الرجل أخذ منى بالحرام كل الذى ورايا وقدامى . أطلب من مقامكم الشريف عقد المحكمة الباطنية بحضور السيدة زينب أم اليتامى والسيدة نفيسة المبرقعة بالأنوار ومولانا الامام الحسين وتحكموا بينى وبين عبدالكريم بما يرضى الله ورسوله ويرجع حقى حيث انى قليل الحيلة وماليش فى الدنيا الا ربنا وأنتم ويكون ذلك بأقرب جلسة والحكم بالنفاذ . وأنا ما أريد غير العدل وهو مهما كان عمى وعمر الدم مايبقى ميه ولو كنت مثله ابن حرام ولا أرعى القرابة كنت طلبت منكم الحكم بالشلل أو العمى أو أى داء فى جسمه لكن أنا لا أريد غير أرضى المنهوبة عشان آكل أخواتى .

سألتك بالنبى وصاحبيه ومن قضى فى والديك لا تخيب فيك ظنى فانى اليوم محسوب عليك والمحسوب منسوب وان كان يرضيك حالى فأنا راضى .

- ٢ -

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة قاضى الشريعة

الإمام الشافعى

مصر

بعد تقبيل يدك

الكريمة والله يجعلنا متمتعين ببركاتك فأنا احتسبت بالله وبكم ياأهل البيت لأنى شفت الذى لم يشوفه أحد واتبهدلت اخر بهدلة .

اشتكى لك من أهل بلدنا الذين تعرضوا لى بالكلام القبيح لما طلبت منهم كيلة درة للعيال

وهزأونى وشتمونى لأنى فقير وماليش فى الدنيا حد وخلونى أبيّع أمى كردانها واطلع سلكاوى على ليبيا . واشتكى لك من الحكومة التى فضلت تجرى ورانا فى الجبل كأننا احنا الحرامية وماعملتش حاجة للحاج عبدالكريم الحرامى الذى سرق ونهب وأكل مال النبى وعرق اليتامى ، كنا يامولاى نمشى وراء البدوى بالليل فى الظلام فقط ولما ينزل الطل على روسنا نستخبى فى الجبل زى المطاريد مش زى ناس رايحة تدور على رزقها .

واشتكى لك من معمر القذافى ابن حوا وآدم لأنه كسر بخاطرى وأخذ منى الفلوس والمروحة

والمسجل التى اشتريتها من شقايا وتعبى ورمانى فى مطار الناس الغريبة من غير لا أكل ولا فلوس ولا غطا نرميه علينا فى البرد ورجعنى بلدى مكسور ومافيش فى ايدى ولا حتى عود

برسيم يخزى عين الشيطان واذا كان فى كل حتة سيأكلوا حقى أروح فين ؟ وأنا جئت لك تنصفنى من اللى ظلمونى وسقت عليك النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام ان تعقد المحكمة الباطنية جلسة مستعجلة وتنظر فى حالتى أنا عارف ان الظلم كتير وأن الشكاوى عندك بالكوم



وانك تحكم بالعدل ليلا ونهارا فى القضايا بس أنا اتلطمت كتير وتعبت فأطلب منك تحكم بينى وبين اللى ظلمونى بسرعة وأن ترد لى أرضى وفلوسى والمروحة والمسجل وكل اللى اتاخد منى ظلما وعدوانا وأن السيدة زينب رئيسة الديوان تصدر الحكم بالنفاذ الفورى لأجل خاطر اليتامى ، أنت شرعت بالعدل بين أبوك وأمك وأنت طفل ولا يمكن انك تشوف والظلم وتسكت . انصفنى .

- ٣ -

- لابس هدومك ورايح فين يابنى ؟

- نازل مصر يامه

- وايه اللى يوديك مصر ؟ ماكتفتش غربة وبهدلة ؟

- رايح للامام الشافعى أكلمه بنفسى ، شغل المراسيل ده مابقاش نافع .. القضايا الظاهر عنده متلتلة ولسه ماصبناش الدور وأنا لازم أكلمه يعمل جلسة مستعجلة .

- بس ..

- مافيش بس .. حاروح واشوفه وأكلمه وأعرفه اللى فيها .

- ربنا ينجح مقاصدك ويكفيك شر طريقك ويكتب لك فى كل خطوة سلامة ..

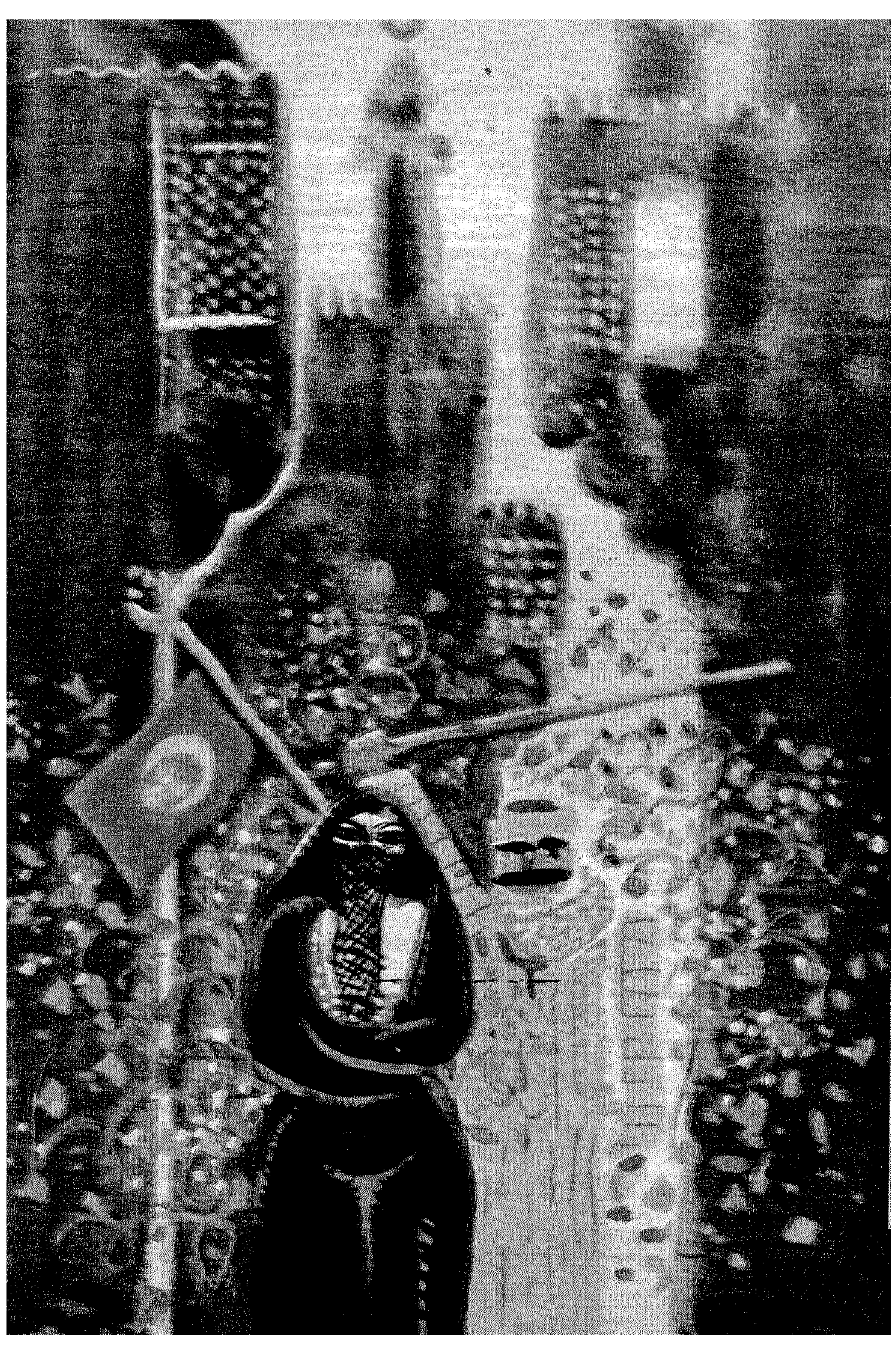
- ٤ -

فوق قبة بحر العلم تطفو سفينة ، تحط الحمامات والعصافير لتلتقط منها حبا ثم تطير لتحادث الرجل الجالس أمام باب المسجد ، يحكى لها اخر لقاءاته مع الامام ويسترجع ذكرى الظلم الذى دفعه الى هنا . كل حمامة فى الميدان تعرف قصة الأرض وكل عصفورة عندها خبر بأهوال طريق الصحراء وما جرى للمروحة . أما اليمام . الذى أنقذ النبى وصاحبه بأن بنى عشا على باب الغار - فيعلم انه سيحمل يوما الى الجالس أمام باب المسجد رسالة تتضمن حكم المحكمة الباطنية وبشرى عودة الحق الى أهله ..

- ٥ -

- المحكمة وانعقدت ، والحكم وصدر ، بكره ياعبدالكريم يابن فاطمة تندم وتبكى بدل الدموع دم ، اخرس ياحرامى ماعادش الندم ينفع ، وجالى الحكم مسجل بعلم الوصول وحتترد لى الأرض والفلوس وكل حاجة ، يمهل ولايهمل ، الحكم اتأخر شوية صحيح بس كل حاجة بالدور ، العيش بالدور والفول بالدور والموت بالدور ولذلك فالعدل جاى ان شاء الله بالدور وخايف أقول اللى فى قلبى ى ى ى ..

كان مستغرقا تماما فيما يقول فلم يسمع الضحكات ولم يلاحظ أن الميدان المزدحم يدور دورته العادية .



حارة نجيب محفوظ

بقلم : حكيم ميخائيل شحاته

كلما اردت الحديث عن نجيب محفوظ هذا الكاتب العملاق وعالمه الزاخر المتنوع النابض بالحياة اجدنى اتذكر قصة كنت قد قراتها عن احد الفلاسفة في العصور الوسطى .. كان ذلك الفيلسوف يتمشى على شاطىء البحر وهو يفكر في قدرة الخالق عز وجل التي لاتحد .. لايدرى كيف يقترب إليها ولاكيف السبيل إلى فهمها واستيعابها عندما شاهد صبيا صغيرا يلهو بجاروفه وقد حفر حفرة صغيرة في الرمال ثم مضى يحمل الماء فى دلوه ويصبه في الحفرة ..

مضى فيلسوفنا يرقبه لساعات دون أن يكل الصبى ودون ان تبدو نهاية قريبة لمهمته العجيبة .. فاقترب منه متسائلا عما يفعل ودهش حين أجابه الصبى .. « إننى انقل البحر إلى هذه الحفرة .. » مضى عنه الفيلسوف متحيرا لايدرى كيف يقنع الفتى الصغير بلا جدوى جهده الضائع ... وفجاة انبلجت أمامه الحقيقة الغريبة .. فقد كان هو - اى الفيلسوف - يفعل نفس الشيء .. كان يحاول ان يحد قدرة الخالق اللامتناهية ويستوعبها في عقله الصغير ..

وكلما أردت أن أقترب من عالم نجيب محفوظ أجدنى دون أن آدرى - والقياس مع الفارق - أسخر فى أعماقى من جهدى الضائع فلا أنا ادرى من أية زاوية استطيع أن ألج هذا العالم العجيب .. ناهيك عن محاولة الالمام بشتى أطراف ذلك العالم الشاسع وتبوبيه تبويبا علميا بحيث يصلح ميدانا للدراسة النقدية أو المعرفة العلمية المنظمة .

فالمرء يحار حين يريد الحديث عن نجيب محفوظ هل يبدأ بتناول جانب المؤرخ الاديب فيه الذى بدأ مترجما لـ « مصر القديمة ١٩٣٢ » ثم أنطلق منها إلى المرحلة الفرعونية حين كتب « عبث الأقدار » و « رادوبيس » و « كفاح طيبة » ثم إلى المسح التاريخى والاجتماعى لثورة ١٩١٩

حارة نجيب محفوظ

ومابعدها فى الثلاثية .. ثم المتابعة الروائية لتجربة ١٩٥٢ بايجابياتها وسلبياتها .. ثم النكسة ومابعد النكسة حتى « الباقى من الزمن ساعة » و « التنظيم السرى » و « يوم مقتل الزعيم » .... أم يبدأ بالاشارة إلى تأثير دراسته للفلسفة وعلم النفس فى صياغة شخصياته الروائية .. أم يحاول أن يتتبع ملكته المعمارية فى إنشاء قصصه إلى جذورها الواقعية عند رواد تلك المدرسة سواء فى مدرسة القصة الروسية أو الانجليزية .. أم يحاول أن يجرى دراسة طولية على أعماله فيتتبع مراحل انتاجه ويقسمها إلى مراحل تاريخية .. ومراحل مسح اجتماعى .. ومراحل نقدية .. ويتابع انتقاله من الرومانسية الأولى إلى الواقعية إلى اللامعقول إلى العودة للواقعية الجديدة .. أم يكتفى بدراسة تطور أسلوبه وجنوحه من التفصيل الى التركيز ومن اسهاب النثر وإطنابه إلى شاعرية الايجاز والايحاء .. يخيل إلىّ أن هذه جميعها تصلح مداخل منهجية لدراسة أكاديمية ضافية عن نجيب محفوظ أما فى هذا المجال فالأفضل أن يتعرض المرء لجزئية صغيرة أو سمة واحدة من سمات أدب نجيب محفوظ ..

● الحارة ـ البطل عند نجيب

ويخيل إلىّ أن السمة التى يجدر بنا أن نبدأ بها هى « الحارة » فى أدب نجيب محفوظ .. وليس ذلك بالطبع لأنه أختار الحارة عنوانا للكثير من اعماله أو مجموعاته القصصية فعلى سبيل المثال هناك « زقاق المدق » و « بين القصرين » و « قصر الشوق » و « السكرية » وهى كلها أسماء بعض دروب حى الجمالية الشعبى بالقاهرة ثم هناك « اولاد حارتنا » و « حكايات حارتنا » الخ .. ولكن لعل السبب فى أن نجيب محفوظ ربما كان الكاتب العربى الأول الذى جعل من « الحارة » بكل شخوصها وصراعاتها وعنفها وطموحها وفسادها البطل الحقيقى التقليدى لرواياته .. واذا كان شكسبير رائد المسرح الانجليزى يرى الدنيا إن هى إلا مسرح كبير .. ولكل دوره المرسوم فإن نجيب محفوظ بنفس القياس ربما يرى الدنيا إن هى إلا حارة شاسعة تموج بالاضطراب والفوضى يسودها قانون البقاء للأقوى .. وتحتدم فيها الصراعات ويخفت فيها صوت الحق والشرعية ينام سكانها على المخاوف والاحلام ويستيقظون على شظف العيش والقهر والمعاناة .. فى اقبيتها يسكبون شهواتهم الدنيئة ورزائلهم وفى تكيتها يحلمون بالخير والوفرة وفى سوقها يرفعون نبابيتهم فى وجوه بعضهم البعض فرضا للسيطرة والجاه والفتونة ، بينما من آن لآخر يمضى مجذوب أو صوفى يتمتم بعبارات

طلسمية غامضة كأنه يبوح بسر الحياة للا أحد ..

● الرواية هي الأصل

والحق أن نجيب محفوظ ليس « رائدا » للقصة المصرية بمعنى أنه ليس أول من عالج فن القصة فى العصر الحديث فقبله كتب محمد حسين هيكل وكتب طه حسين وكتب العقاد وكتب الحكيم وكتب غيرهم .. كما أن نجيب محفوظ ليس أول من « مصّر » القصة .. بمعنى انه أول من جعل كل شخصياتها وصراعاتها فيما بينها مصرية خالصة فلقد فعل ذلك من قبله توفيق الحكيم فى رائعته « عودة الروح » ويحيى حقى فى « قنديل أم هاشم » وغيرها أما جيل الرواد الأوائل هيكل والعقاد وطه حسين والحكيم فحين عالجوا الرواية إنما عالجوها باعتبارها فنا من فنون الأدب يجب أن يطرقوه وأن يقدموه للعربية .. فنا من بين فنون أخرى كثيرة يعرض لها قلمهم ذو الطبيعة الشاملة الموسوعية .. فهاهو العقاد لم يكتب إلا « سارة » وهيكل وطه حسين انصرفا إلى فنون أخرى كالنقد الأدبى والترجمة والتاريخ والكتابات الدينية والحضارية والتنويرية شأن الرواد فى كل زمان ومكان ـ والحكيم انصرف إلى المسرح ويحيى حقى انصرف إلى القصة القصيرة .... أما نجيب محفوظ فالرواية لديه هى الأصل مضى فيها تجويدا وتعميقا واتقانا إلى ذرى لا يدانيه فيه كاتب حديث أو معاصر .. وحين ينصرف عنها إلى القصة القصيرة فإنما ليجرب أساليب جديدة يعود لاستخدامها فى رواياته وحين ينصرف عنها إلى المقال السياسى المباشر فإنما ليعيد طرح نفس القضايا والهموم فى رواياته بشكل اكثر عمقا وشمولا وبصورة فنية أكثر جاذبية وتأثيرا .. ونجيب محفوظ حين يكتب الرواية تخرج من بين يديه مصرية لحما ودما .. بل ومصرية قاهرية .. بل يكاد يقصرها على حى من أحياء القاهرة الشعبية أو إن شئت الدقة فقل حارة من حوارى تلك الأحياء الشعبية حارة تضوع فى جنباتها روائح البخور والعطارة الشعبية وتتخثر فيها بنات البلد ويتصارع فيها أبناء البلد بسواعدهم المفتولة القوية .. ويعانى فيها الجميع ادواء الفقر والقهر والجهل .. أبناء البلد بكل صغارهم وكبريائهم بكل صلفهم وهوانهم بكل مخاوفهم وتهورهم .. الحارة إذن هى البيئة الطبيعية التى يحيا فيها أبطال نجيب محفوظ يتزاحمون ويتصارعون ويقتتلون ، ويحلمون ويحبون ويشتهون .. بشذوذهم وعظمتهم وعبقريتهم وتفردهم .. فالحارة هى النافذة التى يطل منها نجيب محفوظ على الحياة وهى تعمل ـ حية نابضة تتوهج على جبينها قطرات العرق أو تسيل من جراحها قطرات الدم .. حارة صاخبة عنيفة حالمة .. بل إن الحارة هى الميدان الذى اختاره نجيب

محفوظ ليجسد فيها أفكاره ويمنحها الحياة والحيوية .. فهاهو فى الثلاثية يقدم لنا محاور ثلاثة تتناغم عليها معزوفته الخالدة فالسيد أحمد عبدالجواد « الانسان » ينجب من صلبه ياسين (الشهوة) وفهمى (الغضب) وكمال (العقل) مذكرا إيانا بتقسيم افلاطون للنفس البشرية بل وتقسيمه لقوى مدينته الفاضلة .

وهو حين يريد ان يبسط خواطره عن قضايا العلم والدين يقدم لنا قصة الخلق والسقوط والرسل والعلم الحديث فى « أولاد حارتنا » من خلال شخصيات رمزية مبدعة تصطدم بجهل الحارة وحماقتها ونقائصها .. وهو آنا آخر يريد أن يؤرخ للفكرة الاشتراكية فيقدم لنا صراع الأغنياء والفقراء فى « ملحمة الحرافيش » فى احدى الحارات الملاصقة لحى « الدراسة » وهو حين يؤرخ لثورة سنة ١٩١٩ يقدمها لنا من خلال أحياء بين القصرين وقصر الشوق والسكرية .. ونادرا مانجد قصة لنجيب محفوظ خارج نطاق الحارة المصرية إلا ان يكون ذلك مكانا عاما تجتمع فيه شخصيات الحارة هربا من واقع مرفوض كما فى « ميرامار » بالاسكندرية أو « ثرثرة فوق النيل » فى أحدى العوامات ..

والنظرة المتأنية قليلا للحارة عند نجيب محفوظ تبين لنا بعض الثوابت التى لاتكاد تتغير .. وكأنها المعالم التاريخية لحارة نجيب محفوظ فنحن نجد « السبيل » و « الفتوة » و « العسكرى » و « التكية » و « الدرويش » و « الشحاذ » و « العربجى » .. الخ ..

فالسبيل رمز للماضى بكل مانحمله له من إعزاز وتكريم رمز لروح العطاء الخيرة التى تمنح عابرى السبيل فى القاهرة القديمة شربة ماء على أرواح الموتى - وهى تضرب بجذورها فى الماضى السحيق حيث كانت القاهرة ملأى بالسقائين وكانت شربة الماء تكلف الانسان جهدا اى جهد .. وهى تنم عن ارتباط وثيق بين عالم الروح التى ولت عن هذه الحياة .. وبين عالمنا نحن الذين مازلنا تحت الآلام .. فالذى يبنى سبيلا انما يفعل ذلك حتى يغفر الله له ماتقدم من ذنبه يوم الحساب .. وهذا الارتباط ضارب بجذوره فى الشخصية المصرية حتى ايام الفراعنة .. فنحن لانظن أن فى مدينة كأثينا مثلا حيث كان فلاسفتها يدعوننا لأن « نأكل ونشرب فإننا غدا نموت » يمكن ان يفكر أحد فى بناء سبيل .. ففى مصر كما فى كل الشرق العلاقة بين عالم الموتى وعالم الأحياء اقوى من أن تفصمها حادثات الزمان .. و « الفتوة » رمز القوة التى تحكم وكثيرا مايكون الفتوة مثالا للقهر والتسلط والظلم وفرض الأتاوات بلا

رحمة .. انه صراع الحياة حيث الحارة تتحول إلى غابة البقاء فيها للأقوى ولامكان فيها لضعيف أو مهزوم إلا بين الأجراء والعبيد والخدم ولعل « العسكرى » هو رمز الشرعية وسلطة النظام فى مواجهة هذه الفوضى الشاملة .. لكنه واأسفاء دائما لايصل إلا بعد فوات الأوان فضلا عن أنه سلطة لاقلب لها فكم غيب فى أعماق السجون من مناضلين شرفاء ومظلومين فى إثر مكيدة أو مؤامرة والمرء حين يقرأ « اللص والكلاب » لايملك إلا أن يتعاطف مع اللص ويحتقر الكلاب التى تطارده ..

أما التكية فهى رمز للوفرة فى الرزق البعيدة المنال التى يحلم بها كل جائع ويتوق اليها كل مظلوم ولكنها بعيدة المطال لايكنه أسرارها أحد .

أما « الدرويش » فهو كالعرافة اليونانية آنا يواجه الأبطال بمصائرهم بلغة غامضة أو كالصوفى الذى يشهد أسرار الكون ولايملك أن يبوح بها فيهذى بعبارات ملغزة تترك الجميع أمامها حيرى لايعقلون .. وهو ذو مكانة غير منكورة فى الحارة باعتباره من « أهل الله » ودوما يلقى احتراما من الصغير والكبير من الغنى والفقير .. ولايعدم دائما من يتصدق عليه طلبا لدعواته او تبركا به أو خوفا منه .. إن كان المتصدق على شىء من السعة .. كل ذلك لتمكن سلطان الدين من أهل الحارة ولارتباط الذهول بالوجد بالدهش بالبله فى أذهان العامة ..

أما الشحاذ فهو رمز الانسان الذى داسته الحياة فسقط تحت الأقدام وهم كثير فى « حارتنا » فليس أمامه من سبيل إلا مد اليد وسفك الكرامة .. ولكننا لانعدم طائفة من محترفى التسول كما فى مملكة « زيطة » صانع العاهات فى « زقاق المدق » ..

أما « العربجى » فهو الطبقة الكادحة بحق .. يكدح طوال النهار تحت وهج الشمس اللافح كى يجد كسرة يسد بها رمقه .. واذا ما اشتد ساعده يحلم بالفتونة .. (عاشور ـ الحرافيش) .. وفى معاناة العربجى تلخيص لطبقة كاملة من الكادحين فى قاهرة الأربعينات والخمسينات .. ويدور مداره كل المهن المحتقرة كالنحاس والسقاء والكواء وغيرها ..

حارة نجيب محفوظ إذن مدينة مصغرة تزدحم بالافاقين واللصوص والكادحين ..وافاتها القهر والفقر والجهل .. السلطة فيها عاتية متسلطة لاترحم .. والقانون مخدر غائب .. وأصحاب الخير والفضل ولى زمانهم ولم يبق منهم الا أطلال « سبيل » .. والكل يصطرعون ويسكرون ويصخبون ويشفبون .. لكنهم طيبون .. يكشفون عن معدن أصيل فى سويعات الذروة .. ولم لا أليست حارتهم هى عالمنا الصاخب الفوار تحت الميكروسكوب .. ولم لا .. أليس منهم الأنبياء والقتلة ؟؟!



حول "رجال وثيران"

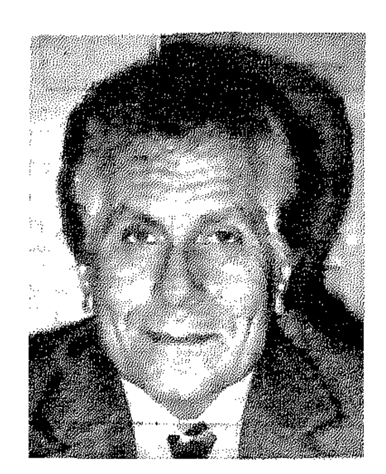
ليوسف ادريس

بقلم : د. محمود علي مكي

كانت قوته العجيبة
تتدافع كنهر أمواجه من السباع
وكان في رباطة جاشه في مصارعته
أشبه بتمثال من الرخام
كانت عليه مسحة من جلال روما الاندلسية
تصبغ رأسه بلون الذهب
وضحكاته أشبه بزهر الناردين
مصوغة من الظرف والذكاء
أى مصارع عظيم كان في الحلبة !
ماكان أشبهه بصخور الجبل في ثباته
وبسنابل القمح في رقته !
ولكنه الآن مخلد إلى نومه الابدى
وها هي الطحالب والأعشاب
تحفر بأصابعها النافذة
ثقوبا في زهرة جمجمته !

هكذا بكى شاعر غرناطة الكبير فيديريكو غرسية لوركا المصارع الأسباني إجناثيو سانتشث ميخياس Ignacio Sanchez Mejias الذى قتله ثور من ثيران المصارعة بعد أن ألهب بشجاعته وبراعته في مداورة الثور مشاعر المشاهدين . لم تكن هذه هي المرة الأولى ولا الأخيرة التي يقع فيها مصارع مبدع فريسة لقرنى خصمه .. فبعد ذلك بسنوات .. وفي أمسية صيفية من سنة ١٩٤٧ يحيق نفس المصير بأشهر مصارعي اسبانيا « مانوليتي Manolete » في حلبة مدينة ليناريس Linares ، ويبكيه الشعب الأسباني كله وينظم في رثائه الشعراء ما يؤلف ديوانا ضخما .. ومنذ سنوات قليلة في سنة ١٩٨٤ يقتل الثور من جديد بطلا آخر من أبطال هذه الرياضة العجيبة هو فرانسيسكو ريبيرا Francisco Rivera المشهور باسم « باكيرى Paquirri » ولاتزال أرملته المغنية إيزابيل بانتوخا Isabel Pantoja تستهل حفلاتها الغنائية حتى اليوم - بطلب من الجماهير - ببكائيات في رثائه تهز نفوس المستمعين ..

مصارعة الثيران ظاهرة غريبة انفردت بها اسبانيا وبعض بلاد أمريكا اللاتينية التي انحدر أهلها من أصلاب الأسبان ، ويحار المرء في تصنيفها وتوصيفها : هل هي لعبة أم رياضة أم فن ؟ إذ أن لها حظا من كل ذلك ، أما الأسبان أنفسهم فإنهم يطلقون عليها « احتفاليتهم الوطنية » (La fiesta nacional) مما يدل



يوسف ادريس



ارنست هيمنجواى

اى مصارع عظيم كان فى الحلبة !

"رجال وثيران"

على أنهم يعدونها شيئا صميما من صميم كيانهم القومى ينفردون به عن سائر شعوب الأرض .

والثور ، ذلك الحيوان الذى رأت فيه الجماعات البشرية مجرد بهيمة لاتستحق إلا الصيد إذا كان متوحشا بريا ، أو دابة ذلولا يستعان بها فى الحرث أو فلاحة الارض إذا كان مستأنسا أهليا ، ثم ينتهى مصيره إلى الذبح على كل حال .. ذلك الحيوان كان رفيقا للانسان الاسبانى منذ اقدم العصور ، فالنقوش القديمة التى عثر عليها فى كهوف التاميرا Altamira فى شمال اسبانيا والتى ترجع إلى فجر التاريخ تصور مشاهد لصيد ثيران وحشية .. وكانت رياضة صيد هذه الثيران لونا من الترفيه محببا لأمراء مسلمى الأندلس كما تمثل ذلك نصوص عديدة من الأدب الأندلسى .. غير ان هذه الرياضة التى عرفتها شعوب أخرى لم تلبث ان تحولت على أيدى الاسبان إلى فن له قواعده ورسومه ، إلى مباراة يلتقى فيها غريمان ، الانسان بذكائه ورشاقته وقدرته على المداورة ، والثور بقوته الغاشمة ، ووحشيته البدائية الفطرية ، مع تكافؤ الفرص بين الخصمين المتواجهين ، إذ تتوافر لكل منهما احتمالات النصر والهزيمة ، وهى مباراة لا مجال فيها لغش او خداع ، والحكم هو جمهور المشاهدين الذى لاسبيل إلى التمويه عليه ، ولكن هؤلاء المشاهدين يجب أن يكونوا من الاسبان أو ممن عايشوا الاسبان معايشة حميمة حتى عرفوا دخائل حياتهم ونفسياتهم ، لأن غير الأسبانى لن يرى فى هذه الرياضة ، الفن الا مشهدا من مشاهد القسوة لا يستسيغ له تبريرا ولايجد فيه الا نزغة من نزغات الجنون .

● مغامرات مصارعة الثيران ●

ولعل الكاتب الأجنبى الوحيد الذى فهم هذا العالم الغريب ــ عالم مصارعة الثيران وغاص فى أعماقه وتمثله تمثلا كاملا هو الروائى الامريكى إيرنست همنجواى Ernest Heminguay (١٨٩٨ ــ ١٩٦١) ، ولاغرو فقد كان مثل مصارعى الثيران لايجد للحياة طعما إلا إذا كانت على حافة الخطر ، وحياته نفسها كانت ضربا من ضروب المصارعة خاض فيها مغامرات لانهاية لها فى البر والبحر ، فى الحروب وفى مجال الصيد ، ومنحته هذه الحياة مجد الفوز بجائزة نوبل سنة ١٩٥٤ ، ولكن المجد والموت كانا بالنسبة له كما هما بالنسبة للمصارع وجهين لعملة واحدة ، فإذا به بعد كل ما بلغه من ثروة وشهرة يقع صريعا أمام « ثور » الحياة ، فينهى حياته بيده ، ويموت منتحرا فى سنة ١٩٦١ .

لقد صور همنجواى عالم المصارعة فى العديد من رواياته وقصصه التى كان العنف هو طابعها المميز مثل روايتيه « موت فى المساء » (Death in the Afternoon) و« الشمس تشرق ايضا » (The Sun Alsa Rises) . أما سائر من كتبوا عن مصارعة الثيران من مختلف الكتاب الاجانب ، حتى أولئك الذين تربطهم بأسبانيا صلات الجوار أو يترددون عليها ويقيمون فيها اقامة طويلة أو قصيرة ، فقد كانت كتاباتهم سطحية الى حد بعيد ، وكثيرون منهم كانوا يكتفون بإبداء نفورهم واستنكارهم لما يسمونه

« وحشية » الشعب الاسبانى الذى يسمح بمثل هذه الرياضة الانتحارية وما تكشف عنه فى نظرهم من « قسوة سادية » ..

★★★

وهذا هو ما يدفعنا إلى تأمل عمل أدبى فريد فى بابه ، إذ أنه هو الوحيد الذى تناول موضوع مصارعة الثيران فى ادبنا العربى ، ونعنى به ذلك الذى ضمته صفحات « رجال وثيران » الذى أصدره أديبنا الكبير الدكتور يوسف إدريس الذى نسأل الله أن يمن عليه بشفاء عاجل يعود بعده إلى ممارسة فنه فى الكتابة وإلى عالم قرائه ومحبيه .

ولكن علينا أولا أن نحدد إلى أى نوع أدبى ينتمى هذا الكتاب الذى نشره يوسف إدريس فى فبراير سنة ١٩٦٤ وصدر فى نحو مائة وخمسين صفحة ؟ قد يبدر إلى الذهن أن الجواب عن هذا السؤال لايحتاج إلى جهد ، إذ يبدو لأول وهلة رواية قصيرة بعض الشيء ، غير أن الحبكة الروائية لاتبدو فيه واضحة ، إذ أنها لاتتجاوز ماصوره الكاتب من أمر تلك الفتاة الكوبية التى جلست إلى جوار الكاتب - الراوى فى الوقت نفسه - فى أحد مدرجات حلبة المصارعة وتبادل معها الحديث ، ولاحظ أنها كما يبدو متعلقة بذلك المصارع الأسبانى الأسمر الذى سوف ينتهى به الأمر إلى السقوط صريعا فى الحلبة ، بعد أن مزق الثور جسده وتركه بين الحياة والموت ، ولكن الكاتب نفسه ليس متأكدا مما إذا كانت بين تلك الفتاة والمصارع علاقة حب حقيقية ، فالذى يستشف من روايته أنها قد تكون واحدة من آلاف الفتيات المعجبات بالمصارع ،واللاتى استثارت مشاعرهن



هيمنجواى .. التحية الاولى للمصارع

شجاعته وبراعته فى المصارعة ثم هزت نفوسهن نهايته المأساوية الفاجعة .

الرواية إذن - لو أطلقنا عليها هذا الوصف - تكاد تخلو من الأحداث ، والغالب عليها هو هذا الوصف الدقيق لمشاهد المصارعة والتحليل لمشاعر الراوى ومشاعر الشخصيات القليلة التى اتصل بينها وبينه الحوار تعليقا على تلك المشاهد ، فهى أشبه بتحقيق صحفى عن مصارعة الثيران ، غير أن اطلاق وصف « التحقيق الصحفى » على هذا الكتاب ظلم صارخ له ، إذ ما أبعده عما يسجله محترفو هذا العمل من تصوير لمشهد رياضى أو حفلة فنية ، وقد يكون هذا

"رجال وثيران"

التصوير مثيرا للاهتمام ، وقد يقدم مجموعة من المعلومات لها حظ قليل أو كثير من الدقة والفائدة ، ولكن « رجال وثيران » شيء مختلف عن ذلك ، إذ ليس فيها جفاف التحقيق الصحفي ولا مجرد الاهتمام بتقديم المعلومة قبل كل شيء ، وفي مواضع عديدة يقترب عمل يوسف ادريس من المقال الفلسفي الاجتماعي كما نرى في هذا الحكم الذي يصدره على الشعب الاسباني ..

« الاسبان أرق وأعنف وأغلب وأشجع وأحكم وأجن شعب من شعوب العالم ، وكأننا نحن العرب كنا هم أو كأنهم كانونا ، ذلك الشعب بلغته بأغانيه برقصه بفقره بصبره بجماله بالحنين إلى الماضي المجيد بالحنين الاكثر الى مستقبل ... هذا الشعب بكل صوره وانفعالاته المتغيرة الدائمة التغير تلون أشكال الصراع وتزكيه » (ص ٥ ـ ٦) .

أو كما نرى في تصوره لنظرة الجمهور الاسباني للمصارعة :

« الجمهور الأسباني لا يأخذها هكذا ابدا [أى لعبة يقتل فيها الرجل الثور أو الثور الرجل] ، إنها عنده مبارزة بكل ماتملكه الكلمة من معنى ، مباراة بين القوة الحيوانية الوحشية الغاشمة من ناحية ، والذكاء الانساني والرشاقة وسرعة الادراك والفطنة وسعة الحيلة من ناحية أخرى ، مباراة بين شجاعة الحيوان اللاواعية وشجاعة الانسان الواعية ، مباراة بين الحياة في بدائيتها القوية وبينها في رقيها الذي أضعف قدرتها العضلية وقوى قدراتها العقلية ، باختصار مباراة بين العضل والعقل » (ص ٢٣ ـ ٢٤) .

● **مزيج من الألوان النثرية ؟**

وهكذا نرى أن « رجال وثيران » عمل ادبي يقف في مرحلة وسط بين الرواية والتحقيق الصحفي والمقال الفلسفي الاجتماعي ، أو لنقل إنه مزيج من كل هذه الألوان النثرية ، وعلى كل حال فإن مسألة تصنيف هذا العمل لم تعد ذات أهمية كبيرة ، فالملاحظ خلال السنوات الأخيرة أن عالم الادب والنقد لم يعد يعترف بتلك التقسيمات التقليدية للأنواع الادبية ، ولا بتأثيرها في تقييم العمل الأدبي ، وما أكثر ما كتبت أعمال لم يقصد بها أصحابها أن تكون أدبا فتحولت بفضل ما اشتملت عليه من القيم التعبيرية والتصويرية إلى روائع خالدة .

وربما سبق إلى الذهن أن يوسف ادريس الذي عبر في أعماله الأدبية السابقة الى تصوير واقع المجتمع المصري في ريفه ، ومدنه عمد هذه المرة الى اختيار موضوع « رجال وثيران » من بيئة غير مصرية من اجل تقديم عمل يمكن وصفه بالعالمية ، غير أن الكاتب يتصدى لهذه البادرة في مقدمة كتابه فيقول :

« أحب ان اؤكد ان اختيار اسبانيا او اى بلد آخر من بلاد العالم ، تدور فيه أحداث قصة ليس هو الطريق ابدا لكى يصبح أدبا انسانيا عالميا ، لأن هذه الانسانية والعالمية ليس لها الا طريق واحد ، هو الكتابة بصدق ورأى واحساس عن انفسنا التى نعرفها ، أو عن غيرنا ممن لاتقل معرفتنا بهم عن معرفتنا بأنفسنا ، بل هو الطريق الوحيد لكى تصل الكتابة ـ اى كتابة ـ الى مرتبة الفن ـ أى فن ـ لا يهم محليا كان او عالميا » (ص ٥) .

وبالفعل استطاع يوسف ادريس أن يقدم لنا عملا أهم مايتميز به هو براعة التصوير وصدق التعبير والقدرة على نقل مشاعره وانفعالاته الى القارىء فى اسلوب محكم موجز بعيد عن الزينة اللفظية وعلى نحو يكاد يكون علميا .. وقد سبق أن أشرنا الى همنجواى وإلى أنه يكاد يكون الأديب الأجنبى الوحيد الذى صور مصارعة الثيران تصويرا صادقا أصيلا بعيدا عن السطحية التى كتب بها معظم من وصفوها من الأجانب ، ولكن همنجواى قضى سنوات طويلة عاش فيها الاسبان ، وأهل أمريكا اللاتينية وأطلع على خبايا حياتهم ونفسياتهم ، وكان يجيد اللغة الأسبانية اجادة تامة ، أما يوسف ادريس فهو يعترف بجهله باللغة ، وبأن كتابه كان ثمرة لزيارة قصيرة واحدة لأسبانيا قضى خلالها ساعتين من ظهر ذلك اليوم من أيام أغسطس المدريدية فى حلبة المصارعة .. ومع ذلك فقد جاء وصفه للمصارعة غاية فى الدقة ، وتحليله لنفسيات المصارعين ولجمهور المشاهدين آية فى النفاذ والعمق ، ولاشك فى أن ذلك يرجع لا إلى موهبة ادريس القصصية فحسب ، بل كذلك الى أنه ملاحظ واع تكفيه اللمحة الخاطفة والنظرة السريعة ، ولابد من أن تكوينه العلمى فى كلية الطب الذى سبق دخوله الى ميدان الكتابة القصصية كان رافدا من روافد ابداعه ، وهو ما نرى مصداقا له فى سائر انتاجه القصصى .

ولننظر على سبيل المثال الى وصفه لثور المصارعة وهو نموذج لروعة التصوير التى نشير إليها : « فتح باب الحظيرة ، واندفع الى الحلبة كائن اسود مدكوك القوام ما أن رأى الساحة خاوية والناس حولها فى احتشاد عظيم حتى توقف لبرهة ، لبرهة ، اذ ماكاد يلوح أحد المصارعين بعباءته من آخر الحلبة حتى بدا وكأن الثور ركبه الف عفريت ، اذ اندفع ، لا يجرى وانما يثور أو يغلى أو ينفجر جاريا ، كالصاعقة منقضا ، كالقوة الغاشمة العمياء لا يقيم وزنا لشىء ، وليس له إلا طريقة واحدة للتعبير عن قوة الحياة المحشودة داخله فى تضاغط هائل ، إلا أن ينطح بقرنيه ، وقرناه ليسا كقرنى ثيراننا المستأنسة بارزان الى الجانبين إنهما قرنان رفيعان كاسياخ الحديد بارزان الى امام على هيئة مسمارين مستقيمين ممتدين فى تواز ، وهو لا ينطح بهما أو برأسه أو باستعمال عضلات رقبته ، انه ينطح بكل جسده ، يندفع ككتلة سوداء اسطوانية مدكوكة باللحم والعضلات إلى الأمام فى سرعة هائلة وبكل جسده المندفع المحتشد يكتسح ما أمامه بقرنيه ، ولايهم أن يكون ماأمامه صخرا او حديدا أو إنسانا رقيقا حساسا بينه وبين هذه الحياة الشرسة الخرساء العمياء ملايين وملايين السنين من التطور والرقى » .. (ص ٢٠) .

لوحة رائعة بتصويرها الحى نجد مثيلات لها تتكرر على طول الكتاب ! .

ومع اعترافنا بدقة يوسف ادريس المدهشة فى وصفه حتى يبدو وكأنه قد خبر عالم مصارعة الثيران خبرة واسعة فان هذا الوصف لم يخل من هفوات لاتؤثر على جملة العمل ، ولايسعنا الا أن نلتمس فيها العذر للكاتب الذى كان عمله ثمرة لمشاهدة وحيدة لاحدى حفلات المصارعة .

"رجال وثيران"

١ ـ وأولى هذه الهفوات هي تصوره لمراحل المصارعة ، إذ يذكر أن المرحلة الثانية هي « مرحلة الفرس » (وهي ما يسميه الأسبان « سورتى دى باراس Suerte de varas » (ص ٢٣ ـ ٢٤) ، فهي ليست المرحلة الثانية كما ذكر الكاتب ، بل هي المرحلة الأولى ، أما ماسبقها من التلويح بالعباءات البنفسجية capotes فهي لاتعدو لونا من تعرف حركات الثور وطريقة جريه وهجومه ، وفي هذه المرحلة الأولى يقوم الفارسان (وهما البيكادورس Picodores) بغرس حربتيهما في أعلى جسد الثور بين العنق والظهر ، وذلك للتقليل من قوة الثور من ناحية ولتهييجه من ناحية أخرى ، أما المرحلة الثانية فهي التي يقوم بها « رماة الحراب القصيرة Banderilleros » ، وفيها يقوم ثلاثة من مساعدي المصارع بغرس ثلاثة أزواج من هذه الحراب Banderillas التي سماها المؤلف « الأعلام » في ظهر الثور ، وقد يقوم بها المصارع الرئيسي نفسه إذا كان مشهورا بطريقة فنية خاصة في رشقها ، وأما المرحلة الثالثة والرئيسية فهي التي يقوم بها المصارع الرئيسي بالخرقة الحمراء La muleta وهي التي تبدو فيها براعته في مداورة الثور في أنواع من الحركات لها في لغة المصارعة مصطلحات عديدة ، ثم تنتهي بقتل الثور ، على أن يكون ذلك سريعا وبشكل فني متعارف عليه .

٢ ـ ويتصور الكاتب أن تأخر المصارع (الماتادور el matador) في قتل الثور أو فشله في إظهار براعته في ذلك هزيمة ساحقة وكأنها نهايته حتى يبدو ذلك بالنسبة للكاتب وكأن المصارع « مسح من الوجود ، كأنه مات ، بل حتى الموتى يبقى لهم بعض الأثر ، أما هذا فلم يكن قد تبقى له عند الجمهور شيء ، لا شيء بالمرة تبقى له » (ص ٤٨) وفي هذا الكلام مبالغة كبيرة ، فكل مصارع مهما كانت قدرته وشهرته معرض لمثل هذا الموقف ، والجمهور حكم لا يرحم ، ولا تشفع هذه الشهرة والقدرة لأي مصارع فشلا واحدا ، إذ أن لكل مصارعة تقييمها المستقل الخاص ، وكثيرا ما يحدث أن يفشل مصارع في ثوره الأول فيستقبل الجمهور نهاية مصارعته بالصفير والاحتجاج وإلقاء الوسائد في الحلبة ، ثم يبدي من البراعة والبطولة في ثوره الثاني مايحمل الجمهور على الهتاف له والمطالبة بمنحه أذن الثور أو أذنيه وذيله (وهذه أعلى درجات التكريم) ثم يحمله المعجبون به على الأعناق .

٣ ـ ويقول الكاتب إن المرحلة الثالثة من مراحل المصارعة أي مرحلة المولیتا يقصد بها إرهاق الثور إلى درجة الاستسلام (ص ٨٥) ، وهذه هي المرحلة الرئيسية التي تتجلى فيها قدرة المصارع الحقيقية ، وهي جوهر المصارعة وختامها الذي يتوقف عليه تقييم عمل المصارع ، أما الثور فهو حيوان عنيد لا يستسلم ابدا ، بل انه يستمر أحيانا في الهجوم حتى بعد أن يسقط صريعا بالسيف ، وقد كان مقتل مانوليتي أشهر مصارعي اسبانيا في القرن العشرين في سنة ١٩٤٧ ، بقرني ثور كان قد فرغ من

قتله ، وكأن الرجل يتلقى تحية المشاهدين وهتافهم حينما نهض الثور (وهو فى حلاوة الروح) فطعنه بقرنيه طعنة قاتلة ثم انهار الثور على أثر ذلك وتهاوى جثة هامدة .

٤ ـ تصور الكاتب أن الفارسين يمكن أن يتدخلا لانقاذ المصارع وهو فى المرحلة الثالثة والأخيرة من المصارعة (ص ١٠٥) ، وهو أمر مستحيل ، لأن الفارسين حاملى الحراب الطويلة ينتهى عملهما بانتهاء مرحلتهما الأولى ، ولا يسمح لهما أبدا بدخول الحلبة من جديد ..

٥ ـ تصور الكاتب أن المصارع يجب عليه أن يهدى مصرع ثوره الثانى للفتاة التى أهدى لها مصرع ثوره الاول وانها غضبت لأنه لم يفعل (ص ٧٦ ـ ٧٧) ، وهو أمر لم تجر به العادة فى حفلات المصارعة ، ولعل الكاتب ذكر ذلك لكى يوحى لنا بأنه كانت بين المصارع والفتاة علاقة حب حميمة .

٦ ـ استنكر الكاتب موقف الجمهور الذى سرعان ما نسى المصارع الجريح الذى حمل الى مستشفى الحلبة ، وعاد يهتف لزميله الذى عهد إليه بقتل الثور بدلا منه (ص ١٣١) ، ويبلغ الامر بالكاتب إلى حد أنه « كاد يقف صارخا محتجا لاعنا هذا الجمهور الجاحد مطالبا إياه بالعودة لتركيز إرادته وهلعه وانتباهه مرة أخرى إلى الشاب الراقد فى الداخل » .. وفاته أن ذلك من القواعد الثابتة لفن المصارعة ، وأن المصارع اذا اختار لنفسه هذه المهنة فعليه أن يتحمل كل تبعاتها ، بما فى ذلك ما أشار إليه الكاتب ، والجمهور كما ذكرنا حكم لايرحم ، ولو أن مصارعا فشل فى عمله أو قدم عرضا هزيلا ثم لحقته اصابة فإن الجمهور قد يتعاطف معه « إنسانيا » ، ولكنه لايتردد فى إدانته واستهجان عمله « فنيا » ، ولا يشفع له ذلك لا إجادته فى مصارعات سابقة ولا إصابته في هذه المصارعة مهما كانت بالغة .

٧ ـ يقدم لنا يوسف ادريس فى نهاية روايته حوارا جرى بينه وبين صحفى اسبانى كان مصارعا سابقا ، وهو يجرى على لسان هذا الصحفى كلاما حول الهدف من حفلات المصارعة يقول فيه : « إن احصاءاتنا الرسمية تقول ان بلادنا تستقبل فى الصيف ، موسم المصارعة ربع مليون سائح يوميا .. الغ المصارعة تلغ الدولارات .. نحن نعرف هذا ، وأصحاب الفنادق يعرفون هذا ، وشركة كوك تعرف هذا ، ومصلحة السياحة عندنا .. والبنوك والحكومة والدولة والكنيسة .. كلها تعرف أن كذا رجلا سيقتلون فى هذا الموسم كذا ثورا ، وأن كذا ثورا ستقتل على وجه التقريب كذا رجلا ، ولا أحد أبدا يفعل شيئا لمنع هذا القتل ، بالعكس انها كلها تتعاون وتتسابق لكى يتم القتل على أكمل صورة ، الحكومة تصنع الدعاية فى الخارج وتدعو الناس من جميع أنحاء الأرض كى يحضروا إلى أسبانيا لرؤية المصارعة ، أى لحضور القتل ، وشركة طيراننا تنقلهم ، وأصحاب فنادقنا يصنعون كل مافى وسعهم لراحة المدعوين ، وشركات السياحة تهيىء لهم بجوار المشاهدة نزهات ونزوات ، والبلدية تقيم « الأرينا » (أى الحلبة) وتؤجر المقاعد ، والكل سعيد : السياح ينفقون بسعادة ، ونحن نقبض بسعادة .. لو كان الأمر بيدى لوضعت على الحجرة [التى

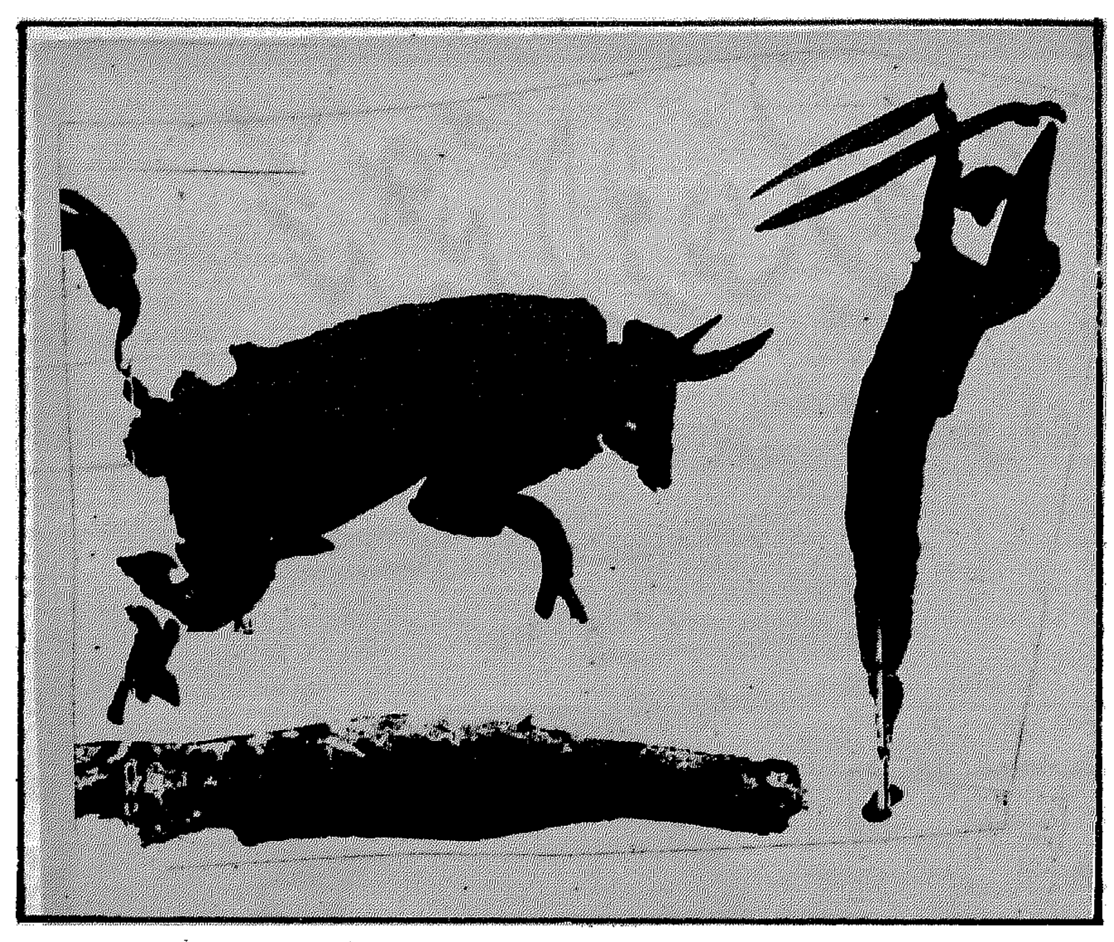
"رجال وثيران"

يرقد فيها المصارع الجريح] أو على قبره لافتة مكتوبا عليها بالخط الكبير : هنا يرقد شهيد مصلحة السياحة الذى قضى وهو يؤدى الواجب المقدس ، واجب تكديس النقود فى أيدى شركات الطيران ومديرى الفنادق وأعضاء المجلس البلدى والمؤسسات ومساهمى البنوك وأصحاب الكباريهات وشركات السفر والسياحة » .

● احتفالية وطنية

نقلنا هذا النص الطويل لأنه آخر ما يبقى فى ذهن القارىء من الكتاب ، ولأنه يمس أمرا جوهريا متعلقا بالهدف الحقيقى من المصارعة ، ولايهمنا فى هذا النص ما إذا كان الكلام الذى ساقه يوسف إدريس معبرا حقا عن رأى ذلك الصحفى الأسبانى ساقه المؤلف فى موضوعية وحياد أو هو رأيه الخاص .. وإنما يهمنا أن من يقرأ هذا النص يخيل إليه أن مصارعة الثيران شىء اخترعته حكومة اسبانيا ومؤسساتها خلال السنوات الأخيرة من أجل استجلاب السياح ، وهو رأى خاطىء تماما فالمصارعة وجدت فى أسبانيا منذ العصور الوسطى ، وقد عرفها المسلمون فى دولة بنى الأحمر فى غرناطة خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، والأرجح أنهم عرفوها قبل ذلك بتاريخ طويل ، وظلت حفلات المصارعة تقام منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، قبل أن تعرف السياحة وقبل أن توجد البنوك والمجالس البلدية وشركة كوك ، ثم إن جمهور المصارعة معظمه من الأسبان الذين يفهمون أسرار هذا الفن ودخائله ، وأما السياح الأجانب فقصاراهم أن يحضروا حفلة واحدة من قبيل حب الاستطلاع ثم لا يلبثون أن يعرضوا عنها ، وكثيرا ما رأيت فى حلبات المصارعة من سائحين انجليز أو أمريكيين لايكادون يرون مشاهدها الأولى حتى يشيحوا بوجوههم فى امتعاض شديد ويرمون الشعب الأسبانى بالقسوة والوحشية ، وكأنهم لم يمارسوا من قبل فى مستعمراتهم أو مع الهنود الحمر من أساليب القسوة ماهو أفظع من هذا بكثير وإذا كانت أسبانيا قد عرفت كيف تستخدم المصارعة موردا للسياحة فهذا دليل على حسن استغلالهم لكل مواردهم ، ولكن المصارعة تبقى كما ذكرنا هى « الاحتفالية الوطنية » التى لاتحتاج أبدا إلى أن يكون روادها من السياح ، وقد سبق أن قرأت لأحد الكتاب من أساتذة الجامعة مقالا يقول فيه إن أسبانيا تعيش فى سياحتها على الآثار الاسلامية فيها ، وهو حكم لا يقل خطأ عن سابقه ، صحيح أنها تعتنى بهذه الآثار وتقدمها فى أحسن صورة وهو أمر ينبغى أن نشكرها عليه ، ولكن تصور اعتمادها الكلى على هذه الآثار مبالغة وإغراق فى الخيال ، ونحن نملك مثلا ثلث آثار العالم من فرعونية ومسيحية واسلامية فإذا لم نعرف كيف نجذب ملايين السائحين إلى بلادنا بهذه الآثار فما علينا إلا أن نلوم انفسنا .

أما مصارعة الثيران فإن لها دلالة مرتبطة بتكوين اسبانيا ذاتها ونفسية اهلها ، اسبانيا بلد يتسم تاريخها كله بالصراع .. وخلال نحو عشرة قرون هى



نالت مصارعة الثيران اهتمام الفنان التشكيلى الأسبانى .. وهذه لوحة للفنان بيكاسو

جملة تاريخها فى العصور الوسطى ومطلع العصر الحديث دار على أرضها صراع لا ينتهى : بين المسلمين والمسيحيين وبين الدول المسيحية بعضها وبعض ، وبين الملوك والاقطاع ، وبين الأحزاب

المتناحرة بعضها وبعض ، وهو صراع كان من آخر مظاهره فى القرن العشرين انفجار الحرب الأهلية التى استمرت ثلاث سنوات (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) ، والصراع يؤدى بالجمهور إلى تمجيد البطل والاعتداد بالبطولات الفردية أيا كانت ، وقد عرف الأسبان كيف يكيفون هذه البطولة الفردية ويتخذون لها صورة يفرغون فيها تمجيد الانسان الذى يغامر ـ بل يقامر ـ بحياته لارضاء الجمهور ، ومصارع الثيران بالنسبة لهم هو ذلك البطل الذى صبت فيه كل الرغبات الكامنة فى نفوس الأسبان والمترسبة على مدى العصور المتعاقبة فى تمجيد البطولة الفردية ، هذا فى نظرى هو التفسير الحقيقى لظاهرة المصارعة التى أعد فهمها ضروريا لفهم نفسية الشعب الأسبانى على طول تاريخه .

ومع اختلافنا مع يوسف إدريس فى بعض المقولات التى طرحها فى هذا العمل الفنى الذى أعده من روائع كتاباته ، فإننى لا أملك إلا الإشادة بهذه التحفة الصغيرة التى خرج بها الكاتب عن الخط المألوف فى مسار حياته القصصية ، وأرى من الغريب ألا يظفر هذا الكتاب من عناية الدارسين والنقاد بما هو جدير به .

محمد عبد الوهاب

بين مطربى أمير الشعراء

بقلم: كمال النجمى

هل كان الموسيقار محمد عبد الوهاب هو المطرب الوحيد فى حياة امير الشعراء احمد شوقى ، والملهم الوحيد له بالمقطوعات الشعرية والزجلية ، ام ان عبد الوهاب كان واحدا فى سلسلة من مطربى امير الشعراء منذ اواخر القرن التاسع عشر الى الثلث الأول من القرن العشرين ؟



يثير في معرض الإشادة بالموسيقار محمد عبد الوهاب - رحمه الله - أنه كان يلهم أمير الشعراء أحمد شوقي في كثير من قصائده الوجدانية، وأنه نظم من أجله وحده القصائد التي لحنها وغناها.

وقيل إن القصائد التي غناها عبد الوهاب قد نظمها شوقي لا لشيء إلا ليغنيها عبد الوهاب، ولولاه لما كان قد نظمها ولا خطرت له على بال.

[illegible] قيل إن الشرقيات التي غناها عبد الوهاب بعد رحيل شوقي بعهد طويل هي مما كان شوقي قد نظمه ليغنيه عبد الوهاب، فلم يتيسر له غناؤه في حياة شوقي، ثم تيسر له فيما بعد.

وقيل أيضاً إن شوقي كان يترفع عن نظم الأزجال العامية، ولولا محبته لمحمد عبد الوهاب ورغبته في مساعدته يترنم بكلمات من نظمه شعراً كانت أو زجلاً لما أجرى قلمه على الوزن بكلمات عامية.

وهذا معناه أن شوقي لم ينظم قط زجلاً عامياً قبل معرفته بعبد الوهاب وصحبته.

واصطحب هذا القول بضروب من الإشادة بالأغاني [illegible] التي نظمها شوقي لكي يغنيها عبد الوهاب وحده، دون غيره من مطربي عصره ومطرباته، وكانوا كثيرين، [illegible] بالكثيرين منهم من حفلات وصداقات.

والوهلة الأولى يبدو أن أمير الشعراء لم ينظم شيئاً من الشعر الفصيح أو [illegible] إلا منذ التقى بعبد الوهاب سنة ١٩٢٤، فكأنما عاش أمير الشعراء [illegible] من حياته قبل معرفته بعبد الوهاب لم ينظم فيها بيتاً من الشعر أو الزجل للمطرب والمطربة، ثم تفجر فجأة منذ سنة ١٩٢٤ إلى أن توفي سنة ١٩٣٢ في نظم أغاني الشعر والزجل من أجل عبد الوهاب وحده.

وهذا كله غير صحيح، وإن كان يتسع له أنه قيل في موقف الوفاء لعبد الوهاب المطرب والمسجل الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بصوته وألحانه وحياته الحافلة المديدة ...

ومهما نحتشد في الأجزاء الأربعة من دواوين شوقي، فلن نجد فيها شعراً نظمه ليغنيه عبد الوهاب، إلا القطعة الصغيرة المشهورة التي غناها في حفلة أقامها ملك العراق فيصل الأول سنة ١٩٣١ في قصره ببغداد، وهي تسعة أبيات، منها:

يا شراعاً وراء دجلة يجري
في دموعي تجنبتك العوادي
سر على الماء كالمسيح رويداً
واجر في اليم كالشعاع الهادي
قف تمهل وخذ أماناً لقلبي
من عيون المها وراء السواد
[illegible] تنشر الحياة وتبلى
كنداء الأبوة الأمجاد

وقد سجل عبد الوهاب هذه الأبيات على أسطوانات شركة بيضافون سنة ١٩٣٢ ولم يستخدم فيها من الآلات الموسيقية إلا العود، وتعتبر من بدائع غنائه.

هذه الأبيات نظمها شوقي من وحي عاطفة حين رأى عبد الوهاب قد [illegible] رحلته الطويلة من القاهرة إلى بغداد، وكانت هذه الرحلة في ذلك العهد [illegible] البادية [illegible] الطويلة الآماد والشهور، وكان عبد الوهاب أول [illegible] في [illegible] رحلته فكان شوقي

شديد الاشفاق عليه ، ولهذا نراه يرفع يديه بالدعاء والتضرع الى الله قائلا لعبدالوهاب : «تجنبتك العوادى»! بعد أن شبهه بزورق يجرى فى دموعه ، وجعل دموعه التى يجرى فيها عبد الوهاب موازية لمياه دجلة الطامية الجارية من اول الزمان !

هذه هى القطعة الشعرية الوحيدة التى نظمها شوقى ليغنيها عبد الوهاب ، وانما نظمها استجابة لانفعالات الوداع ، لا لدواعى التلحين والغناء ! ..

اما بقية القطع الفصيحة التى غناها عبدالوهاب من شعر شوقى ، فأشهرها «ياجارة الوادى» .. و «مقادير من جفنيك» و «أنا انطونيو» و «علموه كيف يجفو» .. و «ردت الروح» .. و «تلفتت ظبية الوادى» .. و «سجا الليل» .. و «جبل التوباد» .. فهذه القطع الشعرية وأخواتها لم ينظمها شوقى لكى يغنيها عبدالوهاب ، ولكن عبدالوهاب واصدقاءه ومستشاريه اقتطعوها من ديوان شوقى ، بأعتبارها ابياتا تصلح للتلحين والغناء ، وكان ممكنا ان يلحنها اى مغن اخر ، وأن يغنيها اى مغن غير عبدالوهاب .



● دواوين شوقى وطبعاتها

فشوقى اذن لم ينظم لعبدالوهاب شعرا فصيحا ليلحنه ويغنيه ، الا تلك القطعة الواحدة التى غناها فى حفلة ملك العراق ، ولكن شوقى نظم لعبدالوهاب الكثير من المقطوعات العامية وأراده أن يغنيها فغناها وأطربه وأطرب الناس ..

لكن الظن بأن شوقى لم يمارس نظم الزجل العامى الا فى اغانيه لعبد الوهاب ، هو ظن بعيد عن الواقع ، لأن لشوقى تاريخا قديماً قبل معرفته بعبد الوهاب نظم خلاله مقطوعات عامية لمطربين من أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ..

ويبدو أن كثرة ما نظمه شوقى لعبدالوهاب من المقطوعات العامية ، هى التى جعلت بعض الذين تحدثوا عن عبدالوهاب بعد رحيله ، يقولون ان شوقى لم يكتب اغانى لأحد من المطربين قبل معرفته بعبد الوهاب سنة ١٩٢٤ .



عبد الوهاب .. دائما كان مع احمد شوقى

وأغراهم بهذا القول أن ديوان شوقى المطبوع سنة ١٨٩٩ والذى أعد طبعه بنصه كاملا سنة ١٩١١ ، ثم أعيد طبع جزئين منه سنة ١٩٣٢ بعد حذف مديح الخديو عباس حلمى الثانى .. هذا الديوان بطبعاته الثلاث هذه وما تلاها من طبعات حافلة بالأخطاء المطبعية ، لايحمل اشارة واحدة الى شىء من الشعر الفصيح تظمه شوقى ليغنيه المطربون .. دعك مما نظمه من الزجل ، فهذا لم يكن ليكون فى حسبان شاعر عظيم يلقب بأمير الشعراء ويعتبر نفسه كما يعتبره عارفوه حارسا على العربية ..

لكن المؤكد أن شوقى نظم شعرا فصيحا وزجلا عاميا لكى يغنيه مطربو أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قبل لقاء شوقى وعبدالوهاب بأكثر من ثلاثين عاما ..

ولم يكن ذلك معروفا للباحثين فى شعر شوقى ، حتى جمعت أسرته بعد وفاته بأكثر من عشر سنوات ، بقية من شعره لم تنشر فى الطبعات الثلاث لديوانه ، وتولى صديقنا الاديب المحقق الاستاذ محمد سعيد العريان - رحمه الله - تحقيق هذا الشعر ، وأشرف على طبعه واصداره فى جزء خاص اعتبره الجزء الرابع من ديوان

شوقي ، وكان صدور هذا الجزء سنة ١٩٤٣ .

وفى سنة ١٩٦١ صدر كتاب «الشوقيات المجهولة» للأديب العلامة المرحوم الدكتور محمد صبرى الذى لقب بالسربونى لأنه تخرج فى جامعة السربون الباريسية بعد ان طلب العلم فيها زمنا طويلا ..

وبظهور الجزء الرابع من الشوقيات ، ثم ظهور «الشوقيات المجهولة»؟ اتضح ان الموسيقار محمد عبدالوهاب لم يكن هو الذى الهم «شوقي» نظم الأغانى بلونيها الفصيح والعامى فقد كان شوقى منذ شبابه الأول شديد المحبة لفن الغناء ، عظيم التقدير لأعلامه الكبار ، ولم يمنعه منصبه فى الديوان الخديوى من نظم الاغانى لعبده الحامولى ومحمد عثمان وسلامة حجازى وغيرهم ..

والمتأمل لديوان شوقى يطالع فيه مراثى نظمها ـ وكان حريصا على نظمها واطالتها ـ وداعاً لكل مطرب من هؤلاء عند لحاقه برحمة الله ـ وكان آخر من رثاه من هؤلاء الأعلام سيد درويش سنة ١٩٢٣ قبل عام واحد من لقائه بعبد الوهاب ،

حول الاسرة البيضاء .. بعد الوردة البيضاء



خليفة سيد درويش !

● الاغانى المجهولة والمعروفة

كان كبار المطربين من أعز خواص شوقى وثقاته وأصفيائه ، فنظم لهم فى شبابه أغانى عامية ، وفصيحة ، أعترف بنسبة بعضها اليه ، وترك بعضها الآخر مجهول النسب !

ويقول الدكتور محمد صبرى السربونى فى «الشوقيات المجهولة»

« هناك مخطوطات مجهولة لشوقى لم تنشر بعد ، ومخلفات ادبية كتب معظمها فى طور الشباب ، وبعض هذه الآثار طمست معالمها وطواها الزمن فى جوفه ولم يشر اليها دارسو شعر شوقى والمستقصون سيرة حياته ، ومن جملة ما عثرنا عليه من هذه الآثار المجهولة .. مقطوعات غنائية وضعها لعبده الحامولى والشيخ سلامة حجازى .. وفى وسع الدارس المطلع أن يميزها عن غيرها من اسلوب شوقى والفاظه » .

وقد سها الدكتور السربونى عن اسم «محمد عثمان» مع انه المطرب الذى غنى معظم اناشيد شوقى « شبه الرسمية» فى اواخر القرن التاسع عشر .. ولكن الدكتور السربونى أورد فى كتابه نص نشيدين نظمهما شوقى ولحنهما وغناهما محمد عثمان ، أحدهما غناه فى كانون الثانى (يناير) والاخر فى شباط (فبراير) من سنة ١٨٩٩ م ، ويورد الدكتور السربونى نبأ الحفلة التى غنى فيها محمد عثمان نقلا عن العدد الصادر من جريدة المؤيد فى شباط (فبراير) ١٨٩٩ م على النحو التالى :

« احيت لجنة اصدقاء حلوان الخيرية ليلتها الثالثة التى اسفر صباحها عن يوم الجمعة امس ـ يوم الاربعين للمكتب ـ تحت رعاية احد الأمراء .. ترنم محمد عثمان واعضاء التخت على «المرسح» بهذا النشيد ـ من تأليف شوقى ـ لمناسبة تشريف الأمير :

اشرقت حلوان بابن محييها
يعلى الشان ، بدر ناديها
زارها الغيث ، من بدا فيها
واتى الغوث ، لأهاليها

ولحن محمد عثمان نشيدا ثالثا لشوقى يقول فيه :

يارينا ياذا المنن
اكثر مدارس الوطن
واجزل الاجر لمن
يجرى على هذا السنن
وهب لنا فيما تهب
حسن الثبات فى الطلب
وفضل علم وادب ..
كى ترتقى منا الفطن ..

وفى كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٠٠ م ـ وكان محمد عثمان قد مرض ولزم الفراش ـ نظم شوقى نشيدا على لسان الجمعية الخيرية الاسلامية وعهد بتلحينه الى الشيخ سلامة حجازى وانشدته «جوقة التمثيل» فى دار الأوبرا ..

وكانت المقدمات الغزلية للمدائح التى ينظمها شوقى فى الخديوى ، تجد طريقها احيانا الى حناجر المطربين ، وقد غنى له

عبده الحامولي ومحمد عثمان ويوسف المنيلاوى وعبد الحى حلمى بعض هذه القطع الغزلية ، ولم يكونوا يحتاجون الى استئذانه فى تلحينها وغنائها ..

والى شىء من ذلك أشارت الصحف عند افتتاح معهد الموسيقى الشرقية رسميا فى ٩ من كانون الثانى (يناير) سنة ١٩٣٠م .. وقالت مجلة «مصر الحديثة المصورة» فى هذه المناسبة :

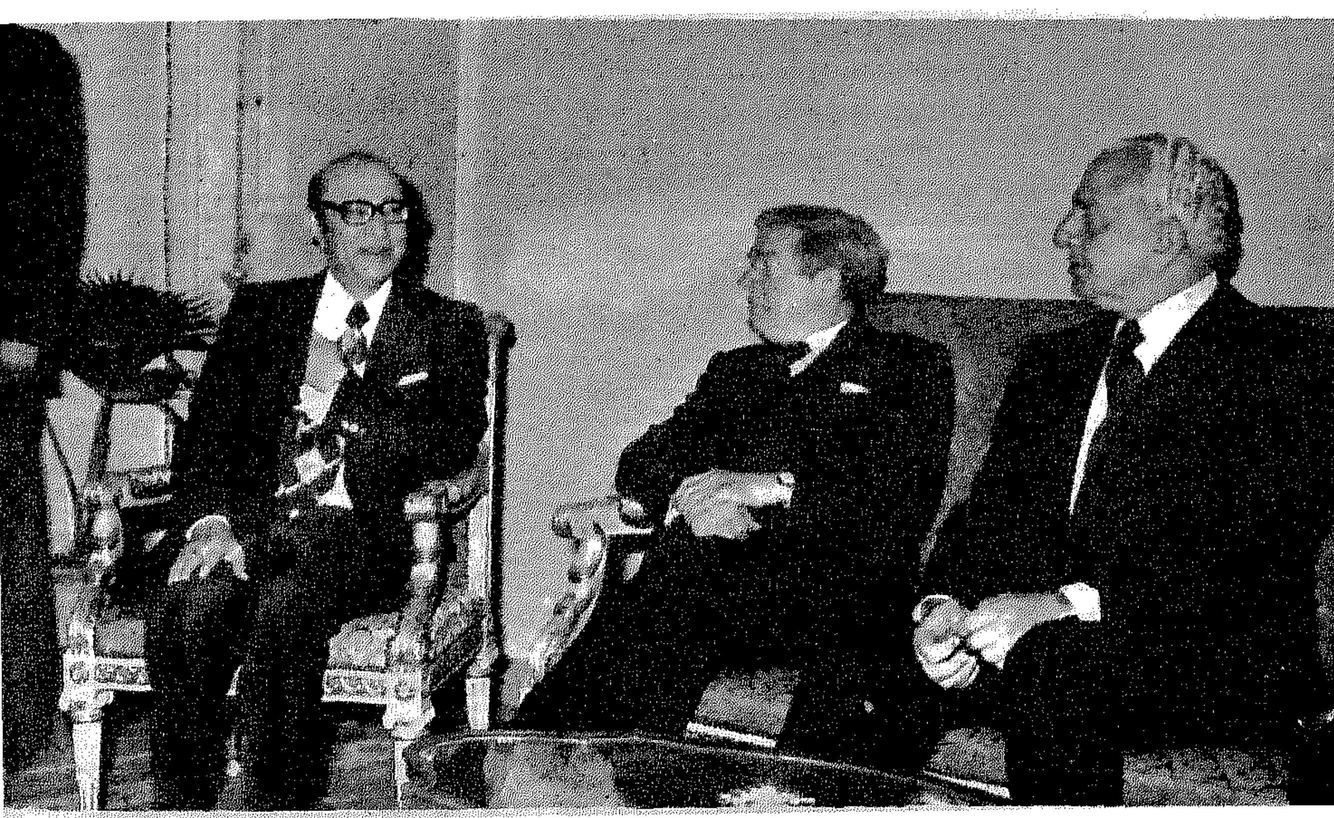
« ألقى الاستاذ على الجارم ـ فى الحفل ـ قصيدة شوقى بك أمير الشعراء ، وليس بكثير على شوقى بك أن يرحب بفن الموسيقى ، فشوقى الذى مون مطرب عصره سى عبده ـ اى الحمولى ـ بالأدوار والمقطوعات المختلفة ، والذى ساعد نبوغ عبدالوهاب على الظهور بعد ما كان متواريا ، والذى يعضد جميع هيئات الموسيقى باشتراكه فى مجالس اداراتها .. ليس ببعيد على شوقى وهذه مكانته فى الفن ، وهذا عشقه للأصوات المشجية المرددة لأغانيه ان يقدم له هذه الدرة الثمينة» .. ثم أوردت المجلة ابياتا من قصيدة شوقى التى القاها الجارم فى ذلك الحفل ومطلعها :

خطت يداك الروضة الغناء
وفرغت من صرح الفنون بناء

وفيها اشارة الى عبد الوهاب وأم كلثوم بقوله :

لما بنيت الايك واستوهبته
بعث الهزار وارسل الورقاء

عبد الوهاب عندما تسلم الاسطوانة البلاتينية



« ساعة وصالك وقربك اغلى من العمر عندى »



والهزار ـ بفتح الهاء ـ هو الطائر المغرد المعروف ويقصد به عبدالوهاب اما الورقاء ، وهى الحمامة ذات الهديل فيقصد بها أم كلثوم .

● شوقي والمواويل

هكذا ذكرت المجلة ان شوقى قد «مون» عبده الحامولى بالأدوار والمقطوعات

بلاش تبوسنى فى عينى .



المختلفة ، اى أنه نظم له الأدوار ـ وهى لاتكتب الا بالعامية ـ كما نظم له المقطوعات التى تكتب بالفصحى ، ولايمكن أن يكون المقصود بالمقطوعات هنا «الطقاطيق» لأن فن الطقطوقة لم يكن معروفا فى عصر عبده الحامولى ، ولكن من الممكن ان يكون المقصود هنا هو المواويل .

ويقول الدكتور صبرى السربونى فى «الشوقيات المجهولة» عن الصلة بين الشاعرين الكبيرين اسماعيل صبرى باشا وشوقى بك :

« اقتفى شوقى اثر صبرى فى نظم الأغانى لعبده الحامولى وغيره من كبار الفنانين .. ومن أغانى صبرى ما نظمه لعبده الحامولى سنة ١٨٧٢ .

خلى صدودك وهجرك
واطفى لهيبى ووجدى
ساعة وصالك وقربك
اغلى من العمر عندى

ـ ومن اغانى صبرى باشا أيضا :

الحلو لما انعطف
اخجل جميع الغصون
والخد لما انقطف
ورده بغير العيون

... وهذه الأغنية منسوبة خطأ الى مؤلف الأغانى الشيخ محمد الدرويش .. ولاشك فى أن بعض الأغانى المنسوبة الى الشيخ الدرويش هى من نظم صبرى باشا وشوقى بك ولكنها مازالت الى اليوم منسوبة الى ذلك الشيخ الذى كانت له شهرة فى نظم الأزجال للمغنين » .

وإسماعيل صبرى باشا هو مؤلف

الأدوار المشهورة التى لحنها وغناها محمد عثمان مثل : «قدك امير الاغصان» و «عشنا وشفنا سنين» و «قد ماأحبك زعلان منك» و .. «اصل الغرام نظرة» و «عهد الاخوة نحفظه» و «بستان جمالك» .

وبعض هذه الأدوار ينسب الى غير مؤلفها ، لأن مكانته الاجتماعية كانت تدعوه الى التنصل من تاليف الاغانى ، وكان تاليفها قبل مائة سنة غير معهود فى طبقة الباشوات والبكوات ..

● قبل أن يولد عبد الوهاب

اما شوقى فثمة أدوار له غناها عبده الحامولى ومحمد عثمان ويوسف المنيلاوى وسلامة حجازى ، يضيق المجال عن حصرها ، وهى تدل بوضوح على أن احمد شوقى مثل استاذه اسماعيل صبرى ، قد بدأت صلته بالغناء والمغنين ، سماعا وتاليفا للأغانى قبل لقائه بعبد الوهاب ، بل قبل أن يولد عبدالوهاب بعشرين عاما .

فلم يكن عبدالوهاب هو الذى دعا شوقى الى كتابة الأزجال العامية للغناء ، فان شوقى كانت له تجربة طويلة قديمة فى هذا المجال ، وقد انقطعت هذه الصلة بعد وفاة جيل المطربين الكبار ، واحدا بعد واحد ، ثم خروج شوقى منفيا عن مصر بين سنتى ١٩١٥ م . و١٩٢٠ م ، فلما عاد الى مصر ، ووجد تباشير نهضة جديدة فى الغناء ، وأصواتا جميلة اخذت مكان الأصوات الراحلة ، نشط الى تاليف الاغانى الزجلية ، وأستعاد نشاطه القديم فى هذا المضمار ، بادئا بسيد درويش ، ولكن مشروعاته مع سيد درويش لم تر النور ، لانه رحل مبكرا سنة ١٩٢٣ م ولما تعرف شوقى الى عبد الوهاب سنة ١٩٢٤ م ، استأنف مشروعاته فى تأليف الاغانى الزجلية ..

تلك هى القصة الحقيقية على وجه التقريب للأغانى التى الفها أمير الشعراء احمد شوقى لعبد الوهاب وللرعيل الأول من المطربين ، فلم يستلهم شوقى عبدالوهاب شعرا ولا زجلا ، ولكن عبد الوهاب اعاد «شوقى» الى نظم الازجال للغناء بعد ان انقطع عنها منذ وفاة عبده الحمولى سنة ١٩٠١ الى أن التقى بعبد الوهاب فتذكر هوايته فى نظم الاغانى ،

ولكنه لم ينظمها على الطريقة القديمة ، بل ابتكر لها لغة شعرية زجلية جديدة فذة قاربت لغة الشعر الفصيح ، وجاءت احيانا بما لايأتى به الشعر الفصيح ، وأعانت شوقى على التعبير عن وجدانه كما لم يعبر عنه باللغة الفصحى ، حتى ليمكن القول بأن أجمل واكمل ما نظمه شوقى من شعر الوجدان والغزل ، هو ما نظمه زجلا عاميا لأغانى عبدالوهاب خاصة ! ..

وحسب عبدالوهاب كرامة عند اهل الأدب ان يكون قد اسدى الى الأدب هذه اليد البيضاء ، ناهيك بما اسداه من أياد لاتحصى الى الغناء والموسيقى .. يرحمه الله .


محمد عبد الوهاب
ومشكلة
الاصالة
والمعاصرة
د. جلال أمين

اظن أن كل مصرى فى مثل سنى لابد ان يحمل محمد عبد الوهاب فى عظامه ، اذا جاز هذا التعبير ، إن عبد الوهاب يتربع على عرش الموسيقى والغناء فى مصر منذ نحو ستين عاما ، وهو فضلا عن ذلك فنان بالغ الحيوية والنشاط ومدله بحب الحياة ، فله فى كل مناسبة اغنية وفى كل مهرجان نصيب .. اذا ظهرت السينما مثّل ، واذا ظهر الراديو غنى من خلاله ، واذا ظهر التسجيل على الاسطوانات ثم الكاسيتات انشا شركة للتسجيل ، واذا حلت الأوركسترا محل التخت القديم استخدم الأوركسترا فى اغانيه ، واذا ظهرت آلة جديدة ادخلها فى الحانه ، فاذا جاء عصر التليفزيون حظيت افلامه القديمة باضعاف جمهورها القديم ، ولم يرفض الرجل الظهور فى جلسات مطولة ليتحدث عن حياته وفنه ..

وهو رجل يدرك منذ وقت طويل جدا اهمية وسائل الاعلام فعرف كيف يستخدمها لصالحه وصالح فنه ، بل واستطاع ان يحجب عنها اى خبر لايجده فى صالحه سواء تعلق الأمر بوعكة برد صغيرة او حتى بعمره الحقيقى ..

وهو على صلة حميمة بكل رجل عظيم وكل صاحب سلطان ، من احمد شوقى امير الشعراء الى الملوك والرؤساء العرب ، على مر العصور واختلاف المشارب والاتجاهات السياسية ، وكرمه الرؤساء المتتالون : عبد الناصر والسادات ومبارك على السواء ، حتى انعم عليه السادات بلقب اللواء والدكتوراة الفخرية ، ودخل عضوا فى مجلس الشورى ..

لقد ظل عبد الوهاب يقاوم الزمن بنجاح باهر ، سواء فى مظهره او فيما يتعلق [illegible] الفنية [illegible] منذ سنوات قليلة الا ان يخرج لنا اغنية جديدة (من غير ليه) استخدم لها فيما يبدو كل وسائل التكنولوجيا الحديثة لاخفاء اثر الزمن على صوته ، وكل وسائل الاعلام الحديثة ليضمن لها اوسع انتشار ممكن .

* * *

ولكن الحقيقة انني لا اكتب عنه لهذا السبب ، وانما لسبب آخر له صلة وثيقة بمشكلة الأصالة والمعاصرة .. فعبد الوهاب يطرح بالحانه هذه القضية بصورة بالغة القوة والوضوح .. والسؤال هو : هل كان الحل الذى قدمه محمد عبد الوهاب لهذه المشكلة هو الحل الصحيح ؟ بعبارة اخرى : هل هذا المزج والتركيب الذى قدمه عبد الوهاب فى موسيقاه بين الموسيقى العربية وتراثها ، وبين الموسيقى الغربية هو افضل تركيب او توفيق ممكن ؟

او على الأقل : هل علينا ان نبارك هذا الطريق الذى سلكه عبد الوهاب فى

هذا المجال ونؤيده ؟

ان هذا السؤال المتعلق بالأصالة والمعاصرة ، كما يعرف القارىء ، يؤرق كثيرا من المثقفين المصريين والعرب منذ فترة ، ليس فقط فيما يتعلق بالموسيقى ، بل وبسائر الفنون والآداب بل وفيما يتعلق ايضا بحياتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، الى اى مدى يجوز (او يجب) ان نقتبس من الغرب ، والى اى مدى يجوز (او يجب) ان يهون علمنا تراثنا فى الثقافة والقيم والعادات وانماط السلوك ..

إن المثقفين المصريين والعرب مختلفون حول هذه القضية باختلاف امزجتهم ، وتنوع تكوينهم الثقافى ، وباختلاف نمط تعليمهم ، وتربيتهم ولكن هذا لايمنع من ان تكون القضية قابلة للحسم بوجه او بآخر ، وان تكون بعض الآراء اقرب الى الصواب من غيرها ، وسابدا فى تناول الموضوع ، فيما يتعلق بعبد الوهاب واثره فى موسيقانا ، بداية شخصية بحتة ..

* * *

كنت وانا فى الثانية عشرة من عمرى

محمد عبد الوهاب وزوجته اقبال نصار ايام الالهام



او نحوها ، ادخل فى جدل عنيف مع بعض رفاقى فى المدرسة ، الذين لهم مثل اهتمامى بالموسيقى والغناء او اكثر ، حول ما اذا كان « عبد الوهاب افضل ام ام كلثوم ؟ » .

والسؤال ، كما هو واضح ، شديد السذاجة ، ولكن موقفى منذ ذلك الحين ظل يعكس موقفا لم يتغير لدى حتى الآن من مسألة الاصالة والمعاصرة .

كنت اقف الى جانب « ام كلثوم » بكل جوارحى ضد عبد الوهاب ، بكل ما تمثله مؤسسة ام كلثوم من موقف من التراث بالمقارنة بموقف عبد الوهاب منذ الاربعينات على الأقل ، اى منذ بدأ وعيى بالموسيقى والغناء يتشكل ، ليس فقط فيما يتعلق بنوع اللحن الذى يغنيه كل منهما ، ولكن ايضا فيما يتعلق بتفضيل ام كلثوم لكلمات رامى وبيرم التونسى ، وقبول عبد الوهاب لكلمات حسين السيد فضلا عن مستوى النطق للكلمات العربية لدى كل منهما ، ومدى مسايرة اللحن للكلمات ومدى السماح للحن بتقطيع اوصال الكلام .

كان ظهور اى اغنية جديدة لعبد الوهاب يعتبر بالنسبة لى حدثا هاما ، ولازلت ، مثلى فى ذلك مثل الملايين من المصريين والعرب ، تدخل فى تكوين وجدانى اغنيات الكرنك والنهر الخالد

عبدالوهاب .. واحد من قلة تطورنا الثقافى فى القرن العشرين



وكل ده كان ليه .. الخ سواء ما تاثر من اغانيه بالغرب تاثرا شديدا ، وما لم يتاثر .. ولكن هذا لايمنع من اني كنت ولازلت استهجن من عبد الوهاب الدرجة التي سمح ان يفتح بها باب موسيقاه للتاثر بالموسيقى العربية ..

كان احيانا يذهب في هذا الصعود الى درجة تكاد لاتطاق ، اني لا اقصد بالذات اقتباسه لهذا النغم او ذاك من قطعة غربية معينة لباخ او فيردى او غيرهما (وإن كان هذا في رأيي غير مقبول بالمرة) ..

وانما اقصد على الاخص ذلك الاتجاه الغالب على ما الفه في الاربعين سنة الاخيرة ، من حيث غلبة الطابع الغربي غلبة ساحقة على موسيقاه ، حتى ما كان منها ابداعا خالصا منه ، اني اشعر بذلك بشدة ازاء عدد لانهائي مما كتبه في هذه الفترة ، من اغنية الفن وبداية اغنية عاشق الروح او همسة حائرة حتى تصل الى بعض اجزاء آخر اغانيه .. « من غير ليه » وهنا يثور السؤال الجوهري .

ماهو بالضبط الخطا في هذا ؟ فلنتفق على أن اخذ (او اقتباس) قطعة موسيقية غربية الفها رجل غربي ، وتضمينها في مؤلف موسيقي يحمل اسم مؤلف عربي ، هو امر غير جائز ، ولكن ماهو الخطا في ان يكتب امرؤ موسيقى لها « طابع » غربي محض ، مادامت موسيقى جيدة ومؤثرة وفعالة ومن نتاج قريحة الفنان نفسه ؟

● سؤال صعب !

لا اخفي على القارىء أني اجد السؤال صعبا للغاية ، ولكني اعتقد في نفس الوقت انه سؤال مهم ، واننا لو استطعنا الاجابة عليه ، في مجال الموسيقى ، ربما نكون قد وصلنا الى الحل الصحيح في مشكلة الاصالة والمعاصرة باسرها ، افليس هذا السؤال هو نفسه السؤال الذي يواجهنا في كل مجال آخر من مجالات حياتنا الثقافية والاجتماعية ؟ : لماذا لانلبس القبعة بدلا من العمة او الطربوش اذا كانت اكثر فعالية في اتقاء الحر والبرد وكانت اجمل منظرا ؟ لماذا لانبني مبانينا وفقا للطراز الأوربي الحديث اذا كان اقل تكلفة من معمارنا العربي والاسلامي القديم ويؤدى نفس الغرض بنفس الكفاءة او اكثر ؟ لماذا لانغني في اعياد ميلادنا نفس اغاني الغرب اذا كانت اكثر مرحا او اكثر توفرا ومادامت مفهومة من الحاضرين ، ولماذا يعتبر البعض هذا السلوك « غير لائق » ..

وهكذا ، يمكن مضاعفة الاسئلة الى مالا نهاية .. كما يمكن وضعها بطريقة اخرى : لماذا كل هذا العناء الذي تحمله اشخاص مثل حسن فتحي لاحياء التراث المعماري المصري ، ومثل الشيخ محمد عبده للافادة من الغرب دون التضحية بالتراث ، ولماذا لانقبل عن طيب خاطر ما دعا اليه طه حسين مرة في « كتاب مستقبل الثقافة في مصر » .

« أن نسير سيرة الاوربيين ونسلك طريقهم » وان نقبل من حضارتهم

« خيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، ومايحب منها ومايكره ، وما يحمد منها ومايعاب » ؟ وما فعله يوسف شاهين في السينما ، وهو مافعله ايضا محمد عبد الوهاب في الموسيقى ؟

● طريق التغريب !

إن عبد الوهاب هو في رأيي ليس إلا واحدا من قادة تطورنا الثقافي في هذا القرن الذين اختاروا طريق التغريب بلا هوادة ولا رحمة ، واني اشعر شعورا لا يداخله الشك بان هذا الاختيار قد جانب الصواب ، واميل بكل جوارحي الى منهج زكريا احمد ومحمود الشريف واحمد صدقي وامثالهم .. إن هذه المدرسة الأخيرة هي مدرسة مجددة ايضا ، ولكنها كانت استمرارا طبيعيا وسلسا ، ودون ان تحدث اى انقطاع مفروض او مصطنع ، في تيار التطور في الحياة الفنية في مصر .

ماهو الخطأ بالضبط في الاتجاه الآخر ، الذى تبناه ، ورفع رايته محمد عبد الوهاب ؟

اعتقد أن الخطأ يكمن في ثلاثة اعتبارات اساسية :

الاعتبار الاول ، هو اعتبار جمالي بحت ، ومداره أن من اهم عناصر الجمال الاتساق والانسجام بين مكونات العمل الفني ، والتلقائية .

وعدم الاصطناع والتكلف ، ونقاء العمل من الاجسام والشوائب الغريبة التي لم تنبع منه بل اضيفت اليه .. والتغريب يتعارض مع كل هذا .

والاعتبار الثاني : يتعلق باهمية احترام التراث والانطلاق منه ، في تحقيق النهضة .

أن احترام الأمة لتراثها هو احترامها لنفسها ، والعبث بالتراث هو تحقير للذات واستخفاف بها . والتغريب فيه شيء كثير من هذا العبث ..

ان القول « باحترام التراث » لايعني عدم تطويره او عدم المساس به ، والاحتفاظ به كما هو كما لو كنا نضعه في متحف ، ولكنه يتضمن القول « بالانطلاق منه » ، والتطور طبقا لاصوله وقواعده ، وعدم الخروج على هذه الأصول والقواعد إلا ببطء وبمنتهى الحرص ، ودون أن يكون هذا الخروج مفروضا علينا من الخارج . والتغريب الذى ارفضه هو ما لا تتوافر فيه هذه الشروط ، واظن في حدود علمي ، ان التغريب الذى ادخله محمد عبد الوهاب على موسيقانا ، قد تجاوز في الاربعين سنة الأخيرة ، حدود المسموح به ، وذهب الى ابعد مما يجوز التسامح معه .

والاعتبار الثالث : الذى قد يكون اهم الاعتبارات ، يتعلق باهمية الشكل في تحديد المضمون . ان من الخطأ الفادح في نظرى التهوين من اثر « الشكل » في تحديد المضمون ، كالقول بان اللغة التي تستعملها لاتهم ، مادامت تؤدى المعنى المقصود ، ونوع المعمار الذى تستخدمه في البناء لايهم مادام يحقق الغرض منه ، وكالقول بان « طابع الموسيقى » غربيا كان او عربيا ، لايهم ، المهم انها تشيع البهجة ، وتنقل الاحساس او الفكرة بدرجة عالية من الكفاءة ، الذى اريد ان اقوله هو ان الشكل (او الطابع) الذى تختاره



عبدالوهاب .. للنحات عبدالعزيز صعب

لحديثك يؤثر تاثيرا حاسما فى مضمون ماتقول ، واختيارك لطريقة التعبير يحدد فى نهاية الامر ما الذى سوف تعبر عنه .. ان من المستحيل مثلا ان تنقل اداب المائدة الغربية ، دون ان يتغير نوع الطعام الذى تتناوله بل والعلاقات الدائرة بين متناوليه ، والسيارة الخاصة ليست مجرد طريقة محايدة من طرق الانتقال ، بل هى تحتم شكلا من اشكال المدن والعلاقات الاجتماعية .. الخ كذلك فى الموسيقى ، فيما اعتقد .. إن الطابع او الأسلوب الذى تختاره لموسيقاك ، يحدد « المعانى » و « المشاعر » التى تنقلها هذه الموسيقى ، فالتغريب فى الموسيقى ليس مجرد تغريب للطابع ، بل هو ايضا تغريب للمشاعر والمعانى ومن ثم لابد ان ينتهى ، هو وغيره من انواع التغريب ، الى التضحية بالشخصية ..

قد تقول : وما الضرر فى ذلك ؟ وماهو الرائع فى « شخصيتنا » التى تجعلنا نتمسك بها الى هذا الحد ؟ اذا قلت هذا ، ايها القارىء العزيز ، فلا كلام لى بعد هذا معك ..

* * *

على انى عندما تاملت هذه الاعتبارات الثلاثة قلت لنفسى : الا تصلح هذه الاعتبارات نفسها لأن تكون هى شروط « التغريب » المقبول ؟ او اذا اردنا استبعاد لفظ التغريب كلية ، الا تصلح هذه الاعتبارات لان تكون شروطا لما هو مقبول من الأخذ من الحضارة الغربية والافادة منها ؟

الا يمكن لنا ان نقول ان الأخذ عن حضارة الغرب لا غبار عليه مادام كان عملا لا اعتراض عليه من الناحية الجمالية (والاخلاقية) ولايضعف ثقتنا بانفسنا ، ولا يضطرنا الى التعبير عن مشاعر ومعانى ليست هى مشاعرنا ومعانينا ؟

فهل التغريب الذى قام به محمد عبد



عبد الوهاب .. هل تجاوز حدود المسموح به

الوهاب لموسيقانا واغانينا يدخل في حدود المسموح به، طبقا لهذه الاعتبارات ؟

انا شخصيا اميل الى القول بانه تجاوز حدود المسموح به ولكنها قضية ستظل محل جدل لزمن طويل، بعد ان تهدا حدة الحزن على رحيله.

على انه ايا كان الامر وسواء اجبنا على هذا السؤال بالايجاب او النفي، فلا اظن ان احدا سوف يختلف على ان محمد عبد الوهاب كان عبقريا، في فن الموسيقى وفن الحياة على السواء، ولا استطيع انا ان انفي (ولا شخص آخر من جيلي) انه قد دخل في عظامي على نحو يستحيل معه ان اخرجه منه، بل ولا احب حتى ان افعل ذلك، حتى لو استطعت ..

محمد عبد الوهاب
بين المحاكاة والاقتباس والنقل

بقلم : عبد الحميد توفيق زكى

عبر الفنان الراحل محمد عبدالوهاب محمد ابوعيسى مشوارا طويلا لم يكن كله مفروشا بالورود والرياحين ، ولو ان كفاحه بين ١٣ مارس ١٨٩٧ ، ٣ مايو ١٩٩١ قد انتج لنا اجمل باقات الزهور التى سيظل اريجها يثرى غنائياتنا فى الحاضر والمستقبل ورودا بها بعض الأشواك ولكنها فى مجموعها قد أسعدت الملايين من البشر بصرف النظر عن تحفظات البعض ، وأنا منهم فى نوعية بعض إنتاجه المستغرق فى الشعبية .

ولما كان الكمال لله وحده فأنى ألخص رأيى قبل الدخول فى شرح عنوان مقالى هذا ، فلاشك أن محمد عبدالوهاب موهبة ملأت أهابه ، وأرهفت حسه ، وأرهقت جسده من فرط طموحه وقصور رصيده من الصحة ، وعدم استكمال دراساته الموسيقية العالمية ، عن أن يلاحق ما طمع فيه وما كان يرنو إليه ، على أن النجاح الكبير الذى لاقاه قد كفل بأن يعوضه عن كل ما لاقاه من عنت أو عناء .

كان طموح محمد عبدالوهاب هو الذى جعله يحاكى سلامة حجازى فى فن التطريب ، والسيد درويش فى فن التعبير الموسيقى ممتطيا ما أفاده سمعيا من الموسيقى العالمية محاكاة أو اقتباسا أو نقلا ، وكان كل ذلك من أهم عناصر نجاحه كمطرب وملحن وزعيم مدرسة .

كان عبدالوهاب يؤمن بالاتئاد مؤمنا بالتطور فى نفس الوقت ، والإعداد لهذا التطور ، فإذا ما اطمأنت نفسه إلى مرحلة تطور ما من حالة إلى حالة ومن جو إلى جو وثق بما سيقدمه وبإرهاصة النجاح الذى يدق له البشائر ، فهو الصبى المتقد الذكاء الذى أحس بميله الطاغى للموسيقى والغناء المصطدم بتقاليد الجو الأسرى الدينى المتحفظ الذى نشأ فيه فى حى باب الشعرية ، بالاضافة لكرهه [كما كان يقول] لمادة الحساب مما جعله يهرب من منزل الأسرة المتواضعة لكى يبدأ مغامرته الكبرى مع فن الموسيقى حبا وتقليدا

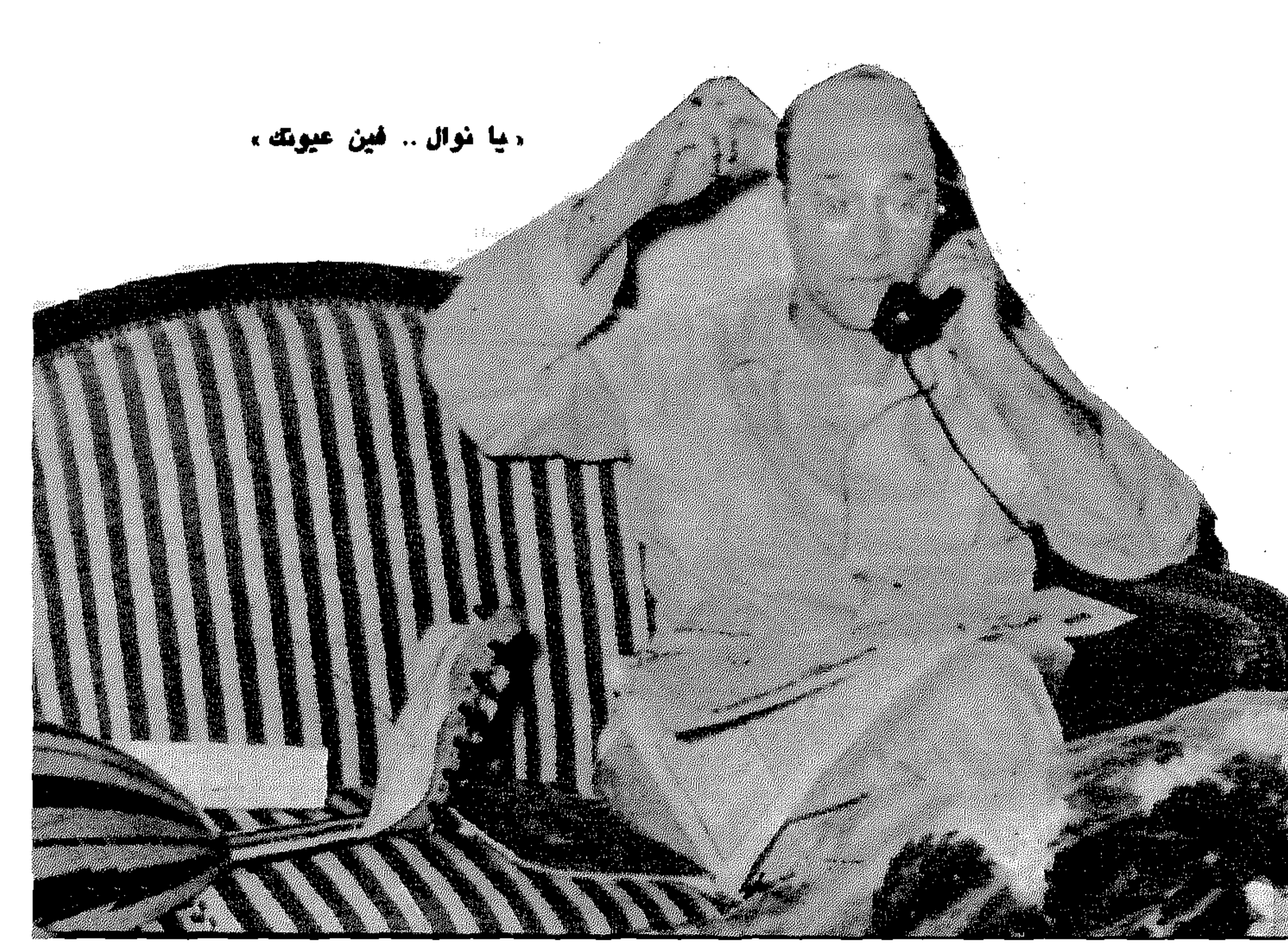
ودراسة وانتاجا .

كانت المحاور الثلاثة التى بنى عبدالوهاب مجده عليها هى : المحاكاة ثم الاقتباس ثم النقل الذى يعتبر بعضه يندرج حسب القوانين الدولية لحماية حق المؤلف تحت بند السرقة الذى يقضى القانون المصرى لحق المؤلف بعقوبة السجن إذا ما ثبت سوء النية فى استخدام جمل موسيقية كاملة ، وخاصة إذا ما ثبتت صحة النقل المتطابق تماما ، وها انذا أحاول أن أذكر الأمثلة لتوضيح الفرق بين المحاكاة والاقتباس والنقل فى الموسيقى فى الحان فقيدنا الكبير محمد عبدالوهاب ، وفى الحان أخرى مسترشدا بالمذكرة التفسيرية التوضيحية الموجودة برفق نص قانون حق المؤلف المصرى الصادر فى يونيه عام ١٩٥٤ .

● الرومبا الأمريكية

ففى ميدان المحاكاة البعيدة عن الاقتباس أو السرقة نجد عبدالوهاب يلحن غنائية (جفنه علّم الغزل) من ايقاع الرومبا محاكيا ايقاع لحن الرومبا الأمريكية (بائع الفول السودانى) ، وهنا ليست هناك سرقة بل محاكاة ، وكذلك عندما يلحن الجزء الأول من غنائية (سهرت منه الليالى) فهو يحاكى ألحان مدحت عاصم من قالب التانجو الحالم ، والذى ظهر قبله التانجو العالمى (لاكومبارسينا) فهنا يحاكى عبدالوهاب طريقة تلحين التانجو الأخير وإيقاعه ولم يسرق منه هنا جملة فى غنائية (سهرت منه الليالى) كما فعل نجيب حنكش فى غنائية فيروز (أعطنى الناى وغنى) ، فإن الملحن اللبنانى قد نقل لحن (لاكومبارسينا) نقلا حرفيا .

من أمتع غنائيات السيد درويش البحر الشعبية والوطنية فى نفس الوقت أغنية (سالمة يا سلامة رحنا وجينا بالسلامة)



« يا نوال .. فين عيونك »

التى نظمها له بديع خيرى المؤلف المسرحى الكبير ، والزجال العظيم ، وفى سياق الاغنية تجىء جملة [زمر يا وابور واربط .. نزلنى عند البلد دى] والوابور هنا بمعنى الباخرة أو كما يقال شعبيا فى البلاد العربية وابور البحر ، وقد ينطقونها يببور البحر .. ومطلع نظم هذه الأغنية الشعبية يقال لكل عزيز جاء بعد غيبة طويلة أو بعد سفر طويل ، أو للحجاج عند عودتهم من أداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول ، وما إلى ذلك من المناسبات .

● اقتباس من سيد درويش

وقد غنت (سالمة يا سلامة) كثير من الفرق الغنائية والمسرحية ، وهى من الأغانى النادرة التى سجلها بصوته الفنان الراحل السيد درويش ، ومن الجمل المستعملة كثيرا فى الموسيقى التصويرية فى المسرح والسينما والتليفزيون ..

وفى أحد أفلام عبدالوهاب يأتى منظر يغنى فيه بطل الرواية الذى ركب أحد القطارات متابعا لخطوات سيدة أعجب بها دون أن يعلم وجهة القطار ، وعلى هذا فهو يغنى مخاطبا القطار متسائلا بقوله : (يا وابور قوللى رايح على فين ، يا وابور قوللى وسافرت منين) إلى أن يقول : [عمال تجرى قبلى وبحرى .... الخ] هنا لم يجد الأستاذ عبدالوهاب أجمل من محاكاة ونقل لحن السيد درويش فى الجملة التى ذكرتها والتى مطلعها : (زمر يا وابور واربط .. نزلنى عند البلد دى ...... الخ) .

ولقد كان الأستاذ محمد عبدالوهاب موفقا فى هذا النقل والاقتباس والتحوير البسيط بين جملة مناجاة وابور البحر عند السيد درويش ، وجملة مناجاة قطار السكة الحديد التى غناها فى اللحن المقتبس ، والمنقول مطلعه نقلا حرفيا ، وقد يتساءل القارىء غير الدارس للموسيقى عن ماهو معتبر سرقة فى الموسيقى فنقول : إذا ما نقل ملحن ما جملة موسيقية تامة حوالى ٨ موازير من الايقاع الثنائى كأن ينقل لحنا يعادل زمنيا موسيقيا موسيقى جملة (بلادى بلادى بلادى لك حبى وفؤادى) فهى سرقة ولاشك ، أما إذا حرف فى بعض نوتاتها الموسيقية فيقع تحت بند الاقتباس فلا جريمة هنا إلا إذا كانت الجملة الصغيرة أو جزء من جملة مشهور جدا كمطلع السيمفونية الخامسة لبتهوفن التى تعزف كنوع من الاعلان أو الاعلام عن حدث يتصل بمؤلفها الأصلى ، كما يحدث عندما تعرض شاشة السينما أو على الشاشة الصغيرة بالتليفزيون ، منزل بتهوفن الموجود فى بلدة بون ونستمع فى نفس الوقت إلى موسيقى مطلع السيمفونية ، فإن نقل هذا الجزء الصغير المشهور فى مطلع غنائية : (أحب عيشة الحرية) هو سرقة لاشك فيها ، وليس من الضرورى أن تكون جملة كبيرة بنصها وحرفها .

ويعتبر الدارسون للأغنية الشعبية وعلم الفولكلور ، أن من أهم وظائف الفن هى الوحدة بين الفرد والجماعة كأنغام النوتية أو المراكبية .

وإذا كانت الأغانى التى رددها



المصريون على ضفتي النيل كانت من وحي النيل والهامه ، فإنه ولاشك كانت بداية الغناء في مصر .

ويتحدث الكادحون فوق مياه النهر ، في اغانيهم ، عن الريح التي تملأ القلوع ، وعن مياه النهر المتدفق على مدى السنين ، كما يتحدثون عن الغربة والبعد عن الأهل والأحباب ، واللهفة على يوم الوصول والوصال ، فضلا عن حياة البحر وما فيها من متاع وبهاء .

ومن الطريف أن تعلم أن فن التجديف ظهر في نهر النيل ، فهناك صور مرسومة على أقدم الآثار المنقوشة تمثل قوارب بمجاديف بعضها كان فيه عشرون مجدافا يجلس إليها عشرون ملاحا أو نوتيا وهم يدفعون الزورق بمجاديفهم .

وعلى ضربات هذه المجاديف وايقاعاتها في مياه النهر الهادىء الوديع يغنون انغامهم ليجددوا في نفوسهم نشوة العمل ، وليكافحوا تيار النهر المتدفق من أقصى الجنوب ، ولعل أقدم ما وصلنا نحن العرب من هذه الغنائيات الشعبية مطلع اغنيات (هيلا هوب .. هيلا ليصا) وهي كلمات مصرية قديمة معناها الشغل .. (دخلنا الميناء .. قربنا من الغاية) ..

فإذا كانت هناك غنائيات في روسيا لها نفس نغمات لحن (هيلا هوب) المصري ، فلاشك أن اغاني نهر الفولجا قد تأثرت بألحان الملاحين المصريين ، وخاصة أنه لم تكن هناك وسيلة

للمواصلات غير المراكب الشراعية وهذا ما حدا بعض النقاد للقول بأن ما نستمع إليه فى غنائية (النيل نجاشى) هو أقرب ما يكون بتلك الأغنيات التى ينشدها الملاحون فى الجزء من النيل بين الأقصر وأسوان بألفاظ عربية ومصرية قديمة ، ويعللون أن أنغام نهر الفولجا أصلها مصرى ، وعلى هذا فإن محمد عبدالوهاب يستطيع أن يقول : [اننى لم أسرق مطلع أغنية الملاحين فى نهر الفولجا ، وإنما

اش .. اش (على اليمين) رحيل بعد الرحيل



هى بضاعتنا ، قد ردت إلينا] ..

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر كما يقولون فإنى أتحدث عن لون هو أغانى المجداف التى يطلق عليها أغانى النوتية ، أما الاصطلاح الفنى الموسيقى العالمى لها فهو لفظ (باركارول) وأغانى الجندول الأجنبية ومن أشهرها ما يسمى بأغنية المركب التى جاءت فى أوبرا أى المسرحية الغنائية الكاملة (قصص هوفمان) للموسيقار الفرنسى جاك أرفنباخ ، ولقد أعجب بمطلعها الراحل العزيز محمد عبدالوهاب فاقتبسها نقلاً فى عملين من أعماله فى نهاية الثلاثينات .

أولا : فى جزء هام من غنائية (نسيم الربيع) الذى يقول فيه (والندى ينزل ع الورد الجميل ينعشه ويطيب شذاه) .

ثانيا : فقد جاء استخدامات الجملة ذاتها فى غنائية (يا نوال فين عيونك) التى جاءت فى فيلم دموع الحب المقتبس موضوعه من رواية مجدولين .

● أغنية باللغة العربية
واللحن الفرنسى

ومن الطريف أنه عندما اشتهرت هذه الاقتباسات التى نقلت حرفيا تقريبا من الأغانى الأجنبية واستساغتها الأذن العربية بصوت عبدالوهاب فكرت الجمعية المصرية لهواة الموسيقى التى أسسها العلامة المصرى الدكتور على مصطفى مشرفة باشا فى أن تترجم عشر أغانى مختارة من الموسيقى العالمية كان فى مقدمتها أغنية (المركب) لجاك أرفنباخ وترجمها فعلا الأديب الراحل كامل كيلانى ، بإشراف ومعاونة دكتور مشرفة باشا الذى كان من أكبر هواة الموسيقى ، وكان يعزف على آلة البيانو ويهوى الغناء العالمى ، ولقد قدمت أغنية (المركب) فى أوائل الأربعينات باللغة العربية وبنفس اللحن الفرنسى وأداها فى حفل كبير الراحل الموسيقى حسن بك رشيد وآنسة وقتذاك هى : أليس مرشاق .

عندما تعرف حسين السيد بمحمد عبدالوهاب قال : إن دراسته فرنسية وطلب منه عبدالوهاب أن يخبره عن بعض المعانى الطريفة فى الغنائيات الفرنسية التى أعجب بها الشعب الفرنسى فعدد له حسين السيد بعض المعانى اختار عبدالوهاب منها (بلاش تبوسنى فى عنية .. دى البوسة فى العين تفرق) وعهد إلى الزجال فتحى قورة بكتابتها ونسبت إلى حسين السيد ، ثم اقتبس عبدالوهاب مطلع رقصة (جافا) التى اشتهرت فى أوائل العشرينات إلا أن عبدالوهاب قد غير إيقاع اللحن الثلاثى (فالس) من اللحن المسروق منه إلى إيقاع قريب إلى الإيقاع العربى هو إيقاع خطى الثعلب البطىء ..

ولإعجاب عبدالوهاب بموسيقى الفالس فقد اقتبس مطلع الحركة الرابعة من السيمفونية الايطالية لمندلسون ووضعها فى جملة (فين صوتك الحلو الرنان) من غنائية (الظلم ده كان ليه) .

من أشهر الإيقاعات التى اقتبست من موسيقى العبيد الذين أخذهم المستعمر الأمريكى من افريقيا لكى يعمروا أمريكا ايقاعات (الرومبا والكونجا والسامبا

والكاريوكا والكوكاراتشا) بعد أن هذبتها موسيقى أمريكا اللاتينية .

ولما انتشرت رقصة (الكاريوكا) ووصلت إلينا في مصر جن جنون الشباب بها وبدأت الراقصات المصريات في تعلمها ، حتى أن الفنانة بدوية محمد قد أسمت نفسها تحية كاريوكا ، ومن الطريف أن هذا الاسم ظل لاصقا بشخصية بدوية محمد حتى بعد أن تحولت إلى ممثلة كبيرة ، وظل اسمها الجديد (تحية كاريوكا) حتى الآن ، وبعد أن حصلت على جوائز كبيرة عن قدرتها في التمثيل ..

● سرقة جميلة

في هذا المناخ بالنسبة لانتشار رقصة (الكاريوكا) لحن عبدالوهاب قصيدة جميلة لشاعر الأنفاس المحترقة محمود أبوالوفا مطلعها (عندما يأتي المساء) و(نجوم الليل تنثر) اختار عبدالوهاب لحن وإيقاع (الكاريوكا) في غنائه للجزء من القصيدة الذي يقول :

هل ترى ياليل أحظى منك بالعطف عليّ .. فأغني وحبيبي والمنى بين يدي .

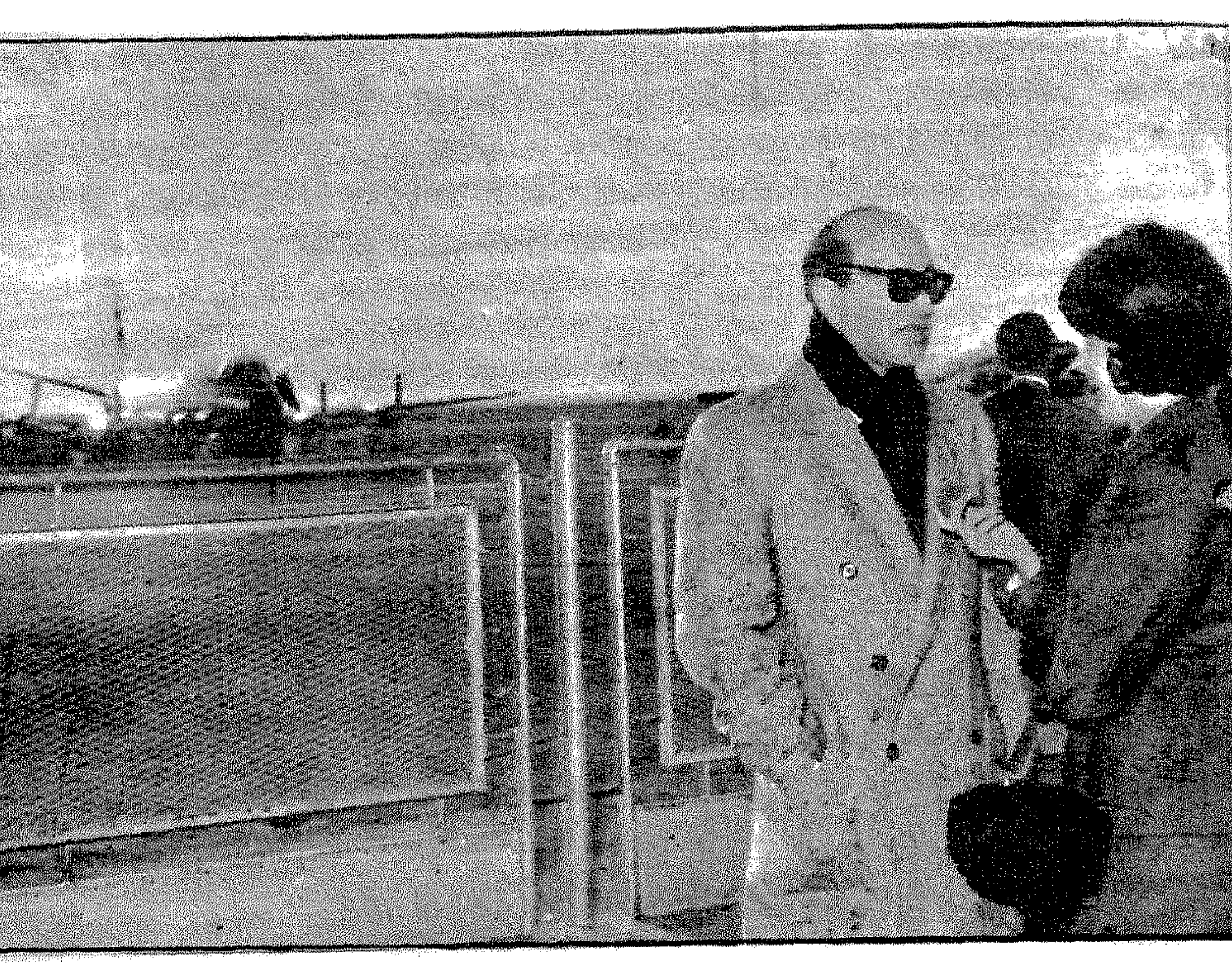
والحق يقال أنه كانت سرقة جميلة أشبه بما كان يفعله اللص الشريف في مغامراته التي جاءت في قصص كثيرة تحولت إلى أفلام سينمائية ولا بدعة أن أطلق الراحل محمد حسن الشجاعي على الأستاذ عبدالوهاب لقب (ارسين لوبين الموسيقى) .

اختتم مقالي هذا بأشهر وأجرا نقل في تاريخ الموسيقى المصرية عامة وفي موسيقى عبدالوهاب خاصة وهي الجملة الكبيرة التي نقلها عبدالوهاب نقلا حرفيا من عمل مشهور في أوبرا (عايدة) ، والجملة الموسيقية هنا جملة كبيرة تحتوي على أربع جمل عادية أسرد هذا العمل في الآتي :

في مشهد تكريس القائد المصري لحملة الجيش المصري إلى بلاد الحبشة واختيار الآلهة لهذا الضابط الشجاع ليقوم بقيادة الجيش المصري في رد الأعداء الذين حاولوا الهجوم ثانية على جنوب مصر نستمع في هذا المشهد إلى كبيرة الكاهنات تغني غناء دينيا رائعا بينما ترقص الراقصات في المعبد رقصة دعائية فيها رجاء لكي ينصر الإله القائد المصري في الحرب .

وهذه الجملة الموسيقية هي التي اقتبسها ونقلها الأستاذ عبدالوهاب بنصها في غنائه للجزء من غنائية (أهون عليك) التي تبدأ :

كان عهدي عهدك في الهوى
يا نعيش سوا يا نموت سوا
أحلام وطارت في الهوى
تركت عليل من غير دوا
ليه .. الخ ، ثم استخدمت الموسيقى



يامسافر وحدك .. وفايتنى

آلة الأبوا التى كتبها جوزيبى كارل ڤيردى فى نفس لحن الرقصة الدينية فى تكملة لحن عبدالوهاب بل وصارت الجملة الموسيقية فى اللحن بنفس سرعة موسيقى الرقصة الدينية من موسيقى ڤيردى .

وأحب أن أوضح أن لحن أوبرا (عايدة) قد أذيع لأول مرة فى ٢٤ ديسمبر ١٨٧١ بدار أوبرا القاهرة الخديوية فى أعقاب احتفالات مصر بافتتاح قناة السويس التى دعا إليها الخديو اسماعيل حقى باشا .. اى قبل ولادة عزيزنا عبدالوهاب بحوالى ٢٦ عاما حيث ولد الموسيقار الكبير فى ١٣ مارس عام ١٨٩٧ .

وهكذا عبرت أجمل الجمل الموسيقية العالمية إلينا عن طريق فناننا الكبير محمد عبدالوهاب ..

وأصبحت نيويورك
مدينة من العالم الثالث

بقلم : محمود قاسم

ماذا يعني ان كتاباً ما قد حقق اعلى المبيعات خلال فترة قصيرة من صدوره ؟

لاشك ان شيئاً ما في هذا الكتاب قد اعجب الناس ، وجذب انتباههم فدفعهم إلى شرائه خاصة بعد ان تناثرت اخبار هذا الكتاب بين القراء بعدة وسائل .. ولاشك ان نجاح مثل هذا الكتاب يعكس نبض الناس ، ومشاعرهم وأذواقهم . وايضا اهتماماتهم .

● ومثل هذه الظاهرة تثير انتباه القراء ، ودور النشر ، والصحف في أماكن عديدة من العالم ، والرابح الأول بالطبع هو الناشر ، ثم المؤلف ، مما يدفع بالناشرين الى التنافس لتقديم كتب جديدة تناسب أذواق الناس ومطالبهم .

وفي الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية ، كثيرا ما تهتم الصفحات الأدبية بنشر اعلى قائمة مبيعات من الكتب وخاصة الروايات ، ويمكن من القراءة الأولى لمثل هذه القوائم معرفة اذواق الناس بسهولة .. وسوف نؤكد في حديثنا هنا على قائمتين منشورتين في الأسبوع الماضي حول اكثر الروايات مبيعا في فرنسا باعتبارها نموذجا للثقافة الأوربية ثم في الولايات المتحدة .

في القائمة التي نشرتها مجلة الاكسبريس ، في ١٧ مايو ١٩٩١ يمكن ملاحظة أن أبرز أدباء فرنسا وايضا أهم الكتاب العالميين قد تصدروا قائمة المبيعات لعدة أسابيع على التوالى ، وهؤلاء الكتاب يتميزون بأهمية وقيمة أدبية لم يختلف عليها ناقدان في السنوات



توم وولف .. صورة تذكارية امام زبالة نيويورك

الأخيرة ، فها هو ذا لوكليزيو فى أول القائمة بروايته الأخيرة "اونتشا" ، ثم الكاتب البريطانى ويليام بويد بروايته "شاطىء برازفيل" ، ويجىء بعد ذلك كل من : برنار كلافيل وباتريك موديانو وهنرى تروبا وروبير ميرل وفرانسواز ساجان ، وأمين معلوف والطاهر بن جلون . ثم جاءت رواية "حقول الشرف" التى فازت بجائزة جونكور منذ سبعة أشهر فى الترتيب الخامس عشر .

الأمر يختلف كثيرا فى القائمة التى نشرتها مجلة "لير" أخيرا عن الكتب الخمسة والعشرين الأكثر مبيعا فى الولايات المتحدة إبان العشر سنوات الأخيرة ، فمن بين هذا العدد من الروايات باع الكاتب ستيفن كينج سبع روايات ، تنتمى جميعها إلى روايات الرعب . والتخويف ، وهى روايات تباع بشكل جنونى ، ويقبل عليها القراء من جميع الأعمار وتترجم إلى لغات عالمية عديدة وتتحول إلى افلام تدر ايرادات ضخمة . لكنها رغم هذا فهى كتب خالية من أى إبداع انسانى جيد ، فهى تدور حول أطفال صغار يتعرضون لظواهر خفية وعمليات رعب تجعل القراء يلهثون وراء الصفحات حتى تنتهى بين ايديهم بسرعة أيا كانت ضخامة حجم الكتاب .

ومن قراءة هذه القائمة الأمريكية سنلاحظ أن الروايات البوليسية ، وروايات الجواسيس . والقصص الرومانسية هى التى حققت أعلى المبيعات . مثل روايات سيدنى شيلدون الكاتب البوليسى المعروف . والكاتبة الرومانسية دانييل

عالم توم وولف ..

ستيل ثم روبرت ليدلم مؤلف روايات الجاسوسية ، ورواية "آيات شيطانية" لسلمان رشدى .. لما أحيط حولها من ضجة .

● محرقة الغرور في الشوارع الخلفية

وللعجب الشديد فليس هناك سوى كاتب واحد من هؤلاء الكتاب الذين تضمنتهم القائمة يتمتع بقيمة أدبية جيدة ولاشك أن هذا يعكس نبض وذوق الناس ، وليس مجالنا هنا ان نتحدث عما اسميناه فيما قبل على صفحات الهلال ، بثقافة الفيشار فهذا لا يلغى ان هناك كتابا متميزين فى الولايات المتحدة . لكن اغلبهم لم يدخل المنافسة أمام ستيفن كينج وشيلدون ودانييل ستيل واقرانهم .

كاتب واحد فقط هو الذى اخترق هذا الحصن الغريب ، واستطاع أن يقدم للناس رواية جيدة بكل مقاييس الابداع المتميز . إنه كاتب ظاهرة يدعى توم وولف ليس ظاهرة أدبية فى بلاده فقط بل تصدرت صوره وأخباره كل الصحافة الادبية وغير الأدبية فى أنحاء عديدة من العالم . وأفردت له الصحف الغربية والايطالية والالمانية ملفات خاصة تتحدث عن ظاهرة توم وولف ، الذى أصبح الكاتب المدلل للقراء وللنقاد وللناشرين فى أماكن عديدة من العالم بكتاب واحد فقط نشره منذ أربع سنوات ، ولم ينشر ثانيا له حتى الآن .

كيف استطاع توم وولف ان يخترق ذلك الحصن الحصين الذى لا يسيطر عليه سوى صناع "الفهلوة" ، وأثبت أن الادب الجيد باق رغم كل القشور ؟ .. لقد أحدث وولف صدمة لأبناء نيويورك بروايته الأولى التى نشرها فى عام ١٩٨٧ تحت عنوان "محرقة الغرور" والتى تزيد صفحاتها على السبعمائة .

جاءت الصدمة أن وولف قد ترك الشوارع الفخمة فى واحدة من أهم المدن فى العالم ، واعلاها فى المبانى واكثرها إثارة كى يتجول فى الأحياء الفقيرة المليئة بالقاذورات والفقراء والمساكين فى نيويورك التى لايعرفها أحد .

لم تكن بداية وولف تبشر بأنه يمكن أن يحقق يوما مثل هذا النجاح ، فهو مجرد كاتب مقالات ، ينشر المقالات المتتابعة فى مجلة اسكو اير أو "رولنج ستون" وكان كل طموحه أن ينشر مقالات مجتمعة فى كتب يحقق منها بعض العائد الطيب ، لكنه فاجأ القراء وهو فى السابعة والخمسين من عمره ـ مولود عام ١٩٣٠ ـ بهذه الرواية الفريدة التى جعلت النقاد يؤكدون أنه بلزاك نيويورك .

● العنصرية في نيويورك

يقول وولف أنه لم يضيع حياته الصحفية سدى ، فقد استفاد من خبرته كصحفى وراح يجمع الوثائق والمعلومات عن حى برونكس وايضا عن شارع "وول ستريت" ، الأول هو اكثر الأحياء فقراً فى المدينة ، والثانى كما هو معروف هو شارع بورصة المال ، ثم أخذ يرصد علاقات البشر بعضهم بالبعض فى كلا المكانين .

وبطل رواية "محرقة الغرور" يدعى شيرمان ماكوى ، هو رجل ثرى يعرف كيف يكسب الذهب ، والدولارات ، يعمل فى وول ستريت .. ويربح مليون دولار كل سنة ،

وهو متزوج من إمرأة جميلة ولديه كل ما يبتغيه من الحياة ، وهو مثل الكثير من الرجال الأثرياء لديه عشيقة جميلة يقرر أن يسافر معها في رحلة نهاية الأسبوع ، ولكنه في طريقه إلى المطار يضل الطريق ، ويجد نفسه متوغلا في حي برونكس الذي يسكنه الفقراء والزنوج ، وتندفع سيارته المرسيدس لتصطدم بكمية ضخمة من الزبالة عندما اعترضه اثنان من الزنوج ، ويحاول ماكوى الخروج من هذا المأزق فيقوم بدورة بالسيارة فيصدم أحد الرجلين الذى ما يلبث أن يموت فى المستشفى .

ويلتقط هذا الحادث صحفى شاب ، فيروح يضع النيران فوق البارود ، ويلتقى بكل الشهود وخاصة ذلك الزنجى الذى يقسم أن يجعل ماكوى يدفع الثمن غاليا . أما النائب العام فيرى أن هذه الجريمة فرصة طيبة كى يخرج من دائرة الظل ويصر على أن ينفذ ما اسماه بالعدالة البيضاء .. فالعدالة فى نظره يصنعها الأبيض ، وعلى الأسود أن يطبقها وهذه العدالة ملك للأغنياء وحدهم . وهى عدالة مليئة بالعنصرية ، وتحكمها لغة الاثرياء والاقوياء .

وتكشف الرواية مدى العنصرية التى تسيطر على مدينة نيويورك ، فقد اختار وولف أن يكون بطله من البيض البروتستانت الانجلوساكسونيين الذين يعتبرون انفسهم أفضل طائفة فى الولايات المتحدة وهو الذى يردد قائلا : "أعتقد أننا نعيش العصر الثانى لازدهار نيويورك .. كان العصر الأول هو استقرار الأوربيين المهاجرين الذى انتهى فى عام ١٨٠٠ ، أما الثانى فقد ولد قبل عشر سنوات عقب انفجار الثروة فى البورصات . ففى سنوات قليلة أصبح فى إمكان أى شخص معدم أن يغدو مالكا للمليارات وأصبحت المدينة تنتمى لاموالها .

وماكوى المولود ، وفى فمه ملعقة من ذهب ، لا ينقصه شيء فقد تربى فى عالم لا يعرف أى شيء عن برونكس حيث تلقى تعليمه فى أحسن المدارس وسكن أجمل احياء نيويورك وعرف أجمل النساء ، ولذا فهو يفاجأ حين يضل طريقه ويدخل الى برونكس فيخيل اليه انه قد دخل كابوساً غير موجود فى أى مكان ، ولذا فإنه سرعان ما يفقد توازنه ، ولايستطيع أن يتحكم فى المقود ، ويفقد كل شيء : حريته .. وسمعته .. ومستقبله .

ويقول الناقد جان دافيد فى مجلة « V S D » أن الدرس المستفاد من كتاب وولف هو أنه كشف كم ان نيويورك مجتمع متناقض قائم على العنف والمشاعر النبيلة ولغة النقود .. مجتمع لا يحترم الفقراء كثيرا .

● لغة المواخير

اما الناقدة روزالين بوش فتقول ، فى مجلة لوبوان ٥ سيتمبر ١٩٨٨ ، أن توم وولف على حق . فنيويورك فى روايته مدينة من العالم الثالث . وهو عندما كان يعود إلى منزله كان يتساءل كيف لم يسبقه أحد فى الكتابة عن هذا الجانب من المدينة ؟ .

وفى العدد الصادر فى ١٠ نوفمبر ١٩٨٨ من مجلة "بارى ماتش" يقول توم وولف انه قد استمد أحداث روايته من واقعة شاهدها ذات صباح فى أحد الأدوار العليا بناطحة سحاب فى وول ستريت حيث شاهد أحد رجال الاعمال يتكلم فى

عالم توم وولف ..

الهاتف وينطق بألفاظ لايسمعها المرء إلا فى المواخير : "هذه هى اللغة الحقيقية فى وول ستريت" الحى الاكثر ثراء فى نيويورك ، وهى ايضا لغة الناس فى حى برونكس افقر الأحياء فى المدينة . فنتاج أحسن تربية أمريكية يتكلم بنفس الطريقة التى يتكلم بها أبناء الحضيض فى المدينة نفسها .

ويقول وولف إنه اكتشف انه قد ظهر فى نيويورك الثمانينات أشخاص أطلقوا على انفسهم اسم "سادة العالم" ، ومنهم بطل روايته ماكوى ، يتصورون أن العالم ملك لهم ، وأنهم فوق القانون . هؤلاء الأشخاص يسكنون الشقق الفخمة فى ناطحات السحاب ، وقد يصل الامر بأحدهم أن يسكن عشرين شقة وحده ، وعلى هؤلاء السادة أن يكسبوا الكثير سنوياً من أجل تغطية نفقات حياتهم الباهظة .

وفى نفس الحديث أكد توم وولف أن هناك نقاطاً مشتركة بين أدغال برونكس . وبين وول ستريت فالمال هو اللغة الاولى فى كلا المكانين ، وهو لغة محمومة متقدة

ففى برونكس يمشى المراهقون وقد علقوا حوافظ جلدية حول رقابهم من أجل لمّ النقود من جيوب الآخرين ، ويمكن لأى مراهق أن يبلغك بالسعر الحقيقى لأى سيارة مرسيدس تمت سرقتها بينما راح اللصوص يغيرون معالمها .. كما أن الرجال يتبادلون المخدرات فى السيارات دون أى حرج .

● الرواية المعجزة

هذه هي الرواية المعجزة التي إستطاعت ، كما اشرنا ، أن تخترق حاجز الروايات التافهة التى حققت أعلى المبيعات فى السنوات العشر الأخيرة ، وهى ظاهرة تستحق الوقوف عندها .. فقد فوجىء القارىء الذى اعتاد أن يشترى روايات التجسس .. والقصص البوليسية وحكايات الرعب المثيرة أن هناك مكانا فى نفس المدينة التى يعيش فيها أكثر غرابة وإثارة من كل تلك القصص الخيالية والفنتازية التى يقرؤها ، وهكذا نجح توم وولف فى أن يخرج قارئه من قراءاته الهروبية نحو عالم الواقع .. وسرعان ما استجاب هذا القارىء .. واقبل على الرواية بنفس الحمية .. والشغف التى يقرأ بها عالم الفنتازيا والمغامرات الجوفاء .

ولاشك أن هذه الظاهرة تمثل رداً على أننا نعيش فى عصر ثقافة "الفيشار" وحده . فالناس تبحث عن الجيد ، شرط أن يكون هذا الجيد متفقا مع سرعة ايقاعها الذى إعتادت عليه . ورغم أن رواية توم وولف "محرقة الغرور" لا تعتمد على الحبكة البوليسية وخالية من أسباب التوتر ، ومليئة بالشخصيات والنماذج الإنسانية فإن أسلوب الكاتب قد ساعد كثيرا فى نجاح روايته ، ليس من خلال اختيار العبارة السهلة الممتنعة ، ولكن فى نجاحه بعقد مقارنة عادلة بين حى الفقراء ، وحى الأغنياء .. فالقارىء دائماً شغوف لأن يعرف ماذا حدث بالضبط فى الجانب الآخر .. ولاشك أن هناك حالة من التشفى فى المصير الذى آل اليه ماكوى فى مدينة يقف تمثال الحرية على أبوابها .. لكنها تعج بالعنصرية التى تنخر فى مسام الناس . حتى وان تحدثوا عن اشياء لا يبطنونها .

لغويات

● بعد إنشاء مدرسة دار العلوم «كلية دار العلوم» في أواخر القرن التاسع عشر ، دار نقاش بين أساتذتها حول النسبة الى اسمها كيف تكون؟! .. وقال الراسخون في العلم أن اسمها مركب من لفظين مثل اسماء عبد شمس ، وعبد قيس ، وعبدالله ، وعبد الدار .. والنسبة اليها هي : عبشمي ، وعبقسي ، وعبدلي ، وعبدرى ، فتكون النسبة الى دار العلوم : درعمي ..

● يصغر حجم الرغيف يوما بعد يوم بسبب الأزمة الاقتصادية حتى صارت الأرغفة الثلاثة في مثل وزن الرغيف الواحد قديما .. واللغة تسمي الأرغفة المصغرة : أريغفة !.. أما الرغيف الصغير فيسمي رُغيّف ـ بضم الغين المعجمة وكسر الياء وتشديدها ..

● العامة تقول : زنا الشيء او المكان ، اى ضلق وتقلص .. والمتادبون يستخدمون الفعل «زنق» وكانما «زنا» خطأ لغوى ، والحقيقة أن بينهما ترادفا .. وزنا بوله ، اى احتقن .. والمزنوق ـ بالقاف ـ هو الذى احتقن بوله .. أما الزنقة ـ بفتح الزاى والنون ـ فهى الحارة الضيقة مثل «زنقة الستات» في الاسكندرية ولكن العامة ينطقونها بسكون النون ..

● الفعل «استغرب .. يستغرب» له استعمالات غير استعماله العادى المعروف ، ومنها قول العرب : استغرب في الضحك .. او ضحك حتى استغرب .. اى ضحك فاسرف في الضحك ، وقولهم : استغرب الدمع : سال من العين !

● بعض الحروف تتبادل مواقعها في الكلمات دون أن يتغير معناها ، فمن ذلك حلول التاء محل الطاء في كلمة «الاقطار» ـ جمع قطر ـ فنقول : الأقتار ، وهي صحيحة كالأقطار .. وتستطيع أن تقول : انا عربي قح .. أو : عربي كح .. والكاف هنا صحيحة مثل القاف .. وما أجدر الانسان العربي الآن بأن يقال له : عربي كُح !..

فنانون معاصرون

المصور فرانسيسكو ماتيوز والتعبيرية الاسبانية

بقلم: د. صبرى منصور

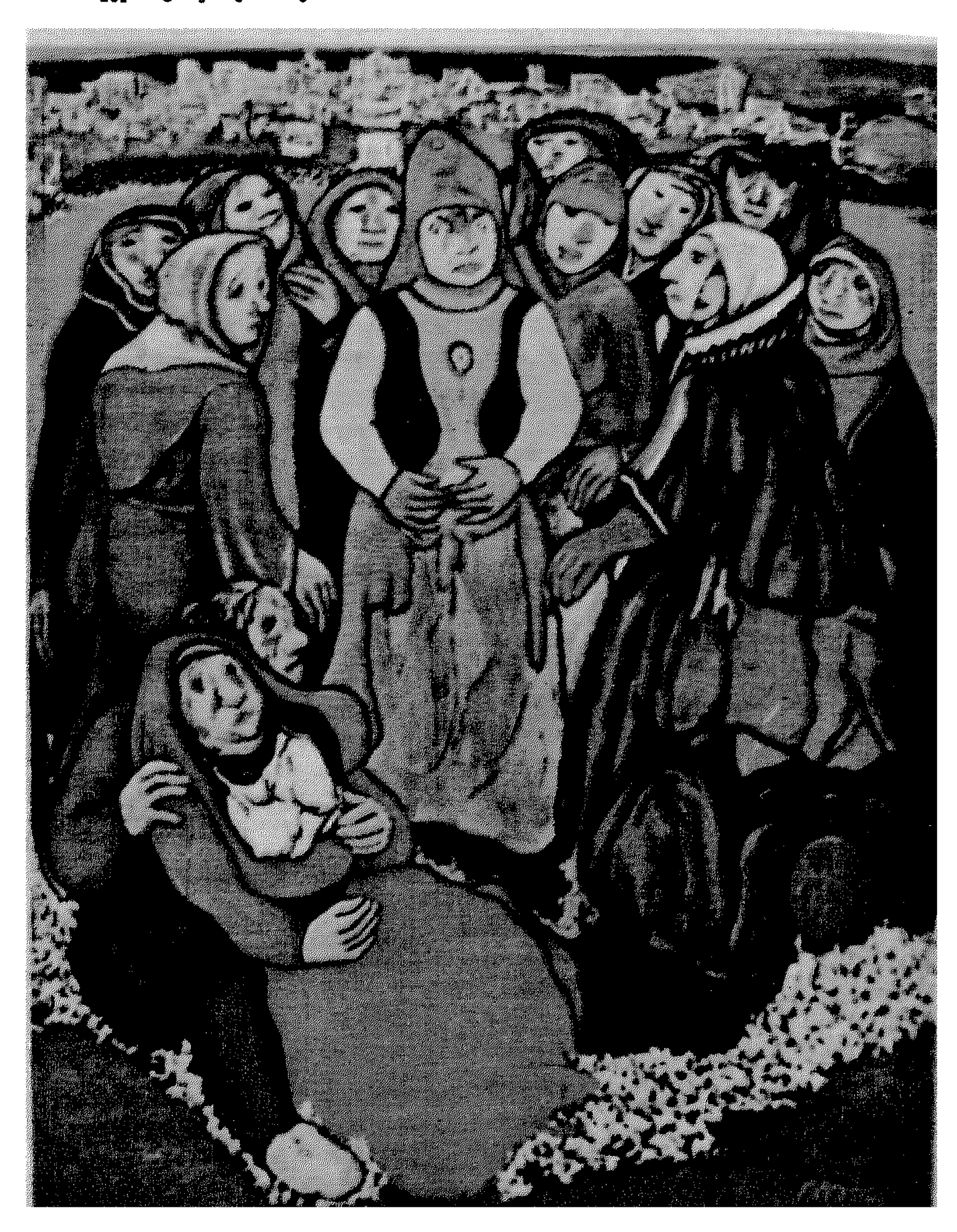
تعد المدرسة الاسبانية واحدة من اكبر المدارس الفنية العالمية واكثرها ثراء . وقد امتد عطاء هذه المدرسة منذ عصر النهضة ابتداء بالثلاثى العظيم الجريكو وفلاسكيند وجويا ، وانتهاء بثلاثى العصر الحديث الذى لا يقل عظمة ومقدرة ، سلفادور دالى وبيكاسو وخوان ميرو .. وبين هؤلاء المصورين ظهر مئات من الفنانين الممتازين ، فالشعب الاسبانى شعب فنان يهوى الفنون ويقدرها ويضعها فى المرتبة اللائقة بها كابداع انسانى وكعنوان على رقى الشعب وتحضره .

● ويصطبغ الفن الاسبانى فى مجمله بصبغة واقعية نات به عن الأغراق فى عوالم ميتافيزيقية غامضة ، والفنانون الاسبان هم بحق اساتذة الفن الواقعى فى اوربا ، ولهذا فإن مصورا مثل «فرانسيسكو ماتيوز» يبدو غريبا على سياق تاريخ الفن الاسبانى المعاصر ، وهو قد استطاع ان يؤسس للاتجاه التعبيرى دربا جديدا فى المدرسة الاسبانية ، وان ينتقل به من موطنه الاصلى فى المانيا الى ربوع اسبانيا ، وقد دمغه بالبصمة الاسبانية المحلية ، فاتى اسلوبه طرازا فريدا لا تكاد تخطئه عين المشاهد حتى لو لم يكن قد رأى سوى بعض اعمال قليلة له .

● التعبيرية فى الفن

كانت بدايات المدرسة التعبيرية كاتجاه فنى جديد على يد مجموعة فنية المانية تكونت فى مدينة دوسدن عام ١٩٠٥ وضمت فنانين امثال كريشنر وهيكل وكارل شميدت ، ودعيت هذه المجموعة بجماعة «القنطرة» ثم تلتها موجة ثانية تحت اسم جماعة «الفارس الازرق» وتكونت فى مدينة ميونخ عام ١٩١١ ، وكان من بين فنانيها

الساحرة .. لفرانسيسكو ماتيوز



المصور فرانسيسكوماتيوز

كاندنيسكي الذى تحول للتجريد فيما بعد وفرانـز مارك . وامتـد تاثيـر المجموعتين الى خارج حدود المانيا ليشمل معظم الدول الأوربية ، ولقد وجدت دعوة التعبيريين صدى كبيرا كنزعة من اهم النزعات التحررية فى الفن الحديث .

والفنان فى الاتجاه التعبيرى يعبر عن مشاعره الداخلية عن طـريق المبالغات فى الاشكال وتحريفها ، والاستخدام غير المنطقى لعنصـر اللون ، وحركة الفرشاة التى تندفع على سطح اللوحة فى عصبية وانفعال فى محاولة لاقتناص التعبير عن اللحظة الانفعالية ، والفنان التعبيرى يهمل الحقيقة الواقعية التى تراها العين ، مفضلا التعبير عن حـالة نفسيـة داخلية ، ومشاعر ومؤثرات عاطفية .. وبهذا المعنى فإن التعبيريين لا ينقلون وانما يبدعون ، ويضعون تركيزهم فى الاحسلس بالموضوع وليس الموضوع فى حد ذاته ، محاولين الوصول الى روح ووجدان المشاهد وليس الى عقله .

وشملت التعبيرية فنونا اخرى كالأدب والموسيقى ، ومازالت أصداؤها تتردد حتى اليوم فى الفن المعاصر بشكل او بآخر .

● ماتيوز والتعبيرية

ومن المعروف ان الانتاج الاخير للفنان الاسبانى الشهير فرانسيسكو جويا قد كشف عن بلاغة تعبيريه واضحة ، وخاصة فى مجموعة لوحاته المعروفة بالمرحلة السوداء ، وكذلك مجموعة الحفر التى انجزها تحت اسم النزوات ، وتصويـره الحائطى فى كنيسـة سانتـاماريـا ديلا فلـوريدا بمدريد ، وربما كان جويا هو اول فنان اسبانى يعطى كل تلك الاهمية لمشاعره الجياشة التى تفصح عنها لوحاته .

ومع ذلك فإن ماتيوز قد اكتسب اهميته فى تاريخ الفن الاسبانى كواحد من اهم الفنانين المعاصرين لتكريسه كل ابداعه من اجل شق روافد جديدة ، فهو بحق رائد التعبيرية الاسبانية ، ولقد حافظ فى اعماله على المذاق الفنى الاسبـانى رغم انتمائـه الـواضـح والصريح للمدرسة التعبيرية العالمية

وهو بهذا يكون قد لعب دورا بالغ الاهمية فى الانتقال من الواقعية والمثالية التى كـانت تسود الفن الاسبانى بشكل عام الى عالم التعبيرية متجاوبا فى ذلك الى حد كبير مع الحساسية الفنية الأوربية الجديدة ، التى تاكدت بها التعبيرية كاتجاه جديد خلال الاربعينات والخمسينات .

● البيئة الاندلسية فى ثوب تعبيرى

وكانت نشأة ماتيوز فى اشبيلية بربوع الاندلس ، تلك المنطقة التى تختلف عن بقية اسبانيا اختلافا كبيرا ، فهى لم يكن قد ادركها بعد التحول الاجتماعى والتطور الصناعى ، فهى مازالت تحمل عبقا من الماضى البعيد

وحكاياته الاسطورية ابان حكم المسلمين لها والذى دام حوالى ثمانية قرون ، وهى فى النهاية مرتع خصب للنوازع الانسانية الفطرية ، وللحياة التى مازالت تكتسى بثوب البساطة والبدائية . وقد ظلت شخصيات البيئة التى ينتمى اليها ماتيوز ابطالا للوحاته ، واحداث حياتهم واحتفالاتهم واحزانهم موضوعاته المفضلة .

وحين ينتقل ماتيوز عام ١٩١٣ الى مدريد تتاح له الفرصة للقاء الاعمال الفنية العظيمة بالمتاحف الكبرى التى تزخر بها المدينة ، ومن اهمها متحف البرادو الشهير الى جانب احتكاكه بدوائر المثقفين مما فتح له آفاقا اوسع لاحلامه الاشبيلية البسيطة . وقد بدأ حياته الفنية بمجموعة من الرسوم الخطية التى تنتمى الى فن الكاريكاتير ، فعمل فى الصحافة وخاصة فى المجلات الادبية ، وتعامل مع ادباء لهم ثقلهم فى الحياة الفكرية الاسبانية مثل «اورتيجا اى جاسيت» مدير مجلة اسبانيا ، وقد كشفت رسومه فى تلك الفترة عن شخصية قادرة على الغوص داخل الانسان ، واستخلاص معالم السخرية فى تحليل فنى رفيع - ووجد ماتيوز فى الصحافة مجالا خصبا لنشر رسومه ، كما صادف تشجيعا واعترافا بموهبته الفريدة ، مما دفع المسئولين الى ايفاده فى منحة دراسية فسافر الى المانيا من عام ١٩٢٢ الى عام ١٩٢٤ حيث تخصص فى فن الكتاب ، وايضا لدراسة الحفر والتصوير .. وكانت تلك السنوات حاسمة فى تكوين ماتيوز الفنى ، فقد كانت سنوات ازدهار التعبيرية الالمانية ، وانتشار دعوة جماعة «الفارس الأزرق» واكتسب ماتيوز باتصاله بهذه الجماعة الصبغة الاوربية لعمله ، تلك الصبغة التى جعلت اعماله رغم ملمحها الاسبانى تنطلق من اسار المحلية الى آفاق انسانية عالمية .

وفى ميونخ ايضا بدأ ماتيوز تجاربه الاولى فى فن التصوير ، واهلته مقدرته فى ابداع الصور الساخرة من العمل فى مجالات النشر التى تحظى بتقدير عالمى واسع النطاق .

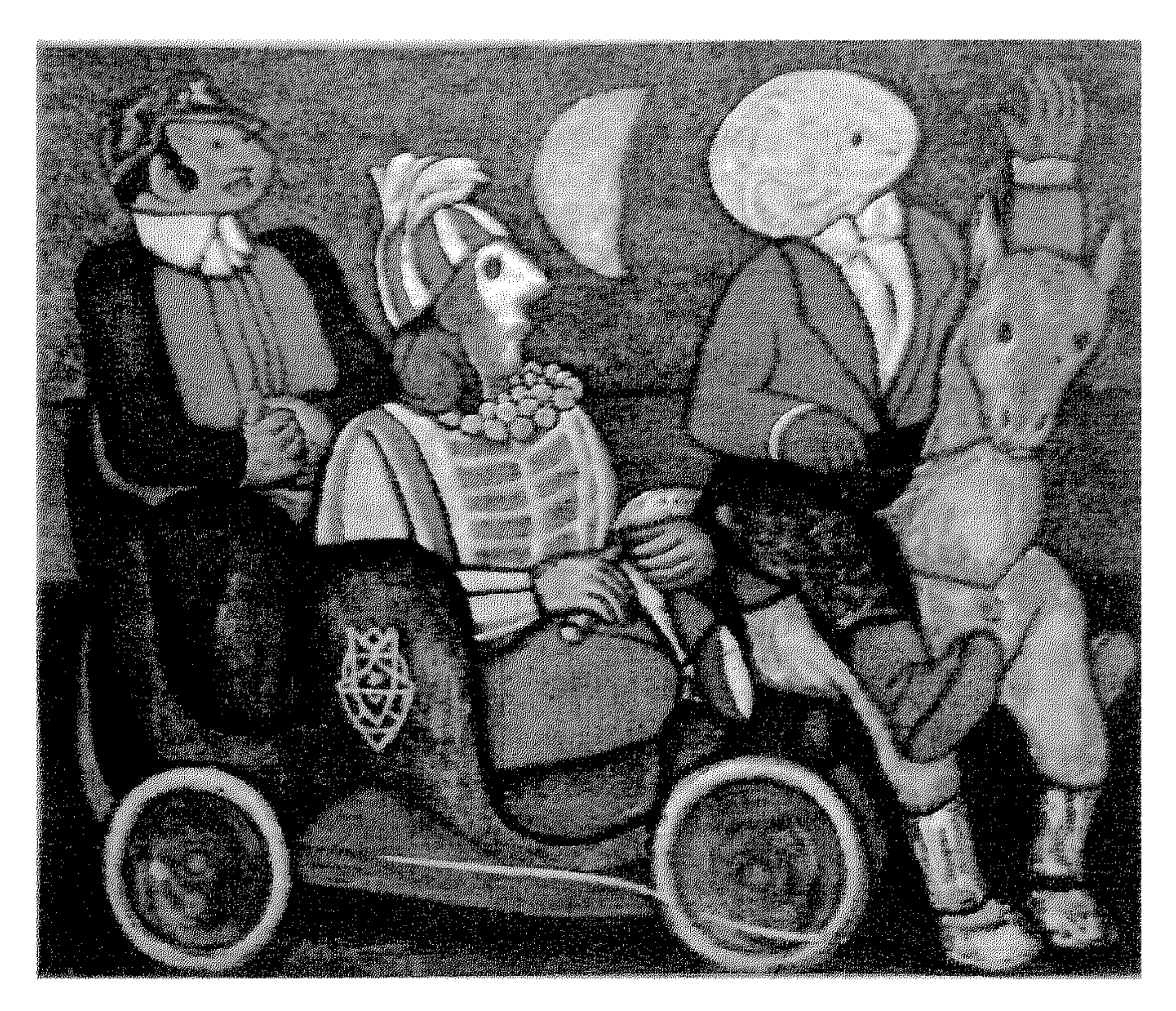
● عالم شاعرى ساخر

ويمتلك ماتيوز شخصية تصويرية قوية فى اسلوبه الفنى ، فعلى الرغم من الملامح التى تجمعه مع فنانين تعبيريين اخرين من بينهم جيمس انسور ونولد وغيرهم من اعلام التعبيرية فان لغته التشكيلية ذات تفرد واضح ، فهو قد استطاع ان يجسد عالما شعريا ساخرا فى التصوير ليس له مثيل بين اقرانه من الفنانين التعبيريين وهو وان كان قد لجا الى استخدام عنصر الاقنعة فى لوحاته فإن تلك الاقنعة تختلف عن اقنعة انسور ذات الايماءات السيريالية .

إن احتفالات الرقص التنكرى التى تقيمها شخصيات ماتيوز هى احتفالات غير واقعية ، لكنها تتخلل العمق الخفى للعواطف الانسانية ، وتكشفه بطريقة شاعرية وذلك فى اطار الاسلوب

الاحلام .. من لوحات ماتيوز





القمـر الازرق

التهكمى الساخر الذى لم يتخل عنه الفنان ابدا .

وتلك المساحات اللونية الصريحة التى تذكرنا بالطابع اليابانى الذى سبق ان استفاد منه معظم الفنانين فى فترة ما بعد المدرسة التاثيرية . والتحريفات والمبالغات فى الاشكال وهى من المعالم التى ميزت المدرسة التعبيرية الالمانية قد وظفها ماتيوز بمهارة واقتدار .

إن ماتيوز يقترب من خلال السخرية والنقد الذى تتسم به اعماله من شهوة الواقع .. وهى اسس الفن الاسبانى ، وينفصل عنه فى نفس الوقت بالجو الشاعرى . وهو غريب على الفن الاسبانى وبهذه الثنائية للشعر والسخرية فان ماتيوز يؤكد وجوده على ساحة الاتجاه التعبيرى ، كما انه يختلف بنفس تلك الثنائية عن كل من ينطوى تحت لواء ذلك الاتجاه .

جواسيس ومساطيل

بقلم : مصطفى درويش

ثلاثة أحداث سينمائية اراها جديرة بوقفة قصيرة اولها حلقة بحث النقد السينمائى .. واقع وآفاق ، التى نظمتها جمعية نقاد السينما المصريين مع معهد جوته ، وشارك فيها الناقد الألمانى "كلاوس ايدر" سكرتير الاتحاد العالمى للصحافة السينمائية ببعض الآراء .

ولن احاول هنا ان اقدم عرضاً ولو سريعاً موجزاً للمواضيع التى تناولتها الأبحاث المقدمة من اثنى عشر ناقداً ، فذلك امر يطول .

وإنما يكفى أن أقول أن أغلبها لسوء الحظ ، ليس فيه ما يملأ النفس إعجاباً ، وما يدفع العقل إلى التفكير المتصل الذى لا يضيع فى غير نفع ، ولا يذهب فى غير غناء .

فيفى عبده .. نور العيون



ويحضرنى هنا وأنا استرجع بعض ما تبقى فى الذاكرة من تلك الأبحاث ، وهو قليل ، قول للأديب الفرنسي "جوستاف فلوبير" جرى به قلمه فى إحدى رسائله على الوجه الآتى :

"من الناس من هو ضيق الأفق ، تقف نظرته عند السطح ، ومنهم من هو مندفع وأحلامه أحلام العصافير ، يتطلب لكل شىء نتيجة أو مغزى ، يريد أن يعرف غرض الحياة وحدود غير المحدود ، هؤلاء أناس يتناولون بقبضة يد عاجزة مسكينة حفنة من الرمال ويقولون للمحيط "سنحصى الآن رمال شواطئك" فإذا تسرب الرمل من خلال أصابعهم وأعياهم إحصاء لا ينتهى ثاروا وبكوا من شدة الغيظ والغضب" .

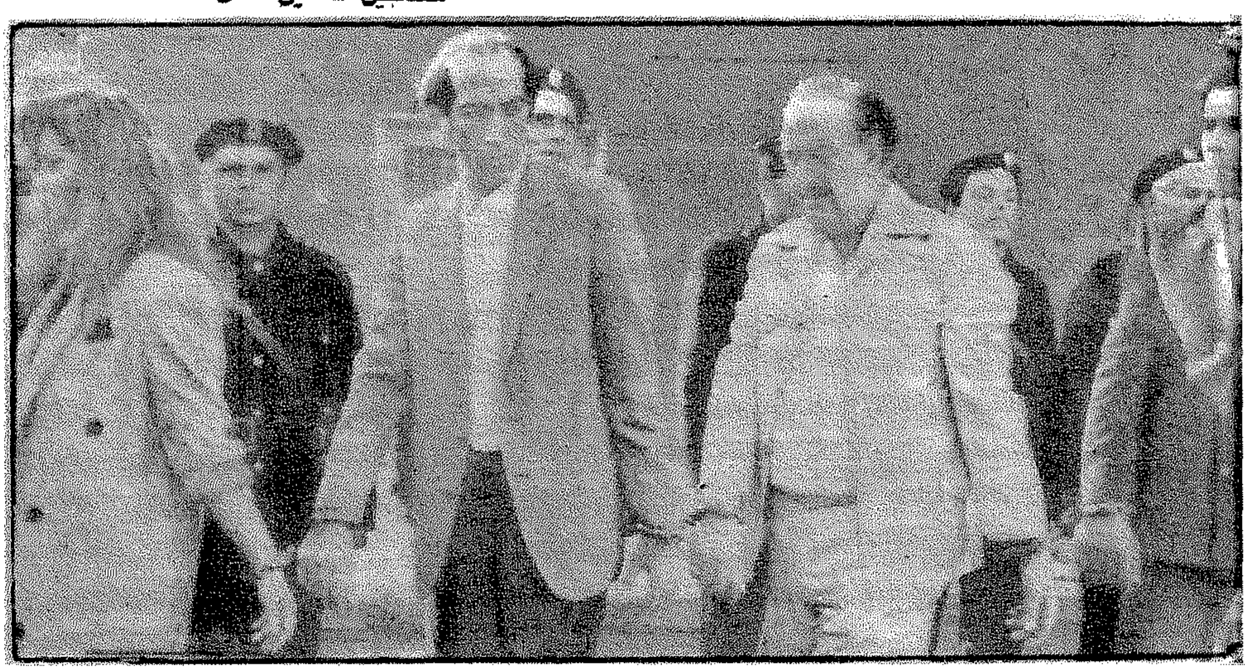
والأغرب من كل ما تقدم أن أحداً من الحاضرين المتحلقين حول الناقد الألمانى الجاد ، لم يحاول محاورته فيما جاء على لسانه من أن السينما كما عرفناها على إمتداد قرن من عمر الزمان ، مآلها إلى زوال .

وأن النقاد أصحاب الأقلام الجادة مهددون بفقدان الأستقلال فيما لو سقطوا فى هاوية إغراء العمل لحساب المنتجين والنجوم وأن هيمنة السينما الامريكية تزداد على مرّ الأيام ، وآية ذلك ارتفاع نصيب أفلامها إلى تسعين فى المائة من زمن العروض على الشاشات الكبيرة فى ألمانيا الاتحادية ، وذلك على حساب الأفلام الألمانية التى إنخفض نصيبها من العروض فى عقر دارها إلى خمسة فى المائة فقط .

● شروق وغروب

والآن وقد فرغنا من هذا ، فلننتقل إلى الحدثين السينمائيين الآخرين ، وهما أولاً رحيل "دافيد لين" آخر المخرجين المعبرين عن الشوق والحنين الى

مساطيل حسين كمال



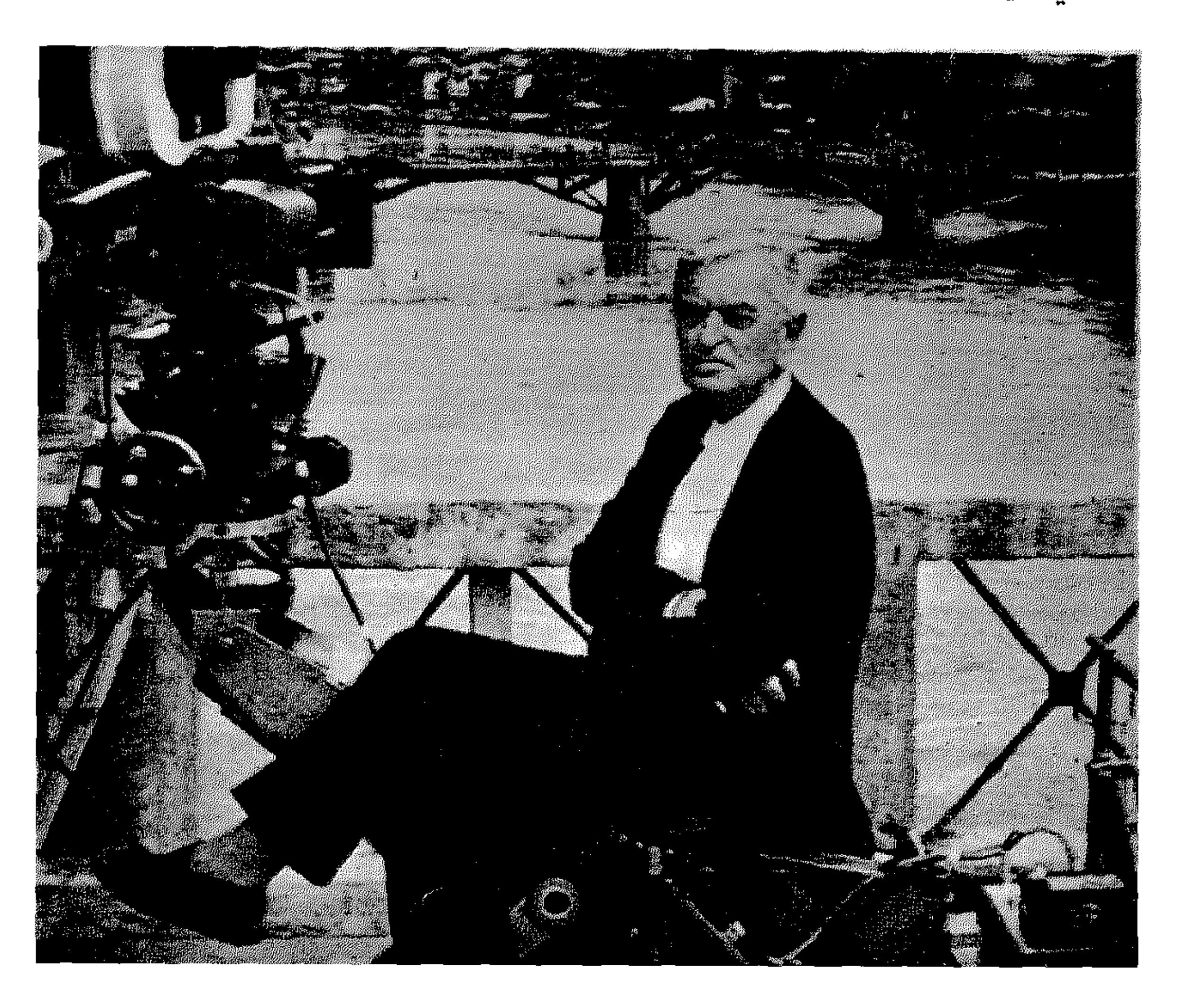
الامبراطورية التى كانت الشمس لا تغرب عنها أبدا .

وثانيا تحول "حسين كمال" الى مخرج آخر منبت الصلة بالفنان الذى ابدع افلاماً من نوع "المستحيل" ذلك الفيلم الذى قال عنه اديبنا الكبير "يحيى حقى" وهو فى مجال الإشادة به . إنه "أول فيلم مصرى يبلغ فيه الفن السينمائى المستويات العالمية الرفيعة" .

وعن "دافيد لين" أقول إن رحيله المنهائى (١٦ ابريل ١٩٩١) ما كان ليثير بيننا كل هذا الاهتمام الكبير . لولا أنه صاحب "لورنس العرب" فضلاً عن انه المخرج الذى أتاح فرصة العمر "لعمر الشريف" كى يصبح نجماً عالمياً . بفضل إسناد دورين له فى فيلمين توجا بالعديد من جوائز الاوسكار هذا إلى أن حظهما من النجاح الجماهيرى كان كبيراً .

ودور "الشريف على" فى "لورنس العرب" أول هذين الدورين . اما ثانيهما

دافيد لين ..





الشريف على . (عمر الشريف) مع لورانس . الجاسوس البريطانى

فدور "الدكتور جيفاجو" فى الفيلم المأخوذ عن قصة بنفس الاسم للكاتب الروسى "بوريس باسترناك" . تلك القصة التى كانت سبباً فى فوز صاحبها بجائزة نوبل للأدب . مما أغضب الدوائر الحاكمة فى الاتحاد السوفييتى وقتذاك غضباً شديداً .

ولن أعرض شيئاً من تفاصيل سيرة "دافيد لين" كيف ولد (١٩٠٨/٣/٢٥) ونشأ فى أسرة متزمتة تعتبر السينما رجساً من عمل الشيطان .

● سر الصعود

وكيف امتلك . وهو لايزال صبياً ليس له من العمر سوى عشرة أعوام . كاميرا مهداة له من عم لستشعر فيه الفنان وكيف حصل بفضل زوجة ذلك العم البعيد النظر على وظيفة مساعد مصور فى أحد الاستوديوهات . سرعان ما هيأته للمشاركة فى إبداع الأفلام عن طريق التوليف ثم لاقتسام الإخراج مع الأديب المتعدد المواهب "نويل كاورد" (١٩٤٢) . وذلك إلى أن توفرت له فرصة الانفراد بالإخراج بعد ذلك بثلاثة أعوام ثم كيف جاءته الشهرة تسعى بفضل "لقاء قصير" (١٩٤٥) "وآمال كبار" (١٩٤٦) المستوحى عن قصة "تشارلز ديكنز" . وجدير بالذكر هنا أنه الفيلم الذى افتتحت به سينما ريفولى بالقاهرة فى سالف الزمان .

وإنما اكتفى هنا بالقول بأنه طيلة حياته لم يخرج سوى خمسة عشر فيلما . وبدءا من "جسر على نهر كواى" (١٩٥٧) لم يخرج سوى خمسة أفلام .

والغريب أنه بعد فشل فيلمه "ابنة ريان" (١٩٧٠) ظل ممتنعا عن الإخراج

جواسيس ومساطيل

زهاء أربعة عشر عاما .

فلما أراد أن يوصل ما انقطع من حياته مع فن السينما المحبب إلى نفسه ، عاد بفيلم "الطريق إلى الهند" المأخوذ عن قصة للأديب الأنجليزى "فورستر" .

ولقد جاءه الموت ، وهو يعد العدة مع كاتب السيناريو "روبرت بولت" لإخراج فيلم مستوحى من قصة "نوستروموم" لصاحبها الأديب البولندى "جوزيف كونراد" .

ويعتبر "جسر على نهر كواى" أحسن افلامه الخمسة الأخيرة من الناحيتين الفنية والإنسانية .

أما "لورنس العرب" فلعله في ظنى أول فيلم تاريخى هام يمجد مقامراً جاسوساً ساعد بدهائه على فتح أبواب شرقنا العربى لاستعمار غربى لانزال نعانى من هيمنته حتى يومنا هذا .

و"حسين كمال" على العكس من المخرج الانجليزى الراحل تماما ، فأفلامه تزداد على مرّ الأعوام عدداً وسوءاً

فمن بين أفلام العيد السبعة التى عادت بها السينما المصرية إلى دور العرض بعد انقطاع دام طيلة أشهر استمرار العدوان على الكويت ، كان له فيلمان أحدهما "نور العيون" المستندة بطولته للراقصة "فيفى عبده" .

ومن الأمور المحيرة أن يكون هذا الفيلم من إخراج "حسين كمال" .

● القعدات والقبلات

وفى الحق ، فلو لم يظهر اسمه على العناوين والملصقات الخاصة بالفيلم ، لذهب بنا الظن إلى أنه من صنع مخرج مبتدىء ، ليس له سابق تجربة مع إبداع الأفلام .

ولما تصورنا ، مهما جمح بنا الخيال ، أن صاحب "البوسطجى" و"شىء من الخوف" يستطيع أن يخرج فيلماً لا أقول يمثل هذا الابتذال ، وإنما يمثل هذا الجهل بمفردات لغة السينما .

وغنى عن البيان أننا لو استرجعنا على شاشة الذاكرة الأفلام التى قام بإخراجها على إمتداد ثلاثين عاماً ، لاكتشفنا أنه رائد ، ليس له فى دنيا الأطياف مثيل .

فهو صاحب "أبى فوق الشجرة" ، ذلك الفيلم الذى ارتفع فيه عدد القبلات النارية المتبادلة بين العندليب الأسمر وراقصة البحر وكل البحار "نادية لطفى" إلى رقم قياسى لم يستطع أى مخرج آخر أن يصل إليه أو يتجاوزه حتى هذه الساعة .

وهو صاحب "ثرثرة فوق النيل" ، ذلك الفيلم الذى تسللت بفضله قعدات الجوزة ومساطيلها إلى السينما المصرية ، ومن يومها والباب مفتوح على الواسع لأفلام من لوازمها سحر الفص المذاب ومساء الجمال .

● نوم العقل

ولأمر ما أصبح كل هذا فى خبر كان وإذا بنا أمام ظاهرة غريبة كل الغرابة .. أمام مخرج يبدو وكأنه فقد ذاكرته السينمائية ، وكأنه يحاول بين الحين والحين استرجاعها فى بعض اللقطات المتناثرة هنا وهناك .

وهذه النكسة المثيرة للأشجان ، نراها

متمثلة فى فيلمه الثانى المعروض فى العيد "المساطيل" .

● التكرار والابتذال

فما أن تظهر عناوين الفيلم على خلفية من أحجار الجوزة ، حتى نتذكر لقطات العناوين فى "ثرثرة فوق النيل" .

والتكرار لا يتوقف عند العناوين إنه يتجاوزها إلى ما هو آت من أحداث تبدأ بجثة "محمود حميدة" طافية على سطح النيل .

فمن خلال تحقيق النيابة العامة تتضح معالم جريمة بشعة اقترفتها شلة انس مكونة من إمرأة "ليلى علوى" وثلاثة رجال وشغال .

والشلة لا تختلف كثيرا عن شلة العوامة فى "ثرثرة" "نجيب محفوظ" .

فأفرادها جميعا مدمنون للهيروين باحثون عن أخس اللذات .

"أحمد ماهر" عاطل بالوراثة ، ابن امه ، عاجز جنسيا ، تخونه زوجته "هندية" مع الغادى والرائح .

و"نجاح الموجى" وغد زنيم ، صاحب محل أحذية توصل إلى امتلاكه بأخس الوسائل والأساليب .

و"حسن حسنى" كاتب محكمة مرتش ، يتلاعب فى أوراق القضايا ، وجد مهربه فى الكيف .

أما "ليلى علوى" فإمرأة سوء ، اضطرها الفقر والعوز إلى الإنحراف وممارسة أقدم مهنة فى التاريخ .

ومع ذلك ، فثمة فرق هام بين الشلتين ، شلة "ثرثرة" .. لها بطل "عماد حمدى" ولى أمر العوامة ، أو حسب كلمات أفرادها "وزير شئون الكيف" .

فى حين أن "شلة" المساطيل بلا ولى نعم مماثل ، فالذى يدور بالجوزة على الأوغاد المدمنين عبارة عن شغال مسكين .

وعلاوة على هذا .. افرادها لا يكتفون بتعاطى الحشيش وإنما يدمنون ما هو أشد منه هولا .. الهيرويين .

● صبر أيوب

والادهى والأمر من التكرار أولا الحوار الذى اراه مباشرا سوقيا ، يفتقد سحر ما كان قد تبقى من حوار "نجيب محفوظ" فى "ثرثرة" .

وثانيا ذلك الانخفاض المفزع فى فن التمثيل إلى مستوى ليس له ما تحته .

إنه ليس بتمثيل سينمائى أو مسرحى ، بل تمثيل من ذلك النوع الذى كله زعيق وتشويح بالذراعين وتلعيب للحاجبين وتحريك للرأس إلى الجهتين .. القصد الأوحد منه هو التهريج الرخيص .

أما الصدق والاقتراب من الواقع ولو قليلا ، أما الذوق المهذب ففى ستين داهية .

ويكفى هنا أن ترى "ليلى علوى" و"سعاد حسين" و"عزيزة راشد" وهن يؤدين الأدوار المسندة اليهن بإلحاح ومبالغة يمتحنان صبر أيوب ، حتى يتأكد لك من كل هذا الزيف والسخف أن "المساطيل" ليس وليد ذوق سليم ، وإنما وليد شىء آخر قد يكون إسمه اللامبالاه أو الأستهتار .



عندما
يحب الشاعر
للشاعرة: جليلة رضا
بريشة: سميحة حسنين

تتساءلين لم القطيعة والجفاء .. لم الغضب
انا يافتاتى لم اقصر فى هواك بلا سبب
لكننى بالأمس جئت اباك استجدى النسب
انى طلبت يد الحبيبة من اب رفض الطلب
واجابنى من ذا تكون ؟ أشاعر ؟ ياللعجب
الشعر تسلية البليد وليس مالا او حسب

● ● ●

انى الملوم . فقد عشقتك دون وعى او رجاء
لم ادر ان الارض ليس لها مكان فى السماء
وظننت ان المال اضعف من هواى وكبريائى
وانا الذى من فرط حبى قد مرضت بكل داء
عندى من الاشعار ابيات مذهبة الضياء
لكن وحقك لم اجد بكنوزها ثمن الدواء

● ● ●

انا لست املك يافتاتى غير أوهامى السحيقة
انى اسير على شطوط كلها جئث غريقة
انا ليس لى ذنب سوى انى تبينت الحقيقة
وفتحت ابواب المشاعر والاحاسيس العميقة
فاذا قبلت فانت انثى تحمل النفس الرقيقة
لا لن يريد اب حياة البؤس لابنته العريقة

● ● ●

انا كم غرست النور والامال فى قلب الشجر
واقمت افراح النجوم لكى يباركها القمر
وخطبت اسراب الرياح العاشقات الى المطر
وعقدت للدنيا مراسيم الزواج من القدر
انا كم رفعت الكلمة النشوى الى حضن الوتر
وفشلت حين اردت ان احظى بحلمى المنتظر

● ● ●

الأرض قد هرمت وشاخ الشعر قيثارا ونايا
والروح عند هبوطها انكمشت على ارض الخطايا
فاستودعى الحب النبيل .. وودعينى يامنايا
ودعى المصير .. فاننا الشعراء قد صرنا ضحايا
انى الفقير هنا على وطن سخى بالعطايا
فالشرق لم يهضم سوى حقى ، ولم ينكر سواى



نقد

تنوع الدلالة فى «شطح المدينة»

قراءة في رواية جمال الغيطاني الاخيرة

د . مصطفى عبد الغنى

تظل الدلالة أهم مايمكن ان نسعى له لفهم احدث روايات جمال الغيطاني الأخيرة ، ومع ان هناك دلالات اخرى تتصل بالمظهر اللغوى او النحوى ، فان المظهر الدلالي يظل من بين أهم مايسعى اليه الناقد للوصول الى (الخطاب) الروائى لدى اى مؤلف .

وزغم ان المظهر الدلالى يمكن ان يحمل اكثر من اشارة ، فان بنية الموضوع ، والتصور الذى يسعى لتاكيده ضمن شروط فنية معينة تقربنا اكثر من الرسالة الموجهة من الروائى الى القارىء ، وهنا يجاوز الفهم المسبق للنص دلالته العقلية ، فاذا تصورنا ان العلاقة بين الحكاية وماتريد قوله تتصل بعدة مجموعات "كالعلاقة بين زمن الحكاية وزمن القول ، او الطريقة التى يتصور بها الراوى الحكاية ، او احوال القصة التى تتوقف على نوعية القول الذى يستخدمه الراوى كى يطلعنا على الحكاية .. اذا تصورنا ذلك كما تشير البنيوية فى بعض اطروحاتها ، فان الراوى نفسه يظل (اداة) نصل منها الى مايمنحه النص ، وليس (اداة) نهائية فى السياق الاخير .

القراءة لاتنفصل عن الواقع ولاتتعالي عليه ..

- ١ -

معنى هذا ان رواية جمال الغيطانى هنا تجاوز الاطار الواقعى الذى وضعت فيه رواياته من قبل ، وخرجت من هذه الدائرة (المغلقة) سلفا على قيم محددة يمكن الوصول اليها باكمال الدلالة او "تخميرها" عبر مناخ جديد يقرأ فيه




جمال الغيطانى

النص فيتحول الى نص اخر مختلف .

وانطلاقا من ذلك ، يمكن القول ان ثمة علاقة بين القيم التى تقدمها هذه الرواية والواقع الذى انبثقت منه ، ويمكن أن نسمى هذه العلاقة الدلالة التى نسعى الان للاقتراب منها ، وهو مايدفع بنا لطرح تساؤلات يمكن ان نفهم عبرها ماتريده الرواية :

ـ ماذا تقدم هذه الرواية ؟

ـ كيف يمكن فهم التحول العميق الذى طرأ على المجتمع العربى عبر الصراع بين مؤسساته ؟

ـ ماهى العلاقة بين زمن الرواية وزمن الدلالة التى تقدمها ؟

ـ كيف يمكن رصد اثار التحول الحاد عبر تبلور البنية الفنية ومدى العلاقة بينهما ... ؟

ولان الاجابة عن هذه الاسئلة تمثل نسيجا يصعب فصل خيط فيه عن الاخر فسوف نحاول رصد الدلالة عبر تواليات غير مرتبة ، وهى تواليات تبدو داخل النص وخارجه بدون مامعنى ، غير ان تجميع بقايا الخيوط والتفرس فى بعضها الاخر يمنحنا فهم هذا النص الذى لايمنح نفسه ببساطة ..

ـ ٢ ـ

رواية (شطح المدينة) تستفيد من رحلات صاحبها على مدى عمره كله ، فضلا عن التجارب والحيوات الكثيرة التى عاشها سواء فى مصر او فى خارجها ، ومن هنا ، فلابد منذ البداية ان ننتبه الى أن (المتخيل) هنا لايخضع لفن (الرحلة) ـ كما عرفها الاقدمون عندنا ـ كما لاتخضع لفن (الرواية) ـ كما عرفها الغربيون هناك ـ وهو مايطرح تساؤلات اخرى ثرّة نؤثر ان نطرحها فى نهاية الدراسة كدلالة العنوان او تحديد النوع (الجنس) الادبى لها ، ونتمهل اكثر عند الدلالة ..

ـ ٣ ـ

ومنذ البداية ، نحن امام هذا النموذج المميز من الرجال ، انه يهبط فى محطة السكة الحديد ـ بعد الطائرة ـ فيسلك طريقه الى المدينة التى تقع على الطريق المباشر الرئيسى ، المؤدى ، الى (الغرب) ، وطيلة النص نحن امام تماه يؤثره الروائى بهدف توظيف معطياته الدلالية ، وعلى ذلك ، فلا يجب ان يخدعنا



من آن لآخر هذه الخيوط التي تتقاطع من داخل النسيج الدرامي النص : كمصر والمغرب والقضية الفلسطينية .. الخ . اذ ان هذا التطويع الفني انما يكرس لشروط اللعبة الفنية التي تصنع مع غيرها عالم الرحلة .

لقد آثر الغيطاني تلمس عالم (الرحلة) كما هو في التراث العربي ليستعيد من عالمها عالمه الفني الجديد ، عبر اعادة صياغة مفرداته عبر اللغة Lansne الخاصة به وليست الالفاظ وتداعياتها في نظام الجملة وحسب .

ونستطيع ان نستخدم هنا لفظة الانسان او المتصوف او - حتى - الرحالة ، غير ان ذلك كله يعني ، في نهاية السياق ، صفة واحدة هي صفة هذا النموذج (المثقف) الذي يصل الى هذه المدينة ليبدا منها وفيها رحلة الكشف عن قيم الصراع بين المؤسسة الثقافية والمؤسسة الحكومية .

والهبوط الى الاطار الانساني - وعبر عديد من التقنيات التي ترتبط بصيغ فنية ثرة تحتاج لدراسات خاصة - نستطيع ان نفهم اشارات الحدث المتوالية عبر القفز على تراكم المشكلات ذات الطبيعة الواحدة ، ان البلدية هنا هي المؤسسة الرسمية القوية التي تحرك كل شيء لتقيم هذه المشكلات التي تتحول لتصبح مع التفاقم ، هذا الواقع الذي يحول بدوره دون أي تغيير .

ان المتخيل الروائي يجسد هذا الواقع عبر آليات الحركة الفنية وتداعياتها .. ان قضايا بلد مثل مصر ، او سوريا او فرنسا (على سبيل المثال) تظل جزءا من قضايا العالم كله ، والمثقف المصري او السوري او الفرنسي يظل احد متلقي هذا الواقع في هذا العالم الكبير وليس في قطر دون قطر اخر ، ويكفي ان ندلل على هذا من مثال نعثر عليه اثناء الخلاف الذي نشأ داخل النص بين رئيس الجامعة ورئيس البلدية .. رئيس الجامعة يقود حملة ضد الدولة ينظم الاضرابات ويرفع اللافتات الاحتجاجية وينظم المسيرات ، وهنا يقود رئيس البلدية الحملة المضادة :

رئيس البلدية تصدى بحزم صارم ، اعلن ان الاحتجاج موجه في جوهره ضد السلطة الاتحادية ، وهذا مخالف للمادة السادسة من الدستور ، واكد انه سوف يتصدى لأية مسيرة تتجاوز الاسوار الجامعية ، وقال انه تم تزويد الحرس ببنادق الية تطلق رصاصات مطاطية تصيب الانسان بجروح غير قاتلة لكن من الصعب مداواتها ، واتبع تصريحاته بحضور تدريب لاطلاق هذه الرصاصات) .

ونلاحظ هذا من موقف الراوي ، انه وان بدا يتلمس ضمير الغائب ، فانه ظل شاهدا ، متخفيا في الوقت نفسه ، اذ ان الحضور المكثف له لايزيد على تجسيد قضية الصراع ، فيتحول ، رويدا رويدا الى احد آليات هذا الصراع ، وفي حين يبدو عاملا حاسما في النص الادبي ، فانه لايزيد - في الوقت نفسه - على كونه اداة لعرض هذا الصراع بين المؤسسات ، وهو مايعود - كما يلاحظ لوكاتش - الى ان

حياة هذا الراوى (المثقف) تكون متوازية ومرتبطة بحيوات اخرى لدى الاخرين الذين يحملون نفس الامال والطموحات .

وربما لهذا السبب يمكن ان نرى فى هذا النموذج / الروائى رمزين اثنين :

انه منذ البداية يبدو شخصا محددا ، له واقع فيزيقى محدد ، اوراق سفره ، خصوصياته ، حاجياته ، وفى نهاية النص يتلاشى او يكاد من التعبير الدرامى ..

ان التقابل بين الرمزين يخصب الدلالة التى يتمخض عنها الصراع ، غير اننا بين هذا كله يمكن ان نتعرف اكثر على تراكم هذا الصراع فى عديد من المظاهر : فالصحف الثلاث التى تصدر فى المدينة ، والمعبرة كلها عن وجهة نظر البلدية تجاهلت الاحتفال الذى دعا اليه رئيس الجامعة للأحتفال ولم ترد اخباره الا فى صفحة الحوادث المحلية والجرائم وبعض الاعلانات الخاصة بالمدينة ، اما مراسلو الصحف الرئيسية فى العاصمة ، فيبدو ان علاقاتهم ومصالحهم مع البلدية الزمتهم نفس الموقف ، اما وزير السياحة الاتحادى "ابدى قلقه من موقف البلدية" .. وراحت اجهزة المخابرات تقود الصراع ابان الازمات الكبرى لصالح البلدية ، اذ كان جهاز المخابرات والمباحث "الفرع الرئيسى لادارة الامن الاتحادية ، يتبع العاصمة ، مديره يعين بقرار رسمى ، لكن ثمة علاقة قوية بالبلدية ..

وعلى هذا النحو ، فليس غريبا ان يكون رئيس هذا الجهاز من غير ابناء البلاد ، وان يكون لجهازه منزلة خاصة فى طول البلاد وعرضها ، وان يتصاعد الدور الامريكى الى اقصاه فى هذا المناخ الملائم لسيطرة الهيمنة hegemonique بالمعنى الذى كرس له وحقق فى ازمة - كأزمة الخليج - حتى استطاعت هذه الهيمنة السيطرة على مقدرات عالمنا اليوم .

اننا اليوم امام بناء عال من الاحكام يتولى تسبيج القرى والمدن الكثيرة المنتشرة فى عالمنا التعس ، وهذا العالم يحمل مزيجا من الافكار الكافكاوية ويعيد فرض العالم الارهابى الغريب الذى نحياه جميعا ولانجد مخرجا واحدا منه ..

على ان الغلو فى رسم نموذج الروائى من حيث المصير الذى انتهى اليه لايخلو من معنى ، فكما ان هذا النموذج يظل فى حد ذاته رمزا لما يحدث للمجتمع وماتنتهى اليه حركة التحرر من القيود المفروضة علينا ، فان المصير الذى ينتهى اليه يعكس - على اكثر من مستوى - تنوع الدلالة العامة للنص .

ان النموذج (المثقف) لايصبح مع الوقت الغاية القصوى وهو مايقترب بنا - اكثر - من تتبع مصير النموذج وتنوع الدلالة التى انتهى اليها داخل النص وخارجه .

- ٤ -

ان الرحالة او المدعو لهذه المدينة يكتشف ، وفى نهاية النص ، اختفاء من حوله كل مايمثل الواقع الذى يعرفه او يدل عليه حتى اوراق سفره وهويته تتوارى وعلى هذا ، يتحول هذا الشخص (الذى كان موضع احتفاء المدينة) الى شخص مجهول (موضع ريبة شديدة) لقد اصبح فى حكم البلدية فى موقف التعارض بين ماكان (اسم وشخص يعرفه هو فقط) وماهو كائن (اسم وشخص لاتعرفه اجهزة الحكم)

وبين الواقع الجديد يتحول هذا



الشخص الى انسان خارج على النظام ، بغير هوية ، مشكوك فى امره ، بل تتحول الحيرة والشك اليه هو :

(المعانى هائمة ، عامة ، غير مفصلة ، تتوارد عليه صور عديدة ، لحظات مارقة ، سرعان ماتنحدر الى المنطقة المعتمة فى الذاكرة) ..

لقد اختفت امامه الشخصيات التى عرفها عن قرب ، ولم يعد يعرف فى المدينة بغير صفة كادت تجسد وضعه الجديد ، وهى الصفة التى راح يطلقها عليه الاخرون :

- انت غريب ؟

بيد ان هذه المدينة التى تنكرت له ، لاتكون من العنت بحيث تجهض احلامه الداخلية ، لقد اكتشف - فجأة - انه لاينتمى الى هذا العالم الجديد : السجن ، الحرمان ، الغربة ، فقدان الهوية ، فقدان القيم .. التلاشى ، ومع ذلك ، فان ذلك كله هو مادفع به الى استخدام المتخيل (الروائى) ليصعد به من جديد الى مدينته التى جاء منها :

(مع تبادل الخطأ ، يرحل من صورة الى اخرى ، من فكرة الى فكرة ، يستعيد تجواله فى مدينته القصية ..)

- يمشى متئدا ، مثقلا بهموم الحنين وعرا الى مدينته ، الى حضورها الان اول الليل ، نواصيها ، مبانيها ، شوارعها ... و ... فمن يصله الان .. من ؟ ..) .

- ٥ -

وتنتهى الرحلة ولاتنتهى .

ولأن اية رحلة تضمر سيرة ذاتية فى علاقاتها المتقاطعة بالغير ، فان مايمنحه نص (شطح المدينة) بوجه خاص ، يظل هو التحفيز على رصد العلاقة بين (الانا) وبين (الاخر) . انه نص فنى لايعبر عن الانا الذاتية بقدر مايعبر عن الانا الفاعلة فى الضمير الجمعى للمجتمع العربى ..

وهو مايصل بنا الى بدهية هامة ، هى ، ان الفضاء الروائى لايستحوذ على العلاقة (الانا × الاخر) وانما العلاقة (الواقع × الواقع المضاد) وهو مايخرج بنا من اطار المقارنة الحضارية الى اطار اخر ، الواقع الذى نحياه بما يرفع عنه شبهة ادب (الرحالة) الذى يستفيد من الاخرين ويستعيد تجاربهم ، وانما يدفع بنا - عبر شكل الرحلة - الى افاق هذا الواقع الذى تصل بشاعته الى حد الاستحالة ..

وحين يتحول الواقع الى استحالة لايمكن تصديقها ، يأتى دور المتخيل الروائى ليضيف مايمكن الوصول منه الى الفعل الفنى الخلاق .

وعلى ذلك ، يمكن ان نستعيد ، فى ضوء المتخيل الروائى لهذا النص عدة مستويات اخرى تمثل تنوعا للدلالة فتخصب (الخطاب) وتؤكده ، منها :

- الصراع بين المؤسسات (الجامعة : الدولة)

- الصراع بين الفكرتين (الصوفية : الاجتماعية)

- الصراع بين الواقعين (الحقيقى والمتخيل)

وهو صراع - كما اسلفنا - يعكس قضية المثقف فى علاقاته بالمؤسسات القمعية والمتسلطة فى هذا العالم ..

العالم الثالث بالطبع .



• المكتبة •

الإرهاب الدولي
الأسطورة والواقع

تأليف: ناعوم شومسكي
ترجمة: لبنى صبري
تقديم: مصطفى الحسيني

الكتاب : الإرهاب الدولى الأسطورة والواقع

تأليف : ناعوم شومسكى ، ترجمة لبنى صبرى

الناشر : سينا للنشر ، ١١٤ ص ، ٥ ج م

يقول الكاتب مصطفى الحسينى فى تقديمه لترجمة هذا الكتاب عن مؤلفه .. "ليس شومسكى واحدا من جمهرة علماء اللغويات ، بل هو بينهم عمدة من البارزين ، وعلم على مدرسة ، فاللغويات عنده هى علم إستكشاف قدرة الإنسان على الإدراك ونمو تلك القدرة التى تعبر عن نفسها من خلال اللغة ، وهذا ما يعقد صلة وثيقة بين تخصصه وبين جلاء إمتهان اللغة فى الإستخدام السياسى الأمريكى لكلمة الإرهاب . لأن إشاعة تعريف وفهم مشوهين ومغرضين للكلمة ، إنما يؤثر على إدراك من يتلقون التعريف والفهم لحقيقة الظاهر التى تزعم الكلمة التعبير عنها ، بهدف تشويه هذا الإدراك العام لظاهرة العنف الذى تمارسه بعض حركات التحرر الوطنى ، فى مقابل عنف العسكرية العدوانية الأمريكية والإسرائيلية والتى تشارك فيها دول غربية كبيرة أخرى .

فإذا تشوه الإدراك العام على النحو الذى يشيعه الإستخدام السياسى الأمريكى للكلمة ، تكون السياسة الأمريكية قد حققت أكثر من نصف هدفها : عزلت عنف الضعفاء من إمكانية تعاطف الناس معه ، وجردت هؤلاء الضعفاء من واحد من أسلحتهم القليلة لأن "الرأى العام لم يعد يقبله" .

فإذا نظرنا إلى ما كتبه شومكسى من زاوية ميدانه الأصلى ، علم اللغويات ، فإن ما كتبه يكون دراسة تطبيقية فى الإنحراف بالإدراك العام عن طريق العبث باللغة لتحقيق أغراض سياسية خبيثة

ويقول شومسكى فى مفتتح كتابه :

يحكى القديس أوغسطين قصة قرصان أسره الإسكندر الأكبر ، وسأله : "كيف تجرؤ على الإعتداء على الناس فى البحار ؟" فأجاب القرصان : "وكيف تجرؤ أنت على الإعتداء على العالم بأسره ؟ . الأننى أقوم بذلك بسفينة صغيرة فحسب أدعى لصا ، أما أنت ولأنك تقوم بنفس الشىء بأسطول كبير يدعونك إمبراطورا ؟"

ويعلق القديس اوغسطين على رد القرصان بانه رائع ودقيق ، وهذا الرد يرصد بشيء من الدقة العلاقات الراهنة بين الولايات المتحدة والعديد من القائمين بالأدوار الثانوية على مسرح الإرهاب الدولي .

إنه كتاب رائع عن اساليب التلاعب باللغة من اجل إصباغ مفاهيم معينة على بعض المصطلحات ، كتبه إستاذ علم اللغة فى جامعة كامبردج ماساشوسيت ، بالولايات المتحدة الأمريكية .

معجم تصريف الأفعال العربية

حسن بيومى
خليل كلفت
احمد الشافعى

الكتاب : معجم تصريف الافعال العربية .

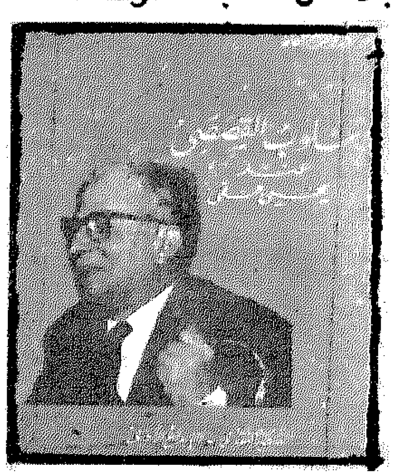
تاليف : حسن بيومى ، خليل كلفت احمد الشافعى .

تصدر شركة دار إلياس العصرية هذا المعجم الجميل بكثير من الإناقة والإتقان ، وهى بذلك تعود إلى ايامها الخوالى ، ايام كانت قواميسها هى الأشهر والأدق بين نتاج العرب فى هذا المجال

تعود بمعجم صنفه ثلاثة من الباحثين الجادين الذين إستغرق عملهم قرابة الخمس سنوات تناولوا خلاله قسما من اهم اقسام الكلام ، الا وهو الفعل ، الذى من الضرورى أن يتقن الناس تصريفه وإستخدامه ، يقول المؤلفون :

" الحقيقة أن صرف الفعل يحتل مكان الصدارة فى علم الصرف العربى ، فالصرف ـ كما يقول العلماء ـ أصل فى الأفعال فرع فى الأسماء ، كما أن الإعراب أصل فى الأسماء فرع فى الأفعال ، والأمر الذى لا جدال فيه هو أن تصريف الفعل فى لغتنا العربية يمثل صعوبة كبرى من صعوباتها إذا حلت تكون العربية قد حلت جانبا كبيرا من جوانب صعوبتها كلفة .

ولحل هذه الصعوبة يعمد هذا المعجم إلى طريقة جديدة تقوم على التصريف العملى للأفعال النموذجية فى لوحات مرقمة بأرقام مسلسلة وتغطى كل لوحة تصريف الفعل النموذجى فى كل الأزمنة والأساليب النحوية مع كل الضمائر بالإضافة للمصادر والمشتقات والأسماء الأخرى الخاصة بالأفعال التابعة للوحة .



الكتاب : الأسلوب القصصى عند يحيى حقى .

تاليف : د . عبدالفتاح عثمان

نشاط يحيى حقى يضرب فى إتجاهين : التنظير النقدى ، والإبداع القصصى ، وعطاؤه فيهما ثرى ، لذا نجد مؤلف هذا الكتاب يؤكد على أن حقى قد "عبر فى المجال الأول



عن رؤية نظرية نقدية متماسكة للفن القصصي عامة، والأسلوب منه على وجه الخصوص، كما أبان فى المجال الثانى عن رؤية فنية متفردة للحياة بمن فيها ومافيها بحيث إستطاع من خلالها توحيد مفردات الكون فى بؤرة شعورية جمعت بينهما فى عاطفة حميمة، فاستدعت العلاقات الغائبة بين الأشياء، وكشفت عن الصلات الخفية التى نراها ولا نفطن إليها.

وهذا الإنتاج المتميز، يقول المؤلف، لم يأت عفو الخاطر، وإنما كان نتيجة للمعاناة والجهد الإرادى العاقل، والقدرة على التأمل، والتوغل فى باطن المدركات لإدراك أسرارها الخاصة التى تبوح بها.

وقد كان الأسلوب الخاص المتميز أحد الهموم الكبرى التى انفق يحيى حقى جهده من اجلها منظرا لطبيعته وموضحا لوظيفته فى خدمة الحدث الدرامى وفى بناء الشخصية الروائية ومن الذى وصفه بالأسلوب المعتمد على التحديد والحتمية والعمق.



الكتاب: سيدنا الشيخ فى المقهى
قصص: محمد عبدالقدوس
الناشر: مكتبة مصر

هذه هى مجموعة القصص الأولى للصحفى النابه محمد عبدالقدوس، إبن الراحل الكبير إحسان عبد القدوس. الذى يبدو انه قد ترك فى نفس إبنه هذه البذرة فى كتابة القصص.

وعلى الرغم من أن محمد عبدالقدوس كان قد إتجه فى حياته للصحافة، والرأى الإسلامى الذى يدعو له بكل إخلاص وتفان، فإنه وبسبب من تأثير البيئة التى وجد نفسه فيها إتجه لكتابة القصة، محاولا بجدية شديدة أن يوائم بين ممارسة هذا الفن، وبين أفكاره ودعوته، فى محاولة مخلصة لأن ينشىء فيما يسميه القصة الإسلامية.

وهو يقصد بها قصة عادية من حياة الناس العاديين لكنه يتوقف فيها أمام مواقف إسلامية، وأقوال إسلامية.

وقد نجح الكاتب فى كثير من نماذج هذه المجموعة فى تحقيق هدفه هذا، وإن كان قد اخفق فى بعض الأحيان بأن كان إدخاله احيانا للحكمة، أو الآية القرآنية الكريمة، أو الدعوة إلى الفضيلة، إدخالا فيه شىء من الإقحام، وهو بكثير من التجريب، والممارسة، والمحاولة الدءوب، فإنه بلاشك سوف يصل إلى ما يريد فى هذا المجال.

العرب كانوا يحجون بالمحمل

بقلم : إبراهيم حلمى

فى سرعة مذهلة ، وعلى مقعد وثير فى الفضاء أو على الماء اصبح الحجاج الآن يجتازون حدود أوطانهم الى الاراضى الحجازية ، بلا عناء بلا مشقة . اما ايام زمان فقد كانت رحلة الحج فى غاية التعب ، كان المسافر فيها يقطع آلاف الكيلومترات عبر رمال الصحراء وعبر شهور الزمن من اجل نيل الغفران .. !

● سنة اولى محمل وماتلاها

شىء عادى جدا ان تتوه منا البدايات الأولى لظاهرة المحمل .. هكذا التاريخ ، لا اتفاق على شىء محدد ، فبعض المهتمين بالفولكلور ارجعها الى عصر المماليك ، أيام الظاهر بيبرس او شجرة الدر ، والبعض ارجعها الى الدولة الفاطمية ، ومنهم من نسبها الى العادات العربية القديمة ، إذن ، فالمحمل كان موجوداً ، ولكن اقلام المؤرخين هى التى كانت غائبة ، او لعلها كانت موجودة ، ولكنها ضاعت منا ، او ضيعناها نحن بأيدينا او بأيدى غيرنا ممن قاموا بتهريب كتب ومخطوطات تاريخية للخارج زمان ..!!

وكثير من الشعوب ضاعت منها اجزاء من تاريخها ، أو دفنت منها تحت أكوام من رمال التناسى ، هذه حقيقة مؤكدة ، ولكنها فى انتظار من يحفر ليعثر عليها ، ولأن المحمل جزء من تاريخنا القديم ، فقد تم دفنه فى رمالنا التاريخية ونسيناه ، كأنما سرنا فى جنازته عبر مقابر التاريخ ، حتى شيعناه الى مقره الأخير ، تركناه بضع انفاس هامدة ، أو هكذا تخيلنا .. !

وعندما القينا عليه النظرة الاخيرة نظرنا اليه باحتقار ، كأنما كان هذا المحمل نوعا من التخلف ، او كان هو السبب الوحيد لتخلفنا ، فدفناه ، ونسيناه وتخيلنا بذلك اننا تقدمنا ، وأن الساعات التى فى ايدينا لن تعود بعد ذلك الى الوراء .. !

سفر المحمل الشريف فى نوفمبر ١٩٤٥



ولم يبك احد على تلك الجريمة ، جريمة وأد المحمل ، او لعل بعض العيون بكت ، ولكن الدموع تحجرت ، ظلت حبيسة الكبرياء ، تخشى الظهور ، وتخشى أن تقول ان الأمم المتحضرة لا تخجل من تاريخها ، كما أنها لا تدفنه ايضا بأيديها .. !!

● المحامل العربية كانت رباطا

التاريخ العربى يقول ان المحمل لم يكن مصريا فقط ، بل كان يفد الى الأرض الحجازية محامل من العراق والشام واليمن ، هذا بخلاف محملنا المصرى الشهير .. ! كانت مظاهرة حب عربية مقدسة .. !!

كانت هذه المحامل تمثل الاتجاهات الرئيسية الجغرافية : الشرق والشمال والجنوب والغرب من مكة ، وكانت هذه المناطق تمثل الاتجاهات الرئيسية فى صناعة التاريخ العربى .. !

كأنما كانت مكة هى القلب فى الصدر ، وتلك المحامل تمثل الشرايين الرئيسية فى جسم الحضارة العربية .. !

● خطوات المحمل العراقى

كان اكثر هذه المحامل العربية أبهة هو محمل العراق ، ومن وصفوه قالوا عنه الكثير والكثير ، حتى عد اسطورة من الاساطير لا تصدق فى البذخ .. !

قال عنه الرحالة الاندلسى ابن جبير : «كان ابو سعيد بن خربندا يولى امر



المحمل العراقى عناية خاصة ، فيقال انه اختار الحرير قماشا للمحمل ، ورصعه بالذهب واللؤلؤ والياقوت وانواع الجواهر الأخرى ، حتى بلغت قيمة الحلية ٢٥٠٠٠٠ دينار من الذهب المصرى أو ١٢٥٠٠٠ جنيه ، وجعل للمحمل خزايسبل عليه اذا وضع» .

وحينما سار ابن جبير فى موكب المحمل العراقى عام ٥٨٠ هجرية بهرته حفاوة استقبال العراقيين للمحمل ، كما بهرته تلك الزينات التى وضعوها على اعناق الابل بالحرير الملون والقلائد «المزوقة» ، وتلك الزينات التى اعتلت قبة المحمل العراقى بسبائك الذهب التى على شكل أهلة وعلى شكل دنانير فى سعة الاكف .. !!

● المحمل الشامى رفيق للمصرى

ولم يكن المحمل العراقى وحده يستحوذ على كل الاهتمام العربى والاسلامى ، على الرغم من ترفه وبذخه الشديدين ، فكان للمحمل الشامى ، حضور قوى على الساحة العربية ، او كان له صوت مسموع فى مظاهرة الحب الاسلامى المقدسة ، وأن لم يكن اكثرها صخبا وجلجلة !

قال عنه الحافظ ابو الطيب تقى الدين احمد وهو احد قضاة مكة (٧٧٥ ـ ٨٣٢ هـ) فى كتابه «شفاء الغرام باخبار البلد الحرام» ضمن حوادث سنة ٦٩٤ هـ : انه قد حجت عمة صاحب ماردين مع الركب الشامى ، وكان لها محمل كبير ، وسبيل كبير ، وتصدقت بمال كثير ، وانتفع بها الحاج واهل الحرمين وأمراء مكة والمدينة .» .

كما اخبرنا عنه ايضا ضمن حوادث عام ٨٠٦ هجرية ، فقال : «حج الركب الشامى على طريقته المعتادة ومعه محمل ، وكان قد بطل من سنة ثلاث وثمانمائة ، وحج الشامى فى سنة سبع وثمانمائة كحجة فى سنة ست بمحمل وعلى طريقته المعتادة .» .

ولم يذكر لنا هذا القاضى المكى لماذا توقف ارسال المحمل الشامى ، هل كانت هناك قلاقل ؟ هل كان عدد الحجاج الشوام ضئيلا فى تلك الفترة التى امتنع فيها وصول المحمل ؟ لا احد يعرف سر ذلك ، لكن الذى نعرفه عن المحمل الشامى انه دخل فى دائرة صراعات ومشاحنات عديدة بعد ذلك .

كانت القلاقل موجودة بين نظام الحكم المملوكى فى مصر واتباعه فى الشام فى عصر السلطان الناصر فرج ابن برقوق ، وفى الوقت الذى راح فيه الامير شيخ يستخدم سياسة العصا لمن عصى فى الشام كان امير حج المحمل المصرى يقبض على امير المحمل الشامى ، على ارض مكة ، ويرميه ـ على حد تعبير ابن اياس ـ فى الحديد سنة عشر وثمانمئة هجرية .

كان الصراع بين المحمل الشامى والمحمل المصرى نموذجا مصغرا لصراع الساسة الكبار ، او كان بروفة يتم فيها اختبار العضلات المفتولة وغير المفتولة ، وكان صراع المحامل تحدده المشاعر وقتها بما تحمل من درجة سخونة

عالية او هابطة ، ثم بعد المناجزة تتم المصالحة ، كأنما هي مباراة رياضية .. !

وقد حدث ان تسابق المحمل الشامي والمحمل المصرى فى عام ٩١٩ هجرية وهما فى مكة ، ففاز بالسباق المحمل الشامي ، فغلى الدم فى عروق الحجاج المصريين ، فعقروا جمل المحمل الشامي ، غير أن امير المحمل المصرى قدم للشوام جملا عوضا عما قتلوه لهم ، وتم الصلح بين الشوام والمصريين فى منى على يد امير مكة الشريف بركات ، وكانت زوبعة فى فنجان ، أو كانت فتنة ووقاهم الله جميعا شرها .. !

وحينما تعرض المحمل الشامي لهجوم فى رابغ ، قبل ان تطأ الاقدام مكة ، انخلعت القلوب فى القاهرة لما فعل عرب الينبع وخليص بالمحمل الشامي فى سنة ٩٠٨ هجرية . قال ابن اياس معبرا عن تلك الحادثة : «وفعلوا بهم ـ يقصد فعلوا بالمحمل والحجاج الشوام ـ مالا فعله تمرلنك لما دخل الشام ، فلما جاءت هذه الاخبار الى القاهرة اضطربت احوال الناس لهذه الاخبار» .

وقد يكون مبعث انفعال المصريين وخوفهم هذا حزنهم على ما جرى للمحمل الشامي ، أو تخوفا من ان يصاب المحمل المصرى بمثل ما اصاب المحمل الشامي ، وسواء اكان السبب هذا او ذاك فيكفى ان تجتمع مشاعر فرقتها الاهواء على شيء واحد ، حتى لو كان هذا الشيء حزينا او مخيفا ، منتهى الالتصاق لمشاعر شتى للمسلمين صنعها المحمل .. !

وعلى الأرض الحجازية كان المحمل الشامي ملازما للمحمل المصرى ، فوق جبل فى عرفات وفى منى ، دائما متلازمين وحدهما ، ومن ينظر فى تقاليد تسلم زمام المحمل سيجد انهما كانا مثل ظلين لجسم واحدة وروح واحد وقلب واحد ، او هما ظل واحد لجسمين وروح وقلب واحد .. !

منذ تسعين سنة قال امير المحمل المصرى ابراهيم باشا رفعت يصف تلك اللحظات بروح الحب : «فى منتصف الساعة الثانية عشرة العربية من صباح يوم الاثنين ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هجرية ، سارت قوتنا من معسكرها بالشيخ محمود الى المسجد الحرام فوصلت بعد نصف ساعة ، وهناك وجدنا فى الجهة الشرقية العساكر الشاهانية مصطفة قبالة باب علي ـ رضى الله عنه ـ واصطف حرسنا فى الجهة المقابلة بجوار المسجد بعد ان البسنا محملنا كسوته القصبية ، وكذلك اصطف موظفو الحكومة الحجازية بمكة باوسمتهم وملابسهم الرسمية ، وبعد فترة اقبل دولة الوالى بركبه ، ووقف بين هذا الجمع المحتشد ، فتقدم اليه امير المحمل الشامي عبد الرحمن باشا يقود زمام جمله وسلمه الزمام ، فدار بالمحمل خمس دورات ، ثم سلمه لاميره بعد أن لثم مقوده ، ولحظتئذ صدحت الموسيقا الشاهانية بسلام جلالة السلطان ، وهتف العسكر والحضور بالدعاء له ثلاثا ، ثم تقدم اليه امير المحمل المصرى بزمام محمله ، فتسلمه منه ، ودار به خمس دورات كما فعل بسالفه ، وسلمه للأمير وصدحت الموسيقا بالسلام الملكى ، ثم القى الشيخ السنباطى خطبه دعا فيها لجلالة السلطان ودولتى الشريف والوالى ، وختمها بالدعاء للجناب الخديوى ، وعقب ذلك انصرف المحملان يتبع كلا حرسه الى مقره بمعسكره .» .

وعلى جبل عرفات كان للمحملين الشامي والمصرى ظل واحد ، ولسان واحد يجهر امام الله بالدعاء ، قال امير المحمل المصرى يصف هذا التوحد وهذا الذوبان : «قبل المغرب بساعة من يوم عرفة تحرك المحملان المصرى والشامى ، أولهما يسار ثانيهما ، يتقدمهما اميراهما وامين الصرة ، والجند يحيطون بهما ، حتى وصلا الى سفح جبل الرحمة فى مكان صلب مرتفع قليلا عن سطح الارض ، ووقف الخطيب على جمل بجبل الرحمة قريبا من سفحه ، يحيط به العساكر لمنع التزاحم عليه ، ووقف بجواره ميلغان مصرى وشامى بيد كل منديل يلوح به للحجاج كلما سكت الخطيب ، وساعة يلوحان ترى الآلاف المؤلفة من الاجناس المختلفة وقد كشفت منهم الرءوس .» .

كان المحمل الشامى معروفا عنه انه من اشهر المحامل العربية فى «التزويغ» والروغان من دفع عوائد قبائل بدو الاراضى الحجازية ، كان كثيرا ما يغير مساره فى الأراضى الحجازية حتى لا ينتظره احد من العربان ، انها نوع من الشطارة ، فى حين كانت المحامل الاخرى ترضخ لذلك وتسلم امرها لله ، وتدفع .. !

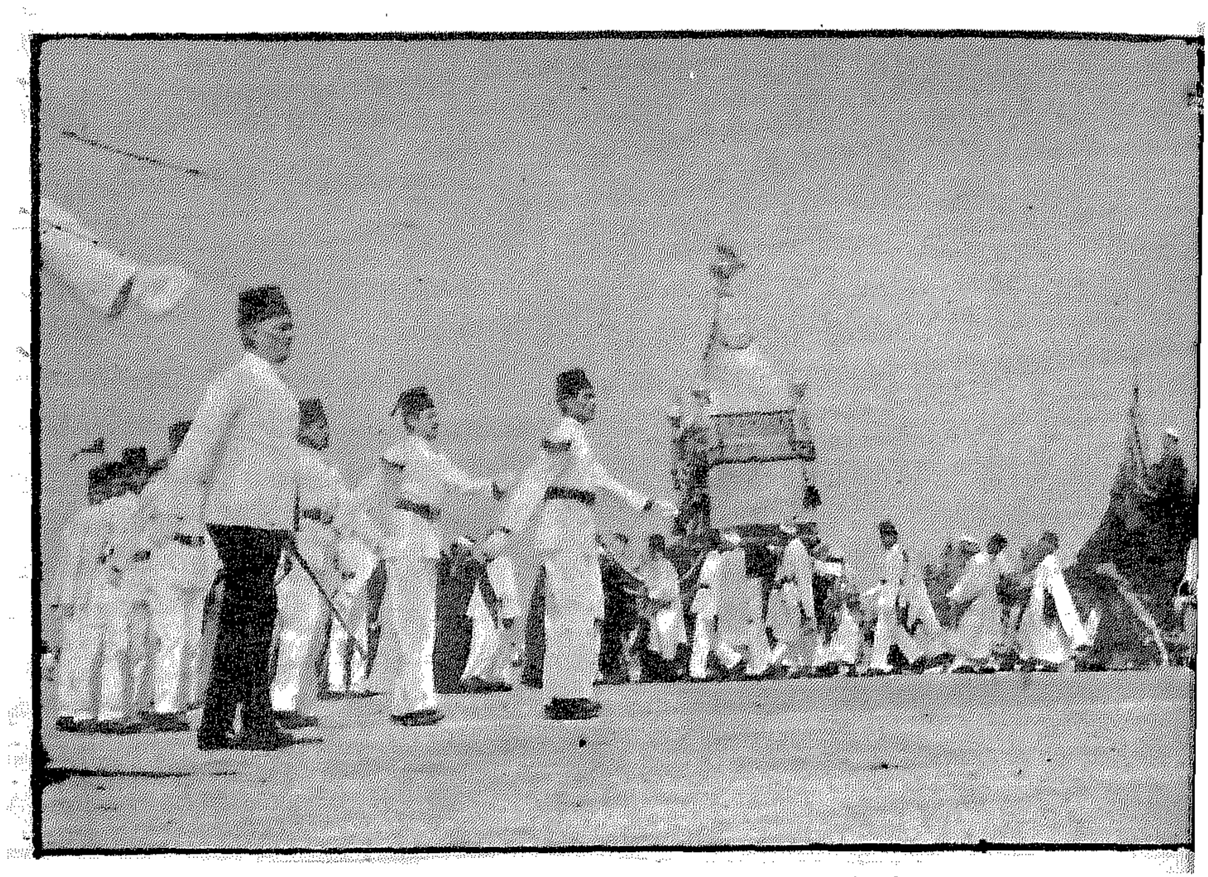
ومثله كمثل كل المحامل العربية ، كان المحمل الشامى يحوى بعض الغرائب الشعبية ، خصوصا ما احاط به من جو حوى العديد من معتقدات حول الطهارة والقداسة والنقاء .. !

● المحمل اليمنى ونبش فى تاريخه

هناك خطأ تاريخى كبير وقع فيه من اهتموا بتاريخ المحمل اليمنى ، قال ابراهيم باشا رفعت فى كتابه «مرآة الحرمين» فى صفحة ٣٠٥ من الجزء الثانى ما نصه : «كان اهل اليمن يحجون من طريق البحر ، وقل منهم من سلك طريق البر ، لأن العربان كانوا يعتدون عليهم ، ويفرضون على كل جمل مائة درهم سواء أكان صاحبه حاجا او تاجرا ، معه شىء ، او ليس معه ، فكانوا من اجل ذلك معرضين عن طريق البر الا من سخت يده وخشى ركوب البحر ، وبقى الأمر كذلك الى زمن مصطفى باشا المعروف بالنشار - لانه كان ينشر اللصوص - فانه فى سنة ٩٤٩ هجرية مهد السبيل البرى لحجاج اليمن ، وضرب على ايدى العربان العابثين ، وجعل صحبة الحجاج اميرا وجندا ، ومازال الأمر على ذلك الى سنة ٩٦٣ هجرية التى عرض فيها مصطفى باشا والى اليمن على السلطان ان يحدث محملا يمنيا ، فأذن له واستمر مجيئه الى سنة ١٠٤٩ هجرية ، ثم انقطع لما جد من الفتن» .

والمحمل اليمنى بلا ادنى شك هو اقدم من ذلك التاريخ الذى ذكره صاحب كتاب «مرآة الحرمين» اى اقدم من عام ٩٦٣ هجرية .

واذا نظرنا فى كتاب «شفاء الغرام باخبار البلد الحرام» لأحد قضاة مكة وهو «الحافظ أبو الطيب تقى الدين أحمد بن على الفاسى المكى المالكى» - وعذرا لطول اسمه - والذى ولد عام ٧٧٥ هجرية



كان المحمل يسبق الحجيج إلى ارض الله الحرام

، وتوفى عن عمر يناهز السبع والخمسين ، سنجده يؤرخ للمحمل اليمنى قبل هذا التاريخ ، قال : «فى سنة ٧٨١ هجرية حج محمل لصاحب اليمن الملك الاشرف اسماعيل ابن الملك الافضل عباس بن الملك المجاهد فى البر ، واراد بعض الأمراء المصريين تهوين حرمة هذا المحمل ، ولم يمكنهم من ذلك صاحب مكة الشريف احمد بن عجلان ، وكان امير الحج فى هذا المحمل ابن السنبلى ، وليس هذا المحمل اول محمل حج من اليمن ، وقد رايت ما يدل على ان فى السنة التى ولى فيها الملك المؤيد السلطنة ببلاد اليمن حج له محمل الى مكة .

واقدم تاريخ للمحمل اليمنى استطعنا الحصول عليه هو اقدم من ذلك التاريخ الذى حدده صاحب كتاب «مرآة الحرمين» بنحو قرن من الزمان .. !

ففى حوادث سنة ٧٨٠ هجرية قال ابن اياس فى كتابه «بدائع الزهور فى وقائع الدهور» عقب موسم الحج فى ذلك العام : «وفيه حضر الى القاهرة مبشر الحاج ، واخبر ان الحجاج ، لما وصلوا مكة ، بلغهم قدوم عسكر من اليمن ، وصحبتهم محمل وكسوة للكعبة ، فمنعهم من الدخول الى مكة امير الحاج الأمير قرادمرداش ، فلم يزل الشريف احمد بن عجلان يتلطف بالأمير قرادمرداش حتى اذن لهم فى الدخول الى مكة بمحملهم ، فدخلوا ووقفوا بعرفة ، ثم ان امير الحاج كسا الكعبة ، وخرج من مكة فى يوم عيد النحر ، وخشى من وقوع فتنة بينه وبين صاحب اليمن» .



كانت عين المؤرخين المصريين على خطوات المحمل اليمنى محدقة ومثبته ، ترصد خطواته كما ترصد سكونه وتوقفه ، وكان مبشرو الحج تسبق خطواتهم حداء ابل جمال المحمل المصرى لنقل الاخبار بسرعة كعمل وكالات الانباء فى عصرنا هذا .. !

ولقد طيرت وكالات انباء عصرها ـ اى مبشرو الحج المصرى الذين يسبقوا قدوم المحمل المصرى بأيام ـ ذات مرة فى عام ٧٨٥ هجرية خبرا مضمونة : «ان الحاج اليمنى لم يطلع منهم فى هذه السنة احد من حجاجهم ، لفتنة وقعت باليمن ، فشغل بها سلطان اليمن عن تجهيز خروج محملهم .» .

وحينما منع السلطان الغورى ارسال المحمل المصرى الى الأراضى الحجازية فى عام ٩١١ هجرية بسبب القلاقل هناك : «جاءت الاخبار من مكة بأن حضر الى مكة بسبب الحج جماعة كثيرة من اليمن ، والعراق وغير ذلك من البلاد ، ووقفوا بالجبل ، فتنكد السلطان بسبب ذلك لعدم خروج المحمل من القاهرة ، ورأى ذلك فى حقه نقصا بين ملوك اليمن وغيرها .» .

والحقيقة ان العيون فى القاهرة لم تكن شاخصة على المحمل اليمنى وحده ، بل كانت شاخصة على كل المحامل التى تفد الى الأراضى الحجازية ، انه نوع من التنافس بين العرب ، او هو ابراز لوجاهة الدول العربية ، كمن يرسل سفيرا له فى الخارج ، وكان المحمل هو اصدق سفير للدول ، وله مراسم كمراسم اوراق الاعتماد ، وكان للمحمل سفارة ، وهذه السفارة اسمها التكية .. !

● المحمل المصرى سفير فوق العادة

من حسن حظ المصريين ان خطوات المحمل المصرى لم تكن على رمال فى ضمير التاريخ .. !

لأنها لو كانت كذلك لطمستها رياح النسيان ، وعصفت بها مثلما عصفت بغيرها وفاتها ان تدون بالورقة والقلم اجزاء ومراحل كثيرة من تاريخها .

لكن الحمد لله ، فلم يضع تاريخ المحمل المصرى كله ، وان كان قد ضاع منه شىء ، فهو اقل من غيره بكثير .

ومن هذا القليل الذى ضاع من تاريخنا بداية المحمل المصرى ، ونحن نشك فى ان الظاهر بيبرس السلطان المملوكى هو اول من احدث المحمل المصرى .

لقد تولى الحكم فى سنة ٦٥٨ هجرية ، ولم يحج سوى فى عام ٦٦٧ هجرية ، واخبار هذه الحجة تقول عنه انه : «خرج من القاهرة فى ثالث شوال وتوجه الى غزة ، وأخذ الاقامات التى عباهم له نائب غزة ثم توجه من غزة الى الكرك ، وتوجه من الكرك الى المدينة الشريفة ، فزار النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم توجه الى مكة ، فدخلها خامس ذى الحجة ، ثم وقف بالجبل وكانت الوقفة فى تلك السنة الجمعة ، وكأن ولد السلطان الملك السعيد امير المحمل ، فلما انقضى الحاج ، توجه السلطان من هناك الى الشام ، ورجع ابنه الملك السعيد صحبة المحمل مع الركب المصرى .» .

لم يذكر لنا المؤرخ ، وهو ابن اياس او من نقل عنه ان هذه الحادثة التاريخية كانت هى الاولى من نوعها ، وان هذا المحمل هو اول محمل عرفته مصر ، وانما ذكرت الحادثة كأنما يعرف من يقرأها ان هناك محامل مصرية أخرى سبقت ، ولكنها غابت فى ضمير التاريخ ، قد تكون دونت ثم سقطت عند النسخ ، او لم تدون لعدم معرفة متى بدأت ، أو فاتها التدوين اساسا ، وجل من لا يسهو .. !

فهناك من سها ، كما ان هناك ايضا من من لم يسه من المؤرخين ، ومن هؤلاء كان الجبرتى . قال الجبرتى فى «عجائب الاثار» مؤرخا للظاهر بيبرس : «.. وعندما استقر بالقلعة ابطل المظالم والمكوس وجميع المنكرات ، وجهز الحج بعد انقطاعه اثنتى عشرة سنة بسبب فتنة التتار ، وقتل الخليفة ، ومنافقه امير مكة مع التتار . فلما وصلوا الى مكة منعوهم من دخول المحمل ومن كسوة الكعبة ، فقال امير المحمل لأمير مكة : اما تخاف من الملك الظاهر ؟ قال : دعه يأتينى على الخيل البلق . فلما رجع امير المحمل واخبر السلطان بما قاله امير مكة ، جمع له فى السنة الثانية اربعة عشر الف فرس أبلق وجهزهم صحبة امير الحاج ، وخرج بعدهم على ثلاث نوق عشاريات ، فوافاهم عند دخولهم مكة وقد منعهم التتار وامير مكة ، فحاربوهم فنصرهم الله عليهم ، وقتل ملك التتار وامير مكة طعنه السلطان بالرمح وقال له : انا الملك الظاهر جئتك على الخيل البلق ، فوقع الى الأرض وركب السلطان فرسه ، ودخل الى مكة ، وكسا البيت ، وعاد الى مصر .» .

ولو وقفنا بالحساب عند عبارة الجبرتى التى يذكر فيها ان الظاهر بيبرس قد جهز الحج بعد انقطاعه اثنتى عشرة سنة فاننا نتوصل الى ان المحمل المصرى كان موجودا فى عام ٦٤٦ هجرية ، وهو زمن السلطان الصالح نجم الدين ايوب .. !

فلا الظاهر بيبرس هو الذى احدث المحمل المصرى ولا شجرة الدر ، واذا ما عدنا قليلا للوراء ، وبالتحديد فى عصر الحاكم بأمر الله الفاطمى فى عام ٣٨٧ هجرية سنجد ان التاريخ يقول : «إن جماعة من العربان وثبوا على كسوة الكعبة ، وانتهبوها جميعها ، فكسيت الكعبة فى تلك السنة السنفاص الابيض ، وهذا من الغرائب ، فان الكعبة ما كسيت سنفاص قط الا فى زمن الحاكم .» .

هنا نقف وقفة ونتساءل : من نقل كسوة الكعبة هذه ان لم يكن هو المحمل المصرى ؟!

وهل ادل على وجود المحمل المصرى عبارة فى التاريخ افصح من هذه ؟

اذن ، فالمحمل المصرى اقدم من كل تلك التواريخ ، وليس وليد عصر المماليك او عصر الدولة الفاطمية ، التى ينسب اليها بالحكم المتعجل العديد من عاداتنا وتقاليدنا وموروثاتنا الشعبية .. !

● كلها يوم وليلة
ويجى الحج الرميلة

هذا العنوان هو مثل شعبى مصرى صميم من اول حرف فيه لآخر حرف ، انه يشير الى ذلك المحمل المصرى الذى كان يحتفل به فى الرميلة ، والرميلة هى الآن ميدان صلاح الدين بالقلعة ، وكان هذا الاحتفال عند مصطبة المحمل ، والتى ضاعت آخر معالمها منذ ايام قليلة ، فقد



هدمتها المعاول ، واطاحت بها الفئوس من اجل ان يحل محلها سنترال تليفونات القلعة ، وبذا انقطعت عنا حرارة اخر خط كان يربطنا ماديا بتاريخ محملنا المصرى ، بعد ان كان مرفوعا مؤقتا من الخدمة .. !!

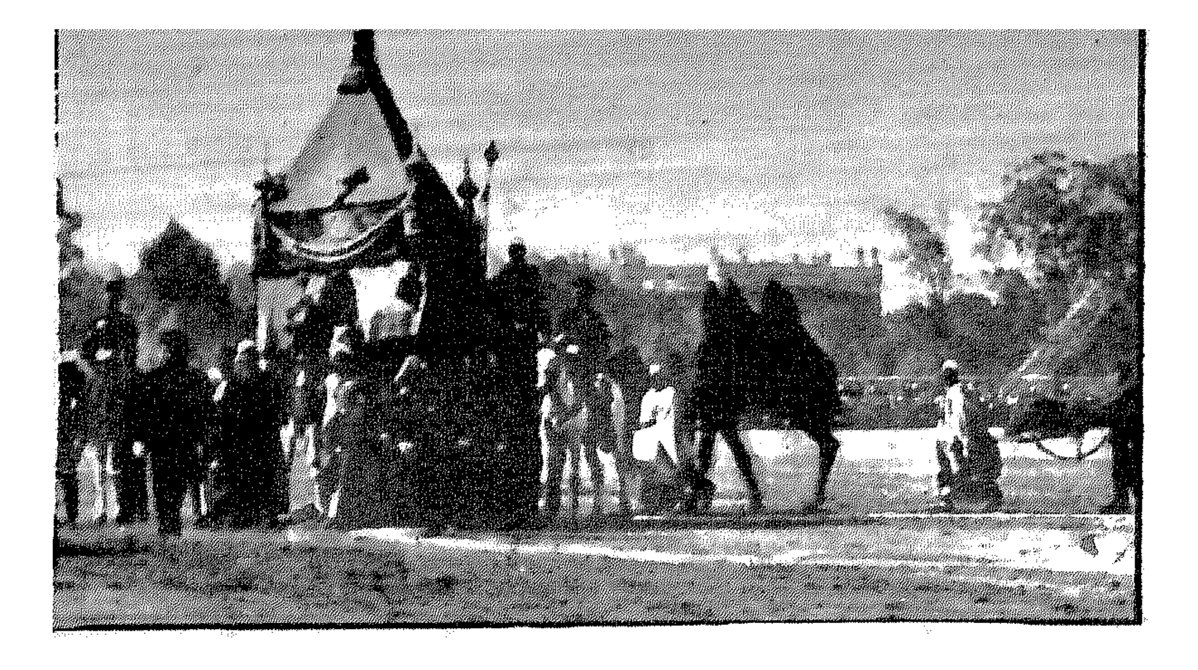
فى هذا المكان جرت الاحتفالات الشعبية بالمحمل المصرى سنين عدة ، وسواء اكان بالمحمل احد من ولاة الأمور او لم يكن ، فقد كان افراد الشعب المصرى يتزاحمون من أجل لحظة يرون فيها موكب المحمل الذاهب الى الأراضى الحجازية ، او العائد منها .

فى عام ٧٢١ هجرية ذهبت زوجة الملك المالك الناصر قلاوون لتؤدى فريضة الحج فى محمل كان اميره سمى قجليس ، كانت الفرجة مجرد الفرجة تعطى نوعا من الاستمتاع النفسى لمن لم ينل الفوز بالحج ، قال ابن اياس يصف موكب محملها : «فخرجت من القاهرة فى ثامن شوال ، وكان يوما مشهودا ، فخرجت فى محفة زركش ، وصحبتها الكوسات والعصائب السلطانية ، فحجت ، ورجعت الى القاهرة فى عاشر المحرم ، فلما وصلت الى بركة الحاج ، نزل اليها السلطان وتلقاها ، ودخلت فى موكب عظيم ، والأمراء مشاة قدام محفتها حتى طلعت الى القلعة ...» .

وعلى الرغم من ان موسم الحج معروف لدى المسلمين توقيته الزمنى ، وعلى الرغم من ان شهر شوال كان هو الشهر العربى الذى يرحل فيه المحمل المصرى الى الاراضى الحجازية فإن المماليك احدثوا نوعا من المحامل يسمى المحمل الرجبى ، هذا المحمل لم يختلف فى كثير عن المحمل العادى ، وانما هو ذاته وكل الاختلاف انه كان يدور فى شوارع القاهرة في شهر رجب ، كنوع من تذكير من يهم بالحج فيتجهز ويعد نفسه فى خلال عدة شهور تالية .

وحينما زار الرحالة العربى ابن بطوطة مصر فى عام ٧٢٥ هجرية استلفت انتباهه هذا الدوران للمحمل المصرى ، فهو لم يألف ذلك من قبل ، فكتب فى رحلاته تحت عنوان «ذكر يوم المحمل بمصر» قائلا : «وهو يوم دوران الجمل ، يوم مشهود ، وكيفية ترتيبهم فيه انه يركب فيه القضاة الأربعة ، ووكيل بيت المال ، والمحتسب ويركب معهم اعلام الفقهاء ، وأمناء الرؤساء ، وأرباب الدولة ، ويقصدون جميعا باب القلعة دار الملك الناصر ، فيخرج اليهم المحمل على جمل ، وامامه الأمير المعين لسفر الحجاز فى تلك السنة ، ومعه عسكره ، والسقاءون على جمالهم . ويجتمع لذلك اصناف الناس من رجال ونساء ، ثم يطوفون بالمحمل بمدينتى القاهرة ومصر ـ هكذا كان تقسيم الأماكن ـ والحداة يحدون امامهم ويكون ذلك فى رجب فعند ذلك تهيج العزمات وتنبعث الأشواق وتتحرك البواعث ويلقى الله تعالى العزيمة على الحج فى قلب من يشاء من عباده ، فيأخذون فى التأهب لذلك والاستعداد ..» .

ولم يلتفت ابن بطوطة الى ان هذا المحمل كان بروفة مصغرة ، وليس هو كل



لم تكن خطوات المحمل المصرى على رمال فى ضمير التاريخ

المحمل ، فلم يدون فى رحلاته شيئا عن المحمل فى ذهابه الى الأراضى الحجازية او ايابه منها ، وربما لم تساعده الظروف او كثرة رحلاته لم تمكنه من ذلك وان كان غيره قد استطاع ان يرصد تحركات المحمل المصرى ، سواء فى رجب او فى غير رجب .

● عادات ومعتقدات للمحمل المصرى

افرزت الايام العديد من العادات والمعتقدات نشأت حول المحمل المصرى ، كان حجاج المحمل حينما يرضون عن امير محفلهم يحملون الرايات البيضاء عند استقبال الناس لهم خارج القاهرة ، اما حينما لا يرضون عنه ، فكانوا يحملون الرايات السوداء .. !

يقول ابن اياس فى اخبار حج سنة ٨٩٨ هجرية . «وفيه وصل الحجاج ، ولم يثنوا عن قانصوه خمسمائة خيرا ، ولا حمدت سيرته فى هذه السفرة ، وحكوا عنه امورا غير صالحة على انه ارمى الناس واخذ جمالهم ، وترك جماعة منهم بالينبع حتى اتوا من البحر المالح فيما بعد وشالوا له الحجاج رايات سود وهم داخلون البركة» .

اى عند وصلهم ارض البركة بالقرب من الخانكة كانت تجرى عملية استفتاء شعبى بين الحجاج على اميرهم ، منتهى الديمقراطية زمان .. !

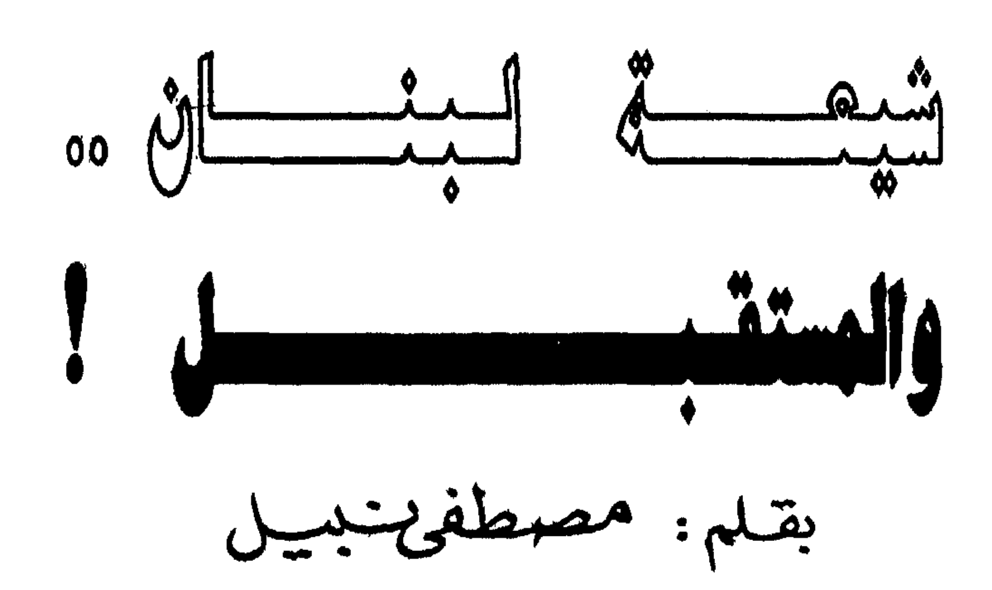
وكان يحدث عند مرور المحمل المصرى فى القاهرة ـ كما يقول الجبرتى ـ ان يقوم الحجاج المغاربة بضرب اى انسان مدخن .. !

ربما احسوا فى التدخين عدم اهتمام وزراية لهم وللمحمل المصرى القادم من عند الاعتاب المقدسة .. !

وكانت ابرز العادات المصرية التى دارت فى فلك المحمل هي عادة تقديسه ، تقبيله ، لمسه ، ووصل هذا التقديس الى حد تقبيل خف جمل المحمل .. !!

بل وكانت النساء العاقرات يقمن بالعبور من تحت جمل المحمل عسى ان يهب الله الذرية لهن .. !

لقد تحول الحب المفرط الى نوع من التقديس ، وحينما افاقت العقول من غفوتها ، نبذت بقوة ، حتى مجرد تذكر ما كان يحدث فى الماضى ، لم يعد ممكنا وصار كل شىء الى النسيان .. !!

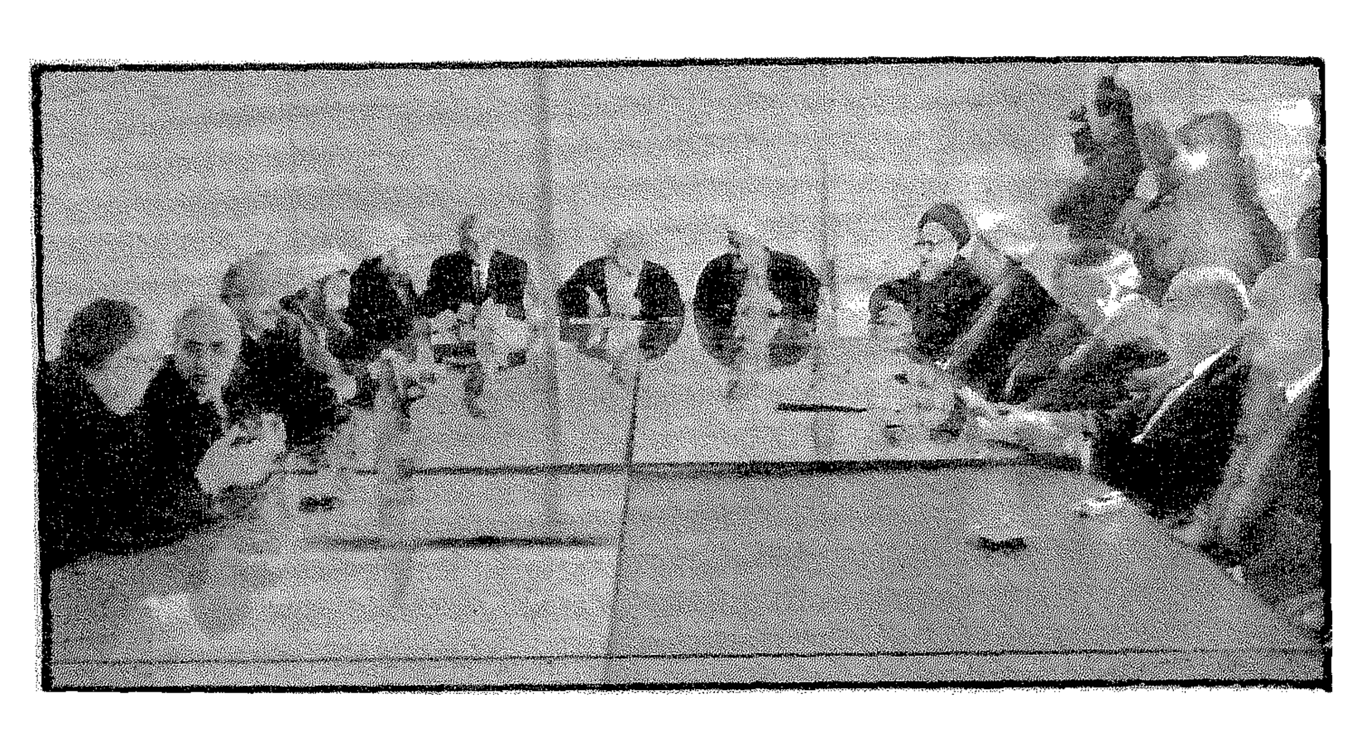


يسجل الاب لامنس فى كتابه "سوريا ، صفحة قديمة من التاريخ" ، هى التعبير الصادق عن الوضع الراهن .. يقول : "فيما كان سكان الدولة السورية الصغرى ـ لبنان ـ يحيون حياة قبلية ، منعزلين فى ديارهم المجزاة ، قابعين فى مطاوى جبالهم ، وبين فجوات انهارهم ، تكتنفهم غابات الأرز ، كانوا يهتلكون فى صراعات اهلية ، شمالا وجنوبا ، جبليين ضد سهليين ، سوريين قاريين يتلمسون لهم منفذا الى البحر .

وفى غمرة هذه الحروب الاهلية اهملوا رقابة المعابر ، تاركين ابواب الصحراء ، مشرعة على مداها ، فشهدوا غزوة العبرانيين ، وشهدوا نزول القبائل الاناضولية بإتجاه الجنوب ، وشهدوا هبوط القراصنة على الساحل ." ..

ألم تكن هذه النتيجة القديمة ، هى ذاتها نتيجة الحرب الاهلية التى استمرت ستة عشر عاما فى كل ربوع لبنان .. ؟!

فهل حققت هذه الحرب اهدافها ـ الظاهرة ـ فى الحفاظ على الامتيازات الطائفية .. ؟ وهل منعت المدافع صعود الطبقات الجديدة !! وهل تغير بعد كل هذه السنين الميزان بين الطوائف ؟ أما إذا كانت الطلقات المدوية ، يطلقها الحاضر على المستقبل ، فهل يمكن أن يتوقف الزمن او يعود إلى الوراء .. ؟! وإذا كان القنص والقتل والخطف من اجل تغيير هوية لبنان ، فهل تغيير الافكار يمكن أن يكون بغير الحوار !!



اجتماع المجلس الاسلامى الشيعى الاعلى بهيئته الشرعية والتنفيذية برئاسة الشيخ محمد مهدى شمس الدين

ومن المؤكد أن هذه الحرب لم تؤد الى مكاسب اى طرف محلى ، بل كانت القوى المحلية وقودها ، وربما حققت المكاسب بعض الأطراف الخارجية ، ولكن على حساب لبنان وشعبه ..

لقد ابتكر لبنان بعد احداث ١٩٥٨ عبارة "لاغالب ولا مغلوب" ، ولكن هذه المرة لا يوجد سوى عبارة واحدة "الكل خاسر" !! فماذا حدث بعد ١٦ سنة حرب ؟ هل تعافى لبنان من امراضه ؟! وهل استطاعت الطائفة المهيمنة اى "الموارنة" مصادرة الحراك الاجتماعى ؟ !

كانت زيارتى القصيرة للبنان فرصة للبحث عن اجابة هذه الاسئلة ، وحاولت ان ارصد التغيرات التى وقعت لكل من طائفتى الشيعة والموارنة ، وربما تساعد هذه الزاوية على إنتقاء ماتحتاجه من المعلومات الوفيرة والملاحظات الكثيرة التى تصادفها ، حتى نتبين حقيقة ماجرى .. والى اين يتجه لبنان ؟

بداية يتشكك البعض فيما طرح وتردد فى الماضى من ان هذه الحرب كانت حربا طائفية ، فصحيح قامت بين وقت وآخر توترات طائفية ، واحيانا كوسيلة للابتزاز المتبادل ، ولكن المجتمع اللبنانى كان دائما قادرا على امتصاص هذا التوتر ، والدليل على ذلك التعاون المشترك فى النشاطات الاقتصادية المختلفة ، والعقل العملى البرجماتى الذى يتمتع به اللبنانى ..

ويتشكك البعض الآخر فى انها حرب طبقية بين اصحاب الامتيازات والمحرومين ، والدليل على ذلك انه رغم اختفاء بعض القيادات التقليدية ، فقد ظهرت قيادات جديدة من ذات النسيج ،

شيعة لبنان .. والمستقبل !

ويصل هؤلاء الى أن العامل الخارجي هو العامل الرئيسى فى هذه الحرب ، ودليلهم على ذلك ، انه فجاة حدثت المعجزة ، وسلمت المليشيات سلاحها الذى روعت به الاهالى خلال ايام الحرب .

صحيح أن فى لبنان مثل غيرها من الدول صراعات اجتماعية ، ومعارك فكرية ، ولكنها لاتؤدى بالضرورة الى حرب اهلية ، وانما السر وراء هذه الحرب ، انه اذا كان لبنان ، لا يقدر على مواجهة اسرائيل عسكريا ، فهو قادر على أن يشكل لاسرائيل منافسا عالميا له شانه الكبير ، فاستقبلت موانىء لبنان البضائع بعد قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ، وتدفقت عليها الاموال مع الانقلابات العسكرية التى شهدها الكثير من الدول العربية ، وجاءت حقبة الثروة النفطية ، وآخذت اموال النفط تتجه الى لبنان ، فكانت الحرب الاهلية لمنع تحول لبنان الى قوة مالية .. !

ولنعيد ترتيب ماحدث .

مازالت المطالبة بالاسلام السياسى المتمثل فى بعض التنظيمات السياسية للشيعة "حزب الله" قائمة كبديل للمسيحية السياسية التى يتبناها الموارنة "القوات اللبنانية" وانتقلت اضعف الطوائف وهى الشيعة لكى تصبح اقواها .

وتدفقت الثروات على جبل عامل فى الجنوب ، وعلى البقاع التى تمتد فى موازاة الجبل والبحر ، وتحولت قراها ، من قرى الى مدن واختلط فيها العمارات الشاهقة بالقصور ، وهى الثروات القادمة من المهاجرين ، ولم يعد سكانها اميين كما كان الحال فى الماضى ، واتجه الشيعة الى التعليم وخاصة ـ كما يقول السيد هانى فحص ـ بعد قيام جامعة بيروت العربية التابعة لجامعة الاسكندرية ، والتى اتاحت فرصة التعليم لما يزيد على ٧٠٪ من ابناء الجنوب والبقاع .

واصبح الشيعة احدى الطوائف المتساوية الرئيسية الثلاث ، كما تقضى به اتفاقية الطائف ، ولم يعد الاغلبية للمسيحيين فى مؤسسات الدولة "نسبة ٦ للمسيحيين و٥ للمسلمين" ، بل اصبحت المساواة العددية بينهما هى القاعدة .

اما على الجانب المارونى ، فقد هاجر ـ وخاصة بعد الاقتتال بين القوات اللبنانية والجيش فى بيروت الشرقية ـ ما يزيد على ٣٠٪ من الموارنة ، واختفى الحرس القديم بيار الجميل ، وكميل شمعون ، ولم يبق سوى سليمان فرنجية ، وريمون إدة الذى غادر البلاد الى فرنسا ، وهو صاحب الاسم النظيف ، والمواقف المبدئية ، والذى لم يتورط فى اى خطيئة من خطايا الحرب الاهلية ، اما الجيل الثانى فقد قتل طونى فرنجية وبشير الجميل ، ودانى شمعون ، ومازال يعيش امين الجميل ودورى شمعون فى باريس !!

● التاريخ الحى

لا يغيب الماضى من الشرق ابدا .. وتاريخ لبنان ، هو تاريخ القتال

والصراع بين الموارنة والدروز على الجبل ، فى مشهد تاريخى عميق الجذور ، فالمد الاسلامى حين وصل لبنان سكن السهول والشواطىء ، اما الاقليات مثل الموارنة والدروز فقد اعتصمت بالجبل ، وخاصة الموارنة القادمين من شمال سوريا .

وتعود الاصول التاريخية للمسالة اللبنانية ، الى قيام لبنان الحديث عام ١٩٢٠ ، عندما قسمت الشام التاريخية الى اربع وحدات سياسية ، فلسطين وشرق الاردن ، وسوريا ، ولبنان ، وفى لبنان اصبح المسلمون لاول مرة اقلية ضمن اقليات اخرى .

وتعاون الحكم العثمانى والانتداب الفرنسى فى قيام لبنان المعاصر ، فورث الانتداب الفرنسى نظام الطوائف الذى اقامته الدولة العثمانية ، فكان ايام الدولة العثمانية بلد المسلمين والطوائف ، واصبح ايام الانتداب الفرنسى بلد الموارنة والطوائف ، ويعيش الموارنة خطر دفع ثمن مساهمتهم السابقة فى تهجير "الشيعة" من بعض مناطق الجبل كالبترون وبلاد جبيل وكسروان والمتن .

واستمر فى الدولة الجديدة الموارنة يتمسكون بإمتيازاتهم ، وكان ماجرى - كما يقول منح المصلح - "هو تبدل الادوار ، وتحويل من كانوا مظلومين بالامس الى عصبية حاكمة ، ومن كانوا عصبية حاكمة الى مظلومين" ! ..

ومن يومها وهناك انقسام حاد بين مدرستين مختلفتين ، إحداهما يشد لبنان الى العرب ، والآخر يدفعه الى ماوراء البحر ، اى الى الغرب .

احيانا يرتدى هذا الانقسام رداء طائفيا او عشائريا ، وهو يقوم على ما يميز لبنان من انه نهاية الصحراء - وصلة الوصل بين الساحل والداخل - من جانب وبداية البحر من جانب آخر ، بلد مفتوح للافكار والمنتجات .

ولم يعد يكفى أن يتكىء فى ظل الهيمنة الاستعمارية سكان الجبل على ما وراء البحر ، ولا ان يتكىء سكان البقاع والجبل والمدن الساحلية على العرب فى محيطهم الاقليمى .

● وقف الزمن !

ويمكن رصد التغييرات التى وقعت خلال الخمسة والعشرين عاما السابقة على اشتعال الحرب الاهلية عام ١٩٧٥ ، عندما شهد لبنان تعديلا فى التوازن الطائفى ، فلم يعد الواقع يتحمل هيمنة التحالف المارونى السنى ، امام القوى الجديدة النامية ، فلا احد يمكن له أن يوقف حركة الزمن ، والموارنة من اهل الجبل اقل تكاثرا من اهل البقاع والجنوب ، وكانت القضايا اللبنانية فى هذه الفترة تدور حول مشاريع نهر الليطان ، ذلك النهر "الشيعى" الذى يروى معظم اراضى البقاع والجنوب ، ومشاكل شركة الريجى التى كانت تحتكر تسويق تبغ الجنوب ، وتنظيم الصيادين فى جمعيات تعاونية .

واخطر ماجرى هو بزوغ قيادة شيعية شابة ، عبرت عن الطائفة التى كانت فى الاربعينات هامشية واصبحت فى الستينات طائفة ثلثاها من سكان المدن واهل الحضر ، واصبح لها وجود قوى فى بيروت ، وذات نخبة مثقفة

شيعة لبنان .. والمستقبل !

نشطة ، وموزعة على الاحزاب القومية والاممية .

ودفع جبل عامل الثمن عن هزيمة العرب عام ١٩٤٨ ، فالجنوب له علاقة عضوية بفلسطين ، وكان نتيجة قيام اسرائيل هجرة سكان سبع قرى شيعية الى جنوب لبنان .

● الامام الغائب

وتولى قيادة الشيعة قبل الحرب الاهلية ، الامام موسى الصدر ، المولود فى ايران وصاحب القدرات الخاصة ، والذى نجح فى تعبئة جماهير واسعة من الشيعة ، وهو الذى اطلق على حركة الجماهير "حركة المحرومين" ، وهو الذى ردد القول .. "ان السلاح زينة الرجال" ، وكون الامام ما اطلق عليه "افواج المقاومة اللبنانية" ، التى اشتهرت فيما بعد بالاحرف الثلاثة الاولى : أ . م . ل .

وكون مجلسا يضم كل ابناء الطائفة من رجال الدين وعلماء ومهنيين وسياسيين ، واطلق عليه المجلس الاسلامى الشيعى الاعلى ، واصبح المجلس يقوم بدور رئيسى ويتمتع بنفوذ كبير ، ويسيطر على الأوقاف ، ويقيم مؤسساته الخاصة .

وكما ظهر الامام موسى الصدر فجاة ، اختفى بطريقة غامضة فى يوم ١٣ سبتمبر عام ١٩٧٨ فى ليبيا ، وكان لاختفائه تاثير واسع على حركة المحرومين ، بعد ان تحول الى اسطورة ، ومنبع الالهام للكثيرين .

وقبل سقوط الشاه ، شهد جنوب لبنان فى عام ١٩٦٩ ، نشاطا مشتركا ضم الشيعة والمقاومة الفلسطينية والثوار الايرانيين ، وعاش فى الجنوب الكثير من القيادات الايرانية ، مثل الشيخ محمد منتظرى ابن آية الله منتظرى ، وحسن كروبى صاحب الخبرة فى الحركات السرية ، وجلال الدين الفارسى الذى كان يشرف مع مصطفى شمران اول وزير دفاع بعد الثورة الاسلامية على معسكرات تدريب فى الجنوب ، كما تردد عليها ايضا كل من ابراهيم يزدى وعباس زمانى الذى اصبح بعد الثورة رئيسا للحرس الثورى .

وهى علاقات مازال يكتنفها الغموض ، لم يكشف عنها الستار بالكامل ، وكانت تهدف الى تدريب المحرومين من ابناء الجنوب ، وتدريب العناصر الثورية التى تعمل ضد الشاه .

وسبق وقال لى على اردكانى السفير السابق لايران فى الكويت ، ان الامام موسى الصدر كان مقربا للامام الخمينى ، وانه كان مستشاره الاول للشئون العربية .

المهم .. انه بعد اربعة عشر عاما من اختفائه ، مازال الشيعة ينتظرون عودة الغائب ، فلم يختر ابناء الطائفة بديلا له رئيسا للمجلس الاسلامى الشيعى ، ومازال الشيخ مهدى شمس الدين نائبا له ، ومازال نبيه برى الذى كان يعمل سكرتيرا خاصا له ، رئيسا لحركة امل ، وذكرلى ، انه لا يفعل سوى السير على خطى الامام .. !

ووقع على كاهل الشيعة ، مقاومة




اية الله ابو القاسم الخوئى



محمد حسينى فضل الله



نبيه برى

جيش الاحتلال الاسرائيلى ، فهم الكتلة السكانية على حدود اسرائيل ، (والمشتبكة بحكم الجغرافيا فى الصراع العربى الاسرائيلى) ، وإزداد نفوذ الطائفة الصاعدة مع قيام الثورة الاسلامية فى ايران ، وكاحد نتائج تداعيات الحرب الاهلية ، فهى التى قاومت قوات المارينز فى بيروت ، وهى التى اخرجت سناء المحيدلى النموذج الانتحارى دفاعا عن الوطن .

وتركز الاهتمام العالمى بالشيعة فى لبنان ، بإعتبارهم الطائفة الثالثة من حيث العدد بعد كل من ايران والعراق ، واتهام بعض فرقهم بخطف الاجانب واخفاء الرهائن ، وظهرت تساؤلات مريبة حول احتمالات قيام دولة شيعية تمتد من ايران وحتى سلحل البحر الابيض ، وهذه التساؤلات جزء من الاعلام الغربى ، الذى يسعى لاثارة المخاوف ، ويدفع المنافسات الطائفية الى اخر مداها .. !

لذلك لم يكن غريبا ، رفض كثير من مثقفى الشيعة الحديث حول الطائفة ، بإعتباره حديثا ضارا بالمستقبل خاصة بعد أن حقق الاعلام الغربى قدرا من النجاح ، مستغلا عقدتى الخوف والغبن المسيطرتين على الحياة السياسية ، خوف القوى المسيطرة من فقدان امتيازاتها ، والغبن الذى تعانى منه بعض المناطق والطوائف .

● العلويون !

وخاصة انه عندما يبدأ التحريض على اساس طائفى ، سرعان ما ينتقل من الآخر الى ابناء الطائفة الواحدة ، ففى البداية كانوا جميعا مسلمين ، فاصبحوا سنة وشيعة ودروزا ، وانقسم الشيعة الى اثنى عشرية وعلويين ، وكانوا جميعا مسيحيين فاصبحوا موارنة ، وارثونكسا ، وكاثوليكا ..

ولم يصبح ذلك كافيا مرة اخرى ، وتحول الشيعة الى حركة امل التى يقودها نبيه برى ، وامل الاسلامية التى يقودها حسين موسوى ، وحزب الله الذى يقوده السيد حسين فضل الله ، وضربت امل كل المحرمات ، فقاتلت حزب الله ، ووجهت مدافعها اكثر من مرة الى المخيمات الفلسطينية .

واستمر القتال بين الفرقاء وانقسم

شيعة لبنان .. والمستقبل !

الموارنة الى الكتائب والاحرار والمردة ، وصفت الكتائب الجميع ، ثم انقسمت بين سمير جعجع وايلى حبيقة ، وأخيرا بين سمير جعجع وميشيل عون .

● جبل عامل

تجولت فى كل انحاء لبنان ، وزرت جبل عامل فى الجنوب ، وكان مرافقى السيد هانى فحص ، احد مثقفى الشيعة البارزين ، واحد الادباء ، الذى عمل إماما لمسجد قرية "جبشيت" ، والذى كان اول مبعوث لياسر عرفات إلى آية الله الخمينى عندما كان فى النجف .

وقدم جبل عامل الكثير من العلماء فى النجف وقم للحركة الشيعية ..

ومازال الجو فى جبل عامل متوترا ، فيتقاسمه مع الشيعة "الشريط الحدودى" ، الذى يحتل قلعة الشقيف او عش النسر" ، التى تسيطر على قرى وطرق الجنوب ، "وتتعرض قرى الجنوب النبطية والبياضية وتبنين الى الهجمات الاسرائيلية المتكررة" ، وتنتشر الموساد بين بلدانه ، وتلمس حالة ترقب فى جميع ارجائه ، وهذا الشريط الحدودى يمتد من البحر الى جبل الشيخ ، وتسعى القوات الاسرائيلية الى زيادة مساحته بالتدريج ، وتسعى الى تجنيد اهله بكل الوسائل ، بالتهديد والاغراء ، وسادة الشريط الظاهرون هم رجال المليشيا ، الذين سبق وقاتلوا الفلسطينيين ، بعضهم من القوات اللبنانية والبعض الآخر من الجنود الفارين من الجيش اللبنانى .

اما السلطة الحقيقية فلقوات اسرائيل التى تشق الطرق ، وتزحم الاسواق بالبضائع الاسرائيلية ، وتكتب ارشادات الطرق باللغة العبرية ، ولها عاصمة خاصة فى مرجعيون ، ويضم هذا الشريط الكثير من القرى الشيعية والمسيحية ، وله اذاعة تمولها وتشرف عليها مؤسسة دينية امريكية ، وتبث باللغتين الانجليزية والعربية ، وتدفع اسرائيل رواتب المليشيات وتقدم لهم الملابس والسلاح ، وتبلغ مساحته ١١٠٠ كيلو متر مربع ، ويحتله ١٢٠٠ جندى اسرائيلى .

● أمل .. !

عند نقطة فى مدينة الزهرانى ، نصعد الجبل ، متجهين الى لقاء السيد نبيه برى احد الوزراء فى حكومة عمر كرامى وزعيم حركة امل ، نصل الى قصر يشبه القلعة ويحاط بالحراس ، ويشرف على الزهرانى ، وعلى البحر بسحره واتساعه .

كانت بداية حديثى مع الزعيم الشيعى حول الاحتلال الاسرائيلى والشريط الحدودى واثر ذلك على مستقبل السلام فى لبنان ..

ورد قائلا : "انه لا يمكن ان يتعافى لبنان إلا اذا تخلص من التهديد الذى يمثله الشريط الحدودى ، والصراع القادم مع اسرائيل فى هذه المنطقة حول المياه ، فتصل مساحة هذا



حسين الحسيني   محمد مهدي شمس الدين

الشريط الى ثمن لبنان ، وربع اراضي الجنوب .

● وماهو مستقبل الفلسطيني في الجنوب ..

- "للفلسطيني جميع الحقوق مثل اللبناني ، ماعدا حقه في الحصول على الجنسية ، وعدم دخوله الجيش اللبناني ، وعليه ان يلتزم مثل غيره بإنتشار الجيش" ..

ختم حديثه معي بالشكوى من ازمة في المرجعية الشيعية بعد وفاة الامام الخميني من جانب ، وبعد وجود آية الله الخوئي في العراق ومرضه الشديد .

وكان آخر ماقمت به هو لقاء الشيخ مهدي شمس الدين نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي .

ويدأ الشيخ حديثه قائلا : "إن الشيعة في لبنان هم الطائفة الاكبر ، سواء بالنسبة لتعداد السكان ، او بالنسبة لتعداد الطوائف الأخرى ، رغم انه لا يوجد احصاء رسمي ، منذ آخر احصاء عام ١٩٣٢ ، وهم يعيشون على اكبر مساحة من الارض اللبنانية تصل الى ٤٠٪ من هذه الاراضي التي تشمل الجنوب كله تقريبا ومعظم البقاع وجزء من الشمال البترون والكوره" ..

واضاف : "ومن طبيعة الامور ، عدم بقاء شيء على حاله ، فقد ضعف الاقطاع لقلة خبرته وضعف بصيرته ، وبدأ المال يتدفق على الشيعة من اولئك الذين هاجروا الى الدول الافريقية تحت وطأة الحاجة ، واصبح لدى الشيعة قدرة مالية كبيرة ، واخذوا يحصلون على اكبر فرص في التعليم .

وبدأت الفجوة الكبيرة تظهر ، بين قدرة الشيعة والفرصة المتاحة لهم ، بين القاعدة والقيادات القديمة ، وانفجر الوضع ، وامد الشيعة اليسار والتيار القومي بالكثير من عناصره ، بل وفتن الشيعة بزعامة عبدالناصر .

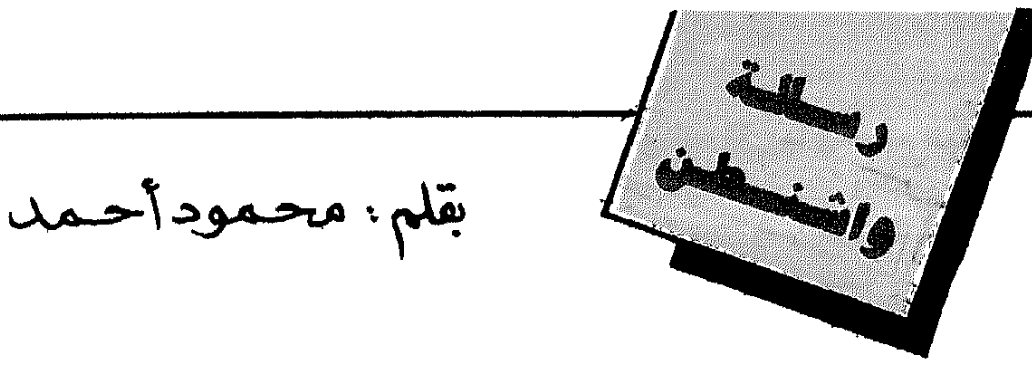
وطالبنا بإعادة صياغة مؤسسات الدولة ، على اسس حقوق المسلمين والمسيحيين معا ، واعادة توزيع السلطة على نحو لا يجعل الهيمنة لاحدى الطوائف على ان تختفي الى غير رجعة في المستقبل الطائفية كوحدة سياسية ، ويصبح حق المواطن هو الاساس .

وختم حديثه قائلا : "انى ادعو الى قيام دولة بلا دين ، رغم انى رجل دين ، تكون السلطة فيها للمؤسسات ، وليس للأشخاص ، دولة تتجرد فيها كل الطوائف من امتيازاتها" ..

هذه بعض ملامح ما يجرى في لبنان ..

في موازين عالم جديد يتكون ، وبدلاً من ان نلاحق ما يستجد من افكار ، اخذنا نلاحق الماضي ، ويضع الجميع ايديهم على قلوبهم ، خشية ان يتهدد السلام من جديد .. !





بقلم: محمود أحمد

الوطنية الامريكية

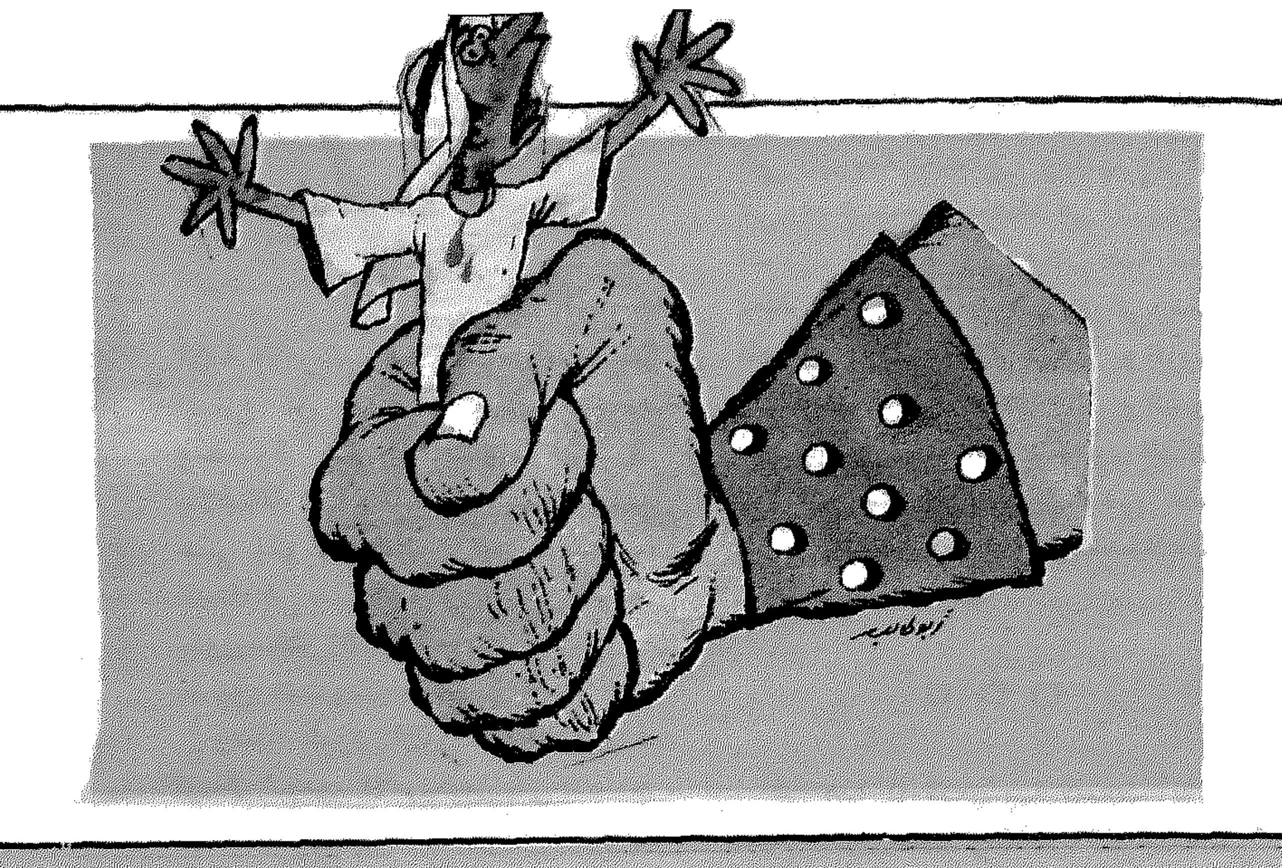
وحيرة العرب الامريكيين خلال أزمة الخليج

● ترددت طويلا قبل ان ابدأ كتابة هذا المقال . فما اريد طرحه فى السطور التالية ، يتعلق بما يمكننى ان اسميه "الوطنية الامريكية" ، ومدى الصدق والزيف فى المشاعر الوطنية لهذا الخليط من البشر الذى يتالف منه الشعب الامريكى ، وهو امر لا يمكن لكل كاتب ان يجد نفسه مؤهلا تماما للخوض فيه .

وربما يثار هنا سؤال : ومالنا نحن وهذا ؟! واية اهمية يمكن ان يمثلها هذا الموضوع للمواطن او القارىء العربى ، وما الذى يعنيه فى ان تكون المشاعر الوطنية للامريكى حقيقية او كاذبة ؟

واود ان ابادر فاوضح على الفور ، ان ما اثار اهتمامى بالموضوع هو تلك الظواهر التى بدت امام عينى ، وتكثفت ، طوال ازمة الخليج وما جرته وراءها من حرب مدمرة ، ثم "احتفالات النصر" التى اعقبتها ، وهى ظواهر كانت تتصل بنا ، نحن العرب ، وتمس مشاعرنا ، بقدر ما كانت تعنى الامريكيين ، لاننا كنا اطرافا فى هذه الماساة الدامية التى لاتزال اثارها تتفاعل امام اعيننا .

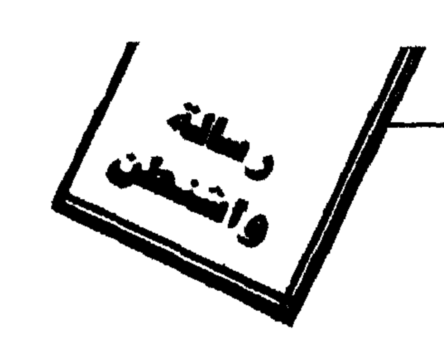
ثم ان الامر لم يقتصر على ذلك .. لان "العرب الامريكيين" كان عليهم ان يتحملوا وطأة الاعراض التى تصاب بها "الوطنية الامريكية" فى مثل هذه الازمات ، وهى اعراض سبق لجاليات اخرى ان تعرضت لها فى تاريخ الولايات المتحدة الحديث ●



لقد خاض الامريكيون حرب الخليج وهم يضمرون هدفا غير معلن يتوقون الى تحقيقه - الى جوار تلك الأهداف المعلنة المتمثلة فى تحرير الكويت وتدمير القوة العسكرية العراقية - وهو ان يساعدهم النصر المرتقب فى التخلص من "عقدة فيتنام". وهذا هو ما حدث بالفعل، فما ان انتهت معارك "عاصفة الصحراء" حتى أعلن الرئيس الأمريكى جورج بوش على الملأ ان عقدة فيتنام قد ذهبت .. الى غير رجعة.

● النصر والهزيمة !

من هنا، لم يكن غريبا ان تبلغ المشاعر الوطنية الأمريكية ذروة تاججها طوال ازمة الخليج، فقد كانت "الوطنية الامريكية" فى أشد الحاجة الى معركة ما تخوضها القوات المسلحة بالذات، وتنتهى بنصر حاسم لاشك فيه، لكى تبرأ من الهزيمة الثقيلة التى لحقت بها فى فيتنام قبل نحو عقدين من السنين وظل الضمير الامريكى ينوء بها منذ ذلك الوقت، وقد مرت الاعوام، ولكن شبح فيتنام ظل مخيما باستمرار: فكيف يمكن ان تنهزم هذه القوة الجبارة امام بلد متخلف من الدرجة الثالثة او الرابعة ؟! كان لابد من "علاج"، وحاولت العسكرية الامريكية توفير هذا العلاج من خلال عمليات قامت بها فى السنوات الماضية، فى "جرانادا" مثلا .. وفى "بنما"، ولكنها لم تكن تجارب صالحة لانها لم تكن ترقى الى مستوى العلاج المطلوب للتخلص من العقدة، وظلت الأمة الامريكية تنتظر الفرصة المواتية حتى قدم لها الرئيس العراقى صدام حسين هذه الفرصة التى جاءت - كهدية من السماء - متمثلة فى ازمة الخليج، وسرعان ما انتفضت



الأمة الأمريكية لتتشحذ كل أسلحتها : الدفاع عن مبادىء الحرية والعدالة ونصرة الشعوب المضطهدة .. بالاضافة الى حماية المصالح بالطبع ، حتى ولو كان الثمن هو سفك بعض الدماء فى هذا السبيل ، ولكن شرط ان يكون سفك "الدم الأمريكى" بالذات فى أضيق الحدود .

ومنذ اليوم الأول الذى بدا فيه ارسال الجنود الامريكيين الى الخليج ، أخذت طبول "الوطنية الأمريكية" تدق ، ثم ازداد دويها باضطراد مع تصاعد حدة الأزمة والتهبت المشاعر فى كل اتجاه : فى اجهزة الاعلام (الميديا) ذات الانتشار المذهل ، وفى الندوات وقاعات المحاضرات ومراكز الأبحاث وردهات الكونجرس ، وحتى فى الشوارع التى رفرفت فيها الاعلام وازدانت اعمدة الانارة بشرائط صفراء لامعة من "الساتان" اتخذت شعارا للاعراب عن التاييد للقوات المسلحة .. وعلقت هذه الشرائط الزاهية ايضا على مداخل البيوت علامة على أن احد افراد الأسرة قد ذهب مع قوات "درع الصحراء" .

ولكن شبح فيتنام كان هناك طول الوقت : فعلى الرغم من الثقة الناجمة عن الفارق الواضح فى التفوق التكنولوجى الأمريكى على قوات صدام حسين ، ورغم تصريحات الرئيس بوش وكبار مساعديه للتاكيد على ان فيتنام لن تتكرر ، فقد كان هناك توجس خفى من احتمال وقوع كارثة ما .. لا تصل الى الهزيمة بالقطع ، ولكنها قد تتمثل فى وقوع خسائر باهظة فى الأرواح بين الجنود الأمريكيين . وكان هذا الشعور يسفر عن نفسه بوضوح فى مشاهد الوداع ودموع الأمهات والزوجات والاخوات فى المطارات والقواعد الحربية وهن يودعن الجنود الذاهبين الى "ساحة الوغى" .. وهى مشاهد حرص التليفزيون ، بكل شبكاته على عرضها .. وتكثيفها .

□ □ □

فى هذا الوقت ، بدا للبعض ـ وانا منهم ـ ان هناك رنة من المبالغة فى الاعراب عن "المشاعر الوطنية" من قبل الأمريكيين .. خاصة وان القضية التى هى موضوع الصراع ، والتى من اجلها دفع عدة مئات من الاف الجنود الى صحراء الجزيرة العربية ، لم تكن لصيقة الى هذا الحد بوعى ووجدان رجل الشارع الامريكى الذى تختلف اهتماماته كثيرا عن قضية احتلال العراق للكويت ، ونحن نعلم الان على نحو اكثر وضوحا ، من خلال كتاب "بوب وودوارد" الجديد الذى صدر فى اوائل مايو الماضى بعنوان "القادة" ، انه كان هناك صراع البيت الابيض فى ذلك الوقت عما اذا كان يجب خوض الحرب كما يرى الرئيس بوش ومستشاره للأمن القومى "برنت سكلوكروفت" ام الاكتفاء باحتواء العراق عن طريق تشديد العقوبات الاقتصادية والحصار العسكرى كما يجند رئيس هيئة الاركان المشتركة الجنرال "كولن باول" . ولكن عندما

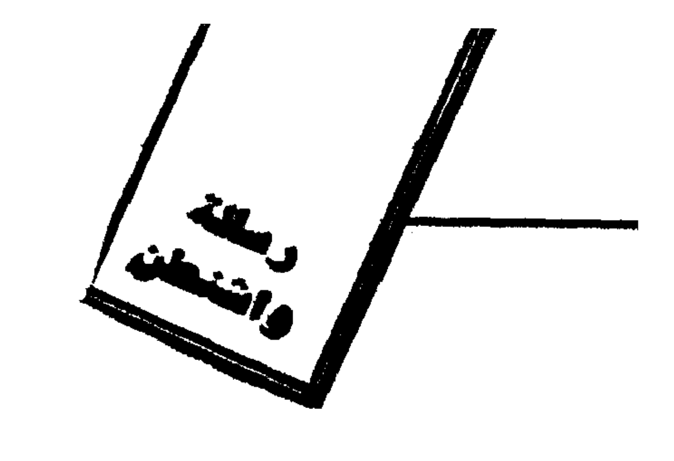
كانت الأزمة لاتزال محتدمة ، اخذ المسئولون الامريكيون يكثرون من التصريحات التى تهدف الى تعبئة المشاعر الوطنية لدعم القوات التى ارسلت الى الشرق الاوسط . مع التاكيد باستمرار على ان الحرب لن تكون سوى الملاذ الأخير ، وان القوات التى اخذت تقيم الاستحكامات وتقلب قشرة الصحراء فتغير معالمها لن تخوض القتال الا اذا رفض العراق الاذعان لقرارات مجلس الامن - التى كانت تتوالى واحدا وراء الاخر - بانهاء احتلاله للكويت .

ولكن فى خضم هذه الاحداث الساخنة ، بدا وكان مشاعر بعض مئات الامريكيين تختلف عنها عند غيرهم .. او ان بعض الأمريكيين - حتى نكون اكثر تحديدا - يجدون انفسهم مطالبين باظهار وطنيتهم او "اثباتها" ، صحيح ان الجميع يتسابقون الى رفع العلم ذى الخطوط والنجوم فى كل مكان - رغم ان هذا العلم كان حتى وقت قريب محور قضية مشهورة عندما كان على المحكمة الفيدرالية العليا ان تقرر ما اذا كان "إحراق العلم الامريكى" يعتبر اسلوبا مشروعا للاحتجاج والاعتراض ام انه احتقار لرمز الوطنية وشعارها - ولكننا لم نكن نملك مقاومة شعور بان بعض الامريكيين كان يحاول لفت الانظار ، حتى ولو بالصراخ ، الى ان درجة وطنيتهم لا تقل عنها عند غيرهم ، فقد بدا ان "الامريكيين السود" ، على سبيل المثال ، كانوا من بين هؤلاء .. وهو امر يعيد الى الاذهان كل تاريخ السود فى امريكا ومحاولاتهم باستمرار لتحقيق المساواة مع البيض فى الحقوق المدنية حتى الأمس القريب ، وان جدارتهم بالاضطلاع بالواجبات الوطنية ايضا الان ومستقبلا (ولا ننسى ان المناقشات الواسعة لاتزال مستمرة حول مدى تحقق المساواة فى الحقوق) .

□ □ □

وفجاة ، اخذت هذه الظاهرة تصبح اكثر اهمية واجدر بالمتابعة عندما وجدنا ان الامر اخذ يتطور بالنسبة للعرب الامريكيين على نحو مؤلم .. حتى لا نقول بل وعلى نحو مهين ! فلم يكن على هؤلاء فقط ان يثبتوا وطنيتهم واخلاصهم فى الانتماء الى هذا المجتمع الجديد الذى هاجروا اليه لاهداف متباينة ، وعلى امتداد حقب زمنية انتجت جيلا ثانيا وثالثا ورابعا من المهاجرين العرب ، وانما كان عليهم ايضا دفع الشكوك عن انفسهم .. وهى شكوك جاءتهم من قبل اجهزة رسمية تابعة للدولة الامريكية متمثلة فى اكثر اجهزتها وفى مقدمتها مكتب التحقيقات الفيدرالى المعروف اختصارا بـ "إف . بى . اى F.B.i" .

وبدانا نسمع قصصا عجيبة عن حملة الترويع التى يتعرض لها الأمريكيون المنحدرون من اصل عربى ، تحت صيانة أمن الدولة الأمريكية ومرافقها ضد ما يشاع عن عمليات ارهابية محتملة الوقوع نتيجة لأزمة الخليج وقد فسر البعض هذه الحملة ، بسبب اتساع نطاقها ، بانها اجراء قصدت من ورائه أجهزة الأمن اشاعة حالة من الذعر "عشوائيا" فى اوساط العرب الامريكيين لردع من قد تسول له نفسه من ابناء الجالية العربية الاقدام



على نشاط ما ، تحت تأثير التعاطف الطبيعى ، نتيجة لما يجرى فى "الوطن العربى الأم" ، ولكن التمادى فى هذا التخويف زاد عن الحد المعقول ، اذ بدأت "الأجهزة" .. وخاصة رجال مكتب التحقيقات الفيدرالى - انتهاز الفرصة لمحاولة التغلغل فى أوساط العرب الأمريكيين ، واستكشاف الميول السياسية السائدة بينهم وسبر غور مشاعرهم وعواطفهم ، بل و"فحص ضمائرهم" كما يقول البعض ، وسنغض الطرف فى هذا السياق ، عن تصرفات اخرى تعرض لها العرب الأمريكيون ، خلال ازمة الخليج والحرب التى اعقبتها ليس اقلها - على سبيل المثال - محاولة بعض شركات الطيران الداخلية منعهم من السفر على خطوطها ولكننا سنركز على التصرفات "الرسمية" التى اتخذت مظاهر واشكالا عديدة ، منها المباشر والعلنى او الضمنى والمستتر ، ولكن اكثرها فظاظة تمثل فى "الاستجوابات" التى خضع لها اشخاص ليس لهم اى ماض ولا غبار على شخصياتهم او انشطتهم ، ولم يقع الاختيار - العشوائى - عليهم الا لسبب واحد هو انهم من اصل عربى .

ولأن الحملة كانت واسعة النطاق الى حد لافت للنظر ، بحيث شملت عربا امريكيين فى شرق الولايات المتحدة وغربها ، فانها اثارت حالة من الفزع .. وسرعان ما ادى ذلك الى استجابة عدد من اعضاء الكونجرس للاستغاثة التى اطلقها زعماء منظمات الامريكيين العرب كاللجنة العربية الامريكية لمكافحة التمييز والمنظمة الوطنية للعرب الأمريكيين ، وغيرها ، وبسبب اجتذاب انتباه الكونجرس - رغم ان رد الفعل ظل هادئا ومحدودا - فقد تنبه البيت الابيض كذلك ، وسرعان ما دعى عدد مختار من زعماء العرب الامريكيين الى مقابلة الرئيس جورج بوش ، كان ذلك يوم ٢٥ يناير الماضى ، وكانت المرحلة الأولى من حرب الخليج قد بدأت بالفعل ويبدو ان الرئيس الامريكى اراد ازالة اى اسباب "للشوشرة" على الحملة الاعلامية والدعائية المكثفة التى رافقت الحرب والتى كانت تركز على الأسباب المبدئية والاخلاقية التى دفعت امريكا لخوض هذه الحرب ، ولم تستمر المقابلة طويلا ، بين الرئيس بوش وزعماء العرب الأمريكيين ، ولكنها كانت كافية لتصويرها تليفزيونيا وللاعلان عن ان الامريكيين العرب استمعوا الى تأكيدات من الرئيس بانه لا يمكن ان يقبل وقوع مثل هذه الممارسات ضد ابناء احدى الجاليات الامريكية .. وكلام طيب اخر من هذا القبيل !

واود ان اتوقف هنا لحظة ، لكى اسجل اننى - وزملائى من المراسلين المصريين والعرب فى واشنطن قد حاولنا فى ذلك الوقت لفت الانتظار الى ما كان يتعرض له الامريكيون المنحدرون من اصل عربى من معاملة غير طبيعية بسبب انتمائهم واصولهم

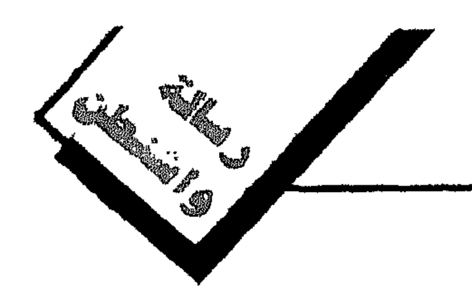
القومية ، ولكن يبدو ان محاولاتنا ذهبت هباء نتيجة لتغطية دوى المدافع وهدير الطائرات الحربية على ما عداها من أصوات !

□ □ □

على اى حال ، فان ما جرى للعرب الامريكيين فتح عيوننا على "الظاهرة" فى اطارها الاشمل ، وبدا لنا ان "الوطنية" فى امريكا تختلف عنها عما عرفناه وعهدناه فى بلادنا .. او فى بلاد اخرى كانجلترا وفرنسا والصين واثيوبيا او اى بلد اخر من "العالم القديم" . ففى ارض الهجرة هذه ، استطاع المهاجرون الأوائل ـ وبالتحديد العنصر الانجلوسكسونى والايرلندى ـ احتكار وضع القواعد والمبادىء والاعراف والقيم فى المجيىء و"إملاءها" ايضا . ووجد هؤلاء أن من حقهم مراقبة الوافدين الجدد واخضاعهم لقيم المجتمع الجديد ، والتاكد من مدى "التزامهم" تجاه هذا المجتمع او الوطن الثانى الذى جاءوا اليه ، وبصورة او باخرى ، لاتزال هذه القاعدة هى السائدة ، وربما هى تتجلى بشكل خاص فى انفراد عنصر واحد بقمة السلطة والحكم .. فلم يحدث ان وصل الى رئاسة الولايات المتحدة ـ منذ جورج واشنطن .. وحتى جورج بوش ـ رئيس لا ينتمى الى الجنس الانجلو سكسونى/ الايرلندى ، بل وظلت الرئاسة حكرا على "طائفة" منهم هى المعروفة بالـ"واسب" البروتستانت .. فلم يشذ عن القاعدة سوى "جون كينيدى" الذى كان كاثوليكيا . ولم يجسر على مناوأة "الواسب" سوى اليهود ، بعد ان تكثفت هجرتهم وقويت شوكتهم فى الولايات المتحدة .. ولكن هذه قصة .

وربما يجدر بنا ان ننبه هنا الى ان "مجتمع المهاجرين" لايزال هو الذى يميز الطابع العام والبشر فى الولايات المتحدة الأمريكية . وسوف يلاحظ اى قادم جديد الى هذه البلاد ، اول ما يلاحظ أن هذا المجتمع لم يتحول ـ أو هو حتى لم يحاول ـ الى "بوتقة" ينصهر فيها المهاجرون الجدد اولا باول .. على عكس ما يعتقد كثيرون . فالى اليوم ، نجد ان المنحدرين من اصل ايرلندى مثلا ـ رغم انهم من المتمتعين بالتفوق والسيادة ـ يتمسكون بالاعلان عن اصلهم الايرلندى ، وتحاول العائلات الكبيرة منهم أن تتبوأ انسابها الى أصولها الاولى فى ايرلندا .. بل ان للايرلنديين الامريكيين "يوما قوميا" يحتفلون به وحدهم كل عام ، فيرتدون اجمل وازهى ثيابهم "الوطنية" ويحملون شعارات تقول "انا ايرلندى .. وافخر بذلك" .

وبطبيعة الحال ، فان تلك الظاهرة التى نتحدث عنها ازدادت تشابكا وتعقيدا ، مع تضخم حجم المجتمع الامريكى وتعقده هو ايضا اجتماعيا وسياسيا ، ونمو ادوات "المؤسسة الامريكية" وازدياد سطوة وقوة اجهزتها ، كذلك ، فانه كان من الطبيعى الا تكون حالة العرب الأمريكيين ، الذين امتحنوا فى وطنيتهم الأمريكية ، هى الأولى فى التاريخ الأمريكى الحديث . فقد تعرض لها من قبل ابناء جاليات اخرى كلما كانت الأحداث



تجيء بازمة تجد فيها احدى هذه الجاليات نفسها موضع شبهة احتمال توزع ولائها بين الوطن الأصلي والوطن المكتسب . وكان ابرز مثال لذلك ما حدث للألمان واليابانيين الأمريكيين خلال الحرب العالمية الثانية .. كما قد يذكر كثيرون .

وقد حدث في أواخر شهر مايو الماضي ، أن دعا المؤتمر السنوى للجنة العربية الأمريكية لمكافحة التمييز (D.C) احد أعضاء الكونجرس من أصل ياباني لالقاء كلمة أمام المؤتمر الذى انعقد على مدى ثلاثة أيام في أحد فنادق "كريس سيتي" بواشنطن ، ولأنه كان من الطبيعي أن يكون ما تعرض له العرب الأمريكيون اثناء حرب الخليج احد الموضوعات "الحية" التي طرحت في المؤتمر ، فقد وجد عضو الكونجرس الضيف - وهو النائب الديمقراطي نورمان مينيتا عضو مجلس النواب عن ولاية كاليفورنيا - ان الموضوع مناسب تماما لكي يكون محورا لكلمته ، وقد روى لمستمعيه من الأمريكيين العرب ، كيف انه كان في العاشرة من عمره عندما قصفت الطائرات اليابانية ميناء "بيرل هاربر" واندلعت الحرب بين الولايات المتحدة واليابان ، فاذا به يجد نفسه وقد زجت به الحكومة الأمريكية - وهو في هذه السن الصغيرة - الى المعتقل مع الاف من الامريكيين المهاجرين من اليابان أو المنحدرين من أصل ياباني .

وتخللت كلمة النائب مينيتا امام الأمريكيين العرب عبارات ، كالحكم ، قال : في أوقات الحروب ، فانه غالبا تتوارى الحقائق . وتفسح مكانها للهيستريا والتعصب والعنصرية . وهذا هو درس التاريخ الذى لقنه لأمتنا الأمريكيون وهو درس يجب أن نتذكره دائما وان نطبقه لكي يكتسب معناه الحقيقي" . وابلغ عضو الكونجرس الياباني الأصل مستمعيه ، انه لهذه الأسباب فانه لم يسكت عندما بدا مكتب التحقيقات الفيدرالي استجواب الامريكيين من ذوى الأصل العربي ابان ازمة الخليج .. وانه تاكد له "ان الأمريكيين المخلصين المنحدرين من اصل عربي قد استهدفوا على اساس انتمائهم العرقي ، وان الاستجوابات شملت سؤالهم عن ارائهم السياسية ، وان بعضهم واجه اسئلة من قبيل : هل انت امريكي مخلص ؟" . ووصف النائب الامريكي هذه الممارسات بانها "مكارثية" جديدة اوضح واشد خطورة من ان نتجاهلها . فاذا كان مكتب التحقيقات الفيدرالي ، او اى جهاز حكومي اخر ، يقدم على مثل هذه التصرفات .. فان كل أمريكي يجب ان يشعر بالقلق ازاء ذلك" .

□ □ □

ومادمنا قد تطرقنا الى ذكر الامريكيين اليابانيين ، فلا باس من الاشارة الى تجربتين لاثنين منهم لهما علاقة بهذا السياق - قام كل منهما بتسجيلها في كتاب ، ونشر الكتابان - بالصدفة - في وقت واحد اخيرا .

التجربة الأولى ، يرويها "دافيد مورا" - وهو الان شاعر واستاذ

جامعي - في كتاب بعنوان "ذكريات واحد من السانسي" . والسانسي كلمة يابانية تعني "الجيل الثالث لليابانيين الأمريكيين" ، ذلك ان اليابانيين لم يهاجروا الى الولايات المتحدة الا حديثا ، وباعداد قليلة نسبيا ، بحيث ان اقدمهم الآن تبعد جذوره لاكثر من ثلاثة اجيال . ولم يكن مورا مهاجرا ، وانما هو ولد في الولايات المتحدة ونشأ ، كما يقول ، امريكيا قلبا وقالبا يفضل اكل الهامبورجر والبيتزا على السوشي والتيرياكي ، ويعشق مشاهدة مباريات البيسبول وكرة القدم وموسيقا الروك اند رول ، ومع ذلك ، فانه عندما تسلم عمله الاول كمدرس في احدى المدارس الابتدائية في شيكاغو ساله صبي صغير من الصف الرابع : من اين انت ؟ وعندما اجاب بانه من ولاية منيسوتا ، عاد الصغير يسال بإلحاح .. "ولكن اين ولدت ، واين تعلمت اللغة الانجليزية ؟" . ولم يكن مورا يعرف من اللغة اليابانية سوى قدر ضئيل انتقل اليه ، بالوراثة ، من الجيل الثاني (النيسي) ، وبعد مرور سنوات ، حملته الصدفة الى وطنه الأصلي الياباني كطالب بعثة (على الرغم من انه حاول الحصول على بعثة في فرنسا على حد قوله) . ولدهشته فان احدا في اليابان لم يعتبره غريبا ، ولم يساله كما ساله التلميذ الصغير الأمريكي "من اين انت ؟" ، بل اعتبره الجميع واحدا منهم على الرغم من انه لم يكن يستطيع - الا بالكاد - التخاطب معهم !

اما التجربة الثانية ، فهي تجربة "يوشيمي او شيكاوا" الذي هاجر الى كاليفورنيا في الستينات وهو فتى يافع ، وسجل تجربته باليابانية ثمّ ترجم الى الانجليزية بعد ان حظى بشعبية هائلة في اليابان الى الحد الذي دفع احد منتجي السينما اليابانيين الى تحويله الى فيلم يجرى تصويره الان . وقد أعطى اوشيكاوا كتابه عنوانا طريفا هو "طريق الفراولة" .. فقد عمل في اول مجيئه الى امريكا في قطف المحصول في احدى مزارع الفراولة بكاليفورنيا .. وكان قد هاجر تحت تاثير إغراء اخ أكبر سبقه في الهجرة ، وكتب اليه يشجعه على اللحاق به ويقول له ان الابواب ستفتح امامه للنجاح لأن الأمريكيين كسالى الى الحد الذي يدفعهم الى تفضيل ارتياد دور السينما التي لا يغادرون سياراتهم وهم يشاهدون الأفلام فيها ، بل وهناك كنائس يصلي فيها المؤمنون منهم بالطريقة نفسها .. اى وهم داخل سياراتهم ! ويضيف الاخ الأكبر وانني لواثق من ان الله يغضبه ذلك ! ودخل يوشيمي أوشيكاوا مدرسة لتعليم الكبار ، ولكن معلمه ذهل عندما اكتشف ان تلميذه قد درس الفلسفة الوجودية ، في مدرسة قريته باحدى جزر اليابان قبل مجيئه ، وانه قرا لألبير كامي وغيره من كبار الأدباء المعاصرين ، وعلى اى حال ، فان اوشيكاوا شق طريقه ، ولكن على الرغم من أنه وصل الى الالتحاق باحدى الجامعات الأمريكية ، فقد ظل دائما يفكر في العودة الى اليابان ، وقد عاد بالفعل

وفي النهاية . نتساءل بعد هذا كله : اليس عجيبا امر هذه "الوطنية الأمريكية" ؟ اليس جديرا بالتفكير .. والتامل .

«٢» تكوين

طارق البشرى

عدت أقرأ وأناقش لأضبط أفكارى وأحدد اكتشاف ذاتى

● فى ظنى ان "التكوين" يتصل بالواقع وما يطرا عليه من احداث ، اكثر مما يتصل بالفكر المجرد وبالتلقين المباشر . يستحيل طبعا ان نفصل بين ما يعتبر واقعا او حدثا وبين ما يعتبر فكرا وتلقينا ، وان الواقع واحداثه يجرى مصوغا بالأفكار دائما ، كما ان جريان الفكر هو جزء من حركة الواقع واحداثه ، ولكن المقصود هنا هو التمييز بينهما تمييزا يقتضيه البحث والنظر ، وبقدر ما يمكن التمييز بين هذين الوجهين ، تكون الأرجحية فى "التكوين" للجانب الحركى . وان يعيش انسان فى ظروف حرب مثلا ، هو ابعد اثرا فى تكوينه وامضى نفاذا من كل ما يحكى عن ذلك فى الكتب والأسفار ، لذلك ياتى تركيزى فى هذه العجالة على الحدث اكثر مما يكون على الفكر ، وعلى الواقعة العامة اكثر مما يكون على الخطاب الذاتى او الحوار الضيق ●

●●●

عاصرت النظام الملكى الحزبى من الميلاد الى التاسعة عشرة من العمر الا شهورا ، واستغرقت مرحلة هذا النظام المرحلة المدرسية من عمرى ، الا العام الاخير منها ، وعاصرت نظام ٢٣ يوليو بين التاسعة عشرة وبين السابعة والثلاثين (عندما بدات نهايته بوفاة عبدالناصر فى سبتمبر ١٩٧٠) واستغرقت سنى العمر من الشباب الى بدء الكهولة ، ثم مرحلة ما بعد ذلك ، وهى لاتزال ممتدة ، سواء فى الحياة العامة او فى عمرى (حتى كتابة هذا السطر) .

و"التكوين" هنا يتعلق بالمرحلة الاولى ، والباقى هو نمو او إكمال او تغيير او تعديل ، يرد منسوبا الى الاصل ، والتكوين عندى تجمعت عناصره الاسلسية فى المرحلة الأولى ، التى تفتحت عينى فيه على صورة مصر فى الحرب العالمية الثانية ، ثم كان



طارق البشرى وحسين احمد امين



الحدثان التاريخيان الكبيران اللذان عرفتهما بلادنا مما اجرى على هذا التكوين تغييرات هيكلية ، وهما حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ . اليس عجيبا هذا ، نحن الذين ناكل الطعام ونمشى فى الاسواق وننام فى بيوتنا ونرتد الفكاهات ، اليس عجيبا ان تكون الحرب هى العنصر الاساسى فى تشكيل مزاجنا وهويتنا . نظرت الى الحرب الاخيرة ، حرب الخليج فى ١٩٩١ بهذه العين ، ورايت جيل اولادنا يولد فى حرائقها ، رايت الحدث الكبير يدور ويجذب اليه قلوب الشباب ، سواء الجادة او اللاهية ، عرضها على النار ثم اعادها وهى مشحونة بما لن ندرك فحواه الا فى الآتى من الاعوام ، رعاهم الله وهداهم .

(ثانيا)

مصر والحرب العالمية الثانية ، هذه هى نقطة تقاطع المكان والزمان مع بداية تفتح ادراك الصبى بجماعته وامته ، واعوام ٤١ و٤٢ و١٩٤٣ اعوام تقدم الجيوش الالمانية فى صحراء

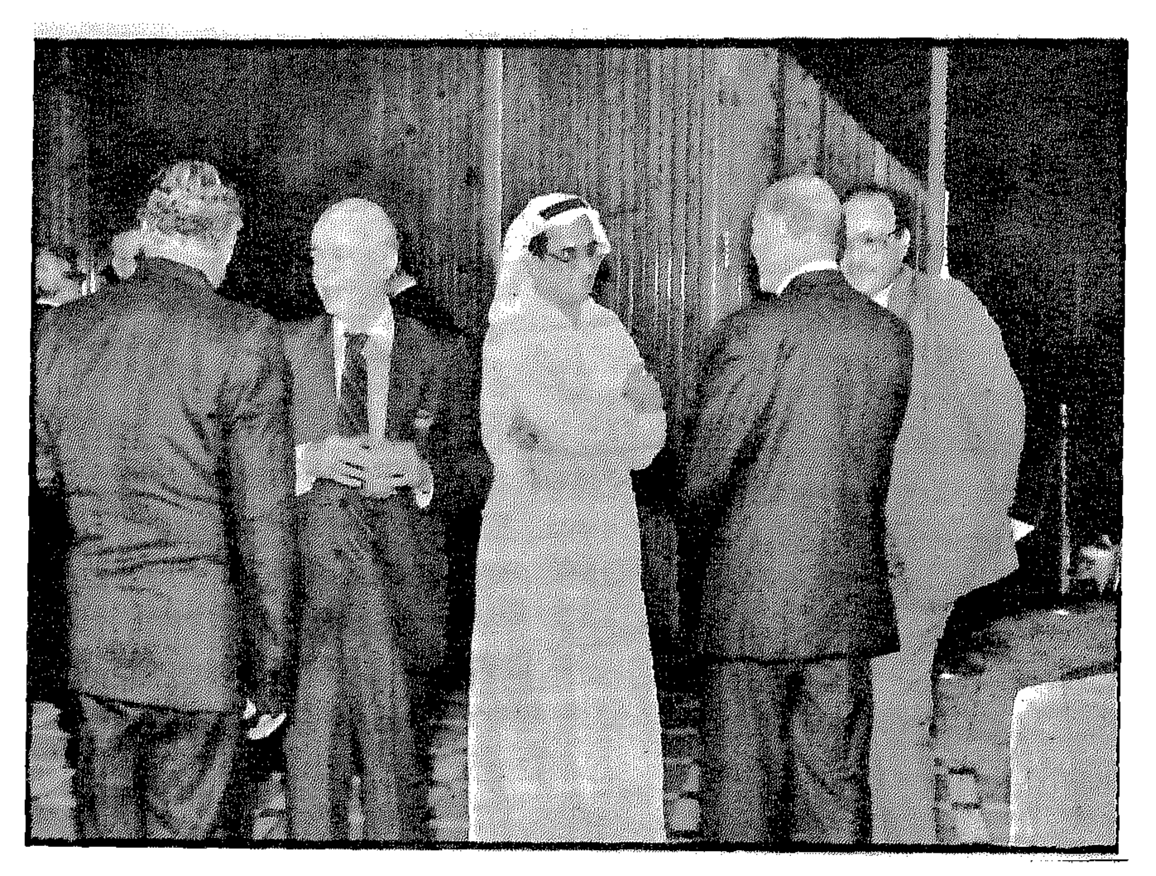


مصر الغربية ومعارك الصحراء ومعركة العلمين ، واعوام اغارات الطائرات الألمانية على الاسكندرية والقاهرة ، وعلى معسكرات الانجليز في مصر ، ومعسكرات الانجليز والحلفاء في "حلمية الزيتون" تجعل هذه الضاحية هدفا مستمرا لطائرات الالمان و"للقنبر" ، فضلا عن قرب ذلك كله لمطارات الماظة ومعسكراتها في مصر الجديدة ، وابى يوقظنا مع انطلاق صفارات الانذار بالليل ، لنرتدى ملابسنا ونذهب الى "المخبا" المجاور الذى يفصلنا عنه شريط سكة حديد "خط المرج" ، وكان يحمل معه حقيبة صغيرة ، فيها متاع قليل وبعض الأوراق ، كان هذا بداية للاحتكاك بالوعى الجماعي وبالأحداث العامة .

لم تكن مصر في هذه الأيام محتلة فقط ، بمثل ما عرفت من قبل ، لأن الاحتلال كان في هذا الوقت في اشد حالات الحركة ، وكان ذا وجود كثيف ، وحركته تضاعف من كثافته ، فالنقود تزداد حجما بقدر سرعتها في التداول ، ولم يكن الاحتلال انجليزيا فقط ، بل شارك الانجليز اصناف والوان من جند الحلفاء ، من الامريكيين والهنود وعسكر جنوب افريقيا ، ولم يكن يخلو شارع منهم ، ومنهم من يشاهد مترنحا من الخمر في الربع الاول من الليل ، واشجار الشوارع تطلى جذوعها بالجير الابيض ليسير الجندى الضال على هداها الى المعسكرات .

وكان هذا الوجود يثير القلق لدى الناس بعامة ، ويثير الفزع لدى النساء ، تخفن به بعضهن بعضا ، وسيرهن مع الرجال ولو في ربع الليل الاول يعمل حسابه ويدخل في مجال الامور الخلافية ، والحرب تظهر الخبيء وتكشف المستور من الحقائق ، لذلك بدا الوجود الاستعمارى بصورته الغليظة امام العيان بغير غطاء وبغير تجمل . وظهرت شخصيتان نمطيتان في الوعى الاجتماعي ، يتحدث عنهما الناس حديثا متصلا وتكتب عنهما الصحافة وترسمهما خطوط الكاريكاتير ، شخصية "غنى الحرب" بجهله وفظاظته وسوقيته وغناه ، وشخصية "ارتست الحرب" باباحيتها ودونيتها ، وكل منهما ثمرة وجود اجنبى بغيض وثمرة حرب "لا ناقة لنا فيها ولا جمل" كما تردد على الألسنة وقتها تعبيرا عن هذه الحرب .

التقط الوعى سريعا ، في حدود قدرة ابن الثامنة او العاشرة ـ ما اشكل وما لم يشكل من احداث بلاده ، مما كان يثير خلافات بين الكبار ومما لم يثر ، ازمة حكومة حسين سرى وازمة الخبز ومظاهرات "اقبل ياروميل" ، ثم محاصرة الدبابات البريطانية لقصر الملك وتولى النحاس الحكم (٤ فبراير ١٩٤٢) ، خلافات الملك والنحاس ، وقصص سيطرة النحاس على الحكم وقصص فساد الملك الشاب .

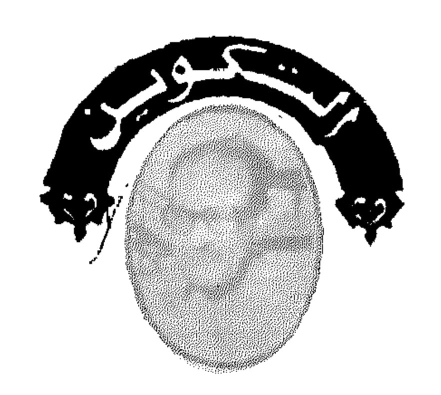


فى ندوة "الدولة والإسلام" ويظهر فى الصورة عبدالعزيز المرورى ومحمد فائق وأحمد الربيعى

وما ان اقتربت من الحادية عشرة الا وكان خيارى الوطنى والديمقراطى محسوما ، وليس لى فى ذلك فضل ، ولا دلالة لذلك الا اننى كنت اسير فى سياق ، وكان السياق يقود المصريين بعامة الى هذا الخيار ، ان يسقط جسم على الأرض ، فهذا لا يحتاج للتفتيش عن سبب لانه املاء السياق الذى تحدثه الجاذبية فى كل الأجسام ، انما ما يحتاج الى تفكير وتدبر هو ان يحدث العكس فيطير الجسم من اسفل الى اعلى .

بعد الحرب كانت كلمة "الجلاء" تحمل اعذب النغم ، علقت بها الشارات على الصدور ، ونسجت على اشرطة الحداد التى كانت توضع على الأكمام ، وهتفت بها المظاهرات ، وسقطت تحت وطأتها حكومات وتالفت حكومات .. كل هـذا معروف مشتهـر ، واثره فى "التكوين" منظور ، ولكن النقطة التى قد تكون خفية ، عن هذا الجيل وعن اجيال سبقت ولحقت ، هو ان يتبلور الوعى فى ظروف مفارقة تكاد تكون تامة بين المثال المحمول فى الصدور وبين ما يجرى فى الواقع ، وان تقوم هذه الفجوة الواسعة بين الرجاء وبين الفعل ، وليس الهول فى سعة الفجوة ولكن الهول كله فى حركة الاتساع والتداعى بين حوافها

سألت نفسى مرة ، لو كنا نشأنا فى عهد ليس فيه احتلال اجنبى ، وفيه



حاكم لا تجتمع الأمة على تجريحه كالملك فاروق ، هل كان نوع التربية السياسية يختلف ، والمزاج ونوع ردود الفعل تختلف . من أعقد الأمور الاجابة على الاسئلة الافتراضية ، رحم الله فقهاءنا القدامى من الذين كانوا يرفضون الجواب على سؤال يبدأ بقول "ارأيت لو كان ....." .

* * *

(ثالثا)

انتقل للاشارة الى الوضع الاجتماعي الاقتصادى ، لقد نشأت فى احضان الطبقة الوسطى من جهتي الأب والأم ، وأنا قاهرى المولد ابن أب قاهرى المولد ايضا، نزح جدى لأبى من بلدته "محلة بشر" بالبحيرة الى القاهرة طلبا للعلم بالأزهر ، ولم يعد الى بلدته ، كان من اسرة ريفية فقيرة على عادة كل علماء الأزهر من قبل ، ومن بعد ، وولد ابناؤه بالقاهرة ، ومن ولد بالقاهرة لن يربطه بالريف من بعد ابيه الا أحد امرين ، الملكية الزراعية أو المقبرة ، ولم يكن للجد ملكية زراعية ، ثم انه دفن فى مسجد السادة المالكية حيث توجد قبور الائمة ابن القاسم واصبغ واشهب ويحيى بن يحيى الليثى والقويسنى وعليش ، واعد لأولاده مقبرتهم عند جدار المسجد من الخارج ، أما اقارب الشيخ فكلهم شأنهم شأن غيرهم على وفود من القرية الى المدينة ، والأسرة كلها كبارهم وصغارهم ، اباعدهم واقاربهم ، اتخذوا طريق التعليم والمهن ، وكلهم ممن يعتمدون فى معاشهم على رواتبهم من وظائفهم ، فهم من ذوى الدخل المحدود ورزقهم يأتيهم من عملهم الذهنى والمهنى ، لذلك يكتسبون مكانة فى المجتمع تفوق وضعهم الاقتصادى ، وكان امتلاك بيت السكن مما أبقى على الطابع الممتد للأسرة عشرات السنين ، وقد بقيت هذه الروابط بعد تهدم البيت والانتشار فى الأحياء .

والجد للأم يملك أرضا زراعية بحجم طيب جدا ، ولكنه كان وحيدا بهذا التميز فى اسرة فقيرة افنى عليها الدهر ، وصار رجالها الى الملكيات الصغيرة جدا ، وبعضهم الى العمالة فى الأجيال التالية ، والبيت كان بيت أسرة ممتدة ، ومن علاقات القرابة ما يختلط بعلاقات العمل ، والبيت مفتوح الباب من الفجر الى ما بعد العشاء ، وفى رمضان الى السحور ، والمحصول يوزع اكثر من نصفه على الأقرباء ، وعلاقات القرابة اقوى كثيرا من الانفراز الطبقى ، هكذا بقيت الى النهاية حتى وفاة الجد ووفاة الخال الوحيد ، لذلك كان الوضع الاقتصادى للأسرة هو الوضع المستور للأسر المتوسطة ، وكنا نحن نعتمد فى كل حياتنا على راتب ابى الذى تدرج فى القضاء المصرى الى اخر الشبوط وتوفى قبل المعاش بعامين فعشنا بمعاشه ، اما

دخل الأم فكان يساعد على غير استمرار ولا اطراد على ادخال بعض التحسينات على وسائل العيش ، ومن غالب ثمنه أمكن بعد ذلك تامين بيت مملوك للسكن .

وهنا تبدو ملاحظة ، اننا عندما نتحدث عن الوضع الاجتماعي بعامة او الوضع الطبقي بخاصة ، لابد ان يكون واضحا في ذهننا وحدة الانتماء الاجتماعي التي نقصد بيان وضعها ، وان وجود اسرة ممتدة تتباين في داخلها مستويات العيش ، انما يفضي الى تداخل وحدات هذه الأسرة وتخللها لانماط من العيش والتكوين الوجداني ، وما يثور من خلافات اقتصادية بين وحداتها انما ينزل منزلة الخلافات الأسرية الداخلية ، ويبقى وضعها الاجتماعي جامعا لهذا التباين متاثرا بالطابع الغالب وليس بالمفردات .

نستطرد الى نقطة أبعد ، وهي ان تقدير الوضع الاجتماعي انما يتاثر بنظرنا نحن للوحدة الاجتماعية التي تريد تحديد وضعها ، وقد تختلف النتائج في تقدير واقع محدد لا باختلاف هذا الواقع ، ولكن باختلاف تحديدنا نحن للوحدة محل الفحص ، ولكي نحدد هل فلان غني او فقير ، ريفي او مديني ، علينا ان نعرف من هو ، هل هو فرد او اسرة "زوج وزوجة واولاد" او اسرة ممتدة ، او عشيرة ، بمعنى ان الحكم بالصورة الواقعية يتوقف على تحديد اطار هذه الصورة ، وهذا التحديد ينبني على "فكرة" في الأساس ، فالفكرة تحدد الاطار والاطار يعطي للواقع معناه .

مثال ذلك الحديث عن الاقليات في المجتمع ، فالحكم على جماعة بانها اقلية في المجتمع قد يكون حكما طبيعيا وقد يكون مصنوعا ، يكون طبيعيا اذا كانت الاقلية تتخلل الاكثرية في كل مواضعها ولا تنفرز عنها ، وفي اوضاع اخرى لا تكون كذلك ، فانت مثلا ترسم الحدود السياسية لتركيا بطريقة تجعل الاكراد اقلية ، في حين انها لو رسمت بطريقة اخرى لكانوا في الاطار الاخر اغلبية ، وكذلك شيعة "جبل عامل" في لبنان ، يتوقف حسابهم كاقلية او اغلبية على "الفكرة" التي تسقطها أنت على الواقع وترسم بها حدود دولة معينة .

(رابعا)

لم يكن بعيدا عن ذهني فيما أعي ان اكون ممن يقومون بواجبهم العام نحو الجماعة التي ينتمون اليها ، ولكن المسالة كانت من خلال اى نشاط ، واى نوع عمل يمكن ان اؤدى زكاة مواطنتي ، كنت مستقر الفؤاد على ان يكون ادائي لهذا الواجب من خلال عملي المهني وتخصصي القانوني ، ورغم ان حواسي وأجهزة الاستقبال لدى بالنسبة للمشاكل العامة واوضاع الجماعة في السياسة والاقتصاد وغيرهما كانت قوية عن بداية الادراك ، فقد كنت اعد نفسي لنوع "اداء" متخصص ، وكنت متاثرا جدا بالأداء الوظيفي القضائي لأبي الذى توفي وأنا في الثانية بكلية الحقوق قبل ان أرتوى



منه تماما ، وبقيت سنين عطشان اليه .

اسعدني اى سعادة ان عينت فى مجلس الدولة ، وبدات عملي الفني بامال شاب وحماس شاب وصحة شاب ، كانت الشهور الاولى عسيرة علىّ بسبب ما فطرت عليه من ميل للانطواء وبطء فى الاعتياد والاندماج ، ولانني لم اكن بعد قد جربت نفسي ولم اكن اعرف بعد فيما اصلح وبما اصلح ، ولكنني بالامل والحماس والصحة شققت طريقي ، وعوضني عن كل نقاط ضعفي شغف بالاطلاع واستغراق فى العمل ، فعرفني المحيطون بى فى العمل من خلال الورق قبل ان يعرفوني من هذه المعايشة اليومية التى كانت قائمة . وفى الاستغراق فى العمل بدات اكتشف نفسي واتحسس ملكاتي ووجوه القوة والضعف ، لما كشفت ذلك اخافتني قدرة الحجاج والجدال ان تؤول الى اللدد واللجاجة ، ولازلت اذكر يوم ذهبت أصلي فى مسجد المالكية بين فترتي العمل الصباحية والمسائية ، وعاهدت الله سبحانه بما عبر عنه القرآن الكريم فى سورة القصص "رب بما انعمت علىّ فلن اكون ظهيرا للمجرمين" ، كنت فى الثانية والعشرين من عمري .

قرات وقتها كثيرا فى القانون ، وعرفت التردد على مكتبة كلية حقوق القاهرة ومكتبة محكمة النقض ومكتبة نقابة المحامين ، وطالعت مجلات القانون القديمة ومؤلفات الاساتذة من الجيل الذى سبقني ، واستاذنت رئيسي فى العمل ان استخرج نسخة من مفتاح مقر العمل ، وكان فى ميدان عابدين ، وكنت امكث فيه وحدى أو مع زملاء لى فى كل وقت وفى اى وقت من نهار او ليل او ايام اجازة ، عشت القانون عيشا ، وامكن بذلك ان تلين مادته معى وتتطوع ، الا ما اقوى الشباب .

جرت الأمور على هذه الوتيرة ، ثم فجاة حدثت زلازل ١٩٥٦ ، من تاميم قناة السويس فى يونيه ١٩٥٦ الى العدوان الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى فى اكتوبر الى جلاء المعتدين فى ديسمبر.. ستة اشهر تحولت بها من حال الى حال ، وبقيت تحوك فى صدرى عاما بعد عام ، والسؤال يلح من انت واين انت وماذا انت صانع ، ان يرى الانسان بلده تجتاح ويغزوها الأجنبي ، لهو امر جلل ، ومن ذا الذى يحفظ توازنه مع هذه القوارع الكبرى ، وكيف تسير حياتنا من بعد فى مالوف سيرها السابق .

القانون يبنى على ارض المجتمع الضوابط والحدود والقيود ، ويرسم قنوات الاتصال ، ويحدد مراكز الافراد والجماعات بين بعضهم البعض يضبط مجموعات الحقوق والواجبات المتبادلة وبين المؤسسات والهيئات والكيانات التنظيمية ، سياسية او اقتصادية او اجتماعية .. الخ ، ولكن ما شان كل ذلك اذا اتت قارعة من خارج هذا النسق فدكت الأرض دكا دكا ، وهل يكفى وفاء

لدين الجماعة ان نقدم اليها ما تريد ان نقدمه ، أم يتعين ان نبذل لها من نوع ما تحتاجه في كل حالة مخصوصة .

كان هواى ان اجيب على هذه الاسئلة بما يعيدنى الى سابق عهدى وعادتى ، ولكن كانها يد قوية شالتنى وحطتنى لأجد نفسى طالبا من نفسى الا اكتفى بجهدى المبذول فى القانون ، وان علىّ ان أصرف فضل نشاطى فى التهيؤ للمشاركة فى الجهد العلم المطلوب للجماعة من خارج التخصصات الفنية . وكان هذا يقتضى برنامجا تفصيليا للاحياء واعادة البناء الذاتى ، فى السياسة والاقتصاد والفلسفة والتاريخ وعلوم الاجتماع مع مطالعة ما تيسر من اداب الشعوب الاخرى ، واقتضى ذلك منى ان اضمر غالب علاقاتى الاجتماعية واغلق على نفسى لاستقل كل ساعة زمن ، اغلق على نفسى إلا من بصيص ضوء وهواء ياتينى من عدد محدود جدا من الصداقات الوثيقة .

لم تكن امال الشباب هى ما حركنى ولكنه كان شعورا مغذى بالواجب انضاف الى حماس الشباب وصحته ، ليجعلنى اداوم القراءة والنظر والمتابعة فى شبه تفرغ لذلك عددا من السنوات التالية . ثم هممت بالكتابة فى الشئون العامة بما يعرفه من اهتم بمطالعة ما اكتبه فى هذا المدى من السنين بدءا من علم ١٩٦٤ ، وكنت بلغت الثلاثين من عمرى .

وفى علم ١٩٦٧ ، حدثت النقلة التالية بفعل ما اصابنا من هزيمة فى حرب يونيه ، ومثل هذه النقلات لا تحدث فى يوم وليلة ، انما يتسرب اثرها الى النفس وتحوك فى الصدر وتذيب ما تذيب من البناء الفكرى الثقافى العلم وتبعد ما تبعد وتعاد صياغة النفس والفكر على صورة معدلة ، وصعوبة هذا الأمر انك تصير دارسا وموضوعا للدراسة فى الوقت نفسه ، تصير حكما وموضوعا للحكم ، وتصير مغيرا ومتغيرا معا ، والاصعب من ذلك انك عندما تبدا مناقشة مشكلتك ، وقد ترى تنحية بعضها وتعديل البعض الاخر ، انما تجرى هذه الأمور ولم تستقر لديك بعد مسلماتك الجديدة . فى مرحلة الانتقال هذه تجد نفسك كالسائر بين الكواكب ، تضعف جاذبية المسلمات الأولى لك وتقوى الاخرى ، ولكن فى مرحلة معينة ترى نفسك كالتائه بين جاذبين ضعيفين ، هنا لن ياخذ بيدك الا هداية الله جل شانه ، فى هذه المرحلة بالضبط توقفت عن الكتابة العلنية ، وعدت اقرا واناقش واكتب لنفسى احيانا لاضبط افكارى ثم اعيد اكتشاف نفسى مما كتبت . وبدل امال الشباب ظل الشعور بالواجب ، وبدل حماس الشباب حلت مسئولية التصويب واستكمال النقص ، وقمت بذلك بصحة كهل لم يحتمل قلبه الضغط فانجرح .

وقد اشرت الى بعض هذه التجربة بما قدمت به عددا من الكتب التى صدرت لى بعدها كالحركة السياسية ، ودراسات فى الديمقراطية ، وبين الاسلام والعروبة .

ومازلت على هذا "التكوين" والأمر بيد الله سبحانه .

بوتيكات الصالونات الأدبية

● إن كانت محاولة الوقوف على تاريخ الصالونات الادبية فى مصر منذ مطلع هذا القرن تتطلب من الكاتبة / أمانى فريد المزيد من الصفحات كما اوضحت فى مقالها (الصالونات الادبية فى مصر) الذى نشر فى هلال ابريل الماضى حتى يتسنى لها تقديم صورة صادقة لما كانت عليه حياتنا الأدبية ، فإن محاولة الكشف عما يحدث الآن فى صالونات مصر الأدبية يحتاج إلى صفحات اكثر . خاصة بعد ان تحول معظمها إلى دكاكين وبوتيكات هى دائما خاوية من البضاعة الجيدة ، خالية من الزبائن الذين يدركون قيمة الأشياء ، عامرة على الدوام بالأدعياء .

انتشرت الصالونات الأدبية فى الحدائق والنوادى والشقق المملوكة والمؤجرة والمفروشة وازدانت مقاعدها باحدث الأزياء واجمل التسريحات كتجربة جديدة لترسيخ الضحالة ، وتمكين انعدام الموهبة من الإمساك بالدفة واختراق صخور الحقيقة ، وتضخيم حجم الهزال الفكرى ، مما ساعد على انتشار النصب الأدبى والفوضى الفكرية وخلق دوائر من الوان الغمز واللمز وتصفية الحسابات والردح الثقافى دون ادنى التفات إلى أن الأدب الحقيقى هو طريق شاق تقويه التجارب وتعتقه وتغذيه الأصالة ، ولم يكن ابدا اداة للتزييف باغتصاب مكان الصدارة ، وهكذا تحول صغار الأدباء فى صالوناتهم التجارية إلى ممثلى سينما يتحركون امام كاميرات ، ومجرد بهلوانات يقفزون فوق حبال السيرك الذى نصبوه .. وكانت النتيجة ان امتلأت اعمدة الصحف باخبار هذه الصالونات دون ان يتصدى مخلوق للوقوف على اى عائد لها أو حصر لأعدادها .

ومن تجاربى الخاصة فى مجال ارتياد هذه الصالونات أيام كنت أسعى إليها بكل براءة الباحث وحسن نية المتذوق اننى فوجئت ذات مرة اننى لا أحضر صالونا ادبيا بالمعنى الذى اعرفه ، بل كنت انزلق فى أوحال نفاق برخص التراب حول محاسن هذا الذى جلس على المنصة منتفخ الأوداج ، متهلل الأسارير ، يتلقى فى نهم مسيل العينين مظاهرة المديح من افراد شلته ، وحين واتتنى الجراة وحاولت ان أعبر بصدق عن رأيى فى نقطة وردت فى سيل الاطراء ، فوجئت أن ما قلته يخالف خطة تابين هذا الفقيد الحى ، ورغم إيمانى بان الخلاف فى الراى لا يفسد للود قضية فإننى وجدت نفسى وسط الزحام هدفا ظاهرا لتلقى وابل من النصال والنبال ، وشعرت فى هذه اللحظة اننى مصاب بحالة من الغباء الشديد حيث لم يكن منطقيا فى خضم صرخات هذا الزار الجامح أن أسبح وحدى ضد تيار طبوله الداوية ، لهذا تعلمت من هذا الصالون درسا ، وهو الا اغامر مرة اخرى واقبل دعوة لحضور مولد لا أكون مستعدا لدقات طبوله وممارسة رقصاته .

وفى مرة ثانية ، وبعد أن قبلت عضويتى بناد أدبى عشت صباى احلم

بالانتساب إليه ، بعد أن بهرتني طويلا تلك الوجوه الأدبية الشامخة التى كانت تديره وتصنع من نشاطه إشعاعا يجتذب النبوغ ويخترق الحدود . ولكنني بعد ان أبيض شعرى فوجئت أن النادى الحلم ، قد صار بمرور الزمن أطلالا وانقاضا ، بعد ان عبث به ورثة غير شرعيين لا اعرف حتى الآن كيف استولوا عليه ، واحالوه إلى مجرد دكان لا يحمل من الادب إلا لافتة قديمة متهالكة ، لهذا انتهزت فرصة حضورى إحدى ندواته وطالبت بالتغيير حتى يعود النادى إلى عظمة ماضيه ، دون ان ادرى وقتها اننى اندلف إلى جوف جحيم لاتعرض لسيل من التطاول ونيران من التجريح .

فاضطررت للانسحاب من تلك الندوة ، التى اعتبرتها الندوة الأخيرة لى فى هذا الصالون الحلم والأطلال .. هكذا اصبحت الصالونات الادبية عندنا قرب نهاية القرن العشرين وهى لاتقاس من قريب او بعيد بتلك الصالونات القديمة الرائعة التى كانت تتوهج فى بداية هذا القرن بالأفكار والعقول والأسماء .

اننى انتهز هذه الفرصة وادعو السادة النقاد الذين تورط بعضهم فى ترسيخ هذه الظاهرة الغريبة للتوقف وإلقاء الضوء حتى يمكن للحقيقة أن تعود إلى نصابها ، وتعود الصالونات الادبية إلى مسارها الصحيح بعيدا عن حفلات هذا الزار ، وصخب تلك الموالد رغم انه لا يوجد تحت القبة شيخ يمكن التبرك به ، وانقاذ ادبنا من تهريج هؤلاء الذين يعتبرونه مجرد سلعة يمكن ان تعرض بجانب تلك السلع المستوردة .

محمد السيد سالم

• عودة إلى القيد الجميل •

رجعت الآن يسبقنى حنين ★ وشوق لافح فيه احترقت
يفيض الدمع من عينى نهرا ★ ليعلن توبتى عما اقترفتُ
وهذا القلب من ندم يحاكى ★ رجاء الطفل حين يقول : تبتُ
اقول حبيبتى والذنب ذنبى ★ رجعت فلا تقولى قد رفضتُ
نعم فكرت فى هجر طويل ★ وحاولت الفرار وقد فعلتُ
وقلت عزامها للقلب قيدٌ ★ عذابٌ من مرارته نهلتُ
وصاح القلب لا تهجر فإنى ★ اكون بهجرها نفسى قتلتُ
وإن كانت تضن فإن روحى ★ تقول : بما تجود انا قبلتُ
ولكنّى وفى صلف غبى ★ على الهجران إصرارا عزمتُ
صلبت نداء قلبى فوق صخر ★ من الوهم الذى فيه انغمستُ
ورحت اراود التحنان حتى ★ يفيض فلا يئن ، وقد فشلتُ
قضيت إلى جوار الغيظ يوما ★ وعاد القلب محموما .. وعدتُ

اغيث الروح من ظمأ عميق ★ فضوء حبيبتى زاد وبيـ

رمضان عبداللطيف حا
كلية الآداب ـ قنا

● الآنسة مى .. والشعر ●

● لفت نظرنا ونحن نطالع عدد « ابريل سنة ١٩٩١ » من مجلة « الهلال مقالة للسيدة « أمانى فريد » عنوانها « الصالونات الأدبية فى مصر » و موضوع أشبعه الباحثون ببحوثهم ودراساتهم بصورة أفضل مما قدمته ب الكاتبة الفاضلة .. ولكن المهم هو ما تطرقت إليه حينما تحدثت عن صالون « م زيادة » ومادار فيه من مساجلات أدبية بين « مى » وضيوفها ، وأوردت مساج شعرية بين "مىّ ـ كما قالت ـ والرافعى" جاء فيها أن « مياً » ردت على كلما إعجاب قالها « الرافعى » فيها ببيتين هما :

زمـانـك قبلـى إنتـهـى ★ وهـل يـرجـع المنتهى
فحسبـى ان أشتـهـى ★ وحسبـك ان تشتـهـى

والحديث عن حياة « مىّ » وعلاقتها بالشعراء والأدباء والمفكرين من رو صالونها طغت إلى حدّ ما على أدب مىّ ونثرها الشاعرى الذى يرقى على كثير م يسمونه الآن « الشعر الحرّ » .

هل كانت مىّ شاعرة تقرض الشعر ولو على سبيل المفاكهة ؟

لقد أجابت « مىّ زيادة » عن السؤال فى عدد مجلة « الهلال » قديما ، و أورد الكاتب « طاهر الطناحى » تلك الإجابة فى كتابه « اطياف من حياة مىّ » حيث أخبرته بأنها « لم تقل طوال حياتها شعرا إلا شطرا واحدا حين اقترح علي والدها أن تخمس البيت الأول من هذين البيتين :

ارى آثارهم فاذوب شوقا ★ واسكب فى معاهدهم دموعى
وأسال من بفرقتهم بلائى ★ يمنّ علىّ يوما بالرجوع

وقالت له : لم أستطع إلا أن أقول هذا الشطر الأعرج :
« عرفتهمو فاضحى القلب رقاً »

ونحن نعتقد أن « مياً » صادقة فيما قالته من أنها لم تقرض الشعر

ومن ناحية أخرى نجد أن ما ألصقته الكاتبة بمىّ سبق أن ألصق بها فى العق الثانى من القرن العشرين ، حيث ورد فى ديوان شيخ الشعراء « إسماعي صبرى باشا » كلمة مكتوبة تحت بيتين قيل أن قائلتهما أديبة معروفة ـ مىّ وهما :

فديتك يا هاجرى ★ فهل ترتضى بالفدا
سهرت عليك الدجى ★ ونحت ولكن سدى

فاجابها شيخ الشعراء :

اهاجرتى اطفئى ★ لواعج لا تنتهى
مضت فى هواك السنون ★ وما نلت ما اشتهى
إذا قيل مات الأديب بفاتنة .. انت هى

فلما قرات أبياته كتبت تحتها :

زمانك قبلى انتهى ★ ولا يرجع المنتهى
فحسبى أن ازدهى ★ وحسبك أن تشتهى

ويتضح لنا مما سلف أن الكاتبة الفاضلة لم تعرف أصلاً من الذى أورد البيتين المنسوبين لمىّ زيادة ؟ ! فهل هما « لمصطفى صادق الرافعى » أم قالتهما « لإسماعيل صبرى باشا » ؟ ! والحقيقة أنهما ليسا لهذا ولا لذاك ! ، وذلك لأن « إسماعيل صبرى باشا » لم يعرف « مىّ » قبل سنة ١٩١٣ حينما خرجت للحياة العامة وألقت خطبة فى حفل تكريم « مطران خليل مطران » بمناسبة الانعام عليه بالوسام المجيدى ! وفى الوقت ذاته نجد أن مافى ديوان شيخ الشعراء من الغزل ليس فى « مىّ » وحدها لأن معظمه قيل قبل سنة ١٩١١ ، ولعل أكثر ما جاء فى ديوانه من النسيب كان فى الأديبة اللبنانية « الكسندره افيرنيوه » ! ! .. والمرجح أن يكون ناظم هذه الأبيات هو « مطران خليل مطران » لكثرة مداعباته بين زملائه فى الصالون ، ومن الواضح انه أوهم اثنين من الشعراء بأن مياً هى صاحبة هذه الأبيات ! !

ولم تتعد علاقة « مىّ » بالشعر العربى علاقة القارىء المتذوق .

حسن على ابو شنب ـ طنطا

● بناء الدول الاسلامية ●

● وردت إلينا الرسالة التالية من جماعة فى الجزائر تسمى نفسها : « الجبهة الإسلامية للإنقاذ » .. وننشر نص الرسالة بحروفه ، ثم نعلق عليه باختصار .. قالت الرسالة :

ـ الجزائر فى ١٣ مارس ١٩٩١
ـ خلاصة العلماء ودرة الأحياء ...

بعد تقديم الدعاء واهداء غرر التحيات والثناء وتقديم وافر التسليمات وأوفى الاشتياقات لسناء محياكم الأنور ولمكارم لطفكم الأزهر .

يسر الجبهة الاسلامية للانقاذ ان تدعوكم لما يحييكم فى الدنيا والآخرة ، بأن تساهموا «انشاء الله» بأفكاركم وسواعدكم لبناء الدولة الاسلامية المنشودة وذلك بافادتنا ، بالاحصاءات ، والأبحاث ، والوثائق ، والمعلومات ، والمطبوعات ، والفهارس ، والدليل ، والتقارير السنوية ، والرسائل ، والبطاقات المصورة ، والكتاب السنوى ، والكتاب المفصل ، والمعلومات البيداغوجية .. الخ ، حتى يتسنى لنا توخى فكرى صحيحة وعملية على مقتضيات التطور والنمو فى المجالات الصناعية والعلمية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية ونحو ذلك .

فقد أحاط علم الأخوة ادام الله إسعادهم وغرس فى كل قلب ودادهم أن الاطيان على ثلاثة أحوال الأولى ما تكون سبب اليسر والغنى (فى الفقه والدعوة) والثانية ما تكون سبب العسر والفناء ، الثالثة لا هناك ولاهنا .

فالأولى هى بمهمة السيد أولى والثانية نعوذ بالله منها والثالثة أعزه تلك المروءة العلية عنها .

فلينظر الأخوة اى الأحوال اليق بهم وانتظر انا ما يحب أن تهديه مكارمهم لمحبيهم وراجيهم .

هذا وان الجبهة الاسلامية للانقاذ رافعة هذه الرسالة لحضرتكم ، معتادة من مكارم اخلاقكم الحميدة قضاء الاشغال التى هى قربة لربط حبل الاتصال ببلوغ الامال ، فأملنا الوطيد بعلو همتكم وقصدنا الوحيد بمعالى شيمتكم هذا الأمر والقاء النظر التمام وارساله الينا

ودمتم فى قبول واقبال ومزيد فضل وكمال

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

● تعليق الهلال :

● لاندرى هل الدولة الاسلامية المقصودة ستقتصر على الجزائر ام ستمتد من أندونيسيا الى المغرب ، ومن اوزبكستان الى اليمن والسودان ، ولكن الواضح ان «جبهة الانقاذ» التى ستبنى هذه الدولة لاتملك الاحصاءات والابحاث والوثائق والمعلومات والمطبوعات والفهارس والدليل والتقارير السنوية والرسائل والبطاقات المصورة والكتب والمعلومات البيداجوجية اللازمة لتصور مجرد شكل الدولة المنشودة .. فمن أين اذن نبعت اصلا فكرة قيام هذه الدولة ؟!

بقى أن نعترف بأننا لم نفهم معنى قول أصحاب الدولة فى رسالتهم هذه : «ان الأطليان على ثلاثة أحوال .... » .. الى قولهم : والثالثة «لاهنا ولاهناك» .

على اننا ننبه أصحاب الدولة الى أن «ان شاء الله» لا يصح ان تكتب «انشاء الله» والى ان اسلوب رسالتهم يشبه اسلوب الاندلسيين «الموريسكيين» بعد سقوط غرناطة بمائة عام ، وقد كانوا معذورين فى ضعف اسلوبهم لأن الاسبان كانوا يحرمون اللغة العربية ، أما دعاة الدولة الاسلامية الجديدة فى الجزائر ، فما عذرهم فى كل هذه الركاكة والعجمة التى تسود لغتهم ، وكيف يقيمون الدولة الاسلامية وهم عاجزون عن التعبير باللغة العربية ، لغة القرآن ؟!

• الشعر العربى •

يمنح الكون ربيعاً خالصا ، طيرا تغنى
ونسيما دائما .. والشجن المكبوت فى كفيه ـ فيض من أثير وابتهالات عا
اجنحة الفجر ...
تسوق الحلم للواقع كالغيم الى الجدب يصير
فإذا الصخر ورود
والأسى عيد يمنى أعين الدنيا بآمال تروى من دماء الشهداء
اغصن الحب وتهديها الى الجيل الجديد
حين يدعوه الفداء
لبلاد فى حماها نسج البعث على غار المصير
قصة الدنيا .. فاضحى من يراها
شاهدا كيف ثراها
عاش ميلاد النشور !!!

عبد الرحيم الماسخ ـ سوهاج

• خطأ فى الصورة •

● الشىء بالشىء يذكر ، فقد دفعنى الى كتابة هذه الأسطر تعليق تضمن خطأ وهو التعليق المنشور اسفل صورة تذكارية يتوسطها الاستاذ الدكتور محمد شكرى عياد مع بعض الطلبة الافارقة والعرب بصفحة ١٨١ من «هلال» ابريل

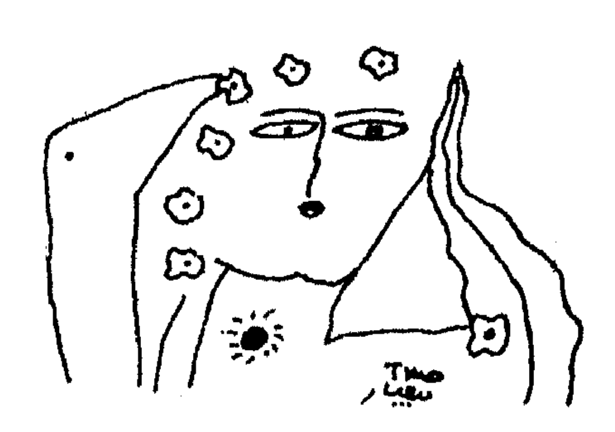
١٩٩١ م فقد قال التعليق ان الدكتور عبد المحسن طه بدر ـ رحمه الله والدعاء من عندى ـ يرى فى الخلف والحق انه يرى فى اقصى الصورة عن يمين الدكتور شكرى بعد الأخ الافريقى وقد يكون من المناسب أن أقول ان من زملاء دفعة الدكتور بدر المعروفين الآن الناقد رجاء النقاش ، والشاعر عبد المنعم عواد يوسف وقد كنت أسبقهم بعام فى قسم اللغة العربية بآداب القاهرة ومن زملاء دفعتى ـ ومعذرة للحديث عن النفس ـ المرحوم الدكتور كامل البوهى ومن الزملاء الذين عاصرتهم فى الدراسة العالية والذين سبقوا بعام وعامين المرحوم الشاعر صلاح عبدالصبور ، والدكتور عز الدين اسماعيل ، والأستاذ فاروق خورشيد والشاعر ممتاز السيد سلطان مد الله فى اعمارهم ، لقد كانت فترة خصبة أثمرت هؤلاء النجباء الفائقين ..

أحمد قاسم أحمد
خريج اداب القاهرة ١٩٥٣

• دعوة للتأمل •

تعالى «حياتى» نناجى النجوم ★ وننشد شعرا لهذا القمر
وهاتى يديك نحط الرحال ★ فإنا سئمنا عناء السفر
تعالى .. فقد آن ان نستريح ★ ونرسل عبر السماء البصر
نطير ... نحلق فوق الضباب ★ وفوق السحاب .. وفوق الشجر
نغنى معا اغنيات الحياة ★ وننثر فوق الروابى الدرر
نذوب حنانا .. نفيض ودادا ★ نبلل اشواقنا بالمطر
تعالى .. فانت ربيع الحياة ★ ونبض الفؤاد .. واحلى الصور

محمدى حسن الشافعى
مصنع ٨١الحربى



● مع أصدقائنا ●

● تمام مخلوف ـ مدرس بمعهد دير السعادة الثانوى ـ فرشوط :

ـ قصائدكم الأربع التى أرسلتم الينا صورا منها والتى نشرتموها فى احدى الصحف ، تحفل اثنتان منها بالأوزان المكسورة .. ويبدو أن من تسميهم «الاساتذة النقاد» لم يتبينوا الاخطاء العروضية الواضحة فى قصيدتك : «ثورة العاشق» و «هكذا الانسان» .. الا أننا نرحب برسائلك دائما ، وننصح لك بألا تعتمد على مديح «الاساتذة النقاد» فإن بعضهم لايميز الصحيح من المكسور فى الشعر !

● خالد حمدان محمد ـ كلية التربية بجامعة عين شمس :

ـ تفعيلاتك موزونة ، ولكنها غائمة لايفهمها القارىء ، ونرجو أن تقول لنا : مامعنى قولك : «لانهمى .. لانهمى » .. نعم .. مامعنى أنك تنهمى ؟! أهذا فعل جديد فى اللغة ، أم تقصد أنك «تهمى» أى تسيل وتهطل كالمطر ؟!

● وجيه عشم ـ القاهرة :

ـ لانتذكر اننا تلقينا منك رسائل ، أما قصتك التى عنوانها «مداعبة» فهى محاولة لكتابة أقصوصة ، ونرجو أن تمتد تجاربك لتتسع آفاقك فى فن القصة ..

● رحاب صبحى مقلد ـ ايتاى البارود :

ـ قصيدتك «بقايا الزمن» جميلة المعانى لكن ينقصها الوزن .

● حسن شراقى ـ النادى الأدبى بالسباعية غرب ـ اسوان :

ـ قصيدتكم «سأرحل» تجمع بين السطور الموزونة ، والسطور غير الموزونة ، وانت تطيل الكلام ، فحاول أن تهتم قبل كل شىء بإقامة الأوزان ، وليس مهما طول القصيدة ..

● ونتقدم بالشكر لأصدقائنا الفضلاء : حسن على جابر .. محمد فؤاد محمد على .. صلاح شفيع .. عبد الجواد خفاجى أمين .. صلاح عبد الستار الشهاوى .. ابو بكر محمد محمد حسانين .. جمال عبد المجيد ابراهيم .. رجب محمد الجبالى .. خالد السيد على محمد .. محمد أمين عيسوى .. عاصم فريد البرقوقى .. فارس عبد الشافى عطية .. غادة محمود مقلد ..

الكلمة الأخيرة

عبدالوهاب الفنان المعجزة

أحمد شفيق أبوعوف



رحل عنا عبدالوهاب وظن الناس ان مثله لا يرحل ، وللناس بعض العذر وبعض الحق فيما يظنون إلا انه امتثل لامر الل فسعدت به السماء ولم تشق برحيله الارض لأن عبدالوهاب ترك وراءه كنوزا خالدة من الالحان سوف تبقى مابقيت الحياة فوق الارض .

منذ بدأ حياته الفنية كان عبدالوهاب نهما وراء كل جديد ومبتكرا للألحان العربية ، كان مثابرا غزير الانتاج عاش كل دقيقة من حياته من أجل هدف واحد لم يحد عنه هو الفن الموسيقى العربي والنهضة الموسيقية العربية نثر البذور اللحنية في التربة العربية واخصبها من وجدان سخى واحساس ثرى فاثمرت التربة العاطفية باينع الثمرات التى تغذت عليها الروح العربية فازدهرت ونمت اعظم النماء ـ وقد لمست عصاه السحرية كل قوالب الغناء العربى فاجاد فى كل ما جادت به قريحته الحسية ـ ابدع فى تلحين وغناء الموال وأجاد فى اداء الأغنية العاطفية الرقيقة ونبغ فى تلحين وغناء قصائد الحب ـ والغناء الوطنى الحماسى والحوار الغنائى الممتع والصورة الغنائية الفياضة والاغنية الشعبية الأصيلة والموال المرتجل النابع من تربتنا وأغنيات الأفلام المفعمة بمصريتها وعروبتها واصالتها والمقدمات الموسيقية الخلابة ـ والموسيقى الوصفية الدقيقة والأوبرا المصرية الجذابة والدور الغنائى العريق والموسيقى الخالصة الآسرة والألحان الراقصة التى تكسوها البهجة ويدغدغها المرح ..

إن حديث عبدالوهاب محفوف بكل عسير ـ فلن يستطيع كاتب أو ناقد أو مؤرخ أن يوفيه حقه .

وعسير على المرء أن يشرب جرعة ماء من محيط هادر الأمواج ـ رغم انه محيط عذب المياه عالى الأمواج عميق يصل الى القاع ـ قاع القلوب العاشقة لفن عبدالوهاب ـ رحمه الله رحمة واسعة ..


EGYPTAIR
مصر للطيران